

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإسلامية



أعمال الملتقى الوطني:

إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية التفسير والمفسرون

حضورى وعن بعد

المنعقد بتاريخ: 26-27 جمادى الأولى 1447 هـ 17-18

الرئيس الشرفى للملتقى: أ.د. إلياس بن ساسي، مدير جامعة غرداية
مدير الملتقى: أ. د صالح بوسليم، عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
رئيس اللجنة العلمية للملتقى: د. عمر حكيمي
رئيس اللجنة التنظيمية للملتقى: د. يس خير الناس

التفسير الشفوي المعاصر في مزاب

أد. محمد حذبون

جامعة غرداية

الملخص:

يُقصد بالتفسير الشفويّ المشافهة التي يُخاطب بها المفسّر المستمعين إليه من المتلقين لمعاني القرآن الكريم؛ ولعلّه أقدم أنواع التفسير، فهو الأسلوب الذي بيّن من خلاله النبي ﷺ معاني القرآن للصحابة عند مراجعتهم لبعض الآيات.

وأقرب ثمرة لهذا النوع من التفسير أنّه يمسّ كلّ الشرائح الاجتماعيّة، عالمهم وعاميهم، ويحمّل المفسّر على مراعاة مقتضى الحال، فهو شاهد عصره، لوقوفه على أهمّ الأحداث والعلل، ومستجدّات بيئته؛ وهذا ما يجعل للتفسير الشفويّ هيبة عظيمة تعكسها مكانة المفسّر بين علماء عصره وبلده.

والناظر المتفحص لخزانة التفسير في الجزائر ليجد العائد ثريا وفيرا، إذ اعتمده العلماء منذ دخول الإسلام إلى الجزائر، واستهل الشفويّ كثير من العلماء حتى إنّ بعضهم وضّح معاني القرآن وبلغ الأحكام ورسّخ العقائد بلسان القوم، ومنها اللسان المزابي، أحد مكونات اللغة الأمازيغية.

وبرز في مزاب علماء أجلاء جعلوا من تفسير القرآن باللغة المزابيّة مدار جهادهم الإصلاح، وهو ما تعكف هذه الورقة إلى التعريف بهم وبإسهامهم في خدمة القرآن الكريم، وتلك خطوة أولى في مسار عمل دؤوب يؤرخ للتفسير الشفوي في ربوع الجزائر قاطبة.

الكلمات المفتاحيّة: التفسير الشفوي- مزاب- الإصلاح

• أولا: ماهية التفسير الشفوي:

التفسير الشفويّ سمة الإصلاح في الجزائر، ويُقصد به "المشافهة التي يُخاطب بها

المفسّر المستمعين إليه من المتلقّين لمعاني القرآن الكريم".⁽¹⁾

والمهمّة الأساسيّة لهذا النمط من التفسير إصلاحُ حال المجتمع من خلال كتاب الله تعالى، فهو يعيشُ معه، وينفعل به وله، سمّته "التركيز على تفاصيل الأمور، وتبدو أكثر وضوحاً وجلالةً منها في التفسير المكتوب، لأنّ المشافهة تقتضي مراعاة الحال، كالخطابة تماماً، وإلا فقد التفسيرُ معناه وهدفه من الإلقاء"،⁽²⁾ والمفسّر يقف -من خلال هذا النوع- على أهمّ الأحداث والعلل، ومستجدّات بيئته، باعتباره شاهداً على عصره؛ لذلك وجدنا الشيخ أحمد حمّاني رحمه الله يُميّز بين التأثير الذي يتركه كلّ من التفسير الشفهيّ والتفسير المكتوب، يعلّق الشيخُ وقد حضر مجالس التذكير لابن باديس وقرأ المنشور منه في مجلة الشهاب، قائلاً: "وكان له في كلٍّ منهما أسلوبٌ وطريقةٌ، يحسُّ بذلك كلّ من استمع إليه يُلقيه ارتجالاً وقرأه مكتوباً بقلمه، تبيّن له أنّه في الدرس الملقى أبلغُ منه وأعظم تأثيراً منه في المكتوب المقروء، وإن كان فيه موفّقاً عظيم التوفيق"،⁽³⁾ هذا ما يجعل التفسير الشفهي "له هيبةٌ عظيمة تعكسها مكانة الشيخ بين علماء عصره وبلده، وهذا ما جعل هذا الدرسَ يمسُّ كلّ الشرائح الاجتماعيّة، ويرفع المستوى المعرفي والفقهي والدعويّ والخلقي"،⁽⁴⁾

وقد مثّل انتهاج الإمام محمد عبده لهذا النوع من التفسير الزناد الذي عبّأ زعماء الإصلاح طاقةً وجذوةً التي لم تخمد، ويُسجّل لنا الإبراهيمي هذه البداية بقوله: "وجاء إمامُ النهضة بلا منازع، وفارسُ الحلبة بلا مدافع، فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه التي حام حولها من سبقه ولم يقع عليها، وكانت تلك الدروس آية على أن القرآن لا يُفسّر إلا بلسانين

(1) منير زباني: المفسرون الجزائريون ومنهجهم في التفسير، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، مج 13، سد 1، 2021، ص: 196.

(2) أحمد رحمانى: دور التفسير الشفهي في الإصلاح، تحليل في ضوء نظرية العقل الفاعل والعقل السائد، مجلة الصراط، ي 2، ع 4، مارس 2001م، ص: 35.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه؛ ص: 34.

لسان العرب ولسان الزمان.⁽¹⁾

هذا، وإنَّ الناظر المتفحص لخزانة التفسير في الجزائر ليجد العائد ثريًا وفيرًا، اعتمده عددٌ جَمٌّ من علماء الجزائر، وإنَّ بعضها بلغَ الختمَ والتفسيرَ الكامل؛ ولكم أن تتمثلوا فرحة المفسِّر وبهجته بتمام نعمة الختم، ولكم أن تتذوَّقُوا حلاوة بلوغ درس التفسير مقصده ومنتهاه، وبلسان علامة الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وغبطته، نعيش فرحة ختم ابن باديس لدرس التفسير الشفوي، لقد تاه دلالاً وصَدَحَ جدلاً، وسعى ذلك اليوم "من أيام الأمم، وأيام الأمم غُرَّرَ لوامعُ في تاريخها.. وهو اليوم الأغر المحجَّل في تاريخ الجزائر الحديث"⁽²⁾ ويضيف: "أتمَّ الله نعمته على الشعب الجزائري بختم الأستاذ ابن باديس لتفسير الكتاب الكريم درساً.. وكان إكماله على هذه الطريقة الشفوية مفخرةً مُدْخِرةً لهذا القطر، وبُشْرَى عامَّة لدعاة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي كَلَّه، تمسَّحُ عن نفوسهم الأسى والحزن، لما عاق إمام المصلحين محمد عبده عن إتمامه درساً، ولما عاق حوارِيه الإمام رشيد رضا عن إتمامه كتابةً."⁽³⁾

نعم، إنَّ كلَّ جهادٍ إصلاحيٍّ لتغيير الطباع وإصلاح الأوضاع لا بدَّ أن يركّز على القرآن، يقول الشيخ بيوض رحمه الله: "جعلتُ تفسير كتاب الله عمُدي في الدعوة إلى الله، استضيئ بنوره، وأهتدي بهديه، وأستنير بأوامره ونواهيه"⁽⁴⁾ إنه "الإيدان برجع دولة القرآن إلى الوجود.. وهو دليلٌ على انسياق الأمة الجزائرية المسلمة إلى القرآن، واستجابتها لداعي القرآن، واجتماعُ قلوبها على القرآن، وشعورها بلزوم الرجوع إلى هداية القرآن".

ومن زمرة علماء الجزائر المحروسة طائفةٌ من العلماء الأجلاء، فسَّروا القرآن العظيم ووضَّحو معانيه وبلَّغوا أحكامه ورَسَّخوا العقائد بلسان قومهم، وجعلوا من تفسير القرآن باللغة المزبانية مدار جهادهم الإصلاحي؛ وهو ما تعكف هذه الورقة إلى التعريف بهم

(1) الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ 327/1

(2) الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ 360/1

(3) الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ 318/1.

(4) إبراهيم بن عمر بيوض: تفسير في رحاب القرآن مقدمة، جمعية التراث، ط1، ص: 05.

وبإسهامهم في خدمة القرآن الكريم، وتلك خطوة أولى في مسار عمل دؤوب يؤرخ للتفسير الشفوي في ربوع الجزائر قاطبة.

• ثانيا: نماذج من التفسير الشفوي:

1. الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره "في رحاب القرآن":

أ- ترجمة موجزة:

الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، و 1313هـ/1899م - ت. 1401هـ/1981م، علامة، وزعيم، ومرّي، نشأ في أحضان عائلة كريمة، وكان والده من أعيان بلدة القارة؛ حباه الله تعالى منذ الصغر مواهب جمّة، منها الذكاء الوقاد، والحافظة القويّة، والفصاحة والبيان.

أسّس معهد الشباب للتعليم الثانوي، وهو المعروف بمعهد الحياة، في 18 شوال 1343هـ/ 21 ماي 1925م، وحمل شعار "الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد"، وأصبح قبلة الطلاب من داخل الجزائر وخارجها، وفيه تخرّج المئات من طلاب العلم المتخصصين في العلوم الشرعيّة واللغويّة.

شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وساهم في صياغة قانونها الأساسي، وانتُخب عضوا في إدارتها الأولى، إذ أسندت إليه نيابة أمين المال.

حكمت عليه الإدارة الاستعمارية سنة 1940 بالإقامة الجبرية داخل القارة لا يبرحها، لمدة أربع سنوات، تفرغ خلالها لتكوين ثلة من الطلاب المتفوّقين، أصبحوا من رجالات الأمة المحليّين، وقادة الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري.

دخل معترك الحياة السياسية، سنة 1947م، وانتخب بالأغلبية الساحقة يوم 20 أبريل ممثلا لوادي ميزاب في المجلس الجزائري، وأعيد انتخابه سنة 1951م، فكان الصوت المدوّي دفاعا عن مقومات الشخصية الجزائرية دينا ولغة. وأصبح ما بين 1954 و1962م محور النشاط الثوري في ميزاب بعامة، والقارة بخاصة، يعاونه في ذلك زملاؤه في الحركة الإصلاحية، وأبناؤه الطلبة، وقد وقف وقفة بطولية ضد مؤامرة فصل الصحراء عن الجزائر.

كان من بين الأربعة الذين أمضوا على برقيات ورسائل التأييد، سنة 1948م، باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين في الجامعة العربية، وكان عضوا في لجنة

إغاثة فلسطين.

في مارس 1962م عين عضوا في اللجنة التنفيذية المؤقتة، وأسندت إليه مهمة الشؤون الثقافية إلى يوم تسليم السلطة لأول حكومة جزائرية في سبتمبر من سنة 1962م.

كان الشيخ بيوض، العالم اليقظ، المتفتح على العالم الإسلامي من حوله، يُتابع بحرص دعوات الإصلاح التي أخذت ترتفع من هنا وهناك من أطراف العالم العربي، ولا سيما حركة العلماء المصلحين في الشرق من أمثال الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، ورشيد رضا، والكواكبي، وشكيب أرسلان، وغيرهم ممن أعجب الشيخ بيوض بمنهجهم، وتشرب أفكارهم من خلال آثارهم وكتبهم، وقد جمعتهم الصدفة ببعضهم مثل شكيب أرسلان الذي التقى به في الحج سنة 1929 فكان دائم الإشادة بفكره ومواقفه.

وكان قد أحكم الصلات بينه وبين العلماء المصلحين الآخرين في محيط القطر الجزائري من أمثال المشايخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، وغيرهم.

وأحسن من وصفه تربيته ورفيقه في درب الإصلاح والجهاد الشيخ البكري عمر بكلي، قال عنه: "الشيخ بيوض مروءة تمشي على رجلين، حباه الله بشق المواهب، عقل سليم ملهم يُسعه في كل موقف، وعلم واسع لا تكدره الدلاء، ولا يُدرك غوره، صافٍ معينه صفاء الشريعة، عذب فُرتة عذوبة الحق والصدق، وحافضة قوية هي عدته في استحضار الحقائق وسلاحه في مقارعة خصوم الحق، وبذكاء وقاد لا دقيق الملاحظة، لا تفوته اللمحة ولا تند عنه شاردة، وحاسة فنية هي معياره في تقييم الأشياء ومقارنته بين الأشباه والنظائر، ولسان فصيح يستمد مدده من فيض الحكمة، يقرنه المعنى البعيد في معنى وجيز، ويستنزل الخصم العنيد من عليائه بأسلوب معجز.. خصائص اجتمعت واتحدت ومواهب ائتلفت وتآلفت في شخص الأستاذ الجليل فجعلت منه وحيد أمته وعبقري مزاب في عهده"⁽¹⁾

ب- المنبر وتفسير "في رحاب القرآن":

كان من أبرز ثمار جهاد الشيخ بيوض الإصلاحي تكوين أجيال من الرجال، ولطالما ردّد

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي البكري: مقدمة تفسير "في رحاب القرآن"، ص 09. المطبعة العربية، ط1، دت

مقولة «شُغِلت عن تأليف الكتب بتأليف الرجال»، وهو ذات المنحى الذي سلكه رُوَاد الحركة الإصلاحية أمثال ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والتبسي وغيرهم.

هؤلاء ومنهم الشيخ بيوض اتخذوا من الدروس الشفوية، وأجلّها درسُ التفسير محورا لنشاطهم الدعوي والإصلاحي؛ "فقد أولى معظم مجهوده لكتاب الله فهما وإفهاما وغوصا على درره وأسراه، واستجلاء بدائعه وعرائسه، وقد تأثر بأسلوب محمد عبده وطريقته في التفسير وعمق فهمه لأسراره ومقاصده فسار على وتيرته".⁽¹⁾

لقد كانت الآثار التي تركتها دروس الشيخ بيوض الشفوية -والتي غطت قرابة خمسين سنة- عميقة عظيمة؛ وبفضلها تعمّقت الثقافة الإسلامية في البيوت، وعرف المجتمع وجه الإسلام الحقيقي، بما كانت تحمله من حجة ساطعة، في فصاحة ومعاني عميقة محرّكة للنفوس من سباتها.

تلك المئات من الدروس شملت دروسا عموم الدين، من تربية واجتماع وسياسة وثقافة؛ وكان يلقيها في المسجد أو في المناسبات والحفلات، وعرف بعضها طريقه إلى التحرير ثم إلى التحقيق والترجمة والنشر توسعيا للاستفادة، وهو ما نوصي به لكل الآثار المسموعة لعلماء الجزائر.

إنَّ أهم ما ترك الشيخ بيوض رحمه الله هو تفسيره القيم لكتاب الله تعالى، مستخدما المنهج الإصلاحي الذي عُرفت به المدرسة الإصلاحية العبدويّة، فكان يعرض المجتمع على كتاب الله تربيةً وتوجيهًا، وظلَّ مواظبا حريصا على تلك الدروس لا يتخلّف عنها إلا لمرض أو سَفَر.

بعد أن أتمّ تفسير جزء عمّ؛ افتتح درس تفسير القرآن الكريم من فاتحته، في مسجد القنطرة الكبير، يقول البكري: "شرع في دروس التفسير وهو في مكتمل شبابه يفيض حيوية ويتدفق علما في غرة محرّم سنة 1353هـ/ ماي 1935م، واستمرّ على إلقائها إلى أن بلغ سورة الإسراء، عند قوله تعالى "ولقد كرّمنا بني آدم" هنالك ابتدأ التسجيل وتواتر إلى أن كمل

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي البكري: مقدمة تفسير "في رحاب القرآن"، ص 10. المطبعة العربية، ط1، دت

التفسير واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ/ 12 فيفري 1980م⁽¹⁾؛ وأقيم له مهرجان عظيم، شهدته مختلف السلطات الإدارية والسياسية من شتى المستويات، كما حضره حشد كبير من الأئمة والعلماء من كافة أنحاء القطر.

وبعد ما يقرب من خمسين سنة 49 سنة بالضبط، جاءت محصلة هذا التفسير مسجلاً في حوالي 1500 ساعة، محررة في 12497 صفحة، وهو جزء منه، وقد طبعت الأجزاء الخمسة الأولى منها بعنوان: في رحاب القرآن، تحرير الأستاذ عيسى الشيخ بلحاج، واكتمل التحرير ثمانية وعشرين جزءاً وتمثل نصف التفسير، كما صدر مختصر لهذه الدروس، إنجاز الشيخ ناصر المرموي.

2. الشيخ إبراهيم بن عمر أداود

أ- ترجمة موجزة 1924-2019م:

الشيخ إبراهيم بن عمر أداود، "علم من أعلام التربية والدعوة في المجتمع المزابي في العصر الحديث.. سعى بهدوء وثبات في إصلاح المجتمع من الناحية العلمية والتربوية"⁽²⁾، هو من مواليد غرداية خلال سنة 1924م، تلقى تعليمه الابتدائي بمدينة غليزان، ثم انتقل إلى معهد الحياة بالقرارة سنة 1357هـ/ 1938م، إذ كان الشيخ بيوض رحمه الله المحور والمؤثر في تكوينه العلمي والفكري.

وخلال فترة وجوده في معهد الحياة، قام بقراءة أمهات كتب الحديث والفقه، من بينها كتاب النيل وشفاء العليل للثميني، وشرحه لقطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، وكتاب "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني، و"نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار" للإمام الشوكاني، مما شكل عنده نقطة تحول في منهجه الفكري.

عمل الشيخ إبراهيم أداود مدرساً في معهد الحياة قبل أن ينتقل إلى مدينة وهران عام 1953م، أين شغل منصب كاتب "عادل" في المحكمة الإباضية، ثم قاضياً عام 1959م.

(1) المرجع نفسه.

(2) ينظر. عبد الله باهون: الشيخ إبراهيم بن عمر أداود، أفكار وإنجازات؛ مجلة الحكمة للدراسات التربوية

والنفسية، مج 11، ع 2، 2022، ص: 07.

وفي عام 1974م، عاد الشيخ إبراهيم أداود إلى غرداية، وتولّى عمله موثقاً في مكتبه بمنطقة بني يزقن؛ وأسّس مع مجموعة من طلابه ومريديه، حركة دعوية أطلق عليها اسم "حركة مسجد الوادي" التي عرفت بحركة السنة، وكان مرشدها ورائدها؛ وكانت منهج الحركة الارتكاز على ترسيخ العقيدة الصحيحة، وإحياء السنّة، ومكافحة البدع والعادات المنكرة، بالاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله، واستقلال الاجتهاد بشرط الدليل.

لقد اتّسم فكر الشيخ إبراهيم بن عمر أداود بالجمع بين الانتماء إلى المذهب الإباضي باعتباره جزءاً من بيئته وبين اجتهادٍ شخصيٍّ في الفقه والحديث،

ترك إرثاً دعويّاً وعلميّاً في منطقة مزاب، ومئات من الدروس في التفسير والفقه والعقيدة، بلغت حوالي 4159 درساً، وحلقة علمية، و1364 حلقة فتوى، وفي المجموع حوالي 5523 درساً؛ كلّ ذلك ترك أثراً في الشباب من حوله، وفي المجتمع المحلي كافّة. وبقي عاملاً عاملاً ملتزماً الهدوء والرزان إلى توفاه الله مساء يوم الثلاثاء 1 أكتوبر 2019م.

ب- تفسير شفويّ لخمس مرات:

افتتح الشيخ إبراهيم أداود داراً للعلم بهون واعلي، وفيه انطلقت دروسه في التفسير وفقه الحديث والفتوى طيلة أيام الأسبوع، ثم اهتدى مع ثلّة من مريديه إلى بناء مسجد سعي مسجد الوادي لمحاذاته وادي مزاب، وفرغ البناء منه عام 1980م، وصيفاً كان يلقي دروسه في مسجد الواحة رأس الغابة.

ولا يخفى ما للمسجد من أثر إيجابي في نشاط أيّ حركة دعوية، وجلّ ما تركه الشيخ من دروس هي دروس سمعية شفوية، وأجلّها دروس التفسير، وقد فسّره كاملاً خمس مرات، لا يكلّ ولا يملّ، في لغة بسيطة، يقرب فهم كتاب الله العزيز إلى عوام الناس، وباللغة المزابية المحليّة، يتلو جزءاً من الآية ثم يبين المعاني التي تحملها، والفوائد التي تتضمنها، دون إغراق في المباحث اللغوية، وإنما كان كلّ غايته بيان المعاني وتبسيط الأحكام الشرعية⁽¹⁾

(1) ينظر. عبد الله باهون: الشيخ إبراهيم بن عمر أداود، أفكار وإنجازات؛ مجلة الحكمة للدراسات التربوية

العدد	التفسير	السنوات	عدد الدروس	الملاحظة
1.	تفسير القرآن الكريم كاملا	قبل 1985	614 درسا	مدّة الدرس غالبا حوالي 45د، بين المغرب والعشاء مجموع حلقات التفسير: 2258
2.	تفسير القرآن الكريم كاملا	1985-1990	518 درسا	
3.	تفسير القرآن الكريم كاملا	1990-1993	402 درسا	
4.	تفسير القرآن الكريم كاملا	1994-1998	384 درسا	
5.	تفسير القرآن الكريم كاملا	1998-202	340 درسا	

3. الشيخ كعباش "سعيد محمد بن إبراهيم" وتفسيره "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

أ- ترجمة موجزة:

محمد بن إبراهيم بن باحمد، سعيد؛ الشيخ كعباش اسم الشهرة، من مواليد قصر العطف، أول وأقدم قصور مزاب السبعة، سنة 1929م؛ نشأ يتيم الأب، مُد كان عمره سنتين، وترعرع فقيرا، تحت نير الحكم الاستعماري، وبدأ دراسته في الكُتّاب، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية الوحيدة في قريته حيث درس سبع سنوات، وتلقى فيها المبادئ الأساسية.

كان شغوفا باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم صغيرا، ومع ظروفه الاجتماعية القاسية وطبيعة الحياة الشحيحة آنذاك، وجد نفسه في سوق العمل، وعمل أجيرا في عدّة مدن من سنة 1940م إلى 1945م، إبان الحرب العالمية؛ وبعدها شكّل التقاؤه بالإمام بيوض إبراهيم منعظا في حياته، والتحق بمعهد الشباب معهد الحياة أين نمت مواهبه وتفتّحت

قدراته العلميّة: ثم التحق بتونس سنة 1950م، وكان عضوا لأمعا في البعثة العلميّة المزابية بجامع الزيتونة، كما درس بالمعهد الخلدوني للعلوم التطبيقية بقية العلوم والفنون، والتحق في السبعينيات بالجامعة الجزائرية، فحصل على ليسانس في الأدب العربي.

عند عودته إلى الوطن مع بداية الثورة المباركة سنة 1954م، شارك فيها مناضلا وأسهم بفاعلية في الجهاد في سبيل الله والجزائر الغالية؛ كما اشتغل بالتدريس معلّما للبنات بمدرسة النهضة، وعمل أستاذا في التعليم الرسمي منذ الاستقلال، واستمر في وظيفته الرسمية إلى تقاعده سنة 1990م، وكان شعاره الحضاري "التعليم قبل التعمير"،⁽¹⁾ فلا عمارة في غياب العلم والمعرفة.⁽²⁾

التحق بحلقة العزّابة في سن مبكرة سنة 1958، وعُيّن مُرشدا وإماما خطيبا للجمعة سنة 1970م، وبزغ نجمه في الخطابة وقد أخذ بناصية اللغة والبيان.⁽³⁾

ب- تفسيره "نفحات الرحمان في رياض القرآن":

يُعدُّ تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن" من التفاسير الجزائرية المعاصرة الكاملة، وإضافةً مميزةً للمكتبة الإباضية والجزائرية؛ صدر هذا التفسير سنة 1426هـ الموافق 2015م، في أربعة عشر مجلدا، عن جمعية النهضة، بالعطف، وقام بتحريره

بداية شرع في تفسير القرآن الكريم سنة 1971م، بقصار السور، ثم سورة الأنعام، قبل أن يُعنى بتتبع سور المصحف بداية التسعينات، بوتيّة درسين في الأسبوع، درس للتفسير وآخر لشرح مسند الإمام الربيع بن حبيب رحمه الله، إلى أن وصل به المسير الختم كاملا يوم السبت 02 جمادى الأولى 1436هـ الموافق لـ 21 فيفري 2015م.

(1) كعباش، محمد سعيد: جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح، جمعية النهضة، 2010؛ ص: 215.

(2) ينظر. الأبيض رضا: جيل النهضة والإصلاح للشيخ محمد سعيد كعباش، في التأريخ المحلي للعلماء ودور التعليم في النهضة؛ المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 10، ع 3، س 2018، ص: 74-104.

(3) ينظر: محمد مصطفى: الشيخ محمد سعيد كعباش، النابغة الذي لا نعرف عنه إلا القليل؛ جمعية التراث،

وسلك الشيخ في تفسيره منهج التفسير التحليلي، متناقلا بين سور القرآن آية آية، وجعل من تفسيره دليلا إلى إصلاح المجتمع وتغيير طباعه بأسلوب حكيم، ومن نهجه في التفسير أن: تقسيم السورة إلى مقاطع حسب المواضع، ويبدأ بتلاوة آيات المقطع المراد تفسيره، ثم الشروع في بيان معاني الآيات، بداية بالتحقيق اللغوي، وشرح مفردات غريب القرآن، وقد يتعمق في المعنى اللغوي والاشتقاق، ثم يلتفت إلى أوجه القراءات، إن كانت الآية تحمل قراءات متعددة، وقد يستغني عن ذلك إن لم يكن في القراءة اختلاف، وله عناية خاصة بأسباب النزول، والوقوف عند سياق الآية ومناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.⁽¹⁾

ومن عادة الشيخ أن يعتمد في تفسير الآية بما هو موثوق، فيفسر القرآن بالقرآن ثم بالسنة، ويورد أقوال الصحابة، ويضرب صفحا عن الإسرائيليات، ويحضر رأيه وتوجيهه بعبارة "قلتُ" أو "فيما يبدو"؛ وكثيرا ما يورد أقوال المفسرين من قبله، مثل قطب الأئمة، ومحمد عبده ورشيد رضا والطاهر بن عاشور، وحتى الزحيلي.

4. الشيخ الأخضر الدهمة، وتفسيره "قطوف دانية من آيات قرآنية"⁽²⁾

أ- ترجمة المفسر:

ولد الشيخ الأخضر الدهمة بحاضرة متليلي الشعانبة سنة 1925م وبمسجدها العتيق والمدارس الملحقة به حفظ القرآن الكريم وتلقى علومه الأولية، واغترف من علم الشيخين، الطالب علي بن الدّيبة ومحمد كديّد.

ولذكائه الوقاد، وحافضة القوية انتدب الشيخ لخضر الدهمة في البعثة العلمية التي أرسلت من متليلي إلى مدرسة الشيخ محمد الأخضر الفيلاي 1889-1976م في مدرسته الإصلاحية بمسجد خالد بن الوليد بغرداية، سنوات 1942-1946م، وفيه تفتّحت قريحته،

(1) ينظر: نصيرة سلسبيل: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسير نفحات الرحمان؛ مجلة المعيار، مج 26، ع 4، سنة 2022، ص: 31.

(2) الترجمة مقتبسة -بتصرف- من مقال بعنوان: "الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً". للباحث الأستاذ الدكتور: محمد عبد الحليم بيثي. جريدة البصائر، <https://elbassair.dz>. تاريخ: 17-10-2018.

فكان صاحب القدر المعلى، ومن أنجب تلامذة الشيخ في التحصيل، وتضلّع في علوم العربية والفقه والأدب. ولأنّ المستعمر الغاشم ناهض هذه الحركة العلمية وقام بمحاصرة الشيخ الفيلاي والتضييق عليه، مدبراً لهم المؤامرات، انتهت بإغلاق المدرسة ونفي الشيخ من غرداية سنة 1946م.

وشكّلت النكسة دافعا لالتحاق الشيخ لخضر الدهمة بجامع الزيتونة العامر مع ثلة من رفقاءه، ليلتقي بثلة من المشايخ وأعلام الزيتونة أمثال شيخ الإسلام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور 1879-1973م، والحبيب بلخوجة، والطاهر الغمراسني، وصالح النيفر، وأمضى فيها أربع سنوات 1946-1950م لينال منها شهادة التحصيل، وعاد شهاباً ريثاً من العلم وقدحا مشتعلا من الوطنية.

انخرط في الجهاد التربوي لتكوين الأجيال، فاشتغل مدرّساً بمدينة عين بسام ولاية البويرة حالياً، إلى غاية 1957م، ثم يئّم شطره إلى غرداية ليدير ويعلم في مدرسة العرفان الملحقة بجامع حمزة بن عبد المطلب، قلعة من قلاع الوطنية في غرداية، ومنها تخرج منها المجاهدون والشهداء، وكانت معقلاً لإدارة العمل الثوري والفعل التربوي.

وبعد الاستقلال كان الشيخ عمدة التعليم العربي في المنطقة فأدار باقتدار دفعة التعليم تأسيساً وتفتيشاً وتوجهاً إلى غاية سنة 1984م، إضافة إلى عمله الطوعي في القضاء قبل انتظام سلكه بإنشاء وزارة العدل، وكذا تأسيس الاتحادات والمنظمات الجماهيرية لجهة التحرير.

ب- الدرس التفسيري الشفهي:

لم تخل أيام الشيخ الأخضر الدهمة من الإرشاد والتوجيه في المساجد والمحافل والأفراح والمآتم، فكان الصوت الصداح بقيم الإسلام وشيم العروبة في مجتمع لما يبرأ بعد من علل الاستعمار وأدران التخلف، فكان عمدة المساجد والمدارس، واتخذ لذلك مسلك الإمام الأستاذ محمد عبده في جمع الأمة على القرآن الكريم، فكانت دروسه الشفوية لا تنقطع بعد صلاة الصبح وبين العشاءين، وخصص دروس الجمعة للتفسير الهدائي، وكان مسلكه تربوياً عالياً لا ينزعج فيه المثقف بضياغ وقته، ولا الأمي بعسر فهمه. وقد أمضى في تفسير البقرة

وحدها ثمانين سنين.

أما طريقة التفسير الشفهي فهو البدء بتلاوة الآيات المختارة، واقتناص المعاني القريبة والبعيدة، والاستعانة بأقوال المفسرين الكبار ومقارنتها، مع عدم الإيغال في القضايا اللغوية والبلاغية مراعاة للحال، ولكن التركيز الأكبر على واجب الوقت في القضايا الاجتماعية والأخلاقية، مع حسن السبك والبيان واسترجاع مآثر النهضة اللغوية للحركة الإصلاحية، والقفز على موارث عصور الانحطاط وانشدها للإسرائيليات والغرائب والخرافات، وولعها بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في قضايا التصوف والسلوك.

ومن مخرجات هذا الجهد المحمود رائعته "قطوف دانية من آيات قرآنية" خصصها لتفسير قصار المفصل وسورة الفاتحة وسور: يس، الحجرات، والحشر. وكان الكتاب غاية في السبك وفتحاً جديداً في الدرس التفسيري وقد اعتمد فيه المنهج الآتي:

- تفسير القرآن بالقرآن عن طريق جمع نظائر الآيات، واستخراج الإيماءات الخفية باستحضار المتشابه السياقي، وبيان مقتضى الأساليب، والتركيز على المناسبات القرآنية.
- استصحاب متعلقات الألفاظ، وبيان العلاقة السببية بين الآيات.
- اللفات البلاغية في مناسبات اختيار الألفاظ مع المقارنة بالمواضع المختلفة.
- الاهتمام باللغة والإعراب المعين على بيان المقصد من السياق.
- الاستعانة بصحيح السنة في التفسير، وكذا بالأقوال المرفوعة للسلف.
- كثرة أساليب التعجب والاستفهام لتحريك ذهن القارئ لمزيد التمعن والتدبر.
- جمع الآيات لدفع توهم الاضطراب كما هو المنهج عند الشنقيطي في أضواء البيان.
- التعرض الخفيف لبعض القضايا الفقهية مثار الخلاف مثل قضية التأمين والسحر.

- الاهتمام بالقضايا الاجتماعية مماهاة لصنيع رشيد رضا في تفسيره القرآن الحكيم.
- التركيز على القضايا الوقتية كما في الكلام عن الصراع مع اليهود في سورة الحشر.

5. الشيخ محمد بن أيوب صدقي

أ- ترجمة موجزة:

محمد بن أيوب صدقي، عالمٌ مفسِّرٌ، أديبٌ، مدرّسٌ مربّي الأجيال، من مواليد قصر بني

يزجن في السابع يونيو 1935، خريج محضريّ الشيخين، الشيخ إبراهيم حفار والشيخ يوسف حمو وعلي، وكلاهما من تلامذة القطب اطفيش رحمه الله؛ ثم مُجاز من مدرسة تكوين المعلمين سنة 1961، ومنتحَصَل على شهادة ليسانس في الأدب العربي من جامعة الجزائر سنة 1967.

شغل أستاذا للأدب العربي في عدة ثانويات عبر الوطن، وكان آخرها ثانوية مفدي زكرياء بأت يسجن بني يزجن، وكذا في معهد الشيخ عمي سعيد بغرداية، وهو أحد الأعضاء المؤسسين.

تفسيره:

انطلق درسه في التفسير في 12 فيفري 1981م، وختمه يوم 09 جوان 2023م، ودامت 42 سنة من العطاء وتنوير المجتمع، استكمالا لمسيرة المفسرين الذين عاشرهم الشيخ، وهم: الشيخ حفاتر: 1954م، والشيخ يوسف حمو وعلي؛ وجاء درسه التفسير بعد أن أنهى الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض إبراهيم تفسيره سنة 1981م، فشرع الشيخ صدقي تفسيره بعد سنة من الحدث الأخير.

تميّز تفسيره بعمق التحليل في معاني الآيات، والدعوة إلى الهداية والتمسك بدين الله تعالى، وب عقلانية راجحة، وتوازن بين العربية والمزابية، فجاءت حصيلة الدروس في 1336 درسا، تحمل غوصا في معاني الآيات، مع طرف أدبية وملح في التربية وتوجيه المجتمع.

يُشهد للشيخ ملكات مثل قوّة الحافظة، وبداهة الاستدلال؛ وكأنّ تفسيره هو من نوع تفسير القرآن بالقرآن؛ "والشيخ يحضّر الدرس تحضيرا مُرَكّزا، ويعود إلى المصادر بمختلف مشاربها وأنواعها؛ وهو يحيل إلها في درسه؛ ثم حين يجلس للتفسير تنساب الكلمات والمعاني من بين شفثيه ماء زلالا؛ فلا يقرأ من ورقة، ولا يستظهر من دفتر؛ وإنما عُمدته على ذاكرته، وعلى تمكنه، وعلى ما يمليه عليه السياق، وتفاعل الحضور، من دلالات وأبعاد تليق بتفسير

كلام الله تعالى⁽¹⁾

6. الشيخ مصطفى بن صالح باجو، وتفسيره "شفاء القلوب من كلام علام الغيوب" يقول الشيخ مصطفى باجو: "كان القرآن العظيم ولا يزال محور حياة المسلم، ودليل الهداية، وطريق السعادة، ومرشد المرء إلى كلّ خير في العاجل والآجل، وسبب نجاته من عذاب الله والفوز برضوان الله.

وقد رغبتُ في العيش في ظلاله منذ أمد، ورجوت أن يوفّقني الله تعالى إلى بيان معانيه للناس في دروس مسجديّة عامة، ولكن هيبة المقام وخطر التقوّل على الله بغير علم، وقلة زادي، وتدافع الشواغل.. كلّ ذلك حال دون تحقيق هذه الأمنية الغالية، ونيل هذا الشرف العظيم.

وأخيرا صَحَّ القصد، وعقدت العزم على ذلك في صائفة سنة 1430هـ 2009م، ولبثتُ أسبوعا أخطُ معالم هذا المشروع، ومنهج العمل فيه، وأسأل الله راغبا أن يوفّقني ويسدّد خطاي، ويرزقني فيه الإخلاص، ويعصمني من الرياء والنفاق، ويجعله علما نافعا، وذخرا وشفيعا للفوز برضوان الله، وكنت أسأل العليّ القدير، من فضله وعونه ضارعا أن يبارك في العمر والصحة حتى أبلغ أعظم ما في هذا المشروع وهو إتمام تفسيره بعد ما يشاء الله من السنوات. ويحجز لي به مقعد صدق في روضات الجنات، إنه سميع مجيب الدعوات.

انطلقت الخطوات الأولى في ذلك الشهر العظيم، ثم توقف المشروع أكثر من ثلاث سنوات، لأسباب عديدة أهمها كثرة الأسفار وعدم الاستقرار، حتى يسر الله العودة من جديد لهذا العمل. وبدأت أول دروسي فيه في مسجد الإصلاح بابا السعد، بغرداية، مساء الثلاثاء 19 صفر الخير 1434هـ الموافق للفتاح من يناير 2013م. واستمر العمل فيه بعون الله، على تفاوت في وتيرة المسير.

توقيت الدرس مرّة في مساء الإثنين ليلة الثلاثاء من كلّ أسبوع بين المغرب والعشاء، بمسجد بابا السعد الغربي، بغرداية. وسار الأمر مطردا، حتى جاءت جائحة كورونا فانقطع

(1) ينظر: نصيرة سلسبيل: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسير نفحات الرحمان؛ مجلة

المسار لما يقارب حولين كاملين، ثم رجعنا من جديد. ولاستدراك الانقطاع فقد أصبح الدرس مرتين في الأسبوع: مساء الأحد، ومساء الاثنين، ومدة الدرس بين المغرب والعشاء لا تزيد عن ثلاثة أرباع الساعة، ولا تقل عن أربعين دقيقة، واستمر متصلا بحمد الله، ولا ينقطع إلا عند الضرورات.

انطلاقة الدروس كانت بمختصر وجيز عن المقدمات التي تتعلق بعلم التفسير ونشأته وتطوره ومدارس المفسرين، وأهمية هذا العلم وغايته، وخطورته وشروط المفسر. وهي مباحث مستفيضة كتب فيها العلماء عبر القرون، في علوم القرآن والتفسير والسنة والأصول، وتاريخ التشريع وغيرها من علوم الإسلام.

ثم شرعت في الاستعاذة بالبسملة فالفاتحة تباعا حتى وصلت اليوم إلى سورة الأنعام، وقد كان آخر درس في الآية 34 من هذه السورة.

أما مصادر التفسير فهي أمّهات كتب التفسير، وخاصة: القرطبي، والمحرر الوجيز لابن عطية، وابن كثير، والمنار، والظلال، والتحرير والتنوير، وتيسير التفسير، ووجدتُ جواهر التفسير للخليلي جامعا لكل ما في كتب التفسير، فكنت أكتفي به في أحيان عديدة؛ حتى انتهيت إلى ما وصل إليه من أواسط سورة البقرة، ثم عدت إلى التفاسير الأخرى، مع الاستفادة بتفاسير المعاصرين أمثال الشعراوي والزحيلي والناقلي، ولكن اهتمامي كان أكثر بالتحرير والتنوير والمنار، ونفحات القرآن للشيخ كعباش.

وطريقة الدرس: الاستفتاح بدعاء، يليه تلاوة الآيات محل الدرس، ثم تناول الآيات بصورة جزئية جملة جملة، وقد يقتضي المقام شرح كلمة لغوية، أو البدء ببيان سبب النزول، مع عدم الغفلة عن وظيفة هذا السبب في بيان معنى الآية. والتركيز على القاعدة الأصولية: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومحور التفسير كلّ متّجه لبيان مقاصد القرآن في هداية الإنسان، وربط الآيات كلها بهذا المعنى، والتركيز على أثرها في الإنسان إيمانا واستقامة واعتبارا وادكارا، بما يوثق صلته بالخالق ويعقد صلته العقلية والقلبية بهدي كلام الله، والعناية بالغة بهذا الربط مهما بدا موضوع الآية بعيدا عن هذا الأثر.

ولم يكن للإعراب حظاً إلا قليلاً، أو أوجه القراءات إلا ما كان له أثر في معنى الآية، ففي كتب التفسير والقراءات الغنية، مما يهيم المختصين لا عموم السامعين، وفي أسباب النزول كان الاقتصاد على ما ترجح ثبوته، حتى لا يتشتت انتباه السامع إلى كثرة الأسباب وتعدددها.

والمفسر يُشير إلى الإسرائيليات في مواضعها منبهاً إلى أثرها السلبي في توجيه العناية إلى تفاصيل الأخبار التي لم تثبت يقيناً، وشغلها الناس عن هداية القرآن، فضلاً عما في كثير منها مما يناقض قطعيات الدين في الكتاب وسنة النبي الأمين.

وأغلب هذه المادة العلمية النفيسة مسجل بالصوت والصورة في أرشيف مسجد بابا السعد، ويحوز صاحبها على ملف صوتي منها، ومنها ما هو محرر في الدفاتر.

والأمل مقعود في مشروع التفسير المكتوب بإذن الله، يكون محرراً بلسان القرآن، وأستجمع فيها ما جمعته أثناء إعداد الدروس، وما يفتح الله به من معان خلال الدرس، وهو كثير والحمد لله، ويضمُّ درر المعاني المستفادة من كتب التفسير؛ لم أستوفها في الدروس، وبخاصة ما يتعلق بدقائق البلاغة وأسرار الإعجاز البياني في القرآن مما لا يستوعبه عوام الناس في المسجد؛ وعسى أن ييسر الله أمر هذا التحرير فتتحقق غاية من أغلى الغايات. والله لا يضيع أجر المحسنين.

7. بشير بن إبراهيم بازين:

شغل الشيخ بشير بازين بالقرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ونشأ في بيت دين يحتفي بكلام الله تعالى، حفظاً وأدباً وتخلقاً، ولأنه الداعية الذي تعرفه المنابر، ويجلُّه الناس لمنطقه في البيان، وحرارته في الإيمان، كانت له جلسة في تفسير كتاب الله العزيز في المسجد؛ وكان الانطلاق سنة 1997 بحلقتين اثنتين؛ الأولى في المسجد الإباضي العتيق بغرداية، وهذه توقّف بها المسير سنة 2008، في سورة غافر ابتداء من سورة الناس؛ أما الثانية فعلى العهد باقية، في مسجد كركورة، وبلغ فيها درس التفسير سورة التوبة؛ ويرتادها المتبعون التواقون لفهم كلام الله تعالى، وبخاصة أنّ الشيخ بشير بازين أوتي فصاحةً باللسانين العربي والمزابي، ومنهج دعوة وإقناع يشد السامعين، وتهز موعظته نفوس المؤمنين.

وأهمُّ مراجع الشيخ هي تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور، والتفسير

الوسيط لمفتي الديار المصرية محمد سيد طنطاوي بالدرجة الأولى، ثم تأتي باقية من التفاسير المهمة، منها أيسر التفاسير لأسعد محمود حومد، و"المنتخب" وهو من التفاسير المعاصرة، تأليف لجنة من علماء الأزهر، وتيسير التفسير لقطب الأئمة أمحمد بن يوسف اطفيش، وظلال القرآن لسيد قطب.

ويسعى الشيخ من خلال تفسيره إلى تصحيح المفاهيم، وتقويم التصورات، والتركيز على الجانب الهدائي والتزكوي في الآيات؛ ويأمل كما يأمل شريحة واسعة من المجتمع أن يبلغ ضفة الختم بالأمان والإيمان.

8. إبراهيم بن عمر بورور:

الشيخ إبراهيم بورورو فارس المنابر، وخطيب وداع مفوه ومؤثر وناثر، غمر المناسبات والاحتفالات والأعراس والمآتم وتجمعات الطلبة بمواعظه المؤثرة في النفوس المججلة للقلوب؛ له أسلوب دعوي راق، يشد إليه الرجال والنساء، والشيب والشباب؛ وأسهم ولا يزال في حقل لدعوة بمئات الدروس، في سلاسل متواصلة في شتى الموضوعات، ومنها حلقة تفسير كتاب الله العزيز.

عقد حلقة للتفسير بمسجد بلغنم الغربي بغرداية، وكانت بدايتها في شهر مارس 2005، والمنطلق كان الجزء الثلاثين من القرآن، الجزء الذي يحوي قصار السور، والسور التي يقرأ بها عموم الناس في صلاتهم، فكان الهمة منعقدة، أن ييسر معاني كلام الله العظيم لعامة الناس؛ وبإتمام الجزء الثلاثين، شمر على ساعد الجد وافتتح درساً للتفسير من سورة البقرة، وقد بلغ اليوم درسه سورة الكهف،

ومعتمده في التفسير، تيسير التفسير لقطب الأئمة أمحمد بن يوسف اطفيش، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، وتفسير سيد قطب في ظلال القرآن، وأحياناً تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور.

وعند بلوغ حلقة التفسير سورة الأعراف، ظهر مشروع "الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز"، وهو من التفاسير المعاصرة، صدر في أربعة أجزاء، قام بتأليفه مجموعة من المشايخ الأجلاء، وقام بمراجعته الشيخ إبراهيم الصوافي، والأستاذ إبراهيم بورورو أحد الفاعلين فيه

ومن المراجعين، يتميز بلغته المعاصرة وسلاسة طرحه؛ وتعرف الحلقة نمطا تعليميًا، وعادة ما تُفتح حلقة نقاش وتفاعل في نهايتها؛ ونأمل أن يبلغ هذا التفسير التمام ويُحقّق الاكتمال.

الخاتمة:

على مرّ التاريخ شكّل التفسير الشفوي منهج إصلاح وأداة لكثير من العلماء، جعلوا منه المنطلق والوسيلة لتوجيه المجتمع وإرشاد. والأمل قائمٌ على التعريف بأعلام التفسير الشفوي الآخرون في المنطقة، ممن لم تشملهم الورقة.

توصيات الورقة:

- 1) أتصوّر مزيدَ استقصاءٍ لجهود التفسير الشفويّ في حاضرة غرداية، وجمعها في موسوعة ميسرة تؤرخ لجهود التفسير في المنطقة، وهي مادّة علميّة خاّمْ للباحثين.
 - 2) العمل على نقل التراث الشفوي إلى المكتوب، وفي ذلك يقول الشيخ الإبراهيمي: "ولو لم يقض الله محمد رشيد رضا لهذا العمل الجليل لضاع كلّهُ" 343/3. وعن تفسير ابن باديس يقول: "من دواعي الأسف أنه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس من يقيدها بالكتابة، ولو وُجد من يفعل ذلك لربحت هذه الأمة ذخرا لا يُقوّم بمال.. ومن قرأ تلك النماذج القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجالس التذكير علم أيّ علم ضاع وأيّ كنز غطى عليه الإهمال" (1).
- والله المستعان، وهو وليّ التوفيق

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن عمر بيوض: تفسير في رحاب القرآن مقدمة، جمعية التراث، ط1.
2. الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ ج1.
3. الأبيّض رضا: جيل النهضة والإصلاح للشيخ محمد سعيد كعباش، في التأريخ المحلي للعلماء ودور التعليم في النهضة؛ المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج10، ع3، س2018.
4. بيثي، محمد عبد الحليم: "الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر

(1) الإبراهيمي، محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ 344/1

- الدهمة نموذجاً". . جريدة البصائر، <https://elbassair.dz>. تاريخ: 2018-10-17.
5. عبد الرحمان بن عمر بكلي البكري: مقدمة تفسير "في رحاب القرآن". المطبعة العربية، ط1، د.ت
6. عبد الرحمان بن عمر بكلي البكري: مقدمة تفسير "في رحاب القرآن"، ص 10. المطبعة العربية، ط1، د.ت
7. عبد الله باهمون: الشيخ إبراهيم بن عمر أداود، أفكار وإنجازات؛ مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، مج11، ع2، 2022.
8. كعباش، محمد سعيد: جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح، جمعية النهضة، 2010.
9. محمد مصطفى: الشيخ محمد سعيد كعباش، النابغة الذي لا نعرف عنه إلا القليل؛ جمعية التراث، <https://www.tourath.org>
10. نصيرة سلسبيل: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسير نفحات الرحمان؛ مجلة المعيار، مج26، ع4، سنة 2022
11. مصطفى باجو: مراسلة مكتوبة،
12. بازين بشير: مقابلة شفوية، تاريخ 2025/11/14
13. بورورو إبراهيم، مقابلة شفوية، تاريخ 2025/11/14

التفسير الشفوي عند علماء توات؛ أعلامه مجالسه

د. عباس بن شيخ

جامعة غرداية

الملخص:

عُرِفَت الجزائر بحواضرها العلمية التي أدت دوراً بارزاً في حفظ هوية المجتمع الجزائري، والتي كان لها الفضل الكبير في نشر العلوم والحفاظ عليها من خلال زواياها ومساجدها ومراكزها التعليمية، ونذكر منها حاضرة تلمسان وحاضرة وبجاية وحاضرة العاصمة وغيرها، ونذكر بالخصوص حاضرة توات أحد أهم القلاع العلمية التي امتد أثرها إلى الجوار الإفريقي واتسع صداها شرقاً وغرباً.

والحديث عن حاضرة توات هو حديث عن منطقة عُرِفَ أهلها بحميم للعلم وبذلهم في سبيله، وأكثر ما عنوا؛ بخدمة كتاب الله تعليمياً وتربوياً وبحثاً في مسائله والعلوم الخادمة له، فكان منهم العلماء الجهابذة، وكانت لهم الزوايا التي شعت علماً وورعاً، ومكتبات المخطوطات التي تشهد لهم بالعناية والبراعة في التفسير، وقد سجلت تراجم العلماء قبل القرن الثاني عشر للهجرة اهتمامهم بهذا الفن، فقد وجدنا في القرن التاسع للهجرة عدداً من تأليف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم في التفسير وعلوم القرآن، نذكر منها على سبيل المثال: "البدر المنير في علم التفسير"، و"تفسير سورة الفاتحة".

وفي ورقتنا البحثية نقصد إلى كشف هذه العناية من خلال الحديث عن التفسير الشفوي عند علماء توات، نذكر أعلامه ومن تصدروا له، كما نذكر مجالسه التي خصصت لتدارسه، ومبرر ذلك أن ما وصلنا من سيرهم؛ أنهم اعتنوا بالتفسير وبرعوا فيه من جهة ومن جهة أخرى لم تصل إلينا مؤلفاتهم في ذلك، ونزيد في ورقتنا البحثية فوق الوقوف عند حدود ذكر الاعلام والمجالس؛ محاولة معرفة الأسباب التي جعلتهم لا يؤلفون في التفسير أو التي جعلت تفاسيرهم لا تصل إلينا في حين وصل صداها.

وعمدتنا في بحثنا الخطوة التالية:

- مقدمة عن التفسير عند علماء الجزائر.
- التعريف بحاضرة توات وأهم مراكزها العلمية.
- عناية علماء توات بالتفسير والعلوم الخادمة له.
- المؤلفات التفسيرية في المقررات التعليمية.
- مجالس التفسير الشفوي لعلماء توات.
- خاتمة وتوصيات

نص المداخلة:

عُرفت الجزائر بحواضرها العلمية التي أدت دوراً بارزاً في حفظ هوية المجتمع الجزائري، والتي كان لها الفضل الكبير في نشر العلوم والحفاظ عليها من خلال زواياها ومساجدها ومراكزها التعليمية، ونذكر منها حاضرة تلمسان وحاضرة بجاية وحاضرة العاصمة وغيرها، ونذكر بالخصوص حاضرة توات أحد أهم القلاع العلمية التي امتد أثرها إلى الجوار الإفريقي واتسع صداها شرقاً وغرباً.

والحديث عن حاضرة توات هو حديث عن منطقة عُرِف أهلها بحبهم للعلم وبذلهم في سبيله، وأكثر ما عنوا؛ بخدمة كتاب الله تعليمياً وتديرياً وبحثاً في مسائله والعلوم الخادمة له، فكان منهم العلماء الجهابذة، وكانت لهم الزوايا التي شعت علماً وورعاً، ومكتبات المخطوطات التي تشهد لهم بالعناية والبراعة في التفسير، وقد سجلت تراجم العلماء قبل القرن الثاني عشر للهجرة اهتمامهم بهذا الفن، فقد وجدنا في القرن التاسع للهجرة عدداً من تأليف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم في التفسير وعلوم القرآن، نذكر منها على سبيل المثال: "البدر المنير في علم التفسير"، و"تفسير سورة الفاتحة".

وفي رواقنا البحثية نقصد إلى كشف هذه العناية من خلال الحديث عن التفسير الشفوي عند علماء توات، نذكر أعلامه ومن تصدروا له، كما نذكر مجالسه التي خصصت لتدريسه، ومبرر ذلك أن ما وصلنا من سيرهم؛ أنهم اعتنوا بالتفسير وبرعوا فيه من جهة ومن جهة أخرى لم تصل إلينا مؤلفاتهم في ذلك، ونزيد في رواقنا البحثية فوق الوقوف عند حدود

ذكر الاعلام والمجالس؛ محاولة معرفة الأسباب التي جعلتهم لا يؤلفون في التفسير أو التي جعلت تفاسيرهم لا تصل إلينا في حين وصل صداها.

وعمدتنا في بحثنا الخطة التالية:

أولاً- مقدمة عن التفسير عند علماء الجزائر.

كان لعلماء الجزائر اهتمام كبير بالتفسير عبر التاريخ، ويظهر ذلك جلياً من خلال والتدريس أولاً، فبع الفتح الإسلامي لأرض المغرب انتشرت المساجد ودور العبادة والمؤسسات التعليمية التي عملت على تلقين تعاليم الإسلام وبسط احكامه وتحفيظ القرآن، كما ظهر ذلك الاهتمام أيضاً من خلال التأليف، فبعد استقرار حركة التعليم ورسوخ كثير من العلماء ظهرت الحاجة الى التوسع في العلوم الإسلامية؛ فظهرت المدارس الفقهية والتفسيرية المختلفة، وغيرها.

لقد عني علماء الجزائر بالتفسير عنايتهم بالقرآن الكريم وعلومه، وتشهد كتب التراجم بالفضل لثلة من العلماء كان لهم قصب السبق في تفسير القرآن تدريساً أو تأليفاً، وتفيد بعض المصادر أن من أقدم المؤلفات في التفسير عبر القطر الجزائري مؤلف في التفسير لعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية⁽¹⁾. وتفسير ليهود بن محكم الهواري⁽²⁾.

ومع ذكر المصادر التاريخية لبواكير الاهتمام بالتفسير والتأليف فيه، إلا أن تعاطيه ظل يسير بخطى ضعيفة تنامت في العصور التي تلت، ورغم المحاولات الجادة التي قام بها عديد العلماء، إلا أن معالم التفسير لم تتضح كثيراً، ولم تتجل في إسهامات علماء الجزائر، لأسباب نذكر منها⁽³⁾:

- تنامي ظاهرة التقليد والجمود الفكري والتبعية للمشرق، فكما امتدت جزور الإسلام

(1) بابا عبي موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، منشورات جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية/الجزائر، ط1، 1420هـ/1999م، ترجمة رقم 544.

(2) رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص685.

(3) عبد الخالق قسباوي: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية من ق10 إلى 12هـ إقليم توات نموذجاً، مجلة مجلة الحضارة الإسلامية، مج16، ع27، ص ص277-291.

إلى أرض المغرب؛ امتدت معه أيضاً أولى المؤلفات وأمهات الكتب التي ألفت في شتى العلوم، فاكتفى الكثير بالوقوف على هذه المؤلفات المشرقية الوافدة موفق الدارس؛ الفاك لبعض رموزها الشارح لغامضها والحافظ لما فيها أحياناً أخرى.

- السير على الطريقة التقليدية في التدريس، حيث تسود في الزوايا، والمساجد طريقة الحفظ و التلقين فالمعلم وحده الذي يدير العملية التعليمية يلقي ويشرح و يحلل ما يحتاج إلى تحليل، و المتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات، فالتلقين ساد في تعاطي كل العلوم ما أدى إلى عدم الالتفات إلى التدوين والاكتفاء بالمشاهدة في المجالس. يقول أبو القاسم سعد الله " ومن الذين تناولوا التفسير تدريساً عبد القادر الراشدي القسنطيني⁽¹⁾، ورغم شهرة الراشدي في وقته فإن حياته ما تزال غامضة لدينا ... والذي يهمننا هنا ليس هو حياته وإنما مساهمته في تفسير القرآن الكريم"⁽²⁾.

وبحكم تأخر دخول الإسلام إلى الأراضي التواتية عنها عن أراضي الشمال الجزائري فإننا نجد علماء حواضر الجزائر العاصمة وبجاية وتلمسان وقسنطينة لهم سبق في مجال التفسير والعناية به.

أما بخصوص عناية علماء توات بالتفسير، فإن الكتب والمخطوطات تشهد لهم بالعناية والبراعة فيه، وقد سجلت تراجم العلماء قبل القرن الثاني عشر للهجرة اهتمامهم بهذا الفن، فقد وجدنا في القرن التاسع للهجرة عدد من تأليف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم في التفسير وعلوم القرآن، نذكر منها على سبيل المثال: "البدر المنير في علم التفسير"، و" تفسير سورة الفاتحة"⁽³⁾.

(1) "ولد بقسنطينة وقرأ على والد وبها تخرج ثم ورد إلى تونس والجزائر ومكث بهما مدة وأخذ عن علمائها، وعاد إلى بلده فدرّس ونفع الطلبة، وكان ممن يميل إلى طريقة السلف، توفي سنة 1194هـ". ينظر: محمد مرتضى الزبيدي: المعجم المختص، تج: نظام محمد صالح يعقوبي و محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2006، ص431.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب، ط1، 1998، ج2، ص14.

(3) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص577.

وُعدُّ من المؤلفات المفقودة للشيخ المغيلي، ويظهر من خلال عنوانه تطرقه إلى مباحث التفسير وأنواعه وما يتعلق بها. ويكفي من المؤلفات عناوينها التي تبين توجه القصد والنية إلى علم التفسير سواء أصولاً أو معاني.

وقد تصدر لتدريس التفسير عدد لا بأس من العلماء بتوات، فالباحث في كتب السير والتراجم يجد أنهم تلقوا علم التفسير والعلوم الدينية الأخرى⁽¹⁾، وتبوأوا مجالس العلم والقضاء، وأنشأوا الزوايا ومدارس العلم. ومما نجده في سيرهم مثلاً: أنه كان عالماً نحويّاً مفسراً، وغيرها من الأوصاف والنعوت التي تنبأنا عن علمهم وإن لم يخلّفوا لنا أثراً تحكي جهودهم.

لقد اعتنت المؤسسات التعليمية بتوات أيما عناية بالعلوم التي يُحتاج إليها في فهم القرآن الكريم، وما ذلك إلّا لعلمهم بالضرورة الملحة والحاجة الأكيدة إلى فهم القرآن لاستخراج أحكامه الفقهية وتعاليمه الدينية التي يُصلح بها المسلم دينه ودينه، وإن كان الدافع الأول لبحث الموضوع في هذه الدراسة هو دحض الاعتقاد السائد - من خلال غزارة وطغيان المؤلفات الفقهية- بأن علماء توات كانوا بعيدين عن الدرس القرآني، والحقيقة أنهم وإن لم يبينوا عن تأليف عديدة وبارزة في علوم القرآن والتفسير إلّا أن المتمعن في تأليفهم الفقهية يدرك أن ما كتبه لا يمكن أن يصدر إلّا عن متمكن من كل العلوم المتعلقة بالقرآن، الكاشفة لمعانيه.

ثانيا- التعريف بحاضرة توات وأهم مراكزها العلمية.

تُعدُّ منطقة توات من أهم الحواضر الصحراوية في الجنوب الغربي الجزائري، حيث تتميز بشواهد حضارية عدّة لها امتدادها في عمق التاريخ؛ وهو ما ساهم في الحفاظ على ربط أواصر النسيج الاجتماعي في شتى المجالات بالمنطقة والمناطق المجاورة لها. وسنحاول التعرّيق بها من خلال إعطاء لمحة عن أصل التسمية والموقع وأهم المراكز العلمية بها.

اما تسميتها فقد اختلفت الروايات حول مفهوم مصطلح "توات" لغة ومعنى، فالرصاع

(1) لا نكاد نجد زاوية من الزوايا بتوات لا تدرس النحو والصرف والبلاغة والقراءات، وكلها علوم آلة لا يستقيم التفسير إلّا بها.

ينسبه الى الأصل الامازيغي وهو اسم لأحد البطون المنحدرة من قبيلة المثلثين سكان الصحراء، حيث يقول: "والمثلثون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الإسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنه طوائف التوارق وملتونة والتوات"⁽¹⁾.

والسعدي يرجعها الى الأصل التكروري؛ وشاهده في ذلك ما وقع لسلطان مالي⁽²⁾ أثناء مروره بالمنطقة قاصدا الحج؛ يقول: "ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات فتخلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم، فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسُي الموضع باسم تلك العلة"⁽³⁾.

اما المؤرخ التمنيطي الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي يرى اصلها اللغوي من الاتوات، حيث يقول: " في سنة 518هـ، حيث غلب المهدي الشيعي سلطان الموحيدين على المغرب بعث قائديه على بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الاتوات فعرف أهل هذا القطر بأهل الاتوات، لأن السلطان قبله منه في المغرب"⁽⁴⁾. والشيخ الشيخ محمد بن عומר بن محمد بن المبرك البداوي الجعفري. 1212هـ في مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات يرى أيضا اصلها اللغوي من المواتاة أي الملائمة⁽⁵⁾.

وهناك من الروايات ما يربوا عن الستة يمكن الرجوع اليها في الأبحاث المتعلقة بالمنطقة مفصلة.

(1) محمد الأنصاري الرصاع: فهرست الرصاع، تونس 1967م، ص 127.

(2) كان ذلك في القرن الثامن للهجرة، وبرغم عدم كونها الرحلة الأولى للملك سنغاي ألا أنها الأشهر؛ لكثرة ما أنفق فيها وللوفد الكبير الذي رافقه أيضاً. ينظر: تاريخ السودان: عبد الرحمن السعدي، ص 07. تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط 1، 2000، ص 141-142.

(3) عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، ص 07.

(4) محمد بن عبد الكريم البكري: دُرّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ص 06.

(5) محمد بن عمر بن محمد بن المبروك البداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة بأدرار، ص 04.

أما عن مراكزها العلمية:

فلقد كان اهتمام علماء توات وشيوخها بالمكتبات تابع من وعيمهم بأنها تشكّل الخزان الفكري الذي يكفل للمتعلّم حسن التحصيل، كما يكفل نقل تراثهم الفكري والثقافي إلى الأجيال اللاحقة، من أجل ذلك اشتدت العناية بالمخطوطات وإنشاء المكتبات، فانتشرت خزائنها على ربوع المنطقة رغم شساعتها، ما بوّأها لأن تكون الخزان الأكبر للمخطوطات بشهادة العلماء والمهتمين. وفي هذا الصدد يقول المؤرخ المرحوم أبو القاسم سعد الله: "وهذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها، وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها"⁽¹⁾.

نجد أيضا الكتاتيب القرآنية والتي بالرغم من بساطة شكله، وقلة إمكانياتها الماديّة، وفقر المعلّمين بها، وقدم أساليب التدريس المتبعة بها. إلّا أنّها أدّت دورها التعليمي المتمثّل في تحفيظ القرآن الكريم عن طريق الاستظهار، وضبط تقنية القراءة والكتابة، وتقديم رصيد معرفي يسمح باكتساب خبرات لمواجهة الحياة العملية، والقضاء على الجهل بتعليم القراءة والكتابة، بالإضافة إلى تقديم المعارف الأولية لممارسة الشعائر الدينية.

كما نجد أيضا الزوايا وهي نوع من أنواع التعليم الديني الذي عرفه المسلمون منذ أمد بعيد، حيث يتلقى فيها الناس من مختلف أعمارهم المعارف والعلوم والآداب، وغالباً ما تكون العلوم التي يتلقاها الدارسون علوماً دينية، لذلك فهي لا تختلف كثيراً عن المدارس، كما أنها لا تختلف كثيراً عن بقية الزوايا في بلاد المغرب بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، من حيث أهميتها وخصائصها ووظائفها ومقوماتها، والمراحل التي مرّت بها مع احتفاظها بالطابع المغاربي. وبالجمله، فهي نوع آخر من المؤسسات التعليمية التي انتشرت في مناطق توات.

ثالثاً- عناية علماء توات بالتفسير والعلوم الخادمة له.

ورغم العناية الكبرى التي أولاها علماء توات لحفظ القرآن حتى كاد لا يقبل وجود طالب علم في الزاوية إلا ويحفظ نصيباً من القرآن؛ إن لم يكن القرآن كله، رغم ذلك امتدت جهودهم إلى علوم القرآن الذي يُعد من مفاتيح القرآن ومداخله التي يفهم بها، إذ المقصود

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص214.

بعلوم القرآن " المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته وقراءته وتفسيره، واعجازه وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك "(1)، وكلها مباحث لا يستغني عنها الفقيه والمفسر والمحدث.

وقد أطلعنا الخزائن التواتية على كم هائل من المؤلفات في علوم التفسير، وفي الفقه، وفي اللغة العربية، ... الخ، والتي كان منطلقها ومدار بحثها القرآن الكريم، وهو ما يعكس العناية البالغة التي أولاها علماء توات لعلوم القرآن، من خلال المحافظة على الرسم القرآني، ومن خلال المحافظة أيضا على سلسلة التواتر التي حفظ الله بها القرآن جيلا عن جيل.

وكان الاعتماد السائد على رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق سببا في عدم الإغراق في الحديث عن الروايات الأخرى، ذلك أن هذا الأمر لا يفهمه العامة، مما قد يخلط عليهم تلقيهم وحفظهم، ولقلة المتصدين به في مجالس القراءة. أما لدى طلبة العلم والمشايخ، فكان لهم اهتمام واضح بهذا الفن، نذكر من أولئك العلماء الشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي ت. 1244هـ الذي أتم دراسته الأولية في مسقط رأسه بملوكة، ولما بلغ مرحلة الارتقاء إلى المستوى الأعلى ارتحل إلى الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في زاويته ليدرس عليه علوماً كثيرة، منها التفسير والقراءات (2).

ولم يغفل علماء توات أهمية القراءات القرآنية، مما جعلهم يولونها بالغة، وهو ما أسلمهم إلى تقريرها كمواد دراسية في المراحل المتقدمة، ذلك أن من يتصدون في العادة إلى أوجه القراءات من لهم اهتمام بالفقه والنوازل لمعرفة الأحكام وجبر التعارض بين النصوص.

لذلك حرص شيوخ الزوايا على تزويد طلبتهم المتفوقين بأنواع العلوم المختلفة، ومنها علم التفسير الذي كانت تخصص له حلقاته الخاصة بشرح بعض كتب التفسير لأهمية العلم بالتفسير وضرورته، قال إياس بن معاوية: " يا سفيان، لا علم أشرف من علم القرآن. وهل تدري مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم؟ مثله مثل قوم جاءهم كتاب من

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 2002، ص21.

(2) حسان حاج أحمد: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل "المقدمة وباب الجامع" للشيخ

محمد عبد العزيز البلبالي ت1621هـ، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2014/2015، ص89.

صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فقد دخلهم بهذا الكتاب روعة، لا يدرون ما فيه، فهم خائفون، فإذا جاءهم الصباح عرفوا ما فيه"⁽¹⁾.

إن تجاوز مرحلة حفظ القرآن وترسيخه لا تكون إلا بمزيد التبحر فيه من خلال الاطلاع على معانية والتفتيش في مبانيه للوقوف على أحكامه ومعرفته ما تشابه منه، ولم يكن التفسير مقدماً عند علماء توات؛ ليس لدنو مرتبته؛ وإنما لجلالة قدره، فهو العلم الذي لا يُقْرئه إلا كبار العلماء⁽²⁾، لضرورة أن يجمع العالم له علوماً عدّة يكمل بعضها بعضاً للتعامل مع القرآن؛ لفهمه وإفهامه.

رابعاً- المؤلفات التفسيرية في المقررات التعليمية.

إن من أبرز الملامح التي يمكن الوقوف عندها؛ أنه وإن لم يعتمد علماء توات مؤلفات تفسيرية لعلماء المنطقة تداولوها بينهم، إلا أن ما اختاروه من تفاسير كانت محور حلقاتهم ودروسهم التفسيرية؛ هي من التفاسير التي لاقت قبولاً وإجماعاً لدى العلماء في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، إضافة إلى كونها مختصرة معتصرة، تجمع بين جنباتها علوم عدّة.

وإن لم تشر لنا كثير من التراجم التفاسير التي كان يعتمدونها من عرفوا بتدريسهم للتفسير، إلا أننا نحاول مقارنة ذلك من خلال التفاسير التي درسوها هم عن مشايخهم، أو التي ذُكر أنهم أجيزوا فيها، وعليه يمكن الإشارة لبعض التفاسير التي تداولها علماء توات واعتمدها في تدريسهم بالمدارس القرآنية كما يأتي:

- "فتح البيان في مقاصد القرآن" لمحمد صديق حسن خان القنوجي ت. 1307هـ: كان يدرسه الشيخ باي بلعالم في مدرسته القرآنية مصعب بن عمير بأولف بمنطقة تيديكلت⁽³⁾.

- "تفسير الجلالين" لجلال الدين المحلي ت. 864هـ وجلال الدين السيوطي 911هـ: ذكره الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في إجازة شيخه سيدي محمد بن علي بن محمد بن

(1) الحكيم الترمذي: الأمثال من الكتاب والسنة: تح: سيد الجميلي، دار ابن زيدون، لبنان، ط2، 1987، ص 45.

(2) عبد الرحمان وعبد العزيز البلبالي: مقدمة غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بخزانة الحاج أحمد بأنزجيمير، أدرار، ص 5.

(3) محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2، ص373.

إبراهيم من بني القاضي الدرعي⁽¹⁾.

- "الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان" للقرطبي ت. 671هـ: درّسه الشيخ عبد الرحمن حفصي في مسجده بعمّات أولف⁽²⁾.

- "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" البيضاوي ت. 685هـ: ذكره الشيخ عبد الرحمن بنعمر التنيلاني في إجازة السيد عبد الرحمن الجنتوري له⁽³⁾.

ويظهر من خلال ما تمّ تدريسه عدم وجود مؤلف لعلماء المنطقة في التفسير تم اعتماده، في حين نجد بعض مؤلفاتهم التي اعتمدت في النحو أو الفقه، وهذا يترجم عدم توجيههم للتأليف في هذا العلم مع إدراكهم لأهميته وفائدته؛ من خلال تقريره ضمن المواد المدرسة.

خامسا- مجالس التفسير الشفوي لعلماء توات.

ويقصد بمجالس التفسير الشفوي تلك الحلقات العلمية التي تعقد لتدارس كتاب الله وتدبر معانيه وآيه وأحكامه عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده". رواه مسلم

وقد حتّ الحديث على استحباب الاجتماع على تلاوة القرآن في حلقة تدارس، وذلك بتدبر معانيه لتحدث به غاية البلاغ والإنذار والتبليغ والهدى والرحمة والبشرى والشفاعة لأصحابه يوم القيامة.

وتختلف هذه المجالس في محتواها باختلاف روادها، فقد تكون للعامة لتقريب المعاني القرآنية إليهم من خلال الوعظ والإرشاد وبيان ما فيه من قصص وعبر ومواعظ، لتحقيق المعاني التربوية وترسيخها في نفوس المتلقين، وقد يكون للخاصة للوقوف على دقائق معانيه

(1) محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، الجزائر، 2004، ص

(2) محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرق النادر، ص 473.

(3) محمد باي بلعالم: المرجع نفسه، ص 34.

وخاصة أحكامه وفنون أساليبه، لتحقيق التدبر الكاشف لأغوار القرآن الكريم.

لقد كان من عناية علماء توات بالتفسير وشتى العلوم الأخرى أنهم كانوا يتلقونها جملة واحدة غير منفصلة عن بعضها، فيبتدئ الطالب بحفظ القرآن وينتهي إلى الإجازات عن المشايخ في القرآن وعلومه والفقه والحديث والعربية والفرائض، هذه العلوم التي كانت تشكل القاعدة المشتركة عند علماء توات⁽¹⁾.

لذلك؛ فلا عجب أن نجد في تراجم علماء توات أنهم تلقوا ودرسوا القرآن وعلومه والتفسير وغيرها من العلوم، وهذا ما يعطينا صورة واضحة على أن مشايخهم الذين أخذوا عنهم كانوا يعقدون مجالس للتفسير إن من المقررات السائدة آنذاك أو من شروحاتهم وتآليفهم.

والناظر إلى هذه مجالس التفسير عند علماء توات، يجدها ثابتة بشقيها في تراجمهم وسيرهم، فقد تلقوا التفسير ودرّسوا التفسير وألفوا فيه، ومعروف عن هؤلاء العلماء المشايخ إشرافهم من ناحية على الزوايا بالتدريس فيها تبعاً للمقررات الدراسية، وإشرافهم من ناحية أخرى على المساجد التي تهيأ لهم لإلقاء الدروس للعامة في مبادئ اللغة والفقه والسيرة والقرآن.

وإن لم تسعفنا المصادر ببواكير تلك الحلقات العلمية في التفسير، إلّا أننا ندرك العلاقة الوطيدة بين القرآن والتفسير، فهما يسيران جنباً إلى جنب، لا يتخلف أحدهما عن الآخر، ولا تتخلف معاني القرآن عن آياتها في مباحث اللغة، أو في مباحث الفقه، أو في السيرة، أو أي علم من العلوم الإسلامية التي كان علماء توات يتداولونها. وقد أسعفتنا بعض المصادر بمجلس التفسير الشفوي الذي كان يعقده الشيخ مولاي سليمان بن علي، مؤسس أول زاوية في الإقليم، والذي يمكن عده باكورة المجالس التفسيرية في توات، ويظهر من المعطيات التي أحاطت بالشيخ أن هذا التفسير كان موجهاً للعامة وللخاصة أيضاً لأسباب عدّة، نذكر منها⁽²⁾:

- أن الزاوية كانت الأولى في الإقليم، وقد قامت على فكرة تأدية كل الأدوار من تعليم

(1) محمد باي بلعالم: الرحلة العية، ج 01، ص ص 292-298.

(2) عبد الخالق قسباوي: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية...، مرجع سابق، ص 281.

وضيافة وإيواء، ولم تتبلور فكرة الزوايا حينها بشكلها الحالي كمؤسسات تعليم عالي متخصص.

- أن الحركة العلمية وقتها لم تبلغ مبلغاً كبيراً فكان على المشايخ والعلماء دور ترقية أفراد المجتمع وتعليمهم، وإشاعة الوعي وحب العلم فيهم.

- أن التفسير كان أول جهد يُتبعه لطلبته بعد حفظ القرآن الكريم لحاجتهم إليه في الفقه خصوصاً والخطابة والعلوم الأخرى.

ومما يمكن ذكره؛ مجلس الشيخ الحاج أحمد من مالك الفلاني، ويستخلص ذلك من خلال الإجازة التي أقرّها ابنه، من أنه قد أجازه في كتب الصحيحين وغيرها من كتب الحديث والفقه والنحو والتفسير، في إجازة ذكر فيها أسانيد كل الكتب التي أجيز فيها⁽¹⁾.

والمجالس العلمية للشيخ عبد الرحمن بن باعمر التنيلاني، والتي كان يعقدها في بيته لطلبة العلم، ضمنها علوماً عدة؛ كالفقه واللغة والتفسير والبلاغة وغيرها، على عادة العلماء الفطاحل في الاستطرداد في شتى العلوم⁽²⁾.

ومن مجالس التفسير في فترة الدراسة حلقة شرح تفسّير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي للإمام عبد الرحيم بن إبراهيم التواتي ت.1160هـ، والتي ذكرها له تلميذه المفسر التنلاني في إجازته، وكذا حلقة الشيخ عبد الرحمن الجنتوري⁽³⁾.

ومجلس الشيخ محمد بن أمحمد الزجلاوي ت.1212هـ؛ مؤلف الفية غريب القرآن، وقد كانت عادة علماء توات الاعتماد على مؤلفاتهم في دروسهم، والإشارة والإحالة عليها في مدارساتهم مع الطلبة.

ومن المجالس التفسيرية أيضاً مجلس الشيخ الجنتوري؛ وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن التنيلاني إجاز الشيخ سيدي محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم من بني القاضي الدرعي له

(1) محمد باي بلعالم؛ الرحلة العلية، ج 1، ص 267.

(2) عبد الرحمن التنلاني: الفهرس الورقة 08 وجه

(3) محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ج 1، ص 34.

في كتب عدة منها تفسير الجلالين.⁽¹⁾

وكذا إجازته من شيخه الإمام الجنتوري في تفسير البيضاوي⁽²⁾. وذكر أيضاً أنه بعد حفظه للقرآن عمد إلى الدر المصون في علم الكتاب المكنون ولخص مباحثه واستفاد منه⁽³⁾. ومن تلك المجالس؛ حلقة للشيخ محمد بن أب، وحلقة الشيخ امحمد بن عبد الله الونقالي، وحلقة الشيخ سيد الحاج محمد البلبالي ت. 1244هـ، وأخرى لابنه الشيخ مجمد عبد العزيز البلبالي ت. 1261هـ، ومثلها للشيخ محمد الحسن بن سعيد البكري، وحلقة محمد العالم بن السيد محمد الجزولي ت. 1305هـ⁽⁴⁾، حيث كانت لهم في تلك المجالس وقفات على التفسير وما يتعلق به.

ومن الذين اعتنوا بالتفسير تدريساً في القرن الرابع عشر للهجرة الشيخ عبد الرحمن حفصيت. 1440هـ إمام ومدرس بمنطقة أولف بتيديكلت، قرأ على يد الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الفقه والحديث واللغة والحديث والتفسير وكُتِبَ أخرى، رافق الشيخ باي بلعالم في مسيرة التدريس بمنطقة أولف، ودرس عنه الموطأ والبخاري وصحيح مسلم، قام على التدريس بمسجد عمات، وكانت له حلقات تدريسية في الفقه من أسهل المسالك، وفي اللغة من ملح الإعراب والألفية والأجرومية، وفي التفسير من تفسير القرطبي⁽⁵⁾.

وذكر الشيخ باي بلعالم في كتاب الرحلة العلية أنه انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي الإدريسي، ومكث فيها سنوات قرأ فيها الفقه والنحو والفرائض والحديث والتفسير، وفي برنامج تدريسه بمدرسة مصعب بن عمير التي أسسها وأشرف على التأطير بها؛ حلقة تدريسية في التفسير من مؤلف محمد حسن خان "فتح البيان" أيام الأسبوع عدا

(1) محمد باي بلعالم: الغصن الداني، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 34.

(3) المرجع نفسه، ص 53.

(4) عبد الرحمن بن باعمر التتلائي: الفهرس، الورقة 20 ظهر، محمد عبد العزيز البلبالي: الغنية نسخة المطارفة، الورقة 02 ظهر، عبد الحميد بكري: النبذة ص 97 و 166 و 170.

(5) ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرقد النائر، ص 473.

الخميس والجمعة، ضمن مجموع دروس في الفقه والحديث والتفسير⁽¹⁾، وقد بين أيضاً الشيخ اعتماده على تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن.

وكان للشيخ محمد بن أحمد المطارفيت. 1215هـ الفقيه المفسر حلقات في التفسير، أخذ عنه ابن أخيه أحمد أبو العباس بن عبد القادر بن أحمد بن أحمد الراشدي؛ إمام وفقه ومفسر⁽²⁾، ويقول عنه صاحب الدرة الفاخرة: "إن العلامة سيدي محمد بن عبد الله بن العلامة الشيخ سيدي عمار بن عبد الرحمن التنلاني كان إماماً عالماً في الفقه والتفسير، وأخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد المطارفي، وأذن له في الإجازة، كان مجتهداً في البحث والنظر والتدريس"⁽³⁾.

ويمكن القول بأن العناية السابقة بالتفسير قبل القرن الثاني عشر مهدت للتفسير أثناء الحركة العلمية بين القرنين الثاني عشر والرابع العشر للهجرة، فجهود الشيخ المغيلي في التفسير، وجهود الشيخ سليمان بن علي وغيرها مما لم يصلنا، كانت بحق لبنات قام عليها الدرس التفسيري عند علماء توات اللاحقين.

سادسا- خاتمة وتوصيات

إن مما يوقع الأسف والحسرة في النفس أن ما أوردناه من مجالس للتفسير الشفوي عند علماء توات لم تجد تلامذة حراسا على تلقف تلك المعاني وتدوينها، وإلا لكانت لدينا ثروة من المخطوطات تجمع على الأقل جزءا من ذلك الإنتاج التفسيري، ومن الأسف أيضا أن أولئك العلماء على جلالة قدرهم وطول باعهم في العلم غفلوا عن تدوين علومهم ولا يلامون في ذلك لانشغالهم بالتدريس أو لقلّة أدوات الكتابة أيضا، غير أن الواجب علينا محاولة استقراء واستنطاق ما هو لدينا من مؤلفات ومخطوطات وجمع ما أمكن مما وقفوا على تفسيره من آيات سواء في كتب الحديث أو الفقه أو العقيدة أو علوم اللغة وغيرها إظهارا لاهتمامهم بعلم

(1) ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ج2، ص378-384. محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر، ص 74.

(2) راجع خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والادباء الجزائريين، ص 43، محفوظ بن مساعد بوكراع، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية، ص 168.

(3) محمد باي بلعالم: الرحلة العلمية، ج2، ص185.

التفسير.

مراجع الدراسة:

1. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب، ط1، 1998.
2. أحمد بابا التنبكتي: نيل الاهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.
3. بابا عمي موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، منشورات جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية/الجزائر، ط1، 1420هـ/1999م.
4. بكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط2، 2007.
5. بلعالم محمد باي: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ.
6. بلعالم محمد باي: الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، 2005م.
7. تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000.
8. حسان حاج أحمد: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل "المقدمة وباب الجامع" للشيخ محمد عبد العزيز البلبالي ت1621هـ، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2014/2015.
9. الحكيم الترمذي: الأمثال من الكتاب والسنة: تح: سيد الجميلي، دار ابن زيدون، لبنان، ط2، 1987.
10. خدوسي رايح وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، 2014.

11. الرصاع محمد بن قاسم: فهرست الرصاع، المكتبة العتيقة، تح: محمد العنابي، د.ت، د.ط.
12. السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، تح: هوداس، مكتبة امريكا والشرق، باريس، 1981.
13. عبد الخالق قصابوي: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية من ق10 إلى 12هـ إقليم توات نموذجاً، مجلة مجلة الحضارة الإسلامية، مج 16، ع27.
14. عبد الرحمان وعبد العزيز البلبالي: مقدمة غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بخزانة الحاج أحمد بأنزجمير، أدرار.
15. محفوظ بن ساعد بوكراع، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية.
16. محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التتلاني، دار هومة، الجزائر، 2004.
17. محمد بن عبد الكريم البكري: دُرّة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار.
18. محمد بن عمر بن محمد بن المبروك البداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة بأدرار.
19. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 2002.
20. محمد مرتضى الزبيدي: المعجم المختص، تح: نظام محمد صالح يعقوبي و محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2006.

التراث التفسيري لعلماء الإباضية في الجزائر دراسة وصفية

د. عمر حكيمي - د. عيسى مصباح

جامعة غرداية

الملخص

أولى الإباضية عناية خاصة بمختلف فنون العلم الشرعي، ومكّنوا المكتبة الإسلامية من رصيد تراثي هام، منذ قرونها الأولى، فكان لعلم التفسير نصيب من هذا النتاج المعرفي الثري. تنطلق هذه الورقة البحثية من تساؤل حول أسباب قلة التفسير عند الإباضية، مقارنة بالمجال العقدي والفقهية وغيرها، بخاصة حين تناولها من مدخل مذهبي. تسعى هذه الورقة إلى الكشف عن أسباب قلة التفسير عند الإباضية من خلال منظور المصادر الإباضية وغير الإباضية، كما تتغيّا وضع بيبليوغرافية تعرّف بمؤلفات التفسير عند إباضية المغرب المفقود منها والموجود، مع الإشارة إلى منهجها التفسيري.

The Ibadiyya have a particular interest in various branches of Islamic knowledge, and have contributed a significant heritage to the Islamic library since their earliest centuries. As a result, the science of interpretation tafsir has been a part of this rich intellectual output.

The paper seeks to uncover the reasons for the scarcity of Ibadi interpretations tafsir from both Ibadi and non-Ibadi sources, and also provides a bibliography of Ibadi interpretation works, both lost and extant, while highlighting their interpretive methodology.

نص المداخلة:

مقدمة

تعدُّ المؤلفات مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية والعلمية في تاريخ حضارة الإسلام، وقد

اهتم الإباضية كغيرهم من المذاهب الإسلامية بالتأليف في مختلف صنوف العلم الشرعي، وأسهموا في إثراء المكتبة الإسلامية. يقول أبو زكرياء -صاحب كتاب السير- واصفا العلوم التي اهتم بها الرستميون: «وكان بيت الرستميين بيت العلوم في فنونه؛ من الأصول، والفقه، والتفسير، وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب والفصاحة، وعلم النجوم»⁽¹⁾.

وتحفظ لنا المصادر الإباضية أسماء عديدة لعلماء نبغوا في علم التفسير، واهتموا به في حلق المساجد والجوامع، وأفردوا وقتا خاصا لدرس التفسير، يقول الشماخي متحدثا عن البرنامج التدريسي لأبي زكرياء يحيى بن زكرياء: «...فإذا صلى الصبح أخذ في قراءة القرآن مع الطلبة إلى أحوال الطلوع، ثم يبتدئ بالتفسير حتى يرتفع النهار ارتفاعا تاما، ثم ينصرف إلى أهله»⁽²⁾.

من خلال النصين السابقين نجد أن علم التفسير لقي اهتماما خاصا، حيث حظي بمرتبة متقدمة في ترتيب العلوم.

إشكالية الدراسة: ما هي إسهامات الإباضية بالجزائر في الدرس التفسيري؟ وما ملامح منهجهم التفسيري؟

خطة البحث: ينقسم البحث إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مؤلفات التفسير عند الإباضية بالجزائر

الفرع الأول: التفاسير المفقودة:

الفرع الثاني: التفاسير الموجودة.

المطلب الثاني: ملامح عن المنهج التفسيري لتفاسير الإباضية بالجزائر

وذيلتها بخاتمة.

المطلب الأول: مؤلفات التفسير عند الإباضية بالجزائر

(1) أبو زكرياء: كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم، ص 65. الدرجيني: طبقات المشايخ، 56/1.

(2) الشماخي: السير، 256/2.

بالعودة إلى المصادر الإباضية نجد أنها ترصد لنا أصنافا من الآثار التفسيرية: بعضها موجود، والآخر في عداد التراث المفقود، مع إشارات عن أعلام عُرِفوا باشتغالهم بالتفسير وإن لم تحفظ لهم كتابات في هذا الشأن.

الفرع الأول: التفاسير المفقودة:

أولا- تفسير عبد الرحمن بن رستم: يأتي في طليعة التفاسير المفقودة تفسير الإمام عبد الرحمن بن رستم المصنف ضمن طبقة تابع التابعين، حيث تثبت المصادر الإباضية أنه كان لعبد الرحمن بن رستم تفسير لكتاب الله تعالى⁽¹⁾، يقول البرادي: «وكتاب عبد الرحمن في تفسير القرآن يذكرونه ولم يُرَ»⁽²⁾. ويرجع الدرجيني سبب ضياعه إلى شدة التنافس بين الوهبية والنُّكَّار وتسابقهم إلى شرائه، واستئثار الذي حازه بإخفائه⁽³⁾، غير أن بعض الباحثين المعاصرين احتملوا تلفه إثر حملة العبيديين على تهمرت وإحراقهم لمكتبة المعصومة⁽⁴⁾.

ثانيا- المفسر أبو المنيب محمد بن يانس النفوسي: يعدُّ من الأعلام المشتغلين بالتفسير في العهد الرستمي، حيث تشير المصادر إلى تمكُّنه في التفسير⁽⁵⁾، فقد انتدبه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن لمناظرة المعتزلة⁽⁶⁾، غير أنها لا تحفظ له تأليفا أو آراء تفسيرية، ولعل ما يَرَجَّح اقتصاره على التفسير الشفوي عدم ذكر آرائه في مصنفات تفسيرية بعد ذلك، وهذا خلافا لما ذهب إليه محمد الشيخ بالحاج من احتمال تلف تفسيره مع ما أحرقت من مكتبة

(1) الدرجيني: طبقات المشايخ، ص 360. الشَّمَاخي: السير، 189/1. عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، ص 114.

محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسِّروه، ص 36. أحمد الخليلي: جواهر التفسير، 35/1.

(2) أبو عمار: الموجز، ملحق كتب الإباضية للبرادي، 287/2.

(3) الدرجيني: طبقات المشايخ، 471/2.

(4) سليمان ابن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص 157. إسماعيل الأغيري: المدخل إلى الفقه الإباضي، ص 126.

(5) الدرجيني: طبقات المشايخ، 58/1.

(6) الشَّمَاخي: السير، 155/1.

المعصومة⁽¹⁾.

ثالثاً- تفسير أبي يعقوب يوسف الوارجلاني: يعتبر أبو يعقوب الوارجلاني أحد أعلام الإباضية في القرن السادس الهجري، حيث ترك مصنفات كثيرة، منها تفسيره الكبير الذي توثّقه المصادر الإباضية في عداد المفقودات⁽²⁾. وإن أشار عدد من الباحثين إلى وجود بعض نسخه في مكتبات أوروبية، ولكن دون معلومات تفصيلية عنها⁽³⁾.

وبالاستناد إلى ما ذكره الشماخي من رؤيته لجزء من هذا التفسير⁽⁴⁾، يترجّح أن ضياعه كان بعد القرن العاشر، ومن هنا فلا سبيل إلى وصف هذا التفسير إلا من خلال ما ذكره البرادي بقوله -معجبا-: «... وله في تفسير القرآن كتاب عجيب، رأيت منه في بلاد أريغ سفراً كبيراً لم أر ولا رأيت قطُ سفراً أضخم منه، ولا أكبر منه، وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة، أو أقلّ أو أكثر، فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، وحزرت أنه فسّر القرآن في ثمانية أسفار...»⁽⁵⁾.

ويسعفنا الشماخي في كتابه السير بالإشارة إلى الأدوات التفسيرية التي اعتمدها الوارجلاني في تفسيره بقوله: «ورأيت له بعض تفسير كتاب الله أودعه أنواع العلم؛ من القراءة واللغة والنحو والتصريف والحجج وغيرها»⁽⁶⁾.

الفرع الثاني: التفاسير الموجودة:

(1) محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسّروه، ص37.

(2) الشماخي: السير، 135/2. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، 1/230، 232. تاديوس ليفيتسكي: المؤرّخون الإباضيون، ص130.

(3) ينظر: علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، 1/231. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، 1/416. سليمان ابن يوسف: مساهمة علماء الإباضية، ص27؛ حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص162. محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسّروه، ص38.

(4) الشماخي: السير، 135/2.

(5) البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص238.

(6) الشماخي: السير، 135/2.

تتوزع تفاسير الإباضية بالجزائر التي تحويها مختلف مكاتبات المخطوطات نوعين من التأليف؛ بعضها تفاسير مستقلة، وبعضها الآخر حواشي على تفاسير أخرى. إضافة إلى كتابات قصيرة تناولت تفسير بعض السور القصار أو رسائل تعتمد إلى تفسير بعض الآيات، وقد حصرت في القائمة الآتية ما كان تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، أو تفسير السور الطوال، وقد أوردتها معتمداً الترتيب الزمني، وهي:

أولاً- تفسير كتاب الله العزيز: يعتبر تفسير كتاب الله العزيز لمؤلفه هود بن محكم الهواري ق 3 هـ أقدم تفسير جزائري وصل إلينا كاملاً، وهو معتمد الإباضية في التفسير⁽¹⁾. وقد أشار محقق الكتاب بالحاج شريفي أن هود بن محكم الهواري اعتمد اعتماداً أساسياً على تفسير ابن سلام، واتخذة أصلاً لتفسيره⁽²⁾.

ثانياً- حاشية تفسر ذي الجلالين: يعتبر أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي ت: 1187 هـ أحد أبرز علماء الإباضية الجزائريين خلال القرن الثاني عشر الهجري، وقد اشتهر بمصنفاته الكثيرة في العقيدة والفقه، وتميَّز في التصنيف في الشروح والحواشي، كمسلك أصيل في التأليف، حيث تطلق عليه المصادر الإباضية لقب المحشي الثاني⁽³⁾ بعد أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستّة الجربي.

تقع حاشية تفسير ذي الجلالين في ما يقارب السبعمائة ورقة، وهي حاشية كاملة على تفسير الجلالين، اشتغلنا بتحقيق المقدمة وسورة البقرة ضمن متطلبات درجة الدكتوراه، والعمل جارٍ على إتمام تحقيق باقي الحاشية. يقول عليّ يحي معمر نقلاً عن ملحق لسير الشماخي لأبي اليقظان متحدّثاً عن مؤلفات المصعبي: «وله تأليف كثيرة جزيلة النفع، عظيمة

(1) صالح باجيّه: الإباضية بالجريد، ص 55. إبراهيم بخّاز: الدولة الرستمية، ص 361.

(2) هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مقدّمة المحقق، 24/1.

(3) ابن تغريب: رسالة في تاريخ جربة، ص 105. سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة، ص 145. بابا عي وآخرون:

معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، 492/2.

الفائدة، منها: حاشية ضخمة في جزئين على تفسير الجلالين⁽¹⁾.

من خلال عبارة علي يحي معمر نخلص إلى أن الحاشية من التفاسير المتوسعة، سلك فيها المصعبي منهج المقارنة، وفق المقارنة التحليلية، التي تعتمد المقارنة بين أقوال المفسرين، ومناقشتها، ثم الترجيح بينها.

ثالثا- اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة: ألفه محمد بن سليمان ابن ادريسوت: 1313هـ، أحد علماء بني يزجن بمزاب خلال القرن الرابع عشر الهجري، حيث عُرف الشيخ بقدرته على التأليف نظما ونثرا⁽²⁾، من ذلك تفسيره «اليمن والبركة»، وهو تفسير مخطوط غير كامل، بلغ به سورة آل عمران، وكان مرتكزه في بيان معاني الآيات اللغة والإعراب وقواعد النحو، والاستشهاد بالشعر⁽³⁾.

- تفاسير قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش:

رابعا- هميان الزاد إلى دار المعاد: أولى تفاسير القطب اطفيش، وقد طبع عدة طبعات⁽⁴⁾، فقد كان هذا التفسير كأثر لشعور الشيخ بحاجة مذهبه إلى تفسير يعكس وجهة نظر المذهب الإباضي في فهم نصوص الشارع ﷺ، كغيره من المدارس الإسلامية⁽⁵⁾.

المتأمل في هذا التفسير لا يوجد للقطب نسقا واحدا، فتارة يقدّم المأثور، وأحيانا أخرى أسباب النزول⁽⁶⁾، كما يبرز فيه منحنى التوسّع في المباحث اللغوية والصرفية، ومحاولة تخرّيج

(1) إبراهيم أبو اليقظان: ملحق لسير الشماخي، 52/1. علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في تونس، ص 199.

(2) بابا عبي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، 379/2، رقم الترجمة: 821.

(3) مصطفى أمعيز الحاج أحمد: محمد بن سليمان ابن ادريسو ومنهجه في تفسير القرآن، ص 51-53.

(4) محمد بن يوسف اطفيش: هميان الزاد إلى دار المعاد، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1401هـ/1980م، مقدّمة الناشر، 3/1.

(5) يحي بوتردين: الشيخ اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص 186.

(6) محمد مصطفى الخوجا: منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، ص 70.

الآية على كل وجوها الإعرابية، مع استطراد واضح في مسائل الفقه.

ولعل ادراك القطب لمنحى التوسع الذي سلكه في تفسيره، وتركيزه على الجمع أكثر من التمحيص، جعلته يشعر بالحاجة إلى وضع تأليف تفسيرية أخرى، يخلصها مما شاب «الهميان». يقول أحمد الخليلي: "وقد تنبّه لذلك بنفسه، وأسِف بعد فوات الفرصة، بسبب انتشار الكتاب، فاستدرك ذلك بتأليف تفسيرين آخرين خالصين مما يشوب الهميان أحدهما "داعي العمل ليوم الأمل" وثانيهما "تيسير التفسير"⁽¹⁾،

خامسا- داعي العمل ليوم الأمل: واصل القطب اطفيش جهوده التفسيرية بتأليف تفسير ثان سماه: «داعي العمل ليوم الأمل» والموجود منه في مكتبات المخطوطات تفسير الأحزاب الأخيرة من القرآن الكريم بدءًا من سورة الرحمن⁽²⁾. بما يطرح تساؤلا حول بقية التفسير، ولماذا بدأ القطب بالمفصل؟ فذهب محمد علي دبوز إلى أن القطب كان عازما على إتمام التفسير، غير أن الأجل داركه قبل تمامه، وذهب إبراهيم طلاي واستنادا إلى قرائن من داخل التفسير ترجّح أنه فسّر بعض القرآن، ثم انتقل إلى تأليف آخر مستقل⁽³⁾.

تطالعنا بشائر أخبار فهرسة مكتبات بعمان عن وجود نسخة كاملة لداعي العمل ليوم الأمل، بمكتبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، والتي هي آثار مكتبة الشيخ أبي إسحاق اطفيش نزيل القاهرة، ولعل الأيام تتيح الوقوف على هذا السفر القيّم، والكشف عن منهجه، غير أن ما بين أيدي الباحثين من أجزاء قليلة مكّتهم من تصور ملامح عن منهج القطب في هذا التفسير وهو أنه قد صبغه بصبغة التطويل والتوسع في المباحث النحوية واللغوية خاصة⁽⁴⁾، بما يجعله لا يبعد كثيرا عن منهجه في تفسيره الأول «هميان الزاد».

سادسا- تيسير التفسير: أشار القطب في مقدمة تفسيره الثالث «تيسير التفسير» إلى

(1) أحمد بن حمد الخليلي: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، ط1، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، 1404هـ/1984م، 37/1.

(2) محمد السيد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 233/2.

(3). ينظر: دبوز: نهضة الجزائر، 315/1؛ اطفيش: تيسير التفسير، مقدّمة المحقق، 1/غ.

(4) يحي بوتردين: الشيخ اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص191-193.

الباعث على تأليفه فقال: «فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بـ "هميان الزاد إلى دار المعاد" الذي ألفته في صغر السنّ، وتكاسلوا عن تفسيري "داعي العمل ليوم الأمل"، أنشطت همّتي إلى تفسير يُغتبط ولا يُمل»⁽¹⁾.

يكشف النص السابق أن القطب أنشط همّته لتأليف مستقل عن تفسيره السابقين، لا ما ذهب إليه محمد حسين الذهبي حين اعتبر «التيسير» اختصاراً لهمايان الزاد⁽²⁾. يقول القطب مبشراً بقرب تمام التيسير: "ولاسيما التيسير الذي قرب -إن شاء الله الرحمن الرحيم- كماله، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه؛ لأنه غير طويل، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطوّلات والحمد لله"⁽³⁾.

انتشر تفسر التيسير في المكتبات، وحظي باهتمام الدارسين والباحثين، وأقبل عليه الطلبة يتدارسونه في الحلقات المسجدية؛ وهذا لما أودع فيه القطب من آراء المفسرين، من أغلب المدارس الإسلامية، مع بيان وجهة نظر الإباضية⁽⁴⁾. يقول أبو إسحاق اطفيش: "ومن وقف على تفسيره تيسير التفسير شاهد تبخّره في علوم القرآن وغزارة مادته ومقدرته على إظهار حقائق التفسير"⁽⁵⁾.

تتابعت على التيسير جهود علمية، منها «مختصر تيسير التفسير» الذي اختصر فيه إبراهيم طلاي الربع الأخير من القرآن، مقتصرًا على ما يخدم الآية القرآنية ويعين على فهمها دون الإغراق في المباحث اللغوية والنحوية، تسهلاً لفهمه، وتشجيعاً للطلبة على مطالعته⁽⁶⁾.

سابعاً- «في رحاب القرآن»: يعتبر إبراهيم بن عمر بيوض ت: 1401هـ مؤلف هذا التفسير أحد أعلام إباضية المغرب في العصر الحديث، فهو العالم المفسّر، والوطني المقاوم

(1) اطفيش: تيسير التفسير، 1/1.

(2) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 236/2.

(3) اطفيش: كشف الكرب، 96/1.

(4) محمد عكي علواني: اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، ص 282.

(5) اطفيش: الذهب الخالص، مقدمة أبو اسحاق، ص:هـ.

(6) إبراهيم بن محمد طلاي: مختصر كتاب تيسير التفسير، 1/أ.

للاستعمار، والزعيم المصلح، اتخذ من القرآن منطلقا لإصلاح الأمة، وتربية الأبناء، والسعي لتحقيق نهضة اجتماعية بالقرآن؛ ليكون القرآن المحور في مختلف مجالات الحياة⁽¹⁾.

كان الشيخ بيوض يقدّم درسه التفسيري في المسجد مشافهة، حيث يحضره عموم الناس، فلم يكن قاصرا على طلبة العلم، يقول الشيخ بيوض: "اخترت المسجد ليكون معهدا لتفسير كتاب الله؛ لأنه يحضره الناس كلهم رجالا ونساءً شيبا وشبابا وكهولا"⁽²⁾. غير أن قرابة نصف القرآن لم يتم حفظه، حيث شُرِع في التسجيل بدءً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، وهذا بعد دخول الكهرباء في بلدة القرارة سنة 1957م⁽³⁾. وقد تكرّم الأستاذ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج في تنزيل المسجّل إلى المكتوب، وتحريره وتصحيحه، ثم طباعته في ست وعشرين جزءاً.

وتطالعنا الأيام ببشارة مدوّنات حفظت جزءا من تفسير الشيخ بيوض قبل زمن التسجيل الصوتي، كتبها الشيخ حمو بن عمر فخار فخار ت: 1424هـ أثناء تتلمذه بالقرارة في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، تضمّنت تفسير أجزاء من الربع الأول وبعض سور المفصل، وقد تولى مراجعة هذا النتاج الثمين وإخراجه الدكتور مصطفى بن صالح باجو، وسَمّه بـ «في رحاب القرآن الشطر المفقود»⁽⁴⁾.

ثامناً- «نفحات الرحمان» للشيخ محمد سعيد كعباش: يعدّ الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد، المعروف بكعباش من علماء الإباضية المعاصرين بوادي مزاب، وأحد القامات العلمية السامقة التي كان لها فضل في المساهمة في مقاومة الاستعمار، والمشاركة بحماس في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني فكريا وتربويا واجتماعيا.

بدأت رحلة الشيخ كعباش مع درس التفسير من خلال تفسير بعض السور التي تُتلى في

(1) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، دط، 397/22؛ مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم، كلمة الشيخ إبراهيم بيوض، ص 23.

(2) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، مقدمة محمد ناصر، 34/1.

(3) دبور: نهضة الجزائر، 77/3.

(4) ينظر: إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن الشطر المفقود، 17/1، 18، 21.

المناسبات كسورة يس وسورة الأنعام⁽¹⁾، فكان درس الرجال في المسجد، ودرس النساء في دور خاصة بهن؛ مركزا عنايته برئات البيوت؛ لما عاينه فمهن من الجهل المطبق بأبسط الواجبات الدينية⁽²⁾.

استثمارا لتجربته الأولى المباركة، شرع الشيخ كعباش في السير في درس التفسير، على ترتيب سور المصحف الشريف بدء بسورة الفاتحة فالسور الطوال، وهذا منذ 1969م⁽³⁾.

اعتنى الشيخ كعباش بحفظ دروسه في التفسير والحديث في أشرطة سمعية مرتبة ومرقمة في مكتبة المسجد، غير أن المناخ الحار أثر على بعضها فكاد ينطمس الصوت منه⁽⁴⁾، الأمر الطي حفّز الشيخ على تأليف التفسير وعدم الاقتصار على الأشرطة المسجلة⁽⁵⁾.

عرّض الشيخ كعباش على الشيخ عدون شريقي رحمه الله المشروع التأليفي للحلقة الغائبة من تفسير الشيخ بيوض⁽⁶⁾، فاستبشر الشيخ عدون للخبر ودعا الله تعالى للشيخ كعباش بطول العمر؛ حتى يُكمل تفسير القرآن بأكمله⁽⁷⁾. وقد حقّق الله رجاء الشيخ عدون ودعائه المبارك فأتمّ الشيخ كعباش تفسير القرآن الكريم كاملا في فيفيري 2015م، يرافقه مشروع تأليف التفسير تباعا.

(1) محمد سعيد كعباش: شرح الصدور لتفسير سورة النور، دط، جمعية النهضة، غرداية -الجزائر، 1428هـ/2007م، ص7.

(2) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمان في رياض القرآن، دط، جمعية النهضة، غرداية- الجزائر، 1424-1436هـ/2003-2015م، 1/خ.

(3) كعباش: نفحات الرحمان، 1/د.

(4) كعباش: رحلة العمر، ط1، مكتبة التوفيق، العطف-غرداية- الجزائر، 1436هـ/2015م، ص120؛ نفحات الرحمان، 1/د.

(5) كعباش: نفحات الرحمان، 1/د.

(6) شرّع في تسجيل تفسير الشيخ بيوض بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، وذلك بعد دخول الكهرياء إلى القرارة في: 28 فيفيري 1957م. ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1389هـ/1969، 77/3.

(7) كعباش: رحلة العمر، ص280.

المطلب الثاني: ملامح عن المنهج التفسيري لتفاسير إباضية المغرب

تنوّعت مناهج التفسير في كتب الإباضية تبعا لتطور حركة التأليف في علم التفسير، فقد كان «تفسير كتاب الله العزيز» لهود بن محكم الهواري مهتما بالرواية، مقتصرًا في غالبه على المأثور، غير متوسّع في اللغة⁽¹⁾، متبعا منهج أهل النقل، يقول الشماخي في معرض وصف منهج الشيخ هود: «هود بن محكم الهواري عالم متفَيّن غائص، وهو صاحب "التفسير"، وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله، لم يتعرّض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين»⁽²⁾.

وإذا أتينا إلى حاشية المصعبي على الجلالين، فإننا نجد أن سمتها التوسع من خلال توظيف المباحث اللغوية والصرفية والبلاغية، والإفادة من آراء المفسرين، وهذا يتناسب وطور التفرع في التأليف في علم التفسير، حيث كثرت الحواشي والشروح، وإن تجاوز المصعبي في هذا دائرة المذهب، فحشّى على مؤلف غير إباضي، بما يخدم توضيح شقة الخلاف بين طوائف المسلمين، ويعزّز وحدة الكلمة، على مبدأ المعرفة والتعارف والاعتراف.

وأما عن تفسير «اليمن والبركة» فلم يخرج عن دائرة التفسير بالرأي، الذي تعزّزه الآثار، ولعل تفاسير القطب إجمالا كانت وفية للمنهج الأثري، مع توسّع ظاهر في اللغة والنحو والاستشهاد بالشعر، وهي سمة بارزة في تفاسير مرحلة التفرع كما ذكرنا قبل.

أما تفسير «في رحاب القرآن» لإبراهيم بيوض، وتفسير نفحات الرحمن لتلميذه الشيخ كعباش فقد جاء متجاوبا مع سمات مرحلة التجديد في التفسير التي وضع معالمها الشيخ محمد عبده، حيث نحى الشيخ بيوض وتبعه الشيخ كعباش بعد ذلك المنحى الإصلاحي الهدائي، وهو ما اصطاح عليه الذهبي باللون الأدبي الاجتماعي في التفسير.

نهج الشيخ بيوض في تفسيره مسلك الشيخ عبد الحميد بن باديس في درسه التفسيري، متّخذا من القرآن معلّم إصلاح للأمة، وترشيد لها. يقول الشيخ بيوض: "وغرضنا من تفسير كلام الله تعالى إنّما هو الاتّعاظ والاعتبار، وإلا فالتفسير له وجوه كثيرة من حيث البلاغة

(1) علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، 1/138.

(2) الشماخي: السير، 2/77.

والنحو والصرف والتأريخ، ولكنَّ الأصل هو تدبُّر كلام الله تعالى بالكيفية التي تؤثر على القلب القاسي حتى يلين، وعلى القلب المنحرف حتى يستقيم، وعلى القلب الموبوء حتى يعالج، وعلى القلب المريض حتى يصحَّ⁽¹⁾.

بناء على ما سبق: يمكن تصنيف غالب تفاسير الإباضية ضمن التفسير بالرأي المحمود⁽²⁾، الذي يقوم على جواز الاجتهاد وإعمال العقل المستنير بنصوص الوحي، وأدواتهم في ذلك تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وتفسير القرآن باللغة وقوة الفهم، مع عناية بالقراءات وأسباب النزول، والمكي والمدني.

وبالجملة فإن الإباضية يصدر عن تفاسيرهم عن أصول وقواعد وظفوها في فهم النص القرآني، وقد تضمَّنت تفاسيرهم تلك الأصول التي استندوا إليها، وهو ردُّ على مقالة الذهبي حين اعتبر الإباضية كباقي الخوارج، عرفوا بسطحية النظر في الآيات، وسخافة في فهم نصوصه⁽³⁾.

ولا شك أن الاهتمام بالدرس التفسيري تدريسا وتأليفا هو سمة بارزة عند الإباضية، فلا تزال المساجد تشهد جنباتها دروسا تفسيرية أسبوعية، كتفسير الشيخ كعباش حفظه الله ببلدة العطف الموسوم بـ «نفحات الرحمن» الذي أتمَّه منذ عشر سنوات، وبذل له من العمر ما يزيد عن أربعة عقود، وتفسير الشيخ محمد بن أيوب صدقي ببني يزقن، وصنيع الدكتور مصطفى باجو في حلقاته التفسيرية الأسبوعية ببلدة غرداية، وقد بلغ سورة الأنعام، وجهود تفسيرية أخرى تذكر فتشكر.

الخاتمة.

في ختام هذه الورقة البحثية نسجِّل النتائج الآتية:

(1) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، 361/21.

(2) الزرقاني: مناهل العرفان، 34/2.

(3) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، 229/2.

1. كشفت المصادر عن جهود علماء الإباضية في خدمة علم التفسير تدريسا وتأليفا، وإن برزت العناية أكثر بهذا العلم بعد القرن الحادي عشر الهجري، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين تفاسير مستقلة وأخرى كحواش على تفاسير سابقة.

2. يمكن تصنيف تفاسير الإباضية ضمن التفسير بالرأي المحمود، حيث الجمع بين المنقول والمعقول، وتوظيف اللغة وقوة الفهم مع الاستنارة بالآثار الصحيحة كأدوات لتوسيع معاني النص القرآني.

3. تبقى الآمال معقودة على الباحثين لإخراج التفاسير التي لا تزال حبيسة الخزائن، وإخراجها إخراجا علميا، خدمة للقرآن الكريم، وتحقيقا لهداية الناس.

ختامًا: الشكر موصول بالتقدير والامتنان لقسم العلوم الإنسانية، وكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة عباس لغرور، بخشلة على إتاحة مثل هذه المناسبات العلمية، لتعميق الرؤى، ورسم معالم رشيدة تعزّز مرجعيتنا الإسلامية والوطنية.

كلّ الله مساعيكم بالنجاح، وأوفاكم أجرًا.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تعاريت، سعيد بن الحاج عليت: 1355هـ: رسالة في تاريخ جربة، مخ، 120 ص، دنا، دت، جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش، غرداية - الجزائر، رقم: 110، نسخة مصورة.
- ابن يوسف، سليمان بن داود ت: 1412هـ:

2. حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، دط، مطبعة أبو داود، الحراش - الجزائر، 1993م.

3. مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان، دط، مطبعة أبو داود، دم، 1992م.

4. أبو اليقظان، إبراهيم بن عيسى ت: 1393هـ: ملحق لسير الشماخي، مخ، مكتبة الشيخ عمي سعيد، غرداية، نسخة مصورة.

5. أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر ت: 474هـ: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
6. أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب ت: قبل 570هـ: الموجز «آراء الخوارج الكلامية»، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م.
- اطفيش، امحمد بن يوسف ت: 1332هـ:
8. الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، ط2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ/1980م.
9. تيسير التفسير، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1424هـ/2003م.
10. كشف الكرب، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1405هـ/1985م.
11. هميان الزاد إلى دار المعاد، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1401هـ/1980م.
12. الأغبري، إسماعيل بن صالح بن حمدان معاصر: المدخل إلى الفقه الإباضي، ط1، مكتبة الضامري، السيب - سلطنة عمان، 1434هـ/2013م.
13. أمعيز الحاج أحمد، مصطفى بن محمد: محمد بن سليمان ابن ادريس و منهجه في تفسير القرآن، قسم التخصص، معهد الحياة، القرارة-غرداية-الجزائر، السنة الجامعية: 1421هـ/2000م.
14. باباعبي، محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1421هـ/2000م.
15. باجيّه، صالح: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط1، دار بوسلامة، تونس، 1396هـ/1976م.

16. بحاز، إبراهيم بن بكير معاصر: الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط3، منشورات ألفا، الصنوبر البحري - الجزائر، 1431هـ/2010م.
17. البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة، ط1، دار الحكمة، لندن، 2014م.
18. بوتردين، يحيى بن صالح معاصر: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن بالمقارنة إلى تفسير أهل السنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر، 1410هـ/1989م.
- بيوض، إبراهيم بن عمر ت: 1401هـ:
19. في رحاب القرآن الشطر المفقود من تفسير أجزاء من الربع الأول، تحرير: حمو بن عمر فخار، تح: مصطفى بن صالح باجو، ط1، مؤسسة المنار، الحمير، الجزائر، 1440هـ/2018م.
20. في رحاب القرآن، دط، جمعية التراث، القارة، الجزائر، 1419هـ/1998م- 1436هـ/2015م.
21. مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم، دط، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1989م.
22. تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار وريما جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2000م.
25. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد ت: 1431هـ: تاريخ الجزائر العام، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1384هـ/1965م.
26. الخليلي، أحمد بن حمد معاصر: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، ط1، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، 1404هـ/1984م.

27. الخواجا، محمد مصطفى درويش: منهج الشيخ امحمد اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.
28. دبوز، محمد علي ت: 1402هـ: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التعاونية، دم، 1385هـ/1965م.
29. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد ت: 670هـ: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، دط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دت.
30. الذهبي، محمد حسين ت: 1397هـ: التفسير والمفسرون، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت.
34. الزرقاني، محمد عبد العظيم ت: 1367هـ: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، دت.
35. سالم بن يعقوب ت: 1408هـ: تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية، إعداد: فرحات بن علي الجعيري، ط2، مجموعة سراس، تونس، 2006م.
36. الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد ت: 928هـ: السير، دط، المطبعة البارونية، القاهرة - مصر، 1301هـ.
37. الشيخ بالحاج، محمد بن بابا ت: 1443هـ: القرآن تفسيره ومفسروه السنة روايتها ورواتها، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1984م.
38. طلاي، إبراهيم بن محمد ت: 1443هـ: مختصر كتاب تيسير التفسير، دط، دن، دم، دت.
39. عكي علواني، محمد: محمد بن يوسف اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، 1411هـ/1990-1991م.
- كعباش، محمد بن إبراهيم سعيد:
40. رحلة العمر، ط1، مكتبة التوفيق، العطف-غرداية-الجزائر، 1436هـ/2015م.

41. شرح الصدور لتفسير سورة النور، دط، جمعية النهضة، غرداية -الجزائر، 1428هـ/2007م.

42. نفحات الرحمان في رياض القرآن، دط، جمعية النهضة، غرداية -الجزائر، 1424-1436هـ/2003-2015م.

- معمر، علي يحيى ت: 1400هـ:

43. الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في تونس، ط1، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1385هـ/1966م.

44. الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، 1384هـ/1964م.

45. الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة: الإباضية في الجزائر، دط، المطبعة العربية، غرداية - الجزائر، 1985م.

46. النامي، عمرو خليفة غُيَّب: 1406هـ: دراسات عن الإباضية، ترجمة: ميخائيل خوري، مراجعة: د. ماهر جرار، دقق وراجع أصوله وعلق عليه: محمد صالح ناصر ومصطفى صالح باجو، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2001م.

47. هود بن محكم الهواري ق 3 هـ: تفسير كتاب الله العزيز، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1990م.

جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي من خلال دروس التفسير الشفوي

-الشيخان بكير أرشوم وابنه محمد أرشوم نموذجا-

د. إبراهيم بكلي - د. حسن الدبوز

جامعة غرداية

الملخص:

اهتم البحث بتسليط الضوء على جهود رواد الإصلاح في الجزائر من أجل تحقيق الإصلاح الاجتماعي انطلاقا من دروس التفسير، وفي مقدمتهم العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ت: 1358هـ/ 1940م والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ت: 1385هـ/ 1965م، والشيخ العربي التبسي ت: 1376هـ/ 1957م، والشيخ إبراهيم بيوض ت: 1401هـ/ 1981م، ثم عرّف بالشيخين: الشيخ بكير أرشوم ت: 1417هـ/ 1997م وابنه الشيخ محمد أرشوم ت: 1432هـ/ 2011م وأثارهما العلمية، وإنتاجهما في دروس التفسير المسجدية وأثارها في الحركة الإصلاحية في بريان بولاية غرداية.

ليخلص البحث في النهاية إلى أهمية دروس التفسير ودورها المحوري في عملية الإصلاح الاجتماعي، ومعالجة النوازل والمستجدات، والظواهر الاجتماعية الغريبة عن تعاليم الإسلام ومبادئه من خلال تركية الناس وربطهم بكلام رب العالمين في كل حين؛ ففيه الهدى والنور المبين.

الكلمات المفتاحية: التفسير الشفوي، الإصلاح، ابن باديس، الإبراهيمي، بيوض، التبسي، بكير أرشوم، محمد أرشوم.

الملخص بالانجليزية:

The efforts of Algerian scholars in social reform through oral interpretation lessons - Sheikhs Bakir Arshoum and his son Muhammad Arshoum as an example-

Abstract: This research focuses on the efforts of reform pioneers in Algeria to achieve social reform through their lessons on Quranic exegesis. Foremost among these figures are Sheikh Abdelhamid Ibn Badis d. 1358 AH/1940 CE, Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi d. 1385 AH/1965 CE, Sheikh Larbi Tebessi d. 1376 AH/1957 CE, and Sheikh Ibrahim Bayoud d. 1401 AH/1981 CE. The research then introduces Sheikh Bakir Arshoum d. 1417 AH/1997 CE and his son, Sheikh Muhammad Arshoum d. 1432 AH/2011 CE, examining their scholarly contributions and their work in mosque-based Quranic exegesis lessons, as well as the impact of these lessons on the reform movement in Berriane, Ghardaia Province.

The research ultimately concludes by highlighting the importance of Quranic exegesis lessons and their pivotal role in social reform, addressing contemporary issues and emerging social phenomena that contradict Islamic teachings and principles. This is achieved by purifying people and connecting them to the words of God Almighty at all times, for therein lies guidance and clear light.

Keywords: Oral exegesis, reform, Ibn Badis, Al-Ibrahimi, Bayoud, Al-Tabsi, Bakir Arshoum, Muhammad Arshoum

مقدمة

إن الله أكرم البشرية بكتابه العظيم القرآن الكريم الذي أنزله على رسوله الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بواسطة أمين الوحي جبريل؛ ولذلك فإن علماء الأمة الإسلامية بذلوا جهودا عظيمة وأفنوا أعمارهم في الحفاظ على كتاب الله وخدمته وتفسيره وتبيينه

ونشره...

وفي إطار الملتقى الوطني الذي نظمته قسم العلوم الإسلامية التابع لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية لجامعة غرداية، تحت عنوان: "إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية: التفسير والمفسرون" تأتي هذه الورقة البحثية المعنونة بـ "جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي من خلال دروس التفسير الشفوي - الشيخان بكير أرشوم وابنه محمد أرشوم نموذجا -" لتحقيق الأهداف الآتية:

- محاولة الكشف عن أهم التفاسير الشفوية التي قام بها رواد علماء الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع ذكر ما آلت إليه تلك التفاسير.
- التعريف بعلمّين من أعلام التفسير في الجزائر من دائرة بريان بولاية غرداية، وهما: الشيخ بكير بن محمد أرشوم، وابنه الشيخ محمد بن بكير أرشوم.
- محاولة رصد تفسيرهما الشفوي واستقراء السور التي قاما بتفسيرها.
- الاستفادة من تجربة تحويل التفسير الشفوي للشيخ محمد أرشوم إلى تفسير مكتوب من خلال عرضها وإيراد مراحلها، وضوابط تحويل التفسير الشفوي إلى تفسير مكتوب.
- ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تم اعتماد المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي لرصد التفسير الشفوي الموجود، والمنهج التحليلي للوقوف على أبرز ملامح الإصلاح الاجتماعي في هذه التفاسير.

كما تم اعتماد الخطة الآتية:

المبحث الأول: مساهمة تفاسير علماء الإصلاح الشفهية في الإصلاح الاجتماعي بالجزائر
ابن باديس، الإبراهيمي، بيوض، التبسي أنموذجا

المطلب الأول: الإطار المنهجي والمرجعي الفكري للتفاسير الشفهية الإصلاحية

المطلب الثاني: أبرز المفسرين الجزائريين للقرآن تفسيرا شفويا

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ بكير بن محمد أرشوم وابنه الشيخ محمد

المطلب الأول: ترجمة الشيخ بكير أرشوم

المطلب الثاني: ترجمة الشيخ محمد أرشوم

المبحث الثالث: دروس التفسير الشفوي للشيخ بكير بن محمد أرشوم وابنه الشيخ

محمد

المطلب الأول: دروس الشيخ بكير بن محمد أرشوم في التفسير الشفوي

المطلب الثاني: دروس الشيخ محمد بن بكير أرشوم في التفسير الشفوي

خاتمة تم إيراد فيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن ينفع بهذه المداخلة ويجعلها مفيدة للباحثين وإسهاما في إبراز تراث المفسرين الجزائريين.

المبحث الأول: مساهمة تفاسير علماء الإصلاح الشفهية في الإصلاح الاجتماعي

بالجزائر ابن باديس، الإبراهيمي، بيوض، التبسي أنموذجا

شكلت الحركة الإصلاحية في الجزائر الممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ركيزة أساسية في النهضة الفكرية والاجتماعية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وقد هدف مشروعها الإصلاحي إلى إعادة بناء الشخصية الجزائرية وهيكلة المجتمع على أسس إسلامية أصيلة، وقد اتخذ هذا الإصلاح مسارات متعددة، كان من أبرزها تفسير القرآن الكريم تفسيرا عمليا واجتماعيا، لا سيما عبر الدروس التي شكلت "تفسيرا شفويا" مباشرا، اتسم بالواقعية والتوجيه الميداني.

وتكشف لنا التفاسير الشفوية لعلماء الإصلاح في الجزائر عن رؤية متكاملة للإصلاح، جعلت من القرآن منطلقاً ومنهجاً لتغيير الواقع. لقد نجح هؤلاء الأعلام - كل من موقعه - في تحويل التفسير من علم نظري إلى مشروع عملي حي، وتحويل القرآن من نص يتلى فحسب إلى نصوص تحيي القلوب وتدفع النفس إلى العمل وتستنهض همم الأمة، ويصحح عقيدتها وأخلاقها، ويبني كيانها الاجتماعي. وكانت خطبهم ودروسهم هي الوسيلة الأكثر تأثيراً للوصول

إلى عموم الناس في وقت كانت فيه وسائل التعليم التقليدية محدودة، وبذلك، لم تكن مساهمتهم مجرد شرح لآيات القرآن، بل كانت بناءً لوعي جمعي مقاوم، وإرساءً لدعائم مجتمع إسلامي متجدد.

يهدف هذا المبحث إلى تسليط الضوء على جانب مركزي من مسيرة هؤلاء الأعلام، وهو كيف وظّفوا تفسيرهم الشفوي للقرآن كأداة فاعلة في الإصلاح الاجتماعي، مع الاستشهاد بنماذج من نصوصهم التفسيرية.

المطلب الأول: الإطار المنهجي والمرجعي الفكري للتفسير الشفوي الإصلاحية

اتسم التفسير الشفوي لعلماء الإصلاح بسمات منهجية جعلته أداة ناجحة للتغيير:

1. الواقعية والارتباط بالحاجة: كان المفسرون يستمدون موضوعاته من واقع المجتمع الجزائري المُستَعْمَر الذي يعاني من العديد من الآفات: الجهل والفقر والقابلية للاستعمار، فكانت الآيات تُفسّر لمعالجة تلك القضايا.

2. التركيز على المقاصد الاجتماعية للقرآن: أولى المفسرون الإصلاحيون اهتماماً بالغاً للمقاصد الاجتماعية في القرآن، مثل العدل، والشورى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى.

3. البساطة والوضوح: اتسم أسلوب التفسير بالسلاسة والبعد عن التعقيد الاصطلاحي، مما جعله في متناول العامة والخاصة، محققاً هدف "إرجاع القرآن إلى الحياة" كما كان يقول العلامة ابن باديس.

4. النظرة الشمولية للإصلاح: ربط المفسرون بين إصلاح العقيدة وإصلاح المجتمع، فتصحيح مفهوم التوحيد كان سبيلاً لمحاربة البدع والخرافات التي أنهكت المجتمع، وتصحيح مفهوم العبادة كان مدخلاً لإصلاح الأخلاق والسلوك.

المطلب الثاني: أبرز المفسرين الجزائريين للقرآن تفسيراً شفويًا

أولاً: الإمام عبد الحميد بن باديس ت: 1358هـ / 1940م

داوم الشيخ ابن باديس على تفسير القرآن الشفهي مدة خمس وعشرين سنة حتى أتمه،

وكان الختم منه في ربيع الثاني 1357هـ/ 1938م، وهو غير التفسير المكتوب الذي هو عبارة عن مقالات كان ينشرها في مجلة الشهاب على شكل فواتح لأعدادها وسماها "مجالس التذكير"، والفرق بين هذين التفسيرين كما يذكر الإمام أحمد حماني: "وكان كل منهما أسلوب وطريقة يحس بذلك كل من استمع إليه يلقيه ارتجالاً وقرأه مكتوباً بقلمه تيقن أنه في الدرس الملقى أبلغ منه وأعظم تأثيراً منه في المكتوب المقروء، وإن كان فيه موففاً عظيم التوفيق"⁽¹⁾.

وقد تأسف الشيخ الإبراهيمي على عدم تدوين الشيخ ابن باديس لتفسيره وعلى عدم كتابة تلاميذه الكثيرين شيئاً منه، وقال: "وضاع على الأمة كنز علم لا يقوم بمال، ولا يعوض بحال، ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة ابن باديس في التفسير"⁽²⁾. وقد عمل الإبراهيمي على تلخيص درس الشيخ ابن باديس في تفسيره الشفهي لسورتي المعوذتين، وعرضه على الشيخ ابن باديس فأقره وأعجبه أيما إعجاب، ويذكر الإبراهيمي أن الشيخ ابن باديس "تجدد أمله في أن نتعاون على كتابة تفسير كامل، ولكن العوارض باعدت بين الأمل والعمل سنتين، ثم جاء الموت فباعد بيني وبينه"⁽³⁾.

اعتمد ابن باديس في تفسيره في "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" على تفكيك البنى الفكرية الخاطئة وبناء وعي جديد، ففي تفسيره لسورة الفاتحة مثلاً، وفي الآية: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، كان يؤكد على مفهوم التوحيد الخالص الذي يحرر الإنسان من عبودية غير الله، سواء كانت عبودية للطواغيت أو للأوهام أو للاستعمار، يقول موضحاً هذا الربط: "فإذا أردت أن تعرف قيمة أمة فانظر في عبادتها... فإذا رأيته قد صرفت عبادتها لغير الله، فتلك أمة جاهلية... وإذا رأيته قد صرفت عبادتها لله وحده، فتلك أمة مسلمة حقاً"⁽⁴⁾.

ويقول عن حال المسلمين اليوم: "فانظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير

(1) محاضرة في الملتقى 13: ص10

(2) ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث، قسنطينة 1983م: مقدمة الشيخ بشير الإبراهيمي، ص21.

(3) ابن باديس، مجالس التذكير: ص34.

(4) المرجع نفسه: ص45.

الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقا في هذا الضلال، فتراهم يدعون من يعتقدون فهم الصلاح من الأحياء والأموات يسألونهم حوائجهم من دفع الضر وجلب النفع وتيسير الرزق وإعطاء النسل وإنزال الغيث وغير ذلك مما يسألون⁽¹⁾.

ثانياً: الشيخ البشير الإبراهيمي الإبراهيمي ت: 1385هـ/ 1965م:

اشتغل الشيخ الإبراهيمي بدرس التفسير وكانت شفهيا، ألقاها بالجامع الأعظم في تلمسان حتى أوقفتها الإدارة الاستعمارية أواخر سنة 1932م، ويروى أن له درس في التفسير بين المغرب والعشاء في مدرسة دار الحديث بتلمسان، إلا أن هذا التفسير ضاع بكل أسف لعدم تدوين التلاميذ له، ويقول في هذا الشيخ الإبراهيمي متأسفا على ضياعها كما ضاعت دروس الشيخ ابن باديس: "ولو أن التلاميذ أتوا حظا من النشاط والتوفيق لما ضاعت هذه الدروس ولنشرت كما هي، ففرزنا بالحسينين"⁽²⁾.

والذي بقي من هذا التفسير شاهدا عليه مقال: درس في التفسير؛ سعادة المسلمين في العمل بالقرآن، وهو درس ألقاه الشيخ الإبراهيمي ارتجالا في حفل ختم الدروس السنوية بدار الحديث بتلمسان شهر أوت 1939م، وكان ذلك موعدا لختام سورة إبراهيم الذي صادف إتمامها العطلة الصيفية لتلك السنة بحضور الشيخ ابن باديس⁽³⁾.

ويروي الشيخ الإبراهيمي أنه والشيخ ابن باديس كانا يأملان في إكمال ما انتهى إليه الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار، وذلك في مجلس ضمهما على ربوة من جبل تلمسان في زيارة للشيخ ابن باديس له، وكان ذلك بعد أسبوع من وفاة الشيخ رشيد رضا، فقال الإبراهيمي للشيخ ابن باديس: "فقلت له: ليس لإكمالهِ إلا أنت، فقال لي: ليس إكمالهِ إلا أنت، فقلت له: حتى يكون لي علم رشيد، وسعة رشيد ومكتبة رشيد ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد،

(1) المرجع نفسه: ص 119.

(2) الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1997م: 195/02

(3) ينظر: خالد مهدي، الإمام محمد البشير الإبراهيمي وتفسير القرآن، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 12: ص 425.

فقال لي واثقا مؤكدا: إننا لو تعاونوا وتفرغنا للعمل لأخرجنا للأمة تفسيرا يغطي على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت⁽¹⁾.

وقد كان الشيخ الإبراهيمي يحاول دوما إصلاح واقع الناس بالقرآن وتيسير معانيه لهم، فيقول الشيخ الإبراهيمي مثالا عن إحدى الآيات القرآنية: "إن هذه الآية وأمثالها هي أسلحتنا التي ندفع بها في نحور أعدائنا، وحوافزنا إلى ما نحاوله من فهم القرآن وتفهمه، وإلى ما ندعو إليه من إرجاع المسلمين إلى حظيرة القرآن"⁽²⁾، ويقول: "ومن آفات البعد عن هداية القرآن وعلوم القرآن وتربية القرآن أن الوثنية التي أودت بالأمم قبلنا، وكانت علة العلل في ضلالها وشقائها..... فهذه القباب المشيدة وهي أوثان هذه الأمة أضلت كثيرا من الناس وأكثر من الكثير، وافتتنوا بها، وبأسماء أصحابها حتى ألهمتهم عن دينهاهم وأفسدت عليهم أخراهم، وغلوا في تعظيمهما حتى أصبحت معبودة تشد إليها الرحال، وتقرب لها القرايين والندور، وتسأل عندها الحاجات التي لا تسأل إلا من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتألى بها على الله..."⁽³⁾.

ثالثاً: الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي ت: 1376هـ/ 1957م

عزم الشيخ العربي التبسي على تفسير القرآن كله من أوله إلى آخره لما بنى المسجد الجديد في تبسة، فبدأ التفسير من سورة الفاتحة ثم المعوذتين وأواخر السور، ثم تتبعها صعودا إلى سورة البقرة، فكان درسه بعد صلاة العشاء ليحضره التلاميذ والأساتذة وأصحاب الأعمال، قال الشيخ محمد علي دبوز: "كان الإقبال على درس الشيخ في التفسير بعد صلاة العشاء عظيما، يتسارع الناس من الأصيل إلى مسجده ليجدوا مكانهم قرب مسجده، وليصلوا المغرب والعشاء في المسجد الأنيس المشرق الذي يملأه الشيخ العربي بروحه ونوره، ولا يكاد العشاء يؤذن حتى يمتلئ المسجد، ويوقف كثير من أصحاب الأعمال أعمالهم فيسرعون إلى المسجد للصلاة وسماع الدرس، إنه غنيمتهم العظمى، وربهم الكبير مع صلاة الجمعة"⁽⁴⁾.

(1) آثار الإبراهيمي: 253/02.

(2) المرجع نفسه: 404/01.

(3) المرجع نفسه: 397/01.

(4) دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر: 39/02.

وقد انتقلت دروس الشيخ العربي في التفسير معه كلما انتقل من مكان إلى آخر، فقد وصل في تفسيره في مسجد تبسة إلى سورة النساء، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة سنة 1947م فواصل درسه في التفسير في الجامع الأخضر الذي كان يدرس فيه الشيخ ابن باديس، فكان درسه بعد صلاة العشاء فذكر المصلين بدروس وبلاغة الشيخ ابن باديس فاشتد الإقبال عليها، بطريقته الثورية في أداء الدرس، إلا أن درسه في التفسير في الجامع الأخضر لم يكن دائما لكثرة أشغاله، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة فواصل درس التفسير في جامع بيلكور الحر بالعاصمة إلى سورة البقرة صعودا، إلى أن ختمه أواخر سنة 1956م أو أول سنة 1957م وهي السنة التي اغتيل فيها الشيخ العربي، ففرح الشيخ وفرح الناس إلا أنهم لم يستطيعوا الاحتفال له في مجمع حاشد كما حصل لختم الشيخين ابن باديس وبيوض لتفسيريهما، وإنما اقتصر الناس على إرسال التهاني إليه، وقد دام الشيخ العربي بذلك في تفسيره نحو اثنين وعشرين سنة⁽¹⁾.

وكان الهدف من هذا التفسير الشفهي معالجة أمراض المجتمع وإرشاد الناس إلى ما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، يقول الشيخ دبور: "كان عليهما بأمراض المجتمع، فيعرض مجتمعه على القرآن فيبين للناس ما يخالفون فيه دين الله، ويهجم على بدع الطرقية الضالة والإلحاد الذي ينشره الاستعمار ببعض خريجي مدارس وأذنايه من أبناء المسلمين، وهذا كان قليلا، فجمود الطرقية وبدعها هو الغالب في نواحيه التي يطب لها، فترى الشيخ العربي في أغلب دروسه في التفسير وغيره محتدما، يجلس صوته في جنبات المسجد، ويسمع قويا مؤثرا من الشارع، وهو طريق المستعمرين الغلاة، فيشعرون بدروسه صواعق تنقض عليهم، وفؤوسا حادة ثقيلة تفلق هامهم، فيزدادون حَزدا على الإصلاح، وكيدا للشيخ وأنصاره..."⁽²⁾، ويقول احد تلاميذ الشيخ العربي وهو العيد بن احمد مطروح في هذا الصدد: "كان الشيخ العربي رحمه الله يهاجم البدع والطرقية، لقد كانت في تبسة كل البدع المنتشرة في الوطن الجزائري، كانت فيها الزردة والوعدة، وكان الخوف الشديد من شيخ الطريقة، والدعاء للشيخ، والتبرع باسم الشيخ يقصدون فيما يعطون الشيخ لا وجه الله، وكان بعض العوام يقدسون بعض

(1) دبور، أعلام الإصلاح في الجزائر: 39/02.

(2) ينظر: دبور، أعلام الإصلاح في الجزائر: 43/02، 44.

الأشجار وبعض الأحجار ويقدمون إليها القرابين، فأبطل الشيخ بدروسه هذه العادات الفاسدة، فلم يبق منها قبل الثورة إلا الشيء التافه القليل، واليوم 1386 هـ قد تنظفت تبسة فلم يبق منها شيء والحمد لله⁽¹⁾.

رابعا: الشيخ إبراهيم بيوض ت: 1401 هـ / 1981 م

كان الشيخ بيوض يفسر القرآن بعد وفاة شيخه الحاج عمر بن يحيى في معهده، ثم توقف منه حينما افتتح معهد الحياة، وفي محرم من سنة 1353 هـ / ماي سنة 1935 م افتتح الشيخ بيوض دروس التفسير في مسجد القرارة الذي كان يحضره طلبة العلم من معهد الحياة وعامة الناس رجالا ونساء؛ من سورة الفاتحة إلى أن ختمه في يوم 25 ربيع الثاني 1400 هـ / 12 فيفري 1980 م؛ وأقيم له بمناسبة ختم التفسير مهرجان عظيم حضره جمع غفير من الأئمة والعلماء من كافة أنحاء القطر، وذلك يوم 09 رجب 1400 هـ / 23 ماي 1980 م⁽²⁾.

يصف الشيخ محمد علي دبوز إقبال الناس على دروس التفسير للشيخ بقوله: "ابتدأ درس التفسير في صيف سنة 1354 هـ / 1935 م، فابتهج المعهد كل الابتهاج وأسرع التلاميذ إلى المسجد قبل صلاة الظهر بكثير ليحتلوا مجالسهم الدائمة في حلقة الشيخ... وكنت لا تسمع قبل الظهر بقليل في أزقة القرارة إلا خفق النعال يسرع أصحابها، وفي عيونهم اللفتة ليدركوا صلاة الظهر ويشهدوا درس التفسير من أوله ويحتلوا مجالسهم قريبا من حلقة الشيخ"⁽³⁾.

أما عن وقت الدرس فقد كان في أول الأمر بين الظهر والعصر صيفا، بالرغم من الحرارة الشديدة في القيلولة، وبعد صلاة الفجر شتاء وربيعا، ويمتد لساعة من الزمن، ثم انتظم الدرس التفسيري بعد صلاة العشاء في كل الفصول، وهو الوقت المناسب للتلاميذ وعامة الناس⁽⁴⁾.

(1) دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر: 44/02.

(2) بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، 2، جمعية التراث القرارة-غرداية، دت. تقديم محمد صالح ناصر، ص: 08.

(3) دبوز، نهضة الجزائر الحديثة: 72/03.

(4) ينظر: دبوز، نهضة الجزائر الحديثة: 73/03.

ركز الشيخ بيوض من خلال دروسه التفسيرية في مسجد القارة بمزاب على الجانب العملي التربوي والاجتماعي، بعد أن يبين معنى الآيات في لغتها وأسباب نزولها ويوقف الناس على أسرار الأحكام التي تتضمنها الآيات، ويشير إلى النكت البلاغية والجمال الأدبي في أسلوب القرآن. يقول الشيخ محمد علي دبوز: "وبعد أن ينتهي الشيخ من تفسير الآية يعرض المجتمع عليها، فيبين أمراضه وما يخالف القرآن فيه من البدع ومساوئ الأخلاق، ومن الإلحاد الذي ينشره المستعمرون وأذنابهم من خريجي مدارسهم، فيهجم على الفساد فيدحضه بالقرآن ويعمد على النفوس فيغسلها من أوضارها بنور الله، وقلما تخلوا آية دون أن يعرض المجتمع عليها والعصر وما يأتي به، فيبين ما فيها من فساد واعوجاج. إن غرض الشيخ من التفسير هو مراد الله من كتابه: إصلاح النفوس، وثقيف العقول وتنظيم المجتمع، وخلق النهضة الصحيحة في المسلمين"⁽¹⁾.

فسر الشيخ بيوض القرآن كاملاً من الفاتحة إلى الناس، في مدة 45 عامًا إلا أن المسجل منها آخر سورة الإسراء إلى سورة الناس لما دخلت الكهرباء إلى القارة في فيفري 1958م، وقد قام أحد تلاميذه، وهو: الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج بتحرير كل تلك الدروس في كتاب بعنوان "في رحاب القرآن" بعد أن قام بسماع 1127 درسًا بمجموع 1500 ساعة تقريبًا، وكتابة 12497 صفحة⁽²⁾، ثم قام بتحريرها في سنوات متواصلة إلى أن اكتمل إخراج أجزاء التفسير في 28 جزءًا تم طباعتها على مدار سنوات متتابعة.

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ بكير بن محمد أرشوم وابنه الشيخ محمد

في هذا المبحث سنقدم ترجمة عن الشيخ بكير بن محمد أرشوم وابنه الشيخ محمد أرشوم؛ وذلك تعريفًا لهما ولإنتاجهما العلمي؛ تمهيدًا للكلام عن تفسيرهما الشفهي.

المطلب الأول: ترجمة الشيخ بكير أرشوم

(1) ينظر: دبوز، نهضة الجزائر الحديثة: 75/03.

(2) بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء تقديم محمد صالح ناصر، ص: 14.

أولاً: نسبه وولادته

هو الشيخ الفاضل، والعالم البارز بكير بن محمّد بن صالح، أرشوم ولد بريان في ميزاب بولاية غرداية شوال 1345هـ/مارس 1927م.

أمه هي المرأة الفاضلة: لَعَسَاكِر بَيْتة بنت صالح؛ توفي أبوه وهو ابن سنتين، فتولّت أمّه تربيته ورعايته.

ثانياً: مراحل تعليمه

دخل المحاضرة في بريان وقرأ قسطاً من القرآن، ودخل المدرسة الرسمية فتعلّم المبادئ الأساسية للعلوم؛ وفي الحادية عشرة من عمره فَقَدَ بصره، فرجع إلى المحاضرة لحفظ القرآن الكريم. وفي سنة 1943م انتقل إلى القرارة فاستظهر القرآن بعد عام واحد، وتعلّم اللغة العربية والعلوم الشرعية على يد أساتذة كبار.

التحق بمعهد الحياة بالقرارة بعد استظهاره القرآن الكريم، وكان مغرماً بالأدب وحفظ الشعر، كما استطاع أن يحفظ الجامع الصحيح للربيع بن حبيب كاملاً.

وبعد إنهاء الدراسة بالمعهد انتقل إلى تونس في 15 أكتوبر 1949م، والتحق بجامع الزيتونة بصفة حرّة، فلازم الحلقات والمشايخ، إلى أن تخرّج في علم التفسير، والأصول، والحديث، والفقه، والتجويد، واللغة العربية.

ومن أساتذته في جامع الزيتونة: الشيخ الفاضل بن عاشور، الشيخ العربي الحجري، الشيخان إبراهيم وأحمد النيفر. وتحصل على إجازة في التجويد من الشيخ علي تركي، وإجازة في التفسير من الشيخ الزغواني، وباقي الإجازات من الشيخ الفاضل بن عاشور.

أمّا الإجازات على المذهب الإباضي فأخذها عن الشيخ بيوض إبراهيم، والشيخ أبي اليقظان إبراهيم.

أوتي حافظاً قوية، فبالإضافة إلى القرآن الكريم، والجامع الصحيح، استطاع أن يحفظ في هذه المرحلة: كتاب بلوغ المرام، وجزءاً من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. وجملة ما حفظ من الحديث ثلاثة آلاف حديث.

ثالثاً: مشاريعه وأعماله

وفي سنة 1956م رجع إلى مسقط رأسه، فعين معلماً للقرآن والأخلاق بمدرسة الفتح، وشرع في إلقاء الدروس في مناسبات الأعراس والمآتم.

وفي سنة 1957م فتحت له دار خاصة لتعليم النساء أمور دينهن.

ثمّ استدعي للعضوية في هيئة العزابة في 1961م، وتولّى مسؤولية الوعظ والإرشاد بالمسجد، فكان عضداً للشيخ عبد الرحمن بكلي.

ومن نشاطاته العلمية والاجتماعية: دعمه للبعثات العلمية الخاصة إلى معهد الحياة بالقرارة، والمساهمة الفعّالة في بناء المساجد، مع إنشاء مكتبات للمطالعة بجوار كلّ منها، والسعي لتنظيم الأعراس الجماعية، وعقد ندوات لتكوين الوعاظ والمرشدين، والاهتمام بتفقيه المرأة وتربيتها باعتبارها أساس صلاح المجتمع، والتكفل بالأرامل واليتامى والمعوّزين...

رابعاً: إنتاجه العلمي

ولم تنل هذه المهام عن التأليف، فأثري المكتبة الإسلامية بعدّة عناوين، وجّهت كلّها إلى القارئ المبتدئ، بأسلوب رصين ومشوّق، ومنهج بديع، ومن مؤلفاته:

"النبراس في أحكام الحيض والنفاس"، "المرشد في الصلاة"، "الحقوق المتبادلة في الإسلام"، "الوقاية والعلاج"، "الموجز في الجنائز"، "المرشد في مناسك الحجّ والعمرة".

وجلّ هذه العناوين طبع أكثر من مرّة، كما ترجم بعضها إلى اللغة السواحلية، وطبع بزنجبار.

خامساً: وفاته

وافته المنية وهو في مكّة المكرّمة، عن عمر يناهز السبعين، يوم الإربعاء 20 رمضان 1417هـ/ 29 جانفي 1997م، وصليّ عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الفجر، في جمع غفير من المسلمين من كلّ الآفاق، ودفن بمقبرة المعلاة بمكّة.

رثاه جلّة من الشعراء، منهم الأديب الشيخ صالح باجو بقصيدة نشرت في دورية الحياة،

عنوانها «صعدت روحه بأقدس بيت»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: ترجمة الشيخ محمد ارشوم

أولاً: مولده ونسبه

الاسم: محمد بن الشيخ بكير بن محمد بن صالح ارشوم.

أمه: زيطاني نانة بنت يوسف.

مواليد 14 ذو القعدة 1383 هـ الموافق لـ 28 مارس 1964 م ببريان.

متزوج وأب لخمسة أبناء: أربعة ذكور، وبنت، وله من الإخوة ستة.

ثانياً: نشأته العلمية

أخذ مبادئ العلم ببريان في مدرسة الفتح القرآنية، والمدرسة الرسمية الأمير عبد القادر، ثم انتقل إلى القارة واستظهر القرآن الكريم يوم 3 ماي 1981 م، ثم انتقل إلى معهد الحياة في نفس السنة للدراسة ونهل العلم عن مشايخه منهم الشيخ الناصر المرموري، الشيخ شريفي سعيد المعروف بالشيخ عدون، الشيخ محمد بن بابه الشيخ بالحاج المعروف بالشيخ ابن الشيخ، الشيخ باجو صالح، والشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج المعروف بالشيخ باشعدل... تخرج من المعهد سنة 1984 م عازماً على التوجه إلى خارج الوطن لمواصلة الدراسة؛ لكن بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن بكلي رحمه الله، طلب منه والده الشيخ بكير أرشوم رحمه الله البقاء معه في البلدة للتفرغ للعلم وتدريبه على قيادة المجتمع فتكون على يديه مدة 11 سنة فقيهاً باحثاً، مؤلفاً، داعية، مصلحاً... ولا يزال يطلب العلم ويجالس العلماء حتى وافته المنية.

ثالثاً: نشاطه الدعوي والاجتماعي

(1) تنظر ترجمته في: باباعمي محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1421 هـ-2000 م: رقم الترجمة: 206، 96-97. وللتوسع في ترجمته ينظر كتاب: محمد بن بكير أرشوم: صفحات مشرقة من مسيرة الشيخ بكير بن محمد أرشوم رحمه الله 1927-1997 م، ط1، د.ن، 1408 هـ-2007 م.

- 1- معلم بمدرسة الفتح منذ سنة 1985، ومحاضرًا بمعهد الفتح للبنات إلى غاية السنة الدراسية الحالية.
- 2- عضو بجمعية الفتح منذ 1997م، وشغل منصب أمين المال والمنسق العام بين الوظائف والمهام.
- 3- عضو حلقة العزابة منذ أبريل 1997م.
- 4- عضو فعال ومؤسس لرابطة الوعاظ وخطباء المساجد ببلدة بريان.
- 5- عمل في إدارة عشيرته أولاد بالناصر منذ سن مبكرة من شبابه، وبعد وفاة والده تحمل مسؤولية أكبر وأثقل رفقة ثلة من إخوانه إلى أن وافته المنية.
- 6- مرشد بعثة الحجاج إلى البقاع المقدسة مدة 14 سنة والجدير بالذكر أن المرض فاجأه وهو في المسجد أثناء إلقائه درس وعظ وإرشاد للحجاج القاصدين بيت الله الحرام ونقل من المسجد إلى المستشفى مباشرة.
- 7- من أساتذة ومشايخ ندوة الشيخ عبد الرحمن البكري منذ عهد مؤسسها.
- 8- تحمّل مسؤولية الإفتاء بعد وفاة والده، وجلسَ على كرسي الوعظ والإرشاد داعية مرشداً إلى سبيل ربه في مساجد بريان ومختلف جهات الوطن إلى قبيل وفاته.
- 9- كان العضد الأيمن لوالده في تأليف كتبه المبسطة للفقهاء والإشراف على طباعتها، وقد أعاد طباعتها طباعة أنيقة في السنوات الأخيرة.
- 10- شارك في تنظيم بعض مكاتبات المخطوطات في واد ميزاب، وكانت له جهود بارزة في تنظيم المكتبات وإحيائها في بريان.
- 11- شارك في عدة ملتقيات علمية، وندوات فكرية، وأيام دراسية؛ داخل وخارج الوطن، آخرها مشاركته بمحاضرة بعنوان الفتوى في وادي ميزاب واقعا وآفاقاً في الملتقى الدولي الذي انعقد في تلمسان شهر ماي الماضي.
- 12- نظم ملتقى وطنيا عن حياة والده الشيخ بكير أرشوم وكان تحت الرعاية السامية

لفخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة.

13- كان من الأعضاء الشرفيين المؤسسين للقناة الخامسة للقرآن الكريم.

14- كان متابعاً ومشرفاً على أعمال البناء بمركب الفتح الجديد.

15- من أعيان البلدة ومشايخها الذي لا يغيب عن حضور المناسبات الدينية، والوطنية يشارك فيها وفي إنجازها.

16- مصلح اجتماعي ومرشد ديني يقصده القاضي والداني، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، من أجل إصلاح ذات البين وحل الخلافات الأسرية والزوجية.

رابعاً: آثاره العلمية

"الواضح في التاريخ"، "صفحات مشرقة من حياة الشيخ بكير أرشوم رحمه الله"، كتيب "نصائح للزوجين"، ترك مقررات مدرسية في المسودة، مجموعة كبيرة من الدروس والمحاضرات السمعية والبصرية.

خامساً: وفاته

ظلَّ رحمه الله تعالى مُرابطاً في ميدان العلم والتعليم، والإصلاح والإرشاد؛ إلى أن ألم به المرض فجأة نقل على إثره إلى عيادة الواحات بغرداية، ومنها إلى عيادة رفاق الفتح بالعاصمة حيث وافته المنية مساء يوم الاثنين 04 ذو الحجة 1432هـ/ 31 أكتوبر 2011م، بعد ثلاثة أسابيع من المرض والعلاج عن عمر يناهز السابعة والأربعين، وشيع جثمانه في مسقط رأسه بريان في موكب جنائزي مهيب حضرته جموع غفيرة من المشيعين ومن المشايخ والعلماء والسلطات المدنية والعسكرية لولاية غرداية، وذلك صبيحة يوم الأربعاء 02 نوفمبر 2011م؛ رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته⁽¹⁾.

(1) تنظر ترجمته في موقع مزاب ميديا: <https://mzabmedia.com/?p=91>؛ وللتوسع في ترجمته ينظر كتاب: بعوشي عبد الله بن باعلي: مسارات رجل حمل مشروع أمة، الفقيه المصلح الشيخ محمد بن بكير أرشوم، د.ن، د.ت، طبع بمناسبة الملتقى العلمي الفقيه المصلح الشيخ محمد بن بكير أرشوم رحمه الله تعالى 1383-1432هـ/

المبحث الثالث: دروس التفسير الشفوي للشيخ بكير بن محمد أرشوم وابنه الشيخ

محمد

المطلب الأول: دروس الشيخ بكير بن محمد أرشوم في التفسير الشفوي

أولاً: حصر دروس الشيخ بكير بن محمد أرشوم في التفسير الشفوي

كما سبق في ترجمة الشيخ بكير أرشوم أنه في سنة 1957م فتحت له دار خاصة لتعليم النساء أمور دينهن؛ وكان من بين الدروس التي اهتم بها؛ دروس التفسير التي فسّر فيها سور الصلاة، والسور التي تعالج شؤون الأسرة مثل: النور، والأحزاب. والسور التي تكثر قراءتها مثل سورة يس، وسورة المملك إلى غير ذلك من السور القرآنية.

كما أنه ألقى دروساً على عموم المسلمين في المسجد القبلي في بريان؛ وقد حاولت تتبع ما أمكنني من دروسه لتفسير القرآن؛ فأحصيت له تفسير 36 سورة بالإضافة إلى تفسير آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة "آمن الرسول"؛ ويمكن إيرادها حسب الجدول الآتي مع ذكر تاريخ ما وقفت عليه منها:

1. الفاتحة	16. سورة القيامة حوالي 04 دروس	31. الماعون
2. آية الكرسي	17. سورة الإنسان حوالي: 10 دروس	32. الكوثر
3. آمن الرسول	18. سورة المرسلات حوالي: 04 دروس	33. الكافرون
4. سورة الإسراء حوالي 18 درسا	19. سورة عبس	34. النصر
5. سورة الكهف حوالي: 10 دروس	20. سورة الانفطار حوالي: 06 دروس	35. المسد

1964-2011م العالم، العامل، الأمل. المنعقد في بريان بمدرسة الفتح فرع قطب الأئمة الشيخ امحمد بن

يوسف اطفيش، يومي: 21-22 محرم 1414هـ / 27-28 جويلية 2024م.

6. سورة مريم حوالى: 17 درسا	21. سورة الأعلى حوالى 11 درسا	36. الإخلاص
7. سورة المؤمنون حوالى 04 دروس	22. البلد	37. الفلق
8. سورة النور 07 دروس في رمضان سنة 1391هـ/1971م	23. الشمس	38. الناس.
9. سورة القصص حوالى: 08 دروس	24. الليل	
10. وصايا لقمان: 11 درسا حول وصايا لقمان لابنه	25. الضحى	
11. سورة الأحزاب في 04 دروس في رمضان سنة 1397هـ/1977م	26. الشرح	
12. سورة يس كاملة في 06 دروس في رمضان سنة 1392هـ/1972م	27. القدر	
13. سورة الحجرات حوالى: 13 درسا	28. الهمة	
14. التغابن	29. الفيل	
15. سورة الملك 04 دروس في رمضان سنة 1393هـ/1973م	30. قریش	

وللعلم فإن أغلب هذه الدروس موجودة في قناة التليغرام: دروس الشيخ بكير بن محمد
أرشوم رحمه الله.

ثانياً: دروس التفسير الشفوي التي تم تحويلها إلى دروس مكتوبة

لم أقف إلا على سورة واحدة من قصار السور تم تحويلها إلى المكتوب، وهي تفسيره لسورة الكافرون في إطار مذكرة ماستر للطالب أولاد داود يحيى من كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، جامعة غرداية، تحت عنوان: "تفسير الشيخ بكير أرشوم لسورة الكافرون تحقيق ودراسة لغوية ولغوية اجتماعية"، وتم مناقشتها في الموسم الجامعي: 1437-1438هـ/ 2016-2017م.

ثالثاً: الإصلاح الاجتماعي والديني من خلال تفسير الشيخ بكير

1. أصوله التي اعتمدها في تفسيره: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة، كما اعتمد على أقوال المفسرين.
كما اهتم في تفسير القرآن بأسباب النزول وتفسير القرآن بمقتضى اللغة العربية، فركز على اللغة العربية نحواً وصرفاً وصوتاً وبلاغة مترجماً ذلك كله إلى اللهجة الميزابية بما يوافق المقام وانتماء المتلقي⁽¹⁾.

2. أسلوبه في التفسير:

الأسلوب الأخاذ بنبرته الحانية، وتقريب آيات الذكر الحكيم من كتب التفسير؛ واستعمال الأمثال الشعبية باللهجة الميزابية والعربية الدارجة: تشكل الأمثال الشعبية رصيذاً معرفياً مهماً فهي تعبر عن ثقافة ذلك المجتمع، وقد أورد الشيخ رحمه الله أمثالاً شعبية بغية مخاطبة الناس بما يستعملون في كلامهم، من مثل: "خلي من حالك يسجي لك"؛ واستعمال

(1) ينظر: أولاد داود يحيى، تفسير الشيخ بكير أرشوم لسورة الكافرون تحقيق ودراسة لغوية ولغوية اجتماعية، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، جامعة غرداية، الموسم الجامعي: 1437-1438هـ/ 2016-2017م، ص: 54-58.

الكناية والقصة...⁽¹⁾.

3. مظاهر الإصلاح الاجتماعي والديني في دروس الشيخ بكير ارشوم:

أ. ترسيخ العقيدة:

بيان التوحيد والعبادة، لذا نجد الشيخ في تفسيره يعرج إلى بعض القضايا الإيمانية والتي تعتبر من المسلمات كالغاية من الوجود وما هي الرسالة أو الهدف وراء هذا الوجود وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة وهذا لأجل تحقيق التذكرة وتجديد العهد مع الله، وتذكير المستمعين بحقيقة الموت مما يغفل عنه الكثير من الناس.

كما أورد الشيخ مسألة الخلود في النار لمن مات على معصية، وفصل فيها؛ لما لها أثر على سلوك الفرد والجماعة.

ب. الدعوة إلى التعليم القرآني، والاهتمام باللغة العربية:

إن البعد الإسلامي للمجتمع المزابي ساهم في تكوين مدارس قرآنية والهدف من ورائها أساسا تنشئة الأبناء بتربية قرآنية، وفيها يسعى كل طالب أن ينال قدرا كبيرا من القرآن الكريم حفظا وتلاوة، كما تضاف لهم بعض المواد التي لها علاقة بالمعارف الدينية مثل: العقيدة، اللغة العربية...، حتى أصبح هذا التعليم عرفا سائرا في المجتمع، ومع حضور الطلبة المتدربون في دروسه فإنه كان يوصيهم بحفظ القرآن واكتساب القواعد العربية من نحو وصرف لأجل فهم القرآن الكريم والحديث النبوي.. وكل ما له علاقة بالدين الإسلامي.

ج. الاهتمام بتعليم الصلاة: من المتعارف عليه في المجتمع المزابي أن الطفل إذا بلغ سن العاشرة فما فوق، فإنه ينخرط في دورة جماعية لتعليم الصلاة⁽²⁾.

المطلب الثاني: دروس الشيخ محمد بن بكير ارشوم في التفسير الشفوي

أولا: حصر دروس الشيخ محمد بن بكير ارشوم في التفسير الشفوي

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص: 71-72.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص: 67-71.

قد ألقى الشيخ محمد أرشوم دروساً في التفسير في المسجد القبلي في بريان، لتفسير أقوال الصلاة وقصار السور التي تقرأ في الصلاة في سنة 2004م، بمجموع 73 درسا، وفسر سورة الطور في 18 درسا في سنة 2009م، كما فسر سورة الواقعة في 17 درسا؛ ودروس الشيخ محمد أرشوم في التفسير وغيره موجودة في استديو الفتح في دار الإفتاء والاستشارات في بريان، وقد تمت فهرستها بذكر عنوان الدرس ومكانها وعددها وتاريخ إلقاءها؛ وللعلم فإن أغلب هذه الدروس موجودة في قناة التليغرام: دروس الشيخ محمد أرشوم رحمه الله.

ويمكن تفصيل ذلك في الجدول الآتي:

سورة الفاتحة 04 دروس	سورة القارعة 03 دروس
آية الكرسي 03 دروس	سورة التكاثر درسان
آمن الرسول 06 دروس	سورة العصر 03 دروس
سورة الطور 18 درسا	سورة الهمزة درسان
سورة الواقعة 17 درسا	سورة الفيل درسان
سورة الشمس 03 دروس	سورة قريش درسان
سورة الليل 03 دروس	سورة الماعون درسان
سورة الضحى 04 دروس	سورة الكوثر درسان
سورة الشرح درسان	سورة الكافرون درسان
سورة التين درسان	سورة النصر 03 دروس
سورة العلق 04 دروس	سورة المسد درسان
سورة القدر درسان	سورة الإخلاص 03 دروس
سورة البينة درسان	سورة الفلق 03 دروس
سورة الزلزلة درسان	سورة الناس 03 دروس

سورة العاديات درسان

ثانيًا: دروس التفسير الشفوي التي تم تحويلها إلى دروس مكتوبة

بحمد الله تم تحويل جميع دروس التفسير الشفوي للشيخ محمد أرشوم إلى دروس مكتوبة؛ باستثناء سورة الواقعة التي وقع في تسجيلها خلل؛ فتم تحويل 05 دروس منها إلى المكتوب؛ قام بالعمل فريق من الطالبات والمتخرجات من معهد الفتح في بريان، بإشراف الدكتور حسن بن عيسى دبوز.

والطالبات التي شاركن في العمل هن: بلعيد سمية بنت يحيى، كروشي فاطمة الزهراء بنت باحمد، بورقيبة فاطمة بنت صالح، أوراغ عزيزة بنت حمو، باسعيد حليلة بنت عمر، ازقاو أم سلمة بنت محمد، بطولة مامة عزة بنت علي، دادي عدون عائشة، دونيت صافية بنت نور الدين، كروشي مريم بنت باحمد، طالب باحمد عائشة بنت سليمان، لطرش أمينة بنت جمال، بكلي فاطمة بنت عمر، كروشي نسيم بنت عمر، لعساكر بية بنت عبد الله، كروشي سهيلة بنت الناصر.

وقام بمراجعة قسم من العمل بما يناسب الخطاب العربي الفصيح مع خدمته بإضافة العناوين الدكتور محمد بن الحاج داود تمزغين، والأستاذ إبراهيم بن محمد العساكر، وطُبعت في 03 أجزاء تحت عنوان: المعين على الخشوع-تفسير مجموعة من قصار السور- من دروس الشيخ محمد بن بكير أرشوم، قام بتحرير الجزء الأول: الدكتور محمد بن حاج داود تمزغين؛ وقام بتحرير الجزء الثاني والثالث: الأستاذ إبراهيم بن محمد العساكر؛ وذلك بمناسبة الملتقى العلمي: الفقيه المصلح الشيخ محمد بن بكير أرشوم رحمه الله تعالى 1383-1432هـ/ 1964-2011م العالم، العامل، الأمل. المنعقد في بريان بمدرسة الفتح فرع قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، يومي: 21-22 محرم 1414هـ/ 27-28 جويلية

2024م⁽¹⁾.

والسور التي تم طباعة تفسيرها في الجزء الأول الواقع في 104 صفحة هي: الفاتحة، الضحى، الشرح، القدر.

والسور التي تم طباعة تفسيرها في الجزء الثاني الواقع في 184 صفحة هي: التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون.

والسور التي تم طباعة تفسيرها في الجزء الثالث الواقع في 192 صفحة هي: الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق، الناس.

وبالتالي فالسور التي تم تحويلها من الشفهي إلى المكتوب ولم تطبع بعد هي: آية الكرسي، وأخر سورة البقرة "آمن الرسول"، الطور، الواقعة، الشمس، الليل، التين، العلق، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة.

ثالثا: مراحل وضوابط تحويل دروس الشيخ محمد أرشوم من الصوتي إلى المكتوب

1. مراحل تحويل دروس الشيخ محمد أرشوم من الصوتي إلى المكتوب

قد أشرف الدكتور حسن دبوز على هذه المراحل بمتابعة فريق الباحثات، ثم تحويل العمل إلى المراجعين على النحو الآتي:

- تدوين النص المسموع: بتحويل كل الكلمات إلى نص مكتوب.
- تهذيب النص المكتوب: بحذف المكرر/ وترجمة الأمثال المزابية إلى العربية... وغير ذلك مما يجعل النص سليما من التكرار والكلمات الزائدة.
- التهذيب الثاني للنص المكتوب: بإعادة صيغ بعض العبارات، وربط الأفكار وتركيب الكلمات والبناء اللفظي؛ وفق ضوابط الكتابة الأدبية العربية.
- خدمة النص المكتوب: بالتعليق وترجمة الأعلام، والفهرسة، وغيرها.

(1) ينظر: أرشوم محمد: المعين على الخشوع تفسير مجموعة من قصار السور من دروس الشيخ محمد بن بكير

أرشوم، تحرير: إبراهيم العساكر، محمد تمزغين، ط1، 1446هـ-2024م، مقدمة المحرر: د.محمد تمزغين،

- المراجعة النهائية: من طرف أساتذة مختصين ذوي كفاءة.
- 2. ضوابط لتدوين الدروس السمعية للشيخ محمد بن بكر أرشوم
- كما أشرف الدكتور حسن دبوز على هذه الضوابط بمتابعة فريق الباحثات، من أجل تحويل الدروس المسموعة إلى دروس مكتوبة من خلال اتباع الخطوات الآتية:
- كتابة كل المسموع في المرحلة الأولى.
- ترجمة الكلام المزاجي إلى العربية، مع إمكانية اختيار اللفظ المناسب من الكلام العربي حين الترجمة.
- كتابة المصطلحات المزاجية والأمثال المزاجية كما وردت بالمزاجية.
- كتابة التوقيت؛ بداية كل 10د، مثلاً: الدقيقة 10، الدقيقة 20، الدقيقة 30، الدقيقة 40؛ وذلك لتسهيل رجوع الأستاذ المراجع إلى المقطع الصوتي للدرس.
- في حالة قيام الطالبة بالترجمة المزاجية التي لم تطمئن إليها، وقصد مراجعة تلك الترجمة؛ يرجى وضع إحالة هامش نهاية تلك الترجمة، وتكتب فيها: تراجع الترجمة.
- تنسيق النص المكتوب:
- إمكان الرجوع إلى بداية السطر عند نهاية كل فكرة.
- إمكانية الاستفادة من برنامج المصحف الرقمي برواية ورش لكتابة الآيات.
- تسمية الملف بعنوان الدرس.
- تدوين عنوان الدرس، مع اسم الطالبة، في أول الصفحة.
- التأكد قبل الكتابة من كل: السهم: من اليمين/ لغة كتابة الوورد: العربية/ نوع الخط traditional arabic/ رقم الخط: 17.
- استعمال علامات الترقيم: الفاصلة، نقطة نهاية الفقرة، علامة الاستفهام، التعجب...
- رابعاً: الهدف من تفسير القرآن عند الأستاذ محمد أرشوم
- 1) الإعانة على الخشوع في الصلاة: يقول الشيخ محمد أرشوم: "شرعنا في موضوع شرح وتفسير أقوال الصلاة، والمقصد من ذلك هو أن كل ما يجلب الخشوع ويحضر العقل

2) الاهتداء والشفاء، وكشف الهموم والكروب:

(1) أرشوم محمد: المعين على الخشوع، 07/01.

الآن كنتُ أقرأ هذه الآيات كما يقرأها النَّاسُ، فهتَمْتُ منها معاني بسيطة، فإذا بي أرجع إلى كتب التفسير، وضعت ثمانى تفاسير أمامي يوجد أكثر، ولكن ما وجد فإذا به ندخل في العمق؛ ماذا فهمنا وماذا بقي؟ سبحان الله عظمة موجودة في القرآن الكريم يقول فيها الله: "بل هو آيات بينات..." عندما يعطيك الله العلم كأنها غواصة تغوص فيها في معاني القرآن العميقة وتخرج منها الخير الخير الذي تفيد به خلق الله، ولذلك الله جعل في كل جيل، في كل حقبة تاريخية مَنْ يُفسر القرآن بمنظور عصره، بمفهوم عصره، فيجد فيه ما لم يجده غيره؛ سبحان الله كل جيل ربي يعطيه علماً لم يُعْطِهِ لِمَنْ سبقه، ويحيي الوالد رحمه الله وكان يفسر بعض الآيات من القرآن، قال لي: أقرأ كتب التفسير، وأضيف أشرطة الإمام الشيخ بيوض رحمه الله وقد فسر هذه الآيات، فأسمعها بعد أن قرأت هذه الكتب، ثم أعطي لنفسي فرصة للتفكير والتأمل بالمواهب التي أعطاها الله لي، حينما أجلس أمام الناس لألقيها، فيفتح الله لي من الفتوحات ما لم أجد لها في الكتب، ولا في دروس الشيخ بيوض رحمه الله، هذا هو الإعجاز الذي جعله الله في القرآن، هذا هو تأثير القرآن، وهذه هي عظمة القرآن، كل من نوى أن يستفيد من القرآن سيفتح الله له باباً لم يفتحه لمن سبقه، هذا عطاء الله..."⁽¹⁾.

(1) محمد أرشوم: التفسير المرقون لسورة الطور.

خاتمة:

قد اهتم علماء الإصلاح في الجزائر بالتفسير الشفهي من أجل إصلاح الأوضاع الاجتماعية وإنارة دروب الناس ونشر الوعي بينهم بكلام رب العالمين؛ وقضوا في ذلك سنوات طويلة، ولكن للأسف أن كثيرا مما فسر علماء الإصلاح لم يسجل ولم يدون.

الشيخ بكير أرشوم اهتم بتفسير سور الصلاة، وسور القرآن التي اهتمت بالشؤون الأسرية مثل النور والأحزاب، وسور القرآن التي يكثر قراءتها مثل: يس، والمملك؛ وقد ترك مجموعة طيبة من دروس التفسير، وإن كان لم يقسّر القرآن كاملا، وقد تم تحويل درسه الشفهي حول تفسير سورة الكافرون إلى درس مكتوب في إطار مذكرة ماستر من إعداد الطالب: يحيى أولاد داود؛ وبقيت السور التي قام بتفسيرها وهي تبلغ 35 سورة مع آية الكرسي وآية "آمن الرسول" تنظر من يقوم بتنزيلها إلى التفسير المكتوب حتى يعم نفعها وينتشر خيرها.

الشيخ محمد أرشوم فسر مجموعة من سور الصلاة بالإضافة إلى سورة الطور وسورة الواقعة، وقد تم بحمد الله تنزيل مجموعة من دروسه من طرف مجموعة من الطالبات والمتخرجات من معهد الفتح بإشراف الدكتور حسن دبوز، ومراجعة الأستاذ إبراهيم العساكر والدكتور محمد تمزغين، ومع ذلك فإن بعض السور القرآنية مثل سورة الطور، قد تم تحويلها إلى المكتوب إلا أنها تنتظر المراجعة والتحرير من أجل أن تطبع.

التوصيات:

- التوصية الأولى: إنشاء مخبر للعلوم الإسلامية من أجل رصد التراث المخطوط والشفوي للمفسرين الجزائريين، والعمل على حصره وحفظه وتوثيقه وتحقيقه ودراسته، وإخراج موسوعة للمفسرين ترصد جهودهم ونتائجهم رسدا دقيقا، والسعي من أجل إخراج هذا التراث العلمي بما يعزز الثوابت الوطنية، وتحقيق الاعتزاز بالهوية، ويخدم المجتمع الجزائري ويربطه بكتاب الله العزيز.

- التوصية الثانية: تحكيم المجلس العلمي لمنهجية علمية دقيقة في طريقة تحويل التفسير الشفوي إلى تفسير كتابي، من أجل تمكين طلبة الماستر والدكتوراه من إنجاز مذكراتهم وأطروحاتهم في إطار مشروع تحويل التفسير الشفوي الجزائري إلى تفسير كتابي

يراعي الأمانة العلمية، ويسهم في الحفاظ على تراث الأمة الجزائرية.

كشاف المصادر والمراجع

- الإبراهيمي محمد البشير، أثار الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1997م
- أرشوم محمد بن بكير: صفحات مشرقة من مسيرة الشيخ بكير بن محمد أرشوم رحمه الله 1927-1997م، ط1، د.ن، 1408هـ-2007م.
- أرشوم محمد بن بكير: المعين على الخشوع تفسير مجموعة من قصار السور من دروس الشيخ محمد بن بكير أرشوم، تحرير: إبراهيم العساكر، محمد تمزغين، ط1، 1446هـ-2024م
- أولاد داود يحيى، تفسير الشيخ بكير أرشوم لسورة الكافرون تحقيق ودراسة لغوية ولغوية اجتماعية، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، جامعة غرداية، الموسم الجامعي: 1437-1438هـ/ 2016-2017م
- ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث، قسنطينة 1983م.
- باباعبي محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1421هـ-2000م
- بعوشي عبد الله بن باعلي: مسارات رجل حمل مشروع أمة، الفقيه المصلح الشيخ محمد بن بكير أرشوم، د.ن، د.ت،
- بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، ط2، جمعية التراث القرارة-غرداية.
- خالد مهدي، الإمام محمد البشير الإبراهيم وتفسير القرآن، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد 12

- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر.

دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة.

معالم التفسير الشفوي في الجزائر الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله أنموذجا

ط. د. وليد حمزه - جامعة أحمد درايعية - أدرار

كمال منصر - جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

الملخص:

يتناول البحث معالم التفسير الشفهي في الجزائر بتتبع تعريفه لغةً واصطلاحاً وبيان الفروق المنهجية والوظيفية بينه وبين التفسير المؤلف. يستعرض البحث نماذج جزائرية تاريخية وحديثة لتدريس تفسير القرآن شفهيًا، ثم يقدم ترجمة علمية وتحليلًا لمنهج الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله الذي ختم تفسيره شفهيًا بين 1981م و2004م، مبينًا خصائص منهجه، وموضحا استفادته من اتجاهات تفسيرية معاصرة موضوعية وتحليلية وعقدي. يخلص البحث إلى أن التقليد الشفهي في الجزائر ثري ومؤثر، وأن منهج الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله تميّز بالبساطة والواقعية مع تركيز خاص على آيات التزكية.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الشفهي، الجزائر، عثمانى، قرآن، منهج.

Research Abstract:

This paper explores the features of oral Qur'anic exegesis in Algeria, beginning with its linguistic and technical definitions and clarifying the methodological and functional differences between oral and written exegesis. It reviews both historical and contemporary Algerian models of oral Qur'an teaching, and provides a scholarly biography and analytical study of Shaykh 'Abd al-Qadir 'Uthmani, who completed his oral tafsir between 1981 and 2004. The paper highlights the distinctive features of his methodology and his engagement with contemporary exegetical approaches thematic, analytical, and doctrinal. The study concludes that the oral tradition of tafsir in Algeria is rich and

influential, and that Shaykh ‘Abd al-Qadir ‘Uthmani’s approach was characterized by simplicity and realism, with a special emphasis on verses of spiritual purification.

Keywords: Tafsir, Oral, Algeria, ‘Uthmani, Qur’an, Methodology.

مقدمة:

يأتي هذا البحث ضمن الجهود العلمية التي تسعى إلى دراسة ظواهر التفسير وطرائق إيصال معاني القرآن الكريم للناس، ويتناول بالبحث موضوع التفسير الشفهي، وهو أقدم أنماط التفسير وأوسعها انتشاراً في الأمة الإسلامية.

وتنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية هي: ما المقصود بالتفسير الشفهي؟ وكيف تجلّت هذه المعالم في تجربة مفسّرين جزائريين، وأنموذجاً في ذلك الشيخ عبد القادر عثماني رَحِمَهُ اللهُ؟

ومن هذا المنطلق يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المتصلة بمضمون المادة المتوفرة فعلياً، وهي:

- ضبط مفهوم التفسير الشفهي.
- إبراز الفروق بين التفسير الشفهي والتفسير المؤلّف الكتابي.
- عرض نماذج من المفسّرين الجزائريين الذين مارسوا التفسير الشفهي عبر العصور، سواء قبل ابن باديس أو في عصوره وما تلاها.
- تقديم ترجمة علمية لشيخنا المختار أنموذجاً الشيخ عبد القادر عثماني رَحِمَهُ اللهُ، والوقوف على مناهجه وأدواته التفسيرية في دروسه الشفوية.
- استقصاء توظيفه لبعض اتجاهات التفسير المعاصرة التحليلي، الموضوعي، العقدي...، وبيان أثر ذلك تربوياً وإصلاحياً.
- وللإجابة عن الإشكالية المطروحة؛ فقد تطلب البحث انتهاج منهجين اثنين المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي.

وللإحاطة بالبحث من جميع جوانبه فقد جعلناه في مبحثين يسبقهما مقدمة ويلهما خاتمة، كالتالي:

— مقدمة: عرضنا فيها الإشكالية الدافعة إلى بحث الموضوع، وأهدافه والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.

— المبحث الأول: مفهوم التفسير الشفهي: وفيه تم التعريف بالتفسير الشفهي لغويا وإصطلاحيا، وبيان الفرق بينه وبين المكتوب، وعرض جملة من المفسرين الجزائريين الذين انشغلوا بتفسير القرآن الكريم تدريسا.

— المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله ومنهجه في التفسير: وفيه ترجمنا للشيخ أولا، ثم عرضنا منهجه في تدريس التفسير عموما، وختمنا المبحث بذكر بعض اتجاهات التفسير المعاصرة التي مشى عليها.

— خاتمة: تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، وأبرز التوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التفسير الشفهي

المطلب الأول: التعريف بالتفسير الشفهي

التفسير الشفهي مصطلح مركب من التفسير والشفهي لذا نعرف هذه المصطلحات:

الفرع الأول: تعريف التفسير

لا شك أن الوصول إلى أي مفهوم اصطلاحى يتطلب المرور عبر معناه اللغوي، وقد تنوعت أقوال أهل اللغة في معنى التفسير، فقال ابن منظور في لسان العرب: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسرة: أبانه، والتفسير مثله... والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل".⁽¹⁾

وقال ابن فارس في المعجم: "الفسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته".

(1) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، ط3،

دار صادر، بيروت، 1414هـ، 55/5.

وقيل: "هو مأخوذ من قولهم: فَسَّرْتُ الحديثَ، أَفْسَرُهُ فَسْراً؛ إذا بَيَّنَّته وأَوْضَحَّته. وَفَسَّرْتُهُ تَفْسِيراً: كذلك".⁽¹⁾

وقريب منه قول الفيروزآبادي: "الْفَسْرُ: الإِبَانَةُ، وَكَشْفُ الْمُغْطَى".⁽²⁾

وقال الخليل في باب السين والراء والفاء معهما: "الْفَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وَفَسَرَهُ يَفْسِرُهُ فِسْراً، وَفَسَرَهُ تَفْسِيراً".⁽³⁾

فمُجْمَلُ أقوالهم إذن تدور حول الإبانة والكشف والإظهار.

والجدير بالملاحظة من التعاريف السابقة أن التفسير يُستعمل لغةً في الكشف والبيان الحَبِّي، وفي الكشف والإظهار عن المعاني المعقولة، وهو في الثاني أكثر استعمالاً.

وعلى المعنى اللغوي لِلْفَظِ التفسير بنى العلماء تعاريفهم الاصطلاحية له، فقال ابن جزي بأنه "شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه".⁽⁴⁾

وعرّفه الزركشي أنه "علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه

(1) جُمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، 718/2.

(2) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، 1426هـ/2005م، ص456.

(3) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، دار ومكتبة الهلال، 247/7.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقق: عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ، 15/1.

واستخراج أحكامه وحكمه"⁽¹⁾. وقريبٌ منه تعريف السيوطي⁽²⁾.

وعرفه الزرقاني بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام"⁽³⁾. وعرفه أيضا بقوله: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"⁽⁴⁾.

وعرفه أبو حيان بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"⁽⁵⁾.

الفرع الأول: تعريف الشفهي

قال ابن فارس: "... وأما الشفة فقد قيل فيها إن الناقص منها واو يقال: ثلاث شفوات، ويقال رجل أشفى، إذا كان لا ينضم شفتاه، كالأروق... وقال قوم: الشفة حذفت منها الهاء، وتصغيرها شففة، والمشافهة بالكلام، مواجهة من فيك إلى فيه. ورجل شفاهي: عظيم الشفتين، والقولان محتملان، إلا أن الأول أجود لمقاربة القياس الذي ذكرناه، لأن الشفتين تشفيان على الفم"⁽⁶⁾.

فتحصل أن يقال تفسير شفهي أو شفوي، وعليه إذا كانت النسبة إلى المفرد شَفَّةً؛ كان

(1) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ/1957م، 13/1.

(2) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، 4/195-192.

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقق: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/1995م، 6/2.

(4) المصدر نفسه، 107/2.

(5) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أنير الدين الأندلسي، تحقق: صديق محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 26/1.

(6) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 2/3. لسان العرب، ابن منظور، ص337.

القول تفسير شفهي أو شفوي، فالإطلاق الأول قياسي، أما الثاني فهو سماعي، والسماعي قد يرقى إلى درجة القياسي بسبب⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير المؤلف والشفهي

يمكن إجمال الفروق بين التفسير الشفهي والتفسير الكتابي في جملة من النقاط المنهجية، أبرزها:

1. السبق الزمني: التفسير الشفهي أسبق ظهوراً من التفسير الكتابي، إذ كان النبي ﷺ أول من فسر القرآن شفوياً.
2. الهيبة والمكانة: للتفسير الشفهي وقع وهيبة خاصة، تعكسها مكانة الشيخ أو المفسر بين علماء عصره وبلده.
3. قوة التأثير: الدرس الشفهي أبلغ أثراً من المكتوب المقروء، لأنه يخاطب جميع فئات المجتمع على اختلاف مستوياتهم.
4. مراعاة دلالة النص للسامعين: المفسر شفوياً يراعي دلالة النصوص بالنسبة للحضور، بخلاف كثير من التفاسير المكتوبة التي تصاغ بطريقة عامة مجردة.
5. التيسير ومراعاة حال المتلقي: يغلب على المفسر شفوياً أن ييسر عبارته ويبسط معانيه بما يلائم مقتضى حال السامعين، وإن كان ذلك موجوداً في بعض التفاسير المكتوبة إلا أنه في الشفهية أوضح وأغلب.
6. الاجتهاد في شد الانتباه: يحرص المفسر شفوياً على تنويع أسلوبه لجذب الانتباه ودفع الملل الذي قد يطرأ على بعض المجالس، بخلاف المفسر كتابياً الذي يسير على منهج مقرر في مقدمة كتابه، ويترك للقارئ حرية اختيار ما يناسبه من مباحث.
7. كثرة الاستطراد: يكثر المفسر شفوياً من الاستطراد بحسب ما تقتضيه طبيعة المجلس والأسئلة المثارة، بينما يلتزم المفسر كتابياً بخطة بحث محددة ومنهج تأليف مضبوط.

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1405 هـ / 1985 م، ص 272.

8. معالجة قضايا العصر: يركز المفسر شفوياً على القضايا الراهنة والمسائل المطروحة في زمنه، بينما يحرص المفسر كتابياً على صياغة مادته لتكون صالحة للقراءة من المعاصرين ومن يأتي بعدهم.

9. الرد على الانحرافات الفكرية: يستغل المفسر شفوياً مجالسه لتصحيح المفاهيم ومعالجة الانحرافات الفكرية التي يلحظها في عصره، وهو ما لا يتأتى بنفس الدرجة في التفسير الكتابي.

10. الاختصار على الأهم وتجنب الإملال: يميل المفسر شفوياً إلى الاختصار في عرض الخلافات وتعدد الأقوال؛ تجنباً لإملال الحاضرين، بخلاف التفسير الكتابي الذي يورد الأقوال على نحو موسع ليفيد القارئ المتخصص.

المطلب الثالث: نماذج من الجزائريين الذين فسروا القرآن الكريم شفهيًا⁽¹⁾

إنَّ خُتم القرآن الكريم تفسيراً شفوياً يعدّ منقبة علمية كبرى، ومظهراً من مظاهر خدمة كتاب الله تعالى وتعظيمه، وهو تقليد راسخ في البيئة العلمية الجزائرية منذ قرون. فقد عرفت الجزائر في حواضرها الكبرى وزواياها العريقة حلقات منتظمة لتفسير القرآن الكريم، كان العلماء يتعاهدون فيها كتاب الله بالبيان والشرح، ويختمونه على مدى سنوات طويلة من التعليم والمثابرة. وفي هذا المطلب نعرض نماذج من هؤلاء الأعلام قبل الإمام عبد الحميد بن باديس وبعده، ثم نختم بذكر أبرز المفسرين المعاصرين الأحياء، ليتضح كيف ظلّت هذه السلسلة العلمية متصلة عبر الأجيال.

الفرع الأول: النماذج السابقة لابن باديس

• أبو عبد الله الشريف التلمساني ت 771هـ: يُعدّ الشريف التلمساني من أقدم من عُرف بختم القرآن تفسيراً في المغرب الأوسط، إذ جعل تفسير كتاب الله مشروع حياته العلمي، فعكف على دروس التفسير مدة ربع قرن كامل، وكان يفسر ربع حزب يومياً بلا انقطاع. وقد

(1) المفروض منهجياً-أن يُقدّم لكل واحد من هؤلاء الأعلام المفسّرين ترجمة تعريفية موجزة-على الأقل-، غير أنّ ضيق المجال حال دون ذلك، فاكفينا بالإحالة إلى المصادر والمراجع التي تناولت تراجمهم لمن أراد التوسع.

اتسمت دروسه بالصرامة العلمية والعمق اللغوي، حيث برع في الإعراب والقراءات وضبط المعاني، ما جعل مجلسه قبلة للعلماء والطلبة، بل وحتى الملوك وشيوخ الزوايا الذين كانوا يحضرون للاستفادة. وصل في التفسير إلى الآية 171 من سورة آل عمران، فمرض نحو ثمانية عشر يوماً ثم مات⁽¹⁾.

● **مخلوف الثعالبي الجزائري ت 851هـ:** كان رَحِمَهُ اللهُ من علماء الجزائر الذين اشتهروا بالجمع بين التدريس والتأليف، فقد اعتمد في حلقاته على تفسير ابن عطية؛ يقرأه على الطلبة ويشرحه، ثم لم يكتفِ بذلك بل اختصره وصنف كتابه الجواهر الحسان ليكون زاداً مختصراً للطلبة، ثم أتم به ختم القرآن الكريم كاملاً⁽²⁾.

● **أبو عبد الله التلمساني الحسني ت 895هـ:** حيث كان يعد من كبار علماء تلمسان في عصره، ومما ذكر عنه أنه لما وصل إلى تفسير سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يوماً والمعوذتين يوماً

سمع بها الوزير وأراد الحضور، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوماً واحدا خيفة حضور الوزير عنده⁽³⁾.

● **محمد بن خليفة الجزائري ت 1094هـ:** كان ابن خليفة من أبرز علماء العاصمة، حيث خصص دروساً منتظمة في الجامع الأعظم، وختم فيها القرآن تفسيراً قبل وفاته⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: الإمام ابن باديس والنماذج اللاحقة له

● **عبد الحميد بن باديس 1889-1940م:** أعاد ابن باديس الاعتبار لمجالس التفسير بعد فترة ركود طويلة، فبدأ دروسه سنة 1914م بالجامع العتيق الأخضر بقسنطينة بعد

(1) ينظر: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، تحقق: عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2014م، ص118. آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، 5/163-164.

(2) ينظر: طبقات الحضيك، تح: أحمد بومزكو، الطبعة: 1، 2006م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 536/2، فهارس علماء المغرب، عبد الله المرباط الترغي، منشورات كلية الآداب، تطوان، 1999م، ص62.

(3) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 1/161.

(4) ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، 1/108.

صلاة الفجر، واستمر فيها خمساً وعشرين سنة كاملة حتى ختم القرآن يوم 12 جوان 1938م. وقد اتسم منهجه بالجمع بين التحليل اللغوي والشرعي، واستخراج المعاني التربوية والإصلاحية، فكان يربط بين النص القرآني وواقع الأمة، ويبعث في النفوس روح المقاومة ضد الاستعمار. وتم جمع هذه الدروس في كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير الذي صار مرجعاً في التفسير الإصلاحي⁽¹⁾.

• **العربي التبسي ت 1376هـ:** كانت دروسه في تفسير القرآن الكريم بالجامع الكبير بمسقط رأسه مدينة تبسة إلى أن ختمه في آخر سنة 1956، كان ذلك قبل استشهاده ببضعة أشهر فقط.

وقيل إن تدرسه للتفسير دام اثنين وعشرين سنة، كان يبدأ تفسيره بالـ سور القصار وتنقل منها إلى أن أتم تفسير سورة البقرة⁽²⁾.

• **محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965م:** واصل الإبراهيمي رسالة ابن باديس في التعليم القرآني، وكان يلقي عشرة دروس يومياً، منها درس للتفسير بين المغرب والعشاء. وتميزت دروسه بالعمق التحليلي والربط بين القرآن وقضايا التحرر الوطني، حتى أصبحت مجالسه منابر لتعبئة الأمة وبث روح النهضة فيها⁽³⁾.

• **إبراهيم بيوض ت 144هـ:** يعد الشيخ بيوض عميد الحركة الإصلاحية الإياضية، وقد أطلق مشروعه التفسيري سنة 1950م بمدينة القارة بغرداية، واستمر فيه أربعين سنة متواصلة حتى ختمه في حفل رسمي حضره العلماء والوجهاء وطلبة العلم⁽⁴⁾.

(1) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، 252/2.

(2) ينظر: أعلام الإصلاح من عام 1921م إلى عام 1975م، محمد علي دبوز، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، 44/2.

(3) ينظر: مقال بعنوان محمد البشير الإبراهيمي، خالد النجار، منشور على موقع الألوكة، ص 7، على الرابط التالي: [/https://www.alukah.net/culture/0/44043](https://www.alukah.net/culture/0/44043)

(4) ينظر: مقدمة في رحاب القرآن، مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر بن محمد المرموري، ط 1، 1417هـ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.

- عبد المجيد بن علي حبة ت 1992م: قام بتفسير القرآن كاملاً في جامع عقبة بن نافع بـبـسـكـرة بين سنتي 1940 و 1952م، وكانت دروسه مقصداً لطلبة العلم وأعيان المنطقة، وتميزت بالجمع بين شرح المعاني وتوجيه الناس توجيهاً إصلاحياً⁽¹⁾.
- بالحاج بن عدّون قشار 1924-1996م: بدأ تفسير القرآن سنة 1956م ببلدة بنورة بغرداية، واستمر فيه أربعين سنة حتى ختمه في سنة وفاته، ما يعكس طول نفسه وصبره على خدمة القرآن⁽²⁾.
- عبد الرحمن شيبان 1918-2011م: داوم على إلقاء الدروس في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثقافية في العاصمة وغيرها من ولايات الجزائر⁽³⁾.
- أبو بكر جابر الجزائري 1921-2018م: خدم القرآن من خلال دروسه في المسجد النبوي بالمدينة المنورة على مدى نصف قرن تقريباً، وختم فيها التفسير أكثر من مرة، ثم جمعها في كتابه أيسر التفاسير إلى كلام العلي الكبير الذي أصبح مرجعاً للتدريس والدعوة⁽⁴⁾.
- محمد الطاهر آيت علجت ت 2023م: بدأ الشيخ الطاهر دروس التفسير منذ السبعينات، واستمر فيها عقوداً طويلة حتى ختم القرآن سنة 2015م، ثم جمعها في أربعة عشر مجلداً بعنوان نفحات الرحمن في رياض القرآن، وهو مشروع ضخم يجمع بين الأصالة والعمق وسهولة الأسلوب⁽⁵⁾.

(1) ينظر: ترجمته على موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: عبد الحليم صيد، 2018/12/15، على الرابط

التالي: <https://shamela-dz.net/?p=1336>

(2) ينظر: ترجمته على موقع المسجد الكبير العتيق الإياضي، بقلمه، 2024/09/21، على الرابط التالي:

[/https://tagherdayt.com](https://tagherdayt.com)

(3) ينظر: مقال بعنوان الشيخ عبد الرحمن شيبان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية، قادري محمد الصديق، مجلة المعيار، المجلد 22، العدد 2: 2018، الصفحة 147-162.

(4) ينظر: مقال بعنوان الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر، المسعود جمادي، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد 22: سبتمبر 2022، الصفحة 627.

(5) ينظر: مقال بعنوان المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفها، منير زيباني، منشور بمجلة

مجلة الحضارة الإسلامية، عدد 1: جوان 2022م، ص 25.

- الشيخ التواتي بن التواتي مواليد 1943م: اشتهر بدروسه التعليمية والوعظية، وكان من أهمها دروسه في التفسير ألقاها في المساجد؛ ثم جمعت في كتاب كبير في التفسير موسوم بالدر الثمين في تفسير الكتاب المبين في 20 مجلد.
 - الشيخ محمد كعباش مواليد 1929م: بداية من سنة 1972م بدأ ينتقي لجمهور الآباء والأمهات من عمار المسجد العتيق بعض السور القصار لتفسيرها وبيان فضلها ومعانيها، وبعد إتمام تفسير هذه السور شرع في تفسير القرآن الكريم كاملا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس في دروس منتظمة من سنة 1985م، والذي أسماه: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، إلى أن أتم تفسيره سنة 2015. ثم بعد ذلك حرره في تفسير، يقع في أربعة عشر مجلد إضافة للفهارس المتنوعة⁽¹⁾.
- ولا تزال جهود عدد من الأئمة والدعاة المعاصرين في ولايات متعددة تواصل هذا التقليد، سواء عبر دروس المساجد أو البرامج الإذاعية والتلفزية، مما ساهم في تعزيز الثقافة القرآنية وإحياء مجالس التفسير في المجتمع الجزائري.

المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله ومنهجه في التفسير

المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله⁽²⁾ ومنتوجه العلمي في التفسير

هو عبد القادر عثمانى شريف النسب حسني يصل نسبه إلى النبي ﷺ، فهو عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان بن علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق بن عمر بن أحمد بن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يونس بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن أحمد بن حسين بن سعد بن يحيى بن محمد بن يوسف بن لقمان بن علي بن مهدي بن صفوان بن يسار بن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب

(1) ينظر: ترجمته على موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: محمدي مصطفى بن عمر، 2017/9/9، على الرابط التالي: <https://shamela-dz.net/?p=638>

(2) استفدنا ترجمته من مخالطنا الشخصية به، ومن كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأمان في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر عثمانى، لعبد القادر بومعزة. ومن دورية صادرة عن المجلس الشعبي الولائي لولاية بسكرة بعنوان: السيرة العطرة لفضيلة الشيخ عبد القادر عثمانى.

كرم الله وجهه.

ولد في طولقة سنة 1348هـ الموافق لـ 1929م، من العائلة الشريفة عثمانى، وهي عائلة مشهورة بطولقة وهي عائلة سيدي علي بن عمر وما أدراك ما هي هي ولا غرو؛ العائلة التي انبثق من أرجائها نصور العلم والعرفان على نواح شتى من أنحاء القطر الجزائري، بل والقطر التونسي ومصر أيضا، ولقد كانت بلدة طولقة على صغرها وانحيازها مقصدا للراغبين في الاعتراف من معين العلم بالزاوية.

عاش الشيخ في بيئة كلها ورع وتقوى وصلاح، كيف لا وأسرته من آل البيت يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33].

كان الشيخ عبد القادر عثمانى شخصية دينية عربية جزائرية بأتم معنى الكلمة. كان ورعا متمسكا بدينه كل التمسك، معتدا به كل الاعتداد، معتزا بشخصيته الإسلامية الجزائرية، شامخا بها لا يرضى عنها بديلا.

كان الشيخ رحمه الله نموذجا مثاليا للمسلم الصالح، اهتم بالعلم والعلماء ويولي عناية كبيرة للقرآن والحديث الشريف وعلومهما وبقي هذا ديدنه وديدن خليفته من بعده نجله الشيخ سعد إلى يومنا هذا.

تلقى رحمه الله دراسته كلها في الزاوية المذكورة، وأتم حفظ القرآن الكريم كاملا وهو في سن الحادية عشرة على الشيخ المقرئ مليكي ناجي بن عزوز، ودرس علوم الفقه والنحو والتفسير والبلاغة والعروض على العالم المتفنن إبراهيم بن الحسن البوزياني ضيف الله الذي كان من كبار شيوخ الزاوية المدرسين، كما تلقى الفقه كذلك والمنطق والفرائض على أخيه الشيخ عبد الرحمان عثمانى صاحب كتاب الدر المكنوز، وأخذ أيضا النحو والبيان على الشيخ المفتي العباس عثمانى، كما تتلمذ أيضا لأساتذة أكفاء آخرين مثل الشيخ المدرس محمد الدراحي والشيخ الشاعر عبد الله بن المبروك عثمانى الطولقي دفين المدينة المنورة.

بعد تخرجه وتمكنه من هذه العلوم تولى منصب الإمامة سنة 1972-1974، وبعد وفاة شيخ الزاوية عبد الرحمان عثمانى سنة 1966م وقع التعيين والاختيار على الأستاذ عبد القادر خلفا لأخيه.

وحين تولى رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مشيخة الزاوية العثمانية، قام بواجبه نحو الزاوية أحسن قيام، وعمل فيها بجد نادر تم من خلاله مواصلة إقامة الصلوات فيها وتحفيظ القرآن للطلبة وتدريس العلوم الشرعية لهم واستقبال الضيوف والباحثين من شيوخ وأساتذة ومحققين وطلبة جامعيين وغيرهم حيث يبقون في ضيافة الزاوية حتى يتم لكل واحد منهم هدفه المنشود في مكتبة العائلة العثمانية الزاخرة بأنواع الكتب المطبوعة المفيدة والمخطوطات النادرة.

كما تولى رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ رئاسة المجلس العلمي بنظارة الشؤون الدينية في بسكرة في سنة 1993م ثم عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1998م

ساهم رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في الحركة العلمية والدينية والثقافية برصيد ثري متنوع وهذه بعض آثاره:

ساهم في تحرير فصول الكتب المدرسية في مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية لمرحلي المتوسط والثانوي، في سلسلة: المختار في قواعد اللغة العربية. والمختار في التربية الإسلامية.

تولى رئاسة المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية بولاية بسكرة سنة 1993، وعين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1998، وما لبث أن لزم بيته منذ ظهور الوباء سنة 2019 ثم خرج من اعتكافه ورجع للتدريس في عيد الأضحى سنة 2022.

من أجل أعماله ختمه لتفسير القرآن الكريم ابتداء من 1981 وختمه يوم الجمعة 19 صفر 1425 هـ الموافق ل 09 أفريل 2004م، ولكنه كان شفويا ولم يسجل لا صوتيا ولا ورقيا⁽¹⁾. أبان خلال تفسيره عن معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته، فإنه فيه الغاية التي ينتهي إليها، والنهاية التي يُعول عليها. ولقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها.

درّس من الكتب متن ابن عاشر، ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ورسالة

(1) وقد قصدنا سيدي سعد عثمانى ابنه لنسأله عن كيفية تحضير الشيخ للدروس وماهي مصادره ومراجعته، فأفادنا-حفظه الله-بأوراق قمنا بترتيبها على سور القرآن، وهي قرابة 750 صفحة بخط يده.

الفلك للإمام محمد بن يوسف السنوسي.

وكان يهتم بالسيرة النبوية، وكتب عنها وعن الإسراء والمعراج وعن المولد النبوي.

وكتب عن تراجم الشيخ خليل صاحب المختصر، وعن سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري صاحب طريق الرحمانية وعن الشيخ شيبان عبد الرحمان.

كانت للشيخ عبد القادر عثمانى علاقات ولقاءات بمجموعة من العلماء حيث التقى سنة 1953م بعد عودته من أداء فريضة الحج بالشيخ محمد الخضر بن الحسين 1876-1958م شيخ الأزهر في ذلك الوقت. وزيارته إلى الشيخ زين العابدين بن الحسين 1888-1977م الفقيه اللغوي شقيق العلامة محمد الخضر الحسين بدمشق.

ومن الشخصيات العلمية التي كانت له معهم علاقات وطيدة الشيخ متولي الشعراوي 1911-1998م والذي حضر في افتتاح وتجديد مسجد الزاوية سنة 1968م وألقى محاضرة مطولة.

كذلك علاقته بالشيخ عبد الحليم محمود 1910-1978م شيخ الأزهر، وكان بينهما مراسلات علمية عديدة.

توفي رَحِمَهُ اللهُ يوم الثلاثاء 02 رجب 1444 من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الموافق 24 جانفي 2023 ميلادية في جو جنائزي مهيب وبقلوب مؤمنة راضية بقضاء الله وقدره دفن جثمانه الطاهر صباح يوم الأربعاء 25 جانفي 2023 بروضة أسرته الكريمة بجوار ضريح الشيخ الجليل علي بن عمر ولد الشيخ عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان بن علي بن عمر بن أحمد بن الموفق من سلسلة النسب الشريف.

المطلب الثاني: منهج الشيخ عبد القادر عثمانى رَحِمَهُ اللهُ في التفسير

إن المهتمين بتفسير كتاب الله وفهمه لا يمكن لهم أن يغفلوا عن مجموع الأصول الضابطة لهذا الباب الهام، والحديث عن مقتضيات فهم وتفسير القرآن الكريم عند الشيخ عبد القادر عثمانى رَحِمَهُ اللهُ هو جزء لا يتجزأ عن البحث في أصول التفسير، والذي تابع منهج الشيخ من خلال دروسه الشفهية وكذا الأوراق التي كان يحضر منها، وسنعرض منهجه رَحِمَهُ اللهُ

من خلال استقراء ما كتبه وما ألقاه شفهيًا.

أولاً: التركيز على الجانب التزكوي الأخلاقي:

كان مما دأب عليه الشيخ رحمته الله والتزم به هو الاطناب في الحديث عن مكارم الاخلاق، وكذا التركيز على الجانب المعاملاتي في كل دروسه، ومنها عند تفسيره قول الله تعالى: "...﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾﴾ [الإسراء: 26] تنبيهه عن المخالفات في الأعراس والجنائز وذهاب الحجاج واستقبالهم وما يكون من تبذير وإسراف في الإطعام والمصاريف غير المشروعة.

وأما في الجانب الأخلاقي فقد كان يتوسع في الحديث عن الصدق، والتحذير من الكذب، ويأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويوصي كثيرا ببر الوالدين والإحسان إلى الجار، وتوقير الكبير والعطف على الصغير وغيرها من مكارم الأخلاق.

ثانياً: تفسير القرآن بالقرآن:

لقد كان الشيخ رحمته الله آية في الحفظ والاستدلال بالقرآن وكأنما يُعرض أمام عينيه صفحة صفحة ومن ذلك تفسيره للظلم سيأتي لاحقاً.

ثالثاً: تفسير القرآن بصحيح السنة⁽¹⁾:

وهذا ما أكد عليه الشيخ رحمته الله كغيره من أئمة التفسير، إذ لا يُصار إلى غير الصحيح بوجود الصحيح، ومنها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] استدلال بواقعة ابن عمر رضي الله عنهما حينما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها.

ولكن الشيخ كان أحياناً يذكر الحديث بالمعنى لأنه بصدد التدريس للعوام وليس لطلبة العلم المتخصصين.

(1) وفرق بين قولنا بالسنة وقولنا بصحيح السنة، إذ يكاد يتفق المفسرون على مصدرية السنة في التفسير، لكنهم اختلفوا في تنزيل ذلك وتطبيقه بين متوسّع في ذلك، وآخر ملتزم بالصحة في الاحتجاج بالسنة في التفسير، خذ على سبيل المثال لذلك الفرق بين تفسير الدر المنثور للسيوطي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ولا يخفى عليك الفرق حينئذ.

رابعاً: الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين:

ومن ذلك حين وصل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبَذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: 26-27] استدل بقول لسيدنا عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس يقول، التبذير هو الإنفاق في غير حق، ويقول مجاهد المفسر التابعي المعروف، لو أن رجلاً أنفق ماله كله في الحق لم يكن مبذراً.

خامساً: الأخذ بمطلق اللغة:

فلطالما وظّف الشيخ رحمه الله اللغة في تفسيره، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23] قال:

القضاء هو الأمر لقوله تعالى: "وقضى ربك

والقضاء الخلق لقوله تعالى: "فقضاهن سبع سماوات

والقضاء بمعنى الحكم لقوله تعالى: "فاقض ما أنت قاض...

والقضاء بمعنى الفراغ لقوله تعالى: "قضى الأمر...

والقضاء بمعنى الإرادة لقوله تعالى: "إذا قصة أمرا...

والقضاء بمعنى العهد لقوله تعالى: "وما كنت بجانب الغربي...

سادساً: مراعاة السياق:

واعتباره بهذا الضابط ظاهر خلال تفسيره لكلام الله تعالى، لأن الكلمة الواحدة قد ترد في القرآن لعدة معان. ولكن هذا الضابط مرتبط بثلاثة أمور هامة:

- إنما يتحدد المعنى المراد من بعض الكلمات بحسب السياق.
 - أحياناً لا يكون السياق قاطعاً، فلهذا قد تحتل الكلمة أكثر من تفسير.
 - أن مما يدخل أيضاً في مراعاة السياق، ورود الشيء الواحد بألفاظ عدة، وهذا ليس من باب الترادف، وإنما هو التعبير عن الشيء الواحد بألفاظ مختلفة.
- سابعاً: ملاحظة أسباب النزول:

فمعرفة أسباب النزول من أهم معالم فهم وتفسير القرآن العظيم عنده ﷺ، مع مراعات بعض الضوابط التي نسوغها في النقاط التالية:

- أن سبب النزول سبيل يقودنا لفهم المعنى القرآني.
- أن ما صح من أسباب النزول قليل جدا، ولهذا ينبغي على المفسر الاستيثاق من صحة السبب.
- أن من أسباب النزول ما يزيل إشكالا.
- أن من أسباب النزول ما يكون به معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- أن العمل بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مبني على الاستيثاق من وجود العامة.

ثامنا: اعتبار القرآن يقعد به ولا يقعد له:

لأن التسليم بذلك أو عدمه سيظهر في ثنايا تفسير المفسر واتجاهه، فكم من مفسر انقاد وراء اعتقاداته وأفكاره السابقة فوقع في الزلل، وأصبح يفرض نفسه على القرآن ويفسره حسب هواه، ولهذا فلا بد للمفسر أن يقف من القرآن موقف المتلقي والمحكوم لا الحاكم، وأن ينظر للقرآن على أنه الأصل الذي يرجع إليه، فلا ينبغي أن يرجع المفسر لمذهبه ويجعل القرآن فرعا.

تاسعا: الإسقاط على الواقع:

كان مما ميّز تفسير الشيخ إسقاطاته العجيبة على الواقع، ومن ذلك عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾. قال: "يعني اقرا وتعلم باش تستفيد وتتمتع وتفرح، المسلمين كانوا غافلين وما زالوا قالوا خلي هذه النصارى واليابان، احنا عندنا دراهم البترول، دراهم الضرائب، خلي الكفار يخدموا واحنا نشروا عليهم، نشروا عليهم حتى الشئ لي ناكلوه ونداووا بيه يعني هو ما ينتجوا وحنا ناكلوا والي يأكل أكثر من لي ينتج؛ هذا رايح لخسارة المحققة سواء فرد أو شعب أو دولة..."

عاشرا: توظيفه العلوم الحية:

ومن ذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ [النحل:79] قال رحمه الله: الطير لا يلد، ليس عنده مئانة، ليس عنده معدة حوصلة، لا يوجد عنده خرزات الظهر، ليس عنده جلد خشن، ليس عنده حوافر، صوف ولا شعر لأنها لا تساعده على الطيران. ثم قال: هذا يزيد المؤمن إيمانا وتوحيدا وطاعة.

المطلب الثالث: توظيفه اتجاهات التفسير المعاصرة

كان رحمه الله يوظف الاتجاهات المعاصرة التي انتشرت بين المفسرين المعاصرين تدريسا أو تأليفا، ومن أشهرها: التفسير التحليلي، الموضوعي، المقارن، الإجمالي... وغيرها والناظر في التفسير الشفوي والمكتوب بخط يده يجد أنه قد جمع بين هذه الألوان الأربعة، ولكن الذي كان أكثر بروزا في تفسيره هو التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي.

الفرع الأول: التفسير الموضوعي

كان للتفسير الموضوعي الحظ الأوفر فيما اعتمده الشيخ، فكان رحمه الله إذا استعرض موضوعا ما يأتي بالعديد من المواضع التي ذكر فيها هذا الموضوع، وسأكتفي بمثال واحد، وهو في تفسيره لسورة إبراهيم عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:42] أتى بأزيد من ثلاثين موضعا ذكر فيها الظلم: قال تعالى:

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:68]

﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:47]

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:150]

﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصاص:21]

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم:11]

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعِدْرُهُمْ﴾ [الروم:57]

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سبأ:42].

﴿وَمَا أَوَاهُمْ النَّارُ وَبُسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:151]

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى:45]

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:22]

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان:37]

﴿وَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل:85]

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الصفاء:22]

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:14]

﴿قَوِيلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف:65]

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [يونس:52]

﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم:13]

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:82]

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج:53]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة:114]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً﴾ [البقرة:140]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الكهف:57]

﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الفرقان:19]

ثم استخرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصيغ التي وردت بها كلمة الظلم: ظلم، ظلما، ظلمنا، ظلموا، ظالم، ظالمين، ظلمه، يظلم، أظلم...

الفرع الثاني: التفسير العقدي

لقد كان للشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اهتماما بالغا في ترسيخه للعقيدة الصحيحة، فكان لا يمر على آيات التوحيد والعقيدة والإيمانيات إلا ويقف عندها بالتنبيه، ومن ذلك عند تفسيره قول الله

تعالى: ﴿لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُفْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79] قال رَحِمَهُ اللهُ: الطير لا يلد، ليس عنده معدة حويصلة، ليس عنده مثانة، ليس عنده خرزات الظهر، ليس عنده جلد خشن، ليس عنده صوف ولا شعر ولا حوافر، وهذا ليسهل له الطيران، والمؤمن إذا علم هذا ازداد إيمانا وتوحيدا وطاعة.

خاتمة:

في ختام هذا المقال نجمل بعض النتائج المتوصل إليها:

- للشيخ عبد القادر عثمانى جهد طيب في التفسير، كيف لا وقد أمضى 23 سنة وهو يفسره من خلال دروس الجمعة بمعنى أزيد 1104 مجلسا للتفسير.
- يبدو أن الشيخ قد فسّر القرآن الكريم كاملا، ولكننا لم نعثر عليه كاملا، بل عثرنا على سور: الإسراء، الكهف، مريم، طه، الانبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، الشعراء، القصص. وقد وقفنا على عبارة: "تم نصف القرآن".
- يتبين من خلال منهج الشيخ في التفسير أنه كان يركّز على آيات التزكية أكثر من غيرها، ولم يكن يغرق في الأحكام الفقهية.
- استفاد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من طرائق العلماء في التفسير، فتجده بين التفسير التحليلي والموضوعي والعقدي وغيرها، وتجده لا يغفل عن الإسقاط على الواقع.
- للشيخ طريقة مبسطة لا يوجد فيها تكلف في إيصال المعلومة للجميع من خلال استعمال الكلام الدارج على ألسنة الناس.
- لم يخرج الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عما كان عليه سلف الأمة من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وانتفاعه بأقوال الصحابة والتابعين وتلاميذهم.
- لطالما نبّه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى أن هذا القرآن هو منهج حياة، وأنه أنزل ليحتكم به وإليه. وإنا بعد هذا الجهد العلمي نوصي كل من حضر دروس الشيخ أن يفيدنا بما سمع، فإنّ ما توفر لنا من تفسير كانت أوراقا بها رؤوس أقلام.

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب والرسائل

1. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.
2. آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي.
3. آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
4. أعلام الإصلاح من عام 1921م إلى عام 1975م، محمد علي دبوز، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.
5. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقق: صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
6. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ/ 1957م.
7. البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، تحقق: عبد القادر بوباية، دار الكتب
8. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقق: عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ.
9. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
10. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1405هـ/ 1985م.
11. طبقات الحضيك، تح: أحمد بومزكو، ط1، 2006م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء.
12. عادل نويمض: معجم أعلام الجزائر.
13. العلمية، بيروت، ط1، 2014م.
14. فهارس علماء المغرب، عبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب، تطوان، 1999م.
15. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقق:

مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/ لبنان، 1426هـ/ 2005م.

16. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، دار ومكتبة الهلال.

17. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

18. محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون.

19. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، 2/3.

20. مقدمة في رحاب القرآن، مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر بن محمد المرموري، ط1، 1417هـ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.

21. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، تحقق: فواز أحمد زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/ 1995م.
ثانيا: المجالات العلمية:

22. الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر، المسعود جمادي، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد 22: سبتمبر 2022.

23. الشيخ عبد الرحمن شيبان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية، قادري محمد الصديق، مجلة المعيار، المجلد 22، العدد 2: 2018.

24. المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفها، منير زباني، منشور بمجلة مجلة الحضارة الإسلامية، عدد1: جوان 2022م.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

25. محمد البشير الإبراهيمي، خالد النجار، منشور على الألوكة، على الرابط التالي:
<https://www.alukah.net/culture/0/44043>

26. المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: عبد الحليم صيد، 2018/12/15، على

الرابط التالي: <https://shamela-dz.net/?p=1336>

27. المسجد الكبير العتيق الإباضي، بقلمه، 2024/09/21، على الرابط التالي:

[/https://tagherdayt.com](https://tagherdayt.com)

28. المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: محمدي مصطفى بن عمر، 2017/9/9،

على الرابط التالي: <https://shamela-dz.net/?p=638>

أسماء لحواطي - نعيمة شوار

جامعة الجزائر 1

الملخص: إن الجزائر تزخر بعلماء اعتنوا بتفسير كلام الله عناية جادة واتخذوا من مختلف الوسائل المتاحة منابر تُبلغ علمهم إلى عامة الناس بمختلف أعمارهم وفهومهم ومستوياتهم غايتهم في ذلك كسر قيود الجهل عنهم ورفع أغلال اللبس والإشكال الذي طال العقول حول كتاب ربهم، فبدلوا في ذلك الجهد الكثير فتفانوا في بيان مراد الله بغية أن يُعَبِّد الله كما يجب وبالإخلاص الذي يجب، ولينشروا الفضيلة ويصلحوا ما استطاعوا داخل مجتمعهم ومن هؤلاء الذين اختاروا التفسير الشفوي سبيلا لهم كابن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، وطاهر آيت علجت، وإبراهيم بيوض وهم نخبة كُثر مما أنتجت الجزائر. وبما أن التفسير الشفوي كان هو دأب هؤلاء فمنهم من دَوَّن بنفسه تفسيره الشفوي كابن باديس، ومنهم من أبى بعض تلاميذهم إلا أن يبلغوا عمل السلف إلى الخلف ليحفظوا بصمة الشيخ في التفسير فانكبوا على تفاسيرهم الشفوية تدوينا لها لتحفظ من الضياع ومثال ذلك كتاب في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بيوض حرره الشيخ عيسى الشيخ الحاج، إلا أنه مع الأسف كان بعض من التفاسير الشفوية سبيلها الفقد والضياع كتفسير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وقد حالف الحظ تفاسير أخرى أن تبقى ولكنها لم تحوّل بعد إلى دواوين تحفظ جهد قائلها كتفسير طاهر آيت علجت من ما يُأْمَلُ أن تُخَطَّ فيه الأقلام ويُسال فيه المداد لتكون كتابا محفوظات وإضافة للثروة العلمية والمكتبات الجزائرية والإسلامية بمثل هذه الأعمال القيمة.

الكلمات المفتاحية: التفاسير الجزائرية- التفسير الشفوي- التدوين- الشيخ بيوض- في رحاب القرآن.

Abstract: Algeria boasts a wealth of scholars who dedicated serious attention to interpreting the words of Allah. They utilized various available platforms to convey their knowledge to the general public, catering to different ages, levels of understanding, and backgrounds. Their goal was to break the chains of ignorance and remove the confusion and doubts that had long clouded minds regarding

the Book of their Lord. They exerted tremendous effort, striving tirelessly to clarify Allah's intent so that He would be worshipped as He should be—with due sincerity—and to promote virtue and reform their society to the best of their ability. Among those who chose oral interpretation tafsir as their method were figures like Ibn Badis, Mohamed El Bachir El Ibrahimi, Taher Aït Aldjet, and Ibrahim Bioud. They represent a select few of the many elite scholars Algeria has produced. Since oral interpretation was their primary approach, some, like Ibn Badis, personally transcribed their oral commentaries. Others had students who insisted on transmitting the work of their predecessors to future generations to preserve the sheikh's interpretive legacy. They diligently committed these oral tafsirs to writing to save them from being lost—an example being the book *Fi Rihab al-Quran In the Realm of the Quran* by Sheikh Ibrahim Bioud, compiled by Sheikh Issa El Haj. Unfortunately, some oral tafsirs, such as those of Sheikh Mohamed El Bachir El Ibrahimi, were lost. Others, like the tafsir of Taher Aït Aldjet, have survived but have not yet been compiled into written volumes that preserve the author's contributions. It is hoped that efforts will be made to transcribe these works, turning them into preserved books—thus enriching Algeria's and the Islamic world's scholarly heritage and libraries with such valuable contributions.

Keywords: Algerian Ewegeses Tafsirs- Oral interpretation Tafsir- Recording tadwin- Sheikh bioud- In the Realm of the Quran.

مقدمة:

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا نجاة له وليا مرشدا، أما بعد:

إن أغلب التفاسير الجزائرية كانت المشافهة هي السيمة الغالبة عليها وهذا ما أدى إلى فقدان أغلبها، فالمفسرون لم يكن هدفهم كتابة التفاسير بقدر ما كان هدفهم إصلاح الواقع الاجتماعي معتمدين على القرآن الكريم مصدرا من خلال تفسيره والابحار في معانيه مما فتح الله على المفسرين به وهذا السبب كان منطلق جميعهم الذين سلكوا مسلك هذا النوع من التفسير الذي كان منبره حلقات المسجد.

إلا أن بعض التفاسير الشفوية الجزائرية لقيت حظها من التدوين الذي كانت رحلته طويلة وشاقة ثمرتها تفسير شفوي من أفواه جزائرية مدون بأنامل جزائرية كتبت وحفظت لنا هذا الإرث الشفوي الثمين الذي انتقل من حلقات المسجد إلى صفحات الكراس ليرسخ جهود العلماء في التفسير الشفهي ويثمن جهود مدونه ومن بين هذه التفاسير تفسير إبراهيم بن عمر بيوض المسمى "في رحاب القرآن" الذي يعتبر تفسيراً قيماً من الآثار الشفوية التي زخرت بها المكتبة الجزائرية الحديثة.

أهمية الموضوع:

بيان أهمية التدوين وجهود العلماء الجزائريين في الحفاظ على التراث التفسيري الجزائري من الضياع ودخول طي النسيان، وليُمرر من جيل إلى جيل. وبيان مصير بعض التفاسير الشفوية الأخرى التي لم تدون وكيف انتهى ببعضها إلى الضياع وأخرى من من تنتظر التدون.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لمعرفة جهود أحد تلاميذ الشيخ بيوض في تحويل تفسيره من شفوي إلى تفسير مكتوب والمساهمة في المحافظة على هذا التراث الشفوي القيم والجهود التي قام بها الشيخان إبراهيم بن عمر بيوض في تفسيره الشفوي وعيسى الشيخ بالحاج في شرح وتحرير هذا التفسير وتدوينه وإخراجه للساحة العلمية الوطنية والعربية وإثرائها، كما بيان مآل بعض التفاسير الشفوية الأخرى ممن حُفظ وما لم يحفظ.

إشكالية البحث: فهل كل التفاسير الشفوية انتقلت من ببحر المشافة إلى بر التدوين؟ وكيف كانت رحلة في رحاب القرآن من الدرس التفسيري المسجدي إلى صفحات الكتب؟

منهج البحث:

المنهج المعتمد في هذا البحث هو المنهج الإستقرائي الوصفي.

خطة البحث:

الخطة المتبعة في هذا البحث كالتالي: مقدمة، ثم ثلاث مباحث وهي كالآتي:

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات، مقسم إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم التفسير الشفوي ووسائله

المطلب الثاني: مفهوم التدوين وأهميته

ويليه المبحث الثاني: أهم التفاسير الشفوية الجزائرية واحتوت ثلاث مطالب

المطلب الأول: تفاسير طالها التدوين

المطلب الثاني: تفاسير طالها الضياع

المطلب الثالث: تفاسير تنتظر التدوين

ثم المبحث الثالث: في رحاب القرآن من المشافهة إلى التدوين وينقسم إلى مطلبين

المطلب الأول: نبذة عن الشيخين إبراهيم بن عمر بيوض وعيسى الشيخ بالحاج

المطلب الثاني: نبذة عن كتاب في رحاب القرآن وأنموذج تفسيري منه.

ليختم البحث بخاتمة تعرض أهم النتائج المتوصل إليها.

المبحث الأول: مفاهيم ومصطلحات

إن المشافهة خاصية من خواص الأمة الإسلامية إذ أن جميع العلوم التي تتعلق بكتاب الله سواء تفسيراً أو حديثاً أو تجويداً للقرآن نقلتها هذه الأمة مشافهة جيلاً عن جيل؛ وحتى تكون الدراسة واضحة لمن يقرأها لابد من الوقوف على أهم مصطلحات العنوان، بداية من مفهوم التفسير الشفوي لغة واصطلاحاً، مروراً بمفهوم الشفوي في اللغة والاصطلاح أيضاً، وصولاً إلى مفهوم المركب الوصفي التفسير الشفوي، ليتناول المطلب الثاني التدوين مفهومه اللغوي والاصطلاحي ثم أهميته.

المطلب الأول: مفهوم التفسير الشفوي ووسائله

إن التفسير الشفوي مصطلح مركب من لفظتين الأولى التفسير والثانية الشفوي وعلى هذا سيتم التطرق لمفهوم كل لفظة منفردة ثم إلى مفهوم التفسير الشفوي كمركب.

أولاً: مفهوم التفسير لغة واصطلاحاً

ويأتي في مفهوم التفسير لغة :

كما في معجم العين: الْقَسْرُ: التفسير وهو بيان وتفصيل الكتاب، وَقَسَرَهُ يُقَسِّرُهُ قَسْرًا، وَقَسَرَهُ تَفْسِيرًا. وَالتَّفْسِيرُ: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تَفْسِير الشيء، فهو التَّفْسِيرُ.⁽¹⁾

وقال ابن منظور في لسان العرب: الْقَسْرُ: البيان، قَسَرَ الشيء يُقَسِّرُهُ بالكسر، وَيُقَسِّرُهُ بالضم، قَسْرًا وَقَسَرَهُ: أبانه، والتفسير مثله...وقوله عزوجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33]، الْقَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكّل... واستَفْسَرْتُهُ كذا أي سألته أن يُقَسِّرَ لي وَالْقَسْرُ: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التَّفْسِيرُ... وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تَفْسِيرُهُ.⁽²⁾

وعليه خلاصة المفهوم اللغوي للتفسير هي: الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل.⁽³⁾

أما التفسير اصطلاحاً فهو:

كما يعرفه البشير الابراهيمي هو: تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه، والتفهيم تابع للفهم، فمن حسن فهمه حسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم

(1)- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الجزء السابع، الصفحة 247-248

(2) - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، المجلد الخامس، الصفحة 55

(3) - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ-1993م، الصفحة 260

يحسنه تفهيمه، وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس.⁽¹⁾

وأما في البرهان في علوم القرآن فنجد أن: التفسير: [علم] يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من: علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.⁽²⁾

وتعددت التعريفات الاصطلاحية للتفسير بين موسع وموجز فمنه من توسّع في تعريفه فأدخل فيه من العلوم ما ليست بالتفسير، ومنهم من أوجز فضيّق معناه في معرفة دلائل ألفاظ القرآن ومعانيها، ويمكن أن تكون خلاصة تعريف التفسير في: علم يتمُّ به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الأشكال والغموض عن آياته.⁽³⁾ وهذا التعريف شامل لمعنى التفسير وموضح لغايته.

ثانيا: مفهوم الشفوي لغة واصطلاحا

وفي مفهوم لفظة الشفوي لغة يقول ابن فارس: أما الشَّفَه فقد قيل فيها إن الناقص منها واوٌ، يقال ثلاث شَفَوَات ويقال رجلٌ أَشَفَ إذا كان لا ينضمُّ شفتاه كالأروق، الشَّفَة حذفت منها الهاء، وتصغيرها شَفِيْمَةٌ والمشافهة بالكلام: مواجهةٌ من فيك إلى فيه، ورجل شَفَاهِيٌّ: عظيم الشَّفَتَيْنِ، والقولان محتملان، إلا أنَّ الأول أجود لمقاربة القياس الذي ذكرناه، لأنَّ

(1) - عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم، اعتنى به وخرّج أحاديثه وأثاره أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م، المجلد الأول، الصفحة 9

(2) - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث، القاهرة، المجلد الأول، 1427هـ-2006م، الصفحة 22

(3) - صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1433هـ-2016م، الصفحة 14

الشَّفَتَيْنِ تُشْفِيَانِ عَلَى الْفَمِ، وَمِمَّا شَدَّ عَنْ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: شَفَّنِي فَلَانٌ عَنْ كَذَا، أَيَّ شَغَلَنِي.⁽¹⁾
 أما الجوهري فقال: الشفة: أصلها شَفَّةٌ، لأن تصغيرها شَفَّةٌ والجمع شَفَاهُ بالهاء،
 وإذا نَسَبَتْ إِلَيْهَا فَأَنْتَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَتَّتَ تَرْكَمَهَا عَلَى حَالِهَا وَقَلْتَ شَفْنِي مِثَال: دَمِي وَيَدِي وَعِدِّي،
 وَإِنْ شَتَّتَ شَفْنِي، وزعم قومٌ أَنَّ الناقص من الشَفَّةِ واوٌ، لأنه يقال في الجمع شَفَوَاتٌ، والشَفَّةُ:
 الشُّغْلُ، يقال: شَفَّنِي عَنْ كَذَا أَيَّ شَغَلَنِي، وقولهم: نحن نَشْفُهُ عَلَيْكَ الْمَرْتَعَ وَالْمَاءَ، يعني نَشْغُلُهُ
 عَنْكَ أَيَّ هُوَ قَدَرْنَا لَا فَضْلَ فِيهِ، وَرَجُلٌ مَشْفُوهٌ إِذَا كَثُرَ سَوَالُ النَّاسِ إِيَّاهُ حَتَّى نَفَذَ مَا عِنْدَهُ
 مِثْلَ مَثْمُودٍ وَمَضْفُوفٍ وَمَكْثُورٍ عَلَيْهِ، وَقَدْ شَفَّنِي فَلَانٌ إِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ حَتَّى أَنْفَذَ مَا
 عِنْدَكَ. وَالْمُشَافَهَةُ: الْمُخَاطَبَةُ مِنْ فَيْكَ إِلَى فِيهِ. وَالْحُرُوفُ الشَّفْهِيَّةُ: الْبَاءُ وَالْفَاءُ وَالْمِيمُ وَلَا تَقُلْ
 شَفْوَةً.⁽²⁾

وخلاصة هذه الأقوال هي أن الحروف الشفوية أو الشفهية سيان لأن الواو أعم و
 الهاء أقيس عند الجميع في لفظ الشفه⁽³⁾، والمشافهة هي مخاطبة وتكون بالكلام أي سماعيا.

أما المفهوم الاصطلاحي

فهو عبارة عن انتقال غير مادي للمذاهب والممارسات الدينية و الأخلاقية المتوارثة
 من عصر إلى آخر بواسطة الكلمة المنطوقة.⁽⁴⁾

ثالثا: مفهوم التفسير الشفوي كمركب وصفي ووسائله:

(1) - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، الجزء الثالث، الصفحة 200.

(2) - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م، الصفحة 2237.

(3) - نادية وزناحي، التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة حاج الأخضر، 1428هـ-1429هـ، 2007م-2008م، الصفحة 3.

(4) - خيزي دليلا، اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر من القرن 13هـ إلى القرن 15هـ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، 2013م-2014م، الصفحة 82، غير مطبوعة.

بعدما حظيت كل لفظة منفردة بتعريف، يتم التطرق إلى تعريفها مجتمعة تحت مركب وصفي وهو التفسير الشفوي، وبالنظر والاطلاع تبيّن أن المراجع القديمة والحديثة خلت من تعريف مزج بين المصطلحين تحت مركب واحد، إلا أن بعض المعاصرين صنعوا الفارق بتعرّضهم إلى بيان معنى التفسير الشفوي على الرغم من اختلافهم وتباين تعبيرهم عنه، وفيما يلي أقوالهم:

التفسير الشفاهي هو "لون من ألوان التفسير، يعتمد الخطاب المباشر بين المفسر و الجمهور و يقوم على توظيف النص القرآني توظيفها حركيا واقعيا لإصلاح الفرد و المجتمع".⁽¹⁾

وعرف أيضا ب"توضيح معنى الآية أو توظيفها واقعيا باعتماد المخاطبة المباشرة من المفسر إلى المتلقي".⁽²⁾

بالنظر إلى كلا التعريفين يتبادر للذهن أن كلاهما يصب في معنى واحد بألفاظ مغايرة إلا أن التعريف الأول لنادية الوزناجي قد يكون أقرب وأدق في تحديد التفسير الشفوي وذلك راجع لاعتبارها الوحيدة التي تناولت التفسير الشفوي كموضوع لمذكرتها فصبت انشغالها عليه.

إذا التفسير الشفوي هو ذاك الخطاب المبيّن لكلام الله يُلقيه المُفسر على جماعة من المستمعين ليبلغ آذانهم وتعيها عقولهم.

وسائل التفسير الشفوي:

إن الكلام عن التفسير يقود إلى الكلام عن الأماكن التي كانت تعقد فيها مجالسه أو الوسائل المستخدمة فيه، فالتفسير الشفوي اعتلى مختلف المنابر ليصل صدى صوته إلى كل مستمع راع بفهم كلام الله بُغِيَّتُهُ التدبر والعمل بما جاء فيه، فاحتضنت مختلف هذه

(1) -نادية وزناجي، مرجع سابق، الصفحة 21.

(2) -اسماعيل نزي، درس التفسير من خلال مجلة البصائر 1936م-1953م عرض وتحليل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القراءات الإسلامية، قسم العقائد والأديان، تخصص: القرآن الكريم وعلومه، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، 1443هـ-2022م، الصفحة 68، بتصرف.

الأماكن التفسير الشفوي ليبلغ الأذان فيرسخ في الأذهان، وتنقسم إلى قسمين:

وسائل التفسير الشفوي القديمة: وأقسامها هي: المسجد والزوايا.

ووسائل التفسير الشفوي الحديثة: التي هي قسيم للوسائل القديمة ونجد فيها: الإذاعة والتلفاز وشبكات التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: مفهوم التدوين وأهميته

أولاً: مفهوم التدوين لغة واصطلاحاً

والتدوين لغة: كما جاء في تاج العروس: وقد دونه تدويناً جمعه. وعليه فالتدوين هو جمع الصحف المشتتة في ديوان واحد.⁽¹⁾

أما في أساس البلاغة فنجد أن: التدوين من مادة "دون" وتعني: الجمع، فدَوَّنَ الكتب: أي جمعها.⁽²⁾

أما التدوين اصطلاحاً:

هو المرحلة التالية للكتابة ويكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها.⁽³⁾ وبهذا التعريف يتضح أن التدوين غير الكتابة، فالكتابة مطلق خط الشيء دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، ونضرب لذلك مثلاً المراد بتدوين السنة هو: جمعها وترتيبها مكتوبة⁽⁴⁾، إذا فالفرق واضح وهو: أن الكتابة خط الشيء وكتابته، وإن لم يكن مجموعاً. والتدوين: جمع الكتب، فالتدوين مرحلة تالية للكتابة...⁽⁵⁾ وعليه فالتدوين أعمُّ من

(1) -محمد مرتضى الحسيني الرّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1385هـ-1422هـ الموافق ل 1965م-2001م، الجزء الخامس والثلاثون، الصفحة 35.

(2) -الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الأول، الصفحة 199. نسخة ورقية مصورة

(3) -عبد المهدي عبد القادر، السنة النبوية ومكانتها، الصفحة 97.

(4) -أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين، موسوعة محاسن الإسلام ورد شهباء اللثام، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع -دار وقفية دعوية- الطبعة الأولى، 1436هـ-2015هـ، الجزء السابع، الصفحة 77.

(5) -المرجع نفسه، الصفحة 78.

الكتابة فهو يشملها ليتعدها إلى الجمع المكتوب وحفظه في دواوين.

ثانيا: أهمية التدوين

إن للتدوين أهمية بالغة يستقيها من الدور المهم الذي يلعبه في حفظ العلوم في كتب ودواوين عبر التاريخ لأجيال عديدة، فهو يُتيح للخلف الاستفادة والاطلاع على علوم السلف، فهي بهذا محفوظة من الزوال وحافضة لعلوم السابقين، وعليه إن تدوين العلوم وتقييدها يحفظها من الزوال ويصونها من الضياع والنسيان، والتدوين من أيسر الطرق وأفضل السبل في نشر المعارف بين الناس مهما تباعدت أماكنهم، وتناوت ديارهم، وبالتدوين تنتقل العلوم عبر الأجيال، وإن طالت الأزمان⁽¹⁾ ومن بين أكثر العلوم التي لقيت عناية واهتماما لتدوينها وترسيخها هي العلوم الشرعية بكل فروعها ولقد حظي العلم الشرعي باهتمام علماء المسلمين منذ ظهور التدوين في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، فأقبلوا على التأليف في العلوم الشرعية في فنونها المتنوعة⁽²⁾ فعلى سبيل المثال تدوين المذاهب الفقهية إنَّ تدوين المذهب في أصوله وفروعه وبيان أدلته - سواء أكان التدوين من قِبَل إمام المذهب، أم من قِبَل تلامذته وأتباعه - مساعدٌ ومسهِّمٌ في حفظ المذهب، وبقائه وانتشاره، ومقرَّب له عند عموم الناس وغيرُ خافٍ على أحدٍ أهمية التدوين، إذ وجودُ الثروة المذهبية مؤذن بوجود حلولٍ لأكثر المسائل، وكم من مذهبٍ اندثر، ولا يُعلم ما له من مدوناتٍ.⁽³⁾ إذا التدوين سبب في حفظ الثروة العلمية من الاندثار وصائن لها من الضياع ودخول طي نسيان.

المبحث الثاني: أهم التفاسير الشفوية الجزائية

إن للجزائر ثروة من رجال كان العلم ديدانهم -والعلم الشرعي تحديدا- إذ أولوا له أهمية كبيرة وكرسوا له الجهد الكثير ومن بين هذه العلوم تفسير كلام الله الذي صُيغ بالطباع

(1)- مجموعة من المؤلفين، موقع الدرر السنية، موقع الدرر السنية dorar.net ، الجزء الثالث، الصفحة 402.

(2)- المرجع نفسه، الصفحة 402.

(3)- خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمدد-دراسة نظرية نقدية-، رسالة دكتوراه-قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار التدمرية الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، الجزء السادس، الصفحة 605-606.

الشفوي ليعم جميع الناس بمختلف مستوياتهم العمرية والفكرية، فتُثار العقول ويصلح المجتمع بما جاء في كتاب الله عزوجل مما فتح الله به على هؤلاء العلماء، إلا أن مسار هذه التفاسير الشفوية كان مختلفا فمنها ما طالها التدوين لتبقى محفوظة في الرفوف مُتاحة لطلابها، ومنها من كان الضياع مصيرها، ومنها ما بقيت شفوية تنتظر التدوين، وهذا ما سيأتي بيانه بإذن الله.

المطلب الأول: تفاسير طالها التدوين

وكما سبق بيانه فإن من التفاسير الشفوية الجزائرية ما كان لها حظٌ بالتدوين لتكون إضافة قيمة للمكتبة الوطنية خاصة والإسلامية عامة ويستفاد منها طلاب العلم الباحثين ومن هذه التفاسير تفسير ابن باديس.

أولا: نبذة عن الشيخ ابن باديس

عبد الحميد بن باديس رجل بارز في الحياة العلمية والثقافية ومنشئ النهضة الإصلاحية في الجزائر والعالم العربي، لا تذكر كلمة العلم إلا وجاء هو بعدها، جهاد الاستعمار الفرنسي بالعلم والقلم وحارب الجهل وانتشار المظاهر الشركية التي كان الاستعمار يشجع الناس عليها.⁽¹⁾

اسمه ونسبه:

الشيخ عبد الحميد بن محمد بن مكّي بن باديس الصنهاجي وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية، المولود يوم الأربعاء 10 ربيع الثاني 1308هـ/الموافق ل 4 ديسمبر 1889م بمدينة قسنطينة وأكثر ما تميز به هذا الرجل هو مجالس التفسير التي كان يلقيها في الجامع العتيق الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة والذي فسر فيها القرآن مشافهة في مدة تقارب 25 سنة حتى ختم القرآن الكريم كله من الفاتحة إلى الناس.⁽²⁾

(1)- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به وخرج أحاديثه وأثاره أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، المجلد الأول، ينظر إلى مقدمة الكتاب.

(2) - المرجع نفسه، ينظر إلى مقدمة الكتاب.

ثانيا: تفسيره من حلقات المسجد إلى صفحات الكتب

اسمه مجالس التذكير الذي يعتبر أهم تفسير شفوي جزائري في العصر الحديث وهذا العنوان الذي كان يضعه الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- لما يكتبه بقلمه البليغ في تفسير بعض الآيات القرآنية⁽¹⁾

قال الشيخ البشير الإبراهيمي عن أسلوبه في التفسير في مقدمة كتاب مجالس التذكير: "كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها...وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته"⁽²⁾

وطبع هذا التفسير في مجلدين وقام بجمعه مدير مجلة الشهاب السيد أحمد بو شمال ، حيث قام بجمع هذه المجالس من مجلة الشهاب وحوّلها إلى كتاب مستقبل.⁽³⁾

المطلب الثاني: تفاسير طالها الضياع

ومما يحزّ في النفوس وجود تفاسير شفوية حرمت رفوف المكتبات وغابت عن طالبيها فقد كان الضياع مصيرها بالرغم من قيمتها العلمية الكبيرة ومن أمثال هذه التفاسير تفسير البشير الإبراهيمي.

أولا: نبذة عن البشير الإبراهيمي

الإبراهيمي من رجالات الجزائر الذين تركوا تراث علمي كبير وهذا يرجع الى سعة علم هذا الرجل وتوسعه في جميع العلوم الإسلامية واللغوية حتى لقب بملك البيان.

اسمه ونسبه:

هو محمد البشير بن السعدي بن محمد بن عبد الله الإبراهيمي نسبة الى قبيلة أولاد ابراهيم قبيلة عربية ينتهي نسبها إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول للإشراف الادريسية،

(1)-المرجع نفسه، الصفحة 15

(2)-المرجع نفسه، الصفحة 12

(3)-ينظر المرجع السابق، الصفحة 14.

مؤسس الدولة الادريسية. ولد الشيخ الإبراهيمي يوم الخميس 14 شوال 1306هـ/ الموافق لـ 13 جوان 1889 بقرية رأس الوادي بناحية ولاية سطيف بالشرق الجزائري. وتوفي -رحمه الله- يوم 20 ماي 1965 م/ 19 محرم 1385هـ بالجزائر العاصمة.⁽¹⁾

ثانيا: تفسيره الذي طاله الضياع

كان للشيخ البشير الإبراهيمي درس في التفسير الشفوي بين المغرب والعشاء، يلقيه كل يوم حتى أكمل تفسير القرآن الكريم كله لكن مع الأسف ضاع كله ولم يبقى منه إلا مقال نفيسا للإمام الإبراهيمي -رحمه الله-، فسر فيه أواخر سورة إبراهيم، وهو النموذج الوحيد الذي نعرف من خلاله طريقة الإمام في تفسير القرآن ومنهجه في التفسير، حيث كان يلقيه ارتجالا دون تحضير مسبق وهذا دليل على قوة الحافظة والفهم عنده.

وهذا المقال تناول فيه تفسير قول الله تعالى: **سَمَحَ هَذَا بَلْغَ لِلنَّاسِ وَلِيَنْذَرُوا بِهِ** وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ٥٢ سَجَى [إبراهيم: 52].⁽²⁾

المطلب الثالث: تفاسير تنتظر التدوين

وهناك تفاسير شفوية لم تدون بعد ومثال ذلك تفسير الطاهر آيت علجت.

أولا: نبذة عن الشيخ الطاهر آيت علجت

الطاهر آيت علجت: عالم جزائري موسوعي عرف بالتفسير والفقه والقراءات وكثير من العلوم الإسلامية.

اسمه ونسبه: محمد الطاهر آيت علجت من مواليد قرية ثامورقرة بني عيديل عام 1917م حفظ القرآن في مسقط رأسه، ودرس في زاوية يحي عيديل مبادئ العلوم واللغة العربية. وحضر بعض دروس ابن باديس في قسنطينة. شارك في الثورة التحريرية ثم سافر إلى تونس واكمل

(1)- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار العرب الإسلامي، 1929م-1940م، الجزء الأول، الصفحة 9.

(2)- المرجع السابق، الصفحة 425. بتصرف

تعليمه⁽¹⁾ توفي الشيخ محمد الطاهر آيت علجت يوم الثلاثاء 13 يونيو/حزيران 2023 بمستشفى مصطفى باشا بالعاصمة الجزائر بعد وعكة صحية ألمت به، ودفن في مقبرة عيسات إيدر بني مسوس.

ثانيا: تفسيره الذي لم يدون بعد

درّس التفسير في جامع بوزيعة قرابة عشر سنوات تفسير شفوي سجلت دروسه في التفسير ممن حضر دروسه في التفسير القرآن الكريم ولقد توقف عند سورة الرحمن قبل وباء كورونا وحمد الله أن طالبته سجلوا كل دروسه، ولعلمهم ينشطون لتفريغها وتدوين تفسيره قبل أن تتلف الصوتيات.⁽²⁾ توجد بعض المذكرات الجامعية قام أصحابها بتفريغ بعض السور وعمل مذكرات تخرج منها.

المبحث الثالث: في رحاب القرآن من المشافهة إلى التدوين

في رحاب القرآن يمثل أحد أهم الكتب التي حوت التفسير الشفوي بين دفتها بعد أن ألقاه الشيخ مشافهة ودونه التلميذ ليحفظ بذلك جهود شيخه في التفسير، وهذه نبذة عن مفسر الكتاب ومحرره مع أنموذج منه.

المطلب الأول: نبذة عن الشيخين إبراهيم بن عمر بيوض وعيسى الشيخ بالحاج وجهودهم في تفسير في رحاب القرآن

يعتبر الشيخ بيوض -رحمه الله- من أبرز علماء الجزائر في التفسير الشفوي للقرآن الكريم حيث برز في هذا اللون من التفسير كما برز في علوم شتى أثرى بها المكتبة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة.

أولا: نبذة عن مفسر الكتاب الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض

(1)- منير زيباني، المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفويا، مجلة الحضارة الإسلامية، الصفحة 125.

(2)- نبيل صباري، الحركة المعاصرة لتفسير القرآن في الوسط المسجدي بالمغرب الأوسط، ملتقى الكويت في التفسير القرآن الكريم، الصفحة 16.

اسمه ونسبه:

هو إبراهيم بن عمر بن بابہ بابا⁽¹⁾ بن إبراهيم بن حمو بن بابہ بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عيسى بن علي وهذا الأخير هو الملقب "بأعلاهم"⁽²⁾ أما لقبه ببيوض يقول عنه الشيخ بيوض: "هو لقب أسرتي وأول من لقب به جدي الثاني إبراهيم بن حمو الأول لبياض لونه، وجمال هيأته فسرى منه هذا اللقب إلى ذريته."⁽³⁾

مولده ونشأته:

ولد العلامة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض يوم 11 ذي الحجة 1316 هـ الموافق ل 21 أفريل 1899 م بمدينة القارة بولاية غرداية⁽⁴⁾. دخل المدرسة القرآنية صغيرا وبدأ الدراسة في الكتاب بالمحضرة حفظ القرآن وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة.⁽⁵⁾ استظهر القرآن الكريم ولم يتجاوز الثانية عشر سنة. وكان للشيخ بيوض مؤلفات كثيرة ويعتبر في رحاب القرآن أهم أثر شفوي تركه الإمام بيّوض وقام تلميذه عيسى شيخ بالحاج بتفرغة ونسخه في عدة مجلدات⁽⁶⁾.

شيوخه: تتلمذ الشيخ بيوض على يد عدة مشايخ منهم: الشيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي، إبراهيم بن عيسى الابريكي، الشيخ بكير بن إبراهيم العنق، الشيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلا.

وفاته: توفي يوم 8 ربيع الأول 1401 هـ الموافق ل 14 جانفي 1981 م عن عمر يناهز 83 سنة

(1)- بعض المراجع يكتبوه بابہ بإضافة له وآخر بإضافة الف ل.

(2)- بن رجال أمينة، الشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزء الأول، العدد 11، 2016 م، جامعة مسيلة، الجزائر، الصفحة 138.

(3)- نادية وزناحي، التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، الصفحة 101.

(4)- إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، تحرير عيسى شيخ بالحاج، جمعة التراث، الطبعة الثانية، غرداية، الصفحة 24.

(5)- جابر فخار، منهج الشيخ بيوض في الاجتهاد الفقهي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجستير، تخصص أصول الفقه، 2013 م، كلية العلوم الإسلامية خروبة جامعة الجزائر 1، الصفحة 35.

(6)- إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، الصفحة 26.

وودعت الأمة أماما ومصلحا عظيم -رحمه الله-⁽¹⁾

ثانيا: نبذة عن محرر الكتاب الشيخ عيسى الشيخ بالحاج

الاسم: الشيخ بالحاج عيسى بن محمد الشيخ بالحاج.

ولد يوم 27 رجب 1373هـ/1 أبريل 1954م بمدينة القنطرة. عاش مرحلة الطفولة فيها وكذلك مراحل التعليم، أبوه كان طالب علم في الزيتونة، لذلك السنوات الثمان الأولى تربى في بيت جده لأبيه وجده لأمه، دخل المدرسة عام 1960. استظهر القرآن الكريم كله في مارس 1968م وانضم بذلك إلى حلقة إيروان، درس بمعهد الحياة حصل على شهادة البكالوريا 1973م. درس عند الشيخ عدوان، ووالده الشيخ بالحاج محمد. والدكتور محمد ناصر، ودراسة غير مباشرة عند الشيخ بيوض رحمه الله من خلال دورس المسجد. بدأ التدريس في مدرسة الحياة في أكتوبر 1973م واشتغل بالتجارة في الجزائر العاصمة. انضم إلى ندوة بريان في 1981م مازال حتى الآن أهم عمل قام به هو تحرير تفسير الشيخ بيوض وكذلك قام بعدة رحلات علمية إلى عمان وتنزانيا وزنجبار وذهب في رحلة إلى الحج على الأقدام دامت 69 يوم.⁽²⁾

يقول الشيخ بالحاج عيسى بن محمد الشيخ بالحاج: "أهم عمل قمت به في حياتي هو تحرير تفسير الشيخ بيوض الذي بدأته سنة 1973م وختمته سنة 2019م أي مدة 45 سنة وينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تفريغ الأشرطة التي استمرت 14 سنة، من 1973 إلى 1987.

المرحلة الثانية: من 1988 إلى 2019م.⁽³⁾

المطلب الثاني: نبذة عن كتاب في رحاب القرآن وأنموذج تفسيري منه

أولا: نبذة عن كتاب في رحاب القرآن

قد زخرت المكتبات العربية بتفاسير كثيرة للقرآن الكريم، مؤلفها بذلوا فيها جهد كبير

(1)-المرجع نفسه، الصفحة 26.

(2)-المصدر: رسالة وتساب مع الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج يوم الجمعة 5 جويلية 2024 بعد صلاة الجمعة.

(3)-المصدر نفسه.

واستغرقوا في تأليفها سنوات طويلة، لأن هذا العمل الجليل يفني فيه المفسر عمره كله، وهذا ما كان يتمناه مفسرنا الشيخ بيّوض -رحمه الله- وهو أن يكمل تفسير كتاب الله كله قبل أن يسلم الروح إلى بارئها حيث يقول رحمه الله تعالى قبل الشروع في تفسير سورة الأعلى بعد غياب طويل بسبب المرض: وإنه ليشق علي كثيرا إن لم يعني الله تعالى لا كمال ما تبقى من السور القصار، وأنني لأرجو الله تعالى أن يتم نعمته عليّ ويبلغني مرادي لأكمل تفسير السور الباقيات فلا ينقطع عمل خمسين عاما وهذا عذري أمام ما أتحملة مما لا أستطيعه فجاء هذا التفسير الشفوي الذي حول إلى مكتوب ذو ميزة خاصة حيث استغرق تفسيره خمسون عاما تقريبا، واستغرق تفرّغه ونسخة أكثر من خمسة وأربعون سنة.

فجاء هذا التفسير ذو ميزة خاصة عن باقي كتب التفسير كونه يحمل بين طياته جهد رجلان بذلا قصار جهدهما حتى يكون في هذا المستوى، فالأول فسرته تفسيراً شفوياً قرابة خمسين عام والثاني حرره كتابة حتى يخرج كتاب يصل إلى أكبر عدد من الناس، ويبقى هذا الأثر ما شاء الله له ذلك.

-اسم الكتاب: في رحاب القرآن هذا الاسم وضعه محرر الكتاب عيسى بن محمد الشيخ بالحاج حيث اختاره هو وبعض الأساتذة، ثم تم عرضه على الشيخ المفسر فلم يمانع حيث برز هذا العنوان 1980م في مهرجان الختم الذي أقيم بالقرارة بمناسبة اختتام التفسير⁽¹⁾.

-المؤلف: إبراهيم بن عمر بيّوض -رحمه الله- ويعتبر الشيخ بيّوض هذا أهم عمل في حياته الذي تقرب به إلى الله تعالى وعمل عليه حتى آخر لحظة في حياته ودامت مدة تفسير 45 سنة من العمل المتواصل.

-المحرر: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج هذا الشيخ الذي تحمل عبء إخراج هذا الأثر القيم للناس واجتهد في نقله من المسموع إلى المقروء.

وكانت البداية الجادة مع هذا الأثر القيم سنة 1973م بالجزائر العاصمة، وفكر في عمل يرضي به شيخه فلم يرَ أجل وأعظم من أن يتفرغ إلى استنساخ تفسيره كله،⁽²⁾ وانقطع

(1)-نادية وزناحي، مرجع سابق، الصفحة 111.

(2)-إبراهيم بن عمر بيّوض، مرجع سابق، الصفحة 7-8.

إلى استنساخه في أوقات فراغه وكان ذلك بالتحديد في الفاتح ديسمبر من سنة 1973م. وما أن أنهى عمله منسوخا في دفتر كبير حتى حمّله هدية غالية إلى شيخه الذي فوجئ بهذا الإنجاز وسر به سرورا عظيما، فدعا لتلميذه من الأعماق راجيا له الله أن يعينه على الاستمرار في طريقه إلى نهايته، وفعلّا كتب الله تعالى لهذا العمل التمام فجاء في ثمانية وعشرين جزءا، بداية من سورة الإسراء الآية 70 إلى نهاية المصحف بسورة الناس وقامت جمعية التراث بنشر كل هذه الأجزاء.

المراحل التي مر بها كتاب في رحاب القرآن من الدرس التفسيري المسجدي إلى صفحات الكتاب:

الجزء الأول:

وهو الجزء الذي طاله الضياع من تفسير الشيخ بيوض، لأنه لم يسجل أو يكتب وذلك راجع الى غياب الإمكانات في تلك الفترة وكما قال عن ذلك الشيخ ناصر في مقدمة كتاب في رحاب القرآن، سورة الإسراء: ومن هنا فأنا نسجل والأسف ملء الجوانح أن تفسير الشيخ بيوض من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر" الآية سبعين من سورة الإسراء، يعد مفقودا فقد كليا، اللهم إلا ما سجله بعض الطلاب متناثرا في دفاترهم هنا وهناك...⁽¹⁾

الجزء الثاني:

وهو الجزء الذي طاله التدوين والحمد لله ولقد مر هذا الجزء على عدة مراحل حتى وصل إلى بر التدوين وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة التسجيل في الأشرطة مغناطيسي وكان مقتصرًا على الآلات الكبيرة وهذه الآلات صعبة النقل لثقلها، وكانت أشرطتها من النوع الكبير حيث يستوعب الشريط الواحد ست عشرة ساعة بسرعة العادية وكان ذلك سنة 1961م/ 1381هـ عندما دخلت الكهرباء إلى مدينة القارة.

(1) - إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن تفسير سورة الإسراء، الصفحة 7.

وقال عن تلك المرحلة الشيخ ناصر-رحمه الله:-بدأ التسجيل الصوتي لتفسير الشيخ بيوض بداية الآية سبعين من سورة الإسراء.. ولعل هذه الآية في حد ذاتها تلفت انظارنا إلى النعمة التي افاضها الله على عباده من خلال نعمة التيار الكهربائي التي كانت سبب في الحفظ الدروس⁽¹⁾

المرحلة الثانية: هي مرحلة التفريغ من الأشرطة المغناطيسية في سجلات ورقية كبيرة من طرف الشيخ عيسى الشيخ بالحاج وكان ذلك بداية سنة 1973 في الجزائر العاصمة، وقال الشيخ ناصر عن هذه المرحلة: فماذا عن التلميذ الذي تحمل عبء إخراج هذا الاثر القيم للناس واجتهد في نقله من المسموع إلى المقروء...محتسبا في ذلك الأجر عند الله تعالى طوال أربع عشرة سنة من العمل الجاد المتواصل، وكان يقوم باستنساخ التفسير من الأشرطة السمعية في أوقات فراغه والعكوف على آلة التسجيل والدفتر في سكون الليل حتى مطلع الفجر ... وكانت العملية تتطلب منه احيانا قضاء ساعات متتالية على وضعية واحدة دون حراك فيمسك بيده اليسرى مفتاح الآلة، ويده اليمنى القلم الذي يكتب به كما كان يعيد الشريط أكثر من مرة فحال لم أسمع الفظة جيدا وهلم جرا...⁽²⁾. وكانت الطريقة في هذه المرحلة هي النقل الحرفي لكل ما يحتويه الشريط. وكان الشيخ يكتب الآيات بالون الأحمر حتى يميزها عن باقي الكلام، ويرقم دروس السورة كل درس على حدى وكذا صفحات الدفتر الموافق لها، وأيضا كان يسجل بداية الشريط على الدفتر ورقمه وكل المعلومات التي تسهل العودة اليه، والعناية بسلامة الخط حتى يكون واضح ومفهوم، استعدادا إلى المرحلة التالية، كما قال الشيخ عيسى الشيخ بلحاج في مراسلة معه عبر الوتساب في حال عدم سماع أو انقطاع في الكلام: "أما إذا كان هناك انقطاع في الكلام فاترك مكانها فارغا وقد يتعلق الانقطاع بآية واكثر اما إذا كان انقطاع في كلمة او غموض في الصوت فالشيخ عادة ما يفسر باللغة العربية ويوضح بالميزابية او العكس فأخذ من هذه لهذه او اتبنى السياق فيتضح معنى الكلمة المفقودة او غير المفهومة وإذا لم يتضح لي المعنى اتركه واشير إلى عدم فهمه وهذا الاخير قليلا ما يحدث⁽³⁾

(1) - نفس المرجع، الصفحة 12 و 13.

(2) - نفس المرجع، الصفحة 11.

(3) - المصدر: رسالة واتساب مع الشيخ عيسى شيخ بالحاج، يوم الجمعة 14 نوفمبر 2025م، الساعة 10 صباحا.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة النهائية وهي مرحلة التنقيح والتحرير، حين قرار الشيخ عيسى الشيخ بالحاج أن يقوم بهذا العمل بمفرده بعد ما فقد الأمل في أن يقوم بهذا العمل أحد غيره لذلك قرار القيام بذلك بنفسه حتى يحافظ على جهد السنين من العمل المضني في تفريغ التسجيلات الصوتية وقال الشيخ ناصر عن هذه المرحلة: واعتمدت هذه المرحلة التحريرية النهائية على ما يلي: قراءة الدرس لتصور الشامل لموضوعه ومحاولة فهم معاني كلام الله حتى يتسنى له ترتيب الآيات في دفتر جديد بطريقة منظمة، حذف ما يداخل كلام الشيخ من تكرار لفظي، إعادة النظر في تعريب بعض العبارات المنطقة اصلا باللهجة المزابية أو العربية الدارجة حتى تكون حسب المعنى المراد، تخريج الآيات التي تكون داخل النص وأيضا تخريج الأحاديث النبوية، تعريف ببعض الشخصيات والأماكن، كتابة كل ذلك بخط النسخ حتى تسهل طبعته ومراعات علامات الترقيم⁽¹⁾. وهذا هو الجهد الذي قام به الشيخ عيسى الشيخ بالحاج في نقل التفسير الشفوي للقرآن الكريم إلى مكتوب حولنا اختصارها قدر المستطاع ولذلك راجع إلى المساحة المحدد في عدد الصفحات.

ثانيا: أنموذج تفسيري من كتاب في رحاب القرآن

بنت اللحظة من المعاني الجديدة التي كانت تنزل على فكر الإمام بيّوض في الوقت الذي كان يجلس فيه لتفسير القرآن الكريم، أو بعبارة أخرى هي أفكار تخطر على بال الإمام بيّوض فذكر أنه لم يسبق تحضيره ولكن تجلت عليه في أثناء إلقاء درس التفسير وهي فتوحات ربانية تنزل على الإمام فيبينها، و يقول رحمه الله بنفسه: "إني لأجد من القوة الفكرية و من تظافر المعاني و من صفاء الذهن و أنا جالس على طاولة الدرس الشيء الذي لا أجده قبل و ذلك ما جعلني أعتقد و أؤمن أن الله تعالى يفتح عليّ وسط الدرس من خزائن علمه الشيء الكثير". وفي كل المواضيع التي يذكر فيها بنت اللحظة كان يعلل الأسباب في حضور تلك الفكرة أو الملاحظة حتى يوضح للملتقي الحكمة من حضورها و من بيانها.⁽²⁾

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84]

(1)-مرجع سابق، الصفحة 18 و19.

(2)-دليلة خبزي، مرجع سابق، الصفحة 532.

قال الإمام بيّوض -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: قال سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه-: "لا أرى آية أرجى في القرآن من هذه الآية لأنه فهمها فهما دقيقا، إذا كان كل يعمل على شاكلته وعلى طبعه فإن طبيعة الله تعالى إفاضة الخير والإحسان، ففي الآية إذن رجاء قوي، ذكر أن الخلفاء الراشدين الأربعة ذكروا فيما بينهم أي آية في القرآن أرجى، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: أني أرى أرجى آية قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ وكأنه للإنسان العصيان والله تعالى الغفران.

وقال عمر -رضي الله عنه-: أن أرجى آية عندي قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر:3] بدأ بمغفرة الذنب قبل قبول التوبة.

وقال عثمان -رضي الله عنه-: أن أرجى آية عندي هي قوله تعالى: سَمِحْنَتَيَّ عَبْدَايَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ سَجَى [الحجر:49-50]، الله تعالى دائما ينسب الخير إلى نفسه ولا ينسب الشر إليه، ولم يقل في المقابل و إني المعذب القاسي وإنما جعل لوصف العذاب وصفا لنفسه، وهذا لطف و تعبير عجيب لا تنقض منه الحلاوة.

وقال علي -رضي الله عنه-: أما أنا فأرجى آية عندي هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:53] و أنا شخصا مع الإمام علي أذهب مذهبه بأن أرجى آية هذه لأنها جمعت كل شيء... ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ خطاب خاص وجهه للعباد و خص منهم المسرفين على أنفسهم بالخصوص، بينما الآية الأخرى: الخطاب عام و لم يصف العباد بأنهم مسرفون أو غير مسرفين، ثم في الآية نهى عن القنوط ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ مهما بلغ إسرافكم على أنفسكم، ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:53] ثم قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53] ولكل آية مقامها ومكانها⁽¹⁾

الخاتمة

(1)-ابراهيم بن عمر بيّوض، مرجع سابق، الصفحة 149-150.

- إن التفسير الشفوي هو الغالب على ألوان التفسير الأخرى في الجزائر.
- الكثير من المفسرين الجزائريين اتخذوا التفسير الشفوي منهجهم.
- تعدد وسائل التفسير الشفوي إلا أن المسجد كان أكبر حاضن له.
- للتدوين أهمية كبيرة في صيانة التراث الشفوي من الزوال وتخليده للخلف وتمريه عبر الأجيال ومنعه دخول طي النسيان.
- إن غاية العلماء الاصلاحية من تفسير كلام الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم تبرر منهجهم في اختيار التفسير الشفوي سبيلا لذلك.
- لم تحظى كل التفاسير بالتدوين فبعضها دون وبعضها ضاع وبعضها لازال شفوي ينتظر تدوينه.
- من أهم الأعمال التي أفنى فيها الشيخان ابراهيم بيوض وعيسى الشيخ بالحاج عمرا هو تفسير في رحاب القرآن، فالأول بذل جهدا في التفسير الشفوي والآخر كرس نفسه لجمعه وتدوينه.
- إن التفاسير الشفوية تفضي إلى الأفكار وليدة اللحظة التي هي نتاج كثرة نظر المفسر واتساع علمه فيصنع الدرس التفسيري البيئة الملائمة لها لترى النور وتبلغ المسامع كما جرى مع الشيخ ابراهيم بيوض.
- ان علماء التفسير الشفوي على اقسام منهم من عمل على تدوين تفسيره بنفسه ومنهم من قام تلامذته بحفظ علوم شيخهم وما لم يدون ومنهم من آل إلى الضياع
- إن التفسير الشفوي هو عبارة عن خطاب يلقيه المفسر على مسامع الناس باختلاف مستوياتهم وعقولهم ليبلغ اذانهم ويزيل اللبس والغموض عن آي الله بما فتح الله به عليه من العلم بذلك.
- إن الاختلاف الكامن بين التفسير الشفوي والتفسير المكتوب اختلاف غاية المفسر منه باتفاق على بيان مراد الله غير ان اول يهدف الى اصلاح المجتمع وتحقيق النموذج الحي العامل بكلام ربه والثاني غايته تتوقف عند بيان مراد الله من الآية وللباحث النظر فيما احتاج ان

يعرفه

-إن تدوين التفسير الشفوي لا يعني اخراجه عن غايته الاصلاحية الارشادية والتعليمية التي جاء بها وإنما حفظه للاحقين حتى يستفيدوا من علوم السابقين لتبقى الغاية التي جاء بها قائمة عبر الاجيال.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم بن عمر بيوض، في رحاب القرآن، تحرير عيسى شيخ بالحاج، جمعة التراث، الطبعة الثانية، غرداية.

ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، الجزء الثالث.

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ-1993م.

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، المجلد الخامس.

أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الجزء السابع.

أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين، موسوعة محاسن الإسلام ورد شهادات اللثام، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع -دار وقفية دعوية- الطبعة الأولى، 1436هـ-2015هـ، الجزء السابع.

أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار العرب الإسلامي، 1929م-1940م، الجزء الأول.

اسماعيل نزاي، درس التفسير من خلال مجلة البصائر 1936م-1953م عرض وتحليل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القراءات الإسلامية، قسم العقائد والأديان،

تخصص: القرآن الكريم وعلومه، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، 1443هـ-2022م.

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث، القاهرة، المجلد الأول، 1427هـ-2006م.

بن رجال أمينة، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزء الأول، العدد 11، 2016م، جامعة مسيلة، الجزائر

جابر فخار، منهج الشيخ بيوض في الاجتهاد الفقهي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجستير، تخصص أصول الفقه، 2013م، كلية العلوم الإسلامية خروبة جامعة الجزائر 1.

الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1990م.

خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمهيد-دراسة نظرية نقدية-، رسالة دكتوراه- قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار التدمرية الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1434هـ-2013م، الجزء السادس.

خبزي دليلة، اتجاهات التفسير عند إباضية الجزائر من القرن 13هـ إلى القرن 15هـ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، 2013م-2014م، غير مطبوعة.

الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الأول، نسخة ورقية مصورة.

صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1433هـ-2016م.

عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم، اعتنى

به وخرّج أحاديثه وأثاره أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م، المجلد الأول.

عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به وخرج أحاديثه وأثاره أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، المجلد الأول.
عبد المهدي عبد القادر، السنة النبوية ومكانتها.

مجموعة من المؤلفين، موقع الدرر السنية، موقع الدرر السنية dorar.net، الجزء الثالث.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الأرشاد والأنباء في الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 1385هـ-1422هـ الموافق ل 1965م-2001م، الجزء الخامس والثلاثون.

المصدر: رسالة واتساب مع الشيخ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج يوم الجمعة 5 جويلية 2024 بعد صلاة الجمعة.

المصدر: رسالة واتساب مع الشيخ عيسى شيخ بالحاج، يوم الجمعة 14 نوفمبر 2025م، الساعة 10 صباحا.

منير زيباني، المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفويا، مجلة الحضارة الإسلامية.

نادية وزناجي، التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة حاج الأخضر، 1428هـ-1429هـ، 2007م-2008م.

نبيل صباري، الحركة المعاصرة لتفسير القرآن في الوسط المسجدي بالمغرب الأوسط، ملتقى الكويت في التفسير القرآن الكريم.

البناء التفكيري لمقاصدية الدرس التفسيري وأثره في منظومة الإصلاح الاجتماعي

The intellectual construction of the objectives of the interpretive lesson and its impact on the social reform system

أ.د. بن هني قبلي

جامعة عمارثليجي بالأغواط

الملخص:

معطيات الدرس التفسيري التي تنبع من عمق التربية والتوعية من أبرز إسهامات علماء التفسير الجزائريين، حيث تنوعت تلك الآثار حسب اختلاف طبيعة الإصلاح وتوجهاته المقاصدية.

الترجمة:

The data of the interpretive lesson, which stems from the depth of education and awareness, are among the most prominent contributions of Algerian interpretive scholars, as these effects have varied according to the nature of reform and its purposive orientations.

مقدمة:

الحمد لله مجري الأقلام ومصلح الأحوال والأعلام ومنعم العقول في همة الأنام، وصلى الله وسلم على نبينا محمد العربي الهمام، وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم التنادي ودين يرام، أما بعد:

فإنه قد انبرى طائفة من الأئمة لتوطيد علائق التصورات مع نصوص الوحي في ثبوتة الدرس التفسيري، ومن ثمة انتظمت المناهج واستصلحت المجالات المعرفية وارتسمت معايير

العلاقات الاجتماعية المنوطة بمعاني أي القرآن الكريم، فتركت بذلك إرثا حضاريا يستمد صلاحيته من أصول النظر وقواعد الاعتبار في معارف الديانة وروم مقاصدها في منظومة إصلحية متكاملة الطرح والبناء واضحة المورد والاستمداد، وذلك من خلال تفعيل الدرس التفسيري الذي برز أثره وفاعليته في استثمار إسهامات المفسرين الجزائريين على وجه الخصوص.

أهمية البحث:

وقد اجتمعت مقروءاتي في مقالة وسمتها بـ: " البناء التفكيري لمقاصدية الدرس التفسيري وأثره في منظومة الإصلاح الاجتماعي ". أتوسم من خلالها بيان ذرائع المصالح وموارد المشروعات للنظم الإصلاحية من خلال جهود علمائنا رحمهم لله تعالى في الدرس التفسيري بالتعويل على أصول التربية الإسلامية والانتماء الديني وفق أطر كليات التشريع العامة.

استشكال الموضوع المبحوث:

وعلى غرار ما سبق توضيحه فقد بان أهمية الموضوع وهدفه الذي يستوضح من خلاله وجه الاستشكال المطروح، وهو: ما مدى استثمار المعاهد المقاصدية المقتنصة من الدرس التفسيري في توجيه مكامن الإصلاح التربوي والاجتماعي؟

منهج البحث:

وقد رمت بسط تلك الحقائق وفق منهج تحليلي استقرئ من خلاله توظيف جهود علماء الجمعية على وجه التحديد لهذا المسلك من الدروس في توحيد الجهود وتوجيه الفهوم وفق معلمة إصلحية شاملة.

خطة البحث:

وللإجابة عن تفاصيل الموضوع ارتسمت خطة عولت فيها على توضيح المقصود على النحو الآتي:

مقدمة

المبحث الأول: التصور المفاهيمي لمقاصدية الدرس التفسيري

المطلب الأول: أولويات الدرس التفسيري والغاية منها في إسهامات علماء الجزائر

المطلب الأول: لمحة تأسيسية لمعاقد التوجيه المقاصدي لبواعث الاستصلاح
المبحث الثاني: دلائل معيارية المقاصد للدرس التفسيري في مجالات التربية والتوعية
المطلب الأول: توظيف معيار المقاصد الشريعة في المناهج الإصلاحية
المطلب الثاني: نماذج عن مقاصدية الدرس التفسيري لدى علماء الجمعية الجزائرية
خاتمة.

المبحث الأول: التصور المفاهيمي لمقاصدية الدرس التفسيري

نتشوف في هذا المبحث إلى تمحيص منظوم التصورات حول مفهوم المعاني المقصودة في
معاقد هذا البحث وقد رمت في بيانها نصب مطلبين:

المطلب الأول- أولويات الدرس التفسيري والغاية منها في إسهامات علماء الجزائر

معلوم أن الباحث في التفسير لا بد أن ينيط بحثه بالتعريف الشامل لمقامات التفسير
من حيث المناهج والموارد والبيئة والحقبة، لأن هذا الفن له علاقة بكتاب الله تعالى، "فلا
عجب أن يكون ذلكم الكتاب الكريم شاملاً لصالح الدنيا وسعادة الآخرة، ولا عجب أبداً أن
يكون ملاذ المصلحين ودستور الحاكمين ومنار المهتدين، إليه يأوي أولئك يستمدون منه
قواعد الإصلاح الاجتماعي وأسس⁽¹⁾".

ولعل أهم المعارف المتعلقة بالاجتهاد في فهم المعاني القرآنية معرفة الحقبة الزمنية
والمناحي البلدانية التي جمعت فيه مادته حيث إن "بناء معيار ضابط لعملية تحقيب التفسير
يجب أن يتم منهجياً بنظرنا من خلال تأمل التفسير في ذاته والمعقد الأكثر جذرية في ساحته،
بحيث يؤدي وقوع التباين في هذا المعقد إلى وقوع تباين جذري في ساحة هذا الفن وتغير يَطال
هويته وشخصيته، ومنه يصير هذا المعقد في هيئة معيار لقراءة تاريخ هذا الفن"⁽²⁾.

ولذا صرنا في زمن كتب في التفسير كثيرون وفق معطيات مختلفة، وبالأخص المعيار
الإصلاحي للتفكير ومناحي العقلية الحديثة، وقد استثمرت جهود الدرس التفسير لإقامة

(1) نقلا من اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي 2 / 777.

(2) ينظر: تحقيب التفسير؛ قراءة في التحقيب المعاصر مع طرح تحقيب معياري للتفسير، خليل محمود اليماني،

بحث على موقع تفسير للدراسات القرآنية تحت الرابط الآتي: tafsir.net/research/60، ص 30.

الحجة على الأنام وفق ما حرر علماء الجمعية بما سطره في كتاباتهم التي حفظت آثارهم على رأسهم العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى. حيث نظر في بيئته وواقعه وتأمل مناحي الإصلاح ومواقع العلاج من خلال استبصاره لمختلف الأدواء التي أصابت الأمة الجزائرية بالوهن والضعف. فانتظم عقلية ابتكر أدبياتها مستفيدا من مرونة الدرس التفسيري لعلاج أمراض المجتمع الأخلاقية والتربوية والعقدية والتعليمية.

فمثلا نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يميل بشدة إلى فاعلية الدرس التفسيري وفق المعطيات العصرية الناتجة عن تفاعل العلوم الكونية والمعارف التجريبية، فقال في هذا الصدد: "من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صورا من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب، يشوقنا إلى التأمل فيها والتعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه في السماوات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه، واستجلاء حقائقه ومنافعه، بدافع غريزة حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول، وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم، واستثمار ما في الكون إلى أقصى ما استطاعوا، ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم، ولن نعز عزمهم إلا إذا فهمنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم"⁽¹⁾.

المطلب الثاني- لمحة تأصيلية لمعاقد التوجيه المقاصدي لبواعث الاستصلاح

معيارية المقاصد الشرعية في رعي المصالح والأمر بتحصيلها وتكثيرها وترجيحها، سلم الاجتهاد المصلحي الذي يرتقي من خلاله إلى طلب القطع لضبط الأوصاف والمعاني وتحديد ما انطوت عليه من الحكم الملحوظة الخاصة وربطها بالأحكام التكليفية ثم تنزيلها على خصوصية الأعيان، لذا لا ينفك بحث النظر في مقاييس تلك المعيارية ومسايرتها لمقتضيات العصر وتكييف أحكامها وفق مستجداته. ومن ثمة تواطأت البحوث والأنظار في معترك الفهوم وتلاقحت المناهج لتكريس بوتقة تناط بمنظومة تفكيرية رائدة تُرتشف تفاريعها من جماع المعاني المستنبطة من ظواهر النصوص الشرعية، لتصدر لوائح معرفية لفن لقب بعلم المقاصد الشرعية حيث عرفت بأنها معرفة "ما يستهدفه الشارع من الغايات في وضع

(1) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس ص 460..

التكليف بموجب البواعث لاستصلاح الجامعة الإنسانية⁽¹⁾.

وقد تتكرر تقاسيمها بحسب اختلاف الاعتبارات، لكنها ترجع في الجملة إلى معرفتين:

الأولى: معرفة جنسها لتمييز ما يدل وما ولا يصلح أن يستدل به.

الأخرى: معرفة مرتبتها لتمييز ما يقدم في الترجيح لدى التعارض.

هذا من حيث حقيقتها في جوهر الطلب، وأما ما يتعلق بمن يتعاطى هذا العلم فقد تشوف في غرضه معرفة أمرين:

- بواعث تعلق الأحكام في التشريع من خلال مظاهر صفات الشارع، وهي مجتمعة في أربعة: العلم والقدرة والعدل والرحمة.

- وأركان اعتبارية في التحصيل والتأصيل والتعويل والتعليل، حيث ينتخب من خلالها معيارية مقاصدية تنبني عليها معالم الاستصلاح النظري من حيث قوة المصلحة ومتعلقاتها في باب المظنات والاحتكام إليها بين المتشريع والمتوقع. وتلكم الأركان هي:

اعتبار المناسب والمرسل في ضوء ما تواتر به العمل بين الإطلاق والتقييد.

اعتبار الحال والمآل في ضوء فقه الواقع والتوقع.

اعتبار الأمر الديني والنظام الكوني في ضوء السُنن الربانية بين الشرع والقدر.

اعتبار الدنيوي والأخروي في ضوء التكليف والجزاء والوعد والوعيد والأسماء والأحكام.

مع عدم إغفال ما اندرجت تحته من الأجناس من حيث كون الجنس قريبا أو وسطا أو عاليا مسورا بواحد من الكليات الضرورية المعتبرة في الاستصلاح ونظام الشريعة وقانون التكليف.

مع تجويز بناء الحكم المستنبط على المصلحة المتعلقة بقطعي تشوفت منفعته في التشريع، وأما ما أوجب التردد في النظر فلا بد فيه من شاهد الاعتبار كقرينة أو باعث أو موجب شرعي احتف بالمناط أو علم قصده في نظائره وفق ضابط التحكيم والتسبب المقتنص

(1) ينظر كتابنا: نبراس الوصول إلى منارة المقاصد الإلهية وتحصيل هدي الرسول صلى الله عليه وسلم [دار

الضحى بالجلفة الجزائر - الطبعة الأولى، 1440هـ] ص40.

من معاهد التقصيد.

ومن ثمة لا بد من تقرير معالم النظر المقاصدي لتفعيل مسمى المصلحة وترتيبها حسب السلم الآتي⁽¹⁾:

ضبط المصلحة وتحديد مرتبتها وهذا للمحافظة على مقصود الشارع في نفسه.
مراعاة الأخذ بالمصلحة الراجحة عند التزاحم وتحرير محل الأخذ بالأصلح ثم الأحوط
وفق استحسان عربي عن الذوق والتشهي، وذلك من خلال تفعيل الموازنة بين المقاصد
ووسائلها.

اعتبار المآلات وتنضبط بالتسبب إلى الأفعال وفق عوامل المتغيرات.
تحقيق مناهج الأحكام.

كل ذلك إذا التمسست الدلالات من ضابط المعاني دراية وفقها، وإلا لم يبرح الناظر عتبة
التسليم بالتعويل على الألفظ والأشكال سياقاً واصطلاحاً. قال الإمام ابن دقيق: "واعلم أن
أكثر هذه الأحكام: قد تدور بين اعتبار المعنى واتباع اللفظ. ولكن ينبغي أن ينظر في المعنى إلى
الظهور والخفاء. فحيث يظهر ظهوراً كثيراً فلا بأس باتباعه، وتخصيص النص به، أو تعميمه
على قواعد القياسين. وحيث يخفى، ولا يظهر ظهوراً قوياً. فاتباع اللفظ أولى"⁽²⁾.

ومن لازم تفعيل هذا المقياس لا بد من التعويل على اعتبار المصالح المرعية، والتي هي
بجعل الشارع لها كذلك، حتى تكون مدار التكليف عند النظائر الذين يفرقون بين المعلوم منها
والمظنون والموهوم، ولذلك جاء الحث والندب إلى السعي في تحصيلها وتكثيرها لكونها تحقق

(1) ينظر بحثي المحكم بعنوان: "التحكيم المقاصدي ومسالكه التعليلية في استصلاح قضايا الأسرة المستجدة"
منشور ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مستجدات فقه الأسرة منعقد بوادي سوف. ص 49/48.

(2) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد [دار الكتب العلمية، بيروت، دط/دت] 115/3.

الخير وتحصل النفع للمكلفين، ولذلك اقترنت بالغايات⁽¹⁾ والحكم⁽²⁾ المعلومة من تصرفات الشارع. يقول العلامة الشاطبي: "المفهوم من وضع الشارع أن الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها، وقد علم من الشريعة أن أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة، وأن أعظم المفاسد ما يكرّ بالإخلال عليها"⁽³⁾.

وإذا كان تشوف هذا القانون مع تلکم الاعتبارات بما تندرج تحته من أجناسها فلا مناص من تمحيصه في معاهد العلوم تنظيرا، ومحركاتها في المقاييس التطبيقية من خلال توطین الدروس المنطوية تحت علمي أصول التفسير والتأويل وقوانين الاجتهاد والتنزيل.

المبحث الثاني: دلائل معيارية المقاصد للدرس التفسيري في مجالات التربية والتوعية

استبصار الناظر في معيارية العلوم يجد قدر مشتركا نتوسم من خلاله تحرير مقامات مطلوبات التشريع وفق ضبط کلیات عامة يلتبس من خلالها نوط الصلاح بمعولالاته على مستويات مختلفة اللوائح والمباني، وقد نصبت لذلك مطلبين نبين فيهما دلائل هذه المعيارية ورسومها الاستصلاحية من خلال النظر في جهود علماء الجمعية التفسيرية.

المطلب الأول- توظيف معيار المقاصد الشريعة في المناهج الإصلاحية

لا غرو أن مظاهر توظيف معيار المقاصد يومئ إلى اقتران هذا التوجيه بثلاثة مقاييس، هي: الفطرة والفكرة والمصلحة، حيث يفسر حقيقة النمو الحضاري والدعم الاجتماعي لتحصيل مدنية راقية تكرر طاقاتها لبلوغ ما تستهدفه من التمكين والتفوق. وقد تقرر عند علمائنا هذا المبدأ فعمل فيه الاتكاء على استثمار تفاريع الدرس التفسيري لاقتناص الأوصاف

(1) يقول الشيخ ابن تيمية في مجموع الفتاوى [طبعة الباز والجزار، دار الوفاء. ط 01/ 1426 هـ] 19/3: "الغايات المحمودة في مفعولاته وأموراته، وهي ما تنتهي إليه مفعولاته وأموراته من العواقب الحميدة، تدل على حكمته البالغة".

(2) تعريف البناني بقوله: "الحكمة هي ما يترتب على التشريع من جلب مصلحة أو تكميلها"، ينظر: حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع، مصطفى الحلبي، مصر ط 1349/1 هـ، 236/2.

(3) الموافقات للشاطبي 511/2.

الشرعية المنعقدة في كواشف التعليل والمقاصد.

ومن أوضح تلك الإسهامات ما حرره الشيخ محمد عابد الجيلالي من أعيان الجمعية حيث كشف عن أهم تلك المعاني التي ترمي إلى التمهيد الحقيقي للمدنية الراقية، وهما تحت ظلال صفتي العدل والإحسان، فقال ما حاصله:

- العدل: "هو إعطاء كل أحد حقه ومنعه من حق غيره، لا بد أن يتلقاه بالاستحسان لا لأنه خير مدرك بالفطرة فقط بل لأنه أيضاً يراه الكفيل الوحيد الذي يحفظ له مصالحه المعرضة دائماً لتعدي الآخرين. هذا العدل الذي هو محبوب للإنسان بالفطرة والمصلحة وهذا العدل الذي هو أساس الملك وقوام العمران هذا العدل هو الذي يعلنه الإسلام ويقرره ويؤكدده ويوطده بين الناس أجمعين ...

- الإحسان: للإنسان حاجات ورغبات وله ضرورات وأزمات. وكثيراً ما تعجز مقدرته على تحصيل حاجاته ورغباته، وعن تفريغ ضروراته وأزماته، فيحتاج لا محالة إلى مساعدة غيره وإحسانه فلهذا كان الإحسان محبوباً إليه بفطرته لمصلحته. ومحبته هذه للإحسان إليه تربي فيه محبة الإحسان إلى غيره، ولا سيما عنه ما يدرك حاجة الناس إلى التعاون والتحاسن، وأن الإحسان ينبت الإحسان فيكون حينئذ الإحسان محبوباً إليه بالفطرة والفكرة وللمصلحة. هذا الأصل الحاجي والكمالي دعا إليه الإسلام وحض عليه وقرنه بالعدل صنوه وأخيه..⁽¹⁾.

ثم أوردف مينا لهذا الإجمال: "وإذا تدبرت آيات الأحكام من القرآن وجدتها تبرم الأحكام على أصل العدالة، حتماً، وتدعو إلى الإحسان فضلاً.

* ففي آية القصاص: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} إلى قوله {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة: 45]، فهذا حكم عدل. وفيها {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة: 45] وهذا إحسان وفضل.

(1) ينظر: مقال بعنوان: "مجلة موران والأحكام الشرعية بحث حقوقي فلسفي 2 - كيف كانت أحكام الإسلام فطرية-

" لمحمد العابد الجلاي منشور في مجلة الشهاب العدد 27/ ص 03-02 س: 01.

* وفي آية الجزاء {وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} [الشورى: 40]، هذا حكم عدل، وفيها {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: 40]، وهذا إحسان وفضل..

فأحكام تبني على هذين الأصلين العظيمين لم ي أحكام فطرية فكرية إنسانية مصلحة جديرة بما لقيته من القبول وما كان لها من سرعة وسعة الانتشار⁽¹⁾.

ولعل العدل والإحسان كليتان تتخرج عليهما باقي الأصول في معالم التربية والتزكية لانحصار معنى الصلاح الاجتماعي في توظيف مقاماتها في سلم المدنية، وأنها لا بد أن تتوفر على حفظ المصالح التي يتشوف من حفظ وجودها المعاهد التالية:

"عقول سليمة لتدبير الشؤون والمشاركة في خدمة البشرية وترقية العلم والفن والصناعة.

أبدان قوية لمزاولة الاعمال الشاقة والمجهودات العظيمة.
أنساب محفوظة لتبني قوميتها على أساس تنظيم العائلة، لأن العائلات أساس تكوين الأمم.

أعراض تقية ليحل أفرادها محل الاحترام والثقة فيما بينهم، وتحل هي كذلك هذا المحل بين الأمم والاحترام والثقة ركنان عظيمان في قوام العمران.
مال تبني عليه وحدتها وقوتها الاقتصادية، إذ كل أمة حرمت من هاته القوة، فإنها لا تستحق الحياة الاستقلالية بين الأمم.

قانون شرعياً أو وضعياً يزعمها عن المفسد والمهلك وتبني عليه نظام حياتها⁽²⁾.
ثم قرر ما يغني عن غيرها من التواضع في مساقات التخاطب المصلحة أو التنظيمي الإصلاحي:

"فكل أمة لم ي بحاجة ضرورية إلى حفظ هاته الأصول.. وما من شريعة ولا قانون إلا وقد جاء برعايتها والذب عنها. وإذا نظرنا في الشريعة الإسلامية وجدناها تعني بها العناية كلها وتفصل الأحكام فيها فصلاً لا هوادة فيه وتحوطها بأنواع من العقوبات من المعتدين عليها مع

(1) المصدر نفسه ص 02-03.

(2) المصدر السابق صحيفة 03. ص 527 بترتيب الطبعة.

شيء من الشدة التي لا بد منها في قطع الدعارة والفساد والتي إذا آلمت جانباً فإنها تشفي نفوساً مستعدة للجناية بدون ألم بدون ألم، وترقية الكافية من الأمنين البرينين فكانت أحكام الإسلام موافقة لحاجة الأمم فسهل عليها تطبيقها في الأعصار والأمصار. نعم الأمم التي تستبجح البغاء والفجور، وتدخل في ميزان اقتصادها بؤر القمار ومزارع الخمر لا تسهل عليها أحكام الإسلام !! .

هذه وجهة أحكام الإسلام في هذه الأصول الكلية على وجه الإجمال وأما في تفصيل فروعها، وأنواعها فإن الإسلام اعتبر أصولاً في التشريع بمراعاتها أمكن ويمكن تطبيق أحكامه على جميع الأمم في جميع الأزمان اعتبر في الأحكام العوائد والأعراف الماضية، اعتبر جلب المصلحة ودرء المفسدة، ثم ناط ذلك بأهل العلم والخبرة، وأهل البصر والدراية، ثم ألزم عند المشكلات بالشورى.

بهذه الأصول والاعتبارات طبقت أحكام الإسلام حيثما خفق لواؤه، وبترك هذه الأصول والاعتبارات أصبح اليوم قوم يدعون أن أحكام الإسلام غير قابلة للتطبيق في هذا العصر !! والله يعلم وأولو العلم إنهم لكاذبون⁽¹⁾.

ومن محاسن الاستثمار الدالة على قوة إدراك القيمة الوظيفية للدرس التفسيري لدى كافة علماء الجمعية، حسن توظيفهم لتلك الدلالات المقاصدية ووكلياتها العظيمة في تصور معنى التمدن ومعدن الوجود الأممي في المعترك الحضاري بين الشعوب، وهذا راجع إلى التوغل في معاني التشريع من حيث تقرير مقامات المصالح والذرائع المفضية إليها وما يتوسل إليه من سد دابر المفسدة وغلق منافذ الضرر، سواء في التصورات لتصحيح العقيدة، أو في التصرفات لتصحيح الأعمال والانفعالات.

ومن ذلك ما كتبه العلامة الطيب العقبي في جريدة "السنة" تحت عنوان: الإسلام والتمدن المعاصر، حيث أورد من النص الشرعي ما يدل على هذه الوجهة الربانية، فأورد من القرآن الكريم عدة آيات تفيد المقصود، وهي:

قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص:

(1) المصدر السابق صحيفة 03.

[77].

وقوله تعالى: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} [البقرة: 201].

وقوله تعالى: {وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: 39].

وقوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:

7، 8].

وأشار إلى قوله تعالى: {لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}

[البقرة: 286].

وجمع مدلول هذه الآيات على قدر مشترك يقضي بأن الدين الحنيف بني أحكامه على "الحكمة" والقصد إلى "هداية البشر"، أن قدم "درا المفسدة على جلب المصلحة"، وجاء بنفي "الضرر والضرار"، وجعل من الأوليات "نفي الحرج"، وكان من قضاياه التي لا تتخلف "الضرورات تبيح المحظورات"، كما رعي العمل بقاعدة "سد الذرائع". فكانت أحكامه معقولة الحكمة مدركة المعنى محققة الفائدة والنفع. هذا ولا تقل محاسنه أهمية في الدلالة على مقاصده على غرار "التسامح"

و "حرية التفكير". مما نتج عنه أن "كانت نفوس معتنقيه مطمئنة وضمائهم مرتاحة".

ثم عرض بالمنهج التفكيري الغربي وحدا بالمفكر الحكيم لو أنعم النظر لوجد "أن الإسلام هو الدين الطبيعي للبشر، الصالح للتأليف بين أجناسهم وأمهم كيفما كان لونهم وجنسهم. وأنه هو الدين الوحيد الذي يساير أدوار الحياة، ويسير كل مدينة تركز على قوتي العلم والحق" - إلى أن قال:- "فمرحبا بكل تمدن نرى من نتائجه استتباب الأمن واستبحار العمران وتمهيد طرق المواصلات وسرعة السير إلى الأمام واستثمار ما أودع الله تعالى في الكون من خيرات وكنوز. مرحبا بالتمدن الذي يحفظ مصالح بني البشر المشتركة.."⁽¹⁾.

المطلب الثاني- نماذج عن مقاصدية الدرس التفسيري لدى علماء الجمعية الجزائرية

(1) جريدة السنة العدد: 01. قسنطينة بتاريخ: 08 ذي الحجة 1351هـ. ص 04-05.

لقد تكثر مطالب المجتمع بناء على تهيئة النفوس لتلقي مطلوبات الشارع وفق سنن التكليف ومعاهد الاستصلاح، وهذا يرجع إلى مكنة العالم بالتفسير وقوة ملكته وسعة مداركه في فقه المجتمع وفهم تفاصيل البناء المدني والنسيج العمراني، كما قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "ويحق على العالم أن يغوص برأيه في تتبع المصالح الخفية فإنه يجد معظمها مراعى في النفع العام للأمة والجماعة ولنظام العالم ... ومثال مراعاة مصلحة نظام العالم حيطة الشريعة المصالح المألوفة المطردة بسياج الحفظ الدائم، ولو في الأحوال التي يظن فوات المصلحة من سائر جوانبها.."⁽¹⁾.

أ- في مجالات الإصلاح التربوي

أدركت الجمعية أهمية التأليف العلمي لرفع مستوى التوعية لدى الشعب الجزائري من توجيه همه إلى القراءة والكتابة وحضور مجالس العلم، دركا منها مدى فعالية طلب العلم في ميدان التحرر والجهاد. وقد ارتسمت عدة مجالات وصيغ مختلفة في سبيل تحصيل مقصودها، ومن ذلك: تأليف المقالات وكتابة المنشورات واعتماد وسيلة الصحافة⁽²⁾، والتعويل على أسلوب الوعظ والتذكير في مجالس الاجتماعات واغتنام لقاءات المناسبات.

ولنا من تراث الجمعية أنموذج يظهر فيه مدى قوة الملكة العلمية والقدرات الذهنية التي خصت بها ثلة العلماء من استثمار الدرس التفسيري في توجيه الأمة وتعليمها العلم الصحيح والمنهج الرباني الحنيف، قال العلامة ابن باديس رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا}

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور 202/3-204.

(2) ينظر مقال للباحثة مريم لعماري بعنوان: "دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية". نشر في مجلة المعارف - تصدر عن جامعة البويرة - العدد 20 / ديسمبر 2016 - السنة: 11 حيث بينت في دراسة إحصائية مضمون جريدة البصائر ومجالات الكتابة فيها ومدى اهتمام الجمعية بالجانب الديني والإصلاحي بالإضافة إلى الفكري والثقافي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي.

مَدْحُورًا} [الإسراء: 18]⁽¹⁾: "كل الناس في هذه الحياة حارث وهمام: عامل ومريد، فسفيه ورشيد، وشقي وسعيد.

منهم من يريد بأعماله هذه الدار العاجلة والحياة الدنيا عليها قصر همه، وعلى حظوظها عقد ضميره، جعلها وجهة قصده، ونصبها غاية سعيه، لا يرجو وراءها ثواباً، ولا يخاف عقاباً، فهو مقبل عليها بقلبه وقالبه، معرض عن غيرها بكليته فلا يجيب داعي الله بترغيب ولا ترهيب، ولا يتقيد في سلوكه بشرائع العدل والإحسان.

فمن كان هذه إرادته، وهذا عمله، عجل الله له في الدنيا ما مضى في مشيئته تعالى أن يعجله له، إن كان ممن أراد التعجيل لهم، بحكم إبدال الجار والمجرور في قوله: {مَنْ يُرِيدُ} من الجار والمجرور في قوله: {عَجَّلْنَا لَهُ} فالتعجيل منه تعالى لمن يريد، لا لكل مريد، والشيء المعجل -في قدره وجنسه ومدته- على ما يشاء الرب المعطي لا على ما يشاء العبد المريد. فكم من مريدي الدنيا من يقصد الشيء فلا ينال إلا بعضه، فيضيع عليه شطر عمله، فلا في هذه الدار ولا في تلك الدار، وكم منهم من سعى واجتهد وانتهى بالخيبة والحرمان، فعاد -بعد النصب- ولا ثمرة حصلها عاجلاً، ولا ثواباً أدخره أجلاً، وذلك هو الخسران المبين. ثم إذا قدم على الله في الآخرة جعل له وحضر له جهنم دار العذاب، واضطره إلى دخولها فيصلاها. {مَذْمُومًا}: مذكوراً بقبح فعله وسوء صنيعه في قلة شكره لربه، وعدم استعماله لما كان أنعم عليه به في طاعته، وعدم نظره لعاقبة أمره. {مَدْحُورًا}: مبعداً في أقصى النار مطروداً من الرحمة. حرم نفسه من استثمار رحمة الله في الدنيا بالشكر عليها، فكان عدلاً أن يحرم منها في الآخرة"⁽²⁾.

ب- في مجالات الإصلاح القيمي للمجتمع:

ولذلك استشعرت الجمعية أهمية هذا المقصد الأصيل بين مهمات المقاصد السامية،

(1) كما أشار أن لهذه الآية نظير في كتاب الله تعالى، نحو: آية "الشورى": {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} [الشورى: 20]. ونظيرها أيضاً، آية "هود": {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نُوْفَ إِلَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} [هود: 15].

(2) المصدر نفسه لابن باديس ج 1/ ص 199-200.

فلم تفتأ بالتأكيد عليه وحراسته أشد الحراسة، فقد قال العلامة الإبراهيمي مؤكداً بأن "مرد الفضائل في الشعب هو سمو أخلاقه، وترامي هذه الأخلاق فيه إلى الكمال، بما يكفله استعدادده للخير والرحمة وتقوية النوازع الإنسانية الكامنة في طبعه وجبلته"⁽¹⁾. كيف وقد دلت مقاصد الشريعة الإسلامية على ذلك بما "لها من الأسرار التي تتعلق بسياسة النفس وصالح الفرد الذي يلتئم منه المجتمع"⁽²⁾.

وفي إشارات آية الشفاء التي أوردناها آنفا جاء استثمار الدرس التفسير جليا لما قرر العلامة ابن باديس رحمه الله هذه الكلية العظيمة حيث قال ما نصه: "على أن القرآن هو شفاء للاجتماع البشري كما هو شفاء لأفراده فقد شرع من أصول العدل وقواعد العمران ونظم التعامل وسياسة الناس ما فيه العلاج والدواء الشافي للأمراض المجتمع الإنساني مع جميع أمراضه وعلله. شفاء العقائد والأخلاق -وهما أساس الأعمال- والمجتمع. هذه الثلاثة لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها وبيان ما هو شفاء لها"⁽³⁾.

وفي أصول التربية ومعدن نظامها في مخاطبات العلامة ابن باديس، جاء من مجامع خطبه حيث قال: "حافظ على حياتك، ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك، وإذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل. كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك. كن صادقا في معاملتك بقولك وفعلك ... حذر من التوحش فإن المتوحش في عصر المدنية محكوم عليه طبيعيا بالتناقض ثم الفناء والاضمحلال والاندثار، كما فنيت جميع الأمم المتباعدة عن التمدن والرقى... ثقب بأن سياسة الصدق والصراحة والإخلاص المرتكزة على الحب والعمل والتعاون، لا بد أن تظهرك أمام العالم بمظهرك الحقيقي .."⁽⁴⁾.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 05 / ص 233.

(2) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور 29/3.

(3) آثار ابن باديس ج 1 / ص 330.

(4) آثار ابن باديس ج 3 / ص 178. وينظر: جريدة الشهاب عدد 49 السنة 03/15 صفر 1345 هـ - 23 أوت 1926 م.

ج- في مجالات استصلاح النسيج المدني

لعل أجمع آية في هذا الشأن قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: 60]. وفي ثنايا معناها التفسيري يقول الشيخ عبد الباقي سرور نعيم:

"الإسلام وموقفه إزاء المدنية الحاضرة للإسلام موقف حيال ما في المدنية قامت المدنية الحديثة على القوة الحاضرة من خير وموقف آخر حيال ما والإسلام يقوي مبدأ القوة ويأمر أتباعه فيها من شر. بإعدادها ما استطاعوا إذ يقول: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..}.

فالأمة الإسلامية بأسرها مأمورة بإعداد القوة وبالاشتراك في هذا الإعداد كل على حسب ما في استطاعته، فأولو الأمر ملزمون بإعداد القوة الحربية ورجال السياسة مكلفون بإعداد القوة السياسية ورجال الدين مطالبون بإعداد القوة المعنوية ورجال المال ملزمون بإعداد القوة المالية ورجال العلم مأمورون بإعداد القوة العلمية ولا تعد الأمة ممثلة لهذا الأمر الأهالي إلا إذا قام كل فرد فيها بواجبه نحو إعداد القوة وإذن فالإسلام يقرر هذا المبدأ مبدأ القوة ويتفق والمدنية الحديثة في جعله ساس عظمة الأمة بيد أنه يخالف المدنية في استخدام تلك القوة فالمدنية تستخدمها في إذلال الأمم واستعباد الشعوب وتستخير عباد الله وإخضاعهم في بعضا القهر والغلبة.

أما الإسلام فمن تعاليمه الحققة إقرار مبدأ المساواة بين الناس واحترام حقوق الأمم واستخدام القوة كأداة لمنع الاعتداء عليه ووسيلة لكسر شوكة الظالمين كي يتسنى له إبلاغ دعوته إلى الأمم واضحة جلية. قال تعالى في الكريم: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 41].

تلك هي النتائج التي رتبها الإسلام على القوة والتمكين في الأرض إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا ريب أن جعل الزكاة مرتبة على التمكين في الأرض ينبئ بأن القوة في الإسلام وسيلة لإصلاح أهم مشكلة اجتماعية وهي معالجة مشاكل الفقر وإيجاد رابطة وصلة بين طبقتي الفقراء والأغنياء تؤدي إلى إرضاء كلا الفريقين وجعله في عيشة راضية. وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤديان إلى إصلاح العلل الأخلاقية وإلى إحياء أمهات الفضائل وإلى إبادة الرذائل والفواحش من المجتمع الإسلامي، قال تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ { [ص: 26]. إلى غير ذلك الآيات التي تبين أن استخدام القوة يجب أن يكون لإصلاح حال البشر ومداواة أدواء المجتمع لا إلى تسخير الناس واستعباد من بني آدم⁽¹⁾.

الخاتمة:

بعض عرض مقتضب فيما طوفنا فيه حول حى بحثنا مما ارتسم في مفاهيم النظار في تحصيل مقصود هذا الملتقى فقد انبرت القريحة لاقتناص النتائج التالية:

1- متابع آثار العلماء الجزائري في الاستثمار الدرس التفسيري يجدهم ذوي رؤية واسعة وأهداف واعدة.

2- أهتم الأئمة في هذا الباب على حرره الفحول السابقون من الجهود منوطة بالوعي المقاصدي.

3- نبعت ملكات علمائنا من اكتسابهم جمهرة من المعارف الشرعية التي خدمت التفسير مع معرفتهم المباشرة بواقعهم الذي ساعدهم على التمكن من الخبرة العلمية الفالقة التي ظهرت في فتاويهم ودروسهم وعلومهم، كما هو مدون في تراثهم المبارك.

4- ما قدمناه من النماذج كان دليلا على مدى سعة مداركهم وقوة قرائحهم الفذة التي تلهم الباحثين من تكثير النظر وترديد الاعتبار في استثمار علومهم في إعادة بوتقة المنزلة التربوية والتعليمية.

المصادر والمراجع:

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد. دار الكتب العلمية، بيروت، دط/دت

- آثار ابن باديس المحقق: عمار طالبي - دار ومكتبة الشركة الجزائرية الطبعة: الأولى عام

(1) ينظر: مقال: مؤتمر مكة لعبد الباقي سرور نعيم نشر في الشهاب العدد 26 السنة 01 ص: 06-07.

1388 هـ

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، 1997

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى 1407 هـ - 1986 م

- تحقيب التفسير: قراءة في التحقيب المعاصر مع طرح تحقيب معياري للتفسير، خليل محمود اليماني، بحث على موقع تفسير للدراسات القرآنية.

- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: عبد الحميد بن باديس..

- حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع، مصطفى الحلبي، مصر ط 1349/1 هـ.

- مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور - المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط/ 1425 هـ

- المجلات الصادرة عن الجمعية: البصائر - الشريعة - الشهاب - المنتقد - السنة

- الموافقات للشاطبي - لمحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان الطبعة الأولى 1417 هـ

[115/3.

- مجموع الفتاوى لابن تيمية [طبعة الباز والجزار، دار الوفاء. ط 01/ 1426 هـ

- مقال: مؤتمر مكة لعبد الباقي سرور نعيم نشر في الشهاب.

- مقال: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية". لمريم لعماري نشر في مجلة المعارف.

- مقال: "مجلة موران والأحكام الشرعية بحث حقوقي فلسفي 2 - كيف كانت أحكام

- نبراس الوصول إلى منارة المقاصد الإلهية وتحصيل هدي الرسول صلى الله عليه وسلم
لقبلى بن هنى دار الضحى بالجلفة الجزائر - الطبعة الأولى، 1440هـ]

¹ عيسى بن قبي، "محمد بن أبي القاسم الهاملي: تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة"،
المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 2، العدد 3، 2018، ص. 153-164.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/124979>

³ زيباني منير. "المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية". *مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية*، المجلد 13، العدد 2، 2021، ص. 191-214.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/158539>

⁵ محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24، 2018. <https://www.manarnew.com/article/تفسير-الرأي-بين-المنع-والتفعيل>

⁷ محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24، 2018. <https://www.manarnew.com/article/تفسير-الرأي-بين-المنع-والتفعيل>

⁸ عبد المجيد النجار. *المنهج الأصولي في تفسير القرآن*. تونس: دار ابن عرفة، 2015.
<https://www.daribnarafa.com/book/المنهج-الأصولي-في-تفسير-القرآن>

150

<https://repository.univ-msila.dz/items/e0ef4bee-fa52-4ae0-922b-559d64451f8f>، العدد 4، 2020.

¹⁰ الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 2000.

¹¹ سمير رقا. "منهج التفسير بين المشاركة والمغاربة - دراسة مقارنة، ابن جرير الطبري وابن عطية الأندلسي أنموذجاً". *مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية*، المجلد 7، العدد 2، 2020، ص. 149-186. <https://asjp.cerist.dz/en/article/166171>

¹² حسام الحداد. "اختلافات منهجية بين المشرق والمغرب.. تحليل لتفسير الطبري وابن عطية". *البوابة نيوز*، 1 مارس 2025. <https://www.albawabhnews.com/5162644>

¹³ زباني منير. "المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية". *مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية*، المجلد 13، العدد 2، 2021، ص. 191-214. <https://asjp.cerist.dz/en/article/158539>

¹⁴ بن زيان خالد. "جذور حركة التفسير في الجزائر وتطورها". *مجلة المعيار*، جامعة تيارت، 2016. <https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-tissemsilt-jذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطورها>

¹⁵ موسوعة التفسير في الجزائر - الجزء الأول. مركز الأنثروبولوجيا الثقافية بوهان، بالتعاون مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، 2022. <https://www.alphadoc.dz/produit/موسوعة-التفسير-في-الجزائر-الجزء-الأول>

تجديد التفسير عند مدرسة المنار وأثره على مناهج المفسرين الجزائريين

أ.د. حموبن عيسى الشيماني

جامعة غرداية

الملخص:

إنطلاقاً من كون القرآن الكريم كتاب تحرُّك لا مجرد تبرُّك، فهو كتاب هداية ومنهج حياة الإنسان، يُطرح الإشكال الآتي: لماذا أصبح المسلم لا يتأثر بالقرآن الكريم التأثر المعهود في صدر هذه الأمة المجيد؟

لاشك أن القرآن لا يتبدل ولا ينضب ينبوعه الهدائي ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: 09 ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة: 77 بل الخلل يكمن في طريقة تعامل الإنسان مع القرآن، فلا اعتبار في اختلاف الزمان والمكان في التأثر بهداية القرآن الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه... وفي ذلك يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد المدرسة الإصلاحية في الجزائر: «إن القرآن الذي كَوَّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يُكوَّن رجالاً في الخلف، لو أحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على منهاجه».

اعتقد رواد مدرسة المنار؛ أقطاب الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي بأن لا سبيل إلى إصلاح الأوضاع وتغيير الطباع بغير تجديد فهم الأمة للقرآن، فاجتهدوا في تنزيل التفسير وأحكام القرآن على واقع الأمة لعلاج قضاياها ومشكلاتها على نور الهدايات القرآنية..

- فما مفهوم التجديد المقصود في تفسير القرآن؟

- وكيف تعامل رواد مدرسة المنار مع التراث الإسلامي؟ بالتقديس؟ أم الإلغاء؟ أم بالنقد البناء؟.

- وما أثر جهود مدرسة المنار على مناهج التفسير عند علماء الجزائر؟.

نص المداخلة

يُحظى القرآن الكريم منذ نزوله بالعناية الفائقة تلاوةً وحفظاً وتفسيراً عنايةً متميزةً لم يُحظَ بها أيُّ كتابٍ عبر التاريخ، وكان الرسول ﷺ أولَ مفسّرٍ للقرآن الكريم، امثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: 44 فقد كان يتولّى مهمّة توضيح ما يحتاج صحابته -رضوان الله عليهم- إلى بيان، وقد تعدّدت مناهج التفسير وأطوار مسيرته التاريخية من مرحلة التأسيس إلى التأصيل في عهد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، صاحب المنهج الجامع القائم على الأسس الثلاثة: اللغة والأثر والاستنباط، وانتقل التفسير بعد الطبري إلى طور التفرع حيث صار المفسرون يتفرعون ويتوسعون في المسائل التي مهروا فيها والعلوم التي تخصّصوا فيها، وانتقلوا بالتفسير من المنهج الجامع إلى المنهج الغالب حيث يلاحظ أنّ كلّ مفسّر يكاد يقتصر تفسيره على الفنّ الذي برع فيه؛ فيصبح مجال تخصّصه هو الغالب على التفسير.

استمرّ هذا الطور من التفسير عشرة قرونٍ إلى أن جاء العصر الحديث، القرنُ الرابع عشر الهجري، حيث عرفت المسيرة التاريخية للتفسير مستجدّاتٍ أسفرت عن انبعائه من جديد على يد رواد مدرسة المنار، كما برزت عدّة مناهجٍ معاصرةٍ للتفسير، وقراءاتٍ جديدةٍ للقرآن الكريم، فأطلق على هذه المرحلة طور التجديد، وستركّز مداخلتنا على إبراز معالم التجديد عند المدرسة الإصلاحية للتفسير.

إنطلاقاً من كون القرآن الكريم كتاب تحرّك لا مجرد تبرّك؛ فهو كتاب هدايةٍ يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتها وتزايد تحدياتها... يُطرح الإشكال الآتي: لماذا أصبح المسلم لا يتأثر بالقرآن الكريم التآثر المعهود في صدر هذه الأمة المجيد؟

لاشكّ أن الخلل ليس في القرآن الكريم الذي ميّزه الله بطبيعته الهدائية الدائمة وأثبت له استمرارية أحكامه، بل الخلل يكمن في طريقة تعامل الإنسان مع القرآن، وقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد المدرسة الإصلاحية في الجزائر يعتبر من الهجر للقرآن طريقة تدريس مادة التفسير في جامع الزيتونة آنذاك، ويرى «أن القرآن الذي كوّن رجال السلف لا يكثر عليه أن يكوّن رجالاً في الخلف، لو أحسن فهمه وتدبره، وحملت الأنفس على مناجاه».

إقتنع رواد الحركة الإصلاحية بفرضية تجديد كيان الأمة، وأيقنوا بأن لا سبيل إلى شيء

من ذلك بغير تجديد فهم الأمة للقرآن، إلا أنّ التجديد في التفسير بقدر ما يؤكّد على ضرورته يحدّر من خطورته في حال تفلّته من قواعده وضوابطه!... حيث صار التجديد متكاً يستند إليه الكثيرون ممّن لا خلاق لهم ولا علم، ولذا فهو من أكثر الموضوعات التي تحتاج إلى ضوابط يستفيد منها الصادقون الذين يرومون تيسير أسباب الهداية للناس وتقريب العلوم لهم بروح عصرية تجديدية، وتمنع المتسوّرين على العلوم من أذئاب العلمانيين وغيرهم من الاجتراء على القرآن وتفسيره.

فما مفهوم التجديد المقصود في التفسير؟

- وكيف تعامل رواد المدرسة الإصلاحية في التفسير مع التراث الإسلامي؟ بالتقديس أم الإلغاء؟ أم بالنقد البناء؟

- وكيف تعاملوا مع القضايا المعاصرة ونتاج المدنية؟

- وما أثر جهود مدرسة المنار على مناهج التفسير عند علماء الجزائر؟

تعريف التجديد:

التجديد: من الجِدّة، والكلمة تدور على إبراز ما لم يكن بارزاً أو إنشاء ما لم يكن منشأً أو من الإيجابية في العمل والاستمرار فيه.

أما بخصوص تفسير القرآن الكريم فحقيقة التجديد في شأنه هي: "استلهاهم النصّ القرآني لإدراك كل معطياته التي ترسم من خلال القرآن الكريم المثل العليا للمسلم في حياته الفردية والجماعية، ومن ثمّ النهوض بالمجتمع المسلم والاستجابة لمتطلباته في الحياة اليومية"(1). ممّا يستلزم من المفسر الاجتهاد في الكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاءً لا يعوزها التماس الهداية في غير كتاب الله وشرعه الحكيم.

التجديد في التفسير لا يعني الإتيان بتفسير لم يسبق إليه وإلغاء كلّ ما ورد في التفاسير السابقة وإنما هو مواكبة المفسر لقضايا عصره، وإسهامه في إصلاح أوضاع المجتمع الفاسدة وإظهار المقاصد القرآنية والقيم العليا التي ترتقي بأخلاق الناس وتهذب سلوكهم؛ أي أن

(1)- إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد: 199.

التجديد هو تجديد الفهم لمعاني ألفاظ الكتاب العزيز، ويقصد بتجديد الفهم إرجاع المعنى الذي استفيد من النص - وهو غير صواب - إلى وجهه الصواب، حتى كأنه كما كان أول مرة جديدا لم يطرأ عليه تغيير» (1).

حدّد الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي معنى التجديد في قوله: "ونعني بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الإبداع والتحسين والجدة، والاستفادة من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية، وإحسان تنزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلّ مشكلات الأمة على هدي حقائق القرآن الكريم.

ولا نعني بالتجديد الخروج على القواعد والضوابط والأسس العلمية المنهجية، والانفلات والفوضى، والقول في القرآن بدون علم، وتحريف معاني الآيات ودلالاتها، لتوافق أهواء هؤلاء، وتتفق مع مقررات الغربيين أو الشرقيين، المخالفة لكتاب الله" (2).

إن كان القرآن قد سلم من تغيير ألفاظه - كما حُرّفت التوراة والإنجيل - فإنه لم يسلم من تأويلات المغرضين الذين يكيدون للإسلام ووظفوا في سبيل ذلك ما استطاعوا من الوسائل؛ فلم يتورّعوا عن تأويل القرآن الكريم تأويلا منافيا لمقاصده الهدائية!! وقد عدّ الدكتور محمد حسين الذهبي هذه التأويلات المغرضة لونا من ألوان التفسير في عصرنا الحاضر، سمّاه "اللون الإلحادي للتفسير" ومما قال عنه: «مُني الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكلّ ما يستطيعون من وسائل الكيد وطرق الهدم، وكان من أهمّ الأبواب التي طرّقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة: تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة، تتنافى مع ما في القرآن من هداية، وتناقض ما هو عليه من محجّة بيضاء، وتهدف إلى ما سوّلته نفوسهم من نحلٍ خاسرة وأهواء...» (3).

نظراً لهذه الانحرافات الخطيرة في مجال التجديد التي تطال كلام رب العالمين، أقدم

(1)- القرآن والدراسات المصطلحية: 21.

(2)- صلاح عبد الفتّاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 45.

(3)- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 383/2.

شيء عند المسلمين، حيث تسعى جهودُ الكائدين لإطفاء نور الله بذريعة التجديد في المنهج، فإنه يتعين على العلماء والباحثين وضعُ ضوابطٍ تصون مسار تجديد تفسير القرآن الكريم وتؤمنُ سبيل تبليغ رسالته الهدائية.

الاتجاهات الحديثة في التفسير:

استمرت حركة التفسير إلى العصر الحاضر، وتعددت اتجاهاته، ويلاحظ أن المفسرين للقرآن الكريم أصناف عديدة، منها:

01- صنفٌ لم يزد على تقليد من قبله وترديد أقوالهم، فلم يُضفْ إلى عالم التفسير شيئاً يذكر.

02- صنف جمع ما تفرّق بين التفاسير المتقدمة عليه، وأخرج لنا صياغة جديدة، دون أن يمكننا من معرفة رأيه، فغابت بذلك شخصيته بين المتقدمين.

03- صنفٌ مبدعٌ ومجدّد في صياغة معاني القرآن الكريم، حيث استطاع أن يأتي بمفاهيمٍ جديدةٍ ويستنتج استنتاجاتٍ عميقةً، اعتباراً لدراسته المتعمقة في مختلف التخصصات، وفهمًا للواقع المعيش.

وعرفت التفاسير في هذا العصر ألواناً واتجاهاتٍ، منها:

الاتجاه العلمي:

وردت في القرآن الكريم آياتٌ عديدة ذاتُ مضامينَ علميّةٍ، تشير إلى الميادين العلمية المختلفة، مثل علم الفلك وعلم طبقات الأرض، وجسم الإنسان، وعلم النبات وعلم الحيوان... مما أدّى بطائفة من العلماء إلى تفسير هذه الآيات القرآنية على ضوء نظريات العلم الحديث، ومن أشهر التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه تفسيرُ الشيخ طنطاوي جوهرى، الذي سمّاه: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، المشتمل على عجائب بدائع المكنونات، وغرائب الآيات الباهرات"، ولم يلقَ هذا التفسيرُ قبولاً لدى كثيرٍ من المثقفين، ومما قال عنه الذهبي: «ولست أرى هذا المسلك في التفسير إلّا ضرباً من التكلف؛ إن لم يذهب بغرض القرآن فلا

أقلّ من أن يذهب بجلاله وجماله»⁽¹⁾. وأرى أنّ هذا النوع من التفسير مفيد لتوسيع معاني الآية القرآنية من جوانب جديدة، إلا أنه مشروط بأن لا يغفل أصحابه عن المقصد الهدائي للقرآن الكريم، وعدم الجزم بأنّ ما انتهى إليه العلم الحديث هو عين مراد الله من هذه الآيات، وعدم إقصاء تفاسير القدامى لها ما التزمت بضوابط اللغة والشريعة ومقاصد القرآن.

الاتّجاه البياني:

يركز هذا الاتّجاه على بيان القرآن الكريم وبلاغته، ويهدف إلى استجلاء خصائص الأساليب القرآنية استجلاءً يؤدي إلى تذوق القرآن، ويهتمّ بالقضايا الأدبية والإنسانية؛ وذلك كالقصة والنفس الإنسانية في القرآن، ثم قضايا الإعجاز النفسي والإعجاز البياني وما أشبه ذلك، وخير ما يمثل هذا الاتّجاه، التفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، وهو تفسير نموذجي جمعت فيه المؤلّفة بين التنظير والتمثيل للمنهج الذي أسسه أستاذها أمين الخولي، يأتي بعده "في ظلال القرآن" لسيد قطب الذي يجمع بين خصائص الاتّجاهين؛ الأدبي والهدائي، ومنهج مؤلّفه فريد من نوعه فلئن سلك فيه المنهج التقليدي التحليلي فقد ضمّنّه نظرة القرآن الكلية للموضوعات والقضايا الاجتماعية والإنسانية الكبرى⁽²⁾.

الاتّجاه الإصلاحّي الهدائي:

كان العالم الإسلامي في القرون المتأخرة ينطوي على كثير من عوامل الضعف والتخلف، وكان الجهل بأحكام الإسلام ومفاهيمه من جهة، واستحكام العادات المحلية من جهة أخرى من أبرز ما يميز الوضع الاجتماعي والفكري لهذا العالم، وكان من أهمّ ملامح هذه العهود وقوف أكثر علماء المسلمين من الحضارة الغربية موقفاء سلبيّاً؛ لا يقتربون منها ولا يأخذون من علومها شيئاً...

دعا هذا الواقع المزري رواد الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي إلى الإقبال على القرآن، يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه، ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة والتربية

(1)- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 2/373.

(2)- صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين: 568.

والإصلاح، متأثرين بالشيخ جمال الدين الأفغاني، حيث قام بحركة فكرية هامة، تصدع بصوت عامر بالإيمان، ومعتز بالقرآن، ويدعو إلى معالجة الفساد الاجتماعي، وذلك بالرجوع إلى الإسلام الحق، فكان من ذلك الاتجاه إلى إصلاح المجتمع من خلال تفسير آيات القرآن الكريم، وقام عدد من العلماء بحمل هذه المهمة المهمة التفسير الإصلاحي الاجتماعي للقرآن، وفي مقدمتهم محمد عبده ثم اقتفى أثره تلميذه محمد رشيد رضا، ثم المراغي وسيد قطب، حتى صار اتجاها بارزا في التفسير الحديث.

ومن التسميات التي تطلق على الاتجاه الإصلاحي في التفسير "الاتجاه الهدائي" وتسميته بذلك أمر واضح التعليل؛ نظرا لاتفاق المفسرين الذين ينتمون لهذا الاتجاه على مبدأ كون القرآن كتاب هداية؛ فينبغي لكل مفسر أن يستهدفها قبل كل شيء في تفسيره، حتى يؤدي التفسير دوره في تفعيل حركة القرآن في هداية المجتمع من خلال تقريبه من الواقع وتجسيد مفاهيمه الإصلاحية تجسيدا حيا، وقد مثل هذا الهم هاجسا مشتركا بين جميع التفاسير ذات المنحى الإصلاحي.

إن دراسة الجوانب الإصلاحية في العمل التفسيري، لا بد وأن تعالج من خلال تسليط الأضواء على محورين أساسيين لفهم طبيعة الوحي ووظيفته الفكرية، والاجتماعية، والسياسية. يتمثل المحور الأول في مدى إعطاء المفسر الدور الرئيس والأكبر للقرآن بوصفه مصدراً من مصادر المعرفة الحقة، ليس فقط للمسلمين، وإنما للبشرية جمعاء؛ لأنه خطاب موجه إلى العالمين، وبالتالي استخلاص القواعد الأساسية في نظرية المعرفة من منظور قرآني، والبحث في الآليات التي وردت في القرآن الكريم للوصول إلى المعرفة.

أما المحور الثاني فيتمثل في متابعة التنزيل الواقعي للمعارف القرآنية النظرية على المستوى الاجتماعي والسياسي، ودور القرآن في بناء المؤسسة التربوية ومناهج التعليم(1).

(1)- اسماعيل عبد الله : تأثير آراء المدرسة الإصلاحية في التفسير في مناهج مفسري عالم الملايو، تفسير القرآن الحكيم للشيخ مصطفى عبد الرحمن محمود الماليزي نموذجاً.

التعريف بتفسير المنار

خيرٌ مَنْ يُعرِّفنا بطبيعة تفسير المنار صاحبه، حيث وصفه في صفحة العنوان بقوله: «تفسير القرآن الحكيم: المعروف بتفسير المنار: هذا هو التفسير الوحيد، الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي يبين حكمَ التشريع وسننَ الله في الإنسان، وكونَ القرآن هدايةً للبشر في كلِّ زمان ومكان، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرضوا عنها، وما كان عليه سلفهم المعتصمون، مراعى فيه السهولة في التعبير، مجتنبا مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يفهمه العامة، ولا يستغني عنه الخاصة... وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيمة الإسلام، الأستاذ الإمام، الشيخ محمد عبده، رضي الله عنه» (1).

مزايا التفسير الشفاهي:

إقترح الشيخ محمد رشيد رضا على أستاذه الشيخ محمد عبده أن يكتب تفسيراً يقتصر فيه على حاجة العصر، ويترك كلَّ ما هو موجودٌ في كتب التفسير، ويبين ما أهملوه، فأجابه قائلاً: «... إنَّ الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر ممَّا يؤثر الكلام المقروء، لأنَّ نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام، كلُّ ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه... إنَّ السامع يفهم 80% من مراد المتكلم، والقارئ لكلامه يفهم منه 20% على ما أراد الكاتب» (2).

إنَّ هذه الرؤية تعكس بوضوح حاجة الأمة الماسّة إلى خروج التفسير عن كونه مجرد علم نظري، واتجاهه صوبَ الواقع ليستوعب ضروريات الحياة ويستجيب لمتطلباتها، ويزيد الشيخ محمد رشيد رضا بيانَ حاجة الأمة إلى التجديد في التفسير، المتميّز بالتأصيل والواقعية، حيث يقول: «فكانت الحاجة شديدةً إلى تفسيرٍ تتوجه إليه العناية الأولى إلى هداية القرآن، وعلى الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلّة، في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح... ثم العناية إلى مقتضى حال هذا العصر في سهولة التعبير، ومراعاة إفهام صنوف القارئ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها».

(1)- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1423هـ/2002م، ص: 5/1.

(2)- محمد رشيد رضا: تفسير المنار: 17/1.

جهود مدرسة المنار في تجديد تفسير القرآن:

نجد أستاذ المدرسة الأول الشيخ جمال الدين الأفغاني ينبّه لقضية منهجية هامة في تفسير القرآن هي التفريق بين القرآن كلام ربّ الناس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبين التفسير كلام الناس الذي هو رأي واجتهاد يؤخذ منه ويترك، إذ يقول: "القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية، وما تراكم عليه وتجمّع حوله من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظرياتهم ينبغي ألا نعول عليه كوشي وإنما نستأنس به كراي... ولا نحمله على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعليمه... وتفسيره وإضاعة الوقت فيه".

إنّ هذه نقطة منهجية جوهرية وأرضية صلبة للانطلاق نحو المسار الصحيح لتجديد تفسير القرآن الكريم، وقد نتج بسبب الغفلة عنها انقلاب الهامش على النصّ، حيث إنّ التراث البشريّ يشكّل في كثير من الأحيان حجاباً بين القارئ والهدايات القرآنية. يقول الشيخ محمد عبده: "التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله..."

تصنيف الشيخ محمد عبده لعلم التفسير:

يُعدّ الشيخ محمد عبده رائد التجديد في التفسير، يدعو إلى التحرّر من قيود التقليد والتعصّب لأقوال القدامى، مراعيّاً في التفسير المقصد الهدائيّ، مجتهداً في توظيف أوجه النحو وضروب المعاني والنكت البلاغية على حسب ما يخدم به هذا الغرض العامّ، وفي ذلك يقول: «إنّ الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه، وإنّما يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا، وعن سنّة نبينا الذي بيّن لنا ما نزل إلينا ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: 44 يسألنا هل بلغتم الرسالة؟ هل تدبّرتُم ما بلغتم؟ هل عقلتم ما عنه مُهيّئتم وما به أُمّرتُم؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن؟ واهتديتم بهدي النبي ﷺ واتبعتُم سنّته؟ عجباً لنا ننظر هذا السؤال ونحن في هذا الإعراض عن القرآن وهديه، فيا للغفلة والغرور!!» (1). لذلك نجده يقسم التفسير إلى قسمين:

(1)- تفسير المنار: 27/1.

أحدهما: جافٌ مبعُذٌ عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حلّ الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنيّة، وكان يرى بأنّ هذا لا ينبغي أن يسمّى تفسيراً، وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنّون، كالنحو والمعاني وغيرهما.

وثانئهما: ذهب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العلم والهداية المودّعة في الكلام، ليتحقّق فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ الأنعام: 154 ونحو ذلك من الأوصاف. قال الأستاذ: «وهذا هو الغرض الأوّل الذي أرمي إليه في قراءة التفسير» (1).

معالم التجديد في التفسير عند مدرسة المنار:

01 - التأكيد على التزام المفسر للقرآن إبراز مقاصد القرآن، وعلى رأسها الهداية وتثبيت العقيدة الصحيحة، ويقتضي ذلك تنزيل التفسير وأحكام القرآن على واقع الأمة لعلاج قضاياها ومشاكلها.

02 - الالتصاق بلغة القرآن ما أمكن بدون تكلف، والتماس المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والحذر من تأثير المفاهيم المحرّفة التي حدثت بعد عصر التنزيل.

03 - لأجل تحديد دلالة اللفظ القرآني يُحرّص على جمع ما تكرّر منه في القرآن والنظر في معانيه المختلفة تبعاً لسياقاته.

04 - النظر إلى القرآن الكريم نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، فلم يكن منه ما كان من كثير من المفسرين من التأثير بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤوّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً.

05 - الوقوف من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم يشوّه التفسير بما شوّه به في كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه!!

06 - عدم الاغترار بما اغترّ به كثيرٌ من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية

(1)- تفسير المنار: 25/1.

التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم، ولقد كان من أثر عدم اغترار مدرسة المنار بالروايات الإسرائيلية والأحاديث الموضوعية، أنها لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن، ولم تجرؤ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تُعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات، وهذا مبدأ سليم، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون إلى العقول والعقائد.

07- إبعاد التفسير عن التأثير باصطلاحات العلوم والفنون، التي زجّ بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها، ولم يتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة، وعلى حسب الضرورة فقط.

08- النهج بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميّه، وأظهرت ما فيه من سُنن الكون ونُظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصّة، ومشاكل الأمم عامّة، بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم، جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووقّفت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة(1).

09- دخول عالم التفسير من غير مقرّرات مسبقة، لأنّ القرآن إمامٌ يجبُ اتّباعه، فمن الخطأ اعتباره تابعاً لآراء المفسّر ومعتقداته، بل هو مصدر الهداية وأدقُّ ميزان، وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: «إذا وزنا ما في أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله تعالى، من غير أن ندخلها أولاً فيه، يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالّين، وأمّا إذا أدخلنا ما في أدمغتنا في القرآن وحشرناها فيه أولاً، فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال، لاختلاط الموزون بالميزان فلا يدري ما هو الموزون به!!!»

أريد أن يكون القرآن أصلاً تُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلاً والقرآن هو الذي يُحمّل عليها، ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخذولون، وتاه فيه الضالون»(2).

إقتفى الشيخ محمد رشيد رضا أثر شيخه فكان جريئاً بالتصريح برأيه في أصحاب الكبائر

(1)- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 401/2-402.

(2)- تفسير سورة الفاتحة: 54، نقلا عن الذهبي: التفسير والمفسرون: 408/2.

انتصاراً لما دلّت عليه الآية الكريمة الواردة في سياق النهي عن أكل الربا: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: 275 فحكم بالخلود في النار على أكل الربا، ومما قال في تقرير منهجه الواضح الجريء في التعامل مع القرآن الكريم، وفي استدلاله على رأيه في هذه المسألة: «...والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء، يجب إرجاع كل قول في الدين إليه، ولا يجوز تأويل شيء منه ليوافق كلام الناس، وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد، وليس هناك شبهة في اللفظ على إرادة الاستحلال...» (1) وهذا ما يقتضيه الإنصاف، ويثمر عن دخول القرآن من غير مقررات مسبقة، فإن القرآن لا يتبع العقيدة، وإنما تؤخذ العقيدة من القرآن.

إن مدرسة المنار آثاراً ونتائج إيجابية على الأمة الإسلامية، إن على مستوى البحث والدراسات القرآنية، أو على مستوى إعادة القرآن إلى مركزه في إصلاح أوضاع الأمة، يكفها شرفاً وتجديداً أنها أغنت التفسير باتجاهات ومباحث جديدة، وبفضايا اجتماعية تعكس واقع الأمة وتطلعاتها، كما فتحت الباب لمحاولات التجديد المنهجية التي أتت بعدها، وأسهمت في الرجوع إلى المصطلحات والمفاهيم القرآنية بدل المصطلحات الكلامية والفلسفية التي كدرت صفاء العقيدة الإسلامية.

الاتجاه الإصلاحية في التفسير عند العلماء الجزائريين

أشرقت أنوار مدرسة المنار على العالم الإسلامي، وكان للجزائر حظاً وافراً منها؛ حيث استضاء بها رواد الحركة الإصلاحية في سبيل النهوض بالأمة الجزائرية بالرجوع إلى هدي القرآن، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام مفسران من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هما العالمان العاملان الرائدان الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ إبراهيم بيوض (2)، فلم يكن

(1)- تفسير المنار: 83/3؛ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 426/2.

(2)- أنجزت رسائل وأطروحات جامعية مبرزة جهود العالمين العاملين في حقلي التفسير والإصلاح، منها: وزناحي نادية، "منهج التفسير عند الشيوخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيوض"، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير، المعهد الوطني العالي للعلوم الإسلامية بباتنة، السنة الجامعية: 1998-1999؛ سكحال نور الدين، "منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيوض"، رسالة مقدمة لنيل

غرض المفسرين أن يضيفا تفسيراً جديداً إلى المكتبة الإسلامية الزاخرة بالتفاسير، وإنما كانا يهدفان إلى تحقيق الغرض الهادئ الهادف إلى إعادة الشعب المسلم إلى القرآن بعدما أبعد عنه، وتركية النفوس وتثقيف العقول والنهضة بالمجتمع، فكان القرآن هو محور التربية والإرشاد في مختلف مجالات الحياة، كما كان منهاج النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، قال الشيخ عبد الحميد بن باديس: «إننا والحمد لله نربي تلاميذنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون منهم القرآن رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودها»(1).

آمن الشيخ ابن باديس والشيخ بيّوض أنه لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، موظفين النص القرآني توظيفاً واقعياً، قائماً على إحكام الصلة بين هذا النص الأثري، والحياة الواقعية متبعين بذلك بعد الرسول ﷺ منهج تفسير متميز، تمثل في الكيفية السليمة للتعامل مع القرآن قراءة وفهماً، تقوم على أساس البعد التحليلي للظواهر المرضية التي كانت تعاني منها الأمة في عصرهما، والكشف عن علاج القرآن لها في ظلال التفسير، مثبتين بذلك أن هداية القرآن تستوعب حاجات الزمان والمكان المتجددة في مختلف العصور(2).

فسر الشيخان القرآن الكريم في المسجد(3)، وكانت تحضر دروسهما مختلف طبقات المجتمع رجالاً ونساء كباراً وصغاراً، مثقفين وعامة، وقد اعتبر الشيخ أحمد حماني هذه الدروس العامة من مزايا تفسير القرآن عند علماء الجزائر، حيث يقول في مناسبة حفل ختم

درجة دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة-الجزائر، السنة الجامعية: 1428هـ/ 2007م- 1429هـ/ 2008م.

(1)- حسن عبد الرحمن سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً: 133، نقلاً عن: تركي راجح: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم: 228.

(2)- نادية وزناجي: منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيّوض، ص: 701.

(3)- طبع ما أمكن طباعته من التفسيرين: فسّي تفسير الشيخ ابن باديس "في مجالس التذكير من كلام العليم الخبير" وسّي تفسير الشيخ بيّوض "في رحاب القرآن"، الذي شرع في طباعته ابتداءً من سورة الإسراء، الآية:

الشيخ بيّوض لتفسير القرآن الكريم: «...إن الذين ختموا القرآن في غير الجزائر قد ختموه تفسيراً مسجلاً، وقد ختمه بعضهم دراسةً للخواصّ، وأمّا في الجزائر فإن القرآن ختم للمرّة الأولى كما ختم في الثانية أمام جميع الأمة من الطلبة والأساتذة والعامة، ودراسة القرآن وهداية القرآن لم تكن خاصة بل إنها عامّة، فعلماء الجزائر من الراسخين يفهمون ولا يبخلون على العامة بما يُعلّمونه الخاصّة؛ فهذا عالمُ الجزائر الأوّل عبد الحميد بن باديس ختم القرآن دراسة لجميع الأمة في الجامع الأخضر، وهذا عالم الجزائر الثاني من الراسخين يختم القرآن دراسةً لهداية الأمة في جامع القرارة، فهذه نكتة وملاحظة يجب أن يلاحظها كلّ من يتكلم على هذه الأمة ويدرس عظمتها شعبيها، شعب الجزائر، فإن الهداية إذا أردنا أن نطلبها ونظفر بها حقاً فإنما نجدها في هداية القرآن»(1).

سمات المنهج الإصلاحيّ في التفسير عند علماء الجزائر

استخلصت الدكتورة نادية وزناجي من دراستها المتعلقة بمنهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيّوض مجموعة نتائج يصلح أن تنسحب على الاتجاه الإصلاحيّ في التفسير بصفة عامة نظراً لاتّفاق هذين النموذجين ومنهج رواد مدرسة المنار من حيث المنطلق والمصبّ، ومن هذه النتائج انتقينا الآتي:

01- اهتمام المفسرين الواضح بالتفسير بالمأثور، والاستعانة به كثيراً في تفسيرهما لكتاب الله، خاصة فيما يتعلّق بتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة مما أكسب كليهما قوة عظيمة يستمدانها من أصالة هذين المصدرين التشريعيّين وقديسيتهما في نفوس السامعين والمتلقين.

02- إنّه على الرغم من التزام المفسرين هذا المصدر النقلي، إلا أنّهما لم يلغيا عقليهما أثناء الأخذ بهذا المأثور من الكلام، أين برزت بوضوح نزعتهما الاستقلالية في العديد من القضايا خاصة المعاصرة منها، فكان تفسيرهما مزيجاً بين النقل والعقل، وقد وُقِّقا كثيراً في الجمع بينهما.

(1)- كلمة الشيخ أحمد حماني في مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم "في رحاب القرآن" إعداد الدكتور محمد صالح

ناصر، نشر جمعية التراث، ص: 31.

03- منهجها في التعامل مع آراء غيرهما من العلماء في علم التفسير أو غيره من العلوم كان منهجاً علمياً حكيماً متأدباً، فما كانا يوافقان فيه غيرهما كانا يقرّانه، وما كانا يخالفان فيه غيرهما كانا ينقدانه بأسلوب عفيف متأدب مع إعطاء البديل بأدلة نقلية أحياناً وعقلية أخرى، مما يبرز سمة الاستقلالية في الآراء والموقف عندهما.

04- خلوّ كلام الشيخ بيّوض من التعصب في التفسير، عند تطرقه لشتى المسائل على اختلافها، وهذا ما يظهر جلياً لكل قارئ لتفسيره اليوم، حتى يخيل له أنه لا يقرأ تفسيراً لمفسّر من المذهب الإباضي، وهذه سمة تعدّ حقاً أروع ما زاد التفسير تقديراً، بل مما قد يعطيه مساحة من الانتشار.

05- إنّ هذين التفسيرين قدّما للأجيال فعلاً منهجاً واقعياً سليماً في التعامل مع القرآن، يتمكنون إن ساروا عليه بمشيئة الله أن يعيدوا له فاعليته في أوساط المجتمع، فتتحقق بذلك فهم الحكمة من تنزيله، وهي الهداية إلى ما فيه الخير والفلاح في الدارين، وبذلك فإن في شخصهما الموقّر خيرٌ قدوة للمعلمين والأساتذة ممن يدرسون التربية الإسلامية ولمدرسي القرآن الكريم في المساجد لأنّ يتبعوا هذا المنهج الواقعي في التعامل مع القرآن، إذ لا عبرة بقرآته وحفظه دون تطبيقه في الميدان الواقعي⁽¹⁾.

نقد المدرسة الإصلاحية في التفسير

رغم تألّق المدرسة الإصلاحية في التفسير وبلوغها مكانة متميزة في سياق حركة التفسير الحديثة، وظهور ثمراتها الطيبة في مختلف مجالات الحياة، إلّا أنّها -كأيّ جهد بشريّ- لم تسلم من النقد المتوجّه إليها من عديد الأطراف، خاصّةً من الاتجاه الأثريّ؛⁽²⁾ وذلك لمحاولتها الجريئة إعادة قراءة كثير من النصوص دون الوصاية التاريخية عليها، وقد وسمها بعضهم

(1)- نادية وزناحي: منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيّوض، ص: 705.

(2)- انظر على سبيل المثال، الرومي، فهد، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4/ د.ت، 812.809، السلمان، محمد عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، 339.333.

بالإتجاه العقلي⁽¹⁾، نظراً لما يحمله أصحابها من نزعة تحريرية واجتهادية اعتبرت عقلانية غير مألوفة وهذه بعض أصناف النقد المتوجّه إلى هذه المدرسة:

01- يقول الدكتور محمد حسين الذهبي عن رواد هذه المدرسة: "إنهم أعطوا للعقل حرية واسعة فتأولوا بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلوا بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب؛ استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممّن جهل قدرة الله وصلاحيته لكل ممكن". (2) فقد طال التجديد - عند رواد هذه المدرسة - محاولة تضييق نطاق الغيبيات في القرآن تلافياً لاثّام الإسلام بالتصادم مع العقل، ومن ذلك تصوير صاحب المنار "الملائكة" و"الجن" و"الشيطان" كنايةً عن معاني، أو رموزٍ لقوى الخير والشرّ في الإنسان، بينما كان معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن أنها ذوات حقيقية.

يَنقُد سَيّد قطب في تفسير المنار ما لمس فيه من الرّغبة الواضحة «في ردّ الكثير من الخوارق إلى مألوف سنّة الله دون الخارق منها، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه "المعقول"! وإلى الحذر والاحتراش الشديد في تقبّل الغيبيات.

ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة لمثل هذا الاتجاه، فإننا نلاحظ عنصر المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصوّر القرآنيّ الكامل، وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التي اختارها سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف، هذه الطلاقة التي لا تجعل العقل البشريّ هو الحاكم الأخير، ولا تجعل معقول هذا العقل هو مردّ كل أمر بحيث يتحتّم تأويل ما لا يوافقه كما يتكرر هذا القول في تفسير أعلام هذه المدرسة» (3).

لا شكّ أنه بالرغم من كون أحد أسباب تأخّر علم التفسير هو الولع بالتوقّف عند النقل حتى وإن كان ضعيفاً أو فيه كذب، وكذلك اتقاء الرأي ولو كان صواباً حقيقياً، وقد نقد الشيخ

(1)- منهم الدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب في كتابه "اتجاهات التفسير في العصر الراهن" منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان الأردن، ط 2، 1982 م.

(2) - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 402/2.

(3) - سيد قطب: في ظلال القرآن، ط 17، دار الشروق، 3978/6.

الطاهر ابن عاشور كثيرا من التفاسير والمفسرين وقال: "لأنهم توهّموا أن ما خالف النقل عن السابقين إخراج للقرآن عما أراد الله به"؛ فأصبحت كتب التفسير عالية على كلام الأقدمين، ولا همّ للمفسر إلا جمع الأقوال، وبهذه النظرة أصبح التفسير "تسجيلا يقيّد به فهم القرآن ويضيّق به معناه". بالرغم من وجهة المقولة القاضية بأن أفضل مفسر للقرآن الكريم هو الزمن، وتأكيدا على ما ورد في القرآن الكريم في شأن العقل ومكانته، والنعي على من لا يفكر، ولا يعقل ولا يتدبّر القرآن، ولا ينقاد للبراهين العقلية،... لكن ذلك كله لا يعني أن يتجاوز بتلك العقول قدرها، وحدود إمكانها، وتُقحّم فيما لا مجال للاستقلال بحكم العقول فيه من الحقائق الشرعية. "إذا رفض العقل ما نزل به الوحي فذلك دليل قصوره لا دليل قصور الوحي، والإيمان بالغيب هو أساس هداية الناس واستقامتهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ البقرة: 01-02 فإذا حاولنا أن نفسّر الآيات الغيبية في القرآن بما يتفق مع مفاهيم البشر ومقاييس العقل سلبنا العقيدة الإسلامية أهمّ عنصر يتكوّن منها" (1)

02- ومما انتقدت به هذه المدرسة الطعن في بعض الأحاديث: تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث مروية في الصحاح. (2)

أُيْعِدُ كُلَّ رَدٍّ لرواية حديثية -حُكِمَ عليها بالصّحّة- بدعة تحسب على الاتجاه الإصلاحية في التفسير، أم قد يكون ردّها استنادا إلى مقتضى منهج عليّ أصيل في الإسلام؛ له سلف من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وممن سار على دربهم من أئمة أعلام؟.

إذا كانت الآيات المتشابهات قطعية الثبوت يرجع في فهمها إلى الآيات المحكمات اللآئي: ﴿هَٰنَ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فَإِنَّ الأحاديث المخالفة لظواهر الآيات المحكمات يُتَنَبَّه من صحّتها -أولاً- ثُمَّ يُطَلَّب لها تأويل لتتوافق مع مقاصدها، وعند استحالتها، وإثبات التناقض المعنوي الحقيقي يُحْكَم على الرواية بالبطلان.

يؤكد الأستاذ محمد الغزالي على وجوب عرض معاني الحديث على نصوص القرآن حتى

(1) - أحمد الخليلي: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل: 41/1.

(2) - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون: 402/2.

لا تتعارض فيما بينها(1)، فيحكم ببطلان الحديث المخالف للقرآن نصًّا ومعنى، لأن المظنون لا يقوى على معارضة المقطوع، ولأنَّ الحديث قد يكون معلول المتن ولو كان صحيح السند إذ يقول: «إنَّ أيَّ حديث يخالف روح القرآن أو نصّه فهو باطلٌ من تلقاء نفسه... لأنَّ قوله ﷺ لا يتعارض مع القرآن بل يكون شارحًا له ومفسرًا لآياته»(2).

من الروايات التي تعجّب الشيخ بيّوض من ورودها في بعض التفاسير من غير نقدٍ وردّ "قصة الغرائق"(3)، مبينًا أن خطورة تصديقها تتمثل في إهدام الوحي من أصله، فلا تبقى ثقةٌ في هذه الآية ولا في غيرها(4).

السنة النبوية شارحة للدستور القرآني ومفصلة له، وقد كُلف الرسول ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليهم، لذلك يستحيل تناقض سنة صحيحة مع القرآن الكريم تناقضًا حقيقيًّا، وقد بيّن الأستاذ يوسف القرضاوي ضرورة فهم السنة على ضوء القرآن، ذلك لأنَّ البيان النبويّ يدور دومًا في فلك الكتاب العزيز، فيستحيل أن «توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وبيّناته الواضحة، وإذا ظنَّ بعض الناس وجود ذلك، فلا بدَّ أن تكون السنة غير صحيحة أو يكون فهمنا لها غير صحيح أو يكون التعارض وهميًا لا حقيقيًّا، ومعنى ذلك أن تفهم السنة في ضوء القرآن»(5).

03- وقد ذهب بعض الآراء إلى أن رشيد رضا قد رمّم ما أخل به محمد عبده من قلة اطلاع على تراث المحدثين وأهل الأثر، والحقيقة إن محمد عبده لم يكن ينقصه ذلك، بل يعود الأمر إلى أنه قام بعملية مراجعة شاملة للتراث الأخباري، وبعد ذلك حدد مواضع الخلل،

(1)- عبد الكريم حامدي: ضوابط فهم السنة النبوية عند الشيخ محمد الغزالي، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة 16 العدد 64، محرم 1430هـ/يناير 2009م، ص: 20.

(2)- محمد الغزالي: هذا ديننا، دار الشروق، ط7، 2006م: 212-213.

(3)- إبراهيم بيّوض: في رحاب القرآن، سورة الحج: 4/513.

(4)- إبراهيم بيّوض: في رحاب القرآن، سورة الحج: 4/524.

(5)- يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط، المطبوعات الجميلة، منشورات دار الكتب، 1991م: 95.

وأخذ يعمل على إعادة البناء، فأصبح يتعامل بحذر شديد مع تراث المدارس الأثرية، وهذا هو سبب إقلاله من إيراد تراث المدارس الأثرية في مصنفاته ومقالاته ودروسه في التفسير (1).

04- وقد تعرّض رشيد رضا وتفسيره إلى نقد طائفة أخرى من الباحثين المعاصرين ممن ينتمون إلى تيار إعادة قراءة القرآن الكريم وفق مناهج ومكتسبات العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، إذ يرون أنّ مساهمة رشيد رضا في تفسير "المنار" ما هي إلا خطوة تراجعية عن بعض ما أنجزه الأستاذ محمد عبده. وهو في نظرهم إنجاز محدود، وموضع نقد وتقويم. وذلك بسبب ما قام به رشيد رضا من إعادة العمل التفسيري إلى تخوم المدرسة التقليدية القديمة في التفسير، وتظهر أهم ملامح تلك العودة، في نظرهم، من خلال إكثاره من النقول الواسعة عن علماء التفسير السابقين.. (2).

لم يكن رشيد رضا مجرد ناقل مقلد، بل كان أخذه من التراث أخذ مناقش وناقذ، كما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار- في الموازنة بين أساليب رواد هذه المدرسة- الظرف الحرج والمرحلة الدقيقة التي نشأت فيها المدرسة؛ إذ كان الإسلام يعاني من أمرين:

أولهما: ما أصيب به العلماء من الشلل الفكري والتبلد الذهني والتحجر العقلي، وقد انعكس أثر ذلك على عامة المسلمين فسيطرت عليهم الأوهام والخرافات واستولت عليهم البدع والضلالات وكان ذلك كله محسوبا على الإسلام ومعدودا من صميمه.

ثانيهما: ما رجعت به البعثات التعليمية التي ابتعثت إلى أوروبا من أفكار هدامة ومبادئ مصادمة للدين، فإنهم ابتعثوا وهم خلو من تعاليم الإسلام فأعشى أبصارهم بريق الحضارة الأوروبية الخلاب، واقتنعوا بالقشور عن اللباب، وقد استغلت هذه الطائفة التي ابتعثت من بلاد الإسلام ليكونوا معاول هدم لدينهم وقيمهم وأخلاقهم وكان أهم ما يسعى إليه هؤلاء الشباب المثقفون هو هدم صرح الإيمان بمعاول العلم الحديث تأسيسا بأساتذتهم الأوربيين

(1) - خالد بن مبارك الوهبي: الإصلاح الديني... الطريق إلى المستقبل 4-2.

(2) - ينظر -مثلا- عبد المجيد الشرفي " الإسلام والحداثة" عن حازم محي الدين، "قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه" موقع أهل التفسير.

الذين قضوا على السلطة الكنسية والعقيدة النصرانية بسلطان العلم(1).

فكان أهمّ ما عني به رواد هذه المدرسة محاولة تحرير عقول المسلمين من الأوهام والخرافات التي تحسب على الإسلام من جهة، والتصدي للتهمة التي توجه إلى الدين من جهة أخرى.

5- ومن النقد الموجّه إلى رواد هذه المدرسة أيضاً زعمهم أنّ المعجزات انتهت مع بداية بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم هو معجزة الله الوحيدة على خلقه، في حين أنّ إكرام الله خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم بمعجزات عديدة، بعضها نصّ عليه القرآن الكريم كالإسراء وانشقاق القمر، وبعضها ثابت بأحاديث صحاح لا يرقى إليها شك(2). إنّ رواد مدرسة المنار لم ينكروا ما سوى القرآن الكريم من المعجزات التي صحّ ثبوتها، بل يعترفون بوجودها وبأنّها أمورٌ يجريها الله تأييداً لنبيه ﷺ إلا أنّ منهم من لا يسمّيها "معجزات" باعتبار أنّ من شروط المعجزة أن تكون مقرونة بالتحدي، وبما أنّ القرآن الكريم هي معجزة سيدنا محمد ﷺ الوحيدة التي يتحدّى بها، فإنّه يُعدّ المعجزة الوحيدة للرسول ﷺ. ويبدو جلياً أنّ الاختلاف لا يعدو أن يكون لفظياً.

الخاتمة: وأثرها

تعدّدت مناهج التفسير وتجددت، اعتباراً لاختلاف البيئات وتفاوت حال المخاطبين من جهة، ونظراً لاختلاف ثقافات المفسرين واتجاهاتهم من جهة أخرى، وبعد هذا العرض الموجز نخلص إلى إبراز أهمّ معالم التجديد عند مفسري المدرسة الإصلاحية وما وُجّه إليهم من صنوف النقد:

01- ضرورة تحديد المعنى الصحيح للتجديد في التفسير قصد ضبط اتجاهه وتصحيح

مساره.

02- وضع شروطٍ للمجدّد في علم التفسير، منها:

(1) - أحمد الخليلي: جواهر التفسير: 40/1.

(2) - محمد إبراهيم عبد الرحمن: مدرسة المنار التفسيرية ملامحها - آثارها - نقدتها.

- أ- الأهلية اللازمة لخوض غمار هذا البحر الخضم.
- ب- الاستيعاب العميق لمناهج الأوائل ومقاصدهم في التفسير؛ فليس معنى التجديد تبديد القديم .
- 03- التأكيد على التزام المفسر إبراز مقاصد القرآن، وعلى رأسها الهداية؛ إذ هي الغاية التي ينبغي أن يتوخاها كل اتجاه من اتجاهات تفسير القرآن الكريم.
- 04- تنزيل التفسير وأحكام القرآن على واقع الأمة لعلاج قضاياها ومشكلاتها.
- 05- الوقوف من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير.
- 06- عدم الاغترار بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم.
- 07- النظر إلى القرآن الكريم نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب؛ ودخول عالم التفسير بغير مقررات مسبقة؛ إذ إن القرآن هو الحكم وميزان تقييم الروايات والأقوال.
- 08- لأجل تحديد دلالة اللفظ القرآني يحسن أن يجمع ما تكرر منه في القرآن وينظر في معانيه المختلفة تبعاً لسياقاته.
- 09- إبعاد التفسير عن التأثير باصطلاحات العلوم والفنون، التي رُجَّحَ بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها، فشكَّلت حاجزاً دون المقصد الهدائي، فإن اقتضى الأمر توظيفها فلتكن مساعدةً لحصول هذا المقصد الأسنى ووسيلة لتحصيله.
- 10- لم تسلم المدرسة الإصلاحية في التفسير من صنوف النقد المتوجَّه إليها، منها: الجراءة على إعادة قراءة كثير من النصوص دون الوصاية التاريخية عليها، وإقحام العقل فيما لا مجال للاستقلال بحكم العقول فيه، وتأويل بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم.
- 11- أفضل مفسر للقرآن الكريم هو الزمن، "فكلَّمَا شابَّ الزمنُ شبَّ القرآنُ" فإن هذا المنطلق المنهجي يتيح للأفهام والعقول المتعاقبة الغوص في معاني القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، وذلك وفق شروط وضوابط؛ يلاحظ أنَّ المدرسة الإصلاحية التزمت بأغلبها الأعم،

وأَنَّهَا كَأَيِّ جُهِدٍ بَشَرِيٍّ لَمْ تَسَلَمْ مِنْ هَنَاتٍ مِثْلَ الْمِيلِ إِلَى تَضْيِيقِ الْخَوَارِقِ وَالْغِيبِيَّاتِ، وَقَدْ تَدَارَكَ الْأَمْرَ مَفْسُورُونَ يُحَسِّبُونَ عَلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، الَّتِي تَهْدَفُ إِلَى إِخْرَاجِ التَّفْسِيرِ عَنْ كَوْنِهِ مَجْرَدَ عِلْمٍ نَظَرِيٍّ، وَتَوَجِّهِهِ صَوْبَ الْوَاقِعِ لِيَسْتَوْعِبَ ضَرُورِيَّاتِ الْحَيَاةِ وَيَسْتَجِيبَ لِمَتَطَلِّبَاتِهَا وَيَهْدِيَهَا لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.

12- كان لمدرسة المنار وجهودها في تجديد تفسير القرآن الكريم أثر واضح في مناهج المفسرين الجزائريين، وفي بروز الاتجاه الإصلاحية؛ خاصة عند رواد الحركة الإصلاحية، منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ إبراهيم بن عمر بيّوض.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصادر البحث ومراجعته:

- إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد.

- أحمد الخليلي: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل.

- تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1969م.

- حسن عبد الرحمن سلوادي: عبد الحميد بن باديس مفسراً، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

- سكحاح نور الدين، "منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بيّوض"، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة-الجزائر، السنة الجامعية: 1428هـ/ 2007م-1429هـ/ 2008م.

- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق.

- صلاح عبد الفتاح الخالدي: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق- سوريا، ط1، 1423هـ/ 2002م.

- عبد المجيد عبد السلام المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان الأردن، ط 2، 1982 م.
- فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4/د.ت.
- كلمة الشيخ أحمد حماني في مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم "في رحاب القرآن" إعداد الدكتور محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، غرداية- الجزائر.
- محمد الغزالي: هذا ديننا، دار الشروق، ط7، 2006 م: 212-213.
- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط8، 1424 هـ/2003 م.
- محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1423 هـ/2002 م.
- محمد عبد الله السلمان، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- وزناجي نادية، "منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بيّوض"، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير، المعهد الوطني العالي للعلوم الإسلامية بباتنة، السنة الجامعية: 1998-1999.
- يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط، المطبوعات الجميلة، منشورات دار الكتب، 1991 م: 95.
- مجالات ومواقع إلكترونية:**
- إسماعيل عبد الله : تأثير آراء المدرسة الإصلاحية في التفسير في مناهج مفسري عالم الملايو، تفسير القرآن الحكيم للشيخ مصطفى عبد الرحمن محمود الماليزي نموذجاً.
- حازم محيي الدين: قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه، موقع أهل التفسير.

- خالد بن مبارك الوهبي: الإصلاح الديني... الطريق إلى المستقبل.

- عبد الكريم حامدي: ضوابط فهم السنة النبوية عند الشيخ محمد الغزالي، آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، السنة 16 العدد 64، محرم 1430هـ/ يناير 2009م.

مناهج التفسير في الجزائر بين المدرسة الإصلاحية والدراسات الأكاديمية المعاصرة: دراسة وصفية تحليلية

د. رابع مراد

جامعة الجزائر 1

ملخص

تسعى هذه المداخلة إلى دراسة مناهج التفسير عند علماء الجزائر عبر مختلف المراحل التاريخية، من العهد الوسيط، مروراً بفترة الاحتلال الفرنسي، وصولاً إلى المدرسة الإصلاحية ورؤاها من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي، ثم التفسير الأكاديمي المعاصر في الجامعات الجزائرية. وقد اعتمدت الدراسة منهجاً وصفياً تحليلياً للكشف عن خصائص هذه المناهج، وأوجه تميزها، وحدودها. خلصت النتائج إلى أنّ التفسير في الجزائر تميز بتوازن بين الأصالة والمعاصرة؛ حيث كان في العهد الوسيط تقليدياً متأثراً بالمدارس المشرقية، بينما تحوّل في العهد الاستعماري إلى أداة للمقاومة الثقافية، ثم جاء التفسير الإصلاحي لجعل القرآن أساساً للنهضة الفكرية والاجتماعية، وأخيراً ظهر التفسير الأكاديمي المعاصر الذي يوظف المناهج الموضوعية واللغوية الحديثة. وتبين أنّ المدرسة الإصلاحية ما تزال تمثل مرجعية أساسية، بينما الدراسات المعاصرة تواجه تحديات في التوفيق بين المناهج الوافدة والخصوصية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:

التفسير، ابن باديس، المدرسة الإصلاحية، الجزائر، المناهج المعاصرة.

Abstract

This paper examines the exegetical methodologies adopted by Algerian scholars across different historical stages, from the medieval period and the French colonial era to the Reformist School represented by figures such as Abdelhamid Ben Badis, Mohamed El-Bachir El-Ibrahimi, and Mubarak El-Mili, and

finally to contemporary academic approaches in Algerian universities. The study employs a descriptive and analytical method to highlight the main features, strengths, and limitations of these methodologies. Findings reveal that Qur'anic interpretation in Algeria has been characterized by a balance between authenticity and modernity: traditional and linguistically oriented during the medieval period, a cultural tool of resistance under colonial rule, reformist in its call for intellectual and social renewal, and finally academic in its reliance on thematic and linguistic methods in modern times. The research concludes that the Reformist School still represents the main reference for Algerian exegetical thought, while contemporary studies continue to face challenges in reconciling imported methodologies with Algerian socio-cultural specificities.

Keywords:

Exegesis, Ben Badis, Reformist School, Algeria, Contemporary Approaches.

المقدمة

يُعدّ علم التفسير من أهم العلوم الشرعية التي حفظت للأمة الإسلامية أصالتها المعرفية، ومكنتها من فهم كتاب الله تعالى واستنباط مقاصده. فقد ارتبط التفسير منذ نزول القرآن الكريم بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للأمة، إذ لم يكن مجرد شرح لغوي أو بيان لفظي، بل ممارسة فكرية تنبني على تفاعل النص القرآني مع حاجات المجتمع وتحدياته. وعلى مرّ العصور، نشأت مدارس متعدّدة في التفسير، تراوحت بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير اللغوي، والبياني، والموضوعي، وغيرها من الاتجاهات.

وفي السياق الجزائري، اكتسب علم التفسير طابعاً خاصاً نتيجة للتأثيرات التاريخية والحضارية التي عرفتها البلاد، سواء خلال فترة العهد الوسيط، أو أثناء حقبة الاستعمار الفرنسي، أو في مرحلة النهضة الإصلاحية الحديثة. وقد أسهم علماء الجزائر إسهاماً بارزاً في إثراء حركة التفسير، من خلال الجمع بين الأصالة العلمية والروح الإصلاحية، خاصة مع بروز

رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي مقدمتهم الإمام عبد الحميد بن باديس الذي ترك إرثاً تفسيرياً فريداً في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

إنّ دراسة مناهج التفسير في الجزائر تكشف عن تنوّع معرفي ومنهجي يعكس التفاعل بين الثابت القرآني والمتغير التاريخي. فمن التفسير التقليدي الذي اعتمد على الشروح اللغوية والبيان، إلى التفسير الإصلاحي الذي ركّز على مقاصد القرآن في إصلاح الفرد والمجتمع، وصولاً إلى التفسير الأكاديمي المعاصر الذي يوظّف أدوات البحث العلمي الحديثة. كل ذلك يجعل من البحث في هذا الموضوع ضرورة أكاديمية لفهم خصوصيات التجربة الجزائرية ومكانتها ضمن حركة التفسير في العالم الإسلامي.

وعليه، تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية: ما هي أبرز المناهج التفسيرية التي اعتمدها علماء الجزائر عبر العصور؟ وما خصائصها ومميزاتها؟

وللإجابة عن ذلك، ارتأينا تقسيم المداخلة إلى ثلاثة مباحث أساسية:

التفسير في الجزائر عبر العصور.

منهج التفسير عند المدرسة الإصلاحية الجزائرية.

مناهج التفسير المعاصرة في الجزائر.

المبحث الأول: التفسير في الجزائر عبر العصور

المطلب الأول: بدايات التفسير في الجزائر في العهد الوسيط

عرفت الجزائر في العهد الوسيط ازدهاراً علمياً مهماً نتيجة لتأثير المدارس المالكية والأشعرية التي استقرت في بلاد المغرب العربي. فقد لعبت الزوايا والمدارس الدينية دوراً محورياً في نشر علوم القرآن، وكان التفسير أحد العلوم التي اهتم بها العلماء، وإن كان في الغالب مرتبطاً بالشروح اللغوية والفقهية. ويظهر ذلك جلياً في كتابات علماء مثل أبي عبد الله المقرئ التلمساني الذي وظّف التفسير اللغوي في خدمة الفقه المالكي بعد أن تفقه على مشايخه في

هذا الباب الشرعي⁽¹⁾.

ومن بين أبرز معالم التفسير في تلك الفترة أنه كان مرتبطاً بالجانب التعليمي والتربوي، إذ كان الأساتذة يدرّسون القرآن بالاعتماد على كتب التفسير المشرقية كالكشاف للزمخشري والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ثم يضيفون عليها ملاحظات تتعلق بالواقع المحلي. هذا التداخل بين المشرق والمغرب جعل من المدرسة التفسيرية الجزائرية جزءاً من الامتداد الإسلامي العام، مع خصوصية تتمثل في التوظيف العملي للتفسير في حل مشكلات الناس اليومية

لقد لعبت الزوايا الجزائرية دوراً أساسياً في نشر علوم القرآن الكريم، حيث كانت بمثابة مدارس شعبية تجمع بين التعليم الديني والتربية الأخلاقية. وكان شيوخ الزوايا يدرّسون القرآن بطريقة منهجية تبدأ بالحفظ ثم تنتهي بالشرح والتفسير، وذلك وفق ما يتناسب مع مستوى الطلبة والعامّة. هذا الدور التعليمي جعل من التفسير أداة رئيسية لغرس القيم الإسلامية وترسيخ الهوية الدينية في المجتمع الجزائري. اعتمد شيوخ الزوايا أسلوباً بسيطاً ومباشراً يراعي القدرة الاستيعابية للمتلقين، وهو ما أكسب التفسير طابعاً شعبياً بامتياز⁽²⁾

اتسمت دروس التفسير في الزوايا بالقدرة على الجمع بين الأصالة العلمية، المستمدة من التراث التفسيري الإسلامي، والبساطة التعليمية التي تلائم المتلقي البسيط. فقد كان الشيوخ ينقلون عن كبار المفسرين مثل الطبري والزمخشري والقرطبي، لكنهم يبسطون الشروح حتى تصبح في متناول العامة. هذه الطريقة مكّنت المجتمع من الارتباط بالقرآن على نحو عملي، بعيداً عن التعقيدات العلمية التي قد تحول دون فهم معانيه. ويؤكد جلولي أن هذا التوازن بين العمق العلمي والسهولة التعليمية هو ما جعل التفسير في الزوايا وسيلة فعالة للحفاظ على تماسك المجتمع الروحي والفكري

(1) - محمد بن جعفر إدريس الكتاني، سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، نج: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ص 87.

(2) - خيري الرزقي، النشاط التعليمي للزوايا في الجنوب من خلال كتابات أبي القاسم سعد الله، مجلة أفاق علمية، مجلد 12، عدد 05، 2020، ص 300.

لم يقتصر التفسير في الزوايا على الجانب التعليمي، بل تجاوز ذلك ليؤدي وظيفة اجتماعية بارزة. فقد كان شيوخ الزوايا يربطون تفسير الآيات بالواقع اليومي للناس، فيشرحون مثلاً الآيات المتعلقة بالعدل في سياق النزاعات المحلية، أو الآيات المتعلقة بالصبر في سياق المعاناة الاجتماعية. وبهذا أصبح التفسير أداة لتوجيه السلوك الجماعي وتوحيد الرؤية الدينية والأخلاقية للمجتمع. ويشير عبد الرحمن إلى أنّ هذه الوظيفة الاجتماعية للتفسير جعلت من الزوايا مراكز لتثبيت الهوية الإسلامية في مواجهة المؤثرات الخارجية⁽¹⁾

إضافة إلى الدور التعليمي والاجتماعي، شكّل التفسير في الزوايا أداة فعالة لمقاومة الأمية الدينية، خاصة في الأوساط الريفية والفقيرة. فقد كان العامة يجدون في حلقات التفسير وسيلة لفهم القرآن بلغتهم اليومية دون الحاجة إلى مؤهلات علمية متقدمة. هذا الأسلوب الشعبي في التفسير جعل الوعي الديني أكثر شمولاً وانتشاراً، وحال دون انحصاره في طبقة العلماء أو النخبة. هذه الممارسة التفسيرية أسهمت في ديمقراطية المعرفة الدينية ونشرها بين مختلف فئات المجتمع.

من الخصائص البارزة للتفسير في الزوايا الجزائرية خلال هذه المرحلة أنه جمع بين التقليد المشرقي في اعتماد المصادر الكبرى للتفسير، وبين الوظيفة الاجتماعية المحلية التي تلبي احتياجات المجتمع الجزائري. فبينما كان الشيوخ يهلون من مؤلفات المفسرين المشاركة، فإنهم أعادوا صياغة التفسير بما يتناسب مع ثقافة الناس وتجاربهم اليومية. وهذا ما منح التفسير طابعاً مميزاً يمزج بين العالمية والخصوصية. هذا التداخل بين المرجعية المشرقية والبيئة الجزائرية هو ما جعل التفسير في الزوايا يكتسب بعداً مزدوجاً: علمياً من جهة، ووظيفياً اجتماعياً من جهة أخرى⁽²⁾.

المطلب الثاني: ملامح التفسير في فترة الاحتلال الفرنسي

مع دخول الاحتلال الفرنسي سنة 1830، واجهت الجزائر تحدياً حضارياً خطيراً تمثل في

(1) - عبد الرحمن يوسف. اتجاهات التفسير في المغرب العربي، دار السلام، القاهرة، 2010، ص82.

(2) - محمد فلاحي، وسائل تعليم اللغة العربية في زوايا توات بالجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10،

عدد2، 2021، ص1098.

محاولات طمس الهوية الدينية والثقافية للشعب الجزائري. وفي هذا السياق، تحوّل التفسير إلى أداة مقاومة فكرية وثقافية، إذ كان العلماء يوظفونه لتعزيز الروح الدينية والوطنية.

لقد أصبح تدريس القرآن وتفسيره في الزوايا والمساجد إحدى وسائل الحفاظ على اللغة العربية والهوية الإسلامية. فقد كان الشيوخ يركزون على الآيات التي تتحدث عن الصبر والجهد والتمسك بالدين، مما جعل التفسير أداة لمقاومة الذوبان الثقافي

كما اتسمت هذه المرحلة بمحاولة الجمع بين التفسير التقليدي والمقاصدي، حيث ركّز العلماء على بيان مقاصد الآيات في مواجهة التحديات الاستعمارية. فمثلاً، كان شيوخ الزوايا يشرحون آيات مثل: "ولا تهنأ ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"، على أنها دعوة لمقاومة المحتل وعدم الاستسلام. وهذا أعطى للتفسير طابعاً "وظيفياً" يتجاوز الجانب العلمي البحت إلى البعد السياسي والاجتماعي

ومن أهم مظاهر التفسير في هذه المرحلة أنّه كان شفوياً أكثر منه كتابياً، إذ لم تسمح الظروف الاستعمارية بحرية الطباعة والنشر. ومع ذلك، بقي التفسير حاضراً في حلقات المساجد والزوايا، مما ساهم في الحفاظ على علاقة الشعب بالقرآن الكريم. وقد مهد هذا التراث الشفوي لظهور المدرسة الإصلاحية الجزائرية في القرن العشرين، التي أعادت صياغة التفسير بشكل علمي ومنهجي⁽¹⁾

المبحث الثاني: منهج التفسير عند المدرسة الإصلاحية الجزائرية

المطلب الأول: تفسير ابن باديس المنهج الإصلاحي في "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"

يُعتبر الإمام عبد الحميد بن باديس 1889-1940 المؤسس الحقيقي للمدرسة الإصلاحية الجزائرية، وقد لعب دوراً محورياً في تجديد الفكر الإسلامي من خلال تفسيره للقرآن الكريم. إنّ أهم ما يميز منهجه التفسيري أنّه لم يكن أكاديمياً محضاً، بل كان توجيهياً إصلاحياً، يروم مخاطبة العقل الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي. فقد قدّم تفسيره في شكل دروس وحلقات

(1) - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1900، ط1، دار الأداب، بيروت، 1969، ص75-76.

وعظية، جُمعت لاحقاً في كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

ركز ابن باديس في تفسيره على ثلاثة محاور رئيسية:

المحور العقدي: حيث سعى إلى ترسيخ عقيدة التوحيد ومحاربة مظاهر الشرك والبدع التي كانت منتشرة في المجتمع الجزائري نتيجة للتراكبات التاريخية والتأثيرات الصوفية المغالية. وكان يستدل بالآيات القرآنية على بطلان الممارسات المنحرفة مثل التبرك بالأضرحة

المحور الأخلاقي والاجتماعي: فقد اعتبر القرآن كتاب إصلاح اجتماعي، لذا ركز على الآيات التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، والتكافل، والعدل، ومحاربة الظلم. وكان يربط بين معاني الآيات ومظاهر الانحراف الاجتماعي السائدة آنذاك

المحور السياسي والنهضوي: حيث نظر إلى القرآن باعتباره دستوراً للحياة الحرة الكريمة، فكان يستشهد بالآيات التي تدعو إلى التحرر من الاستبداد، ويحث على العلم والعمل والجهاد ضد المستعمر⁽¹⁾

على المستوى المنهجي، اتسم تفسير ابن باديس بالخصائص الآتية:

الاعتماد على التفسير الموضوعي الجزئي، أي تناول الآيات بحسب ترتيبها في المصحف، مع ربطها بالموضوعات الكبرى كالحرية والعدل والتوحيد.

تغليب البساطة والوضوح في الشرح، إذ كان يخاطب جمهوراً واسعاً من طلبة العلم والعامّة، فلم يكن يلجأ إلى التعقيد البلاغي أو الاصطلاحات الفلسفية.

الجمع بين الأصالة والمعاصرة، من خلال توظيفه للتراث التفسيري المشرقي كالطبري، والزمخشري، والقرطبي مع إسقاطات على الواقع الجزائري.

الطابع الإصلاحية التوجيهية، وهو ما جعل تفسيره قريباً من الحياة اليومية، حيث كان

(1) - عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر،

1948، ص14.

يربط الآيات بمشكلات التعليم، والتخلف، والاستعمار⁽¹⁾

إذن، يُمكن القول إنّ تفسير ابن باديس كان بمثابة مشروع نهضة فكرية، جمع بين عمق الفهم القرآني ووعي الواقع السياسي والاجتماعي، مما جعله مدرسة قائمة بذاتها في الجزائر.

المطلب الثاني: المدرسة الباديسية وامتدادها عند الإبراهيمي والميلي

لم يقف تأثير التفسير عند جهود ابن باديس، بل امتد إلى تلامذته وزملائه من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين تبنوا نفس المنهج الإصلاحي مع إضافات نوعية. ومن أبرز هؤلاء: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ مبارك الميلي.

أ- محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965

كان الإبراهيمي أحد أعمدة الفكر الإصلاحي في الجزائر، وقد برزت جهوده في التفسير من خلال مقالاته ومحاضراته التي جمعت لاحقاً في آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. اتسم منهجه التفسيري بما يلي:

البعد البياني الأدبي: فقد كان الإبراهيمي بارعاً في اللغة والبلاغة، لذا تميز تفسيره بعمق التحليل اللغوي والبياني للآيات، لإبراز إعجاز القرآن من الناحية الأدبية

البعد الإصلاحي الاجتماعي: كان يرى في القرآن أساساً لتغيير المجتمع الجزائري نحو التحرر والعلم، ففسّر الآيات في ضوء رسالته الإصلاحية التي تنادي بالتحرر من الجهل والاستعمار.

البعد السياسي: لم يتردد الإبراهيمي في توظيف النص القرآني لإذكاء روح المقاومة، وقد عُرف بمواقفه الحازمة تجاه الاحتلال الفرنسي، مستشهداً بآيات الجهاد والتحرر⁽²⁾

ب- مبارك الميلي 1898-1945

أما الشيخ مبارك الميلي، فقد كانت له مساهمة مميزة في الفكر الإصلاحي من خلال

(1) - المصدر نفسه، ص16.

(2) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص145.

مؤلفاته التاريخية والدينية، خاصة كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ورغم أنه لم يترك تفسيراً قرآنياً مستقلاً، إلا أن مقالاته ودروسه كانت مشبعة بالاستشهاد القرآني.

المنهج التاريخي: اعتمد الميلي على القرآن لتفسير مسار التاريخ الجزائري وربطه بالسنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها.

البعد العقدي: اهتم بتوضيح العقيدة الصحيحة، مستنداً إلى النص القرآني في مواجهة الخرافات والانحرافات العقدية.

البعد التعليمي: كان الميلي يؤمن بأن التفسير القرآني هو أداة لبناء وعي وطني وديني، مما جعله يوظف الآيات في الخطاب التعليمي والتوجيهي⁽¹⁾

المطلب الثالث: الخصائص العامة للمدرسة الإصلاحية الجزائرية في التفسير

لقد اتسمت المدرسة الإصلاحية الجزائرية بتركيزها على التفسير الموضوعي الإصلاحي، وهو ما يظهر جلياً عند عبد الحميد بن باديس في دروسه القرآنية بالمساجد والصحف؛ حيث كان يربط النص القرآني بقضايا المجتمع الجزائري، مثل محاربة الأمية، وتثبيت الهوية الإسلامية والعربية، ومقاومة مظاهر الانحراف الاجتماعي والديني التي خلفها الاستعمار. وقد أكد ابن باديس أن القرآن كتاب هداية وإصلاح، وليس نصاً معزولاً عن واقع الأمة، مما جعل تفسيره يتجاوز حدود التحليل اللغوي أو البلاغي إلى استنباط الدروس العملية التي تخاطب حاجات المجتمع⁽²⁾

أحد أبرز معالم هذه المدرسة هو مزاجتها بين الأصالة والمعاصرة؛ إذ اعتمد المصلحون الجزائريون على التراث التفسيري الإسلامي الموروث عن الطبري والقرطبي وابن كثير، لكنهم أعادوا قراءته بروح جديدة تتماشى مع متطلبات النهضة الحديثة. فالإبراهيمي، مثلاً، لم يكتف باستحضار الأقوال المأثورة في التفسير، بل أعاد صياغتها في ضوء التحديات الفكرية والثقافية التي فرضها الاستعمار، محاولاً استنهاض وعي الشعب من خلال خطاب يزاوج بين

(1) - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 89.

(2) - عبد الحنميد بن باديس، المصدر السابق، ص 112.

الاستدلال الشرعي والبرهان العقلي⁽¹⁾

لم يكن التفسير عند أعلام المدرسة الإصلاحية الجزائرية نشاطاً أكاديمياً محضاً، بل كان يحمل طابعاً دعوياً وتوجيهياً. فالمصلحون لم يتوجهوا إلى النخب وحدها، وإنما إلى عامة الشعب من خلال الخطب والدروس والمقالات الصحفية. وكان الهدف من هذا التوجيه هو تثقيف الأمة دينياً وسياسياً، وتعبئتها ضد مخططات المستعمر. وقد وظف مبارك الميلي، على سبيل المثال، التفسير في كتاباته وخطبه كوسيلة لتصحيح العقيدة، ومحاربة البدع، وإعادة بناء الشخصية الجزائرية على أسس إسلامية أصيلة⁽²⁾.

تميّزت المدرسة الإصلاحية أيضاً بالعناية بالطابع الأدبي والبياني للنص القرآني، وخاصة عند محمد البشير الإبراهيمي، الذي كان يُبرز الجوانب البلاغية والجمالية في القرآن بأسلوب يجمع بين الفصاحة والسلاسة. إبراهيم لم يكن يقتصر على بيان المعنى اللغوي، بل كان يستخرج من تراكيب النص وأسلوبه ما يوقظ الذوق الأدبي لدى المتلقي، ويعزز وعيه بجماليات اللغة العربية التي حاول الاستعمار طمسها. وهكذا، غدا التفسير أداة مزدوجة: دينية في تثبيت الإيمان، ولغوية في حفظ العربية.

من الخصائص الفارقة للمدرسة الإصلاحية الجزائرية أنّ التفسير لم يكن مجرد اجتهاد علمي، بل أصبح سلاحاً ثقافياً وسياسياً لمواجهة الاستعمار الفرنسي. فقد شكّل تفسير القرآن ركيزة في بناء الوعي الوطني، وتجديد الانتماء الديني واللغوي للشعب الجزائري، وهو ما يميز هذه المدرسة عن كثير من المدارس المشرقية التي ظلت محصورة في أبعاد معرفية أو أكاديمية. ولعلّ هذا ما جعل التفسير عند ابن باديس والإبراهيمي والميلي يمثل حركة تحررية شاملة، تتخذ من النص القرآني أساساً لمقاومة الاغتراب والهيمنة⁽³⁾.

المبحث الثالث: مناهج التفسير المعاصرة في الجزائر

(1) - محمد البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 64.

(2) - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 89.

(3) - جيلالي الحيووش، معالم التفسير الاصلاحى عند البشير الابراهيمى من خلال آثاره، مجلة الحضارة الاسلامية،

مجلد 19، عدد 1، 2018، ص 19.

المطلب الأول: التفسير الموضوعي والاتجاهات الحديثة

شهدت الجزائر منذ الاستقلال 1962 تطوراً نوعياً في الدراسات القرآنية بفضل إنشاء الجامعات والمعاهد الإسلامية، حيث انتقل التفسير من المجال الوعظي والإصلاحي إلى البحث الأكاديمي المنهجي. ومن أبرز مظاهر هذا التحول اعتماد التفسير الموضوعي، الذي يقوم على معالجة موضوع قرآني محدد في ضوء مجموع الآيات ذات الصلة.

ففي الجامعات الجزائرية، مثل جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة وجامعة الجزائر، ظهرت رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه متخصصة في قضايا قرآنية موضوعية مثل: الحرية في القرآن، السنن الاجتماعية، العدالة، المرأة، البيئة وغيرها

هذا التوجه يعكس محاولة الباحثين الجزائريين الاستفادة من مناهج التفسير الحديثة التي تأثرت بالمدرسة المشرقية، خصوصاً عند محمد عبد الله دراز ومحمد باقر الصدر.

وقد ساعد هذا المنهج الموضوعي في معالجة قضايا المجتمع الجزائري المعاصر، مثل قضايا حقوق الإنسان، والعولمة، ومكانة المرأة، وذلك من خلال الاستدلال القرآني المنهجي. كما أتاح التفسير الموضوعي إمكانية الربط بين الدراسات القرآنية والعلوم الاجتماعية الحديثة، وهو ما يظهر في بعض الأبحاث التي اعتمدت على المقاربة السوسيولوجية والأنثروبولوجية للآيات

المطلب الثاني: التفسير اللغوي والأدبي في الدراسات الأكاديمية المعاصرة

لقد شهدت الدراسات القرآنية في الجزائر، في العقود الأخيرة، اهتماماً متزايداً بالبعد اللغوي والأدبي للنص القرآني، وهو ما يمثل نقلة نوعية في مناهج التفسير. فبعد أن كان التفسير الإصلاحي يركز على الجوانب الدعوية والاجتماعية والسياسية، جاء التوجه الأكاديمي الحديث ليؤسس لرؤية علمية منهجية تبحث في بنية النص القرآني ذاتها من حيث الأسلوب، والصياغة، والانسجام الداخلي. ويظهر هذا المسار في الأبحاث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراه التي اهتمت بتحليل الإعجاز البياني والأسلوبي، والظواهر النحوية

والبلاغية، بوصفها مفاتيح لفهم مقاصد الخطاب القرآني⁽¹⁾

كما برزت دراسات متخصصة تناولت مظاهر الإعجاز البياني من زاوية علم البلاغة، حيث قام بعض الباحثين بتحليل التشبيهات، والاستعارات، والكنيات، والصور الفنية في النص القرآني. هذه الدراسات لم تكن مجرد إعادة إنتاج لما قام به البلاغيون القدامى كالجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، بل حاولت توظيف أدوات النقد الأدبي الحديث واللسانيات النصية لإبراز الطابع الجمالي والدلالي للخطاب القرآني. وهو ما ساهم في تطوير رؤية جديدة لفهم الإعجاز تقوم على الجمع بين الأصالة التراثية والمناهج النقدية المعاصرة

ومن بين المظاهر البارزة في هذا التوجه أيضاً الدراسات التي اهتمت بالإيقاع القرآني، سواء من خلال رصد التكرار الصوتي، أو التوازن بين الفواصل، أو الجرس الموسيقي للنص. فقد اعتبر عدد من الباحثين أن الإيقاع عنصر أساس في البنية الأسلوبية للقرآن الكريم، وهو ما يمنحه فرادته وخلوده. كما أن هذه الدراسات أظهرت كيف أن الإيقاع يسهم في تثبيت المعنى وترسيخ القيم في وجدان المتلقي، مما يضيف بعداً جمالياً وروحياً في آن واحد⁽²⁾

إلى جانب ذلك، نجد أبحاثاً أكاديمية ركزت على دراسة الظواهر النحوية في النص القرآني، ليس على سبيل التفسير النحوي التقليدي، وإنما في إطار رؤية لسانية حديثة. فقد عمل الباحثون على استكشاف العلاقة بين البنية النحوية والدلالة السياقية، مع الاستعانة بمفاهيم علم اللغة الحديث مثل التداولية pragmatics والدلالة semantics. هذه الجهود عكست تأثير النظريات الغربية المعاصرة في الدرس اللغوي القرآني بالجزائر، وفي الوقت ذاته حافظت على الصلة بالمرورث العربي والإسلامي

إن التوجه الأكاديمي المعاصر نحو التفسير الأدبي واللغوي يعكس رغبة الباحثين الجزائريين في إبراز البعد الجمالي والفكري للنص القرآني باعتباره جزءاً من الهوية الأدبية والثقافية للأمة. وقد اتضح ذلك في الدراسات المقارنة التي قارنت بين جهود المفسرين القدامى كالطبري والزمخشري والرازي، وبين المناهج اللسانية والأسلوبية الحديثة، في محاولة لإيجاد

(1) - غربي محمد، الإيقاع القرآني: دراسة أسلوبية، دار الأمة، الجزائر، 2019. ص 202.

(2) - غربي محمد، المرجع السابق، ص 203.

صيغة توفيقية بين التراث والمعاصرة. وبذلك يمكن القول إن التفسير المعاصر في الجزائر قد تجاوز حدود التفسير الدعوي أو الفقهي ليؤسس لمقاربة علمية أدبية تسعى إلى إعادة الاعتبار للقرآن الكريم كنص بلاغي معجز يجمع بين الجمال والدلالة

المطلب الثالث: نقد المناهج الجزائرية بين الأصالة والتأثر بالمناهج العالمية

شهدت المناهج التفسيرية في الجزائر تطوراً ملحوظاً في العقود الأخيرة، إلا أنها تعرضت لنقد من باحثين متخصصين، اعتبروا أن هذه المناهج وقعت أحياناً في إفراط بالاعتباس من المدارس الشرقية والغربية. فقد أشار بعض الدارسين إلى أن التفسير الموضوعي الذي شاع في بعض الجامعات الجزائرية، مستوحى في معظمه من التجربة الشرقية، دون تكييف كافٍ مع البيئة الجزائرية ذات الخصوصية الثقافية والاجتماعية. هذا ما جعل بعض الأبحاث تفتقر إلى الارتباط المباشر بقضايا المجتمع الجزائري الراهن، خلافاً لما سعى إليه المصلحون الأوائل كابن باديس.

كما أخذ على بعض الدراسات الأكاديمية غلبة الطابع النظري والتجريدي، حيث ركزت على تحليل بنية النص القرآني من منظور لغوي أو أسلوبى بحث، دون ربط النتائج بمشكلات المجتمع أو هموم الأمة الجزائرية. فالمقاربة اللسانية أو البلاغية – رغم أهميتها العلمية – لم تحقق دوماً البعد التوجيهي أو الإصلاحي الذي ميّز المدرسة الإصلاحية الجزائرية. وهذا الانفصال بين النص والواقع مثل محوراً لانتقادات عديدة واعتُبر ابتعاداً عن روح التفسير الإصلاحي.

من جهة أخرى، أثارت المناهج المستوردة من الغرب – مثل المقاربة السيميائية والتحليل الخطابي – جدلاً واسعاً بين الباحثين الجزائريين. فبينما يرى بعضهم أن هذه المناهج تفتح آفاقاً جديدة لفهم النص القرآني من خلال أدوات علمية حديثة، يعتبر آخرون أن إخضاع النص القرآني لهذه الأطر الفكرية الوافدة يشكل خطراً على خصوصيته، ويؤدي إلى إضعاف حمولة النص الروحية والتشريعية⁽¹⁾. هذا التوتر بين الاستفادة من المناهج العالمية والحفاظ

(1) - بن عبد الله ياسين. التفسير والسيميائيات: إشكالات منهجية في الدراسات القرآنية منشورات جامعة منتوري،

على أصالة التفسير يظل نقطة إشكالية في الدراسات الجزائرية المعاصرة.

غير أنّ النقد لا يقف عند حدود رفض المناهج المستوردة، بل يتجه أيضاً إلى ضعف التكامل بين الأصالة والمعاصرة في بعض الدراسات. فهناك أبحاث أعادت إنتاج التراث التفسيري دون تجديد، وأخرى انغمست في المناهج الحديثة دون تفاعل مع السياق الجزائري. وفي الحالتين، يغيب ذلك "التوازن المنهجي" الذي كان يميز المدرسة الإصلاحية، حيث كان ابن باديس والإبراهيمي يجمعان بين التراث النصي والممارسة الواقعية الإصلاحية

وبالرغم من هذه الانتقادات، يبقى التوجه العام في الدراسات التفسيرية الجزائرية المعاصرة هو السعي إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة. فالعديد من الباحثين يؤكدون أن مستقبل التفسير في الجزائر مرتبط بقدرة الجامعات والمراكز البحثية على صياغة منهج تفسيري متجدد، يحافظ على أصالة المرجعية الإسلامية، وينفتح في الوقت ذاته على أدوات البحث اللساني والسميائي المعاصر، شريطة أن يُراعى السياق الثقافي والاجتماعي المحلي وهكذا، فإن الجدل النقدي الدائر ليس عائقاً بقدر ما هو حافز للتطوير والتجديد.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه، يمكن القول إنّ التفسير في الجزائر مرّ بثلاث مراحل رئيسية: المرحلة التقليدية: حيث كان التفسير في العهد الوسيط مرتبطاً بالفقه المالكي وبالوظيفة التعليمية والاجتماعية للزوايا.

المرحلة الإصلاحية: التي برزت مع ابن باديس والإبراهيمي والميلي، وتميزت بربط النص القرآني بقضايا الإصلاح العقدي والاجتماعي والسياسي في مواجهة الاستعمار.

المرحلة المعاصرة: التي شهدت انتقال التفسير إلى الوسط الأكاديمي الجامعي، مع التركيز على التفسير الموضوعي، والدراسات اللغوية، والمناهج النقدية الحديثة.

وقد أظهرت الدراسة أنّ المدرسة الإصلاحية الجزائرية ما تزال تشكل المرجعية الأساسية في التفسير، لكونها جمعت بين الأصالة والمعاصرة، ونجحت في جعل القرآن الكريم أداة للتجديد الحضاري. أما الدراسات المعاصرة فقد أضافت بعداً أكاديمياً ومنهجياً مهماً،

لكنها مطالبة دوماً بالموازنة بين المناهج الوافدة والخصوصيات الجزائرية.

إنّ مستقبل التفسير في الجزائر يرتبط بقدرة الباحثين على تطوير مناهج نقدية أصيلة، تستفيد من الأدوات العلمية الحديثة دون التفريط في المرجعية القرآنية والتراثية. ومن ثمّ، فإنّ الجمع بين جهود الرواد الإصلاحيين والتراث الأكاديمي الراهن يفتح آفاقاً رحبة أمام خدمة النص القرآني بما يلي حاجات الإنسان الجزائري والعربي والمسلم في الحاضر والمستقبل.

كما يتبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ مناهج التفسير في الجزائر قد مرت بمسار متنوع وخصب، حيث جمعت بين الأصالة المتمثلة في الارتباط بالتراث التفسيري الإسلامي، والمعاصرة التي جسدها توظيف مناهج جديدة تستجيب للتحوّلات الفكرية والاجتماعية. فقد أظهرت الزوايا دوراً محورياً في ترسيخ التفسير الشعبي الذي يخاطب العامة، بينما شكلت المدرسة الإصلاحية المتمثلة في ابن باديس والإبراهيمي والميلي مرحلةً نوعية ركزت على ربط النص القرآني بقضايا الهوية والنهضة والتحرر.

كما برزت في العقود الأخيرة توجهات أكاديمية متخصصة أعطت للتفسير بعداً لغوياً وأدبياً، مستفيدة من مناهج التحليل الحديثة في اللسانيات والبلاغة والنقد الأدبي، الأمر الذي أضفى على الدراسات القرآنية في الجزائر طابعاً جمالياً وعمقاً علمياً. غير أنّ هذه المناهج لم تسلم من النقد، خاصة فيما يتعلق بمدى توافقها مع خصوصيات المجتمع الجزائري وقدرتها على الحفاظ على روح المدرسة الإصلاحية.

ويمكن القول إنّ التفسير الجزائري المعاصر يشهد حالة من التوازن بين الأصالة والمعاصرة، فهو من جهة يستلهم جهود العلماء والمصلحين الذين جعلوا من التفسير أداة للتربية والتوجيه والإصلاح، ومن جهة أخرى يوظف المناهج العلمية الحديثة لإبراز الجوانب الجمالية واللغوية للنص القرآني.

هذا التوازن يعكس سعي الباحثين الجزائريين إلى تأسيس مدرسة تفسيرية ذات هوية مميزة، تراعي السياق المحلي من جهة، وتنتفتح على المناهج العالمية من جهة أخرى، بما يعزز مكانة الدراسات القرآنية الجزائرية في المشهد العلمي والفكري الإسلامي.

وبناءً على ما سبق، فإنّ مستقبل التفسير في الجزائر مرهون بقدرة الباحثين على تحقيق

التكامل بين الأصالة والمعاصرة، وعلى تجاوز النزعة الوصفية البحتة نحو توظيف التفسير كأداة إصلاحية وثقافية تسهم في بناء الوعي الديني والفكري، وتخدم المجتمع في قضاياها الراهنة والمستقبلية.

قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، ط1، دار الآداب، بيروت، 1969.
- بن عبد الله ياسين. التفسير والسميائيات: إشكالات منهجية في الدراسات القرآنية منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 2019
- جيلالي الحيوش، معالم التفسير الاصلاحى عند البشير الابراهيمي من خلال آثاره، مجلة الحضارة الاسلامية، مجلد 19، عدد1، 2018
- خيرى الرزقي، النشاط التعليمي للزوايا في الجنوب من خلال كتابات أبي القاسم سعد الله، مجلة أفاق علمية، مجلد 12، عدد05، 2020
- عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، 1948
- عبد الرحمن يوسف. اتجاهات التفسير في المغرب العربي، دار السلام، القاهرة، 2010
- غربي محمد، الإيقاع القرآني: دراسة أسلوبية، دار الأمة، الجزائر، 2019
- مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981
- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
- محمد بن جعفر إدريس الكتاني، سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004
- محمد فلاح، وسائل تعليم اللغة العربية في زوايا توات بالجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 10، عدد2، 2021

موقف علماء التفسير الجزائريين من الروايات الإسرائيلية

أ.د. أحمد علالي - جامعة الأغواط

د. ثامر مداح - جامعة الجزائر 1

الملخص:

القرآن الكريم كتاب الله، وسرجه المبين من تمسك به نجا ومن ابتعد عن هداه ضل، ولهذا فقد سعى كثير من العلماء في تفسيره و بيان أحكامه وحكمه واستخراج أسرارهِ، وذلك منذ فجر الإسلام، ولم يشذ علماء هذا البلد الحبيب عن غيرهم من العلماء، فقد قاموا كذلك بتفسير القرآن الكريم، ولقد جاء هذا البحث ليرز نقطة مهمة تتعلق بمناهج علماء الجزائر في التفسير، وهي موقفهم من الروايات الإسرائيلية، ولقد اخترنا ثلاثة من أشهر المفسرين الجزائريين: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وبينت موقفهم من الروايات الإسرائيلية، واتضح لنا أنهم يرفضون الروايات الإسرائيلية الكاذبة، ويدعون المفسرين إلى الاستغناء عنها، ففي كتاب الله والسنة النبوية ما يغني عنها.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الروايات، الإسرائيلية...

The Holy Quran is the Book of Allah, and His clear lamp. Whoever holds fast to it will be saved, and whoever turns away from its guidance will go astray. That is why many scholars have sought to interpret it, explain its rulings and wisdom, and extract its secrets, since the dawn of Islam. The scholars of this beloved country have not deviated from other scholars, as they have also interpreted the Holy Quran. This research came to highlight an important point related to the approaches of Algerian scholars in interpretation, which is their position on the Israelite narratives. We have chosen three of the most famous Algerian interpreters: Sheikh Abdul Rahman Al-Tha'alibi, Sheikh Abdul Hamid bin Badis, and Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi, and I have explained their position on the Israelite narratives. It became clear to us that they reject the false Israelite narratives, and they call upon interpreters to dispense with them, as in the Book of Allah and the Sunnah of the Prophet there is that which suffices in their need.

مقدمة:

القرآن الكريم كتاب الله، وسراج المبين، وسفينته التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها زاغ وهلك، فالقرآن الكريم له مكانة عظيمة عند المسلمين بل حتى عند غيرهم، ولهذا فقد سعى علماء الأمصار في تفسيره وتوضيح معانيه واستخرجه حكمه وأسراره، ولم يكن علماء هذا البلد الحبيب في معزل عن ما يفعله نظارؤهم في تفسير كتاب الله والإعتناء به، بل قد ظهر منذ فجر الإسلام مفسرون جزائريون، وإلى حد هذه الساعة مازال هناك باحثين وعلماء جزائريين يهتمون بتفسير كتاب الله، بل لم يمر زمن من الأزمان إلا وفي هذا البلد الحبيب مفسر أو مفسران أو حتى أكثر، ومن هؤلاء المفسرين هود بن محكم الهواري القرن الثالث، أبي عبد الله الشريف التلمساني 771هـ، الشيخ عبد الرحمن الثعالبي 851هـ، ابن الخليفة الجزائري 1094هـ، عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، إبراهيم بيوض 1400هـ- 1980م وغيرهم كثير...

ولما كان علم التفسير يتعلق بكتاب الله العظيم، كان الاهتمام به أمرا عظيما وذلك كدراسة مناهجه وطرائقه ومصادره، ولقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على نقطة مهمة تتعلق بمناهج المفسرين الجزائريين في تفاسيرهم، وهي موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، ولما كانت هذه المداخلة لا تتسع لدراسة موقف كل المفسرين الجزائريين من الروايات الإسرائيلية، فقد اخترنا ثلاثة مفسرين مبرزين من المفسرين الجزائريين وهم: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وبيننا موقفهم ومنهجهم في التعامل مع الرواية الإسرائيلية.

والإشكالية الرئيسية التي يعالجها هذا البحث: هل تعامل المفسرون الجزائريون مع الروايات الإسرائيلية كما تعامل غيرهم معها، أم كان لهم موقف مخالف لغيرهم ممن المفسرين؟.

وقد قسمنا هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: يتناول تعريف الرواية الإسرائيلية، وموقف العلماء من الروايات الإسرائيلية، أسباب إيراد المفسرين للروايات الإسرائيلية.

المبحث الثاني: موقف المفسرين الثلاث المذكورين من الروايات الإسرائيلية.

وأما الخاتمة فقد ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، كما خرجنا من هذا البحث بتوصيات مهمة.

وصل الله اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: الروايات الإسرائيلية:

المطلب الأول: تعريف الروايات الإسرائيلية.

الروايات الإسرائيلية: هي تلك الأخبار والقصص والحوادث المنقولة من مصدر إسرائيلي، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وإليه تنسب اليهود⁽¹⁾.

ومنايع الرواية الإسرائيلية: التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها بنو إسرائيل، أو تناقلوها عن غيرهم، معارف اليهود وثقافتهم⁽²⁾.

واختلف الباحثون في دخول الروايات المسيحية والروايات الديانات الأخرى في معنى الروايات الإسرائيلية:

1/ يرى بعض الباحثين كالباحثة آمال محمد عبد الرحمن ربيع أن الرواية الإسرائيلية مختص باليهود فقط⁽³⁾.

2/ الرواية الإسرائيلية تشمل كذلك الرواية المسيحية، وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، و أن ما في كتب التفسير من المسيحيات

(1)- مجلة علمية محكمة: عبد القادر بخوش، إسرائيليات في كتب التفسير العدد 02 المجلد 30 2016/06/15 ص 38

(2)- أبو شهبه محمد بن محمد أبو شهبه إسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير مكتبة السنة الطبعة الرابعة ص 13

(3)- آمال محمد عبد الرحمن ربيع إسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية، القاهرة 2001/1422 ص 26

أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها.

3/ الرواية الإسرائيلية تشمل كل روايات الديانات الأخرى⁽¹⁾.

4/ الرواية الإسرائيلية تشمل كل العقائد والروايات غير الإسلامية⁽²⁾.

والذي يبدو والله أعلم أن الرواية الإسرائيلية، والتي يجوز روايتها، هي رواية أهل الكتاب فقط، لقوله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، وقولوا: {آمنّا بالله وما أنزل إلينا}⁽³⁾.

المطلب الثاني: حكم الروايات الإسرائيلية:

اختلف العلماء في حكم الروايات الإسرائيلية، إلى قولين: الأول جواز روايتها، والثاني منع روايتها:

أدلة الجواز:

1/ عن أبي هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»⁽⁴⁾. أي لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا حدثوا صيغة أمر تقتضي الوجوب

(1)- رمزي نعناعة، الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير نشر وتوزيع دار العلم دمشق، دار الضياء بيروت، الطبعة الأولى 1370/1970، ص73

(2)- رمزي نعناعة الإسرائيليات ص73

(3)- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي الصحيح، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422. كتاب تفسير القرآن باب {آمنّا بالله وما أنزل إلينا} البقرة 136 رقم الحديث 4485 ج 6 ص20

(4)- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان كتاب باب الحديث عن بني إسرائيل رقم الحديث 3664 ج 3 ص361، وصححه ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1414/1993 ج14 ص147

فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله ولا حرج أي في ترك التحديث عنهم⁽¹⁾.

2/ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، وقولوا: {آمنّا بالله وما أنزل إلينا}⁽²⁾.

أدلة المنع:

1/ عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: «أمتهمكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني»⁽³⁾.

2/ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرأونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: «هو من عند الله ليستثروا به ثمنا قليلا»، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»⁽⁴⁾.

والذي يبدو والله أعلم أن الروايات الإسرائيلية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: ما يوافق شرعنا، القسم الثاني: ما عُلِمَ أنه يخالف شرعنا، أو يخالف العقل، القسم الثالث:

(1) - ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة 1379. ج 6 ص 498

(2) - البخاري كتاب تفسير القرآن باب {آمنّا بالله وما أنزل إلينا} البقرة 136 رقم الحديث 4485 ج 6 ص 20

(3) - الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2001/1421 رقم 15156 ج 23 ص 349.

(4) - البخاري كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها رقم 2685 ج 3 ص 181

أنه مسكوت عنه لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، فيجوز الحكاية عن بني إسرائيل إذا كانت الرواية من القسم الأول أو الثالث، وأما إذا كانت من القسم الثاني فلا تجوز روايتها⁽¹⁾.

وعليه يجوز الحكاية عن بني إسرائيل إلا إذا علم أنها تتعارض مع شرعنا، فلا يجوز حكايتها، ويدل على هذا أنه هناك شبه إجماع على هذا، فالسلف رحمهم الله نقلوا الروايات الإسرائيلية، بين مقل ومكثر، فلا تجد كتابا من كتب السلف إلا وقد احتوى بعض الروايات الإسرائيلية⁽²⁾.

وأما حديث عمر بن الخطاب فيجاء عنه:

1/ حديث عمر أقل درجة من الحديث الذي يبيع الرواية عن بني إسرائيل⁽³⁾.

2/ يمكن الجمع بين الحديثين، فيحمل النهي في حديث عمر على أنه ليس تحريما مطلقا، فالنهي في الحديث يحتمل عدة معاني نذكر منها: أن النهي كان قبل استقرار أحكام الشريعة، وحديث الإباحة بعد استقرار الأحكام⁽⁴⁾. فعمر رضي الله عنه كان يستمع لأهل الكتاب، ويروي عنهم⁽⁵⁾.

وأما أثر ابن عباس فيجاء عنه: أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يروي أخبار عن أهل

(1) - ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة،

دار طبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420/1999 التفسير ج 1 ص 31

(2) - حاتم عوني: الشيخ أ.د. الشريف حاتم بن عارف العوني، الإسرائيليات وحكم روايتها مقال من موقع: الشيخ الشريف حاتم العوني

(3) - حاتم عوني: الشيخ أ.د. الشريف حاتم بن عارف العوني، الإسرائيليات وحكم روايتها مقال من موقع: الشيخ الشريف حاتم العوني

(4) - ابن حجر فتح الباري ج 6 ص 498

(5) - حاتم عوني: الشيخ أ.د. الشريف حاتم بن عارف العوني، الإسرائيليات وحكم روايتها مقال من موقع: الشيخ الشريف حاتم العوني

الكتاب، فهذا يدل على أنه لا يمنع بإطلاق الأخذ عن أهل الكتاب، وإنما يمنع صورا وأحوالا⁽¹⁾.

المطلب الثالث: أسباب إيراد المفسرين للروايات الإسرائيلية.

وجود الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير أمر واقع لا يستطيع أحد إنكاره، بل قد روى الصحابة والتابعين العدد الكبير من هذه الروايات، فماهي مبررات التي جعلت المفسرين ينقلون هذه الروايات في كتبهم؟ يجيبنا العلامة أحمد شاكر رحمه الله فقد قال وهو يبين منهج الطبري رحمه الله في تعامله مع الإسرائيليات: «ومثله أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التي لا يشك في ضعفها، أو في كونها من الإسرائيليات، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير أي التنزيل الكريم، بل يسوق الطويل الطويل، لبيان معنى لفظ، أو سياق حادثة، وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة في الدين، ولا في التفسير التام لأي كتاب الله. فاستدلال الطبري بما ينكره المنكرون، لم يكن إلا استظهاراً للمعاني التي تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم، كما يستظهر بالشعر على معانيها. فهو إذن استدلال يكاد يكون لغوياً. ولما لم يكن مستنكراً أن يستدل بالشعر الذي كذب قائله، ما صحت لغته؛ فليس بمستنكر أن تساق الآثار التي لا يرتضيها أهل الحديث، والتي لا تقوم بها الحجة في الدين، للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن، وكيف فهمه الأوائل - سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم»⁽²⁾.

فيُفهم من كلام الشيخ أحمد شاكر:

1/ المفسر قد يروي الرواية الإسرائيلية وهو يعلم ضعفها.

2/ رواية الإسرائيليات في كتب التفسير تحتمه ضرورة علمية، فهي تبين فهم الأوائل من الصحابة أو مما دونهم للقرآن الكريم.

(1) - حاتم عوني: الشيخ أ.د الشريف حاتم بن عارف العوني، الإسرائيليات وحكم روايتها مقال من موقع: الشيخ الشريف حاتم العوني

(2) - الطبري: أبو جعفر محمد بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000/1420، ج 1 ص 354.

3/ الروايات الإسرائيلية تروى لبيان معنى لفظ أوسياق حادثة.

وقد ذكر الدكتور مساعد الطيار كذلك بعض المبررات لوجود الإسرائيليات في كتب التفسير:

1/ توجيه الآية لمعنى محتمل: فمثلا تفسير فتنة داود وسليمان عليهما السلام، لا يمكن أن يعرف معناها إلا بالإسرائيليات

2/ تعيين المهمات: يعني الأسماء والأشكال....

3/ معرفة سبب القصة: فالقرآن يُورد أمورًا لا يُعرف سببها، كما حكى لنا في قصة داود وفتنته وما كان معه من أمر الخصمين اللذين تسوَّرا عليه المحراب، وإيراد الإسرائيليات يبيِّن لنا الأسباب التي أفضت لوقوع الحدث.

4/ تفصيل المَجْمَل: وهذا هو الغالب والمشتهر، حيث يوردون القصص من باب تبين بعض المَجْمَلات في القصص القرآني وما جاء ذكره موجِّهاً، ومن ذلك ذكرهم للقصص في الضَّر الذي أصاب سيدنا أيوب وغير ذلك.

المبحث الثاني: موقف علماء التفسير الجزائريين من الروايات الإسرائيلية.

المطلب الأول: موقف العلامة المفسر الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله من روايات الإسرائيلية.

المعروف عن تفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله أنه تفسير بالمأثور، ويدل على ذلك:

1/ اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن في كثير من المواضع مثل: قوله تعالى {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} ⁽¹⁾ ، قال الشيخ الثعالبي رحمه الله ⁽²⁾: أي نؤت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدْ

(1)- آل عمران 145

(2)- الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلي

للمطبوعات بيروت لبنان ج 1 ص 317

الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا⁽¹⁾

2/ و أما تفسير القرآن بلسنة فكثير كذلك ومثال ذلك: في تفسيره لقوله تعالى أن المقصود عند أكثر المفسرين بالود في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} (2) ، هو القبول الذي يرضعه الله في الأرض لمن يحبه وذلك حسب الحديث الصحيح المروي (3)، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله العبد قال لجبريل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في أهل السماء أن الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض وإذا أبغض العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك في الأرض (4) .

وقد قال رحمه الله عن تفسيره: «فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم» (5).

و قال أيضا رحمه الله: «وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر» (6).

ونقل عن ابن عبد البر رحمه الله: « وأولى الأمور بمن نصح نفسه والههم رشده معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل إلى مراد الله تعالى من عبادته فيما تعبدهم به من شرائع دينه الذي به الابتلاء وعليه الجزاء في دار الخلود والبقاء التي لها يسعى الالباء العقلاء والعلماء الحكماء فمن من الله عليه بحفظ السنن والقرآن فقد جعل بيده لواء الإيمان» (7).

2- الإسراء 18

(2)- مريم 96

(3)- الثعالبي جواهر الحسان ج3 ص22

(4)- البخاري كتاب بدئ الخلق باب ذكر الملائكة ج4 ص111 مسلم كتاب البر والصلة و الآداب باب إذا أحب الله عبدا حبيه لعباده ج4 ص2030

(5)- الثعالبي جواهر الحسان ج1 ص4

(6)- الثعالبي جواهر الحسان ج4 ص171

(7)- الثعالبي جواهر الحسان ج1 ص4

وتفسيره رحمه الله عامر بالرواية عن الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير،
موقفه من الإسرائيليات:

الشيخ الثعالبي له باع كبير في علم الحديث، وهذا يظهر جلي في نقده للروايات المذكورة في تفسيره، والحكم عليها، وقد قال عن نفسه رحمه الله: « ثم ارتحلت الى المشرق فلقيت بمصر الشيخ ولي الدين العراقي فأخذت عنه علوما جمة معظمها علم الحديث وفتح الله لي فيه فتحا عظيما وكتب لي وأجازني جميع ما حضرته عليه وأطلق في غيره ثم لقيت بمكة بعض المحدثين»⁽¹⁾.

وهذا ما أهله وسمح له بانتقادات الروايات وتمحيصها ومعرفة صحيحها من ضعيفها، وسمح له ذلك أيضا بمعرفة الروايات الإسرائيلية المروية في كتب التفسير، فشيخنا عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله لم يمر الروايات الإسرائيلية في تفسيره دون نقد.
وهذه بعض أقواله تبين موقفه من الروايات الإسرائيلية:

أ/ قال رحمه الله عند كلامه على قصة هاروت وماروت: « قال عياض: وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم»⁽²⁾.

ب/ روى ابن القاسم عن مالك أنه قال بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد إبليس آدم وتكبر وشح آدم في أكله من شجرة قد نهي عن قربها⁽³⁾.

وقد انتقد هذه الرواية بقوله: « إطلاق الشح على آدم فيه ما لا يخفى عليك والواجب

(1)- الثعالبي جواهر الحسان ج 4 ص 119

(2)- الثعالبي جواهر الحسان ج 1 ص 93

(3)- الثعالبي جواهر الحسان ج 1 ص 49

اعتقاد تنزيه الأنبياء عن كل ما يحط من رتبهم وقد قال الله تعالى في حق آدم وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا⁽¹⁾»⁽²⁾.

ج/ قال عياض وأما قوله تعالى {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى⁽³⁾} أي جهل فإن الله تعالى أخبر بعذره بقوله ولقد {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا⁽⁴⁾} قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزمًا أي قصدا للمخالفة، وقيل غير هذا مما لا أرى ذكره هنا والله در ابن العربي حيث قال «يجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عما نسب إليهم الجهال»⁽⁵⁾.

1/ حذف كثير من الإسرائيليات التي ذكرها الشيخ ابن عطية، وذلك لأن تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للشيخ أبو محمد بن عطية هو المادة الأولى لتفسير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي⁽⁶⁾ ومثال ذلك: :

أ/ ذكر الشيخ أبو محمد بن عطية في تفسيره: الحية التي قيل إنها نزلت مع آدم عليه السلام فقد: وقال « وروي أنها كانت ذات قوائم كالبعير فعوقبت بأن ردت تنساب على بطنها»⁽⁷⁾.

ب/ ذكر الشيخ أبو محمد بن عطية أنه وروي أن آدم لما أهبط إلى شقاء الدنيا علم صنعة الحديد ثم علم الحث فحرث وسقى وحصد وذرا وطحن وعجن وخبز وطبخ وأكل فلم يبلغ إلى ذلك حتى بلغ من الجهد ما شاء الله وروي أن حواء قيل لها يا حواء كما دميت الشجرة فأنت

(1)- طه 320

(2)- الثعالبي جواهر الحسان ج 1 ص 49

(3)- طه 115

(4)- طه 115

(5)- الثعالبي جواهر الحسان ج 3 ص 41

(6)- الثعالبي الجواهر الحسان ج 1 ص 3

(7)- الشيخ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب

العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1413/1993 ج 2 ص 453

تدمين في كل شهر وأنت لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها قالت فرنت عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك⁽¹⁾.

ومع ما ذكرنا من تمحيصه للروايات الإسرائيلية، وحذف بعضها التي ذكرها الشيخ أبو محمد بن عطية، فقد تضمن تفسير الشيخ الثعالبي كثيرا من الروايات الإسرائيلية، ومثال ذلك:

أ/ والذي حاج إبراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعضة قاله مجاهد وغيره قال قتادة هو أول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل قيل أنه ملك الدنيا بأجمعها وهو أحد الكافرين والآخر بخت نصر وقيل أن النمروذ الذي حاج إبراهيم هو نمروذ بن فالخ⁽²⁾.

ب/ وروى أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يحكي عن موسى على المنبر قال: « وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل الله إليه ملكا فارقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره بأن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس إحدهما عن الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا أن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض وقوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض أي بالملك⁽³⁾»

من هذا كله نلخص أن الشيخ المفسر عبد الرحمن الثعالبي لا يقبل الروايات الإسرائيلية ، خاصة فيما يتعارض مع الدليل القطعي، ويدل على ذلك أنه صرح بنفسه على ذلك، وكما أنه كما ذكرنا حذف الكثير من الروايات الإسرائيلية التي ذكرها الشيخ ابن عطية، فهو إما أن

(1)- الشيخ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1993/1413 ج2 ص453

(2)- الثعالبي الجواهر الحسان ج1 ص204. وانظر مجلة علمية محكمة: جلال فتحي قرني أحمد الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات عند الإمام الثعالبي في تفسير القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف دراسة تحليلية. مجلة كلية الآداب - جامعة بني سويف عدد50 يناير 2019 م ص28

(3)- الثعالبي الجواهر الحسان ج1 ص200

يردها بنفسه، أو يذكر من علق عليها من المفسرون قبله كابن العربي والقاضي عياض⁽¹⁾.

وأما الروايات الإسرائيلية التي ذكرها وهي كثيرة، فعذره في ذلك:

1/ أنها من الروايات التي لا تخالف أو تعارض الدليل القطعي.

2/ أنها من باب قوله صلى الله عليه وسلم: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»⁽²⁾.

3/ أنها منقول في كتب التفسير التي قبله، وخاصة إذا كان التفسير المنقول منه صاحبه شديد النقد والتمحيص للروايات الإسرائيلية مثل الشيخ أبو محمد بن عطية، فقد قال العلامة ابن خلدون: «فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والاندلس حسن المنعى»⁽³⁾.

المطلب الثاني: موقف العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله من روايات الإسرائيلية.

تفسير عبد الحميد ابن باديس الذي أملاه في مدة 25 سنة، وقد ابتدأه سنة 1913 وانتهى منه سنة 1938، ولم يختم التفسير درسا ودراية بهذا الوطن غيره، منذ ختمه "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في المائة الثامنة. لكن هذه المجالس لم يكتب منها تلامذته الكثيرون شيئا منها. وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال، ولا يعوض بحال، وقد كتب الشيخ رحمه الله بعض تلك المجالس ونشرها في فواتح مجلة الشهاب، وكان يسميها مجالس التذكير، ثم جاء

(1)- مجلة علمية محكمة: عبد المجيد بيرم منهج الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تعامله مع المرويات من خلال تفسيره -الجواهر الحسان- مجلة الإحياء العدد 14 ص 187

(2)- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان كتاب باب الحديث عن بني إسرائيل رقم الحديث 3664 ج 3 ص 361، وصححه ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1414/1993 ج 14 ص 147

(3)- ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون مقدمة ابن خلدون ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع 2001/1431 ج 1 ص 555

الشيخ أحمد بوشمال فجمع تلك المقالات يعني تفسيرات ونشرها كتابا مستقلا سنة 1948، غير أنه اقتصر على آيات من سورة الفرقان فقط، ثم صدرت طبعة أخرى من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف سنة 1402/1982 بإشراف الوزير عبد الرحمن شيباني آنذاك اشتملت على كل المقالات المنشورة في الشهاب، وصدرت بتقديم الشيخ البشير الإبراهيمي⁽¹⁾.

وتفسير ابن باديس يعد من قبيل التفسير بالمأثور، وقد صرح بذلك بنفسه، فقال رحمه الله: «عندما يختلف عليك الدعاة، الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر: من يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانها، فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- في دعوته وجهاده بالقرآن، والمتمثل لما دلت عليه أمثال هذه الآية الكريمة من آيات القرآن»⁽²⁾.

موقف ابن باديس من الإسرائيليات:

الشيخ ابن باديس رحمه الله كان له موقفا واضحا وجليا من الإسرائيليات، وخاصة تلك الروايات التي بان ضعفها، فقد قال رحمه الله: «رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه، وروى شيئا من ذلك الحاكم في مستدركه، وصرح الذهبي ببطالانه.

ومن هذه المبالغات الباطلة أنه ملك الأرض كلها مشارقها ومغاربها، فهذه مملكة عظيمة بسبأ كانت مستقلة عنه، ومجهولة لديه، على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام»⁽³⁾.

(1)- عبد الحميد محمد بن باديس تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" علق عليه وأخرج أحاديثه أحمد شمس الدين دار الكتب بيروت لبنان الطبعة الأولى 1416/1995 ج 1 ص 20.21. وانظر مجلة علمية محكمة: بلخير مراد قواعد التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العدد 02 المجلد 29 2015/07/16

(2) - ابن باديس مجالس التذكير ص 189

(3) - ابن باديس مجالس التذكير ص 272

فمن خلال هذا الكلام:

1/ الشيخ ابن باديس رحمه الله كان ينقم على إكثار كتب التفسير من الروايات الإسرائيلية الباطلة.

2/ أن أغلب الروايات الإسرائيلية تروى من غير تمحيص و لا تثبت.

3/ كان ابن باديس يعيش في مجتمع يغلب عليه الإيمان بالخرافات، فإذا أضاف إلى تفسيره الروايات الإسرائيلية فهذا مما يزيد الطين بلا، فكان يدرك أنه عليه إبعاد المجتمع عن الخرافات قدر ما يمكن.

4/ كان يسعى رحمه الله على تربية الرجال على المنهج القرآني، فقد كان يهتم بالتطبيق الفعلي وليس الدرس النظري فقط⁽¹⁾، فقد قال رحمه الله: «شغلنا تأليف الرجال عن الكتب»⁽²⁾، فهذا الأمر يجعله مبتعدا عن الروايات الإسرائيلية.

5/ يمكن الاستغناء عن الروايات الإسرائيلية في التفسير.

6/ الشيخ ابن باديس رحمه الله، ذكر بعض مصادر الروايات الإسرائيلية كعب الأخبار، وهب بن منبه... فالشيخ رحمه الله له إطلاع واسع على هذا النوع من الروايات.

7/ استعمل الشيخ ابن باديس طريقتين لرد الرواية الإسرائيلية:

أ/ طريقة اهل الحديث، فقد أثبت أن الرواية المذكورة لا تثبت، وذكر قول الإمام الذهبي رحمه الله

ب/ استعمل الشيخ رحمه الله العقل في إثبات بطلان الرواية المذكورة.

المطلب الثالث: موقف الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي من الروايات الإسرائيلية.

(1) - مجلة علمية محكمة: براج نسبية و مصطفى شريقن ملامح التفسير البياني عند الشيخ ابن باديس مجلة المعيار مجلد 25 العدد 55، سنة النشر 2021 ص 22

(2) - ابن باديس مجالس التذكير ص 14

يعتبر تفسير البشير الإبراهيمي كذلك من قبيل التفسير بالمأثور، ويدل على هذه دعوته في كثير من المرات إلى ضرورة إلى تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية وبآثار الصحابة رضوان الله عليهم.

قال رحمه الله: «ومنها استعراض القرآن كله عند التوجّه إلى فهم آية منه أو إلى درسها، لأن القرآن كل لا يختلف أجزاؤه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حججه، ولا تتناقض بيناته، ومن ثم قيل: إن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، بمعنى أن مبينه يشرح مجمله، ومقيده يبيّن المراد من مطلقه، إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع، وترتيبه المعجز، ومنها الرجوع في مناحيه الخصوصية إلى مقاصده العامة، لأن خصوصيات القرآن وعمومياته متساوقة يشهد بعضها لبعضها، وكل هذه الأمور لا تتهياً إلا لصاحب الفطرة السليمة، والتدبّر العميق، والقريحة اليقظة، والذهن الصافي، والذكاء الوهاج»⁽¹⁾

وقال رحمه الله: «وفهم القرآن يتوقف- بعد القريحة الصافية والذهن النير- على التعمق في أسرار البيان العربي، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل، والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة...وقد فهمه السلف حق الفهم ففسروه حق التفسير»⁽²⁾.

والشيخ الإبراهيمي كان يلقي دروس التفسير في الجامع الأعظم بتلمسان، حتى أوقفته السلطات الفرنسية سنة 1932م، كما كان يدرس التفسير أيضا بدار الحديث بتلمسان بين صلاة المغرب والعشاء، ولكن للأسف الشديد أهمل تلاميذته تدوين تلك الدروس، كما أهمل تلامذة ابن باديس تدوين دروس التفسير لشيخهم⁽³⁾، وقد كان الإبراهيمي يتأسف على هذا غاية الأسف فقد قال رحمه الله لأخيه وصديقه ابن باديس: «ولو أن التلاميذ أوتوا حظاً من

(1)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991 ج 4 ص 226

(2)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991 ج 2 ص 250

(3) - مجلة علمية محكمة: خالد مهدي الإمام محمد، البشير الإبراهيمي وتفسير القرآن الكريم، العدد 2 المجلد 8 تاريخ النشر 2016/12/14 ص 423

النشاط والتوفيق لما ضاعت هذه الدروس ولنشرت كما هي ففزنا بالحسينين»⁽¹⁾، لكن قد حفظ التاريخ لنا درسا تفسيريا من تلك الدروس النيرة، وقد ألقاه الشيخ ارتجالا سنة 1939 ، في حفل اختتام الدروس السنوية بدار الحديث بتلمسان، وقد حضر الدرس الشيخ العلامة ابن باديس، وكان الدرس لتفسير قوله تعالى {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}⁽²⁾، وقد علق على هذا الدرس محمد فارح ونشره على حلقات في جريدة الشعب ابتداء من العدد 6426، الثلاثاء 26 رمضان 1404، الموافق لـ 26 جوان 1941م⁽³⁾.

موقف الشيخ الإبراهيمي من الإسرائيليات:

برغم من قلة التفسير الذي وصل إلينا، لكن الشيخ رحمه الله صرح في كثير من المرات على منهجه المعتمد في التفسير، كما ذكرنا في دعوته إلى ضرورة تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة..

كما أنه كان على علم بكل طرق التفسير وما فيها من نقائص، فقد ذكر طرائق المفسرين: طريقة المحدثين، طريقة أهل المذاهب، طريقة أصحاب المذاهب العقلية⁽⁴⁾..

كما أنه أبدى إعجابه و تأثره بتفاسير: الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ ابن باديس⁽⁵⁾.

وكل هؤلاء كان لهم موقفا واضحا من الروايات الإسرائيلية، وقد ذكرنا موقف الشيخ ابن

(1)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991 ج 2 ص 195

(2)- إبراهيم 52

27- مجلة علمية محكمة: خالد مهدي الإمام محمد، البشير الإبراهيمي وتفسير القرآن الكريم، العدد 2 المجلد 8 تاريخ النشر 2016/12/14 ص 423، وانظر البشير الإبراهيمي الآثار 1/388

(4)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991 ج 2 ص 251.252

(5)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991 ج 2 ص 252

باديس رحمه الله، فهذا كله يدل على موقفه الرافض للروايات الإسرائيلية الباطلة، وما يزيد الأمر وضوحاً أنه صرح هو بنفسه على ذلك فقال رحمه الله: «والإخباريون مفتونون بالقصص فلا يقعون إلا على الآيات المتعلقة به، وباليتم يحققون الحكمة من القصص، فيجلون العبر منها ويستخرجون الدقائق من سنن الله في الأمم وجميع الكائنات، ولكنهم يسترسلون مع الرواية وتستوهم غرابة الأخبار فينتهي بهم ذلك إلى الإسرائيليات الخاطئة الكاذبة، وقد أدخلوا بصنيعهم هذا على المسلمين ضرراً عظيماً، وعلى التاريخ فساداً كبيراً»⁽¹⁾.

وبهذا يمكن أن نستنتج موقف الشيخ المفسر البشير الإبراهيمي من الإسرائيليات:

1/ الشيخ الإبراهيمي موقفه من الإسرائيليات موافق لصديقه وأخيه الشيخ ابن باديس الذي ذكرناه.

2/ أن الروايات الإسرائيلية ينقلونها الإخباريون المفتونون بالقصص، فهم يحبون غرائب القصص، لكن لا همة لهم في معرفة صحتها من باطلها، وبالتالي يكونون بفعلهم هذا جنوا جنائية كبيرة على التفسير.

3/ الضرر العظيم الذي تحدثه الروايات الإسرائيلية على المسلمين، وعلى تاريخهم العظيم.

4/ أن الروايات الإسرائيلية المروية في كتب التفسير تجد قبولا كثيراً عند الناس لغرابتها، فعلى علماء التفسير أن يدركوا هذا وأن يبعدوا علم التفسير عن خرافات الإسرائيلية، وأن يسعوا جاهدين في بيان كلام الله جل وعلا واستخراج العبر منه واعتباره منهجاً للحياة.

الخاتمة:

1/ يجوز رواية الإسرائيليات التي لا تخالف الشريعة، وكذا الروايات التي جاءت في أمور مسكوت عنها في شرعنا، وأما الروايات التي تخالف الشرع فلا يجوز روايتها.

2/ وجود الروايات الإسرائيلية في كتب التفسير، ليس من غلظة المفسرين، بل لهم غايات

(1)- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى 1991 ج 2 ص 251

من ذلك فهي تساعدهم على تفسير كتاب الله عزو جل.

3/ كثرة المفسرين الجزائريين للقرآن، فلم يمر زمن من الأزمان إلا وفي الجزائر مفسر أو مفسران أو أكثر.

4/ المفسرون الجزائريون كانوا ضد حشو كتب التفسير بالروايات الإسرائيلية، وخاصة تلك الروايات التي بان كذبها.

5/ المكانة العلمية الكبيرة للعلماء الجزائريين، ويترجم هذا القدرة الكبيرة على نقد الروايات سواء نقدتها على طريقة المحدثين، أو باستعمال العقل.

6/ قدرة علماء الجزائر على تفسير القرآن الكريم وذلك باستعمال أقل للروايات الإسرائيلية.

7/ المعرفة التامة للعلماء الجزائر بخطورة الروايات الإسرائيلية.

وأما من أهم التوصيات التي خرجنا بها: دراسة موقف لمفسر آخر جزائري من الروايات الإسرائيلية، مقارنة تفسير جزائري بتفسير مشرقى كمقارنة تفسير الثعالبي مع تفسير ابن كثير.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم بروية حفص عن عاصم.

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة 1379

ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون مقدمة ابن خلدون ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة مراجعة الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر للنشر والتوزيع 2001/1431

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1999/1420

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان كتاب باب

الحديث عن بني إسرائيل رقم الحديث 3664 ج 3 ص 361، وصححه ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1993/1414
أبو شعبة محمد بن محمد أبو شعبة الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير مكتبة السنة الطبعة الرابعة

آمال محمد عبد الرحمن ربيع الإسرائيليات في تفسير الطبري دراسة في اللغة والمصادر العبرية، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية، القاهرة 2001/1422
الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2001/1421

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي الصحيح، تحقيق محمد بن زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422.

الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان

حاتم عوني: الشيخ أ.د الشريف حاتم بن عارف العوني، الإسرائيليات وحكم روايتها مقال من موقع: الشيخ الشريف حاتم العوني

رمزي نعناعة، الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير نشر وتوزيع دار العلم دمشق، دار الضياء بيروت، الطبعة الأولى 1970/1370

الشيخ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1993/1413

الطبري: أبو جعفر محمد بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000/1420.

عبد الحميد محمد بن باديس تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" علق عليه وأخرج أحاديثه أحمد شمس الدين دار الكتب بيروت لبنان الطبعة الأولى 1995/1416

مجلة علمية محكمة: رابع نسبية و مصطفى شريقن ملامح التفسير البياني عند الشيخ

- ابن باديس مجلة المعيار مجلد 25 العدد 55 ، سنة النشر 2021 ص 22
- مجلة علمية محكمة: بلخير مراد قواعد التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس،
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العدد 02 المجلد 29 2015/07/16.
- مجلة علمية محكمة: جلال فتحي قرني أحمد الأحاديث الموضوعة و الإسرائيليات عند
الإمام الثعالبي في تفسير القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف دراسة تحليلية .مجلة
كلية الآداب – جامعة بني سويف عدد 50 يناير 2019م
- مجلة علمية محكمة: خالد مهدي الإمام محمد، البشير الإبراهيمي وتفسير القرآن
الكريم، العدد 2 المجلد 8 تاريخ النشر 2016/12/14
- مجلة علمية محكمة: عبد القادر بخوش، الإسرائيليات في كتب التفسير العدد 02
المجلد 30 2016/06/15
- مجلة علمية محكمة: عبد المجيد بيرم منهج الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تعامله مع
المرويات من خلال تفسيره –الجواهر الحسان- مجلة الإحياء العدد 14
- محمد البشير الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم أحمد طالب
الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1991

أثر مدارس التفسير في مناهج التفسير عند علماء الجزائر: دراسة وصفية مقارنة

ط.د. خالد بولكسيبات – ط.د. عيسى محبوب

جامعة الحاج لخضر باتنة

الملخص

تدور فكرة هذا البحث الموسوم بمناهج التفسير عند علماء الجزائر: دراسة وصفية مقارنة على أن لعلماء الجزائر في التفسير طابعا مميزا تعود جذوره إلى النزعة الاجتهادية عند ابن عباس وفي الوقت ذاته كانوا على صلة مباشرة بنشاط التفسير في الشرق والغرب، وهو بذلك يدحض تلك النظرية السائدة بأن الجزائريين في علومهم كانوا على الدوام يلعبون دور الوسيط وليس دور المنتج.

الكلمات المفتاحية: التفسير، مناهج، النزعة الاجتهادية، ابن عباس

Abstract

This study, entitled *Methods of Interpretation among Algerian Scholars :A Descriptive Comparative Study*, investigates the distinctive methodological frameworks of interpretation developed by Algerian Scholars, Rooted in the *ijtihad* tendency of Ibn Abbas, their exegetical approaches simultaneously maintained dynamic engagement with the broader intellectual traditions of both the East and the West.

By situating Algerian scholarship within these transregional currents, the research under scores their genuine contribution to the production of knowledge and challenges the prevailing assumption that Algerian scholars in interpretation merely served as intermediaries rather than as original and innovative contributors.

المقدمة

بحكم موقعا الجغرافي كانت الجزائر همزة وصل بين جناحي العالم الإسلامي الشرقي

والغربي، ومن الطبيعي تبعا لذلك أن تشارك في النشاط الثقافي والحياة العلمية التي ازدهرت على يد المسلمين، فمنذ العهد المبكر للإسلام كانت أرض الجزائر أرضا كريمة احتضنت علماء ودعاة وفدوا إليها من المشرق، وفي الوقت ذاته ما إن تطورت العلوم في بلاد الأندلس حتى أصاب المغاربة فائدتهم منها، وامتزجت علوم الشرق والغرب وتمخض عنها نهضة ثقافية كبيرة ذاع صيتها في كل مكان.

هذه النهضة العلمية التي كان أساسها في المقام الأول مختلف العلوم الشرعية إلا أن أرض الجزائر قد حازت الشرف إذ كان علم التفسير هو أول العلوم التي حظيت عندهم بالأهمية الفائقة، وذلك على يد عبد الرحمان بن رستم الذي كان أول جزائري فسر القرآن، ثم تتبعت المؤلفات في التفسير وأخذت ألوانا مختلفة، ورغم هذا التنوع الذي يعكس روح الإبداع والابتكار فإن نزعة التشاؤم سكنت بعض علماء الجزائر فصرح قائلا: "أن مجتمعات المغرب العربي على الدوام كانت تلعب دور الوسيط الثقافي وليس دور المنتج"، وهو ما يشعر بأن المفسرين الجزائريين لم يعرفوا سوى نقل التفسير وتقليد المفسرين في إنتاجهم سواء من الشرق أو من الغرب.

للتأكد من صحة هذه الفرضية التي وضعها المؤرخ أبو القاسم سعد الله صار لابد من البحث في مناهج التفسير عند علماء الجزائر ومدى علاقتها بنشاط التفسير في الشرق أو الغرب، وهو البحث الذي جعلته بعنوان: مناهج التفسير عند علماء الجزائر: دراسة وصفية مقارنة.

طرح الإشكالية:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكال التالي: ما هي مناهج التفسير عند علماء الجزائر وما مدى تأثيرها بمدرسة التفسير في الشرق والغرب؟

ويندرج تحت هذا الإشكال تساؤلان فرعيان:

كيف تجلى تأثير مدرسة التفسير الشرقية على التفسير الجزائري؟

كيف تجلى تأثير مدرسة التفسير الغربية على التفسير الجزائري؟

أهمية الموضوع:

تتجلى الأهمية في أنه يبرز مكانة علماء التفسير في الجزائر وأنهم أضافوا إلى مكتبة التفسير إضافات هامة.

أسباب اختيار الموضوع:

- دحض الادعاءات بأن علماء التفسير في الجزائر بضاعتهم مزجاة فهم إما لم يؤلفوا أو كانوا مجرد وسطاء نقلة.

- إبراز علاقات التأثير والتأثر بين علماء التفسير في الجزائر وسائر المفسرين من بلاد الإسلام.

أهداف الدراسة:

- إبراز مظاهر مدرسة التفسير الشرقية على التفسير الجزائري

- إبراز مظاهر مدرسة التفسير الغربية على التفسير الجزائري

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث الاستناد إلى منهج البحث الوصفي مع استخدام أداة المقارنة

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع البكر:

- تفسير القرآن الكريم في الجزائر: نشأته وتطوره، مدارسه واتجاهاته، أشهر رجاله، وهو مقال علمي للدكتور محمد أمين بوروبة قدم في مسابقة عبد الحميد بن باديس سنة 2008 بقسنطينة، وهي رسالة قيمة من حيث أبراز مناهج التفسير عند علماء الجزائر إلا أنه لم يبرز علاقة ذلك بالمحيط الثقافي.

- حركة التفسير في الجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن الثامن الهجري، وهي رسالة دكتوراه للطالب عبيدش إبراهيم نوقشت في جامعة غرداية سنة 2022م، ورغم قيمتها إلا أنه قصرها على القرون الهجرية الأولى.

- التفسير والمفسرون في الجزائر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر هجري

وهو مقال للدكتور عبد الكريم بوغزالة منشور في مجلة الحقيقة العدد 32، إلا أنه قصر دراسته على القرون الهجرية الثلاثة الأخيرة.

خطة البحث:

توزع هذا البحث على مقدمة ومطلبين وخاتمة حيث:

المقدمة: جعلتها لطرح الإشكال وبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المناسب لدراسته.

المطلب الأول: لبيان المدرسة الشرقية وأثرها على التفسير الجزائري

المطلب الثاني: لبيان المدرسة الغربية وأثرها على التفسير الجزائري

خاتمة: لبيان النتائج وذكر المقترحات

المطلب الأول: المدرسة الشرقية وتأثيرها على مناهج التفسير في الجزائر

جاء العرب الفاتحون إلى بلاد المغرب وهمهم الأول هو تحرير هذه الشعوب من الهيمنة البيزنطية وإدخالها تحت راية الأسلام، تلك الـراية التي لا يظلم في ظلها أحد، نعم كانت هناك مقاومة عنيفة في البداية، ولكن الأمر تغير مع الوقت حتى إن البربر أنفسهم أو على نحو أدق بعض البربر قد ضاقوا ذرعا بالملكة التي كانت تحكمهم وطلبوا من والي إفريقية التدخل لوضع حدا لجنونها⁽¹⁾، وبذلك صار البربر جزءا من الدائرة الإسلامية التي كانت تتنامى باطراد.

وبعد هذا التحول العجيب كان هؤلاء المسلمون الجدد في أمس الحاجة لمعرفة هذا الدين والاطلاع على تعاليمه، ولكن من يعلمهم؟ ذلك أن العادة الجارية في الناس أن القادة العسكريين لا ينشغلون بهذه المشكلات التي تهم الناس، في الواقع كان عند الخليفة عثمان رضي الله عنه سياسة حكيمة فبعد عزله لعمر بن العاص عن ولاية مصر، وإسناد الأمر إلى عبد الله بن أبي السرح بادر هذا الأخير إلى استشارة عثمان في غزو إفريقية، وبعد ترددٍ حسم أمره وخطب في الناس يشجعهم على الجهاد فأجابه عبد الله بن الزبير وأبو ذر الغفاري، وعبد

(1) ينظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبو بكر عبد الله المالكي، ت: بشير البكوش، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1/53.

الله بن عباس وغيرهم من كبار الصحابة⁽¹⁾، ولكن ما معنى أن يكون ابن عباس ضمن الجيش الإسلامي؟

الفرع الأول: التفسير الاجتهادي اللغوي عند ابن عباس

تربى ابن عباس في بيت النبوة، وكان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم معظم الوقت، وبغض النظر عن صغر سنه فقد كان يخدمه ما وسعه ذلك، الأمر الذي جعله يحظى بدعوة خاصة من الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال له: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"⁽²⁾.

هذه الدعوة حَفَّزَت الفتى فنشط يبحث في معاني القرآن، فتارة يسأل عن أسباب النزول شأنه في ذلك شأن أغلب الصحابة، إلا أن اهتمامه الرئيسي كان مرتكزا على معرفة اللسان العربي فهو القائل: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر"⁽³⁾، وهذا تصريح منه بأن النظر في الاسعمال اللغوية التي تفيدها المواد الشعرية أمر لا غضاضة فيه، وبالرغم من أن ذلك قد جاء عن عمر أيضا إلا أننا يمكن أن نقول بارتياح أن ابن عباس هو مؤسس هذه الطريقة اللغوية في التفسير.

جاء ابن عباس إلى بلاد المغرب فاتحا وهو يحمل معه هذا الطابع الخاص في التعااطي مع القرآن، وما كادت الأمور تستقر حتى وجد نفسه هو ومن معه في ورطة كبيرة، إن بلاد المغرب يسكنها البربر وكثير من الأعاجم وقد حالت العجمة بينهم وبين فهم الدين الجديد، في الواقع لم يكن الأمر صعبا على ابن عباس، فقد أيقن مباشرة أن الحل متاح فهو يكمن في تعليم الناس اللغة العربية، ولغة القرآن تحديدا، وجعل طريقه إلى ذلك هو التماس غريب

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص: 15/1.

(2) المستدرک على الصحيحین، الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1990م، 3/615.

(3) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، أبو بكر محمد بن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1971م، ص: 62.

القرآن من الشعر لأن الشعر هو ديوان العرب كما قال⁽¹⁾.

إن إمعان النظر في كلام ابن عباس هذا يجعل من المعقول افتراض أن مشكلة العجمة التي واجهت الرجل في بلاد المغرب هي التي دفعته للتفكير الجدي في اعتماد المبدأ اللغوي في التعاطي مع القرآن، وأي افتراض آخر لتفسيره منزعه ذلك سيكون باهتا لا قيمة له.

حتى الآن صار واضحا أن الصحابة الفاتحون قد شجعوا المغاربة على احتضان العروبة لأنها مفتاح الهداية الإلهية، ومع قوة الحجة يؤكد لنا الواقع التاريخي أن الاستجابة لهذه الدعوة قد تأخرت حتى قيام الدولة الرستمية على أرض الجزائر⁽²⁾، ولعل البعد الجغرافي قد لعب دورا بارزا في ذلك التأخر.

وفي المقابل فإن الصحابة الذين باشروا سياسة التعريب قد رجعوا إلى المشرق، و من البين أنه قد خَلَفَهُم معلمون آخرون لكن على الأرجح أن الناس لم يطمئنوا لهم كما فعلوا مع الصحابة الأوائل، وقد كان ابن عباس حكيما لما اختار منهم رجلا اصطحبه معه إلى المشرق لأجل تأهيله ليكون أستاذا يخلفه لاحقا، ذلك الرجل هو عكرمة مولاة.

وبالفعل فبعد سنوات عاد عكرمة إلى بلاده إفريقية وجلس يُدرس في جامع القيروان " وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع في غربي المنارة"⁽³⁾، كما تحكي كتب التاريخ.

لا يمكن إغفال النظر إلى أن عكرمة قد نقل إلى أهل القيروان طريقة شيخه ابن عباس في التفسير وهي أن مفتاح التأويل هو العلم بلغة العرب، وبعبارة أدق لا حرج في إعمال الرأي في فهم القرآن لمن عرف اللغة العربية، وغني عن القول أن الناس قد رأوا في تفسيره ما يرضي

(1) هو جزء من مقالة ابن عباس قال فيها: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة الهرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، أبو بكر محمد بن الأنباري، المرجع نفسه، ص: 100.

(2) هي الدولة التي أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ، وقد كانت أول دولة إسلامية مستقلة قامت على أرض الجزائر واتخذت مدينة تهرت عاصمة لها، تميزت بنظام الحكم الشوري واستمر سلطانها حتى عام 297هـ، ينظر تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1384هـ/1965م، ص: 220.

(3) طبقات علماء إفريقية، أبو العرب: محمد بن أحمد الإفريقي، د.ت، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط.ت، ص: 19.

حاجتهم لذلك فقد كان بسيطا أشبه بما يسمى اليوم شرح المفردات المهمة في النصوص. ولم يقتصر الأمر على ذلك فإضافة إلى جهود عكرمة جاءت بعثة موفدة من قبل عمر بن عبد العزيز وهي التي تسمى ببعثة الفقهاء العشرة التي ذاع صيتها "لما تركته من آثار جليلة تمثلت في ترسيخ تعاليم الإسلام عن طريق الفقه والتفسير وبيان الأحكام"⁽¹⁾، ناهيك عن المغاربة الذين رحلوا للمشرق للتعليم والاستفادة، ثم رجعوا أساتذة لأوطانهم.

صارت القيروان بعد هذا محط الأنظار وهاجر إليها الناس من المشرق والمغرب رغبة في التعلم والتعليم، وذلك بعد أن وضع عكرمة "أسس مدرسة ابن عباس في التفسير المعتمدة على الأثر واللغة مما سيؤثر على اتجاه التفسير في المنطقة"⁽²⁾، ويمكن رؤية بوادر هذه المدرسة مع الرستميين التي ينسب إلى زعيمهم الأول عبد الرحمان بن رستم أول تفسير جزائري، ومع ذلك علينا الانتظار حتى المنتصف القرن الثاني حتى نرى ثمار تعليم ابن عباس وتلميذه النجيب عكرمة، في هذه الفترة ظهر تفسير ينسب إلى هود بن محكم الهواري الإباضي من علماء المغرب الأوسط، وعند التأمل في تفسير ترى فيه هذا المنزع الاجتهادي الذي جعل اللغة طريقا إليه.

في الواقع لم يكن استخدامه للغة على مستوى واحد، فإذا اعتدل وتوسط استعان بها على بيان معاني الألفاظ القرآنية، فقد قال في قوله تعالى "وقولوا حطة" البقرة: 58 أن المعنى هو كقولك: احطط عنا خطايانا، وإنما ارتفعت لأنها حكاية، قال: قولوا كذا وكذا.

وإذا تشدد وبالغ تذرع باللغة لخدمة مذهبه العقائدي، فإذا كان من البين أن الإباضية يوافقون المعتزلة في نفي الصفات الإلهية فلن يكون غريبا أن ترى هود بن محكم يلجأ للتأويل في قوله تعالى: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله" البقرة: 210. فيقول: أن ذلك يكون يوم القيامة،

(1) حركة التفسير في الجزائر من الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن، عبيدش إبراهيم، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: خير الدين سيب، تخصص: تفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، 1443هـ/2022م، ص: 36.

(2) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، د.ت.ط، ط1، 498/1.

وربما شعر أن تأويله غير مقنع فنقل عن غيره أن المقصود هو أمره⁽¹⁾.

في الواقع لا يمكن إغفال النظر إلى أن هود بن محكم في تفسيراته اللغوية إنما يقتفي أثر شيخ التفسير بالمغرب يحيى بن سلام عالية اللغة البصري نزيل القيروان، وبهذا صار مناسباً أن نتعرف على هذا العالم الذي كان أول من كتب في الوجوه القرآنية.

الفرع الثاني: يحيى بن سلام ونظرية الوجوه القرآنية

ذاع أمر القيروان لما ازدهرت فيها العلوم، ومن الطبيعي أن يقصدها العلماء، وربما لم تنتفع بلاد إفريقية بعالم من المشرق مثل انتفاعها بعالم البصرة يحيى بن سلام، هذا الرجل الذي يعود له الفضل في نقل التفسير من الرواية العمياء للغث والسمين إلى رتبة العلم المتين الخاضع للدراسة العلمية، أو بعبارة أدق يعتبر "حلقة بين التفاسير المتقدمة الخالية من أي تدخل من المفسر، مثل تفسير ابن جريج ومجاهد وغيرهما، وبين تفسير ابن جرير الطبري الذي استفاد في ذكر اللغويات والقراءات والتوجيهات"⁽²⁾، وإن كان اشتهر عند الناس بأنه من المفسرين الأثرين.

لا نجانب الصواب إن قلنا أن التفسير بالمأثور هو المنهج الغالب على كتابه لاسيما فيما يتعلق بجانب العقائد، ولا غرابة في ذلك ما دام أنه قادم من المشرق، ولا يخفى ميل الروح المشرقية للمحافظة والتقليد بخلاف نظيرتها المغربية التي تعشق الحرية كما يعشقها الطائر المحبوس في قفصه.

تتجلى هذه الروح السلفية عند ابن سلام في تفسيره لقوله تعالى: "ثم استوى على العرش" بأنه بمعنى "الرحمان على العرش استوى"، وساق في ذلك آثار عن الرسول تشهد له.

وإذا كان تفسير القرآن بالقرآن من أهم ركائز التفسير بالمأثور فمن الطبيعي ألا يغفل ابن سلام ذلك، ومن تأمل في تفسير لقوله تعالى: "كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب

(1) تفسير القرآن الكريم في الجزائر، محمد أمين بن عبد الحفيظ بورويبة، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريش، 2024، ص: 191.

(2) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن طرهوني، مرجع سابق، ص: 548.

مدا"مريم: 78 بقوله تعالى: "فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا"النبأ: 30⁽¹⁾ عرف أهمية هذه القاعدة عنده.

هذه القاعدة التي أفرد لها مؤلفا مستقلا سماه التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه سميت في الاصطلاح الفني لاحقا بنظرية الوجوه القرآنية وهو بذلك يكون واضح الأساس لنظرية تفسير القرآن بالقرآن وأنها أصح طرق التفسير كما قال ابن تيمية.

فعندما جاء لكلمة الفساد بين أنها في قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض"البقرة: 10 تعني: لا تعملوا فيها بالمعاصي⁽²⁾, وغيرها من المواضع.

وبهذا أثمرت جهود ابن عباس وتلميذه عكرمة في ازدهار مدرسة علمية في التفسير أساسها الأثر والنظر اللغوي الذي ازداد نضجا على يد يحيى بن سلام البصري, الأمر الذي سيلعب دورا بارزا في مناهج التفسير عند علماء الجزائر بدءا من هود بن محكم, وفي الختام يظل السؤال مشروعا: هل استمر الحل على ذلك؟

الفرع الثالث: مدرسة الشيعة وتأويلاتها

كما سبق بيانه مال علماء المغرب ولا سيما الجزائريون إلى الاجتهاد والتحرر العقلي في فهم القرآن والعمل به متأثرين في ذلك بمنهج ابن عباس وتلميذه النجيب عكرمة, ولكن هذا التسامح الفكري مع الآراء والمذاهب لم يكن خيرا على طول الخط, فأبو عبد الله الشيعي أحد رموز الباطنية في اليمن كان يتوارى عن أعين العباسيين الذين تصدوا لهذا الفكر بسياسة لا هوادة فيها يصل أخيرا إلى مكة في موسم الحج ويتعمد لقاء رجال من المغرب من, لا يمكن فهم هذا الموقف منه إلا برده إلى أخبار الحرية التي تتمتع بها بلاد المغرب, وقد كان سمع بها بلا أدنى ريب!

كان ظنه في محله فهو قد "لقي في الموسم رجالا من كتامة فأخذوا عنه المذهب ورحل

(1) المرجع نفسه, ص: 552.

(2) التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه, يحيى بن سلام البصري, ت: هند شلبي, الشركة التونسية للتوزيع, ط 1979, 1/115.

معهم إلى المغرب، ودعا كتامة سنة 286 هـ إلى بيعة المهديّ ولم يسمّه، وبشّرهم بأنهم سيكونون أنصاره الأخيار وأن اسمهم مشتق من الكتمان فتبعه بعضهم⁽¹⁾، في الواقع كانت هذه الحركة الشيعية التي قادها أبو عبد الله قد سبق الدعوة إليها رجلان أوفدهما جعفر الصادق إلى المغرب وتحديدًا إلى الجزائر لبث "الدعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذ ببغداد، وخلافة الأمويين بالأندلس والمغرب ونشر مبادئ الشيعة التي ترمي إلى إقامة الخلافة الإسلامية في آل البيت، فقاما بهذه الأوساط المغربية يعملان على تنفيذ خطتهما إلى وفاتهما فخلفهما من بعد أبو عبد الله الشيعي بكتامة، وهو الذي قضى على مملكة الأغالبة شرقًا وبني رستم غربًا"⁽²⁾ ثم ما لبث أن أجاب الناس هذه الدعوة وقويت شوكتها، فما هي العوامل التي ساعدت على ذلك؟

من البين أن جعفر الصادق في معارضته للحكومات القائمة في وقته إنما كان يتعاطف مع آل بيته الذين سُفكت دماؤهم ظلما وعدوانا، وفي المقابل فإن سياسة الحكام قد وقعت في الفساد، والشرع يوجب عدم السكوت على ذلك؛ فإذا كان القرآن يقول: "وأمرهم شورى بينهم" {الشورى: 38} فإن الأمر لم يعد شورى بل جعلها العباسيون والأمويون وراثته، وإذا كان القرآن يقول: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق" {الإسراء: 33} فإن هؤلاء قد أمتعوا في سفك دماء معارضتهم، وغيرها من الجرائم التي أكدت للإمام جعفر الصادق أن القائمين على الأمر لا يستحقونه شرعا فوجب عزلهم.

على هذا المنوال سارت الدعوة الشيعية الأولى تدعوا إلى إقامة دولة في آل البيت لأجل إنصافهم من الاضطهاد الذي نالهم وفي الوقت ذاته رأى الشيعة أن أئمتهم هم الأقدر على إقامة العدل في الناس، وبغض النظر عن صحة قولهم فإن الأمر لما انتقل إلى أبي عبد الله الشيعي قد سار في طريق آخر معاكسا تماما ما سعى إليه الإمام جعفر الصادق.

كان هذا الرجل من دعاة الفكر الباطني الذين جعلوا ظواهر القرآن غير مرادة؛ فبي عندهم رموز لمعاني لا يعرفها إلا الخاصة، وبعبارة أدق فإن القرآن بالقياس إليهم قد صار له

(1) الأعلام، الزركلي: خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ص: 230/2.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع سابق، ص: 227-228.

ظاهر وباطن، ويذكرون في ذلك قوله تعالى: "فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" {الحديد: 13}، ولست أدري ما وجه الدلالة فيها إلا الهوى والعناد.

والغريب أنهم إذا وجدوا من شخص ميلا إليهم قالوا له "اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله ومثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وما روى النبي صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لمثولات محجوبة"⁽¹⁾، ثم يبدأون في تقديم تأويلات غريبة كأن يقولوا له أن الصلاة والزكاة هي ولاية محمد وعلي فمن تولاهما فقد أقام الصلاة والزكاة وغير ذلك من الهراء.

ومثل هذا الكلام ليس له إلا تفسير واحد هو هدم الأسلام من أساسه، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض أئمتهم الذين استوطنوا القيروان يصرح بذلك علنا فيقول في رسالته لأحد أصحابه: "وإني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزيور والإنجيل، وتدعوهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور"⁽²⁾، ولا شك أن مذهبا مثل هذا لن يكون وراءه إلا الفوضى والاضطراب، ولكن ما الذي جعل المغاربة ينبذون ما عرفوا من حقائق دينهم الصحيحة وقيمه السامية ويستجيبون لهذه الدعوات الهدامة، في الواقع ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال إلا أن انتساب الباطنية إلى البيت النبوي قد اغتر به الناس.

ومهما يكن من أمر فإن الوضع لم يستمر على ما يهواه الباطنية الذين مكثوا دهرا يتلاعبون بعقول الناس، فقد قام المعز ابن باديس بثورته ضد هذا الفكر الباطني وأعلن انتسابه للخلافة العباسية، الأمر الذي ساعد على انتشار المذهب السني القادر على دحر المد الباطني، فما هي ثمرة

هذا الإصلاح السني؟

الفرع الرابع: الروح السلفية عند علماء تلمسان

(1) التفسير والمفسرون، الذهبي، مرجع سابق، 183/2.

(2) المرجع نفسه، 178/2.

بعد أن عاين الناس ويلات المد الشيعي وضجوا منه لم يجدوا بدا من الاستجابة لحركة المعز بن باديس الصنهاجي الذي "قطع خطبته للفاطميين وجعلها للعباسيين" (1)، وعمل على إعادة الهبة للفقه السني لاسيما مذهب الإمام مالك، ذلك أنه كان بإفريقية "مذاهب الشيعة والصفيرية والإباضية والنكارية والمعتزلة، وكان بها من مذاهب السنة: مذاهب أبي حنيفة النعمان، ومذهب مالك فظهر له: حمل الناس على التمسك بمذهب مالك، وقطع ما عداه حسما لمادة الخلاف بالمذاهب" (2)، وذلك لسبب بسيط: لقد صار الاختلاف والتحرر الفكري شرا فوجب لم شمل الناس على أمر واحد.

ثم إن هذا الإصلاح الذي قام به المعز بن باديس في شرق الجزائر قد رافقه إصلاح آخر في غربها على يد المرابطين، وإذا كان الأول قد تعلق بالفقه فإن الثاني قد اتصل بالعقيدة، فإضافة إلى اعتماد الفقه المالكي فإن المرابطون نفروا الناس من الفلسفة وعلم الكلام حتى إن الفقهاء وقتئذ "هجروا كل من ظهر عليه شيء من ذلك بدعوى أنه بدعة وقالوا بأن الإكثار منه يؤدي إلى اختلال في العقائد ووهن في الإيمان" (3)، وخلاصة القول أن الحركة العلمية في هذه الفترة كانت مصبوعة بالصبغة السلفية (4).

ويمكن القول بعد هذه المعلومات أن الإصلاح السني والذي تجلى في صبغة سلفية في بعض الفترات جاء ردا على التحلل والتهتك الذي أحدثته الشيعة في المجتمع الجزائري، ولكن الله تعالى هيا لهم مصلحين خلصوهم من شرورهم، وعاد الناس إلى السنة واشتغلوا برواية الحديث حتى إن دولة الموحدين "دعت إلى ترك الفروع فمعظم العلماء هذه الفترة يولون علوم القرآن والحديث أهمية قصوى ويخصصون لها معظم إنتاجهم" (5).

نعم لقد ترك الناس المذاهب والآراء وصاروا يتحفظون من الاجتهاد حتى نجد عالم

(1) الأعلام، الزركلي، مرجع سابق، 269/7.

(2) حركة التفسير بالجزائر، عبيدش إبراهيم، مرجع سابق، ص: 82.

(3) تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ص: 409.

(4) حركة التفسير في الجزائر، عبيدش إبراهيم، مرجع سابق، ص: 81.

(5) المرجع نفسه، ص: 22-23.

تلمسان في عصره محمد بن محمد ابن عبد الرحمان المشتهر بالمقري يتخرج من التفسير ويقول أن "تفسير القرآن من أصعب الأمور والإقدام عليه جراءة"⁽¹⁾، وهو ما يشعر بأن الجزائريين أصبحوا أكثر احتياطا في فهم القرآن من ذي قبل، وبعد تجربة الشيعة الباطنية صارت اللغة عندهم أقرب إلى التهمة منها إلى أن تكون وسيلة مساعدة على الفهم فالمقري ينقل عن الحسن البصري قوله لابن سيرين زاجرا: "تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب، ثم قال له: تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل"⁽²⁾، وهو ما يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن قيمة التفسير في هذه الفترة قد صارت تعتمد على الرواية والأثر.

وخلاصة القول بعد هذا العرض المطول أن الجزائريين في البدء تعاملوا مع القرآن بحرية أكبر فتسامحوا مع كل التفسيرات التي أنتجها الناس، ولكن لما وصل الأمر إلى تأويلات باطنية هدامة اکتبوا بنارها ضيقوا مساحة الاجتهاد ورفعوا من قيمة التفاسير السلفية. لكن الجزائريون لم يحتكوا بالمشاركة فقط بل كانوا على اتصال وثيق بمدرسة التفسير الأندلسية، فكيف تجلت مظاهر هذا الاتصال؟

المطلب الثاني: المدرسة الغربية الأندلسية وتأثيرها على التفسير الجزائري

لم تمض إلا فترة قصيرة حتى كان الإسلام هو الدين المفضل لشعوب شمال إفريقيا وجزء من غرب أوروبا، وقد حسن إسلام هؤلاء فصاروا فرسانا لهذا الدين وفقهاء لشريعته، وإذا كانت العلوم تزدهر حيث يكون العمران كما يقول ابن خلدون فمن الطبيعي أن نجد لهذه البلدان العريقة في التاريخ طابعا الخاص على الثقافة الإسلامية و التفسير على وجه التحديد، فما هو هذا الطابع الخاص؟

الفرع الأول: القراءات القرآنية وتفسير القرآن بالقرآن

نزل القرآن على سبعة أحرف تخفيفا على الناس وتيسيرا لقراءته، فعمل الناس بهذه الرخصة فترة من الزمن ولكن مع الوقت تسامح الناس أكثر في القراءة فنشط العلماء يبينون

(1) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري الحفيد: شهاب الدين أحمد بن محمد، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، 278/5.

(2) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المرجع السابق، 279/5.

الواجب في ذلك، وكان المتوقع أن يتميز المشاركة في هذا الميدان فلغة القرآن هي لغتهم، وعلى غير العادة لمعت أسماء كبيرة من المغرب "فاشهر الأندلسيون بعنايتهم بالقرآن الكريم، ومزيد اهتمامهم برواياته وقراءاته، فالأندلس موطن لكبار علماء هذا الفن كمجاهد وأبي عمرو الداني صاحب كتاب التيسير، والشاطبي الذي اختصر ما ورد في التيسير من قواعد في قصيدته بحر الأماني ووجه التهاني مما سهل على أهل الأندلس والمغرب استيعاب فن القراءات"⁽¹⁾.

ولما هاجر الأندلسيون إلى الجزائر انعكس تفوقهم العلمي في القراءات على علم التفسير خاصة، حيث نجد أن أبو عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني⁽²⁾ أجاب على "مسألة ثبوت الشرف من جهة الأم بقوله تعالى: "فهب لي من لدنك وليا يرثني" {مريم: 4} قال: الولي في الآية مطلق لا عام، هذا في قراءة جزم يرث...وأما على قراءة الرفع في يرث فالتخصيص ظاهر، إذ الجملة صفة لولي"⁽³⁾، والحاصل أنه يستخدم القراءات ويستعين بها على التفسير.

وهذا مكي بن أبي طالب عالم القيروان في عصره قد ألف تفسيراً قال أنه جمع فيه "علوم كثيرة، وفوائد عظيمة من تفسير مأثور...ومن قراءة غريبة"⁽⁴⁾، وغيرهم من العلماء الذين جعلوا فن القراءات من الأدوات المساعدة على فهم القرآن، ولم يقتصر إبداع الأندلسيون على ذلك فقط، فقد ازدهرت الحياة العقلية وظهر أثر ذلك في التفسير.

الفرع الثاني: التفكير المنطقي ورفض القصص الإسرائيلية

بعد أن كان التفسير عند أغلب الصحابة هو النظر في أسباب النزول انتهج ابن عباس نهجا آخر، فالرجل لم يجد بأساً في أن ينظر في مصادر المعرفة العامة التي أتاحها عصره، وهي

(1) حركة التفسير في الجزائر، عبد يش إبراهيم، مرجع سابق، ص: 120-121.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي التلمساني المشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير ولد بتلمسان سنة 711هـ، رحل إلى المشرق ثم اختاره سلطان الأندلس وجعله خطيباً في مسجده، توفي بعد سنة 781هـ. ينظر الدرر الكامنة 93/5.

(3) حركة التفسير في الجزائر، عبد يش إبراهيم، مرجع سابق، ص: 122.

(4) الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو مكي بن أبي طالب القيرواني، ت: الشاهد البوشيخي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط 1، 1429هـ/2008م، 72/1.

المصادر الكتابية عند اليهود والنصارى والتي عُرِفَتْ لاحقاً في الاصطلاح الفني بالإسرائيليات. وبغض النظر عن عنصر اللغة أضاف ابن عباس عنصر المعرفة الإسرائيلية، وقد ظل يدافع عن التفسير المأثور إلا أن العنصرين السابقين وإن وجدا في كلامه "فلا يصح اعتبارهما من التفسير بالمأثور لأن مرجعهما إلى الفهم وإلى المعارف العامة مما يجوز أن يكون محل خلاف مقبول...ومن هنا بدأ التفسير بالمأثور يختلك بلون آخر من التفسير يقبل اختلاف الأفهام...تبعاً لاختلاف ما يرجع إلى الاستنباط من فهم لغوي أو معرفة تاريخية لم تؤثر في السنة النبوية"⁽¹⁾، ولم يكن ابن عباس ينقل دون نقد أو تحري إلا أن الناس من بعده ظنوا أن الأمر على الإباحة بالمطلق فتوسعوا في الرواية دون شروط أو ضوابط.

الغريب حتى مع ظهور المفسرين النقاد على غرار ابن جرير الطبري استمرت هذه المرويات في كتب التفسير بسبب ثقة الناس بأهل الكتاب الذين اتصلوا بهم مع أنهم "لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بُعد صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقّيت بالقبول من يومئذ، فلما رجع الناس إلى التحقيق والتّحقيق وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التّفسير كلّها وتحري ما هو أقرب إلى الصّحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى"⁽²⁾، فوضع بذلك حدا لهذا التساهل الذي سار عليه المسلمون لقرون، ومهد الطريق لاجتهادات المجتهدين حول هذه المشكلة كما فعل ابن تيمية في قاعدته المشهورة في هذا الشأن.

إن التحقيق الذي أشار إليه ابن خلدون هو ما ذكره ابن عطية في مقدمة كتابه من أنه أراد تفسيراً محرراً لا يذكر فيه "من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به"⁽³⁾، وقد أبدع فيه

(1) التفسير ورجاله، محمد بن الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامي بالأزهر، ط1390هـ/1970، ص: 23.

(2) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ/1988م، 555/1.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 34/1.

لا نجانب الصواب إن قلنا إنه يعادل تفسير الزمخشري في المشرق.

لا يمكن إغفال النظر إلى أن علماء التفسير في الجزائر قد أعجبوا أيما إعجاب بالمحرر الوجيز لابن عطية، فمن يطالع تفسيره يجده "يذكر بعض الروايات الإسرائيلية، ولكنه يتعقب ما يذكره بما يفيد عدم صحته، أو على الأقل بما يفيد عدم القطع بصحته، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [20] من سورة النمل: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ} نجده يذكر بعض الأخبار الإسرائيلية، ثم يقول بعد الفراغ منها: "والله أعلم بما صحَّ من ذلك"، ومثلاً عندما تكلم عن "بليقيس" في نفس السورة السابقة نجده يقول: "وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيتُ اختصاره لعدم صحته، وإنما اللازم من الآية، أنها امرأة ملكة على مدائن اليمن، ذات مُلك عظيم، وكانت كافرة من قوم كُفَّار"⁽¹⁾، ومن البين أنه في ذلك إنما اعتمد مبدأ ابن عطية في الاختصار والاقتصار على ما صح.

وإذا كان الجزائريون قد تفتنوا مبكراً لأهمية اللغة في التفسير ومع ذلك فإن الأندلسيون قد دخلوا على خط المنافسة واحتكروا علوم اللغة بل وأسسوا مدرسة لغوية زاحمت أخواتها المشرقيات في البصرة والكوفة، ولكن ما يهم من كل هذا هو: هل استفاد أهل الجزائر من هذه الحياة الأدبية المزدهرة؟ وكيف انعكس ذلك على تفسيرهم؟

الفرع الثالث: التفسير الأدبي وهجرة الأندلسيين

ازدهرت علوم اللغة في بلاد الأندلس وظهر أثر ذلك جلياً على علم التفسير، وبحكم التجاور بين الجزائر والأندلس والرحلات العلمية بين علماء هذه البلاد ازداد اهتمام علماء المغرب الأوسط بعلوم اللغة ولولا أن المغاربة لا يكتبون لوصل إلينا تراثاً أدبياً ضخماً، ولما كان أي تطور تشهده علوم اللغة يصاحبه وبالضرورة تطور آخر في علوم التفسير للارتباط الوثيق بين العلمين فإن الأثر الواضح لذلك نراه في تفسير الجواهر الحسان للثعالبي، وليس معنى ذلك أن المفسرين الجزائريين لم يعتنوا بهذا الجانب حتى ظهر فيهم الثعالبي؟ في الواقع فإن مع قليل من البحث يتأكد أن بعض المدن الجزائرية قد عرفت نشاطاً ثقافياً لفت أنظار علماء

(1) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مرجع سابق، 1/179.

أندلسيين كبار، فأبو حيان صاحب البحر المحيط قد نزل بجاية ودرس فيها⁽¹⁾، بل وتعلم على يديه طلبة نجباء صاروا فيما بعد أساتذة معروفين؟

ولم يكن الأمر مقصورا على بجاية فقط ففي مدينة تلمسان نجد الشريف التلمساني يُظهر هذا النبوغ اللغوي ويصرح في بعض المواضع أن فهم القرآن يشترط فيه أن يكون "جار على معهود العرب في الخطاب...ومثاله في هذا الباب من الاختصار على البعض قوله تعالى: {فيه آيات بينات مقام إبراهيم}، أي: بعضها، أو منها مقام إبراهيم ومثله من غير هذا الباب قول جرير:

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من موالها

فاقتصر في تقسيمه على ذكر ثنتين، وسكت عن الثلث الثالث، وهم أحرار بني حنيفة؛ لأم ذكرهم لا يناسب قصده من الهجاء"⁽²⁾، وغيرها من النماذج التي تؤكد أن حواضر الجزائر العلمية كانت وجهة قصدها علماء الأندلس فأثمر كل ذلك منهجا لغويا مميزا في التفسير تجلّى لدى مفسرين بارزين أمثال الشريف التلمساني والثعالبي.

الخاتمة

في إحصاء وتتبع حركة التفسير ومناهجها في المشرق والمغرب وملاحظة أثرها على التفسير الجزائري اتضحت النتائج والمقترحات التالية:

أولا: النتائج:

- الاستقلال في الفهم كان هو منهج علماء الجزائر في التعااطي مع القرآن وقد ورثوه عن طريقة ابن عباس اللغوية في التفسير.
- عرف المغاربة نظرية الوجوه القرآنية بفضل يحيى بن سلام ولكن الاستفادة التامة منها

(1) ينظر: حركة التفسير بالجزائر، عبد يش إبراهيم، مرجع سابق، ص: 120.

(2) المرجع نفسه، ص: 152.

في فهم القرآن كانت من نصيب علماء الجزائر.

- كان لمفسري الجزائر ولاسيما الإباضية الأوائل الفضل في ازدهار المدرسة العقلية في التفسير التي ارتبطت بحضارة الإسلام في بلاد المغرب والأندلس.

- تجلت مظاهر المدرسة الشرقية على التفسير الجزائري في انتشار التأويل الرمزي من خلال الدعوات الشيعية التي استغلت مظالم الناس وتعظيمهم لآل البيت في بسط نفوذها بينهم.

- أكثر ما استفاده مفسروا الجزائر من مدرسة الأندلس هو تحرير التفسير من الأساطير الإسرائيلية.

ثانيا: المقترحات:

وفيما يلي بعض المقترحات:

- اقترح دراسة التصوف الأندلسي وإبراز علاقته بالتأويلات الصوفية عند علماء الجزائر.
- اقترح دراسة علاقة دروس عكرمة في التفسير وما شاع في دور المغرب من أحداث سياسية كبيرة.

قائمة المصادر والمراجع:

مرتبة على حروف المعجم مع إهمال السابقة-ال-ابن

- 1- الأعلام، الزركلي: خير الدين بن محمود، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- 2- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل، أبو بكر محمد بن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمان رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1971م.
- 3- بحر العلوم، أبو الليث: نصر بن محمد السمرقندي، د.م.ن.
- 4- تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1384هـ/1965م.
- 5- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ/1988م.

6- التفسير ورجاله، محمد بن الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامي بالأزهر، ط1390هـ/1970.

7- التفسير والمفسرين، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ط.ت.

8- جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.

9- حركة التفسير في الجزائر من الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن، عبدش إبراهيم، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: خير الدين سيب، تخصص: تفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر، 1443هـ/2022م.

10- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبو بكر عبد الله المالكي، تن: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.

11- طبقات علماء إفريقية، أبو العرب: محمد بن أحمد الإفريقي، د.ت، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط.ت.

12- الفتنة الكبرى عثمان، طه حسين، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط2013م.

13- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، تن: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.

المفسر الجزائري بين الرفوف المنسية وذائقة الشباب الديني: قراءة في المشروع التفسيري للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي في ظل هيمنة الطبري وابن كثير

**The Algerian Exegete Between Forgotten Shelves and Youth
Religious Taste:**

**A Study of Sheikh Mohamed Ben Abi El Qassem El-Hamli's Tafsir
Project Amid the Dominance of Tabari and Ibn Kathir**

ط.د. محمد بن سعدة

جامعة الجزائر 3

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى إحياء المشروع التفسيري للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، أحد أعلام الجزائر الذين طُمست جهودهم التفسيرية في ظل هيمنة الأسماء المشرقية كابن كثير والطبري على الذائقة الدينية للشباب الجزائري. تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية تتعلق بتهميش النتاج التفسيري المحلي، رغم ما يحمله من خصوصية ثقافية ومنهجية، وتبحث في أسباب غياب هذا المشروع عن التداول المعرفي، سواء في المؤسسات التعليمية أو في الفضاء الرقمي.

تعتمد الدراسة على تحليل منهج الهاملي في فهم النص القرآني، من حيث أدواته التأويلية، ومرجعياته الفقهية والصوفية، ومقاصده التربوية والاجتماعية، مع مقارنته بمنهج الطبري وابن كثير في عرض المعاني وتفسير الآيات. كما تتناول الدراسة ذائقة الشباب الديني في الجزائر، من خلال استبيانات وملاحظات ميدانية، لتحديد مدى تأثير التفسيرات المشرقية على تشكيل الفهم الديني المعاصر.

وتخلص الدراسة إلى أن المشروع التفسيري للهاملي يحمل عناصر إبداعية أصيلة، قادرة على تقديم بديل معرفي محلي يعزز الهوية الدينية الجزائرية، ويكسر قاعدة "راقصة الحي لا تطرب". وتوصي الدراسة بضرورة إدماج هذا التراث في المناهج التعليمية، وتوثيقه رقمياً، وتقديمه بلغة معاصرة تستجيب لحاجات الشباب.

الكلمات المفتاحية: الهاملي، التفسير الجزائري، الذائقة الدينية، الطبري، ابن كثير

:Abstract

This study aims to revive the tafsir project of Sheikh Mohamed Ben Abi El Qassem El-Hamli, a lesser-known Algerian scholar whose interpretative contributions have been marginalized in favor of dominant Eastern exegetes like Tabari and Ibn Kathir. The research explores the reasons behind the neglect of local tafsir traditions, despite their cultural and methodological richness, and examines the absence of such works in educational and digital spheres. By analyzing El-Hamli's interpretative approach—his tools, references, and objectives—the study compares his methodology with that of Tabari and Ibn Kathir, especially in terms of textual analysis and thematic presentation. It also investigates the religious taste of Algerian youth through surveys and field observations, highlighting the influence of Eastern interpretations on contemporary religious understanding. The study concludes that El-Hamli's tafsir project contains authentic and creative elements capable of offering a culturally rooted alternative that strengthens Algerian religious identity. It recommends integrating this heritage into curricula, digitizing it, and presenting it in a modern language that resonates with youth.

El-Hamli, Algerian Tafsir, Religious Taste, Tabari, Ibn **Keywords:**

Kathir

:المقدمة

الدراسة إلى تسليط الضوء على المشروع التفسيري للشيخ الهاملي، من خلال تحليل منهجه في التعامل مع النص القرآني، واستجلاء أدواته التأويلية، ومرجعياته الفقهية والصوفية، ومقاصده التربوية والاجتماعية. كما تهدف إلى مقارنته بمنهجي الطبري وابن كثير، ليس من باب المفاضلة، بل من أجل إبراز الخصوصية المنهجية للهاملي، والكشف عن إمكانات هذا المشروع في تقديم قراءة بديلة للنص القرآني، تستجيب لحاجات المجتمع الجزائري وتطلعاته الروحية. وتُعد هذه المقارنة مدخلاً لفهم أسباب غياب هذا المشروع عن التداول، وفرصة لإعادة الاعتبار له ضمن الحقل التفسيري الإسلامي.

ما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الأدبيات السابقة هو تركيزها على العلاقة بين الذائقة الدينية للشباب الجزائري والمحتوى التفسيري المتاح، من خلال استبيانات وملاحظات ميدانية، تسعى إلى فهم أنماط التلقي والتأثر، وتحديد العوامل التي تجعل من التفاسير المشرقية مرجعاً مفضلاً لدى فئة واسعة من الشباب.

كما تقدم الدراسة قراءة تحليلية جديدة لمشروع الهاملي، لا تكتفي بالوصف التاريخي، بل تسعى إلى تفعيل هذا التراث في الحاضر، من خلال اقتراح آليات لإدماجه في المناهج التعليمية، وتقديمه بلغة معاصرة تراعي التحولات الثقافية والتقنية.

إن إعادة الاعتبار للمفسر الجزائري ليست مجرد استعادة لاسم منسي، بل هي خطوة نحو بناء خطاب ديني محلي متجذر في بيئته، قادر على مخاطبة الأجيال الجديدة بلغة قريبة من واقعهم، دون الارتهان لمرجعيات خارجية قد لا تعبر عن خصوصياتهم الثقافية والاجتماعية.

ومن هنا، تنبع أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى مساءلة واقع التفسير في الجزائر، واستكشاف إمكانات التجديد من داخل التراث المحلي، وصولاً إلى بلورة إشكالية مركزية تفتح أفق البحث في هذا المجال الحيوي.

الإشكالية:

رغم غنى التراث التفسيري الجزائري، لا يزال المشروع التفسيري المحلي يعاني من التهميش، خاصة في ظل هيمنة التفسيرات المشرقية على الذائقة الدينية للشباب: فهل يمكن لمشروع الشيخ الهاملي أن يقدم بديلاً معرفياً يعيد الاعتبار للخصوصية الجزائرية في فهم القرآن؟

الأسئلة الفرعية:

ما هي الخصائص المنهجية لتفسير الشيخ الهاملي؟
كيف تختلف أدوات الفهم عند الهاملي عن الطبري وابن كثير؟
ما مدى تأثير التفسيرات المشرقية على ذائقة الشباب الجزائري؟
لماذا غاب المشروع التفسيري الجزائري عن التداول الأكاديمي والدعوي؟

كيف يمكن إعادة إحياء التفسير المحلي وتقديمه بلغة معاصرة؟
الفرضيات الأساسية للدراسة:

تفسير الهاملي يحمل خصوصية منهجية مغاربية متميزة.
الدائقة الدينية للشباب الجزائري تتأثر بالتفسيرات المشرقية بسبب الانتشار الرقمي والدعوي.

غياب الوثائق الأكاديمية ساهم في تهميش المشروع التفسيري المحلي.
إعادة الاعتبار لتفسير الهاملي هو ما يعزز الهوية الدينية الجزائرية.
المناهج المعتمدة للتحليل:

المنهج التاريخي: يستخدم لتتبع السياق الزمني الذي نشأ فيه تفسير الهاملي، وتحليل الظروف الاجتماعية والسياسية التي أثرت في إنتاجه. يساعد على فهم موقعه ضمن تطور الفكر التفسيري الجزائري.

المنهج التحليلي النصي: يُعتمد لتحليل نماذج من تفسير الهاملي، من حيث اللغة، الأسلوب، والمقاصد، مع مقارنتها بنصوص من تفسير الطبري وابن كثير، مما يكشف الفروق المنهجية.

المنهج المقارن: يتيح دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين تفسير الهاملي والتفسيرات المشرقية، من حيث المرجعيات، أدوات الفهم، والوظيفة التربوية، مما يبرز خصوصية التفسير المحلي.

المنهج الميداني: يستخدم لاستطلاع آراء الشباب الجزائري حول مصادرهم التفسيرية، من خلال استبيانات ومقابلات، مما يربط الدراسة بالواقع المعاصر ويمنحها بعداً اجتماعياً.
النظريات المعتمدة لتوسيع التحليل:

نظرية التلقي Reception Theory: تستخدم لتحليل كيفية استقبال الشباب الجزائري للتفسيرات المختلفة، وتفسير أسباب انجذابهم للتفسيرات المشرقية، مقابل غياب المحلي.

نظرية الهيمنة الثقافية Cultural Hegemony: توظف لفهم كيف فرضت التفسيرات المشرقية نفسها كمصدر "شرعي" للفهم الديني، وأثرت على تهميش النتاج المحلي، رغم أصالته.

نظرية الهوية الثقافية Cultural Identity Theory: تستخدم لتفسير العلاقة بين التفسير المحلي والهوية الدينية الجزائرية، وكيف يمكن للتفسير أن يكون أداة لإعادة بناء الذات الثقافية.

محاور الدراسة:

- تحليل المشروع التفسيري للشيخ الهاملي من حيث المنهج والمقاصد.
- مقارنة تفسير الهاملي بالتفسيرات المشرقية في السياق الشبابي.
- استراتيجيات إحياء التفسير المحلي وتقديمه لجمهور معاصر.

أهداف الدراسة:

- توثيق وتحليل تفسير الشيخ الهاملي.
- إبراز الفروق المنهجية بين التفسير المحلي والمشرقي.
- فهم ذائقة الشباب الديني في الجزائر.
- اقترح آليات لإحياء التراث التفسيري المحلي.
- تعزيز الهوية الدينية الجزائرية من خلال المعرفة المحلية.
- الأهمية العلمية:

- تسليط الضوء على مفسر جزائري مهمّش.
- إثراء الدراسات التفسيرية المغاربية.
- تقديم نموذج منهجي جزائري في فهم القرآن.
- ربط التفسير بالهوية الثقافية المحلية.
- فتح باب المقارنة النقدية بين المحلي والمشرقي.
- الأهمية العملية:

إمكانية إدماج تفسير الهاملي في المناهج التعليمية.
توجيه المؤسسات الدينية نحو توثيق التراث المحلي.
تقديم محتوى رقمي جزائري في مجال التفسير.
تعزيز ثقة الشباب في الإنتاج العلمي المحلي.
دعم جهود إحياء الزوايا كمراكز علمية حية.

تحليل المشروع التفسيري للشيخ الهاملي من حيث المنهج والمقاصد.

في سياق البحث عن خصوصية التفسير الجزائري، برزت الحاجة إلى استعادة جهود العلماء الذين أسهموا في بناء خطاب ديني محلي، ومن بينهم الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، مؤسس زاوية الهامل.

لقد شكّل مشروعه التفسيري محاولة جادة لفهم النص القرآني من داخل السياق الثقافي والاجتماعي الجزائري، مستنداً إلى أدوات تأويلية متجذرة في الفقه المالكي والتصوف السني. غير أن هذا المشروع ظل مهمشاً في الدراسات الأكاديمية، ولم يُدرج ضمن المرجعيات التفسيرية المتداولة في الوسط التعليمي والديني.

لقد تجاهلت أغلب الأدبيات التفسيرية المعاصرة هذا المشروع، رغم ما حمله من مقاصد تربوية واجتماعية، وما عبّر عنه من اجتهادات تأويلية أصيلة.

وقد ساهمت عوامل متعددة في هذا التغيب، منها هيمنة التفاسير المشرقية، ومنها غياب التوثيق الرقمي للمخطوطات المحلية. ومن هنا، جاءت هذه الدراسة لتعيد قراءة منهج الهاملي ومقاصده، وتكشف عن عناصر التميز فيه، من خلال تحليل هيكلي منظم يستند إلى مصادر علمية منشورة في المجلات الجزائرية المحكمة والوثائق التاريخية ذات الصلة.

1.1. تحليل المشروع التفسيري للشيخ الهاملي من حيث المنهج والمقاصد:

1.1.1. المنهج التفسيري للهاملي

استند الشيخ الهاملي إلى مرجعية فقهية مالكية، حيث اعتمد على:

أقوال الإمام مالك في تفسير الأحكام الشرعية

ربطها بسياقاتها الاجتماعية.

استلهم من التصوف السني، خاصة من المدرسة القادرية، في فهم البعد الروحي للنص القرآني.

وقد أشار الباحث عيسى بن قبي إلى أن الهاملي "مزج بين الفقه والتصوف في تفسيره، مما منح مشروعه طابعاً تربوياً خاصاً"⁽¹⁾

استخدم الهاملي أدوات لغوية تقليدية بحيث:

فسر الآيات من خلال الاشتقاق والمعاني البلاغية

استند إلى أقوال السلف دون أن يغفل عن السياق المحلي.

كتب في أحد مجالسه: "القرآن نزل للعالمين، ولكن لكل قوم فهمهم الذي يراعي أحوالهم"⁽²⁾

2.1.1. أدوات التأويل:

اعتمد الهاملي على:

التفسير بالمأثور: فاستشهد بأقوال الصحابة والتابعين، لكنه لم يتوقف عندها

التفسير بالرأي المقيّد: مستنداً إلى مقاصد الشريعة. وقد وظّف السياق التاريخي والاجتماعي في فهم الآيات، خاصة تلك المتعلقة بالأخلاق والمعاملات.

استخدم الهاملي أسلوباً تعليمياً في تفسيره فقام ب:

شرح الآيات بلغة مبسطة

(1) عيسى بن قبي، "محمد بن أبي القاسم الهاملي: تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 2، العدد 3، 2018، ص. 153-164. <https://asjp.cerist.dz/en/article/124979>

(2) محمد بن أبي القاسم الهاملي، "مجالس تفسيرية"، مخطوط محفوظ في زاوية الهامل، نسخة رقمية خاصة.

وجه خطابه إلى العامة

كان قريباً من وجدان الناس.

لكن أشار العديد من الباحثين إلى أن تفسير الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي تميّز بطابعه الشعبي، حيث خاطب مختلف فئات المجتمع من فلاحين وتجار وطلبة، ولم يقتصر على النخب العلمية أو الأكاديمية. وقد عبّر هذا التوجه عن رغبة الهاملي في جعل القرآن قريباً من حياة الناس اليومية، مستلهماً بذلك روح التربية الصوفية التي ركّزت على تهذيب النفس وتركيز السلوك، لا على الجدل العقدي أو التفصيلات الكلامية⁽¹⁾

وقد كتب أحد الباحثين في دراسة منشورة على منصة المجلات الجزائرية أن "التفسير الشعبي في الزوايا الجزائرية لم يكن موجهاً للنخبة، بل كان وسيلة لتقويم السلوك العام وتثبيت القيم الأخلاقية"

في المقابل، تبوّأ بعض علماء السلفية موقفاً متشدداً من التفسير بالرأي، فاعتبروا أن تفسير القرآن لا يجوز إلا لمن توفرت فيه شروط الفقه والضبط العقدي، مستندين إلى قول الإمام أحمد: "لا يُفسر القرآن إلا من كان عالماً بالسنة، فقيهاً في الدين"⁽²⁾

وقد أدّى هذا الموقف إلى احتكار التفسير ضمن دائرة ضيقة من العلماء، وإقصاء التفسيرات التي انطلقت من التجربة الروحية أو السياق الاجتماعي، كما هو الحال في تفسير الهاملي. وقد انتقد الباحث المغربي محمد جبرون هذا الاتجاه، واعتبر أن "المنع المطلق للتفسير بالرأي أدى إلى جمود في الفهم، وحال دون تفاعل النص مع الواقع"⁽³⁾

إن هذا التوجه السلفي، رغم حرصه على سلامة العقيدة، قد ساهم في تهميش التفاسير المحلية التي انطلقت من حاجات الناس، وعبّرت عن فهم سياقي للنص القرآني. وقد تجاهل

(1) زيباني منير. "المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية". مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 2، 2021، ص. 191-214. <https://asjp.cerist.dz/en/article/158539>

(2) ابن تيمية. مقدمة في أصول التفسير. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. الرياض: دار هجر، 1999.

(3) محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24، 2018.

<https://www.manarnew.com/article/تفسير-الرأي-بين-المنع-والتفعيل>

هذا المنع أن الصحابة أنفسهم فسّروا القرآن بحسب ما فهموه من سياقهم، دون أن يُتهموا بالابتداع.

ومن هنا، تبرز أهمية إعادة الاعتبار للتفسير الشعبي، الذي لا يُفترط في العقيدة، ولكنه يُفعل النص في الحياة، ويجعل من القرآن خطاباً يومياً، لا مجرد نص محفوظ في بطون الكتب.

2.1. المقاصد التربوية والاجتماعية:

1.2.1. التربية الروحية:

لقد ركّز الهاملي على تهذيب النفس، وربط بين الآيات القرآنية والسلوك اليومي، فسّر آيات الصبر والرضا والورع من منظور تربوي. وقد كتب في أحد دروسه: "من لم يتأدّب بالقرآن، فلا أدب له"⁽¹⁾

ولقد دعا إلى تزكية النفس من خلال العمل الصالح، وربط بين الإيمان والسلوك، واعتبر أن التفسير يجب أن يغيّر الإنسان لا أن يملأ ذهنه فقط.

لقد انطلق الشيخ الهاملي في مشروعه التفسيري من رؤية تربوية عميقة، جعلت من القرآن أداة لتزكية النفس وتغيير السلوك، لا مجرد نص يُحفظ أو يُشرح في سياق نخبوي. وقد ربط بين الإيمان والعمل، وبين الفهم والتطبيق، مما جعل تفسيره أقرب إلى الحياة اليومية منه إلى الجدل العقدي. غير أن هذا التوجه اصطدم بجدار من القواعد التي وضعها بعض العلماء، واشترطوا فيها شروطاً صارمة للتفسير، كأن يكون المفسر فقيهاً، عالماً بالعقيدة، ضابطاً للغة، مما أغلق الباب أمام كثير من القراءات السياقية والروحية.

وقد استند هؤلاء إلى أقوال السلف التي تحذّر من التفسير بالرأي، لكنهم تجاهلوا أن

(1) الهاملي، "مجالس التربية الروحية"، محفوظات الزاوية القاسمية، الهامل، الجزائر.

(1) محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24، 2018.

<https://www.manarnew.com/article/tafsir-al-rai-bayn-al-manah-wal-taf'eel>

الصحابة أنفسهم فسّروا القرآن بحسب ما فهموه من واقعهم، وأن النبي ﷺ دعا إلى التدبر لا إلى الاحتكار. فالآية الكريمة "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" القمر: 17 جاءت دعوة مفتوحة للتأمل والتدبر، لا للتعقيد والتقييد. إن جعل التفسير حكراً على فئة معينة، يُفَرِّغ النص من طاقته التغيرية، ويحوّله إلى خطاب مغلق لا يخاطب الإنسان في واقعه.

وقد انتقد عدد من المفكرين هذا الاتجاه، منهم محمد جبرون الذي اعتبر أن "المنع المطلق للتفسير بالرأي أدى إلى جمود في الفهم، وحال دون تفاعل النص مع الواقع"⁽¹⁾ كما دعا عبد المجيد النجار إلى "فتح باب الاجتهاد التفسيري، بشرط الانضباط المنهجي، لا المنع المطلق"⁽²⁾

إن التفسير، في جوهره، فعل إنساني يتفاعل مع النص، ويستجيب لحاجات الناس، ولا يجوز أن يُمنع لمجرد أن قواعد بشرية وضعت في قوالب جامدة.

1.2.2. الإصلاح الاجتماعي:

أولاً: فسّر الهاملي آيات المعاملات بما يخدم بناء مجتمع متماسك، فدعا إلى العدل، ونبذ الظلم، وحثّ على التكافل. وقد استخدم تفسيره كأداة إصلاحية داخل الزاوية، حيث وجّه خطبه لتصحيح السلوك العام.

ثانياً: عالج قضايا الفقر والجهل من خلال تفسيره، وربط بين الآيات الاقتصادية والواقع المحلي، مما جعل تفسيره يحمل بعداً تنموياً. وقد أشار الباحث محمد بن عيسى إلى أن

(1) محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24، 2018.
<https://www.manarnew.com/article/تفسير-الرأي-بين-المنع-والتفعيل>

(2) عبد المجيد النجار. المنهج الأصولي في تفسير القرآن. تونس: دار ابن عرفة، 2015.
<https://www.daribnarafa.com/book/المنهج-الأصولي-في-تفسير-القرآن>

"الهاملي استخدم التفسير كمنصة للتنمية الاجتماعية، وليس فقط للوعظ"⁽¹⁾

من خلال هذا التحليل، تبين أن المشروع التفسيري للشيخ الهاملي لم يكن مجرد شرح للآيات، بل شكّل منظومة معرفية متكاملة، جمعت بين الفقه والتصوف، وبين التربية والإصلاح. لقد عبّر الهاملي عن فهم محلي للنص القرآني، يستجيب لحاجات المجتمع الجزائري، ويعكس خصوصياته الثقافية. وقد استخدم أدوات تأويلية متعددة، ووجّه خطابه إلى العامة، مما منح تفسيره طابعاً شعبياً تربوياً. كما حمل مشروعه مقاصد اجتماعية واضحة، جعلت من التفسير وسيلة للتغيير لا مجرد معرفة. إن إعادة الاعتبار لهذا المشروع تمثل خطوة نحو بناء خطاب ديني جزائري أصيل، قادر على مخاطبة الأجيال الجديدة بلغة قريبة من واقعهم، ومتماهية مع هويتهم الروحية والثقافية.

مقارنة تفسير الهاملي بالتفاسير المشرقية في السياق الشبابي:

لقد شكّلت التفاسير المشرقية، وعلى رأسها تفسير الطبري وابن كثير، المرجع الأساس في التكوين الديني للشباب الجزائري، سواء في المؤسسات التعليمية أو عبر المنصات الرقمية. وقد ساهم هذا الحضور الطاغي في تهميش التفاسير المحلية، ومنها تفسير الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، الذي ظل حبيس الزوايا والمخطوطات. إن هذا التهميش لم يكن نتيجة ضعف في المحتوى، بل ارتبط بعوامل ثقافية ومؤسسية أعادت إنتاج المرجعيات المشرقية بوصفها النموذج الأوحد للفهم الديني.

في المقابل، حمل تفسير الهاملي خصوصية منهجية ومقاصدية، جعلته أكثر التصاقاً بالواقع الجزائري، وأكثر قدرة على مخاطبة الحاجات الروحية والاجتماعية للشباب. غير أن هذه الخصوصية لم تُفعّل في الخطاب الديني المعاصر، مما أضعف من حضورها في الذائقة الشبابية. ومن هنا، جاءت هذه المقارنة لتكشف عن أوجه التباين بين تفسير الهاملي

(1) محمد بن عيسى، "التفسير كأداة إصلاح اجتماعي: قراءة في تجربة الهاملي"، مجلة الإصلاح الديني، جامعة

المسيلة، العدد 4، 2020. <https://repository.univ-msila.dz/items/e0ef4bee-fa52-4ae0-922b-b559d64451f8f>

والتفاسير المشرقية، من حيث المنهج، واللغة، والمقاصد، ومدى التفاعل مع قضايا الشباب.

1.2. المنهج التفسيري: بين النقل والاجتهاد

1.1.2. تفسير الطبري وابن كثير: مركزية الرواية

أولاً: اعتمد الطبري وابن كثير على التفسير بالمأثور، فاستندا إلى أقوال الصحابة والتابعين، وركّزا على الرواية والنقل. وقد كتب الطبري في مقدمة تفسيره: "العلم ما جاء عن الله، وما صح عن رسول الله، وما قاله الصحابة"

وقد تبنّى ابن كثير هذا المنهج، ففسّر الآيات من خلال الأحاديث والآثار، دون أن يربطها غالباً بسياق اجتماعي معاصر.

ثانياً: غلب على تفسيريهما الطابع الموسوعي، مما جعلهما مرجعين علميين، لكنهما ابتعدا عن لغة الحياة اليومية، وهو ما جعل الشباب يجد صعوبة في التفاعل معهما خارج الإطار الأكاديمي أو الدعوي الرسمي.

تفسير الهاملي: الاجتهاد المقيد بالسياق

أولاً: اعتمد الهاملي على التفسير بالرأي المقيد، ففسّر الآيات في ضوء الواقع المحلي، وراعى السياق الاجتماعي والثقافي للمتلقي. وقد كتب في أحد دروسه: "القرآن لا يُفهم إلا إذا نزل على قلب الزمان والمكان"⁽¹⁾

ثانياً: استخدم لغة بسيطة، وشرح المفاهيم الدينية من خلال أمثلة حياتية، مما جعله أقرب إلى وجدان الشباب. وقد لاحظ الباحث سمير رقاو أن "التفسير المغاربي، ومنه تفسير الهاملي، تميّز بمرونة لغوية ومنهجية، جعلته أكثر قابلية للتجديد"⁽²⁾

(1) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 2000.

(2) سمير رقاو. "منهج التفسير بين المشاركة والمغاربة - دراسة مقارنة، ابن جرير الطبري وابن عطية الأندلسي أنموذجاً". مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 7، العدد 2، 2020، ص. 149-186.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/166171>

2.2. المقاصد التربوية والاجتماعية:

1.2.2. الهاملي: التزكية والإصلاح

أولاً: ركّز الهاملي على تربية النفس، وربط بين الآيات والسلوك اليومي، مما جعل تفسيره يحمل بعداً تربوياً واضحاً. وقد كتب: "من لم يتأدّب بالقرآن، فلا أدب له"⁽¹⁾

ثانياً: دعا إلى إصلاح المجتمع من خلال القرآن، ففسّر آيات المعاملات بما يخدم العدالة والتكافل، مما جعله قريباً من قضايا الشباب، خاصة في ظل التحديات الاجتماعية والاقتصادية.

2.2.2. الطبري وابن كثير: تثبيت العقيدة

أولاً: ركّز التفسير المشرقي على تثبيت العقيدة، والرد على الفرق والمذاهب، مما جعله أقرب إلى الجدل العقدي منه إلى التربية الروحية.

ثانياً: لم يتناول قضايا الشباب المعاصرة، مثل البطالة أو الهوية الثقافية، مما جعله أقل تأثيراً في تشكيل الوعي الديني للشباب الجزائري، الذي يبحث عن خطاب ديني يلامس واقعه.

لقد كشفت المقارنة بين تفسير الهاملي والتفاسير المشرقية عن تباين واضح في المنهج والمقاصد، حيث تميّز الهاملي بمرونة لغوية واجتماعية جعلته أقرب إلى حاجات الشباب. بينما حافظت التفاسير المشرقية على طابعها الموسوعي والعقدي، مما حدّ من فاعليتها في السياق الجزائري المعاصر.

وقد أظهرت الدراسة أن الشباب يميل إلى الخطاب الديني الذي يخاطب وجدانه وواقعه، وهو ما توفّر في مشروع الهاملي. إن إعادة الاعتبار لهذا المشروع لا تعني القطيعة مع التراث المشرقي، بل تعني استعادة التوازن المعرفي، وتفعيل المرجعيات المحلية في بناء وعي ديني متجدد.

(1) حسام الحداد. "اختلافات منهجية بين المشرق والمغرب.. تحليل لتفسير الطبري وابن عطية". البوابة نيوز، 1

مارس 2025. <https://www.albawabhnews.com/5162644>

استراتيجيات إحياء التفسير المحلي وتقديمه لجمهور معاصر:

لقد واجه التفسير المحلي في الجزائر تحديات كبيرة في سبيل استعادة مكانته ضمن الخطاب الديني المعاصر، خاصة في ظل هيمنة التفاسير المشرقية على الفضاء المعرفي والدعوي. وقد غابت جهود المفسرين الجزائريين عن التداول العام، رغم ما حملته من خصوصيات منهجية ومقاصدية تعكس البيئة الثقافية والاجتماعية المحلية. إن هذا الغياب لم يكن نتيجة ضعف في المحتوى، بل ارتبط بغياب استراتيجيات فعالة لإعادة تقديم هذا التراث بلغة تستجيب لحاجات الجمهور الجديد.

في السنوات الأخيرة، تنبّه الباحثون إلى أهمية إحياء التفسير المحلي، فاقترحوا آليات متعددة تهدف إلى توثيق هذا التراث، وتقديمه بأساليب معاصرة، تراعي التحولات الرقمية واللغوية. وقد انطلقت هذه المبادرات من قناعة بأن التفسير ليس مجرد علم تقليدي، بل هو خطاب حيّ قادر على التفاعل مع الواقع، إذا ما أُعيدت صياغته وفق حاجات المتلقي. ومن هنا، جاءت هذه الدراسة لتستعرض أبرز الاستراتيجيات التي اعتمدها الباحثون والمؤسسات لإحياء التفسير المحلي، وتقديمه لجمهور شبابي متنوع.

1.3. رقمنة التراث التفسيري:

أطلقت بعض المؤسسات الأكاديمية مشاريع رقمية لتوثيق التفاسير الجزائرية، ومنها تفسير الهاملي، حيث جُمعت المخطوطات، وفُهرست، وحُوّلت إلى نسخ رقمية قابلة للتداول. وقد أشار الباحث زيباني منير إلى أن "رقمنة التفسير الشفهي الجزائري فتحت أفقاً جديداً للباحثين والطلبة في الوصول إلى هذا التراث"⁽¹⁾

استُخدمت المنصات الرقمية لنشر هذه التفاسير، مثل بوابة المجالات الجزائرية ومنصة ألفا دوك، مما سهّل الوصول إليها، ووسّع دائرة جمهورها، خاصة بين الشباب الجامعي والباحثين في الدراسات الإسلامية

(1) زيباني منير. "المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية". مجلة البحوث العلمية والدراسات

الإسلامية، المجلد 13، العدد 2، 2021، ص. 191-214. <https://asjp.cerist.dz/en/article/158539>

2.3. تبسيط اللغة وتحديث المفاهيم:

عمل بعض الباحثين على إعادة صياغة التفاسير بلغة مبسطة، تراعي مستوى الفهم لدى الشباب، وتبتعد عن التعقيد اللغوي الذي ميّز بعض التفاسير التقليدية. وقد كتب بن زيان خالد: "إن تحديث لغة التفسير لا يعني تفريغه من مضمونه، بل يعني تقريب معانيه من وجدان المتلقي"⁽¹⁾

أُعيد تفسير بعض الآيات في ضوء القضايا المعاصرة، مثل الهوية، والعدالة الاجتماعية، والتحديات الاقتصادية، مما جعل التفسير المحلي أكثر ارتباطاً بالواقع، وأقرب إلى اهتمامات الشباب.

3.3. إدماج التفسير المحلي في المناهج التعليمية:

اقترح بعض الباحثين إدماج التفاسير الجزائرية في البرامج التعليمية، خاصة في المعاهد الإسلامية والزوايا، من أجل تعزيز الهوية الدينية المحلية. وقد أشار تقرير موسوعة التفسير في الجزائر إلى أن "إدماج التفسير المحلي في التعليم هو خطوة نحو استعادة الذات الثقافية والدينية"⁽²⁾

نُظّمت ندوات وملتقيات علمية حول أعلام التفسير الجزائري، مما ساهم في إعادة الاعتبار لهم، وفتح نقاشات أكاديمية حول منهجهم ومقاصدهم، كما حدث في ملتقى الأغواط حول التفسير المغربي.

لقد بيّنت هذه الدراسة أن استراتيجيات إحياء التفسير المحلي لم تقتصر على التوثيق، بل شملت التكيف اللغوي، والتفعيل التربوي، مما أعاد الاعتبار لهذا التراث في سياق شبابي

(1) بن زيان خالد. "جذور حركة التفسير في الجزائر وتطورها". مجلة المعيار، جامعة تيارت، 2016. [https://theses-](https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-tissemsilt/jذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطورها)

[algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-](https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-tissemsilt/jذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطورها)

[tissemsilt/jذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطورها](https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-tissemsilt/jذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطورها)

(2) موسوعة التفسير في الجزائر – الجزء الأول. مركز الأنثروبولوجيا الثقافية بوهران، بالتعاون مع مركز البحث في

العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، 2022. <https://www.alphadoc.dz/produit>. موسوعة-التفسير-في-

الجزائر-الجزء-الأول

متحول.

وقد نجحت هذه المبادرات في تقريب التفسير من وجدان المتلقي، وربطته بقضاياها اليومية، دون أن تُفَرِّغه من مضمونه العلمي. إن التفسير المحلي، إذا ما قُدِّم بلغته معاصرة، يمكن أن يشكّل بديلاً معرفياً أصيلاً، يعزز الهوية الدينية، ويكسر هيمنة المرجعيات المستوردة. ومن هنا، تبرز أهمية مواصلة هذه الجهود، وتوسيعها لتشمل مختلف مناطق الجزائر، ومختلف فئات المجتمع.

الخاتمة:

في ضوء ما تم عرضه من تحليل للمشروع التفسيري للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، تبيّن أن هذا المشروع لم يكن مجرد اجتهاد فردي، بل مثل محاولة أصيلة لتقديم فهم جزائري للقرآن الكريم، يستند إلى المرجعية المالكية والتصوف السني، ويخاطب وجدان الناس بلغتهم وسياقهم.

لقد عبّر الهاملي عن رؤية تربوية واجتماعية جعلت من التفسير أداة للإصلاح، لا مجرد شرح لغوي أو عقدي. وهذا ما يستدعي إعادة الاعتبار لهذا المشروع ضمن الحقل التفسيري الإسلامي، خاصة في ظل الحاجة إلى خطاب ديني محلي يعكس خصوصيات المجتمع الجزائري.

وقد كشفت المقارنة بين تفسير الهاملي والتفاسير المشرقية، وعلى رأسها تفسير الطبري وابن كثير، عن فجوة منهجية واضحة، حيث غلب على التفاسير المشرقية الطابع الموسوعي والنقلي، بينما تميّز تفسير الهاملي بالمرونة والواقعية. إن هيمنة المرجعيات المشرقية على الذائقة الدينية للشباب الجزائري لم تكن نتيجة تفوق معرفي، بل نتاج توجيه مؤسسي وإعلامي، أهمل الإنتاج المحلي، وأقصى التجارب التفسيرية التي انطلقت من الواقع الجزائري. وهذا ما يدعو إلى مراجعة هذا التوجيه، وإعادة التوازن في تقديم المرجعيات التفسيرية.

في السياق النقدي، برزت إشكالية احتكار التفسير ضمن شروط صارمة وضعتها بعض المدارس الفقهية، مما حال دون تفاعل النص القرآني مع الواقع، وأقصى القراءات السياقية والشعبية. وقد أظهرت الدراسة أن التفسير، في جوهره، فعل إنساني يتفاعل مع النص، ويستجيب لحاجات الناس، ولا يجوز أن يُمنع لمجرد أن قواعد بشرية وضعت في قوالب

جامعة.

إن الآية "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" جاءت دعوة مفتوحة للتأمل والتدبر، لا للتعقيد والتقييد، وهذا ما يجب أن يُستحضر في كل مشروع تفسيري معاصر.

أما من حيث استراتيجيات الإحياء، فقد بيّنت الدراسة أن التوثيق الرقمي، والتكيف اللغوي، والتفعيل التربوي، شكّلت أدوات فعالة لإعادة تقديم التفسير المحلي لجمهور شبابي متحول. وقد نجحت هذه المبادرات في تقريب التفسير من وجدان المتلقي، وربطته بقضاياها اليومية، دون أن تُفَرِّغه من مضمونه العلمي. إن إدماج التفاسير الجزائرية في المناهج التعليمية، وتقديمها بلغة معاصرة، يمثل خطوة نحو استعادة الذات الثقافية والدينية، وتعزيز الهوية الوطنية في فهم القرآن الكريم.

إن أولوية الفكر المحلي والسياق الوطني في فهم القرآن لا تعني الانغلاق أو القطيعة مع التراث الإسلامي العام، بل تعني الانطلاق من الواقع نحو التفاعل مع النص، بعيداً عن القراءات الأيديولوجية والمذهبية التي تجعل من كل فريق بما لديهم فرحون. لقد آن الأوان لتجاوز التمرکز المشرق في التفسير، والانفتاح على التجارب المغاربية التي حملت خصوصيات المنهجية، وقدمت قراءات أصيلة للنص القرآني، تستحق أن تُدرس وتُفعّل في الحقل الديني والتربوي.

في الختام، تؤكد هذه الدراسة أن خدمة الإسلام في السياق الجزائري لا تتحقق إلا من خلال فهم محلي للقرآن، ينطلق من حاجات الناس، ويخاطب وجدانهم، ويعزز هويتهم الثقافية والدينية. إن المشروع التفسيري للشيخ الهاملي، بما حمله من مقاصد تربوية واجتماعية، يمثل نموذجاً لهذا الفهم، ويستحق أن يُستعاد، ويُقدّم بلغة معاصرة، بعيداً عن التحيزات المذهبية، والانغلاق الأيديولوجي. فالتفسير ليس ملكاً لفئة، بل هو دعوة مفتوحة لكل من أراد أن يتدبر، ويُدرّك، ويُصلح.

النتائج:

تفسير الهاملي يتميز بمنهج تربوي صوفي محلي.
الشباب الجزائري ينجذب للتفاسير المشرقية بسبب سهولة الوصول والترويج.

غياب التوثيق الأكاديمي ساهم في تهميش التفسير المحلي.
هناك قابلية لدى الشباب لتلقي التفسير المحلي إذا قُدم بلغة معاصرة.
التوصيات:

رقمنة التراث التفسيري المحلي: ضرورة جمع وتوثيق مخطوطات تفسير الشيخ الهاملي وتحويلها إلى نسخ رقمية قابلة للعرض والبحث، مع توفيرها عبر منصات إلكترونية موجهة للشباب والباحثين.

إدماج التفسير الجزائري في المناهج التعليمية: اقتراح إدراج نماذج من التفسير المحلي في مقررات التعليم الديني والجامعي، خاصة في مواد علوم القرآن والتفسير، لتعزيز الهوية العلمية الوطنية.

إطلاق منصات شبابية للتفسير المحلي: إنشاء منصات رقمية أو قنوات تواصل اجتماعي تقدم محتوى تفسيري جزائري بلغة معاصرة، مع مقاطع مرئية ومبسطة تستهدف فئة الشباب.

تشجيع البحث الأكاديمي في التفسير المغاربي: دعم مشاريع بحثية جامعية ومراكز دراسات تهتم بإحياء التفسير المغاربي، وتقديم منح للباحثين في هذا المجال، مع تنظيم ملتقيات دورية.

إعادة الاعتبار للزوايا كمراكز تفسيرية حية: تعزيز دور الزوايا الجزائرية في تدريس التفسير المحلي، وتوثيق ما يُدرّس فيها من علوم قرآنية، باعتبارها مؤسسات علمية أصيلة ذات امتداد اجتماعي وثقافي.

قائمة المراجع:

ابن تيمية. مقدمة في أصول التفسير. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. الرياض: دار هجر، 1999.

بن زيان خالد. "جذور حركة التفسير في الجزائر وتطورها". مجلة /المعيار، جامعة تيارت،

2016. [https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-](https://theses-algerie.com/7756154848095762/articles-scientifiques-et-publications/universite-de-tissemsilt)

publications/universite-de-tissemsilt/جذور-حركة-التفسير-في-الجزائر-و-تطوره

حسام الحداد. "اختلافات منهجية بين المشرق والمغرب.. تحليل لتفسير الطبري وابن

عطية". البوابة نيوز، 1 مارس 2025. <https://www.albawabhnews.com/5162644>

زيباني منير. "المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية". مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 2، 2021، ص. 191-214.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/158539>

سمير رقا. "منهج التفسير بين المشاركة والمغاربة – دراسة مقارنة، ابن جرير الطبري وابن عطية الأندلسي أنموذجاً". مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، المجلد 7، العدد 2،

2020، ص. 149-186. <https://asjp.cerist.dz/en/article/16617>

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق أحمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 2000

عبد المجيد النجار. المنهج الأصولي في تفسير القرآن. تونس: دار ابن عرفة، 2015.

<https://www.daribnarafa.com/book> /المنهج-الأصولي-في-تفسير-القرآن

عيسى بن قبي، "محمد بن أبي القاسم الهاملي: تكوينه ودوره في نشر العلم والمعرفة"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 2، العدد 3، 2018، ص. 153-164.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/124979>

محمد بن أبي القاسم الهاملي، "مجالس تفسيرية"، مخطوط محفوظ في زاوية الهامل، نسخة رقمية خاصة.

محمد بن عيسى، "التفسير كأداة إصلاح اجتماعي: قراءة في تجربة الهاملي"، مجلة الإصلاح الديني، جامعة المسيلة، العدد 4، 2020. [https://repository.univ-](https://repository.univ-msila.dz/items/e0ef4bee-fa52-4ae0-922b-559d64451f8f)

[msila.dz/items/e0ef4bee-fa52-4ae0-922b-559d64451f8f](https://repository.univ-msila.dz/items/e0ef4bee-fa52-4ae0-922b-559d64451f8f)

محمد جبرون. "التفسير بالرأي بين المنع والتفعيل". مجلة المنار الجديد، العدد 24،

2018. <https://www.manarnew.com/article> /تفسير-الرأي-بين-المنع-والتفيعي

موسوعة التفسير في الجزائر – الجزء الأول. مركز الأنثروبولوجيا الثقافية بوهران، بالتعاون مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، 2022.

<https://www.alphadoc.dz/produit> /موسوعة-التفسير-في-الجزائر-الجزء-الأول

الهاملي، "مجالس التربية الروحية"، محفوظات الزاوية القاسمية، الهامل، الجزائر.

إسهامات هود بن محكم الهواري في التفسير اللغوي للقرآن الكريم

ط.د. سهيلة بودريال

جامعة الجزائر 1

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية تفسير هود بن محكم الهواري؛ والذي يعد من أقدم التفاسير في الغرب الإسلامي عموما وفي الجزائر خصوصا، من حيث اهتمامه بالمسائل اللغوية والبلاغية في إجلاء معاني كلام الله تعالى، وقد توصلت الدراسة إلى أنه بالرغم من كون هذا التفسير تفسيرا أثريا على نهج المتقدمين، إلا أن له بعض الإسهامات في الجانب اللغوي والبلاغي من التفسير، وتجلى ذلك في شرحه لغريب القرآن باستعمال كلام العرب وأشعارهم، وكذا تطرقه لإعراب بعض الكلمات القرآنية وتوجيه بعض القراءات نحويا، إضافة إلى إشارته إلى بعض الأساليب البلاغية كأسلوب الإضمار والاستفهام الإنكاري والوعيد.

الكلمات المفتاحية: 1- إسهامات 2- هود 3- التفسير 4- اللغة

Abstract :

This research paper deals with the interpretation of Hud bin Muhakam Al-Hawari. Which is considered one of the oldest interpretations in the Islamic West in general and in Algeria in particular, in terms of its interest in linguistic and rhetorical issues in clarifying the meanings of the words of God Almighty. The study concluded that although this interpretation is an archaeological interpretation on the approach of the predecessors, it has some contributions to the linguistic and rhetorical aspect of interpretation. This was evident in his explanation of the strangeness of the Qur'an using the words of the Arabs and their poetry, as well as his discussion of the parsing of some Quranic words and directing some readings grammatically, in addition to his reference to some rhetorical methods such as the implicit method, the denial interrogative, and the threat.

key words: 1-Contributions 2-Hud 3- Interpretation 4- The language

مقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد:

يُعدّ علم التفسير من أشرف العلوم الشرعية التي حظيت بعناية كبيرة منذ الصدر الأول للإسلام، إذ هو السبيل لفهم مراد الله تعالى من كلامه، والعمل بتوجيهات القرآن وأحكامه، وقد اجتهد علماء الأمة من مختلف الأقاليم في خدمة هذا العلم، وكان للعلماء المغاربة عموماً، ولعلماء الجزائر خصوصاً، إسهامات رائدة في هذا المجال، ومن أبرز هؤلاء الأعلام الإمام هود بن محكم الهواري، الذي ترك أثراً بارزاً من خلال تفسيره الذي يُعدّ من أقدم التفاسير في بلاد الغرب الإسلامي.

يتميّز تفسير هود بن محكم الهواري بكونه تفسيراً أثرياً، يعتمد أساساً على النقل من أقوال السلف، ويهدف إلى شرح غريب القرآن وبيان معانيه، بما يفيد الفهم والعمل، دون توغل في المسائل اللغوية وتفصيلها، مع ذلك لم يخلو هذا التفسير من بعض الإشارات النحوية والصرفية والبلاغية، ومن هنا يمكن أن نطرح الإشكالية الآتية: ما إسهامات هود بن محكم الهواري في التفسير اللغوي للقرآن الكريم؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأساسية جملة من التساؤلات الفرعية أهمها:

- 1- من هو هود بن محكم الهواري؟
 - 2- وما تعريف تفسيره للقرآن الكريم؟
 - 3- وما هي أهم المسائل اللغوية التي تعرض لها في تفسيره؟
- أسباب اختيار الموضوع: كان من وراء البحث في هذا الموضوع مجموعة من الأسباب أهمها:

1- قلة الدراسات التي تناولت شخصية هود بن محكم الهواري مقارنة بغيره من المفسرين المشاركة.

2- الرغبة في إظهار إسهامات العلماء الجزائريين في التفسير، وإبراز دورهم في خدمة

القرآن الكريم.

3- كون تفسير الهواري من أوائل التفاسير المغاربية والجزائرية، مما يجعله مادة علمية خصبة للبحث.

- أهداف الموضوع: يهدف البحث في هذا الموضوع إلى:

- 1- التعريف بالإمام هود بن محكم الهواري وتفسيره للقرآن الكريم.
 - 2- دراسة منهجه وطريقته في شرحه لغريب القرآن الكريم، ومصادره في ذلك.
 - 3- الوقوف على أهم المسائل النحوية والبلاغية في تفسيره.
- الدراسات السابقة: من خلال صيرورة بحثي في هذا الموضوع وقعت على دراستين سابقتين لهما علاقة بالموضوع وهما:

1- رسالة بعنوان: منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره دراسة ونقد، سامي محمود محمد أحمد، وهي رسالة ماجستير بجامعة غزة الإسلامية - نفس الله كرهها - السنة الجامعية: 1423 هـ / 2002 م.

2- مقال بعنوان: القضايا اللغوية والبلاغية في تفسير هود بن محكم الهواري، نبيل ربيع، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الثاني، ماي 2016 م.

وكلا الدراستين كان تناولهما للجانب اللغوي في تفسير هود بن محكم الهواري قاصرا وغير مستوعب، وهذا ما شجعتني للبحث في هذا الموضوع بغية توسيع الدراسة في هذا الباب، وتتبع أهم المسائل اللغوية التي تعرض لها على قلتها.

- خطة البحث: للإجابة على الإشكالية الأساسية للموضوع والتساؤلات الفرعية المندرجة تحتها، تطلب اعتماد خطة تنبني من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وهذا على التفصيل الآتي:

المقدمة

المبحث الأول: التعريف بهود بن محكم الهواري وتفسيره

المطلب الأول: ترجمة موجزة لهود بن محكم الهواري

المطلب الثاني: التعريف بتفسير كتاب الله العزيز لهود الهواري.

المبحث الثاني: بيان معالم التفسير اللغوي في تفسير هود الهواري

المطلب الأول: طريقته في شرح الغريب

المطلب الثاني: الأوجه النحوية والصرفية في تفسير هود الهواري

المطلب الثالث: الأوجه البلاغية في تفسير هود الهواري.

الخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بهود بن محكم الهواري وتفسيره

المطلب الأول: ترجمة موجزة لهود بن محكم الهواري

1- اسمه ونسبه: هود بن محكم الهواري، ينتسب إلى قبيلة هواره البريرية، التي كانت تسكن بطون منها - ولا تزال - جبال أوراس ونواحيها بغرب إفريقيا الإسلامية، بلاد الجزائر الآن⁽¹⁾.

أما عن والده محكم الهواري، فقد اختلف أهل التراجم والسير في ضبط اسمه، بين من ضبطه بتسكين الحاء وتخفيف الكاف بالكسر أو الفتح أي محكم، محكم، وبين من ضبطه بتشديد الكاف بالكسر أو الفتح أي محكم، محكم، وقد رجح محقق التفسير ضبط الكاف بالتشديد مع الفتح محكم، إما لقولهم: رجل محكم، أي مجرب منسوب إلى الحكمة، وإما لكون المسمى بهذا الاسم سيدا في قومه محكم بينهم، وهو ما توفر في والد هود فقد كان ذا مكانة في قومه، واشتغل قاضيا في عهد أفلح بن عبد الوهاب الرستمي⁽²⁾.

2- طلبه للعلم ومكانته: أخذ العلم في طفولته على يد والده محكم الهواري، فختم على يديه حفظ كتاب الله تعالى، وتعلم بعض مبادئ اللغة العربية والفقه، ثم ارتحل إلى القيروان فنهل من كبار مشايخها، وحضر مجالس العلم وحلقات الدروس التي كانت تعقد بمساجدها،

(1): ينظر: مقدمة ابن خلدون، 291-282/6، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، أبو عبيد البكري، ص 50، 72.

(2): ينظر: تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، مقدمة المحقق بلحاج شريف، 1-10/11.

ثم رجع إلى دياره معلما ومدرسا، وعرف باشتغاله بتفسير القرآن الكريم، وكان ذا منزلة عالية في قومه، إذ وصفته كتب التراجم بالعالم المتفنن، والفقيه الإباضي المتقن، من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط، بل اعتبره بعض الباحثين أول مفسر جزائري للقرآن الكريم⁽¹⁾.

3- وفاته: لم يحدد أيُّ من كتب التراجم تاريخ وفاة هود بن محكم الهواري، لكن يبدو أنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري، أي حوالي 280 هـ، لأن كل من ذكره من المؤرخين وأهل السير أثبت أنه كان من علماء الطبقة السادسة ما بين 250 و 300 للهجرة، أي في أواخر عهد الدولة الرستمية⁽²⁾.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير كتاب الله العزيز لهود الهواري.

تفسير هود الهواري من التفاسير بالمأثور، والتي تعتمد في أغلبها على التفسير بالنقل، سواء كان تفسيرا بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية أو بأقوال السلف، وهذا نهج كتب التفسير المتقدمة، ولدا قال عنه أبو العباس الشماخي: "وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله، لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين"⁽³⁾، والصواب أن هود الهواري تعرض لبعض المسائل اللغوية والنحوية، إلا أنه كان مقلا، وهذا ما سنحاول تجليته من خلال هذه الورقة البحثية.

أما عن طبعات هذا التفسير فقد طبع طبعة واحدة في أربع مجلدات بدار الغرب الإسلامي سنة 1990 م، تحت عنوان "تفسير كتاب الله العزيز"، بتحقيق الأستاذ بالحاج بن سعيد شريفي، وقد اعتمد المحقق على خمس نسخ مخطوطة، كلها ناقصة على تفاوت بينها، بحيث لا يمكن لمباحث أن يعتمد على واحدة بعينها ليتم له إخراج الكتاب، مما اضطره إلى الاستعانة أحيانا بتفسير يحيى بن سلام البصري، وهذا ما يجرنا إلى الإشارة إلى العلاقة بين

(1): ينظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، 338/1. معجم أعلام الإباضية، محمد موسى بابا عي وآخرون، 443/2. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، 367/1-368.

(2): ينظر: تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، مقدمة المحقق بلحاج شريفي، 13/1.

(3): السير، أبو العباس أحمد الشماخي، ص 381.

التفسيرين.

إن الناظر في تفسير هود الهواري يدرك أنه اختصار لتفسير يحيى بن سلام البصري، وهذا ما توصل إليه المحقق حيث قال: "واليوم وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد أن الشيخ هود الهواري اعتمد اعتمادا كثيرا إن لم أقل اعتمادا كلياً على تفسير ابن سلام البصري، ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي وجدته في المخطوطات، لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك، وهذا هو عين الحقيقة والصواب، والأمانة العلمية تقتضي أن أجلو هذا وأبينه في تقديمي للكتاب (1)".

ومما يجدر التنبيه إليه أن هود الهواري قد اختصر تفسير يحيى بن سلام مع حذفه للأسانيد، إذ اقتصر على ذكر صاحب القول دون سند، أو يقول: ذكروا أو قال بعضهم أحيانا، كما تصرف في العديد من المسائل العقدية والمنهجية انتصارا لفرقته الإباضية.

المبحث الثاني: بيان معالم التفسير اللغوي في تفسير هود الهواري

المطلب الأول: طريقته في شرح الغريب

سلك الشيخ هود الهواري عدة طرق ومسالك في بيان معاني الغريب ومنها:

أولاً: شرح الغريب بأية قرآنية

يعمد كثيرا الشيخ الهواري في شرح بعض الألفاظ الغريبة بذكر اللفظ نفسه أو ما يقترب من معناه في آية أخرى، وهو ما يصطلح عليه بتفسير القرآن بالقرآن⁽²⁾، ومن أمثلة ذلك

1- قوله تعالى: " وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ "

(1): تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، مقدمة المحقق بلحاج شريقي، 24/1.

(2): ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الطريق هو أحسن وأصح طرق التفسير، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بُسط في موضع آخر، وهو ديدن تفسير السلف. ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص 39. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مساعد طيار، ص 253.

[الأعراف 4]: يعني ما أهلك من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم، فَجَاءَهَا بِأُسْنًا: أي عذابنا، بَيَاتًا: أي ليلا، أَوْ هُمْ قَائِلُونَ: أي عند القائلة بالنهار، وهو كقوله: [?] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ [?] [يونس 50] "(1).

2- قوله تعالى: لهم من جهنم " لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ " [الأعراف 41]: يعني بالمهاد الفراش، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ: ما يغشاهم من النار، وهو كقوله تعالى: " لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ " [الزمر 16] "(2).

3- قوله تعالى: " إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ " [الحجر 18]، قال: " شِهَابٌ مُبِينٌ: أي مضيء، وقال في آية أخرى " فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ " [الصافات 10]: وثقوبه ضوءه "(3).

4- قوله تعالى: " وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ " [يس 74] قال: " كقوله " وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا " [مريم 81]، وإنما يرجون منفعة أوثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة "(4).

5- قوله تعالى: " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ " [الرحمن 24]، قال: " قال: وَلَهُ الْجَوَارِ: أي السفن، كقوله " وَالْفُلُكُ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ " [الحج 65]، قال في الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ: أي الجبال، وهي قوله " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ " وهي السفن إذا كان عليها قلعها "(5).

(1): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 2/5-6.

(2): المصدر نفسه، 2/18.

(3): المصدر نفسه، 2/344.

(4): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 3/28.

(5): المصدر نفسه، 4/101.

ثانيا: شرح الغريب بحديث نبوي:

1- قوله تعالى: " كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ " [الأعراف 29]، قال: " ذكرُوا أن رسول الله ﷺ قال: " ذكرُوا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: " يبعث الله الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " (1) (2).

2- قوله تعالى: " عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ " [المعارج 37]، قال: ذكرُوا عن جابر بن سمرة قال: " خرج علينا رسول الله ﷺ فرأنا حلقا فقال: ما لي أراكم عزين " (3) (4).

3- قوله تعالى: " مُدَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ " [النساء 143]، قال: " ذكرُوا عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: " مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة، وتعير إلى هذه مرة، لا تدري أيهما تتبع " (5) (6).

4- قوله تعالى: " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ " [مريم 39]، قال: ذكرُوا عن عبد الله بن مسعود حديثا في البعث فقال: فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار، فيقال لصاحب النار: هذا منزلك لو أطعت الله، فتأخذه الحسرة، ويقال لصاحب الجنة: هذا منزلك لولا أن الله من عليك، فهو قوله: الآية " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ".

وذكرُوا عن بعض أصحاب النبي عليه السلام أنه قال: " يجاء بالموت في صورة كبش أملح

(1): متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيفية الحشر، حديث رقم 6159. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم 2859.

(2): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 13/2.

(3): صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والترص فيها والأمر بالاجتماع، حديث رقم 430.

(4): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 414/4.

(5): صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم 2784.

(6): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 432/1.

أبلى - وهو الذي يخالط بياضه شيء من سواد⁽¹⁾ - حتى يجعل على صور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة ويا أهل النار: هل تعرفون من هذا؟ هذا الموت، فيقولون: نعم، فيذبح على السور وهم ينظرون، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فهو قوله عز وجل "وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ" (2).⁽³⁾

ثالثا: شرح الغريب بكلام السلف

وهو أكثر تفسير هود الهواري، ومن أمثلة ذلك:

1- قوله تعالى: "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ" [الأعراف 22]، قال: "وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ: ذكروا أن مجاهدا قال: يرقعان كهيئة الثوب"⁽⁴⁾.

2- قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ" [الأعراف 40]، قال: "وهي تقرأ على وجه آخر: حتى يلج الجمل في سم الخياط، ذكروا عن الحسن قال: هو الذي يقوم في المبرد على أربع، ذكروا عن ابن مسعود أنه قال: هو الجمل زوج الناقة، وقال مجاهد: هو حبل السفينة"⁽⁵⁾.

3- قوله تعالى: "وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ" [الأعراف 46]، قال: "والحجاب هو الأعراف، والأعراف هو المكان المشرف المرتفع فيما ذكروا عن ابن عباس، وذكروا أن مجاهدا قال: الأعراف حجاب بين الجنة والنار، وقال

(1): هذا زيادة في الحديث، وهي شرح لمعنى أبلى، وقد نسبها محقق الكتاب إلى مخطوطة واحدة دون غيرها، واستنتج أنها من تصرف الناسخ وليس صاحب التفسير.

(2): متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة مريم، حديث رقم 4453. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم 2849.

(3): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 15/3.

(4): المصدر نفسه، 11/2.

(5): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 17/2.

بعضهم الحجاب هو حائط بين الجنة والنار" (1).

4- قوله تعالى: "فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا" [مريم 24]، قال: "سَرِيًّا ذكروا عن البراء بن عازب قال هو الجدول، وقال بعضهم: السري هو الجدول، وهو النهر الصغير، وهو بالسريانية: سري" (2).

5- قوله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ" [القصص 79]، قال: "قال الكلبي: خرج وعليه ثياب حمر مصبوغة بالأرجوان على بغلة بيضاء، وقال الحسن: خرج في صنوف ماله من درّ وذهب وفضة، وقيل: خرج في الحمرة والصفرة" (3).

رابعا: شرح الغريب بلفظ يسير بسيط

كثيرا ما يعتمد هود الهواري إلى شرح الغريب بلفظ بسيط يسير يقرب المعنى إلى القارئ، وذلك استنادا إلى ملكته اللغوية، أو اطلاعه على كلام العرب وأساليبهم، ومن ذلك:

1- في قوله تعالى: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" [مريم 12]، قال: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ: أي بجِد، وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا: أي الفهم والعقل" (4).

2- قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا" [مريم 83]، قال: "أي ترعجهم إزعاجا في معاصي الله" (5).

قوله تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا" [يوسف 85]، قال: "

(1): المصدر نفسه، 20-19/2.

(2): المصدر نفسه، 11/3.

(3): المصدر نفسه، 292/3.

(4): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 8/3.

(5): المصدر نفسه، 28/3.

حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا: أي حتى تبلى ⁽¹⁾.

وقد شرح المفسر اللفظ الغريب بلفظ يسير يفيد المعنى، دون الإشارة إلى الأصل للغوي للفظ، والذي ذكره غير واحد من المفسرين بأن أصل الحرض هو الفساد في الجسم والعقل بسبب الحزن أو العشق ⁽²⁾.

4- قوله تعالى: "وَالِئِنَّكَ فَارُغَبٌ" [الشرح 8]، قال: "أي فتضرع بالدعاء" ⁽³⁾.

خامسا: شرح الغريب مع الاستشهاد بالشعر العربي:

قوله تعالى: "وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ" [القمر 13]، قال: "والدسر المسامير في تفسير بعضهم، وذلك قول الشاعر:

ودسرها نوح وأيقن أنها وأعلم أن الله قد كان عالما ⁽⁴⁾.

قوله تعالى: "عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ" [القلم 13]، قال: "ذكروا عن عكرمة عن ابن عباس قال: الزنيم الدعي، قال الشاعر:

زنيمٌ تداعاه الرجال زيادةً كما زاد في عرض الأديم الأكارعُ" ⁽⁵⁾.

قوله تعالى: "إِنَّ لِّلْمُتَّقِينَ مَقَارًا 31 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا 32 وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا 33 وَكَأَسًا دِهَاقًا" [النبأ 31-34]، قال: "قال تعالى وَكَأَسًا وهي الخمر دِهَاقًا وهي المارعة الممتلئة، وهي قول الشاعر:

أتانا عامر يرجو قرانا فَأَتَرَعْنَا لَهُ كَأَسًا دِهَاقًا" ⁽⁶⁾.

(1): المصدر نفسه، 283/3.

(2): ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، 316/1. تفسير الطبري، 221/16.

(3): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 516/4.

(4): المصدر نفسه، 252/4.

(5): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 395/4.

(6): المصدر نفسه، 462/4.

4- قوله تعالى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" [القارعة 4]، قال: "وقال بعضهم: الفراش هو ما تساقط في النار من البعوض، وهو قول الشاعر:

مثل الفراشة والمصباح لا لها لم تستطع دونه خوفا ولا خرقا⁽¹⁾.

شرح الغريب بالاعتماد على السياق

في قوله تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" [ابراهيم 7]، قال: "قال بعضهم: قال ربكم، وقال الحسن: تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ يقول: أعلمكم ربكم"⁽²⁾.

نقل المفسر تفسيراً للسلف في بيان معنى تأذن، وهذا الشرح من باب ربط الكلمة بسياقها، ف"تأذن" ليست من الأذان المعروف أو من الإذن، بل بمعنى الإعلام والتبليغ، وهذا ما يتوافق وسياق الآية.

المطلب الثاني: الأوجه النحوية والصرفية في تفسير هود الهواري

أشار هود الهواري إلى بعض المسائل النحوية والصرفية في تفسيره، ويظهر ذلك في:

أولاً: بيان عمل الحروف

1- في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا" [البقرة 26]، قال: "وما هاهنا كلمة عربية ليس لها معنى، زيادة في الكلام، وهو في كلام العرب سواء: بعوضة فما فوقها وما بعوضة فما فوقها"⁽³⁾.

وقد ذكر المفسر أحد أوجه ما في هذا الموضع بأنها زائدة أي لا محل لها من الإعراب، وإن كان علماء اللغة قد ذكروا ل ما في هذا الموضع أربعة أوجه، كما أشار لذلك الفراء في معانيه⁽⁴⁾.

2- قوله تعالى: "وَإِنَّ مِنَ الْجِبَارَةِ لِمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ" [البقرة 74]، قال: "واللام ها

(1): المصدر نفسه، 528/4.

(2): المصدر نفسه، 320/2.

(3): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 90/1.

(4): ينظر تفصيل ذلك: معاني القرآن، الفراء، 22-21/1.

هنا صلة، أي من عيونها ما يكثر ماؤه⁽¹⁾.

وقد أشار هود الهواري إلى أن اللام صلة أي زائدة على اصطلاح المتقدمين، وهذا اختيار المفسر، وإن كان علماء اللغة يعتبرون اللام للتوكيد و ما اسم موصول في محل نصب اسم إن مؤخر، والجار والمجرور من الحجارة خبر إن مؤخر⁽²⁾.

ثانيا: الإشارة إلى الإعراب

1- قوله تعالى: " وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ " [الرحمن 12]، قال: " قوله عز وجل وَالرَّيْحَانُ تفسير الحسن أنه مبتدأ، يقول: وفيها الريحان والرياحين، وتفسير الكلبي الريحان الرزق، وهذا التفسير على من قرأها بالجر، والحب ذو العصف والريحان، يجعلها من صفة الزرع، وبعضهم على المقرأ بالجر، يقول: العصف سوق الزرع والريحان ورق الزرع⁽³⁾.

2- قوله تعالى: " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ " [الحاقة 13]، قال: " بالرفع على ما لم يسم فاعله⁽⁴⁾.

ثالثا: التنبيه على وزن الأفعال

قوله تعالى: " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [الأعراف 54]، قال في شرحه للفظ تبارك: " من البركة وهو تفاعل⁽⁵⁾.

أشار المفسر إلى مسألة صرفية، وهي ذكر وزن فعل تبارك وهو تفاعل، وهو من صيغ المبالغة.

رابعا: توجيه القراءات نحويا

(1): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 117/1.

(2): ينظر: المشكل في إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، 55/1. إعراب القرآن للنحاس 238/1. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، 79/1. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، 164/1.

(3): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 262/4.

(4): المصدر نفسه، 404/4.

(5): المصدر نفسه، 24/2.

من المعلوم أن لعلماء القراءات مسالك شتى في توجيه القراءات القرآنية، لعل من أهمها التوجيه اللغوي للقراءات، وذلك باستعمال مختلف قواعد اللغة والنحو لتوجيه اختلاف القراء في بعض كلمات القرآن، وهذا ما يمكن إدراجه في إطار التفسير اللغوي للقرآن الكريم من باب التوسع والشمول.

وبالرجوع إلى تفسير هود الهواري فإننا نجد قد جنح إلى التوجيه اللغوي للقراءات في العديد من المواضع من ذلك:

1- قوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" [النساء 1]، قال: "أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها في تفسير من قرأها بالنصب، ومن قرأها بالجر⁽¹⁾ فهو كقول القائل: أنشدك بالله وبالرحم"⁽²⁾.

2- قوله تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِيَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ" [الأعراف 26] قال: "وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ: ذلك خير كلام مستقل، ومن قرأها بالنصب⁽³⁾ يقول: أنزلنا عليكم لباس التقوى أي العفاف، إن العفيف لا تبدو له فيه عورة وإن كان عاريا، وإن الفاجر بادي العورة وإن كان كاسيا"⁽⁴⁾.

3- قوله تعالى: "وَهَؤُلَاءِ إِلَيْكَ يَجِدُكَ النَّخْلَةُ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا" [مريم 25]، قال: "وهي تقرأ تساقط ويساقط"⁽⁵⁾، فمن قرأها يساقط يقول: يساقط عليك الجذع، وكان جذع

(1): قرأ حمزة ووافقه المطوعي بالجر، وقرأ الباقون بالنصب، وللقراءة توجهات عديدة. ينظر: اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء الدمياطي، ص 236. الحجة للقراء السبع، أبو علي الفارسي، 121/3.

(2): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 346/1.

(3): قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفًا على ريشا، وقرأ الباقون بالرفع. قال الزجاج ورفعه على ضربين: أن يكون مُبْتَدَأً وَيَكُونُ {ذَلِكَ} من صفته وَيَكُونُ خير خبر الإِيتِدَاءِ الْمُعْنَى وَلِبَاسُ التَّقْوَى الْمُسَارِ إِلَيْهِ خير وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ {وَلِبَاسُ التَّقْوَى} مَرْفُوعًا بِإِضْمَارِ هُوَ الْمُعْنَى وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى أَيْ وَسْتَرِ الْعَوْرَةَ لِبَاسِ الْمُتَّقِينَ. ينظر: حجة القراءات، ابن زنجلة، ص 280. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، 115/1.

(4): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 12/2.

(5): قرأ حمزة بفتح التاء من فوق على التأنيث والقاف وتخفيف السين تَسَاقِطُ، والأصل يتساقط فحذف إحدى التاءين تخفيفًا، ووافقه الأعمش، وقرأ حفص بضم التاء من فوق وتخفيف السين وكسر القاف تَسَاقِطُ

النخلة يابساً وكان آية، ومن قرأها تساقط بالتاء فهو يقول: تساقط عليك النخلة رطباً جنباً (1)".

بمعنى من قرأها بالياء نسب الفعل إلى الجذع، ومن قرأ بالتاء نسب الفعل إلى النخلة.

4- قوله تعالى: " وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ 2 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ " [سبأ 2، 3]، قال: "عالم الغيب من قرأها بالرفع رجع إلى قوله: وهو الرحيم الغفور، عالم الغيب، ومن قرأها بالجر عالم الغيب فهو يقول: قل بلى وربى عالم الغيب، وفيها تقديم، وهي تقرأ على وجه آخر علام الغيب⁽²⁾ وإنما هو كقولك: فاعل وفعال (3)".

المطلب الثالث: الأوجه البلاغية في تفسير هود الهواري

أولاً: أسلوب الإضمار

أسلوب الإضمار من أهم الأساليب البلاغية في لغة العرب، وهو حذف كلمة أو جملة من الكلام مع بقاء ما يدل عليها، بحيث يفهم المعنى من السياق أو من القرائن، وهو فرع من أساليب الإيجاز في البيان العربي، وقد ذكر له علماء البلاغة والنحو أنواع متعددة⁽⁴⁾، ومن

مضارع ساقطت متعد ورطباً مفعوله، ووافقه الحسن، وقرأ يعقوب بالياء من تحت مفتوحة على التذكير وتشديد السين وفتح القاف يَسَاقُطُ، والفعل عليه مسند إلى الجذع، قرأ الباقر بفتح التاء من فوق وتشديد السين وفتح القاف تَسَاقُطُ. ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء الدمياطي، ص 377.

(1): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 11/3.

(2): قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ورويس بوزن فاعل ورفع الميم أي عالم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وروح وخلف عن نفسه بوزن فاعل وخفض الميم أي عالم، ووافقه الشنوبذى وابن محيصن واليزيدي، وقرأ حمزة والكسائي بتشديد اللام بوزن فعال للمبالغة وخفض الميم أي علام ووافقه المطوعي. ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، البناء الدمياطي، ص 457. الحجة للقراء السبع، أبو علي الفارسي، 121/3، حجة القراءات، ابن زنجلة، ص 581.

(3): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 387/3.

(4): ينظر: الكتاب لسيبويه، 70/1-71. دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 163-180.

أمثلة تعرض المفسر لهذا الأسلوب نذكر:

1- قوله تعالى: " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ 14 قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ " [الأعراف 14، 15]، قال: " قَالَ أَنْظِرْنِي: أي أخرني إلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ 14 قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، وقال في آية أخرى: " إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ " [الحجر 38]: أي إلى النفخة الأولى، وأما قوله ها هنا إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ففيها إضمار إلى يوم الوقت المعلوم ⁽¹⁾.

2- قوله تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ " [الأعراف 54]، قال: " وفيها إضمار، وإضمارها الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهذا موضع الإضمار كقوله: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ " [ق 38] ⁽²⁾.

3- قوله تعالى: " وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ " [الرعد 40]، قال: " وفيها إضمار، وإضمارها إنا منهم منتقمون وهي مثل الآية الأخرى " فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ 41 أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلِيمُ الْمُقْتَدِرُونَ " [الزخرف 41، 42] ⁽³⁾.

ثانيا: أسلوب الاستفهام الإنكاري:

أشار المفسر إلى هذا الأسلوب البلاغي في غير ما موضع من ذلك:

1- قوله تعالى: " وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا " [الإسراء 94]، قال: " على الاستفهام، وهذا الاستفهام على إنكار منهم، أي لم يبعث الله ملكا رسولا، فلو كان من الملائكة لآمنا به ⁽⁴⁾.

(1): تفسير كتاب الله العزيز، هود الهواري، 9/2.

(2): المصدر السابق، 24/2.

(3): المصدر نفسه، 314/2.

(4): المصدر نفسه، 356/2.

2- قوله تعالى: "أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" [النمل 60]، قال: "أي ليس معه إله، وهذا استفهام على إنكار" (1).

قوله تعالى: "يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ" [النازعات 10]، قال: "على الاستفهام، وهذا استفهام إنكاري، أي لا نُبعث خلقا جديدا" (2).

ثالثا: أسلوب الوعيد والتخويف: أشار هود الهواري إلى أسلوب الوعيد والتخويف في الربع الأخير من القرآن، الذي يغلب عليه القرآن المكي وما يتضمنه من ترغيب وترهيب، فكان كثيرا ما يعقب بعد تفسيره لبعض الآيات بقوله وهذا وعيد، أو قوله وهذا تخويف، ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: "فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ" [الملك 17]، قال: "وهذا تخويف" (3).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بفضلته تتم الصالحات، وبِعونه وتوفيقه تقضى الحاجات، فقد أتيت على خاتمة هذه الورقة البحثية، والتي سأخصصها لأهم نتائج البحث، وهي:

1- يعتبر هود بن محكم الهواري، من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط، بل اعتبره بعض الباحثين أول مفسر جزائري للقرآن الكريم.

2- يعد تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري اختصارا لتفسير يحيى بن سلام البصري، حيث حذف هود الهواري الأسانيد، واقتصر على ذكر صاحب القول دون سند، أو قوله: ذكروا أو قال بعضهم أحيانا، كما تصرف في العديد من المسائل العقديّة والمنهجية انتصارا لفرقته الإباضية.

3- سلك هود بن محكم الهواري منهج المتقدمين في شرح الغريب، حيث اعتمد في شرحه على النقل في الغالب، من خلال تفسير ألفاظ القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية أو بأقوال

(1): المصدر نفسه، 260/3.

(2): المصدر نفسه، 466/4.

(3): تفسير الكتاب العزيز، هود الهواري، 390/4.

السلف من الصحابة والتابعين.

4- كان لهود بن محكم الهواري اجتهاد في شرح بعض الألفاظ القرآنية الغريبة استنادا إلى قريحته اللغوية، وسعة اطلاعه على كلام العرب وأساليهم، إضافة إلى استشاده بالشعر العربي في بعض المواضع.

5- كان لهود بن محكم الهواري إشارات إلى بعض المسائل النحوية والصرفية في تفسيره، وذلك من خلال ذكر عمل بعض الحروف، أو الإشارة إلى إعراب بعض الألفاظ القرآنية، إضافة إلى التنبيه على وزن بعض الأفعال، كما تعرض إلى توجيه بعض القراءات نحويا.

6- يظهر اهتمام هود بن محكم الهواري بالجانب البلاغي في تفسيره من خلال ذكره لبعض الأساليب البلاغية، كأسلوب الإضمار والحذف وما يفيد من إيجاز، وأسلوب الاستفهام الإنكاري وما يحمله من توبيخ وتقريع للمخاطب، إضافة إلى أسلوب الوعيد والتخويف، وبخاصة في الربع الأخير من القرآن الذي يغلب عليه القرآن المكي وأسلوب الترغيب والترهيب.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، برواية حفص عن عاصم.
- 1- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد الدمياطي، الشهير بالبناء، ت: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1427 هـ/ 2006 م.
 - 2- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط.
 - 3- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط.
 - 4- التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1426 هـ.

- 5- الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق، ط 4، 1418 هـ.
- 6- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي، ت: بدر الدين قهوجي وآخرون، دار المأمون للتراث، دمشق / بيروت، ط 2، 1413 هـ / 1993 م.
- 7- السير، أبو العباس أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1301 هـ.
- 8- الكتاب، عمرو بن عثمان، الملقب سيبيه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408 هـ / 1988 م.
- 9- المشكل في إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، د ط.
- 10- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ط.
- 11- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421 هـ.
- 12- تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محمّد الهواري، ت: بالحاج سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1990 م.
- 13- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط 1، 1422 هـ / 2001 م.
- 14- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د ط.
- 15- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ت: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، ط 1.
- 16- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مساعد طيار، دار ابن الجوزي، ط 2،

1428 هـ.

17- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ.

18- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.

19- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381 هـ.

20- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط 1.

21- معجم أعلام الإباضية، محمد موسى بابا عمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 2000 م.

22- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط 2، 1400 هـ/ 1980 م.

23- مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1490 هـ/ 1980 م.

24- مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1408 هـ/ 1988 م.

أبو العباس الباغائي الخنشلي وتفسيره "أحكام القرآن" 345هـ/401هـ

د. نورة قروي

جامعة غرداية

الملخص:

يعد التراث التفسيري الجزائري دعامة رصينة في تاريخ العلوم الإسلامية، حيث أسهم علماء الجزائر في إثراء المكتبة الإسلامية بتفاسير نفيسة وأبحاث علمية رصينة، ويبرز من بين أولئك الأعلام أحمد بن علي الباغائي رحمه الله، الذي ولد بالأوراس بباغاية، وانتقل إلى المشرق ثم الأندلس، ليحتل مكانة مرموقة بين مفسري عصره، وقد قام البحث بتسليط الضوء على سيرته العلمية، مستعرضا منهجه الخاص في تفسير القرآن الكريم، ومبينا أثره في الحركة العلمية المغاربية والأندلسية، محددا بذلك مكانته العلمية بين علماء عصره ومن جاء بعده، من خلال مؤلفاته، وتلامذته، ومميزات تفسيره، وتأثيره في الدراسات القرآنية.

الكلمات المفتاحية:

الباغائي، التفسير، أحكام القرآن

Summary :

The Algerian interpretive heritage is a solid pillar in the history of Islamic sciences. Algerian scholars have enriched the Islamic library with valuable Quranic exegeses and rigorous research. Among them stands out Ahmed ibn Ali al-Baghai, may God have mercy on him, born in the Aurès region of Begaia. He traveled to the East and then to Andalusia, where he gained a distinguished status among the exegetes of his time. This research highlights his scholarly biography, reviews his unique method of interpreting the Quran, clarifies his impact on the Maghreb and Andalusian scientific movements, and defines his scholarly position through his works, students, interpretive

characteristics, and influence on Quranic studies.

المقدمة:

في كل ثقافة وحضارة، يشكل التراث العلمي لبنة أساس تُرفع هوية الأمة وتحدد مسارها الفكري والمعرفي؛ وفي الجزائر امتدّ صوت المفسرين كضوء ناطق من بين صفحات القرآن، ليستضيء به الباحثون وطلبة العلم، فهم لا يكتفون بقراءة النصوص فحسب، بل يغوصون في معانيها بدقة منطقية متعددة الأبعاد تجمع بين اللغة، الفقه، والسياق التاريخي، ولفتح نافذة على هذا التراث، وفهم كيف صاغ المفسرون الجزائريون هويتهم الفكرية، وكيف شكّلوا جسراً بين نص مقدس وعقول متطلعة تتلمس الوحي في واقع يحيط بها، نقف على أحد أعلام التفسير في بلادنا، أحمد بن علي الباغائي، أحد كبار مفسري القرآن، صاحب الأثر البارز والقدم الراسخة في تفسير آيات الأحكام، حيث قدم شرحاً علمياً دقيقاً لآيات الأحكام من خلال كتابه آيات الأحكام.

وإن دراسة تفسير هذا العلم تساهم في فهم تأويل الأحكام الشرعية بشكل معمق على مذهب السادة المالكية، مما يعزز الاستفادة من التراث التفسيري الجزائري بشكل عام.

إلا أن الدراسة هذه تعنى أولاً بالتعرف على من هو أحمد بن علي الباغائي؟ وما هو منهجه في تفسير آيات الأحكام؟، وما مدى تأثيره على المفسرين من بعده؟.

أما هدفها فتسليط الضوء على سيرة الباغائي العلمية ومنهجه في التفسير؛ وتحليل منهجه في تفسير آيات الأحكام وأهم خصائصه، وتقييم أثر تفسيره في الحركتين العلمية المغاربية والأندلسية.

وسنعرض كل ذلك ضمن الخطة الآتية:

أولاً: ترجمة أبي العباس الباغائي: اسمه ونسبه ونشأته؛ رحلاته العلمية؛ شيوخه وتلامذته.

ثانياً: مؤلفات الباغائي، ومكانتها بين علماء المغرب والأندلس وشهادة العلماء فيه من خلال دراسة: مؤلفاته في التفسير؛ ومكانة مؤلفاته بين علماء المغرب والأندلس وشهادة العلماء فيه.

ثالثا: منهج الباغائي في التفسير من كتابه أحكام القرآن، ومميزاته؛ نرجع من خلالها إلى مصادره في التفسير؛ اعتماده على المذهب المالكي؛ طريقته في عرض الأحكام والاختلاف الفقهي؛ تعامله مع الناسخ والمنسوخ؛ لنختتم بذكر شيء من مميزات تفسيره مقارنة بالمغاربة والأندلس.

أولا: ترجمة أبي العباس الباغائي الخنشلي:

1: اسمه ونسبه ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربيعي الباغائي رحمه الله، ينتسب إلى بلدة باغايا بالأوراس؛ ولد في 345هـ / 956م ببباغايا⁽¹⁾، في أسرة علمية عرفت بالفضل والإصلاح.

بدأت رحلة تعلمه من باغايا وتلقى فيها العلوم الأولى، خاصة القرآن الكريم وعلوم اللغة، قبل أن يشرع في رحلاته العلمية

كان رحمة الله عليه فقيها مالكيا مقرئا حافظا، متبحرا في علم التفسير والقرآن، عرف باهتمامه بتدقيق الأحكام ومعرفة الفقه القرآني وعلوم الرواية.

وتوفي بقرطبة بالأندلس في الأحد 11 ذي القعدة سنة 401هـ / 1011م⁽²⁾، وله 66 سنة⁽³⁾ وترك أثرا معتبرا بين علماء المغرب والمشرق على السواء. ترك وراءه ابنه أبو بكر الباغائي الذي خلفه في الإقراء بجامع قرطبة.

2: رحلاته العلمية:

انتقل من باغايا إلى المشرق فحط الرحال بمصر ليأخذ من كبار شيوخها فتتلمذ للأدقوي النحوي المفسر، وعبد المنعم ابن غلبون الحلبي.

(1) - الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، ابن باشكوال، 15. الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم: ابن بشكوال، تصحيح: عزت العطار الحسني. مكتبة الخانجي القاهرة. الطبعة - 2، 1994 م، ص 87، وطبقات المفسرين للدواودي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/53-54

(2) - ينظر: المراجع نفسها.

(3) - ينظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة: الثانية، 1413 هـ 1993 م، 36/28.

ثم عاود المسير للأندلس فدخلها سنة 376هـ/986م، وبها تصدر للإقراء حتى أصبح أحد علماء جامع قرطبة، واشتهر هناك بعلمه ليستدعيه المنصور بن أبي عامر ليؤدب ولده عبد الرحمان، ثم أقاله.

تقلد خطة الشورى بقرطبة، إثر موت أبي عمر بن المكوي، ثم رفاه المؤيد بالله هشام بن الحكم بقرطبة مكان أبي عمر الأشبيلي على يد قاضيه أبي بكر بن وافد، ولم يطل أمده⁽¹⁾.
3: شيوخه وتلامذته:

* من أشهر شيوخه أبو بكر محمد بن علي الأدفوي المفسر المصري 388هـ صاحب كتاب الاستغناء في علوم القرآن⁽²⁾؛ وعبد المنعم بن عبد الله بن غلبون أبو الطيب الحلبي نزيل مصر 389هـ صاحب كتاب الارشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وشرح أصولهم.

* أما تلاميذه فمنهم ابنه أبو بكر الباغائي، الذي خلفه في الاقراء بجامع قرطبة⁽³⁾؛ وعمر بن نمارة بن عمر بن حبيب بن روح بن مطرح الأموي القرطبي 400هـ⁽⁴⁾؛ وعلي بن محمد بن عبد الله بن منظور القيسي الاشبيلي 426هـ⁽⁵⁾؛ وقاسم بن إبراهيم بن قاسم بن يزيد بن معاوية بن إبراهيم بن أغلب بن عبادة بن سعيد بن حارث بن عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي المعروف ب: ابن الصابوني القرطبي⁽⁶⁾؛ وابن عتاب، قال ابن فرحون: "وقرأ عليه بن عتاب، وناهيك به مزية؟ وكان بن عتاب يستحسن كتابه في الأحكام"⁽⁷⁾.

ثانيا: مؤلفات الباغائي، ومكانتها بين علماء المغرب والأندلس وشهادة العلماء فيه:

(1) - ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية المغربية، ط 1، 198/7
(2) - معرفة القراء الكبار في الطبقات والأعصار، الذهبي، دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997 م، ص 199

(3) - ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 198/7

(4) - الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، ابن بشكوال، ص 375

(5) - ينظر: المرجع نفسه، ص 393، وطبقات المفسرين، للداودي، 429/1

(6) - الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، ابن بشكوال، ص 445

(7) - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور. مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م، 174/1.

1: مؤلفاته في التفسير:

يعد كتاب أحكام القرآن لأبي العباس أحمد بن علي الباغائي من أبرز مؤلفاته وأشهرها، وهو من أوائل كتب التفسير بالأحكام بالمغرب الإسلامي بل عند المالكية عموما. حيث اعتمد في كتابه جمع الآيات التي تتعلق بها الأحكام الفقهية، وقام بشرحها وبيان اختلاف العلماء حولها، وخاصة عند المالكية، مع الاستفادة من أقوال السلف والمعاصرين في عصره.

كتب مختصرا لتفسير القرآن مع التركيز الكبير على آيات الأحكام، وهو عمل أقرب للترتيب الفقهي منه إلى الترتيب الأدبي والقصصي.

لقب الباغائي بالمقرئ لدقته في علم القراءات، فأثر كتابه على مصنفات أحكام القرآن بعده في المغرب والأندلس، و اعتمد مرجعا أساسيا لدى الفقهاء والمفسرين هناك، خاصة في قضايا الأحكام الشرعية.

وقد ساهم في ترسيخ منهج التفسير الفقهي المدرسي عند المالكية وشكل حلقة وصل بين المدرسة المشرقية والمغربية في علم التفسير، واستعملت مادته في التدريس والتأليف لقرون 2: مكانة مؤلفاته بين علماء المغرب والأندلس وشهادة العلماء فيه.

برز الباغائي واحدا من أعمدة التفسير الفقهي في المغرب الإسلامي خاصة في مجال أحكام القرآن، حيث اشتهر باتقانه للقراءات واللغة والناسخ والمنسوخ والفقه، وعرف بجمعه بين دقة المنهج وتوثيق الرواية، إضافة لتضلعه في المذهب المالكي، خصوصا أنه قدم نموذجا مبتكرا لطريقة المالكية في التفسير الفقهي للأحكام؛ وكان يشار إليه كمرجع في المجامع العلمية، ومجالس الاقراء، ولاقت كتبه انتشارا واسعا بين تلامذته ومن جاء بعده؛ حتى قال فيه ابن حيان: "كان ربانيا في علوم الإسلام، جم الرواية شديد الحفظ، آية في ذلك، لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن، وكان بحرا من بحار العلم، وله تأليف في أحكام القرآن..."⁽¹⁾. وأثنى عليه الذهبي أيضا بقوله "وكان أحد الأذكياء الموصوفين، وكان بحرا من بحور العلم، لا سيما في القراءات، والناسخ والمنسوخ، والأحكام"⁽²⁾، وقال عنه بن فرحون: "من

(1) - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 198/7

(2) - الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، ابن بشكوال، ص 87

الطبقة السابعة من الأندلس، يكنى أبا العباس الحافظ، كان بحرا من بحار العلم، وله تأليف في أحكام القرآن⁽¹⁾

كما حضي بثناء بن باشكوال قائلا في حقه: "وكان من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم، وكان في حفظه آية من آيات الله تعالى، وكان بحرا من بحور العلم، وكان لا نظير له في علم القرآن وقراءاته واعرابه، وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا، وهو على مذهب مالك رحمه الله"⁽²⁾.

وقد عدوه من كبار علماء المغرب والأندلس، وذكر في الطبقات والتراجم باعتباره مرجعا لا يستغنى عنه في الفقه المالكي وعلوم القرآن.

ثالثا: منهج الباغائي في التفسير، ومميزاته من خلال كتابه أحكام القرآن.

1: مصادره في التفسير:

اعتمد الباغائي في تفسيره "أحكام القرآن" على مصادر متعددة، أبرزها: القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، التزم غالبا بتوثيق النقل من الصحابة والتابعين، مع عناية خاصة بنقل الروايات الصحيحة⁽³⁾؛ ومثال ذلك قوله: قال الله عز وجل: "ولكم في القصص " معنى هذه الآية أن الله عز وجل جعل القصص ترهيبا، لأن الرجل إذا هم بالقتل تفكر أنه إذا قتل قتل فأمسك عن القتل، فكان في امساكه حياة له ولن هم بقتله، قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: يزني بعد احصان، أو يكفر بعد ايمان، أو يقتل نفسا بغير نفس؛" قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قتل سبعة قتلوا رجلا غيلة، " لو تمالأ عليه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم".

2: اعتماده على المذهب المالكي:

غلب على تفسير الباغائي المذهب الفقهي المالكي، إذ كان يستنبط الأحكام ويعرض الخلاف، غير أنه يلتزم غالبا بترجيحات مذهبه في المسائل العلمية مع تقديم الأدلة

(1) - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون، 174/1

(2) - الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، ابن بشكوال، ص 87، وينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون، 175/1.

(3) - ينظر: المراجع السابقة، ص 177

والترجيحات بناء على أصول المذهب.⁽¹⁾

فمثلا في سورة الحشر قال: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6]؛ قال مالك رحمه الله: إنما يقسم فيكون خمسة للسلطان، وأربعة أخماس لأهل الجيش وما أوجف عليه بالخيول والركاب، وأما ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فالحكم فيه إلى الإمام يضعه بما أراه الله، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأموال بني النضير، وكذلك الحكم فيما يوجد من الخراجات خراجات الأراضي، وكذلك الحكم فيما يؤخذ من أهل الذمة في الصلح والتعشير، وهذا كله يسمى فيئا، وما أوجف عليه بالخيول والركاب يسمى غنيمة، والنظر في الفيء إلى الإمام يضعه حيث يراه.

والخمس الذي يجعل للإمام فيما أوجف عليه بالخيول والركاب اختلف فيه: فقال مالك يضعه الإمام حيث يراه، وإن رأى أن يعطى منه أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل؛ وإن رأى أن يؤثر به أحد هذه الأصناف الأربعة التي أمر تبارك وتعالى أن يقسم عليها وهي ذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، فذلك جائز، وهذا مذهب مالك رحمه الله.

3: طريقته في عرض الأحكام والاختلاف الفقهي

تنظيمه للكتاب جاء بحسب السور والآيات كما في ترتيب المصحف من سورة البقرة إلى الإخلاص؛ وكشأن السادة المالكية فقد بدأ بالبسملة، مناقشا خلافهم مع الجمهور في كونها آية من القرآن منتصرا لمذهبه، وذكر حكم الجهر بها في الصلاة؛ ثم استتبع ذلك بذكر الخلاف في آمين وبين معناها وحكم قراءتها.

وركز على جانب الأحكام الفقهية بشكل بارز، فكان يبدأ عادة بذكر آيات الأحكام بقوله: "قال الله عز وجل"، ثم يشرح ألفاظها ويبين معناها، وما يتعلق باللغة والإعراب باختصار، ليعرض بعدها الأحكام المستنبطة من الآية، ويشير إلى خلاف العلماء في المسألة، ويورد الأقوال المختلفة، مع ميله لما يقرره مذهبه موردا رأي مالك رحمه الله؛ وكان لا يهمل تفاصيل الخلاف عند الحاجة، ويوضح أوجه الاستدلال؛

فمثلا في سورة البقرة، قال: قال الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا

(1) - ينظر: الصلة، لابن باشكوال، ص 175، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، 175/1

تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿البقرة: 190﴾، تحتل هذه الآية أقوالاً:

أحدها: أن يكون المعنى قاتلوا من ليس بينكم وبينه عهد ولا ذمة، ولا تقاتلوا من بينكم وبينه عهد وذمة، فالآية محكمة على هذا القول.

وقال بعضهم: المعنى قاتلوا من يقاتلكم ولا تقاتلوا من لا يقاتلكم من النساء والصبيان، والشيخ الفناه والرهبان، فهذان قولان.

وقال بعضهم: هي منسوخة بقوله: ﴿وَقَتِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: 36]؛ ثم بين الراجح منها فقال وهذا القول الصواب إن شاء الله، لأن القولين الأولين يدخلان فيه⁽¹⁾.

و مثال ذلك أيضا ما ذكره في سورة التوبة حيث قال: قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: 28]، هذه الآية ناسخة للصلح الذي صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ألا يمنع أحدا من البيت.

قال مالك وعمر بن عبد العزيز: يمنع اليهود والنصارى وسائر الكفار من دخول الحرم ومن دخول جميع المساجد.

وقال الشافعي: يمنع المشركون جميعا من دخول الحرم، ولا يمنعون من دخول جميع المساجد.

وقال أبو حنيفة وجماعة: لا يمنع اليهود والنصارى دخول الحرم، ولا من دخول سائر المساجد، وإنما المشركون عنده عبدة الأصنام.

- كما يعرج إلى بيان بعض القراءات إذا كان لها أثر في بيان الأحكام؛ وقد كان يترك الاطناب في المسائل اللغوية والاعراب، بل واكتفى بالإشارات الضرورية، وجعل مقصده الأسامي تحرير الحكم الشرعي واستنباطه من النص القرآني⁽²⁾.

فمثلا في سورة المائدة قال: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6] قرئ "أرجلكم" بالنصب وبالخفض

(1) - أحكام القرآن، الباغاثي، الورقة 14

(2) - ينظر: تفسير آيات الأحكام ومناهجها، علي بن سليمان العبيد، دار التدمرية، من 172 إلى 179

فمن نصبه فالمعنى عنده: فاغسلوا وجوهكم وأرجلكم؛ ومن قرأ " وأرجلكم" بالخفض فالمعنى عنده وامسحوا بأرجلكم لأنه معطوف على قوله " برؤوسكم".
قال بعضهم: المسح ها هنا مراد به الغسل، لأنه حدد إلى الكعبين والمسح لا يحدد فيه؛ وقال بعضهم المسح فرض، والغسل سنة.

4: تعامله مع الناسخ والمنسوخ

أولى الباغائي عناية للناسخ والمنسوخ، فكان إذا مر بآية فيها خلاف حول النسخ أشار إليه، وبين الرأي الراجح لديه حسب أصول مذهبه.⁽¹⁾، مشيراً إلى أسباب النزول، وغيرها من المباحث.

فمثلاً في سورة البقرة قال : قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 191] هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: 89] وبقوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: 191]، ولم يكن القتال جائزاً في الحرم ، ولا في الشهر الحرام؛ ثم نسخ الله ذلك 5: مميزات تفسيره مقارنة بالمغاربة والأندلس.

تميز تفسيره بالتركيز على الأحكام الفقهية بشكل خاص، مع قلة الاستطراد اللغوي والأدبي، وجمع بين الإيجاز والدقة، وعرف بالوضوح في عرض المسائل، وتجنب الاسرائ依ليات والقصص.

في المقابل نجد بعض المفسرين المغاربة والأندلسيين أولو الأدب واللغة والبالغة اهتماماً أكبر، وركزوا في بعض التفاسير على الإشارات الصوفية أو الجوانب الإصلاحية في المجتمع. تميز كتابه بالحذر من الاسرائ依ليات والمرويات غير الموثوقة، إذ انحصر غالباً نقله على الأحاديث والآثار المشهورة.

مع كون كتابه مختصراً إلا أنه قد بلغت السور التي فسرهما ثمانية وسبعين سورة استطاع رحمه الله استنباط الأحكام منها، خلافاً لكثير من مفسري آيات الأحكام ممن يتركون استخراج الأحكام من سور الفصل كون أكثرها نزل بمكة قبل تقرير الأحكام الشرعية والأحكام الفقهية، ولتقريرها التوحيد وقصص القرآن.

(1) - ينظر: المرجع السابق

الخاتمة:

وختاماً فالإمام أحمد بن علي الباغائي رحمه الله يعد من كبار أعلام التفسير والفقه في المغرب الإسلامي، فقد جمع بين دقة المنهج وسعة المعرفة، وبرز في تفسير آيات الأحكام، بأسلوب علمي رصين، ملتزم بأصول مذهب مالك.

وفقد كان له رحمه الله أثره العلمي لم يقتصر على عصره بل ظل مرجعاً في كتب الفقه والتفسير لقرون طويلة، إذ أسهم في تشكيل هوية التفسير الفقهي بالمغرب والأندلس.

كما عزز منهج التفسير الفقهي ونشره في المغرب الإسلامي.

وأسس رحمة الله عليه تقاليد الاجتهاد المالكي في التفسير.

وظل مرجعاً حتى عصرنا بفضل أصالة منهجه ووضوحه.

اعتمد شيخنا رحمه الله عليه منهج التفسير الفقهي، فكان يفسر آيات الأحكام وفق المذهب المالكي مع بيان المسائل الفقهية المرتبطة بكل آية، وعرض الخلاف الفقهي.

وقد رتب تفسيره بذكر الآيات أولاً، ثم عرض الأحاديث المستنبطة منها، وناقش الناسخ والمنسوخ، وأورد أقول المفسرين السابقين، ثم رجح ما يراه راجحاً

ولم يدخل في تفاصيل القصص أو المغازي إلا عند الحاجة الفقهية، وجعل العناية للأحكام العملية والتنبيهات الشرعية.

المصادر والمراجع:

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، تصحيح عزت العطار الحسني، الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: ، مكتبة الخانجي القاهرة. الطبعة الثانية، 1374هـ/ 1955م

ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور. مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري. دار الكتاب العربي، بيروت.

الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997 م
علي بن سليمان العبيد، تفسير آيات الأحكام ومناهجها، دار التدمرية.
القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، مطبعة فضالة، المحمدية المغربية، ط 1 .
محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

البناء المنهجي للتفسير البلاغي عند الإمام النقاوسي ت: 765 هـ دراسة تحليلية في آليات بناء المعرفة وتوظيف المصطلح في رسالة الروض الأزهر في تفسير سورة الكوثر

د.رنان عبد القادر سعيد - د.الأزهري دمانة

جامعة عمارثليجي - الأغواط

المخلص:

تقدم هذه الدراسة تحليلاً متعمقاً ومنهجياً لكتابة "الروض الأزهر" للإمام أبي العباس النقاوسي التي تعد نموذجاً لفهم البلاغة في القرن الثامن الهجري بالغرب الإسلامي، تكشف المداخلة عن طريقة منهجية عالية تتجاوز عرض الجوانب البيانية في سورة الكوثر، لتتعامل مع كيفية بناء المعرفة التفسيرية، كما أثبتت المداخلة أن النقاوسي استخدم توازناً بين الإطالة المقصودة والاختصار المعبر، ومكنه سعة اطلاعه من الاستناد إلى أفكار سابقة من علماء مشهورين مثل الزمخشري والغزالي، وحاولنا التركيز على طريقته في التعامل مع المصطلحات البلاغية من خلال ثلاثة مستويات: التوظيف الإجرائي، والتعريف الاصطلاحي، والتمحيص النقدي، وتصل المداخلة إلى أن الرسالة لا تبرز إعجاز السور القصيرة فحسب، بل تكشف

عن فكر علمي نقدي دقيق امتلكه الإمام النقاوسي، مما يجعلها مرجعا أساسيا لفهم كيفية التفسير البلاغي ضمن الإطار التاريخي وإحياء التراث لهذه المدرسة الجزائرية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية: الإمام النقاوسي- الروض الأزهر -سورة الكوثر -المصطلح البلاغي-

التفسير البلاغي

Abstract

This study presents an in-depth and systematic analysis of "Al-Rawd Al-Azhar" by Imam Abu al-Abbas al-Naqawusi, which is considered a model for understanding rhetoric in the 8th Hijri century in the Islamic West. The paper reveals a highly methodical approach that goes beyond presenting the rhetorical aspects in Surah Al-Kawthar, to address how exegetical knowledge is constructed. The paper also demonstrated that Al-Naqawusi employed a balance between deliberate elaboration and expressive conciseness. His extensive knowledge enabled him to draw upon previous ideas from renowned scholars such as Al-Zamakhshari and Al-Ghazali. We attempted to focus on his method of dealing with rhetorical terms through three levels: procedural application, terminological definition, and critical scrutiny. The paper concludes that the treatise not only highlights the miraculousness of short surahs but also reveals a precise critical scientific thought possessed by Imam Al-Naqawusi, making it an essential reference for understanding rhetorical exegesis within the historical framework and for reviving the heritage of this authentic Algerian school.

Keywords: Imam al-Naqawsi – al-Rawd al-Azhar – Surah al-Kawthar – the rhetorical term – rhetorical exegesis

مقدمة:

تأسس هذه المداخلة على رؤية قوامها أن القيمة الاعتبارية لأي حقل علمي تستمد من مكانة موضوعه، وفي هذا السياق فإن الدراسات القرآنية تتبوأ موقعا مركزيا بوصفها فضاء

معرفيًا يتمحور حول النص المؤسس للحضارة الإسلامية، ومن رحم هذا الاهتمام انبثق التفسير البلاغي كآلية معرفية ومنهجية تهدف إلى استكناه دلالات الخطاب القرآني، واستدراار جواهره، وتوافق ذلك مع نذر أعلام جهابذة أعمارهم لخدمة هذا النص، فكًا لغوامضه البيانية، واستجلاءً لأسرار نظم المعجز.

وضمن هذا الأفق المعرفي تبرز إسهامات علماء الغرب الإسلامي، ومن بين إسهامات هؤلاء العلماء الإمام أبو العباس أحمد بن سعيد النقاوسي الجزائري ت: 747 هـ، الذي يقدم في كتابه التفسيري الموجز "الروض الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر من وجوه الفصاحة وفنون البلاغة والبراعة" أنموذجًا فريدًا في التفسير البياني، فهذا الكتاب يمثل مختبرًا تحليليًا يكشف عن أن السور القصار-على إيجاز مبناها- هي فضاء رحب يزخر بفيض من الدلالات العميقة واللطائف البيانية التي تبرهن على الإعجاز الكامن في أدق الوحدات النصية للقرآن الكريم.

مبررات الدراسة:

تعالج هذه الدراسة حقل التفسير البلاغي، الذي يمثل المقاربة الأكثر التصاقًا بجوهر الإعجاز القرآني، من خلال التركيز على البنية الجمالية والنسق البلاغي للنص. تقدم الدراسة استجلاءً للآليات المنهجية في كيفية تحليل الخطاب القرآني تحليلًا بلاغيًا معمقًا، مما يسهم في إثراء الممارسة البحثية في مجال البلاغة القرآنية. تسهم هذه الدراسة في إحياء التراث التفسيري الجزائري، وتفتح آفاقًا بحثية للاستفادة من مصنفات تفسيرية نوعية لا تزال خارج دائرة التداول الأكاديمي الواسع.

أهداف الدراسة:

تفكيك البنية المنهجية التي حكمت مقاربة الإمام النقاوسي التفسيرية لسورة الكوثر. رصد وتحليل آلياته في استنباط الدلالات التفسيرية واللطائف البلاغية من كل وحدة نصية.

تحديد موقع الإمام النقاوسي ضمن خريطة التفسير البلاغي، والكشف عن مرجعياته العلمية.

الإسهام في خدمة النص القرآني عبر الكشف عن جانب دقيق من تجليات إعجازه البياني

في أقصر سورة

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تتبلور الإشكالية المحورية لهذه الدراسة في التساؤل الرئيس: إلى أي حد يمكن اعتبار كتاب الروض الأزهر لأبي العباس النقاسي تجسيداً منهجياً للتفسير البلاغي، وما الأدوات التحليلية والآليات الاستدلالية البلاغية التي استند إليها في تفسير سورة الكوثر؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

ما هي السمات الفارقة للمنهجية البلاغية التي اعتمدها النقاسي في الكشف عن وجوه الإعجاز البياني؟

كيف تفاعل النقاسي مع المرجعيات العلمية السابقة له، وما مدى حضورها في بنائه المعرفي؟

ما هي أبرز الفنون البلاغية التي هيمنت على تحليله للنص، وكيف وظفها لتعميق الدلالة التفسيرية؟

المنهجية المعتمدة:

للإجابة على هذه الإشكالية تتبنى هذا الدراسة منهجية تجمع بين المنهج الوصفي لتقديم الإطار النظري وتحديد المفاهيم، وترجمة المؤلف، وتوثيق المصنف في سياقه التاريخي والعلمي، وبين المنهج الاستقرائي التحليلي لتتبع كافة الوجوه البلاغية والفوائد التفسيرية في الرسالة واستقرائها.

خطة الدراسة:

تنتظم بنية هذه المداخلة في مقدمة، ومبحثين أساسيين، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن ما سبق عرضه.

المبحث الأول: الإطار التعريفي للدراسة

المطلب الأول: مقارنة مفاهيمية للمنهج والتفسير بلاغي.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام النقاوسي.

المطلب الثالث: تقديم لرسالة "الروض الأزهر".

المبحث الثاني: تحليل البنية المنهجية في تفسير النقاوسي لسورة الكوثر

المطلب الأول: آليات التعامل مع النص القرآني بين التحليل اللغوي والتأصيل البلاغي

المطلب الثاني: منهجيته في توظيف المرويات التفسيرية.

المطلب الثالث: منهجه في التعامل مع المصطلح البلاغي بين التوظيف والتعريف والنقد.

الخاتمة: وتتضمن خلاصة لأهم النتائج المتوصل إليها، مع تقديم التوصيات.

المبحث الأول: الإطار التعريفي للدراسة

المطلب الأول: مقارنة مفاهيمية للمنهج والتفسير بلاغي

الفرع الأول: مفهوم المنهج في الدراسات القرآنية

المنهج لغة:

نهج طريق نهج بين واضح، وهو النهج، والجمع نهجات ونهج ونحوج، وطرق نهجة، وسبيل منهج كنهج، ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا⁽¹⁾ (2)، وكلمة منهج جاءت على وزن مفعّل، والأصل في هذا الوزن أن يطلق على اسم الزمان والمكان والمصدر الميمي⁽³⁾، ولكنها استخدمت هنا كاسم للمكان المطروق الواضح البين⁽⁴⁾.

(1) سورة المائدة الآية: ٤٨

(2) ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الثالثة - 1414 هـ / ج 2 / ص 338

(3) أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله الناشر: مكتبة الرشد الرياض ص ٦١.

(4) عمرو مصطفى الورداني، منهج شريح القاضي، أطروحة لنيل درجة الماجستير جامعة القاهرة كلية دار العلوم قسم الشريعة إشراف الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم شريف، ١٤٢١ هـ - 2001 / ص 2

والفعل نهج، والرباعي منه المزيد أنهج، بمعنى واحد جاء في الأفعال: "نهج الطريق والأمر نهجا ونموها وانهج وضح، ويأتي الفعل نهج بمعنى ملك، جاء في الصحاح نهجت الطريق، إذا سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه"(1)

والخلاصة مما سبق أن كلمتي منهج ومنهج تدور معانيهما حول الطريق الواضح، والإبانة والسلوك، واحتواء كلمتي منهج ومنهج على هذه المعاني الثلاثة هو ما ساعد الكلمتين على التطور اللغوي، لتكتسبا معنا جديدا لم تستعملتا فيه من قبل، ألا وهو الخطة المرسومة وهذا المعنى الجديد هو الذي أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأدخله ضمن مادة معجمه الوسيط، مع وصفه بأنه محدث(2)

التعريفات الواردة في المنهج

للمنهج تعريفات عديدة نذكر بعضها بالتحليل ونحاول استخلاص التعريف المختار، ومن تلك التعريفات ما يلي:

- 1 - فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين؛ أو من أجل البرهنة عليها الآخرين، حين نكون بها عارفين(3).
- 2- الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة(4).
- 3- فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة؛ من أجل الكشف عن

(1) المصدر نفسه / ج 3 ص 123

(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار المعجم الوسيط الناشر: دار الدعوة، بدون طبعة / ج 2 / ص 1957

(3) عمرو مصطفى الورداني، منهج شريح القاضي، ص 3/ يتصرف بسير

(4) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط: 03، 1977م، ص 04

الحقيقة⁽¹⁾

4- المنهج هو مجموعة العمليات العقلية الاستدلالية التي تستخدم في حل مشكلات العلم، وبناء العلم نفسه في مرحلة ما من تاريخه⁽²⁾

التعريف المختار

من خلال التعاريف السابقة وتحليلها تحاول إنشاء تعريف مختار يتناسب وموضوع البحث

فيمكن القول عن المنهج: هو مجموعة القواعد الذهنية المنتظمة التي يسلكها العقل في بيان الحقيقة أو التدليل لها"

ثانيا: التفسير البلاغي نشأته وأهميته

الفرع الثاني: مفهوم البلاغة:

المعنى اللغوي للبلاغة:

جاء في لسان العرب: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى، وتبلغ بالشيء وصل إلى مراده، والبلاغ الكفاية، وبلغ الغلام وصل إلى سنّ التكليف، وبلغت النخلة وغيرها من الشجران إدراك ثمرها، ورجل بليغ وبلغ حسن الكلام فصيح، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه والجمع بُلغاء، وبلغ بالضم بلاغة أي صار بليغا⁽³⁾

المعنى الاصطلاحي للبلاغة

تطورت تعريفات البلاغة اصطلاحاً عبر الزمن ومن قبل علماء مختلفين، مثل أبي عثمان الجاحظ، الذي يعد من أوائل من اهتم بوضع حد للبلاغة، وبعض العلماء فرقوا بين الفصاحة والبلاغة، مثل أبي هلال العسكري، على سبيل المثال، اعتبر أن الفصاحة خاصة

(1) المرجع نفسه.

(2) قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى 2000. ص93.

(3) عمر عبد الهادي عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012، ص59.

بالألفاظ كآلة للكلام، بينما البلاغة مقصورة على المعنى، فوظيفتها هي إيصال المعنى إلى القلب. ونجد أن ابن سنان الخفاجي ذهب إلى أن الفصاحة وصف خاص بالألفاظ فقط، فيقال "كلمة فصيحة" ولا يقال "بليغة".

أما البلاغة فهي عامة في اللفظ والمعنى، ولهذا قرر أن كل كلام بليغ هو فصيح، والعكس ليس صحيحاً دائماً. مروراً بأبي يعقوب السكاكي، الذي قعد قواعد البلاغة وقسمها، عرّف البلاغة بأنها تأدية المعاني بما يراد بالمتكلم في توفية خواص التراكيب وأنواعها، مثل التشبيه والمجاز والكناية. ويظهر من تعريفه أن البلاغة عنده ترجع إلى علم المعاني وعلم البيان باصطلاحهما الضيق. وقد برز معه التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة إلى علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع.

ونجد أن الخطيب القزويني، الذي اشتهر تعريفه للبلاغة واستعمله المتأخرون، عرّفها بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. هذا التعريف يؤكد على ضرورة أن يكون الكلام مناسباً للموقف والسياق، بالإضافة إلى كونه فصيحاً.

باختصار، يمكن القول إن البلاغة اصطلاحاً هي معرفة حسن الألفاظ والتراكيب وجودتها، وكيفية إيصال المعاني الدقيقة بأساليب بيانية تختلف في وضوح دلالتها ومحسناتها اللفظية والمعنوية، مع مراعاة مقتضى الحال⁽¹⁾.

الفرع الثالث: نشأة التفسير البلاغي وأهميته:

نشأة التفسير البلاغي:

إن نشأة التفسير البلاغي وأهميته مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم وقضية إعجازه، لأن التأليف في علوم البيان والبلاغة وُلد في جوّ القرآن الكريم، فقد بدأ العلماء منذ عهد أبي عبيدة معمر بن المثنى بوضع قضية الإعجاز نصب أعينهم عند تأليفهم في البيان.

تُعد قصة أبي عبيدة معمر بن المثنى مع إبراهيم بن إسماعيل مثلاً واضحاً على هذه

(1) ينظر: أهمية علم البلاغة عند أبي حيان الأندلسي من خلال مقدمة تفسيره البحر المحيط، عثمان أبوسعيد،

مجلة المعرفة، العدد الثالث والعشرون - يناير 2025، ص: 353

النشأة؛ حيث سأل إبراهيم أبا عبيدة عن تشبيهه في قوله تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصفافات: 65]، وكيف يقع هذا التشبيه والمشبه به غير معروف. أجاب أبو عبيدة بأن الله خاطب العرب بقدر كلامهم، مستشهداً ببيت امرئ القيس عن الأغوال، فالعرب لم يروا الغول قط، لكن الأمر كان يهولهم. ومنذ ذلك الحين، عزم أبو عبيدة على وضع كتاب في القرآن يتناول أشباه هذا، وهو كتابه "المجاز" الذي كان أول كتاب أُلف في فن البلاغة⁽¹⁾.

تطور هذا العلم تاريخياً على عدة مراحل:

- بدأ بملاحظات في العصور الجاهلية وصدر الإسلام.
 - ثم دراسات منهجية مع أبي عثمان الجاحظ ت 255هـ.
 - ثم أُنتجت نظريات مثل نظرية النظم مع عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ، وتطبيقها الأمثل مع جار الله الزمخشري ت 538هـ في كتابه "الكشاف".
 - انتهى إلى تقعيد القواعد مع السكاكي ت 626هـ والخطيب القزويني ت 739هـ.
- وقد تناول علماء المسلمين، على اختلاف مذاهبهم، مبحث إعجاز القرآن، واتفقوا على كونه معجزاً، وإن اختلفوا في وجوه الإعجاز. وقد أسهم في هذا المبحث كثير من الأعلام مثل أبي عبد الله الواسطي، وأبي سليمان الخطابي، وأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى، وأبي بكر الباقلاني، وعبد الجبار الهمداني، وأبو بكر عبد القاهر الجرجاني الذي يُعتبر فارس ميدان الإعجاز وكاشف سر البلاغة⁽²⁾.

أهمية التفسير البلاغي:

للتفسير البلاغي أهمية عظيمة في فهم القرآن الكريم وإبراز إعجازه، وتتجلى هذه الأهمية في عدة جوانب:

(1) من مقدمة كتاب الصناعتين، أبي هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت لبنان، 1419هـ، ص: 2-3.

(2) ينظر: أهمية علم البلاغة عند أبي حيان الأندلسي من خلال مقدمة تفسيره البحر المحيط، ص: 353.

الكشف عن الإعجاز البياني للقرآن: الهدف الأساسي من التفسير البلاغي هو إبراز الإعجاز البياني للقرآن وكشف دقائق معانيه من خلال تحليل أساليبه البلاغية⁽¹⁾. يرى بعض العلماء أن الثمرة الوحيدة لهذا الفن تكمن في فهم إعجاز القرآن. حتى القائلون بالصرفة القول بأن الناس صُرفوا عن الإتيان بمثل القرآن يرون أن دراسة البلاغة ضرورية لفهم إعجاز القرآن⁽²⁾.

ضرورة للمفسرين: يُعد علم البلاغة أحد أركان اللسان العربي الأربعة اللغة، النحو، البيان، العروض، ومعرفته ضرورية لأهل الشريعة وللمفسرين، وقد عدّه أبو حيان الأندلسي من العلوم التي يحتاجها المفسر، بل هو أشد الناس إليه حاجة⁽³⁾. وقد أشار السكاكي إلى أن الواقف على تمام مراد الله من كلامه مفتقر كل الافتقار إلى علمي المعاني والبيان، وحذر من يتعاطى التفسير وهو فيهما راجل غير متمكن. كما أن عبد القاهر الجرجاني والزمخشري رميا بالجهل والغفلة من يتصدى للتفسير دون إدراك الدقائق والأسرار البلاغية⁽⁴⁾.

الغوص في معاني القرآن وكشف غوامضه: علم البلاغة هو سبيل للغوص في معاني القرآن وكشف غوامضه واستخراج درره وجواهره. بدون هذا العلم، يكون المفسر مجترأ

(1) msf، قراءة في كتاب موسوعة التفسير البلاغي: منارة الإعجاز القرآني في العصر الحديث - منتدى العلماء، 31 أغسطس، <https://www.msf-online.com/%d9%82%d8%b1%d8%a7%d8%a1%d8%a9-2024-%d9%81%d9%8a-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d9%85%d9%88%d8%b3%d9%88%d8%b9%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%81%d8%b3%d9%8a%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d9%84%d8%a7%d8%ba%d9%8a-%d9%85/>, <https://www.msf-online.com/> قراءة في كتاب-موسوعة-التفسير-البلاغي-م.

(2) "tafsir، البلاغة العربية وقضية الإعجاز - من عيون المجالات - علي محمد حسن العماري"، تاريخ الوصول 6 سبتمبر، <https://tafsir.net/article/5142.2025>,

(3) ينظر: أهمية علم البلاغة عند أبي حيان الأندلسي من خلال مقدمة تفسيره البحر المحيط، ص: 356

(4) "tafsir، البلاغة العربية وقضية الإعجاز - من عيون المجالات - علي محمد حسن العماري".

لكلام الآخرين، بعيداً عن كشف خفايا التنزيل⁽¹⁾.

من أبرز التفاسير التي اعتمدت على الجانب البلاغي "الكشاف" لجار الله الزمخشري، و"الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين" لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، و"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" لمحمد بن محمد العمادي الشهير بأبي السعود.

يمكن تشبيه التفسير البلاغي بالعدسة المكبرة التي يستخدمها الصائغ الماهر، بينما يرى البعض الذهب الخام النص القرآني ككتلة واحدة، يأتي التفسير البلاغي ليكبر تفاصيله الدقيقة، ويظهر العروق اللامعة والتشكيلات الفريدة فيه، كاشفاً عن جماله الخفي وقيمه الحقيقية التي لا تُدرك بالعين المجردة، بل تتطلب نظرة متأنية متخصصة⁽²⁾.

المطلب الثاني ترجمة العلامة أبي العباس النقاوسي

الفرع الأول: نسبه ونشأته

نسبه:

هو أحمد بن سعيد بن إسماعيل، المعروف ب: النُّقاوسي، نسبة إلى نُقاوس أو نكاوس وهي مدينة من مدن باتنة حالياً، وهي: بضم أولها وفتح القاف وآخرها مهملة. يُكنى بأبي العباس، وأبوه بأبي عثمان⁽³⁾.

مولده ونشأته:

يذكر أن خالدا البلوي ذكره في رحلته، وذكر أنه رحل من تلمسان قبل الحصار 698 هـ – 706 هـ حيث قال: "فدخل الحضرة أي تونس مشمرا عن ساعد الجد، ومُقتادا بقائد الجَدِّ،

(1) ينظر: أهمية علم البلاغة عند أبي حيان الأندلسي من خلال مقدمة تفسيره البحر المحيط، ص: 356.

(2) - "ملتقى أهل التفسير - الجانب البلاغي في التفسير - المكتبة الشاملة الحديثة"، تاريخ الوصول 6 سبتمبر، 2025،

<https://al-maktaba.org/book/31871/6390>.

(3) الروض الأزهري لأبي عباس النقاوسي، ت: عبد الله مسكين، ص: 09.

فطلع في آفاقها كوكبا ورسا في ساحاتها ككببا⁽¹⁾ ويفهم من لفظه أنه رحل منها زمن الطلب في أول حياته ولما كان حصار تلمسان بدأ في الثاني من شعبان عام 698 هـ فمن المتوقع أن يكون مولده نحو من عام 690 هـ أو قبله بقليل أو كثير⁽²⁾.

والنقاوسي -كما تذكر مصادر ترجمته- علم من أعلام القرن الثامن في بلاد المغرب العربي، ونحوي، من فقهاء المالكية، حافظ، أديب، له مشاركة في علوم التفسير والحديث واللغة والمنطق⁽³⁾.

نشأته

أما عن نشأته فقد نشأ بتلمسان زمن الدولة الزيانية 668 هـ - 961 هـ التي كانت تضح بالحياة العلمية في شن الفنون، وفي علم التفسير على غرار عالمنا هذا برز أعلام منهم: المقري، الشريف التلمساني، لونسلي، البسيلي، ابن مرزوق، العقباني، المشدالي والثعالبي وغيرهم⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

نص النقاوسي على ثلاثة من شيوخه الذين أخذ منهم العلم وذكرهم في مخطوط رسالتنا هذه وهم⁽⁵⁾:

- أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي 631 هـ - 731 هـ: من أعلام بجاية في القرن السابع، ومن أكابر فقهاء المالكية⁽⁶⁾، قرأ عليه النقاوسي كثيرا من

(1) أبو البقاء خالد البلوي، تاج المفرق بتحلية علماء المشرق، اللجنة الوطنية لنشر التراث الإسلامي، بدون سنة نشر، ج: 01، ص 187

(2) الروض الأزهر لأبي عباس النقاوسي، ت: عبد الله بن سليمان السعيد، ص: 06

(3) نفس المصدر، ص: 05

(4) الروض الأزهر لأبي العباس النقاوسي، عبد الله مسكين، ص: 09

(5) الروض الأزهر لأبي عباس النقاوسي، ت: عبد الله السعيد، ص: 06.

(6) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة في بجاية، للغبريني، ص: 229-230

«الموطأ» - أو أكثره - رواية يحيى بن يحيى وسمع عليه كثيرا من «الحاصل والمحصل» تفهما، ومن «مختصر ابن الحاجب» وغير ذلك⁽¹⁾.

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن غريون الأنصاري البجائي ق. 731 هـ: عالم بجاية وخطيبها في وقته، أخذ عنه جماعة من علماء تونس والجزائر، وقال صاحب الوفيات " خطيب قسبة بجاية المتمتع بالرواية، السالك مسلك الدراية"⁽²⁾، لقيه النقاسي ببجاية سنة ست وعشرين وسبع مائة، وناوله فهرسته الكبرى وحديثه بحديث المعمر⁽³⁾.

- أبو عبد الله حمد بن راشد البكري القفصي ق. 736 هـ: من فقهاء المالكية، تعلم في تونس وشغل بالفقه وأصوله ثم رحل إلى المشرق فدرس على شهاب الدين القرافي وتقي الدين بن دقيق العيد وغيرهما⁽⁴⁾، أخذ عليه النقاسي جملة من " مختصر ابن الحاجب" في الفقه تفقها، وقرأ عليه أكثر «مختصره للمحصل»⁽⁵⁾.

تلاميذه:

- أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي بعد 767 هـ: لاقاه النقاسي بتونس، وأقامه بيته إلى حين فارقها سنة 737 هـ، وكان قد قرأ عليه إجازة كتابيه: «الروض الأريض» في العروض و «تلخيص رسالة أحكام صنعة الكلام» في الأدب وكتبها له بخطه كما أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته⁽⁶⁾.

- أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل ابن أبي محمد عبد الله ابن مدين شعيب العثماني: ترجم له الجاديري في «شرح البردة» بقوله: «الحاج الرواية أبو عبد الله بمجمل ابن

(1) الروض الأزهري لأبي عباس النقاسي، ت: عبد الله السعيد، ص: 07.

(2) نيل الابتهاج في تطريز الديباج، أحمد التنبكي، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط 02، ص: 232 / معجم أعلام الجزائر، عادل النوميض، مؤسسة نوميض الثقافية، بيروت، لبنان ط: 2، 1980/1400، ص: 251.

(3) الروض الأزهري لأبي عباس النقاسي، ت: عبد الله مسكين، ص: 10.

(4) نيل الابتهاج في تطريز الديباج، مرجع سابق: ص: 392، 393.

(5) الروض الأزهري لأبي عباس النقاسي، ت: عبد الله السعيد، ص: 06.

(6) تاج المفرق بتحلية علماء المشرق، مرجع سابق، ج: 01، ص: 190.

الشيخ الفقيه هو الرواية الحاج الرحال ذو الوزارتين صاحب الخلافة أبو الفضل بن عبد الله بن أبي مدين العثماني⁽¹⁾.

- أبو القاسم عبد الرحمان بن أبي الفضل ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي مدين شعيب العثماني.

وهذان التلميذان الأخيرين أخوان قد أجاز بهما بهاته الرسالة وغيرها⁽²⁾.

الفرع الثالث: مؤلفاته ووفاته

مؤلفاته

في النحو:

- "تقييد على جمل الزجاجي".

- "تلخيص الفصول".

- "اختصار الجدل النحوي" لابن الأنباري.

في علم البلاغة:

- "تلخيص مشكل الحديث" لابن فورك.

- حديقة الناظر في اختصار المثل السائر في علم البيان.

- "الوشي المنمنم" في البديع.

- "ضياء الإصباح في شرح المصباح" لبدر الدين ابن مالك.

- "الكتاب المختار من كتاب الانتصار" للقاضي أبي بكر الباقلاني.

- "التنبيه على ما أقوله الفقيه أبو محمد" مكي في اختصار كتاب "نظم القرآن"

(1) الروض الأزهري لأبي عباس النقاشي، ت: عبد الله مسكين، ص: 11.

(2) نفس المصدر، ص: 11

للجرجاني الحسن بن نصر.

- "شرح القصص الجليل في علم الخليل" لابن الحاجب في العروض.
- "الروض الأريض في علم القريض".
- "الروض المربع فيما تضمنه قصيدة الشقراطي من البديع".
- "الروض الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر من وجوه البلاغة وفنون الفصاحة والبراعة".
- "تلخيص رسالة أحكام صنعة الكلام" لأبي عبد الله ابن عبد الغفور وغير ذلك⁽¹⁾.

وفاته

من خلال تصنيفه لمصنفه الذي بين أيدينا عام 747 هـ، فإنه ذكر في خاتمة إجازة يفهم منها أنه جاوز مرحلة الشباب، ومن الغريب أن صاحب معجم أعلام الجزائر ذكر أنه توفي بعد عام 765 هـ اعتمادا على أن خالد البلوي لقيه قبل هذا العام وذكره في كتابه تاج المفرق في تحلية أهل المشرق⁽²⁾، والحق أن البلوي غادر تونس في رحلته التي لقي بها النقاوسي في السابع عشر من ربيع الثاني عام 737 هـ⁽³⁾ على أن النظر في وفيات شيوخه وما يفهم من حديث خالد البلوي من تقاربهما في السن قد يجعل من وفاته في السنة التي ذكرها صاحب المعجم أو قريبا منها أمرا غير مستبعد⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: دراسة في توثيق الرسالة ونسبتها لصاحبها

الفرع الأول: توثيق نسبة الرسالة لمؤلفها وتاريخها وسبب التأليف

(1) الروض الأزهر لأبي عباس النقاوسي، ت: عبد الله مسكين، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 2020/1442م، ص: 12.

(2) معجم أعلام الجزائر، عادل النوهض، ص: 323-331.

(3) تاج المفرق، مرجع سابق، ص: 53، 187 وما بعدها.

(4) الروض الأزهر لأبي عباس النقاوسي، ت: عبد الله بن سليمان السعيد، ص: 09.

توثيق نسبة الرسالة لمؤلفها وعنوانها الصحيح

ممّا يؤكّد نسبة هاته الرّسالة لأبي العباس أحمد النقاوسي رحمه الله:

أنّ المؤلّف قد نسبها لنفسه في إجازته المزبورة بخطه آخر النّسخة؛ حيث قال: أجزتُ للشّابّين... جميع هذا الكتاب وغيره من مؤلفاتي ومروياتي ...

إقراره كذلك - لهاته النسبة المرقومة غلاف النسخة الخطية، والتي قام على تصحيحها بيده رحمه الله.

أنّ النّاسخ نسبها له، وهو أحد تلاميذه على الأرجح.

وأما عنوانها؛ فكما جاء مثبتا غلاف النسخة الخطية: الرّوضُ الأزهر فيما تضمنته سورة الكوثر من وجوه البلاغة وفنونِ الفصاحة والبراعة⁽¹⁾

تاريخ وسبب تأليف الرسالة

لم يؤنّخ المؤلّف لانتهاه من تسطير رسالته، إلّا أنّ تأريخه لإجازته آخر النسخة الخطية بقوله: أجزتُ ... جميع هذا الكتاب ... قال هذا كله وكتبه بخط يده الفانية ... أحمد بن سعيد بن إسماعيل المعروف بالنقاوسي ... وذلك في السادس والعشرين لجمادى الأولى من عام سبعة وأربعين وسبع مائة، مما يستلزم القطع بأنّ تأليفه لها كان قبل هذا التاريخ 747هـ.

أما عن سبب تأليفه لها، فقد أبان رحمه الله عن ذلك بقوله -ختام رسالته:

وإنّما القصد بهذا وأمثاله:

- 1 التنبيه على بعض ما تشتمل عليه السّورة من وجوه الإعجاز.
- 2 وبيان كيفية التّدرب في علم البلاغة والفصاحة.
- 3 وأن لا علم في باب التّفسير - بعد علم الأصول - أولى منه بكتاب الله تعالى.
- 4 ولأنّ في ذكر هذه الوجوه وأمثالها كشفًا عن الأسرار التي تضمنها الكلام، ودلالة على

(1) الرّوضُ الأزهر، تحقيق ودراسة عبد العزيز بن عز الدين مسكين، ص: 08.

جلالها في نفسها، وأنه لم يَجِئْ شيءٌ من ذلك إلا على أجمل مرتبة، وأعلى طبقة، وهي عِلِّيٌّ عَقْلِيَّةٌ شَاهِدَةٌ على حِكْمَةِ واضعِها، ودَالَّةٌ على أن هذا العِلْمَ من أشرف العلوم الدينية، إذ به يتوصل إلى معاني التنزيل، وإعطائه حَقُّهُ مِنَ التَّأْوِيلِ؛ فاعْرِفْ قَدْرَهُ، وَأَحْسِنْ تَدْبِيرَهُ.

كما ابتغى بها القُرْبَةَ عند الله، فقال: راجيا من الله -سبحانه - جَزِيلَ الثَّوَابِ⁽¹⁾

الفرع الثاني: موضوع الرسالة وقيمتها العلمية وترتيبها.

موضوع الرسالة وقيمتها العلمية

أفصح المؤلف رحمه الله مطلع رسالته عن مُضْمَنِّها فقال: هذه ... نُكْتُ من علوم التنزيل، وعُيُون التَّأْوِيلِ، في تفسير سُورَةِ الْكَوْثَرِ، وبيان ما فيها من وجوه البلاغة، وفنون الفصاحة والبراعة⁽²⁾؛ وعليه فإنه تناول سورة الكوثر بالتفسير والبيان، مُعْتَنِيًا بِنَكْتِ البلاغة والبيان، ذلك أَنَّ الله عزوجل تحدى البلغاء والفصحاء بِسُورَةٍ فَرِدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس:39] وأقصر سُورِهِ سُورَةَ الْكَوْثَرِ، فَعَجَزَ الْقَوْمُ عن الإتيان بمثلها؛ فبكتهم الله عزوجل بقوله: ﴿... لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24]، لَأَنَّ التَّحْدِي بِسُورَةٍ منه كالتَّحْدِي به جملة، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].

ترتيب الرسالة

بعدما استفتح المؤلف رحمه الله رسالته بالبسملة والصَّلَاة والدُّعَاء؛ أبان عن مَقْصَدِهِ من التَّأْلِيفِ باختصار؛ ثُمَّ ثَنَّى بثلاثٍ لطائف حول السُّورَةِ في صُورَتِها الإجمالية، كانت الأولى عن اشتغالها أكثر معاني التنزيل، والثانية في مقابلتها بالسُّورَةِ قبلها، وأما الثالثة ففي بعض أسرارها، وبعدها شرَعَ يبين فوائد السُّورَةِ آية آية، فكانت أقسامًا ثلاثة:

الأول: في فوائد قوله عزوجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ 1﴾، سبع وعشرون فائدة.

الثاني: في فوائد قوله عزوجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ 2﴾، ثنتان وثلاثون فائدة.

(1) المصدر السابق، ص: 08، 09

(2) الروض الأزهري لأبي العباس النقاوسي تحقيق ودراسة عبد الله بن عمر الدين مسكين. ص 8

الثالث: في فوائد قوله: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ 3﴾، إحدى وعشرون فائدة. ولما أُنَاجَ فاستراح، أبان عُذْرَهُ قَائِلًا: وَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ فِي هَذَا الْمَخْتَصَرِ، مِنْ نُكْتِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَلَعَلَّ مَا تَرَكْتُهُ أَكْثَرَ بِأَضْعَافٍ مَضَاعِفَةٍ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَقْصِدَهُ التَّنْبِيْهَ عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الْإِعْجَازِيَّةِ، وَكَيْفِيَّةِ التَّدْرِبِ عَلَى الْفُنُونِ ذِكْرَ الْبَلَاغِيَّةِ، وَاخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ⁽¹⁾.

المبحث الثاني: تحليل البنية المنهجية في تفسير النقاوسي لسورة الكوثر

المطلب الأول: آليات التعامل مع النص القرآني بين التحليل اللغوي والتأصيل البلاغي

الفرع الأول: توسعه وإطنابه

نهج النقاوسي رحمه الله نهج التوسع والإطناب لكن في مواضع قليلة من كتابه فقد يطيل في الفائدة كما في إيراد الخلاف في تفسير معنى الكوثر في الفائدة السابعة عشرة من الآية الأولى في قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر».

فبدأ الفائدة بمعنى الكوثر في لغة العرب ثم استشهد ببيت للكميت ثم بسط القول في معنى الكوثر عند المفسرين على أقوال كثيرة، وأورد معاني أخرى للكوثر بأنه الخير كله كما جاء في تفسير الطبري عن مجاهد، وقيل المعجزات وقيل القرآن وقيل النبوة وقيل الإسلام وقيل كثرة الأمم وقيل الشفاء وذكر أقوالا عديدة في معنى الكوثر.

ومن أوجه التوسع والإطناب عند النقاوسي رحمه الله ما ذكره في الفائدة السادسة عشر من الآية الأولى في قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر»، فقال أن في قوله تعالى: «إنا أعطيناك» فيه تداخل وإدماج وهو من وجوه البديع وذكر أن فيه دليل على حسن التضمين. ودلل على ذلك بآيات كثيرات من القرآن الكريم كقوله تعالى: «قال رب إني وهن العظم مني»⁽²⁾ وقوله

(1) الروض الأزهري لأبي العباس النقاوسي تحقيق ودراسة عبد الله بن عمر الدين مسكين. ص 14

(2) مريم: 4

تعالى: «امرنا مترفعها ففسقوا فيها»⁽¹⁾ وغيرها من الآيات.

ثم أورد إشكالا هل يجوز أن يسمى ما في القرآن من الفواصل سجعا؟

فسرد أقوال المفسرين والبلاغيين ممن حكي عنهم المنع في ذلك كالباقلاني وأبو الحسن الأشعري والرماني. وأطنب في ذكر أقوالهم من كتبهم رحمهم الله تعالى⁽²⁾.

ومن إطنابه رحمه الله أنه قد يذكر في الآية الواحدة فائدتين أو أكثر كما في الفائدة الرابعة من الآية الثانية⁽³⁾. فقال بأن الله سبحانه لم يؤكد الصلاة هنا فلم يقل مثلا: «فَصَلِّينَ»، ولم يأت بها بلام الأمر ولا بصيغة الأمر المؤكدة باللام كأن قال: «فَلْتُصَلِّ لِرَبِّكَ» وذلك لنكتة سرية: لأنَّ ما يُجِبُّه المأمور يكفي في حَتِّه مجرد ذكره، والصلاة من أحبِّ الأعمال إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». وفي ذلك إشارة إلى أنَّ المطلوب بالصلاة هنا الإعراض عن الأعداء وترك الالتفات إليهم..

ومن إطنابه أنه يورد الأقوال الكثيرة في المسألة الواحدة كما في الفائدة الخامسة من الآية الثانية في معنى الصلاة أنها الصلاة المكتوبة وقيل صلاة يوم النحر.

ومن إطنابه في الشرح فإنه يأتي بعبارات منها: «وتحريره» «وبيانه»، كما في الفائدة الرابعة من الآية الأولى عندما قال وابتداء هذه السورة في نهاية من الحسن يظهر ذلك بالتأمل فيها، وبيان ذلك أن في مطلعها التشبيه على معنى ما جيء بالسورة لأجله وهو تعظيم الله تعالى جده. بل هذا المعنى هو المقصود لجميع سور القرآن وآياته وما عداه فتابع له ومسوق لأجله.

الفرع الثاني: اختصاره في التفسير

اتسمت جل فوائد هذه الآيات من هذه السورة بالاختصار والإيجاز كما في الفائدة الحادية عشرة من الآية الأولى حين قال رحمه الله: وفي الإقبال على الرسول صلى الله عليه

(1) الإسراء: 16

(2) الروض الأزهر، ت: عبد الله مسكين، ص: 35

(3) المرجع نفسه، ص: 55

وسلم بالخطاب إكرام له وإعظام الكريم منزلته ولهذا المعنى لم يقل: الله أعطاك الكوثر⁽¹⁾. وكما في الفائدة الثالثة عشرة من الآية الأولى حيث قال رحمه الله: وقد يحتج بهذه الآية استعمال الكلمة في حقيقتها ومجازها معا. ويدل عليه أيضا قوله تعالى: «والذين تبوءوا الدار والإيمان»⁽²⁾.

وكما في الفائدة الموفية للعشرين من الآية الأولى حيث قال رحمه الله: أتي بهذه الصفة مصدرة بلام التعريف، لتكون لما يوصف بها شاملة وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة. وكما في الفائدة التاسعة من الآية الثانية حيث قال رحمه الله صل صيغة أمر مقتضية للوجوب -على المختار- وفي ذلك دليل على إيجاب شكر المنعم لما مر من أن الأمر بالصلاة عبارة عن الأمر بالشكر.

وكما في الفائدة الثانية عشرة من الآية الثانية حيث قال رحمه الله قوله: «صل» أمر معلق على علة ثابتة وهي إعطاؤه الكوثر فوجب أن يتكرر الفعل لتكرير علته اتفاقا لإجماع على اتباع العلة لا لصيغة الأمر⁽³⁾، وهنا يكتفي بالإشارة إلى الفائدة دون تحرير موضوعها أو سبب الاستدلال بها كما في الفائدة الثالثة عشرة من الآية الثانية حيث قال رحمه الله صل أمر بمطلق الصلاة فلا يكون نهيا عن ضدها خلافا لمن يرى ذلك نظرا إلى ما يلزم المتلبس بالعبادة من ترك أضدادها.

ومن صور اختصاره ما ذكره في الفائدة السادسة عشرة من الآية الثانية حيث قال رحمه الله: قيل لربك دون أن يقال: لخالقك ونحوه لأنه أكمل وأتم في التعظيم لله تعالى الاشتمال لفظ "الرب" على ما لا يحيط به الوصف من صنوف الإمام.

وفي خلاصة هذا المطلب يمكن القول بأن التحليل الدقيق لهذا المقطع من تفسير الإمام النقاوسي يكشف عن بنية منهجية فارقة، قوامها التكتيف المعرفي والإيجاز الدال، فالإمام لا

(1) المرجع نفسه ص: 58

(2) الحشر: 9

(3) الروض الأزهري، ت: عبد الله مسكين، ص: 59.

يقدم تفسيرًا تحليليًا مبسوطًا، بل يستخلص "فوائد" مركزة تمثل ومضات معرفية، تكشف عن مقارنة تكاملية عميقة، فهو ينتقل بين حقول البلاغة القرآنية لاستجلاء أسرار النظم، وفقه اللغة للكشف عن دقة اختيار المفردة القرآنية، وهذا يقدم النقاوسي برهانًا عمليًا على أن التفسير البلاغي هو من أبرز سمات الإعجاز في السور القصار، ويحول تفسيره من مجرد شرح للآيات إلى تقديم مفاتيح تدبرية تفتح للباحث المتخصص آفاقًا متعددة لفهم أبعاد النص القرآني بأقل عبارة وأعمق دلالة.

المطلب الثاني: منهجيته في توظيف المرويات التفسيرية

الفرع الأول: نسبة الأقوال التي أصحابها

نجد النقاوسي رحمه الله تارة ينسب الأقوال إلى قائلها، وفي الأعم الأكثر لا ينسبها فممن مؤهل بالنقل عنهم:

الباقلائي القاضي أبو بكر بن الطيب كما في الفائدة السادسة عشرة من الآية الأولى حينما أورد مقالًا فقال: هل يجوز أن يسمى ما في القرآن من الفواصل سجعا؟

فحكى رحمه الله المنع من ذلك حين قال وقال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلائي رحمة الله عليه في توجيه ذلك: «لأن السجع في الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ بخلاف فواصل القرآن، فإن اللفظ فيها يقع تابعا للمعنى ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره. ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى»⁽¹⁾.

وممن صرح بالنقل عنهم كذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري من نفس الفائدة السالفة الذكر حيث كذلك حكى المنع عنه من وقوع السجع في القرآن حيث قال رحمه الله النقاوسي «قلت: حكى المنع من ذلك عن الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه»⁽²⁾. وكذلك ممن صرح بالنقل عنهم الرماني أبو الحسن علي بن عيسى من نفس الفائدة السالفة الذكر في منع السجع في القرآن، حيث قال النقاوسي رحمه الله ونحو لابي الحسن علي بن عيسى الرماني

(1) أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ص: 57

(2) الروض الأزهري، ت: عبد الله مسكين، ص: 44

وقال: «إنما اخذ السجع في الكلام من سجع الجماعة، وذلك انه ليس فيه إلا الحروف المتشاكلة»⁽¹⁾.

وممن صرح بالأخذ عنهم الزمخشري رحمه الله كما في الفائدة عشرين من الآية الثالثة حيث قال النقاسي رحمه الله «وعدّ صاحب "الكشاف" من هذا غير أية».

الفرع الثاني: الترجيح بين الأقوال

يلاحظ أن النقاسي حين يرجح بين الأقوال يأتي بألفاظ منها: «ولأولى» وعند التحقيق، من ذلك ما ذكره في الفائدة السابعة عشرة من الآية الأولى عند سرده للأقوال في معاني الكوثر فذكر انه نهر في الجنة واستدل عليه بالأحاديث الصحيحة⁽²⁾ كحديث أنس في صحيح البخاري ومسلم وحديث ابن عمر وعائشة عند الطبري، وأورد أقوالا أخرى بأنه الخير كما في الصحيح عن ابن عباس عن البخاري وقيل إنه المعجزات وقيل انه القران وقيل انه النبوة الى غير ذلك من الأقوال التي سردها ثم رجح الجمع بعبارة رائعة فقال رحمه الله: وهذه الأقوال -عند التحقيق- أمثلة لما دل عليه الكوثر من الخير الكثير كما تقدم من تفسير ابن عباس وابن جبير ومجاهد وذلك ان حمل الكوثر على بعض النعم ليس أولى من حمله على بعض، فوجب حمله على جميعها قضاء بحق العموم⁽³⁾.

ومما ذكره في ذلك من مجيئه بالفائدة الخامسة من الآية الثانية عند ذكره للأقوال في معنى فصل فقال: قيل المعنى بالصلاة المكتوبة والمراد الدوام عليها وقيل صلاة يوم النحر، وقيل صلاة الفجر بالمزدلفة وقيل الدعاء ثم رجح فقال والأولى في التأويل: أن يكون الأمر بالصلاة تنبيها على سائر العبادات لأنه حث على الشكر على النعم وترك المبالاة بالعدو كما تقدم، فلا يكون التخصيص بعض الصلوات دون بعض وجه.

وكذلك يلاحظ أنه انتهج في ذكر الأقوال أنه يومئ بضعفها بصيغة التمرّض: ومن ذلك الفائدة السابعة عشرة من الآية الأولى عند ذكره أقوال المقريني في معنى الكوثر فقال هو نهر

(1) علي الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص: 98

(2) الروض الأزهر، المصدر السابق، ص: 47/46

(3) المرجع نفسه، ص: 34.

في الجنة، وقيل: المعجزات، وقيل: القرآن، وقيل: النبوة، وقيل: الإسلام، وقيل: الشفاعة إلى غير ذلك من الأقوال.

ومن ذلك الفائدة الثانية والعشرون من الآية الثانية عند ذكره أقوال المقري في معنى النحر فقال قيل المراد به نحر البدن بمنى وقيل: الذبح يوم الأضحى وقيل: استقبال القبلة، وقيل: وضع اليمين على الشمال في الصلاة، وقيل ارفع يديك أول ما تكبر في الافتتاح نحو تحرك⁽¹⁾.

ومن ذلك الفائدة الثالثة من الآية الثالثة عند ذكره أقوال المقري في من نزلت "إن شأنك هو الأبر" فقال: قيل نزلت في العاصي بن وائل، وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقيل نزلت في أبي جهل، وقيل نزلت في أبي لهب.

وخلاصة هذا المطلب يلاحظ بأن تتبع المرجعيات المعرفية التي شكلت البناء العلمي لرسالة "الروض الأزهر" يكشف عن سمة منهجية بارزة، تتمثل في النقل الضمني والتناص العميق مع أعلام المعرفة الإسلامية الذين سبقوا الإمام النقاوسي، فالنص وإن كان منسوباً إليه، إلا أنه في حقيقته نسيج معرفي تتداخل فيه أصوات كبار العلماء بتصريح منه أحيانا ومن غير تصريح بأسمائهم أحيانا أخرى، وهو ما يعكس عرفاً علمياً سائداً في عصره، يتجلى ذلك في استيعابه لدقائق التحليل البلاغي من الزمخشري والقزويني، وتوظيفه للتقسيمات الموضوعية لمعاني القرآن من "جواهر القرآن" لأبي حامد الغزالي، واستلهامه للفتات دقيقة في الشرائع المحمدية من كتاب "الشفاء" للقاضي عياض. إن هذه الممارسة لا تقلل من قيمة عمل النقاوسي، بل تضعه في سياقه المعرفي الصحيح، وتكشف عن طبيعة تكوينه العلمي الذي يصهر معارف سابقه ويعيد إنتاجها في سياق تفسيري مكثف وموجه لخدمة الإعجاز البياني في سورة الكوثر.

المطلب الثالث: منهجه في التعامل مع المصطلح البلاغي بين التوظيف والتعريف والنقد

اتسمت مقارنة الإمام النقاوسي للمصطلح البلاغي بالتدرج المنهجي وعدم النمطية، فقد

(1) الروض الأزهر، : عبد الله مسكين، ص: 63.

تراوح تعامله مع الحدود البلاغية بين ثلاثة مستويات: مستوى التوظيف الإجرائي الذي يكتفي فيه بذكر المصطلح، ومستوى التعريف الاصطلاحي الذي يقدم فيه حد المصطلح، وصولاً إلى مستوى التمهيص النقدي الذي يتجاوز فيه مجرد النقل إلى مناقشة التعريف ذاته، ويتجلى هذا المستوى الأخير بوضوح في موقفه النقدي من تعريف الالتفات.

الفرع الأول: التعريف الاصطلاحي

براعة الاستهلال: فعرفه بقوله: «ما دل على معنى ما أسبق الكلام له»⁽¹⁾ كما في الفائدة الرابعة من الآية الأولى.

الالتفات: فعرفه بقوله: «هو عبارة عن نقل كل واحد من الألفاظ التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر»⁽²⁾ كما في الفائدة التاسعة عشرة من الآية الثانية.

حسن التخلص: فعرفه بقوله: «هو الخروج من معنى إلى آخر بلطفية تلائم بينهما»⁽³⁾ كما في الفائدة الرابعة عشرة من الآية الثالثة.

الاستغناء: فعرفه بقول: «هو استقلال كل جملة بنفسها واستغناؤها عن كل واحدة من بنات جنسها»⁽⁴⁾ كما في الفائدة الحادية والعشرون من الآية الثالثة.

الفرع الثاني: التوظيف الإجرائي

إن الجرد المصطلحي للفوائد البلاغية التي استنبطها الإمام النقاوسي يكشف عن سمة منهجية جوهرية، تتمثل في توظيفه المكثف للمصطلح البلاغي توظيفاً إجرائياً وتطبيقياً، دون الخوض في حدوده النظرية أو تعريفاته الاصطلاحية، فهو يفترض مسبقاً وجود متلقٍ متخصص، يمتلك كفاءة معرفية بالمفاهيم البلاغية المتنوعة، مثل تعرضه للإيجاز والتغليب، مروراً بالترصيع وحسن الخاتمة.

إن غاية النقاوسي لم تكن تعليم البلاغة، بل توظيفها كأداة إجرائية وكاشفة لإبراز

(1) تاج الدين السبكي، عروس الأفراح، ج: 02، ص: 341.

(2) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 199.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، ج: 02، ص: 251.

(4) الروض الأزهري، ت: عبد الله مسكين، ص: 77.

مكامن الجمال والإعجاز في النظم القرآني، وهذا الحشد المصطلحي الكثيف في رحاب سورة قصيرة يؤكد أننا أمام ممارسة تفسيرية نخبوية، تعتبر الملكة البلاغية مفتاحاً أساسياً للولوج إلى أعماق الدلالة القرآنية، لذا نجده يعرض عن أنواع بلاغية لم يتعرض لحدودها، وإنما اكتفى بالإشارة إليها، مثل التجانس كما في الفائدة الثانية من الآية الأولى، والإيجاز كما في الفائدة الثانية من الآية الأولى كذلك، والإيماء كما في الفائدة الثالثة من الآية الأولى، والاختصاص كما في الفائدة التاسعة من الآية الأولى، والخطاب كما في الفائدة الحادية عشرة من الآية الأولى، وحسن الوصف كما في الفائدة الحادية والعشرون من الآية الثالثة كذلك، تحقيق الوصف كما في الفائدة الحادية والعشرون من الآية الثالثة كذلك⁽¹⁾.

الفرع الثالث: التمهيد النقدي

كما في الفائدة التاسعة عشرة من الآية الثانية فقد انتقد النقاسي بعض ألفاظ الحدود حينما عرف الالتفات فقال: وهو عبارة عن نقل كل واحد من ألفاظ التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر.

ثم قال: وقلت: «من ألفاظ» دون أن أقول: «من ضمائر» كما قال بعض المتأخرين ليشمل حالتي الإضمار والإظهار⁽²⁾.

خاتمة

في ختام هذه الرحلة المعرفية مع الإمام أبي العباس النقاسي في "الروض الأزهر"، نكون قد تجاوزنا مجرد عرض اللطائف البلاغية إلى الغوص في البنية العامة للمنهج التفسيري الذي أنتجها، لقد كشفت هذه الدراسة عن منظومة منهجية متكاملة، لا يمكن اختزالها في مجرد تطبيق للقواعد البلاغية، بل هي عملية بناء معرفي مركب، وبناءً على ما سبق، يمكننا إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية:

أثبت البحث بالأدلة القاطعة صحة نسبة الرسالة ومكانتها كوثيقة علمية مهمة تكشف

(1) المرجع السابق، ص: 35، 36، 40، 41، 42، 43، 48، 49، 51.

(2) الروض الأزهر، ت: عبد الله مسكين، ص: 62.

عن ملامح مدرسة التفسير البلاغي في المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري. إن رسالة "الروض الأزهر" ليست تفسيرًا تحليليًا تقليديًا، بل هي نموذج للتفسير البلاغي المنهجي المكثف الذي يقدم فوائد مركزة، ويفترض في المتلقي كفاءة علمية عالية. كشف البحث أن النقاوسي يمارس عملية إعادة إنتاج لمعارف سابقة كالزمخشري والغزالي والباقلاني، مما يجعل رسالته نسيجًا معرفيًا متينًا يعكس تقاليد التلقي العلمي في عصره.

يتملك النقاوسي آلية واضحة في التعامل مع الخلاف، تتمثل في الترجيح جمعا وتأويلا، ويستخدم صيغ التمريض قيل للإشارة إلى الأقوال المرجوحة. أثبتت الدراسة أن تعامله مع المصطلح البلاغي ليس نمطيًا، بل يتدرج عبر ثلاثة مستويات: التوظيف الإجرائي، والتعريف الاصطلاحي، والتمحيص النقدي، كما فعل مع مصطلح الالتفات.

لم يكن النقاوسي مجرد ناقل، بل كان باحثًا ذا حس نقد، ويتجلى في تدقيقه لبعض الحدود البلاغية، مما يدل على شخصية علمية فاحصة تسعى إلى تهذيب أدوات العلم. برهنت رسالته على أن التفسير البلاغي ليس علمًا منعزلًا، بل هو نقطة تقاطع تتكامل فيها علوم الأصول واللغة والمنطق لخدمة الهدف الأسى وهو كشف إعجاز النظم القرآني. تقدم الرسالة دليلًا عمليًا على أن السور القصار، على وجازة مبنائها، هي فضاء رحب ومختبر مثالي لاستجلاء أسرار الإعجاز البياني.

وبناءً على نتائج البحث فإننا نقترح التوصيات التالية:

إجراء دراسات مقارنة بين المنهج التفسيري للنقاوسي ومناهج نظرائه من مفسري المشرق والغرب الإسلامي، للكشف عن ملامح التفرد والتقليد في المدرسة التفسيرية الجزائرية القديمة.

التوسع في البحث عن الروافد المعرفية والمصادر التي شكلت العقل التفسيري للنقاوسي، وفهم آليات تفاعله مع نصوص الأقدمين كالزمخشري والغزالي.

تحليل البنية الحجاجية والمنطقية في خطاب النقاوسي التفسيري، وبيان كيف وظف

البلاغة كأداة للإقناع العقلي بوجوه الإعجاز القرآني.

المصادر والمراجع:

إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط05، 1995م

أهمية علم البلاغة عند أبي حيان الأندلسي من خلال مقدمة تفسيره البحر المحيط، عثمان أبوسعيد، مجلة المعرفة، العدد الثالث والعشرون - يناير 2025،

البلاغة العربية وقضية الإعجاز - من عيون المجلات - علي محمد حسن العماري، "تاريخ الوصول 6 سبتمبر، 2025

تاج المفرق بتحلية علماء المشرق، أبو البقاء خالد البلوي، اللجنة الوطنية لنشر التراث الإسلامي، بدون سنة نشر

تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية، قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى 2000.

الروض الأزهر لأبي عباس النقاسي، ت: عبد الله مسكين، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 2020/1442م،

شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحمالوي، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله الناشر: مكتبة الرشد الرياض

الصناعتين، أبي هلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت لبنان، 1419هـ

علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، عمر عبد الهادي عتيق، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012،

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة في بجاية، أبو العباس الغبريني،

دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط 02، 1979م

قراءة في كتاب موسوعة التفسير البلاغي: منارة الإعجاز القرآني في العصر الحديث -
منتدى العلماء، 31 أغسطس، 2024

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، لبنان، ط: 03 - 1414 هـ

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر /
محمد النجار المعجم الوسيط الناشر: دار الدعوة، بدون طبعة.

معجم أعلام الجزائر، عادل النويهي، مؤسسة نويهي الثقافية، بيروت، لبنان ط: 2،
1980/1400

مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط: 03، 1977م
منهج شريح القاضي، عمرو مصطفى الورداني، أطروحة لنيل درجة الماجستير جامعة
القاهرة كلية دار العلوم قسم الشريعة إشراف الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم شريف، 1424
- 2001

نيل الابتهاج في تطريز الديباج، أحمد التنبكي، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط 02،
2000

التفسير اللغوي عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وأثره في بيان دلالات الألفاظ القرآنية

أ.د. عائشة عبيزة

جامعة عمارثليجي بالأغواط/ الجزائر

الملخص :

تعتبر كتب التفسير من أكثر المصادر التطبيقية لعلوم اللغة العربية خاصة النحو والصرف والبلاغة، وقد كان لعلماء التفسير آراء لغوية رائدة تعتبر منجزات علمية إلى يومنا هذا، ومن هؤلاء الإمام الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري الذي تنوعت روافده المعرفية والفكرية كما تنوعت مؤلفاته العلمية في الفقه والتفسير والإعراب والحديث.

ومن أهم مؤلفاته الجواهر الحسان في تفسير القرآن الذي استثمر فيه خلاصة اطلاعه على غيره من المفسرين وإثراء فكره بشق العلوم اللغوية والقرآنية، ومما استوقفني في هذا البحث اعتماده على آليتي التصريف والاشتقاق لتوجيه معاني المفردات القرآنية وقد اطرّد ذلك عنده حتى صار ملمحا مميّزا في تفسيره يظهر من خلاله اعتماده على ثقافته اللغوية وأثرها في توجيهاته وتأويلاته الدلالية .

Abstract:

Tafsir books are considered one of the most practical sources for Arabic language sciences, especially grammar, morphology, and rhetoric. Tafsir scholars had pioneering linguistic opinions that are still considered scientific achievements to this day. Among them is Imam Sheikh Abdul Rahman Al-Thaalabi Al-Jaza'iri, whose knowledge and intellectual influences were as diverse as his scientific writings on jurisprudence, interpretation, grammar, and hadith.

One of his most important works is Al-Jawahir Al-Hysan fi Tafsir Al-Qur'an, in which he drew on his knowledge of other interpreters and

enriched his thinking with various linguistic and Qur'anic sciences. What caught my attention in this research was his reliance on the mechanisms of conjugation and derivation to guide the meanings of Qur'anic vocabulary. This became a distinctive feature of his interpretation, revealing his reliance on his linguistic culture and its influence on his guidance and semantic interpretations.

مقدمة :

يُعدّ التفسير اللغوي أحد أهم المناهج التي أسهمت في الكشف عن جماليات النص القرآني ودقّة معانيه، إذ يستند إلى دراسة الألفاظ من حيث جذورها واستعمالاتها وسياقاتها في اللغة العربية. ومن أبرز المفسرين الذين اعتنوا بهذا المنهج الإمام عبد الرحمن الثعالبي ت 875هـ، صاحب كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وهو من علماء الجزائر الذين جمعوا بين الفقه واللغة والتصوف، فكان تفسيره مرآةً جامعةً بين البيان القرآني وروح العربية الأصيلة.

ومن الأهداف التي يسعى إليها هذا البحث نذكر ما يلي:

- _ الكشف عن جهود علماء التفسير في الدرس اللغوي العربي خاصة علم الصرف.
- _ إبراز جهود عالم جزائري كان له أثره العلمي الواضح في تاريخ التفسير والمفسرين.
- _ عرض المسائل الصرفية في تفسير الجواهر الحسان التي تتعلق بالتصريف كإجراء تتحدد من خلاله معاني المفردات، والاشتقاق باعتباره يوجّه تلك المعاني بتأصيل مادتها المعجمية .

1_ دور التصريف في توجيه المعاني :

تُمثّل الأبنية الصرفية في اللغة العربية جانبا أساسيا من جوانب تحصيل معاني الكلمات، ذلك أن علم الصرف باعتباره علماء يُعنى بالمفردات وتتبع التغيرات التي تلحقها وهو الأمر الذي جعل منه يهتم بنوعين من الكلم الأفعال المتصرفة، والأسماء المعربة لأنها مما يلحقه التغير والتبديل من هيئة لغوية إلى أخرى وهذه التغيرات في المباني تؤدي إلى تغييرات على مستوى المعاني.

ويتوقف على التصريف كثير من قضايا المعنى في اللغة العربية منها تقسيم الكلم و تعدد معاني الصيغ الصرفية وتوجيه الإعراب، فالكلمات التي تتفق في المادة اللغوية أو المعجمية تختلف في بنيتها الصرفية، لذلك كان اهتمام علماء التفسير بالظواهر الصرفية خاصة تصريف الكلمات لتحديد معانيها انطلاقا منها، فالتعبير بالاسم يختلف عن التعبير

بالفعل كذلك التعبير بصيغة صرفية مثل انفعل يختلف عن صيغة فعل مثلاً.

2_ مظاهر المنهج اللغوي عند الثعالبي:

اعتمد الثعالبي في تفسيره على التحليل اللغوي بوصفه أداة أساس في فهم النص، فجاءت شروحه مشحونة ببيان الأصول الاشتقاقية للألفاظ وتفسير معانيها بحسب ما ورد في المعاجم العربية وكتب النحو والبلاغة، ومن ملامح منهجه في التفسير اللغوي:

الاهتمام بأصول المفردات: كان يرجع إلى جذر الكلمة ليستخرج منها المعنى الأصلي، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ حيث بيّن أن "الصراط" من الجذر "صرط" أي ابتلع، فالمعنى طريق واضح يُبتلع فيه السائر من وضوحه.

الاعتماد على القراءات القرآنية: كان يوظف اختلاف القراءات لتوسيع المعنى، ويرى أن التعدد اللفظي يثري الدلالة ولا يضادها.

الاستشهاد بالشعر العربي: يُكثر في تفسيره من الشواهد الشعرية لتأكيد معاني الألفاظ، إذ يرى أن الشعر ديوان العرب ومصدر أصيل لفهم لغة التنزيل.

التمييز بين المعاني الحقيقية والمجازية: كان واعياً بالبنية البلاغية للغة القرآن، فيبين المعنى الظاهر والمجازي، ويُرجّح أحدهما بحسب السياق.

3_ علاقة التصريف بالاشتقاق في اللغة العربية :

عُرف الاشتقاق في اللغة العربية بأنه "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصلية بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفا وتركيبا كضارب من الضرب، وحذر من الحذر"⁽¹⁾، ومن ثم حدد دور الاشتقاق في اللغة العربية على أنه يتمثل في معرفة دلالات الألفاظ وارتباطها ببعض، وذلك بالرجوع إلى أصول معانيها المستنبطة من قياس دلالات الألفاظ المتماثلة المادة، التعمق في فهم كلام العرب، ومن ثمّ في فهم كلام الشارع، لذلك كثيرا ما نجد المفسرين يشيرون في تفسيرهم لكثير من ألفاظ القرآن الكريم إلى أمثلة من هذا العلم، كما أن كثيرا من المصنفين في فروع علم اللغة يشيرون

(1)_ أبو عبد الله ابن مالك، من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، تج: محمد المهدي عبد الحي عمار. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. سنة 29. عدد 107. 1998 - 1999. ص: 315.

أيضا إليه إشارات هامة عند شرح بعض الاصطلاحات وبيان وجه الاشتقاق فيها، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة الدخان: 56] فُسِّرَ الفعل "وقاهم" بأنه مشتق من الوقاية، وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره، وهذا متمكن في متقي المعاصي، الذي لا يدخل النار⁽¹⁾.

4_ دور التصريف والاشتقاق في تفسير القرآن الكريم :

يمكننا القول إن كتب تفسير القرآن الكريم تعد مصدرا أساسا لتطبيقات علوم اللغة العربية، أو لنقل هي بمثابة مدونة تطبيقية للفكر اللغوي العربي باختلاف أسسه ومنطلقاته النظرية والإجرائية، ولعل مما له صلة بموضوع بحثنا تطبيقات المادة الصرفية لدى المفسرين الذين يعتمدون في تحديد معاني القرآن الكريم على المعارف اللغوية متمثلة في النحو والصرف والبلاغة والمعاني المعجمية والاجتماعية وكل ما له صلة بأداء اللغة العربية ووجوه بيانها ومعانيها، لذلك نجدهم يشترطون في المفسر أن يكون عالما باللغة بكل مستوياتها، فهاهو السيوطي يرصد لنا في كتاب الإتقان شروط المفسر الذي ينبغي "أن يؤاخي بين المفردات ويجب عليه البدء بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البدء به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات"⁽²⁾.

و التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك، قال: فقولنا "علم" جنس، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءة، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم،

(1) _ عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود . دار إحياء التراث العربي، بيروت . ط 1 . 1418 هـ ج 312/5 .

(2) _ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 .

وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالاته بالحقيقة، وما دلالاته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصدّ عَنِ الحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ صَادُّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على غير الظاهر، وهو المجاز⁽¹⁾.

وظهر الشيخ الثعالبي في أكثر المواضع ملما بالجوانب اللغوية فيفسر مثلا الفعل "سَوَّلَ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [سورة محمد: 25] على أن معناه: "رجاهم سؤلهم وأمانهم، ونقل أبو الفتح عن بعضهم أنه بمعنى دلاهم مأخوذ من السؤل، وهو الاسترخاء والتدلي، وقال العراقي سؤل أي: زين سوء الفعل"⁽²⁾، ولا يقف علماء التفسير عند علم دون آخر إذ نجدهم يأخذون من علم بطرف ليدققوا ويحققوا معاني القرآن الكريم على مستوى المفرد والتركيب فيستفيدون من كل معطى لغوي سواء كان صرفيا أو معجميا أو نحويا، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: 22] يحدد الشيخ الثعالبي معاني مفردات الآية انطلاقا من كل دليل صرفي أو نحوي جعل بمعنى «صير» في هذه الآية لتعديها إلى مفعولين، و «فراشا» معناه: تفترشونها، و «السماء» قيل: هو اسم مفرد، جمعه سماوات، وقيل: هو

جمع، واحده سماوة، وكل ما ارتفع عليك في الهواء، فهو سماء، وأنزل من السماء يريد السحاب، سمي بذلك تجوزا لما كان يلي السماء، وقد سموا المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر⁽³⁾:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ *** رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا⁽⁴⁾

(1) _ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل العطار. دار الفكر، بيروت، لبنان. 2000. ج 1/ 26.

(2) _ تفسير الجواهر الحسان. ج 5/ 240.

(3) _ تفسير الجواهر الحسان. ج 1/ 439.

(4) _ البيت لمعود الحكماء: المفضل الضبي، كتاب المفضليات. تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون.

وقد ربط المفسرون بين التصريف والاشتقاق كثيرا، وذلك من أجل بيان معاني الألفاظ القرآنية التي تقوم على المكون الصرفي المتمثل في صيغها وما تدل عليه من معنى أو معاني، والمكون الدلالي الذي يرتبط بالمادة المعجمية التي اشتق منها في تلك الصيغة المستعملة، وهذا لا يعني ربط المفسرين للتصريف والاشتقاق مطلقا لتحديد معاني الكلمات في القرآن الكريم، إذ قد يكفي المفسر باعتماد التصريف دون اشتقاق حسب طبيعة الكلمات وسياق استعمالها كما ذكر الشيخ الثعالبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [سورة يوسف: 32] في ردّ دلالة استفعل في قوله "استعصم" على الطلب وتفسير "استعصم" بـ "اعتصم" لكونه أولى من جعله للطلب، إذ لا يلزم من طلب الشيء حصوله⁽¹⁾.

5_ تضافر آليتي الاشتقاق والتصريف في تفسير الجواهر الحسان :

مما عرف به تفسير الجواهر الحسان هو التزام مؤلفه بالاحتجاج باللغة، والمسائل النحوية، والتصريفية، وغيرها مما عدّه العلماء شروطا للمفسر والتفسير، وسأقف في هذا البحث على تلك المسائل التصريفية المتمثلة تحديدا في التصريف والاشتقاق لما لهما من أهمية بالغة في بناء معاني الألفاظ وفهما، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادَوْهُمْ﴾ [سور البقرة: 85] أورد الشيخ الثعالبي تفسيره لكلمة "أسارى" انطلاقا من اشتقاقها كما بين دلالة صيغة فاعل فيها، إذ تعد من المشترك في اللغة العربية فهي تستعمل للدلالة على اسم الفاعل كما تستعمل لاسم المفعول، فـ "أسارى": جمع أسير، مأخوذ من الأسر، وهو الشد، ثم كثر استعماله حتى لزم، وإن لم يكن ثم ربط ولا شد، وأسير: فاعل: بمعنى مفعول⁽²⁾.

إن توارد آليتي التصريف والاشتقاق معا وما يقوم عليه من طبيعة المعاني في اللغة العربية على مستوى المفردات يسمح بتحديد المعنى بدقة من خلال تقاطع الصيغ والمادة

دار المعارف - القاهرة. ط 6، ص 359. وروي بـ إذا نزل السحابُ بِأَرْضِ قَوْمٍ .

(1) _ الجواهر الحسان. ج 3 / 324 .

(2) _ تفسير الجواهر الحسان ج 1 / 275 .

المعجمية للفظ، وهو ما اعتمده أغلب المفسرين ومنهم الشيخ الثعالبي الذي يظهر من خلال تفسيره مظهر المطلع المتبحر في اللغة العربية وعلومها، إذ لا يفوت ظاهرة لغوية صرفية أو نحوية إلا تصدى لها بالتحليل أو باعتماد أقوال المفسرين قبله من باب اتفاقه معهم في مواضع واختلافه معهم في مواضع أخرى.

كما أن تعدد الاشتقاق في اللفظ الواحد يعد توسعا في فهم الألفاظ القرآنية وهذا عندما يكون كل اشتقاق له تخريجه كما له دوره في إبراز المعنى في سياق الآية أو الآيات، ومن ثم يمكننا القول إن هذه الظاهرة التي اطردت في كتب التفسير وتناقلها العلماء في كتبهم دون رفض بعضها وقبول الآخر أو عدم ترجيح بعضها إنما كان بسبب صحة كل منها وعدم وجود تناقض بينها، لما كان القرآن نازلا من المحيط علمه بكل شيء، كان ما تسمح تراكيبه وكذلك مفرداته الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب، مظنوننا بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية.

وفيما يلي بعض الألفاظ القرآنية التي وردت في كتاب تفسير الجواهر الحسان وقد اعتمد فيها على بيان تصريف الكلمات واشتقاقها مع ذكر ما قيل فيها من تخريجات تتعلق بذلك:

1_ لفظة الحلائل :

وقد تضافرت آيتي الاشتقاق والتصريف في تفسيره للفظ الحلائل في قوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [سورة النساء: 23] بقوله: «والحلائل: جمع "حليلة" لأنها تحلّ مع الرّوّج حيث حلّ، فهي "فَعِيلَةٌ" بمعنى "فَاعِلَةٌ"، أو أنّها مِنْ لفظة "الحلّال"، فهي حليلة بمعنى "مُحَلَّلَةٌ" ⁽¹⁾ أي اسم مفعول لأنها حُلِّلت له، وبذلك تكون صيغة فاعلة قد جمعت بين احتمالين للمعنى لكل منهما أصل اشتقاقي مقبول في اللغة كما أنه يجمع خصائص ما يدل عليه .

(1) _ تفسير الجواهر الحسان. ج 2/ 201 .

2_ لفظ بَيَّتَ :

في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء: 81]

ورغم اتفاق المفسرين على نزول هذه الآية في المنافقين، وكون المعنى أنهم "يقولون لك يا محمد: أمرنا طاعة، فإذا خرجوا من عندك، اجتمعوا ليلا، وقالوا غير ما أظهرنا لك"، إلا أن الفعل بَيَّتَ يعدّ رافدا مهما للمعنى العام لاحتماله اشتقاقين، وهو ما اعتمده الشيخ الثعالبي في تفسيره للآية إذ يرى أن "بَيَّتَ: معناه: فعل ليلا، وهو مأخوذ من بات، أو من البيت لأنه ملتزم بالليل"⁽¹⁾، لأن البيت أكتم لأسرارهم ومستقر ليلهم ولا يطلع عليهم فيه أحد فجمع بين سترين: ستر الاجتماع في بيت وحدهم، وكون ذلك الاجتماع في ستر من الليل.

3_ لفظ البارئ :

وقوله تعالى: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [سورة البقرة: 54]، مِنْ "بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ"، أي: خلقهم، فالبرئئة: فعيلة بمعنى مفعولة⁽²⁾ وقد اعتمد في تفسير لفظ "البارئ" على تصريف الكلمة وبيان الدلالة المستفادة من توظيفها هنا بكونها في المفعول هي البرئئة أي المخلوقة، وفي البارئ بمعنى الخالق.

4_ لفظ أولى :

في قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد: 20] وفي قوله أيضا [سورة القيامة: 34] ذهب الشيخ الثعالبي إلى ذكر المعاني التي تنصرف إليها كما ذكر عند أغلب المفسرين قبله من كونها أي "أولى لك" في سياق التهديد والوعيد، وأن لفظ "أولى" اسم مشتق من الولي، وهو القرب، كما قيل إنه مأخوذ من الول، فقلب، فوزنه "أفلع"⁽³⁾، وهذه كلها توجهات تتعلق ببنية اللفظ في اللغة وربطه بالسياق الذي

(1) _ نفسه. ج 2/ 267 .

(2) _ الجواهر الحسان، ج 1/ 239 .

(3) _ نفسه، ج 5 / 238 .

ورد فيه .

5_ لفظ أُذُن :

إنهم أرادوا بقولهم: هو أذن: أي: يسمع كل ما ينقل إليه عنا، ويصغي إليه ويقبله، فهذا تشك منه عليه السلام، ومعنى أذن: سماع، وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء، إذا كان منه بسبب كما يقال للرؤية: عين وكما يقال للمسنة من الإبل التي قد بزل ناهيا ناب⁽¹⁾.

وقيل: معنى الكلام: ذو أذن، أي: ذو سماع، وقيل: إنه مشتق من قولهم: أذن إلى شيء إذا استمع ومنه قول الشاعر:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به*** وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقرأ نافع: "أُذُن" - بسكون الذال فيهما-، وقرأ الباقر بضمها فيهما، وكلهم قرأ بالإضافة إلى «خير» إلا ما روي عن عاصم، وقرأ الحسن وغيره: "قل أذن خير" بتنوين .

9_ لفظ أزلّ وأزال :

جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة: 36]

فأزلهما: مأخوذ من الزلل، وهو في الآية مجاز لأنه في الرأي والنظر، وإنما حقيقة الزلل في القدم، وقرأ حمزة: " فأزالهما" مأخوذ من الزوال⁽²⁾، فيكون الثعلبي قد اعتمد في تحليل هذا الفعل بالاعتماد على قراءتين مختلفتين "أزلّ" المضعّف، و"أزال" المعتل، ومن ثم اختلاف المعنى لاختلاف اللفظ.

10_ لفظ أصبو:

في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَتَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: 32] وأصب: مأخوذ من الصبوة، وهي أفعال الصبا⁽³⁾.

(1) _ نفسه، ج 3/ 191 .

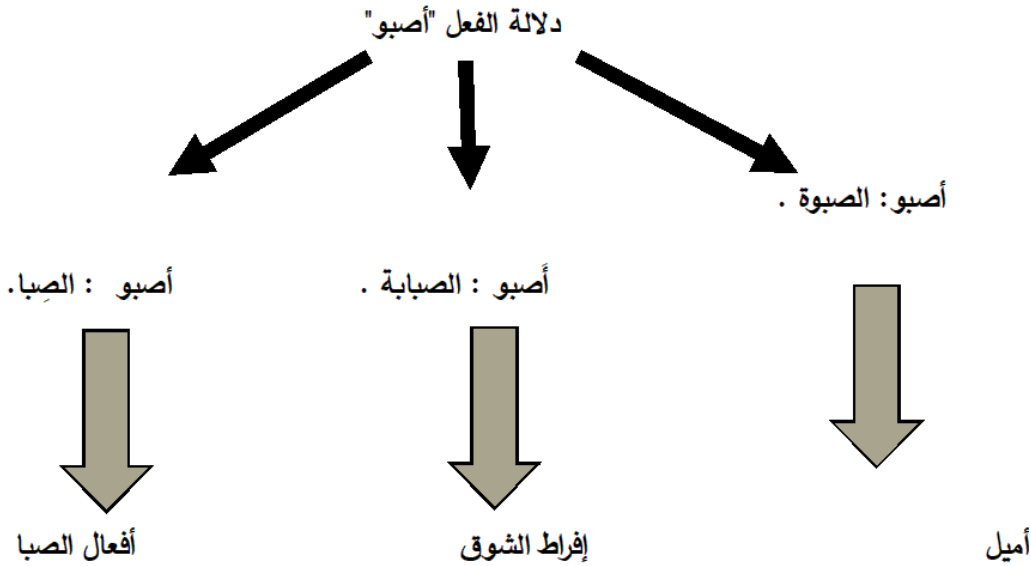
(2) _ الجواهر الحسان، ج 1/ 218 .

(3) _ نفسه . ج 3/ 324 .

ومن ذلك قول دريد بن الصمة:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه *** فلما علاه قال للباطل أبعد⁽¹⁾

ف «أصبو» معناه: أمل، وهو جواب الشرط، ويكون المعنى "أمل إلهم، وأتابعهن على ما يُردن مني ومهوين"⁽²⁾، والصبابة: إفراط الشوق.



مع حَلِيلَةَ الرجل، وَهِيَ امْرَأَتُهُ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَامْرَأَةَ الرجل حَلِيلَتُهُ، وللرجل حَلِيلَتَا؛ لِأَنَّهَا تَحِلُّ مَعَهُ، وَيَحِلُّ مَعَهَا. وَيُقَالُ: حَلِيلَةٌ بِمَعْنَى مُحَلَّةٍ؛ لِأَنَّهَا تَحِلُّ لَهُ وَيَحِلُّ لَهَا. وَمِنْهُ قَوْلُ عَنَتْرَةَ⁽³⁾:

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكَتْ مَجْدَلًا

(1) _ الأَصْمَعِيُّ: كتاب الأَصْمَعِيَّات، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون . دار المعارف ، مصر. ط. 7. 1993. ص 108.

(2) _ الطَّبْرِي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر. ط. 1. 2001، ج 13 / 145.

(3) _ ينظر: الزُّوْزَنِي، شرح المعلقات السبع ، دار احياء التراث العربي، ط. 1. 2002. ص 256.

وحلائل هي جمع حليلة الرجل، وهي امرأته⁽¹⁾، وإنما قيل لها حليلة، لأنه يحلّ معها وتحلّ معه، ويقال "حليلة" بمعنى محلّة، لأنه يحلّ لها وتحلّ له⁽²⁾.

7_ لفظ الصمد: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [سورة الإخلاص: 02]

يقول الثعالبي: في بيان دلالة الصمد "الصمد هو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وقيل: الذي لا ينام، ولا يزول ملكه"⁽³⁾.

ويتّضح هنا أن الثعالبي جمع بين المعنى اللغوي الاشتقاقي والمعنى العقدي، ففسّر الكلمة من خلال جذورها اللغوية واستعمالاتها في لسان العرب.

8_ لفظ الغضب: في قوله تعالى: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: 06]

جاء في الجواهر الحسان أن "الغضب في اللغة: تغيّر يحصل عند رؤية ما يُكره، وهو في حق الله مجاز عن إرادته للعقوبة"⁽⁴⁾.

ويقف الثعالبي هنا على المعنى اللغوي الأصلي ثم ينقله إلى مجازة العقلي، مراعيًا قاعدة تنزيه الله عن صفات المخلوقين.

9_ لفظ المبين: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الدخان: 02]

الكتاب المبين أي القرآن المظهر للحق، من أبان يبين، فهو مبين، أي موضح بينّ البيان، معتمدا على الاشتقاق الصرفي لتفسير معنى المبين، موضحًا أن "أبان" تدل على الإظهار والوضوح⁽⁵⁾.

10_ لفظ صرّ: في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 260]

(1) _ السجستاني، غريب القرآن، تج: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط1. 1995. ص: 186/187.

(2) _ الجواهر الحسان. 147/2.

(3)

(4) _ الجواهر الحسان، ج 4/ ص 91.

(5) _ نفسه، ج 4/ ص 363.

[

يقال: صُرْتُ السَّيِّءَ، أَصُوْرُهُ، بمعنى: قطعته، ويقال أيضاً: صُرْتُ الشَّيْءَ، بمعنى: أَمَلْتُهُ، وقد تأوَّل المفسِّرون اللفظة بمعنى التقطيع، وبمعنى الإمامة⁽¹⁾، ويورد الثعالبي آراء أخرى على النحو التالي:

قتادة: صُرْهُنَّ: فَصَّلْنَهُنَّ .

عطاء بن أبي رباح : صُرْهُنَّ: اضممهن.

ابن زيد : معناه: اجمعهن .

ابن عباس أيضاً: أَوْثَقْنَهُنَّ

ويورد في آخر شرح هذه الكلمة قراءة أخرى ، فيكون معنى فَصَّرْهُنَّ بضم الصاد، وشدِّ الراء كأنه يقول: "فشدَّهنَّ ومنه: صرَّة الدنانير".

6_ خصائص التفسير اللغوي عند الثعالبي:

يهتم بالجانب النحوي والصرفي كثيرا، إذ يربط المعنى بالإعراب، ويبين أثر الحركات والبنية في الدلالة، مثال: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾ [يونس:28] يبين إعراب "مَكَانَكُمْ" على أنها اسم فعل الأمر، ومعناه: "قِفُوا واسكنوا" ويقدر بـ"اثبتوا"، ويردِّ قول من قدره بـ"الزموا مكانكم" معلا ذلك بكون "الزموا" فعلا متعديا، ومكانكم: لا يتعدى، فلا يقدر به، واسم الفعل على حسب الفعل إن كان متعديا فمتعديا، وإن لازما فلازم، إلا إذا كان تقدير "الزموا" تقدير معنى لا تقدير إعراب⁽²⁾.

يربط بين الصيغ الصرفية والدلالات المستفادة منها في كثير من المواضع، من ذلك

(1) _ نفسه . ج 1/ ص 515 .

(2) _ الجواهر الحسان، ج 3/ 244 .

تفسيره لدلالة "أصبو" .

يعتمد في تحليله للمفردات القرآنية في كثير من المواضع على الاشتقاق لردّ الكلمة إلى أصل اشتقاقها، ومن ثم بيان الدلالات المستفادة منه.

يستشهد كثيرا بأقوال أئمة اللغة كالأصمعي والفرّاء والزمخشري، ويشرح الألفاظ القرآنية في ضوء الاستعمال العربي الفصيح، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم: 15] يبيّن دلة "الروضة" و"يحبرون" بأن يحبرون من التّخبير وهو التحسين، والحبر العالم، إنما هو من هذا المعنى لأنه مُتَخَلِّقٌ بِأَحْسَنِ أخلاق المؤمنين، والجبر المداد أيضا، وسمي به لأنه يُحَسِّنُ به، قال الأصمعي: ولا يقال: روضة حتى يكون فيها ماء يشرب منه⁽¹⁾.

يتميّز بتحليل الفروق الدقيقة بين الألفاظ القرآنية المترادفة ظاهريًا، فيوضح مثلاً الفرق بين "الفقير" و"المسكين"، وبين "الخشية والخوف"، وبين الحمد والشكر، فالحمد: معناه الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر لأنّ الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، والحمد المجرّد هو ثناء بصفات المحمود⁽²⁾.

يُبرز الثعالبي جمال الأساليب القرآنية من استعارة وتشبيه ومجاز، معتمداً على البلاغة لفهم مقاصد النص، مثلاً عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام: 158]، إذ يفسر "يأتي" في إسنادها إلى الله عز وجل بأنها: لموقف الحساب يوم القيامة، أو يأتي عذاب ربك، وعلى كلّ تأويل فإنما هو بحذف مضاف، تقديره: أمر ربك، أو بَطْش رَبِّكَ، أو حساب ربك، وإلا فالإتيان المفهوم من اللغة مستحيل على الله، والإتيان هنا على المجاز، وحذف المضاف⁽³⁾.

يورد القراءات كثيرا ومن ثم يُبيّن أثر كل قراءة في المعنى اللغوي والدلالي، دون أن يخرج عن المأثور.

(1) _ الجواهر الحسان، ج 4/ 308 .

(2) _ نفسه ، 1/ 163

(3) _ نفسه ، ج 2/ 532 .

مثال: في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهِكُمُ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُنَبِّهِهُمْ الْآخِرِينَ ﴾ [المرسلات: 16_17]، يذكر⁽¹⁾ قراءة الجمهور "نُنَبِّهِهُمْ" بضم العين على استئناف الخبر، ثم رواية عن أبي عمر "نُنَبِّهِهُمْ" بجزم العين عطفاً على "نهلك" وهي قراءة الأعرج، فَمَنْ قرأ الأولى جعل الأولين الأمم التي تقدمت قريشاً بأجمعها، ثم أخبر أنه يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم، وَمَنْ قرأ الثانية جعل الأولين قومَ نوح وإبراهيم ومن كان معهم.

توظيف الشعر لتوضيح دلالات الألفاظ القرآنية، مستنداً إلى كونه مرجعاً لأصالة اللغة. لا يقف عند حدود اللفظ، بل يوظف الفهم اللغوي لخدمة المقاصد الإيمانية والتربوية، مما يجعل تفسيره ذا طابع لغوي وروحي .

يقارن بين آراء المفسرين السابقين، كابن عطية والزمخشري والبيضاوي، ويناقش أقوالهم لغوياً، فينتصر لما يراه أدق دلالة، الأمر الذي يجعل من تفسيره مصدراً جامعاً لأهم أقوال المفسرين .

الخاتمة:

أبرز الثعالي أهمية اللفظة القرآنية في بناء المعنى العام في الآية أو السياق التركيبي، فكان تفسيره ميداناً لتجلي الوعي الدلالي بالمفردة، وبذلك تتجلى قدرة الثعالي على تحويل المعنى اللغوي إلى معنى عقدي وبياني في آن واحد، دون إخلال بروح النص أو مقاصده.

ويجمع الثعالي بين دقة التحليل اللغوي وعمق التدقيق القرآني مما جعل تفسيره يتميز بطابع خاص يقوم أكثر على اللغة جمعا لأقوال العلماء، وهو أمر يجعل منه مصدراً هاماً لذلك، كما أن تفسيره يتميز عن كثير من التفاسير بأنه يحترم لغة العرب في فهم القرآن، ويربط بين اللفظ والسياق والمقصد في انسجام دلالي متكامل.

إنّ التفسير اللغوي عند عبد الرحمن الثعالي يمثل نموذجاً واضحاً في توظيف المعارف اللغوية خاصة الاشتقاق والتصريف لبيان دلالات الألفاظ مما يخدم تفسير القرآن الكريم، فقد استطاع أن يجمع بين دقة التحليل اللغوي وعمق الفهم الديني، فكان ممن انطلق من اللغة نحو المعنى، مما يجعل تفسير الجواهر الحسان شاهداً على سعة اطلاعه وعبقريته في

(1) - نفسه ، ج 5/ 538 .

استكناه معاني المفردات القرآنية بما يخدم مقصد الهداية والإعجاز البياني في كتاب الله تعالى.

المصادر والمراجع :

_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

_ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: صديقي محمد جميل العطار. دار الفكر، بيروت، لبنان. 2000.

_ الرَّؤُوزِي، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط1. 2002.

_ السجستاني، غريب القرآن، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة - سوريا، ط1. 1995.

_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر. ط1. 2001.

_ عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط1. 1418 هـ.

_ أبو عبد الله ابن مالك، من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. سنة 29. عدد 107. 1998 - 1999.

_ المفضل الضبي، كتاب المفضليات. تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون. دار المعارف - القاهرة. ط6.

المسائل التفسيرية في المعيار المعرب للونشريسي " دراسة تحليلية في المنهج والمصادر "

أد. طاهر براهيمي

جامعة غرداية

ملخص

يهدف هذه البحث إلى الكشف عن الاجتهادات التفسيرية في كتاب المعيار المعرب وذلك باستقراء المسائل التفسيرية وبيان أنواعها ومصادرها وإبراز المنهج المعتمد في عرضها ، وجاء في محورين أساسيين : تناولنا في المحور الأول ترجمة الإمام الونشريسي والتعريف بكتاب المعيار المعرب وإبراز قيمته ومصادره ، مع عرض أنواع المسائل التفسيرية وسياق ذكرها في الكتاب ، أما المحور الثاني فخصّص لتحليل مصادر هذه المسائل ومنهج تناولها وبيان طرائق المفتين في التفسير كالتحقيق اللغوي والترجيح واستحضار القواعد الأصولية وقواعد التفسير التي وُظّفت في توجيه الآيات القرآنية ...

وتبيّن من خلال هذه الدراسة أن التفسير في كتاب المعيار ذو طابع جماعي يمثل خلاصة اجتهادات فقهاء الغرب الإسلامي في مسائل تفسيرية تتعلق أساسا بدفع مشكل أو بيان حكمة من الآيات المفسرة .

الكلمات المفتاحية

الونشريسي – المعيار المعرب – المسائل التفسيرية – المنهج والمصادر

Abstract

This study aims to explore the exegetical efforts reflected in *al-Mi 'yār al-Mu 'rib* by Imām al-Wansharīsī through an analytical examination of the Qur'ānic interpretive issues it contains, identifying their types and sources, and highlighting the methodological framework adopted in their presentation and discussion. The research is structured around two main sections: the first section presents a biographical overview of Imām al-Wansharīsī, introduces his work *al-Mi 'yār al-Mu 'rib*, and highlights its scholarly significance and

principal sources, along with a classification of the exegetical issues and the contexts in which they appear. The second section analyzes the sources of these exegetical discussions and the approaches adopted by the responding jurist-scholars, such as linguistic analysis, weighing of opinions *tarjīh*, and the application of *uṣūl al-fiqh* principles and interpretive rules *qawā'id al-tafsīr* in explaining Qur'ānic verses.

The study concludes that Qur'ānic interpretation in *al-Mi'yār al-Mu'rib* has a collective character, representing the cumulative exegetical reasoning of Mālikī scholars of the Islamic West al-Maghrib. These interpretations primarily aim to resolve exegetical or linguistic problems and to uncover the underlying wisdoms of the verses discussed.

Keywords:

al-Wansharīsī – *al-Mi'yār al-Mu'rib* – Exegetical Issues – Methodology and Sources

المقدمة :

يُعَدّ الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي من أعلام الفقه بالمغرب الإسلامي ، ومن أبرز من خدم المذهب المالكي تأصيلاً وتحريراً وجمعاً ، وعرف من خلال موسوعته : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، الذي ضمّ بين دفتيه تراثاً فقهياً نفيساً جمعه من أجوبة الفقهاء والمفتين .

وللمسائل التفسيرية في المعيار قيمة معرفيّة مميزة لأنها تمثل صورة واقعية للمستشكلات التفسيرية في حواضر بلاد المغرب والأندلس ، كما يتجلّى فيها تداخل علم التفسير مع واقع الفتوى والاجتهاد ، والإمام الونشريسي لم يكن مفسّراً بالمعنى المعروف بل كان جامعاً وموثّقاً لأقوال مفسّرين وفقهاء في بلاد المغرب والأندلس ، وهو بهذا حفظ لنا تراثاً تفسيريّاً ذا طبيعة خاصّة تتجلّى في صفة المسائل المفردة ومنهج التفسير المبني على طريقة الفتوى .

ويسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على المنهج والمصادر التي اعتمدهما الونشريسي في عرضه للمسائل التفسيرية داخل المعيار المعرب من خلال تحليل نماذج منتقاة تكشف لنا خصائص التفسير وقضاياها في الكتاب ، وتروم المداخلة أيضاً إبراز القيمة العلمية والمنهجية

لهذه المسائل التفسيرية في الفكر المالكي المغاربي .

وقد قسّمت هذه المداخلة إلى محورين أساسيين :

خصّصنا المحور الأول للتعريف بالإمام الونشريسي وبيان مكانته العلمية ومنهجه في تصنيف المعيار المعرب مع تسليط الضوء على حضور المسائل التفسيرية في هذا المصنّف وموقعها ضمن البنية العامة للكتاب وصور وجودها تحت عنوان "أنواع المسائل التفسيرية في المعيار" ، وبينا أنها ترد على ثلاث صور : مفردة ومتعددة ، ومتعددة الجوانب للآية الواحدة أما المحور الثاني فقد تناولنا فيه بالتقّصي والتحليل مصادر المسائل التفسيرية ومنهج عرضها في المعيار ، فاستقرينا النصوص التفسيرية أولا والتي قاربت صفحاتها المئة ، ثمّ حللنا طريقة الونشريسي في عرض المسائل وطرح الإشكال ، مع بيان منهج التفسير وطرائقه عند المجيبين كالنقل والترجيح ووضع الآية ضمن سياقها والتحقيق اللغوي لمفرداته واستحضار أسباب النزول وقواعد التفسير ... إضافة إلى معايير اختيار الأقوال والترجيح وأشهر المفسرين المنقول عنهم ...

وهذه العناصر تمثل نماذج لمسائل تفسيرية متفرقة من مجيبين متعددين ، ولهذا فالبحث لا يتوجه لتحديد منهج مفسر بعينه بقدر ما يعالج ما هو موجود في المعيار المعرب

المحور الأول: الإمام الونشريسي وسياق التفسير في المعيار المعرب

المبحث الأول : الونشريسي حياته وأثاره

هو الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد الونشريسي .

مولده ونشأته:

وُلد الإمام الونشريسي بجبال الونشريس في منطقة الحجالوة التابعة لولاية تيسمسيلت حاليا وقيل بمدينة تلمسان ، ولم يُحدّد تاريخ ميلاده بدقّة غير أنّ الباحثين

قدّروا أنّ مولده كان سنة 834هـ، استنادًا إلى سنة وفاته 914هـ ، وعاش نحو ثمانين عامًا⁽¹⁾

نشأ أبو العباس في مدينة تلمسان⁽²⁾، حيث تلقى علومه الأولى على يد كبار علمائها ، وتميّز منذ صغره بحدّة الذكاء وقوة الحجة وصلابة الموقف في قول الحق.

وبعد بلوغه الأربعين من عمره اضطر إلى مغادرة تلمسان سنة 874هـ إثر خلاف بينه وبين السلطان ، والذي انتهى بمصادرة داره ونهب ممتلكاته⁽³⁾، وذكر في بعض كتب التراجم أنّ رحيله كان بسبب موقفه المعارض لسياسات السلطان أو لامتناعه عن مبايعته⁽⁴⁾ ، وعُبر عنه "بحصول كائنة بينه وبين السلطان"⁽⁵⁾ ، وقيل كان ذلك نتيجة موقفه الجريء من سياسة السلطان واستنكاره لما رآه من ظلم وفساد ، وقيل لموقفه المؤيّد لأهل الأندلس في وجه الحملة الحفصية⁽⁶⁾ وقيل غير ذلك .

شيوخه وتلاميذه:

أولا: شيوخه :

تلقّى الإمام أبو العباس الونشريسي علومه على نخبة من كبار علماء عصره من تلمسان وفاس⁽⁷⁾، فهل من معارفهم حتى غدا من أبرز فقهاء عصره ، ومن أبرز شيوخه : الإمام

(1) التكروري أحمد بابا بن أحمد التنبكي السوداني ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا ، ط 2 ، 2000 م ، ص 136.

(2) القاضي عياض ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، 1358 هـ - 1939 م ، ج 3 ص 65.

(3) ينظر للتحقيق الذي أورده الصادق الغرياني حول اضطراب المصادر غير العربية حول اسم الحاكم الذي وقعت محنة للونشريسي في زمانه ، ينظر : الونشريسي ، إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني ، لبنان ، دار ابن حزم ، ط 1 ، 1427 هـ 2006 م ، ص 14 ، 15.

(4) التكروري ، مرجع سابق ، ص 135.

(5) التكروري ، مرجع سابق ، ص 135..

(6) ينظر : ترجمة الغرياني للونشريسي ، إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، ص 13.

(7) ينظر : الكتاني ، فهرس الفهارس ، ج 2 ص 1122. والحروري ، ص 135.

أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني⁽¹⁾ ت 854 هـ ، وإبراهيم بن قاسم العقباني⁽²⁾ ت 880 هـ ، والفقيه المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني التلمساني⁽³⁾ ت 871 هـ ، كما أخذ محمد بن أبي القاسم القوري ت 872 هـ ، وأبي العباس ابن زكري المانوي التلمساني⁽⁴⁾ 899 هـ ، وتلمذ أيضًا على يد أحمد بن محمد بن عبد الله بن مرزوق المكناسي الفاسي ت 872 هـ ، ومن شيوخه المفسرين أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج الحباك⁽⁵⁾ ت 871 هـ

وكان لهؤلاء الشيوخ بالغ الأثر في تكوينه العلمي الراسخ وصقل ملكته الفقهية حتى غدا من كبار المفتين والقضاة في المذهب المالكي .

ثانيا : تلاميذه :

درس على الإمام الونشريسي جلة من الأعلام⁽⁶⁾ الذين نهلوا من علمه وانتفعوا بفقهه ، أبرزهم ابنه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي ت 955 هـ ، وأبو عبد الله محمد بن محمد التغلبي الغرديسي ت 897 هـ ، وزكريا بن يحيى بن مخلوف السوسي الغرديسي ت 927 هـ ، والشيخ الفقيه أبو محمد الحسن بن عثمان التاملي الجزولي ت 932 هـ ...

مكانته العلمية :

احتل الإمام أبو العباس الونشريسي مكانة رفيعة بين علماء المغرب الإسلامي ، إذ أجمع المؤرخون على غزارة علمه وعمق فهمه ودقة استنباطه ، فقد كان من كبار الفقهاء المالكية ، وأعلم الناس بالقضاء والفتوى ، وأفصح أهل عصره لسانا :

قال ابن غازي: " لو أنّ رجلا حلف بطلاق زوجته أنّ أبا العباس الونشريسي أحاط

(1) ينظر: الونشريسي ، وفيات الونشريسي ، تحقيق محمد بن يوسف القاضي ، شركة نوايغ الفكر ، ص 95.

(2) نفسه ، ص 106.

(3) نفسه ، ص 103.

(4) نفسه ، ص 111.

(5) نفسه ، ص 103.

(6) ينظر ، البستان ، ص 53 ، 54 . وترجمة الغرياني ، ص 17.

بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان بارًا في يمينه ولا تُطلق عنه زوجته ⁽¹⁾، وقال عنه المنجور: "كان مشاركًا في عدد من فنون العلم حسبما تضمنت ذلك فهرسته، إلا أنه أكبَّ على تدريس الفقه فيقول من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره، وكان فصيح اللسان والقلم حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه أو عبارة نحو ذلك" ⁽²⁾.

مؤلفاته:

خلف الإمام الونشريسي تراثًا علميًا زاخرًا تنوع بين الفقه والأصول والفتاوى، ومن أبرز مؤلفاته ⁽³⁾:

المعيار المغرب والجامع عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، وهو أشهر كتبه وأوسعها، جمع فيه فتاوى واجتهادات علماء الغرب الإسلامي. إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، ويُعد من أهم الكتب في القواعد الفقهية المالكية.

المنهج الفائق والمنهل الرائق في آداب الموثق وأحكام الوثائق، تناول فيه علم التوثيق وأحكامه، وطُبع بمدينة فاس.

عدّة البروق في جمع ما في المذهب من الفروق، وهو كتاب فقهي دقيق في مسائل المقارنة داخل المذهب المالكي.

كتاب الوفيات، جمع فيه تراجم لعدد من علماء القرن الثامن، من شيوخه وكان معروفًا بفهرسة شيوخ الونشريسي

(1) ينظر: محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1397 هـ 1977 م، ص 47.

(2) أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1396 هـ 1976 م، ص 50.

(3) للتوسع أكثر ينظر: عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضرية، المغرب، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1396 هـ 1976 م، ص 157 وما بعدها.

توفي الإمام الونشريسي رحمه الله بمدينة فاس سنة 914هـ⁽¹⁾، بعد عمر حافل بالعلم والتعليم، تاركاً إرثاً علمياً خالداً يشهد له بالرسوخ في العلم والخدمة العظيمة للفقه المالكي.

المبحث الثاني: المعيار المعرب: قيمته العلمية ومصادره

أولاً: كتاب المعيار المعرب

يعدّ كتاب المعيار المعرب من أضخم الموسوعات الفقهية المالكية في الغرب الإسلامي، إذ جمع فيه صاحبه تراث قرون من الفتوى والاجتهاد أنجز بها لتطور الفتوى من القرن الخامس إلى التاسع الهجري، وسجل إرثاً معرفياً جمع بين التأصيل والتنزيل؛ ولهذا وصفه عبد الحي الكتاني بأنه "أعظم الكتب التي كادت أن تحيط بالمذهب المالكي"⁽²⁾، إضافة إلى قيمته العملية العاكسة لفقه الواقع والنوازل، مما جعله مرجعاً في الفقه المقارن وفهم ضوابط التنزيل على الواقع، وهو بهذا يعدّ مكتبة تراثية زاخرة في الفقه والقضاء والتاريخ الاجتماعي للمغرب الإسلامي.

ثانياً: منهج الونشريسي في تأليف المعيار

يقوم منهج الإمام الونشريسي على الجمع والتحقيق والتوثيق، فهو لم يكتفِ بالنقل مع أهميته بل عمد إلى تحرير النوازل الفقهية وتصنيفها وفق أبواب الفقه المالكي، مما جعل من المعيار موسوعة منضبطة بمنهجية صارمة، قال رحمه الله تعالى: "جمعت فيه من أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه واستخراجه من مكانه لتبدده وتفريقه وانهمام محله وطريقه، رغبه في عموم النفع به ومضاعفة الأجر بسببه"⁽³⁾، وقال في خاتمة كتابه: "قد أتيت من هذه الأجوبة الباهرة والفتاوى الواضحة الظاهرة

(1) ابن خلدون، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، عناية ابن أبي شنب، الطبعة الثعالبية، 1908م، ص 54.

(2) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، عناية إحسان عباس، ط 1، 1402هـ 1982م، ج 2 ص 1123.

(3) الونشريسي، المعيار المعرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1401هـ 1981م، ج 1 ص 1.

على ما شرطت وعليه ربطت والله قصدت ⁽¹⁾، وهو بهذا يجمع بين جمع مادة يعسر الوصول إليها وفق منهج منضبط في الاختيار والترتيب والذي عبر عنه بـ على ما شرطت وعليه ربطت. اعتمد صاحب المعيار على الترتيب الفقهي المبوّب وفق المدوّنات المالكية الكبرى، فابتدأ بالعبادات ثم المعاملات فالأحوال الشخصية، تماشياً مع ما وصل إليه المنهج التأليفي عند فقهاء المالكية قبله ، وقد صرح بمنهجه هذا فقال : " ورتبته على الأبواب الفقهية ليسهل الأمر فيه على الناظر " ⁽²⁾.

اتسم صاحب المعيار بالموضوعية والصرامة في توثيق الأجوبة إلى مصادرها الأصلية غالباً ، فكان يذكر المقتي أو الكتاب المنقول عنه. منهج الونشريسي يعكس نضج المدرسة المغربية التي تمزج بين الفقه النظري والاجتهاد الواقعي في النوازل.

ثالثاً : مصادر الونشريسي في المعيار:

استقى الونشريسي مادته من عدة مصادر يمكن تصنيفها إلى مصادر عامة في الفقه المالكي والتي تمثل أمات كتب المذهب ، ومصادر في الفتاوى والنوازل في بلاد المغرب والأندلس وهي التي قام عليها الكتاب وأهمها:

مكتبة آل الغرديس : قال أحمد بابا التكروري : " ... والفقيه العلامة القاضي محمد بن الغرديسي التغلبي وبخزانة هذا الرجل انتفع لاحتوائها على تصانيف الفنون بها استعان في تصنيف كتابه المعيار سيما فتاوى فاس والأندلس فإنما تيسرت له من هذه الخزانة " ⁽³⁾. جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ، لأبي القاسم أحمد البلوي البرزلي ت 841م ، وهو من أهم مصادر الونشريسي ، وله اختصار عليه بعنوان مختصر

(1) نفسه ، ج 12 ص 394 ، 395.

(2) الونشريسي ، المعيار المغرب ، ج 1 ص 1.

(3) أحمد بابا بن أحمد التكروري التنيكتي السوداني ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا ، ط 2 ، 2000 م ، ص 135.

أحكام البرزلي⁽¹⁾.

الدرر المكنونة في نوازل مازونة : لأبي زكرياء يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني ت 883. قال التكروري : " أما فتاوى إفريقيا وتلمسان فاعتمد في ذلك على نوازل البرزلي والمازوني فيما يظهر لمن طالعهما "⁽²⁾.

فتاوى ابن أبي زيد القيرواني ت 286 هـ.

أجوبة أبي الحسن القابسي ت 403 هـ

فتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي ت 478 هـ

فتاوى المازري ت 536 هـ

معين الحكام على القضايا والأحكام لابن عبد الرفيع التونسي 733 هـ.

نوازل ابن أبي زمنين ت 399 هـ.

نوازل أبي الوليد الباجي ت 474 هـ

فتاوى ابن رشد الجدّ ت 520 هـ

فتاوى الشاطبي ت 790 هـ

مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض ت 544 هـ.

المبحث الثالث أنواع المسائل التفسيرية في المعيار:

يوجد في المعيار المغرب ثلاثة أنواع من "المسائل التفسيرية" باعتبار تناول المعيار لها وهي إما مسائل مفردة أو متعددة أو متعددة للآية الواحدة على التفصيل الآتي :

المسألة المفردة:

يطرح المستفتي في هذه الحالة سؤالاً واحداً يتعلق بالتفسير فيتعامل معها الإمام

(1) ذكر الباحث عبد العالي المتقي أنه توجد نسخة من الكتاب في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2198 ضمن مجموع ، ينظر : مقال للباحث بعنوان : المعيار المغرب للنوشر في قراءة في المنهج ، ص 140. على حساب الباحث في

https://www.researchgate.net/publication/351335010_almyar_almrbl_lwnshrysy_qrat_fy_al_mnhj

mnhj

(2) أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكي السوداني ، مرجع سابق ، ص 135.

الونشريسي كباقي الفتاوى ويُصَدِّرُ لها بقوله "مسألة" ، ثم يجيب عنها المفتي بإجابة واحدة موجَّهة لذلك السؤال ، نحو

قوله : " مسألة : وسئل الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله عن فائدة قوله تعالى : وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . قال : فأجبت فيه بجواب اخترعته لم يسبقني إليه أحد ... " (1) .

وقوله : " مسألة : ما معنى الآية الكريمة: ما أصاب من مصيبة في الأرض ؟

وسئل الخطيب الشيخ الصالح العالم أبو عبد الله سيدي محمد ابن ابراهيم بن عباد رضي الله عنه ونفعنا ببركاته عن قول الله تعالى : مَا أَصَابَ مِنْ مَّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا . ثم قال : لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . الآية و فهمت عدم ترتب الأسى على سبق المصيبة في كتاب ، ولم أفهم عدم ترتب الفرح عليه . وكنت سألتكم عنه فأجبتوني بجواب بعيد ، وضاع مني . وأنا التمس إعادة بركتكم فيه وقد أراحكم الله من تعيي زماناً طويلاً ما كنت لأصبر عنكم بعضه لولا سبق ذلك في الكتاب " (2) .

المسائل المتعددة:

وفيهما يوجَّه المستفتي جملة من الأسئلة التفسيرية دفعة واحدة حول عدة آيات أو قضايا تفسيرية متقاربة ، وفي هذه الحالة يخصص الونشريسي لهذه المسائل عنوانا خاصا نحو قوله : "سؤالات في التفسير" ، ويقدم المفتي المفسر أجوبة يتناول فيها كل الأسئلة بالتفصيل ، بحيث تكون الإجابة أشبه ببحث مستقل في التفسير داخل سياق الإفتاء.

نحو قول الونشريسي تحت عنوان : سؤالات من التفسير وغيره : " أسئلة ابن العشاب التسعة والعشرون وأجوبة ابن البقال عنها سأل عنها الفقيه أبو زيد بن العشاب رحمه الله تعالى الفقيه العلامة أبا عبد الله بن البقال رحمه الله تعالى نقلتها من خط الفقيه الأعراف الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن بري نصها:

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبداه : أما بعد ، فحقق الله آمال سيدنا الفقيه الأجل العالم القدوة أبي عبد الله بن الشيخ الأجل الأكمل أبي عبد الله ،

(1) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ج 12 ص 344.

(2) نفسه ، ج 11 ص 184 ، 185.

فإن المتعلق بأذيالكم عبد الرحمان بن محمد بن أحمد راغب أن تجيبوه عن مسائل طالما غدا فيها مفكراً فلم يفتح له فيها بجواب فعساك يا سيدي تتطول علي بالجواب عنها، والفحص عن مشكلاتها والبيان لكل فصل منها، والله المعين وعليه نتوكل وهو حسبما ونعم الوكيل ...⁽¹⁾ . وسأله في تسعة وعشرين مسألة كلها مستشكلة وهي مجموعة في الجدول الآتي :

الآية	وجه الإشكال
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتٌ فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِرْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران 16	الإشكال: هل يجوز للقارئ أن يخص الدعاء بنفسه ويرد الضمائر إليه؟
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء 48.	الإشكال: كيف يدخل من كفر بغير الشرك في العموم، مع تخصيص الآية بمن مات على الشرك؟
﴿قُلْ إِنْ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ الأعراف 28.	الإشكال: إذا كان القبح هو المنهي عنه شرعاً فكيف يصح النسخ؟
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة 156.	الإشكال: هل تدخل مصيبة الذنوب في عموم المصائب المذكورة؟
﴿لَا يَطْعَمُ إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِزَعْمِهِمْ﴾ الأنعام 138	الإشكال: هل الضمير في "من نشأ" لله أم للقوم؟
﴿ثُمَّ نَبَيُّ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّالِّينَ أَنَّنِي مِّنَ الْمُعْزِ ۚ أَنَّنِي ۖ﴾	الإشكال: كيف تكون الآية حجة عليهم مع أن الله يحرم ويحل ما يشاء من الصنف الواحد؟
﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ	الإشكال: كيف يثبت علم الله بما لا يكون؟ وهل

(1) الونشريسي، المعيار، ج 12 ص 263.

لَكَذِبُونَ ﴿ الأنعام 28	يلزم أن يكون الشيء واجباً محالاً من جهة واحدة؟
في خلق العالم	الإشكال: هل كان يصح وجود العالم قبل وقته؟ فإن قلنا نعم لزم قدمه، وإن لا فتعسف للعقل.
﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ ﴿ البقرة 272.	الإشكال: "أقسط" من الفعل الرباعي لا الثلاثي، فكيف صح اشتقاقها على وزن "أفعل"؟
﴿ وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ النمل 24	الإشكال: كيف يعقل هذا القول من الهدهد وهو غير عاقل؟
﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ 22 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ 23 ﴿ القيامة	الإشكال: هل الآية نص في الرؤية أم ظاهرة فقط؟ وكيف الجمع مع قوله ﴿ وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة؟
﴿ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ 143 ﴿ الأعراف	الإشكال: ما الحكمة في قوله "وأنا أول المؤمنين"؟
فواتح السور وعلم الساعة	الإشكال: كيف يدعي أحد علم الساعة منها والنبي ﷺ لم يعلمه؟
﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ١ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴿ الأعراف 54.	الإشكال: كيف تكون الأيام بلا شمس ولا قمر؟ وعلى من قال إن اليوم ألف سنة؟
إطلاق لفظ "الذات"	الإشكال: هل إطلاقه في العقيدة سائغ أم موهوم يجب منعه؟
﴿ فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ 65 إِنَّا لَمُعْرِضُونَ 66	الإشكال: ما معنى "تفكّهون"؟ وهل تشرب معنى

﴿ الواقعة ﴾	القول فتعمل في "إنا لمغرمون"؟
﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ يوسف 100.	الإشكال: ما معنى "لطيف" هنا؟ ولم عُديت باللام؟ وهل فيه دليل على خلق أفعال العباد؟
﴿ قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ الكهف 109.	الإشكال: ما المراد بالكلمات؟ وهل هي المعلومات؟ وهل الله متكلم بكل معلوماته؟
﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ 76 الأنعام	الإشكال: لماذا لم يحكم بعدم الألوهية إلا بعد الأفول؟ وهل الآية تدل على أن الأرض ليست كروية؟
﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ التوبة 80.	الإشكال: هل السبعون مقصودة لعيها؟ وكيف يفهم قوله ﷺ "لأزيدن على السبعين"؟
﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ 78 هود	الإشكال: ما وجه دخول همزة الاستفهام على النفي وبقاء النفي بعدها؟
﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ التوبة 118.	الإشكال: ما معنى "تاب عليهم"؟ ولم جعلت توبته سبباً لتوبتهم مع أنهم تابوا قبل نزولها؟
﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ 103 الأنعام	الإشكال: ما معنى إدراك الأبصار؟ وكيف الاستدلال بها على الرؤية؟
﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ المؤمنون 91	الإشكال: هل في الآية نفسها رد على من قال باتخاذ الولد؟
﴿ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا آلِي	الإشكال: لماذا ردّ الله عليهم بهذا مع أنهم أرادوا

وَلَدَّ لَهُمْ ﴿ المجادلة 02	التشبيه لا الحقيقة؟
﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ٤٣﴾ الأنفال 43	الإشكال: هل الرؤيا تدل على القلة حقيقة؟ وهل تأولها النبي ﷺ بخلاف ظاهرها؟
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّعَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ٤٤ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا ٤٥ كَانَ مَفْعُولًا ٤٦﴾ الأنفال 44	الإشكال: ما الحكمة في اختلاف التعبيرين؟ وكيف يُتصور أن يرى الإنسان خلاف ما هو عليه يقيناً؟
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ١٩٧﴾ البقرة 197.	الإشكال: كيف يُحضّر على الزاد المطعوم ثم يقال خير الزاد التقوى؟
﴿ أَنَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ٤٤﴾ البقرة 44	الإشكال: على من وقع الإنكار؟ على الجمع بين الفعلين أم على كل واحد؟ ولم رفع "تنسون"؟

المسائل المتعددة عن الآية الواحدة :

في هذه الحالة يكون السؤال متعدد الجوانب ولكنه لا يخرج عن الآية الواحدة ، ووكأنه تثوير للآية من جميع النواحي والبحث عن سرّ اختيار كل لفظ أو سر تخصيص أو تقييد أو إضافة أو تقديم وتأخير أو تذييل ... وهذا نحو قول الونشريسي : " مسألة : أسئلة عشرون تتعلق بالآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فاطر 32 (1) .

وهي مجموعة في التالي :

سر "ثم": لماذا استعملت "ثم" دون غيرها من حروف العطف؟

سر "أورثنا": لم عبّر بالوراثة ولم يقل "آتيناهم" كما في آيات أخرى؟

الفرق بين الاصطفاء والاختيار: هل يصح أن يقال "اخترنا" بدل "اصطفينا"؟ وما الفارق

(1) الونشريسي ، المعيار ، ج 11 ص 226.

بينهما؟

لفظ "الكتاب": لماذا قال "الكتاب" ولم يقل "القرآن" كما في مواضع أخرى؟

الاسم الموصول "الذين": ما سر التعبير به دون الاسم الصريح "المصطفين"؟

لفظ "العباد": لماذا قال "عبادنا" ولم يقل "عبيدنا"؟

تقديم "الظالم لنفسه": ما الحكمة من تقديمه على "المقتصد" و"السابق بالخيرات"؟

قيد "بإذن الله": لِمَ قَيِّدَ به "السابق بالخيرات" ولم يرد مثله في قوله "والسابقون السابقون"؟

تخصيص القيد بالقسم الأخير: ما وجه تقييد القسم الثالث بـ "بإذن الله" دون سائر الأقسام؟

عدم إضافة الكتاب إلى الله: لماذا قال "الكتاب" لا "كتابنا" كما في قوله السابق "يتلون كتاب الله"؟

الوراثه بعد الجهل: كيف يتقرر معنى الوراثه بعد ذكر الجهل في السياق؟

﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾: ما سر هذا التعبير دون قوله "أولئك هم أهل الفضل الكبير"؟

تقديم جملة ﴿جنات عدن يدخلونها﴾: ما الحكمة في تقديمها على ما بعدها؟

لفظ "الفضل" بدل "الفوز": لماذا عبر بالفضل لا بالفوز كما في مواضع أخرى؟

لفظ "الكبير" لا "الأكبر": مع أن المقام في بيان أعظم الثواب، فلم لم يقل الأكبر؟

الفعل المضارع "يدخلونها": ما سر التعبير بالمضارع لا بالماضي كما في الأحاديث؟

تقديم التحلية على اللباس: ما الحكمة من ذكر الحلية قبل اللباس مع أن العادة بالعكس؟

قولهم "إن ربنا لغفور شكور": ما سر هذا الوصف دون قولهم "غفور رحيم"؟

تركهم وصف الله بـ "خير بصير": لِمَ لم يكرر الوصف المذكور قبلها ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ 31 ﴾ فاطر ؟

تفسير الآية وعمومها: هل تخص الآية أهل القرآن خاصة أم تشمل المؤمنين كافة؟

المحور الثاني: مصادر المسائل التفسيرية ومنهج تناولها في المعيار

المبحث الأول : مسائل التفسير في المعيار

أولا: التفسير في المعيار نتاج جماعي لا فردي :

إنَّ الكلام عن "مصادر مسائل المعيار في التفسير" في حقيقته كلام عن كتاب المعيار لا عن شخص الونشريسي بوصفه مفسرا ؛ لأنَّ هذا الكتاب ليس تفسيرا للقرآن بالمعنى المعروف ، وإنما هو مجموعة من النوازل والفتاوى جُمعت من مصادر متعددة وفتاوى متنوعة صدرت عن علماء وفقهاء من عصور مختلفة.

فالونشريسي أدَّى دور الجامع والمنتقي والمرتب لأكثر ما في الكتاب ، وبالتالي فإن ما نجده من شواهد تفسيرية في المعيار هو انعكاس لاجتهادات مفسرين أو مفتين نُقلت أقوالهم في سياق الإجابة عن الفتاوى المنثورة في الكتاب .

وهذا يترتب عليه أمران :

الطابع الجماعي للمسائل التفسيرية في المعيار : أي أنَّ ما وجد في كتاب المعيار هو في الحقيقة محصَّلة لجماعة من المفتين والفقهاء .

نسبة المسائل إلى الونشريسي: لا يمكن الجزم بأن القول التفسيري الوارد في المعيار هو رأي للونشريسي بالضرورة ؛ مع ترجيح ذلك عند عدم التعقيب على توجيه الآية ، وقد يكون مجرد ناقل عن صاحب الفتوى التفسيرية ، وهذا يحيلنا إلى أنَّ دراسة التفسير في المعيار ليست بحثا في رأي الونشريسي التفسيري بل هي دراسة لمسائل عدة لمفتين متعددين ، والجامع لها هو الإمام الونشريسي.

ثانيا : السائل والمجيب عن مسائل التفسير في المعيار:

من خلال استقراء كتاب المعيار المعرب يتبين تعدّد السائلين والمجيبين بين فقهاء

ومحدثين ومفسرين من المغرب والأندلس وحواضر علمية عاصرها الونشريسي كتازة وفاس وتلمسان وبجاية مراكش... واختلفت مواضيع الأسئلة بين قضايا لغوية وكلامية متعلقة بالآيات القرآنية، ولكن الغالب فيها هو دفع إشكال أو بيان حكمة... مما يعكس عمق الحوار العلمي واتساع أفق الاجتهاد في التعامل مع النص القرآني في بلاد المغرب والأندلس.

ويُظهر هذا الجمع أن الونشريسي وثّق حركة السؤال والجواب في ميدان التفسير على قلتها مقارنة مع النوازل الفقهية، حيث يظهر التفاعل العلمي بين العلماء في استجلاء معاني القرآن وأسرار ألفاظه.

ويقدّم الجدول الآتي نماذج لهذا التنوع بين السائلين والمجيبين وموضوعات الأسئلة كما وردت في نصوص المعيار مما يعين على فهم طبيعة المسائل التفسيرية في المعيار وأسلوبها ومنهج الإجابة عنها والاستدلال لها:

رقم	اسم السائل	اسم المجيب	موضوع السؤال	عنوان المسألة في المعيار
1	الفقيه أبو زيد الرحمن بن محمد بن أحمد العشّاب التّازي	الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي ابن البقال التّازي ثم الفاسي	مجموعة الأسئلة التسعة والعشرون في التفسير والعقيدة واللغة، منها: - معنى الدعاء في التلاوة - تفسير آية إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - معنى إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ - معنى إنا لله وإنا إليه راجعون - مسائل في أفعال الله والقدر - معنى تفكّهون - تفسير ثم تاب عليهم ليتوبوا - مسألة الرؤية، الوجوه الناضرة -	ورد النص بعنوان: أسئلة ابن العشّاب التسعة والعشرون وأجوبة ابن البقال عنها، منقولة بخط أبي الحسن بن بري.

			مسألة أولاد إبليس والجن - قضايا أصولية في الأمر والنهي ...	
2	الشيخ الفاضل أبو العباس المراكشي	الشيخ أبو عبد الله ابن البقال	سؤال عن الإشارة في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ الإسراء 48 ، ووجه ربطها بإنعام الله على عباده رغم المخالفة.	نص السؤال والجواب ورد لاحقاً في مجموعة المعيار، وجوابه طويل يشرح معنى الإشارة المخالفة للعبارة / التفسير الإشاري
3	مجهول بعبارة وسئل بعضهم	مجهول	سؤال عن السرّ في اختيار السعي بدل الطيران في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيٌ﴾ البقرة 260.	الحكمة في آية : ثم ادعهن يأتينك سعياً
4	مجهول بعبارة وسئل .	ابن عباد أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم بن محمد بن مالك النفزي الرندي	سؤال حول معنى قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ۚ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ 22 ﴾	ما معنى الآية الكريمة: ما أصاب من مصيبة في الأرض؟
5	ابن عباد أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم بن محمد بن	المازري	عن قوله تعالى في الأحقاف ﴿يَقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَامِنُوا بِهِ﴾ إلى قوله ﴿مُيِّنٍ﴾ 32 ، هل يدخل مؤمنو الجن الجنة أم لا؟	وسئل المازري عن قوله تعالى في الأحقاف ...

	مالك النفزي الرندي			
6	محمد المقرئ وابراهيم بن الإمام	محمد المقرئ وابراهيم بن الإمام	مناقشة في مسائل التوبة والتكليف والعقوبة، وردّ على استشكالات في أصول الفقه المتعلقة بالأمر والنهي.	محاورة بين الإمامين التلمسانين محمد المقرئ وابراهيم بن الإمام
7	مجهول : وسئل الإمام أبو عبد الله المازري	المازري	سؤال عن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ 79 ﴾ يس قال : فأجبت فيه بجواب اخترعته لم يسبقني إليه أحد،	وسئل الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله عن فائدة قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

المبحث الثاني : منهج الونشريسي في معالجة المسائل التفسيرية

تحديد الإشكال :

يبدأ الونشريسي المسألة بصياغة صريحة تُبين المقصود من السؤال التفسيري هل هو الشرح اللغوي أو البياني أو وجه الإشكال بشكل عام كقوله : " وسئل عن الإيمان هل يزيد وينقص " ، وأحيانا يصدر المسألة بوصف الإجابة كقوله " جواب مطول " ، أو عدد الأسئلة كقوله : " أسئلة ابن العشاب التسعة والعشرون " ... وإليك نماذج من هذه الصياغات :

وقد سئل عن قول موسى للخضر عليهما السلام : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ... جواب مطول حول إشكال آية: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

وسئل عن الإيمان هل يزيد وينقص أم لا ؟ ...

وسئل المازري عن قوله تعالى في الأحقاف ويا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به إلى قوله مبين هل يدخل مؤمنو الجن الجنة أم لا ؟

أسئلة ابن العشاب التسعة والعشرون وأجوبة ابن البقال عنها سأل عنها الفقيه أبو زيد بن العشاب رحمه الله تعالى الفقيه العلامة أبا عبد الله بن البقال رحمه الله تعالى نقلتها من

خط الفقيه الأعرف الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن بري نصها:
وهذه الخطوة توضح أن لديه وعياً منهجياً في وضع العناوين الدالة على مضمون
الإشكال أو وصفه أو سببه ...

عرض نص الآية ووضعها السياقي :

تُعرض الآية في مسائل من المعيار نصاً ثم ينوّه بسياقها أو الموضع الذي وردت فيه،
ويعتمد ربط المعنى بسياق السورة كأداة أساسية لتضييق الدلالة أو توسيعها ، نحو قوله : "
ولما تأملت قول الله عز وجل : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ ۖ فَأَتَمَّهُنَّ ۚ الْبَقَرَةُ 124 ، وجدت
قوله إني جاعلك الآية ، يقع مما قبله هذا الموقع ويترتب عليه هذا الترتيب

ولما كان قول الشيخ رضي الله عنه ، واهدنا إلى العمل ، إلى قوله : فَأَتَمَّهُنَّ مقتبساً من
قوله تعالى : وَإِذِ ابْتَلَىٰ وهو في المعنى جاء بلفظ الآية الأخرى مرتباً لها على ما قبلها من كلامه
ترتبها على الآية التي قبلها في القرآن. وقوله عقب الآية فاجعلنا من المحسنين من ذريته إلى قوله
: واسلك بنا سبيل الأئمة المتقين بالفاء التي تقتضي التسبب والترتيب يعضد هذا المعنى الذي
ذكرت لكم . فتأملوه ولولا الإطالة لرسمته لكم . ولا يمكن أن يحمل على أنه تصرف في التلاوة
بما لم يغير معناها لأجل سداد كلامه في مخاطبة ربه عز وجل كما ذكرتم . فإن القصد إلى
التلاوة مع التصرف فيها بمثل ذلك التصرف لا يجوز ، ولو لم يصح شيء مما قررته لكم وكان
الصواب فيه ما سبق إلى فهمكم أوجب حمل ما في ذلك الكلام من ألفاظ القرآن على أنه
محاذات للفظه ومحاكات له لا أنه قرآن ... " (1) .

ذكر القواعد المعتمدة في التفسير:

في بعض المسائل ينوّه بأسباب النزول والسياق لفهم مقصود الآيات باعتبارهما
يساعدان على حسم الالتباس الدلالي غالباً ؛ نحو ما جاء في المعيار عند تفسير قوله تعالى
: لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ الْفَتْح 02 : " ... قد سبق أنّ أعلى طبقات
المغفرة ستر الذنب وطيه بإذهاب عينه وأثره وتخليّة النفس عن سمت مصدره وتحليتها بما
تشيع به التصرفات النفسية في سلك التصرفات الروحية ، فيكون القلب روحانياً من وجهين ،

(1) الونشريسي ، المعيار ، ج 12 ص 192.

وأن ثم طبقات نازلة عن هذه، فاعلم الآن أن الآية الكريمة تضمنت من الاعتناء بالنبي صلى الله عليه وسلم والاحتفاء بأمره، والتنبيه على علو مكانته ومنصبه، ما يلوح بعضه من كلمات الآية لفظاً وسياقاً للمتأمل الناظر وإفادة من انشراح الصدر وإراحة القلب وذهاب الحزن والغم ومضاعفة الأفراح والمسرات ما يدرك من العلم بسبب نزولها⁽¹⁾.

عرض الخلاف في المسألة :

في بعض المسائل ينه المستفتى إلى وجود خلاف في تفسير الآية المستفتى عنها نحو : " ... فأجاب رضي الله عنه بما نصه ومن خطه ما نقلت: اختلف الناس في معنى قوله : مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ۖ الحديد 22 : فقال بعضهم ما حدث من حادث خير وشر، على معنى لفظ أصاب، لا على عرف المصيبة، فإن عرفها في الشر، فعلى هذا يسقط السؤال ولا يحتاج إلى قول القائل : وما قبل من خير فكذلك، لأن الخير مذكور فيها بالنص كالضرر سواء. وقال آخرون : إنما أراد عرف المصيبة، وهو الشر، وخصها بالذكر، لأنها أهم على البشر. فعلى هذا الخير في الآية كالمنصوص عليه، فلا حاجة أيضاً إلى ذلك القول، بمنزلة قوله تعالى : سراويل تقيكم الحر. يعني : والبرد، فالبرد في الآية كالمنصوص عليه فحصل من هذا أن الأسى والفرح في الآية الكريمة ترتبا ترتيباً مساوياً على ما تقدم من ذكر المصيبة على القولين، وسقط قول السائل : ومن أين يلزم من سبق المصائب في كتاب انتهاء المصائب أو غيره عن الفرح بما أوتي وظهر وجه أخذه من الآية الكريمة بما أوتي وظهر وجه أخذه من الآية الكريمة " (2)

الاستشهاد بأقوال أعلام المفسرين :

من خلال استقراء مسائل التفسير يظهر جلياً أثر تفاسير بعينها على أعلام المغرب والأندلس ومنها تفسير فخر الدين الرازي وابن عطية والزمخشري فضلاً عن تفاسير آيات الأحكام التي تتقاطع مع مقصد الكتاب وموضوعه وهو الفقه والنوازل كتفسير القرطبي وابن العربي ...

ومن أمثلة النقل عن أعلام التفسير في المعيار :

(1) الونشريسي ، المعيار ، ج 12 ص 240.

(2) نفسه ج 11 ص 185 ، 186.

ابن عطية الأندلسي :

تفسير قوله تعالى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَقْلِينَ ، " ولقد نقل أبو محمد بن عطية في قوله تعالى : والقمر إذا تلاها عن الحسن أن القمر يتلو الشمس لأن ضوءه منها " ... وإنما ذلك في أهل الإيمان فهذا الكلام ذكر من غير تأمل في الآية، ولعله يتمشى على قول قتادة، على ما نقله ابن عطية في الآية .

" ... قال ابن عطية والزمخشري : قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا فِيهِ إِنْخَابَ بَغِيبٍ . قلت لا يكون هذا إلا من عند من جعل الإتيان بسورة من مثله مقدوراً لهم وإنما صرفوا عنه، وهذا اختيار الإمام، ولذلك اعترض عليه في موافقتهما على ذلك ... " (1) .

فخر الدين الرازي :

" ... فإن قلت هذا الجواب قد يتمشى على كل معنى ذكر في الآية لأن أهل الطريقة ذكروا وجوهاً، وأهل الحقيقة ذكروا وجوهاً وغيروا العبارات على قدر المقامات، كما أشار إليه الفخر وغيره " (2) .

" ... فأما الوجه الأول الذي ذكر الفخر فهو جار على مذهب السنة. والضمير المفعول في يدخلونها يعود إلى جميع الأقسام وهذا القسم يمنع أهل الاعتزال، فلذلك منعوا هذا الوجه في عود الضمير للثلاثة، وهذا الوجه يوجب أهل الأرجاء ويجوزه أهل السنة على معنى ما تقدم من الدخول بمعنى : مالهم الجنة، لا أنهم يدخلون أولاً كلهم لأن الإجماع منا مما يمنع ذلك، لأنه لا بد أن ينفذ في طائفة الوعيد في كل قسم من العصاة ورد فيها الوعيد "

ذكر قول الرازي للرد عليه نحو هذا التوجيه : " ... وأما الوجه السابع في كلامه فلا يظهر لي بوجه والعجب من قبول الإمام الفخر له ولم يرده وهو جدير بالرد بأن أصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال، وهم في سموم وحميم. وهم أهل الكفر، وهم في النار، وهذه الأقسام كيف يصح الإخبار عن الجميع بأنهم في الجنة؟ " (3) .

" ... والعاشر قريب من الخامس. وتأمل الفرق بينهما وما اختاره الفخر فيه ما يتأمل مع

(1) الونشريسي ، المعيار ، ج 12 ص 341.

(2) نفسه ، ج 12 ص 330.

(3) الونشريسي ، المعيار ، ج 12 ص 331.

ما تقدم ولهم عبارات إن الظالم من أخذ العقائد بتقليد في سيره، والمقتصد من سار بدليل الأنفس والآفاق والسابق بالخيرات من اكتفى بالله ...⁽¹⁾

الزمخشري جار الله :

"... لأن الآيات على تعددها ليس القصد بها الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم عارياً عن تبكيت الكفار، فجواب الزمخشري مستلزم الجوابه دون عكس، وربما فهم من كلام الزمخشري وإليه أشار بقوله على سبيل التهكم إلى آخر كلامه، ولا يستلزم هذا الجواب جواب الزمخشري فالحق جعل الجوابين جواباً واحداً والله تعالى أعلم"⁽²⁾.

وباستقراء منهج النقل عن المفسرين يمكننا القول أنه جمع انتقائي للأقوال المفسرة لا نقل مطول لأقوال المفسرين بل المعتمد هو اختيار ما يخدم تحرير المعنى أو إيراد قول للرد عليه .

التحقيق اللغوي :

يكثُر في مسائل التفسير في المعيار التحقيق اللغوي والحرص على بيان المعنى اللغوي للفظ، وكذلك المعنى الاصطلاحي وما يتبعه من اشتقاق ، وقد يكون السؤال موجهاً لهذا أساساً كقول السائل : " وما حقيقة تَابَ عَلَيْهِمْ لُغَةً وَمَعْنَى ؟ ولم جعل توبة الله عليهم سبباً لتوبتهم وقد كانوا تائبين قبل نزول الآية والله أعلم ؟ فحقق لي هذا حقق الله لك أمالك الصالحات السنية." ⁽³⁾ .

ومن الشواهد على هذا ما يلي :

"... فجوابه أن للمفسرين في تَفَكُّهُونَ أقاويل، قيل تعجبون، وقيل موضوع الكلمة لغة تقول تفكته من كذا أي تعجبت منه، وقيل تندمون وقيل تتلومون، وقيل تفجعون " ⁽⁴⁾ .

"... وحقيقة التوبة أما لغة فالرجوع، وأما شرعاً فإقلاع النادم عن الذنب ناوياً عدم العود إليه فيما بعد. وأما قوله تعالى : ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ، فأعلم أن التوبة لها مبدأ وصورة وثمره

(1) نفسه ، ج 12 ص 332.

(2) نفسه ، ج 12 ص 339.

(3) نفسه ، ج 12 ص 268.

(4) نفسه ، ج 11 ص 282.

(1)"

"... التمهيد الأول في تحقيق معنى المغفرة وتقسيمه . المغفرة لغة وشرعاً راجعة إلى معنى الستر والتغطية، وتقول العرب للوقاية التي يقع بها المثلثم مغفراً وغفارة، لأنه يستر بها رأسه. قال الأعشى :

والشطفة القوداء تظفر بالمرخ ذي الغفاره

والغفارة أيضاً خرقة تضعها المدهنة على رأسها. والغفر بالتحريك شعر ساق المرأة لأنه يستر بشرة الساق أو لأنه يستر المرأة عن الأزواج فلا يغيظونها لمكان ذلك أو لأنها تنتفخ فتخفيه وتستره، والغفر بالسكون زئير الثوب وهو ما يعلوه فيستر سطحه والغفر شعر الأذن لأنه يستر البشرة أو لأنه يستر القول عن السمع، وفي الحديث وكيف تركت الحزورة؟ فَقَالَ جَادَهَا الْمَطَرُ فَأَغْفَرْتُ يَطْحَاؤُهَا» ، أراد أن المطر جادها حتى صار عليها مثل الغفر من النبات وهو الزئير كما مر، وفي الحديث تفسير غير هذا. وفي حديث عمر رضي الله عنه لما حُصِبَ الْمُسْجِدَ وَقِيلَ لَهُ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ هُوَ أَغْفَرُ لِلنَّخَامَةِ، أي أستر لها وأذهب بجوهرها. والغفار والغفور هو الساتر الذنوب عباده وعيوبهم وأطنيت بهذه المثل لتعلم أن المغفرة حاصلها الستر والتغطية كما أخبرتك به أولاً. وإذا كان معنى المغفرة راجعاً إلى الستر والتغطية فلنذكر معنى الستر وتقسيمه، ثم نرى ما هو الأولى بإطلاق اسم المغفرة عليه من تلك الأقسام فنقول الستر والخفاء يقابلهما " (2) .

"... معنى الذنب فيما تقدم، وأثر ذلك المعنى هل يسمى ذنباً؟ أي لعمري فغير مستنكر لغة وشرعاً تسمية الأثر باسم سببه ... " (3) .

يتبين من خلال هذه النماذج أن منهج التحقيق اللغوي في التفسير في المعيار يقوم على دقة النظر في الألفاظ من جتي اللغة والاصطلاح، مع عناية ظاهرة باستقصاء الجذور الدلالية للألفاظ واستحضار استعمالها في لسان العرب، قبل الانتقال إلى المعنى الشرعي أو التفسيري. فالمستفتي لا يكتفي بالمعنى الإجمالي، بل يعتمد إلى التحليل الاشتقائي وبيان ما بين

(1) نفسه، ج 12 ص 286.

(2) الونشريسي، المعيار، ج 11 ص 242

(3) نفسه ج ص 246.

الألفاظ من فروق دقيقة وربط ذلك بالسياق القرآني ربطاً يجلي المقاصد والمعاني ، ومن خلال هذا المنهج يتجلى الوعي بأصالة الدرس اللغوي في خدمة التفسير ، إذ يجمع بين التحقيق في اللغة والتحقق في المعنى ، والتحقيق اللغوي هنا ليس غايةً بحد ذاته ، بل وسيلةً اتخذها مفسروا المعيار لفهم النص القرآني فهماً محكماً.

الترجيح والاختيار:

ظاهرة الترجيح والاختيار بين الأقوال سمة بارزة من سمات أجوبة المعيار ، إذ يظهر فيه نضج النظر واجتهاد المفتي في الموازنة بين الأقوال المختلفة داخل المذهب ، ولعل هذا النهج العام انسحب على تفسير الآيات في المعيار فبعد عرض تحليل السياق القرآني والميزان اللغوي والشرعي ، واستحضار المقاصد والمعاني الكلية التي تُعين على اختيار القول الأرجح. يذكر المستفتى ما ترجح عنده ، وغالباً ما يعبر عن موقفه بصيغ معتدلة مثل وعندي ، فيجمع بذلك بين التحقيق العلمي والتأدب مع الخلاف ، ولعل هذا راجع لطبيعة سياق التفسير نفسه المتعلق باستشكال ما أو البحث عن حكمة ما من الآية ، ومن يدفع إشكالا أو يبحث عن حكمة يظهر له من النظر ما لا يظهر لغيره ممن يوجه المعنى العام ؛ ومن نماذج الترجيح في المعيار ما يلي :

"... وذكر الآية في فضل أهل كتاب الله تعالى ولم يبعد عندي ذلك. وإذا تحقق ذلك فلا تخصيص في الآية ولا إشكال فيها، ويكون الدخول أولياً في طائفة من أهل الإيمان في الثلاثة الأقسام منهم. وهذا لا نمعنه، لأن القرآن شافع مشفع لأهله، لكن يقال: لا بد من تخصيص الآية بما ورد في بعض من حفظ القرآن ولم يعمل به، وأنه لا بد له من الوعيد والورود للنار" (1).

"... فإن قلت : وقع في كلام بعض المفسرين في تقرير الآية في قوله : ثم أورثنا قال: ثم حكمنا، وكيف يتقرر الترتيب في حكم الله وحكمه سابق؟ قلت: عندي أن ذلك فيه إشارة إلى أمر معنوي للفرق بين المقام الأول والثاني ، وليس فيه ترتيب زمان. ففي ذلك انشراح صدره صلى الله عليه وسلم، وفيه أن الذي أوحاه الله إليه يدوم أمره وترثه أمته، لأنه كان حريصاً. على كثرة أمته، وفي ضمن ذلك كثرة الأمة، لدوام المعجزة ودوام الأحكام الشرعية، على أنه

(1) الونشريسي ، المعيار ، ج 3 ص 325.

يمكن أن يقال: الحكم تعلق صلاحه وتنجزه فلا يرد السؤال إلا على الأول⁽¹⁾.
 "... وعندي أن حمل الآية عليه لا يبعد فيه لما ذكرته العلماء في فضائل القرآن وذكر أن الآية من ذلك. فإذا جوزنا ذلك، فلا يتوهم فيه الإرجاء بوجه، لأن ذلك إنما هو في فضل الأمة ممن حفظ منهم كتاب الله تعالى..."⁽²⁾.

"... قلت: الباب في الجميع واحد، وليس جوابه عندي ما ذكر، بل المعنى فيه إنا أوحينا إليك الوحي المبين الذي لو كنت مشاهداً لهذه الأمور لم تعلم منها بالمشاهدة أكثر مما أعلمناك منها بالوحي..."⁽³⁾

بعد عرض الأحكام اللغوية والأقوال والتبعات الفقهية، يتخذ موقفاً غالباً في صورة «ما يرجح عندي» أو يقدم القول الأنسب بحسب السياق والميزان اللغوي والشرعي. لا يتسم ترجيحه بالمباشرة المطلقة دائماً—أحياناً يترجح خياراً ويترك الباب مفتوحاً للخلاف.

يكون الترجيح غالباً خاضعاً لاعتبارات عملية: ما الذي يخدم الاجتهاد في النوازل؟ ما أرجح من حيث مقاصد الشريعة؟

التفسير الإشاري في المعيار :

المقصود هنا التأصيل للتفسير الإشاري أما التفسير الموجه للتركيب فهو كثير في مسائل التفسير في المعيار ، وورد في المعيار استشكل في حمل آية على الإشارة فردّ المستشهد بها مؤصلاً لقبول المعنى الإشاري إن توفرت فيه شروط معينة ومثاله : سؤال أبي العباس عن وجه الإشارة في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، حيث استشكل عليه ربط الآية بإنعام الله على عباده رغم مخالفتهم ، فقد رأى أن معنى الآية وسياقها يدل على أن التقسيم خاص بالعباد لا بين الله وعباده، وأنها تتحدث عن اختلاف الناس في أعمالهم بحسب طبائعهم، لا عن معاملة الله لهم بالرحمة رغم ذنوبهم. فطلب من الشيخ أن يوضح وجه الإشارة التي ذكرها في خطبته.

(1) نفسه ، ج 11 ص 326.

(2) نفسه ، ج 11 ص 335.

(3) نفسه ، ج 11 ص 339.

أجاب الشيخ بأنه لم يبتدع تلك الإشارة من نفسه، بل نقلها عن بعض العلماء المعتبرين الذين سبقوه، واستحسنها لأنها من باب الرجاء وسعة الرحمة الإلهية، وهو باب يُتسامح فيه في الاستنباطات اللطيفة. ويُنَّ أن الآية في أصل معناها تقسيم بين العباد، أي أن كل إنسان يعمل وفق طبيعته وسجيته، ولكن صاحب القلب المملوء برجاء الله إذا سمع الآية، قد يفهم منها إشارة إلى أن الله يعامل عباده بكرمه لا بعدل أعمالهم، فيفرح ويرجو الرحمة.

وأوضح أن الإشارة تختلف عن العبارة؛ فالعبارة تقتضي التطابق مع ظاهر النص، أما الإشارة فلا يشترط فيها ذلك، بل تستنبط معنى روحياً أو لطيفة إيمانية وراء ظاهر اللفظ، وقد درج أهل الإشارة على مثل هذا في مواضع كثيرة من القرآن ⁽¹⁾.

إن كانت المسألة تحمل انعكاساً فقهياً، فإن الونشريسي يختتم غالباً ببيان أثر التفسير على الحكم: هل يغير من النصّ الفقهي السابق؟ هل يؤكد قاعدة؟ هذا الربط هو ما يميز مقارنته: التفسير هنا لا يبقى نظرياً فقط بل يُسَقِّط على الواقع الفقهي.

استحضار القواعد الأصولية :

يوجّه الخلاف حول المعنى التفسيري أحيانا إلى خلاف في قواعد الفهم على مقتضى النظر الأصولي من ذلك مثلا ما ورد في المعيار : " ويبقى النظر في دخول المطيع منهم الجنة ونص العلماء على اختلاف في هذا، فمنهم من قال إنهم أولاد إبليس، فللعلماء في دخولهم الجنة قولان وجه الأول طاعتهم كالمؤمن من ولد الكافر، ووجه الثاني تبعيتهم لأبيهم ومن قال هم أولاد الجان فالمطيع منهم يدخل الجنة من غير خلاف من أصحاب هذا المذهب، وظواهر الآي تقتضي دخولهم، كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن إلى قوله بغير حساب فعلى القول بالأخذ بالعموم، وهو مذهب أكثر الفقهاء، يقتضي دخول هؤلاء الجنة، والقائلون بالوقف ضعف عليهم الاستدلال بهذه الآي، لكن يفتقر إلى أمر غامض من أصول الفقه، وهو الأمر بالشيء هل هو نهي عن ضده؟ والنهي عن الشيء أمر بضده أولاً؟ والنظر أيضاً في حد الواجب والحرام والمباح، وأن الواجب ما في فعله الثواب وليس في الآخرة ثواب إلا الجنة ويود على الجبائي في

(1) الونشريسي، المعيار، ج 11 ص 186.

قوله من حرم الإنسان على أن لا يفعل، والنظر فيه بسط طويل في أصول الفقه ... " (1).

وهذا النموذج يظهر أنّ الخلاف في قضايا التفسير في المعيار لا يقف عند حدود اختلاف المعاني أو تعدد الأقوال فحسب، بل يتعمق ليصل إلى أصول الفهم وقواعد الاستدلال الأصولي التي ينبنى عليها التفسير ذاته، فالمفسر يعرض المسألة أولاً من جهة ظاهر النصوص ثم يربطها بما يقرره الأصوليون من قضايا دقيقة، وبهذا يُظهر النص أن التفسير في المعيار ليس مجرد بيان لغوي أو فقهي، بل هو منهج اجتهادي مركّب يجمع بين النظر اللغوي والاستدلال الأصولي، والموازنة بين العموم والخصوص في دلالة النصوص، مما يجعل الاختلاف التفسيري فيه ثمرةً لتنوع في مناهج الفهم لا مجرد تباين في الأقوال.

الخاتمة

يتبين من خلال هذا البحث أنّ الإمام أبا العباس الونشريسي قد جسّد في كتابه المعيار المعرب نموذجاً فريداً في الجمع بين مسائل الفتوى وقضايا التفسير، بما يعكس عمق المدرسة المغاربية الأندلسية في التعامل مع النص القرآني من منظور واقعي معتمد على التفسير بالفتوى ودفع ما استشكل من آيات القرآن، والونشريسي لم يكن مفسراً بالمعنى المعروف ولكنه كان جامعاً وموثقاً ومحرراً لتراث علمي جماعي استطاع من خلاله أن يحفظ لنا مسائل تفسيرية من الغرب الإسلامي.

وقد أظهر تحليل المسائل التفسيرية في المعيار أنّ منهجه في العرض والمعالجة يقوم على خطوات تشمل تحديد الإشكال وعرض النص وجمع الأقوال ونسبة المسألة للسائل والمجيب غالباً، أما معالجة المسائل من المجيبين فوجدنا فيها: التحقيق اللغوي والترجيح المعلّل ووربط المعنى بالسياق وسبب النزول ...

أما المصادر فقد تنوعت بين كتب النوازل والفتاوى والتفاسير المشهورة، وتعدد السائلون والمجيبون مما أكسب المعيار ثراءً علمياً ومرجعياً واسعة تجمع بين النظر والنقل حول مسائل التفسير، كما أظهرت الدراسة أن التفسير في المعيار ذو طابع جماعي يعكس

(1) الونشريسي، المعيار، ج 12 ص 246.

طبيعة منهج التلقي وواقعية المستشكل من الآيات القرآنية.

توظيف الشيخ عبد الرحمن الثعالبي لبعض مباحث التصوف في التفسير

ط.د. يوسف بعيطي

جامعة الجزائر 1

ملخص: تسلّط هذه المداخلة الضوء على بعض مباحث التصوف التي تناولها الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان، والتي تبرز جانباً من منهجه في تفسير القرآن الكريم، مثل تناوله لمسألة الأولياء وصفاتهم، والخضر، فضلاً عما أورده من حكايات ورؤى وهواتف، إضافة إلى مجموعة من الأدعية المروية عن عدد من أعلام التصوف.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، التصوف، تفسير

الثعالبي

Abstract: This paper sheds light on selected aspects of Sufi thought presented by Shaykh ‘Abd al-Rahmān al-Tha‘ālībī in his Jawāhir al-Hisān, which illustrate part of his approach to Qur’anic exegesis. These include his discussion of the saints and their attributes, his treatment of al-Khidr, as well as narratives, visions, and spiritual intimations, in addition to a collection of supplications transmitted from a number of prominent Sufi figures.

Keywords: Abd al-Rahman al-Tha‘alibi, Jawahir al-Hisan, Sufism, al-Tha‘alibi’s Qur’anic exegesis

مقدمة

الحمد لله الذي علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد، مبلّغ القرآن، وخير خلق الله، وعلى آله، وصحبه، والتابعين له بإحسان، أما بعد:

فقد ظلّ تفسير القرآن الكريم في الجزائر ميدانا رحبا لتنوّع المناهج وتعدّد المشارب العلمية والفكرية، وكان للبعد الصوفي فيه حضورٌ معتبر، تجلّى في عدد من التفاسير، من أشهرها: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للإمام عبد الرحمن الثعالبي ت: 875هـ دفين الجزائر العاصمة.

أهداف المداخلة

تأتي هذه المداخلة لتسلط الضوء على توظيف الشيخ عبد الرحمن الثعالبي لبعض مباحث التصوف في تفسيره، محاولةً الكشف عن تجليات النزعة الصوفية في منهجه التفسيري.

أهمية الموضوع

تنبع أهمية الموضوع في كونه يساهم في فهم البنية الفكرية لتفسير يُعدّ من أعمدة التراث التفسيري الجزائري، كما يُبرز تفاعل العالم الجزائري مع الموروث الصوفي في خدمة البيان القرآني.

الإشكالية

تتمثل إشكالية البحث في السؤال الآتي: كيف وظّف الثعالبي مباحث التصوف في تفسيره للقرآن الكريم؟ وكيف كان موقفه منها؟

المنهج المعتمد

لتحقيق ما تقدم، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي القائم على التتبع والاستقراء للنصوص التفسيرية ذات الطابع الصوفي، مع محاولة تصنيفها ضمن مباحث تصوف مختارة.

خطة المداخلة

قُسّمت المداخلة إلى مبحثين رئيسيين: المبحث الأول: تناول فيه الباحث قضايا الأولياء والخضر والقصص القرآني، المبحث الثاني: خُصّص لمسائل الرؤى والهواتف والأدعية، كما خُتمت المداخلة بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها.

المبحث الأول: الأولياء والخضر والقصص في تفسير الثعالبي

يتناول هذا المبحث ثلاث مسائل في مطالب ثلاث:

المطلب الأول: الأولياء عند الثعالبي

1. تعريف الأولياء

الأولياء: جمع: "ولي": على وزن فعيل، اسم من الفعل: ولي يلي، ومحصل أقوال أصحاب المعاجم اللغوية أنه يرجع إلى معنى القرب والدنو، يُقال: تباعد بعد ولي: أي: قُرب⁽¹⁾، فيُطلق الولي على: المحب، والصديق، والناصر... وغيرها مما فيه معنى القرب والدنو⁽²⁾، وقد ورد في الخطاب القرآني، بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، فيُقال: الله ولي المؤمنين، أي: مُعيهم، وناصرهم، ويتولى حفظهم وكلاتهم، والمؤمن ولي الله، أي: المعان بنصر الله ﷺ، ويقال أيضا: المؤمن ولي الله، والمراد: أنه ناصرٌ لأوليائه ودينه⁽³⁾.

وقد تعددت عبارات الصوفية في تعريف الولي، كما هي عادتهم في غيره من المصطلحات، إذ إن أغلب ما يُعبّرون به ناتج عن حالٍ تختلف من صوفي إلى آخر⁽⁴⁾، ويرى القشيري -مثلا- أن للولي معنيين متلازمين: أحاهما يأتي على معنى اسم المفعول، فتكون الولاية من جهة الله بالحفظ والرعاية، والآخر على سبيل المبالغة من اسم الفاعل، فتكون الولاية من جهة العبد بأن يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً⁽⁵⁾.

2. الولي في تفسير الثعالبي

(1) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م، والجوهري، الصحاح، ت:

أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1407هـ، 1987م، 2528/6.

(2) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 8، 1426هـ،

2005م، 1344/1.

(3) ينظر: أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط،

د.ت، 284/1، والجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1403هـ، 1983م، ص 254.

(4) ينظر: الغزالي، الإحياء، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، 85/4.

(5) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، دار جوامع الكلم، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 290-291.

أكره مساءته"⁽¹⁾.

والحديث الثاني: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"⁽²⁾.

كما أشار إلى مسألة الكرامات التي تكون للأولياء في سياق قصة رجل التقى بإلياس ٧، وقال بعدها: "لا ينبغي إنكار مثلها فأولياء الله يكشفون بعجائب، فلا يحرم الإنسان التصديق بها، جعلنا الله من زمرة أوليائه"⁽³⁾.

المطلب الثاني: الخضر في تفسير الثعالبي

1. التعريف بالخضر

الخَضِرُ، أو الخِضْرُ: اسم سُمي به لأنه جلس على فروة بيضاء، فاهتزت تحته خضراء كما في صحيح البخاري⁽⁴⁾، وفُسِّرَت الفروة بالأرض اليابسة التي لا نبات فيها، واختلف في اسمه ونسبه، وفي نبوته، وحياته، على أقوال وبحوث يطول سردها⁽⁵⁾، وجاءت الإشارة إليه في القرآن الكريم، وذكرت قصته مع موسى في الآيات 59-82 من سورة الكهف، كما وردت جملة من أخباره في دواوين السنة النبوية، وأُلِّفَت فيه مؤلفات قديما وحديثا.

وقد أولى الصوفية اهتماما خاصا في البحث عن أخباره، وقد اتفقوا على بقائه حيا، وتناقلوا حكايات عديدة عن رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه⁽⁶⁾، كما يُعدّ

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، ر: 6502، دار الشعب، القاهرة، ط: 1، 1987م، 131/8.

(2) المرجع نفسه، كتاب بدء الخلق، ر: 3209، 135/4.

(3) المرجع نفسه، 37/4.

(4) ينظر: البخاري، الصحيح، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، ر: 3402، 190/4.

(5) ينظر: ابن حجر، الإصابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1،

1415هـ، 246/2 وما بعدها

(6) ينظر: النووي، المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 2، 1392م، 135/15 وما بعدها.

عندهم رمزا للعلم الدني، ويرؤون أنه يلتقي بالأولياء ويُعلّمهم في حكايات كثيرة ميثوثة في كتب القوم، مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي، واللمع للطوسي، والرسالة القشيرية، وغيرها.

2. الخضر عند الثعالبي

تطرق الثعالبي إلى مسألتين في شخصية الخضر، مسألة حياته من موته، ومسألة نبوته من عدمها.

1.2. يمكن توضيح موقف الثعالبي من مسألة حياة الخضر أو وفاته من خلال مواضع خمسة⁽¹⁾ في تفسيره، ويتلخص موقفه في أن الخضر حي لم يمّت، فحكى عن السهيلي أن الخضر شرب من عين الحياة، فهو حي إلى أن يخرج الدجال، وأنه الرجل الذي يقتله الدجال، وأنه قد رُوي من طرق صحاح اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزيته لأهل بيته⁽²⁾، كما نقل تصحيح القرطبي لقول عمرو بن دينار أن الخضر وإلياس θ حيّان، فإذا رفع القرآن ماتا⁽³⁾، ثم علّق بعد كلام القرطبي بقوله: "وحكايات من رأى الخضر من الأولياء لا تحصى كثرة فلا تطيل بسردها، وانظر: لطائف المنن لابن عطاء الله"⁽⁴⁾.

كما أورد ثلاث قصص عمن التقى بالخضر، حكاية نقلها عن القشيري⁽⁵⁾، وأخرى مختصرة عن الثعالبي⁽⁶⁾ عن رجل في أيام مروان بن الحكم، لقي إلياس ٧ وأخبره بعدد الأبدال⁽⁷⁾ وأنه يلتقي بالخضر، وأعقبها الثعالبي بقوله: "لا ينبغي إنكار مثلها فأولياء الله

(1) ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، مرجع سابق، 536/2، 542، 300/3، 37/4، 287.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 536/2.

(3) ينظر: المرجع نفسه، 542/2.

(4) المرجع نفسه، 542/2.

(5) ينظر: المرجع نفسه، 300/3.

(6) ينظر: المرجع نفسه، 37/4.

(7) الأبدال: "هم الأولياء والعباد، الواحد: بذل كجمل وأحمال، وبذل كجمل، سُموا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل

يكشفون بعجائب، فلا يحرم الإنسان التصديق بها، جعلنا الله من زمرة أوليائه⁽¹⁾، واختصر حديثا مرفوعا رواه عن البيهقي⁽²⁾، فيه تكليم النبي ﷺ للخضر، وهو في الموضوعات لابن الجوزي⁽³⁾.

وقد حكى ابن عطية في تفسيره أن ما احتج به على حياة الخضر لا يقوم له ساق، ولو كان الخضر حيا لكان له في ملة الإسلام ظهور⁽⁴⁾، ولم ينقل الثعالبي هذا الكلام لأنه مع القول بأن الخضر لم يمت، ولما أورده من القصص السابقة فيمن التقى به.

وذكر القول الآخر في المسألة بوفاة الخضر، نقلا عن ابن عطية، والبخاري وابن العربي⁽⁵⁾، استدلالا بالحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "أرايتكم ليلتكم هذه، فإن إلى رأس مائة عام منها لا يبقى على الأرض ممن هو عليها أحد"⁽⁶⁾.

ومعنى الحديث: كما شرحه ابن عمرؓ في رواية مسلم: يريد بذلك، أن ينخرم ذلك القرن⁽⁷⁾، فلا أحد كان حيا زمن نطق النبي ﷺ بهذا الخبر سيبقى حيا بعد مائة عام. والحديث صحيح صريح في معناه، لذا أول معناه عند القائلين بحياة الخضر وإلياسؑ كما حكى النووي

بآخر"، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت،

1399هـ، 1979م

(1) المرجع نفسه، 4/37.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 4/287.

(3) ابن الجوزي، الموضوعات، ت: نور الدين شكري، أضواء السلف، ط: 1، 1997م، 1/310.

(4) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 3/537..

(5) ينظر: الثعالبي، مرجع سابق، 2/536.

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، مرجع سابق، كتاب العلم، باب: السمر في العلم، ر: 116، 1/40.

(7) ينظر: صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ر: 2537، 4/1965

2.2. وأما المسألة الثانية في كون الخضر نبيا أو وليا فاكتفى فيها الثعالبي بنقل كلام ابن عطية الذي يظهر منه أنه نبي، فقال عند قوله تعالى: "چ ثُو ثُو ئي ئي ئب چ[الكهف: 82]: يقتضي أنه نبي، وقد اختلف فيه، فقيل: هو نبي، وقيل: عبد صالح⁽²⁾.

1. تعريف الحكايات

2. توظيف الثعالبي للحكايات

في تفسير قوله تعالى: **چَلُّوْا نُوْا نُوْا** [الإسراء: 85]، قال: "وقد أخبرني الفقيه الخطيب أبو محمد البرجيني رحمه الله عن الشيخ الصالح أبي الطاهر الركري رحمه الله قال: حضرت عند ولي من الأولياء حين النزع، فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده، ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته، ثم صعدت إلى السماء، وصعدت نفسي معها، فلما انتهينا إلى السماء الدنيا، شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة عليه، فأزال ذلك الملك رجله، وقال لنفس ذلك الولي: اصعدي، فصعدت، فأرادت نفسي أن تصعد معها، فقال لها: ارجعي، فقد بقي لك وقت، قال: فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسي، وقائل يقول: مات، وآخر

(2) الثعالبي، الجواهر الحسان، مرجع سابق، 542/2.

يقول: لم يمّت، فدخلت من أنفي، أو قال: من عيني، وقمت⁽¹⁾، علّق الثعالبي على هذه القصة العجيبة بقوله: "وهذه الحكاية صحيحة، ورجال إسنادها ثقات معروفون بالفضل، فابن راشد هو شارح ابن الحاجب الفرعي، والبرجيني معروف عند أهل إفريقية وأبو الطاهر من أكابر الأولياء معظم عند أهل تونس، مزاره وقبره بالزلّاج معروف زرتة رحمه الله"⁽²⁾.

. في تفسير قوله تعالى: **﴿بِجْ بَحْ بِخْ بِمِ بِي تَجْ تَحْ﴾** [النور: 43]، نقل من كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي حكاية امرأة بالبادية، وقد جاء البرد فذهب بزعرها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف وببديك التعويض مما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك وآمالنا مصروفة إليك، قال: فلم أبرح حتى مر رجل من الأجلاء، فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار، فأجاب الله دعوتها وفرج في الحين كربتها⁽³⁾.

. في تفسير قوله تعالى: **﴿أَ بَ بَ بَ بَ بَ بَ﴾** [الجنّة: 23]، عن القشيري في رسالته: "وحكي عن أبي عمران الواسطي قال: انكسرت بنا السفينة، فبقيت أنا وامرأتي على لوح، وقد ولدت في تلك الحال صبية، فصاحت بي، وقالت: يقتلني العطش، فقلت: هو ذا يرى حالنا، فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء جالس في يده سلسلة من ذهب، وفيها كوز من ياقوت أحمر، فقال: هالك، اشربا، قال: فأخذت الكوز فشربنا منه، فإذا هو أطيب من المسك، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، فقلت: من أنت- رحمك الله؟ - فقال: عبد لمولك، فقلت له: بم وصلت إلى هذا؟ فقال: تركت هواي لمرضاته، فأجلسني في الهواء، ثم غاب عني، ولم أره، انتهى"⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: الرؤى والهواتف والأدعية في تفسير الثعالبي

(1) المرجع نفسه، 496-495/2.

(2) المرجع نفسه، 496/2.

(3) المرجع نفسه، 191-190/3.

(4) المرجع نفسه، 198/4.

يتضمن هذا المبحث ثلاث مسائل تعرض في مطالب ثلاث:

المطلب الأول: الرؤى في تفسير الثعالبي

1. التعريف بالرؤى

الرؤى: جمع "رؤيا"، والمراد بها ما يراه النائم في نومه، وتكون من الله، مطابقة للواقع، وقد وردت في الاستعمال القرآني كما في قصة رؤيا يوسف ٧ والعزير في سورة يوسف، وجاء استعمالها في السنة النبوية، ومن ذلك قوله ﷺ: "الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"⁽¹⁾، وقوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة"⁽²⁾، وقوله ﷺ: "الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم فليتعوذ منه، وليبصق عن شماله، فإنها لا تضره"⁽³⁾.

2. الرؤى عند الثعالبي

يظهر اعتناء الثعالبي بمجال الرؤى جليا في الجزء الذي كتبه وأمر بإلحاقه بآخر تفسيره⁽⁴⁾، استأنسا بصنيع ابن أبي جمرة، وللتغريب في قراءة تفسيره، والتشويق لطاعة الله تعالى، أورد فيه واحدا وسبعين رؤية متنوعة، أغلبها عن تفسيره الجواهر الحسان، كما أورد مرائي عن بعض كتبه الأخرى ككتاب الأنوار المضيئة، وكتاب النصائح، وأورد ما رآه هو أو غيره

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، مرجع سابق، كتاب التعبير، ر: 6983، 83/9.

(2) المرجع نفسه، كتاب التعبير، ر: 6990، 40/9.

(3) المرجع نفسه، كتاب التعبير، ر: 6986، 39/9.

(4) ينظر: غنيمة الوافد، الثعالبي، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م، ص 26، والثعالبي، كتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات، ت: موسى إسماعيل، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.

303/1، وقد طبع الكتاب بالمطبعة الثعالبية سنة 1328هـ، وأعادت دار عالم المعرفة طباعته اعتمادا على نسخة المطبعة

الثعالبي بتحقيق عبد الرحمن دؤيب تحت عنوان: كتاب الرؤى والمنامات.

من الناس كأبيه، أو أصحابه، كما اشتملت على رؤى للنبي ﷺ، أو أحد الصحابة أو الصالحين وغيرهم.

كما اشتمل تفسيره على عدد من الرؤى، في مقامات مختلفة، منها:

- مقام الترغيب والترهيب:

. ذكر في قوله تعالى: **چُذْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ** [الإسراء: 9] عن الباقي، في رواية عن سحنون: "أنه رأى عبد الرحمن بن القاسم في النوم، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: وجدت عنده ما أحببت! قال له: فأى أعمالك وجدت أفضل؟ قال: تلاوة القرآن، قال: قلت له: فالمسائل، فكان يشير بأصبعه كأنه يلشها، فكنت أسأله عن ابن وهب، فيقول لي: هو في عليين. انتهى من سنن الصالحين"⁽¹⁾.

. نقل عن عبد الحق الإشبيلي فيمن رأى سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج في الجنة بسبب قيام الليل، وذلك عند تفسيره قول الله: **چُذْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ** [الزمر: 9]⁽²⁾.

- مقام التفسير:

. نقل رؤيا لأبي الحسن الشاذلي في تفسير قوله تعالى: **چُذْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ** [المائدة: 4]، قال: قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي **η** رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا علي، طهر ثيابك من الدنس، تحظ بمدد الله في كل نفس، فقلت: وما ثيابي يا رسول الله؟ فقال: إن الله كساك حلة المعرفة، ثم حلة المحبة، ثم حلة التوحيد، ثم حلة الإيمان، ثم حلة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شيء، ومن أحب الله هان عليه كل شيء، ومن وحد الله، لم يشرك به شيئا، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قلما يعصيه، وإن عصاه، اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه، قيل عذره، قال: فهتمت حينئذ معنى قوله **β**: **چُذْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ ذُتْ تْ** [المائدة: 4] انتهى من التنوير لابن عطاء

(1) الثعالبي، الجواهر الحسان، مرجع سابق، 461/2.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 71/2.

368

. الهاتف الثالث: حكاة عن ابن عطية في مقام تفسير قوله تعالى: **جَأْ بَ بَ بَ**
بَ بَ [النمل: 89]، قال: "وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ خُلُوتَاتِي فَرَفَعْتُ
 صَوْتِي: **بَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: **إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: جَأْ بَ بَ بَ**
بَ بَ [النمل: 89]"⁽²⁾.

1. تعريف الأدعية

3. توظيف الثعالبي للأدعية في تفسيره

- علاج الوسواس

(2) المرجع نفسه، 265/3.

- الدعاء باسم الرب

- دعاء لمن أراد ألا يضره ذنب

370

ولا تجعلني، ممن استفذه بصوته، وأجلب عليه بخيله ورجله، وكن لي من حباله منجيا، ومن مصائده منقذا، ومن غوايته مبعدا، اللهم إنه وسوس في القلب، وألقى في النفس ما لا يطيق اللسان ذكره، ولا تستطيع النفس نشره مما نزهك عنه علو عزك، وسمو مجدك، فأزل يا سيدي ما سطر، وامح ما زور بوابل من سحائب عظمتك وطوفان من بحار نصرتك، واسل على سيف إبعادك، وارشفه بسهام إقصائك، وأحرقه بنار انتقامك، واجعل خلاصي منه زائدا في حزنه، ومؤكدا لأسفه⁽¹⁾.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة المختصرة، يمكن تسجيل أهم النتائج المستفادة منها، في نقاط: . اشتمل تفسير الجواهر الحسان للشيخ عبد الرحمن الثعالبي على جملة من القضايا الصوفية التي تعكس توجهه الصوفي في تفسير القرآن الكريم. . الولي عند الثعالبي هو كل مؤمن تقي، إذا رُئي ذكر الله، ومن علاماته أن يكون دائم الطاعة، بعيدا عن المخالفة، مُوقفا فيما يفعل ويذر. . يضم الثعالبي رأيه إلى رأي عامة الصوفية في بقاء الخضر على قيد الحياة، ولم يبين بوضوح أهو نبي أم ولي صالح.

. استعمل الثعالبي أسلوب الحكاية في مقام الوعظ والتذكير وترقيق القلوب. . اعتنى الثعالبي بإيراد عدد من الرؤى في تفسيره، وكان قد ذيل تفسيره بجزء ذكر فيه واحدا وسبعين رؤيا، يحث بواسطتها على أخذ تفسيره. . اعتنى الثعالبي بإيراد أدعية مأثورة عن جماعة من كبار الصوفية، كأبي الحسن الشاذلي، وابن مسرة، وغيرهم.

قائمة المراجع

. ابن الأثير، التكملة لكتاب الصلة، ت: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان،

(1) المرجع نفسه، 4/124-125.

د.ط، 1415هـ، 1995م.

. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.

. ابن الجوزي، الموضوعات، ت: نور الدين شكري، أضواء السلف، ط: 1، 1997م.

. ابن حجر، الإصابة، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.

. ابن عطية، المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

. ابن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

. أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،

. الثعالبي، الجواهر الحسان، ت: عمار طالبي، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.

. الثعالبي، غنيمة الوافد، ت: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

. الثعالبي، كتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات، ت: موسى إسماعيل، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.

. الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط: 1، 1403هـ، 1983م.

. الجوهري، الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1407هـ، 1987م.

. الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، لبنان، د.ط، 1402هـ، 1982م.

. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 8، 1426هـ، 2005م.

. القشيري، الرسالة القشيرية، دار جوامع الكلم، القاهرة، د.ط، د.ت.

. مسلم، الصحيح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

. النووي، المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 2، 1392م.

أنموذجاً جزائرية في التفسير البياني و اللساني -شواهد من المناهج -

أ.د. محمد الأمين محمد محمد خلّادي

جامعة أحمد درايعة - أدرار

الملخص:

الجزائر ذات باع علمي مشهود في تاريخ الأمة الإسلامية، ولها أعلام أفذاذ تضرب بهم الأمثال؛ منهم على سبيل المثل لا الحصر العلامة العارف المجاهد القائد الرمز الأمير عبد القادر الجزائري، واحد من ذوي قصب السبق في تفسير القرآن العظيم ودراساته، وأضرابه كثر من قبله ومن بعده كالعلامة الإمام مولى الجزائر المحروسة سيدي عبد الرحمن الثعالبي والشيخ ابن باديس...، وقد اخترت مجموعة أعلام من المعاصرين، بعد أن نظرت في غيرهم من عشرات المفسرين والقرّانيين...

من أجل ذلك خططت بعض أهدافي منها: 1- تبين سمات التقليد والتجديد في مناهج التفسير لدى هذه الفئة المختارة، 2- التدليل على مناهجها البيانية اللغوية البلاغية والتربوية الإصلاحية، 3- دراسة نموذجية تحدد خصيصات أولئك المفسرين من المشايخ والأساتذة، وهم يقدمون قراءتهم القرآن الكريم تدريسا وتصنيفا وتعليما...، من خلال حلقات المساجد والزوايا ومنابرهما، وكذا مدرجات الجامعة الجزائرية ومنصات التواصل والقنوات الإعلامية...؛ كأمثال الشيخ محمد الكبير، الأستاذ سليمان عشارتي، الشيخ أحمد خليلي، ثم خاتمة ببعض المخرجات والتوصيات والاقتراحات

Algeria has a well-known scientific reputation in the history of the Islamic nation, and it has outstanding figures who are proverbial. Among them, as an example but not limited to them, is the scholar, the Mujahid, the leader, the symbol, Prince Abdul Qadir Al-Jazairi, one of

the pioneers in interpreting the Great Qur'an and its studies, and there are many like him before and after him. Comme le savant Imam Moulay d'Algérie, Sidi Abd al-Rahman al-Tha'alibi et Cheikh Ibn Badis

I have chosen A group of contemporary figure, after looking at others from among them. Dozens of commentators and Qur'anists...For this reason, I planned some of my goals, including: 1- Showing the characteristics of imitation and innovation in the Quran interpretation of this selected group, 2- Demonstrating its rhetorical, linguistic and pedagogical approaches, 3- A model study that identifies the characteristics of those interpreters, sheikhs and professors, as they present their reading of the Holy Qur'an in teaching and classification And education through the rings of mosques and zaouias, as well as the amphitheaters of the Algerian University...Such as the likes of Sheikh Muhammad Belkabir, Suleiman Ashrati, Ahmed Khalili, Then a conclusion with some conclusions, recommendations and suggestions.

مستفتح منهجي:

لله الحمد في الأولى والآخرة أن حبانا بدين الإسلام وهدانا سبل السلام فكفى بها نعمة، وصل اللهم وسلم على من لا ينطق عن الهوى سيدنا ونبينا ومُجتبانا محمد، وآله الأطهار وصحبه الأخيار، وله الحمد والشكر من قبل ومن بعد أن جعلنا من أمة القرآن الكريم وحملة كتابه العزيز، ومن الأمة الخيرية الوسط نأتمر بالمعروف وبه نأمر، وننتهي عن المنكر وعنه ننهي؛ كما ينبغي كل الحمد لجلاله أن تكون جزائرتنا ظافرة بأعلام بررة من أهل القرآن الكريم، أهل الله وخاصته طوال القرون، من الفتح إلى اليوم...

منهجي يتعين بقراءة وصفية استنباطية، أساسها التركيز على التفسير والدارسات القرآنية البينانية اللغوية المعجمية الأسلوبية، وتتبع منهج الشرح واستنباط الأحكام والحكم والعبر وتحديد منهج التفسير المعتمد، مع إعلاني المبرهن على تجديد الأعلام المنتقاة في تفسيراتهم من خلال دراساتي...

وأترقب مجموعة نتائج مقترحة تتضح حقائقها وغيرها أكثر بعد إنجاز البحث؛ ومن ذلك: أ- كيف نحفز هذه المنجزات الجزائرية منهجا ونشرا ثم تدريسا ودراسة جامعية "

أكاديمية"؟، ب- إبراز البصمة الجزائرية في منهج التفسير ومستخلصاتها المواكبة لروح العصر ومرافقة المسلم، ج- بحث السبل التي من شأنها إقامة ضوابط أخرى - يجمع عليها أهل الاختصاص- للتفسير العصري، د- أمن كفاءات منهجية شرعية ابتغاء الحد من بعض المزالق والشبهات والتأويلات- التي تُستحدث اليوم عالميا- المجانبة للشرع والصواب والحكمة؟، هـ- اقتراح بعض الآفاق بخصوص مشاريع البحث الجامعي في الشأن...

ولبيان ذلك أحاول عرض خطتي مقدا الملخص وهذا المستفتح المنهجي، ثم موجز مركز عن بعض الأعلام الجزائريين الضالعين في التفسير درسا وتأصيلا وتعلينا وتصنيفا، ثم خصيصات التفسير وسيماه في المدرستين الأحمديّة الطّاهريّة بسالي توات والمدرسة المحمدية الكبرى بمدينة أدرار وما تفرع عنهما، ثم قراءة في مخطوط: "التفسير الميسر للقرآن العظيم" - منهج الباحث الجامعي خدمةً للمجتمع-، للأستاذ سليمان عشراي، ثم تقديم كتاب: "التفسير الميسر لآي الكتاب المنزل" للشيخ أحمد بن محمد خليلي - مقارنة في التفسير من حلقة التدريس إلى طبعة التأليف-، ثم خاتمة بالمرجعات والاقتراحات والتوصيات.

موجز مركز عن بعض الأعلام الجزائريين الضالعين في التفسير درسا وتأصيلا وتعلينا وتصنيفا:

سبب الإيجاز المركز هنا مثلا لا حصرا مقام المداخلة في الملتقى، أما أصل هذا الشأن فعظيم الاقتدار وطويل الباع في جمهرات وأفواج من العلماء والأشياخ والأئمة والمصلحين والمدرسين عبر قرون من الزمن، قد بينوا للناس كتاب الله تعالى بتفسيراتهم في خلق العلم ومنابر المساجد وآلاف الكتاتيب والجوامع والزوايا والمدارس الحرة والنظامية...، وكان المبدأ الثابت المعول عليه تعليم صبيان المسلمين في الجزائر آيات الذكر الحكيم، وهو أعظم ما يقدمه عقلاء الأمة وحكماؤها في رسالتهم تعلينا وترشيدا؛ بهما يُقوّى عود النشء الصالح وتُحمى بيضة الدين وتُصان حرمة الوطن.

فلا ينهض امرؤ أو مجتمع أو خَلْفٌ مَّا بالتفسير الصحيح علما معينا من علوم القرآن العظيم ما لم يطفق أهل الاختصاص من معلّمي كتاب الله الطفل تعلينا صحيحا كامل

الشروط والصفات، وهو ما كان عليه سلف الأمة والجزائر، إذ إن معظم الأوائل من علماء الشريعة زمنئذ كانوا على قدر كبير وصلة مكينة بالتفسير كشأنهم مع القرآن حفظا وتدرسا وتدوينا وعملا به، وما هو كائن اليوم بحمد الله تعالى؛ من أجل ذلك أرى أن من سداد الغايات والمرامي في هذا التنادي المبارك أن نعيد النظر الحصيف والرؤية الثاقبة في حال هذا التعليم القرآني الذي يجب أن يطال تكوين كل طفل وطفلة في الجزائر مثلا...

فما كانت مراسي النجاة للعظماء الجزائريين الأوائل من العلماء والمدرسين والمفسرين وأضرابهم حاصلة لولا إحكامهم هذا الحبل المتين؛ فالفاتحون وكل من سار على دربهم إلى الساعة من زمر الفقهاء والمشايخ والمفسرين والمربين لم يتخلوا عن هذا الصنيع الرسالي في تنشئة المتعلم الجزائري الصالح، وهو الذي يتلقى الذكر الحكيم ويتلقن الفرقان وتفسيره ويعلم حقائقه فيعمل بها، سواء أخصص في تفسير الكتاب العزيز أم لم يتخصص، ومن ابتغى العلى سهر سهر الألى أولى النهى

...

وقبل أن أسوق في هذا المخش بعضا من الأسماء قصرا وابتغاء التعميم لا حصرا للعدد العميم، أُلِمَّع هنا إلى بأن ثمة عديد الدراسات السابقة التي كتبت عن مفسري الجزائر في عهود مختلفة، قصد إحالتي نظر القاري إليها، ومهما يكن فهي جزء من البحوثات السوابق والبوارق الخاطفة لجرد الزخم التفسيري بشتى أضربه الجزائرية درسا ومنبرا مشفوها ومقيدا مجتزعا وكاملا قديما وحديثا مخطوطا ومطبوعا معلوما ومجهولا وطنيا داخليا وخارجيا، مما يحمل البحنة على تعميق الكشف والجمع والتحقيق والدراسة في الشأن؛ ومن تلك الأسماء...

خصيصات التفسير وسيماه في المدرستين الأحمدية الطاهرية بسالي توات والمدرسة المحمدية الكبرى بمدينة أدرار وبعض مما تفرع عنهما:

كثيرة شواهد التعليم القرآني ومواقعه الإسلامية والعربية والجزائرية لا تعد ولا تحصى، ذلك فضل من الله تعالى؛ وإذا حاولنا ضرب أمثلة من تلك الآلاف المؤلفة سنقتصر على غيض من فيض ممثلا في منارتين بارزتين هما المدرستان القرآنيتان العامرتان، المدرسة

العريقة بسالي لشيخها الهمام مولاي أحمد الطاهري⁽¹⁾، ثم المدرسة الشامخة بأدرار لشيخها الإمام محمد الكبير⁽²⁾، رحمة الله عليهما، وهما صرحان قرآنيان من صروح الأمة الإسلامية مسلولتان من سلف صالح توارث كتاب الله تعالى عملا به و حفظا ودرسا وتفسيرا بكرة وأصيلا، من خلال الاعتكاف على توصيل هذا القول المعجز المكنون للناس وطلبة العلم بدءا بالناشئة، وهم علماء خلّص يكابدون ويكدحون من أجل ألا يهجر الناس كلام الله تعالى: «إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون للعودة إلى القرآن الكريم قراءة وتدبرا واستنباطا، من أجل استئناف مسيرتها للاستخلاف في الأرض وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك، ولأن القرآن الكريم مصدرها الأول في التشريع والمعرفة والأخلاق»⁽³⁾؛ ألم يان لهذه الأمة الموسومة بالخيرية أن تدّكر كتابها قراءة وتدبرا وعملا لعلها تتجاوز محنها وإحنتها؟....

وقد تأثّلت المدرستان تواترا عن مشيخات قرآنية متصلة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، شيخا عن شيخ كبرا عن كابر، حيث إن منهج الشيخين الجليلين تبع لسابقيهم من العلماء القرآنيين في سلف الأمة المحمدية، وهو منهج ذو سيماء وخصيصات نوجزها فيما ياتي:

لقد تعاصر هذان الشيخان وجمعتهما مشتركات عدة؛ منها خدمة كتاب الله العزيز والقيام بالشرع الحنيف تعليما ورعاية ظاهرة إصلاحا وتربية نصحا وعدلا، اطمأن لها الكبير والصغير، المتعلم والأمي، وعاشا فترة العدوان الفرنسي على الجزائر، تلك الفترة الميرة القاسية على شعبنا الأبّي، ومما يكتبه التاريخ الخالد في الجزائر وتوات ما جاهد به هذان العالمان النّخريّان في مجابهة الغاصب الحاقد، بحكمة عالية وحصافة نظر ومسؤولية ربانية

(1) - قصد الاستزادة ينظر: فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، لصاحبه العلامة مولاي أحمد الإدريسي الطاهري السباعي، من تقديم خليفته الشيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمن العلوي، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، ط 1، 1994 م، ج 1، وغير هذا الكتاب كثير....

(2) - قصد الاستزادة ينظر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات لجامعه الإمام محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، 2002، وكذا: الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير، لجامعه الشيخ مولاي التهامي غيثاوي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002.

(3) - علم التفسير بالغرب الإسلامي، عبد القادر بلقاسم الشايط، -دار ركاز للنشر والتوزيع 2022. إربد، الأردن.

راقية المقام.

جمعتهما منطقة واحدة في توات المحروسة مع مميزات المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وما شابه ذلك...، و كل منهما جالس الآخر، كما قد ترافقا في أداء مناسك الحج...، وللإشارة يضاف إلى حلقات التفسير لدى الشيخ الكبير أنها توزعت بين مدرستين في تيميمون ثم أدرار كل منهما خصّ التفسير بحلقة تعنى بتبيان الذكر الحكيم بيانا ولغة أحكاما وحكما قصصا وعبرا واستنباطا، ناهيك عن تدريسه ابتداء للفتيان والكبار إقراء ورسمًا وتحفيظًا وموعظة وترتيلًا، وشرحا لمتون مدخلية معينة إلى علم التفسير.

كلاهما يركز في " وقفة التفسير " على بيان الدلالات والمعاني المتقصّدة من الألفاظ والآيات الكريمة باعتماد مصادر تفسيرية مثل: تفسيرات الأئمة ابن كثير والطبري وغيرهما، وكذا تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقي البروسوي و ذي الجلالين⁽¹⁾ وسوى ذلك...

همّهما الشاغل إيضاح المعاني انطلاقا من لغة الإعجاز وأساليبها مع بيان عقيدة التوحيد والأحكام والعبادات والمعاملات واعتماد الرواية الصحيحة، وتجنب كل ما يسيء للذكر الحكيم مما قد يرد في بعض ما ذهب إليه مجموعة من أهل الكتاب وغيرهم

اعتمدا في منهجهما أصل التفسير بالمأثور وهو نهج أغلب علماء التفسير في بلاد المغرب والجزائر، وقال التلميذ النجيب الشيخ الحبيب عن درس شيخه الطاهري « فكان رضي الله عنه يشتمل درسه على فنون شتى، من توحيد وفقه ونحو و...وتفسير وبه كان يختم درسه...، ويعقب شرحه للقرآن العظيم بأربعة تفاسير، وهذا من كمال براعته في العلم واتساعه في الفهم بإمداد الله الواسع وفتحه الكامل الجامع»⁽²⁾

مما رويته عن بعض تلامذة الشيخ أحمد الطاهري - رحمة الله تعالى عليه- أنه عمم تفسير القرآن لطلبة العلم وكذا سائر المجتمعين ببيت الله عند حلقات الدروس العامة في

(1) - الشيخان المحلى والسيوطي.

(2) - فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، من تقديم خليفته الشيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمن العلوي، المطبعة العالوية بمستغانم، الجزائر، ط 1، 1994 م، ج 1، ص 9، 10.

رمضان وسواه؛ لكنه في الوقت نفسه كان سيفاً قاطعاً لشأفة الكفر ودابر الطغيان الفرنسي، ذلك لأنه اختص بعض طلابه المنتجبين من أمانء سره بتدريس مجموعة من المجاهدين البررة الوافدين من خارج أدرار، وتعليم أولئك - سرّاً - أحكام الجهاد وفريضته نصاً قرآنياً وباباً فقهياً كما نصت عليه ملة الإسلام الحنيف...

وهنا أورد مقدمة الشيخ محمد بالكبير - رحمة الله تعالى عليه - في درسه التفسيري، تمثيلاً لا حصراً، من خلال مخطوط معاصر ضمن دفاتر بعض التلامذة الأول، قوله:

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان وجعله معجزة باقية إلى آخر الزمان، أعجز بتبينه فصحاء الإنسان، وأفحم ببلاغته بلغاء كل آن، نحمده على جميل ولائه، ونشكره على جزيل آلائه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأصحابه وأوليائه.

"أما بعد" فمن المعلوم أن تلاوة القرآن الكريم وتفهم معناه والعمل بمقتضاه، واجب على كل مسلم، ولا يخفى أن كثيراً من المتعبدین بتلاوته العاكفين على قراءته، لا يفهمون منه إلا ما ظهر معناه، واتضح لديهم فحواه، وليس كل واحد يتيسر له من كتب التفسير ما يفيد... المقصود، ويرويه من حوضه المورد.

فبناء على ذلك دعاني الحال إلى وضع هذا المختصر على طريقة سهلة المأخذ، قريبة المنال، مقتصر على تفسير كل كلمة يتوقف التآلي في فهمها، ولم يهتد إلى علمها، راجياً منه تعالى القبول، وتيسير المأمول، بمنه وكرمه...⁽¹⁾

وفي هذا إعلان عن مقام القول واستفتاحه بمقدمة ميسورة ذات منهجية معلومة، سار على طريقها معظم المفسرين والمعلمين القرآنيين، كما أن فيه بيانا عن منهجه في وقفات التفسير، وهو يلقيها على طلبته؛ وبالأخص المبتدئين منهم، معولاً على إبانة اللغة القرآنية التي هي مفتاح المعاني والحكم والأحكام والأمر والنهي؛ وعلى ذلك تترتب المستنبطات وعنه تصح

(1) - عن مخطوط من دفاتر التلامذة أحد الأوائل من الجيل الثاني لصاحبه الشيخ الفاضل مولاي محمد الشعراوي، أدرار.

الفُهوم...؛ فالبيان اللغوي والمعجمي والبياني مفتاح أُسُّ ومدخل حتمي لكل شرح وفهم، وهو بذلك شرط مقدم على كل الشروط عند التفسير، في الوقت ذاته لا يكتفي المعلم والمتعلم بالفهم عند حد هذه الوسيلة، بل يجب أن يتدبر ما وراءها من المعاني والمقاصد «أريد أن أنبه القارئ الكريم، أن المباحث اللغوية والبيانية والنحوية عن المعنى القرآني إن كانت هي المقصود بذاتها فإن العمل يخرج عن دائرة التقرب إلى الله تعالى ويصير العمل غير نافع - والعياذ بالله-

وهنا يجب أن تكون هذه العلوم المسماة علم اللغة والبيان والنحو وسائل لا غاية في حد ذاتها، وحتى يكون العمل ذا جدوة ومنفعة أن يتخذ العلوم التي ذكرت وسيلة إلى غاية جليلة هي فقه المعنى القرآني فقها يبعث القلب على الإقبال على ما يهدي إليه الله تعالى أمرا ونهيا إقبال محبة وإجلال لينعم العبد بجنة معرفته ومحبته في الدنيا وهو مدرك أن الله الذي يجازي بالقليل الكثير أنه لا يضيعه أجر من أحسن عملا»⁽¹⁾

وضمن مقدمته رابطة المسلم التي تربطه بكتاب الله تعالى، وما يجب عليه شرعا من الاعتقاد السليم والتعبد بالقرآن المجيد وحفظه، ثم ضرورة فهمه مهما كان مستوى متعلم الكتاب...

والمنهج نفسه نلحظه قائما في دروس تلامذتهما المتفرعة مدارسهما في القطر الجزائري وخارجة، كبعض الأقطار الإفريقية، و بعض مساجد فرنسا وغيرها، ومهما تباعد الزمن بين تلك الأجيال إلا أن رابط المشيخة القرآنية ظل متصلا متينا، ومتوارثا مكينا، وغدت سلسلة الطلبة والمعلمين تقفو أثر الشيخين، مع بعض من الإضافات من حيث التضلع في المصادر والمراجع التفسيرية وتجدد وسائل التوصيل، ومرافقة التفسيرات المتوالية أفضية الدهر التي تحدث عبر تغيرات الزمن، وما تأتي به السنون من المستجدات.

قراءة في مخطوط: " التفسير الميسر للقرآن العظيم" - منهج الباحث الجامعي

(1) - التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مفردات القرآن دلالاتها واستعمالاتها في لغات العرب، التواتي بن التواتي، دار الإمام مالك للطباعة والتجليد الفني، البليدة- الجزائر، ط 1، 1443 هـ 2022 م، ج 1، ص 7

خدمةً للمجتمع-، للأستاذ سليمان عشراطي⁽¹⁾:

هي تلك الاجتهادات التي تنافسها أهل العلم وخاصة كتاب الله، من الفقهاء والأئمة والعلماء، كما أهل التعليم الجامعي " الأكاديمي " بالجزائر، فمنهم من وفقه الله تعالى لإنجاز تفسير كامل أو تفسير جزئي أو مختصر، وهناك من سلك تحقيق مخطوطات التفسيرات الجزائرية وغيرها، ومنهم من اعتنى بدراسة علوم القرآن الكريم المتعددة، وبحث قضايا القرآن العظيم من جهة بيانه أو أوجه إعجازه أو جمال تبيانه،... أو غير هذا، حتى إنك لن تجد جامعة جزائرية إلا وبرز فيها واحد أو غير واحد ممن تطرق إلى الذكر الحكيم بالدراسة والبحث العلمي...

ومن الأساتذة الجامعيين الأستاذ سليمان عشراطي في مخطوطته المعاصرة⁽²⁾: " التفسيرُ الميسّر للقرآن العظيم "؛ واهتمنا هنا إسهام الباحث الجامعي الجزائري في مكتبة التفسير و مدى تأثير منهجه في خدمة المجتمع، ذلك لاضطراره بشأنين متلازمين إحرازه آلات المنهج التفسيري البياني اللغوي قياسا باختصاصه العلمي، ثم شأن الفاعلية الناجمة عن حضوره كفاعل مؤثر في توجيه المجتمع أو فئة معينة منه، وهو الذي نلفيه بارزا في سورة هذا النموذج بتقريب المعاني من جمهور المجتمع غير المتخصص والفئة المبتدئة إن لم نقل الأمية واختار الكاتب عنوانه دليلا على الغاية من " التفسير الميسّر " في نظره ومنهجيته؛ حيث إن إِدْكَارَ القرآن الكريم موصوف بأنه ميسر من العلي القدير، كما هو في سورة القمر، فهو عنوان مختار يؤكد نهج صاحب التفسير فيما ذهب إليه من شرح للمباني وتقريب المعاني...

وسوفي مثالا الآن لغاية توضيح المنهج التفسيري لدى الباحث سليمان ما نصّه:

« بسم الله الرحمن الرحيم

(1) - أستاذ اللغة العربية وآدابها، وباحث في الدراسات القرآنية، ومفكر جزائري، جامعة وهران

(2) - ويراد به أنه غير مطبوع بعد، أو هو تحت الطبع، وأما المعاصرة أي ليس بالقديم التراثي...؛ كهذا التفسير الذي هو قريب من الطبع.

سورة الأعلى:

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الْخُطَابُ مَوْجَهٌ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ وَالسُّورَةُ تَحْمِلُ إِلَيْهِ مَا يَثْبُتُ وَيَسَدِّدُهُ فِي آدَاءِ الرِّسَالَةِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَذْكَرُ- يَا مُحَمَّد- بِلِسَانِكَ وَقَلْبِكَ اسْمَ رَبِّكَ الْجَلِيلِ الشَّانِ، وَاسْتَحْضِرْ جَلَالَتَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ سَامِي الصِّفَاتِ وَقُدْسِي النِّعَاتِ.. وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنْ شَائِعِ عِبَارَاتِ التَّسْبِيحِ "سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى". الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ الْكُونَ وَالكَائِنَاتِ فَعَدَّلَ كُلَّ مَا خَلَقَ، وَزَيَّنَ جَمِيعَ مَا أَنْشَأَ.

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي أَوْجَدَ الْكَائِنَاتِ عَلَى مَقَادِيرَ وَمَعَايِيرَ تَنَاسَبَ أَجْنَاسِهَا وَأَصْنَافِهَا، وَجَعَلَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ الْمَخْلُوقَةَ تَتَوَفَّقُ إِلَى تَأْدِيَةِ وَظَائِفِهَا فِي الْكُونَ، وَتَهْضُ بِمَا خَلَقَتْ لَهُ مِنْ أَدْوَارٍ. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْبَتَ مِنَ الْأَرْضِ الْأَعْشَابَ وَالْكَأَلَ وَسَائِرَ مَا تَرَعَاهُ الْحَيَوَانَاتِ. فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَيَّ إِنِّ اللَّهَ صَيَّرَ ذَلِكَ النَّبَاتَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ- بَعْدَ الْإِخْضَارِ- يَابِسًا- أَحْوَى أَيْ تَلَوَّنَ بِلَوْنِ الْحَوَّةِ وَهِيَ سُمْرَةٌ مَائِلَةٌ إِلَى السَّوَادِ. سَنَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى سَنَعَلَمُكَ قِرَاءَةَ هَذَا الْقُرْآنِ فَلَنْ تَنْسَاهُ. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِلَّا مَا أَرَادَكَ اللَّهُ أَنْ تَنْسَاهُ مِنْهُ، إِمَّا نَسْخًا وَإِمَّا رَفْعًا- فَقَدْ نَسَخْتَ آيَاتِ فِي الْقُرْآنِ، تَدْرَجًا بِتَرْبِيَةِ الْأُمَّةِ وَتَرْشِيدِهَا، وَرُفِعَتْ بَعْضُ الْآيَاتِ عَلَى مَا رُؤِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ. إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَظْهَرُهُ الْعَبْدُ وَمَا يُسِرُّهُ فِي صَدْرِهِ.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى وَنَتَدَرِّجُ بِكَ نَحْوَ التَّيْسِيرِ وَالتَّبْسِيطِ فِي تَعْلِيمِكَ الْقُرْآنَ، وَفِي فَرْضِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَنْ تُعْجِزَكَ. فَذَكَرَ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَ فَادْعُ- يَا مُحَمَّد- وَبَلِّغْ الرِّسَالَةَ إِلَى النَّاسِ، وَعِظْهُمْ بِهَا، إِذَا أَفَادَتْ فِيهِمُ الْعِظَةَ وَالتَّذْكِيرَ. سَيَذْكَرُ مَنْ يَخْشَى أَصْلَهَا- سَيَتَذَكَّرُ- وَأُدْمِجَتْ التَّاءُ فِي الذَّالِ فَشَدَّدَتْ، وَالْمَعْنَى سَيَتَعِظُ وَسَيَتَذَكَّرُ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَخَافُ رَبَّهُ وَيَخْشَى الْعَاقِبَةَ. وَيَتَجَنَّبُ الْأَشْقَى وَسَيَحِيدُ وَيَبْتَغِدُ عَنْ التَّذْكِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْمَوَاعِظِ التَّنْزِيلِيَّةِ الْإِنْسَانُ الشَّقِي الْمَشْؤُومُ الْجَاهِدُ. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى الَّذِي سَوْفَ يَمْرُغُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى حَيْثُ يَبْقَى خَالِدًا، لَا يَمُوتُ وَلَا يَحْيَى. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى لَقَدْ نَجَّى الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنَ الَّذِي طَهَّرَ نَفْسَهُ وَجَمَّلَهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ.

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى الذِّكْرُ هُنَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّاجِحَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ

المؤمن الذي تزكى نفسه بالإيمان، فلا يزال يذكر الله تسبيحا، وتلاوة قرآن، وأداء صلوات، سواء أكانت فرائض أم نوافل. بل تؤثر الحياة الدنيا بل إنكم أيها الجاحدون تفضّلون الدنيا ومتعتها العابرة. والآخرة خير وأبقى وإن نَعَمَ الآخرة أكرم وأدوم. إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى إن هذا الذكر الذي نزل عليك - يا محمد- هو ثابت في صحف إبراهيم وموسى، فالمُنَزَّل واحد، والرسالات جميعا تتدرج في توجيه العباد نحو الأفضل، فهي من ثمة يكمل بعضها بعضا، وأن تاجها الإسلام لأنه الخاتم، ولأن الدين عند الله الإسلام كما جاء في القرآن.

المعجم

سَبَّحَ: ذَكَرَ اسمَ الله ورددَهُ كأن يقول: "سبحان الله سبحان الله" - سَوَّى: أحسن وأجاد- هدى: أرشد وقاد إلى الهداية وإلى الطريق المستقيم- المرعى: ما تنبت الأرض من عشب وغيره، ترعاه الماشية والدواب - غثاء: النبات الجاف الذي تذروه الريح أو يحمله السيل- أحوى: لون الحوّة، وهو السمرة الشديدة- الجهر: ضد السر، وهو ما يظهره الإنسان ولا يخفيه مما في نفسه. وصلاة الجهر هي التي نسمع فيها التلاوة، وصلاة السر لا نسمع التلاوة فيها- نَبَسَ: نَسَلَ لك الأمر- اليُسْرَى: السهولة والرخاء والفرج -ذَكَرَ: نَبَّه وحذّر- يخشى: يخاف ويتقي- يتجنبها: يتفادها، ويتبعد عنها، ولا يقع فيها- يَصْلى النار الكبرى: يتعرض بجسده إلى نار جهنم، وصلى انغمس وانغمر- أفلح : نجح وفاز- تزكى: طهر نفسه بالإيمان وزاد من تطعيمها بأنوار القرآن- تؤثرون: تفضلون- صحف: جمع، مفردة صحيفة وهي الكتاب، والمقصود هنا ما نَزَّلَ على الأنبياء من وحي»⁽¹⁾

وفيما يلي تبين طريقة التفسير ومنهجه:

يعتمد الأستاذ خطة تأليفية طافقا بالبداية مبسلا، ثم ذكر السورة، متبعها بذكر الآية الكريمة آية آية بين قوسين محددين، ثم الاكتفاء ببسيط الشرح وسوق المرادفات مركزا على إقناع القاري بمعنى المبنى دون تفصيل مسهب، أو معمق المعاني المختلفة، وإيراد ما ذكره

(1)- " التفسيرُ المُبَسَّر للقرآن العظيم " - منهج الباحث الجامعي خدمةً للمجتمع- مخطوط يُعد للطبع: ، للأستاذ

المفسرون والعلماء واللغويون من قبله؛ وإنما الاكتفاء بما يسُر فهمه واقتصد لفظه، ثم يشفع ذلك كله بمعجم موجز مضغوط للدلالة على بعض المفردات وتكرار شروح لأخرى...

يفصح عن بعض التركيبات اللغوية بذكر مشابهاها في سور أخريات، علما أن القارئ درج على فهم تلك الصيغ والتعبيرات في سور أخرى...، إضافة إلى حمل المتلقي على استلهاهم أصل اللفظ في اللغة أو الصرف وسواهما بصورة سلسلة وجملة سائغة، مثل: سيذكر من يخشى أصلها- سيتذكر- وأدمجت التاء في الذال فشددت، والمعنى سيتعظ وسيتذكر بهذا القرآن الانسان الذي يخاف ربه ويخشى العاقبة

يقرب الدلالة المرادة بتيسير الأسلوب التوصيلي انطلاقا مما يغلب على معظم المتداولين كتاب الله تعالى التالين آياته المتدبرين مكنوناته؛ كقوله: ومعلوم أن من شائع عبارات التسبيح "سبحان الله العظيم، سبحان ربي الأعلى"، وهو مما يُعلم به عند المتعبدین كلهم وبشتى طبقاتهم الإدراكية.

العناية ببعض الإلحاح في مقامات بيانية أخذا بيد المرتل بأسلوب دقيق الصنعة معقول التبليغية المنشودة كالحديث عن حقيقة النسخ مثلا؛ من ذلك: سنقرئك فلا تنسى سنعلمك قراءة هذا القرآن فلن تنساه. إلا ما شاء الله إلا ما أراذك الله أن تنساه منه، إمّا نسخا وإما رفعا- فقد نسخت آيات في القرآن، تدرجا بتربية الأمة وترشيدها، ورُفِعَتْ بعضُ الآيات على ما رُوي عن بعض الصحابة. إنه يعلم الجهر وما يخفى إن الله يعلم ما يظهره العبد وما يُسرّه في صدره. ونُيَسِّرُكَ لليسرى وتُدَرِّجُ بك نحو التيسير والتبسيط في تعليمك القرآن، وفي فرض التكاليف الشرعية التي لن تُعْجزَكَ.

التفسير بجمل مقتضبة غالبا قصد إنجاح التركيز لدى التالين آيات الله؛ وهو يبحث عن المعاني بأقصر وقت وأخصر طريق...

وبالجملة فضرب هذا التفسير أنه بياني موجز، وقد مَحَّص صاحبه ما قد قرأه من التفسيرات والشروح، وجاء بما يلبي المتعلم كما يرى في اعتقاده المهجي واجتهاده الأسلوبى الإبلاغي، وكل ذلك تساوقا مع تعلق المسلم اليوم بحياة تبدو في أكثر أحوالها لا تسعف كل متعلم بالتضلع في أسرار غائرة ونكت مغمورة تكون من حظ المتمرس والباحث المحترف

وثمة ميزات أخرى تنتشر في باقي الأجزاء التي طواها المفسر في كتابه هذا، وفق الأسيقة لفظا ومعنى.

تقديم كتاب: " التفسير المُسهَّل لأي الكتاب المنزل " للشيخ أحمد بن أمحمد خليلي- مقاربة في التفسير من حلقة التدريس إلى طبعة التأليف:-

الشيخ أحمد بن أمحمد خليلي هو إمام ومدرس بإحدى المدارس المتفرعة عن مدرسة شيخنا محمد الكبير؛ هي تلك المدرسة الأسبق التي كان يقوم على شؤونها الشيخ الكبير في تميمون، وتسمى مدرسة الإمام العبقري، وعن هذا التفسير الجديد المعاصر أريد تقديمه بعنوان هو " مقاربة في التفسير من حلقة التدريس إلى طبعة التأليف "، وهو إضافة علمية في باب التفاسير التي قيدت من حلقات الدرس والتدريس في أعوام عديدة، اعتكف فيها الشيخ مفسرا مبينا كتاب الله تعالى، متوجها بذلك إلى طلبته الذين طووا ركبهم تلقيا وفهما للذكر الحكيم تفسيرا وافيا، بعد تمكنهم من قراءة القرآن لوحا ورسمًا وحفظًا...، وكانت معظم تلك الدروس بين محفوظ مشفوه مرسخ في ذاكرة الشيخ ومدون مسجل بوسائل التقانة صوتا وصورة، إلى أن وفق الله مفسرنا فأقبل على طبع التفسير هذا، خاصة بعد إلحاح كثير من التلامذة وأهل العلم والقرآن العظيم ومحبي الشيخ والأصدقاء.

شأن ذلك مجموعة من أهل القرآن الذين اجتهدوا في شرح كلام العلي القدير للناس وطلبته في منابر المساجد والجوامع أو على حصائر الزوايا والكتاتيب أو داخل محاضرات الفتيان المتعلمين أو قاعات المحاضرات والجامعات ومحافل المواسم وأيام الله المشهودة بسائر أنواعها...، هي حصيلة علمية منهجية لو اجتهد أصحابها ومتلقوها فأجادوا تخريجها لحملة الكتاب وتاليه وباحثيه، بحصافة فكر وجودة منهج وأبلغ أسلوب لسبق إلى الأمة خير كثير، وما أدرانا ما فهمنا كتاب العزيز على الوجه الذي يرضيه، ثم عملنا به في حياتنا الدينية والدنيوية والأخروية!

وبغية تفصيل مقاربتنا هذا التفسير في معرفة منهجه وطريقة الاستنباط والتدليل، نورد بعضا من الشواهد التي ساقها الشيخ في الجزء الأول من الكتاب:

» بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي أنزل القرآن بأفصح مقال وأحسن بيان، وتحدى به المعاندين من الإنس والجان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما تعاقب الملوان وبنز القمران، وعلى آله وأزواجه أهل الفضل والجود والكرم والحنان، وأصحابه الموصوفين بالإسلام والإيمان والإحسان.

وبعد: فلما طلب مني بعض الطلبة أن أجعل لهم دروسا في التفسير ترددت كثيراً لجلالة الخطب والشأن، ولعلمي أنني لست فارساً في هذا الميدان، أو أهلاً للولوج في حلبة الفرسان، ولكن بعد الإلحاح منهم تذكرت قول القابسي لما حُتّم عليه الإفتاء بمدينة القيروان:

لعمر أبيك ما نُسب المعلّى إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رُعي الهشيم

فعندها اعتمدت على الله المولى القدير راجياً العون واليسير، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ولما ختمت المسيرة القرآنية الأولى، وكانت مدتها عشر سنين بدأنا المسيرة الثانية مع التوثيق الإلكتروني، وكانت مدتها ست سنين، لأن العمل فيها كان مستمرا أكثر من الأولى، فكان ذلك من السبب حتى الثلاثاء، وكان يعتريه التوقف في بعض الأيام.

ولما ختمت المسيرة الثانية طلب مني كثير من الإخوان أن يطبع هذا لتعم الفائدة، فنزلت عند رغبتهم، وأمرت بكتابة ذلك وتفريغه من الموقع، والله أسأل أن ينفع به من قرأه أو سعى في شيء منه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأسأل الله العفو والمغفرة والرضوان، ولوالدينا ولمن علّمنا، ولجميع المسلمين. ⁽¹⁾

موجز عن مقدمة الكتاب، الجزء الأول:

افتتح المفسر كتابه بمقدمة منهجية مبسّلا ومصلّيا على النبي - صلى الله عليه وسلم-، وحامدا ربه ذا الجلال بما يليق به من الحمد، والصلاة على رسوله بأحسن الصلاة

(1) - التفسير المُسَهَّل لأيّ الكتاب المُتَزَّل، الشيخ أحمد بن محمد خليلي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية-

الجزائر، ط 1، 1442 هـ 2021 م، ج 1، ص 5، 6.

والتسليم، وعطفه ذلك على الآل والصحب الأطهار الأخيار؛ سلك هذا المستفتح كغيره من علماء الأمة، ثم أتبع ذلك ببيان الأسباب الباعثة على التصنيف وأهمها طلب التلامذة والإخوان هذا التفسير، وهو يجيهم متواضعا ملبيا نداءهم مستعينا بالله تعالى، مع ذكره مراحل الإلقاء حلقة ثم طبعاً وتقييداً، وللعلم قد أتم الشيخ - إلى حد الساعة - سبعة أجزاء، مواصلاً تنمة المصحف كله تفسيراً إن شاء الله...

تفسير البسملة:

ثم بعد المقدمة شرع في تفسير سورة الفاتحة، نعين نصوصاً منها هنا:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 1 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 2 مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ 3 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 4 إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ 5 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ 6 غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ 7﴾ سورة الفاتحة: 1-7.

وبعد: ها نحن في هاته الليلة المباركة، وفي هذا الشهر المبارك⁽¹⁾ نبدأ المسيرة الثانية لتفسير كتاب الله العزيز الحكيم بعد الأولى التي كانت مدتها عشر سنين⁽²⁾، وأول ما هو في المصحف الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن لم يكن مكتوباً فيه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وتقدم⁽³⁾ قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ سورة النحل: 98، وإن كان القراء اتفقوا على أن الاستعاذة ليست من القرآن الكريم، إنما هي شعار القارئ، والاستعاذة إذا قال القارئ: أعوذ بالله، أي: أتحصن وألتجئ بالله من الشيطان، أي: من ضرر ووسواس الشيطان الرجيم.

أما البسملة التي هي نحت قول الإنسان: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والنحت عند العرب: أن يعبر بكلمة، هاته الكلمة تنوب عن جملة أو مركب، فقد يأتون من كل كلمة

(1)- 1 رمضان 1432 هـ الموافق 28 جويلية 2012 م بمسجد سيدي بوغرة تيميمون.

(2)- من سنة 2002 إلى 2012 والتي اختتمت بالملتقى الأول لخريجي وطلبة المدرسة القرآنية، الإمام العبقري تيميمون في 19 مارس 2012.

(3)- أي: في المسيرة الأولى.

بحرف، وقد يكتفون بالأشهر كما في البسمة، فليست فيها الرائ ولا الحاء كما قالوا في الهيلة، وهي إذا قال الإنسان: لا إله إلا الله، والحوقة، إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، والحيعة: حي على الصلاة حي على الفلاح، والحمدلة... وهلم جرأ، وإذا كانت هناك كلمة مشهورة فقد يكتفون بالأشهر لكثرة الاستعمال، فقد يحذفون منها بعض الحروف، ويقال فيه: لكثرة الاستعمال؛ كما قالوا في: أنعم صباحاً، عم صباحاً، أو عموا صباحاً... وهلم جرأ، حتى إن الترخيم المعروف في المنادى المعروف.

وإن تشأ الترخيم في حال النداء فاخصص به المعرفة المنفردة

فلا ترخم النكرات، فلا يقال: يا رُجُ في رجل، ولا في يا فارس يا فاري إلا ما ورد لكثرة الاستعمال من قولهم: يا صاح في يا صاحبي، ومنه قول امرئ القيس:

صاح ترى برقاً أريك وميضه كلعم اليدين في حيي مكلل

وكما يقول البوصيري في "الهمزية":

صاح لا تأس إن ضعفت عن الطاعة واستأثرت بها

الأقوياء

فيقال فيه: لكثرة الاستعمال. «⁽¹⁾

وهنا نستنتج علامات المنهج التفسيري الآتية:

كتابة نص السورة كاملاً مضبوطاً بالشكل مع اختيار رواية الإمام ورش عن الإمام نافع

اعتماد التفسير اللغوي البياني، بشرح المفردات تفصيلاً، ثم إجمالاً

سوق دلائل عدة في شرح الاستعانة وحقيقتها في الكتاب العزيز، ثم كلامه عن دلائل البسمة من حيث تركيبها اللفظي والدلالي، وقضية النحت...

البرهنة على الشرح بشواهد اللغة كمتن الملحّة وبيتي امرئ القيس والبوصيري

«والبسمة هاته للعلماء فيها أقوال كثيرة، هل هي آية من كل سورة في القرآن الكريم ؟

(1) - التفسير المُسَهَّل لأي الكتاب المُتَزَّل، ص 45، 46

أو هي آية فقط في الفاتحة؟ أقوال كثيرة:

_ ذهب أبو بكر القاضي محيي الدين الأندلسي ابن العربي المعروف الفاسي: إلى أنها ليست آية من القرآن، لا في الفاتحة ولا في أي سورة، وبهذا قال الإمام مالك، وهو ما قرأه عن نافع، واستدل أبو بكر القاضي⁽¹⁾ - وكما نرى نحوه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التونسي صاحب "التحرير والتنوير"⁽²⁾ حيث ساق في الموضوع كلاماً طويلاً، ورجح أنها ليست آية من الفاتحة- لما رواه الإمام مالك، والإمام أحمد ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة- أي: أصحاب الصحاح الستة ما عدا البخاري- حيث قال في حديث قدسي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة:1، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الفاتحة:2، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾3، قال: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾4، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدني ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾5 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ 6 غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة:5-7 قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل"⁽³⁾».⁽⁴⁾

يراد أقوال بعض المفسرين في معنى البسملة مثل قول أبي بكر القاضي محيي الدين الأندلسي والفقهاء ابن عاشور عن كثير ممن سبقوهما من العلماء، إذ رجح أنها ليست بآية عوّل في تدليلاته على الحديث القدسي الذي ساقه؟ أولئك العلماء، متبنين في ذلك منهجية التوثيق بالعودة إلى المصادر كالتفاسير وكتب السنة والفقهاء...

ثم قال:

«كما ساق في الموضوع ما في "صحيح البخاري" عن أبي سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كنت معه في المسجد: "ألا أعلمك أعظم سورة

(1)- "أحكام القرآن" 6/1.

(2)- "التحرير والتنوير" 140/1.

(3)- مالك في "الموطأ" 84/1، ومسلم في "صحيحه" 38-395 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- التفسير المُسَهَّل لآي الكتاب المُنزَّل، ص 46، 47(4).

في القرآن قبل أن أخرج من المسجد" فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج من المسجد فذكرته، فقال: "الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته"⁽¹⁾، ولم يقرأ في أولها بسم الله الرحمن الرحيم كما هو أيضاً في "صحيح مسلم" و "سنن أبي داود" عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول قراءة ولا في آخرها"⁽²⁾»

وفي هذا الأمر يذهب المذهب نفسه - منهجيا- في الاستدلال؛ وهنا تأكيد على عمل النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته بخصوص الاستفتاح بالحمدلة، كما هو لدى الخلفاء أبي بكر، وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وبتأمل هذه التفسيرات الجزائية مثلا لا حصرا تبينت أن روح التفسير لها صفات تلازمها؛ من ذلك التزام المفسر آداب القرن العظيم والسير وفق أسوة النبي الكريم - صلى الله عليه وآله وصحبه-، مع مواكبة التفسيرات بأنواعها الحياة اليومية للإنسان، ومواصلة إقرار الثوابت التي أكدها المفسرون السابقون عبر العصور في كثير من آيات الذكر الحكيم وسوره وهده وحكمه وأحكامه وقصصه...، في الوقت نفسه ثمة التوازي مع ذلك ب بروز بصمات التجديد في اجتهادات المتأخرين للنظر في متغيرات تستحدث من حين إلى آخر، وكل هذا من أعظم الأدلة على أن كتاب الله تعالى ميسر للذكر والتدبر دوما في الزمان والمكان ولدى كل إنسان « أفلا نرى كيف تتوالى تفاسير القرآن على مدى الحقب بعد أن تتعدد في الحقة الواحدة؟ سنقول إن القرآن الكريم نص مفتوح، وفي انفتاحه حكمة هي تلك التي تعطي لمبدأ " الصلاح لكل زمان ولكل مكان" معناه الأقصى الذي قد لا يدرك مداه إلا دؤوب عتيد يقوى على الاستكشاف بإلقاء السؤال المسؤول»⁽³⁾

(1)- "صحيح البخاري" 703، وأخرجه الإمام أحمد في "مسنده" 9345 من حديث أبي رضي الله عنه.

(2)- "صحيح مسلم" 399-52، و "سنن أبي داود" 782 من حديث أنس رضي الله عنه.

(3) - الخطاب القرآني وأسرار التلقي، عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة-

خاتمة بالمخرجات والاقتراحات والتوصيات:

وختم القول في هذه الورقة المختصرة عن مطولة بين يديّ في الموضوع البكر المغمور هذا، والموضوع الشريف ذي المقام التعبدية العلمي الذي يفوق البحوثات في مجالات علمية أخرى، ويأتي على رأسها؛ لأنه مجال القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي يعلى ولا يعلى عليه، فإن جزائرنا تحفل بكثير من أهل الاختصاص في التفسير وعلوم القرآن الكريم منبرا مسجديا وحلقات التدريس في الزوايا والكتاتيب ومنصة جامعية وعلى الهواء في الإذاعات والقنوات ومجالس الدروس وعلى الوسائط بأنواعها...، فإني أكتب عن حصائل المخرجات ومقترحات فيما يلي:

مبتدأ الأمر الضرورة الملحاح القائمة إلى اليوم بخصوص عظمة التعليم القرآني للفتيان والناشئة ورسالتيه ومدى آثارها الفاعلة إيجابا وسلبا في الفرد والمجتمع؛ حيث يجب على أهل الاختصاص والمسؤولية العلمية والإدارية والقانونية والتشريعية والتربوية الإصلاحية أن تعيد النظر الثاقب في مناهج التدريس وآلات المتابعة اليومية ودرجة الضوابط في التدريس قبل التفسير.

حُق لأهل البحث العلمي وبالأخص الجامعي أن يلتفتوا حول ما أنجز من مدونات مقيدة وثروة شفاهية لمفسرين اختصاصيين أو أصحاب العلوم القرآنية وتعليمها في شتى المستويات، قصد الكتابة عنها جمعا ونقدا وتوجيها وضبطا؛ والأفضل أن يتم هذا قبل التداول الواسع والنشر المطبوع

يجب العناية ببعض التفاسير الجزائرية المجهولة والمهملة بأشكال عدة في الزوايا والمدارس العتيقة وفي بعض صدور أهل القرآن الأحياء، أو مواد مبثوثة هنا وهناك لدى الذين تلقوا تفسيرات من أموات قضوا، وتركت آثارهم، هذا ناهيك عن تفسيرات المتأخرين الأئمة والعلماء والمشايخ والأساتذة الأكاديميين...، وذلك من حيث مذكرات التخرج وأطاريحه والدوريات ذات الاختصاص ومشاريع البحث في المخابر والدراسات الميدانية في تعلّمية التفسير في سائر المواقع ومشاريع "دكتوراه" والتصنيف في المجال عينه...

العناية بالتوفيق وما عليه إجماع الأمة في أنواع التفاسير وشرائطها ومخرجاتها،

وبالأخص تلك التي تعنى بقضايا المعاصرة ومواكبة المستجدات والنوازل المحيط بالعالم والمجتمعات سيّما المسلمين، والبصر الحصيف في كل ماله علاقة بين التفسير والفتاوى الفقهية وسائر العلوم التي هي آلات معرفية ومنهجية حتمية لكل مفسر، كالحديث الشريف وأنواع السنة المحمدية وشروحات الصحاح ونقدها المتزن من أكابر العلماء والبَحْثَة المشهود لهم بدقة الاختصاص والحكمة والتوازن والاتزان...

لا يحق لمن يتصدر إلى التفسير الإقبال على هذه المهمة العالية القدر الخطيرة المركب إلا بعد أن يلتزم معرفة العلوم الآلية للسان العربي نطقا ورسمًا ونحوًا وصرفًا ومعجمًا وبلاغة وأسلوبًا وحقيقة ومجازًا

مكتبة المداخلة:

- القرآن الكريم، المصحف الشريف، رواية الإمام ورش عن الإمام نافع
- فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، لصاحبه العلامة مولاي أحمد الإدريسي الطاهري السباعي، من تقديم خليفته الشيخ مولاي الحبيب بن عبد الرحمن العلوي، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، ط 1، 1994 م، ج 1
- قطف الزهرات من أخبار علماء توات لجامعه الإمام محمد عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، الجزائر، 2002.
- الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير، لجامعه الشيخ مولاي التهامي غيثاوي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002.
- مخطوط من دفاتر التلامذة الأوائل من الجيل الثاني، أدرار.
- مخطوط يُعد للطبع: "التفسيرُ الميسرُ للقرآن العظيم" - منهج الباحث الجامعي خدمةً للمجتمع-، للأستاذ سليمان عشراطي
- التفسير المُسهّل لأيّ الكتاب المُنزّل، الشيخ أحمد بن امحمد خليلي، دار الوعي للنشر والتوزيع، روية- الجزائر، ط 1، 1442 هـ 2021 م، ج 1.
- علم التفسير بالغرب الإسلامي، عبد القادر بلقاسم الشايط، دار ركاز للنشر والتوزيع

2022. إربد، الأردن.

- التواتي بن التواتي، التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مفردات القرآن دلالاتها واستعمالاتها في لغات العرب- دار الإمام مالك للطباعة والتجليد الفني، البليدة- الجزائر، ط 1، 1443 هـ 2022 م، ج 1

- الخطاب القرآني وأسرار التلقي، عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة- قطر، ط 1 2022

منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في التفسير من خلال كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" -دراسة وصفية-

د. محمد بوهالي.

جامعة الحاج لخضر - باتنة

الملخص:

تؤصّل هذه الدراسة لبيان منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في التفسير من خلال كتابه "الجواهر الحسان"، حيث بيّنت لنا ترجمة شخصية وعلمية لحياة هذا العالم المفسر الكبير، ثم عرّفت بكتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، ثم تطرقت لبيان معالم المنهج الذي انتهجه في تفسير الآيات المحكمات، وقد تمثل هذا المنهج في الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وذكر الأحكام الفقهية الواردة في آيات الأحكام، وبيان القراءات الواردة في الآية، والتطرق لصحيحها وشاذّها، ووجوها، وكذا الاحتكام إلى اللغة والاستشهاد بأشعار العرب، والاهتمام بالصناعة النحوية والصرفية.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الجواهر الحسان، الثعالبي، التفسير، آيات القرآن.

This study establishes the methodology of Sheikh Abdul Rahman al-Tha'alibi in interpretation through his book "Al-Jawahir al-Hassan." It provides a personal and scholarly biography of this great scholar and interpreter. It then introduces his book "Al-Jawahir al-Hassan fi Tafsir al-Quran." It then discusses the features of the methodology he adopted in interpreting the decisive verses. This methodology combines interpretation based on tradition and interpretation based on opinion, mentions the legal rulings contained in the verses of rulings, explains the various readings contained in the verse, discusses its authenticity, its anomalousness, and its various aspects, and also relies on language and quotations from Arab poetry, paying attention to the art of grammar and morphology.

Keywords: Method, Al-Jawahir al-Hassan, al-Tha'alibi, interpretation, Quranic verses.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فمنذ أن كرم الله عباده بإنزال كتابه الكريم إلهم، ودعوته لتدبر آياته وتدارسها، والمؤمنون مقبلون على ذلك باستخراج كنوزه ومكنوناته على مدى الأزمنة والعصور، ولقد تعددت مناهل الدارسين لكتاب الله تعالى، وتنوعت مشاربهم، فمن متدبر للغته وبيانه، ومن باحث لوجوه إعجازه، ومن مستنبط لأحكامه وأسراجه، ومن جامع لقصصه وأخباره، ومن دارس وشارح لوجوه قراءته، إلى غير ذلك من دراسة لعلومه وتفسير لآياته.

وقد تعددت أنماط الدراسات الخادمة لكتاب الله تعالى، واتخذت أشكالا عدة، ومن هذه الأنماط: الدراسات في مناهج المفسرين، والدراسات على بعض كتب التفسير، وبيان منهج التفسير فيها، ولهذا الغرض الجليل قصدت إلى دراسة منهج الشيخ الثعالبي في تفسيره، فكان عنوان الموضوع: "منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في التفسير من خلال كتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن-دراسة وصفية-"

أولاً: إشكالية الدراسة: تتمثل إشكالية هذه الدراسة في التساؤل المحوري الآتي: ما هو المنهج الذي انتهجه الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات القرآنية في ثنايا كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"؟

ثانياً: أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1- يعد تفسير الثعالبي من أنفس التفاسير القرآنية حيث ضمنه صاحبه أقوال من سبقوه من المفسرين، وذكر آراءه وترجيحاته وأدلته في كل ما يتعلق بالتفسير من لغة ونحو وقرءات واستنباطات فقهية وغيرها.

2- يعتبر الثعالبي من العلماء الأجلاء الذين شهد لهم العلماء بالعلم والفضل والصلاح، وله مصنفات عديدة في التفسير والحديث والفقه واللغة، مما يجعل لاستدراكاته أهمية وقيمة علمية.

3- إن الوقوف على منهج الإمام الثعالبي في تفسير القرآن الكريم يجلي لنا أهمية علم التفسير والقوة العلمية التي يمتلكها هذا الإمام رحمه الله.

ثالثا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق أمور؛ أهمها:

1- التعريف بالشيخ عبد الرحمان الثعالبي وبيان مكانته العلمية في مجال التفسير والفقه.

2- بيان المنزلة العلمية لتفسير "الجواهر الحسان"، وذكر فوائده ومميزاته على كتب التفسير الأخرى.

3- تسليط الضوء على المنهج البارز الذي سار عليه الثعالبي رحمه الله في تفسيره "الجواهر الحسان".

رابعا: حدود الدراسة

هذه الدراسة محدودة بدراسة منهج الإمام الثعالبي رحمه الله من خلال كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، حيث تعرضت لمعالم من حياة الإمام الثعالبي ومنهجه في تفسير آيات الكتاب العزيز.

خامسا: الدراسات السابقة

بعد التحري والبحث، وجدت دراسات خاصة بالموضوع؛ أهمها:

1- عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، لعبد الحق عبد الدائم سيف القاضي، وهي رسالة ماجستير، نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة 1406هـ.

2- عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، لرمضان يخلف، وهي رسالة ماجستير،

نوقشت في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، سنة 1992م.

سادسا: المنهج المتبع في الدراسة

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والوصفي. وذلك كالآتي:

- فالمنهج الاستقرائي اتُّبع في استقراء تفسير الثعالبي استقراءً تاماً؛ لإبراز منهجه المتبع في تفسير الآيات القرآنية من خلال كتابه "الجواهر الحسان".

- والمنهج الوصفي اتُّبع في التعريف بالثعالبي وكتابه "الجواهر الحسان" ببيان أهم المعالم الشخصية والعلمية المعروفة بهما، فناسب أن يكون وصفياً.

سابعا: خطة الدراسة

انتظم هذا البحث من مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة مع التوصيات.

المقدمة وقد بينت فيها إشكالية الموضوع، وأهميته وأهدافه، والدراسات السابقة، فيه والمنهج المتبع في إعدادده، وخطته.

المطلب الأول: في التعريف بالإمام الثعالبي رحمه الله.

المطلب الثاني: في التعريف بكتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

المطلب الثالث: في منهج الإمام الثعالبي في تفسيره من خلال "الجواهر الحسان".

وخاتمة مع أهم التوصيات.

المطلب الأول: في التعريف بالإمام الثعالبي رحمه الله

سأتناول في هذا المطلب تعريفاً بالإمام المفسر الثعالبي رحمه الله، وذلك بالتعرض لاسمه ومولده ورحلاته في طلب العلم ثناء العلماء عليه، وشيوخه وتلاميذه وذلك في الفروع الآتية.

الفرع الأول: اسمه ومولده ورحلته في طلب العلم

أولاً: اسمه ومولده

هو أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي، ولد ونشأ بناحية وادي

يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، وكان مولده سنة 785 هـ أو سنة 786 هـ⁽¹⁾.

ثانيا: رحلاته في طلب العلم

رحل من الجزائر في طلب العلم سنة 802 هـ، ودخل تونس عام 805 هـ، فأخذ عن أصحاب ابن عرفة، ثم رحل إلى مصر فأكثر الحضور على الحافظ ولي الدين العراقي شيخ المحدثين، فأخذ عنه علوماً جمّة، معظمها في علم الحديث، وقد أجازته الشيخ وكتب له بخطه، ثم رجع إلى تونس وأخذ عن البرزلي رواية البخاري، ولم يفته من سماعه إلا اليسير⁽²⁾.

ثالثا: ثناء العلماء عليه

قال ابن سلامة البكري: "كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً، من أكابر العلماء، له تأليف جمّة، أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة"⁽³⁾.

قال أبو العباس التُّنْبُكِّي: "من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين... هو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالقلم والدين والصلاح"⁽⁴⁾.

رابعا: العلوم التي برع فيها

كان الإمام الثعالبي رحمه الله فقيهاً مفسراً صوفياً، اختصر تفسير ابن عطية في تفسيره الجواهر الحسان، كما كانت له مؤلفات في الفقه وفي التصوف والوعظ والرقائق، وبرع كذلك في علم الحديث، وأخذ عن شيوخ الحديث في المشرق والمغرب، ويحدث هو عن نفسه فيقول:

(1) الكتاني، عبد الحي ت: 1382 هـ، فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982 م، 732/2؛ نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1400 هـ/1980 م، ص90.

(2) الكتاني، فهرس الفهارس، 732/2.

(3) التنبكي، أحمد ت: 1063 هـ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000 م-ص258.

(4)-التنبكي، المصدر نفسه، ص258.

"وحضرت كثيرًا عند شيخ المحدثين بها- أي مصر- ولي الدين العراقي وأخذت عنه علومًا جمة معظمها علم الحديث، وفتح لي فتحًا عظيمًا وأجازني، ثم رجعت لتونس فإذا في موضع الغبريني الشيخ أبو عبد الله القلشاني خلفه فيه عند موته فلازمته وأخذت البخاري إلا يسيرًا عن البرزلي، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتي في علم الحديث إذا تكلمت أنصتوا وقبلوا ما أرويه"⁽¹⁾.

خامسا: شيوخه

أخذ الإمام الثعالبي رحمه الله عن شيوخ كثير، منهم⁽²⁾:

ولي الدين العراقي، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ الفقيه المصنف، توفي سنة 826هـ⁽³⁾.

ابن مرزوق الحفيد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، العلامة الحجة، الحافظ المحقق الكبير، الثقة الثابت، توفي سنة 842هـ⁽⁴⁾.

أبو محمد عبد الله بن مسعود بن علي القرشي الشهير بابن قرشية، توفي سنة 837هـ⁽⁵⁾.
أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي، القيرواني ثم التونسي، الشهير بالبرزلي، نزيل تونس، ومفتيها وفقيهها وحافظها، أحد الأئمة في المذهب المالكي، توفي سنة: 842هـ⁽⁶⁾.

سادسا: تلاميذه

تتلمذ على الثعالبي رحمه الله تلاميذ كثير، منهم⁽⁷⁾:

(1)- الثعالبي، عبد الرحمن، رحلة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، مطبوع مع كتاب غنيمة الوافد للثعالبي، ص 110-111.

(2)- التنبكي، نيل الابتهاج، 733/2؛ الكتاني، فهرس الفهارس، 733/2.

(3)- الكتاني، فهرس الفهارس، 1118/2.

(4)- التنبكي، نيل الابتهاج، ص 499.

(5)- التنبكي، المصدر نفسه، ص 230.

(6)- التنبكي، المصدر نفسه، ص 368.

(7)- التنبكي، نيل الابتهاج، 733/2؛ الكتاني، فهرس الفهارس، 733/2.

ابن مرزوق الكفيف، محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب، إمام علامة، فقيه حافظ محدث مسند الرواية، توفي عام 901هـ⁽¹⁾.

محمد بن يوسف بن عمر شعيب السنوسي، كان آية في علمه وهديه وسيرته، توفي عام 895هـ⁽²⁾.

علي بن محمد التالوتي الأنصاري، محقق حافظ متقن، توفي عام 895هـ⁽³⁾.
أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي، ألف اللامية المشهورة في العقائد، شرحها الشيخ السنوسي، وأثنى على ناظمها بالعلم والصلاح، توفي سنة 884هـ⁽⁴⁾.
سابعاً: مؤلفاته⁽⁵⁾

للثعالبي مؤلفات كثيرة، ومعظمها مازال مخطوطاً، ومن تصانيفه في علم التفسير وعلوم القرآن:

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز.
- تحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن.
- ومن مؤلفاته في الفقه:
- جامع الأمهات في أحكام العبادات.
- روضة الأنوار، جمعه من نحو من ستين من أمهات الدواوين المعتمدة.
- ومن مؤلفاته في الحديث:
- أربعون حديثاً مختارة.

(1)- مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية، 387/1.

(2)- التنبكي، نيل الابتهاج، ص 563.

(3)- التنبكي، المصدر نفسه، ص 341.

(4)- مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 383/1.

(5)- الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص 26؛ كحالة، عمر ت: 1987م، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، 192/5.

ومن مؤلفاته في القراءات:

-المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع.

-شرح منظومة ابن بري في قراءة نافع.

ومن مؤلفاته في التصوف:

-قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين.

ومن مؤلفاته في الرقائق والوعظ والإرشاد:

-الأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة.

-العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.

-إرشاد السالك.

-جامع الفوائد.

-النصائح.

-الدر الفائق.

ومن مؤلفاته أيضاً: غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد، وهو ثبت لطيف ذكر فيه مصنفات الحديث التي اتصلت به وبعض أسانيدھا وأسماء مؤلفاته، وهو مطبوع.

ثامنا: وفاته

توفي رحمه الله في 03 رمضان المبارك سنة 875هـ في مدينة الجزائر، ودفن بها⁽¹⁾.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن

سأتناول في هذا المطلب تعريفا بكتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تفسير الإمام الثعالبي رحمه الله وذلك من خلال التعريف العام بالكتاب وذكر تأليف الكتاب وطبعاته، والمنهج العام للإمام الثعالبي في تفسيره، ثم المصادر المعتمدة في كتاب الجواهر الحسان، وذلك وفق الفروع الآتية:

(1)-نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص91.

الفرع الأول: الوصف العام للكتاب

يعد كتاب الثعالبي من مراجع التفسير في المذهب المالكي، وقد أودع فيه العلم النافع والتفسير الميسر ليكون لصاحبه زينة في الدارين، وهو اختصار لتفسير ابن عطية مع إضافة ما نقله الثعالبي عن المفسرين، وهذا بإقرار منه بنفسه في مقدمة الجواهر، قال الثعالبي رحمه الله: "فإنني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمنت بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمه، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة"⁽¹⁾

وقد سماه بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، والجواهر هي الدرر الثمينة وتفسيره من الدرر في العلم النافع حيث قال: "وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان الماثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"⁽²⁾

فيعتبر تفسير الإمام الثعالبي المسمى بكتاب الجواهر الحسان تفسيراً أثريا ذا نزعة صوفية وعظية يهتم بالقضايا الاجتماعية.⁽³⁾ وهي من التفاسير التي كتب لها القبول والانتشار، حيث اختصره مؤلفه من كتاب تفسير الإمام ابن عطية "المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز" مع زيادات وإضافات مهمة نقلها عن سبقه من كتب المفسرين، وقد صرح بذلك فقال: "فقد ضمنت بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمه، من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين"⁽⁴⁾

ويعتبر تفسير الإمام الثعالبي من التفاسير التي وصلت إلينا من القرن التاسع على ما

(1)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 1/117.

(2)- المصدر نفسه، 1/119.

(3)- محمد بن رزوق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، الطبعة 1، 1426هـ، 2/699-700.

(4)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 1/117-118.

ذكره المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله.⁽¹⁾

الفرع الثاني: تأليف الكتاب وطبعاته

للكتاب الجواهر الحسان عدة طبعات، فقد طبع أكثر من مرة حيث أن الطبعة الأولى هي الطبعة الجزائرية القديمة بالمطبعة الثعالبية وذلك سنة: 1327هـ وقد أُدرج في آخر التفسير معجم مختصر في شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم. وعيب هذه الطبعة أنها جاءت من غير عناية والتحقيق.

وثاني طبعة للكتاب كانت بعناية محمد بن المصطفى ابن الخوجة سنة: 1905م، وقد اعتمد في تحقيقها

على سبع نسخ قام بمقابلة بعضها ببعض.

كذلك توجد طبعة أخرى بالجزائر، بالمؤسسة الوطنية للكتاب، وذلك عام: 1985م بتحقيق الدكتور عمار الطالبي في خمس مجلدات.

وكذلك طبعة بيروت، بدار إحياء التراث العربي بتحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، عبد الفتاح أبو سنة، في خمس مجلدات سنة 1418هـ.

والطبعة الخاصة التي اعتمدها في بحثي هي من تحقيق الدكتور عمار طاليب بدار كرامة سنة: 2013م.

الفرع الثالث: المنهج العام للإمام الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان

بدأ الثعالبي رحمه الله تفسيره بمقدمة أوضح فيها منهجه، فذكر أن من نقل عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقل، ولم ينقل من ذلك شيئا بالمعنى خوف الوقوع في الزلل. وما انفرد بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد اللخمي النحوي.⁽²⁾

ثم بين أن كل ما في آخره "انتهى" فليس من كلام ابن عطية بل ذلك مما انفرد بنقله عن

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، 12/1.

(2)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 118-119.

غيره، وجعل علامة "التاء:ت" لنفسه بدلا من قلت، وعلامة العين "ع" لابن عطية، وعلامة الصاد "ص" لمختصر السفاقي لابن حيان.

ثم بين أن ما نقله من الأحاديث الصحيحة والحسنة من غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات فأكثره من النووي، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة،... وكل ذلك معزو لمحله وبالجمله فتفسيره هذا محشو بالدرر والفوائد والحكم والمكنونات...⁽¹⁾

الفرع الرابع: المصادر المعتمدة في كتاب الجواهر الحسان

تقدم معنا ذكر أن تفسير الثعالبي اختصار لتفسير المفسر ابن عطية "المحرر الوجيز"، فهو أول مصدر له، بل هو أصل به، وقد اعتمد الإمام الثعالبي على قراءة مئة مصدر في كتابه "الجواهر" لا يسع المقام لذكرها جميعها، فأذكر من بينها كالاتي:

أولا: مصادره من كتب التفسير

بالإضافة إلى تفسير ابن عطية رحمه الله اعتمد على تفسير القاضي أبو بكر بن العربي المالكي، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي، وجامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري، ومختصر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، اختصره الصفاقي وسماه: المجيد في إعراب القرآن المجيد، وتفسير أحمد بن نصر الداودي، والكشف والبيان عن تأويل القرآن، وكتاب جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي...

ثانيا: مصادره من كتب الحديث

اعتمد على كتب للحديث منها: صحيح البخاري، وصحيح الإمام مسلم، سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد، والموطأ للإمام مالك رحمه الله... وفي غالب أحيانه أنه لا يأخذ عن هذه الكتب إلا بواسطة مؤلفات أخرى للمتأخرين، أذكر منها:

- سلاح المؤمن لتقي الدين محمد بن علي بن همام المصري الشافعي.

(1)-المصدر نفسه، 1/118-119.

-التذكرة في النظر في أخبار الآخرة، للقرطبي.

-الكوكب الدري للإمام أبي العباس أحمد بن سعد.

-العاقبة في الحشر والنشر لعبد الحق الخراطي البجائي.

-الحلية للإمام النووي.

ثالثا: مصادره من كتب الفقه والأصول

ومن بين أهم مصادره في باب الفقه والأصول: المدونة لسحنون بن سعيد، مختصر ابن الحاجب الفرع، الإمام في أحاديث الأحكام للإمام ابن دقيق العيد رحمه الله، البيان والتحصيل لابن رشد المالكي، والذخيرة للإمام القرافي...

رابعا: مصادره في التاريخ والسيرة النبوية

ومن المصادر التاريخية التي اعتمد عليها الإمام الثعالبي رحمه الله في تفسيره ما يأتي:

-السيرة النبوية لابن هشام، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، بهجة النفس لهشام بن عبد الله القرطبي. الآيات والمعجزات لحسن بن عبد الله بن علي الرهوني المعروف بابن القطان.

المطلب الثالث: منهج الإمام الثعالبي في تفسيره من خلال الجواهر الحسان

سأتعرض في هذا المطلب لبيان المنهج الذي سار عليه الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان"، وذلك وفق الفروع الآتية:

تمهيد:

اعتمد الثعالبي رحمه الله في كتابة تفسيره على تفسير ابن عطية أصلاً له، فتفسير الثعالبي هو اختصار لتفسير ابن عطية، فقد أثبت به خلاصة تفسير ابن عطية والمهم فيه، بل كان يستدرك على ابن عطية كثيراً، ويخالفه في كثير من أقواله، وأحياناً كان يؤيد قول ابن عطية، كما أضاف على تفسير بن عطية نقولات نفيسة من كتب العلماء الثقات وأقوالهم، وأضاف من عنده تعليقات وزيادات قيمة نافعة.

ويوضح الثعالبي في مقدمة تفسيره منهجه وطريقته في التفسير، فيقول: "فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين، فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة، حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين"⁽¹⁾.

ويمكن تلخيص منهج تفسير الثعالبي رحمه الله في النقاط الآتية:⁽²⁾

الفرع الأول: الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

إن المتتبع لتفسير الثعالبي يجده يجمع بين نوعين من أنواع التفسير، وهما تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي، فقد كان رحمه الله في باب الغيبات إذا نقل نقلا فيها لا يسلم بقبوله وصحته إلا إذا كان له فيه ما يعضده من القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم يخل تفسيره من الاجتهاد، ويدل على سرين ممن اشتهروا بالقول بالاجتهاد، مثل فخر الدين الرازي وأبي حيان، وابن العربي، فكان ينقل عن هؤلاء، وغيرهم من علماء السلف، ممن اشتهروا بتفسير القرآن بالرأي، غير أنه كان شديد الحرص على التمييز بين ما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز فيه بحال من الأحوال.

ويتضح هذا المنهج من خلال الشواهد الآتية:

ففي تفسير قوله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" [سورة النساء: 01] قال: قال ابن عباس وغيره: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَحِشاً فِي الْجَنَّةِ وَحَدَهُ، ثُمَّ نَامَ، فَانْتَزَعَ اللَّهُ إِحْدَى أَضْلاعِهِ الْقَصِيرَى مِنْ شِمَالِهِ، وَقِيلَ: مِنْ يَمِينِهِ، فَخَلَقَ مِنْهَا حَوَاءً..."، ثم قال الثعالبي: "ويعضد هذا الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْمَرْأَةَ

(1)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 1/118.

(2)- يُنظر: عبد الحق بن سيف الله الدائم، عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1406هـ، ص 174؛ يخلف رمضان؛ عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 1992م، ص 50.

خُلِقْتُ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ ..."⁽¹⁾. ورد قول ابن عطية هو أخذ الذرية من ظهر آدم، وذلك شيء كان قبل خلق حواء، فقال: وهذا يحتاج إلى سند قاطع.⁽²⁾

وكذلك توقفه في قبول التفسير المنسوب لابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: "يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا" [مريم:19] قال: "إنَّ الجبل ليقولُ للجبل: يا فلانُ، هل مرَّ بك اليومَ ذاكِرُ اللهِ تعالى؟ فإنَّ قال: نعم، سُرَّ به" ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه الآية. ثم عقب الثعالبي رحمه الله على كلام ابن مسعود رضي الله عنه: "وما ذكره ابنُ مسعودٍ لا يقالُ من جهة الرأي"⁽³⁾

الفرع الثاني: منهجه في التفسير بالمأثور أنه يذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة والتابعين في تفسير الآية، ويعتمد أولاً ما ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويُخرج الأحاديث وأما الأقوال المأثورة الضعيفة فإنه ينبه على ضعفها، ويتجنب ذكر الإسرائيليات، وإذا أورد بعضاً منها نبه على ضعفها.

أولع الإمام الثعالبي بعلم الحديث متأثراً بمن لقي من شيوخه في المشرق، وقد ضمن تفسيره الكثير من الأحاديث وصرح في مقدمته بذلك فقال: "وبالجملة فكتابي هذا محشوّ بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم"⁽⁴⁾

والمتتبع لمنهج الثعالبي في التفسير يجده يعتمد منهج تخريج الأحاديث مع الإشارة إلى درجتها من الصحة والضعف، ومن الأمثلة على ذلك:

في مطلع تفسير سورة البقرة يورد الإمام ابن عطية حديثاً في فضلها فيقول: "وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطّواسين من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت

(1)- أخرجه البخاري في صحيحه، في أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، 3331، وفي كتاب النكاح، باب المدارة مع النساء، 5184، وباب الوصاة بالنساء، 5186، ومسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم:

1091-1090/2، 1468

(2)- الجواهر الحسان، 69/4.

(3)- المصدر نفسه، 39/4.

(4)- المصدر نفسه، 119/1.

العرش"⁽¹⁾ ثم يقول الثعالبي معلقاً على قوله: وها أنا إن شاء الله أذكر أصل الحديث بكماله لما اشتمل عليه من الفوائد العظيمة، خرّج الحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعملوا بالقرآن أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه عليكم منه فردّوه إلى الله..."⁽²⁾

وفي مثال آخر في ذكر فضل سورة الكهف يذكر الإمام الثعالبي رحمه الله أحاديث كثيرة مسندة ومخرجة ومنها:

وعن البراء بن عازب، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه فرس مربوط بشطنتين فغشيته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السّكينة نزلت بالقرآن.⁽³⁾

وفي الحديث الصحيح من طريق النّوّاس بن سمعان، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "فمن أدرك الدّجال منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف..."⁽⁴⁾، وذكر الحديث. وزاد أبو داود: "فإنّها جوازكم من فتنته"⁽⁵⁾....⁽⁶⁾

الفرع الثالث: التعرض لذكر الأحكام الفقهية في آيات الأحكام بدون إطناب في شرح المسألة الفقهية.

اعتنى الإمام الثعالبي رحمه الله بآيات الأحكام فجلى غموضها، وأوضح مشكلها، وكان سبب مكنته في ذلك سعة علمه في الفقه المالكي وغيره من المذاهب السنية، واستعان على

(1)- أخرجه الحاكم في المستدرک، 1/ 561، 2/ 259، والبيهقي في شعب الإيمان، 2/ 485، رقم: 2478، كلاهما من طريق عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن معقل بن يسار به مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: عبيد الله، قال أحمد: تركوا حديثه.

(2)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 1/ 176-177.

(3)- رواه البخاري، واللفظ له، ومسلم والترمذي والنسائي، والرجل المهم في الحديث هو أسيد بن حضير.

(4)- رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءة سورة الكهف، رقم: 2937. 425/03.

(5)- أخرجه الدارمي في مسنده موقوفاً ورواته متفق على الاحتجاج بهم إلا أبا هاشم يحيى بن دينار الرّماني وقد وثّقه أحمد ويحيى وأبو زرعة وأبو حاتم.

(6)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 3/ 505-506.

ذلك بكتاب أحكام القرآن لابن العربي المالكي وموطأ مالك ومدونة سحنون، وغيرها من كتب الفقه المالكي.

وقد كان رحمه الله آميناً في النقل، فيصرح بالمصدر الذي اعتمده في غالب الأحيان، وبيان ذلك من خلال آيات الأحكام الآتية:

ففي تفسير قوله تعالى: "فمن اضطر غير باغ ولا عاد وفلا إثم عليه" [البقرة: 172] يقول قال ابن العربي رحمه الله: وإذا دامت المَحْمَصَة، فلا خلاف في جواز شبع المضطرِّ، وإن كانت نادرة، ففي شبعه قولان: أحدهما لمالك: يأكل حتى يَشْبَعَ، ويتضلع، وقال غيره: يأكل بمقدار سدِّ الرَّمق، وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون. وقد قال العلماء: إنَّ من اضطرَّ إلى أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، فلم يأكل، دخل النَّارُ إلا أن يُغْفَرَ الله له.⁽¹⁾

وفي شاهد آخر في تفسير قوله تعالى: إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بنناه للناس في الكتاب... [البقرة: 158] قال ابن العربي رحمه الله: "وللآية تحقيق، وهو أن العالم إذا قصد الكتمان، عصي، وإذا لم يقصده، لم يلزمه التبليغ، إذا عرف أن معه غيره، وقد كان أبو بكر وعمر لا يحدثان بكلِّ ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم إلا عند الحاجة، وكان الزُّبيرُ أقلَّهم حديثاً، ثم قال ابنُ العَرَبِيِّ: فأما من سئل، فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية، وأما إن لم يُسأل، فلا يلزم التبليغ إلا في القرآن وحده، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة التبليغ بأنه قال: نَصَرَ اللهُ امرأَ سَمِعَ مَقَالِي فَوَعَاها، فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَهَا"⁽²⁾

الفرع الرابع: ذكر القراءات الواردة في الآية، صحيحها وشاذها، وينسبها ويوجهها.
بالإضافة إلى اعتماد الإمام الثعالبي على السياق القرآني ودلالة الألفاظ وأصول الفقه في تفسير آيات الأحكام، فقد اهتم أيضاً بالقراءات لكن بإيجاز يتوافق مع ما توخاه في هذا الكتاب من الاختصار، فلا يذكر منها إلا ما تنفك به معاني الآيات، وقد ساعده على ذلك معرفة الشاذ والصحيح من القراءات، وبذلك أبدى قدرته العلمية في توجيه القراءات، وبيّن ما تدل عليه كل قراءة من معنى.

(1)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 1/360.

(2)- المصدر نفسه، 1/346.

ومن الشواهد التفسيرية على ذلك قوله تعالى: "فإنهم لا يكذبونك" [الأنعام: 34] قال الثعالبي رحمه الله: "وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة «لا يكذبونك» بتشديد الذال، وفتح الكاف-وقراها ابن عباس، وزدّها على قارئ قرأ عليه «يُكذبونك» بضم الياء، وقال: إنهم كانوا يسمونه الأَمِينِ.

وقرأ نافع والكسائي-بسكون الكاف، وتخفيف الذال-، وهما قراءتان مشهورتان صحيحتان، وهما بمعنى واحد، فمعنى: لا يكذبونك، أي: لا يعتقدون كذبك، وإنهم يعلمون صدقك، ولكنهم يَجْحَدُونَ عناداً وظُلماً، وهذا تأويل قتادة والسُّدي وغيرهما⁽¹⁾

وفي تفسير قوله تعالى: "ألا يسجدوا للذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون" [النمل: 25] قال رحمه الله: "وقرأ الجمهور: «يُخْفُونَ وَيُعلنون» بياء الغائب وهذه القراءة تُعطى أَنَّ الآية من كلام الهدهد. وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم «تُخْفُونَ وَتُعلنون» بقاء الخطاب وهذه القراءة تعطى أَنَّ الآية من خطاب الله تعالى لأمة سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم⁽²⁾

الفرع الخامس: الاحتكام إلى اللغة والاهتمام بالصناعة النحوية والاستشهاد بأشعار العرب.

أولاً: اهتمامه بالصناعة النحوية

فقد اعتنى رحمه الله بشرح المفردات الغريبة، وذلك بانتقائه من تفسير ابن عطية بعض المسائل النحوية، وقد كان مصدره الأساسي في هذا هو تفسير البحر المحيط لابن حيان كما نص على ذلك بقوله في مقدمته: "وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصّفاقسيّ مختصر أبي حيان غالباً، وجعلت الصّاد علامة عليه، وربّما نقلت عن غيره معزّوا لمن عنه نقلت، وكلّ ما نقلته عن أبي حيان، فإنما نقلني له بواسطة الصّفاقسيّ غالباً، قال الصّفاقسيّ: وجعلت علامة ما زدته على أبي حيان..."⁽³⁾

ومثال ذلك مما تعرض له رحمه الله بالشرح والبيان عن طريق النحو قوله تعالى: "حَتَّى

(1)-المصدر نفسه، 458/2-459.

(2)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 4/249.

(3)- المصدر نفسه، 118/1.

إِذَا قَسِلْتُمْ: "يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «حَتَّى» غَايَةً كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَى أَنْ فَشِلْتُمْ، وَالْأَظْهَرُ الْأَقْوَى أَنَّ «إِذَا» عَلَى بَابِهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْجَوَابِ، وَمَذْهَبُ الْخَلِيلِ، وَسَيَّبَوَيْهِ، وَفُرْسَانِ الصِّنَاعَةِ أَنَّ الْجَوَابَ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى، تَقْدِيرُهُ: انْهَزِمْتُمْ"⁽¹⁾

وفي تفسير قوله تعالى: "فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ" يقول: "قال ابن هشام: لا يصح انتصاب «مِائَةَ» بـ «أَمَاتَهُ» لأن الإماتة سلب الحياة، وهي لا تمتد، وإنما الوجه أن يضمّن «أَمَاتَهُ» معنى «أَلْبَنَهُ»، فكانه قيل: فألبنه الله بالموت مائة عامٍ وحينئذٍ يتعلّق به الظرف"⁽²⁾

ثانيا: استشهاد بالشعر

أما استشهاد الثعالبي رحمه الله بأشعار العرب على معاني الكلمات فهو قليل، بل نادر مع أن أشعار العرب كانت أساسا اعتمد عليها الصحابة والتابعون في تفسير القرآن، ومن الأمثلة على ذلك مما ورد في تفسير الجواهر: قوله تعالى: "أنه من عمل منكم سوءا بجهالة" والجهالة في هذا الموضع: تعمُّ التي تُضَادُّ الْعِلْمَ، والتي تُشَبِّهُهَا وذلك أَنَّ الْمُتَعَمِّدَ لِفِعْلٍ الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ نُبِيَّ عَنْهُ تَسْمَى مَعْصِيَتُهُ تِلْكَ جَهَالَةً، قال مجاهد: مِنَ الْجَهَالَةِ أَلَّا يَعْلَمَ حَلَالًا مِنْ حَرَامٍ، ومن جهالته أَنْ يَرْكَبَ الْأَمْرَ: قُلْتُ: أَيُّ: يَتَعَمَّدُهُ. ومنها قول الشاعر:

أَلَّا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَجَهْلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ.⁽³⁾

وأكثر ما يستشهد به من الشعر في شرح غريب ألفاظ القرآن إنما هو ناقل له عن ابن عطية، أو من شواهد الصفاقسي وابن هشام وابن مالك. ومن ذلك ما نقله عن ابن عطية في بيان معنى "الحواري" في قوله تعالى: "قال الحواريين نحن أنصار الله" [الصف:14] الحَوَرُ وهو الْبَيَاضُ، حَوَّرْتُ الثُّوبَ: بَيَّضْتُهُ وَمِنْهُ الْحَوَارِيُّ، وقد تسمّى العرب الْبَيْضَاءَ السَّاكِنَاتِ فِي الْأَمْصَارِ: الْحَوَارِيَّاتِ لَغَلْبَةِ الْبَيَاضِ عَلَيْهِنَّ ومنه قول أبي جلدَةَ الْيَشْكِرِيِّ:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا ... وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَابِغُ.⁽⁴⁾

الفرع السادس: التزامه لمقام الوعظ، فكان لا يدع مناسبة لذكر الوعظ والرقائق

(1)-المصدر نفسه، 2/123.

(2)-المصدر نفسه، 1/510.

(3)-المصدر نفسه، 2/470.

(4)-الثعالبي، الجواهر الحسان، 2/50.

وأُمور الآخرة إلا اغتنمها للحديث عن هذه الأمور، وأحياناً يطنب في ذلك وينقل من كتب العلماء نقولات مطولة للحديث عنها.

وقد استعان رحمه الله في ذلك بكتب الإمام الغزالي والقشيري وكتاب التنوير لابن عطاء الله وكتاب الفرج بعد الشدة لأبي عبد الله التنوخي، ومن نقولاته عنه رحمه الله في باب الوعظ والرفائق وأُمور الآخرة قوله في تفسير قوله تعالى: "ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا" [طه: 129] قال: "قال ابن عطاء الله في التنوير: واعلم أنَّ هذه الآية علمت أهل الفهم عن الله تعالى كيف يطلبون رزقهم، فإذا توقفت عليهم أسباب المعيشة، أكثروا من الخدمة والموافقة، أو قرعوا باب الرِّزْقِ بمعاملة الرِّزَّاق- جل وعلا- ثم قال: وسمعت شيخنا أبا العباس المُرْسِي رضي الله عنه يقول: والله ما رأيت العزَّ إلا في رفع الهمة عن الخلق، واذكر رحمك الله هنا: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون: 8]

ففي العز الذي أعزَّ الله به المؤمن رفع همته إلى مولاه، وثقته به دون مَنْ سِوَاهُ، واستحي من الله بعد أن كساك حُلَّة الإيمان، وزينك بزينة العِرْفَان أن تستولي عليك الغفلة والنسيان حتى تميل إلى الأكوان، أو تطلب من غيره تعالى وجود إحسان، ثم قال: ورفع الهمة عن الخلق: هو ميزانُ ذوي الكمال ومِسْبار الرجال، كما توزن الدَّوَاتُ كذلك توزن الأحوال والصِّفَاتُ.⁽¹⁾ وقال في تفسير قوله تعالى: "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً" [الإنسان: 08] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ، وَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ حُبُّ الْمَسَاكِينِ، وَالْفُقَرَاءُ الصُّبْرُ هُمْ جُدَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽²⁾⁽³⁾

خاتمة:

بعد دراسة موضوع منهج الإمام الثعالبي في التفسير من خلال كتابه: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن دراسة وصفية" توصلت إلى جملة من النتائج والتوصيات؛ أهمها:

أولاً: النتائج: وتمثلت في:

(1)-المصدر نفسه، 4/75-76.

(2)- أخرجه ابن حبان في المجروحين، 1/147، وابن عدي في الكامل في الضعفاء، 6/377، والحديث بهذا اللفظ موضوع.

(3)- الثعالبي، الجواهر الحسان، 5/529.

1- الإمام الثعالبي عالم مفسرٌ جهيدٌ بارعٌ في علم التفسير، ويدل على ذلك ما سطره في "الجواهر الحسان".

2- تفسير الجواهر الحسان موسوعة علمية زاخرة بعلم التفسير والقراءات والحديث والفقه.

3- اعتمد الثعالبي رحمه الله في تحرير تفسيره على تفسير ابن عطية كأصل له، فتفسير الثعالبي هو اختصار لتفسير ابن عطية، وقد كان يخالفه في كثير من أقواله، كما أضاف على تفسير ابن عطية نقولات نفيسة من كتب العلماء الثقات وأقوالهم، وأضاف من عنده تعليقات وزيادات قيمة نافعة.

4- كان للإمام الثعالبي منهجٌ بارزٌ اعتمده في تفسيره الجواهر الحسان، تميز به عن غيره من المفسرين القدماء.

ثانيا: التوصيات: وتمثلت في:

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أوصي الباحثين والدارسين بالاعتناء بدراسة كتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للإمام الثعالبي، واستخراج فوائده ودرره ومكنوناته العلمية في مجال التفسير والفقه واللغة والقراءات.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ت: 458هـ، السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.

- التنبكي، أحمد ت: 1063هـ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، سنة 2000م.

- الثعالبي، عبد الرحمن، رحلة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، مطبوع مع كتاب غنيمة الوافد للثعالبي.

- الكتاني، عبد الحي ت:1382هـ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخات والمسلسلات، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
- عبد الحق بن سيف الله الدائم، عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1406هـ.
- كحالة، عمر ت: 1987م، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- محمد بن رزوق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، طبعة 1، 1426هـ.
- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ت: 279هـ، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ج 1، 2، ومحمد فؤاد عبد الباقي ج 3 وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ج 4، 5، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.
- مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري ت: 261هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1400هـ-1980م.
- يخلف رمضان؛ عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 1992م.

جهود الشيخ التّوّاتي بن التّوّاتي الأغواطيّ في التّفسير: دراسة وصفية لكتاب "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين"

ط.د. فوزية صور- ط.د. شهبناز رواج

جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان-

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جهود الشيخ التّوّاتي بن تّوّاتي في تفسيره الموسوم بـ "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين" حيث تسعى إلى التعريف بشخصية المفسر العلمية والعملية، وكذا بيان ملامح تفسيره من خلال عرض جملة من الخصائص التي ميزته عن باقي التفاسير، إلى جانب عرض المنهج الذي اعتمده الشيخ إجمالاً، وتحليل منهجه التفصيلي في الجانبين الفقهي والإصلاحي. هذا وقد توصلت الدراسة إلى أنّ تفسير الشيخ التّوّاتي بن تّوّاتي يمثل إضافة متميزة للمكتبة التفسيرية الجزائرية خاصة والمغربية على وجه العموم، وذلك بما جمعه من أصالة في المنهج، وغزارة في المصادر، وعمق علمي متوازن مع توجيهه إصلاحي تربوي.

الكلمات المفتاحية: التّوّاتي بن تّوّاتي- الدّر الثّمين- التّفسير- الجهود- المنهج.

This study aims to highlight the scholarly efforts of Sheikh al-Tuwāṭi bin Tuwāṭī in his exegesis **“al-Durr al-Thamīn fī Tafsīr al-Kitāb al-Mubīn.”** It seeks to introduce both the intellectual and practical aspects of the exegete’s life, and to outline the distinctive features that set his work apart from other tafsīr traditions. The study further explores the overall methodology adopted by the Sheikh and provides a detailed analysis of his interpretative approach, particularly in the fields of jurisprudence and reform. The findings show that his tafsīr represents a significant contribution to the exegetical heritage of Algeria in particular, and the Maghrib in general, combining methodological authenticity, richness of sources, and scholarly depth with a reform-oriented and pedagogical spirit.

Keywords: At-Tuwāṭi bin Tuwāṭī –Ad-Durrath-Thamīn –

Tafsīr – Contributions – Methodology.

مقدّمة:

يُعدّ علم التفسير من أبرز العلوم الشرعيّة التي اعتنت بها الأمة الإسلاميّة، إذ هو الوسيلة لفهم خطاب الوحي، واستنباط معانيه، وتنزيلها على واقع الإنسان. وقد نشأ هذا العلم ونما في كنف خدمة النص القرآني، وتعدّدت مناهجه ومدارسه باختلاف الأزمنة والبيئات.

وفي الجزائر، كان لعلماء هذا القطر دور بارز في خدمة القرآن الكريم، سواء عبر التفسير الشفويّ في الزوايا والمساجد، أو من خلال التّأليف المكتوب، خاصّة في ظلّ التّحدّيات السياسيّة والاجتماعيّة التي فرضها الاستعمار، حيث أصبح التفسير أداةً للحفاظ على الهوية الدينيّة واللّغويّة، ومجالاً للتّوجيه التّربويّ والإصلاح الاجتماعيّ.

ومن بين أولئك العلماء الشّيوخ التّواتي بن التّواتي الأغواطي، أحد أعلام الجنوب الجزائريّ في القرن التاسع عشر، وعالم من علماء التفسير الذين جمعوا بين الأصالة العلميّة، والاهتمام بالتّربية القرآنيّة، والحرص على اللّغة والدّلالة.

وقد ترك الشّيوخ التّواتي أثراً علميّاً مهمّاً في مجال التفسير، تمثّل في تفسيره الموسوم "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين"، وهو تفسير يعكس ثقافته المتنوعة، وتكوينه العميق في علوم القرآن واللّغة والفقه.

وتهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضّوء على جهوده التّفسيريّة، من خلال قراءة وصفيّة لتفسيره من حيث المضمون والمنهج، مع إبراز أثر البيئة العلميّة والدينيّة في تكوينه وتوجّهه. ولتتبع كلّ ذلك اتّبعت المنهج الوصفيّ والتحليليّ مستعينين بأداة الاستقراء.

وقد جاءت هذه الدّراسة لتُجيب على إشكاليّة مفادها: كيف ساهم الشّيوخ التّواتي بن التّواتي في خدمة علم التفسير؟ وما المنهج الذي سار عليه في كتابه: "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين"؟

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدّمة وثلاثة مطالب؛ خصّصنا الأوّل منها للتعريف

بالشيخ التّواتي بن التّواتي، بينما جاء المطلب الثاني للتعريف بكتابه: "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين"، وقد تناول المطلب الأخير المنهج العام للشيخ في تفسيره، وذيلنا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهمّ نتائج البحث، مع بعض التّوصيات.

المطلب الأوّل: ترجمة الشيخ التّواتي بن التّواتي الأغواطي

لا يمكن دراسة وفهم الجهود العلميّة لأيّ مفسّر دون العودة إلى سيرته الدّاتية وسياقه الثّقافي والمعرفي؛ إذ تشكّل البيئة التي نشأ فيها، وشيوخه، ومسيرته التّعليمية، عناصر أساسيّة في بناء شخصيّة العلميّة وتوجهه التّفسيري. وانطلاقاً من كلّ ذلك، فإن دراسة شخصيّة الشيخ التّواتي بن التّواتي الأغواطي تكتسي أهميّة بالغة، كونه أحد الوجوه العلميّة البارزة في الجنوب الجزائريّ خلال القرن التّاسع عشر إلى يومنا هذا، وواحدًا من الذين ساهموا في خدمة النّص القرآنيّ تفسيرًا وتعليمًا وتأليفًا.

وسيسعى هذا المطلب إلى التعريف بالشيخ من خلال الوقوف على مولده ونشأته، ورحلته في طلب العلم، ثم بيان مكانته في محيطه العلمي والاجتماعي، تمهيدًا لفهم أعمق لطبيعة مشروعه التّفسيريّ وأسلوبه.

مولده ونشأته العلميّة:

وُلد الشيخ التّواتي بن تواتي بن الحاج مبارك بن الحاج سليمان الأغواطيّ الأمازيغيّ في التّاسع من يناير عام ثلاثيّة وأربعين وتسعمئة وألف للميلاد 1943م بولاية الأغواط من بلد الجزائر. نشأ في عائلة محافظة تُحب العلم وتبجّل أهله، ذات مستوى معيشيّ ميسور الحال، فقد كان جدّه مؤالا، ووالده من حملة كتاب الله تعالى⁽¹⁾.

أخذ القرآن الكريم عن الشيخ كويسي مبروك – رحمه الله – فختم على يده وهو لم يتجاوز التّاسعة من عمره⁽²⁾.

تلقى تعليمه الأوّل بمسقط رأسه، حيث التحق بالمدرسة الفرنسيّة "المدرسة الأهليّة"

(1)- يُنظر: قواعد التّفسير بالمأثور عند الشيخ التّواتي بن التّواتي في كتابه الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين – نماذج تطبيقية-، هاجر بوغرة، دار الإمام مالك، ط1، 1441هـ/2020م، ص22-23.

(2)- المرجع نفسه، ص24.

وهو ابن تسع سنوات تقريبا، وبها أخذ مبادئ اللغة الفرنسية وتحصل على شهادة دبلوم وطنية مع مرتبة الشرف BEPC، ثم تابع تعليمه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ إذ انتسب إليها عام اثنين وخمسين وتسعمئة وألف للميلاد 1952م. إلى أن انقطع عن الدراسة فترة عام ستين وتسعمئة وألف 1960م بسبب التحاقه بجيش التحرير الوطني ومشاركته في الثورة التحريرية⁽¹⁾.

وبعد الاستقلال أعاد حفظ القرآن الكريم على الشيخ غالم محمود، كما أخذ الفقه وأصوله عن الشيخ أبي بكر الحاج عيسى الأغواطي التلمساني، واللغة العربية على رئيس المجمع اللغوي: عبد الرحمن الحاج صالح -رحمة الله عليهم أجمعين-⁽²⁾.

تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق والآداب من جامعة الجزائر، وفي عام ألفين للميلاد 2000م حصل على شهادة الماجستير في بحث موسوم: "الأخفش الأوسط وأراؤه النحوية"، ثم بعد أربع سنوات من ذلك تحصل على درجة الدكتوراه في أطروحة موسومة: "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي" بتقدير مشرف جدا⁽³⁾.

نشاطه وحياته العملية:

عمل الشيخ التواتي بن التواتي في قطاع التربية والتعليم لأكثر من ست وأربعين سنة، متنقلا بين مختلف المراحل الدراسية: من التعليم الابتدائي إلى المتوسط والثانوي، قبل أن يلتحق بالتعليم الجامعي، حيث درس لأزيد من عشرين سنة - ولا يزال - بجامعة عمار تليجي بالأغواط. وقد أشرف خلال مسيرته على عدد معتبر من المذكرات العلمية، ويشغل حاليا رتبة أستاذ محاضر مشارك⁽⁴⁾.

(1)- يُنظر: بعض ملامح التجديد في التفسير التحليل عند الشيخ التواتي بن التواتي الجزائري، فتيحة لكلل، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد: 17، العدد: 1، 2025م، ص330.

(2)- يُنظر: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي، هاجر بوغرارة، ص24-25.

(3)- يُنظر: بعض ملامح التجديد في التفسير التحليل عند الشيخ التواتي بن التواتي الجزائري، فتيحة لكلل، ص330-331.

(4)- يُنظر: موقع الجزائر الجديدة: www.eldjazairedjadida.dz، تاريخ الاطلاع: 2025/07/19.

وهو عضو في كثير من اللجان العلمية نذكر منها⁽¹⁾:

* عضو في جمعية اللسانيين الخليلين.

* عضو اللجنة العلمية لمجلة مجمع اللغة العربية.

* عضو اللجنة القطرية لمشروع الدخيرة العربية التي تبنته جامعة الدول العربية.

كما كُلف من قبل مديرية الشؤون الدينية بمهمة الإمامة وإلقاء الدروس والمحاضرات في مساجد الولاية، بل وعُرض عليه أن يكون مفتي الجمهورية إلا أنه رفض ذلك لتقدمه في السن⁽²⁾.

مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات الشيخ بين النحو والقراءات والفقه وأصوله والتصوّف وغيرها من الفنون، وقبل التطرق لها لا بدّ من الاستئناس بقوله الشيخ التّوّاتي والذي يؤكّد فيه على شرف العلوم التي تقرب إلى الله تعالى، إذ يقول: "إنّه لفضل ما بعده فضل وشرف أن يقضي الإنسان وقته وجهده في علم القراءات وعلم النحو وعلم الفقه، وهي ثلاثة علوم تُقرب إلى الله ولا تُبعد وإن أخطأ فلائنه اجتهاد"⁽³⁾.

ويُضيف واصفا جهده في الكتابة والتأليف: "لم أكتب في الفنون، ولكن كتبت فيما يُقربني إلى كتاب الله وأعتبر مقوله الشاطبي: من تصدّى لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم استنباطا أن يكون عربي اللسان أو كالخليل وسيبويه، ولا يشترط فيه حفظهما وإنّما عارفا... شعارا ومنهجاً"⁽⁴⁾.

(1)- يُنظر: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التّوّاتي بن التّوّاتي، هاجر بوغرارة، ص 26.

(2)- يُنظر: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التّوّاتي بن التّوّاتي، هاجر بوغرارة، ص 26.

(3)- يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.

(4)- يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.

وفيما يلي بعض مؤلفاته على سبيل التمثيل لا الحصر⁽¹⁾:

الدّر الثمين في تفسير الكتاب المبين، والذي هو محلّ دراستنا.

المبسّط في الفقه المالكي بالأدلة

الفقه المقارن: دراسة تقابليّة بين المذهب المالكي والإباضي.

محاضرات في أصول النّحو

المدارس النّحويّة

التّحفة الهيّة في القواعد الأصوليّة

مفاهيم في علم اللّسان.

المدارس اللّسانيّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث.

الفيض القدسي في تفسير آية الكرسي

الإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الثّاني: التعرّف بكتاب: الدّر الثمين في تفسير الكتاب المبين"

بعد التعرّف بالمؤلف والتعرّف على ملامح شخصيته العلمية والفكرية، يحسن الانتقال إلى التعرّف بالكتاب الذي يُعدّ مجالاً لتجليّ جهوده التفسيرية، إذ لا يمكن إدراك قيمة المنهج التفسيري للمؤلف ما لم نطلّع على خصائص مصنّفه، من حيث دوافع تأليفه، ومصادره، وبنيته، وموضوعاته، و منزلته في التراث التفسيري. فتسليط الضوء على هذه المعطيات يعدّ مدخلاً ضرورياً لرسم صورة واضحة عن الكتاب قبل الانتقال إلى تحليل منهجه التفسيري تفصيلاً.

عنوان الكتاب وسبب التسمية:

لقد أثمرت رحلة الشيخ التّواتي بن تواتي العلمية عن تأليف تفسير جليل، يُعدّ من أبرز إنجازاته في خدمة كتاب الله تعالى، إذ أودع فيه خلاصة فهمه العميق للقرآن الكريم، وجمع بين قيمة المضمون وحسن العرض. وقد خلّد أثره بهذا المصنّف النفيس الذي اختار له عنوان

(1)- يُنظر: بعض ملامح التّجديد في التّفسير التحليل عند الشّيخ التّواتي بن التّواتي الجزائري، فتحة لكحل،

"الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين". والذي يقع في عشرين مجلدا بمعدل ست مائة صفحة لكل مجلد، صدر عن دار الحكمة بالجزائر في أول طبعة سنة 1437هـ-2016م،⁽¹⁾ كما طُبِعَ في بيروت طبعة فاخرة من حيث الشكل والجودة.⁽²⁾

يُبين الشيخ في مقدمة تفسيره سبب التسمية فقال: "وقد وسمته "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" وذلك لأنّي جلت في كتب التفسير القديمة والحديثة فأخذت ما فيها من درر ومعان ومفاهيم عميقة أثبتّها في هذا التفسير، ولم أغفل الحديث عن الآيات الكونية التي هي دليل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم".⁽³⁾

ويظهر من خلال التأمل في عنوان الكتاب أنّ اختياره لم يكن اعتباطيا، بل جاء في سياقٍ علميٍّ شائع بين العلماء، حيث نجد مؤلفات كثيرة في فنون متعددة من العلوم النقلية واللغوية وُسِّمت بهذا بعنوان منها: الدرّ الثمين والمورد المعين لمحمد الفاسي، والدرّ الثمين من درر الداعية في سورة يس لمصباح الحنون، والدرّ الثمين في أصول التفسير ومناهج المفسرين لصابر حسن، والدرّ الثمين في تجويد كلام رب العالمين لمحمد أديب، والدرّ الثمين في أصول الشريعة وفروع الدين لصالح بن سالم، وغيرها من المصنفات، فربما يوحى ذلك بتأثر الشيخ بالتسمية، غير أنّه لم يكن مجرد تكرار أو تقليد، بل وازن بين تلك الدلالات العلمية والبلاغية المتنوعة ليمنح تفسيره تسمية تعبر بصدق عن مضمونه، وتعطي انطبعا عن قيمته ومكانته في ميدان التفسير.⁽⁴⁾

بواعث تأليف التفسير وأهدافه:

(1)- ينظر: ملامح التجديد في التفسير عند التواتي بن التواتي من خلال كتابه "الدرّ الثمين في تفسير الكتاب المبين"- سفيسي عبد الرحيم- مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية- المجلد 11- العدد 02- 2023- ص 897.

(2)- قضايا التفسير بين التجديد والتقليد للشيخ التواتي بن التواتي لأغواطى الجزائري- عرض وتقديم لتفسيره المشهور "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"- حمو عبد الكريم- مجلة دراسات- المجلد 14- العدد 01- 2023م- ص 305.

(3)- قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي- هاجر بوغراة- دار الإمام مالك- الجزائر- ط1- 1441هـ- 2020م- ص 36.

(4)- قضايا التفسير بين التجديد والتقليد - حمو عبد الكريم- ص 306.

إذا كان عنوان الكتاب يحمل دلالة على قيمته ومكانته، فإن الوقوف على أسباب تأليفه يكشف عن البواعث العلمية والعملية التي دفعت بالشيخ إلى خوض غمار التفسير، إذ لا ينهض عمل علمي إلا على باعث يُحرّكه ويوجّه مساره، وقد عبّر الشيخ التواتي بنفسه عن هذه الدوافع في قوله: "إن العالم الجليل الشيخ العلامة أحمد قصيبة-رحمه الله- كان له الفضل في توجيهي إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة فقد قصّرتُ دروسي على الفقه المالكي، وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار إليّ بعد أن استضافني في بيته وأكرمني-أكرمه الله- من فيضه ورحمه برحمته، قال لي رحمه الله تعالى:-لو أنّك تفاضل بين الدروس فجعلت يوماً للتفسير ويوماً للفقه بذلك تجمع بين الأصل والفرع، فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بوصيته، فكان نتيجةها هذا العمل الذي أحسبته عند الله تعالى لي تديساً وتأليفاً، وله-رحمه الله- توجيهها".⁽¹⁾

ولم تقف دوافع الشيخ التواتي عند حدود البواعث العلمية المباشرة، بل ارتقت إلى غاية كبرى تمثلت في رغبته الصادقة في إحياء صلة الناس بالقرآن الكريم، وجعل تفسيره وسيلةً للتقريب بين الناس وكتاب الله تعالى وقد عبّر عن هدفه الأسى بقوله: "الهدف الأسى الذي دفعني إلى تفسير كتاب الله تعالى يتضح في قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} التوبة 119 فلماذا لم يستعمل الله تعالاً أَوْي للنداء القريب، واستعمليا للنداء البعيد رغم أنّ الله تعالى قريب إلينا؟ فالجواب: أنّ النَّاسَ مبتعدون عن القرآن والله تعالى ينادينا للتقرب إليه وحمل كتابه والتدبر والتأمل فيه، فأردت أن أحمل القرآن إلى الناس، وأحمل النَّاسَ إلى القرآن، لأنَّ النَّاسَ ابتعدوا عن كتاب الله".⁽²⁾ ثمّ قال: "وهذا لا يعني أنّ علماءنا-رحمهم الله- قد غفلوا عن ذلك، وإنّما هدي من كل هذا هو جمع ما ورد متفرقا، والتعرض بالتفصيل لما ذكره عرضاً، فقد بذلت جهدي وتحريت الصواب ما استطعت، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد".⁽³⁾

(1)- قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي - مرجع سابق- ص36.

(2)- قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي، هاجر بوغراة- ص37.

(3)- المرجع نفسه- ص37.

مصادر الكتاب ومراجعته:

يُذكر أن هذا التفسير في أصله دروس يومية كان الشيخ يلقيها في مساجد الأغواط، ثم جُمعت ورتبت في هذا المصنّف⁽¹⁾ فقد كان يسعى حفظه الله إلى استجلاء المعارف من المصادر الأصيلة، فاستفاد من مختلف التفاسير القديمة والحديثة، المطبوعة والمخطوطة، إلى جانب تجربته الدعوية والإصلاحية والتربوية التي امتدت قرابة أربعين سنة⁽²⁾، وقد ذكر في مقدمته أنه استند في تأليف تفسيره إلى أمهات كتب التفسير، فجعل تفسير الطبري وابن كثير عدته في هذه الرحلة، بينما لازمه الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وتفسير ابن عرفة طيلة فترة انقطاعه لهذه المهمة التي وصفها بالصعبة، موضحاً أنّ اختياره لهذه المصادر راجع إلى كون أصحابها من أعلام المذهب المالكي، وقد توسّع في مراجعته ومصادره حتى بلغ مجموع ما رجع إليه أكثر من مائتين وخمسين كتاباً في القرآن وعلومه، منها مائتان وعشرون تفسيراً بين المطبوع والمخطوط.⁽³⁾

خصائص الدر الثمين:

يُعدّ تفسير "الدر الثمين" ثمرة ناضجة لجهود الشيخ التواتي، وقد تميّز بجملة من الخصائص العلمية والمنهجية التي أكسبته طابعاً خاصاً بين التفاسير، بيّنها يكون على النحو الآتي:

- لغة بسيطة وأسلوب علمي: تميز الشيخ بلغة سهلة، خالية من العبارات غير المفهومة، بعيدة عن أدوات البديع كالتكلف في السجع أو الطباق، فقد كان يكتفي بالمقدار الذي يضمن وصول الفكرة إلى القارئ.

- التراتبية في عرض الأفكار: امتاز الشيخ في تفسيره بطريقة عرضه للأفكار، حيث يتناولها جملة ثم يأخذها بالتفصيل بصورة تجعل القارئ منتبهاً للأصل مهما تفرعت به الفروع، مما يحفظ للقارئ تركيزه واستيعابه للجزئيات في ضوء الكليات التي سبقتها.

(1)- المرجع نفسه - ص 37.

(2)- قضايا التفسير بين التجديد والتقليد - حمو عبد الكريم - ص 305.

(3)- ينظر: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي - مرجع سابق - ص 40-41.

- التوفيق بين الأثر والنظر: صرح الشيخ في مقدمة تفسيره أنه سينهج منهج التوفيق بين الأثر والنظر، وفعلًا وفق في ذلك، حيث نجده يورد الآثار المختلفة ليكتمل فهمه للآية، ثم ينظر في الأدلة ويقارن بينها ثم يرجح الأقوى. - عدم الخوض في المسائل الكلامية: من أهم ميزات الدر الثمين خلوه من المصطلحات الكلامية عموماً ومن المعتركات الكلامية خصوصاً، فقد كان يكتفي بذكر ما يعتقده وفق أصول مذهبه العقدي دون الخوض في التفاصيل.

- تقريب معاني القرآن الكريم من حياة المسلمين: ويظهر ذلك جلياً في المواعظ التي يدرجها الشيخ في آخر تفسيره للآية، وكذا في إسقاطه لبعض الآيات على الواقع المعاش، محاولاً بصنيعه هذا التذكير والتشجيع على المبادرة في الإصلاح، كما يعرض لبعض القضايا التي قد يتهاون فيها بعض المسلمين، فيبين مدى خطورتها وعظمتها عند الله تعالى، وما قد يترتب عليها من أحكام في الدنيا والآخرة.⁽¹⁾

المطلب الثالث: المنهج العام للشيخ التواتي بن التواتي في تفسيره الدر الثمين

لا يمكن تبين القيمة العلمية لتفسير الدر الثمين دون الوقوف على المنهج الذي ارتكز عليه الشيخ في تفسيره وبيانه لمعاني الآيات القرآنية، إذ يمثل هذا المنهج مدخلاً أساسياً لفهم طبيعته التفسيرية وإدراك خصوصياته العلمية والبيانية. ومن هنا كان من الضروري أن نخصّص لهذا الجانب مطلباً مستقلاً في دراستنا، لما له من أهميّة في الكشف عن معالم التفسير وسماته المميّزة.

منهجية الشيخ في عرضه للتفسير:

صدّر الشيخ تفسيره بمقدمة تناول فيها تعريفاً لعلم التفسير وأهميته وشرفه والحاجة إليه، ثم تكلم عن الشروط الواجب توفّرها في كلّ من تصدّى لتفسير القرآن العظيم، ثمّ عرّج على موضوع التفسير بالرأي وذكر أهمّ المدارس التفسيرية.

وقد بيّن الشيخ -حفظه الله- بعد ذلك منهجه في التفسير الذي جمع فيه بين الأثر والنظر، فقال: "إنّ عملي في هذا تفسير للقرآن على اختلاف قراءاته، سلكتُ في بيان معانيه معتمداً على ما قيل: إنّ أصحّ الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان

(1)- ينظر: منهج الشيخ التواتي في تفسيره الدر الثمين- محفوظ حاج إبراهيم ويحي شطناوي- ص114.

فإنه قد بُسِط في موضع آخر، فإن أعيانك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن موضحة له، وحينئذ إذ لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدركوا بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها،... وإذ لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجعت كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين... وسوف أخوض في تفسير القرآن -بعون الله وتوفيقه- ملتزما بالمنهج الذي ذكرته، وأجمع بين الأثر والنظر، وأطبق الآية المفسرة على واقع الناس، داعيا إياهم إلى فهم القرآن وتدبره كما أمرهم الله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} محمد: 24⁽¹⁾.

عقد الشيخ - حفظه الله - فصلا كاملا لعلم القراءات متناولا تعريفها وضوابطها وأقسامها بين متواترة وشاذة، مبينا شروط قبول القراءة، كما وقف على القراءات السبع وقراءتها... إلى غيرها من المسائل الفرعية لهذا العلم الجليل.

أما عن منهجية تعامله مع سور القرآن فإنه -كغيره من المفسرين- يستعرض مقدمة تعريفية بالسورة المراد تفسيرها يبين فيها اسم السورة ووجه التسمية وتعدادها، ويقف على أسباب النزول بشيء من الاهتمام حيث يورد الروايات والأحاديث النبوية بالإسناد.

فمثلا: يقول الشيخ التواتي في تفسير قوله تعالى: {الْمِ غُلِبَتِ الرُّومُ} في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون { الرُّوم: 1-3: "تُسَمَّى سورة الرُّوم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما في حديث الترمذي عن ابن عباس ونيار بن مكرم الأسلمي، ووجه ذلك أنه ورد فيها ذكر اسم الرُّوم ولم يرد في غيرها من القرآن، وهي مكيّة بالاتفاق حكاه ابن عطية والقرطبي ولم يذكرها صاحب الإتيان في السور المختلف في مكيّتها ولا في بعض آياتها..."⁽²⁾.

وأورد الشيخ أحاديث وأثارا تبين سبب نزولها فقال: "عن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت: {الْمِ غُلِبَتِ الرُّومُ} في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون { قال: لقي ناسا أبو بكر رضي

(1)- الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، ج 1، ص 31-32. نقلا عن: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي، هاجر بوغرة، ص 38.

(2)- المصدر نفسه، ج 15، ص 7، نقلا عن: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي، هاجر بوغرة، ص 142.

الله عنه فقالوا: ألا ترى إلى صاحبك يزعم أنّ الرّوم ستغلب فارس، قال: صدق، قال: فهل نبايعك على ذلك؟ قال: نعم، قال أبو بكر: فبلغ ذلك النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: ما أردت إلى هذا. فقال: يا رسول الله ما فعلته إلّا تصديقا لله ورسوله، قال صلى الله عليه وسلم: فتعرض لهم وأَعْظَمَ لَهُمُ الْخَطَرَ وَاجْعَلْهُ إِلَى بَضْعِ سِنِينَ؟ فَإِنَّهُ لَنْ تَمُضِيَ السُّنُونَ حَتَّى تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ. قَالَ: فَمَرَّ بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ فِي الْعُودِ؟ فَإِنَّ الْعُودَ أَحْمَدُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَبَايَعُوهُ وَأَعْظَمُوا الْخَطَرَ، فَلَمْ تَمُضِ السُّنُونَ حَتَّى ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَأَخَذَ الْخَطَرَ وَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هذا النجائب" (1).

إضافة إلى عنايته بأسباب النّزول يولي الشّيخ اهتماما كبيرا بعلوم القرآن كعلم المناسبات والقراءات وعلوم اللّغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة ومعاني، كما يذكر النّكت والأوجه البيانيّة إلى جانب بيان المفردات (2).

كما يبرز الشّيخ مقاصد السّورة العامّة وما اشتملت عليه من قضايا وموضوعات، ويوضّح أغراضها، ليختم بعد ذلك بذكر فضلها، وإذا كانت السّورة طويلة وتضمّنت فوائد عديدة، فإنّه يجمع طائفة من الآيات في نسق واحد، يخصّه بعنوان معيّن، ثم يبيّن ما اشتمل عليه من أحكام وفوائد.

ولقد اتّبع الشّيخ التّواتي منهجية عامّة – كما سبقت الإشارة- جمعت بين التّتبّع الأثري للنصوص الشّاهد وبين النّظر: أي بين المنقول والمعقول، واتّبع طريقة تقريريّة تعتمد على الوصف والتّحليل وتوظيف النّظر والاستفادة من كتب الأوائل والأواخر وعلومهم (3).

والملاحظة عند الشّيخ التّواتي أنّه يعتمد على الرّواية الثّابتة في تفسير القرآن الكريم سواء أكانت تلك الرّواية نصّا أم من السّنّة أم قولاً لصحابي، أو تابعي، لاسيما ما روي عن تلاميذ

(1)- يُنظر: الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المبين، التّواتي بن التّواتي، ج15، ص7، نقلا عن: قواعد التّفسير بالمأثور عند الشّيخ التّواتي بن التّواتي، هاجر بوغرة، ص142.

(2)- يُنظر: قواعد التّفسير بالمأثور عند الشّيخ التّواتي بن التّواتي، هاجر بوغرة، ص39.

(3)- يُنظر: قضايا التّفسير بين التّجديد والتّقليد، حمو عبد الكريم، ص312.

ابن عباس رضي الله عنهما، كمجاهد وعكرمة وعطاء...⁽¹⁾

يربط الشيخ مضمون السورة بواقع الناس، لذا فهو يختم كل جزء من تفسيره بمواعظ وإرشادات ورسائل توعوية.

يكاد تفسير الدرّ الثمين يخلو من الإسرائيليات إلا مواضع قليلة كانت عبارة عن إجابة على تساؤلات الطلاب، إذ يقول الشيخ: "وما أوردته في بعض المواضع عن التحديث بالإسرائيليات ما هو إلا نتيجة سؤال أحد الطلاب حين إلقاء الدرس التفسيري"⁽²⁾.

منهج الشيخ في الجانب الفقهي:

يظهر من خلال تتبع آيات الأحكام في تفسير الشيخ التواتي أنه يتناولها ببحث فقهي عميق دون إسهاب ممل، إذ يورد ما قيل في الآية من وجوه التفسير الفقهي، ويستحضر القواعد الأصولية المؤطرة لها، مستفيداً من خبرته كفقيه وأصولي بارع له مؤلفات متعددة في الفقه وأصوله،⁽³⁾ ومما ورد من أمثلة في ذلك:

- اهتمامه بإظهار الأحكام الفقهية: كذكره لجواز الأكل والطبخ في أنية الكفار، حيث قال: "ولا بأس بالأكل والشرب والطبخ في أنية الكفار كلهم، ما لم تكن ذهباً أو فضة أو جلد خنزير بعد أن تغسل وتغلى، والدليل على ذلك ما ورد من حديث أبي ثعلبة الخشني قال: "قلت: يا رسول الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في أنيتهم، وأرض صيد أصيد بقوسي وأصيد بكلي المعلم، وأصيد بكلي الذي ليس بمعلم فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: أما ما ذكرت أنكم بأرض قوم من أهل دولة كتاب تأكلون في أنيتهم فإن وجدتم غير أنيتهم فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها" فيبين الحديث أنّ الأفضل عدم الأكل فيها لنجاستها، وإن لم يجدوا فالضرورة تبيح المحظورات، وذلك رفقا

(1)- يُنظر: المرجع نفسه، ص 313.

(2)- يُنظر: قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التواتي بن التواتي، هاجر بوغرة، ص 40.

(3)- منهج الشيخ التواتي في تفسيره الدر الثمين- محفوظ حاج ابراهيم ويحي شطناوي - ص 114.

بالناس والدين يسر لا عسر فيه.⁽¹⁾

- عنايته ببيان الحكم الشرعي: ومن أمثلة ذلك تفصيله لأحكام التقية قال: "الحكم الأول: أنَّ التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيدياريهم باللسان، الحكم الثاني: أنَّه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، الحكم الثالث: أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز فيما يتعلق بإظهار الدين، الحكم الرابع: ظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين، الحكم الخامس: التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز، الحكم السادس: قالمجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا".⁽²⁾

منهج الشيخ في الجانب التربوي والإصلاحي:

يلحظ القارئ لتفسير الشيخ التواتي عنايته البالغة بالمواعظ والعبير المستخلصة من الآيات، إذ يحرص في ختام تفسير كل آية على تخصيص فقرة معنونة بـ "موعظة الجلسة" أو "تذكرة وتبصرة"، يضمنها جملة من التوجيهات والنصائح ذات الطابع التربوي والروحي، قصد التأثير في وجدان المتلقي. ويبرز من خلالها أثر التنشئة الروحية التي تشرّبها الشيخ في مسيرته، كما يتجلى حرصه على تبليغ رسالته بأسلوب مبسط مؤثر، انسجماً مع طبيعة تفسيره الذي وجه ابتداءً إلى عموم الناس عبر دروسه المسجدية،⁽³⁾ ومن نماذج ماورد في تفسيره في هذا الجانب:

- التأكيد على المقصد العام من الخلق والإيجاد: بعد أن أن فسر الشيخ قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} آل عمران 26. قال: أيها الناس إن الله ما خلقكم عبثاً وما ترككم هملاً، بل خلقكم لأسمى وظيفة وهي العبادة، وليست العبادة بالغريزة كسائر

(1)- المرجع نفسه - ص 117

(2)- منهج الشيخ التواتي في تفسيره الدر الثمين - محفوظ حاج ابراهيم ويعي شطناوي- ص 117.

(3)- منهج الشيخ التواتي في تفسيره الدر الثمين - محفوظ حاج ابراهيم ويعي شطناوي- ص 114.

المخلوقات الأخرى، وإنّما العبادة التي كلّفكم بها الله تعالى هي العبادة بعد الإيمان الاستدلالي أي: إنّ الله ميّزكم عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل، وعرض عليكم دليل وجوده وأثره في الكون، لتستدلوا على أنّ لهذا الوجود واجدا مدبرا قديرا، مما يدعوكم إلى الإيمان به والامتثال لأوامره ونواهيه التي جاءكم بها رسل الله عليهم السلام وخاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث بالحق، مما أوجب عليكم الانصياع والإذعان لما دعا إليه".

- الاهتمام بتزكية النفوس وإعمار القلوب بالتخلية والتحلية: فقد ظهرت تنشئة الشيخ الروحية في ثنايا تفسيره كما يظهر ذلك جليا من خلال أسلوبه الروحي التربوي، ومن أمثلة ذلك عند تفسيره لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء 40 قال: أيها الناس إنّ هذه الآية والحديث لتنفطر منها القلوب وليزداد المؤمن إقبالا على ربه، مراقبا نفسه حتى لا يقع في الظلم، لأنّه موقن أنّ الظلم ظلمات يوم القيامة، فلذلك يشفق على نفسه من الموبقات، وقد سمعتم في الدروس الجمعية أنّ النبي صلى الله عليه وسلم في مرض وفاته خرج يعطي القصاص من نفسه ليرشد الناس على أنّ هناك يوما عظيما يعرض فيه الناس بين يدي الديان ليقتص من الظالم للمظلوم، ولا أنساب بينهم فالناس سواسية عند العدالة الإلهية هلاّ اتعظ متعظ ليرد المظالم إلى أهلها، ويتوب توبة خالصة لله عن جملة المعاصي فكل مظلمة مثل غريم ينادي: يا رب خذ لي حقي منه فقد ظلمني وأهانني، إن كنت لذلك مدركا، وبالرجوع إلى ربك موقنا، وإليه قاصدا أفلا تستحي أن تقدّم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك، فإن كنت راغبا في القبول فنفذ أوامره وردّ المظالم وتب إليه".⁽¹⁾

والنماذج التي تضمّنها "الدر الثمين" كثيرة ومتنوعة، غير أنّها لمقام لا يتسع لعرضها جميعا، فاكتفيت بما ذكرتها على سبيل التمثيل لا الحصر.

الخاتمة:

وبعد هذه الوقفة مع جهود الشيخ التواتي بن التواتي في ميدان التفسير من خلال كتابه الدر الثمين، وما تخلّلها من عرض وتحليل لجوانب منهجه وسمات تفسيره، تبين لنا جملة من

(1)- منهج الشيخ التواتي في تفسيره الدر الثمين- محفوظ حاج ابراهيم ويحي شطناوي- ص 118.

النتائج التي تُبرز مكانته بين المفسرين المعاصرين وتكشف عن قيمة إسهامه في خدمة كتاب الله تعالى. وفيما يلي أهم ما خلصنا إليه:

يظهر من خلال تفسير الدر الثمين أنّ الشيخ التّوّاتي بن التّوّاتي مفسّر تربوي وواعظ إصلاحي، إذ إنّهُ يربط دائماً بين المعاني القرآنيّة والواقع الاجتماعي، ممّا يعكس اهتمامه بتوجيه النّاس وتقويم سلوكهم. كما أنّه شخصية علمية موسوعية؛ فقد جمع بين العناية بالفقه واللّغة والعقيدة والتّربية...

يغلب على شخصية الشيخ -حفظه الله تعالى- سمت التّواضع وخدمة النّاس، إذ صاغ تفسيره بلغة ميسّرة تناسب عموم القراء، لا بلغة نخبوية معقّدة.

يُعدّ تفسير الدر الثمين من المحاولات التّفسيرية الجزائرية المتميّزة التي جمعت بين أصالة الموروث التّفسيري ومقتضيات الواقع المعاصر، وهو يشكّل إضافة نوعية للتّفسير الجزائري المعاصر، ويبرز استمرار العطاء العلمي في الجزائر ضمن سياق خدمة القرآن الكريم.

أظهر الشيخ التّوّاتي حسّاً إصلاحيّاً ووعظيّاً، إذ ربط بين الهدى القرآني وقضايا النّاس اليومية، محدّراً من الانحرافات وموجّهاً نحو الوسطية والاعتدال.

جاء عنوان التفسير منسجماً مع تقاليد التّأليف في المصنّفات الإسلامية، وجاء اختياره معبراً عن المضمون، كما ارتبط بدوافع الشيخ العلمية والإصلاحية التي جعلت عمله أقرب إلى هموم النّاس وأهدافه التربوية.

امتاز "الدر الثمين" بخصائص بارزة، منها: إبراز المعاني الإجمالية للآيات، واستخلاص المواعظ والعبر في صيغ مثل "موعظة الجلسة" أو "تذكرة وتبصرة"، وهو ما يعكس البعد التربوي والإصلاحي في التفسير.

اعتمد الشيخ على التّفسير بالمأثور أساساً، مع توظيفه للبيان اللّغوي والوجوه النّحوية بما يخدم وضوح المعنى.

أظهر التطبيق العملي للشيخ الجمع بين المنهج الفقهي والمنهج الإصلاحي التربوي؛ حيث تناول آيات الأحكام ببحث فقهي عميق مؤسس على القواعد الأصولية، وفي الوقت نفسه ركّز على المواعظ والرقائق وربط النص القرآني بالواقع الاجتماعي للمستمعين، ممّا أضفى على

تفسيره طابعًا علميًا وتربويًا متكاملًا.

قائمة مراجع ومصادر المداخلة:

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

بعض ملامح التجديد في التفسير التحليل عند الشيخ التّواتي بن التّواتي الجزائريّ،
فتيحة لكحل، مجلّة البحوث العلميّة والدّراسات الإسلاميّة، المجلد: 17، العدد: 1، 2025م.
قضايا التفسير بين التجديد والتقليد للشيخ التّواتي بن التّواتي الأغواطيّ الجزائري –
عرض وتقديم لتفسيره المشهور "الدّر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، حمو عبد الكريم،
مجلّة الدّراسات، المجلد: 14، العدد: 1، 2023م.
قواعد التفسير بالمأثور عند الشيخ التّواتي بن التّواتي في كتابه الدّر الثمين في تفسير
الكتاب المبين – نماذج تطبيقيّة، هاجر بوغرارة، دار الإمام مالك، ط 1، 1441هـ/2020م.
ملامح التجديد في التفسير عند التّواتي بن التّواتي من خلال كتابه "الدّر الثمين في تفسير
الكتاب المبين" - سفيسي عبد الرحيم- مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية-المجلد11-
العدد02-2023.

منهج الشيخ التّواتي في تفسيره الدر الثمين- محفوظ حاج ابراهيم ويعي شطناوي- المجلة
الأردنية في الدراسات الإسلامية- مجلد 15- العدد3- 1441هـ- 2019م.
موقع الجزائر الجديدة :www.eldjzaireldjadida.dz، تاريخ الاطلاع: 2025/07/19م.

لمحات من تراث الشيخ أبي مهدي عيسى المليكي التفسير

أحمد أمعيز الحاج أحمد

جامعة الجزائر 1

مقدمة:

شاء الله تعالى أن يُنعم على عباده فيوجد لهم سُبُل الهداية والنَّجاة؛ ذلك أنه يريد لهم الفوز الأبدي في الآخرة والنجاح العاجل في حياتهم الدنيا، فأرسل إليهم الرُّسل تترى، ووضع لهم في مخلوقاته دلائل وجوده ووحدانيته، كما أنزل لهم كُتُباً ناطقة على يد رُسله الكرام، وخاطبهم بما يفهمون من اللُّغات والأساليب، ثم جاء القرآن العظيم معجزة خالدةً وهداية محفوظة باقية إلى يوم يُبعثون.

نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مُنَجِّماً بين ظهرائي قومه وبلغتهم وحسب وقائع عايشوا أطوارها، فكان لهم أيسر فهمها وأقرب منطقاً، وكان -عليه السلام- مع ذلك كلّه يجتهد في تبين معانيه وتقريب أسرارهِ ومَراميه، فأخذ بهديه من أراد الله تعالى له الهداية، وأعرض عنه مَنْ كُتبت له سوابق الشقاء -والعياذ بالله-

ثم جاء من بعدهم مَنْ احتاج إلى فهم المسطور في كتاب الله ثم تفهَّم معانيه والغوص في دقائق أسرارهِ، بفعل تقادم العهد بالوحي ودخول العجم في الإسلام، وتداخل الألسن واختلاف الفهم وتباين التَّصوُّرات، وبفعل أنَّ القرآن الكريم لا تنقضي عجائبهِ؛ فكانت الحاجة إلى التفسير.

كان سكان شمال إفريقيا الأمازيغ مَنّ لزمه ترجمة معاني كتاب الله المنزل بلسان عربي مُبين، وتقريب معانيه وتوجيهاته الواجب علْمُها لعبادة الله تعالى على النهج الأصوب عملاً واعتقاداً، فبذل علماء منهم مع مرور السنين وتوالي القرون -ولا يزالون- جهوداً مشهودة في تفسير آيات الكتاب العزيز، وقد أدلى المزابيون بدلوهم في هذا السبيل النّير فتحصّل بين أيدينا تراث تفسيريّ يمكن لنا من خلاله تشكيل ملامح عن الدرس التفسيري وأهم خصائصه

بقصور مزاب.

وكان لمشايخ من قصر آت مليشت بمزاب جهودٌ في هذا المضمار، فخاضوا عباب عُموم علوم القرآن، وخصوص تفسير آياته الكريمة، وهي جهود لم تحظ بعدُ بالدراسة والعناية اللازمة، وهو ما سنحاول التعرض لشيء منه من خلال تقديم نموذج من جهود الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي ت: 971هـ في هذا المضمار وإعطاء لمحاتٍ عن تراثه التفسيري ضمن هذه الورقة البحثية، وهذا بُغية الإجابة عن الإشكالية التالية: ما مدى الإسهامات التفسيرية للشيخ أبي مهدي عيسى المليكي؟ وماهي خصائص تراثه التفسيري؟

وهو ما سنعمل للإجابة عليه من خلال التعرُّض للعناصر الموالية:

*مزاب والحركة العلمية به: إلى غاية زمن أبي مهدي، من أجل بسط المهاد العلمي والثقافي الذي نشط أبو مهدي في خضمّه وكان سياقاً لجهوده المعرفية، حتى نفهم نشاطه ونتاجه في إطاره.

*أبو مهدي واستعداداته المعرفية للتفسير: حيث نستقرئ مؤهلاته العلمية -لاسيما ما له علاقة بالتفسير- من خلال مؤلفاته المختلفة الأغراض، كما نحاول تشكيل صورة عن منهجه الوعظي والتعليلي من خلال ما توفّر من تراثه، فنحاول ربط ذلك بجهوده في التفسير.

*لمحات من تراث الشيخ أبي مهدي التفسيري: حيث نقف على نماذج من تراثه التفسيري، بدءاً بالمواضع التي نقلها عن غيره من المفسرين فوافقهم عليها أو ناقشهم فيها، انتقالا إلى الآيات التي تعرّض بنفسه لتفسيرها وتبيين معانيها.

وسيكون كل ذلك عملاً أولياً يضع أمامنا صورةً مُجملة عن الشيخ أبي مهدي المُفسّر، على أمل أن توالى أعمال متواصلة أخرى من أجل استجلاء ما في الموضوع من جوانب نيّرة.

1 مزاب والحركة العلمية به: شهدت عموم قصور مزاب حراكاً علمياً وثقافياً منذ العهد القديمة، والواقع أنّ ما بقي مُوثقاً من ذلك يعود أساساً إلى ما بعد حلول المذهب الإباضي

بالمنطق، حيث أحدث نشاطا فكريا متميِّزا، ساعد في انتعاشه المستوى الأخلاقي الرفيع لدى المزابيين، فنجد المؤرخ الجغرافي ابن حوقل ق4هـ يشير إلى ذلك من خلال حديثه عن نفر من المزابيين نزلوا مصر قبل عهده بمدة فقال: "لم يزالوا الأمازيغ تسمو هممهم، وتتوق نفوسهم إلى ورود المشرق بسعة أخطارهم، وفاشي مروءاتهم، فيزدادون ظرفا وأدبا ومحتدا وفروسية، وعملا في جميع وجوه الفضل، وسُبل النبل... وبنو مُصعب وكانوا ثلاثة نفر من بعد هؤلاء بزمان، وأدركت من شاهدتهم في غاية الكمال من أمور الدنيا والآخرة، واختلت أحوالهم بتغير الزمان والسلطان، وانتقال الولايات بمصر، فلم يفارقوا عاداتهم، ولم يُخلوا برسم لمن كان يرسمهم إلى القيام بمن جاور أسبابهم، واتصل بأتباعهم، وقبروا مستورين في آخر نعيمهم.."⁽¹⁾ والمُستفاد من هذا المقتطف هو الإشادة بسمو أخلاق المزابيين خلال تلك الفترة والتي تعود إلى حوالي بداية القرن 4هـ، وما لهم من فضل وأدب ونُبل يتحلون به في كل الظروف، وهو ما يجعل من اليسير الرِّبط بين ذلك وانبساط نور كلام الله تعالى في أوساطهم؛ فحيثما تفشو الأخلاق تحلُّ بركة كلامه تعالى وتجد لها مُقبلا.

الواقع أنَّ مصداق ذلك حصل حين مجيء الإمام أبي عبد الله الفرستائي⁽²⁾ ت:440هـ بالفكر الإباضي إلى ربوع مزاب، حيث تُصوِّر لنا المصادر قبولا حسنا لدعوته، لاسيما وأنه كان قد جعل سبب فشوّ الأخلاق داعيا لانطلاق دعوته نحو مواطن قبيلة مغراوة⁽³⁾، فلا يبعد أن يكون نفس المعيار قد أسقطه على بني مزاب.

ولاشك أنَّ شرح آيات القرآن الكريم كان ركنا ركيئا في دعوته، علاوة على البحث في معانيها والاستدلال بأوجهها حين مناظرة بني مزاب المعتزلة آنذاك ومباحثتهم حول القضايا العقدية والكلامية، وهو ما يكون قد أثرى الدرس التفسيري بمزاب آنذاك.

(1)- محمد بن حوقل أبو القاسم النصبي، صورة الأرض، ن نوايغ الفكر، دط، ص 196.

(2)- محمد بن بكر الفرستائي النفوسي أبو عبد الله: أحد أقطاب الإباضية بالمغرب الإسلامي خلال القرن 05هـ، من أبرز مشايخه أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور، له أنشطة علمية واجتماعية بارزة. أسس حلقة العزابة سنة 409هـ، من تلاميذه أبو الربيع سليمان المراتي. توفي سنة 440هـ ودفن بأجلو. ينظر: مصطفى باجو وأخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1421هـ/2000م، ج2، ص 368.

(3)- أحمد بن سعيد الدرجيني أبو العباس، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، دن، دط، ج1، ص 170.

ذلك الاهتمام ببيان معاني القرآن الكريم كان قد انتقل إلى المزابيين من خلال الإمام الفرسطائي وجهوده الدعوية بمستوياتها: العام الموجه لعموم الناس، والمتخصص الموجه لطلبة حلقة المتفرغين، ويمكن اعتبار هذه الجهود نواة الدرس التفسيري بمزاب خلال الفترة الإباضية، فنجد من تلك الفترة أحد بواكير الطلبة المزابيين ينفي التشبيه والتجسيم في حق الله تعالى حين محاورته لبعضهم بشأن قوله تعالى: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا اعتمادًا على أن "السمي [معناه]: الشبيه، والمثل، والعدل"⁽¹⁾ ولا شك أن جهودا قد سبقتها خلال فترة تبني مذهب المعتزلة من طرف المزابيين.

كما أن للشيخ باعبدالرحمن الكرتي⁽²⁾ رسالة بعث بها إلى علماء وارجلان ولاية ورقلة حاليا، تتضمن أسئلة مختلفة يبدو من بعضها إرادة تفهيم بعض معاني القرآن الكريم، مثل سؤاله عن أشراط الساعة وعلاماتها، فكان جواب الشيخ أبي عمار عبدالكافي⁽³⁾ في 570هـ عن ذلك أن اثنتان من علاماتها منصوصتان وهما في قوله تعالى: حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وفي قوله تعالى لعيسى عليه السلام: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بها واثنتان مُستخرجتان من النص وهما في قوله تعالى: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يعني طلوع الشمس من مغربها، وفي قوله تعالى: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ وهي في خروج الدابة.⁽⁴⁾

هذا ما يُعطينا ملمحا مبكرا للبحث في معاني القرآن الكريم لدى بني مزاب-الإباضية،

(1)- سليمان بن عبدالسلام الوسياني أبو الربيع، كتاب السير، تج: عمر سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1430هـ/2009م، ط1، ج2، ص634.

(2)- باعبدالرحمن الكرتي المليكي المصعبي: من مشايخ قصر آت مليشت بمزاب خلال القرن 06هـ، ساهم في الحركة العلمية والاجتماعية آنذاك، وله رسالة إلى علماء وارجلان، وصفه صاحب مخطوط تسمية شيوخ الوهبة بالعالم الفقيه ضمن آخرين. له مصلى قائم إلى الآن أسفل القصر. ينظر: باجو وآخرون، معجم الأعلام، مرجع سابق، ص245.

(3)- عبدالكافي بن يوسف أبو عمار: من أبرز علماء وارجلان خلال القرن 06هـ، من مشايخه أيوب بن إسماعيل المزاتي. له رحلات مختلفة، وأثار علمية واجتماعية بارزة. من مؤلفاته: كتاب الموجز، وكتب شرح الجهالات. من تلاميذه سليمان بن يومر. باجو وآخرون، معجم الأعلام، مرجع سابق، ص258.

(4)- الوسياني، السير، مصدر سابق، ج2، ص743.

ولاشك أن الشيخ الكرثي كان قد احتاج لأن يشرح آياته للناس حتى يُقبلوا على عباداتهم على علم ودراية، لاسيما في بيئة أمازيغية صرفة؛ لذلك نجد من بين أسئلته في نفس الرسالة: هل يقال لله أَيْرَازْ بالبربرية؟ و[ما حال] مَنْ قال أن الله ليس بأَيْرَازْ بالبربرية؟⁽¹⁾

لاريب أن الاهتمام بتفسير معاني القرآن الكريم قد ظلّ مُلزما لجهود مشايخ مزاب وأنشطتهم الدعوية والتوجيهية على مرّ الأزمان، وإن خفيت عنا ملامح كثير من جهودهم في تلك الفترة السابقة لحلول القرن 10هـ، على أننا نجد نصا هاما صدر به عزابة وأعيان مزاب إحدى الاتفاقات التي أصدرها المجلس الأعلى لمزاب خلال شهر رجب من سنة 807هـ/ 1404م، وجاء فيه: "الحمد لله الذي ألهم عباده الصالحين...والحمد لله الذي نزل على أشرف الخلق القرآن والبيان، وأمرنا باتباع الفرائض والسُنن، وبِتَنَويها الأوائل رحمهم الله من شرح القرآن وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.." ⁽²⁾ وهو نص هام من حيث فترته الزمنية والتي تعود بنا إلى مستهلّ القرن 09هـ، فتدلّ على وجود اهتمام بالقرآن الكريم وتبيين معانيه وتفسير آياته أثناء عصر الحاضرين للاتفاق، كما تُحيلنا ألفاظُ النص إلى جهود تفسيرية سابقة دون تفصيل كثير بشأنها، إلا أن بها ملامح هامة وإشارات متميزة.

هذه النماذج المُستعرضة تبيّن بنشاط علمي متواصل سيشكل مناخا فكريا يدرج الشيخ أبو مهدي في خضمّه، ليكون حلقة أخرى من حلقاته المباركة.

2 أبو مهدي واستعداداته المعرفية للتفسير: لا بد أن تتوافر لدى المفسّر مجموعة استعدادات علمية وكفاءات معرفية، وهو ما سنحاول البحث فيه بخصوص الشيخ أبي مهدي، حيث نستكشف ملامح مما أهّله لأن يتعرّض لتفسير مواضع من القرآن الكريم. وقبل ذلك يجدر أن نقدّم ترجمة عن الشيخ ولو بشكل مقتضب.

فهو الشيخ عيسى بن إسماعيل بن عيسى أبومهدي، وقد غلبت كنيته المذكورة والتي وردت في جميع المصادر والمراجع⁽³⁾ واشتهر بها، كما نجد كُنية أخرى ذكرتها إحدى

(1)- المصدر نفسه.

(2)- عزابة وأعيان قصور مزاب، اتفاق تنظيبي لمسائل مختلفة، نسخة مصورة بحوزتي.

(3)- وهي مبثوثة ضمن ترائه والذي نقلت عنه المراجع الحديثة.

المصادر وهي "أبو موسى"⁽¹⁾ على أنها نادرة الاستعمال.

لم نجد تاريخا مضبوطا لميلاده إلا أنه سيكون خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري، فنشأ في عائلة تطبّع في أحضانها بالقيم الفاضلة والأخلاق الحميدة حسب ما ظهر من مسيرة حياته لاحقا، غير أننا لا نعلم عن عائلته تلك الشيء الكثير، سوى ما يمكن أن يشير إلى أن والده كان من جملة المشايخ⁽²⁾، أو بعض مواضع قليلة ضمن تراثه الشعري يترحم فيها على صالح آبائه⁽³⁾

كما لا نقع على شيء ذي بال بخصوص مُعلميه ومشايخه الذين تدرّج على أيديهم وأخذ عنهم، اللهم إلا إشارة مُجملة وعابرة حيث قال بشأنهم: "ولم يبلغنا عنهم أنهم أنكروا، ولم نسمع ممن شهدنا منهم وأخذنا عنهم [أنهم أنكروا] حشرنا الله معهم في جنته"⁽⁴⁾. ومهما يكن فالأكيد أنه انضم إلى إحدى المحاضرات القرآنية والتي وصفها بأنها "مرتبة دائما ليلا ونهارا"⁽⁵⁾ فأخذ فيها علاوة على القرآن الكريم عددا من الأحاديث النبوية ونصيبا من مبادئ اللغة والفقه وغير ذلك مما هو مقرر لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

وكان أبرز شيخ أخذ عنه بعد ذلك في مرحلة الدراسات العليا هو الشيخ سعيد بن علي الجري ت: 927هـ المعروف بالشيخ أمّ سعيد⁽⁶⁾، والذي لازمه ونهل من علومه وارتوى من

(1)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان في النصيح والفضائل، مخ بخزانة الاستقامة بني يزقن، ص14 ظ.

(2)- يحي بوراس، الحياة الفكرية بمزاب في القرنين 9-10هـ/ 15-16م مخطوطة أجوبة الشيخين سعيد الجري وعيسى المصعبي أنموذجا، مجلة المنهاج، ن جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، ع2، ص115.

(3)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، ديوان شعري، مخ بخزانة الشيخ يحي بن صالح بعمارة، آت مليشت، ص11و.

(4)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى عزابة قصر آت مليشت مليكة، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص7ظ.

(5)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، الرد على الهلولي، ضبط النص: الناصر بن حمو أويابة، منشورات مكتبة المسجد العتيق بقصر غرداية، ط1، 1437هـ/2016م، ص17.

(6)- سعيد بن علي بن يحي الجري أبو صالح، أحد أشهر علماء الإباضية ببلاد المغرب، أخذ العلم بموطنه جزيرة جربة على مثل الشيخ يونس التعاريتي ثم انتقل إلى مزاب فأحدث نهضة علمية وفكرية وحضارية، له أجوبة

معينه، فتزوّد بعلوم وفنون مختلفة زادت من رصيده التكويني والذي سيكون له زادا في مسيرته القيادية حين تصدّر لتسيير أمور المجتمع المزابي خلفا لشيخه أمّ سعيد.

والواقع أن شيخه كان قد زكاه علما وخُلقا قبل وفاته⁽¹⁾، وهو ما يشير إلى أهليّته لأن يتولّى المهام الشاقة التي تستقبله بكفاءة واقتدار.

وبالفعل؛ فقد سمح التكوين الراسخ لأبي مهدي بأن يتولى زمام الأمور في مجتمعه إلى غاية وفاته ويسير في ذلك بحكمة وكفاءة، يسانده في ذلك أهل العلم والخير والصلاح، رغم ثقل المهمة واعتراض كثير من المُعيقات والمصاعب بسبب أدواء اجتماعية هي من آثار الجهل الذي طغى في بعض الفترات، وكذا العصبية القبلية وغير ذلك من الإشكالات، وفي المقتطف المُوالي ما يصور شيئا من ذلك حيث قال هو نفسه في إحدى رسائله: "وُعلّمكم...[أننا] .. في الفتنة الواصبة، والمصائب العارضة، والغُصَص الجارضة، كدّر الزمان عليهم إحسانه بإساءته، وأعقب الحلاوة بمرارته، فإنّا من أجلها في فرط الوحشة وغمّ الدهشة.." ⁽²⁾ ولم تكن مهمته في توجيه الأمور نحو الوجهة الصائبة سهلة ولا يسيرة، والأكد أنه عانى الكثير كما هو شأن جميع العاملين المصلحين، لاسيما حين يخفت نور العلم والعقل، فنجد أبا مهدي يقدم لنا صورة مما لاقاه أثناء جهوده لرأب الصدع وإعادة الألفة بين القلوب فيقول أنه كان "إذا أمر بعض المسلمين أو نهى لم يُمتثل أمره ولم يُنته بهيّيه، وربما قيل فيهم: استهوت الحمية إلى شيعته" ⁽³⁾ وهو يحكي ذلك بمرارة وحرقة لما آلت إليه الأوضاع.

على أن الأمور -بفضل الله تعالى- لم تلبث أن انتعشت واستقامت وآتت جهود أبي مهدي ومن معه أكلها، حيث نجده مثلا في هذه الفقرة الموالية ينقل شيئا من ذلك الوضع الإيجابي

ورسائل علمية، ومن أبرز تلاميذه الشيخ أبو مهدي عيسى. ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم الأعلام، مرجع سابق، ص182.

(1)- سعيد بن علي الجري أبو صالح، رسالة إلى أبي مهدي عيسى المصعبي، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص7و.

(2)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل نفوسة، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس، ص2و.

(3)- المصدر نفسه، ص39و.

فيقول أننا "أمرون بالمعروف، ناهون عن المنكر، الضعيف قوي عندنا حتى يأخذ حقه، والقوي ضعيف ذليل حتى يؤخذ منه الحق، والكبير والصغير والغريب والبعيد عندنا في الحق سواء... لا نخاف في الله لومة لائم... والبار التقى كريم عندنا، والعاصي الأبى هين لدينا. والربا والريبة والرائب لا يحوم من ذلك شيء في ساحتنا. مساجدنا عامرة بأنواع ذكر الله تعالى: من دراسة العلم والقرآن والختمات"⁽¹⁾

لقد كان من نتائج جهود أبي مهدي ثمار اجتماعية طيبة من حيث تحسن الأوضاع واتجاهها نحو ما يريده أهل الخير والصلاح، كما كان من نتائج جهوده الدؤوبة أيضا أفواج من الطلبة ممن أخذ عنه وتعلم على يديه، بالإضافة إلى مؤلفات ورسائل وأجوبة وأشعار عديدة. تقدم العمر بأبي مهدي وبلغ من الكبر عتيا، وهو ما عبّر عنه في ختام إحدى رسائله قائلا: "إخواني: كتبت هذه المواعظ... تسعسعا وتضعسعا بالضعف والهرم..."⁽²⁾ كما ذكر ذلك في بعض شعره بالقول:

وَلِي الشَّبَابُ وانقضت أيامه *** وطار باللب الفنا وظلامه

هذا وعُصني قد ذوى للكسر *** وبعده أدهى حلول القبر⁽³⁾

توفي -رحمه الله- بعد عُمر مبارك وجهاد طويل في ميادين العلم وثغور الدين يوم 11 ذو القعدة 971هـ/ 1564م، وورثاه تلميذه الشيخ محمد بن زكرياء الباروني ت: 997هـ⁽⁴⁾ بقصيدة نورد منها هذه الأبيات التي تتضمن شيئا من صفاته وأخلاقه:

لأجل انقضاض الكهف كهفي تصدعا *** فهو أبو مهدي تقيا تورعا

(1)- أبو مهدي، جواب على الهلولي، مصدر سابق، ص 21.

(2)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان في الأسماء والصفات، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 4و.

(3)- أبو مهدي، الديوان، مصدر سابق، ص 9ظ.

(4)- محمد بن زكرياء بن عبد الرحمن الباروني أبو عبد الله، تتلمذ بمسقط رأسه جبل نفوسة بليبيا، ثم انتقل إلى جزيرة جربة ومنها إلى مزاب حيث جلس إلى أبي مهدي، له رسائل ومؤلفات منها: طبقات المشايخ ورسالة إلى أهل عمان. ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم الأعلام، مرجع سابق، ج 2، ص 376.

تقيا له كل المحامد أروعا***حليما وقورا عالما متورعا

لبيبا صبوراً صادقاً متخشعاً***جريء الفؤاد لست تراه مخضعا

لخلق سوى ربي له متشفعا***تمسك بالحبل الوثيق وجرعاً⁽¹⁾

تنبئ هذه الإضاءة المقتضية حول حياة الشيخ أبي مهدي وبعض جهوده العلمية والعملية عما للرجل من مكانة علمية، وعما حازه من مؤهلات معرفية، تجعله جديراً بأن يقتحم المضامير العلمية المختلفة.

علاوة على ذلك سنستعرض بعض المقومات التي حازها، والتي من شأنها أن تكون رافداً إيجابياً هاماً في صدد تأهيله للتفسير، وهي كما يلي:

*تلقّيه عن أحد أعلام المشايخ: كان أبو مهدي محظوظاً بأن جلس إلى أحد أبرز مشايخ تلك الفترة، وهو الشيخ أمّ سعيد الذي بعث نهضة مباركة بواد مزاب، وكان متضلعا في علوم وفنون مختلفة، وقد ظهر أثر تكوينه جلياً من خلال تنوع المجالات المعرفية التي خاضها أبو مهدي بالتأليف لاحقاً.

كان تفسير مواضع من القرآن الكريم مما طرقه الشيخ أمّ سعيد ضمن بعض رسائله وأجوبته، وقد فاتنا الكثير حيث لم يكن غرضه الأساس هو الانتداب إلى التفسير؛ وإنما الجواب عن بعض الاستفسارات في هذا الصدد، ومن ذلك هذا النموذج: "وسؤالك عن قوله تعالى كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً يعني مُتَّفِقِينَ في دين الإسلام، والتقدير: فاختلّفوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِدَلِيلٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وفي قراءة ابن مسعود: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ.

وقيل: كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلّفوا عليهم، والأول أظهر..⁽²⁾

(1)- محمد بن زكرياء الباروني أبو عبد الله، قصيدة في رثاء المشايخ، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس، ص 35 وما بعدها.

(2)- سعيد بن علي الجري، جواب عن سؤال بعض متفقهة قومنا، تح محمد بن صالح بوكراع، ن مؤسسة الشيخ عي سعيد، ط 1، 1427 هـ/2006 م، ص 42.

وله شذرات تفسيرية أخرى، ولا ريب أن أبا مهدي قد استفاد منه في هذا الشأن.

*تأليفه في عموم علوم القرآن: ممّا ساعد أبا مهدي في مجال التفسير وبَيّن أن له فيه اقتدارا ومؤهلّات مجموعة أعمال طرق من خلالها جوانب متعلقة بالقرآن الكريم وعلومه، ومن بينها نذكر ما يأتي:

مباحثات علمية مع بعض المشتغلين بالعلم، حيث يضم تراثه نصوصا شعرية ونثرية في هذا الشأن، ومن بينها المقطع الموالي: "...بَيّن لنا.. فيما أورد الله عز وجل في حروف المعجم وأساميها وما جعل الله في فواتح السور واختلاف عدد حروفها فوردت: ص، ق، ن على حرف. و: طه، طس، يس، حم، على حرفين.. وتفريقها مهموسة ومجهورة، شديدة ورخوة، منطبقة ومنفتحة، مستعلية ومنخفضة، قلقلة ومستغرقة.

وما حروف الإدغام منها وما يقبل منها الإدغام اضطرابا وعكسه، وما يُدغم فيه ما يجاوره، ولا يُدغم فيما يجاوره.."⁽¹⁾ وعلى غرار هذه النماذج الشعرية:

مَالِي أَرَى الْوَاوَ إِلَى الْيَاءِ قُلِبَ *** فِي بَابِ الْإِدْغَامِ وَعَكُسُهُ سُلِبَ⁽²⁾

وفي موضع من قصيدة أخرى يقول:

مُنْسَفِلُ الْحُرُوفِ وَالْمُسْتَعْلِ *** إِبْنُ بَتْفَرِيقٍ لَهَا وَالْفَصْلِ

كَذَا الْمَخَارِجُ فَقُلْ بِالْعَدْلِ *** وَأَوْضِحِ اللَّبْسَ لَهَا بِالْأَصْلِ⁽³⁾

ومن أعماله في ذات الصدد جوابه شعرا ونثرا عن سؤالٍ مستشكل من مدينة وارجلان "عن علة انفصال اللام في قوله تعالى: مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.." حيث قال المُستشكل: "إني فتشتُ بالسؤال جميع من لقيتُ من الفقهاء في حجتي حتى رجعتُ

(1)- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، سؤال لبعض المخالفين، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 20 و

(2)- أبو مهدي، الديوان، مصدر سابق، ص 14 و.

(3)- المصدر نفسه، ص 17 ظ.

فلم أجد من أحدهم جوابا فيه..⁽¹⁾

ولأريب أن تلك المباحثات العلمية المستمرة قد أكسبته مراسا في الموضوع وزادت سعة اطلاعه فيه.

*توفّر مراجع في محيطه وسعة اطلاعه: مما ميّز أبا مهدي سعة اطلاعه، واستحضاره لكثير من المظان في شتى الفنون، وكذا قصده إلى المراجع المختلفة من أجل الاستفادة أثناء أنشطته العلمية، وهو ظاهر في تراثه، كما أنه عبّر عن ذلك فقال: "فعدلتُ إلى تأليف أهل الهداية الأئمة لأستخرج منها ما أجلي به عن نفسي الغمة... وإنما حملني على جمعه... قوة محبتهم ولذة ذكرهم، عسى الله أن يحشرني معهم..⁽²⁾ وقريبا من قوله السابق يتحدث عن جانب آخر من جوانب نقله واستفادته من نصوص سابقه: وقصدي في نقل الفصول.. شدة شوقي إلى مناقبهم وأخبارهم، وفُتياهم في النوازل المُلمّات؛ فذكرهم عندي أشهى وألذ من جميع اللذات⁽³⁾

ولا شك أن ذلك قد شكّل له رافدا هاما آخر، لاسيما مع حرصه الشديد على الاستفادة ممن سبق، وقد وجدناه ينقل كثيرا عن مفسرين سابقين، ويضمّن أقوالهم في أجوبته وكتاباتة، وهو ما سنقدم نماذج عنه لاحقا.

*تراء تراثه العلمي وإنتاجه المعرفي: المُطّلع على تراث أبي مهدي يبدو له جليا تضلعه في علوم الشريعة واللغة وغيرها، ويشده رصانة أسلوبه ومتانة أفكاره وكذا تنوع مصادره، وهي مؤهلات هامة تمكّنه من التصدي لتفسير آيات القرآن الكريم. ويمكننا من خلال الأبيات التالية أن نطلّع على بعض العلوم التي كانت متداولة في حلقات مزاب آنذاك حسب ما جاء

(1)- أبو مهدي، جواب عن علة انفصال اللام، مصدر سابق، ص 10و

(2)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب إلى أهل عمان، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس، ص 9و.

(3)- المصدر نفسه، ص 11ظ

على لسان الشيخ أبي سليمان داود التلاتي الجربي⁽¹⁾ ت 967 هـ وهي العلوم التي شكّلت عناصر ثراء علمي لأبي مهدي:

نَالُوا الْفَوَائِدَ فِي الْعَقَائِدِ وَأَذْرَكُوا***عِلْمَ الْكَلَامِ سَرَائِرَ الْجَنَانِ
قَضُوا الْمَارِبَ فِي الْمَعَارِبِ وَزَانَقُوا***فِي مَلَحِ اللُّغَةِ وَالتَّبَيَّانِ
حَازُوا الْفَصَاحَةَ وَالْبَلَغَةَ وَسَمُّوا***بِمَرَاتِبِ الْمَعَانِي وَالْبَيَّانِ
حَوُوا الْقَضَايَا حَمَلَهَا وَشَرَطَهَا***وَاسْتَنْتَجُوا بِصُورَةِ الْبُرْهَانِ⁽²⁾

ومثالا على بعض ما تمكّن فيه أبو مهدي، نورد هذا المقتطف الذي تواصل من خلاله مع أحد من ينتسب إلى العلم وقد طلب المناظرة، وعدّد له ما ينبغي الإلمام به والإجادة فيه: "وعلم الكلام يحتاج المتعلم فيه إلى التبخر في اللغة ومعاني الألفاظ وبيان المعاني وما بينهما من المناسبة والمباينة والاشتقاق وحده وانقسامه والمصادر وما ينوب عنها وأوزان الأسماء ومصادر الأفعال ومعاني الحروف والعلاقة الجامعة لهن.."⁽³⁾ وهي مؤهلات هامة شكّلت له دعامة رئيسة في مسيرته التفسيرية خصوصا والعلمية عموما.

*شهادة معاصريه وثناؤهم عليه: مما نستأنس به في هذا الصدد شهادة معاصريه وثناؤهم على مستواه العلمي والمعرفي، وهم أعرف به بحكم المخالطة المستمرة والملازمة الدائمة، ولأريب أن شهاداتهم ستكون صادقة وموضوعية، من ذلك شيخه أمّ سعيد الذي خاطبه في رسالة كما يلي: "الصاحب المكرم، الحبيب المعظم، العالم الفاضل، المحقق الكامل أبي مهدي.."⁽⁴⁾ وهي أوصاف لها وزنها وثقلها.

(1)- داود بن إبراهيم التلاتي الجربي أبو سليمان، من علماء جزيرة جربة، تعلم على مثل الشيخ أبو زكرياء يحيى الهواري. من تأليفه: شرح عقيدة التوحيد، شرح متن الأجرومية، ومن تلاميذه محمد بن زكرياء الباروني. ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم الأعلام، مرجع سابق، ج 2، ص 140.

(2)- داود بن إبراهيم التلاتي أبو سليمان، رسالة إلى بني مصعب، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس، ص 13 ظ.

(3)- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، رسالة جواب إلى مخالف، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 15 و

(4)- سعيد بن علي أبو صالح، رسالة إلى أبي مهدي، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 7.

ومن بين ما ورد من شهادات من قبل معاصريه: "الشيخ أبو مهدي عيسى الموصوف بأعلى الورع والثبات، المُنطوي على أحسن العقائد والنيّات.. أُعطي من العلم بأجل، ومن العلم بأوفر.."⁽¹⁾

3لمحات من تراث الشيخ أبي مهدي التفسير:

لم يترك أبو مهدي كتابا في تفسير القرآن الكريم، ولم يُفرد مؤلفا خاصا في هذا الباب، لكنّ تراثه يضم شذرات من تفسير آيات كريمة ضمن رسائل وأجوبة مختلفة، ولعلّ هذه أول ملامح جهوده في التفسير. على أن أشكالا مختلفة من الإسهامات في هذا المجال سجّلناها من خلال ما بين أيدينا من تراثه العلمي الذي خلفه، وسنستعرض فيما يأتي ما استطعنا التوصل إليه:

حُضُّهُ على العناية بمعاني القرآن الكريم:

تصدّر أبو مهدي حلقات العلم خلال عقود من الزمن، وكان نشاطه العلمي خلالها زاخرا بالأنشطة التعليمية، وكان القرآن الكريم على رأسها، وقد حرص على أن تنتظم المساجد ومؤسسات التعليم في عهده على أفضل نحو، وأن يسري فيها التعليم القرآني، وهو ما وقّق الله تعالى إليه فقال متحدثا بهذا الخصوص: "...مساجدنا عامرة بأنواع ذكر الله تعالى: من دراسة العلم، والقرآن، والختمات؛ محاضرتنا مرتبة دائما ليلا ونهارا.."⁽²⁾

ولم يكن حرصه مقتصرًا على مجرد تلاوة القرآن الكريم، ولم يجعله بمعزل عن مقصده الأساس الذي هو تطبيق مضامينه في سلوك الإنسان اليومي؛ عبادات ومعاملات، ولمّا كان ذلك لا يتم ذلك إلا بفهم مضامين آياته والغوص ثانيا هديه، فإنه كان يدعو إلى أكثر من مجرد تلاوته، فحُضَّ علاوة على "دراسة القرآن في الاستفتاحات وفي جميع الأوقات"⁽³⁾ إلى "التدبر في معانيه"⁽⁴⁾ كما أوصى بذلك في مواضع عدة من كتاباته والتي تُعتبر انعكاسا لشيء مما بذله في

(1)- الثلاثي، رسالة إلى بني مصعب، مصدر سابق، ص 13ظ.

(2)- أبو مهدي، الرد على البهلوي، مصدر سابق، ص 15.

(3)- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 33ظ.

(4)- المصدر نفسه.

أرض الواقع من توجهات في هذا الشأن.

والواقع أن هذا التوجيه من أبي مهدي بضرورة تفهّم معاني القرآن الكريم والبحث عن تفسير مضامينه المباركة لم يكن مجرد كلام عابر، وإنما رأيا راسخا اعتقده وكرّر التوجيه به في مناسبات عدة، وساهم في تفعيله من خلال تفسير شيء منه كما سيأتي، فكان يرى أنه مما يُحيي قلبَ المؤمن "قراءة القرآن بقوة ونشاط، وردُّ النظر في وعده ووَعيدِهِ"⁽¹⁾. وفي السياق نفسه نجده يُعيد التأكيد على هذه التوصية مع الحُضَّ على تعجيل المرء بالعمل بها قبل ألا يجد إمكانا إلى ذلك، فيقول: "وفضائل القرآن أكثر من هذا للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار من عجائبه، مُتفَكِّرا في قُدرة مقدِّرها، متدبِّرا حكمة مدبرها قبل أن يُسافر به ويُحال بينه وبين النَّظر"⁽²⁾.

إن هذه المقتطفات تدلّ على أهمية فهم القرآن الكريم وضرورة تفسيره ومن ثم تطبيقه في فكر الشيخ أبي مهدي، وقد جسّد ذلك من خلال مختلف الآليات كما سيأتي.

ب تفسير القرآن الكريم من خلال حلقاته العلمية:

عقد الشيخ أبو مهدي حلقات علمية مختلفة المستويات، فكان بعضها موجها للعموم يحضرها الناس من مختلف الطبقات بُغية الاستفادة العامة، وبعضها مخصصة للطلبة المتفرغين قصد التعمّق في العلوم والفنون المختلفة، ولكلا المستويين خصائصه وآلياته، وسنحاول إلقاء بعض الأضواء في هذا الخصوص كما يلي:

*دروس التفسير في حلقة الطلبة المتخصصين: كتجسيدٍ عمليٍّ لتوجهاته؛ يتحدث أبو مهدي عن مواد دراسية ومقرّرات كانت من صميم حلقاته التّعليمية، فيقول: "تجد مجالس أُسِّست على المذاكرة في معاني آيات القرآن، وشُيّد بناء أركانها بسُنن سنة ولد عدنان، وبساتين رياضها غُرست بعلم الكلام، والأصول، والفقه، والعربية، والبيان..."⁽³⁾ وبذلك فإنَّ

(1)- المصدر نفسه.

(2)- أبو مهدي، رسالة في الأسماء، مصدر سابق، 2و.

(3)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب على الشيخ سليمان الحمياني، مخ بخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي، القرارة،

التفسير -والذي عبّر عنه بالمذاكرة في معاني آيات القرآن- كان على رأس مقرّرات حلقاته، وبما أنه مُقرر للطلبة في حلقة علمية فلا بد أنه يُقدّم مُحْتَفًا بعلوم وفنون أخرى، على غرار تلك المذكورة مثل: علم الكلام، والأصول، والفقه.. مع ما يقع أثناءها من نقاش واستفسارات من قبل الطلبة واختبارات من قبل الشيخ، تزيد في إثراء الدرس التفسيري.

والواقع أننا لم نقف -للأسف- على تفاصيل أوفى بما يتبيّن معها جوانب أخرى في ذات الموضوع. ولعلنا نستأنس في ختام هذه النقطة بشهادة الباروني تلميذ أبي مهدي حين قال: "لازمْتُ الشيخ أبا مهدي وأخذتُ عنه فوائد جَمّة في التوحيد وغيره"⁽¹⁾ ويكون التفسير دون شكّ بعض ما أخذه خلال تلك الملازمة.

*دروس التفسير في حلقات الوعظ: مما ساهم أبو مهدي من خلاله في الحركة العلمية والاجتماعية عموما دروسُ الوعظ والإرشاد، والتي كانت ركنا ضمن عمله الدعوي والإصلاحي وهو ما شهد له به معاصروه، فمما قال فيه الشيخ الثلاثي: "...ذي العقلِ الرَّاجح، والرأي الناجح... ذي الأساليب الصّحاح... بلُطْفٍ منيح وإسنادٍ صحيح، ووعظ يُلين الصخور ويشفي الصدور.." ⁽²⁾ والشيء ذاته نجده في مريّة تلميذه الباروني حسب هذا الشرط:

.....*** لسانٌ له بالعلم والوعظ مصقعا⁽³⁾

دروس أبو مهدي الوعظية التي ابتغي من ورائها إصلاح الأحوال الاجتماعية لا بد أنها ارتكزت على القرآن الكريم أولا، ولاريب أنه جسّد من خلالها ما كان يدعو إليه من وجوب النظر في آياته وتدبّر معانيها وفتح البصائر "للنظر والاستدلال والاعتبار من عجائبه"⁽⁴⁾ ويكون أبو مهدي قد راعى في دروسه هذه أن تُلقى بأسلوب بسيط يناسب عموم الناس، وأن يطرق من خلالها مواضيع تهّم المُتلقين في واجباتهم الدينية دون التعرّض لمباحث دقيقة لا تهّم سوى أهل التخصص، وتكون بالمقابل مشحونة بما ينجي الجانب التزكوي في نفوس

(1)- محمد بن زكرياء الباروني، سلسلة نسب الدين، نسخة مصورة بحوزتي.

(2)- الثلاثي، رسالة إلى بني مصعب، مصدر سابق، ص 14و.

(3)- محمد بن زكريا الباروني، مريّة في حق أبي مهدي، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس، ص 35و.

(4)- أبو مهدي، رسالة في الصفات، مصدر سابق، ص 2ظ

الحاضرين ف"يلين الصخور ويشفي الصدور" ويبعث على العمل والاستقامة وهو المقصد في هذا المستوى.

وعلى غرار دروسه المتخصصة لم نقف على شيء تفصيلي بشأن هذا الصنف من الدروس إلا أن نلمح إشارة من شطر البيت الموالي، وهو من نفس مرثية تلميذه الباروني حين قال متأسفاً:

فَمَنْ مثله لِلذِّكْرِ ذِكْرًا مُشْعِشًا***.....(1)

ج تفسير القرآن الكريم من خلال رسائله وأجوبته: علاوةً على إدراجه للتفسير ضمن حلقاته العلمية المتخصصة واعتماده في دروسه الوعظية؛ فإن المجال الأبرز الذي حفظ لنا شذرات من تعرضه لتفسير بعض آيات القرآن الكريم هو أجوبته ورسائله العلمية المختلفة الأغراض، حيث أمكن أن نستجمع ما يشكل صورة عامة ولمحات عن جهوده في هذا المضمار.

يمكن تقسيم تراث أبي مهدي المتعلق بالتفسير إلى قسمين: ما فسره بنفسه، وما نقله عن غيره؛ والواقع أن كلا القسمين يُعبّران عن فكره وتوجّهاته التفسيرية، ذلك أن ما استشهد به من تفاسير غيره قد وافقهم عليها ضمناً، وهناك ما ناقشهم حيالها، والكلّ يشكل صورة متكاملة في الموضوع. على أنه ينبغي التذكير بضرورة مراعاة السياقات التي وردت فيها هذه الشذرات ضمن تراث أبي مهدي والتي كانت -كما أسلفنا- عبارة عن رسائل وأجوبة متعددة الأغراض، وسنستعرض فيما يلي نماذج من ذلك فيما يلي.

1 تفاسير نقلها عن غيره:

من سمات أبي مهدي التي تميّز بها وأبان عنه ذلك تراثه الفكري أنه كثير الانتفاع بما تنتجه قرائح علماء الأمة، ولم يكن ضيق الأفق في استفاداته تلك، وهو ما تشهد به النقول العديدة التي يضمّنها أعماله، وقد نقلنا عنه آنفاً كلاماً يصرح فيه بمنهجه هذا. وهو إلى ذلك كثير التقدير للعلماء وجهودهم، فنجد مثلاً بعد استعراضه جملة من أقوال العلماء في معان

(1)- الباروني، مرثية أبي مهدي، مصدر سابق، ص 35ظ.

قريبة من مباحث التفسير يقول إشادة بهم: "انظر إلى استخراجهم بالبيان والمعاني البراهين الساطعة، كأحكام أهل الأصول بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة القائمة، والتصديق بعد تصوّر الماهية بالنفي أو الإثبات لاستخراج النتائج الباطنة في أفراد عالم الغيب والشهادة"⁽¹⁾

ولم يختلف الأمر في تعاطيه مع المادة التفسيرية، فكان ينقل عن غيره بل وينتصر لما يراه صائبا لديهم، ومثالا لذلك أبيات شعرية أنشأها في حق الزمخشري وتفسيره الكشف إثر انتقاد بعضهم له في بعض آرائه في التفسير، ومن ذلك البيت الموالي:

هجوكم للكشف وكُفَّ وسَفَهه *** قد أوضح الدليل ثم زخرفه⁽²⁾

وكان ينقل من التفاسير ما يرى أنه ملائم للسياق الذي يبحث فيه، وتتفاوت النصوص المنقولة طولا وقصرا تبعا للحاجة الفكرية والعلمية، وعند النظر فيمن نقل عنه نجده متعدد المشارب وهو ما يدل على سعة اطلاع وطول باع؛ فقد نقل عن ابن عباس: 68هـ، والحسن البصري: 110هـ، والنقاش: 351هـ، وأبي محمد المكي: 437هـ، والواحدي: 468هـ، والزمخشري: 538هـ، والثعالبي: 875هـ،... وغيرهم

ويمكن أن نقدم فيما يلي أمثلة عما نقله عن غيره من المفسرين:

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْأَسْمَاءِ؛ لأنها تدل على معان حسنة، من تمجيد وتقديس، وغير ذلك. فَأَدْعُوهُ بِهَا فَسَمُّوهُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَذَرُّوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَاتَرَكُوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها، فيسمونه بغير الأسماء الحسنى؛ وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا نخي، أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا: يا الله، ولا يقولوا: يا رحمن، وقد قال الله تعالى: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [الإسراء: 110] ويجوز أن يراد: ولله الأوصاف الحسنى، وهي الوصف بالعدل، والخير، والإحسان، وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها، وذروا الذين يلحدون في أوصافه، فيصفونه بمشيئة القبائح، وخلق الفحشاء، والمنكر، وبما يدخل في التشبيه، كالرؤية

(1)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، إعراب كلمة الشهادة، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن، ص 6ظ.

(2)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، أبيات في حق الزمخشري، مخ بخزانة آل معيز، آت مليشت، ص 25و.

ونحوها، وقيل: إلحادهم في أسمائه: تسميتهم الأصنام: آلهة، واشتقاقهم اللات من الله، والعزّي من العزيز⁽¹⁾

نقل أبو مهدي هذا النص على طوله النسبي ولم يتصرّف فيه، فكان أميناً في نقله وتوخى اكتمال المعنى وتقديم مجمل الفكرة. وقد لا يستدعي السياق الإطالة فيكتفي بالفاظ قليلة ينقلها.

كما يقتصر أبو مهدي في بعض الحالات على الإشارة إلى جملة المفسرين دون تعيين أحدهم، كما ذكر في بعض المواضع: "والكلمة هي: رَبِّ ارْجِعُونِ فيما ذكر أهلُ التفسير"⁽²⁾ أو قد يُحيل إلى أحد التفاسير ويترك للقارئ مزيد البحث، ومثال ذلك قوله: "انظر في تفسير أبي محمد المكي.. ماذا أورد عليها"⁽³⁾

إذا كانت معظم النُقول التي أوردها أبو مهدي قد وافق أصحابها عليها صراحة أو ضمناً؛ فإنه يعمد أحيانا إلى مناقشتهم وإبداء رأيه حول أفكارهم، فنجد مثلاً يعقّب على أحد نصوص التفسير التي نقلها بقوله: "قلتُ: نِعْم الاستدلال لو نظر وتفكّر وتدبّر في معنى التعذيب توكيدا والإثابة جزاء، ماذا يقول عند مساءلة الملك العلام في يوم يؤخذ فيه بالنواصي والأقدام؟"⁽⁴⁾ ونجد في مثال آخر يشنّع على أقوال بعض المُفسرين بسبب مجانفتهم للحق كما يرى أبو مهدي، فيقول: "ولقد رأيتُ في بعض تفاسير أئمتكم على قوله تعالى السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ فَرَدَّ الضمير إلى الله عزّ وجل، وقال بعد كلام: هذا حين ينزل الرحمن. في كثير مما رأينا وسمعنا عنكم من مثل هذا... وهذا التفسير بين أيدينا"⁽⁵⁾ وهو مثالٌ على تعاطي أبي مهدي مع مختلف اتجاهات التفسير وما تنطوي عليه من عقائد وغيرها، فكان

(1)- أبو مهدي، رسالة في الصفات، مصدر سابق، ص 1ظ

(2)- أبو مهدي، إعراب كلمة الشهادة، مصدر سابق، ص 4و.

(3)- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب على أبي القاسم التجيني، مخ بغزاة الشيخ بلحاج بن كاسي، ص 112.

(4)- المصدر نفسه.

(5)- أبو مهدي، الرد على الحمياني، مصدر سابق، ص 29.

لزاما عليه أن يبدي رأيه إزاءها بما يراه حقا وصوابا.

2 آيات فسرهما بنفسه:

كان لأبي مهدي إسهام في تفسير مواضع من القرآن الكريم من خلال التعرض لبيان معانيها في خضم أجوبة ورسائل قام بتأليفها، ولأريب أنها ثروة علمية ورصيد معرفي جد هام من شأنه أن يعطينا زاوية نظر جديدة حول فكره، وأن تزيدنا ملامح أخرى حول أنشطته العلمية المباركة.

حاولنا جمع ما أمكن من تراث أبي مهدي التفسيري، وسندستعرض فيما يأتي نماذج منها مع الوقوف على جوانب مما فيها من مميزات وملحات.

تفاوتت الإيضاءات التي سلطها أبو مهدي على معاني الآيات القرآنية الكريمة طولا وقصرا، فنجد شذرات مختصرة في كلمة أو بضع كلمات، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ أَهْلَ مَقَامٍ (1). وفي مثال آخر نجد أبا مهدي يقول بشأن الآية الموالية: قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّزْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ أَي: من مذهب ومخرج (2) فالظاهر أنه اتجه إلى بيان معنى بعض الكلمات المستصعبة، على غرار لفظة محيص في الآية الأخيرة، كما أنه بصدد التركيز على ما به الحاجة وفق السياق الذي يكتب فيه، وهو مسألة الخلود ضمن مباحث العقيدة كما في هذا المثال الأخير.

ويمزج أبو مهدي في بيان بعض الآيات لفات لغوية وفقهية حسب ما يقتضيه المقام، وقد يجعل بعض المباحث اللغوية منطلقا إلى تفسير بعض معاني القرآن الكريم كما في المثال التالي: "...وإن شهد أي: حَصَرَ وَأَخْبَرَ، والشهادة في اللغة الحُضُورُ. قال تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ أَي: فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يُفطر" (3) ولأريب أن المفسر تستوقفه في كل آية مباحث في اللغة والعقيدة

(1)- أبو مهدي، الرد على البهلوي، مصدر سابق، ص 23.

(2)- المصدر نفسه.

(3)- أبو مهدي، جواب إلى عمان، مصدر سابق، ص 19 ظ.

والفقه وغيرها من الأبواب والمباحث التي ينبغي أن يخوضها سعياً لاستجلاء بعض معاني الآيات الكريمة ودقائق أغوارها.

وعلى خلاف المواضيع التي جاءت مختصرةً، أطل أبو مهدي البيان في مواضع أخرى، فتوقّف عند نقاط مختلفة متعلقة بها حسب ما يقتضيه سياق كتابته دوماً، ومن ذلك المثال التالي الذي ننقله بما فيه من طول نسبي: "قال عزّ من قائل: مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ أَي: ما صحّ لهم وما استقام أن يعمرُوا مساجد الله، وكانوا يفتخرون على أهل الإسلام بمحاسنهم حتى قالوا: نحن أفضل منكم أجراً؛ إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني، فنزلت الآية.

وقوله: حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ أَي: التي هي العمارة والحجاجة والسقاية وفكّ العناية؛ لأن الكفر هدم كل ذلك، والجمع بين الكفر والعمارة في حالة واحدة غير مستقيم.

فقال تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّحِدِينَ أَي: إنما يستقيم عمارة هؤلاء، والعمارة تناول جميع مصالحها من تنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها لأصناف العبادات من الذّكر وقراءة القرآن ودرس العلم وصيانتها مما لم تُبْنِ له كحديث الدنيا والأقدار والأنجاس وما أشبه ذلك.

ثم قال سبحانه وتعالى بعد أن وصف عمارة المساجد بالإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الصلاة، وقد انطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول عليه السلام لاقتراניהما وازدواجهما كأنهما شيء واحد، فقال: وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ أَي: لا يختار على رضا الله تعالى رضا غيره ويؤثر حق الله على نفسه.

فقال: فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّحِدِينَ تبعيداً للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسماً لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها، فإنّ الذين آمنوا وعملوا بالشرائع مع استيشار الخشية والتقوى، اهتدأهم دائر بين عسى ولعل؛ فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون؟! قالت العلماء: وفي هذا الكلام ونحوه لطفٌ للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار.

ثم قال جل جلاله: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بهمزة الإنكار أن
يشبه المشركون المؤمنين، أو يسوّى أعمالهم بأعمالهم، والتّسوية ظلم، والمسوّى من
الظالمين..⁽¹⁾ وإضافة إلى عديد الفوائد التي ضمّها هذا النموذج، نلاحظ تعرّض أبي مهدي
إلى سبب نزول الآية محل التفسير، وهو إثراء هام ضمن تفسيره لهذه الآيات.

ونجده يبدي رأيه بشأن بعض المسائل في خضمّ تفسيره لبعض المواضع من القرآن
الكريم، فيصرّح بما يميل إليه ويراه أصحّ، وفيما يلي أحد الأمثلة عن ذلك: "والمعاهدة
والمصالحة والمسالمة والمهادنة جائزة إذا رأى الإمام فيها صلاح الإسلام. قال الله تعالى: وَإِنْ
جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَالسَّلَامُ نَقِيزُ الْحَرْبِ، وقُرئ بفتح السين وكسرها.

وروي عن ابن عباس -رضي الله عنه- أنه قال: الآية منسوخة بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ وعن مجاهد [أنها منسوخة] بقوله
فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

والصحيح أنّ الأمر موقوف على ما يرى الإمام فيه صلاح الإسلام من حربٍ أو سِلم، فإذا
وثّقوا العهد وشدّوا العقد فعلى الإمام والمسلمين الوفاء بما عاهدوهم عليه...⁽²⁾ فيمكن أن
نلاحظ في المقتطف المنقول عرضه بعض ما تعلّق باختلاف أوجه القراءات، وكذا بالناسخ
والمنسوخ، وهو مما ينبغي أن يكون من غُدة المفسر، ويبين بعض ما كان لأبي مهدي منها.

ولم يخلُ تفسيره من تضمين بعض الأحاديث النبوية المناسبة لمعاني الآيات، وكذا
النقل عن تفسير بعض أئمة الصحابة والتابعين، علاوة على ما يبسطه من خلال إعماله
النظر في معانيها، وهو ما يُبرز جانبا من منهجه في التفسير، ولعل إلى شيء من ذلك يشير
الشيخ التلاتي في أبياته التالية:

(1)- أبو مهدي، الرد على الحمياني، مصدر سابق، ص 48.

(2)- أبو مهدي، جواب إلى عمان، مصدر سابق، ص 22و.

هُوَ الْعَالِمُ الشَّامِخُ الْبَازِحُ*** وَأَسُّ النَّدَى وَإِمَامُ الْأَثَرِ

فَكَمْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ بِالتَّقَى*** وَكَمْ عِلْمٍ فَازَ بِهِ بِالنَّظَرِ⁽¹⁾

وسيكون التطرق بشكل أوسع إلى تراث أبي مهدي التفسيري، واستقصاء جميع ما تعرض له من بيان معاني الآيات وتفسيرها -ومنها العديد من النماذج والأمثلة- مفيدا في شكل صورة أوضح عن جهوده في هذا المجال، وإبراز إسهاماته والوقوف على خصائصها.

بعد هذه الجولة السريعة في جوانب من تراث أبي مهدي، والتي تطرقت إلى جانب لم ينل حظه من الدراسة والبحث، نأمل أن يكون هذا العمل المتواضع فاتحة لما يأتي بعده من أعمال وبحوث مستفيضة تستجلي ما فيه من درر وفوائد. وسنحاول فيما يلي سرد بعض النتائج استجمعناها من خلال البحث:

*عرف مزاب اهتماما بفهم معاني القرآني الكريم منذ عهده الأولى بالإسلام

*يُعتبر الشيخ أبو مهدي نموذجا ممن طرق باب التفسير من علماء قصور مزاب خلال بدايات العصر الحديث المبكر.

*للشيخ أبي مهدي أنشطة علمية قيّمة تناولت عموم علوم القرآن، كانت له عونا في جهوده في التفسير.

*من مُعينات الشيخ أبي مهدي في جهوده التفسيرية: متانة تكوينه العلمي عموما، إسهامات شيخه أم سعيد في التفسير، توفر نسخ من التفاسير في محيطه.

*شذرات الشيخ أبي مهدي التفسيرية مبثوثة ضمن رسائله وأجوبته المختلفة الأغراض، وهي عديدة ومحكومة بسياقاتها.

*نقل الشيخ أبو مهدي عن غيره من المفسرين مُعتَمدا أقوالهم، كما ناقش بعضهم وأبدى ملاحظات على آرائهم.

*اعتمد الشيخ أبو مهدي التفسير ضمن مقررات حلقاته العلمية، كما أدرجه في

(1)- التلاتي، رسالة إلى بني مصعب، مصدر سابق، ص 14و.

دروسه الموجهة إلى عامة الناس.

*تعرّض الشيخ أبو مهدي في نصوصه التفسيرية أحيانا إلى أسباب النزول وأوجه القراءات وإلى الناسخ والمنسوخ وغيرها مما هو من غُدّة المفسر لكتاب الله.

*لا يزال موضوع إسهامات الشيخ أبي مهدي في مجال التفسير بكرا ينتظر لفتات تُبيّن مداها وتبرز سماتها.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم.

داود بن إبراهيم الثلاثي أبو سليمان، رسالة إلى بني مصعب، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس.

داود بن إبراهيم الثلاثي أبو سليمان، رسالة إلى بني مصعب، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس.

سعيد بن علي الجربي أبو صالح، رسالة إلى أبي مهدي عيسى المصعبي، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.

سعيد بن علي الجربي، جواب عن سؤال بعض متفقه قومنا، تح محمد بن صالح بوكراع، ن مؤسسة الشيخ عبي سعيد.

سعيد بن علي الجربي، جواب عن سؤال بعض متفقه قومنا، تح محمد بن صالح بوكراع، ن مؤسسة الشيخ عبي سعيد.

عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، أبيات في حق الزمخشري، مخ بخزانة آل معيز، آت مليشت غرداية.

عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، إعراب كلمة الشهادة، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.

عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، الرد على البهلوي، ضبط النص: الناصر بن حمو أويابة، منشورات مكتبة المسجد العتيق غرداية.

- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب إلى أهل عمان، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب على أبي القاسم التجيني، مخ بخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي، القرارة غرداية.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، جواب على الشيخ سليمان الحمياني، مخ بخزانة الشيخ بلحاج بن كاسي، القرارة غرداية.
- عيسى بن إسماعيل أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان في الأسماء والصفات، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.
- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، جواب عن علة انفصال اللام، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.
- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، رسالة إلى أهل وارجلان، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.
- عيسى بن إسماعيل المليكي أبو مهدي، سؤال لبعض المخالفين، مخ بمكتبة الاستقامة، بني يزقن غرداية.
- محمد بن زكرياء الباروني أبو عبد الله، قصيدة في رثاء المشايخ، مخ بالمكتبة البارونية، جربة تونس.
- محمد بن زكرياء الباروني، سلسلة نسب الدين، نسخة مصورة بحوزتي.

المعالم المنهجية في توجيه القراءات القرآنية عند الإمام الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان

د. الصادق بن الساسي ذهب

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان بعض المعالم المنهجية في توجيه القراءات القرآنية عند الإمام عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان، وذلك من خلال الوقوف على نماذج مختارة من تفسيره، وقد سعت في هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي أبرز المعالم المنهجية التي اعتمدها الإمام الثعالبي في توجيهه للقراءات القرآنية في تفسيره الجواهر الحسان؟

وقد انبنت خطة البحث على ثلاثة مطالب رئيسية: خُصّص المطلب الأول لدراسة حياة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي. أما المطلبان الثاني والثالث، فقد تناولوا التعريف بتفسيره، وذكر نماذج من توجيهاته للقراءات القرآنية.

وخلص البحث إلى جملة من النتائج، كان من أهمها: تنوع المنهج الذي اعتمده الإمام الثعالبي في توجيه القراءات، حيث وظّف السياق القرآني، والسنة النبوية، واللغة العربية، بل حتى القراءات الشاذة، في تفسيره للقراءات.

-الكلمات المفتاحية: المعالم المنهجية، توجيه القراءات، الثعالبي.

This research aims to highlight some of the methodological features employed by Imam Abd al-Rahman al-Tha'alibi in interpreting Qur'anic readings qirā'āt in his exegesis Al-Jawāhir al-Ḥisān. This is done through the examination of selected examples from his tafsīr. The study seeks to answer the following central question: What are the key methodological features adopted by Imam al-Tha'alibi in his

interpretation of the Qur'anic readings in Al-Jawāhir al-Hisān?

The research is structured into three main sections: The first section is dedicated to studying the life of Shaykh Abd al-Rahman al-Tha'alibi. The second and third sections present an introduction to his tafsīr and selected examples of his interpretation of the Qur'anic readings.

The study concludes with several findings, the most significant of which is the methodological diversity employed by Imam al-Tha'alibi in explaining the readings. He utilized Qur'anic context, Prophetic tradition Sunnah, the Arabic language, and even rare non-canonical readings in his interpretations.

Keywords: Methodological features, interpretation of Qur'anic readings, al-Tha'alibi

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، أعطي جوامع الكلم، وفصل الخطاب، والحق المبين، وعلى آله وصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

القرآن العظيم معجزة الله الخالدة التي أنزلها على النبي العظيم صلى الله عليه وسلم عن طريق ملك عظيم، ولعظم هذا القرآن وعلو شرفه انكب علماء الأمة عليه قراءة وتدبرا وتفسيرا واستنباطا.

وقد برز من هؤلاء في سماء الجزائر وعبر القرون أئمة خدموا كلام الله تفسيرا، وإقراء، وبياناً لأحكامه، وبلاغته، وقد تفاوتوا في ذلك، بحسب ما آتاهم الله من الفهم في كتابه، أذكر منهم الإمام عبد الرحمن الثعالبي، الذي كانت له إسهامات متنوعة منها تفسيره الجواهر الحسان، وقد حاولت عبر هذه المداخلة إظهار الجانب القرائي في تفسيره، وذلك من خلال إبراز المعالم المنهجية في توجيهه للقراءات القرآنية، فجاء البحث موسوماً بـ "المعالم المنهجية في توجيهه للقراءات القرآنية عند الإمام الثعالبي

في تفسيره الجواهر الحسان".

أولاً- أهمية الموضوع:

- 1- العلاقة المباشرة بين القراءات القرآنية واختلاف المعاني التفسيرية.
 - 2- تعدّد القراءات يتولّد منه تعدّد التوجيهات، الذي يتولّد منه تعدّد المعاني، فتعدّد القراءات بمنزلة تعدّد الآيات، وهذا من الإعجاز القرآني.
 - 3- شهرة الإمام الثعالبي ومكانته العلمية داخل الوطن وخارجه.
- ثانياً- إشكالية الموضوع:

اهتمّ الإمام الثعالبي في تفسيره للقرآن الكريم بالمسائل المتعلقة بعلوم القرآن، ومن أهمّها القراءات القرآنية وتوجيهها لبيان معانيها، من هذا المنطلق يمكن طرح الإشكال الآتي: ما هي أهمّ المعالم المنهجية التي سار عليها الإمام الثعالبي في توجيهه للقراءات القرآنية في تفسيره الجواهر الحسان؟ ويتفرّع عن هذا الإشكال الرئيس مجموعة من الإشكالات أبرزها: من هو الإمام الثعالبي؟ وما هو مفهوم القراءات وتوجيهها؟

ثالثاً- المنهج المتبع:

طبيعة هذا البحث جعلتني أعتمد فيه على المنهج الاستقرائي، وكذا المنهج التاريخي.

رابعاً- خطة البحث:

سرت في هذه الورقات وفق خطة انبثت أركانها من مقدّمة، وثلاثة مطالب، خُصّصَ المطلب الأوّل لدراسة حياة الشيخ الثعالبي، ثُمَّ جاءَ المطلبان الثاني والثالث، للتعريف بتفسيره، وذكّر نماذج من توجيهه للقراءات.

وفي الختام أرجو من الله العليّ القدير أني قد وفّقت إلى بيان المقصود، وما توفيقي إلا به عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأوّل: التعريف بالإمام الثعالبي

أتناول في هذا المطلب الكلام عن بعض الجوانب لحياة الثعالبي الشّخصيّة، والحياة العلمية للإمام الثعالبي رحمه الله.

الفرع الأول: الحياة الشخصية

أولاً- اسمه وكنيته ونسبه ومولده

1- اسمه: عبد الرحمن.

2- كنيته: أبو زيد⁽¹⁾.

3- نسبه: هو ابن محمد بن مخلوف الثعالبي⁽²⁾.

4- مولده: ولد سنة خمس أو ست وثمانين وسبع مائة⁽³⁾.

الفرع الثاني: الحياة العلمية

أولاً- دراسته وشيوخه وتلاميذه

1- دراسته:

نشأ الثعالبي في أحضان أسرته نشأة علم وصلاح، وتلقى تعليمه الأولي عمّن وجدته من علماء بلده وضواحيها آنذاك⁽⁴⁾.

وأما عن رحلاته في طلب العلم، فقد أخبر عنها هو بنفسه في جواهره، وكذلك في الكتاب الجامع، هذا ملخصها:

خرج من مسقط رأسه أواخر القرن الثامن، ودخل بجاية في أوائل القرن التاسع، فلقني

(1) قال صاحب التحفة: "...وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النسب الذين تقرر لديهم بأن كل من اسمه عبد الرحمن يكنى بـ: أبي زيد، وأما التكنية الرسمية التي كان يكنى بها هي أبو يحيى، وكان يكنى أيضا بـ: أبي محمد..." محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ص 344.

(2) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 4، ص 152، ومحمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1، ص 282.

(3) الظاهر أنّ الثعالبي قد أشار إلى هذا الخلاف في مولده؛ حيث قال في غنيته: "...وكتبت هذه الأحرف في السابع من ذي القعدة من عام إحدى وخمسين وثمان مائة وقد بلغت في السنّ خمساً وستين أو ستّ وستين حسبما وقع من الخلاف بين أبي وعي عمر في ذلك..."، ينظر: الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص 29.

(4) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2، ص 280.

بها العلماء⁽¹⁾، وحضر مجالسهم، ثم ارتحل أيضا إلى تونس، فلقي بها كذلك عددا من الشيوخ الأجلاء⁽²⁾، وسمع منهم، وبعدها ارتحل إلى المشرق، فلقي بمصر، ومكة من العلماء والمحدثين⁽³⁾ الذين أخذ عنهم علوما جمّة، ثم رجع إلى تونس، فأخذ عن بعض أعلامها المشهورين⁽⁴⁾ (5).
2- شيوخه:

اتّضح من خلال الرحلة التي ذكرها الثعالبي في طلبه للعلم أنّه أخذ عن شيوخ كثيرين؛ حيث سمى منهم أكثر من خمسة عشر شيئا، ومن شيوخه الذين لم يشر إليهم:
أ- أبو محمّد، عبد الواحد بن إسماعيل الغرياني.
ب- أبو الحسن، علي بن أبي بكر الهيثمي.
ج- أبو محمّد، عبد الله بن مسعود بن علي القرشي، ابن القرشيّة⁽⁶⁾.
3- تلاميذه:

تفرّغ الثعالبي بعد عودته إلى الوطن إلى التّأليف، والعبادة، ونشر العلم، فتخرّج على يده أعلام، منهم:
أ- أبو الحسن، علي بن محمّد الثالثي، الأنصاري، التلمساني.

(1) لقي بها أصحاب عبد الرحمن الوغليسي، وأصحاب الشيخ أبو العباس أحمد بن إدريس، وكانت عمدة قراءته بها على المانجلاتي بمسجد عين البربر، والشيخ أبو الربيع أحمد بن الحسن وعليه كانت عمدة تجويده للقرآن، والشيخ أبو الحسن علي بن البليّلي، والشيخ علي بن موسى، والشيخ أبو محمّد عيسى البليّلي، والشيخ أبو القاسم المشدالي، والشيخ أبو العباس أحمد النقاوسي.

(2) لقي بها عيسى الغبريني، والآتي، والبرزلي، والشيخ أبو يوسف يعقوب الذهبي، وغيرهم.

(3) لقي بمصر الشيخ أبو عبد الله محمّد البلالي، والشيخ أبو عبد الله البساطي، والشيخ ولي الدين العراقي.

(4) أخذ عن أبي عبد الله محمّد القلشاني، ولقي بها شيخه أبا عبد الله محمّد بن مرزوق قادما لإرادة الحجّ، فأخذ عنه الكثير.

(5) ينظر التفصيل في رحلاته: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج4، ص159، ومحمّد بن سعيد قدّورة، جليس الزائر وأنيس السائر مخطوط، ورقة رقم: 121-122، نقلا عن كتاب الجامع للثعالبي.

(6) الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص52-53، 71.

ب-أبو عبد الله، محمد بن يوسف الحسني، السنوسي، التلمساني⁽¹⁾.

ج-زروق، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، الفاسي⁽²⁾.

الفرع الثالث: وفاته وأثاره وثناء العلماء عليه

أولا-وفاته وأثاره:

1-وفاته: من البديهي أنّ الخلاف في الميلاد الذي أشرنا إليه سابقا ينتج عنه خلاف في تاريخ الوفاة، وهذا ما أريد توضيحه من خلال المعطيات الآتية:

أ-مولد الثعالبي كان سنة خمس أو ستّ وثمانين وسبعمائة، على خلاف في ذلك كما ذكرنا آنفا.

ب-أخبر الثعالبي عن نفسه في كتابه جامع الأمّهات، بأنّه اختتم تأليفه سنة واحد وستّين وثمانمائة⁽³⁾؛ أي كان عمره آنذاك ستّا أو سبعا وسبعين سنة.

ج-صاحب الضوء اللامع قال في ترجمة الثعالبي: "ومات في سنة ستّ وسبعين أو في أواخر التي قبلها عن نحو تسعين سنة"⁽⁴⁾.

مما سبق يتّضح لنا أنّ الثعالبي توفّي في سنة: خمس أو ستّ وسبعين وثمانمائة، مع العلم أنّ جلّ كتب التراجم تذكر الأوّل.

2-أثاره:

خلف الإمام الثعالبي تصانيف عدّة، منها المطبوع الآن، ومنها الذي لايزال في رفوف المخطوطات، وسوف أكتفي بإيراد بعض المؤلّفات التي ذكرها الثعالبي في غنيمته، وفي مقدّمة

(1)التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص341، 563.

(2)السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج1، ص222.

(3)الثعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، ص113.

(4)السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ص152.

جامع الأمّهات⁽¹⁾؛ حيث قال: "...وقد جمعتُ قبل هذا تصانيف بحمد الله مفيدة، فمنها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مع الملحق به من الغريب، والمرائي وهي نيف عن ستين...ومنها الأنوار في معجزات النبي المختار، والأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة، ورياض الصّالحين، والتقاط الدرر، والدرّ الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدّعوات، والعلوم الفاخرة في النّظر في أمور الآخرة، وشرحنا لابن الحاجب الفرعي، والجامع الكبير الملحق به، وإرشاد السّالك كتاب صغير، والأربعون حديثا مختارة، وجامع الفوائد، وغنيمة الوافد، والمختار من الجوامع في محاذات الدرر اللّوامع...وكتاب النّصائح، ثمّ يسّر الله سبحانه بعده بكتاب سمّيته بتحفة الإخوان في إعراب أي القرآن، ثمّ يسّر الله بعده بكتاب سمّيته بالذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض أي القرآن العزيز، ثمّ يسّر الله بعده بكتاب سمّيته بالإرشاد لما فيه مصالح العباد، فهذا ما يسّر الله سبحانه على يدي..."⁽²⁾. كما يُذكر للثّعالبي أيضا أبياتا من الشّعر تعلّق جلّها بالزّهد والرّقائق⁽³⁾.

ثانيا-ثناء العلماء عليه:

إنّ المطّلع على سيرة الثّعالبي، وعلى ذكر العلماء له ليجزم بعظمة الهيبة التي رزقه الله إيّاها، حتّى كان لذلك أثر في حياته وبعد مماته، لهذا كلّه كان الثّعالبي محلّ ثناء العلماء ومدحهم، وسأذكر هنا نماذج من كلامهم:

1-قال شيخه أبو عبد الله، محمّد بن خلف المعروف بالأبّي في إجابته لإجازة الثّعالبي: "الحمد لله، ما قاله الصّاحب الفقيه المجيد الأكرم أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد المذكور في الأعلى صحيح، وقد أذنت له في إقراء ما ذكر وثوقا بجودة فهمه وجودة قريحته، جعلني الله وإيّاها من العلماء العاملين"⁽⁴⁾.

(1) حيث وصل عددها إلى أكثر من عشرين مؤلّفا، الثّعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص 26-29، والثّعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، ص 177.

(2) الثّعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، ص 177.

(3) ينظر مثلا: الثّعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص 29-30.

(4) الثّعالبي، رحلة الثّعالبي ملحقة بغنيمة الوافد، ص 112.

2- قال عنه تلميذه عيسى بن سلامة البسكري وهو ينقل من كلام شيخه الثعالبي: "قال الشيخ الزاهد العالم العارف أبو زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي..." إلى أن قال: "وحيث قلت الثعالبي في كتابنا هذا فهذا الشيخ أعني، وهو من أكابر العلماء وله تواليف جمّة..."⁽¹⁾.

3- قال صاحب شجرة النور عند ترجمته: "...الإمام علم الأعلام الفقيه المفسر المحدث الراوية العمدة الفهامة الهمام الصالح الفاضل العارف بالله الواصل أثني عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين المتين..."⁽²⁾.

المطلب الثاني: بطاقة موجزة حول تفسير الثعالبي

أريد من خلال هذا المطلب أن أعطي صورة تعريفية موجزة حول جواهر الثعالبي، فأذكر: اسمه، ونسبته لمؤلفه، وطبعاته، نبذة يسيرة عن منهجه من خلال مقدّمة تفسيره، وذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: اسمه ونسبته لمؤلفه

أولاً- اسمه: يظهر من خلال الاطلاع على بعض مؤلفات الثعالبي، أنّ من منهجه الذي تميّز به التّصريح باسم مصنّفاته، وهذا الذي رأيناه في تفسيره؛ حيث قال في مقدّمة تفسيره: "وسمّيته بـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن"⁽³⁾.

الفرع الثاني: طبعات التفسير

رغم القيمة العلميّة التي حواها هذا التفسير إلاّ أنّه لم يحقّق تحقيقاً علمياً رصيناً، ومع هذا فقد طُبِعَ عدّة طبعات، أذكر منها طبعتين فقط:

أولاً- طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 1408هـ، تحقيق محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، في خمسة أجزاء. وهي أحسن الطبعات.

ثانياً- طبعة دار عالم المعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، طبعة خاصّة، سنة: 2011م،

(1) ابن سلامة البسكري، لوامع الأسرار في منافع القرآن والأخبار مخطوط، ورقة رقم: 27.

(2) محمّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1، ص 382.

(3) ينظر مثلاً: الثعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، ص 177، وغنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص 29.

تحقيق عمّار الطّالبي، في أربعة أجزاء.

الفرع الثالث: لمحة يسيرة عن منهجه الخاص من خلال مقدّمة تفسيره

لقد سطر الثّعالبي معالم منهجه الخاص الذي سار عليه في تفسيره، وهي على النّحو الآتي:

أولاً- جعل تفسير ابن عطية هو العمدة، وزاد عليه مسائل، وفوائد جمّة من غيره من الكتب.

ثانياً- ما انفرد بنقله عن الطبري، فمن مختصر تفسير الطبري⁽¹⁾.

ثالثاً- كلّ ما في آخره انتهى، فليس هو من كلام ابن عطية، بل ذلك ممّا انفرد الثّعالبيّ بنقله عن غيره.

رابعاً- جعل علامة ت لنفسه بدلا من قلت، وجعل علامة لابن عطية.

خامساً- ما نقله من الإعراب عن غير ابن عطية فمن مختصر أبي حيّان⁽²⁾ غالبا، وجعل ص علامة عليه.

سادساً- كلّ ما نقله عن أبي حيّان، فإنّما نقله له بواسطة الصّفاقسيّ غالبا، قال الصّفاقسيّ: وجعلتُ علامة ما زدته على أبي حيّان م. وحيث أطلق الثّعالبيّ فالكلام لأبي حيّان.

سابعاً- ما نقله من الأحاديث الصّحاح والحسان في باب الأذكار والدّعوات عن غير البخاريّ، ومسلم، وأبي داود، والترمذيّ، فأكثره من كتاب الأذكار، وكتاب سلاح المؤمن في الدعاء والذكر⁽³⁾.

ثامناً- ما نقله في الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة، فمعظمه من كتاب التّدكرة، وكتاب

(1) وهو مختصر الطبري لأبي عبد الله محمد اللّخميّ.

(2) وهو: المجيد في إعراب القرآن المجيد، للصّفاقسيّ.

(3) كتاب الأذكار للنّووي، وكتاب سلاح المؤمن لابن الإمام.

العاقبة⁽¹⁾، وربما زاد زيادات كثيرة من مصابيح السنّة⁽²⁾، وغيره⁽³⁾.

المطلب الثالث: نماذج من توجيه القراءات عند الإمام الثعالبي من خلال جواهره

قبل الولوج في طيات هذا المطلب يحسن بنا أن نزيل اللثام عن مفهوم المركّب الإضافي توجيه القراءات، وتمهيدا لذلك نعرّف كلا المصطلحين على حده؛ توجيه، والقراءات.

الفرع الأول: تعريف مصطلح التوجيه في اللغة والاصطلاح

أولا- التوجيه في اللغة:

التوجيه مصدر وجّه، وجذره وجّه، قال صاحب المقاييس: "الْوَأُو وَالْجِيمُ وَالْهَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةِ لِسْنَيْ. وَوَجَّهْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ عَلَى جِهَةٍ. وَالتَّوْجِيهُُ لِلْقِثَاءَةِ أَوْ لِلْبَطِيخَةِ: أَنْ تُخَفَّرَ مَا تَحْتَهَا وَتَهَيَّأَ ثُمَّ تُضَجَّعُهَا⁽⁴⁾. وَجَّهَ الْأَمْرَ وَجْهَهُ: يُضْرَبُ مَثَلًا لِلْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَسْتَقِمَّ مِنْ جِهَةٍ أَنْ يُوجَّهَ لَهُ تَدْبِيرًا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَوَجَّهَ الْكَلَامَ: السَّبِيلُ الَّذِي تَقْصِدُهُ بِهِ⁽⁵⁾.

فمن كلام أهل اللغة يمكن تلخيص بعض المعاني اللغوية للمصطلح:

-مقابلة الشيء. وتصيير الشيء إلى الجهة التي يراد أن يتجه إليها. وتقليب الأمر حتى يستقيم له وجه حسن. والسبيل المقصود.

وكأنّ الباحث في توجيه القراءات يقابل الأوجه المتغايرة بعضها مع بعض، ويصير الأوجه حسب المعاني التي يراد بها في القراءة، فلا يزال يقلّبها بين هذه الوجوه النقلية واللغوية حتى يستقيم للقراءة الوجه والمعنى المقصود منها.

ثانيا- التوجيه في الاصطلاح:

(1) كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، وكتاب العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي.

(2) كتاب مصابيح السنّة لأبي محمد البغوي.

(3) تفسير الثعالبي، ج 1، ص 7-9.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 6، ص 89، والزبيدي، تاج العروس، ج 36، ص 546.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 556-557، والزبيدي، تاج العروس، ج 36، ص 543.

من التعريفات التي تُذكر:

1-التوجيه: جعل الكلام موجّهاً ذاً وجه ودليل⁽¹⁾.

2-التوجيه: بيان وجه الكلام ومعناه⁽²⁾.

الفرع الثاني: تعريف مصطلح القراءات في اللغة والاصطلاح

أولاً-القراءات في اللغة:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ: قرأ الشيء: جمعه وضّمه، أي ضمّ بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرأنا؛ أي جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض⁽³⁾، قال ابن الأثير: وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ. وَكُلُّ شَيْءٍ جَمَعْتَهُ فَقَدْ قَرَأْتَهُ⁽⁴⁾. وقرأ الشيء قرأنا بالضم أيضا جمعه وضمه⁽⁵⁾، وسميت القراءة قراءة؛ لأنّ القارئ يجمع الحرف مع الحرف فتكون الكلمة، والكلمة مع الكلمة فتكون جملة والجملة مع الجملة. فهو يقرأ يعني يجمع ذلك كله⁽⁶⁾.

ثانياً-القراءات في الاصطلاح:

ذكر العلماء لمصطلحات القراءات عدة تعاريف، منها:

1-اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما⁽⁷⁾.

2-مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع

(1)الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 248.

(2)الذهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، ص 101.

(3)الزبيدي، تاج العروس، ج 1، ص 370.

(4)ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 4، ص 30.

(5)زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ص 249.

(6)فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص 314.

(7)الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 318.

اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها⁽¹⁾.

وعلم القراءات هو: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة⁽²⁾.

ثالثا-تعريف مصطلح توجيه القراءات كمركب إضافي:

توجيه القراءات هو: بيان وجه القراءة ببيان عللها من حيث اللغة والمعنى⁽³⁾.

وأما توجيه القراءات كعلم فقد تعددت تعريفاته، نذكر منها:

1-علمٌ يُبيّن فيه دليل القراءة وتصحيحها من حيث العربية واللغة، ليعلم القارئ وجه القراءة⁽⁴⁾.

2-علم يُقصد منه تبين وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها⁽⁵⁾.

3-علم يُبحث فيه عن ماهية القراءات ببيان عللها وتوجيهها من حيث اللغة والإعراب⁽⁶⁾.

4-علم يُعنى ببيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير، وبيان المختار منها⁽⁷⁾.

الفرع الثالث: نماذج مختارة من توجيهات الإمام الثعالبي للقراءات في جواهره

كثرة النماذج وتنوعها تشير إلى مدى اهتمام الإمام الثعالبي بالقراءات وتوجيهها، وسأبرز هنا المعالم المنهجية في توجيهاته من خلال الأمثلة التي سأوردها.

أولا-توجيه القراءة بالسياق

الإمام الثعالبي هنا ينظر في وجوه القراءات، فيقوّي إحداها معتمدا في ذلك على السياق،

(1) محب الدين التّوري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ج 1، ص 3.

(2) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص 9.

(3) مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص 336. بتصرف.

(4) ابن عقيلة، الزيادة والإحسان، ج 4، ص 216.

(5) حازم سعيد حيدر، مقدمة تحقيق شرح الهداية، ص 18.

(6) أبو طاهر السندي، صفحات في علوم القراءات، ص 286.

(7) إبراهيم الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، ص 9.

ومن أمثلته: عند كلامه عن القراءات في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: 110]؛ حيث قال: "وقرأ نافع وحمزة والكسائي: «سَخِرِيًّا» بضم السين، والباقون بكسرهما، فقليل: هما بمعنى واحد ذكر ذلك الطبري. وقال ذلك أبو زيد الأنصاري: إنهما بمعنى الهُزء، وقال أبو عبيدة وغيره: إِنَّ ضَمَّ السِّنِّ مِنَ السُّخْرَةِ وَالِاسْتِخْدَامِ، وَكُسْرُهَا مِنَ السَّخْرِ وَهُوَ الْاسْتِهْزَاءُ"⁽¹⁾. ثم رجَّح الثعالبي التوجيه الثاني بقوله: "ومعنى الاستهزاء هنا أليق ألا ترى إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾"⁽²⁾.

كما رأينا فعل الإمام الثعالبي في هذا المثال؛ واعتماده السياق اللفظي من خلال لحاق الآية في اختياره للوجه الثاني من توجيه القراءة.

ثانيا- توجيه القراءة بالنظائر

اعتماد الإمام الثعالبي هنا على ما جاء في القرآن من نظائر، فتكون له السند في توجيه القراءة، ومن أمثلته: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 73]، فذكر القراءات في الآية: "قرأ الجمهور: «وإلى ثَمُودَ» بغير صُرْفٍ على إرادة القبيلة، وقرأ يحيى بن وثَّاب والأعمش: «وإلى ثَمُودٍ» بالصرْف على إرادة الحي، والقراءتان فصيحتان، مستعملتان، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود: 68]"⁽³⁾.

الإمام الثعالبي عند توجيهه للقراءتين في هذا الموضع استند إلى ما جاء في سورة هود من نظير هذه اللفظة، فهي كذلك فيه الوجهان والقراءات فيما فصيحتان إذا أُريد بها القبيلة لم يصرف، وإذا أُريد بها الحي صُرف.

ثالثا- توجيه القراءة بالرسم القرآني

(1) تفسير الثعالبي، ج 4، ص 165.

(2) المرجع نفسه، ج 4، ص 165.

(3) المرجع نفسه، ج 3، ص 48.

يعني أَنَّ الإمام الثعالبي يعتمد في توجيهه للقراءات على اختلاف الرسم في المصاحف، ومما يُذكر هنا من الأمثلة: عند إيراده لأوجه القراءة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِّنْ نَّحْ ثُمَّ نَىٰ نِي بِج بَح﴾ [الشورى: 30]، قال: "قرأ جمهور القُرَّاء: «قَبِمَا» بفاء، وكذلك هي في جُلِّ المصاحف، وقرأ نافع وابن عامر: «بِمَا» دون فاء..."⁽¹⁾.

في هذا المثال -كما رأينا- اعتمد الثعالبي عند توجيهه لقراءة الجمهور على ما ورد في رسم مصاحفهم.

رابعا- توجيه القراءة بالسنة

يراعي الثعالبي في توجيهه للقراءة هنا ما ورد من آثار في السنة، ومثاله ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19]، قال مبيناً أوجه القراءات فيها: "وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: «لَتَرْكَبُنَّ» -بضم الباء- والمعنى: لتركبنَّ الشدايد: الموت والبعث والحساب حالاً بعد حالٍ، و «عن» تعيُّ بمعنى «بعد» كما يقال: ورث المجد كإبراً عن كابرٍ، وقيل: غير هذا، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير: «لَتَرْكَبُنَّ» -بفتح الباء- على معنى أنت يا محمد، فقيل: المعنى حالاً بعد حالٍ من معالجة الكفار، وقال ابن عباس: سماءً بعد سماءٍ في الإسراء، وقيل: هي عِدَّة بالتَّصْرِ؛ أي لتركبنَّ أمر العرب قبيلاً بعد قبيل كما كان، وفي البخاري عن ابن عباس: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ حالاً بعد حال هكذا قال نبيكم صلى الله عليه وسلم"⁽²⁾.

يظهر من خلال المثال إيراد الثعالبي في توجيهه قراءة حمزة والكسائي وابن كثير في آخر كلامه قول ابن عباس الذي رواه البخاري بهذا اللفظ، والذي نستنتج من خلاله إسناد هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، كَأَنَّ ابن عباس سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم⁽³⁾.

(1) المرجع نفسه، ج 5، ص 161.

(2) تفسير الثعالبي، ج 5، ص 569-570.

(3) يقول ابن كثير: "وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فيكون قوله: "نبيكم" مرفوعاً على الفاعلية من "قال" وهو

خامسا-توجيه القراءة بالقراءة الشاذة

يُقصد به اعتماد الإمام الثعالبي هنا على ما ورد في معنى القراءة الشاذة، ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُوْبٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: 59]، فعند إشارته للقراءات في الآية قال: "وقرأ الجمهور: «عَلَى هُوْبٍ»، وقرأ عاصمُ الجَحْدَرِيُّ: «عَلَى هَوَانٍ»، ومعنى الآية: يُدْبِرُ، أَيْمِسْكُ هذه الأنثى على هوانٍ يتحمَّلُه، وهمّ يتجلَّد له، أَمْ يَنْدُهَا فيدفنُها حيّة، وهو الدسّ في التراب"⁽¹⁾.

الإمام الثعالبي في هذا الموضع ذكر القراءة المتواترة، ثم أردفها بالقراءة الشاذة التي جاءت كتفسير لها، وما يؤكّد ذلك ما جاء في المعنى الذي ذكره الثعالبي بعدها.

سادسا-توجيه القراءة بلغة العرب

التوجيه بلغة العرب أن يستند الإمام الثعالبي في توجيهاته للقراءات على ما جاء في لغات العرب، وهذا مثاله: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 8]، بعد بيانه لشطر الآية ذكر القراءات وتوجيهها، فقال: "وقرأ الجمهور: إِلَّا، وهو الله عزّ وجلّ قاله مجاهد، وأبو مجلّز، وهو اسمه بالسُّريانية، وعُرب. ويجوز أن يراد به العهد، والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني: «إِلَّا»"⁽²⁾.

نرى في المثال الذي بين أيدينا كيف اعتمد الثعالبي في توجيهه لقراءة الجمهور على ما ورد في لغات العرب من مرادفات لهذه اللفظة القرآنية.

سابعا-توجيه القراءة بالشعر

الإمام الثعالبي يعتمد في تقوية وجه القراءة بما جاء من أشعار العرب، ومن أمثلته:

الأظهر، والله أعلم، كما قال أنس: لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم". تفسير ابن كثير، ج 8، ص 359.

(1) المرجع نفسه، ج 3، ص 428.

(2) المرجع نفسه، ج 3، ص 165.

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10]، قال الثعالبي عند كلامه عن أوجه القراءة: "وقرأ الجمهور: «أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»، وهي عند سَيِّبَوَيْهِ «أَنْ» المخففة من الثقيلة، قال أبو الفتح: فهي بمنزلة قول الأعشى:

فِي فِتْيَةٍ كَسَيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنَّ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ"⁽¹⁾.

نرى في هذا المثال الذي بين أيدينا كيف اعتمد الثعالبي في تقويته لقراءة الجمهور على ما ورد في أشعار العرب.

خاتمة

قبل طَيِّ هذه الصفحات التي أشرنا فيها باختصار إلى بعض المعالم المنهجية في توجيه القراءات القرآنية عند الإمام الثعالبي أودّ ذكر أهم النتائج والتوصيات.

أولا- أهم النتائج:

1- تنوّع منهجيّ اعتمده الإمام في توجيه القراءات، بين التوجيه بالسياق، وبالسنة، وبلغة العرب، وبالقراءة الشاذة... ولو تتبعنا كامل التفسير لكان الوقوف على هذا التنوّع أكثر.

2- يغلب على منهج الثعالبي في تناوله للقراءات الاختصار، وهذا راجع للمنهج الأصل في تفسيره.

3- لم يكن الثعالبي مجرّد ناقل للأقوال في توجيهاته القرائية، بل كانت له اختيارات وترجيحات، كما رأينا في المثال الأول.

4- لم يقتصر الثعالبي في توجيهاته على القراءات المتواترة، بل شملت كذلك القراءات الشاذة.

ثانيا- أهم التوصيات:

1- التوسّع في دراسة توجيهات الإمام الثعالبي للقراءات، من خلال الرسائل الأكاديمية.

(1) تفسير الثعالبي، ج 3، ص 239.

2-دراسة توجهات الإمام الثعالبي للقراءات الشاذة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ت: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م.

- الأحمد نكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

- الثعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، دراسة وتحقيق: عيلان جلال، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمّد سماعي، جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة والقانون، 1432هـ، 1433هـ/ 2011م، 2012م.

- الدوسري، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات، دار الحضارة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ-2008م.

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م.

- التّوّيري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ت: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

- عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمّدادية، ط1، 1415هـ.

- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، 1423هـ-2002م.

- ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، عرّبته من الفارسية: سلمان الحسيني

- النَّدوي، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1407هـ-1986م.
- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ-1999م.
- ابن سلامة البسكري، لوامع الأسرار في منافع القرآن والأخبار مخطوط، مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- ابن عقيلة، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1427هـ-2006م.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.
- ابن ملك، شرح مصابيح السنة، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433هـ/2012م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- التَّنَبُكِّي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000م.
- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: عمّار الطّالبي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصّة: 2011م.
- الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ت: محمّد شايب شريف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.
- القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425هـ.

- المهدوي، شرح الهداية، ت: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ،
- زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ-1999م.
- شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، مرازقة، وبوداود وشركاهما، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1384هـ/1965م.
- فهد بن عبد الرحمن الرومي، دراسات في علوم القرآن، طبعة كاملة تشمل مقررات علوم القرآن الكريم في كليات الجامعات وفي كليات المعلمين والمعلمات وكليات البنات في المملكة، ط14، 1426هـ/2005م.
- محمد بن سعيد قدورة، جليس الزائر وأنيس السائر مخطوط، المكتبة الوطنية الجزائرية.
- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الشيخ صالح لعلي ومنهجه في التفسير

الحاج أحمد حموكروم

معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية غرداية

الملخص

لقد استرعى انتباهي كثرة المفسرين للقرآن الكريم في ولاية غرداية في القرن 21/20، وبمناسبة تنظيم جامعة غرداية ملتقى وطنيا حول التفسير والمفسرين في الجزائر اخترت أن أحدث عن علم من ولاية غرداية فسر القرآن الكريم في القرن 20 هو الشيخ صالح بن عمر لعلي ت 1928. وقد حرره بعنوان «القول الوجيز في تفسير كلام الله العزيز» لكنه لم يتمه بل توفي وتركه في أقل من ثلاثة أحزاب وهو ما يزال مخطوطا وقد ألفه من أجل أن يحقق به اختياراته الفكرية في الفقه والتفسير والحديث والأصول.

وقد اخترت له المنهج التحليلي المقارن لجمع معلومات الموضوع، ومن أجل عرض أفكار المداخلة قسمت الموضوع إلى ثلاثة مباحث: عرفت في المبحث الأول بالشيخ صالح لعلي في مراحل حياته، وعرفت في المبحث الثاني بمناهج المفسرين للقرآن. وأما المبحث الثالث فقد خصصته لإبراز منهج الشيخ صالح لعلي في تفسير القرآن الكريم بعد أن وضعت إشكالية البحث المتمثلة في السؤال: هل تفرد الشيخ صالح لعلي بمنهج خاص به أم اتبع من قبله من المفسرين في مناهجهم؟

وكان هدي في من اختيار هذا الموضوع هو:

تعريف الباحثين بعلم مغمور من أعلام التفسير.

الاستفادة من التراث الضخم الذي تركه أعلام المنطقة.

المساهمة في تنشيط الحركة الثقافية بالجامعة.

ولم أجد لهذا العلم دراسات سابقة عليه إلا ما صدرت من كتب لبعض مؤلفاته.

ومحاضرات في يوم دراسي وقع له عام 2010 مكتبته بني يزقن.

وأما المراجع والمصادر التي تبرز ترجمة حياته فهي كثيرة مثل ملحق السير للشيخ أبي اليقظان وكات معجم أعلام الإباضية لجمعية التراث ومقدمة كتاب متون دينية وكتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويض وكتاب أعلام الإصلاح في الجزائر للشيخ محمد علي دبوز. ومن الله استمد العون والتوفيق للقيام بالواجب في حق أعلام الجزائر، والسلام في البدء والختام.

الكلمات المفتاحية: الشيخ صالح لعللي - المنهج - التفسير.

I was drawn to the large number of Quranic exegetes in the Wilaya of Ghardaia during the 20th and 21st centuries. On the occasion of Ghardaia University organizing a national symposium on exegesis and interpreters in Algeria, I chose to speak about a scholar from the Wilaya of Ghardaia who interpreted the Quran in the 20th century, Sheikh Saleh bin Omar Laali d. 1928. He authored a work titled "*Al-Qawl al-Wajeez fi Tafsir Kalam Allah al-Aziz*" "The Concise Statement in the Interpretation of the Words of the Exalted God", but he did not complete it as he passed away, leaving it at less than three sections, and it remains a manuscript. He wrote it to articulate his intellectual choices in jurisprudence, exegesis, hadith, and principles of Islamic law.

I adopted a comparative analytical methodology to gather information on the topic. To present the ideas of the paper, I divided the subject into three sections: The first section introduces Sheikh Saleh Laali and the stages of his life; the second section discusses the methodologies of Quranic interpreters; and the third section is dedicated to highlighting Sheikh Saleh Laali's approach to Quranic interpretation after posing the research problem, which centers on the question: Did Sheikh Saleh Laali develop a unique methodology of his own, or did he follow the exegetical methods of those before him?

My objectives in choosing this topic were:

To introduce researchers to an obscure scholar among the prominent figures of Quranic exegesis.

To benefit from the vast heritage left by the region's scholars.

To contribute to invigorating the cultural movement at the university.

I found no previous studies focused on this scholar except for some books on parts of his writings, and lectures held during a study day at his library in Beni Izguen in 2010.

As for references and sources related to his biography, there are many, such as the *Siyar* supplement of Sheikh Abi Al-Yaqzan, the *Dictionary of Ibadi Scholars* by the Heritage Association, the introduction of *Mutun Diniya*, the *Dictionary of Algerian Scholars* by Adel Nouihidh, and *The Reformist Figures in Algeria* by Sheikh Mohammed Ali Debouz.

I seek help and success from God to fulfill the duty towards the renowned figures of Algeria. Peace at the beginning and the end.

مقدمة

لقد استرعى انتباهي كثرة المفسرين للقرآن الكريم في ولاية غرداية في القرن 20/21، وبمناسبة تنظيم جامعة غرداية ملتقى وطنيا حول التفسير والمفسرين في الجزائر اخترت أن أتحدث عن علم من ولاية غرداية فسر القرآن الكريم في القرن 20 هو الشيخ صالح بن عمر لعلي ت 1928. وقد حرره بعنوان «القول الوجيز في تفسير كلام الله العزيز» لكنه لم يتمه بل توفي وتركه في أقل من ثلاثة أحزاب وهو ما يزال مخطوطا وقد ألفه من أجل أن يحقق به اختياراته الفكرية في الفقه والتفسير والحديث والأصول.

وقد اخترت له المنهج التحليلي المقارن لجمع معلومات الموضوع، ومن أجل عرض أفكار المداخلة قسمت الموضوع إلى ثلاثة مباحث: عرفت في المبحث الأول بالشيخ صالح لعلي في مراحل حياته، وعرفت في المبحث الثاني بمناهج المفسرين للقرآن. وأما المبحث الثالث فقد خصصته لإبراز منهج الشيخ صالح لعلي في تفسير القرآن الكريم بعد أن وضعت إشكالية البحث المتمثلة في السؤال: هل تفرد الشيخ صالح لعلي بمنهج خاص به أم اتبع من قبله من المفسرين في مناهجهم؟

وكان هدفي من اختيار هذا الموضوع هو:

تعريف الباحثين بعلم مغمور من أعلام التفسير.
الاستفادة من التراث الضخم الذي تركه أعلام المنطقة.
المساهمة في تنشيط الحركة الثقافية بالجامعة.
ولم أجد لهذا العلم دراسات سابقة عليه إلا ما صدرت من كتب لبعض مؤلفاته.
ومحاضرات في يوم دراسي وقع له عام 2010 مكتبته بني يزقن.

وأما المراجع والمصادر التي تبرز ترجمة حياته فهي كثيرة مثل ملحق السير للشيخ أبي اليقظان وكات معجم أعلام الإباضية لجمعية التراث ومقدمة كتاب متون دينية وكتاب معجم أعلام الجزائر لعادل نويمض وكتاب أعلام الإصلاح في الجزائر للشيخ محمد علي دبوز.

المبحث الأول: الشيخ صالح بن عمر لعللي⁽¹⁾ في مراحل حياته:

في البداية أعرف بحياة الشيخ صالح بن عمر لعللي في ترجمة مختصرة عن حياته.

المطلب الأول: مولده ونشأته:

في سنة 1287هـ/1870م ولد الشيخ صالح بن عمر بن داود بن الحاج صالح بن إبراهيم اللقب العائلي «لعللي» في مدينة بني يزقن، بلدية بنورة ولاية غرداية شمال الصحراء الجزائرية. وينتهي نسبه إلى عشيرة آل دادي باحمد من عشائر بني يزقن عرش آت موسى.

والده: هو السيد عمر بن داود يمارس التجارة في بني يزقن، توفي سنة 1331/1912.

أمه: هي السيدة لالة بنت يوسف بن عدون وينتن من بني يزقن من النساء المشهود لها بالخير والصلاح، ربّت ابنها مع إخوته الثلاثة تربية إسلامية صحيحة.

ولعل الحادث المميز له في هذه الفترة هو فقدته لبصره بسبب مرض الجدري عام 1875.

المطلب الثاني: تعلمه وشيوخه

(1) - لخصت هذه الترجمة من عدة مصادر: معجم أعلام الإباضية، مقدمة متون دينية، مقدمة شرح خلاصة المراقي

للشيخ حفار «مخطوط»

في سنة 1875 أدخله أبوه المدرسة القرآنية التابعة لمسجد بني يزقن، وبعد أربع سنوات استظهر القرآن الكريم على يد جده الثاني الحاج صالح بن إبراهيم لعلّي.

ثم تفرغ لدراسة علوم الشريعة واللغة العربية وغيرها عند:

خاله الحاج سعيد بن يوسف وينتن

خاله الحاج عمر بن يوسف وينتن

خال جده الحاج محمد بن عيسى أزيار

ابن خاله الحاج صالح بن الحاج سعيد وينتن

قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش ت 1914/1332.

الشيخ ابن دريسو امحمد بن سليمان ت 1895/1313.

أخذ عنهم علوماً كثيرة مثل: التفسير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث والعقيدة والفقه والتاريخ واللغة وأصول الفقه والعروض وعلم المنطق وغيرها.

المطلب الثاني: جهاده التربوي

التدريس: لقد ساهم الشيخ صالح لعلّي في أداء رسالة التربية والتعليم قبل العشرين من عمره ابتداء من داره في بني يزقن إلى أن انتهى به المطاف في مسجد بني يزقن فدرس رواد مدارس التفسير والعقيدة والفقه والحديث والتجويد والتاريخ واللغة العربية وغيرها.

تنشيط حلقة إروان: «إروان» جمع «إيرو» أي حامل كتاب الله تعالى وهو رديف حلقة العزابة في المسجد، تعنى بتدريس العلوم الشرعية في مقر خاص لهؤلاء التلاميذ على يد «عريف» وهو شيخ خاص أو شيخ الحلقة في المسجد.

وقد قام الشيخ بالتدريس في الحلقة منذ 1916 إلى حين وفاته مع تصحيح التلاوة وحفظ المتون.

إنشاء المدرسة النظامية: هي «المحضرة» تطورت إلى «مدرسة الرشاد» ثم إلى المدرسة «الجابرية» القرآنية الحرة في بني يزقن.

الوعظ والإرشاد: عندما ترأس الشيخ صالح لعلّي حلقة العزابة عام 1916 أصبح يتصدر المجالس في المناسبات داخل المسجد وخارجه يعظ الناس ويرشدهم.

الفتوى: تولى مشيخة المسجد فأصبح مرجع الفتوى لدى جميع وادي مزاب يجيب على أسئلة الفتوى وحل نوازلهم الدينية.

المطلب الثالث: جهاده الاجتماعي:

برز شيخنا بمهام اجتماعية كثيرة أذكر منها:

إصلاح ذات البين

بناء المقر العام لجمع أفراح البلدة وهي «الحجبة»

تنظيم أوقات المسجد

تطوير مرافق المسجد مثل حفر بئر للطهارة وتجديد الميضاة.

المطلب الرابع: جهاده السياسي:

إضافة إلى إعلان مقاطعة الاستعمار الفرنسي في جميع السلع والسلوكات فإن الشيخ صالح لعلي فتح داره سنة 1919/1338 كبرلمان مفتوح لمناقشة الحلول الناجعة لرفض فكرة التجنيد الإجباري للجزائريين والاحتجاج عليها في الجيوش الفرنسية، وخاصة الشباب المزابي الذين لا يعنهم هذا القانون بسبب معاهدة الحماية لعام 1853 م.

المطلب الخامس: آثاره العلمية

مؤلفاته: لقد ساهم الشيخ صالح لعلي في الحركة العلمية حيث ترك مؤلفات عديدة تشهد له بالتمكن العلمي نذكر منها:

القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز

تفسير معاني أسماء سور القرآن الكريم

حاشية على مسند الربيع بن حبيب

حاشية على عقيدة العزابة

حاشية على كتاب السؤالات للسوفي

حاشية على قواعد الإسلام للجيطالي

حاشية على كتاب الإيضاح للشماخي

حاشية على كتاب النيل للثميني

- حاشية على ترتيب لقط الثلاثي
- حاشية على كتاب الصوم للجناوني
- حاشية على كتاب الوضع للجناوني
- القول الفصل في شرح مختصر العدل للشماخي
- حاشية على كتاب المقصد النافع لبغية الناشئ والبارع في شرح الدرر اللوامع.
- شرح شواهد شرح ألفية ابن مالك
- شرح على بعض قصائد دعائم ابن النظر
- خلاصة المراقي في الفقه للصبيان
- مراقي العوام إلى معرفة مبادئ الإسلام
- خلاصة في الحيض وأحكامه
- فتاوى وأجوبة
- قصائد في مدح الرسول ص
- البراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة
- كشف القناع عن مسائل وقع فيها النزاع
- كشف اللثام عن أغراض بعض اللثام.
- رسالة الوصايا الثمانية للعزابة
- التنبيهات الأربعون في الرد على من قال بكل بلد ورؤيتها ولو تقاربت.
- مكتبته:
- لقد ترك الشيخ صالح لعلي مكتبة ثرية بالمخطوط والمطبوع وهي مصورة رقمياً ومفهرسة ومنظمة ومفتوحة لجمهور الباحثين.
- تلاميذه:
- لقد تخرج في حلقات الشيخ لعلي علماء كثيرون أذكر منهم:
- بابانو محمد بن يوسف ت 1988
- الشقمة محمد بن إبراهيم
- الحاج سعيد محمد بن باحمد العطفي ت 1990

الشيخ حافي بن الحاج محمد ت 1975

شريف عمر بن بكر ت 1995

قضي بكير بن إبراهيم ت 1928.

رحلاته:

لقد كان الشيخ لعل يرحل إلى الحواضر العلمية مثل قسنطينة، البقاع المقدسة، تونس، القاهرة، الجزائر العاصمة.

وفاته:

بعد هذا النشاط المتواصل في سبيل العلم والدين اختاره الله إلى جواره الكريم يوم السبت 27 ربيع الثاني 1347/13 أكتوبر 1928 م، ودفن في مسقط رأسه بني يزقن رحمه الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه.

أخلاقه ومميزات شخصيته:

لقد امتاز الشيخ لعل بأخلاق عالية رفعت قدره فتبوأ مكانة مرموقة في المجتمع أذكر منها:

التواضع، الزهد والورع، الجد والإخلاص، الاهتمام بأمور المسلمين، الشورى، الغيرة على حرمة الله.

المبحث الثاني: مناهج المفسرين⁽¹⁾:

ما يزال العلماء يفسرون القرآن الكريم بمناهج مختلفة منذ القرن الأول الهجري من أجل إبلاغ كلام الله تعالى صحيحا كما أنزل أول مرة على النبي محمد «ص».

المطلب الأول: أقسام المفسرين: يمكن تقسيمها إلى قسمين هما:

(1) - دليلة خيزي: اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية الجزائر، ط1، دار الإمام مالك، البليدة، نشر جمعية التراث القرارة، 2024.

التفسير المأثور:

وهو التفسير الذي يعتمد على الرواية المسندة إلى السابقين من المحدثين مثل تفسير الدر الثمين للشيخ الدكتور تواتي بن تواتي الذي يعتمد على تحليل الأحكام الشرعية بآراء العلماء والأحاديث وشواهد اللغة العربية وقبله تفاسير القطب اطفيش الذي اعتمد فيه على الرواية المأثورة عن الرسول «ص» والصحابة وشواهد اللغة العربية بطريقة موسعة في تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد وتفسير داعي العمل ليوم الأمل، وبصفة مختصرة في تفسير رغم أنه كان ينقد هذه الروايات ويخضعها للتأويل والتحقيق وتفسير اليمن والبركة للشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو.

التفسير بالرأي

وهي طريقة اختارها علماء الإسلام من أجل تجنب الكذب على رسول الله «ص» عند الوقوع في رواية غير مقبولة فيقدمون آراءهم وآراء العلماء وأقوال المذاهب الإسلامية مثل تفسير في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بيوض الذي يعتمد فيه على آرائه الخاصة وآراء العلماء ولا يستعمل الحديث إلا عرضا.

وتفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ محمد سعيد كعباش حفظه الله فهو ينقد الروايات القديمة ويتحرز منها حتى لا يجمد المعنى في معنى معين ولا يتجدد، ويعتمد كثيرا على تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: أصناف المفسرين

ويمكن تصنيف هؤلاء المفسرين إلى مجموعتين هما:

مجموعة التفسير الشفهي:

لقد برز بعض المفسرين في التفسير الشفهي وهو تقديم التفسير في حلقة علم بالمسجد أمام الجمهور من الرجال والنساء أو في حلقة علم أمام الطلبة في المعهد أو الزاوية ويعتمد على حافظته وذكائه ولا يكتب منه شيئا مثل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض والشيخ إبراهيم

بن بكير حفار والشيخ محمد بن أيوب صدقي والشيخ الحاج محمد بن باحمد باباوموسى فيعتمد على:

الأسلوب المبسط:

مثل الترجمة الحرفية لمعاني الآيات باللغة الأمازيغية أو اللغة الدارجة المستعملة في السوق لكي يفهم أقصى عدد ممكن من المستمعين.

الإصلاح الاجتماعي:

وهو أن يقوم المفسر باستغلال فرص الآيات القرآنية لإسقاط معانيها على واقع الناس في المجتمع لإصلاح النفوس والتحفيز على التوبة من الذنوب والخطايا. تجنب الردود:

فهؤلاء المفسرون لا يشتغلون بالردود العلمية على المفسرين السابقين إلا بالقدر الذي يرجح رأيا معيناً لتوضيح الفكرة المختارة في الآية.

الأسلوب المقارن:

يلجأ المفسر أحيانا للأسلوب المقارن بين مجتمع الصحابة الطائعين للقرآن والرسول «ص» ومجتمعه الذين يعصون الله تعالى والرسول «ص» وعواقب ذلك على الفرد والمجتمع. استغلال أجهزة التواصل:

نجد المفسر يهتم بالتسجيل بالصوت والصورة.. وإرسال الحصة عبر أجهزة التواصل الالكترونية لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الناس عن بعد.

مجموعة التفسير المكتوب:

هؤلاء المفسرون يعتمدون على ضبط منهج معين للكتابة والتحرير الأدبي للتفسير بعد إلقائه شفها أمام الناس أو من دون إلقائه أمام الجمهور بكثرة مهامهم الاجتماعية فنجد من هذه المجموعة الشيخ محمد سعيد كعباش يجمع بين الحسنيين فيقدمه شفها للناس بعد أن يحرره في كراريس بمنهجية موحدة بين جميع السور والآيات، ومثاله تفسير اليمن والبركة للشيخ محمد ابن ادريسو اليزقي .

بينما نجد الشيخ إبراهيم بيوض يهتم بالشفهي دون الكتابة وإنما يهتم بالكتابة والتلخيص تلاميذه في المسجد والتحرير من آلات التسجيل الصوتي مثلما فعل الشيخ الناصر

المرموري والأستاذ الشيخ بلحاج عيسى بن محمد مع تفسير الشيخ بيوض "في رحاب القرآن"

المبحث الثالث: منهج التفسير عند الشيخ صالح لعلي:

المطلب الأول: وصف مضمون التفسير:

الشيخ صالح بن عمر لعلي لم يفسر القرآن الكريم كاملاً بل فسر الجزء الأول من القرآن وخمسة أثمان أي سورة الفاتحة كاملة مع 182 آية من سورة البقرة وهو مجموع 21 ثمناً بعد مقدمة التفسير حيث توقف في ختام آية الوصية.

مجموع الأوراق: 335 ورقة

المقدمة: 07 أوراق

سورة الفاتحة: 22 ورقة

سورة البقرة: 306 أوراق

خط مغربي واضح بخط كاتب المؤلف وناسخه الخاص: قضي بكير بن إبراهيم.

والمقدمة تتضمن المواضيع الآتية:

التعريف بالقرآن الكريم

التعريف بالقراءات المتواترة

عدد آيات القرآن وسوره وحروفه

فضائل القرآن الكريم.

تعريف التفسير والتأويل

حكم الاستعاذة في تلاوة القرآن الكريم

حكم الوقف بين الاستعاذة والبسملة والآيات

عنوان الكتاب:

العنوان الذي وضعه المؤلف لكتابه هو: «القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز»

وقد ألفه الشيخ صالح لعلي قبل عام 1925 لأنه ذكره في سيرة ذاتية له وبين أنه كتاب يعتمد عليه في التدريس في حلقاته.

المطلب الثاني: منهج الشيخ صالح لعلي في التفسير:

لم يتميز الشيخ لعلي في تفسيره بمنهج جديد عن مناهج المفسرين القدامى بل سلك منهج التفسير بالمأثور.

وبعد مقدمة تعريفية بالسورة نجد الشيخ لعلي يرتب تفسير كل آية على هذا المنهج التحليلي الاستنباطي:

النص القرآني: تتبع جميع التفسير فلم أجد النص القرآني يتجاوز الآية مثل قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم»⁽¹⁾ [البقرة: 7] كما أنه طبعا لا يقل عن الكلمة الواحدة.

المعنى اللغوي للكلمات: لا يغفل الشيخ لعلي عن التعريف اللغوي للكلمات من القواميس ومن التفاسير التي يرجع إليها.

المعنى الاصطلاحي للكلمات: يتعرض الشيخ لعلي للمعنى الاصطلاحي لكثير من الكلمات التي تحولت من حقيقة لغوية إلى حقيقة شرعية إلا أنه لا يتقيد أن يذكره قبل المعنى اللغوي أو بعده.

أوجه القراءات: نجد الشيخ لعلي يتبع أوجه القراءات المتواترة والشاذة في الكلمة القرآنية ولا ينفك عن ذكرها كلما وجد إلى ذلك سبيلا.

إعراب الجمل والكلمات: في أكثر الآيات يفيد الشيخ قراء تفسيره بمختلف أوجه الإعراب والصرف لكلمات الآية وجملها حتى يكون الربط واضحا بين كلمات الآية وجملها.

تدعيم اختياراته بأراء المفسرين: يختار الشيخ لعلي من آراء المفسرين ما يدعم اختياراته من مصادره، وهذا طبعا إذا اقتضى ذلك توسعا في معنى من المعاني القرآنية أو

(1) - صالح لعلي: القول الوجيز، ص 93.

نقدها بما يتناسب ومقاصد القرآن ولا يتعارض مع النصوص الشرعية الصحيحة.
الترجيح بين الآراء الفقهية والعقدية: عندما يناقش الشيخ لعلي مسألة من المسائل الفقهية أو العقدية فإنه يعدد الآراء المروية في المسألة ويرجح بينها حسبما تقتضيه الأدلة القوية عنده. نجده مثلا يرجح تلاوة البسملة في الفاتحة والسورة سرا وجهرا في الصلاة ويستشهد لذلك بأحاديث نبوية تؤيد الحكم الشرعي في ذلك⁽¹⁾.

توضيح العبرة المستخلصة من القصة: بعد إتمام قصة ذبح بقرة بني إسرائيل يصرح الشيد بالفوائد المستخلصة من القصة ويختار لذلك استنتاجات الإمام الزمخشري في كشفه فيقول: «قال الزمخشري: فإن قلت: هلا أحياء ابتداء؟ ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت: في الأسباب والشروط حكم وفوائد⁽²⁾». ثم أجاب الزمخشري بذكر عده فوائد مهمة منها ما يلي:

في ذبح البقرة ثواب جزيل وأداء للتكليف
 إظهار لطف الله تعالى بالمشددين على أنفسهم وعلى غيرهم.
 وجوب امتثال أوامر الله تعالى بالمسارعة إلى الامتثال من غير سؤال.
 يجوز نفع اليتيم بالتجارة الرباحة.
 التعرف على بركة البر بالوالدين
 معرفة الهازئ بأوامر الله
 الأفضل والأمثل هو التقرب إلى الله بما هو أكمل وأعلى.
 نسخ الأحكام جائز قبل الفعل.
 الزيادة في الخطاب نسخ له.
 الاطلاع على آية من آيات الله وهو جواز وقوع الحياة من أموات⁽³⁾.
 ذكر أسباب النزول: لقد اهتم الشيخ لعلي بذكر أسباب النزول في كل آية تقتضيه معانيها، وربما يورد لذلك عدة روايات لتقوية المعاني.

(1) - صالح لعلي: القول الوجيز، ص 96، 97 من هذا البحث

(2) - الزمخشري: الكشف، ج 1، ص 289.

(3) - صالح لعلي: القول الوجيز، ص 162.

الاستشهاد بتفسير الصحابة: يعتمد الشيخ لعللي كثيراً على تفسير الصحابة لأنهم تلاميذ مدرسة الرسول «ص» وهم صانعو حياة الوحي القرآني، كما أن الوحي نزل بلغتهم فهم أولى الناس بفهمه فهما أقرب إلى الحق من غيرهم، ومثال ذلك نجده في نهاية سورة الفاتحة حيث أورد الشيخ لعللي روايات عديدة عن معنى «المغضوب عليهم» و«الضالين» فختمه قائلاً: «والمعتمد عليه هو الأول لأنه كما تقدم تفسير النبي «ص» وأكابر الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير»⁽¹⁾.

أسلوب الترقيم: وإذا تشعبت الآراء في المسألة الواحدة فإن الشيخ لعللي يلتجئ إلى أسلوب الترقيم لترتيب المعاني وضبطها كما فعل في تفسير بعض معاني سورة الفاتحة مثل تعدد قراءات كلمة «إياك»⁽²⁾.

ذكر الرأي المختار: لم يبرز الشيخ باجتهادات جديدة في تفسير الآيات القرآنية. وإنما يختار بذلك الرأي الذي يراه صواباً مما ينقله من آراء العلماء التي يعرضها ويربط بينها بذلك. وأحياناً يلخصها تلخيصاً مفيداً. وربما أهم ما يوضح اختياراته هي كلمة «قلت» التي يوظفها من حين لآخر في مختلف السور والآيات.

وقد أحصيت منها عشر مواضع في التفسير فوجدتها متنوعة بين تخريج حديث وإعلان عن رأي المذهب الإباضي في الموضوع وإعطاء دليل واستدراك رأي سابق بما يؤيده أو يصححه، مثاله:

«قلت: وحديث عمر ذكره في الجامع الصغير من تخريج الطبراني في الأوسط عنه»⁽³⁾.

المطلب الرابع: أهمية تفسير الشيخ لعللي:

يقول الدكتور مصطفى وينتن:

«إن أهمية هذا التفسير تظهر من جوانب متعددة، من خلال ما تضمنه من مادة علمية ومنهج المؤلف فيه، فهو يدل على سعة اطلاع الشيخ لعللي، وعلى منهج علمي دقيق وظفه في

(1) - صالح لعللي: القول الوجيز، ص 55.

(2) - صالح لعللي: القول الوجيز، ص 47.

(3) - صالح لعللي: القول الوجيز، ص 208.

التأليف اتسم بتوثيق المعلومة، وتتبع الأقوال بل واستقصائها أحيانا كثيرة، إضافة إلى قوة في عرض الرأي الخاص بالشيخ مع تعضيده بالدليل والاستشهاد.

كما اتسم في الغالب بتوخي الروح العلمية وخلق العالم مع من يخالفه الرأي، فهو يصرح بنقله ونصوصها الكاملة مرجعا إلى مصادره في الغالب» ثم يختم هذه الفقرة قائلا: «فقد وقفنا على تفسير إباضي بالمأثور بكل معنى هذا المصطلح»⁽¹⁾.

إضافة إلى هذا فإننا إذا تأملنا هذا التفسير فإننا نجد يجمع أبعادا حضارية قوية مثل: البعد الاجتماعي والبعد العلمي والبعد المذهبي والبعد التربوي والبعد الفقهي والبعد الإيماني والبعد الأدبي.

خاتمة في نتائج البحث:

وبعد هذه الجولة في حياة الشيخ صالح لعلي ودراسة تفسيره خلصت إلى نتائج تفيد صحة الفرضيات التي وضعتها في المقدمة وهي:

الشيخ لعلي يحاول الجمع بين مدرسة التفسير بالمأثور ومدرسة التفسير بالرأي، ولكن غلب عليه الميل إلى التفسير بالمأثور.

كان له اطلاع واسع على التفاسير القديمة والحديثة ويستفيد منها كثيرا، وإذا اقتضى الأمر بمعارضتها أو تأييد رأيها فإنه لا يخفي ذلك ويحيل عليها بكل موضوعية.

يعلن الشيخ لعلي عن آرائه بكل موضوعية، ولا يخشى النقد من غيره لأنه يؤمن بأفكاره ومتيقن من اختياراته.

لقد وفق الشيخ لعلي في توظيف علوم القرآن توظيفا مفيدا يدعم معنى الآيات ويكمله في مختلف اتجاهات التفسير التي تعرض لها الشيخ في كتابه.

وإلى هنا يتوقف قلبي عن البحث والدراسة في حياة هذه الشخصية العلمية المغمورة والتي تعرفنا على جهودها العلمية والاجتماعية والفكرية. كما تعرفنا على الخطوط العريضة

(1) - د. مصطفى وينتن: تقديم تفسير القول الوجيز للشيخ صالح لعلي «أعمال اليوم الدراسي، ص 172»

من منهجه في التفسير وأحطنا ببعض أسلوبه في التأويل. والله من وراء القصد والسلام.

المصادر والمراجع

- جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ط 1، المطبعة العربية عام 1999.
- الشيخ صالح لعلي وإبراهيم حفار: متون دينية، تصحيح عمر عبد الرحمن، ط 1، مطابع الفكر الإسلامي، 1966
- الشيخ صالح لعلي: القول الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق المقدمة والفتحة، تحقيق أحمد حمو كروم، بحث ماجستير مرقون عام 2016.
- مصطفى وينتن: أعمال يوم دراسي حول شخصية الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي 25 ديسمبر 2010، نشر مكتبة الشيخ صالح لعلي وعشيرته.

الشيخ يحيى الشاوي المفسر الجزائري ومنهجه في التفسير -دراسة وصفية تحليلية في منهجه ومؤلفاته-

د. مختار بن حسين قديري

جامعة الوادي الجزائر

الملخص

يتناول هذا البحث التعريف بعلم من أعلام التفسير في الجزائر وهو الشيخ يحيى الشاوي النائلي وبيان منهجه في التفسير من خلال آثاره العلمية التي خلفها، والتي لا يزال الكثير منها في خزائن المخطوطات العالمية تنتظر من يخرجها للنور.

فرغم هذه الجهود العلمية التي قدّمها الشيخ يحيى الشاوي في خدمة التراث التفسيري الجزائري؛ إلا أن الكثيرين يجهلونه ويجهلون جهوده، لذا أردت من خلال هذا البحث طرح الإشكال الرئيس الآتي: ما هي القيمة العلمية لإسهامات الشيخ يحيى الشاوي في علم التفسير، وما معالم منهجه فيه؟.

للإجابة على هذا الإشكال قسّمت هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تناولت في الأول التعريف بالمفسر الجزائري الشيخ يحيى الشاوي، وفي الثاني التعريف بمؤلفاته في التفسير، وجعلت الأخير لبيان معالم منهجه في التفسير.

الكلمات المفتاحية: الشيخ يحيى الشاوي - مناهج التفسير - الجهود التفسيرية - التراث التفسير في الجزائر

Abstract

This study introduces one of Algeria's prominent Qur'anic exegetes, **Sheikh Yahya al-Shawi al-Na'ili**, and examines his exegetical methodology through the lens of his scholarly works. Many of these works are still preserved in manuscript collections across the world, awaiting critical editing and publication.

Despite the valuable contributions that Sheikh Yahya al-Shawi made in serving the exegetical heritage of Algeria, and the broader Islamic scholarly tradition, his efforts and legacy remain unfamiliar to many. Accordingly, this research raises the following central question: What is the scholarly significance of Sheikh Yahya al-Shawi's contributions to Qur'anic exegesis, and what are the defining features of his exegetical methodology ?

To address this question, the study is structured into three main sections:

A biographical overview of Sheikh Yahya al-Shawi.

An outline of his exegetical writings.

An analysis of the main characteristics of his exegetical approach.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على أشرف المرسلين، سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، وتابعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أمّا بعدُ:

فإنّ علم التفسير يُعدّ من أجَلِّ العلوم الشرعية وأرفعها قدراً، إذ به تُفهم معاني القرآن الكريم وتُستنبط أحكامه، وقد حظي هذا العلمُ باهتمام بالغ من قبل علماء الأمة في مختلف أقطارها، وكان للعلماء الجزائريين فيه إسهام وافر لا يقل شأنًا عن إسهامات غيرهم من علماء العالم الإسلامي.

وفي هذا السياق تأتي مشاركتي في المؤتمر العلمي الوطني الموسوم بـ "إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية: التفسير والمفسرون"، المنظم من قبل كلية العلوم الإسلامية بجامعة غرداية يومي: 17-18 نوفمبر 2025م.

وقد وقع اختياري على البحث الموسوم بـ "الشيخ يحيى الشاوي الجزائري ومنهجه في التفسير"، قصد التعريف بعلم من أعلام الجزائر الكبار الذين تركوا بصمة بارزة في علم التفسير، وهو الشيخ يحيى الشاوي النائلي الملياني الجزائري، الذي انتشرت مؤلفاته في

المشرق والمغرب، وأضحت مراجع معتمدة في خدمة كتاب الله عز وجل.

ورغم هذه الجهود العلمية القيّمة التي بذلها الشيخ في خدمة التراث التفسيري الجزائري والإسلامي، فإن شخصيته ما زالت غير معروفة لدى كثير من الباحثين، ممّا يدفع إلى طرح الإشكال الرئيس الآتي:

أن الكثيرين يجهلون ويجهلون جهوده، لذا أردت من خلال هذا البحث طرح الإشكال الرئيس الآتي: ما هي القيمة العلمية لإسهامات الشيخ يحيى الشاوي في علم التفسير، وما معالم منهجه فيه؟.

وتبرز أهمية هذا البحث في كونه يسهم في خدمة التراث التفسيري الجزائري من خلال التعريف بالمفسرين الجزائريين وجهودهم، وإبراز معالم مناهجهم في التفسير، بما يثري الدراسات القرآنية ويُعزز حضور المدرسة التفسيرية الجزائرية في الساحة العلمية.

هذا وقد قسّم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول تناولت فيه التعريف بالمفسّر الجزائري يحيى الشاوي، والثاني للتعريف بمؤلفاته في علم التفسير، أما الثالث والأخير فخصصته لبيان معالم منهجه في التفسير، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التعريف بالمفسّر الجزائري الشيخ يحيى الشاوي

يتضمّن هذا المبحث التعريف بالمفسّر الجزائري الشيخ يحيى الشاوي، وذلك من خلال التعريف بحياته الشخصية والعلمية.

أولاً: حياته الشخصية:

هو أبو زكرياء يحيى بن مُحَمّد بن مُحَمّد بن عبد الله بن عيسى بن شبل بن أبي البركات⁽¹⁾

(1) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا ت 1339 هـ، وكالة المعارف بإسطنبول، 1951-

1955 م، ج 2، ص 533.

النائلي⁽¹⁾، الملياني⁽²⁾، الجزائري، المالكي⁽³⁾، الشهير بـ الشاوي، وهي تسمية لا نسبة⁽⁴⁾.

أشارت المصادر التي ترجمت للإمام الشاوي أنه وُلد بمدينة مليانة، غير أنها اختلفت في تحديد سنة مولده، ف قيل إنه ولد سنة 1030هـ⁽⁵⁾، وقيل سنة 1041هـ⁽⁶⁾، والأقرب أن ميلاده كان في أوائل القرن الحادي عشر الهجري 11هـ⁽⁷⁾.

تنسب أسرة الشاوي من قرية مليانة، التي لم تكن آنذاك مركزاً علمياً بارزاً، وإن وُجدت بها بعض المحاضر العلمية المحدودة؛ كزاوية أهلول المجاجي التي كانت مشهورة بعلمائها وطلابها، مما جعلها مقصداً لطلبة العلم، ومنهم: الشيخ يحيى الشاوي، حيث بدأ تعليمه فيها وفق الطريقة المتبعة عندئذ في الكتابيب من حفظ القرآن الكريم وحفظ المتون الأساسية وتعلّم مبادئ العلوم على يد شيخه محمد بن محمد أهلول⁽⁸⁾.

لقد كان شغف الشاوي بالعلم دافعاً له إلى الرحلة في طلبه، فانتق أولاً إلى تلمسان، حيث أخذ عن كبار علمائها، وفي مقدمتهم الشيخ سعيد المقري، ثم ارتحل إلى الجزائر العاصمة ليتلمذ على خيرة علمائها، مثل: الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري، والشيخ سعيد قدورة، والشيخ عيسى الثعالبي.

(1) نسبة إلى قبيلة أولاد نايل بالقطر الجزائري يُنظر: فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتانيت 1382هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 2، 1982م، ج 2، ص 1132.

(2) نسبة إلى قبيلة أولاد نايل بالقطر الجزائري يُنظر: فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتانيت 1382هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1982م، ج 2، ص 1132.

(3) نسبة لانتسابه للمذهب المالكي يُنظر: فهرس الفهارس، ج 2، ص 1132، وهدية العارفين، ج 2، ص 533.

(4) نسبة إلى مكان ولادته مدينة مليانة بالغرب الجزائري يُنظر: فهرس الفهارس، ج 2، ص 1132.

(5) يُنظر: هدية العارفين، ج 2، ص 533.

(6) يُنظر: تاريخ الجزائر العام، ج 3، ص 173.

(7) يُنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 103.

(8) يُنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 103.

وخلال إقامته بالجزائر، تلقى علوما متنوعةً، من أهمها: التفسير والتوحيد، الحديث، الفقه، النحو، وعلم المنطق، وقد برع في هذا الأخير خصوصا على يد شيخه عيسى الثعالبي، ليتصدر بعدها للتدريس بمدينة الجزائر في الفترة الممتدة من 1057هـ، و1074هـ، وهو تاريخ رحلته للمشرق⁽¹⁾.

تُوِّفِّي الإمام يحيى الشاوي يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول سنة 1096هـ الموافق 9 فبراير 1685م، وذلك أثناء سفره للحج على متن سفينة الحجيج. ولشدة البعد عن البر همّ الملاحون بإلقائه في البحر، غير أنّ عاصفة شديدة أرغمتهم على الرسو في موضع يُعرف بـ"رأس أبي محمد"، حيث دُفن هناك أولا. ثم نُقل جثمانه لاحقا على يد ابنه الشيخ عيسى إلى مصر، ودُفن بالقرافة الكبرى في تربة السادة المالكية، فكان مثواه الأخير. وبعد وفاته بستة أشهر فقط لحق به ابنه عيسى، فدُفن بجواره. رحمهم الله تعالى⁽²⁾.

ثانيا: حياته العلميّة

بعد أن تصدّر للتدريس في الجزائر بين سنتي 1057 و1074هـ، ولم يجد فيها ما يروي طموحه العلمي، شدّ الشاوي الرحال إلى المشرق. فبعد أداء فريضة الحج استقرّ بمصر سنة 1074هـ، حيث أخذ عن كبار علمائها كالشيخ سلطان المزاحي ت: 1057هـ، والشيخ شمس الدين البابلي ت: 1077هـ، والشيخ نور الدين الشبرايملي ت: 1087هـ⁽³⁾، وتولّى إفتاء المالكية والتدريس في الأزهر، فدرّس الفقه والنحو والعقيدة والمنطق، كما درّس في مدارس الأشرطية والسليمانية والصرغتمية، وتلمذ عليه هناك علماء بارزون، مثل: وزين الدين بن محمد بن أحمد البصري ت: 1102هـ، وعلي بن محمد أبو الحسن النوري الصفاقسي ت: 1118هـ، وعبد الله بن سالم البصري ت: 1134هـ⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص103، 104، 105.

(2) للاطلاع أكثر على قصة وفاة الشيخ يحيى الشاوي، يُنظر: خلاصة الأثر، ج4، ص488.

(3) يُنظر: خلاصة الأثر، ج4، ص486، وتاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص105.

(4) يُنظر: خلاصة الأثر، ج4، ص487، و تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص105، وفهرس الفهارس، ج2، ص1133،

وشجرة النور الزكية، ج1، ص458.

ثم انتقل إلى دمشق، فكان له مجلس علمي مهيب في الجامع الأموي حضره العلماء والشعراء، وطلبوا منه الإجازة، وفي إسطنبول حضر مجالس العلم التي كان يشهدها السلطان، وشارك في مباحثها حتى ذاع صيته وقُرب من المفتي والوزير الأول، كما جلس فيها لتدريس التفسير والنحو والتوحيد، وأجاز بعض كبار علماء الشام مثل المحبي صاحب خلاصة الأثر⁽¹⁾.

أما عن مؤلفاته فرغم أن الإمام يحيى الشاوي توفي قبل بلوغه الخمسين من عمره، فقد خلف تراثاً علمياً واسعاً في مختلف العلوم الشرعية، شمل الحديث والفقه واللغة والنحو والعقيدة والمنطق، إضافة للتفسير الذي سنفرده بالدراسة في المبحث القادم، وأما أهم مؤلفاته الأخرى فهي⁽²⁾:

في الحديث: ألف الترجيح في بيان ما للبخاري من التصحيح وحديث المصافحة.

في الفقه: وضع حواشي على شروح التتائي والأجهوري على خطبة مختصر خليل.

في اللغة والنحو: ألف حواشي عديدة على شروح الألفية، التسهيل، وكافية ابن الحاجب، إضافة إلى كتب مثل: ارتقاء السيادة في أصول النحو، وفتح المنان في الأجوبة الثمان، ...

في العقيدة والمنطق: ألف توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد، التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية في العقائد، قرة العين في جمع البين، و الدر النضيد في إعراب كلمة التوحيد نظماً وشرحه.

معظم مؤلفاته محفوظة في المشرق، خاصة إسطنبول، وبعضها في المغرب وتونس ومصر، وقد غلب على نتاجه العلمي أسلوب الشروح والحواشي لا التأليف التجديدي، ورغم

(1) يُنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص105.

(2) يُنظر خلاصة الأثر، ج4، 487، خبايا الزوايا، ص369-370، وتاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون - الجزائر، ط7، 1414 هـ-1994 م، ج3، ص176-177، وشجرة النور الزكية، ج1، ص458.

ذلك يُعدّ من أبرز علماء عصره في الجزائر والعالم الإسلامي.

لقد ختم الشيخ يحيى الشاوي حياته العلمية وهو في أوج العطاء، وقد شهد له تلاميذه وأعيان عصره بعلو الكعب وسعة الحفظ، وذكاء وقاد، يقول تلميذه الشهاب أحمد بن قاسم البوني في ثبته: "كان يحفظ شرح التتائي الكبير وشرح الإمام بهرام الوسط وغيرهما، بل يحفظ ستين كتاباً من الكتب الكبار كمختصر ابن عرفة الفقهي، وهو ستة أسفار كبار جمع فيه أكثر المذهب، حتى إنه يذكر في بعض المسائل خمسين قولاً منسوبة لقائلها وأمثال ذلك" (1).

كما وصفه البوني في موضع آخر قائلاً: "نزلت عليه في داره بمصر، فكان يردّ عليّ في كل يوم نحو العشرين سؤالاً وأكثر، فيجيب عنها بلا كلفة ولا مطالعة، قال: الحاصل أنّه لا نظير له" (2).

وأما المحبي فقد لخص منزلته في كلمات فقال: "شيخنا الأستاذ الذي ختمت بعصره أعصر الأعلام، وأصبحت عوارفه كالأطواق في أجياد الليالي والأيام... وبالجمله فتقصرهم الأفكار عن بلوغ أدنى فضائله، وتعجز سوابق البيان عن الوصول إلى أوائل فواضله" (3).

المبحث الثاني: مؤلفات الشيخ يحيى الشاوي في التفسير

لقد ترك الشيخ يحيى الشاوي أثراً بيّناً في ميدان التفسير، وذلك إلى جانب إسهاماته في العلوم الشرعية الأخرى؛ كالفقه وأصوله واللغة والعقيدة

ولم يكن اهتمامه بالتفسير أمراً عارضاً؛ بل شكّل جانباً أصيلاً من مشروعه العلمي، لذا فقد تنوّعت مؤلفاته التفسيرية من حيث الحجم والموضوع، فمنها ما هو مصنّف موسّع يتناول عدداً من الآيات بالشرح والتحليل، ومنها ما هو على هيئة رسائل موجزة خُصصت لآية أو موضوع بعينه.

وقد تميّز تفسير الشيخ عن غيره من المفسرين في تناول القضايا التفسيرية بشيء من

(1) فهرس الفهارس، ج 2، ص 1134.

(2) فهرس الفهارس، ج 2، ص 1134.

(3) خلاصة الأثر، ج 4، ص 486.

التعمّق والتدقيق ومحاولة الإحاطة بجميع جوانبها، ناهيك عن حسن اختياره للآيات التي استشكل ببيانها على المفسرين، كما سيأتي بيانه.

وفي هذا المبحث، سنعرض لأهم مؤلفاته التفسيرية، محاولين حصرها والتعريف بها، وبيان خصائص كل مؤلف ومكانته، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: المصنّفات المطولة

إتحاف الوزير بتحف من التفسير:

موضوع الكتاب وأهميته:

وهو كتابٌ تناول فيه الإمام يحيى الشاوي تفسير جملةٍ من الآيات في بعض الدقائق المتعلقة بالتفسير، وقد اختار منها ما كثر فيه الخوض بين بعض أهل التحرير، وتميّز هذا التفسير بكبر حجمه، إذ أطلال فيه الشاوي النفس في البحث والتحليل، كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمن الجيلاني في تاريخ الجزائر العام بقوله: "وتفسير لبعض آي القرآن الكريم أطلال فيه النفس"⁽¹⁾، ومن جملة هذه الآيات الثلاث التي سيأتي ذكرها في كتابه "رياض من التفسير".

أما عن سبب تأليفه لهذا التفسير الكبير، فقد أوضحه الشاوي في مقدمة كتابه "رياض من التفسير"، مبيناً أنه ألفه ابتداءً كهدية للوزير مصطفى باشا، غير أنه لما وجد الوزير منشغلاً بأعباء الحكم وتدبير شؤون الرعية، اختصره في كتاب صغير يسهل الاطلاع عليه، سمّاه: "رياض من التفسير وحديقة يتبخر فيها الوزير"⁽²⁾.

وقد أشار الشاوي إلى أنه سمّى كتابه أولاً: "الغيث الهتان المتلاطم في أغصان القرآن"، ثم غير هذه التسمية عند إهدائه للوزير، فصار عنوانه: "إتحاف الوزير بتحف من التفسير" وهذه التسمية الأخيرة عكست مضمون الكتاب ودواعي تأليفه على نحو واضح.

مخطوطات الكتاب وطبعاته:

(1) تاريخ الجزائر العام، ج3، ص 173.

(2) يُنظر: مقدمة مخطوط رياض من التفسير، 12، 2 ب..

تعدّ نسخ هذا الكتاب النفيس من النواذر العظيم، ولم أقف -بعد البحث والتتبع- إلا على خزانة واحدة أشارت إلى وجود هذا المخطوط، وهي⁽¹⁾:

خزانة مكتبة جلي عبد الله أفندي تركيا، تحت رقم: 3[14].

ويُعدّ هذا الكتاب الجليل من أكبر مؤلفات الإمام الشاوي في التفسير، وهو اليوم محلّ تحقيق على يد الدكتور سالم شرابي، أستاذ اللغة بجامعة البليدة، والمهتم بجمع ودراسة تراث الشيخ الشاوي⁽²⁾.

رياض من التفسير:

موضوع الكتاب وأهميته:

تناول الشيخ يحيى الشاوي في هذا الكتاب تفسير ثلاث آيات: الآية الأولى هي قوله تعالى: **سَمَحَ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ سَجَى** [آل عمران: 182]، [الأنفال: 51]، [الحج: 10]، والآية الثانية: قوله تعالى **سَمَحَ وَمَا أَمُولُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ بَالَتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ سَجَى** [سبا: 37]، والآية الثالثة قوله تعالى: **سَمَحَ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ سَجَى** [يس: 40]، ولقد ركز في تفسيره لهذه الآيات على الجوانب النحوية البلاغية والبيانية والعقدية والمنطقية التي اختلف فيها أهل التحرير، فأورد آراء المفسرين والعلماء فيها فكان تفسيره أقرب ما يكون إلى التفسير اللغوي.

ذكر الشيخ يحيى الشاوي سبب تأليفه لهذا الكتاب في مقدمته، حيث قال:

"فحركني هذا الخاطر مع التمسك بالمولى النصير إلى إنشاء رسائل في بعض دقائق تتعلق بالتفسير وقد كان الخوض فيها من بعض أهل التحرير فأنشأت مؤلفا كبيرا لا يتحملة نظر

(1) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات التفسير وعلومه، مؤسسة آل البيت، الأردن،

ج2، ص 841.

(2) تواصلت مع الدكتور سالم شرابي، وأخبرني بأنه الآن يعكف على تحقيق هذا التفسير العظيم.

من كلف بالمملكة تدييرا فاختصرت منه اللباب ونضوت فيه عما خفي الثياب في آية الشمس والقمر وفي آية النجاة بالمال والولد من سقر وآية الوعد والوعيد في وأن الله ليس بظلام للعبيد وسميتها: "رياض من التفسير، وحديقة يتبخر فيها الوزير".⁽¹⁾

ومن خلال هذه المقدمة يتضح أن الدافع لتأليف الكتاب هو أن الوزير مصطفى باشا لانشغاله بأعباء الحكم وتدير شؤون الرعية لم يكن يسهل عليه الاطلاع على التفسير الذي صنفه الشاوي، فرأى أن ينتقي له زبدة فيها تفسير ثلاث آيات مخصصة، ويُقدّمها في صيغة مختصرة ميسرة سمّاها: "رياض من التفسير وحديقة يتبخر فيها الوزير" وأهداها إليه.

مخطوطات الكتاب وطبعاته:

عثرت على النسخة الوحيدة لهذا المخطوط من عند الباحث الدكتور زيان إسماعيل، وهي نسخة كاملة وواضحة، تحمل المواصفات الآتية:

نسخة محفوظة بمكتبة الشهيد علي باشا بالسليمانية تركيا، تحت رقم 273، عدد أوراقها 40 ورقة، تبدأ باللوحة رقم: 2 وتنتهي باللوحة رقم: 42. ومما يزيد هذا النسخة قيمةً وتوثيقاً أن عليها تصحيحات بخط المؤلف نفسه، كما أثبت ذلك الدكتور إسماعيل زيان في دراسته لتراث الشيخ يحيى الشاوي⁽²⁾، الأمر الذي يجعلها في غاية النفاسة، ويُعتبر اعتمادها بمثابة النسخة الأم.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب التي لم يسبق تحقيقه أو دراسته، فقد اعتمدت كلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي مشروع تحقيقه ضمن مذكرات الماستر في تخصص التفسير وعلوم القرآن، حيث قُسم العمل على ثلاث مجموعات من الطلبة، وقد كان لي شرف الإشراف على هذه المشاريع، التي نوقشت في شهر جوان 2025م، وهي متاحة الآن للاطلاع عبر المستودع الرقمي للكلية.

المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري:

(1) مخطوط رياض من التفسير، نسخة مكتبة علي باشا بالسليمانية، رقم الحفظ: 273، و/2، ظ.

(2) يُنظر: الشيخ يحيى الشاوي النائلي: حياته وأسفاره وشيء من آثاره، ص130.

موضوع الكتاب وأهميته:

يُعدّ هذا الكتاب حاشية على تفاسير ابن عطية والزمخشري وأبي حيّان الأندلسي، وهو في حقيقته أجوبةً من الإمام الشّاوي على الاعتراضات التي وجّهها أبو حيّان إلى ابن عطية والزمخشري في تفسيره البحر المحيط.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه جمع واحتوى المسائل التي اعترض فيها أبو حيّان على هذين الإمامين، كما يُعدّ من أبرز المؤلفات التي وظّفت القواعد العربية في تفسير الآيات القرآنية، مستعيناً بالقراءات القرآنية والشواهد اللغوية الدقيقة لخدمة القضايا النحوية والبلاغية.

مخطوطات الكتاب وطبعاته:

توجد عدّة نسخ مخطوطة لهذا الكتاب محفوظة في كبريات خزائن المخطوطات العالمية، من أبرزها⁽¹⁾:

نسخة مكتبة "لا له لي" بتركيا، تحت رقم الحفظ: 23 \ [259].

نسخة مكتبة فيض الله أفندي، تحت رقم الحفظ: المورد 1/7، 2 / 1978 / 313 \ [189] - 359 و.

نسخة المكتبة الأزهرية، تحت رقم الحفظ: [191/1] 593 راضي 266441 - 315 و. وقد حُقّق جزء من هذا الكتاب -من أوله إلى نهاية سورة يوسف- في رسالة دكتوراه أعدّها الباحث: ناجي بن محمدو بن حين بن عبد الجليل بكلية اللغويات الجامعة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، وذلك في العام الجامعي 1420هـ، كما صدر الكتاب محقّقاً بتحقيق: محمد عثمان عن دار الكتب العلمية ببيروت سن 1430هـ، في طبعته الأولى، وجاء في جزأين.

ثانياً: الرسائل التفسيرية الجزئية

رسالة في تفسير البسملة:

(1) الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط، مخطوطات التفسير وعلومه، مؤسسة آل البيت، ج2، ص730.

موضوع الرسالة وأهميتها:

وهي رسالة صغيرة مختصرة، تناول فيها الإمام يحيى الشاوي مسألة دقيقة من مسائل علم التفسير والبلاغة، وهي شرح جملة البسملة: **سَمَح بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، وهل هي جملة إنشائية أم خبرية. وقد بنى دراسته على أقوال طائفة من العلماء المتأخرين، من أبرزهم الشهاب الخفاجي وعيسى الصفوي، عارضاً أدلة كل فريق، ثم عَقَّب عليها بالتحليل والمناقشة، وتحرير محلّ النزاع في هذه المسألة الدقيقة.

وتبرز أهمية هذه الرسالة التي عالج فيها قضية مهمة متعلقة بمباحث علوم القرآن والبلاغة، وانعكاس ذلك على فهم البسملة واستعمالاتها في التفسير والفقه.

مخطوطات الرسالة وطبعاتها:

وقد أشار إلى هذه الرسالة، وأثبت نسبتها إلى مؤلفها الشيخ يحيى الشاوي، الباحث الدكتور إسماعيل زيان⁽¹⁾، ضمن مجموع يضمّ عدّة رسائل في التفسير، والمحفوظ بـ:

مكتبة راغب باشا تركيا، تحت رقم الحفظ: 220، حيث تقع في هامش الصفحة الأولى من المجموع الذي يضمّ عددًا من رسائل التفسير.

وقد تولّى تحقيق هذه الرسالة الباحث المتخصّص في جمع تراث الشيخ يحيى الشاوي، الدكتور إسماعيل زيان، وذلك ضمن كتابه الموسوم بـ "الشيخ يحيى الشاوي النائي 1030هـ-1096هـ: حياته وأسفاره وشيء من آثاره"، وقد اعتمد في تحقيقها على نسخة مكتبة راغب باشا بتركيا التي سبق الإشارة إليها⁽²⁾.

رسالة في تفسير قوله تعالى: **سَمَح لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** [الشورى: 11]:

(1) يُنظر: الشيخ يحيى الشاوي النائي 1030-1096هـ - حياته وأسفاره وشيء من آثاره، زيان إسماعيل، دار خيال

للنشر والترجمة، برج بوعريّج، جويلية 2022، ص 122-123.

(2) يُنظر: الشيخ يحيى الشاوي النائي 1030-1096هـ، ص 271-275.

موضوع الرسالة وأهميتها:

وهي رسالة قيّمة تناول فيها الإمام يحيى الشّاوي شرحاً مستفيضاً لمعنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وقد اعتمد فيها على أقوال طائفة من العلماء المعبرين، مُبيناً ما تضمنته الآية من تقرير عقيدة التنزيه وإثبات صفات الكمال لله تعالى، كما استدللّ بجملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذا المعنى وتدفع الشبهات.

وتكتسب هذه الرسالة أهميتها من كونها تُعد إسهاماً تفسيرياً في باب العقيدة، وردّاً على شبهات أهل البدع والتشبيه والتجسيم.

مخطوطات الرسالة وطبعاتها:

توجد لهذه الرسالة عدة نسخ مخطوطة مؤرّعة في مكتبات العالم المختلفة، العامة منها والخاصة: في فرنسا والعراق والجزائر، ويمكن إجمالها فيما يلي:

نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم: 669، تقع في 24 ورقة بخط نسخي واضح، كتبها رمضان بن موسى المطيفي الحنفي، وفرغ منها يوم السبت 18 ذي الحجة 1077هـ، وهي نسخة كاملة سليمة من السقط.

نسخة مؤسسة كاشف الغطاء بالعراق، تقع في 18 صفحة، بخط إسماعيل بن محمد جراح، فرغ من نسخها يوم 23 رجب عد 11، وهي نسخة كاملة وواضحة.

نسخة ثانية لمؤسسة كاشف الغطاء بالعراق، تقع في 22 ورقة، بخط إبراهيم بن الحاج يوسف، وقد فرغ من نسخها يوم الخميس 8 جمادى الأولى 1083هـ، وهي نسخة كاملة.

نسخة الزاوية العثمانية بطولقة الجزائر، تقع صفحاتها في نحو 29 سطراً للصفحة، بخط نسخي واضح، وتظهر على هوامشها تملك مرتضى الزبيدي، وهي نسخة غير مكتملة.

كما عُني أحد طلبتنا، وهو بلخير عبد الرحمان، بإنجاز رسالة ماستر في التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية جامعة الوادي، خلال الموسم الجامعي 2024-2025، تناول فيها تحقيق جزء من هذه الرسالة اعتماداً على النسخ الأربع التي سبقت الإشارة إليها. وقد كان لي شرف الإشراف على هذا العمل، وأنا الآن بصدد استكمال تحقيق بقية الرسالة، تمهيداً

لإخراجها إلى النور في صورة كتاب علمي.

رسالة في تفسير قوله تعالى: **سَمَحْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا**
سجى [الحج: 77]:

وهي رسالة قيّمة أجاب فيها الشيخ يحيى الشاوي عن الأسئلة التي وصلته من إخوانه من أرباب الشأن في قوله تعالى: **سَمَحْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا** سجى هل هما قطعان في الدلالة أم لا؟ فكان ردّه حول هذه المسألة بهذه الرسالة القيمة الماتعة.

وتكتسب هذه الرسالة أهميتها من كونها تُعد إسهامًا تفسيريًا في باب أصول الفقه، حيث أورد فيها أبوباً مهمة تتعلق بالفرض والواجب والعموم والخصوص وخبر الواحد والإجماع لتأصيل هذه الأسئلة ورد الشبه المثارة حولها.

مخطوطات الرسالة وطبعاتها:

توجد لهذه الرسالة عدة نسخ مخطوطة مؤرّعة في مكتبات العالم المختلفة، العامة منها والخاصة: في فرنسا والعراق والجزائر، ويمكن إجمالها فيما يلي:

نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم: 669، تقع في 24 ورقة بخط نسخي واضح، كتبها رمضان بن موسى المطيفي الحنفي، وفرغ منها يوم السبت 18 ذي الحجة 1077هـ، وهي نسخة كاملة سليمة من السقط.

نسخة مؤسسة كاشف الغطاء بالعراق، تقع في 18 صفحة، بخط إسماعيل بن محمد جراح، فرغ من نسخها يوم 23 رجب عد 11، وهي نسخة كاملة وواضحة.

نسخة ثمانية لمؤسسة كاشف الغطاء بالعراق، تقع في 22 ورقة، بخط إبراهيم بن الحاج يوسف، وقد فرغ من نسخها يوم الخميس 8 جمادى الأولى 1083هـ، وهي نسخة كاملة.

نسخة الزاوية العثمانية بطولقة الجزائر، تقع صفحاتها في نحو 29 سطراً للصفحة، بخط نسخي واضح، وتظهر على هوامشها تملك مرتضى الزبيدي، وهي نسخة غير مكتملة.

كما عُني أحد طلبتنا، وهو بلخير عبد الرحمان، بإنجاز رسالة ماستر في التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية جامعة الوادي، خلال الموسم الجامعي 2024-2025، تناول

فيها تحقيق جزء من هذه الرسالة اعتماداً على النسخ الأربع التي سبقت الإشارة إليها. وقد كان لي شرف الإشراف على هذا العمل، وأنا الآن بصدد استكمال تحقيق بقية الرسالة، تمهيداً لإخراجها إلى النور في صورة كتاب علمي.

رسالة في تفسير قوله تعالى: **سَمَحَ وَمَا أَمُولُكُمْ سَجَى** [سبأ: 37] :

وهي رسالة قيّمة تناول فيها الإمام يحيى الشاوي شرحاً مفصلاً لمعنى هذه الآية الكريمة، مبيناً أن التقرب إلى الله تعالى لا يكون بالجاه الديني ولا بكثرة المال والولد، وإنما يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح. وقد اعتمد في ذلك على أقوال طائفة من العلماء المعبرين، واستدلّ بجملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذا المعنى وتقرّر قاعدة المسؤولية الفردية أمام الله.

وتكتسب هذه الرسالة أهميتها من كونها إسهاماً تفسيرياً في بيان معيار التفاضل الحقيقي عند الله تعالى، وإيضاح بطلان مزاعم أهل الدنيا الذين ظنّوا أن النعيم الديني وسيلة للنجاة في الآخرة.

مخطوطات الرسالة وطبعاتها:

توجد لهذه الرسالة عدة نسخ مخطوطة موزعة في مكتبات العالم المختلفة، منها نسختان محفوظتان في المكتبة الظاهرية بسوريا، وهما:

النسخة الأولى: تحت رقم الحفظ: 6807، وتقع في خمس ورقات بخط نسخي واضح، وهي نسخة كاملة، جاءت ضمن مجموع يبدأ من الورقة: 15 إلى الورقة: 19.

النسخة الثانية: تحت رقم الحفظ 8234، وتقع في أربع ورقات بخط نسخي واضح، وهي كذلك نسخة كاملة، ضمن مجموع يمتد من الورقة 81 إلى الورقة 84.

وقد عُني بتحقيق هذه الرسالة الباحث المتخصص في جمع تراث الشيخ يحيى الشاوي الدكتور إسماعيل زيان، ضمن كتابه الموسوم بـ "الشيخ يحيى الشاوي النائي 1030هـ - 1096هـ - حياته وأسفاره وشيء من آثاره".

وقد تناول فيه تحقيق هذه الرسالة اعتماداً على ثلاث نسخ خطية، وتميّز عمله بالدقة

في إخراج النص وفق ما أراده مؤلفه، مع ضبطه بالشكل الكامل، وإرفاقه بترجمة وافية وتعليقات على بعض المسائل المهمة⁽¹⁾.

رسالة في تفسير قوله تعالى: **سَمَحَ لَا رَيْبَ فِيهِ سَجَى** [البقرة: 2] :
وهي رسالة قيّمة تناول فيها الإمام يحيى الشّاوي شرحاً لمعنى قوله تعالى في مطلع سورة البقرة: **سَمَحَ لَا رَيْبَ فِيهِ سَجَى** [البقرة: 2] .

ولا يُعرف لهذه الرسالة أثر في فهارس المخطوطات -بحسب ما توصلت إليه-⁽²⁾؛ سوى الإشارة التي ذكرها صاحب كتاب خبايا الزوايا عند تعداد مؤلفات الشيخ يحيى الشاوي⁽³⁾. وفي ختام هذا المبحث، الذي استعرضنا فيه مؤلفات الشيخ يحيى الشاوي في التفسير، مطبوعها ومخطوطها، تبين لنا مقدار تميزه وبراعته في هذا الميدان، وما حباه الله من قدرة على الجمع بين دقّة النظر وسعة الاطلاع.

ومما يزيد هذا التراث قيمةً واعتباراً أنّ آثاره بقيت محفوظة ومتداولة عبر القرون، على الرغم من مرور ما يقارب ثلاثة قرون ونصف، وتنوّع البيئات العلمية التي عاش فيها وتنقل بينها، وقد سلّم معظم نتاجه التفسيري من الضياع، باستثناء رسالة في تفسير قوله تعالى: **سَمَحَ لَا رَيْبَ فِيهِ سَجَى** [البقرة: 2]، التي تُعدّ في عداد الرسائل المفقودة.

وهكذا يظهر أنّ تراثه التفسيري - بما حوى من رسائل مستقلة ومصنفات موسعة وحواشٍ نفيسة - يمثّل إضافة نوعية إلى المكتبة التفسيرية الإسلامية، ويكشف عن إسهام العلماء الجزائريين في إثراء هذا العلم، وتأكيد حضورهم في مسيرة التفسير وعلوم القرآن عبر

(1) وهذا الأمر يحثنا ويدعونا إلى بذل مزيدٍ من الجهد في التنقيب عن تراث الشيخ يحيى الشاوي المخطوط والمفقود، وقد قطع الباحث الدكتور إسماعيل زيان شوطاً كبيراً في جمع هذا التراث ودراسته من مختلف خزائن المخطوطات في العالم، وأثمر ذلك عن تأليفه كتابه القيم: "الشيخ يحيى الشاوي النائي: حياته وأسفاره وشيء من آثاره"، الذي جمع فيه عدداً من مؤلفات الشيخ وحقّق بعضها تحقيقاً علمياً.

(2) يُنظر: خبايا الزوايا، حسن بن علي العُجيجي المكي، تحقيق: ناصر ضهيرية، مطبعة بريل، ليدن، بوسطن، ص370.

(3) يُنظر: خبايا الزوايا، ص370.

العصور.

المبحث الثالث: منهج الشيخ يحيى الشاوي في التفسير

بعد استعراض الإنتاج التفسيري للشيخ يحيى الشاوي، سيكون الحديث في هذا المبحث عن منهجه في التفسير، ولم أعتمد في استخلاص معالم هذا المنهج على مؤلف واحد بعينه؛ لأن أغلب مصنفاته -سواء الموسعة منها أو الجزئية- لم تلتزم تفسير جميع الآيات، وإنما ركّز فيها على بيان ما وقع فيه الخلاف بين أهل هذا الفن.

وعليه، فإن دراسة منهجه ستكون من خلال مجمل مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة التي أشرنا إليها في المبحث الثاني، مكتفياً باختيار نموذجين أو ثلاثة منها، ويمكن إجمال أبرز معالم منهجه في التفسير في النقاط الآتية:

أولاً: اعتماده على التفسير بالمأثور

ومن أبرز معالم منهجه اعتماده على التفسير بالمأثور، وذلك من خلال تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين، فضلاً عن عنايته باللغة في بيان المعاني. وقد وردت في تفسير الشيخ يحيى الشاوي أمثلة عديدة تجسّد هذا المنهج، ومن ذلك:

المثال الأول:

ما أورده الإمام الشاوي عند بيانه حال المنجم، حيث قال: "ولا يحلّ لمسلم أن يُصدّقه - أي المنجم - قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 27]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65]، والرسول بإعلام الله لهم يُخبرون بالغيب دلالةً على صحّة نبوتهم، كما قال الله تعالى حكايةً عن عيسى عليه وعلى النبيين الصلاة والسلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: 49]⁽¹⁾، فنجد أنّه هنا جمع الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً، وهو حصر علم

(1) مخطوطة رياض من التفسير، 7/و.

الغيب بالله تعالى، واستثنى ما يطلع عليه رسله الكرام دلالة على صدق نبوتهم.

المثال الثاني: الاستشهاد بالحديث النبوي

فمثلاً نجد أن الإمام الشاوي وظف قول النبي ﷺ: "لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها"⁽¹⁾ في سياق تقرير عموم الصيغة في النهي، حيث استدل بأن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه فهم النهي على عمومته في جميع الأماكن، حتى لما قدم الشام ووجد المراحض بُنيت نحو الكعبة، كان يتحرّف عنها ويستغفر الله، التزاماً بعموم النهي⁽²⁾.

ثانياً: منهجه في التفسير بالرأي والاجتهاد

ليس من الصحة القول إنّ الشيخ يحيى الشاوي اعتمد في تفسيره على التفسير بالمأثور فقط، أو أنّه اكتفى بالنقل وأهمّل الاجتهاد والرأي؛ بل الصحيح أنّ منهجه جمع بين النوعين معاً، فكان تفسيره قائماً على التفسير بالمأثور من جهة، وعلى التفسير بالرأي من جهة أخرى. فقد كان يورد أقوال السلف والعلماء المعترين، ويعتمد عليها في بيان المعنى، غير أنّه لم يقف عند حدود النقل، بل مارس الاجتهاد وأعمل نظره في القضايا التفسيرية التي تحتاج إلى استنباط وتحرير، مبيّناً وجه الصواب فيها.

ويظهر منهجه في توظيف التفسير بالرأي من خلال اعتماده على القواعد اللغوية والبلاغية، وربطه بين النص القرآني والسياق العام للآية أو السورة، فضلاً عن مناقشته لآراء المفسرين ونقده لها عند الحاجة. كما كان يُبرز رأيه الخاص فيما يراه راجحاً بالدليل، وهو ما يعكس شخصيته العلمية المستقلة، وقدرته على الموازنة بين النقل والعقل، وأغلب المعالم التي سيأتي ذكرها كلها توضح هذا المنهج بوضوح.

ثالثاً: الرد على الفرق المخالفة

القارئ في تفسير الشيخ الشاوي يلحظ بوضوح هذا الملمح البارز المتمثّل في انتصاره لأهل

(1) أخرجه النَّسائي في سننه، كتاب الطّهارة، النَّهي عن استدبار القبلة عند الحاجة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، سوريا، 1406هـ/1986م، الحديث رقم: 21، ج1، ص22.

(2) يُنظر: مخطوطة تفسير قوله تعالى ليس كمثله شيء، 3/ظ.

الحق

—أي أهل السنّة كما يعبر عنهم— والردّ على مخالفهم من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وغيرهم، وذلك من خلال تفنيد حججهم وكشف تهاافت آرائهم، وقد اتّسم في ردوده بشيء من الجِدّة والصرامة، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

المثال الأول: الرد على المعتزلة

قال الشاوي في رسالة ليس كمثله شيء في الرد على المعتزلة: "ثم إنّ الشّيء عند أهل الحقّ قاطبة الموجود، والمعدوم ليس شيئا، وعند المعتزلة-قبّحهم الله- أنّ المعدوم شيء، أي ذوات مثلوها بأشياء في [3/و] ظلام لم يظهر حتى يكون في الموضوع نور، فهي موجودة حكما لم تبلغ درجة الوجود الحقيقي....." (1).

المثال الثاني: الرد على الباطنية وأهل التأويل الفاسد

لما أوّل ابن العربي الصوفي معنى الشمس بأنها "شمس الحياة من مغرب الأبدان"، ردّ عليه الشاوي قائلاً: "يعني أنه يؤدّي إلى رفع النصوص عن مقتضاها، وذلك يؤدّي لرفع الشرائع..." (2)، فبيّن الشاوي أن مثل هذه التأويلات تفتح باب المفاصد وتُسقط ظاهر الشرع، فأكد أن لكل آية ظاهراً وباطناً، لكن لا يجوز أن يُلغى ظاهرها بحجّة الباطن.

رابعا: عنايته بالجانب اللغوي والبلاغي

أولى الشيخ يحيى الشاوي عناية كبيرة بالجانب اللغوي والبلاغي، حتى إنّ بعض الباحثين عدّوا تفسيره ضمن التفاسير اللغوية والبلاغية، وقد وظّف أدوات اللغة وعلوم البلاغة في توضيح المعاني التفسيرية، ولا سيما في المواضع التي كثر فيها الخلاف بين العلماء، وقد تجلّى هذا المنهج في أغلب مؤلفاته، ومن أبرز تلك الأمثلة:

المثال الأول: رسالة في تفسير آية: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ [سبأ: 38]

(1) مخطوط رسالة تفسير قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، المكتبة الوطنية في باريس، رقم الحفظ:

669، 2/ظ.

(2) مخطوط رياض من التفسير، 6/و.

سبب تأليفها يعود إلى اختلاف الآراء في بعض المسائل النحويّة واللغويّة، ومنها: اضطرابهم في الموصول؛ صفةً لأيّ شيء هو؟ وفي الاستثناء؛ ممّ هو؟ وهل هو منقطع أو لا؟ وفي صحّة بدليّته أو فساده، وفي صحّة استثنائه من مفعول تُقَرِّبُكُمْ على وجهٍ أو على كلّ وجه؟⁽¹⁾

فكلّ هذه المسائل ناقشها الإمام الشاوي في تفسير هذه الآية، ليربط بين النظر اللغوي النحوي، وبين المعنى التفسيري للآية.

المثال الثاني: رسالة في تفسير البسملة

ناقش الإمام الشاوي في هذه الرسالة مسألةً مهمّةً كثر فيها الخلاف بين المتأخّرين، وهي: هل جملة البسملة إنشائيّة أم خبريّة؟ وما يترتّب على ذلك من آثار في المعنى التفسيري للبسملة⁽²⁾.

خامساً: معالجته للقضايا العقدية والفقهية

سعى الشيخ يحيى الشاوي إلى توظيف تفسيره لعدد من الآيات القرآنية في معالجة بعض القضايا العقدية المهمّة التي كثر حولها الجدل، كما عني ببيان جملة من الأحكام الفقهية واستنباطها من النص القرآني. ومن ذلك:

المثال الأول: على معالجة قضية فقهية

في حديث الشاوي عن النهي عن استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة، استند إلى الحديث النبوي وعمّمه على الأماكن كلّها، ثم ناقش عمل الصحابة فيه، فقال: "وقد استعمل قوله ﷺ: «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها» عامّاً في الأماكن، وهو مطلق فيها، لقول أبي أيوب -بعد ذكر الحديث-: وقدِمنّا الشام فوجدنا مراحض بنيت نحو الكعبة، فنتحرّف عنها ونستغفر الله"⁽³⁾.

(1) يُنظر: رسالة في تفسير آية وما أموالكم ولا أولادكم ضمن كتاب الشيخ يحيى الشاوي النائي، د إسماعيل زيان، ص 276-295.

(2) يُنظر: رسالة في جملة البسملة ضمن كتاب الشيخ يحيى الشاوي النائي، د إسماعيل زيان، ص 271-275.

(3) مخطوط رياض من التفسير، 7/و.

فهذا مثال واضح على معالجته لمسألة فقهية عملية من خلال النصوص الشرعية وربطها بعمل الصحابة.

المثال الثاني: على معالجة قضية عقدية

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، ناقش قضية العدل والظلم في حق الله تعالى، معتمداً على منهج منطقي-كلامي: "فالإرادة الفرضية أن يفرض أنه يريد التعذيب بغير ما ربطته الإرادة الأزلية، بأن يعذب بدون بعث رسل أو دون جُرم تكون مستحيلة وتكون ظلماً؛ لمخالفتها ما قرّره الشرع،... وأنت تعلم أن أهل المنطق قسموا الضرورية إلى ضرورية سابقة وضرورية لاحقة"⁽¹⁾.

فهنا عالج قضية عقدية كبرى هي نفي الظلم عن الله، ويستعين بالمنطق في التفريق بين الإرادة الأزلية والفرضية.

سادساً: توظيف العقل والمنطق في التفسير

تمكن الشيخ يحيى الشاوي من علم المنطق كما تم الإشارة إلى ذلك في حياته العلمية جعله يوظفه في تفسير الآيات التي يتناولها، لدرجة أنه كان يتوسع في تحليل القضايا الكلامية والمنطقية، والأمثلة على ذلك كثيرة مذكر منها:

المثال الأول: التفريق بين الإرادة القديمة والفرضية وربطها بمباحث المنطق

يقول الشاوي "فالإرادة الفرضية أن يفرض أنه يريد التعذيب بغير ما ربطته الإرادة الأزلية؛ بأن يعذب بدون بعث رسل أو دون جُرم تكون مستحيلة وتكون ظلماً؛ لمخالفتها ما قرّره الشرع... وأنت تعلم أن أهل المنطق قسموا الضرورية إلى ضرورية سابقة وضرورية لاحقة"⁽²⁾.

المثال الثاني: استعماله للتمييز بين القضايا في علم المنطق:

يقول الشاوي: "فالقضايا ثلاثة: حقيقية وذهنية وخارجية، وفي كلام ابن عرفة في نكته

(1) مخطوط رياض من التفسير، 32/و.

(2) مخطوط رياض من التفسير، 32/و.

التفسيرية... أن مثل هذا أي: {وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} قضية أخرى خارجة عن الثلاث⁽¹⁾.

المثال الثالث:توظيفه لبحث السالبة والمعدولة في المنطق لتفسير صيغة {لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ}:

يقول الشاوي: "ثم إنهم فرقوا بين السالبة والمعدولة بعدم اقتضاء وجود الموضوع في السالبة واقتضائه في المعدولة... أما في الآية فسالبتها وموجبها كلاهما محقق فيهما وجود الموضوع"⁽²⁾.

سابعاً: العناية بالشواهد القراءات الشعر

ف نجد أن الشيخ يحيى الشاوي كثيراً ما يستعين بالشواهد القرآنية؛ كالقراءات، والشواهد الشعرية لإسناد التحليل النحوي، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

المثال الأول: الاستشهاد بالقراءات

قال الشاوي: "...ثم المستثنى يحتمل أنه مفرد ويحتمل أنه جملة ... كقراءة الأعمش: ﴿... إلا من آمن ...﴾ [الزخرف: 35]، ولم تجزم الصلة لأن الشيء لا يعمل في جزئيه"⁽³⁾.

فالإمام الشاوي وظف قراءة الأعمش ليدعم وجهاً من وجوه الإعراب، وهي كون "من آمن" جملة موصولة لا مفرداً.

المثال الثاني: الاستشهاد بالشواهد الشعرية

كثيراً ما يستشهد الشاوي بالشواهد الشعرية، ومن ذلك قوله: "وقد أنشد بعض العارفين:

"خبراً عني المنجم أنني كافرٌ بالذي قصته الكواكبُ

عالمٌ أن ما يكون وما كان بحكمٍ من المهيمن واجبٌ

(1) مخطوط رياض من التفسير، 36/ظ.

(2) مخطوط رياض من التفسير، 34/ظ، 35/و.

(3) مخطوط رياض من التفسير، 17/و.

وأنشد بعضهم في ذلك:

علوم الأرض لم تصلوا إليها فكيف بكم إلى علم السماء⁽¹⁾

فنجد أن الشاوي قد وظّف الشعر لتأييد موقفه في رفض أقوال المنجمين، مبينا أن الغيب لا يعلمه إلا الله، كما ربط بين النص الشرعي والشاهد الشعري تأكيدا لمعناه.

ثامنا: الاستدراك على من سبقه من المفسرين والأئمة

لم يكن الشيخ يحيى الشاوي ناقلاً لكلام الأئمة والمفسرين فحسب، بل كان ينقل أقوالهم ويناقشها ويستدرك علمهم. والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره، نذكر منها:

المثال الأول: استدراكه على ابن دقيق العيد في قضية حديث ذي اليمين

استدراك الشاوي على ابن دقيق العيد، وردّ عليه بالدليل المنطقي واللغوي قال الشاوي: "وأجاب ابن دقيق العيد بجواب أطنب في مدحه، وادّعى أنّه المتحتّم، وهو أنّ القضية جزئية، أي لم يكن كلّ بل كان بعضه، فلا يلزم الإخبار بخلاف الواقع... وهذا الجواب غير صحيح؛ لأنّ النفي في حيّز كلّ، فالقضية كلية لا جزئية"⁽²⁾.

المثال الثاني: استدراكه على الزمخشري والزجاج:

يقول الشاوي بعد أن نقل قول الزمخشري والزجاج: "وبه تعلم صحة قول الزجاج قوله: 'إلا من آمن' من مفعول 'تقريبكم'، فإنه يُقَيّد بما قَيّد به صاحب الكشف كلام الكشف من صحته بقيد أن تكون 'التي' صفة للأموال والأولاد لا للخصلة، إذ لا يصح الاستثناء عليه، ويجب أن يُقرأ كلام الزجاج بكسر ميم 'من' ليكون حرف جرّ، أي: هو مستثنى من مفعول 'تقريبكم' وعلى تقدير أن تقرأ بفتح الميم فيكون معنى قوله: أن من يعنى في الآية مفعول 'تقريبكم' ليس على التفريغ بل على البديل، والبديل على نيّة تكرار العامل، فيصبح نسبة المفعولية له لا على التفريغ؛ لأن المستثنى منه مذكور فلا تفريع، ومع قيده بأن التي صفة

(1) مخطوط رياض من التفسير، 7/و.

(2) مخطوط رسالة تفسير قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، المكتبة الوطنية في باريس، رقم الحفظ:

للأموال كان منفيًا، والبدل صحيح في النفي وهو مقدر بالتفريع؛ لأنه على نيّة الطرح، وليس مراد الزجاج أنه مستثنى من الكاف أو مفعولا على أن "التي" صفة للتقوى كما علمت من فساد المعنى، بل يُقيد بما قيّد به كلام الزمخشري، إذا الزمخشري أخذه من الزجاج، ويفرض حمل كلام الزجاج على العموم وأنه يشمل الاستثناء من كاف "تقربكم" على أن "التي" صفة للتقوى، فلا يُعترض بأنه لا يصح البدل والتفريع لعدم النفي، فإنه صريح أو كالصريح في أن نصبه على الاستثناء لا على البدلية والتفريع صحيح"⁽¹⁾.

حيث نجد أن الإمام الشاوي لا يكتفي بنقل أقوال الزجاج والزمخشري، بل يُعقّب عليها ويناقشها ويصححها، ويظهر أن بعض وجوه تفسيرهم يؤدي إلى فساد المعنى.

خاتمة

أولاً: النتائج: وفي الختام يمكن تلخيص أهم النتائج في النقاط الآتية:

برز الشيخ يحيى الشاوي ت 1096هـ كأحد أعلام التفسير في الجزائر خلال العصر العثماني.

جمع في منهجه التفسيري بين المأثور القرآن، السنة، أقوال السلف والاجتهاد العقلي واللغوي.

اهتم الشاوي بالجانب اللغوي والبياني، وربط المعاني القرآنية بالقضايا العقدية والفقهية.

تأثر بمدارس التفسير المشرقية والأندلسية، مع طابع محلي يعكس البيئة العلمية بالجزائر.

تشكل مؤلفاته التفسيرية إضافة معتبرة للتراث التفسيري الجزائري.

ثانياً: التوصيات: ومنها:

دعوة الباحثين وطلبة الدراسات العليا للعناية بتحقيق وتحقيق مؤلفات الشيخ يحيى الشاوي وإخراجها للنور في طبعات علمية محققة.

هناك عدّة موضوعات بدت لي من خلال هذا البحث من أهمها: عقد مقارنات بين جهود

(1) مخطوط رياض من التفسير، 13/ظ.

الشاوي وغيره من مفسري المغرب والمشرق لتوضيح التفاعل بين المدارس التفسيرية، دراسة استدراكات وتعقبات الشيخ يحيى الشاوي على من سبقه من المفسرين.

المصادر والمراجع:

تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله ت 1435 هـ، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة - 2007 م.

تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون - الجزائر، ط 7، 1414 هـ - 1994 م.

خبيا الزوايا، حسن بن علي العُجيمي المكي، تحقيق: ناصر ضميرية، مطبعة بريل، ليدن، بوسطن.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي ت 1111 هـ، دار صادر - بيروت.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف ت 1360 هـ، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1424 هـ - 2003 م

الشيخ يحيى الشاوي النائي 1030-1096 هـ - حياته وأسفاره وشيء من آثاره، زيان إسماعيل، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريج، جويلية 2022.

الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات التفسير وعلومه، مؤسسة آل البيت، الأردن.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، عبد الحي الكتانيت 1382 هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 2، 1982 م، ج 2، ص 1132.

مخطوط رسالة تفسير قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، المكتبة الوطنية في باريس، رقم الحفظ: 669.

مخطوط رياض من التفسير، نسخة مكتبة علي باشا بالسليمانية، رقم الحفظ: 273، 2/و، 2/ظ.

النسائي، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، سوريا، 1406هـ/1986م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا ت 1339 هـ، وكالة المعارف بإسطنبول، 1951-1955 م، ج2، ص533.

توجيه القراءات في تفسير الجواهر الحسان للعلامة عبد الرحمان الثعالبي

د. محمد بوغار

المركز الجامعي مرسلبي عبد الله - تيبازة

الملخص:

في هذه المداخلة، قمنا باستعراض وتحليل منهج الإمام الثعالبي في كتابه "الجواهر الحسان"، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج المهمة التي تبرز قيمة هذا التفسير الفريد، أولاً، تبين أن الثعالبي قد بنى تفسيره على منهج جامع، يمزج فيه بين التفسير بالمأثور، من خلال اعتماده على آراء الصحابة والتابعين، والتفسير بالرأي، من خلال إعمال العقل في فهم الآيات، ثانياً، كشفت الدراسة عن اهتمام الثعالبي بالجوانب المتعددة للقرآن، فهو لم يقتصر على التفسير اللفظي، بل تجاوز ذلك إلى الجانب اللغوي والبلاغي، حيث كان يستدل بالشعر العربي لتوضيح المعاني، إضافة تضلعه وتعمقه الفقهي، حيث كان يعرض للأحكام الشرعية المتعلقة بالآيات، مسترشداً بالمذهب المالكي، ثالثاً، تبين أن تفسير "الجواهر الحسان" يتميز بوضوح العبارة، وسهولة الأسلوب، وعمق المعنى، وعليه نستطيع القول إن كتاب الثعالبي ليس مجرد تفسير للقرآن، بل هو موسوعة معرفية جامعة، تعكس سعة علم مؤلفه وشمولية منهجه، مما يجعله إضافة حقيقية للتراث الإسلامي التفسيري.

الكلمات المفتاحية: القراءات، توجيه، الجواهر الحسان، الثعالبي، لغة.

:Abstract

In this presentation, we reviewed and analyzed Imam Al-Tha'alibi's methodology in his book "Al-Jawahir Al-Hisan." We reached a set of important conclusions that highlight the value of this unique exegesis. First, it became clear that Al-Tha'alibi built his interpretation on a comprehensive approach, blending traditional exegesis by relying on the opinions of the Companions and Followers, with interpretive reasoning through the application of intellect in understanding the verses. Second, the study revealed Al-Tha'alibi's interest in the multiple

aspects of the Qur'an; he did not limit himself to verbal interpretation but extended to linguistic and rhetorical dimensions, where he used Arabic poetry to clarify meanings, in addition to his deep and thorough jurisprudential knowledge, as he presented the legal rulings related to the verses, guided by the Maliki school of thought. Third, it was shown that the interpretation in "Al-Jawahir Al-Hisan" is characterized by clarity of expression, ease of style, and depth of meaning. Accordingly, we can say that Al-Tha'alibi's book is not merely a Qur'anic commentary but rather an encyclopedic work reflecting the breadth of its author's knowledge and the comprehensiveness of his methodology, making it a genuine contribution to the Islamic exegetical heritage

Keywords: readings, guidance, Al-Jawahir Al-Hisan, Al-Tha'alibi, language

مقدمة:

يُعدّ التفسير أحد أشرف العلوم الإسلامية وأجلّها، فهو بمثابة الجسر الذي يعبر من خلاله المسلم إلى فهم مراد الله في كتابه الكريم. لقد أبدع علماء الأمة في هذا الميدان، فصنّفوا كتباً قيّمة بقيت منارات هدى تضيء الدروب، ومن بين هذه الجواهر النفيسة، يبرز تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للعلامة عبد الرحمن الثعالبي، الذي يُعتبر أحد أبرز التفاسير الجامعة التي عرفها المغرب الإسلامي، وأحد أهم مصادره العلمية.

وانطلاقاً مما سبق تكتسب هذه المداخلة أهميتها من كونها تُسلط الضوء على هذا السفر العلمي العظيم، الذي لا يزال مرجعاً أساسياً في علوم التفسير، وسنّعى من خلالها إلى دراسة المنهج الذي اتبعه الثعالبي في تفسيره، مع إبراز أبرز خصائصه التي جعلته يتميز عن غيره من التفاسير، والإشكالية التي سعت المداخلة الإجابة جاءت مصاغة كما يلي: كيف وجه الإمام الثعالبي القراءات المتواترة والشاذة في تفسيره الجواهر الحسان؟ وما هي العلوم التي اعتمدها في ذلك؟ هذين السؤالين سيكونان محوري هذه المداخلة، التي تهدف إلى إلقاء الضوء على قيمة هذا التفسير، وإبراز مكانة مؤلفه في تاريخ الفكر الإسلامي.

ترجمة العلامة عبد الرحمن الثعالبي:

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي، واسمه الكامل ينتهي إلى نسب جعفر بن أبي طالب، وهو النسب المنقوش بجانب تابوته اتجاه المحراب، كما أنه النسب المنقول عنه كثيرا في كتبه، وقد اتفق المترجمون له على أنه جعفري ثعالبي جزائري⁽¹⁾.

قال عبد الرحمن الجيلالي: هو فخر أئمة علماء الجزائر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عم رسول الله ﷺ والجزائري نسبة إلى جزائر بني مزغنة، فهو جزائري ثعالبي جعفري من أهل البيت⁽²⁾.

ثانيا: مولده ونشأته:

ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة 786 هـ - 1385 م بناحية يسر. على نحو ست وثمانين 86 كيلو مترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، وفي هذه المنطقة ولد ونشأ وترعرع، فهو موطن آبائه.

تأليف الجواهر الحسان:

كانت بداية الإمام الثعالبي في كتابة تفسيره هذا سنة 832 هـ كما نص على ذلك في كتابه

:

«المراثي»، وكان ختمه له في سنة 833 هـ، حيث قال في ذلك: وكان الفراغ من تأليفه في الخامس عشر من ربيع الأول من عام ثلاثة وثلاثين وثمانمائة، غير أنه ذكر في موضع آخر أنه أتم تفسيره للقرآن في الرابع عشر من صفر سنة 833 هـ، إذ قال: وفي الرابع عشر من هذا الشهر تم لي تفسير القرآن، كما اعتبر إنجازا لهذا التفسير من أعظم أعماله، حيث قال: فإن سروري في انتفاع المسلمين به أعظم عندي من السرور الحاصل لي فيما يخصني⁽³⁾.

وأما تسميته، فقد سماه بـ «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، وقد صرح بنفسه عن هذه التسمية في مقدمة تفسيره، فقال: وسميته بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، كما ذكر

(1)- القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص120.

(2)- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العرفين، مكتبة الإسلامية، ط1، طهران، 1951، ج1، ص532-533.

(3)- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان، تحك عمار طالبي، ج1، مقدمة ص11

هذه التسمية في فهرسته غنيمة الوافد»، حيث قال: فمن أعمها نفعاً وأعظمها بركة كتابنا المسعى بـ «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»⁽¹⁾.

والذي يظهر أنه سعى تفسيره بذلك، لكونه أودعه آثار صحاح وجواهر حسان عن النبي ﷺ ويستأنس في هذا بما ذكره في مقدمة تفسيره، حيث قال: وبالجمل فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد نصح الإمام الثعالبي بالاشتغال بتفسيره وحث على قراءته والعمل به؛ لكي تحصل به البركة لمن قرأ به، وأخبر أن تفسيره هذا قد أصبح مشهوراً ومعروفاً ومقروءاً كثيراً في حياته، كما حدث أنه يحتوي على أسرار صوفية، وعد حديثه عن تفسيره بهذه الصورة من باب التحدث بالنعمة حيث قال: وقد رأيت له بحمد الله عجائب وبركات وبشارات متواليات، وكذا رأى غيري له عجائب وبركات⁽²⁾.

منهجه في التفسير:

ونقدم صورة موجزة عن منهجه في التفسير وبيان طريقته، والمصادر التي نقل عنها وكيفية الاستفادة منها، وذلك تمهيداً لما يتعلق بمنهجه في توجيه القراءات فيما بعد، وتظهر الملامح العامة لمنهجه في تفسيره، في هذه النقاط الآتية:

عنايته بالتفسير بالمأثور عناية كبيرة، حيث قدم تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، غير أنه يذكر ذلك دون ذكر الأسانيد الروايات ولعله فعل ذلك طلباً للاختصار والإيجاز الذي التزم به في مقدمة تفسيره. استعانته بالمنهج التاريخي في إيراد الأقوال والنقول، وهو منهج يقوم على تحقيق النصوص ونقدها والترجيح بينها وعلى الوقائع التاريخية⁽³⁾.

ومنهجه في تفسيره، منهج قائم على عنصر الاقتصاد والانتقاء الذي تظهر فيه شخصيته

(1)- المرجع نفسه، ج 1، ص 11

(2)- عبد الرحمان الثعالبي، غنيمة الوافد، تح محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2005، ص 26.

(3)- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان، تح عمار طالبي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج 1، ص: ك.

واضحة جلية من خلاله، والذي حافظ عليه من أول تفسيره إلى آخره، أو عنصر الانتخاب، وأما موقفه من التفسير بالرأي: فقد أخذ به في تفسيره وجوزه بضوابط علمية، منها الاستناد إلى ما قاله العلماء وما اقتضته قوانين العلوم كالنحو والصرف والبلاغة والأصول وغيرها.

وملامح التفسير بالرأي عنده تظهر من خلال نقله ممن سبقه من المفسرين الذين عرفوا بالاجتهاد والنظر، كأبي حيان والسفاسي وغيرهما من العلماء، ممن اشتهر بتفسير القرآن بالرأي، بيد أنه لم يكن يتوسع في الأخذ به، إذ كان شديد الحرص في التمييز بين ما يجوز فيه الاجتهاد وبين ما لا يجوز فيه بحال من الأحوال.

وأما موقفه من التفسير الإشاري، فقد أخذ به غير أنه لم يتعمق فيه حتى يصبح رموزاً وغلوا في الإشارية، حيث كان موقفه موقف رفض وعداء للإشارية المغرقة في الإشارة مما يخرج بالآية عن غرضها، غير أننا نستشف بعض الإشارات الخفية من تفسيره على غرار ما يفعله أهل الحقائق المتصوفون المتمسكون بأصول الإسلام⁽¹⁾، ولذا ظهر عليه الجانب الصوفي في تفسيره؛ فطبعه بطابعه وألبسه حلته، ويؤكد ذلك تلك المؤلفات الكثيرة في التصوف التي ضمنها تفسيره، وكذلك إكثاره فيه من سرد حكايات وأخبار.

وأما موقفه من الإسرائيليات، فنجد أنه لم ينهج طريق من سبقه من المفسرين الذين توسعوا في ذكرها؛ بل نراه قد خرج عن ذلك وشد عنه، وهذا راجع إلى التزامه بالاختصار والإيجاز في تفسيره هذا من جهة، واعتماده على المنقولات الصحيحة وانتقائه لها من جهة أخرى.

وما ميز منهجه في تفسيره، دقة النقل والأمانة العلمية، والعزو والإسناد لكل المرويات والأخبار، وكذا نسبة جميع الأقوال والنصوص إلى مصادرها ومطابقتها فلا يقتصر في النقل منها على المعنى فقط؛ بل يورد النص بلفظه، وهو ما يبين سعة علمه وكثرة اطلاعه.

عنايته في تفسيره بالجانب اللغوي، والنحوي والصرفي، حيث إن إعراب القرآن عنده وكشف معانيه أصل في تفسير القرآن لا يقوم إلا بهما، فتجده يختار الوجوه وينتقي المسالك التي تخدم تفسيره المعاني الآيات محكما في ذلك ذوقه، غير أن الإعراب عنده ليس ترفاً لغوياً

(1)- ينظر محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1961، ج1، ص183.

بل مسلكا لفهم الآية.

توظيفه القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسيره، إذ القراءات من بين أهم قواعد التفسير بالمأثور فهي تدخل ضمن تفسير القرآن بالقرآن الذي هو من أعلى مراتب التفسير بالمأثور، حيث استعان بها في تأويل الآيات وفهم المراد منها، وقد ساعده في ذلك سعة معرفته بالقراءات المتواتر منها والشاد، كما أبدى قدرته العلمية في توجيه القراءات وتبيين ما تحمل كل قراءة من معان.

مصادره:

ويمكن القول إن جميع المصادر التي نقل منها الإمام الثعالبي في تفسيره تعد من أهم المصادر وأحسنها، فهي من الكتب العلمية المشهورة وأصحابها من الأئمة المشهود لهم بالرسوخ في العلم.

ولو أردنا استيفاء جميع المصادر التي أخذ منها مادته التفسيرية، لأطلقنا في ذلك وخرجنا عن غرض موضوعنا في هذه الرسالة، إذا فحسبنا في ذلك ذكر بعضها دون استقصاء جميعها، ونجد في طليعتها ما يأتي:

كتب تفسير القرآن ويأتي في مقدمة كتب التفسير التي استعان بها في تفسيره: «المحرر الوجيز»، لابن عطية، وجامع البيان للطبري، و«البحر المحيط»، لأبي حيان، ومفاتيح الغيب»، للرازي والكشف والبيان، للعيلمي، وأحكام القرآن»، لابن العربي وغيرها.

كتب السنة ويأتي في مقدمة ما اعتمد عليه من دواوين السنة: «جامع الصحيح»، للبخاري ومسلم، والسنن الأربعة: أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، و«المسند»، للإمام أحمد، و«الموطأ»، للإمام مالك، ومصابيح السنة»، للبيهقي.

غير أنه لا يأخذ عن هذه المصادر إلا بواسطة في الغالب الأعم، وهذا لا يعني مطلقا أنه لم يرجع إلى كتب السنة بل رجع إلى الكثير منها، ومنها كذلك: جامع بيان العلم وفضله»، و«التمهيد»، لابن عبد البر، تاريخ بغداد»، للبغداد، وكتاب الرقائق، لابن المبارك وغيرها.

وأما المصادر التي جعلها واسطة للنقل بها عن هذه الدواوين المختلفة، فهي مؤلفات

للمتأخرين، منها: «الحلية»، للنووي، والتذكرة»، للقرطبي، والعاقبة»، للإشبيلي وغيرها.

وهذه الكتب التي ذكرتها استعان بها كثيرا في باب الترغيب والترهيب والرفائق، وخاصة: «كتاب التذكرة» و«كتاب العاقبة»، وهما كتابان نص عليهما في مقدمة تفسيره.

كتب غريب القرآن والحديث وقد اعتمد الإمام الثعالبي في شرح غريب القرآن وغريب السنة على كتابين، أولهما: غريب القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، والثاني: «مختصر غريب القرآن» لزين الدين للعراقي، و: «الغريب المصنف، لأبي عبيد بن سلام.

كتب الأحكام الفقهية والقواعد الأصولية: استعان الإمام الثعالبي فيما يخص الفقه وأصوله على: «المدونة»، لسحنون، والمختصر الفرعي، لابن الحاجب، والإمام في أحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد، والبيان والتحصيل، لابن رشد وغيرها.

كتب التاريخ والسير: أفاد الإمام الثعالبي من كتب كثيرة في باب التاريخ والسير، حيث رجع عموما إلى دواوين السنن، وكتب التفسير بالمأثور التي لها ذكر للأخبار، ومنها: «الشفاء»، لعياض، و «السيرة»، لابن هشام، والآيات والمعجزات»، لابن القطان وغيرها.

وأما المصادر التي رجع إليها في مادة التاريخ، فأذكر: سراج الملوك»، لأبي بكر الطرطوشي، وترتيب المدارك»، لعياض، وكتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء»، للكرديوس وغيرها.

كتب التصوف اشتهر الإمام الثعالبي بكونه عالما ومفسرا وفقها، إلا أن الجانب الصوفي ظل بارزا هو الآخر في شخصيته، وظهر ذلك واضحا وجليا في طغيان مادة التصوف في تفسيره، وغيره من مؤلفاته، وكيف لا يكون كذلك وقد عُرِفَ بالورع الزاهد الولي العارف بالله، لذا اعتنى فيه بإيراد آثار الصالحين والتزود بأخبارهم، وأكثر النقل من كتبهم، ومنها أذكر: الإحياء، وجواهر القرآن»، للغزالي والقصد والرعاية، للمحاسبي، ورسالة في التصوف والتحبير»، للقشيري وغيرها.

توجيه الامام الثعالبي للقراءات باللغة:

إلى جانب توجيه الإمام الثعالبي للقراءات بالأثر نجده يستند إلى اللغة في توجيهها حيث استعان بمختلف علومها لبيان وجوها وعللها وتفصيل وتمثيل ذلك فيما يأتي:

أولاً: توجيهه للقراءات بلغة العرب: اعتنى الإمام الثعالبي بلغات العرب في توجيه القراءات إذ يبرز وجوه القراءات التي هي من قبيل اختلاف اللغات والتي لا تأثير لها في المعنى إذ إن الاختلاف في كثير من القراءات يرجع إلى اختلاف هذه اللغات⁽¹⁾ وقد ساعده في ذلك كعرفة بلغات الغرب وأساليبهم في الكلام، وطريقته في ذلك تتبين فيما يأتي:

أحياناً ينسب القراءة إلى القبيلة في توجيهها ومثال ذلك ما ذكره عند توجيه قراءة الصابئون⁽²⁾، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالتَّصَرِّي مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة المائدة الآية 69، حيث قال: قيل: إن الصابئين⁽³⁾، في موضع نصب ولكنه جاء على لغة بني الحارث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال والجمع بالواو على كل حال قاله أبو البقاء⁽⁴⁾ ويظهر من خلال هذا المثال توجيه الامام الثعالبي لهذه القراءة المشكلة نحويًا بلغة بني الحارث وهي لغة مشهورة عند العرب.

ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند توجيه قراءة «إن هذان» بالألف في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ سورة طه الآية 63، حيث قال: وقالت فرقة: إن هذه القراءة على لغة بني الحارث بن الكعب وإبقاء ألف التثنية في حال النصب والخفض وتعزى هذه اللغة لكنانة وخثعم⁽⁵⁾، يوجه الإمام الثعالبي هذه القراءة في هذا الشاهد على لغة بني

(1)- طاهر بن صالح الجزائري، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1915، ص115.

(2)- ابن عطية، المحرر الوجيز، تح عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص29.

(3)- ابن جني، المحتسب، تح علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 204، ج1، ص217.

(4)- المصدر نفسه، ج1، ص217.

(5)- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان، ج4، ص59.

الحارث بن كعب كما يعزوها إلى لغة كنانة وخنعم وهما من لغات العرب. ولا يكتفي بلغات العرب في توجيهه القراءات بل يوجهه بعضها بلغات العجم، ومن هذه اللغات التي وجه بها القراءات اللغة التركية⁽¹⁾، واللغة السريانية، ومثال الأخيرة ما ذكره عند توجيهه القراءة «إلا» في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ سورة التوبة الآية 10، حيث قال: «وقرأ الجمهور: «إلا» وهو الله عز وجل، قاله مجاهد وأبو مجلز، وهو اسمه بالسريانية، وعُرب...»، ويظهر من خلال هذا المثال توجيه الإمام الثعالبي لهذه القراءة باللغة السريانية، وذكر أن هذا من قبيل المعرب لاستعماله من العرب.

وأحياناً ينسب القراءة إلى اللغة دون التصريح بالقبيلة، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127]، حيث قال: «قرأ الجمهور: «في ضيق» بفتح الضاد، وقرأ ابن كثير بكسر الضاد، وهما لغتان. ومثال ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، حيث قال: «وقرأ نافع وعاصم: "وَقَرْنَ" بالفتح... وأما قراءة الفتح فعلى لغة العرب...2، في هذين المثالين يكتفي الإمام الثعالبي في توجيهه القراءتين بأنهما على لغة العرب دون عزوهما إلى أية قبيلة. ومن خلال ما سبق يتضح أن الإمام الثعالبي يوجه بعض القراءات بما ورد من لغات عن قبائل العرب، وأحياناً ينسبها إلى اللغة دون تصريح باسم القبيلة، كما يورد بعض لغات العجم في

توجيهها، ولكن ذلك قليل ونادر.

ثانياً: توجيهه القراءات بالنحو:

يعد التوجيه النحوي الأكثر استعمالاً وتداولاً في توجيهه القراءات، لذا نجد الإمام الثعالبي قد أكثر من ذكر وجوه إعراب القراءات، وتفصيل وتمثيل ذلك يظهر فيما يأتي: يورد القراءات المتواترة ثم يذكر توجيهها النحوي، ومثال ذلك ما ذكره عند توجيهه قراءة "يكفر"، في قوله تعالى: ﴿وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 271]، حيث قال: «... فأما رفع

(1)- المرجع نفسه، ج 5، ص 73.

الراء⁽¹⁾، فهو على وجهين: أحدهما: أن يكون الفعل خبراً لمبتدأ ديره: ونحن نكفر، أو: والله يكفر، والثاني: القطع والاستئناف، والواو لعطف جملة على جملة⁽²⁾، في هذا المثال ذكر الإمام الثعالبي في توجيه هذه القراءة نحويّاً وجهين: إما التقدير خبراً على الابتداء أو القطع والاستئناف.

وما ذكره أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

سورة البقرة الآية 214، حيث قال: «وقرأ نافع: «يقول» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب، وحتى: غاية مجردة تنص بالفعل بتقدير «إلى أن» وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل، في ذا المثال ذكر الإمام الثعالبي توجيهاً للقراءتين، حيث وجه قراءة النصب بأنها منصوبة بـ: «حتى»، ووجه قراءة الرفع بأن «حتى» حرف ابتداء ترفع الفعل. ويورد القراءات الشاذة ثم يذكر توجيهها النحوي، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ﴾ سورة فصلت الآية 10، حيث قال: «قرأ الحسن: سواءً»، بالخفض على نعت الأيام⁽³⁾.

وما ذكره كذلك عند قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ

(1) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(2) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 1، ص 528.

(3) المرجع نفسه، ج 5، ص 127.

نَاقَهُ اللَّهُ لَكُمْ عَآيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿سورة الأعراف الآية 73﴾، حيث قال: «قرأ الجمهور: «وإلى ثمود»⁽¹⁾، بغير صرف على إرادة القبيلة، وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش: «وإلى ثمود»⁽²⁾، بالصرف، على إرادة الحي»⁽³⁾.

وكما يذكر مسائل الخلاف في النحو عند توجيه بعض القراءات، وخاصة عند ذكر للقراءات التي تعرض لها بعض النحاة والمفسرين الطعن واللعن، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ سورة البقرة الآية 217، حيث قال: «والمسجد»، قراءة الجمهور بالخفض، قال المبرد: واتبعه ابن عطية وغيره: هو معطوف على سبيل الله ورُدَّ بأنه حينئذ يكون متعلقا بـ «صد» أي: وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، فيلزم الفصل بين المصدر وهو: صدّ وبين معموله وهو: المسجد بأجنبي وهو: وكفر به، وقيل: معطوف على ضمير «به»، أي: وكفر به وبالمسجد، ورُدَّ بأن فيه عطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين، وأجازة الكوفيون ويونس وأبو الحسن والشلوبين، والمختار جاوزه لكثرتة سماعا.

في هذا المثال يذكر قراءة مشكلة نحويا، لأنها جاءت على خلاف قواعد النحو وذكر الخلاف الذي فيها بين الكوفة والبصرة، وهي من القراءات التي تعرض لها النحاة خاصة نحاة البصرة بالطعن والرد بيد أنه نقل عن نحاة الكوفة وعن بعض لأئمة النحو جوازه ولأنه مما كثر سماعه عند العرب، وقد رد علماء القراءات والتوجيه والتفسير على من طعن في هاتين

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص420

(2) أبو حيان، البحر المحيط، عناية زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، 1992، ج5، ص91.

(3) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ج3، ص48

القراءتين، وأسهب أبو حيان وتلميذه السمين الحلبي في ذلك.

وما ذكره أيضا عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ سورة الشورى الآية 30، حيث قال: وقرأ نافع وابن عامر بها، دون فاء، قال أبو علي الفارسي: أصاب، من قوله: وما أصابكم يحتمل أن يكون في موضع الجزم، وتكون ما الشرطية، وعلى هذا لا يجوز حذف الفاء عند سيبويه ويجوز حذفها عند الأخفش، وبعض البغداديين على أنها مرادة في المعنى ويحتمل أن يكون أصاب، صلة ما، وتكون ما بمعنى الذي، وعلى هذا يتجه حذف الفاء وثبوتها⁽¹⁾ ويظهر من خلال هذا المثال إirاده الخلاف في النحو توجيه هذه القراءة والتي قبلها.

ويتبين مما سبق أن الإمام الثعالبي يتجه بالنحو للقراءات ويكثر من ذلك المباحث النحوية المختلفة.

توجيهه للقراءات بالصرف:

كما استعان الإمام الثعالبي بالصرف في توجيه القراءات حيث يبرز اشتقاق الكلمات ووزنها وصيغتها والإفراد والجمع والمصدر، وتفصيل وتمثيل ذلك فيما يأتي:

توجيهه للقراءات بالاشتقاق الدلالات اللغوية:

ومثال توجيهه للقراءات المتواترة بالاشتقاق ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَرِهِمْ تَبْتَغُونَ عَنْهُمْ جُزْءًا مِّنْ مَّا كَانُوا يَكْفُونَ﴾ سورة البقرة الآية 85 حيث قال: وقرأ حمزة: أسارى تفدوهم، وأسارى: جمع أسير مأخوذ من الأسر وهو الشد، ثم كثر استعماله حتى لزم وإن لم يكن ثمة ربط ولا شد، وأسير: فاعيل بمعنى مفعول⁽²⁾.

(1) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 5، ص 161-162.

(2) - المرجع نفسه، ج 1، ص 275.

ومثال توجيهه القراءات الشاذة بالاشتقاق مذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّنْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ سورة الرحمن الآية 09 حيث قال: وقرأ بلال بن أبي بردة: تَخْسِرُوا، بفتح التاء وكسر السين من خَسِرَ ويقال خسر وأخسر بمعنى نقص وأفسد كجبر وأجبر.

في هذين المثالين احتج الإمام الثعالبي المتوترة والشاذة بالاشتقاق اللغوي للكلمتين، حيث وجه المتواترة بأنها مشتقة من الأسر الذي بمعنى الشد، ووجه الشاذة بأنها مشتقة من خسر وأخسر بمعنى نقص وأفسد الذي هو من باب جبر وأجبر⁽¹⁾.
توجيهه للقراءات بالصيغة والوزن:

ومثال توجيهه للمتواتر بالصيغة ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ سورة السجدة الآية 07، حيث قال: وقرأ الجمهور: الذي أحسن كل شيء خلقه، بفتح اللام على أنه فعل ماض⁽²⁾.

ومثال توجيهه للشاذ بالصيغة ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ سورة المسد الآية 04 حيث قال: وقرأ شاذاً: ومُرِيَّتُهُ بالتصغير، في هذين المثالين احتج للقراءتين بالصيغة، حيث ذكر أن المتواترة جاءت على صيغة الماضي، والشاذة جاءت على صيغة التصغير.

كما ذكر في توجيه بعض القراءات أصل تصريفها ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ﴾ سورة المرسلات الآية 11، حيث قال: وقرأ أبو عمر وحده وَقَبَّتْ، والواو هي الأصل لأنها من الوقت، والهمز بدل، قال الفراء انضمت كانت ضميتها لازمة جاز أن

(1)- المرجع السابق، ج 5، ص 347.

(2)- المرجع نفسه، ج 4، ص 327.

تبدل منها همزة⁽¹⁾.

في المثال السابق وجه الإمام الثعالبي القراءة ببيان اصل تصريفها ثم علل ذلك التوجيه بأنها مأخوذة من الوقت، ثم ذكر قاعدتها الصرفية ناقلا ذلك عن الفراء.

ومثال توجيهه للقراءات المتواترة ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿بَلِ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ سورة النمل الآية 66 حيث قال: وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: بل اذارك على وزن افتعل بمعنى تفاعل⁽²⁾.

ومثال توجيهه للقراءات الشاذة بالوزن ما ذكره عند توجيهه قراءة يثنون في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ سورة هود الآية 05 حيث قال: وقرأ ابن عباس وجماعة: تثنوني صدورهم بالرفع على وزن تفعول⁽³⁾.

يلاحظ من خلال هذين المثالين توجيهه للقراءتين بوزن الفعل حيث احتج للمتواترة بأنها على وزن افتعل ووهي بمعنى تفاعلن ووجه الشاذة بأنها جاءت على وزن تفعول. ويتضح من خلال ما سبق أن الإمام الثعالبي اعتمد على الصرف في توجيهه للقراءات، كما يلاحظ كذلك إيراد الكثير من المباحث الصرفية في تفسيره إذ استفاد منها في الكشف عن الأصول اللغوية والدلالية لهذه القراءات مما أثرى من المعاني اللغوية للنص القرآني.

توجيهه للقراءات بالشعر:

كما استعان الإمام الثعالبي بما ورد عن العرب من أشعار في توجيهه للقراءات غير أنه لم يكن يتوسع في ذكره، ومن الأمثلة عن ذلك:

ما ذكره عند توجيهه قراءة: بَعِدَتْ في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدَيْنٍ كَمَا بَعِدَتْ

ثَمُودُ﴾ سورة هود الآية 95، حيث قال: ومعنى البعد في قراءة بَعِدَتْ بكسر العين الهلاك، وهي قراءة الجمهور، ومنه قول خرنق بنت هفان:

(1)- المرجع نفسه، ج 5، ص 537.

(2)- ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 4، ص 268.

(3)- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 3، ص 273.

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمَّ الْعُدَاةَ وَآفَةَ الْجُزْرِ

ومنه قول مالك بن الربيع:

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد إلا مكانيا

وما ذكره ايضا عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ

بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ حيث قال: وقرا الجمهور:

لِيُزْلِقُونَكَ بضم الباء من أزلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل، وفي هذا المعنى قول الشاعر:

يتقارضون إذ يلتقون في مجلس نظرا يزيل مواطئ الأقدام

يتضح من خلال هذين المثالين يستعين بما ورد عن العرب من أشعار في توجيه القراءات.

توجيه القراءات بالبلاغة:

كما استعان الإمام الثعالبي بعلوم البلاغة في توجيه القراءات وتمثيل وتفصيل ذلك فيما

يأتي:

توجيهه للقراءات بأسلوب، ومن ذلك:

توجيهه للقراءات بأسلوب الخبر والاستفهام، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿

أَتَخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ سورة ص الآية 63، حيث قال: وقرا

الباقون: اتخذناهم سخريا، بهمزة الاستفهام ومعناها تقرير أنفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والأسف أي: اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك⁽¹⁾.

توجيهه للقراءات بأسلوب الفصل والوصل: ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا

كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ سورة الأعراف الآية 43، حيث قال: وقرا ابن عامر

وحده: وما كنا لنهتدي، بسقوط الواو ووجهها أن الكلام متصل مرتبط بما قبله⁽²⁾.

توجيهه للقراءات بأسلوب الالتفات: ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿

(1) عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان، ج5، ص74

(2) - المرجع نفسه، ج3، ص31.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ سورة النحل الآية 97، حيث قال:

قال أبو حيان: وروي عن نافع ولنجزينهم بالياء التفاتا من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة⁽¹⁾.
توجيهه القراءات بأسلوب الخطابة والغيبة: ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ سورة النمل الآية 25، حيث قال: وقرأ الجمهور:

يخفون ويعلمون، بياء الغائب وهذا القراءة تعطى أن الآية من كلام الهدهد، وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم: تخفون وتعلنون بقاء الخطاب، وهذه القراءة تعطى أن الآية من خطاب الله تعالى لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

توجيه القراءة بالحقيقة والمجاز: ومثال ذلك ما ذكره عند توجيه قراءة صاعقة في قوله

تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾

سورة فصلت الآية 13، حيث قال: وأما الأولى فهي تشبيه بالصاعقة وهي الوقعة الشديدة من صوت الرعد، فشبهت هنا وقعة العذاب بها لأن عادا لم تعذب إلا بريح وإنما هذا تشبيه واستعارة⁽³⁾.

ومن خلال ما سبق يتضح توجيه الامام الثعالبي لهذه القراءات بمختلف علوم البلاغة من استفهام ووصل والتفات وغيبة وخطاب وحقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وهذا ما يبين التكامل بين اختلاف القراءات وعلوم البلاغة.

ويمكن القول عن الإمام الثعالبي استفاد من علوم اللغة في توجيه القراءات، هذه العلوم التي وضعت في اصل نشأتها لخدمة القرآن الكريم وعلومه كما استعان بلغات العرب وبالنحو والصرف والبلاغة لبيان الوجوه والتعليقات التي تُخَرِّجُ عنها هذه القراءات من الناحية اللغوية والنحوية والدلالية، ومن خلال هذا يكون الإمام الثعالبي قد أبان عن مقدرة معرفية عالية في تحكمه في علوم اللغة العربية والتي سخرها لتفسير كلام الله تعالى وخدمته والدفاع

(1)- المرجع نفسه، ج 3، ص 441.

(2)- المرجع نفسه، ج 4، ص 249.

(3)- المرجع السابق، ج 5، ص 129.

عنه

خاتمة:

وننتهي في ختام ورقتنا هذه إلى جملة من الاستنتاجات نذكر أهمها:

اعتناء الإمام الثعالبي بتوجيه القراءات حيث أفاد منه في بيان معاني القرآن الكريم
أورد الثعالبي تنوعا لغويا لعلم توجيه القراءات في تفسيره من قبيل التوجيه بالنحو
والصرف واللغة والبلاغة والشعر وغير هذا
أبان الثعالبي من خلال توجيهه للقراءات أن وجوه المعاني في القرآن الكريم تتحكم فيها
العلوم اللغوية لأنه نص عربي.
يمثل تفسير الجواهر الحسان أحد أبرز الكتب التي أعطت صورة واضحة لضلوع وتمكن
علماء القطر الجزائري في علوم القرآن واللغة خاصة.
يمثل كتاب الجواهر الحسان أحد المصادر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في
تفسير القرآن الكريم من خلال سهولة اللفظ وبيان المعاني وعمق الدراسة وتضافر العلوم
لكشف المعاني والأحكام.
يمثل تفسير الثعالبي منهجا تراكميا ومركبا وتطبيقيا لعلم توجيه القراءات يمكن
الاستفادة منه في كل زمن وكل مكان.
قائمة المصادر والمراجع:

توجيه القراءات القرآنية عند الثعالبي من خلال تفسير الجواهر الحسان. عرض نماذج

ط د. محمد الأمين وذان.

جامعة غرداية

ط د. محمد الأزهر بوغابة.

جامعة الجزائر 1

الملخص:

يهدف بحثنا إلى الكشف عن منهج الإمام عبد الرحمن الثعالبي في عرض القراءات القرآنية وتوجيهها في تفسيره "الجواهر الحسان"، وقد استُهلَّ البحث ببيان التعريف بالإمام الثعالبي، مركّزاً على جوانب من حياته الشخصية ومسيرته العلمية، إلى جانب التعريف بتفسيره المشهور "الجواهر الحسان في تفسير القرآن".

بعد ذلك، تم تسليط الضوء على منهجه في تناول القراءات ضمن تفسيره، حيث تبين أن له أساليب متعددة في التوجيه، تختلف باختلاف تنوع القراءات واختلافها، مما يعكس عمق معرفته ودقة تعامله مع هذا الجانب من علوم القرآن.

الكلمات المفتاحية: الثعالبي، الجواهر الحسان، التفسير، التوجيه، القراءات، الأساليب.

Abstract:

This research aims to uncover the methodology of Imam 'Abd al-Rahmān al-Tha'ālībī in presenting and interpreting Qur'anic readings qirā'āt in his famous exegesis "*Al-Jawāhir al-Ḥisān fī Tafṣīr al-Qur'ān*". The study begins by introducing Imam al-Tha'ālībī, focusing on aspects of his personal life and scholarly journey, along with an overview of his renowned tafsīr *Al-Jawāhir al-Ḥisān*. Subsequently, the research highlights his methodology in dealing with the variant readings within his interpretation, revealing his diverse approaches to their explanation—approaches that vary depending on

the nature and differences of the qirā'āt. This reflects his deep knowledge and precise engagement with this important field of Qur'anic sciences.

Keywords: Al-Tha'ālibī, Al-Jawāhir al-Ḥisān, Tafsīr, Interpretation, Qirā'āt, Methodologies.

مقدمة

حظي القرآن الكريم بعناية كبيرة من علماء الإسلام على مر العصور، واهتموا اهتمامًا بالغًا بعلومه المتنوعة، ولا سيما علم القراءات والاحتجاج لها، لما لهذا العلم من أهمية بالغة في خدمة التفسير وفهم معاني الآيات، إذ يُعد من العلوم الأساسية التي لا غنى للمفسر عنها، باعتباره أداة لفهم النصوص القرآنية بدقة وعمق.

وقد كان الإمام عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله من بين هؤلاء العلماء الذين أولوا عناية فائقة بعلم القراءات، حيث تناولها في تفسيره الشهير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، معتمدًا منهجًا مميزًا في عرضها وتوجيهها. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، حيث يسعى الباحث إلى الكشف عن أساليب الثعالبي في توجيه القراءات القرآنية داخل تفسيره.

أهمية الموضوع:

اتصاله المباشر بكتاب الله تعالى، مما يضفي عليه طابعًا من القدسية، ويجعل الاشتغال به من أشرف العلوم وأعظمها أجرًا في الدنيا والآخرة.

إبراز القيمة العلمية للإمام الثعالبي، الذي عُرف بعلمه الواسع ومكانته بين علماء عصره، فقد أُلّف في مختلف العلوم، وكان مرجعًا في التفسير والفقه واللغة.

أهداف الموضوع:

التعريف بعالم من أعلام الجزائر في التفسير.

التعرف على طبيعة المنهج الذي سلكه الثعالبي في توجيهه للقراءات القرآنية.

اكتساب معارف جديدة في علم القراءات والتفسير.

إشكالية البحث:

ما طبيعة المنهج الذي سلكه الثعالبي في تفسيره عند عرضه للقراءات القرآنية وتوجيهها؟ وما القواعد العلمية التي بنى عليها ذلك؟

للإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال

اختيار آيات معينة من مختلف القراءات التي تناولها الثعالبي في تفسيره، ثم تحليل طريقته في عرضها، مع بيان القواعد التي استند إليها في ذلك معتمدين على الخطة التالية:

المبحث الأول: الإمام عبد الرحمن الثعالبي وتفسيره.

المطلب الأول: التعريف بالإمام عبد الرحمن الثعالبي.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الجواهر الحسان.

المبحث الثاني: أساليب الثعالبي في توجيه القراءات القرآنية.

المطلب الأول: التوجيه بالرسم القرآني والقراءة الشاذة والنظير من الآيات القرآنية.

المطلب الثاني: التوجيه اللغوي والصرفي والفقهي.

المبحث الأول: الإمام عبد الرحمن الثعالبي وتفسيره.

الإمام الثعالبي يُعد من أعلام العلماء في مجالات الفقه، والحديث، والتفسير، عُرف بغزارة علمه، وشدة ورعه، وزهده وصلاحه، وقد نهل من علوم كبار علماء المشرق والمغرب، ونال عنهم إجازات علمية معتمدة، ويعد تفسيره "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، من التفاسير التي كتب الله لها التوسع والقبول في بقاع العالم، وسنوضح ذلك من خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: التعريف بالإمام عبد الرحمن الثعالبي.

نبين في هذا المطلب نسب ومولد الإمام عبد الرحمن الثعالبي في الفرع الأول، بينما خصصنا الثاني والثالث حول شيوخه وتلاميذه وذكر وفاته .

الفرع الأول: نسبه ومولده.

أولاً: نسبه: الإمام عبد الرحمن الثعالبي، هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجعفري النسب، يعود نسبه إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ابن عمّ النبي محمد ﷺ، ويعد فخر علماء الجزائر وأحد صلحائها الأتقياء، وهو من كبار أئمة الأمة علماً وزهداً وورعاً، وصف بأنه الإمام العالم، العامل، الزاهد، الورع، الصالح، العارف بالله، ومن

أولياء الله الذين زهدوا في الدنيا، وأقبلوا على الله بالعبادة والعلم والدعوة.⁽¹⁾

ثانيا: مولده: ولد الإمام الثعالبي سنة 1385 م، في منطقة وادي يسر، الواقعة على بعد نحو 66 كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة، وهي موطن آبائه وأجداده من قبيلة "الثعالبة"، وهم من العرب المعقلين.⁽²⁾

الفرع الثاني: نشأته ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه .

أولا: نشأته ومكانته العلمية: نشأ الإمام الثعالبي في بيئة علم وصلاح، فبدأ طلب العلم في موطنه، ثم ارتحل إلى مدينة بجاية سنة 1399 م، حيث نهل من كبار علمائها، ثم انتقل إلى تونس سنة 1406 م، والتقى هناك بنخبة من العلماء، قبل أن يواصل رحلته إلى مصر سنة 1414 م، ومنها إلى مدينة بورصة في الدولة العثمانية، حيث أقيمت له زاوية خاصة به، بعد ذلك، توجه إلى الحج، وأخذ عن علماء الحجاز، ثم عاد إلى مصر، فإلى تونس سنة 1416 م، مواصلا سعيه في طلب العلم ونشره.⁽³⁾

ويعد الإمام الثعالبي من كبار العلماء في الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، والدعوة، عرف بعلمه الغزير، وورعه، وزهده، وصلاحه، تلقى العلم عن كبار علماء المشرق والمغرب، وأجازوه بإجازات علمية معتبرة.

ثانيا: شيوخه وتلاميذه.

أ: شيوخه:⁽⁴⁾

من أشهر شيوخه:

.الشيخ محمد بن خلف التونسي الوشتاني.

(1) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر، 280/02.

(2) ينظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ص265.

(3) ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع نفسه، ص 282.

(4) ينظر: محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص265.

. الإمام الحافظ الفقيه وليّ الدين العراقي، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن.

. أبو القاسم بن أحمد القطواني التونسي، المعروف بالبرزلي.

ب: تلاميذه: (1)

من أشهر تلاميذه:

. محمد بن محمد بن أحمد الخطيب.

. محمد بن يوسف السنوسي.

. أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري وابنه مرزوق الكفيف.

الفرع الثالث: وفاته.

توفي الإمام عبد الرحمن الثعالبي ضحى يوم الجمعة 23 رمضان سنة 875هـ، الموافق منتصف شهر مارس من عام 1471م، بعد حياة حافلة بالعلم والعمل والعبادة، وقد دفن رحمه الله بجبانة الطلب في مدينة الجزائر العاصمة، وهي المعروفة اليوم بضريحه الذي أصبح معلما تاريخيا يزار، ومشهداً من مشاهد الذاكرة الدينية والعلمية في الجزائر. (2)

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الجواهر الحسان.

نوضح في هذا المطلب مفهوم التفسير من الناحية اللغوية ومن الناحية الإصطلاحية، ثم نعرض على أهمية تفسيره من خلال التطرق إلى منهجية ومحتويات المقدمة.

الفرع الأول: مفهوم التفسير.

أولاً: مفهوم التفسير في اللغة.

عند الرجوع إلى المعاجم العربية يظهر أن لهذا المصطلح عدة دلالات لغوية متقاربة في

(1) ينظر: عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 283..

(2) ينظر: نفس المرجع والصفحة.

المعنى، تصب جميعها في إطار الإيضاح والكشف، ومن أبرز المعاني التي وردت ما يلي:
 الفعل "قَسَرَ" يُستخدم للدلالة على الإبانة والتوضيح، أي الكشف عن المعنى وإظهار المقصود.

لمة "التَّفْسِيرَة" كانت تُستعمل في الطب، وتعني نظر الطبيب في الماء كالبلغم أو البول لتشخيص الحالة والحكم عليها.

الْقَسْر "يشير إلى عملية إزالة الغموض أو كشف ما كان مستورا.

أما "التفسير" فيُقصد به إيضاح المعنى المقصود من الألفاظ الغامضة أو المشكّلة.⁽¹⁾

ثانيا: مفهوم التفسير في الإصطلاح.

عرفه جلال الدين السيوطي فقال: «علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيمها، ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها وناسخها، ومنسوخها، وخاصها، وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها، ومفسرها وحلالها وحرامها ووعداها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها».⁽²⁾

يرى السيوطي في هذا التعريف أن جميع العلوم المتعلقة بالقرآن داخلة في علم التفسير، بينما أغفل جانب التفسير المشتمل على الفهم والبيان.

وعرفه بدر الدين الزركشي فقال: «التفسير: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول،

(1) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1979م. 504/04.

(2) جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1974 ص435.

والناسخ والمنسوخ»⁽¹⁾.

اعتبر الزركشي الفقه والقراءات وعلوم القرآن والنحو والتصريف وعلم البيان وغيرها مقدمات لمعرفة التفسير، وأنه مستمد منها.

وعرفه أبو حيان: «التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك»⁽²⁾.

الملاحظ أنه أدخل في علم التفسير كل ما يتعلق بالآيات القرآنية لفظاً ومعنى، كعلوم القرآن، وعلوم اللغة وعلم البيان، وسبب النزول والقصص.

الفرع الثاني: أهمية كتاب الجواهر الحسان.

يُعدُّ تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" من أعظم مؤلفات الإمام عبد الرحمن الثعالبي، وقد شهد له بذلك بنفسه، حيث قال: ومن أنفعها نفعاً، وأعظمها بركة: كتابنا المسعى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ولقد رأيت له بحمد الله عجائب، وبركات، وبشارات متواليات....

وقد أثنى عليه بعض مترجي الإمام، واعتبروه من أنضج وأجود أعماله، حيث جمع فيه بين الاختصار والبيان، واقتصر في مادته على خلاصة تفسير ابن عطية، مضيقاً إليه فوائد وزوائد كثيرة، مما جعله تفسيراً في غاية الإتقان والحسن.⁽³⁾

الفرع الثالث: مقدمة الجواهر الحسان.

أولاً: منهجية المقدمة.

(1) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الديمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، 13/01.

(2) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، 121/01.

(3) عبد الرحمن الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الواجد الماجد، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص 128.

استهل الإمام الثعالبي تفسيره بمقدمة منهجية يبين فيها مصادره وأسلوبه في النقل والاختصار، فقال: وما انفردتُ بنقله عن الطبري، فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللخمي النحوي لتفسير الطبري نقلتُ، لأنني اعتنيتُ بهذيبه....

وقد أوضح أن ما يُختتم بعبارته انتهى لا يُنسب إلى ابن عطية، بل هو مما انفرد هو بنقله عن غيره، كما أشار إلى الرموز والعلامات التي استخدمها في كتابه:

التاء: ترمز إلى إضافاته الشخصية، ويمكن للقارئ استبدالها بـ "قلت".

. العين: شير إلى كلام الإمام ابن عطية

. الصاد: ترمز إلى نقوله عن الصفاقسي، وغالبًا ما تتعلق بتفسير أبي حيان

وأما ما نقله من الحديث الشريف، فقد استمده غالبًا من كتب الأذكار والدعوات كرياض الصالحين وسبل المؤمن للنووي، وفي أحاديث الآخرة من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق الإشبيلي، مع زيادات كثيرة من مصابيح البغوي وغيرها، وأكد الثعالبي أن كتابه زاخر بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد ﷺ⁽¹⁾.

ثانيا: محتويات المقدمة.

بعد المقدمة، عقد الإمام الثعالبي عدة أبواب تمهيدية، منها:

.باب في فضل القرآن الكريم.

.باب في فضل تفسير القرآن وإعرابه.

.فصل في مراتب المفسرين.

.فصل في الإعجاز والبيان في القرآن.

.باب في أسماء القرآن ومعاني السورة والآية.

(1) ينظر: عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

ثم شرع في تفسير البسملة، تلاها بتفسير سورة الفاتحة، فقال: "تفسير الفاتحة بحول الله وقوته".⁽¹⁾

المبحث الثاني: أساليب الثعالبي في توجيه القراءات القرآنية.

تعددت أساليب الثعالبي في تعامله مع القراءات القرآنية المختلفة في كتابه الجواهر الحسان، وسنبين ذلك في هذا المبحث من خلال التطرق لمجموعة من الأمثلة من خلال المطالبين الآتين.

المطلب الأول: التوجيه بالرسم القرآني والقراءة الشاذة والنظير من الآيات القرآنية.
نتطرق في هذا المطلب إلى أسلوب الثعالبي، للرسم القرآني وكذا القراءة الشاذة، والنظير من الآيات القرآنية، من خلال الفرعين الآتين.

الفرع الأول: التوجيه بالرسم القرآني والقراءة الشاذة.

أولاً: التوجيه بالرسم القرآني.

﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: 133]

قرأ الجمهور: "و سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ..." بالواو عطفاً على ما قبلها، وقرأ نافع وابن عمر وأبو جعفر بدون واو.⁽²⁾

قال الثعالبي في توجيه قراءة نافع وابن عامر:

"وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ باقي السبعة بالواو، والمسارة: المبادرة، وهي مفاعلة، إذ الناس كأن كل واحد يسرع ليصل قبل غيره، فبينهم في ذلك مفاعلة".

(1) المرجع نفسه، 156/01.

(2) البناء أحمد الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص228.

(1)

وفيه من ذلك، أن من قرأ بالواو فلا تته عطف الجملة على الجملة، والمعطوف عليها قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: 132] وسارعوا، ومن ترك الواو فلا تجملة الثانية ملتبسة بالأولى مستغنية بالتباسبها بها عن عطفها بالواو، وكلا الأمرين مستقيم.

ثانيا: التوجيه بالقراءة الشاذة .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 128]

قال الثعالبي: الآية خطاب للعرب، في قول الجمهور، وذلك على جهة تذكيرهم بفضل الله، إذ بعث فيهم رسولا منهم، يعرفون نسبه ولغته وفصاحته، وأنه من صميم العرب وشرفها، وقد قرأ عبد الله بن قسيط المكي "من أنفسكم" بدل "من أنفسكم" أي . بفتح الفاء . من النفاسة.⁽²⁾

ويؤيد ذلك ما قاله أبو الفتح: من أنفسكم، معناه: من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع، أي: أجوده وخياره، واشتقه من النفس، وهي أشرف ما في الإنسان.⁽³⁾

الفرع الثاني: التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية.

1- قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146]

جاء في هذه الآية اختلاف في القراءة:

فقد قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: "قُتِلَ"، بصيغة المبني للمجهول، على أن

(1) عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 105/02.

(2) ينظر: ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: عبد الحليم النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999، 306/01. الثعالبي، الجواهر الحسان، 232/03.

(3) ابن جني، نفس المرجع والصفحة.

القتل وقع على "النبي".

بينما قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، والأعمش: "قاتل"، على أنه فعل ماضٍ مبني للفاعل، أي إن النبي شارك في القتال.⁽¹⁾

وقد علّق الثعالبي على قراءة "قُتِلَ"، ناقلاً قول جماعة من المفسرين، منهم الطبري، بأن الفعل مستند إلى ضمير "ني"، أي أن المقصود: أن النبي نفسه قُتِلَ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس كذلك. وعلى هذا التوجيه، تكون كلمة "رَبِّيُونَ" مرفوعة على الظرف، أي لا تتعلق بالفعل "قُتِلَ"، بل بمحذوف تقديره "كان معه ربيون".⁽²⁾

أما الحسن ابن أبي الحسن وغيره، فقد رجّحوا أن الفعل "قُتِلَ" يعود على "الرَّبِّيُونَ"، أي أنهم هم المقتولون، وليس النبي، واستدلوا على ذلك بأن الأنبياء لم يُقتلوا في الحروب، فقال الحسن: "لم يُقتل نبيٌّ في حرب قط".

من جانبه، رجّح ابن عطية رأي الطبري، الذي يرى أن الفعل يعود على "النبي"، مستدلاً بذلك على الحادثة التي شاع فيها خبر مقتل النبي محمد ﷺ في أحد، فتخاذل بعض المؤمنين بسبب ذلك.⁽³⁾

أما الثعالبي، فقد أيد هذه القراءة أيضاً، معتبراً أن الترجيح مستند إلى قوله تعالى: {أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} مشيراً إلى أن هذه الآية تدعم قراءة "قُتِلَ" وتُقَوِّي معناها.⁽⁴⁾

2. قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: 8]

في هذه الآية أيضاً ورد خلاف في القراءة: قرأ حفص عن عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: "لَا يَسْمَعُونَ" بتشديد السين والميم، وهي قراءة على وزن "يَسْمَعُونَ"، فأدغمت التاء في السين.

(1) عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد للطباعة، دمشق، 2002، 589/02.

(2) الثعالبي، المرجع السابق، 118/02.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422، 520/01.

(4) الثعالبي، المرجع نفسه، 118/02.

وقرأ الجمهور وهم: أبو بكر عن عاصم، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب:

"لَا يَسْمَعُونَ" بتخفيف السين، أي أنهم لا يسمعون أصلاً.⁽¹⁾

قال الثعالبي في قراءة الجمهور:

تفيد هذه القراءة نفي سماعهم تمامًا، حتى وإن كانوا يحاولون الاستماع، إلا أن النتيجة هي الحرمان الكامل من السمع، وهو المعنى الأقوى، ويؤيده قوله تعالى:

{إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعْزُولُونَ} [الشعراء: 212]،

مما يدل على أنهم لا يصلون إلى شيء من علم الغيب الذي يُداول في الملأ الأعلى.⁽²⁾

المطلب الثاني: التوجيه اللغوي والصرفي والفهمي.

نتطرق في هذا المطلب إلى أسلوب الثعالبي من خلال اللغة العربية والصرف، وكذا من ناحية الفقه في الفرعين الآتين.

الفرع الأول: التوجيه اللغوي والصرفي.

1- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97].
قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف وأبو جعفر: «حِجُّ الْبَيْتِ»؛ بكسر الحاء، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب «حِجُّ الْبَيْتِ»؛ بفتح الحاء،⁽³⁾ قال الثعالبي رحمه الله: "وقال الطبري: هما لُغَتَانِ؛ الكسر: لُغَةُ نَجْدٍ، والفتح لغة أهل العالية."⁽⁴⁾

قال أبو زرعة في الآية السابقة: قرأ حمزة والكسائي وحفص {حج البيت} بكسر الحاء وقرأ الباكون بالفتح وهما لغتان الفتح لأهل الحجاز وبني أسد والكسر لغة أهل نجد وقيل إن

(1) عبد اللطيف الخطيب، المرجع نفسه، 07/06/08.

(2) الثعالبي، المرجع السابق، 23/05.

(3) عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 548/01.

(4) الثعالبي/ المرجع نفسه، 80/02.

الفتح مصدر والكسر اسم، وقال مكي بن أبي طالب القيسي: قوله تعالى: {حج البيت} قرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء وقرأ الباقون بالفتح، وهما مصدران لـ حَجَّ يَحُجُّ، حكى سيبويه، حَجَّ جِجَا بالكسر كـ: ذكر ذِكْرًا، ويقال: حجَّ حَجَا، والفتح أصل المصدر، وقيل: الفتح المصدر، والكسر الاسم، قال أبو زيد: الحجة السنة، والحج السنون، قال الله: {ثماني حجج} «القصص 27» وقيل: هما لغتان بمعنى.⁽¹⁾

2- قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33] قرأ الجمهور: «وقرن» بكسر القاف، وقرأ نافع وعاصم وأبو جعفر: وقَرْنَ بفتح القاف، أمر من قررن بكسر الراء الأولى،⁽²⁾ قال الثعالبي رحمه الله: "فأما الأولى، أي: «وقرن»، فيصح أن تكون من الوقار، ويصح أن تكون من القرار، وأما قراءة الفتح، أي «وَقَرْنَ»، فعلى لغة العرب قَرَرْتُ بِكَسْرِ الرَّاءِ أَقَرُّ بفتح القاف في المكان، وهي لغة ذكرها أبو عبيد في «الغريب المصنف» وذكرها الرَّجَّاجُ.⁽³⁾

قال الأزهري: من قرأ وقرن في بيوتكن بفتح القاف فهو من قررت بالمكان أقر وقرن كان في الأصل واقررن بإظهار الراءين، فلما خفف الحرف حذفت الراء الأولى، لثقل التضعيف، وألقيت حركتها على القاف فقبل وقرن ونظير هذا من كلامهم قولهم: حسنت لفلان، أي: رقت له والأصل: حسنت له، ومما جاء في القرآن من هذا قوله تعالى: ﴿فَطَلَّمتُ تفكَّهون﴾ [الواقعة: 65]

وكان في الأصل: فطللتم.

وشطر الآية وقرن في بيوتكن فيه وجهان:

أحدهما: أنه من الوقار، يقال: وقر يقر، والأمر: قر، وللنساء قرن.

(1) مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981،

(2) البناء أحمد الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص 454.

(3) الثعالبي/ المرجع نفسه، 345/04.

والوجه الثاني: أن يكون قوله وقرن بكسر القاف من قولك: قررت بالمكان أقر - وهي لغة جيدة- حذف إحدى الرايين على أنه في الأصل واقررن بكسر الراء الأولى، فالكسر من وجهين: من الوقار، أو من القرار، والفتح من القرار لا غير، وهذا قول الحذاق من النحويين.⁽¹⁾

3. قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَنَكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 271].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ونافع في رواية أبي جعفر « وَنُكْفَرُ » بالنون والرفع، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص « وَيُكْفَرُ » بالياء ورفع الراء، وقرأ نافع وحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وأبو جعفر وخلف بالنون وَجَزَمَ الرَّاءُ،⁽²⁾ قال الثعالبي: "فأما رفع الراء، فهو على وجهين: أحدهما: أن يكون الفعل خبر ابتداء، تقديره: ونحن نكفر ، أو: والله يكفر، والثاني: القطع، والاستئناف، ثم قال: والجزم في الراء أفصح هذه القراءات، لأنها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء، وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء، وأما رفع الراء، فليس فيه هذا المعنى.⁽³⁾

قال أبو منصور: من قرأ نكفر جزماً عطفه على موضع الجزم في قوله: فهو خير لكم لأن معناه: يكن خيراً لكم، ومن قرأ ونكفر عنكم بالنون والرفع رفعه، لأن ما بعد الفاء قد صار بمنزلة في غير الجزاء، وهو اختيار سيبويه، كأنه استئناف، وكذلك من قرأ ويكفر بالياء والرفع.⁽⁴⁾

4- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 94]. قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي وأبو جعفر

(1) محمد الأزهرى، معاني القراءات وعللها، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، السعودية، 1991، 282/2

(2) عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 391.390/02

(3) الثعالبي، المرجع السابق، 528/01.

(4) محمد الأزهرى، معاني القراءات وعللها، 230/1

ويعقوب «يَنْكُمُ» بالنصب على أنه ظرف والفاعل مقدر ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة «يَنْكُمُ» بالرفع فاعلا.⁽¹⁾

قال الثعالبي: هو يوجه قراءة النصب وقرأ نافع والكسائي «يَنْكُمُ» بالنصب على أنه ظرف، والتقدير: لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم، ونحو هذا، وهذا وجه واضح، وعليه فسرہ الناس مجاهد وغيره.⁽²⁾

قال أبو منصور: وروى أبو حاتم لأبي عمرو بن العلاء قال: من قرأ بينكم لم يجز إلا بموصول كقولك: لقد تقطع ما بينكم.

ولا يجوز حذف الموصول وبقاء الصلة، لا تجيز العرب إن قام زيد بمعنى: أن الذي قام زيد.

وروى أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي أنه قال: من قرأ بينكم فمعناه: لقد تقطع الذي كان بينكم.

قال أبو إسحاق: المعنى لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

ومن قرأ لقد تقطع بينكم بالرفع فمعناه: لقد تقطع وصلكم، والبين في كلام العرب يكون وصلاً، ويكون فراقاً.

وأجود القراءتين الرفع.

وقال الفراء: في قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم قال: وهو وجه الكلام إذا جعل الفعل لبيان ترك نصبا، كما قالوا: أتاني دونك من الرجال. فترك نصباً، وهو في موضع رفع؛ لأنه صفة، فإذا قالوا: هذا دون من الرجال، رفعوه، وهو في موضع الرفع، وكذلك يقول: بين الرجلين بين بعيد، وبون بعيد، إذا أفردته أجريته بالعربية.⁽³⁾

(1) عبد اللطيف الخطيب، المرجع السابق، 531/01.

(2) الثعالبي، المرجع السابق، 497/02.

(3) محمد الأزهرى، معاني القراءات وعللها، 371، 372/01.

الفرع الثاني: التوجيه الفقهي.

ومثاله قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6].

قال: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو يعقوب ويخلف وحمزة: «وَأَرْجُلَكُمْ» بالخفض، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر وحفص عن عاصم: بالنصب، وهو معطوف على «وَأَيْدِيَكُمْ»، وما قبله وحكمهما الغسل، وقال: ومن قرأ بالخفض، جعل العاملَ أَقْرَبَ الْعَامِلِينَ، وجمهور الأئمة من الصحابة والتابعين على أَنَّ الْفَرْضَ فِي الرَّجْلَيْنِ الْغَسْلُ، وَأَنَّ الْمَسْحَ لَا يَجْزِي.⁽¹⁾

ثم نقل كلام ابن العربي في «القبس» وأقره: "ومن قرأ «وَأَرْجُلَكُمْ» بِالْخَفْضِ، فَإِنَّهُ أَرَادَ الْمَسْحَ عَلَى الْخَفَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ التَّأْوِيلَاتِ فِي الْآيَةِ"، وهذا هو الذي صححه في "أحكامه".⁽²⁾

ويؤيد رأي الثعالبي رأي مكي بن أبي طالب القَيْسِي قوله: {وَأَرْجُلَكُمْ} قرأه نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب، وقرأ الباقر بالخفض.

وحجة من خفضه أنه حملة على العطف على «الرؤوس» لأنها أقرب إلى الأرجل من الوجوه، والأكثر في كلام العرب أن يحمل العطف على الأقرب من حروف العطف ومن العاملين، ألا نرى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ﴾ [الجن: 07]. فأعمل «ظننتم» في «أن» لقربها منها، ولم يعمل «ظننوا»، ولو أعمل «ظننوا» في «أن» لوجب أن يقال: كما ظننتموه، فالعامل في «أن» «ظننتم» دون «ظننوا» لقربها، ومثله في إعمال القريب دون البعيد: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: 176]، فعلق الحرف بـ «يفتيكم» لقربه منه، ولو علقه بـ «يستفتونك» لقال: يفتيكم فيها في الكلاله، وهو كثير في الكلام والقرآن، لكن لما حمل «الأرجل» على «الرؤوس» في الخفض على «المسح» قامت الدلالة من السنة والإجماع، ومن تحديد الوضوء في الأرجل مثل التحديد في الأيدي المغسولة، على

(1) عبد اللطيف الخطيب، المرجع نفسه، 232231/02.

(2) الثعالبي، المرجع نفسه، 357.352/02.

أنه أراد بالمسح الغسل والعرب تقول: تمسحتُ للصلاة، أي: توضأتُ لها، وقد قال أبو زيد: إن المسح خفيف الغسل، وقد قال أبو عبيد في قوله تعالى: ﴿فَطْفِقْ مَسْحًا﴾ [ص: 33]، إن معنى المسح الضرب، فقد صار المسح، يستعمل في الغسل، وكذلك مسح الأرجل مستعمل في الغسل نفسه، وبذلك قرأ الحسن والحسين وأنس بن مالك وعلقمة والشعبي والحسن والضحاك ومجاهد.⁽¹⁾

خاتمة

في ختام بحثنا توصلنا إلى ما يلي:

يُعدّ الإمام الثعالبي من أعلام علماء الجزائر في مجالات الفقه، والحديث، والتفسير، والتصوف، والدعوة، وقد اشتهر بغزارة علمه، وعمق ورعه، وزهده، وصلاحه. نهل من علوم كبار علماء المشرق والمغرب، ونال عنهم إجازات علمية معتبرة، ما يعكس مكانته الرفيعة في ميادين العلم والدين.

بالعودة إلى المعاجم العربية، يتبين أن لمصطلح التفسير دلالات لغوية متعددة ومتقاربة، تجمعها معانٍ تدور حول الإيضاح والكشف والبيان.

عرف بدر الدين الزركشي التفسير فقال: «التفسير: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ» وهو ما نراه أفضل وأشمل تعريف للتفسير.

من أبرز مؤلفات الإمام عبد الرحمن الثعالبي وأعظمها شأنًا كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وقد نال هذا التفسير ثناء عدد من مترجميه، معتبرين إياه من أبلغ وأجود أعماله العلمية. جمع فيه بين الإيجاز والوضوح، مستخلصًا مادته الأساسية من تفسير ابن عطية، معززًا إياها بفوائد وزيادات نفيسة، فجاء تفسيره متقنًا بديعًا، يجمع بين العمق والدقة وحُسن العرض.

(1) مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، 406/1

أسلوب الثعالبي في تعامله مع مختلف القراءات في الجواهر الحسان لا يختلف كثيرا عن من سبقوه، إلا أن له إضافات وتعليقات مميزة عن غيره.

اعتمد الثعالبي على توجيهات دقيقة وفعالة في تعامله مع القراءات فكان يحتج بالنظير من الآيات القرآنية، وكذا اللغة العربية والصرف، وكذا القراءات الشاذة والفقه وغيرها مما سبق ذكره.

التوصيات:

ندعو لتشجيع الدراسات التي تتعلق بأشرف العلوم وأفضلها في ما يتعلق بكتاب الله تعالى.

الدعوة إلى تشجيع ابراز علماء الجزائر في مختلف العلوم وأهمها التفسير وبيان دورهم العظيم في خدمة كتاب الله تعالى عبر الأزمنة المختلفة.

الدعوة إلى تشجيع احياء كل ما يتعلق بالتراث الجزائري من خلال تحقيق المخطوطات التي تتعلق بعلوم الشريعة عموما والتفسير خصوصا.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم.

المراجع:

ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999.

ابن عطية، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:

- عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1979م.
- البناء أحمد الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1974. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006.
- عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- عبد الرحمان الثعالبي، غنيمة الوافد وبغية الطالب الواجد الماجد، تحقيق: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر.
- عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد للطباعة، دمشق، 2002.
- محمد الأزهرى، معاني القراءات وعللها، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، السعودية، 1991.
- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.
- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.

البنية المنهجية في تفسير: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام عبد الحميد بن باديس

د.خير الدين شرقي - سميرة بوعزارة

جامعة عمارثليجي - الأغواط

الملخص:

يمتاز تفسير الإمام عبد الحميد ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير بكونه تفسيراً إصلاحياً تربوياً موجّهاً للأمة والدعوة للوحدة والهضة المنشودة . فكان منهجه متميزاً في التفسير وهو ما نحاول ان نوضحه في هذه الورقة البحثية من خلال المحاور الآتية :

1. ترجمة عبد الحميد ابن باديس
 2. وصف عام لتفسير الإمام عبد الحميد ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير
 3. البنية المنهجية للتفسير.
- معتمدين علي المنهج الوصفي الاستقرائي .
- الكلمات المفتاحية: ابن باديس، البنية ، المنهجية مجالس التذكير.

:Summary

Imam Abdul Hamid Ibn Badis's interpretation of the reminder councils from the words of the wise and expert is distinguished by being a reformist, educational interpretation directed at the nation and calling for unity and the desired renaissance. His approach to interpretation was distinct, which we are trying to explain in this research paper through the following axis:

- 1 .Translated by Abdul Hamid Ibn Badis
- 2 .A general description of the interpretation of Imam Abd al-Hamid Ibn Badis Remembrance Councils from the Words of the Wise, the Expert
- 3 .The methodological structure of interpretation .

Relying on the descriptive inductive approach

Keywords: Ibn Badis, structure, methodology, reminder councils.

المقدمة:

يُعدّ الإمام عبد الحميد بن باديس 1889-1940م من أبرز رواد النهضة الإصلاحية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين. وقد كان للتفسير القرآني موقع مركزي في مشروعه الإصلاحي؛ إذ جعله وسيلة للتربية والتعليم وبناء الوعي الإسلامي في مواجهة الاستعمار الفرنسي ومظاهر الجمود والانحراف. ومن هنا، فإن دراسة البناء المنهجي والمعرفي للتفسير القرآني عند ابن باديس تكشف عن عمق رؤيته الإصلاحية، وكيفية توظيفه للقرآن في إعادة صياغة الفكر والواقع.

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز معالم هذا البناء من خلال الوقوف عند مرجعياته المعرفية وأساسه المنهجية وخصائص دروسه التفسيرية.

الإشكالية: يُعتبر تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير من أهم ما خلفه الإمام عبد الحميد بن باديس في مشروعه الإصلاحي والتربوي. فهو لا يُمثل مجرد عمل تفسيري تقليدي، بل يعكس رؤية معرفية ومنهجية متكاملة في التعامل مع النص القرآني، تستند إلى أصول التراث الإسلامي مع استحضار قضايا الواقع الجزائري في زمن الاستعمار. ومن هنا تُطرح الإشكالية الرئيسة:

كيف تشكّلت البنية المعرفية والمنهجية لتفسير مجالس التذكير عند ابن باديس، وما خصائصها ومميزاتها في خدمة المشروع الإصلاحي؟

الأهداف:

1. إبراز الأسس المعرفية التي استند إليها ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم.
2. توضيح المنهجية التي اعتمدها في مجالس التذكير، وبيان خصائصها العلمية والتربوية.

المنهج: اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وفق ما تفتضيه طبيعة محاور الموضوع.

الخطبة : وقد تناولنا مفردات الموضوع في المحاور الآتية :

1. ترجمة عبد الحميد ابن باديس
2. وصف عام لتفسير الإمام عبد الحميد ابن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

3. البنية المعرفية والمنهجية للتفسير

المبحث الأول: ترجمة عبد الحميد ابن باديس

المطلب الأول: حياته :

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد سنة 1308هـ/1889م من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء. وكان والده ملجأ الخائفين، وكان من أبرز الرجال في قسنطينة، وكان درعاً حصيناً لولده، أبعد عنه كيد الاستعمار، ودافع عنه طويلاً. والأسرة تنحدر من الصنهاجيين، وهي قبيلة ملك وسلطان، اشتهر منها المعز بن باديس. وأسرة باديس تنتهي إلى الطريقة القادرية. حفظ عبد الحميد القرآن الكريم على الشيخ محمد المواسي، ثم اختار طريق العلم، فأسلمه والده إلى العالم الورع التقي حمدان الونيسي، فرباه على العلم والفضل والأدب، وأوصاه بالابتعاد عن الوظيفة، وقراءة العلم للعلم لا للرغيف. وتزوج سنة 1904م، وأنجب ولداً أسماه إسماعيل، حفظ القرآن وحضر العلم، ثم توفي وهو صغير، ولم ينجب غيره. رحلاته:

ارتحل إلى جامع الزيتونة في تونس سنة 1908م لطلب العلم وتتلذذ على صفوة علمائه الشيخ محمد النخلي القيرواني، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور، وكان لهذا فضل تكوينه الأدبي.

وذهب إلى الحج سنة 1912، والتقى في المدينة المنورة بشيخه المهاجر حمدان الونيسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، وتدارسوا وضعية الجزائر وضرورة إنشاء "جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين"، وإن تأخر إنشاؤها حتى سنة 1931م. وزار لبنان وسوريا ومصر، في طريق عودته، وأجازه الشيخ بخيت من كبار علماء الأزهر بشهادة العالمية من الأزهر الشريف.

تدريسه:

فجلس للتدريس في قسنطينة متطوعاً ابتغاء وجه الله منذ 1913م- 1940م. وتسامع الناس به، فتقاطروا إليه يتعلمون دينهم ولغتهم، حتى ضاقت بهم قسنطينة، وأقضى ذلك مضاجع الاستعمار، وحث على التعليم وإنشاء المدارس وسارعت الأمة إلى تلبية الدعوة، وبنت حوالي 170 مدرسة حرة عربية، كان فيها ما يزيد على خمسين ألف طالب وطالبة، فهو لم يملك ولم ير سلاحاً أقوى من تعليم المغلوبين المستضعفين، يقودهم إلى النصر المبين. وفي سنة 1922م تأكد الشيخ أن الطريقة المنحرفة في الجزائر سبب من أسباب البدع والخرافات، ومساعدة المستعمر، فرأى مناوئتها ومنازلتها وجهاً لوجه، وحمل عليها حملات قاسية، وأنشأ لذلك جريدة المنتقد ومن اسمها يظهر غرضها، فكانت ناراً ونوراً، ولكن المستعمر أخرس الجريدة بسرعة، وأصدر الشيخ غيرها. وفي مقالاته الصحفية رد كثيراً أن مقومات الجزائر ثلاثة: الإسلام، والعربية، والأرض الجزائرية بحدودها. ودعا إلى وحدة المغرب العربي الكبير من طرابلس الغرب حتى المحيط الأطلسي. ودعا إلى القومية العربية، ووحدة الوطن العربي الكبير، وأشاد في كل مناسبة بالعرب والعربية والإسلام والوطنية. وعاون المجيدون والناهبون من أصدقائه وأبنائه الطلاب، وانبثوا في أنحاء التراب الوطني، يحملون رسالة العربية والإسلام، فما انقضت مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذه مستكمل الأدوات من فكر صحيحة، وعقول نيرة، ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة، وكانت تلك الكتائب الأولى من تلامذته هي طلائع العهد الجديد الزاهر. وإن "العبد الحميد بن باديس" منة على كل من يحمل بين جنبه روحاً جديدة أو فكرة سديدة من أبناء الجزائر أينما كانوا، لا فرق في ذلك بين طلاب العلم، وبين غيرهم من طلاب الحياة في جميع فروعها.

ورأى ابن باديس أن مصائب الجزائر هي: الاستعمار الضاري، المعتمد على الحديد والنار.

والاستعمار الروحي الذي يمثله بعض مشايخ الطرق المضلين أو الجاهلين المتغلغلين في الشعب والمماليئين وفرنسا. فخطب ابن باديس وحاضر، وكتب وناظر وناقش وجادل في الصحافة، والمساجد، والأندية، والمحافل والأسواق.. ونادى بضرورة تعليم الصغار ولو في بيوت آلهم، وطالب برد أوقاف المسلمين التي استولى عليها المستعمر، احتراماً لشرط الواقف، وليكون للمسلمين عزة وكرامة، ولتنفق في سبيل الله الذي أوقفت من أجله، ونادى باستقلال القضاء، وحرية التعليم.⁽¹⁾

المطلب الثاني: عوامل نبوغه.

العامل الأول: في تكوينه من الناحية العملية والعلمية وتوجيهه ذلك التوجيه يعود إلى أسرته، وخصوصاً أباه الذي رباه ووجهه وجهة أخلاقية وعلمية وحماه من المكاره صغيراً وكبيراً على حدّ تعبيره، وكان أبوه من ذوي الفضل والخلق الإسلامي ومن حملة القرآن الكريم ولا يخفى ما لتأثير الأسرة في شخصية الطفل من أهمية بالغة.

العامل الثاني: يرجع إلى بيئة الدراسة وتأثير المربين من المعلمين والشيخوخ الذين نموا إستعداداته وتعهده بالتحسين والتكوين في تخطيط مناهج العمل .

والعامل الأخير: الذي يفوق جميع العوامل الأخرى والذي كرس له ربع قرن من حياته، هو القرآن الكريم الذي صاغ نفسه، وهزّ كيانه، واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته، وترسم خطاه في دعوته، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده، ويتأمله فيعبد منه ويستمدّد علاج أمراض القلوب، وأدواء النفوس، ويذيب نفسه،

ويبني جسمه الهزيل في سبيل إرجاع الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية ومنبع الهداية الأخلاقية والنهوض الحضاري. وكان همه أن يكون رجالاً قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الأمة، ولذلك فإنه جعل القرآن قاعدة أساسية تركز عليها تربيته وتعليمه للجيل قال: "فإننا

عادل نويمض، معجم، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر 1980م، مؤسسة نويمض للثقافة ،

بيروت ، 346. (1)

- والحمد لله- نرَبِّي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إليه.⁽¹⁾

المطلب الثالث: وفاته و آثاره

1. وفاته: وبعد حياة حافلة بجلال الأعمال، لقي عبد الحميد بن باديس ربه- راضيا مرضيا- في 08 من ربيع الأول سنة 1359هـ 16 من إبريل سنة 1940م إثر مرض قصير لم يطل، وحامت الأقاويل حول موته: فقيل: إنه مات مسموما، وقيل بل كان موته طبيعيا.⁽²⁾

آثار ابن باديس:⁽³⁾ أثر عنه قوله: شغلنا تأليف الرجال عن الكتب». ولم يخلف لذلك كتب كثيرة، ولكن ما خلفه فيه قوة وعظمة، وأصاله وتجديد، وكفاح مجسد لجهاد هذا الإمام في سبيل الله والوطن.

وكان الاستعمار يحرق كل مجلة يعز عليها إبان الثورة، أو كتابات عربية، ومن ثم فقد ضاعت كتابات كثيرة لابن باديس غير أن بعض الغيورين والمحبين دفن بعض هذه المجلات في التراب، وبعد سبع سنوات ونصف كشف عنها، فبقي البعض، وأكلت الأرضة والأتربة والطين البعض الآخر.. غير أن المجلات الباقية وفيها آثاره الباقية، أمكن أن نستخلص منها ما يلي:

1. - تفسير ابن باديس في مجالس التذكير طبع سنة 1964م.
2. - من الهدى النبوي، مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، طبع سنة 1965م.
3. - رجال السلف ونسأوه، كتاب في التراجم ترجم فيه لعدد من الصحابة، طبع سنة 1965م، بمكتبة الشركة الجزائرية.
4. - العقائد الإسلامية من القرآن والسنة النبوية، طبع سنة 1964م، وأعيد طبعه عدة مرات.
5. - أحسن القصص، لم يطبع بعد.
6. - رسالة في الأصول، لم يطبع بعد.

(1) عمار الطالبي، آثار ابن باديس، الناشر: الشركة الجزائرية، ج 1، الطبعة: الأولى، 1388 هـ- 1968 م، الجزائر، ص75.

عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص 14، 15. (2)

ينظر: عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج3، ص152، و أحمد طالب الابراهيمي، آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ص195. (3)

7. - مجموعة كبيرة من المقالات السياسية، والاجتماعية، جمعت مع بعض ما سبق، وطُبعت في كتاب. مجموعة خطب ومقالات ابن باديس، طُبعت في كتاب سنة 1996م.
 8. مباديء الأصول طبع بعناية د عمار طالبي، ومعه إملأؤه في المصطلح كذلك طبع معه ونظمه محمد محفوظ الشنقيطي بعنوان: جواهر الدرر في نظم ابن باديس الأبر.
 9. رسالة جواب سؤال: عن سوء مقال وهو يرد عن عليوة المستغاني.
 10. ثلاث رسائل طُبعت أخيرا بتحقيق لحسن بن علجية وطُبعت بمطابع دار الهدى. وهو جملة من الأحاديث الثابتة في خروج الإمام المهدي آخر الزمان، وهو رد على ما أخطأ فيه ابن خلدون في المقدمة ومن تأثر به وحذا حذوه.
 11. والتأفين لمنكر التآيين، وهو رد على معترض عليه بعد تأيينه للشيخ الطيب بن الشيخ الحسين أحد أعيان زاوية آل الشيخ بسيدي خليفة ولاية ميلة.
 12. وفتوى في مسألة بيع الحبس لشدة الاحتياج وهو جواب حول نازلة أرسل يستفتيه فيها الشيخ محمد بن أبي بكر العمراني.
 13. من أعماله في العناية بالتراث: تحقيق وتقديم وتصحيح لكتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن
 14. العربي وفي آخره تعريف بالمصنف ابن العربي طبع في حياته سنة 1926م
- المبحث الثاني: وصف عام لتفسير الإمام عبد الحميد ابن باديس**
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**
- المطلب الأول: التسمية والبدايات الأولى للتفسير**
- بدأ الإمام بإلقاء الدروس بالجامع الأخضر بقسنطينة وكان يترك درس التفسير هو الأخير حتى يتسنى له الحضور لأكثر عدد من المستمعين وقد دامت هذه الدروس حوالي 25 سنة بدءا من شهر ربيع سنة 1332 هـ الموافق ل 1913 م. إلى غاية 1357 هـ، الموافق ل 1938 م، كما ذكر ذلك تلميذه أحمد حماني رحمه الله⁽¹⁾

(1) الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة عامر العرابي ماجستير إشراف الأستاذ الدكتور سليمان صادق البره جامعة أم القرى كلية أصول الدين 1409هـ، ص

شرع الإمام بنشر قبس من ذلك التفسير من خلال الافتتاحيات ، التي كان يكتبها في جريدة الشهاب من العام الخامس لها ، مسميا إياها بمجالس التذكير في عددها لشهر شوال من سنة 1347 هـ ، الموافق لشهر مارس 1929 م.

وبدا هذه الافتتاحية للجريدة بالكلام عن الذكر حقيقته وفضله واقسامه وانواعه ثم في عدد شهر رجب من عام 1348 هجرية الموافق ديسمبر 1929 م ، افتتحه بمقدمة للتفسير ذكر طريقته فيه ثم كان في عدد شهر شعبان لعام 1338 هـ الموافق جانفي 1930 م ، أول تفسير له لسورة الإسراء الآية 13 معنونا ذلك بآية الليل والنهار⁽¹⁾

فهذا التفسير غير كامل للقرآن الكريم كما لم يؤلفه ابن باديس بشكل مباشر وإنما جمع ما كتبه ابن باديس في مجلة الشهاب

و فسر ابن باديس رحمه الله القرآن الكريم كاملا درسا لا تأليفا وهو ما قرره صديقه العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله حيث قال: كان يرى حين تصدر تفسير القرآن الكريم أن تدوين تفسير القرآن الكريم بالكتابة مشغلة على العمل المقدم لذلك أثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير وكان رحمه الله يستطيع أن يجمع بين الحسنين لو أنه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل وتربية الأمة ومكافحة اميه ومعالجه امراض اجتماعية .⁽²⁾

لم يصلنا تفسير ابن باديس الذي كان يلقيه بشيء سوى ما كتبه في المجالس التي كان ينثرها في فواتح أعداد مجلة الشهاب ويسميا مجالس التذكير يقول محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله لم يكتب الأخ الصديق امانيه في التفسير ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها وضاع على الامه كنز علم لا يقوم بمال ولا يعوض بحال فمات علم التفسير وماتت طريقه ابن باديس في التفسير الله أبي إلا أن يذيع فضله وعلمه فألهمه كتابه مجالس معدودة في تلك الدروس وكان ينثرها فواتح أعداد مجلة الشهاب ويسميا مجالس التذكير وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي.⁽³⁾

(1) ابن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص50

(2) ان باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص 20 .

(3) ابن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص21

المطلب الثاني: سبب التأليف

سبب القيام بالتفسير هو ذلك الهم الإصلاحى لابن باديس و رؤيته لأهمية إعادة النظر لأحوال المسلمين في ظل الهدي القرآني وتقديم نظرات قرآنية تعين على استرداد المجتمع لعافيته ونشاطه مرة أخرى وأن يتخلص من السلبيات التي لحقت به في مجالات عديدة يقول ابن باديس رحمه الله: لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذين ندوقه و نقاسيه إلا بالرجوع الى القرآن الى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه⁽¹⁾

وقال أيضا: وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في الإصلاح في العلم والإصلاح والتربية والتعليم. وأنه لا فلاح للمسلمين الا بالرجوع الى هدايته والاستقامة على طريقته⁽²⁾

المطلب الثالث: طبعات الكتاب

1. أول من طبع بعض هذه المجالس المستقلة من مجله الشهاب سنة 1368 هـ ، الموافق 1948 م،⁽³⁾ هو السيد أحمد بوشمال كما يذكر ذلك الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله وقد اثنى العلامة على هذا الفعل في للتفسير فقال : هذه المجالس العامرة التي تصدى الأخ الوفي السيد أحمد بوشمال عضد الإمام المفسر وصفيه وكاتبه المؤتمن على أسرارها بتجريدتها من مجله الشهاب ونشرها كتابا مستقلا قياما بحق الوفاء للإمام العتيد وحياء لذكراه⁽⁴⁾

2. والطبعات التي جاءت بعد الطبعة الأولى ما نشرته دار الكتاب الجزائري سنة 1964 م.

3. وطبع بمطبعة الكيلاني بالقاهرة سنة 1384 هـ ، الموافق 1964 م، بعنايه محمد صالح رمضان وتوفيق محمد شاهين المصري وقد عمل على تجريد المجالس من المجلة ولم يفتحهم منه منها شيء قليل وخرج الكتاب في 538 صفحه.

4. وكذلك ما طبعته وزاره الشؤون الدينية والاقواف سنة 1979 م.

(1) ابن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص 175

(2) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ، ص 20

(3) نشر السيد أحمد بو شمال من هذه المجالس القيمة آيات مختارة من سورة الفرقان فقط..

(4) ابن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، ص 21

5. وطبع في دار البعث بقسنطينة سنة 1402 هـ ، الموافق ل 1982 م في مجلدين.
6. دار الكتب العلمية طبعته الطبعة الأولى في بيروت سنة 1416 هـ، 1995 م، بتعليق وعناية أحمد شمس الدين ونشرت الطبعة الثانية بتاريخ 1424 هـ ، 2003 م.
7. وطبعته المكتبة العصرية ببيروت لبنان الطبعة الأولى سنة 2006 م.
8. وكذلك دار الرشيد الكتاب والقرآن الكريم بالجزائر الطبعة الأولى سنة 1430 هـ، الموافق 2009 م في مجلدين
9. وهناك طبعات أخرى لدار الفكر.

المطلب الرابع : محاوره

ما وصلنا من تفسير ابن باديس جاء مقسما الى ستة اقسام مع خطبة افتتاح وفهرس :

1. خطبة افتتاح لدروس التفسير

2. القسم الأول في سورة الإسراء

آية الليل وآية النهار_ إرادة الدنيا وإرادة الآخرة _عموم النوال من الكبير المتعال _ أصول الهداية في ثمان عشرة آية_بر الوالدين _صلاح النفوس وإصلاحها _ إيتاء الحقوق لأربابها _ حفظ النفوس بحفظ النسل وحفظ الفرج وعدم العدوان _ حفظ الأموال باحترام الملكية العلم والأخلاق _ آية الأخلاق _ القول الحسن دعاء غير الله نجاة المعبودين بهداهم وهلاك العابدين بضلالهم_ الطور الأخير لكل أمة وعاقبته التكريم الرباني للنوع الإنساني _الصلاة لأوقاتها نافلة الليل وحسن عاقبتها_ القرآن شفاء ورحمة_ صفتان من صفات النوع الإنساني: الإعراض عن النعمة واليئوس من الرحمة.

3. القسم الثاني في سورة الفرقان

الفرقان كلام الظالمين في الكتاب الحكيم والرسول الكريم ورد رب العالمين منزلة الرسالة العلية والضروريات البشرية فتنة العباد بعضهم لبعض ندامة الظالم على تركه السبيل القويم، وصحبته للمضلين شكوى النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسليته وتثبيته التسلية والتثبیت تثبیت القلوب بالقرآن العظيم الحق والبيان في آيات القرآن حشر الكفار إلى النار من إكرام الله تعالى عبده تحميلة أعباء الرسالة وحده عدم طاعة الكافرين والجهاد

بالقرآن العظيم تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل القرآن يصف عباد الرحمن جزاء عباد الرحمن قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم

4. القسم الثالث في سورة النمل

ملك النبوة مجمع الحق والخير ومظهر الجمال والقوة تمهيد من طبيعة ملك النبوة من طبيعة الملك البشري ومنه ما كان من معاوية بالشام_ الفصل الأول الآية الأولى_ الفصل الثاني الآية الثانية_ الفصل الثالث الآية الثالثة_ الفصل الرابع الآية السادسة_ الفصل الخامس الآية الثامنة_ الفصل السادس الآية التاسعة

5. القسم الرابع في سورة يس

_ المرسل والرسالة _ والرسول والمرسل إليهم _ تابع المرسل والرسول _ والرسالة والمرسل إليهم _ الوحي مصدر الإسلام _ لا يؤمن من سبق في علم الله عدم إيمانه الحياة بعد الموت.

6. القسم الخامس آيات بينات

- سبيل السعادة والنجاة - كيف تكون الدعوة إلى الله والدفاع عنها - دعوة أهل الكتاب - الاجتماع العام للأمر الهام وارتباط الجماعة بأمر الإمام - الود من إكرام الله لأوليائه الله - حسن التلقي وطلب المزيد - من وعد الله للصالحين - دفاع الله عن المؤمنين - أكل الحلال والعمل الصالح - الفرار إلى الله

7. القسم السادس تفسير المعوذتين

_ سورة الفلق _ سورة الناس

8. القسم السابع العرب في القرآن

_ واجب المسلمين العناية بتاريخهم ومدنيتهم _ خصائص الطبيعة العربية والخلاصة الفروق بين العرب وإسرائيل_ السر في اختيار العرب للرسالة العامة _ معلومات مغلوطة عن العرب _ حقيقة العرب أيها الإخوان

9. الفهرس

المبحث الثالث: البنية المعرفية والمنهجية لتفسير ابن باديس

المطلب الأول : مصادر الإمام ابن باديس في تفسيره .

ذكر الشيخ في خطبة افتتاحه التفسير التذكير بأهم مصادره في كتابه؛ حيث قال: "وعمدنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

1. تفسير "ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلّي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب.
2. وتفسير "الكشاف" الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، والتنظير لها بكلام العرب، واستعمالها في أفانين الكلام.
3. وتفسير "أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه للقراءات.

4. وتفسير "الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية، ومقالات الفرق، والمناظرة والحجاج في ذلك. إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام

(1)

المطلب الثاني: البنية المنهجية للتفسير عند ابن باديس

يقول ابن باديس: "كنت متبرماً _ أي متزجراً _ بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن⁽²⁾

يفهم أن الشيخ اختار طريقة بسيطة في تفسيره، بعيدة عن جدال المفسرين وآراءهم. أُبينها في نقاط:

1- يفتتح الشيخ تفسيره بوضع عنوان يُدلّل فيه على موضوع الآية المراد تفسيرها. يذكر نص الآية القرآنية المراد تفسيرها⁽³⁾

(1) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص40

(2) عمار طالي، آثار ابن باديس، ج 2، ص140

(3) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 57، 45

- 3- يذكر تمهيداً يضع القارئ في تصور لموضوع الآية.⁽¹⁾
- 4- يذكر مناسبة الآية لما قبلها، وكثيراً ما يبني تفسيره على تلك المناسبة.⁽²⁾
- 5- إذا كان للآية سبب نزول فإنه يذكره.⁽³⁾
- 6- ثم يذكر معاني المفردات القرآنية، ويبين التراكيب، دون التوسع في بحر الخلافات اللغوية.⁽⁴⁾
- 7- يبين المعنى الإجمالي للآية.⁽⁵⁾
- 8- يبين الأحكام، ويستخرج الفوائد من الآية.⁽⁶⁾
- 9 التفسير التحليلي: شرح الآيات كلمة كلمة، واستنبط منها الأحكام والمعاني العقدية والتربوية.
- 10 التفسير الموضوعي: ركز على موضوعات محورية مثل التوحيد، الحرية، العدل، الأخلاق، الإصلاح الاجتماعي.
11. الجمع بين العقل والنقل: وظّف العقل في فهم دلالات النصوص، مع الالتزام بالأصول الشرعية.
12. التوجيه الإصلاحي والتربوي: لم يقف عند حدود التفسير العلمي، بل جعل تفسيره أداة لتربية المجتمع وتوجيهه نحو الإصلاح.

(1) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 57، 45.

(2) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 147.

(3) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 147.

(4) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 219.

(5) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 157، 153.

ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص. 111، 108 (6)

المطلب الثالث: خصائص الدرس التفسيري عند ابن باديس

1. الوضوح والبساطة: اعتمد أسلوبًا ميسرًا ليفهمه عامة الناس وخاصتهم.
2. التربية بالقرآن: جعل التفسير وسيلة للتزكية وبناء الشخصية المسلمة.
3. الجمع بين الأصالة والمعاصرة: استند إلى القرآن والسنة والتراث التفسيري، لكنه انفتح على قضايا عصره.
4. البعد العملي: لم يكن التفسير عنده نظريًا، بل عمليًا مرتبطًا بقضايا المجتمع مثل مقاومة الاستعمار وإصلاح التعليم.

الخاتمة:

و ما نخلص إليه في هذه الورقة العلمية :

- من أعلام التفسير في الجزائر في العصر الحديث ،الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله حيث يعتبر من رواد الاصلاح، في زمن الاستعمار الفرنسي، فساهم في اصلاح المجتمع وبث الوعي ، وبناء الانسان الفاعل ، وذلك كله بمنهجه المتميز.
- خلف الامام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ،تراثا ضخما في فنون شتى منها التفسير والمسمى : مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.
- أصل هذا التفسير هو دروس مسجدية ، في مسجد الجامع الأخضر دامت 25 سنة من 1913 إلى 1938 م . تدريسا لا تأليفا ، وما وصلنا منه سوى بدايات ما دونه بنفسه في المجالس التي كان ينشرها في أعداد فواتح مجلة الشهاب .
- سبب التأليف هو الهم الإصلاحى لابن باديس ،ورؤيته لأهمية إعادة النظر لأحوال المسلمين في ظل الهدي القرآني .
- كانت أول طبعات التفسير هو ما قام به أحمد بوشمال عام :1948م ثم توالى الطبعات بعد ذلك ومرجعهم في ذلك كله أعداد مجلة الشهاب .
- ما وصلنا من محاور تفسير ابن باديس رحمه الله مقسم إلى ستة أقسام مع خطبة افتتاح وفهرس .

- امتاز تفسير ابن باديس رحمه الله ببنية معرفية جمعت بين بين التفسير بالنقل والعقل مع مراعاة الواقع .
 - أما البنية المنهجية أنه اختار طريقة بسيطة بعيدة عن جدال المفسرين و آراءهم .
 - البعد العملي، لم يكن التفسير عنده نظرياً، بل عملياً مرتبطاً بقضايا المجتمع مثل مقاومة الاستعمار وإصلاح التعليم والمجتمع.
- فالبنية المعرفية والمنهجية للتفسير القرآني عند عبد الحميد بن باديس تُبرز بوضوح أن مشروعه التفسيري لم يكن مجرد جهد علمي أكاديمي، بل كان مشروعاً إصلاحياً متكاملًا. فقد جمع بين عمق المعرفة الشرعية ووضوح المنهج التربوي والقدرة على تنزيل المعاني القرآنية على واقع المجتمع الجزائري. وبهذا أسهم في إحياء روح القرآن الكريم في النفوس، وصياغة وعي جماعي مقاوم للاستعمار، ومؤمن بقدرة الإسلام على الإصلاح والتجديد.
- إن إعادة قراءة هذا التراث التفسيري اليوم، بما يحمله من دلالات منهجية ومعرفية، يعدّ ضرورة لفهم كيف يمكن للقرآن أن يكون منطلقاً لإصلاح واقعنا المعاصر.
- التوصيات :** إعادة إحياء وبعث مشروع تفسير القرآن الكريم، وفق الرؤية والمنهجية المعرفية التي أسسها عبد الحميد ابن باديس رحمه الله ، في تفسير الواقع والاستثمار في الانسان واصلاح المجتمع .

منهج الشيخ ابن باديس في التفسير

د. ابن عبد الرحمان أحمد – د. صفية العرابي

جامعة أحمد دراية أدرار

ملخص الورقة البحثية: اشتهرت بلادنا الجزائر بعلمائها الأفذاذ منذ قرون، وكانت لهم الريادة في مختلف فنون المعرفة، ومن أعلامها البارزين في علم التفسير في العصر الحديث العلامة الشيخ بن باديس - رحمه الله - 1898 - 1940 الداعية الإمام الفقيه اللغوي المفسر المجاهد.

تسعى هذه الدراسة للتعريف بالتراث التفسيري للشيخ ابن باديس - رحمه الله - عامة والوقوف على تفسيره مجالس التذكير، من خلال التعريف بمضمونه وبيان منهجه والكشف عن أهدافه والتعريف بمصادره، ثم بيان القيمة العلمية للتفسير، وأثره.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس؛ منهج؛ التفسير؛ الإصلاح.

Summary of the Research Paper:

Algeria has been renowned for its distinguished scholars for centuries, having taken the lead in various fields of knowledge. Among its prominent figures in the field of Qur'anic interpretation in the modern era is the eminent scholar Sheikh Ibn Badis 1898–1940, may Allah have mercy on him — a preacher, jurist, linguist, interpreter, and mujahid.

This study aims to introduce the exegetical heritage of Sheikh Ibn Badis in general, with a focus on his Tafsir work Majalis al-Tadhkir "Sessions of Remembrance". It explores its content, clarifies his methodology, reveals the objectives behind it, introduces its sources, and highlights its scientific value and impact.

نص الورقة البحثية:

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من

شروع أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، النبي الأمين المبعوث رحمة للعالمين، صل الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فإن خدمة التراث التفسيري للقرآن الكريم من المهام الأساسية لأهل العلم والباحثين والدعاة، إذ المفسرون قديما وحديثا تعددت مناهجهم وتنوعت اتجاهاتهم، واختلفت مصادرهم، فكان لزاما على الأئمة المحققين والباحثين المتخصصين بيان وتمييز الصحيح الصائب منها عن غيره.

وهذا ما تجسد في علم مناهج المفسرين، والذي يعنى ببيان الأسس والقواعد التي اعتمدها المفسرون في تفاسيرهم، والكشف عن اتجاهاتهم، ومدى التزامهم بالأصول والقواعد الصحيحة في تفاسيرهم، ثم تصنيف تلك التفاسير، وبيان ما لها وما عليها، والحكم عليها. وظهرت في هذا العصر المؤلفات المتعددة والمتخصصة في هذا الإطار، كما أقيمت مؤتمرات علمية وندوات فكرية إقليمية ودولية تعنى بدراسة التراث التفسيري من زوايا متعددة. وفي هذا السياق يأتي المؤتمر العلمي تحت عنوان: إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية التفسير والمفسرون؛ والذي يقيمه قسم العلوم الإسلامية من كلية العلوم الإنسانية بجامعة غرداية، وكان من أهدافه: إبراز دور الدرس التفسيري عند علماء الجزائر في حفظ مقومات المجتمع، وأثر ذلك على النهضة العلمية والإصلاح الاجتماعي، وتعزيز الوحدة الوطنية.

من هنا جاءت فكرة هذه الورقة البحثية تحت عنوان: منهج الشيخ ابن باديس في التفسير؛ للمشاركة وإثراء محاور هذا الملتقى والإسهام في تحقيق أهدافه.

أهمية الدراسة: ابن باديس عالم وداعية ومصلح ورائد النهضة الفكرية والإصلاحية بالجزائر، وأكثر ما تميز به قاعدته الفكرية التي استمدتها من فهمه للكتاب والسنة، وبنى عليها كل جهوده؛ وهذه الدراسة ارتبطت بتفسيره لكتاب الله تعالى.

أهداف الدراسة:

التعريف بأعلام التفسير في الجزائر.

إبراز جهود المفسرين الجزائريين، والكشف عن مناهجهم، وبيان مصادره.

رصد اتجاهات التفسير في الجزائر.

بيان القيمة العلمية لتفسير ابن باديس وأثره فيمن بعده

إشكالية الدراسة: يسعى كل مفسر لكتاب الله لبيان آياته والكشف عن غوامضه وتأويل نصوصه واستخراج أحكامه، وإبراز مقاصده وهديه، وفق منهج يستند إلى أصول وقواعد، وله مصادره ورؤيته.

وكتاب مجالس التذكير للشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس .رحمه الله . صورة مصغرة عن تفسيره لكتاب الله العزيز الذي أفنى فيه عمره؛ فما الأسس والأصول الموضوعية والمنهجية التي انطلق منها العلامة ابن باديس في التفسير؟

منهج الدراسة: سلكت المنهج التاريخي في التعريف بالإمام، والمنهج الوصفي التحليلي في بيان منهجه.

الخطوة: انتظمت الدراسة في مبحثين وخاتمة، أوردت في المبحث الأول ترجمة مختصرة للإمام، كما عرفت بتفسيره، وأما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن منهجه، واتجاهه الإصلاحي في هذا التفسير.

المبحث الأول: ابن باديس وتفسيره للقرآن

المطلب الأول: ترجمة العلامة ابن باديس

اسمه ونسبه ومولده: هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكى بن باديس، ولد في أسرة صنهاجية من اعرق الاسر في العلم والنسب، ولد ابن باديس في سنة 1308 هـ 1889 م.

نشأته: حفظ عبد الحميد القرآن الكريم على الشيخ محمد المواسي، ثم اختار طريق العلم، فأسلمه والده إلى العالم الورع التقي حمدان الونيسي، فرباه على العلم والفضل والأدب، وأوصاه بالابتعاد عن الوظيفة، وقراءة العلم للعلم لا للرغيف وتزوج سنة 1904م، وأنجب ولدا أسماه إسماعيل، حفظ القرآن وحضر العلم، ثم توفي وهو صغير، ولم ينجب غيره.

رحلاته وشيوخه: ارتحل ابن باديس إلى جامع الزيتونة في تونس سنة 1908م لطلب العلم وتلمذ على صفوة علمائها أمثال الشيخ محمد النخلي القيرواني، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور، وكان لهذا فضل تكوينه الأدبي، واللغوي. والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ الصالح النيفر، وغيرهم من أفاضل علماء جامعة الزيتونة، وتخرج من الزيتونة سنة 1912م بشهادة عليا التطويع

ذهب إلى الحج سنة 1912، والتقى في المدينة المنورة بشيخه المهاجر حمدان الويسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، وتدارسوا وضعية الجزائر وضرورة إنشاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وإن تأخر إنشاؤها حتى سنة 1931م. وزار لبنان وسوريا ومصر، في طريق عودته، وأجازه الشيخ بخيت من كبار علماء الأزهر بشهادة العالمية من الأزهر الشريف. مؤلفاته وآثاره: أثر عن الشيخ قوله: شغلنا تأليف الرجال عن الكتب لذلك لم يؤلف ابن باديس كتباً كثيرة، ولكن ما خلفه فيه قوة وعظمة، وأصالة وتجديد، وكفاح مجسد لجهد هذا الإمام في سبيل الله والوطن. وكان الاستعمار يحرق كل مجلة يعز عليها إبان الثورة، أو كتابات عربية، ومن ثم فقد ضاعت كتابات كثيرة لابن باديس غير أن بعض الغيورين والمحبين دفن بعض هذه المجلات في التراب، وبعد سبع سنوات ونصف كشف عنها، فبقي البعض، وأكلت الأرضة والأترية والطين البعض الآخر.. غير أن المجلات الباقية وفيها آثاره الباقية، أمكن أن نستخلص منها ما يلي:

- 1 - تفسير ابن باديس في مجالس التذكير طبع سنة 1964
- 2 - من الهدى النبوي، طبع سنة 1965
- 3 - رجال السلف ونساؤه، طبع سنة 1965
- 4 - عقيدة التوحيد من القرآن والسنة، طبع سنة 1964
- 5 - أحسن القصص، لم يطبع بعد.
- 6 - رسالة في الأصول، لم يطبع بعد.
- 7 - مجموعة كبيرة من المقالات السياسية، والاجتماعية، جمعت مع بعض ما سبق،

وطبعت في كتاب.

8 - مجموعة خطب ومقالات ابن باديس، طبعت في كتاب سنة 1966م.

وفاته: وبعد حياة حافلة بالعطاء ونشر العلوم، توفي عبد الحميد بن باديس في 8 من ربيع الأول سنة 1359هـ، الموافق 16 من إبريل سنة 1940م.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن باديس

يعرف الشيخ البشير الإبراهيمي بتفسير ابن باديس، ويذكر خصائصه، بعد حديثه عن تفسير المنار فيقول: فانتبهت إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله، إلى أختينا وصديقنا، ومنشئ النهضة الإسلامية العلمية بالجزائر، بل بالشمال الإفريقي "عبد الحميد بن باديس".

كان للأخ الصديق "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله - ذوقا خاصا في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها. يرفده - بعد الذكاء المشرق، والقريحة الوقادة، والبصيرة النافذة - بيان ناصع، وإطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية. وباع مديد في علم الاجتماع، ورأي سديد في عوارضه وأمراضه؛ يمد ذلك كله شجاعة في الرأي، وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلا الأفاضل المعدودون في البشر، وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم، وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هدايته والاستقامة على طريقته، وهو رأي الهداة المصلحين من قبله.

وكان يرى - حين تصدى لتفسير القرآن - أن تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم؛ لذلك أثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد، كان - رحمه الله - يستطيع أن يجمع بين الحسينين، لولا أنه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل، وتربية أمة، ومكافحة أمية، ومعالجة أمراض اجتماعية، ومصارعة استعمار يؤيدها؛ فاقصر على تفسير القرآن درسا ينهل منه الصادي، ويتزود منه الرائج والغادي، وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة.

لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها؛ وضاع على الأمة كنز علم لا يقوّم بمال، ولا يعوض بحال؛ ومات فمات علم التفسير وماتت

طريقة "ابن باديس" في التفسير، ولكن الله تعالى أبي إلا أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس، وكان ينثرها فواتح لأعداد مجلة "الشهاب" ويسمىها "مجالس التذكير"، وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له، كما أنها نموذج من أسلوبه الكتابي.⁽¹⁾

ثم جمعت تلك الدروس في كتاب وطبع تحت اسم: في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، حققه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، ونشرته: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، في طبعته: الأولى سنة: 1416هـ - 1995م.

المبحث الثاني: منهج ابن باديس في التفسير واتجاهه الإصلاحي

المطلب الأول: منهج الإمام ابن باديس في التفسير

تفسير القرآن بالقرآن: نبه ابن باديس على أهمية هذا المنهج في التفسير وأرشد إليه، فقال: وما أكثر ما تجد في القرآن أي تفسير القرآن بالقرآن، فاجعله من بالك تهتد إن شاء الله إليه.⁽²⁾ ومنه ما جاء مثلا عند بيانه لقوله تعالى: "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا" الزمر 73، قال الأستاذ: ونظيرها أيضا آية: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون" هود 15، 16.

- التفسير بالقراءات الصحيحة: من ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: "وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" المائدة 6، قال ابن باديس: بمناسبة مجيء الآية وأرجلكم بقراءتين: بالنصب عطفًا على الوجه، فيفيد غسل الأرجل، وتلك هي الحالة الأصلية العامة.

(1) ينظر: مقدمة تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ت ١٣٥٩هـ المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.

(2) ابن باديس، مجالس التذكير، 243

وبالخفض عطفًا على الرؤوس، فيفيد مسح الأرجل، وتلك هي الرخصة عند لبس الخفاف⁽¹⁾ تفسير القرآن بالسنة: يقول -رحمه الله- عن أحسن طرق التفسير وأولاهها بالاتباع: عندما يختلف عليك الدعاة، الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، انظر من يدعوك إلى القرآن بالقرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن⁽²⁾. ولقد كان تفسيره حافلا بما صح من الحديث، يستدل به في معاني الآيات ويرجح به ما يختار من الأقوال في المسائل المختلفة.

وكان له عناية بتمحيص أسباب النزول، وما ينقله بعض المفسرين من فضائل السور، فقد تصدى لكل ما لم يثبت منها، فقد رد على سبيل المثال قول من قال من المفسرين أن سبب نزول المعوذتين هو قصة سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- قال -رحمه الله-: وأما ما يذكرون في نزولها في قصة النبي، فإن ذلك لم يصح سببا لنزولها، وإن كان لقصة السحر وصاحبها لبيد أصل ثابت في الصحيح، وقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهم، وفي حشر كثير مما لم يصح في فضائلهما، ولنا فيما صح غنية فيما لم يصح⁽³⁾.

كما يتحرى الصحيح من فضائل السور، من ذلك ذكره ما ثبت في فضل المعوذتين، قال -رحمه الله-: أما السورتان فيكفي في فضلهما ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجهني، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير خير منهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"، وفي رواية أخرى في مسلم عنه تسميتها بالمعوذتين، وفي رواية أبي أسامة في مسلم أيضا وصف عقبة بن عامر، بأنه كان من رفعا أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- فتسمية هاتين السورتين بالمعوذتين تسمية نبوية مأثورة، كأسماء جميع سور القرآن⁽⁴⁾.

ولم يكن ابن باديس ينقل المأثور فحسب، بل كان يقف عنده بالتحليل والتمحيص

(1) المصدر نفسه، 230

(2) المصدر نفسه 187.

(3) المصدر نفسه، 369

(4) مجالس التذكير: 650

والتوجيه، فقد وجه الخيرية الواردة في فضل المعوذتين، فقال: وهذه الخيرية التي أثبتتها لهما حديث عقبة عند مسلم، هي خيرية نسبية، في ناحية مخصوصة، وهي ناحية التعوذ بهما من الشرور العامة والخاصة المذكورة فيها.

ودليل هذه النسبية ما أخرجه النسائي في سننه عن ابن عباس الجني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "يا ابن عباس، ألا أدلك أو ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: قل: أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين".

فبين - صلى الله عليه وسلم - أن خيريهما وأفضليتهما من جهة ما تشتملان عليه من معنى التعوذ، وهو من المعاني الداخلة في دائرة ما كلفنا الله به.⁽¹⁾

تفسير القرآن بأقوال السلف: ينتقي الصحيح منها، ويوجه معانيها، فعند تفسيره لقوله تعالى: "إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" أورد حديثا موقوفا عن معاذ - رضي الله عنه، وفيه التحذير عما يكون من الفتن في آخر الزمان، ومنها ما يتدعه قراء القرآن، علق ابن باديس على هذا الحديث بعد أن ساقه بتمامه قائلا: وهذا الحديث وإن كان موقوف على معاذ، فهو في حكم المرفوع؛ لأنه يتعلق بمغيب المستقبل، وهذا ما كان يعلمه الصحابة - رضوان الله عليهم، إلا بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم.⁽²⁾

عنايته بالمناسبات بين الآيات والسور: فعن وجه ارتباط المعوذتين بالإخلاص مثلا، يقول ابن باديس: وأما المناسبة الخاصة بين المعوذتين وبين سورة الإخلاص، فهي: أن سورة الإخلاص قد عرفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتزوية والتمجيد، فأنت وقد آمنت وصدقت، وخرجت من سورة الإخلاص متشعبا بمعانيها، ومنها معنى الصمد تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدة بالشرور، وأن لا ملجأ إلا ذلك الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. ومجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد.⁽³⁾

(1) المصدر نفسه: 652

(2) المصدر نفسه، 175

(3) المصدر نفسه، 370

التفسير باللغة: كان له عناية فائقة ببيان أسرار التعبير القرآني، والكشف عن وجوه الإعجاز، والدقائق البلاغية. قال -رحمه الله- في سياق استمداده للتفسير من اللغة والبلاغة: على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية.⁽¹⁾

ومن عناية الشيخ بفقه اللغة وأسرار التعبير، ما أورده في بيان قوله تعالى: "من شر الوسواس"، قال: الوسواس هنا صفة الموسوس، وإن خالف المعهود في أبنية الصفات أو هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال والزلزلة.

وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء والعرب تسمي الحلي وسواسا، وهذا المعنى واضح في المراد هنا: فإن الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله، والموسوس من الإنس يتحرى الإخفاء ما استطاع ويحكم الحيلة في ذلك، ولا يرمي رميته إلا في الخلوات.⁽²⁾

وعنايته باللغة لا تقف عند المفردات والتركيب، بل تمتد للنحو والصرف والشعر، والبلاغة وأسرار التعبير القرآني، ودلائل الإعجاز، ومن نكته البلاغية ما أورده عند بيانه لقوله تعالى: "إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا" الإسراء 25، قال -رحمه الله-: وقد كان مقتضى الظاهر في تركيب الآية أن يقال: إن تكونوا صالحين فإنه كان لكم غفورا، لأن المقام للإضمار؛ لكنه عدل عن الضمير إلى الظاهر فقل "فإنه كان للأوابين غفورا" لينص على شرط المغفرة، وهي الأوبة والرجوع.⁽³⁾

عناية ابن باديس بالتفسير العلمي: يقول في هذا الشأن: إن القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقل بتفسيره إلا الزمن، وكذلك كلام نبينا -صلى الله عليه وسلم- المبين له، فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع، لم تفهم أسرارها ومغازيها إلا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون، وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن، ومتون الحديث، وأظهرت منها

(1) المصدر نفسه، 41

(2) مجالس التذكير: 110

(3) المصدر نفسه: 114

للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدمين، وأرتنا مصداق قوله . صلى الله عليه وسلم . في وصف القرآن: "لا تنقضي عجائبه" (1)

المطلب الثاني: الاتجاه الإصلاحي في تفسير ابن باديس

تأثر ابن باديس بالفكر الإصلاحي لمدرسة المنار، فجاء تفسيره في أسلوبه سهل، يعالج الواقع الذي يعيشه المسلمون، يعبر عن أزمة المجتمع الإسلامي في تفسيره، ويركز على هداية القرآن. (2)

نماذج الدعوة والإصلاح في تفسير ابن باديس كثيرة ومتنوعة، فهو يوردها بما يناسب السياق، أذكر من ذلك ما أورده في سياق الحديث عن هجر القرآن عند بيانه لقوله تعالى: "وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" الفرقان: 30، قال ابن باديس: ولما كان الهجر طبقات أعلاها عدم الإيمان به... فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد. ثم بين صور هجر القرآن من واقع المسلمين، فقال: ونحن . معشر المسلمين . قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل، وإن كنا به مؤمنين:

1 . بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة، وإشكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثه، مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة.

2 . وبين القرآن أصول الأحكام، وأمها مسائل الحلال والحرام، ووجوه النظر والاعتبار، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام، فهجرنا، واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها.

3 . وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها، ومساوي الأخلاق ومضارها وبين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك، مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتدسيته.

(1) مجالس التذكير:

(2) المصدر نفسه، 669/2

فهجرنا ذلك كله، ووضعنا أوضاعاً من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطع.

وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعداها غاية البعد عن روح الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها.

4. وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ونها على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة، لننظر ونستفيد ونعمل.

فهجرنا ذلك كله إلى خريدة العجائب، وبدائع الزهور، والحوت والصخرة، وقرن الثور! 5. ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه، والتفكر في آياته ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه، فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه.

فترى الطالب يفنى حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية، دون أن يكون طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلاً، بل ويصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك!

وفي جامع الزيتونة - عمره الله تعالى - إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطوع في درس تفسير، فإنه ويا للمصيبة يقع في خصومات لفظية، بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه، في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها. من قبل، فيقضي في خصومة من الخصومات أياما وشهورا؛ فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ أو ما تجاوزه إلا قليلا دون أن يحص على شيء من حقيقة التفسير، وإنما قض سنته في المباحكات بدعوى أنها تطبيقات على للقواعد على الآيات، كأن التفسير إنما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية، لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية.

فهذا هجر آخر للقرآن، مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن!

وعلمنا القرآن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، وأن عليهم أن يأخذوا ما أتاهم، وينتهوا عما نهاهم عنه، فكانت سنته العملية والقولية تالية

للقرآن. فهجرناها كما هجرناه، وعاملناها بما عملناه، حتى أنه ليقل في المتصدرين للتدريس. من كبار العلماء في أكبر المعاهد. من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها، مطالعة، فضلاً عن غيرهم من أهل العلم، وفضلاً عن غيرها من كتب السنة.

وكم وكم وكم بين القرآن !!! وكم وكم وكم قابلناه بالصد والهجران !!!

شر المهاجرين للقرآن هم الذين يضعون من عند أنفسهم ما يعارضونه به، ويصرفون وجوه الناس إليهم، وإلى ما وضعوه عنه، لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم، فكان شرهم متعدداً، وبلاؤهم متجاوزاً وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك.

وفي هؤلاء جاء ما ذكره الإمام ابن القيم، في كتاب أعلام الموقعين عن حماد بن سلمة، ثنا أيوب السختياني، عن أبي قلابة عن يزيد بن أبي عميرة، عن معاذ بن جبل، قال: "تكون فتن، فيكثر المال، ويفتح القرآن، حتى يقرؤه الرجل والمرأة والصغير والكبير، والمنافق والمؤمن".

فيقرؤه الرجل فلا يتبع، فيقول: والله لأقرأنه علانية، فيقرؤه علانية فلا يتبع.

فيتخذ مسجداً ويتبدع كلاماً ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأياكم وإياه، فإنه بدعة وضلالة." قال معاذ ثلاث مرات.

فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا، كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة، ووضع كتباً من عنده، أو مما وضعه أسلافه من قبله، وروجها بين أتباعه، فأقبلوا عليها وهجروا القرآن.

وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فأخطأ وجهه، إذ لا نفع بما صرف عباده عن كتاب الله. وإنما يدعى لله بكتاب الله، ولذلك يسمى صنيع هذا الوضع بدعة وضلالة، وحذر معاذ منه وأكد في التحذير بالتكرير.

وهذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ، فهو في حكم المرفوع؛ لأنه بمغيب مستقبل، وهذا ما كان يعلمه الصحابة. رضوان الله تعالى عليهم، إلا بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم.

لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي ندوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن: إلى علمه وهديه، وبنا العقائد والأحكام والآداب عليه، والتفقه فيه وفي السنة

النبوية شرحه وبيانه، والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحة الفهم، والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين. وهذا أمر قريب على من قربه الله عليه، ميسر على من توكل على الله فيه.⁽¹⁾

هذه صورة من صور المنهج الإصلاحي لدى ابن باديس في التفسير تكشف مدى عنايته بإصلاح الواقع، وهذا المنهج هو من صميم مقاصد القرآن وهديه.

كما أن دعوته للإصلاح على جميع المستويات كانت من عناصر تفسيره الأساسية، لذلك عده بعض الباحثين من التفسير الإصلاحي، وهو كذلك.⁽²⁾

موقف ابن باديس من الدخيل: حذر ابن باديس - رحمه الله - من تفسير القرآن بالإسرائيليات والمرويات الواهية، ولم يورد منها في تفسيره إلا ما كان على سبيل الإبطال والتحذير.⁽³⁾

ولما كان التفسير الفلسفي، والإشاري الصوفي من روافد الدخيل، نجد العلامة ابن باديس قد وضع شروطا لقبول التفسير، وهي:

أولاً: أن تكون المعاني صحيحة في نفسها.

ثانياً: أن تكون المعاني مأخوذة من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا.

ثالثاً: أن يكون لهذه المعاني ما يشهد له من أدلة الشرع.⁽⁴⁾

ولم يختلف موقف ابن باديس عن موقف ابن العربي المالكي في رده للتفسير الإشاري الصوفي وإبطاله والتحذير منه إلا ما استوفى الشروط، قال - رحمه الله: أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصا الأول والثاني، فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله، وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية: كتفسير أبي عبد الرحمان السلمي من المتقدمين،

(1) مجالس التذكير: 286

(2) فضل حسن عباس، المفسرون مدارسهم ومناهجهم 638/2

(3) ينظر: المصدر نفسه 272

(4) المصدر نفسه، 267

والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين.⁽¹⁾

الخاتمة: بعد هذه الجولة الماتعة مع تفسير ابن باديس والوقوف على معالم منهجه، فهذه أبرز نتائج المداخلة:

الإمام ابن باديس من أنفس ما جادت به بلادنا الجزائر من علماء الدعوة والإصلاح. لم يصلنا من تفسيره المكتوب إلا النذر اليسير، وهو ما طبع تحت اسم: مجالس التذكير. اتبع في تفسيره أحسن طرق التفسير، وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال السلف، والقراءات الصحيحة.

اعتنى بالتفسير باللغة، من نحو وصرف وبلاغة
اعتنى ببيان الأحكام وبسط العقيدة والكشف عن الأخلاق، كما تحدث عن العمران، والسنن.

أخذ الاتجاه الإصلاحى الحظ الأوفر من تفسيره، حتى صنفه الباحثون ضمن هذا الاتجاه.

تجنب الخوض في علم الكلام، والإسرائيليات، واكتفى بالصحيح المأثور.
وأخيرا نسأل الله التوفيق والسداد، ورحم الله شيخ الجزائر العلامة ابن باديس.

(1) المصدر نفسه 268

معالم التفسير الفقهي عند الشيخ إبراهيم بيوض من خلال كتابه "في رحاب القرآن"

-سورة النور نموذجاً-

د. جابر فخار- د. رستم بوكرموش

جامعة غرداية

الملخص:

يُعَدُّ الشيخ إبراهيم بيوض 1899-1981م من أبرز أعلام الفكر الإسلامي الإباضي في الجزائر، وقد تميز تفسيره للقرآن الكريم بملح فقهى واضح، يظهر في عنايته بالأحكام الشرعية ومناقشة الأقوال الفقهية. تهدف هذه الورقة إلى إبراز معالم الاتجاه الفقهي في تفسيره من خلال المحاور الثلاثة الآتية:

1. مصادره في التفسير الفقهي.

2. منهجه في التفسير الفقهي.

3. خصائص تفسيره الفقهي.

وتخلص الورقة إلى أنّ الشيخ بيوض قدّم نموذجاً في التفسير الفقهي تتمثل معالمه المنهجية في الاعتماد على المصادر النقلية، وكذا الجمع بين النصوص الشرعية والمقاصد الكلية، وتتجلى خصائصه في الجمع بين الانتماء المذهبي والانفتاح على المذاهب الأخرى، مع الواقعية المتمثلة في ربط النصوص القرآنية بمشكلات المجتمع علاجاً وإصلاحاً، مما يجعله أحد المفسرين البارزين الذين أسهموا في تجديد الدرس الفقهي التفسيري في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: التفسير الفقهي، إبراهيم بيوض، المذهب الإباضي.

المقدمة:

يُعَدُّ الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض 1899-1981م من أبرز أعلام الجزائر في القرن العشرين، فقد جمع بين التفوّق في التفسير القرآني والتميّز في الاجتهاد الفقهي، إضافة إلى

دوره التربوي والإصلاحي والاجتماعي؛ حيث أسهمت جهوده في بلورة مدرسة إباحية إصلاحية حديثة، استطاعت أن توفق بين أصالة المذهب وخصوصيته من جهة، وبين الانفتاح على المدارس الإسلامية الأخرى من جهة ثانية.

ولما كان القرآن الكريم منطلق رسالته الدعوية، وكانت هداياته وحقائقه أساس مشاريعه الإصلاحية، فقد بذل له كل طاقته وسخر له زهرة عمره متعمقا في بحر معانيه، مستخرجا لآلئه وجواهره، معالجا به أدواء مجتمعه، لينتشله من وهدة التخلف، ومجاهدا به في معركته مع الاحتلال الفرنسي، ثم مواجهها به رياح التغريب الوافدة من الشرق والغرب.

أضف إلى هذا كونه فقيها متضلعا في علوم الشريعة، متمكنا من آلة الاجتهاد، فقد كان إحدى المراجع الفقهية المكيئة في بلده مزاب ووطنه الجزائر، ممن يرجع إليهم في حل المشكلات الفقهية والنوازل المعاصرة، سواء أكانت عامة أم خاصة، فردية أم جماعية.

لذا تحاول هذه الورقة الربط بين الجانبين العلميين لدى شخصية الشيخ بيوض، ودراسة نتاجه في التفسير المسمى "في رحاب القرآن" من الجانب الفقهي، حيث اخترنا سورة النور نموذجا للدراسة؛ كونها غنية بالأحكام الفقهية، والتشريعات المتعلقة بالأسرة والمجتمع وما تحويه من الآداب والأخلاق.

وعليه تسعى الورقة للإجابة عن الإشكالية الرئيسة المتمثلة في الآتي: ما هو منهج التفسير الفقهي لدى الشيخ إبراهيم بيوض من خلال كتابه في رحاب القرآن؟ ويتفرع عن ذلك البحث في جوانب ثلاثة هي: المصادر، والركائز، والخصائص.

وتهدف هذه الورقة إلى إبراز معالم الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن الكريم لدى الشيخ بيوض، والتنويه بآلياته المنهجية وركائزه العلمية، من أجل تقديم نموذج عصري في التعامل الواسطي مع آيات القرآن من الزاوية الفقهية وربطها بمشكلات الواقع.

وقد انتظم دراسة هذا الموضوع في تمهيد، وثلاثة مباحث، مع مقدمة وخاتمة؛ أما التمهيد فتضمن التعريف بالمؤلف كونه فقيها مجتهدا وعالما مفسرا. وفي المبحث الأول دراسة لمصادر الشيخ في التفسير الفقهي. واحتوى الثاني على تحليل منهجه في التفسير الفقهي. وتناولنا في الثالث بيان خصائص تفسيره الفقهي.

تمهيد: الشيخ بيوض مفسراً وفقهياً:

أولاً: الشيخ بيوض مفسراً:

لم يترك الشيخ بيوض مؤلفاً تفسيرياً مكتوباً، وإنما هي دروسٌ ألقاها في مسجد القنطرة على مدى خمسة وأربعين عاماً⁽¹⁾، ثم حرّرها تلميذه الجاد الأستاذ عيسى الشيخ بالحاج، وصدرت في عمل موسوعي بلغت 28 جزءاً بعنوان: «في رحاب القرآن».

والغاية الأساس التي يرمي إليها الشيخ من تفسيره للقرآن هي إصلاح الأمة بالقرآن، ومعالجة أدوائها، وإحياء قلوبها به، وقد صرح بهذا في عدة مناسبات من ذلك قوله: «وغيرنا من تفسير كلام الله إنما هو الاتعاض والاعتبار، وإلا فالتفسير له وجوه كثيرة من حيث البلاغة والنحو والصرف والتأريخ، ولكن الأصل هو تدبر كلام الله تعالى...»⁽²⁾.

إن المطلع على هذا السفر الجليل، ليجد ذلك العمق في تحليل الآيات، والغوص في أسرارها، واستجلاء أبعادها ومقاصدها، مع بصمة إصلاحية واضحة تتجلى في القدرة على ربط الآيات بواقع الحياة، ومعالجة قضايا الناس، سواء ما تعلّق بالنفس أو المجتمع. قال الشيخ أحمد حمّاني عن درس الشيخ بيّوض في التفسير: «تجد العلم الواسع، والتمكّن من القواعد، والفهم الدقيق، والقدرة على التطبيق»⁽³⁾.

أضف إلى ذلك، أنه لم يكن مجرد ناقل للأقوال، ولا مكرر لما ورد في كتب التفسير، بل مارس التفسير بروح ناقدة ومجدّدة، بتحليل النصوص، ومناقشة آراء المفسرين، مع استقلالية في الترجيح⁽⁴⁾.

(1) انطلق الشيخ في دروس التفسير سنة 1354هـ/1935م، وختمه في شهر ربيع الأول 1400هـ/فبراير 1980م. انظر: دبوز: نهضة الجزائر، 72/3. جمعية التراث: في رحاب القرآن المهرجان والتأبين، ص18-19.

(2) في رحاب القرآن، 361/21.

(3) جمعية التراث: في رحاب القرآن المهرجان والتأبين، ص106.

(4) لمزيد الاطلاع على منهج التفسير عند الشيخ بيوض ومعامله التجديدية انظر: عمر بن سعيد حكي، ملامح التجديد عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض من خلال تفسيره في رحاب القرآن، منشورات ألفا، الجزائر، ط1، 1440هـ/2019 ص45 وما بعد. دليلة بنت محمد خيزي، اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية

إن هذا الكتاب يعدّ موسوعة شاملة لفكر الإمام إبراهيم بيّوض، فقد احتوى مختلف جوانب المعرفة والفكر: من العقيدة والفقه، والتاريخ والسياسة والاجتماع، وغير ذلك من الموضوعات التي كان يتناولها الشيخ انطلاقاً من القرآن الكريم. كما أنّه لا يكاد يخلو جزء من هذا الكتاب من رأي فقهيّ له، أو مسألة شرعيّة، خاصّة إذا كانت مستجدّة، يطيل فيها البحث والتحقيق، لذا فإنّ هذا التفسير يحوي مادة ثريّة لأراء الشيخ بيّوض الفقهية، تستوجب الجمع والتبويب، ثم الدراسة والتحليل.

ثانياً: الشيخ بيّوض فقيهاً ومجتهداً:

إذا كان التفسير أبرز جوانب شخصية إبراهيم بيّوض، فإنّ مكانته الفقهية لا تقل شأنًا، بل قد تكون أعمق أثراً في بناء شخصيته العلمية؛ فقد كان فقيهاً مجتهداً، درّس علوم الشريعة، وترك تراثاً فقهياً تجلّى في فتاويه المطبوعة، ودروسه المسموعة، إضافة إلى آرائه الفقهية المبنوثة في دروس التفسير.

أما عن أهليته العلمية، فقد تلقى تكويناً علمياً رصيناً في فترة مبكرة من عمره، إضافة إلى عوامل نبوغه التي بنت فيه الشخصية العلميّة القويّة، وأهّلته لتقلّد مناصب في مجتمعه وهو لا يزال شاباً يافعاً⁽¹⁾.

ومما يدل على مكانته العلمية تصديده للتدريس والإفتاء قبل أن يصل إلى سن العشرين، كما أفتى في نوازل عصره، منذ عشرينيات القرن الماضي، واستمر على درب الاجتهاد والإفتاء في مختلف قضايا زمانه، وامتدّت آثار اجتهاداته، ليشمل وطنه الجزائر، بعد أن كان ضيقاً في إطار أتباع المذهب؛ ففي سنة 1387هـ/1968م طلب منه المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر فتوى في مسألة الإحرام من جدّة بالنسبة للحجّاج المغاربة المسافرين عبر الطائرة⁽²⁾.

الجزائر، من القرن 13هـ إلى أوائل القرن 15هـ، جمعية التراث، الجزائر، ط.1، 1445هـ/2024م، ص 524 وما بعد.

(1) للاطلاع على مراحل التعلم لدى الشيخ ومضامينه انظر: جابر فخار، منهج الشيخ بيّوض في الاجتهاد الفقهي، ص 50 وما بعد.

(2) انظر: بيّوض إبراهيم: فتاوى الإمام الشّيخ بيّوض، ترتيب وتقديم وتخرّيج: بكير محمد الشّيخ بالحاج، 1/315.

وفي سنة 1391هـ/1971م استصدرت منه وزارة الأوقاف والشؤون الدينية فتوى حول حكم الاعتماد على الحساب الفلكي في الصوم والإفطار⁽¹⁾.

تتجلى أهم خصائص منهجه في الاجتهاد في قوة التأصيل في منحنى وسطي جامع بين النقل والعقل، مع روح مقاصدية تتجلى في التنزيل.

أضف إلى ذلك اهتمامه بوصل الفقه بالعقيدة؛ إيماننا منه بأن استقامة السلوك تتحقق بقوة الإيمان وسلامة القلب، وأن الدين كلّ لا يتجزأ. كما كان الشيخ يغرف من بحر الفقه ما يعالج به الواقع الاجتماعي، حيث اتخذته أداة لتفعيل حركية المجتمع، وتقويم سلوك أفرادها على نحو شمولي متكامل.

إن شخصية الشيخ إبراهيم بيوض تكشف عن عالم موسوعي متكامل، جمع بين البيان القرآني والاجتهاد الفقهي؛ فقد مثل بتفسيره «في رحاب القرآن» مشروعاً إصلاحياً متجدداً، وباجتهاداته الفقهية جسّد قدرة الشريعة على مواكبة حياة الناس، ولذا يُعدّ نموذجاً للعالم المصلح الذي يوظف التراث لخدمة الحاضر واستشراف المستقبل.

المبحث الأول: مصادر الشيخ بيوض في التفسير الفقهي:

يتناول هذا المبحث المصادر التي استقى منها الشيخ مادة الفقهية في دروسه في التفسير، تحليلاً واستشهاداً، وتتوزع هذه المصادر بين نقلية وبشرية.

المطلب الأول: مصادره من الوحي:

أولاً: القرآن الكريم:

أصح طرق التفسير أن يفسّر القرآن بالقرآن، وهذا ما انتهجه الشيخ في تفسيره عموماً، واتخذته عمدة في تحليل الآيات وموثلاً في الترجيح عند الاختلاف، وكان يقول في درس التفسير: «لقد أغناني كتاب الله عن كل كتاب»، ويؤكد في عدة مناسبات أن: "القرآن يفسر بعضه

(1) انظر: بيوض: المصدر نفسه، 1/269، 274. دبور: أعلام الإصلاح، 5/75.

بعضاً"، وأنه "ما فسر القرآن مثل القرآن"⁽¹⁾.

على أنه لم أجد في سورة النور خصوصاً ما يصلح مثلاً عليه من الجانب الفقهي، وإن كنا نجد توظيفه لهذه القاعدة في مسألة عقدية تتعلق بصفة النفاق ودخولها تحت اسم الكفر في القرآن⁽²⁾.

ثانياً: السنة النبوية:

يَعتبر الشيخ بيّوض أنّ حجّية السُّنة وكونها مصدراً من مصادر التشريع -بعد القرآن الكريم- ممّا أجمعت عليه الأمة، وعُلم من الدين بالضرورة⁽³⁾، أما في علاقتها بالقرآن فيرى أن دورها يتجلى في البيان أكثر، حيث تولّى النبي ﷺ تفصيل ما أُجمل في القرآن من الأحكام بأقواله وأفعاله وتقديراته، فبيّن غوامضها، وأوضح مبهمها، وفي هذا يقول: «إن الله تبارك وتعالى جعل نبيّه محمداً ﷺ مبيناً لما نزل عليه، مفسراً له تفسيراً عملياً بأفعاله وأقواله، وأحكامه وأقضيته»⁽⁴⁾.

ونظراً للأهمية التشريعية التي تتبوؤها السنة النبوية نجد الصحابة الكرام -كما يقول الشيخ بيّوض-: «لم يتركوا شاردة ولا واردة من حياة الرسول ﷺ إلاّ ودوّنوها، لأنّ أعماله كلّها تشريع، نقلوها حتّى تكون هدياً ونوراً يسير خلفه مقتدين به. فالقرآن وضع القوانين، والنبي ﷺ بيّنها بالتنفيذ والتطبيق: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: 44»⁽⁵⁾.
أمّا ما سكت عنه القرآن وثبت بالسنة الصحيحة فيجب العمل به لأنّه من شرع الله، والسنة مكملّة للقرآن من حيث التشريع⁽⁶⁾.

(1) انظر: في رحاب القرآن، 58/1، 59، 315/6.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 315/6.

(3) بيّوض: البدعة، ص 9.

(4) بيّوض: روح الشريعة الإسلامية، ملتقى الفكر الإسلامي، مج 2/774.

(5) في رحاب القرآن، 385/6.

(6) انظر: في رحاب القرآن، 248/6.

بل نجد في سورة النور ما يدل على حجّية قول النبي ﷺ وفعله، حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: «فيه قرن لحكم الله وحكم رسوله، وجعلهما واحداً، وهذا من أظهر الأدلة على مقام الرسول ﷺ، وأنّ قوله هو الحق، وأنّ حكمه هو حكم الله، كما صرح الله بذلك في قوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: 80، وقوله: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَوْمَنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: 65»⁽¹⁾.

وتأكيداً لما سبق نجد الشيخ بيوض يعتمد كثيراً على الأحاديث النبوية في تفسيره، حيث أورد في تفسيره لهذه السورة أكثر من 120 حديثاً نبوياً، يتعلق أكثرها ببيان الأحكام الفقهية؛ من ذلك بيانه للنساء اللاتي يجوز لهن إبداء زينتهن من المحارم ممن لم يُذكر في القرآن، وكذا بعض التفاصيل الواردة في السنة مما يتعلق بزينة المرأة وسترها، وأحكام النظر، والاستئذان والدخول في البيوت.

المطلب الثاني: مصادره من خارج الوحي:

أولاً: الإجماع:

استدل الشيخ على حرمة قذف الرجل المحصن وإقامة الحد على القاذف بدليل الإجماع أيضاً، حيث أيد استدلّاه ذلك بعمل الصحابة وإجماعهم عليه دون نكير ولا مخالفة حيث يقول: «وَهَذَا أَيْضاً مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَوَقَعَ تَنْفِيزُ الْحَدِّ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَذَفُوا السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وَفِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ اتُّهِمَ رَجُلٌ، وَأُقِيمَ الْحَدُّ عَلَيْهِ قَاضِيَةً»⁽²⁾.

ومن المواضع التي استدل فيها بالإجماع مسألة إبداء المرأة زينتها للأعمام والأخوال حيث لم يأت ذكرهم في آية النور ولا آية الأحزاب، واعتبر القول المخالف شاذاً لا يؤخذ به، حيث يقول: «وَهَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي انْعَقَدَ عَلَيْهَا الْإِجْمَاعُ وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا اعْتِبَارٌ لِقَوْلِ بَعْضِ الشَّوَادِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَنَعُوا غَيْرَ الْمَذْكُورِينَ بِالنَّصِّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَمَنَعُوا الْعَمَّ أَنْ يَرَى بِنْتَ أَخِيهِ،

(1) في رحاب القرآن، 6/377.

(2) في رحاب القرآن، 6/110.

ومنعوا بنت الأخ من أن تنكشف لعمِّها، هَذَا قول متروك لا يعتبر ولا ينظر إليه»⁽¹⁾.

ثانيا: الاستشهاد بأثار الصحابة و أقوال التابعين:

أحيانا يلجأ الشيخ إلى تأييد رأيه الفقهي، أو قول مذهبه بأثار الصحابة خصوصا، وكذا أقوال التابعين؛ من ذلك إيراد مسألة حكم زواج الرجل بمزنيته، وترجيحه الرأي القائل بالحرمة، وهو مذهب الإباضية؛ حيث ذكر الآثار الواردة عن الصحابة في هذه المسألة كقول ابن مسعود وقول عائشة، ومن التابعين قول إمام المذهب جابر بن زيد⁽²⁾.

ثالثا: الاستشهاد بأقوال المفسرين:

استفاد الشيخ من التراث التفسيري السابق، واستعان بهذه الثروة المصدرية في دروسه، حيث كان يعود إلى جملة من هذه الكتب؛ منها: التفسير الكبير للرازي، أنوار التنزيل للبيضاوي، وروح المعاني للآلوسي، وتيسير التفسير للشيخ اطفيش، وفي الجانب الفقهي: كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أما من الجانب الهدائي والإصلاحي فكان أكثر اعتماده على تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ثم تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن".

لذا نجد في تفسيره لآيات الأحكام يشير إلى أقوال المفسرين فيها، مستعملا بذلك عدة عبارات كقوله: "قال المفسرون"، وقوله: "قال جمهور المفسرين"، أو قوله: "هذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين"⁽³⁾.

وفي سورة النور استشهد بأقوال المفسرين في مواضع، منها: بيان ما يدخل من صور في محبة الفاحشة⁽⁴⁾، اتفاق أهل التفسير على تشديد الله تعالى ووعيده في مسألة القذف⁽⁵⁾.

(1) في رحاب القرآن، 248/6.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 35/6.

(3) انظر: في رحاب القرآن، 101/1، 341/2، 226/4، 378.

(4) انظر: في رحاب القرآن، 177/6.

(5) انظر: في رحاب القرآن، 194/6.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير الفقهي:

المطلب الأول: ركائز المنهج:

أولاً: الاعتماد على أسباب النزول:

العلم بأسباب النزول من أهم الأدوات التي يحتاج إليها المفسر من أجل فهم معاني الآيات، وتحديد مقصود الشارع من الأحكام، وقد كان الشيخ بيّوض يؤكّد على أنّ الاطلاع على سبب نزول الآية يوضّح المراد، ويجلّي المعنى أكثر⁽¹⁾، حيث يقول: «لِذَلِكَ كَانَ الاطِّلَاعُ عَلَى أسباب النزول والقضايا التي نزلت فيها آيات في القرآن يعطي ضوءاً كبيراً في فهم الآيات»⁽²⁾، هذا من حيث تفسير آيات القرآن عموماً، أمّا ما يتعلّق بمعرفة الأحكام فيقول: «ونحن عندما نطلّع على سبب النزول فليُعطينا فقط وجهها من أوجه التفسير، أو يسلّط ضوءاً في طريق استنباط الأحكام»⁽³⁾؛ لذا نجد أنه يعتمد بصورة واضحة على أسباب النزول في تفسير سورة النور، خاصة في الآيات التي تتطلب سياقاً تاريخياً لفهمها، ومن أمثلة ذلك:

1- في بيان حكم القذف بين الأزواج وما نزل من الآيات في هذا الشأن، حيث بيّن سبب نزولها، وحكمة الله في التشريع⁽⁴⁾.

2- في قصة حادثة الإفك، وهي أبرز مثال يوضح مدى اعتماد الشيخ على أسباب النزول في تفسيره عموماً، وفي آيات الأحكام على وجه الخصوص؛ حيث أورد القصة بالتفصيل لتوضيح الآيات، وما تشرعه من أحكام، مع بيان أسرارها ومقاصدها وأثار ذلك على المجتمع المسلم⁽⁵⁾.

3- في تفسيره لآيات الاحتكام إلى شرع الله ورسوله عند النزاع والاختصاص، يورد سبب نزول

(1) انظر: في رحاب القرآن، 122/7، 284/14.

(2) في رحاب القرآن، 360/12، 361.

(3) في رحاب القرآن، 10/11.

(4) انظر: في رحاب القرآن، 120/6 وما بعد.

(5) انظر: في رحاب القرآن، 127/6 وما بعد.

هذه الآيات من السورة: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا.. بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾ النور: 47-50، وهي قصة النزاع الواقع بين يهودي ومنافق⁽²⁾.

4- في تفسيره لآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ..﴾ النور: 61، حيث توقف عند معنى الحرج المنفي عن هؤلاء الأصناف الثلاثة ومقصود الشارع منه، وذكر خلاف أهل التفسير في ذلك، وهنا يستعين الشيخ بسبب نزول الآية لبيان حقيقة المعنى المقصود، حيث يقول: «لَكِنْ إِذَا وَقَفْنَا عَلَى أَسْبَابِ النَّزُولِ، وَاطَّلَعْنَا عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَقْتُ نَزُولِ الْآيَةِ، خَاصَّةً الْحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ، وَسِيرَتَهُمْ فِي الطَّعَامِ، وَدَعْوَةَ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، فَحِينَئِذٍ يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ الْآيَةَ حَقَّ فَهْمِهَا وَنَنْزِلُهَا مِنْزِلَهَا مِنْ آدَابِ اللَّهِ تَعَالَى»⁽²⁾.

ثانيا: القواعد الأصولية والفقهية:

1- قواعد تفسير النصوص:

أ- الاستناد إلى فهم الصحابة وعملهم في تفسير آيات الأحكام:

عند تبيينه لحكم جلد قاذف الرجل المحصن، وأدلته من الإجماع والقياس، ذكر تأويل بعض العلماء لكلمة «المحصنات» في الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 04 بأنها الأنفس المحصنة، فتشمل الذكر والأنثى على السواء، إلا أنه نقد هذا التأويل استنادا إلى فهم الصحابة وعملهم حيث يقول: «ولسنا بحاجة إلى هَذَا التفسير، سواء صَحَّ أَمْ لَمْ يَصَحَّ، مَا دَامَ الْإِجْمَاعُ قَدْ انْعَقَدَ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَلَمْ يَفْهَمْ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ خَاصٌّ بِرَمِي النِّسَاءِ دُونَ رَمِي الرِّجَالِ»⁽³⁾.

ب- قواعد العموم والتخصيص:

■ حكم الاستثناء بعد جمل متعاقبة:

أورد الشيخ بيوض هذه المسألة الأصولية عند تفسيره للآية محل الشاهد عند الأصوليين

(1) انظر: في رحاب القرآن، 6/380-381.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 6/439-440.

(3) في رحاب القرآن، 6/111.

فيها وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 4-5، حيث أشار بإيجاز إلى خلاف علماء الأصول في المسألة، وحرر محل النزاع في هذه الآية تحديدا، كما بيّن القول الفقهي الذي يراه راجحا، وأيده بالسياق وما تقتضيه اللغة؛ ومحل النزاع إنما في عود الاستثناء على عدم قبول الشهادة، بعد الاتفاق على عوده على الجملة الثالثة وهي الحكم الفسق، وعدم عوده على وجوب إقامة الحد، ويرى الشيخ أنه يعود على الجملة الأخيرة فقط، ولا يصح إلحاقه بالجملة الثانية، وأيد اختياره بأمرين: أحدهما تقييد الحكم الثاني بالتأبيد التي تفيد طول المدة، والآخر اختلاف أسلوب الحكم في الثالث بالخبر، عن الجملتين السابقتين بالأمر والنهي، فناسب أن يرجع الاستثناء على الجملة الخبرية فقط⁽¹⁾.

■ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

وظّف الشيخ هذه القاعدة عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغُفْلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23؛ حيث يقول: «على أن «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» كما يقول العلماء، فلا نقول: إنَّ هَذِهِ نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ وَأَبِي بَكْرٍ، أَوْ فِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ أَوْ أَغْلِبُهُ نَزَلَ فِي قَضَايَا مُعَيَّنَةٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَحْكَامًا لَتِلْكَ الْقَضَايَا، وَلِكُلِّ مَا يَشَاهِبُهَا، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»⁽²⁾.

2- قاعدة التحسين والتفبيح العقليين:

أورد الشيخ هذه القاعدة في عدة مناسبات من درس التفسير، وقد نص في غير ما موضع على أن: «الحُسْن والقبح شرعيّان، فلا حسن إلا ما حسّنه الله ورسوله، وقضى به الشرع، ولا قبيح إلا ما قبحه الله ورسوله، ونهى عنه الشرع»⁽³⁾.

ويجدر التنويه بأن تقريره لهذه القاعدة ورد في سياق كلامه عن مرجعية الوحي وصلاحيّة

(1) انظر: في رحاب القرآن، 114/6، 117.

(2) في رحاب القرآن، 190/6.

(3) في رحاب القرآن، 391/6. وانظر: المصدر نفسه، 31/2، 511/11، 516.

أحكامه، والتدليل على ضعف المنظومة التشريعية للفكر الغربي، نظرا لقصور العقل البشري في إدراك الخير والشر المطلق، وتناقضاته الواقعية في الحكم على الأفعال بالحسن والقبح، وكذا الإسفار عن هشاشة هذا الفكر وضعف مقوماته، قال الشيخ بيّوض: «وإذا كان الاختلاف قد وصل بعقول البشر إلى هذا الحدِّ، فهل يمكن أن نستشير هذه العقول في تقنين القوانين والأحكام التي يسعد بها البشر؟ هذا أمر مستحيل، وإذن يجب الرجوع إلى الأصل، إلى حكم الله تعالى القاهر فوق عباده»⁽¹⁾.

3- القياس:

يؤصل الشيخ حكم قذف الرجال عن طريق القياس الجلي حيث يقول: «ويدخل في المحصنات الإناث بطريق القياس الجلي: المحصنون الذكور، والقرآن يختصر التعبير، فتارة. وهُوَ الأغلب. يدخل النساء في أحكام الرجال، فكلُّ ما خوطب به المسلمون أو المؤمنون خوطبت به المسلمات والمؤمنات، إلّا ما كان خاصّا بهم.

ولكن في «المحصنات» يلحق الرجال بهنّ قطعاً، لأنَّ العِلَّةَ ظاهرة، للقطع بعدم الفارق، إذ لا فرق بين العفيف البريء، رجلاً أو امرأة؛ فكلُّ من خدش عرض أحدهما واتَّهمه بالفاحشة يقام عليه الحد»⁽²⁾.

ثالثاً: اللغة ومعهود كلام العرب:

لا شك أن اللغة العربية بمختلف علومها أهمّ عدة للمفسّر ذلك أن القرآن نزل بلسان عربي، وعلى قدر مكنته فيها يكون مستوى فهمه لآيات القرآن، عمقا وتحليلاً وتدبراً. ونظراً للتكوين الرصين الذي تلقاه الشيخ في علوم اللغة، نجد تركيزه على بيان الجانب اللغوي لألفاظ القرآن، وكشفه للجانب البلاغي في أساليبه، وفي هذه السورة مواضع عديدة نورد منها:

1- تفسيره لكلمة «تستأنسوا» في آية الاستئذان، وما تحمله من معنى زائد على مجرد الاستئذان، وكذا بيانه لمعنى التسليم المأمور به في الآية، وما يتضمن من معنى الأمن

(1) المصدر نفسه، 391/6.

(2) في رحاب القرآن، 110-109/6.

والسلامة⁽¹⁾.

2- بيانه لمعنى لفظي "المحصنات" و"الغافلات"، ووقوفه عند كلمة الغفلة خصوصا، ومعناها اللغوي، والحكمة في التقديم والتأخير بين الأوصاف الثلاثة الإحصان، الغفلة، الإيمان⁽²⁾ في الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ النور:23.

3- التنبيه إلى دلالة حرف الجر "من" وما تشيره إليه من حكم فقهي، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ النور:30 حيث يقول: «ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرِدْ مِنْهُ أَنْ نَغْضَ كُلَّ أَبْصَارِنَا وَنَغْمِضَ أَعْيُنَنَا فَنَسِيرَ كَالْعَمِيَانِ فِي الطَّرِيقَاتِ، بَلِ الَّذِي تَفِيدُهُ "مِنْ" التَّبَعِيضِيَّةُ أَنَّهُ يَقُولُ: أَقْصِرُوا مِنْ نَظَرِكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا نَظَرَ الْفُضُولِ»⁽³⁾.

4- الإشارة إلى دلالة ورود الأمر بصيغة الجمع في لفظ أنكحوا في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ النور:32، حيث إن توجيه الخطاب إلى الجماعة يدل على تحمل المجتمع المسلم مسؤولية تزويج أفرادها خاصة إن كانوا فقراء⁽⁴⁾.

رابعا: عنايته بالجانب المقاصدي في التفسير:

إنَّ المتأمل في دروس التفسير للشيخ بيّوض من خلال كتابه "في رحاب القرآن" ليجد اهتمامه البالغ بفلسفة التشريع؛ وذلك ببيان مقاصد الأحكام الخاصة والعامة، ومصالحها العاجلة والأجلة، وآثارها على الأفراد والمجتمعات، حتى تكون أرسخ في القلوب، وأدعى للامتثال والالتزام، وفي هذا يقول: «إِنَّا دَائِمًا نَأْخُذُ الْأُمُورَ عَلَىٰ بَسَاطَتِهَا وَظَوَاهِرِهَا، وَلَا نَتَعَمَّقُ فِي الْغُوصِ عَنِ الْحُكْمِ وَالْأَسْرَارِ، فَكَانَ فَهْمُنَا دَائِمًا وَعِلْمُنَا بِشُعَائِرِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِطَرِيقَةِ سَطْحِيَّةٍ، وَلِذَلِكَ سَرَعَانِ مَا يَزُولُ، كَالشَّيْءِ الْمَهْتَرِ الَّذِي لَا يَسْتَقَرُّ وَلَا يَثْبُتُ»⁽⁵⁾.

(1) انظر: في رحاب القرآن، 204/6، 208.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 191/6 وما بعد.

(3) في رحاب القرآن، 223/6.

(4) في رحاب القرآن، 265/6، 272.

(5) في رحاب القرآن، 222/11.

وفي تفسيره لسورة النور خصوصاً يُظهر الشيخ عناية واضحة بالجانب المقاصدي للتشريعات، حيث يربط الأحكام بالحكم والغايات التي أرادت الشريعة تحقيقها⁽¹⁾، وهي غالباً ما تتمحور حول الكليات الخمس، ومن جانب رعاية المقاصد بالنظر في المآلات، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أ- الكليات الخمس: ومن أمثلة ذلك:

- 1- حكم زواج الرجل بمزنيته: حيث بيّن رجحان مذهب الإباضية في المسألة من الجانب المقاصدي⁽²⁾.
- 2- تحليل ظاهرة العزوف عن الزواج بالمسلمات والانهار بالمرأة الأوروبية، وبيان مفسد ذلك ومآلاتها على المجتمع والدين وربط ذلك بمقصد حفظ الدين وحفظ النسل⁽³⁾.
- 3- بيان مفسد الزنا ومخاطر انتشار هذه الفاحشة وأضرارها على المجتمعات، وكذا تحليل ظاهرة العزوف عن الزواج مطلقاً، وعلاقة ذلك بانتشار فاحشة الزنا⁽⁴⁾.
- 4- الإشارة إلى اهتمام الإسلام بتحسين المجتمع من هذه الفاحشة، ووضع الأحكام والحدود المانعة، حفاظاً على العفة والطهارة وصيانة للأعراض، ومقارنة ذلك بما وصل إليه الغرب في تشريعاته القانونية بتقنيته للشذوذ الجنسي ضمن إطار احترام الحريات وحفظها⁽⁵⁾.
- 5- بيان أهمية معرفة حكم الشارع ومقاصده في فهم أحكامه، ذكر هذا في سياق الحديث عن حد القذف وسبب قساوته حيث يقول: « قبل أن يعرف أحد خطر القذف وما يخلّفه من تكوين بيئة فاجرة فاسقة، قد يتعجّب من هذا الحكم، ولكن بعد أن يعرف عواقبه

(1) انظر تفسيره للآية 61 من السورة، وتنبيهه لمقاصدها، 448/6.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص 41-45.

(3) انظر: المصدر نفسه، ص 46 وما بعد.

(4) انظر: المصدر نفسه، ص 78 وما بعد.

(5) انظر: المصدر نفسه، ص 90-91.

الوخيمة يدركُ حكمة الله تَعَالَى فيما شرع لِدَلِكْ»⁽¹⁾.

6- بيان حكمة تشريع الاستئذان وما فيه من آداب وربطه بمقصد حفظ العرض حيث يرى أنه بالتزام هذه الأحكام «تُحَفَظُ كرامة البيوت، وتُصان الأسر، وتُرَدُّ كُلُّ شبهة يمكن أن يثيرها الشيطان في قلب إنسان»⁽²⁾، ويقول أيضا: «فهذه من آداب الله تعالى التي شرعها لنا لتكون العائلات نقية طاهرة، ومن خلالها يطهر المجتمع المسلم ويزكو»⁽³⁾.

ب- اعتبار المآل:

يربط الشيخ بين آيات الاستئذان والأمر بغض البصر، وما جاء قبلها من الآيات المتعلقة بأحكام الزنا والذف، مبينا العلاقة بين هذه الأحكام من جهة المقاصد والوسائل، ومشييا إلى منهج الشارع الحكيم في التشريع حيث يقول: «إِذَا أَمَرْنَا بِشَيْءٍ لَا يَأْمُرُ بِهِ جَافًا، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَرْغَبُ فِيهِ، وَيَحْتُ عَلَى كُلِّ الْأَسْبَابِ الْمَوْصِلَةَ إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ؛ وَإِذَا نَهَى عَنْ فَاحِشَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَنْهَى عَنْهَا فَقَطْ، وَيَدْعُو نَسِيرَ عَلَى حَاقَّتِهَا، وَإِنَّمَا يَرْبِّينَا وَيَمْنَعُنَا مِنَ الْقَرَبِ مِنْهَا، وَيَسُدُّ جَمِيعَ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهَا»⁽⁴⁾. ويقول أيضا في خصوص جانب المنهيات: «لا يكتفي الله تَعَالَى بالنهي عن القرب فقط، بل يشرع الطرق والوسائل المانعة من الفاحشة، وَهَذَا الَّذِي سَيَذْكُرُهُ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَةِ»⁽⁵⁾.

ج- التفسير المقاصدي للنصوص:

إن مقارنة فهم مراد الشارع من النصوص لا تعتمد على آلية اللغة فقط، بل لابد من الاستعانة بمقاصد الشريعة في تفسير النص، وتحديد مضمونه، والترجيح بين دلالات ألفاظه؛ وهذا هو المقصود من التفسير المقاصدي للنصوص.

وهذا النوع من الفقه مما تتفاوت فيه أنظار المجتهدين، وتباين استنباطاتهم؛ ولقد كان

(1) المصدر نفسه، ص 97.

(2) المصدر نفسه، ص 217.

(3) المصدر نفسه، ص 220.

(4) المصدر نفسه، ص 201-202.

(5) في رحاب القرآن، 6/203.

الشيخ ممن أولوا عناية بهذا الجانب في تفسيره للقرآن، فلم يكن يقف عند حدود الدلالات اللغوية للألفاظ، بل كان يستعين بمقاصد الشريعة وحكمها في الفهم والتأويل، مع ملاحظة استناده في هذا الفهم المقاصدي إلى دليل صحيح من دلالة السياق أو مقام الحال، أو عادة الشارع في التشريع، ولم يكن مجرد تخمين، ولا ظنون محضة.

ومن أمثلة ذلك في سورة النور قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَاءً﴾ النور: 31؛ حيث اختلف العلماء في المراد من النساء، ويفسر الشيخ بيّوض الآية بناء على المقصود من عدم جواز إبداء المرأة زينتها لصنف مخصوص من النساء، وهو خوف إضرارهنّ بوصف زيهنّ للرجال، وفي هذا يقول: «ليست كلّ امرأة كافرة لا يجوز للمسلمة أن تنكشف لها، كما أنّه ليست كلّ امرأة مسلمة يجوز أن تنكشف لها، وإنّما المرأة التي يخشى منها إدخال الضرر على المرأة المسلمة المنكشفة لها، لا يجوز أن تنكشف لها المرأة المسلمة، وهنّ الفواسق والعواهر»⁽¹⁾.

إذن فالعبرة عنده ليس بالانتماء الديني، وإنّما بالفساد والضرر المتوقع من المرأة غير العفيفة ولو كانت مسلمة، وفسر الإضافة في قوله تعالى: ﴿نِسَاءً﴾ بالنساء اللاتي مثلنّ في العفاف والطهر، وفي هذا يقول: «والمراد بهنّ النساء الطاهرات ولو كنّ كتابيات، يهوديات أو نصرانيات، هنّ اللاتي يجوز للمسلمة أن تنكشف لهنّ، ويخرج بهذا القيد الفاسقات اللاتي يفسدن الصالحات، أو يوصلنّ إلى الفساد ولو ادّعين أنّهنّ مسلمات»⁽²⁾.

المطلب الثاني: منهجه في تناول المسائل الفقهية:

أولاً: طريقته في عرض المسائل الخلافية:

يتجلى منهج الشيخ في عرض المسائل الفقهية على الاختصار، وعدم التطويل في ذكر الخلاف، وهو المناسب للدرس الفقهي الشفوي الذي يحضره مختلف طبقات المجتمع؛ حيث يركز على بيان مذهب الإباضية في المسألة، مع الإشارة إلى رأي الجمهور في الغالب، وقد يصرح أحيانا برأي المذاهب الأخرى؛ ومن أمثلة ذلك:

(1) في رحاب القرآن، 574-573/12.

(2) في رحاب القرآن، 575/12.

- 1- مسألة قبول شهادة القاذف بعد التوبة⁽¹⁾.
- 2- مسألة عقوبة الناظر إلى داخل البيوت وخلاف العلماء فيها⁽²⁾.
- 3- مسألة الجمع بين الجلد والتغريب في حد الزاني غير المحصن؛ حيث صرح برأي الإباضية في المسألة ومذهبهم في تأويل الحديث الوارد فيها، مع بيان سداد هذا الرأي⁽³⁾.
- 4- إيراد الخلاف في تفسير آية: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بإيجاز بعد تحرير محل النزاع وبيان موطن الاتفاق، حيث ذكر رأي من قال بأن الاستثناء المقصود في الآية هو الوجه والكفان، ونسبه إلى ابن عباس وأبي حنيفة، بينما أشار إلى الرأي الآخر دون نسبة، كما أشار إلى رأي مذهبه في المسألة وما جرى عليه العمل⁽⁴⁾.
- 5- التصريح برأي الإباضية والمفتي به خصوصاً لدى إباضية المغرب فيما يتعلق بعلامات البلوغ⁽⁵⁾.

ثاني: التصريح باختياره الفقهي:

لا يلتزم الشيخ ببيان اختياره في كل المسائل الفقهية، غير أنه قد يصرح برأيه في بعض المسائل الخلافية مع بيان سبب الترجيح.

من ذلك ما مر من قبل في مسألة نكاح الرجل بالتي زنى بها⁽⁶⁾، وكذا في مسألة الترتيب بين الاستئذان والسلام، حيث رجح ما وردت به الآية، لأنه الموافق من حيث الواقع لهندسة البيوت في المجتمع المزابي، وفيه التحقيق أيضاً لمقاصد هذا التشريع الرباني⁽⁷⁾.

ومن ذلك أيضاً ترجيحه لرأي الإباضية وما جرى عليه العمل لدى إباضية وادي مزاب

(1) انظر: في رحاب القرآن، 6/114-117.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 6/215-216.

(3) انظر: في رحاب القرآن، 6/29.

(4) انظر: في رحاب القرآن، 6/242-243.

(5) انظر: في رحاب القرآن، 6/432.

(6) انظر: في رحاب القرآن، 6/32.

(7) انظر: في رحاب القرآن، 6/213.

خصوصا في مسألة الحجاب وطريقة لبسه، وما لا يجوز أن تبديه المرأة للأجانب؛ حيث بين سبب الترجيح وأنه الموافق لصريح القرآن وصحيح السنة وعمل الصحابة⁽¹⁾.

المبحث الثالث: خصائص التفسير الفقهي:

1- علاج الواقع بالقرآن:

مما تبين سابقا أن غاية الشيخ بيوض من دخوله غمار التفسير معالجة أوضاع المجتمع، ومداواة أدوائه الفكرية والاجتماعية من منظور الوحي الإلهي الذي أنزله الله هدى ونورا للبشرية؛ لذلك نلمس تلك السمة الواقعية بارزة في دروس التفسير على وجه العموم، ونلغى ذلك أيضا عند تفسيره لآيات الأحكام خصوصا، حيث نجد الجانب الاجتماعي في التحليل، والبعد الواقعي في التنزيل، حتى يكون النص القرآني أقرب إلى ذهن السامع، وأدنى إلى تطبيقه وتمثله في حياته.

وهذا ما نجده حاضرا في تفسيره لسورة النور، خاصة عند تناوله للآيات المتعلقة بحد الزنا، وكلامه عن مسألة زواج الرجل بمن زنى بها⁽²⁾، وفي تفسيره لآيات الاستئذان يبين بعض الصور الواقعية التي يتنزل عليها حكم رفع الجناح عن دخول البيوت غير المسكونة دون إذن حيث يقول: «كما يدخل في جملة هذه البيوت اليوم كل المصالح الحكومية والإدارات العمومية، كدار البلدية ومكتب البريد ومقر المحكمة، فالأصل فيها الدخول بغير استئذان، إلا إذا اتخذ أربابها نظاما خاصا بها، فحينئذ يجب أن يلتزم به حفاظا على النظام»⁽³⁾.

2- بيان حكمة التشريع ومنهج القرآن فيه:

من الواضح أن الشيخ بيوض اعتنى كثيرا ببيان حكمة الله تعالى في أمره، سواء كان تكوينيا أو تشريعا، وهذا نلفاه في تفسيره للقرآن عموما، وفي آيات الأحكام على وجه الخصوص، وهدف الشيخ من ذلك ترسيخ مبادئ الإسلام وأحكامه الشرعية في نفوس

(1) انظر: في رحاب القرآن، 243/6-244.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 25/6-27.

(3) في رحاب القرآن، 221/6.

الملتقين على نحو يورث الاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي حتى يكون أدعى للامتثال والالتزام، ذلك أن عصره كان يشهد موجات عاتية من التغريب والإلحاد، بما يشكك الناس في عقيدتهم، ويزعزع مبادئ دينهم وتمسكهم بقيمه وتشريعاته. وفي هذا يقول: «إِنَّا دَائِمًا نَأْخُذُ الْأُمُورَ عَلَى بَسَاطَتِهَا وظواهرها، ولا نَتَعَمَّقُ في الغوص عن الحِكم والأسرار، فكان فقهنّا دَائِمًا وعلمنا بشعائر الله ودينه بطريقة سطحيّة، وَلِذَلِكَ سرعان ما يزول، كالشيء المهترئ الذي لا يستقر ولا يثبت»⁽¹⁾.

وتفسيره "في رحاب القرآن" حافل بالشواهد التي تبرز هذا المنحى المقاصدي لديه في التفسير⁽²⁾، ويعد تفسيره لسورة النور أقرب نموذج تطبيقي لهذه الميزة؛ فقد أطلال النفس فيما يتعلق بالأحكام الواردة فيها، وبيان مقاصدها وأثارها على المجتمعات.

ومن الجوانب التي أولى الشيخ بها عنايته في تفسيره الفقهي تبيان منهج القرآن في التشريع والتنويه بخصائصه وفي ذلك في سياق ربطه بين آيات السورة والكشف عن مناسباتها، ومن ذلك قوله في سياق تفسيره لآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: «هكذا الله تعالى كُلَّمَا شرع لنا حكماً إلّا ويعقبه بما يذكّر به، لأنّ القرآن ليس كتاب قانون، به موادٌ جافّة تُقرأ للحكم فقط، وإنّما هو كتاب تذكير بالله تعالى، وسمعه وبصره وعلمه بالسرّ والعلن، وبمغفرته ورحمته، لأنّ الله تعالى يعلم أنّ الناس لا يسلمون من ارتكاب بعض الجرائم والفواحش، ولا يأتون المأمورات إلّا إذا امتلأت قلوبهم بالإيمان به وبرحمته وبعباده؛ فحينئذ يعبدون الله وَكَأَنَّهُمْ يرونه»⁽³⁾. ويقول أيضاً: «من حكمة الله تعالى في كتابه العزيز، أن يدرج بين آيات الأحكام والحدود والحقوق تذكير الناس بعظمته، ويوجّههم إلى الاتّعاظ والاعتبار بما في الكون. والقرآن الكريم ليس ككتب القوانين الجافّة التي لا تشتمل إلّا على موادّ الأحكام الصارمة، وليس فيها شيء من تربية وتهذيب»⁽⁴⁾.

(1) في رحاب القرآن، 222/11.

(2) انظر على سبيل المثال: في رحاب القرآن، 74-70/5، 250-248/7، 27-26/9، 223/11.

(3) في رحاب القرآن، 222/6.

(4) في رحاب القرآن، 423/6.

3- الدفاع عن الإسلام والرد على الشبه والتهم ودحضها:

ومن أمثلة ذلك عند شرحه لآية الحجاب في السورة، وما جاء فيها من التفصيل، تحدث عن شبهة إنكار فريضة الحجاب، وقبح هذه الدعوى ونكارتها شرعا، لكن دون التفصيل في الرد عليها وبيان تهافتها.

5 - الاستطراد استغلالا للمناسبات:

لما اتخذ الشيخ درس التفسير منبرا للإصلاح ومعالجة قضايا المجتمع وما يطرأ من الحوادث والنوازل، نجده يستغل المناسبة لشرح بعض الأحكام الفقهية، قصد التبيين والتصحيح لبعض الأخطاء، وإرشاد الناس إلى الصواب في معاملاتهم وعلاقاتهم، وهذا ما نجده خلال تفسير لآيات الاستئذان حيث تحدث عن أهمية تحية الإسلام، وشرح مقاصدها، وحكم استعمالها في حياة الناس⁽¹⁾. وكذا تفسيره لآية الحجاب في سورة النور، وبيان أحكام إظهار المرأة زينتها، حيث تطرق إلى بعض الأحكام المتعلقة بالنساء خصوصا، كمسألة خروجها إلى المسجد وشهودها الجماعات والجمعة، وكذا حكم صوت المرأة وكلامها مع الأجانب⁽²⁾.

ومن أبرز الموضوعات التي فصل فيها القول قضية الاحتكام إلى الشريعة، والانقياد لأحكامها اعتقادا وقولا وعملا، وذلك في كل شؤون الحياة حقيرها وجليلها، صغيرها وعظيمها، وفي هذا يقول: «إنَّ لمَسْأَلَةَ الحكم لشأنًا كبيرا، وليس الحكم يَتَعَلَّقُ بالمسائل الجزئية البسيطة، وإنَّمَا أصول العدالة وأصول الأحكام الحقيقية في القرآن تبدأ من الجزئية الصغيرة، ثُمَّ تتناول كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَلِفُ فيه الناس»⁽³⁾. واعتبر إذعان المرء لأحكام الشرع الميزان الذي يزن به إيمانه قبولا وتسليما، أو رفضا وإعراضا⁽⁴⁾.

ومن المواضيع التي استطردها أيضا قصد التصحيح والتقويم ظاهرة كثرة الحلف،

(1) انظر: في رحاب القرآن، 454-449/6.

(2) انظر: في رحاب القرآن، 254/6، 256، 260.

(3) في رحاب القرآن، 384/6.

(4) انظر: في رحاب القرآن، 386/6.

وكذا الحلف بغير اسم الله، وبيان أن هذا من علامات النفاق، وذلك في سياق تفسيره للآية التي نزلت في شأن المنافقين: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور: 53.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة، يمكن تسجيل أبرز النتائج المتوصل إليها فيما يأتي:

- يعدّ الشيخ إبراهيم بيوض من أبرز علماء الجزائر في الوقت المعاصر ممن جمع بين علمي التفسير والفقه، وكان تفسيره "في رحاب القرآن" تجسيدا لمشروعه الإصلاحي، عالج من خلاله قضايا المجتمع انطلاقاً من النص القرآني بروح تجديدية تجمع بين العقل والنقل.
 - اعتمد الشيخ في تفسيره الفقهي على المصادر النقلية، كما استند إلى أقوال الصحابة والتابعين، واستفاد من كتب المفسرين والفقهاء من مختلف المذاهب، مع نزعة استقلالية وموضوعية، بعيدة عن الجمود أو التعصب المذهبي.
 - وظف الشيخ الأدوات المنهجية في تحليل الآيات من الجانب الفقهي، معتمداً على قواعد علمي التفسير والأصول، مع روح مقاصدية، تجلي مقاصد الخطاب القرآني، وتربط الأحكام بغاياتها.
 - تناول الشيخ المسائل الفقهية التي تتضمنها سورة النور بنظرة الخبير بواقعه، البصير بمشكلات عصره، واتخذ تلك الآيات ركيزة لمعالجة مختلف القضايا الأسرية والأخلاقية والفكرية، مما أكسب تفسيره طابعاً إصلاحياً معاصراً.
- هذا وتوصي الدراسة بما يلي:

- الاستفادة من التراث التفسيري لدى الشيخ بيوض عن طريق توظيفه في المناهج التربوية، وكذا توجيه الباحثين إليه لاستثماره بالدراسات الأكاديمية من مختلف جوانبه المعرفية.
- دراسة التفسير الفقهي عند الشيخ، تستوعب كتابه "في رحاب القرآن"، لتجلي معالمه، وتبين عن منهجه وتكشف عن خصائصه، بنظرة شمولية نقدية مقارنة.

- التعجيل بإخراج موسوعة الآراء الفقهية للشيخ بيوض من خلال تفسيره، لتفيد منه الأمة عموماً، والمهتمون بتراثه الفقهي على وجه الخصوص.
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- مؤلفات الشيخ إبراهيم بيوض:

- البدعة، مفهومها وأنواعها وشروطها، إعداد وتحقيق: إبراهيم بن علي بولرواح، بحث التخرج، معهد الحياة، القرارة-غرداية، 1417هـ-1996م.
- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو، جمادى الثانية 1393هـ/ يوليو 1973م، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مج2، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1395هـ/ 1975م.
- فتاوى الإمام الشيخ بيوض، ترتيب وتقديم وتخريج: بكير محمد الشيخ بالحاج، المطبعة العربية، غرداية، 1988م.
- في رحاب القرآن تفسير سورة النور، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، ج6، جمعية التراث، القرارة-غرداية-الجزائر، 1439هـ/2018م.
- في رحاب القرآن، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، الأجزاء: 2، 5، 7، 9، 11، 12، جمعية التراث، القرارة-غرداية-الجزائر، من 1416هـ-1995م إلى 1432هـ-2011م.
- في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، ج1، ط2، جمعية التراث، القرارة-غرداية-الجزائر، 1430هـ-2009م.

ب- مصادر ومراجع الأخرى:

- جمعية التراث، في رحاب القرآن الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مهرجان ختم التفسير والتأبين، إعداد: محمد ناصر، نشر: جمعية التراث، العطف-غرداية، 1989م.
- دبوز، محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة-

الجزائر، 1394هـ/1974م.

- دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1389هـ/1969م.

- خبزي، دليلة بنت محمد، اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية الجزائر، من القرن 13هـ إلى أوائل القرن 15هـ، ط1، جمعية التراث، الجزائر، 1445هـ/2024م.

- الشثري، سعد بن ناصر، التفسير الفقهي، ط1، دار كنوز إشبيلية، السعودية، 1441هـ/2020م.

- حكيمي، عمر بن سعيد، ملامح التجديد عند الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض من خلال تفسيره في رحاب القرآن، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 1440هـ/2019م.

- فخار جابر بن سليمان، منهج الشيخ بيوض في الاجتهاد الفقهي، ط1، جمعية التراث، غرداية-الجزائر، 2017م.

العلامة أبو بكر عابد الجزائري ومنهجه في تفسير النص القرآني من خلال تفسيره

أيسر التفاسير من كلام العلي الكبير

The scholar Abu Bakr Abed Al -Jazaery and his approach to the interpretation of the Qur'anic text through his interpretation of the easiest interpretations from the words of Al -Ali Al -Kabeer

د. صونية حسيني

جامعة باتنة 1

الملخص:

يعد علم التفسير من أوائل العلوم التي ارتبطت بنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وأهميته المعرفية تكمن في فهم معاني وألفاظ القرآن لتزليلها في حياة المجتمع المسلم، وأهميته العلمية ترتبط بالمنهج الصحيح الذي وُضع لتفسير كلمات القرآن الكريم بضوابط سليمة، تؤدي إلى المبتغى منه، وتحقيق الغاية من نزوله. وفي دولة الجزائر مثل باقي العالم الإسلامي، ظهر الكثير من العلماء الذين ألفوا تصانيف عديدة في تفسير القرآن الكريم بمختلف المناهج المعروفة، ومنذ القرون الثلاثة الأولى برز العديد من المفسرين الجزائريين الذين كان لهم الأثر البين في تفسير النص القرآني، وتحليل وبيان الأحكام والحكم التي جاء بها الكتاب المبين، ومن المحدثين في هذا العلم نجد الشيخ المفسر أبو بكر عابد الجزائري إمام الحرمين، صاحب التصنيف الأشهر في علم التفسير الموسوم بـ: أيسر التفاسير من كلام العلي الكبير.

الكلمات المفتاحية: تفسير؛ منهج؛ النص القرآني؛ أبو بكر عابد؛ أيسر التفاسير.

Abstracts

The science of interpretation is one of the first sciences that has been associated with the descent of the revelation on the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and its cognitive importance lies

in understanding the meanings and words of the Qur'an to download it in the life of the Muslim community, and its scientific importance is related to the correct approach that was developed to explain the words of the Holy Qur'an with sound controls, leading to what he wants from it, and achieves the purpose of its descent . In the state of Algeria, like the rest of the Islamic world, many scholars who wrote many categories appeared in the interpretation of the Noble Qur'an in the various well-known approaches, and since the first three centuries many Algerian commentators who had a clear impact on the interpretation of the Quranic text, analysis and statement of the rulings and ruling that the book shown came, and from the modernists in this science we find Sheikh Al -Mukhlir Abu Bakr Abed Al -Jazaery, Imam of the Two Holy Explosions from the words of the Great.

Keywords: Interpretation; Approach; Quranic text; Abu Bakr Abed; The easiest interpretations.

مقدمة:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هاديا لسواء السبيل ودستور الأمة الأوحى، ونبراس الحق واليقين، ولذلك اهتم المفسرون في تفاسيرهم باستخراج التوجيهات الربانية فيما كان مصرح به أو عن طريق الاستنباط من النصوص القرآنية وربطها بالواقع المعاش في أمور الدنيا والدين.

ومن أهم المفسرين الجزائريين الذين كانت لهم اليد في تحليل وتفسير النص القرآني واستخراج الحكم العبر واستنباط الأحكام الفقهية في النوازل، وتوضيح الأخلاق والعقيدة الصحيحة، المفسر أبو بكر عابد الجزائري، أهم مفسر عرف في العصر الحديث .

الإشكالية: من خلال ما تقدم يمكن وضع الإشكال التالي: من هو المفسر الجزائري أبو بكر عابد ؟ وما هو المنهج المعتمد في تفسيره أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير؟.

أهمية الموضوع: لما كانت جهود علماء الجزائر في الدرس التفسيري للقرآن الكريم جزء من هذا التراث العلمي، صارت العناية به من أولويات انشغالهم، وفي مقدمة اهتمامهم، ولأن الحضارة العلمية عند الأمم تقاس بمدى العناية التي توليها كل أمة بتاريخها وتراثها، وما تنفقه

من حر وقتها في سبيل ذلك .

أهداف الموضوع:

- 1- التعريف بجهود علماء الجزائر في علم التفسير.
- 2- بيان المكانة العلمية التي وصل إليها علم التفسير عبر مراحل تاريخية في الجزائر.
- 3- التعريف بالمفسر الجزائري وبيان منهجه العلمي من خلال تفسيره.

المنهج المتبع: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء مجموع المعارف المتعلقة بعلم التفسير في الجزائر، بالإضافة إلى المنهج الوصفي عند التعريف بالعلامة المفسر، وكذا التعريف بتفسيره ومنهجه في تفسير النصوص القرآنية.

خطة البحث: جاء البحث تعلوه مقدمة شارحة، وتكون من مطلبين، الأول بعنوان : ترجمة للمفسر الجزائري عابد الجزائري، والمطلب الثاني تحت عنوان: منهجه في تفسيره، ثم خلاص إلى خاتمة لأهم النتائج ومجموعة من التوصيات.

مدخل:

أولاً: تعريف التفسير:

- 1- لغة: التفسير في اللغة مشتق من الفَسر وهو البيان والكشف⁽¹⁾

(1)- أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت، لبنان، دار الكتب

العلمية، 1413هـ/1993م، 5/55.

أو السفر ويقال هو مقلوب السفر، تقول: أسفر الصبح إذا أضاءه، وقيل: مأخوذ من التفسرة وهي ما يُعرف به الطبيب المرض⁽¹¹¹⁹⁾.

يقول الراغب الأصفهاني: التفسير "إظهار المعنى المعقول"⁽¹¹²⁰⁾.

2- اصطلاحاً: يقول أبو حيان: "علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالاته على مراد الله بحسب الطاقة البشرية"⁽¹¹¹⁷⁾ ويعرف أيضاً بأنه: "توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة"⁽¹¹¹⁸⁾.

(1119) - ينظر: ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، مادة فسر 192/2.

(1120) - الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دمشق، دار القلم، 192/2.

8 - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م، 4/2.

9- الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، بيروت، الكتاب العربي، ط1 1405هـ، ص87.

وعليه التفسير في اللغة مأخوذ من الفسر بمعنى البيان والكشف، والتفسير مبالغة في الفسر ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان 33، أي أحسن توضيحا وبيانا للمطلوب.

وفي الاصطلاح علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية.

وعرف بأنه علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز، من جهة نزوله، وسنده، وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ، والمتعلقة بالأحكام⁽¹⁾

وإنه قد تقرر لدي من خال بحث الدكتوراه الذي كان حول جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن الحكم العثماني، من أن للجزائر وعلمائها بصمة وبروز في التفسير وعلومه تأليفا وتديسا أو جمعا بينهما، قد لا يرتقي إلى غير أنه لا شك في تميز ونضوج بصمتها مع تفاوت ف، المدرسية درجة زمنية ذلك، بحسب الحال والدول المتعاقبة على أرضها والظروف السياسية والاقتصادية والحالة الفكرية والعلمية بها⁽²⁾.

المطلب الأول: ترجمة للعلامة الجزائري أبو بكر عابد:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو الشيخ الفاضل الكريم أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، واسمه أبو بكر والكنية هي الاسم واسم أبيه موسى بن عبد القادر بن جابر وجابر جده الأكبر وكنية الشيخ أبو عبد الرحمن. والشيخ من بني هلال أحد القبائل العربية والتي خرجت من الجزيرة العربية واستقرت في إفريقيا واستوطنتها فهو عربي الأصل⁽³⁾.

(1) - الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 471.

(2) - عبد الغني عيسوي، أعلام التفسير في الجزائر المحروسة، دار الشافعي، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1442هـ/2021م، ص 8.

(3) - معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع: <http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=26357>، و مركز سلف للبحوث والدراسات، أعلام

ثانياً: مولده

ولد بقرية ليّوه بكسر اللام مع المد وفتح الواو ثم بعدها هاء وهي قرية زراعية من قرى مدينة بسكرة بينها وبين بسكرة أربعون كيلومتراً على القرب منها ومدينة بسكرة كانت تسمى عروس الجنوب الجزائري لما حباها الله من الزروع والثمار والأنهار فهي واحة جميلة في صحراء الجزائر وكان مولده عام 1342 هـ وتوفي والده في عامه الأول فنشأ في حجر أمه⁽¹⁾.

ثالثاً: أسرته ونشأته:

كانت أسرته من الأباء إلى الأجداد حفاظ القرية للقرآن الكريم يتوارثون ذلك فنشأ في ذلك الجو المتدين فأشرفت أمه على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم وغرست فيه الأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة فكانت خير معين له وأتم حفظ القرآن في القرية ولم يبلغ وأمّ بهم وسنه ستة عشر عاماً وتعلم القراءة والكتابة في القرية. وسمع أن ببسكرة شيخاً يعلم النحو والفقه وهو الشيخ عيسى معتوفي فاستحضره إلى قريته وأسكنه في داره وأضافه وخدمه في سبيل تعليمه فدرس عليه الأجرومية ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي ومصطلح الحديث وغيره.

ثم بعد ذلك انتقل إلى بسكرة فتعلم على مشايخ بها مثل: نعيم النعيمي والطيب العقبي وقد لازم الشيخ الطيب العقبي وتلمذ عليه وكان الشيخ الطيب العقبي قد درس بالمسجد النبوي الشريف العقيدة السلفية الصافية على مشايخ الدعوة إبان دخول الحجاز تحت الحكومة السعودية فتأثر العلامة به وقد لازمه في دروس التفسير عدة سنوات في العاصمة الجزائرية وهو من أفاضل مشايخه. وانتقل الشيخ إلى العاصمة الجزائر وعمل في جمعية العلماء المؤلفة آنذاك والتي كانت النواة الجيدة في غرس العقيدة السلفية ومحاربة البدع الشائبة للإسلام فترعرع الشيخ في هذا

السلفية ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى، على الموقع

، <https://salafcenter.org/wp-content/uploads/2018/08>

(1) - ينظر: الموقع <https://www.ennaharonline.com>

المحيط المبارك والمنهج الصحيح محاربًا للبدع والخرافات لتصحيح مسيرة الأمة الإسلامية الجزائرية فعمل على نشر الوعي السلفي فأنشأ مجلة الداعي واللواء الناطقة بلسان شباب الموحدين والتي هي جمعية إصلاحية⁽¹⁾ وكان حفظه الله يحرق أبوابها كلها بنفسه وكلماتها كان يوزعها بنفسه ثم في عام 1372هـ قدم إلى مكة للحج والعمرة والزيارة وكان قصده بعد أداء فريضة الحج الرجوع إلى بلده إلا أن الإخوة الجزائريين المهاجرين المقيمين بالمدينة حببوا له البقاء للاستفادة منه ولا سيما عمه عيسى -رحمه الله- والذي كان محبًا للمدينة النبوية وتمنى الموت بها وقد استجاب الله دعاءه فتوفي بعد الحج مباشرة فتأثر الشيخ بذلك في حبه للبقعة المباركة المدينة النبوية الطاهرة فأحب المدينة وأحبته فصار علمها الآن، وهذه ثمرة الحب الصادق فعزم على البقاء. وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخ المدينة فلازم حلقة الشيخ عمر بري والشيخ محمد الحافظ وكذلك الشيخ محمد الخيال ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح. حصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة جامعة الرياض سنة 1374هـ/1979، ثم بعد ذلك عام 1374هـ حصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف⁽²⁾.

عمل في التدريس بوزارة المعارف وذلك في المدرسة المحمدية، وكذلك عمل في التدريس بالمدرسة السلفية، ثم عمل بدار الحديث، لما فتحت الجامعة الإسلامية انتقل إليها وكان له دور فعال في إنشائها حيث دعا إلى ذلك لدى المسؤولين ، وأيضًا كان من الداعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي وإذاعة القرآن الكريم. وتدريسه وتعليمه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لعقود .

يتميز الشيخ الجزائري بعقيدته الصافية وأفكاره الإصلاحية التي تبعت على النهضة الإسلامية على منهج صحيح وقد أخبر أن لديه فكرة إنشاء حلقات علم بالمسجد النبوي الشريف تُخرج علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية وذلك لما رأى من نقص العلم وذهابه

(1) - معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع: <http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=26357>

(2) - ينظر: <https://arabi21.com/story/1116020hk>

بذهاب العلماء وضعف مستوى من يأتي وهذه نهضة علمية إسلامية جيدة في المملكة العربية السعودية .

إمامته في المسجد النبوي

قال الأستاذ سعد العتيبي: أم الشيخ أبو بكر الجزائري المصلين في المسجد النبوي في صلاة العصر عام 1413 هـ عندما تأخر إمام المسجد النبوي الشيخ عبد العزيز بن صالح⁽¹⁾.
بعض تلاميذه:

تخرج على يديه كثير من الطلاب من الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير أما في كلية الشريعة بالجامعة والمسجد النبوي الشريف فلا يحصي عدد ذلك منهم:
فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين

الشيخ عدنان بن عبد العزيز الخطيري

الشيخ عبد الرحمن بن صدوق الجزائري

الشيخ إدريس بن إبراهيم المغربي.

أحيل إلى التقاعد عام 1406 هـ ولكن منزله عامر بطلاب العلم وله دروس في منزله قبل الظهر في التفسير: أيسر التفاسير وفي الحديث: صحيح البخاري وموطأ مالك فضلاً عن دروسه في الحرم النبوي الشريف وهي مستمرة في جميع ليالي الأسبوع ما بين المغرب إلى العشاء وبدأها مع بدء إجازته للتدريس.
وكان أولاً عند باب الرحمة ثم انتقل مكان الشيخ محمد بن تركي ثم انتقل إلى آخر المسجد

(1) - عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي، أئمة الحرمين 1344 / 1434، فهرسة مكتبة الملك . فهد الوطنية، 1349، ص199 .

النبوي الشريف بجوار باب عمر بن الخطاب وأخيرًا في التوسعة الجديدة من المسجد أمام
باب الملك سعود القديم.
خامسًا: صفات الشيخ وأخلاقه:

1- صفاته الخُلُقِيَّة: هو رجل مربع القامة إلى القصر ما هو ببعيد أبيض اللون مشربًا بحمرة كث اللحية وابتضت في الآونة الأخيرة وشيبته حسنة يرتدي غترة بيضاء مع عباءة بيضاء أيضًا تدل على نقاء سريرته وامتنانًا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "البسوا البياض"

2- صفاته الخُلُقِيَّة: يمتاز الشيخ حفظه الله بالرفق واللين فهو دمث الأخلاق لين المعشر صلبًا في الحق صفاته صفات العلماء العاملين فهو من بقايا السلف متواضع في ملبسه ومسكنه ومركبه ومطعمه ومشربه مع الكبير والصغير والفقير والأمير وهذا ما حبه للعباد طلق المحيا هاشًا باشًا فهو رجل دعوة أمضى عمره المديد في الدعوة إلى الله عز وجل محتسبًا ودعوته دعوته

رفيق يحب الرفق رقيق القلب سريع الدمعة ومن رفته كما حدث أنه لم يذبح بيده في حياته قط حيوانًا قط لا دجاجة ولا شاة ولا غيرها صابر محتسبًا خاشعًا متنسكًا لله الواحد القهار لم يقتصر في حياته قط إن وجد أنفق وإن لم يوجد صبر.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه مرارًا ومن ضمنها حثه فيها على ملازمة الصلاة في مسجده ولذلك لا يصلي إلا في المسجد النبوي الشريف فروضه الخمس إلا لمرض أو سفر وقد ورد في الحديث: «إن العبد إذا مرض أو سافر كتب الله له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم». نسأل الله أن يمتتنا وإياه على طاعته وحسن عبادته. محبًا للمصطفى صلى الله عليه وسلم ومن محبته ألف كتابه هذا الحبيب يامحب ضمنه السيرة العطرة ويدرسه في المسجد النبوي الشريف.

يحب السنة وأهلها ويكره البدعة وأهلها وحاربه المبتدعة فصر وصابر وأيده الله عز وجل، ومن يقرأ كتابه: «وجاءوا يركضون» يرى ما يُكنُّ أهل البدعة له ولأهل السنة والله حسبنا ونعم الوكيل.
ثناء العلماء عليه.

قال عنه الإمام العلامة حماد الأنصاري محدث المدينة: رأيت في المنام الشيخ أبو بكر الجزائري يمشي وهو لابس لباساً لم أر أحداً في الدنيا لابساً مثله ومعه شخص آخر لابس لبساً أقل منه فأولته بلباس التقوى. وقال عنه بدر المدينة الشيخ عبد المحسن العباد: وبعد انتقال الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - من رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض كان - رحمه الله - كلما لقيته يسألني عن الدروس في المسجد النبوي والمدرسين فيه ويخص بالسؤال عن الشيخ أبو بكر الجزائري. وخالصة القول فيه أن الشيخ حفظه الله مجاهد جاهد بلسانه وماله في الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة على هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً. وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.⁽¹⁾

سادساً: مؤلفاته⁽²⁾:

تميزت مؤلفات الشيخ حفظه الله بسهولة الأسلوب وجزالة التركيب وقوته وقرنها من الفهم فتأليفه إصلاحية ودعوية لتقريب وتفهم الإسلام الصحيح الخالي من البدع.

ابتدأ التأليف منذ باكورة أمره فألف في الجزائر أول أمره الضروريات الفقهية وهي تبسيط الفقه للطلاب والدروس الجغرافية وكذا جريدتنا اللواء والداعي. وبعد قدومه الحجاز واستقراره بها بدأ ينشر الخير من خلال مؤلفاته العلمية منها رسالة: لا إله إلا الله والأخلاق الإسلامية والدستور الإسلامي. وأسس مطبعة الدعوة من ماله الخاص لطبع ونشر الكتب العلمية والرسائل وطبع بها كتابه الذائع الصيت: منهاج المسلم، ثم بدأت رسائل الشيخ تترأ كرسالة إلى اللاعبين بالنار. والحج المبرور، وكيف يتطهر المسلم ويصلي، واتقوا الله في هذه الأمة، وهؤلاء هم اليهود. وتبلغ رسائل الشيخ حفظه الله أكثر من مائة رسالة إصلاحية هادفة

(1) - محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 28/1.

(2) - معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع نفسه، وتاريخ الزيارة نفسه، مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، المكتبة الشاملة على الموقع نفسه، الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري، المرجع السابق، ص141

جمعت معظمها في مجلدات خمس باسم رسائل الجزائري.

وهناك كُتِبَ علمية أخرى؛ كعقيدة المؤمن، والعلم والعلماء، ونداءات الرحمن لأهل الإيمان، والمسجد بيت المسلم، وهذا الحبيب يا محب، وتوج مؤلفاته بتأليفه أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وذيله بنهر الخير وهو كتاب شامل لتفسير كتاب الله وميسر له ليفهمه عامة الناس.

المطلب الثاني: منهج المفسر أبو بكر عابد في تفسيره:

اتبع الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في تفسيره "أيسر التفاسير" منهجاً يتسم بالسلاسة والتركيز على ما يفيد المسلم في عقيدته وعبادته وسلوكه، فهو يخاطب العقل مباشرة فيبسط المعاني ويذكر الفوائد والأحكام مستنداً إلى عقيدة السلف، وملتزماً بأرجح الأقوال الفقهية من المذاهب الأربعة، ويتجنب الإسرائيليات والخلافات التفصيلية والبلاغية والنحوية التي قد تشتت القارئ، مع الاهتمام بالأحاديث الصحيحة والحسنة فقط.

الفرع الأول: كتاب أيسر التفاسير:

تفسير موجز لكتاب الله تعالى الذي ألفه العالم الجزائري أبو بكر عابد، تلبية لحاجة المسلمين اليوم الى فهم كلام الله، وسبيل هدايتهم وعصمتهم من الأهواء وشفائهم من الأدوار، على غرار تفسير الجالين بحيث يحل محله في المعاهد ودور الحديث، ملتزماً فيه العقيدة السلفية، التي خلا منها تفسير الجالين، بيان اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، مع رعاية بعده التربوي .

قال المؤلف في مقدمة تفسيره في بيان غايته من التأليف :

"هذا المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم. تبين فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التجمل بالأخلاق القرآنية، والتحلي بالأداب الربانية .

وقد هممت بالقيام بهذا المتعين عدة مرات في ظرف سنوات، وكثيراً ما يطلب مني

مستمعو دروسي في التفسير في المسجد النبوي أن لو وضعت تفسيراً للمسلمين سهل العبارة ، قريب الإشارة ، يساعد على فهم كلام الله تعالى . . وبهذا الوعد تعينت واستعنت الله تعالى وشرعت" (1) .

ثم أن المؤلف في طبعته الثالثة ، أضاف بهامشه إضافات وتوضيحات تكميلاً لحاجة طلبة العلم الى المزيد من المعرفة وبتعبير المؤلف : حاشية كانت اشبه بتعليق على أيسر التفاسير وسماه نهر الخير مع مراعاة الاختصار ببعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من شاهد لغة أو بيان أو أثر جميل أو مستند حديث جليل ، أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه ، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن أو عجيبة من عجائب القرآن . . أو تصحيح خطأ وقع في التفسير ، مع إزالة إبهام ، أو إضافة بعض الأحكام .

منهجه:

كان التفسير يبدأ بذكر اسم السورة ، والاشارة الى مكها ومدنها، وعدد آياتها ، ثم يذكر جمع من آياتها ، فيشرح كلماتها ، ويتعرض لأحكامها ان كان لها تعلق بالحكم، ثم يفسرها تفسيراً موجزاً لا تكون فيه المصطلحات العلمية، ويتحدث الى أهل العصر بلغة العصر ، اتبع فيه منهج السلف من أهل السنة والجماعة.

قال أبو بكر الجزائري في بيان تعريف التفسير ومميزاته : هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة ، لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي :

- 1- الوسطية بين الاختصار المخل والتطويل الممل .
- 2 - إتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات .
- 3- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية .

(1) - جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير ومعه حاشية نهر الخير الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: 5، 1424هـ/2003م ، ص5.

4- اخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها ، إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة ، وكان مما تجوز روايته لحديث .

5- إغفال الخلافات التفسيرية .

6- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عن اختلاف المفسرين في معنى الآية ، وقد لا أخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية .

7 . اخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية .

8- عدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك. وبالنسبة للأحاديث، فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم اعزها الى مصادرها إلا نادراً

9- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وان كثرت، والالتزام بالمعنى الراجح، والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح⁽¹⁾ .

التعريف بالتفسير:

وتفسيره المسمى "أيسر التفاسير لكلام علي الكبير" من التفاسير المطبوعة وقد وضع عليه حاشية مكملتها اسمها "نهر الخير على أيسر التفاسير"، والطبعة التي وقفت عليها تقع في خمس مجلدات كبار وهي الطبعة الثالثة للكتاب. وقد ذكرت في ترجمة الشيخ الباحث على تأليفه هذا التفسير وأضيف هنا قوله: وشاء الله تعالى أن أجلس في أواخر محرم عام 1406 هـ، إلى فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح بن العبيد رئيس الجامعة الإسلامية ويلهم أن يقول لي: لو أنك وضعت تفسيراً على الجلالين يحل محله في المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التي خلا منها تفسير الجلالين فضرّ كثيراً بقدر ما نفع، وصادف في النفس رغبتها فأجبت به بأن سأفعل إن شاء الله تعالى وبهذا الوعد تعנית واستعنت الله تعالى وشرعت.

(1) - أبو بكر عابد الجزائري، أيسر التفاسير، 5/1.

المنهج العام للتفسير

أما عن المنهج العام في هذا التفسير فقد كفانا الشيخ حفظه الله استنباطه بذكره له في المقدمة وهو تفسير وعظي شامل.

قال الجزائري: هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي:

- 1- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.
- 2- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.
- 3- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.
- 4- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"
- 5- إغفال الخلافات التفسيرية.
- 6- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا أخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.
- 7- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية
- 8- عدم التعرض للقراءات إلا نادرا جدا للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادرا.
- 9- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم.

10- التزمت في هذا التفسير بالخطبة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقا وعملا، لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلفا وأدبا وقضاء وحكما، فلذا أخليت من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن، أو يصرف عن العمل إلى القول والجدل ولذا فقد جعلت الكتاب دروسا منظمة منسقة فقد أجعل الآية الواحدة درسا فأشرح كلماتها، ثم أبين معناها، ثم أذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل وقد أجعل الآيتين درسا، والثلاث آيات والأربع والخمس ولا أزيد على الخمس إلا نادرا، وذلك طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به.

وقد جعلت الآيات مشكولة على قراءة حفص وبخط المصحف وإني أطالب المسلم أن يقرأ أولا الآيات حتى يحفظها، فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها، ثم يدرس معناها حتى يعيها، ثم يقرأ هداياتها للعمل بها فيجمع بين حفظ كتاب الله تعالى وفهمه والعمل به، وبذلك يسود ويكمل ويسعد إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر الشيخ أن كتابه هذا قد اعتمد فيه على مراجع أربعة وهي:

جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري

تفسير الجلالين المحلي والسيوطي

تفسير المراغي

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي

وهو لم يقتصر على المراجع المذكورة في المقدمة عندما صنف "نهر الخير" ولكن رجع إلى مصادر أخرى مثل: تفسير ابن كثير: ومن ذلك قوله: ذهب ابن كثير إلى أن استوى هنا مضمن معنى قصد لتعديته بإلى إذ يقال: "استوى على كذا" إذا كان بمعنى العلو والارتفاع، "واستوى إلى كذا" قصده، ويكون المعنى ثم قصد إلى السماء أي السموات فخلقهن سبع سموات، ولفظ السماء اسم جنس تحته أفراد لذا قال: {فسواهن} بالجمع..

تفسير القرطبي: ومن ذلك قوله: ذكر القرطبي في تفسيره أن السجود الذي أمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة

لله والاستقبال للمقام .

وسياتي غير ذلك من المراجع مثل التحرير والتنوير.

المنهج التفصيلي للمؤلف:

أولا: أسماء السور وعدد الآيات والوقوف وبيان المناسبات: يذكر الجزائري أسماء السور ومكية أم مدنية وعدد آياتها كقوله: سورة الفاتحة وهي مكية وآياتها سبع ثم قال: ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن والسبع المثاني وأم الكتاب ثم شرح تلك الأسماء في حاشيته نهر الخير⁽¹⁾.

وهو يتعرض لذكر المناسبات بين الآيات ومن ذلك قوله عن تفسير {يا أيها الناس اعبدوا ربكم} وجه المناسبة أنه تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين، ثم على طريقة الالتفات نادى الجمع بعنوان الناس، ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان، وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران، معرفا لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له، فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذاب وتكسبهم رضاه وجنته.

ثانيا: موقفه من العقيدة:

وهو يقرر عقيدة السلف في القدر عند قوله {سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم} فقال في نهر الخير: قد يقال: ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلم يندرون؟ إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعهم، تكليف بالمحال والجواب: أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لكل أحد وهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم من كتب الله تعالى عليه الشقاء ممن كتب له السعادة؛ فلذا هو يدعو وينذر، ومن كان من أهل السعادة أجاب الدعوة، ومن لم يكن من أهلها رفضها ولم يجب⁽²⁾.

ويقول: ذهب المعتزلة - أذهب الله ريحهم - إلى أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت

(1) - أبو بكر عابد الجزائري، أيسر التفاسير ، 85/1.

(2) - المرجع نفسه، 186.

بستاننا في الأرض في مرتفع منها، وهو قول باطل لا يسمع له ولا يلتفت إليه، إذ كل سياق القرآن دال على أنها الجنة دار النعيم لأولياء الله في الآخرة.

ويقول في الشفاعة: الشفاعة ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع له، والشفعة ضم ملك إلى ملك، والشفع الزوج مقابل الوتر، ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين الأول: أن يكون الشافع قد أذن الله تعالى له في الشفاعة، والثاني: أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد.

ويقول في السحر: اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له؟ أهل السنة والجماعة على أن له حقيقة. وهو أنواع عديدة، وحكمه: أن من تعاطاه إذا أضر به فأفسد عقلا أو قتل فإنه يقتل بذلك وإلا فإنه يعزر حتى يتوب منه، ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سحره لبيد بن الأعصم وأنزل الله تعالى سورة الفلق فرقاه بها جبريل فشفى وقال: إن الله شفاني. والحديث في البخاري

ويقول في خلق القرآن: روي أن أحمد استدل على كفر من قال بخلق القرآن بهذه الآية: {من بعد ما جاءك من العلم} وهو القرآن، فمن قال بخلق القرآن قال بخلق علم الله تعالى وهو كفر صريح.

ويقول في معية الله لخلقه في صلب الكتاب:

{فثم وجه الله}: هناك الله تعالى، إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقا أو غربا شمالا أو جنوبا وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها ويقرر هذا قوله إن الله {واسع عليم}، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء.

ويقول {وسع كرسيه السموات والأرض} لكمال ذاته ثم ذكر في نهر الخير قوله: أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنها قوله: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره. رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي بعض الآيات المشكلة مثل قوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام

والملائكة} اكتفى فيها بقوله: ما ينظرون إلا أن يأتهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وعند ذلك يؤمنون، ومثل هذا الإيمان الاضطراري لا ينفع حيث يكون العذاب لازما بقضاء الله العادل. ولم يذكر شيئا في الحاشية.

ثالثا: موقفه من تفسير القرآن بالقرآن

وهو غير مكثّر في ذلك ويتعرض له في الحاشية مثل قوله {الذين أنعمت عليهم} هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. ثم قال في الحاشية: ورد هذا البيان في قوله تعالى من سورة النساء {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين}.

ومثل قوله: {ثم يقول للملائكة} وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنيباً {أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون} فتتبرأ الملائكة من ذلك. ثم قال في الحاشية: هذا كقوله تعالى {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}

رابعا: موقفه من تفسير القرآن بالسنة: لا يذكر الأحاديث كثيرا في صلب الكتاب وربما يذكرها في الحاشية ومن ذلك قوله في صلب الكتاب: وفي الحديث "الدعاء هو العبادة" ثم ذكر في الحاشية قوله: رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه -.

وفي موضع آخر يقول عند قوله تعالى {بل أحياء ولكن لا تشعرون} أما الآية فقد تضمنت نهيه تعالى لهم أن يقولوا معتقدين: إن من قتل في سبيل الله ميت إذ هو حي في البرزخ وليس بميت بل هو حي يرزق في الجنة كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش" رواه مسلم⁽¹⁾.

وقوله في هداية الآيات: فضيلة الاسترجاع عند المصيبة وهو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول اللهم

(1) - ينظر: المرجع نفسه، 15/2.

أجرني في مصيبي واخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له منها". رواه مسلم ويقول تحت قوله تعالى {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية}.

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فلا وصية لوارث". ونسخ الوجوب وبقي الاستحباب ولكن لغير الوالدين والأقربين الوارثين إلا أن يجيز ذلك الورثة وأن تكون الوصية ثلثا فأقل فإن زادت وأجازها الورثة جازت لحديث ابن عباس عند الدارقطني: "لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة" ودليل استحباب الوصية حديث سعد في الصحيح حيث أذن له الرسول في الوصية بالثلث، وقد تكون الوصية واجبة على المسلم وذلك إن ترك ديونا لازمة، وحقوقا واجبة في ذمته فيجب أن يوصي بقضائها واقتضاءها بعد موته لحديث ابن عمر في الصحيح: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده".

أسباب النزول: يكثر المصنف من ذكرها في الأصل والحاشية، ومن ذلك قوله في نهر الخير: ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة} أن عكرمة قال: خاضعت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها آخرون يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده على رؤوسهم: "بل أنتم خالدون لا يخلفنكم فيها أحد" فأنزل الله عز وجل {وقالوا لن تمسنا النار الآية}.

وقوله: روى الترمذي في سبب نزول {قل من كان عدوا لجبريل} الآية أن اليهود قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتبعك؟ قال جبريل قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذلك عدونا لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعتك فأنزل الله الآية إلى قوله {للكافرين}(1).

ويقول في الأصل: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى} هذه الآية نزلت في حين من العرب كان أحد الحيين يرى أنه أشرف من الآخر فلذا يقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة تطاولا وكبرياء فحدث بين الحيين قتل وهم في الإسلام فشكوا ذلك إلى رسول

(1) - المرجع السابق، 2/145.

الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية تبطل ذحل الجاهلية، وتقر مبدأ العدل والمساواة في الإسلام فقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى} فلا يقتل بالرجل رجلان، ولا بالمرأة رجل ولا امرأتان، ولا بالعبد حر ولا عبدان. ويقول: روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين: ما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يعظم ويصبح بدرا، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما كان أول بدئه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية {يسألونك عن الأهلة} وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: {هي مواقيت للناس}.

فضائل السور والآيات:

يتعرض لها في نهر الخير مثل قوله: الحمد لله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المولى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، وقوله له ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها".

وقوله: ورد وصح في فضل سورة البقرة قوله صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة"، ويقول: صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا المنذر - أبي بن كعب - أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال: "لهنك العلم يا أبا المنذر".

وروى أحمد أن آية الكرسي تعدل ربع القرآن وأن الزلزلة والكافرون والنصر كل واحدة تعدل ربع القرآن وأن الصمد تعدل ثلث القرآن.

خامسا: موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف والمصنف لا ينسب شيئا من الأقوال للمفسرين من السلف في صلب الكتاب أما في الحاشية فربما نسب بعض ذلك مثل قوله:

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال له: هذا كما قال أهل الكتاب {ليس علينا في الأميين سبيل} إنهم إذا أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم.

وقد مر وسوف يأتي في النقول الآتية روايات منسوبة لبعض الصحابة والتابعين.

سادسا: موقفه من السيرة والتاريخ: وذكر الغزوات وهو يتعرض للسيرة أثناء الآيات المتعلقة بالغزوات مثل غزوة بدر وأحد وتبوك والأحزاب وغيرها. ومن مواضع ذلك عند قوله تعالى {وأخرون اعترفوا بذنوبهم} ذكر قصة أبي لبابة ومن معه.

وعند قوله تعالى {والذين اتخذوا مسجدا ضرابا وكفرا} ذكر قصة مسجد الضراب وما كان من أبي عامر الفاسق.

وعند قوله تعالى {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار} ذكر قصة توبة كعب بن مالك ومن معه باختصار⁽¹⁾.

ومن تحريره لبعض المسائل التاريخية قوله: ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير إلى أن القائل لبني إسرائيل: {ادخلوا هذه القرية}.

الآية هو موسى عليه السلام وأنه أرسل جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدرون قوته قبل إعلان الحرب عليهم فرجعوا وهم يهولون من شأن العدو وقوته وينشرون الفرع والرعب في بني إسرائيل ما عدا اثنين منهم وهما: يوشع بن نون قريب موسى، وطالب بن قته الذين ذكرا في سورة المائدة {قال رجلان} الآية وخالف في هذا جمهور المفسرين وادعى الغلط لهم، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل قال: {وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية} والرسول صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري قال: قيل لبني إسرائيل. ولم يقل: قال موسى لبني إسرائيل ونص الحديث: " قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا وقالوا: حنطة حبة في شعرة ". والأمر لهم حقيقة هو الله تعالى على لسان يوشع، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله، ودخل بيت المقدس، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاهدة.

سابعا: موقفه من الإسرائيليات: تقدم ما ذكره المصنف في المقدمة عن موقفه من الإسرائيليات لكنه لم يلتزم به وذكر منها طرفا في الحاشية ومن ذلك: قوله: اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد سليمان كان سببه أن مرده من الشياطين كتبوا كتابا ضمنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان - وهو آصف

(1) - المرجع السابق، 212/2.

- ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلي بنزع ملكه، ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس، وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحرا، وما غلب الجن والإنس إلا بالسحر فصدقهم أناس وكذب آخرون، ولما بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - وكفر به اليهود وتنكروا للتوراة لاتفاقها مع القرآن أنزل الله تعالى قوله {واتبعوا ما تنزلوا الشياطين} فبرأ سليمان وكفر اليهود.

وكذا قوله: الملكان - وهما هاروت وماروت - ذكر قصتهما علماء السلف ورواها مثل أحمد وعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وخلق كثير ولم يصح فيها حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكنها مروية عن ابن عمر، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم ولعلها مروية عن كعب الأحبار، وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانع شرعا ولا عقلا من هذه القصة، ومفادها أن الملائكة أنكروا على بني آدم ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكافئهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كعبي آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أولا يعصونه فلما نزلوا إلى الأرض ارتكبا كبائر الذنوب فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فجعلوا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا أتاهما من يريد ذلك نصحا له بأن تعلم السحر كفر فإذا أصر وجهاه إلى شيطان فأتاه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليه إلا بعد أن يكفر أقطع أنواع الكفر.

وقوله: {ولا تقربا هذه الشجرة} قال: الشجرة شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرما أو تينا أو غيرهما وما دام الله تعالى لم يعين نوعا فلا ينبغي السؤال عنها.

وقوله في الحاشية {ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ...} قال: ذكر القرطبي أن اسم هذه القرية دارودان وهي من نواحي شرق واسط بينهما فرسخ. وقوله في الحاشية أيضا {إذ قالوا لنبي لهم} قال: هو شمويل بن بال بن علقمة هكذا ذكره القرطبي في تفسيره ويقال فيه: شمعون أيضا ويعرف بابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد فوهبها إياه بعد عقم كبير سن⁽¹⁾.

وقال لهم نبيهم} وقال: وأما كيفية حمل الملائكة للتأبوت فإن الأخبار تقول إن

(1) - المرجع السابق، 242/2.

العمالقة تشاءموا بالتأبوت عندهم إذ ابتلوا بمرض البواسير وبآفات زراعية وغيرها، فكفروا في أن يردوا هذا التأبوت لبني إسرائيل، وساق الله أقدارا لأقدار، فجعلوه في عربة يجرها بقرتان أو فرسان ووجهوها إلى جهة منازل بني إسرائيل فمشت العربة فساقتها الملائكة حتى وصلت بها إلى منازل بني إسرائيل فكانت آية وأعظم آية وقبل بنو إسرائيل بقيادة طالوت، وبسم الله تعالى قادهم.

وقال: لم يقص الله تعالى علينا شيئا عن كيفية قتل داود لجالوت لعدم الفائدة الكبيرة منها وخلصتها كما يلي: كان والد داود في جيش طالوت وله ستة أبناء معه واسمه إيشا، وكان داود أصغرهم وكان يرعى الغنم، وكان لنبيه درع وأوحى الله أن من استوت عليه درعه هو الذي يقتل جالوت، فاستوت على داود. وقبل البراز قال طالوت: من قتل جالوت أشاطره ملكي وأزوجه ابنتي، وكان داود قد مر بحجر فناداه أن خذني يا داود وقاتل بي، فجعله في مخلاته واحتفظ به، فلما برز لجالوت جعل الحجر في مقلاعه وكان راميا فرمى جالوت فقتله. وهذه بداية أمره عليه السلام⁽¹⁾.

ثامنا: موقفه من اللغة: يهتم الجزائري بشرح المفردات في كل مجموعة من الآيات من غير تعرض لشواهد شعرية ثم يبين في حاشيته اشتقاق الكلمة ويسوق بعض الشواهد الشعرية ومثال ذلك قوله: السورة: قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر. ثم يقول في حاشيته: لفظ السورة مشتق إما من سور البلد لارتفاعها الخ ثم قال: ويشهد لذلك قول الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

وكقوله: الرب السيد المالك المصلح المعبود بحق جل جلاله ثم قال في نهر الخير: مما شهد لإطلاق لفظ الرب على المعبود قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب ويتعرض في الحاشية إلى كثير من القضايا النحوية والبلاغية ومن ذلك قوله: {ومن الناس} خبر، والمبتدأ: {من يقول}،

(1) - المرجع السابق، 156/3.

والسر في تقديم الخبر هنا هو إخفاء المخبر عنه لأنه ذو صفات ذميمة.

وقوله في {أنؤمن كما آمن السفهاء} الاستفهام هنا إنكاري.

وقوله: أصل لقوا: لقيوا نقلت الضمة إلى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين.

وقوله: عدي فعل خلوا بـ إلى ولم يعد بالياء إذ يقال خلا بكذا لأن خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا.

ومن مواضع تعرضه للمتشابه اللفظي:

قال في قوله {ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة} يلاحظ: تقديم الشفاعة في النداء الثاني على أخذ العدل وتأخير الشفاعة في هذا النداء وتقديم العدل وما هو إلا تفنن في الأسلوب إذهاباً للسامة. وهذا شأن الكلام البليغ. وقال في الإعجاز القرآن البياني:

بلاغة القرآن الكريم إذ كان حكماء العرب في الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل، فقال القرآن: {ولكم في القصاص حياة} فلم يذكر لفظ القتل بالمرّة فنفاه لفظاً وواقعاً.

وقد يرجح الشيخ خلاف قول الجمهور في بعض الآيات ومن ذلك قوله: الجمهور على تفسير الضمير في {وإنها لكبيرة} بالصلاة وخالفهم في ذلك لوجود من قال: إنها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة.

تاسعا: موقفه من القراءات:

اعتمد قراءة حفص كما في ذكر في المقدمة وربما ذكر شيئا من القراءات في نهر الخير مثل قوله قرأ حفص {مالك} باسم الفاعل وقرأ نافع {ملك} بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان. والله حقا هو الملك المالك. (1)

قرأ نافع {يومنون} بتخفيف الهمزة جمعا وإفرادا في كامل القرآن وقرأها حفص مهموزة في كل القرآن.

قرأ نافع والجمهور {وما يخادعون} بألف بعد الخاء وقرأ حفص يخدعون بسكون الخاء

(1) - المرجع السابق، 56/1.

ومن تعرضه للقراءات في أصل الكتاب قوله: {ولا تسأل عن أصحاب الجحيم} ولا تسأل قرئ بالتاء للجمهور ولا نافية والفعل مرفوع، وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم. ثم علق عليها في النهر بأن القراءة الثانية لنافع وحده.

عاشرا: موقفه من الفقه والأصول:

كما أنه يتعرض لبعض الأحكام الفقهية كقوله: حكم الإستعاذة: يسن لكل من يريد قراءة شيء من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ. ثم بين في نهر الخير الدليل فقال: لقوله تعالى {فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم}

كما تكلم عن حكم البسملة فقال: مشروع للعبد ومطلوب منه أن يبسم عند قراءة كل سورة من كتاب الله تعالى إلا عند قراءة سورة التوبة.

وفي نهر الخير يستطرد أكثر فيقول مثلا عند قوله تعالى {قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر} ، استدل الجمهور بهذه الصفات المذكورة للبقرة على جواز بيع السلم في الحيوان كما استدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيح: " لا تنعت المرأة المرأة لزوجها، كأنه ينظر إليها " وخالف أبو حنيفة وقال بعدم صحة السلم في الحيوان وعند قوله: {فقلنا اضربوه ببعضها} وفي هذه الآية شاهد لمالك في أن الجريح إذا أخبر عن جرحه ومات أن إخباره يعد لوثا وتجري في الحادث القسامة وخالف الجمهور وقالوا: إخبار القتل لا يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رض اليهودي رأسها كما في البخاري⁽¹⁾.

وكقوله أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم السائل من فرجها، فإن كان أسود خائرا تعلوه حمرة فذلك الحيض ويحرم عليها الصوم والصلاة ويحرم وطؤها، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وأكثر الحيض خمسة عشر يوما وأقله لا حد له على الصحيح وأقل الطهر أيضا خمسة عشر يوما ليكمل الشهر حيضا وطهرا، وإن كان الدم زائدا على مدة الحيض فهو الاستحاضة وتصلّي معه وتصوم وتوطأ أيضا والحكم الثالث دم النفاس وأكثره أربعون يوما وأقله يوم وليلة وحكمه حكم الحيض وقد

(1) - المرجع نفسه، 312/1.

يخالف قول الجمهور ومن ذلك:

قوله: {وعلى الوارث} الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال وإلا فعلى من يكفله من عصبته. ثم قال في النهر: الجمهور على أن المراد بالوارث، ورثة الرضيع إذا هلك من نساء ورجال ذكره القرطبي في تفسيره وقال غيره: إن الوارث هو الرضيع إذا مات والده وترك مالا أجرة الموضع من ماله فإن كان لا مال له فمن مال وارثه هو ولا تضار هي في واجب نفقتها ولا الوالد أو وارثه في أدائها وما فسرنا به الآية واضح ومستقيم والحمد لله رب العالمين.⁽¹⁾

وهو يتميز باختيار القول الراجح في مواضع عدة مع الإضراب عن القول المرجوح مثل قوله في هداية الآية: {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن} حرمة نكاح المشركات أما الكتابيات فقد أباحهن الله تعالى بآية المائدة إذ قال {والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم} وفي هداية آية {فأتوهن من حيث أمركم الله} قال: حرمة نكاح المرأة في دبرها لقوله تعالى {فأتوهن من حيث أمركم الله} وهو القبل.

وفي هداية آية {الشهر الحرام بالشهر الحرام} يقول: نسخ القتال في الشهر الحرام بدليل قتال الرسول صلى الله عليه وسلم هوأزن وثقيف في شوال وأول القعدة وهما من الأشهر الحرم

كما أنه يتعرض للقضايا الأصولية تارة في الكتاب مثل تفصيله في قضية النسخ تحت قوله تعالى {ما ننسخ من آية} فقال: يخبرنا تعالى رادا على الطاعنين في تشريعه الحكيم الذين قالوا: إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا، أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكما شاقا على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى اثنين، أو حكما خفيفا إلى شاق زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصيام رمضان، أو حكما خفيفا إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، أو حكما إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن يناجي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلا عنه، أو نسخ الآية بإزالتها من التلاوة ويبقى حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم، أو بنسخ الآية

(1) - المرجع السابق، 21/3.

وحكمها وهذا معنى قوله: أو ننسها وهي قراءة نافع، فقد ثبت أن قرآنا نزل وقرأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظا ومعنى فمحاه من القلوب بالمرّة فلم يقدر على قراءته أحد، وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية .

وتارة في الحاشية مثل قوله عن تفسير {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} في الآية دليل على بطلان التقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل وفي الآية أن من ادعى شيئا نفيا أو إثباتا يطالب بالدليل وإلا بطلت دعواه .

وقوله {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} في هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لعدالة الأمة بشهادة ربها فإذا اجتمعت على أمر وجب الحكم به وفي أي عصر من العصور إلى قيام الساعة.

وفي قوله: {وإذا قيل لهم اتبعوا} استدلل بهذه الآية على حرمة التقليد في العقائد مطلقا، أما في الفروع فهو أهون والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل ولا حجة⁽¹⁾.

حادي عشر: موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية:

لم يظهر لي اهتمام للشيخ بهذا المجال ولعل السبب في ذلك ما شرطه على نفسه في مقدمة التفسير.

ثاني عشر: موقفه من المواعظ والآداب، وقد تفرد كتاب الشيخ بذكر ما سماه هداية الآيات: ويسوق تحتها ما يستفاد من الآية بأسلوب دراسي وعظي وهو الغرض الأصلي من تفسيره كما بين في المقدمة مثل قوله في تفسير {إن الذين كفروا سواء عليهم} من هداية الآيتين⁽²⁾:

1- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكبرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.

2- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.

(1) - المرجع السابق، 210/3.

(2) - المرجع نفسه، 65/1.

3- تقديم السمع على البصر في عدة آيات من القرآن يفيد أن حاسة السمع أنفع من حاسة البصر وهو كذلك والعقل أعظم من ذلك.

ويقول: ومما يؤسف ويحزن أن المسلمين لما ابتلاههم الله باستعمار النصارى لهم كانوا كلما استقل شعب أو إقليم طلب قانون الكافرين فحكم به المسلمين، وبنو إسرائيل لما استقلوا على يد موسى ذهب بقانون الرب ليحكم به.

ويقول في نهر الخير: يتساءل البعض هل آدم ارتكب بأكله من الشجرة كبيرة وهل يجوز في حق الأنبياء ارتكاب الكبائر؟ والجواب: أن آدم ما نبئ إلا بعد أن هبط إلى الأرض، إذ هي دار التكليف أما وهو في السماء فما كان قد نبئ بعد وأكله من الشجرة لم يترتب عليه عقاب أكثر من الخروج من الجنة لأنها ليست دار إقامة لمن يخالف فيها أمر الله تعالى، أما الأنبياء فلا يجوز في حقهم ارتكاب الكبائر ولا الصغائر لعصمة الله تعالى لهم لأنهم محل أسوة لغيرهم

ويقول: مواطن الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة فلا تفارق، وصبر عن المعصية فلا ترتكب، وصبر على المصائب فلا يجزع منها ولا يتسخط، ولكن يصبر، ويسترجع أي: يقول: إنا إليه راجعون.

ويقول: من الأوقات التي يرحى فيها استجابة الدعاء: ما بين الأذان والإقامة، والسحر، ووقت الفطر، وحال السفر، والمرض، وفي السجود، ودبر الصلوات، وعند اشتداد الكرب من ظلم وغيره، فقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا ويؤكد.

الخاتمة:

أبو بكر عابد الجزائري مفسر متميز برز في فترة تاريخية هامة من تاريخ الأمة الإسلامية، والملفت للباحث انه عالم متمكن في شتى العلوم حين وظفها في تفسير النص القرآني وربطها بواقع المسلمين من خلال المستجدات والنوازل الواقعة، وكان تفسيره متميزا من عدة نواح، ويمكن استخلاص النتائج التالية:

كان المفسر ملتزماً بما قاله في مقدمته عن منهج التفسير.

جاء تفسيره ارشاديا تربويا مطابقا لعقائد أهل السنة والجماعة.

ملياً حاجة المسلم في بيئته في فهم كتاب الله العزيز .

والأمر المهم في منهج الجزائري الكتابة في مختلف العلوم الشرعية من سيرة وأخلاق وتزكية، وجاد قلمه ما يزيد عن أربعين مؤلفاً هاما أضيفوا إلى المكتبة الإسلامية.

وأهم التوصيات التي نود الإشارة ما يلي:

- إلها دراسة أكثر لتفسير أيسر التفاسير، والتعريف به للطلبة في الكليات والمعاهد الإسلامية .

-دراسة بعض السور القرآنية بمنهج الدراسة الموضوعية لطلبة الماستر من خلال تفسير الجزائري.

-جمع مختلف الأحكام الشرعية المستنبطة من خلال تفسير أيسر التفاسير.

- الاهتمام بالمناهج التعليمية ومحاولة صياغة مقاييس جديدة تُعرف بالمدرسة الجزائرية في التفسير.

ثبت المصادر والمراجع :

1 - أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م.

2 - ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1،.

3 - الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دمشق، دار القلم،

4 - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م،

5 - الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، بيروت، الكتاب العربي، ط1 1405هـ.

6 - الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن..

1 - عبد الغني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر المحروسة، دار الشافعي، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1442هـ/2021م.

7- منتديات قراء طيبة الطيبة . قسم أئمة الحرم النبوي الشريف . بحث بعنوان ائمة المسجد النبوي من بدايه العهد السعودي ، للكاتب أبو إبراهيم سعد العتيبي . يوم الأحد 29 رجب 1431هـ الموافق 11 / 7 / 2010م

8 شبكة ومنتديات فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم . للكاتب أبو إبراهيم سعد العتيبي . يوم السبت 24 شعبان 1433هـ الموافق 4 / 7 / 2012م

9- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري.

10 حمزة القرعاني، سلم الوصول إلى تراجم علماء مدينة الرسول، أئمة الحرمين، عبد الله العلاف 1433/1343.

11- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ومعه حاشية نهر الخير الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: 5، 1424هـ/2003م

مناهج التفسير عند علماء التفسير بالجزائر: دراسة وصفية

د. فاطمة أولاد يحي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ملخص المداخلة:

سنحاول في هذه الدراسة استعراض جهود علماء التفسير في الجزائر مسلطين الضوء على المناهج التي اعتمدها سواء في التفسير الشفهي أو المؤلف ومحاولين تبين كيف أسهموا في بناء نهج تفسيري مميز رغم التحديات المختلفة التي واجهتها البلاد عبر العصور، وقد ركزت على التمييز بين التفسير الشفهي والتأليفي مع إبراز خصائص كل منهج ومكانته في البيئة العلمية الجزائرية، كما تناولنا أيضا نشأة الدرس التفسيري والتطور الذي عرفه مع رواد الحركة الإصلاحية خاصة علماء جمعية العلماء المسلمين، الذين اعتمدوا منهجاً موحداً يجمع بين أصالة الموروث ووعي العصر، مما جعله تأثيراً بالغاً في تكوين الوعي الديني والفكري لدى الأجيال المتعاقبة.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ التفسير الشفهي؛ التفسير المؤلف؛ جمعية العلماء المسلمين؛ المناهج التفسيرية.

Abstract :

This study aims to explore the efforts of Algerian scholars in the field of Qur'anic exegesis, with a focus on the methodologies they adopted, whether in oral or written interpretation. It seeks to highlight how these scholars contributed to the development of a distinctive exegetical approach despite the various challenges the country has faced throughout its history. The study emphasizes the distinction between oral and written exegesis, shedding light on the characteristics and significance of each within the Algerian scholarly context. It also discusses the emergence of Qur'anic interpretation as a formal discipline and the evolution it underwent, particularly with the pioneers of the reformist movement—most notably, the scholars of the Association of Muslim Scholars—who adopted a unified methodology that combined the authenticity of tradition with an awareness of

contemporary issues. This approach had a profound impact on shaping the religious and intellectual consciousness of successive generations.

Keywords: Algeria; oral exegesis; written exegesis; Association of Muslim Scholars; exegetical methodologies.

مقدمة:

شكّل علم التفسير أحد الركائز الأساسية في البناء الحضاري والفكري للأمة الإسلامية فقد ارتبط منذ نشأته بمحاولات فهم الخطاب الإلهي وتطبيق تعاليمه في واقع الناس، وقد تعددت مناهج التفسير وتنوعت عبر العصور والأمصار تبعاً لاختلاف البيئات العلمية والثقافية ووفقاً لمستوى المتلقين والضرورات الاجتماعية التي واكبت كل مرحلة، ومن بين هذه البيئات التي عرفت اهتماماً بارزاً بالتفسير برزت الساحة العلمية الجزائرية التي احتضنت علماء أجلاء بذلوا جهوداً عظيمة في تفسير القرآن الكريم سواء من خلال التأليف أو المشافهة، مما شكّل تراثاً ثرياً يستحق الدراسة والتحليل.

ولقد حافظ علماء الجزائر على تقليد راسخ في تدريس التفسير عبر حلقات علمية في المساجد والمدارس مع مراعاة السياق الاجتماعي والديني ومستويات المتعلمين وخصوصية كل مرحلة تاريخية، وقد ظهر تنوعٌ لافت في مناهجهم بين الاختصار والتوسع وبين التفسير العلمي والتربوي فضلاً عن التفسير الموجّه لعامة الناس أو لطلبة العلم المتخصصين مما يعكس نضجاً منهجياً يستدعي الوقوف عنده بالرصد والتوصيف والنقد.

أ. الإشكالية: إلى أي مدى تعكس مناهج التفسير الشفهي لدى علماء الجزائر تنوعاً منهجياً يواكب حاجات المتلقي ويعبّر عن السياقات التاريخية والاجتماعية المختلفة، وما أبرز السمات التي تميّز هذه المناهج بالمقارنة مع التفسير المؤلف والمكتوب؟

ب. أهداف الموضوع: وتهدف هذه الدراسة إلى:

- رصد أبرز معالم التفسير الشفهي في الجزائر.
- عرض الفروق المنهجية بين التفسير الشفهي والتأليفي.
- تحليل الاتجاهات التفسيرية لدى العلماء الجزائريين عبر العصور.
- إبراز الخصائص التعليمية والتربوية لمناهج التفسير في السياق الجزائري.

الوقوف على منهج علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تفسير القرآن.

ج. أهمية الموضوع: وتتمثل أهمية الموضوع فيما يلي:

توثيق جهود علماء التفسير في الجزائر عبر مختلف العصور.

إبراز المناهج التفسيرية الخاصة بالعلماء الجزائريين.

المساهمة في إثراء الدراسات القرآنية الأكاديمية.

دعم الهوية الدينية والعلمية الجزائرية.

الاستفادة من المناهج التفسيرية القديمة في تجديد الخطاب الديني المعاصر.

د. خطة البحث:

توزعت دراستنا هذه على مبحثين رئيسيين؛ حيث تناولنا في المبحث الأول الإطار المفاهيمي للتفسير الشفهي وذلك من خلال بيان معناه اللغوي والاصطلاحي والتمييز بينه وبين التفسير المؤلف إضافة إلى عرض لنشأة الدرس التفسيري في الجزائر عبر العصور، أما المبحث الثاني فركّزنا فيه على دراسة مناهج علماء الجزائر في التفسير الشفهي من خلال تحليل الأساليب المعتمدة في الشرح، وطرق التدريس، والتوجهات المتبعة، مع إبراز الطريقة المتميزة لعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للتفسير الشفهي:

المطلب الأول: بيان مفهوم التفسير الشفهي:

يُعدّ مصطلح "التفسير الشفهي" تركيباً يجمع بين كلمتين هما: "التفسير" و"الشفهي"، ولذلك ينبغي أولاً بيان معنى كل منهما.

أولاً: تعريف التفسير:

من الناحية اللغوية: ذكر ابن فارس - رحمه الله - أن الجذر ف س ر يدل على الإيضاح والبيان حيث قال: "الفاء والسين والراء أصل يدل على إظهار الشيء وتوضيحه"⁽¹⁾، ومن هذا الأصل جاء لفظ "الْفَسْر" الذي يعني الكشف والبيان ويقال: "فَسَرَ الشيء" أي أوضحه

(1)- أحمد بن فارس مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، ص 402.

وكشف معناه، و"استفسرته كذا" أي طلبت منه تفسيره، فالمعنى اللغوي للتفسير هو: الإبانة والكشف عن المعنى بطريقة أسهل وأوضح، مستندًا إلى أصل الكلمة الذي يدل على البيان والتوضيح، كما في قولهم: "فسّرت الحديث" أي شرحته وأوضحته⁽¹⁾.

من الناحية الاصطلاحية: ل قد تنوعت تعريفات العلماء لهذا المصطلح ومن أبرزها ما ذكره بدر الدين الزركشي - رحمه الله - إذ قال: "التفسير علم يُعرف به فهم كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويُبيّن به المراد من الآيات، وتُستخرج منه الأحكام والحجّم، ويتم الاعتماد فيه على علوم اللغة والنحو والتصريف والبيان، وأصول الفقه، وعلم القراءات، كما يستلزم الإمام بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ"⁽²⁾.

كما عرفه جلال الدين السيوطي - رحمه الله - بقوله: "هو العلم الذي يبحث في أسباب نزول الآيات، وسياقاتها، وقصصها، وما نزل بشأنها من أحداث، ويشمل كذلك ترتيب المكي والمدني، ومعرفة المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبيّن، كما يضم مسائل الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والأوامر والنواهي، والعبر والأمثال"⁽³⁾.

يُعد التفسير علمًا يُعنى بفهم كتاب الله العزيز المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويهدف إلى توضيح معانيه واستنباط الأحكام والحجّم منه، بالاعتماد على علوم اللغة العربية، من نحو وصرف وبلاغة، إلى جانب أصول الفقه، وعلم القراءات، والمعارف اللازمة لفهمه، كمعرفة أسباب النزول، والتمييز بين الناسخ والمنسوخ⁽⁴⁾.

وقد عرّفه الإمام أبو حيان - رحمه الله - بأنه علم يتناول كيفية النطق بألفاظ القرآن، ودلالاتها، وأحكامها من حيث كونها مفردة أو مركبة، بالإضافة إلى المعاني التي تُستفاد من

(1)- ينظر: مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفرقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 01، 1999، ص 128.

(2)- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط 01، 1376هـ، ص 13.

(3)- جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، 1996، ص 435.

(4)- المصدر نفسه؛ ص 492.

تركيبها، وما يلحق بذلك من مكملات⁽¹⁾.

أما أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي - رحمه الله - فقد بين أن التفسير هو علم يبحث في النطق الصحيح بألفاظ القرآن، وفي معانيها المفردة والمركبة، واعتبر أن التفسير مكمل للخطاب ومتمم له، ويأخذ حكم أحد أجزائه، مشيرًا إلى أن علماء البيان يعتبرونه وسيلة لرفع اللبس والغموض عند وجودهما في الكلام، وذلك بإيراد ما يُزيل الإشكال ويوضح المراد⁽²⁾، وقال الكافيجي - رحمه الله - في تعريفه للتفسير: هو العلم الذي يُعنى بإظهار معاني القرآن الكريم وشرح مقاصده⁽³⁾.

كما أشار الزرقاني - رحمه الله - إلى أن التفسير علم يُبحث فيه عن دلالات ألفاظ القرآن الكريم، بهدف الوصول إلى مراد الله تعالى منه، بما يتناسب مع حدود الإدراك البشري⁽⁴⁾.

ثانيًا: تعريف مصطلح الشفهي:

أورد ابن فارس - رحمه الله - أن "الشفة" قيل فيها إن أصلها المحذوف هو واو، فيقال: "ثلاث شَفَوَات"، كما يُقال: "رجل أَشْفَى" إذا لم تكن شفتاه تنطبقان كحال من به رِقَّةٌ فيهما. وهناك من يرى أن "الشفة" حُذفت منها الهاء، وتصغيرها "شَفْمَةٌ"، والمشافهة تعني المحادثة المباشرة وجهًا لوجه، أي من فم المتكلم إلى أذن السامع⁽⁵⁾.

كما يُطلق على من اتسعت شفتاه "رجل شفاهي"، وهذا الاسم يحتمل وجهين: أحدهما أن النسبة إلى "شفة" تكون على صيغة "شفي" أو "شفوي"، وهذا قياسي، والوجه الآخر أن

(1)- مُحَمَّد بن يوسف أبوحيان الأندلسي البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط 01، 1422 هـ 2001، ص 121.

(2)- أيوب بن موسى الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419 هـ، ص 260.

(3)- محي الدين الكافيجي، ت 879 هـ، التيسير في قواعد علم التفسير، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، ط 01، ص 21.

(4)- مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني ت 1367 هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 03، ص 02.

(5)- ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 337.

تكون النسبة سماعية، لكنها قد تُقبل قياسًا إذا كثرت شواهدا. وعلى هذا الأساس، يصح القول "تفسير شفهي" أو "تفسير شفوي"، فالنسبة الأولى تتبع القياس اللغوي، والثانية مأخوذة من السماع الشائع، وقد تُعتمد أيضًا لما لها من شواهد⁽¹⁾.

ثالثًا: تعريف التفسير الشفهي:

يمكن تعريف التفسير الشفهي بأنه: أسلوب تفسيري يتم من خلال التواصل المباشر، حيث يُلقى المفسر تفسيره شفاهةً على السامعين موضحًا معاني القرآن الكريم عبر المشافهة المباشرة دون واسطة مكتوبة.

المطلب الثاني: تمييز التفسير الشفهي والتفسير المؤلف:

يتبين من خلال مقارنة مجالس التفسير الشفهي بالتفسير المكتوبة وجود فروق جوهرية بينهما، ونأخذ نموذجًا لتفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يلقي دروسه التفسيرية في الجامع الأخضر بين صلاتي المغرب والعشاء مدة خمسة وعشرين عامًا حتى ختم القرآن وقد نُقل بعضها - مثل تفسير المعوذتين - عن طريق الإمام البشير الإبراهيمي⁽²⁾، أما التفسير المكتوب فقد نُشر في مجلة الشهاب بأسلوب مختلف كما أشار إلى ذلك الشيخ أحمد حماني مؤكدًا أن الدروس الشفهية كانت أبلغ أثرًا وأشد تأثيرًا من المكتوبات⁽³⁾.

وبناءً على هذا يمكن تلخيص أبرز الفروق بين التفسيرين في النقاط التالية⁽⁴⁾:

السبق الزمني: التفسير الشفهي أسبق زمنيًا؛ فقد بدأه النبي صلى الله عليه وسلم

(1)- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 03، 1405هـ، 1985م، ص 272

(2)- محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965م، من كبار العلماء والمصلحين في الجزائر، ورفيق الشيخ عبد الحميد بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية، تولى رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من أبرز من ساهم في نشر الفكر الإصلاحي وتعزيز اللغة العربية، وقد نُشرت أعماله في خمسة مجلدات بعنوان: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمعها وقدم لها ابنه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

(3)- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث، قسنطينة، 1983، ص 34.

(4)- منير زباني، المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 2، السداسي الأول 2021، ص 198-199.

بنفسه.

القوة والتأثير: الشفهي أكثر تأثيراً، ويحمل هيبة الحضور ومقام الشيخ.
بلاغة الإلقاء: التفسير الشفهي أبلغ وأقرب للتأثير من حيث الإلقاء والارتجال.
مراعاة الحضور: المفسر الشفهي يُراعي مستوى السامعين واحتياجاتهم عند عرض المعاني.

سهولة الفهم: تُطرح المعاني في التفسير الشفهي بطريقة ميسرة تلائم المتلقي.
شدّ الانتباه: يعتمد الشفهي على طرق لجذب اهتمام الحضور وتنوع قدراتهم.
الاستطراد: يظهر في التفسير الشفهي أكثر بسبب طبيعته التفاعلية.
التقارب الموضوعي: الدروس الشفهية تتشابه غالباً في موضوعاتها، بخلاف الكتب التي تختلف بحسب أسلوب المؤلف.

مواكبة العصر: يعالج المفسر الشفهي قضايا واقعية وفكرية معاصرة لجمهوره.
النقاش والتصحيح: يتاح له الرد على المفاهيم الخاطئة وتوضيح الإشكالات الفكرية بشكل مباشر.

تجنب الإطالة: يميل الشفهي إلى اختصار الخلافات لتجنب ملل السامع.
التوسعة في الشرح: التفسير الشفهي يتميز بالسعة والتوضيح خلافاً للمكتوب الذي يميل للاختصار.

شمولية الجمهور: يصل التفسير الشفهي إلى مختلف فئات المجتمع.

المطلب الثالث: بدايات الدرس التفسيري في الجزائر:

يصعب تحديد اللحظة الزمنية الدقيقة لنشأة التفسير تأليفاً وتدريباً في الجزائر غير أن الفتح الإسلامي المبكر للمغرب العربي أدخل معه تفسير القرآن ضمن عملية تعليم أهالي هذه المناطق، إذ لا يُتصور تعليم القرآن دون شرحه وتفسيره.

وفي بداياتها ركزت الجزائر بعد الفتح على اللغة العربية وقواعدها، نظراً لأن السكان كانوا يتحدثون البربرية وبعض اللغات اللاتينية، ثم جاء الاهتمام بالفقه المالكي وحفظ القرآن، أما التفسير فكان حضوره أقل نسبياً، لكنه لم يُهمل، وبدأ يبرز بشكل ملحوظ منذ

القرن السادس الهجري، حيث ظهرت تفاسير وأسماء بارزة⁽¹⁾.

الجهود الأولى في تأليف التفاسير بالجزائر⁽²⁾:

عبد الرحمن بن رستم ت 171هـ: مؤسس الدولة الرستمية الإباضية.

أحمد بن نصر الداودي التلمساني ت 402هـ: له تفسير كامل للقرآن.

مروان بن علي البوني ت 439هـ وأحمد الباغائي ت 461هـ: كلاهما ألفا في التفسير⁽³⁾.

أعلام التفسير الشفهي في التراث الجزائري⁽⁴⁾:

الباغائي: درّس التفسير بجامع قرطبة، وله ذكر مميز في كتب التراجم.

محمد بن يوسف بن عمران: له تفسير وصل إلى سورة الفتح.

يحيى بن علي الزواوي ت 611هـ: درّس التفسير في الجامع.

ناصر الدين المشدالي الزواوي ت 731هـ: اشتغل بتدريس القرآن والحديث.

ابن يحيى السكلاني الزواوي ت 743هـ: فسر القرآن بمصر والشام.

إبراهيم الزواوي ت 857هـ: درّس التفسير في بجاية.

أبو الفضل المشدالي ت 864هـ: درّس التفسير بالأزهر، وصفه ابن شاهين والسخاوي

بالتميز.

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ت 909هـ: عُرف بتدريسه المشافه للتفسير

خلال رحلاته.

علي بن يحيى السلكسي الجاديري ت 972هـ: كان لا يفتر عن تدريس التفسير في

أجادير⁽⁵⁾.

(1)- ينظر: محمد المختار إسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، ط 01، السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، د ت، ص 33-36.

(2)- ينظر: محمد المختار إسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، المرجع السابق، ص 61-64.

(3)- ينظر: أبو العباس التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، 2000، ص 52 - 53.

(4)- عادل نويهض، مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980، ص 157.

(5)- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق: عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 2014م، ص 281

عيسى الثعالبي: من مفسري عصره، كما ذكر سعد الله⁽¹⁾.
 أحمد المقرئ ت 1041هـ: درّس التفسير في الجامع الأعظم بالعاصمة.
 القاضي أبو الحسن الشريف ت 1070هـ: برع في تدريس التفسير بالجامع الكبير.
 عبد الكريم الفكون ت 1073هـ: كان يدرج التفسير في دروسه النحوية.
 أبو عبد الله بن خليفة الجزائري ت 1094هـ: ختم تدريس التفسير بالجامع الأعظم.
 يحيى بن محمد الشاوي ت 1096هـ: درّس التفسير بدمشق والآستانة.
 واقع الدرس التفسيري في الفترات المتأخرة⁽²⁾؛
 عبد الرحمن الجنتوري التواتي ت 1160هـ: دأب على تدريس التفسير في توات.
 عبد القادر الراشدي القسنطيني ت 1194هـ: فسر في جامع الكتاني.
 السنباوي المازوني ت 1232هـ: دروسه التفسيرية كانت في الأزهر.
 ابن لؤلؤ التلمساني أواخر القرن 12هـ: ختم التفسير في الجامع الأعظم بتلمسان.
 الأمير عبد القادر الجزائري ت 1300هـ: فسر القرآن بجامع الأسرة في بلدة القيطننة⁽³⁾.
 محمد بن يوسف اطفيش ت 1332هـ: ألّف ودرّس "تيسير التفسير".
 الشيخ الطاهر العبيدي ت 1387هـ/1968م: فسر القرآن آية آية، بدأ من حيث توقف شيخه.

علي بن محمد الميلي ت 1833م: اشتغل بتفسير القرآن في دروسه بمصر.
 إبراهيم بيوض ت 1400هـ: ختم تفسيره شفهيًا في القرارة سنة 1980م.
 الشيخ مرزوق بن الشيخ الحسين: فسر بعض السور في الجامع الكبير بقسنطينة.
 الأخضر الدهمة ولد 1925م: كان يعتمد التفسير التريوي الهادي وفسر البقرة في ثماني سنوات⁽⁴⁾.

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2007، ص 15.

(2)- ينظر: مُحَمَّد باي بلعالم، الغصن الداني، دار هومة، الجزائر، د ط، د ت، ص 2.

(3)- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني، كلية التربية جامعة عين شمس، د ت، ص 10.

(4)- مقال: للدكتور محمد عبد الحليم بيثي "الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً"، المحرر الأربعاء 8 صفر 1440هـ 17-10-2018م.

عبد الرحمن شيبان ت 2011م: ألقى دروس التفسير في المساجد والمراكز الثقافية.
أبوبكر جابر الجزائري: درّس التفسير في المسجد النبوي وألف كتاب "أيسر التفاسير".
المبحث الثاني: مناهج علماء الجزائر في التفسير الشفهي:

نظرًا لقلّة النصوص التي تصف أسلوبهم في التدريس فإنّ من يتتبع نشاط حلقات الدروس التفسيرية للقرآن الكريم في المغرب الأوسط يلاحظ الأمور التالية:

المطلب الأول: منهج الاختصار في التفسير:

أولاً: غلبة الاختصار في كتب التفسير:

يُلاحظ أن خاصية الاختصار لم تقتصر على علم دون غيره، بل شاعت في مختلف الفنون، وبرزت بشكل متفاوت عبر الحواضر العلمية في العالم الإسلامي، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه النزعة بقوله: "واعلم أن ميل النفوس إلى الإيجاز والاختصار أمر طبيعي، لأن الكلام إذا طال ملّته النفوس، فتجدها ترغب في الإيجاز طبعًا لا تكلفًا"⁽¹⁾، ويُستفاد من كلامه أن الميل إلى الاختصار طبع إنساني عام غير أن شيوعه في التصنيف العلمي أدى في بعض المراحل إلى غلبة الإيجاز على البيان فانعكس ذلك على وضوح المناهج التعليمية وجودة التحصيل.

ثانيًا: الاكتفاء بتلخيص تفسير معين:

سلك بعض المفسرين نهجًا يعتمد على الاقتصار في التدريس على تفسير محدد إما لاختصاره أو لكونه مناسبًا لمنهجهم أو لمستوى الطلبة العلمي فيعتمدونه مادة دراسية لهم، ومن أبرز النماذج على ذلك:

الإمام أبو زيد عبد الرحمن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري 780هـ – 851هـ، فقد كان يدرّس تفسيره الموسوم بـ الجواهر الحسان، وهو اختصار لتفسير ابن عطية، حيث كان يعقد مجالس تعليمية لقراءته على الطلبة.

ومنهم أيضًا: أحمد بن محمد بن حسن بن علي السمني القسنطيني ت 872هـ، الذي درّس

(1)- ابن خلدون، المقدمة، ج 02، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، دت ص 530.

القرآن اعتماداً على كتابي الواحدي: الوسيط والبسيط. وقد قال فيه السيوطي ضمن كلام مطول: "أما التفسير، فهو بحر المحيط وكشاف دقائقه، بلفظه الوجيز، الذي فاق الوسيط، والبسيط،"⁽¹⁾.

كما يُذكر يحيى بن محمد النايلى الشاوي ت 1096هـ، إذ نقل تلميذه المجي أنه تلقى عنه تفسير سورة الفاتحة من أنوار التنزيل للبيضاوي أثناء إقامته بالآستانة في بلاد الروم، وقد أجازها فيها⁽²⁾.

المطلب الثاني: منهج التدرج في الشرح ومراعاة مستوى المتلقي:

أولاً: التدرج في التفسير شيئاً فشيئاً، ولو طال الزمن أو لم يُكمل:

كان من سمات بعض العلماء في تدريس التفسير اعتماد التدرج البطيء والمستمر دون استعجال، حتى وإن استغرق ذلك سنين طويلة أو لم يُكمل المفسر تفسيره. ومن الأمثلة على هذا النهج:

الإمام أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي ت 611هـ، الذي شرع في تدريس التفسير بالجامع، غير أنه لم يُتمّه⁽³⁾.

وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية هذا المنهج فقال: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيداً إذا تم بالتدرج، شيئاً فشيئاً، قليلاً قليلاً، فيُلْقَى على المتعلم مسائل من كل باب من أبواب الفن، تكون بمثابة أصول له"⁽⁴⁾.

ومن أبرز من اتّبع هذا الأسلوب: الشريف التلمساني ت 771هـ، حيث واطب على تدريس التفسير لمدة ربع قرن، يفسر ربع حزب يومياً، وكان يحضر دروسه الملوك والعلماء

(1)- الوسيط، والبسيط، كتابين للواحدى المفسر

(2)- محمد أمين المجي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة تح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية مصر، ط 01، 1971، ص 74.

(3)- ينظر: أبو العباس التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المرجع السابق، ص 52 - 53.

(4)- ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص 4.

والصالحون وطلاب العلم وشيوخ عصره. وقد امتاز بتمكنه في إعراب القرآن، والقراءات، ودلالة الألفاظ، وتفسير الآيات. وقد بلغ في تفسيره إلى الآية 171 من سورة آل عمران، ثم ألمّ به المرض فلبث فيه نحو 18 يومًا قبل أن يتوفاه الله عز وجل⁽¹⁾.

ومنهم علي بن يحيى السلكسيني الجاديري ت 972هـ، حيث ورد في كلام ابن مريم عنه أنه كان يدرّس التفسير طوال النهار دون فتور باستثناء أوقات الصلاة⁽²⁾.

ومن الأعلام الذين أتموا تفسير القرآن تدريسا بالجامع الأعظم بالجزائر: ابن خليفة الجزائري ت 1094هـ، الذي داوم عليه إلى أن أتمه قبل وفاته في نفس السنة، وقد وصفه ابن زاكور قائلاً: "فلما أورده أمله منهله حضره أجله وما أمهله، فاقتطفت منه المنية إثر بلوغ تلك الأمنية"، والمقصود بالأمنية هنا ختم تفسير القرآن.

وكذلك عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي المعروف بأبي زيد ت 1160هـ، حيث أشار محمد باي بلعالم إلى استمراره في تدريس التفسير بلا انقطاع⁽³⁾.

ويعد الشيخ إبراهيم بيوض ت 1400هـ من أبرز من التزم هذا المنهج، إذ واصل تدريس التفسير لمدة 45 عامًا، بدءًا من عام 1950م إلى أن ختمه عام 1980م/1400هـ⁽⁴⁾.

ومن الأسماء المعروفة أيضًا: الشيخ أبو بكر الجزائري، الذي درّس التفسير في المسجد النبوي الشريف على مدى يقارب 47 عامًا⁽⁵⁾.

كما يُذكر الشيخ الأخضر الدهمة، الذي أمضى ثماني سنوات كاملة في تفسير سورة

(1)- ينظر: ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، المرجع السابق، ص 118.

(2)- نفسه، ص 281.

(3)- ينظر: مُحَمَّد باي بلعالم، الغصن الداني، المرجع السابق، ص 2.

(4)- ينظر: الناصر بن محمد المرموري، في رحاب القرآن" مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط 01، 1417 هـ، ص 72.

(5)- مقال: ترجمة إمام المسجد النبوي الشيخ أبو بكر جابر الجزائري صيد الفوائد. نسخة محفوظة 11 نوفمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

البقرة فقط⁽¹⁾، نظرًا لتوسعه في الشرح والتفصيل.

ومن المعاصرين الذين أتموا تفسير القرآن الكريم كاملاً: محمد بن إبراهيم بن باحمد، المعروف بسعيد محمد كعباش، حيث شرع في دروس تفسير منتظمة منذ عام 1985م، وأكملها بتفسيره الكامل الموسوم بنفحات الرحمن في رياض القرآن، والذي أتمه يوم الجمعة 1 جمادى الأولى 1436هـ الموافق 20 فبراير 2015م.

ثانيًا: المواظبة على إلقاء دروس التفسير بانتظام:

تميّز بعض العلماء بالمداومة المستمرة على إلقاء دروس التفسير بشكل يومي ومنتظم، دون انقطاع يُذكر، مما يعكس حرصهم الشديد على التعليم والتبليغ.

ومن أبرز هؤلاء: علي بن يحيى السلكسي الجاديري، فقد ذكر ابن مريم عنه أنه كان يلزم التدريس طوال النهار، لا يتوقف إلا لأداء الصلوات وسماع الأذان⁽²⁾.

ومنهم كذلك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي كان يُلقي ما يقارب عشرة دروس يوميًا، وهو جهد بالغ في العطاء العلمي؛ إذ يبدأ برنامجه اليومي بدرس في الحديث بعد صلاة الفجر، ويختتمه بدرس في التفسير بين صلاتي المغرب والعشاء⁽³⁾.

ثالثًا: من العلماء من لم يكن يُدرّس التفسير بانتظام:

في مقابل من التزموا بالمواظبة المنتظمة على دروس التفسير، نجد من العلماء من لم يلتزم بذلك النمط، بل كانت لهم مشاركات تفسيرية متقطعة بحسب الظروف.

ومن هؤلاء: عبد القادر الراشدي الفرجيوي القسنطيني ت 1194هـ، حيث أشار أبو القاسم سعد الله إلى أنه "لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة"، وربما كان ذلك راجعًا إلى

(1)- مقال: مُحَمَّد عبد الحليم بيشي "الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجًا".

(2)- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، المرجع السابق، ص 281.

(3)- ينظر: مُحَمَّد البشير الإبراهيمي، د/ خالد النجار، المنشور على موقع الألوكة، ص 7.

انشغالاته أو منهجه في التدريس⁽¹⁾.

وكذلك الشيخ الأخضر الدهمة، فرغم حرصه على إلقاء الدروس الشفهية بعد صلاة الصبح وبين العشائين، إلا أن تخصيصه لدروس يوم الجمعة فقط للتفسير – والذي أسماه التفسير الهدائي – يدل على أن التفسير لم يكن يشكل جزءاً دائماً من برنامجه اليومي⁽²⁾.

ومنهم أيضاً: محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذي كان كثير الترحال، يعقد الحلقات التفسيرية في أسفاره، ويقوم بتدريس التفسير مشافهة، مما جعل تدريسه غير منتظم من حيث الزمان والمكان⁽³⁾.

رابعاً: اعتماد التفسير العلمي ذي المستوى العالي:

برز بعض العلماء في تقديم تفسير يتميز بعمق علمي ومحتوى رفيع المستوى، لا يناسب إلا المتقدمين من أهل العلم.

ويُعد أبو الفضل محمد المشدالي ت 864هـ، وقيل 865هـ من أبرز هؤلاء، حيث وصفه الإمام السخاوي في الضوء اللامع قائلاً: "حضرت درسه في الأزهر، فظهر لي أنني لم أر مثله، ولا رأى هو مثل نفسه"، ثم أضاف: "هو آية أبرزه الله في هذا العصر للعباد".

كما قال فيه الإمام ابن شاهي: "هذا الرجل لا يليق حضور دروسه إلا لحذاق العلماء"، في إشارة إلى أن مستواه العلمي العالي كان يتطلب حضوراً من نوع خاص من طلاب العلم.

خامساً: اختيار المنهج التفسيري بحسب طبيعة الفئات الحاضرة:

راعى بعض المفسرين تفاوت المستويات العلمية والاجتماعية للمتلقين، فكانوا يختارون مناهج تفسيرية تناسب جمهورهم، سواء كانوا من عامة الناس أو من أهل العلم.

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 220.

(2)- مقال: مُحَمَّد عبد الحليم بيثي الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً.

(3)- محمد بن محمد ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003، ص 395-396.

ومن الأمثلة على ذلك: محمد بن إبراهيم بن باحمد، المعروف بسعيد محمد كعباش، حيث كان يوجّه دروسه التفسيرية في المسجد العتيق نحو جمهور من الآباء والأمهات، فكان يختار لهم سورًا قصيرة لشرحها وبيان فضلها ومعانيها بما يلائم مستواهم واحتياجاتهم الدينية.

وكذلك الشيخ الأخضر الدهمة، الذي لم تنقطع دروسه الشفهية بعد صلاة الصبح وبين العشائين، وتميّز أسلوبه التفسيري بطابع تربوي رفيع، يجمع بين الوضوح والبساطة، فلا يشعر المثقف بضيق وقته، ولا يعاني الأمي من صعوبة الفهم. وقد استغرق في تفسير سورة البقرة وحدها ثماني سنوات، نظرًا لما كان يبذله من جهد في تبسيط المعاني وتوصيلها بما يناسب جمهور المستمعين⁽¹⁾.

سادسًا: الاختصار على تفسير الآيات العميقة والمشكلة:

اتّجه بعض المفسرين إلى التركيز على تفسير الآيات التي تتسم بالصعوبة والعمق، وتركوا ما سواها من الآيات الواضحة أو المتداولة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك: الأمير عبد القادر الجزائري ت 1300 هـ / 1883 م، الذي كان يختار أصعب الآيات وأدق الشواهد القرآنية لتفسيرها، مبرزًا قدرته العلمية واهتمامه بالغوص في معاني النصوص القرآنية العميقة⁽²⁾.

سابعًا: تكرار المسألة الواحدة لعدة أيام حتى تُفهم:

حرص بعض العلماء على ترسيخ الفهم لدى جمهور المتعلمين من خلال تكرار شرح المسائل، حتى يستوعمها الجميع، سواء من الخاصة أو العامة.

ومن أبرز من سلك هذا النهج: أحمد بن محمد بن زكري أبو العباس ت 899 هـ / 1494 م، إذ وصفه ابن مريم بأنه كان مواظبًا على التدريس والتعليم، وكان يعيد شرح المسألة الواحدة لثلاثة أيام متتالية حتى يتيسر فهمها لجميع الحاضرين، فعمّ نفعه وسهّل علمه على كل من

(1)- مقال: مُحَمَّد عبد الحليم بيشي "الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجًا".

(2)- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، المرجع السابق، ص 10.

شهد مجالسه من المسلمين⁽¹⁾.

ومن الأمثلة أيضاً: أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي ت 611هـ، ومن المشاهد المؤثرة التي نُقلت عن بعض مجالسه التفسيرية ما رواه ابن الخراط، وهو أحد تلامذته، إذ قال: "بينما كنت أقرأ عليه في مجلس الغداة، مررنا بآية استنبط منها ما لم نفهم، وأدرك من معانيها ما غاب عن إدراكنا، فإذا به ينهض واقفاً، وقد ألقى طيلسانه وطرح رداءه، وكشف عن رأسه، ومدّ ذراعيه رافعاً يديه، فتوقفت عن القراءة، فتعوّذ بصوت مرتفع، وافتتح بالبسملة، ثم شرع في تلاوة الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنفال، وظل يرددّها ويكررها بصوت يحمل تحذيراً ونبرة مؤثرة"⁽²⁾.

ثامناً: الترسل في التفسير مع الإحاطة بمختلف الجوانب العلمية للآية:

في مقابل منهج التكرار أو الاختصار، نجد من العلماء من سلك طريق التآني في التفسير، متناولاً في كل يوم آية واحدة، مع استيعاب شامل لجوانبها العقدية، والبلاغية، والفقهية وغيرها، ومن أبرز من مثّل هذا التوجه: الشيخ الطاهر العبيدي ت 1387هـ / 1968م، الذي تميز تفسيره بالشمول والتعمق في المباحث المرتبطة بكل آية⁽³⁾.

تاسعاً: الاقتصار على التفسير كمدخل للاستدلال لا أكثر:

اقتصر بعض العلماء على تناول التفسير كوسيلة استدلالية ضمن علوم أخرى، دون جعله محوراً رئيساً لمجالسهم العلمية⁽⁴⁾، ويتجلى ذلك في منهج أبي محمد عبد الكريم الفكون الذي كان يشتهر بدروسه في النحو، ويعرض للتفسير ضمنها عند الحاجة الاستدلالية فقط،

(1)- "البستان في كرام العلماء والأولياء" بتلمسان" لا بن مريم التلمساني.

(2)- أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويّض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 128.

(3)- يحيى محمد علي الرماننة، عبد الكريم خليفة وجهوده في اللغة والتراث، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون أول / 2010، ص 83.

(4)- أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1986، ص 443.

خاصة أثناء شرحه على ابن الحاجب. ويُعزى تخصصه في هذا المجال إلى قلة المشتغلين بعلم التفسير في زمانه⁽¹⁾.

عاشراً: متابعة التفسير من حيث توقف الشيخ:

ومن نماذج الوفاء العلمي والحرص على مواصلة مسيرة الشيوخ: الشيخ الطاهر العبيدي ت 1387 هـ / 1968 م، حيث شرع في تفسير القرآن الكريم بدءاً من الموضع الذي توقف عنده شيخه العربي موساوي، وتحديدًا من الآية 227 من سورة البقرة، وقد كان يُدرّس آية واحدة يوميًا، وكانت دروسه التفسيرية تُلقى ما بين صلاتي المغرب والعشاء⁽²⁾.

المطلب الثالث: أساليب التفسير لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

يمكن إجمال طريقة علماء الجمعية في التفسير بأنها كانت طريقة موحدة في الغالب تعتمد منهجًا متكاملًا اتفق عليه مؤسس الجمعية، وقد وصف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي هذه الطريقة التي تبناها مع رفيقه ابن باديس في تربية الناشئة بقوله: "كانت الطريقة التي اتفقت عليها مع ابن باديس خلال اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء، تقوم على عدم التوسع في التعليم، بل التركيز على غرس فكرة سليمة، ولو اقترن ذلك بقدر قليل من العلم، وقد نجحت هذه التجربة في التلاميذ الذين أعددناهم".

وكان الإمام ابن باديس -رحمه الله- يعطي الأولوية لنوعية التعليم على كميته، حيث كان يرى ضرورة التركيز على الفهم وتنمية ملكات التفكير والتخيل، بدلاً من مجرد الحفظ وتكديس المعلومات.

أما عن محتوى المنهج الذي اعتمده، فقد أوضحه ابن باديس بقوله: "تتضمن الدروس تفسير الكتاب الحكيم وتجويده، ودراسة الحديث الشريف، والفقه من المختصر وغيره، والعقيدة الإسلامية، بالإضافة إلى الآداب والأخلاق، وفنون اللغة العربية، والمنطق،

(1)- محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تج: خير الدين شترة، دار كردادة الجزائر، ط 01، 2012، ص

(2)- ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 26.

والحساب، وغيرها".

كما تميز منهجهم في التفسير بعدة سمات، منها⁽¹⁾:

اعتماد تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة الصحيحة، وأقوال الصحابة والتابعين.
التعمق في المعاني اللغوية والبلاغية للآيات.
الحرص على ربط المعاني القرآنية بواقع المجتمع، بهدف إصلاحه ومعالجة مشكلاته.
تأثر عدد كبير منهم بمنهج محمد رشيد رضا في تفسيره "المنار".
خاتمة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة إبراز الأهمية العلمية لمنهج التفسير عند علماء الجزائر حيث كشفت عن عمق العلاقة بين العلماء الجزائريين وعلوم القرآن وبيّنت كيف أن التفسير الشفهي كان من الوسائل الأساسية التي تم بها نقل المعارف القرآنية عبر الأجيال وخاصة في فترات ضعف التأليف أو في ظل القيود السياسية والاحتلال الاستعماري، واتضح أن هذا التفسير لم يكن مجرد نشاط تلقائي أو بديل عن التأليف بل كان يحمل من الخصائص المنهجية والتنظيمية ما يجعله ركيزة من ركائز التعليم الديني في الجزائر.

فمن خلال تتبع مناهج التفسير عند علماء الجزائر خاصة في العصور الحديثة مع بروز جمعية العلماء المسلمين تبين أن هذه المناهج اعتمدت على التبسيط والوضوح والارتباط بالواقع والحرص على التربية القرآنية بما يوافق حاجة المجتمع ويواكب متغيراته، وهذا يعكس وعياً علمياً وإصلاحياً جعل من التفسير وسيلة للفهم والتربية والتغيير لا مجرد بيان لغوي لمعاني النصوص.

نتائج الدراسة:

وبناءً على ما تم عرضه يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

التفسير الشفهي كان أسبق ظهوراً من التأليف التفسيري في الجزائر، وارتبط بالمساجد والزوايا كمراكز للعلم والتعليم.

(1)- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 280.

اعتمد علماء الجزائر على منهج متوازن يجمع بين تبسيط المعاني وربطها بالواقع اليومي للمجتمع.

الطريقة التي اتبعها علماء جمعية العلماء المسلمين امتازت بالوحدة والتنظيم والتدرج، وكانت موجهة لتربية النشء على الفهم السليم للقرآن.

برزت في المناهج التفسيرية الجزائرية سمات التدرج والاختصار والوضوح، مما يسهل على المتلقي عملية الفهم والاستيعاب.

وجود فرق واضح بين التفسير المؤلف والشفهي، من حيث الأسلوب والغرض والمخاطب، مع تكامل بينهما في كثير من الأحيان.

ساهمت هذه المناهج في الحفاظ على الهوية الإسلامية ومقاومة محاولات طمس الشخصية الدينية والثقافية للجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن خلدون، المقدمة، ج 02، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 2014م.

أبو العباس التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، 2000.
أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2007.
أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1986.

أحمد بن فارس مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.
أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج 05، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 03، 1405هـ، 1985م.
- أيوب بن موسى الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ.
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط 01، 1376هـ.
- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الإلكتروني، كلية التربية جامعة عين شمس، د.ت.
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، 1996.
- عادل نويمض، مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حَتَّى العَصْر الحَاضِر، مؤسسة نويمض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980.
- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، دار البعث، قسنطينة، 1983.
- محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تح: خير الدين شترة، دار كردادة الجزائر، ط 01، 2012.
- محمد المختار إسكندر، المفسرون الجزائريون عبر القرون، ط 01، السلسلة الذهبية لإحياء التراث الإسلامي، د.ت.
- محمد أمين المجبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة تح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية مصر، ط 01، 1971.
- مُحَمَّد باي بلعالم، الغصن الداني، دار هومة، الجزائر، د ط، د.ت.
- محمد بن محمد ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 2003.
- مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 01، 1999.
- مُحَمَّد بن يوسف أبوحيان الأندلسي البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط 01، 1422 هـ 2001م.

- محمد عبد الحليم بيثي، الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً: مقال محرر الأربعاء 17-10-2018.
- مُحمَّد عبد العظيم الزرقاني ت 1367هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 03، د ت.
- محي الدين الكافيحي، ت 879هـ، التيسير في قواعد علم التفسير، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع، ط 01، د ت.
- منير زيباني، المفسرون الجزائريون ومنهجهم في الدروس التفسيرية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 2، السداسي الأول 2021.
- الناصر بن محمد المرموري، في رحاب القرآن مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط 01، 1417.
- يحيى محمد علي الرمامنة، عبد الكريم خليفة وجهوده في اللغة والتراث، كلية الدراسات

منهج الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" وأثره في بيان القيمة العلمية للكتاب

Al-Tha'alabi's approach in his interpretation of "Al-Jawahir Al-Hasan"
and its impact in explaining the scientific value of the book

د. محمد علي بوطالي - جامعة باتنة 1

ط د خلود بارة - جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث مسألة مهمة تتعلق بقيمة تفسير من تفاسير علماء الجزائر وهو تفسير "الجواهر الحسان" للعلامة عبد الرحمن الثعالبي 875هـ، من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية: هل لتفسير الثعالبي قيمة علمية كبيرة أم لا؟ وكيف يمكن أن تؤثر طريقة دراسة منهجه في تفسيره في بيان هذه القيمة؟، وتكمن أهمية هذا البحث في الدفاع عن تفسير عظيم من تفاسير الجزائريين، لأن هذا الكتاب لم يعط قيمته الحقيقية عند كثير من الدارسين، ولذلك كان الهدف الأساس من هذا البحث هو بيان قيمة الكتاب العلمية من خلال دراسة منهج المؤلف دراسة صحيحة، وقد خلص البحث في الأخير إلى أن تفسير الثعالبي تفسير عظيم، وأن مؤلفه صاحب شخصية واضحة وقوية، وأن المنهج السليم في الدراسة هو الذي أوصلنا إلى هذه النتيجة.

الكلمات المفتاحية:

الثعالبي؛ الجواهر الحسان؛ المنهج الصحيح؛ قيمة الكتاب.

Abstract :

This research addresses an important issue related to the value of one of the interpretations of Algerian scholars, which is the interpretation of "Al-Jawahir Al-Hasan" by the scholar Abdul Rahman

Al-Tha'alabi 875 AH, by answering the following problem: Does Al-Tha'alabi's interpretation have great scientific value or not? How can the method of studying his interpretation of his interpretation affect the statement of this value? The importance of this research lies in defending a great interpretation of the Algerians' interpretations, because this book did not give its true value according to many scholars, and therefore the main goal of this research was to explain the value Scientific books through a correct study of the author's approach, and the research finally concluded that Al-Tha'alabi's interpretation is a great interpretation, and that its author has a clear and strong personality, and that the sound approach to study is what brought us to this result.

Key words:

The fox; Beautiful jewels; The correct approach; The value of the book.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من أشرف العلوم التي اعتنى بها المسلمون منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم علم التفسير وبيان معاني وأحكام القرآن الكريم، فلا تكاد تجد عالما مهما كان تخصصه إلا وله تفسير للقرآن الكريم، سواء كان هذا التفسير شفها أو مكتوبا، وسواء كان لبعض السور والآيات أو لجميع القرآن...، وقد نتجت عن هذه العناية الكبيرة بعلم التفسير ثروة علمية عظيمة تمثلت في تفاسير كثيرة ومتنوعة في مضامينها ومناهجها وأحجامها...

ومن التفاسير النفيسة التي تنافس العلماء وطلبة العلم على تحصيلها والاستفادة منها لأجل قيمتها العلمية الكبيرة تفسير الإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي ت 541هـ، وقيل غير ذلك الموسوم بـ "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، ولما كان تفسير ابن عطية بهذه المكانة الجليلة فقد انبرى لاختصار فوائده وتلخيص فرائده وتجميعه ببدائع المسائل والنقول عالم جزائري كبير هو الإمام عبد الرحمن بن محمد الثعالبي

ت 875هـ في كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"

الإشكالية:

ولما كان تفسير الثعالبي اختصارا لتفسير ابن عطية زعم بعض الباحثين أن تفسير الثعالبي ليس له قيمة علمية كبيرة لأنه مجرد تلخيص لكلام ابن عطية مع بعض النقولات المتنوعة⁽¹⁾، وهذا الأمر يدفعنا إلى السؤال والاستشكال: هل لتفسير الثعالبي قيمة علمية كبيرة أم لا؟ وكيف يمكن أن تؤثر طريقة دراسة منهجه في تفسيره في بيان هذه القيمة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى جملة أمور منها:

1. العناية بتفاسير علماء الجزائر ودفع الإشكالات والاعتراضات الموجهة إليها.

2. بيان منهج الثعالبي في تفسيره وأثره في بيان قيمة الكتاب العلمية.

الدراسات السابقة:

وقفت في حدود بحثي على أربع دراسات سابقة لها علاقة وطيدة بموضوع بحثي هي:

1. عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الحق سيف القاضي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير في شعبة التفسير، قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1405هـ/1985م.

2. عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير للدكتور رمضان خلف، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير، شعبة الكتاب والسنة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ونوقشت بتاريخ 7 جويلية 1992م.

(1) قال الدكتور محمد حسين الذهبي: "... ومنه يتضح جليا أن الكتاب مختصر لتفسير ابن عطية مع زيادة نقول نقلها الثعالبي عن سبقه من المفسرين، ومن أجل هذا نستطيع أن نقول: إن الثعالبي في تفسيره هذا ليس له بعد الجمع والترتيب إلا عمل قليل وأثر فكري ضئيل " التفسير والمفسرون 1/179، وقال الدكتور عبد الحق سيف القاضي: "شخصية الثعالبي كانت عبارة عن آراء مشايخه وأقوال السلف الصالح، ولذلك فإن تفسيره كان يفتقر إلى الإبداع الذاتي الخصب" عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 731.

3. تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان جمعا ودراسة للدكتور بلال أودني وهي أطروحة دكتوراه في قسم أصول الدين كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة 1، عام 1441هـ/2020م.

4. ترجيحات الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" جمعا ودراسة، للدكتور خليل الزاوي، وهي أطروحته للدكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن بجامعة الشهيد حمة لخضر، وقد نوقشت بتاريخ 13 جويلية 2022م.

وسأرجئ الكلام عن هذه الدراسات وتقييمها إلى المبحث الثاني فهو الأنسب لذلك.

خطة البحث:

وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مبحثين بعدهما خاتمة، تكلمت في المبحث الأول عن منهج الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان من خلال مطلبين: الأول ترجمت فيه ترجمة مختصرة لابن عطية والثعالبي، والثاني تحدثت فيه عن منهج الثعالبي في كتابه بناء على ما سطره في مقدمة تفسيره، أما المبحث الثاني فقد حاولت فيه بيان أثر طريقة دراسة منهج الثعالبي في تفسيره في بيان قيمته العلمية، وقسمته هو الآخر إلى مطلبين: الأول فيه تقييم لدراسة الدكتور رمضان يخلف، والثاني فيه تقييم لدراسة الدكتور عبد الحق سيف قاضي، ورسالة الدكتور بلال أودني، ورسالة الدكتور خليل الزاوي، ثم خاتمة فيها أهم النتائج. ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد في بيان المراد.

المبحث الأول: منهج الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان":

لكل كاتب منهج في الكتابة والتأليف يختلف باختلاف الكاتب والموضوع والهدف ...، ولذلك كان بيان المنهج أمرا ضروريا في الاستفادة المثلى من الكتاب ومعرفة خصائصه ومميزاته، ولمعرفة منهج المؤلف في كتابه طريقان: الأولى تنصيب المؤلف على منهجه، والثاني استقراء الكتاب ومحاولة استخراج واستنباط منهجه، وكتابتنا "الجواهر الحسان" من النوع الأول الذي نص مؤلفه على منهجه فيه، وسنحاول من خلال هذا المبحث بمطلبية تسليط الضوء على منهج الثعالبي في تفسيره بناء على كلامه الذي سطر فيه منهجه في مقدمة كتابه.

المطلب الأول: ترجمة الإمامين ابن عطية والثعالبي:

وقبل الحديث عن منهج الثعالبي في كتابه "الجواهر الحسان" يحسن بنا التعريف بمؤلف الكتاب وهو الثعالبي، وكذا التعريف بمؤلف أصل الكتاب الذي اختصره الثعالبي وهو ابن عطية، وسنكتفي بذكر نبذة مختصرة عنهما تناسب هذا المقام، وسنبداً بترجمة ابن عطية ثم نردفها بترجمة الثعالبي:

1. ترجمة ابن عطية:

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب الغرناطي الأندلسي.

مولده ونشأته:

ولد رحمه الله تعالى في مدينة غرناطة سنة 481هـ ونشأ في بيت علم وفضل وكرم ونبيل، وكانت هذه الأسرة العلمية وعلى رأسها والده غالب بن عبد الرحمن الفقيه الزاهد سببا رئيسا في إقباله على العلم ونبوغه فيه، إضافة إلى الإشعاع العلمي والحضاري الذي كانت تتميز به الأندلس عموما وغرناطة خصوصا.

رحلته في طلب العلم:

رحل ابن عطية في طلب العلم إلى كثير من المدن في الأندلس ك: قرطبة، إشبيلية، مرسية وبلنسية، أما رحلاته خارج الأندلس فأكثر من ترجم له ذكروا أنه لم يخرج من الأندلس لأن عصره كان عصر حرب وجهاد، بينما ذكر بعض الباحثين أنه خرج مرة إلى المغرب الأقصى إلى مدينة السوس.

شيوخه وتلاميذه:

أخذ ابن عطية العلم عن مشايخ كثير يصعب عددهم وحصرهم من أشهرهم:

1. أبو عبد الله محمد بن فرج القرطبي المعروف بابن الطلاع 497هـ.

2. أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجبالي 498هـ.

3. والده أبو بكر غالب بن عبد الرحمن 518هـ.

أما تلاميذه فجماعة كبيرة أيضا ومن أشهرهم:

1. أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي 575هـ.

2. أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن حبش 584هـ.

3. أبو محمد عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الفرس الغرناطي 599هـ.

مؤلفاته:

لم يشتهر ابن عطية بكثرة الكتابة والتأليف ولذلك لا يعرف له سوى كتابان هما:

1. تفسيره الذي عرف بـ "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

2. فهرس ذكر فيه مروياته وأسماء شيوخه.

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على ابن عطية وعلى علمه وسعة مداركه وسنكتفي بقول الذهبي فيه حيث قال: "كان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية قوي المشاركة ذكيا فطنا مدركا من أوعية العلم".

وفاته:

بعد حياة علمية حافلة انتقل ابن عطية إلى رحمة الله بمدينة الميرية سنة 541هـ وقيل سنة 542هـ وقيل 546هـ⁽¹⁾.

2. ترجمة الثعالبي:

اسمه ونسبه:

(1) تنظر ترجمته في: الصلة لابن بشكوال 367، بغية الملتبس للضبي 389، سير أعلام النبلاء للذهبي 588/19، وتنظر ترجمته بالتفصيل والتحليل في الدراسة التالية: تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان جمعا ودراسة للدكتور بلال أودني 20.

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة، ونسبه ينتهي إلى جعفر بن أبي طالب عم النبي ﷺ.

مولده ونشأته:

ولد الثعالبي سنة 785هـ بوادي يسر على بعد 86 كلم من الجنوب الشرقي للجزائر العاصمة، ونشأ هناك نشأة علم وصلاح بين أحضان أبويه، وتلقى مبادئ العلوم بمدينة الجزائر وضواحيها.

رحلته في طلب العلم:

لم تكن الجزائر العاصمة في عهد الثعالبي حاضرة علمية كبيرة ولذلك لم يمكث فيها طويلا بل رحل في طلب العلم وعمره خمسة عشر سنة، فرحل إلى بجاية وتونس ومصر ومكة وغيرها من البلدان والحواضر العلمية في وقته.

شيوخه وتلاميذه:

لقد كانت رحلة الثعالبي العلمية التي دخل فيها إلى أكبر الحواضر العلمية فرصة للقاء كبار العلماء في عصره والتتلمذ عليهم وسنكتفي في هذه العجالة بذكر بعض كبار شيوخه وهم:

1. أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي 826هـ.
 2. أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالأبي 828هـ.
 3. أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي 844هـ.
- وقد كان لتنوع شيوخ الثعالبي أثر كبير في تكوينه العلمي الثري والمتنوع، وهو ما جعله قبلة للطلبة والعلماء الذين رحلوا إليه وتتلمذوا عليه ومن أبرزهم:
1. محمد بن أحمد بن أبي بكر التلمساني المعروف بابن مرزوق الحفيد 842هـ.
 2. أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي 884هـ.
 3. أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني 899هـ.

مؤلفاته:

ألف الثعالبي كتباً كثيرة ومتنوعة في مختلف العلوم، فلم تقتصر تأليفه على فن واحد بل جمع في مؤلفاته الفقه والحديث والتفسير، ومن أشهر مؤلفاته:

1. الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

2. الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز.

3. غنية الوافد وبغية الطالب الماجد.

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة المتنوعة.

ثناء العلماء عليه:

حظي الثعالبي بثناء كبير من العلماء، فأنشأوا عليه وأثنوا على مؤلفاته، وسنكتفي بذكر قول واحد هو قول تلميذه ابن سلامة البكري الذي قال: "كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً من أكابر العلماء، له تأليف جمّة أعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا بشراء ولا عوض، عاوضه الله بالجنة".

وفاته:

اختلف في تاريخ وفاة الثعالبي كما اختلف في تاريخ وفاة ابن عطية فذكر السخاوي أنه مات سنة 875هـ، وحكى محمد مخلوف الشك بين 875هـ وبين 876هـ⁽¹⁾.

المطلب الثاني: منهج الثعالبي في تفسيره:

أفصح الثعالبي في مقدمة كتابه عن الأصل الذي اعتمد عليه في كتابة تفسيره وعن غرضه منه، كما أنه لم يترك قارئ كتابه في حيرة من أمره بل أبان في مقدمة تفسيره عن المنهج

(1) تنظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي 152/4، نيل الابهج للتنبكي 260، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف 382/1، وتنظر ترجمته بالتفصيل والتحليل في الدراسات التالية: عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير للدكتور رمضان يخلف 24، عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الحق سيف القاضي 71، تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان جمعاً ودراسة للدكتور بلال أودني 49.

الذي اتبعه وسار عليه، وسنذكر كلامه بحروفه ثم نُبيِّنُ منه ما نحتاجه في المبحث الثاني:

قال رحمه الله تعالى: "فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين فقد ضمنت بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمّه من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ومعدود في المحققين، وكلّ من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت وعلى لفظ صاحبه عوّلت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل، وإنما هي عبارات وألفاظ لمن أغزوها إليه".

ثم قال: "وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللّخميّ النحويّ لتفسير الطبري، نقلت لأنه اعتنى بهذيبه...، وكلّ ما في آخره انتهى، فليس هو من كلام ابن عطية، بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره"

ثم قال: "ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الأُمّهات المنقول منها فليصلحه منها، ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر"

ثم قال: "وجعلت علامة التاء لنفسي بدلا من قلت ومن شاء كتبها: قلت، وأمّا العين، فلا بن عطية، وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصّفاقسيّ مختصر أبي حيّان غالبا، وجعلت الصّاد علامة عليه، وربّما نقلت عن غيره معزّوا لمن عنه نقلت، وكلّ ما نقلته عن أبي حيّان، فإنما نقلني له بواسطة الصّفاقسيّ غالبا، قال الصّفاقسيّ: وجعلت علامة ما زدته على أبي حيّان م".

ثم قال: "وما يتفق لي إن أمكن، فعلامته: قلت، وبالجمله فحيث أطلق فالكلام لأبي حيّان، وما نقلته من الأحاديث الصّحاح والحسان عن غير البخاريّ ومسلم وأبي داود والترمذيّ في باب الأذكار والدّعوات فأكثره من النّوويّ و"سلاح المؤمن"، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من "التذكرة" للقرطبي، و"العاقبة" لعبد الحق، وربّما زدت زيادات كثيرة من "مصابيح البغويّ" وغيره كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى كلّ ذلك معزّو لمحالّه"

ثم قال: "وبالجمله فكتابي هذا محشوّ بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة

والحسان المأثورة عن سيّدنا محمد ﷺ....، وسمّيته بـ "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" (1).

ونستفيد من هذه النقول ما يلي:

1. أصل كتاب الثعالبي هو تفسير ابن عطية.
2. الغرض من كتاب الثعالبي هو اختصار تفسير ابن عطية وذكر المهمات التي اشتمل عليها، ثم تجميعه بالفوائد المختلفة والمتنوعة من كتب الأئمة الأعلام.
3. بلغت الكتب والمصادر التي استقى منها الثعالبي مادة كتابه زيادة على ما اختصره من كتاب ابن عطية مئة 100 كتاب.
4. كل هذه المصادر لأئمة ثقات معروفين بالعلم والتحقيق.
5. اعتمد الثعالبي في نقل كلام الأئمة على النقل الحرفي من غير تصرف فيه بالتغيير أو الزيادة أو النقصان أو النقل بالمعنى خوفا من الوقوع في الزلل.
6. نبه إلى ضرورة رجوع من أشكل عليه نقل من النقول التي أودعها كتابه إلى الأمهات التي نقل منها وألا يتصرف فيها بالتصحيح والتغيير من قبل نفسه، وكأنه أراد أن يقول: فإذا رجعت إلى الأمهات ووجدته خطأ فصححه، وإن وجدته صوابا وجدت في الأمهات من الشرح والبيان ما يدفع عنك ذلك الاستشكال أما هذا المختصر فليس محلا للبسطة والشرح.
7. جعل كلمة "انتهى" بعد القول دليلا على أن هذا الكلام المنقول ليس لابن عطية.
8. نبه إلى منهجه في نقل أقوال بعض العلماء، فما انفرد بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله اللخمي، وما نقله عن أبي حيان فمن عند الصفاقسي وكذا الإعراب الذي ينقله عن غير ابن عطية فمن مختصر الصفاقسي.
9. بين أنه إذا أطلق في الكلام فالكلام لأبي حيان.
10. بين أن الأحاديث الصحيحة والحسنة في باب الأذكار والدعوات التي لم يعزها إلى الصحيحين والسنن منقولة من كتب النووي، وأن أحاديث الترغيب والترهيب أغلبها منقول

(1) ينظر: الجواهر الحسان 1/117-120.

من كتاب التذكرة للقرطبي، وكتاب العاقبة لعبد الحق وبعضها من مصابيح السنة للبغوي.
11. بين أن كل النقول في كتابه معزوة إلى أصحابها، وما كان من خالص كلامه فإنه يميزه بحرف التاء ت، أو بقلت، ولأن كلام ابن عطية كثير في كتابه فقد ميزه هو الآخر بحرف العين ع.

12. وصف كتابه بأنه كتاب محشو بنفائس الحكم وصحيح الآثار والسنن.

13. بين للقارئ اسم كتابه وأنه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن".

من خلال عرض النقاط السابقة التي استفدناها من مقدمة الثعالبي يتبين أن للثعالبي منهجا واضحا محددا ومضبوطا، وبالتالي فإن دراسة منهجه لا تعتمد على الوصف المجرد لما وجد في كتابه فقط، بل لا بد أن تنطلق وتبنى على النقاط السابقة، لأن الكتاب له خصوصية الاختصار والإكثار من النقول، ولذلك يمكن تسليط الضوء على أبرز الأمور التي يحسن بالباحث دراستها في منهجه وهي كالتالي:

1. إجراء مقارنة دقيقة بين تفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي لمعرفة منهجه في الاختصار هل يختصر بالمعنى أم ينقل الكلام بحروفه ويحذف منه...، وأيضا معرفة المهمات التي سعى الثعالبي إلى إبرازها ومعرفة ما دون ذلك من الأمور التي سعى إلى حذفها من تفسير ابن عطية.
2. إحصاء المصادر المئة التي نقل منها الثعالبي ومقارنة ما نقله منها بما هو موجود فيها لمعرفة مدى التزامه بما شرطه على نفسه من نقل الكلام بحروفه.
3. إحصاء الزيادات التي زادها الثعالبي من قبل نفسه ودراستها لمعرفة الجوانب التي أضافها وبالتالي الوقوف على الشخصية العلمية له.
4. دراسة النقول التي نقلها الثعالبي وبيان منهجه في ترتيبها والاستدلال بها أو تعقيها...
5. دراسة الأحاديث التي نقلها من غير الصحيحين ومعرفة درجتها وهل التزم فيها الصحة والحسن كما شرط على نفسه.

ويمكن للباحث في هذا الكتاب أن يبرز جوانب أخرى غير التي تقدم بيانها، والقصد من كل هذا هو دراسة منهج الثعالبي دراسة صحيحة تبرز لنا قيمة الكتاب وشخصية المؤلف

وجهد فيه، أما الدراسة الوصفية المحضة فلا تبرز لنا هذا الجانب، إضافة إلى أنها تفتح باب الاعتراض والانتقاص من قيمة الكتاب والمؤلف، وسأحاول بيان هذه النقطة في المبحث الثاني بإذن الله.

المبحث الثاني: طريقة دراسة منهج الثعالبي وأثرها في بيان قيمة الكتاب وشخصية المؤلف:

تقدم في المبحث الأول بيان منهج الثعالبي من خلال كلامه، وكذا بيان الجوانب التي تحتاج إلى دراسة في منهجه، وذكرنا هناك أن الدراسة الوصفية المحضة تفتح باب الاعتراض والانتقاص من قيمة الكتاب وهذا ما سنثبته تطبيقيا من خلال تقييم الدراسات التي تقدمت الإشارة إليها في المقدمة، كل ذلك من خلل المطالبين التاليين:

المطلب الأول: دراسة منهج الثعالبي عند الدكتور رمضان يخلف:

قام الدكتور رمضان يخلف بدراسة منهج الثعالبي في رسالته للماجستير واعتمد على المنهج الوصفي في غالب رسالته كما صرح هو نفسه بذلك حيث قال في المقدمة عند ذكر أهداف البحث: "... وثانيتها: دراسة وصفية لمنهجه في التفسير من خلال كتابه الجواهر الحسان"⁽¹⁾، وبالفعل فقد كانت دراسته لمنهجه دراسة وصفية في الغالب، وقد كانت لهذه الدراسة بعض الآثار التي نستخلصها من خلال الأمثلة التالية:

المثال 1:

قال الدكتور رمضان يخلف في العنوان الذي ضَمَّنَه منهج تفسير القرآن بالقرآن عند الثعالبي: "اعتمد الثعالبي تفسير القرآن بالقرآن وقدمه على غيره ومن الأمثلة على ذلك:

في تفسير قوله تعالى ﴿عَنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7] نقل عن ابن عباس وابن مسعود أن المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى، ثم قال: "وذلك بين من كتاب الله تعالى لأن ذَكَرَ غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله تعالى ﴿وَبَاءُ وَ يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ [آل

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير الصفحة ب من المقدمة.

عمران 112]، وقوله: ﴿هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة 60]، والنصارى كان مُحَقِّقُوهم على شريعة قبل ورود شرعة محمد ﷺ فلما ورد ضلوا، وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة 77].

ثم قال الدكتور: "وفي تفسير قوله تعالى ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47]، أورد في تفضيل بني إسرائيل عدة أقوال ثم رجح الرأي القائل بتفضيلهم على عالم زمانهم مستدلا بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]"⁽¹⁾.

مناقشة النقلين السابقين:

لو نظرنا إلى المثالين الذين ذكرهما الدكتور رمضان يخلف لوجدناهما ينطبقان على مضمون العنوان الذي ذكرهما فيه وهو تفسير القرآن بالقرآن، لكن عند النظر في تفسير ابن عطية لهذين الموضوعين ومقارنته بكلام الثعالبي في تفسيره وجدنا التالي:

في الموضوع الأول قال ابن عطية: "وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَالضَّالُّونَ النَّصَارَى. وهكذا قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد، وروى ذلك عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ، وذلك بَيِّنٌ من كتاب الله تعالى، لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61، آل عمران: 112]، وكقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 53.

[المائدة: 60] فهؤلاء اليهود، بدلالة قوله تعالى بعده: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ

فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65] والغضب عليهم هو من الله تعالى، وغضب الله تعالى عبارة عن إظهاره عليهم محناً وعقوبات وذلة ونحو ذلك، مما يدل على أنه قد أبعدهم عن رحمته بعدا مؤكدا مبالغا فيه، والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد ﷺ، فلما ورد ضلوا، وأما غير محققهم فضلالهم متقرر منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام. وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]⁽¹⁾.

ووجدنا مثل هذا الكلام عند الثعالبي الذي قال: "والمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ: اليهود، والضالون: النصارى قاله ابن مسعود، وابن عباس، مجاهد، والسُّدِّيُّ، وابن زيد وروى ذلك عدي بن حاتم عن النبي ﷺ، وذلك بين من كتاب الله لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 112] وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: 60] وغضب الله تعالى، عبارة عن إظهاره عليهم محناً وعقوبات وذلة، ونحو ذلك مما يدل على أنه قد أبعدهم عن رحمته بعداً مؤكداً مبالغاً فيه، والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد ﷺ، فلما ورد، ضلوا، وأما غير متحققهم، فضلالهم متقررة منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]⁽²⁾.

وفي الموضع الثاني قال ابن عطية: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

(1) المحرر الوجيز 77/1.

(2) الجواهر الحسان 169/1.

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضاً فإن فيه تقوية التوقيف وتأكيد الحز على ذكر أيادي الله وحسن خطابهم بقوله: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لأن تفضيل آبائهم وأسلافهم تفضيل لهم، وفي الكلام اتساع، قال قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم: المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المتكررة والمملك، لأن الله تعالى يقول لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (١).

وهنا أيضاً وجدنا الثعالبي يقول: "يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" قوله تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ... الآية: قد تكرر هذا النداء والتذكير بالنعمة، وفائدة ذلك أن الخطاب الأول يصح أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين بدلالة ما بعده وأيضاً: فإن فيه تقوية التوقيف، وتأكيد الحز على أيادي الله سبحانه، وحسن خطابهم بقوله سبحانه: فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ لأن تفضيل آبائهم وأسلافهم تفضيل لهم، وفي الكلام اتساع، قال قتادة وغيره: المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المتكررة، لأن الله تعالى يقول لأمة محمد ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] (٢).

وبعد المقارنة بين كلام ابن عطية وكلام الثعالبي وجدناهما شبه متطابقين، فهل يصح بعد هذا أن نقول: إن من منهج الثعالبي تفسير القرآن بالقرآن -وهذا لا نشك فيه- ثم نعتد على هذين المثالين -وأشباههما كثير- لنوصل بهما منهج الثعالبي في تفسير القرآن بالقرآن مع

(1) المحرر الوجيز 138/1.

(2) الجواهر الحسان 233/1.

أنهما نقل حرفي لكلام ابن عطية، بمعنى أن الثعالبي لم يقل ذلك الكلام من قبل نفسه. وهذا الأمر يفتح باب الاعتراض على الثعالبي والقول بأنه مجرد ناسخ لكلام ابن عطية. ثم إن قول الدكتور رمضان يخلف في الموضوع الثاني إن الثعالبي: "أورد في تفضيل بني إسرائيل عدة أقوال ثم رجح الرأي القائل بتفضيلهم على عالم زمانهم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾"⁽¹⁾، ليس كذلك، فالثعالبي لم يرجح هذا القول من قبل نفسه وإنما نقل ترجيح ابن عطية، وهذا المثل يجعل القارئ يقول إن الثعالبي مجرد مقلد لابن عطية ينقل كلامه ويتبنى ترجيحاته.

بينما كان يمكن بيان ترجيح الثعالبي لقول معين اعتماداً على القرآن الكريم بمثل آخر قاله الثعالبي من قبل نفسه، ومثال ذلك تعقبه لابن عطية الذي نقل الخلاف في موت موسى وهارون هل هو في التيه أو لا؟ فذكر قول الجمهور أنه في التيه ثم أردفه بقول الزجاج أنهما لم يكونا في التيه، ثم رجح قول الجمهور⁽²⁾، فتعقبه الثعالبي بقوله: "لكن ظاهر قوله ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة: [25] يقوي ما حكاه الزجاج"⁽³⁾، وهذا المثل يبين منهج الثعالبي في تفسير القرآن بالقرآن، ويبين منهجه في الترجيح بين الأقوال اعتماداً على القرآن، ويدفع عنه الاعتراض الموجه للمثال السابق.

المثال 2:

وقال الدكتور رمضان في العنوان الذي ضمنه منهج الثعالبي في تفسير القرآن بالسنة: "اعتمد الثعالبي السنة النبوية كمصدر في تفسير القرآن وقد ساعده على ذلك إلمامه وطول باعه في علوم الحديث، ويستطيع الباحث أن يعرف مدى تمكن الثعالبي من السنة من خلال تلك المادة الغزيرة من الأحاديث النبوية التي ضمنها تفسيره.... ولذا كان الثعالبي وقافاً

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 53.

(2) ينظر: المحرر الوجيز 1/149.

(3) الجواهر الحسان 1/247.

عند نصوص السنة التي تفصل مجمل القرآن ولا يتعدها إلى غيرها إلا إذا كانت موافقة لها فإن خالفت السنة طرحها ولم يلتفت إليها، وهذا واضح في النماذج التالية:

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا

أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة 107]، قال الثعالبي: قال أبو ثعلبة الخشني: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: «اتتمروا بالمعروف وانهاؤا عني المنكر، فإذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحاً مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذروا عوامهم فإن وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم»، ثم يقول الثعالبي إثر هذا الحديث: وهذا التأويل الذي لا نظر لأحد معه لأنه مستوفٍ للصالح صادرٌ عن النبي عليه السلام⁽¹⁾.

مناقشة النقل السابق:

ولو نظرنا إلى هذا المثال أيضاً لوجدناه ينطبق على مضمون العنوان الذي ذكره فيه وهو تفسير القرآن بالسنة، لكن عند النظر في تفسير ابن عطية لهذا الموضع ومقارنته بكلام الثعالبي في تفسيره وجدنا التالي:

قال ابن عطية: " قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن

ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾، اختلف الناس في تأويل هذه الآية، فقال أبو أمية الشعباني سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية، فقال لقد سألت عنها خيرا. سألت عنها رسول الله ﷺ فقال، اتتمروا بالمعروف وانهاؤا عني المنكر، فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك، وذروا عوامهم فإن وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منك" قال القاضي أبو محمد: وهذا التأويل الذي لا نظر لأحد معه لأنه مستوفٍ للصالح صادر عن النبي عليه السلام⁽²⁾.

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 54.

(2) المحرر الوجيز 2/249.

وقال الثعالبي: "وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن

ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ الآية، قال أبو ثعلبة الخشني: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: "اتَّمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَشَحًّا مُطَاعًا، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوصِصَةِ نَفْسِكَ وَذَرِّ عَوَامَهُمْ فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامًا أَجْرُ الْعَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ"، وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا نَظَرَ لِأَحَدٍ مَعَهُ لِأَنَّهُ مُسْتَوْفٍ لِلصَّلَاحِ صَادِرٌ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ"⁽¹⁾.

بعد المقارنة بين كلام ابن عطية وكلام الثعالبي في هذا الموضوع أيضا وجدناهما شبه متطابقين، فهل يصح أن نقول إن من منهج الثعالبي تفسير القرآن بالسنة - وهذا لا نشك فيه أيضا - ثم نعتمد على هذا المثال لنوصل به منهج الثعالبي في تفسير القرآن بالسنة مع أنه نَقْلٌ حَرْفِيٌّ لكلام ابن عطية؟

وهذا الأمر يؤكد الاعتراض الأول، ويفتح باب الانتقاص من المؤلف وأنه ليست له شخصية علمية بارزة بل هو مجرد ناقل لأقوال غيره، وفي المقابل كان من الممكن نقل أمثلة أخرى فسر فيها الثعالبي آية أو رجح معنى مختلفا فيه اعتمادا على حديث، وهذا النوع موجود في كتابه ونبه إليه الدكتور بلال أودني في رسالته⁽²⁾.

ولو أردنا أن نلتمس العذر للدكتور رمضان يخلف بأنه ربما لم يطلع على كتاب ابن عطية أو أن الكتاب لم يطبع في وقته أو لم يقف عليه مخطوطا ولذلك لم يَتَسَنَّ له المقارنة بينه وبين تفسير الثعالبي فوقع فيما انتقدناه فيه لما أمكننا ذلك، لأنه وقف عليه مطبوعا كما يظهر ذلك من خلال فهرس المصادر والمراجع، المرجع 63، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة، المغرب، ط2، 1982م⁽³⁾.

خلاصة:

(1) الجواهر الحسان 430/2.

(2) ينظر: تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان 108.

(3) تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان 210.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الدراسة الوصفية المحضنة لمنهج الثعالبي في تفسيره دون مراعاة لما تقدم تقريره في منهج الثعالبي من ضرورة مراعاة خصوصية الكتاب ووجوب المقارنة بينه وبين تفسير ابن عطية لتمييز زياداته وإضافاته، تبين أن لها أثارا سلبية في بيان قيمة الكتاب وشخصية المؤلف، والله أعلم.

وأنبه في الأخير إلى أنني لم أستقرأ رسالة الدكتور رمضان يخلف كاملة، ولذلك لا أزمع أن جميع الأمثلة التي ذكرها ينطبق عليها ذلك الحكم، بل أقول إنني وقفت على أمثلة بنى عليها الدكتور منهج الثعالبي وهي من إضافات الثعالبي، ولذلك فإن الهدف من الأمثلة السابقة هو التمثيل لا الحكم على رسالة الدكتور رمضان يخلف حفظه الله.

إشكال وجوابه:

قد يقال إن المؤلف لما نقل كلام غيره في كتابه فإنه يقرره ويتبناه، وبالتالي تصح نسبته إليه وتصح دراسة منهجه بناء عليه، والجواب عن هذا الإشكال .من وجهة نظري .كالتالي:

هناك فرق بين صحة نسبة معنى الكلام ومضمونه إلى الناقل، وبين جعل الكلام الذي نقله أصلا نعتمه في دراسة منهجه، أو بعبارة أخرى:

نقل الكلام وعدم تعقبه والرد عليه دليل على تبنيه، وبالتالي يمكننا القول إن فلانا الناقل يقول بذلك القول الذي نقله وإن لم يقله من قبل نفسه.

وأما من نقل كلاما عن غيره وضمه كتابه وكان هذا الكلام متميزا بطريقة معينة في الترتيب والتدليل والشرح والتمثيل...، فإننا نقول إن هذا الناقل قد ارتضى منهج فلان الذي نقل عنه قوله، ولا نقول إن من منهج هذا الناقل تَمَيُّزُهُ بطريقة في الترتيب والتدليل والشرح والتمثيل...، لأنه لم يقل ذلك الكلام ولم يكتبه من قبل نفسه، وإذا تقرر هذا عُلِمَ الفرق بين صحة نسبة الكلام إلى الناقل دون المنهج، والله أعلم.

المطلب الثاني: دراسة منهج الثعالبي عند الدكاترة: عبد الحق سيف القاضي، بلال أودني وخليل الزاوي:

وقد جمعنا الكلام على الرسائل الثلاث معا في هذا المطلب من أجل تحقيق التوازن في

خطة البحث، وأيضاً لاشتراك الرسائل الثلاث في بعض الأمور التي ستبين بعد قليل، وسنبداً بالكلام على رسالة الدكتور عبد الحق سيف القاضي وتقييمها باختصار ثم بعد ذلك رسالة الدكتور بلال أودني والدكتور خليل الزاوي:

1. عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير للدكتور عبد الحق سيف القاضي: وهي رسالة مشابهة لرسالة الدكتور رمضان يخلف في العنوان لكنها مختلفة عنها في الحجم جاءت في 790 صفحة، بينما جاءت رسالة الدكتور رمضان يخلف في حوالي 220 صفحة، ومختلفة عنها أيضاً في التوسع والاستيعاب، ولا أزعـم أنني تتبعت الرسالة من أولها إلى آخرها لأحكم عليها حكماً دقيقاً كما لا أزعـم ذلك في رسالة الدكتور رمضان يخلف، إلا أنني سأحاول تسجيل الملاحظات على المنهج العام المتبع في طريقة الدراسة والتمثيل له ثم بيان أثره في بيان قيمة الكتاب وشخصية المؤلف، ومن الملاحظات التي سجلتها على هذه الرسالة ما يلي:

1. من أراد أن يأخذ نظرة عامة شاملة على هذه الرسالة فليقرأ خاتمتها، لأن الباحث لم يفرد لها للنتائج فقط بل ذكر فيها كل أبواب الرسالة وفصولها وما استنبطه من كل باب وفصل، ولذلك فهي ملخص ممتاز للرسالة.

2. أدرك الدكتور خصوصية تفسير الثعالبي ولذلك لم يدرسه دراسة وصفية خالصة، بل أخضع هذا التفسير للمقارنة مع تفسير ابن عطية، يقول الباحث في خاتمة بحثه: "أما الفصل الثالث من هذا الباب فقد عقدته للكلام عن موقف الثعالبي من تفسير ابن عطية وتوصلت إلى أن الثعالبي كان معجباً بتفسير ابن عطية أيما إعجاب فقد كان كثيراً ما يعرض آراءه مكتفياً بذلك العرض مسلماً لما تحتويه تلك الآراء...، ثم انتقلت للحديث عن ملاحظات الثعالبي على ابن عطية، وهي ملاحظات مهمة لا بد منها لإظهار شخصية الثعالبي وإبرازها، ومن هناك ظهر لي كما سيظهر للقارئ أن الثعالبي لم يكن مقلداً لابن عطية يجري وراءه في كل ما يقول، بل له صولات وجولات معه، وقد تنوعت تلك الملاحظات بتنوع الموضوعات، وبناء على ذلك جمعت تلك الملاحظات والتعقيبات في ست مسائل رئيسية: أن الثعالبي فاق ابن عطية في مجال الحديث..."⁽¹⁾.

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 721.

3. أدرك الباحث قيمة المصادر التي نقل منها الثعالبي ولذلك عقد فصلا لإحصائها ودراستها قال عنه في الخاتمة: "وفي الفصل الرابع والأخير من هذا الباب تكلمت عن مصادر الثعالبي الأخرى غير تفسير ابن عطية، وهذا الفصل يعد من أضخم الفصول في هذه الرسالة بل أكبرها على الإطلاق لأن الثعالبي جمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتزم عزو الأقوال إلى أصحابها خوف الوقوع في الزلل وهي أمانة علمية اشترط على نفسه الوفاء بها فأوفى بها، وضمن تفسيره نحواً من مئة مرجع فكان لزاماً عليّ أن أتبع هذه المراجع وأن أحاول إحصاءها... وأن أعرض لطريقة إفادة الثعالبي منها... وتوصلت إلى أن تفسيره قد شمل قدراً كبيراً من النقول والمختلفة والفنون المتعددة..."⁽¹⁾.

4. رغم إدراك الباحث لهذه الأمور المهمة في منهج الثعالبي ولغيرها إلا أنه - في وجهة نظري - لم تكن له رؤية واضحة في الربط بين منهج الثعالبي وبين قيمة الكتاب العلمية وشخصية المؤلف، ولذلك نجده يقول في آخر الخاتمة: "شخصية الثعالبي كانت عبارة عن آراء مشايخه وأقوال السلف الصالح، ولذلك فإن تفسيره كان يفتقر إلى الإبداع الذاتي الخصب"⁽²⁾، ثم يقول بعد ذلك: "ولكن بالرغم من افتقار تفسيره إلى الإبداع الشخصي إلا أن جهوده لا تنكر وسعة علمه واطلاعه على ما يربو على مئة تأليف وتضمن ذلك كتابه الجواهر هذا لا شك يخفف من مأخذنا عليه"⁽³⁾، فتارة يذكر - كما تقدم النقل عنه - أن للثعالبي شخصية بارزة من خلال تعقباته لابن عطية، وأنه أوفى بما اشترطه على نفسه من النقل الحرفي للأقوال والتزامه بالأمانة العلمية...، ثم بعد ذلك يحكم عليه بأن شخصيته تفتقر للإبداع وأن كتابه عبارة عن آراء مشايخه وأقوال السلف الصالح، وهذا في الحقيقة اضطراب من الباحث في الحكم على الثعالبي وعلى تفسيره، والله أعلم.

2. تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان جمعا ودراسة للدكتور بلال أودني: وانطلق الباحث في هذه الرسالة من إشكالية مشابهة لإشكالية هذا البحث فقال في المقدمة: "يشاع عن تفسير 'الجواهر الحسان' للثعالبي أنه مجرد اختصار وتهذيب

(1) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 722.

(2) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 731.

(3) عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير 731.

"للمحرر الوحيد" ليس له فيه أي إضافة أو أثر...، وتأتي هذه الدراسة لتطرح إشكالية رئيسة هي: ما أهمية تعقبات الثعالبي على ابن عطية، وإلى أي مدى وفق في تلك التعقبات؟⁽¹⁾، والملاحظ على الباحث أنه تناول بالدراسة نوعا واحدا من الإضافات التي أضافها الثعالبي وهي تعقباته على ابن عطية، ومع ذلك فقد توصل إلى معالم منهجية كثيرة في التعقب والنقد عند الثعالبي أفردتها بمبحث مستقل سماه "منهج الثعالبي في تعقباته على ابن عطية"⁽²⁾، ذكر فيه عشرة 10 نقاط منهجية في صيغ التعقبات عند الثعالبي، ثم بين أن الثعالبي يعتمد في بيان صحة تعقبه على أمرين: الأول الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والثاني الاستشهاد بأقوال غيره، ثم بين أنواع العلوم التي تعقب فيها الثعالبي ابن عطية وهي: العقيدة، علوم القرآن، التفسير، الفقه، اللغة والنحو، الحديث، السيرة، قصص الأنبياء.

والحقيقة أن دراسة الدكتور بلال أودني لمنهج الثعالبي في جانب واحد من إضافاته على تفسير ابن عطية وهو تعقباته له، أوضحت الكثير من الجوانب التي يمكننا أن نستدل بها على قيمة هذا الكتاب وشخصية مؤلفه، والتي سنجملها في النقاط التالية:

1. رغم كون تفسير الثعالبي اختصارا لتفسير ابن عطية إلا أنه أكثر فيه من المناقشات والتعقبات وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة شخصية الثعالبي العلمية.

2. وقوف الباحث على عشرة 10 معالم منهجية في صيغ التعقب عند الثعالبي دليل على وجود منهج نقدي بارز عند الثعالبي، وبالتالي فهي دليل على الإبداع الشخصي للثعالبي في هذا الكتاب.

3. تنوع العلوم التي تعقب فيها الثعالبي ابن عطية دليل على موسوعيته وإطلاعه وتفننه في مختلف العلوم، ودليل أيضا على تنوع المادة العلمية التي تعكس القيمة الكبيرة للكتاب.

4. بروز القيم الأخلاقية والتربوية في تعقبات الثعالبي، يقول الدكتور بلال أودني: "التزم

(1) تعقبات الثعالبي على ابن عطية الصفحة ج من المقدمة.

(2) ينظر: تعقبات الثعالبي على ابن عطية 95.

الثعالبي بأدب جم أثناء الانتقاد مما يعكس شخصيته المعروفة بالزهد والورع⁽¹⁾.

ومن طالع رسالة الدكتور بلال أودني اتضحت له معالم منهجية أخرى غير التي ذكرنا، والشاهد من كل هذا أن طريقة دراسة منهج الثعالبي التي سلكها الباحث والتي اهتمت بدراسة جانب واحد من إضافات الثعالبي على ابن عطية، أبرزت لنا بوضوح وجلاء القيمة العلمية الكبيرة للكتاب وكذا الشخصية العلمية البارزة للمؤلف، ولو دُرست جميع إضافات الثعالبي على ابن عطية بنفس هذا المنهج لرأينا مزيدا من الأدلة التي تثبت ذلك، والله أعلم.

3. ترجيحات الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" جمعا ودراسة، للدكتور خليل الزاوي: وهي رسالة تشبه إلى حد كبير رسالة الدكتور بلال أودني، حيث حاول الباحث في هذه الرسالة الجواب عن إشكالية مهمة هي: هل اقتصر الثعالبي في تفسيره على التلخيص من تفسير ابن عطية ونقل أقوال غيره من العلماء؟ أم كانت له بصمة في فن التفسير من خلال تمحيصه لهذه الأقوال وبيان راجحها من مرجوحها وصحيحها من سقيمها؟ وقد تمكن الباحث في نهاية دراسته من الإجابة عن هذه الإشكالية حيث توصل إلى جملة من النتائج أهمها:

1. وجود ترجيحات كثيرة في تفسيره بلغت 107 ترجيحا.

2. لم يكن الثعالبي في هذه الترجيحات مجرد ناقل للكلام، بل كانت له شخصية قوية حاضرة في المناقشة والاعتراض...

3. كما تمكن الباحث من بيان وجوه الترجيح التي استند إليها الثعالبي في ترجيحاته.

إلى غير ذلك من النتائج الكثيرة والمهمة، والتي يقال فيها ما قيل في النتائج التي توصل إليها الدكتور بلال أودني، ولذلك فإن منهج الدراسة الذي اختاره الدكتور بلال أودني و خليل الزاوي كان موفقا، وكان له أثر واضح وجلي في بيان قيمة تفسير الثعالبي، والله أعلم.

خاتمة:

(1) تعقبات الثعالبي على ابن عطية 407.

بعد هذا العرض المختصر لمنهج الثعالبي وتقييم بعض الدراسات التي تناولت منهجه يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

1. أبان الثعالبي في مقدمة كتابه عن منهجه العام، ولذلك فإن أي محاولة لدراسة منهجه لا تعتمد على تلك الأسس التي قررها ستكون دراسة يشوبها النقص والخلل.

2. هناك علاقة وطيدة بين طريقة دراسة منهج المؤلف وبين إبراز قيمة الكتاب وشخصية المؤلف، فاتباع الطريقة الصحيحة في دراسة المنهج له أثر إيجابي في بيان قيمة الكتاب وشخصية المؤلف، والعكس بالعكس.

3. دراسة منهج الثعالبي في تفسيره دراسة صحيحة لا تكون إلا بعد المقارنة الدقيقة بينه وبين تفسير ابن عطية، لأن الثعالبي ينقل في أحيان كثيرة كلام ابن عطية بحروفه، وبالتالي فإن الدراسة الوصفية المحضة لما هو مثبت في كتاب الثعالبي لا تستقيم ولا تصلح، بل إنها تفتح باب الاعتراض عليه والانتقاص منه.

4. تبين من خلال هذا البحث أن تفسير الثعالبي تفسير له قيمة علمية كبيرة وأن الثعالبي امتاز فيه بشخصية علمية بارزة، وكل من زعم خلاف ذلك فقد جانب الصواب، وكان سبب هذا الخلل في الحكم دراسة منهجه دراسة خاطئة.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد الضبي، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1967هـ.

تعقبات الثعالبي على ابن عطية من خلال الجواهر الحسان جمعاً ودراسة للدكتور بلال أودني وهي أطروحة دكتوراه في قسم أصول الدين كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة 1 عام 1441هـ/2020م.

التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، 1424هـ/2004م.

- ترجيحات الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" جمعا ودراسة، خليل الزاوي، وهي أطروحته للدكتوراه تخصص التفسير وعلوم القرآن بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، وقد نوقشت بتاريخ 13 جويلية 2022م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ/1985م.
- شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1424 هـ/2003م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، تحقيق: عزت الحسني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1374 هـ/1955م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، رمضان يخلف، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير، شعبة الكتاب والسنة بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، نوقش بتاريخ 7 جويلية 1992م.
- عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير، عبد الحق سيف القاضي، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير في شعبة التفسير، قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1405 هـ/1985م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكتي، دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، 2000م.

منهج ابن باديس التفسيري في مجالس التذكير: مقارنة تحليلية

د.بن دادش محمد

جامعة مصطفى اسطنبولي - معسكر-

الملخص:

يُعالج هذا البحث منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم، من خلال تحليل دروسه المنشورة في مجلة البصائر والمجموعة في كتاب "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ويهدف إلى إبراز معالم منهجه التفسيري، مركّزاً على أبعاده الإصلاحية والتربوية واللغوية، في ظل الواقع الديني والاجتماعي للجزائر تحت الاحتلال الفرنسي. وقد اعتمد ابن باديس أسلوباً يجمع بين التفسير الموضوعي والجزئي، رابطاً النص القرآني بقضايا الأمة، ومبرّزاً العقيدة الصحيحة، ومحذراً من البدع، مع توظيف أسلوب بلاغي يتسم بالوضوح والتدرج وخدمة المقاصد الاجتماعية، وتنطلق الدراسة من إشكالية محورية مفادها: ما المنهج الذي اعتمده ابن باديس في تفسيره؟ وما أبرز الخصائص والمقاصد التي ميزت تفسيره في سياقه الدعوي؟ وقد استندت إلى المنهج الوصفي التحليلي، مدعوماً بالاستقراء. وتخلص إلى أن تفسير ابن باديس ليس مجرد عمل تفسيري، بل مشروع نهضوي يسعى لتحرير الوعي وبناء الشخصية الإسلامية الجزائرية في مواجهة الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: التفسير، المنهج، الأسلوب، الخصائص، عبد الحميد بن باديس.

Abstract :

This study explores the interpretative methodology of Sheikh Abdelhamid Ben Badis in his exegesis of the Qur'an, through an analytical examination of his lessons published in *Al-Basa'ir* journal and later compiled in the book *Majalis al-Tadhkir min Kalam al-Hakim al-Khabir*. The research aims to highlight the defining features of his exegetical approach, with particular emphasis on its reformist, educational, and linguistic dimensions, set against the religious and social context of Algeria under French colonial rule. Ben Badis adopted a method that combined thematic and analytical tafsir, connecting the Qur'anic text to the pressing concerns of the Muslim ummah,

emphasizing sound creed, warning against innovations, and employing a rhetorical style marked by clarity, gradation, and a focus on social objectives. The study is guided by a central research question: What interpretative methodology did Ben Badis employ in his tafsir, and what are the key features and aims that characterized his exegetical work within his da'wah context? Methodologically, the study adopts a descriptive-analytical approach supported by inductive analysis. It concludes that Ben Badis's tafsir was not merely an exegetical effort but a revivalist project aimed at raising awareness and shaping the Islamic Algerian identity in the face of colonialism.

Keywords: Tafsir, methodology, style, features, Abdelhamid Ben Badis.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ يُعدّ التفسير من أعظم العلوم الشرعية التي تخدم القرآن الكريم وتكشف عن معانيه ومقاصده، وقد تعددت مناهج المفسرين وتنوعت اتجاهاتهم عبر العصور، كلّ بحسب عصره وظروفه وغاياته. ومن بين أعلام العصر الحديث الذين خدموا كتاب الله تعالى بتفسير عميق وهادف، برز الشيخ عبد الحميد بن باديس 1889م - 1940م، رائد النهضة الإسلامية والإصلاح التربوي والديني في الجزائر. جاء تفسير ابن باديس في سياق استثنائي، تميّز بالهيمنة الاستعمارية على الجزائر ومحاولة طمس الهوية الإسلامية والعربية لشعبها، فجعل من التفسير أداة للتنوير والإصلاح، وسبيلاً لمقاومة الجهل والانحراف، وبناء شخصية مسلمة مستقلة في فكرها وسلوكها. وقد جمع في تفسيره بين وضوح العبارة، وعمق الفكرة، واستحضار الواقع، وربط النص القرآني بحياة الناس وقضاياهم. وقد قدّم دروس التفسير في حلقاته التعليمية، ونشرها لاحقاً في مجلة البصائر، قبل أن تُجمع في كتابه المشهور "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، الذي يشكل اليوم مصدراً مهماً لفهم فكر ابن باديس ومنهجه في التعامل مع القرآن الكريم. من هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج ابن باديس التفسيري، واستجلاء أبرز خصائصه وأبعاده الإصلاحية، من خلال تحليل نماذج مختارة من تفسيره، وبيان مدى تميّز طرحه مقارنة

بالمناهج التقليدية في التفسير مستندا إلى المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي. وعليه فالدراسة تنطلق عن إشكالية مفادها: ما المنهج الذي اعتمده ابن باديس في تفسيره؟ وما أبرز الخصائص والمقاصد التي ميزت تفسيره في سياقه الدعوي؟ تتفرع عنها جملة من التساؤلات يمكن صياغتها كالآتي:

- ما ملامح شخصية ابن باديس، وما السياق الديني والاجتماعي الذي أفرز مشروعه التفسيري؟
- ما طبيعة المنهج التفسيري الذي سلكه وما الخصائص البلاغية والأسلوبية التي تميز بها؟
- كيف ربط ابن باديس بين النص القرآني وواقع المجتمع الجزائري آنذاك وكيف وظّف التفسير لخدمة مشروعه الإصلاح والتربوي؟

لمحة عن حياة الشيخ ابن باديس

هو الإمام العلامة عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس 1889م - 1940م من أبرز أعلام الإصلاح الفكري والديني في الجزائر خلال القرن العشرين. ينتمي إلى أسرة عريقة تعود بنسبها إلى المعز بن باديس الصنهاجي، مؤسس الدولة الصنهاجية التي حكمت القيروان بعد الأغالة والفاطميين. وُلد بمدينة قسنطينة، ونشأ في بيئة علمية محافظة، حيث تلقى مبادئ العلوم على يد والده وبعض علماء المدينة، ثم التحق بجامعة الزيتونة في تونس، حيث نال تعليماً رصيناً في علوم الشريعة واللغة العربية، وتخرّج سنة 1908م. بعد عودته إلى الجزائر، انخرط في الحركة الوطنية، وجعل من العلم والدعوة والتربية منطلقات أساسية في مشروعه الإصلاح. سافر إلى المشرق، وزار الحجاز ومصر، حيث تعرّف على رموز النهضة والإصلاح، ما عزّز قناعته بأهمية مقاومة الجهل والاستعمار من خلال بعث الوعي الديني واللغوي في المجتمع الجزائري. اشتغل بالتعليم الديني في الجامع الأخضر، وكرّس جهده لنشر التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، إلى جانب العمل الإعلامي من خلال الصحافة.

أسهم في تأسيس العديد من الصحف مثل النجاح، المنتقد، الشهاب، السنة المحمدية،

الصراط والشرعية، واتخذ منها منابر للدعوة إلى الإصلاح ومحاربة الاستعمار الثقافي والسياسي. وكان يؤكد في كتاباته وخطبه على أولوية الدفاع عن الوطن، وتحرير القضاء الإسلامي من هيمنة القضاء الفرنسي، وتثبيت الهوية العربية الإسلامية في وجه سياسة التغريب. وفي سنة 1931م، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانتُخب رئيساً لها، فكانت واجهة للنضال الفكري والتربوي، إذ نشطت التعليم الحر، وأسست المدارس، وجابت مختلف أنحاء الوطن. واصل ابن باديس دروس التفسير لعشر سنوات في الجامع الأخضر، حيث اختتم تفسيره سنة 1938م بحفل كبير حضرته وفود من جميع أنحاء الجزائر. وقد تخرج على يديه نخبة من العلماء والأدباء والمصلحين، الذين حملوا مشعل النهضة الجزائرية الحديثة. توفي رحمه الله في 16 أبريل 1940م بقسنطينة، وترك أثراً بالغاً في الوعي الديني والوطني للجزائريين، ما جعله أحد الرموز المؤسسة للهوية الجزائرية الحديثة.⁽¹⁾

السياق الديني والاجتماعي:

شهدت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أوضاعاً دينية وسياسية متأزمة بفعل الاحتلال الفرنسي الذي بدأ سنة 1830م، والذي سعى إلى طمس الهوية الإسلامية والعربية للشعب الجزائري عبر نشر الجهل، ومحاربة التعليم العربي، وتفكيك المؤسسات الدينية، كالقضاء الشرعي والزوايا، وربط التعليم بالمصالح الاستعمارية. وقد أدى ذلك إلى تدهور مستوى التدين، وانتشار الخرافات والبدع، وهيمنة الطرق الصوفية المنحرفة، ما أضعف الوعي الديني والاجتماعي لدى عامة الناس هذه الحالة السيئة أفلقت ضمير العلماء المصلحين في الجزائر وهذا ما عبّر عنه الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة ت 1917م في قوله:

"فمن لكتاب الله يكشف سرّه**ويشرحه وفق الفنون الحواضر"⁽²⁾

في هذا السياق، برز الإمام عبد الحميد بن باديس باعتباره رائداً لمشروع إصلاح

(1) - انظر: مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م، ج3، ص 1040-1039.

(2) - محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة، بيروت، ط2، 2006م، ج3، ص350.

متكامل، هدف إلى بعث الوعي الإسلامي، وتجديد الفهم الديني، وبناء الإنسان الجزائري على أسس العقيدة الصحيحة، واللغة العربية، والتربية الوطنية. واعتبر ابن باديس أن استنهاض الأمة يبدأ من القرآن الكريم، فجعله منطلقاً أساساً لمشروعه، واتخذ من تفسير القرآن أداة للتوعية والإصلاح، حيث ربط بين النص القرآني وواقع المجتمع، وركز في دروسه على التوحيد، ومحاربة الشرك، وإصلاح الأخلاق، ونقد الواقع الاستعماري⁽¹⁾.

لم يكن التفسير عند ابن باديس مجرد نشاط علمي تقليدي، بل كان جزءاً من استراتيجية شاملة لمقاومة الاستعمار ثقافياً وفكرياً، وإعادة تشكيل الهوية الجزائرية من خلال القرآن. وقد لعبت دروسه التفسيرية في الجامع الأخضر، إلى جانب نشاطه في التعليم والصحافة، دوراً مركزياً في تشكيل جيل من العلماء والمفكرين والمربين الذين أسهموا في بناء الوعي الوطني وتهيئة الأرضية للنضال التحرري لاحقاً. بدأ الإمام عبد الحميد بن باديس تفسيره للقرآن الكريم بأسلوب شفهي في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة سنة 1913م، وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره. وقد استمر في إلقاء دروسه التفسيرية على العامة لسنوات طويلة، حيث اعتمد منهجاً سلفياً يعيد ربط الأمة بفهم سليم للقرآن الكريم، مستوحى من مناهج السلف الصالح. وفي سنة 1925م، أصدر مجلة الشهاب، التي كانت في البداية أسبوعية ثم تحولت لاحقاً إلى مجلة شهرية اعتباراً من سنة 1929م، وقد وجد فيها منبراً مناسباً لبث دروسه التفسيرية تحريراً، فنشر مقالات تفسيرية لآيات مختارة، جمع فيها بين عمق الفهم وبساطة الأسلوب، بهدف إصلاح فكر المجتمع، وتقويم عقيدته، وتهذيب سلوكه. اتبع ابن باديس في مشروعه التفسيري طريقتين متكاملتين:

الأولى شفهية، ألقاها على جمهور الناس في حلقات تعليمية منتظمة.

الثانية تحريرية، ظهرت في افتتاحياته لمجلة الشهاب تحت عنوان: "مجالس التذكير من

(1) - انظر : سومية ميعاد، الشيخ عبد الحميد بن باديس وفكره الإصلاحي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية

والمعرفية، وجدة المغرب، المجلد 1، العدد 7، أكتوبر 2024م، ص 933

كلام الحكيم الخبير⁽¹⁾.

وقد أتم تفسيره الشفوي في سنة 1938 م⁽²⁾، حيث أقيم بهذه المناسبة حفل كبير نظمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، شارك فيه عدد كبير من علماء البلاد ومحبيه. وفي وصف هذه اللحظة التاريخية قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درسًا على الطريقة السلفية... وكان إكماله في خمس وعشرين سنة متواليات مفخرة مدخرة لهذا القطر."⁽³⁾

أما تفسيره التحريري، فلم يكن تفسيرًا كاملاً للقرآن، بل تضمن دروسًا في تفسير آيات مختارة من عدد من السور، منها: المائدة، يوسف، النحل، الإسراء، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، النمل، الأحزاب، يس، الذاريات، والمعوذتان، بالإضافة إلى تفسير موضوعي بعنوان "العرب في القرآن"، وقد نُشرت هذه التفسيرات في مجالس الشهاب، ثم أعاد جمعها وتعليقها الأستاذان: محمد الصالح رمضان الجزائري، وتوفيق محمد شاهين المصري في مجلد واحد يضم حوالي 400 صفحة⁽⁴⁾. ويُعزى عدم تدوين ابن باديس لتفسير شامل إلى قناعته بأن التفاسير السابقة قد كفت الأمة مؤنة ذلك، وكان يرى أن الانشغال بالتفسير الكامل قد يُبعده عن واجباته الإصلاحية الميدانية. وقد عبّر الإبراهيمي عن أسفه الشديد لذلك بقوله: "لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئًا منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يقدر بمال... لكن الله أبى إلا أن يذيع فضله وعلمه."⁽⁵⁾ وقد مثلت هذه المجالس التفسيرية نموذجًا فريدًا في الفهم الواعي للنص القرآني،

(1)- انظر؛ باي زكوب عبد العالي، منهج عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا، المجلد

الإسلامية العالمية- ماليزيا، المجلد 8، العدد 2، ديسمبر 2011 م، ص 113-114

(2)- و من محاسن الصدق أن تعادل مدة تفسير ابن باديس للقرآن الكريم فترة نزول الوحي على النبي .

(3)- طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1997، 1، ج 1، ص 318.

(4)- ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995 م.

(5)- المرجع نفسه، ج 1، ص 362

والتوجيه الإصلاحي المباشر، فجاءت تعبيراً صادقاً عن منهج ابن باديس التربوي والدعوي، وعن رؤيته للتفسير كأداة لتجديد الدين وبناء الأمة.

المعالم المنهجية والأسلوبية في تفسير عبد الحميد بن باديس للقرآن الكريم

لقد حرص الإمام عبد الحميد بن باديس على تبليغ رسالة القرآن الكريم بلغة معاصرة واضحة، تستوعب مختلف فئات المجتمع الجزائري، وتخطب حاجاتهم الدينية والثقافية في ظل ظروف الاستعمار والتجهيل الممنهج. وقد تمثلت غايته الأساسية من تفسير كتاب الله في تفهيم جمهور المسلمين لمعاني القرآن، بهدف هدايتهم بسُننه، وتأديبهم بأخلاقه، وتمكينهم من فقه أسرارهِ؛ بما يساهم في تكوين جيل قرآني واعٍ قادر على النهوض بالجزائر علمياً وثقافياً واجتماعياً. وقد صرح ابن باديس صراحة بهذا التوجه في قوله: "فإننا - والحمد لله - نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلّق هذه الأمة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم."⁽¹⁾ يتضح من هذا التصور أن ابن باديس كان يخطط بعناية لإعداد نخبة قرآنية تتحمل مسؤولية النهضة والإصلاح، وتتصدى لمظاهر الجهل والبدع والانحراف العقدي، كما تسعى لتحرير الوطن من الهيمنة الاستعمارية ثقافياً وروحياً. وانطلاقاً من هذه الرؤية، رسم ابن باديس معالم منهجه في التفسير، الذي يمكن إجماله في مجموعة من المبادئ، من أبرزها:

اعتماد تفسير القرآن بالقرآن

اعتبر ابن باديس أن أول وأقوى وسائل بيان المعنى القرآني تكمن في الرجوع إلى آيات أخرى توضح السياق وتزيل الإبهام، وهو ما يُعرف بـ "تفسير القرآن بالقرآن". وقد صرح بأهمية هذا المنهج عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 76]، إذ طرح سؤالاً تفسيريّاً حول من سيتلقى عباد الرحمن بالتحية؟ وأجاب قائلاً: "وقد بين من يتلقاهم بذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73]، فالملائكة هم الذين يتلقونهم بالسلام والدعاء لهم، وهو مما يدخل في

(1) - ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج2، ص142

التحية⁽¹⁾ ثم يعلّق قائلاً: "وما أكثر ما تجد في القرآن بياناً للقرآن، فاجعله من بالك تهتد إن شاء الله إليه"⁽²⁾. وضمن هذا السياق المنهجي، قارن ابن باديس بين قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 18]، وبين نظيرها في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15-16].

ليُظهر انسجام المعاني وتكاملها في الدلالة على المصير الذي ينتظر من يؤثر الدنيا على الآخرة. إن هذا المنهج يعكس عمق نظرة ابن باديس لكتاب الله، وإيمانه بأن تفسير القرآن ينبغي أن يُستمد أولاً من داخله، قبل الرجوع إلى المرويات والأقوال، مما يعزز التماسك النصي ويثري المتلقي على الاستنباط المباشر من النص القرآني ذاته.

الاستفادة من علم القراءات في التفسير

اعتمد ابن باديس في منهجه التفسيري على علم القراءات القرآنية الصحيحة، باعتباره من المصادر المعتمدة التي تسهم في توسيع الدلالة وتعدد المعاني داخل الآية الواحدة. ويظهر هذا التوجه وعيه العميق بأن اختلاف وجوه القراءات ليس مجرد تنوع لفظي، بل هو باب لثراء المعنى وتكامله، إذ قد تنتج عن كل قراءة دلالة جديدة تضيف بُعداً تفسيرياً مهماً للنص القرآني. ومن النماذج التي أبرز فيها ابن باديس هذا المعطى، تفسيره لقوله تعالى في آية الوضوء:

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: 6]، حيث جاءت كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بقرأتين:

بالنصب: عطفاً على ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، مما يدل على غسل الأرجل، وهي الحالة الأصلية في الطهارة.

(1) - المرجع نفسه، ج 1، ص 501

(2) - المرجع نفسه، ج 1، ص 501

بالخفض: عطفًا على ﴿بِرُؤُوسِكُمْ﴾، فيُفهم منها مسح الأرجل، وهي الرخصة المقرنة بحالة لبس الخفاف.

وقد علّق ابن باديس على هذا الاختلاف بقوله: "بالنصب عطفًا على الوجه فيفيد غسل الأرجل، وتلك هي الحالة الأصلية العامة. وبالخفض عطفًا على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل، وتلك هي الرخصة عند لبس الخفاف"⁽¹⁾.

إن استحضار ابن باديس لهذا التنوع القرآني لم يكن بهدف العرض فقط، بل كان توظيفًا منهجيًا مقصودًا يهدف إلى إبراز مرونة الشريعة الإسلامية، والتوازن بين العزائم والرخص، وبيان سعة المعاني القرآنية التي تستوعب مختلف الأحوال والظروف.

توظيف السنة النبوية في التفسير

اعتمد ابن باديس في تفسيره للقرآن الكريم على السنة النبوية الصحيحة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع والمفسر العملي للقرآن، مؤكدًا أن التفسير يكتمل ويتقوى عندما يُعصَد بالأحاديث الصحيحة. وقد عبّر عن هذا المبدأ بقوله: "ما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحيحة"⁽²⁾، وقال أيضًا: "عندما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى، فانظر: من يدعوك بالقرآن إلى القرآن، ومثله ما صح من السنة لأنها تفسيره وبيانه، المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وجهاده بالقرآن"⁽³⁾. ومن خلال ذلك، كثّر استشهاداته بالأحاديث النبوية الواردة في صحيح البخاري ومسلم تحديدًا، دعمًا لمضامين تفسيره. ويتجلى هذا بوضوح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا [الإسراء: 23-24]، فقد أورد حديثًا رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ

(1) - ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 484

(2) - المرجع نفسه، ج 1، ص 426

(3) - المرجع نفسه، ج 1، ص 429 الآية 62 من سورة الفرقان، ص 187

اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ"⁽¹⁾. وقد أكد ابن باديس على أن السنة لا تعارض القرآن إذا ثبتت صحتها، غير أنه يميز بين ما هو قطعي الدلالة والثبوت، وما هو ظني. ولذلك، يردّ خبر الأحاد إن خالف النصوص القرآنية القطعية، لأن خبر الأحاد يفيد الظن، والظن لا يُعارض اليقين. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، ويرى أن هذه الآية أصل في نجاة أهل الفترة، ويستثني فقط من ثبت فيهم نص خاص، كعمرو بن لحي، الذي ثبت في شأنه أنه أول من سيب السوائب، وغير ملة إبراهيم عليه السلام، وحلل للعرب وحرم. ويخلص ابن باديس من هذا الاستدلال إلى نجاة أبيي النبي صلى الله عليه وسلم، مستنداً إلى النصوص القطعية الدالة على ذلك. كما يرى أن الحديث الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه، وفيه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار..."، ثم قال له بعد أن ولي: "إن أبي وأباك في النار"⁽²⁾؛ فهو خبر آحاد لا يُقدّم على القواطع، بل هو قابل للتأويل، ويمكن حمل "الأب" فيه على العم مجازاً، دفعاً للتعارض مع الأدلة القطعية⁽³⁾.

الاعتماد على أسباب النزول

بوصفها أداة منهجية لفهم معاني القرآن الكريم، ورفع الإبهام عن بعض الآيات، وتوضيح ما قد يُشكل منها، ودفع المتشابهات. ومن الأمثلة الدالة على ذلك تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الفرقان: [68]، حيث أورد حديثاً في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، جاء فيه: "قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال:

(1) - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1993م، ج5، ص2314- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1955م، ج1، ص64

(2) - مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج1، ص132

(3) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج2، ص72.

أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾⁽¹⁾.
ويعلق ابن باديس على العلاقة بين الآية وسبب نزولها بقوله: "تواردت الآية والحديث في الإثم الأول على شيء واحد، وتواردوا أيضاً في الثاني والثالث، غير أن الحديث ذكر أفراداً من العام وردت في الآية، وهي أشدها إثماً، بينما جاءت الآية بلفظ عام يشمل جميع الصور"⁽²⁾.

كما تميّز منهجه التفسيري بالتحقيق الدقيق في الروايات المتعلقة بأسباب النزول أو فضائل السور، فلم يكن يتساهل في قبول الأخبار، بل كان يلتزم بما صحّ منها، ويعزوها إلى مصادرها المعتمدة في كتب الحديث، مع إخراجها وتحققها. ويتجلى ذلك في موقفه من الروايات الواردة بشأن سبب نزول المعوذتين، حيث رفض الرواية القائلة بأن نزولهما كان بسبب سحر النبي صلى الله عليه وسلم، معللاً ذلك بعدم صحتها، حين أشار إلى أن ما يُذكر في نزولهما بسبب قصة النبي الأعصم [المسحور]، فإن ذلك لم يصح سبباً لنزولهما، وإن كانت حادثة السحر نفسها - وصاحبها لبيد بن الأعصم - ثابتة في الصحيح. وقد تساهل كثير من المفسرين في إدخال هذا السبب ضمن تفسير المعوذتين، كما أدرجوا في فضائلهما كثيراً مما لا يصح، وما صحّ يغني عن غيره⁽³⁾.

عنايته بعلم المناسبات القرآنية وعلاقات السور:

أولى ابن باديس عناية خاصة بعلم المناسبات، إذ اعتمد على دراسة الروابط بين الآيات والسور لاستخلاص دلالات وحكم دقيقة، قد تغيب عن أنظار كثير من المفسرين المتقدمين والمتأخرين. وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وربط الآيات بوجوه المناسبات"⁽⁴⁾. وتجدر الإشارة إلى أن ابن باديس كان يرى أن ترتيب سور المصحف هو ترتيب توقيفي، ليس من اجتهاد الصحابة الذين جمعوا القرآن⁽⁵⁾. وفي معرض بيانه لسر ختم المصحف بسورتي المعوذتين، يرى ابن باديس أن لهما خصوصية تتجاوز ما اعتاد المفسرون بيانه من المناسبات بين السور، حيث

(1) - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ح 142، مج 1، ص 91.

(2) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 2، ص 72.

(3) - انظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 107.

(4) - المرجع نفسه، ج 1، ص 162.

(5) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 2، ص 108.

يقول: "ولها تين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور ببعض، ويستخرجون منها بالتدبر ما لا يُحصى من الأنواع، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما"⁽¹⁾. ثم يضيف مؤكداً: يستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلبه في أنواره بذهن مشرق وقريحة صافية، أن يستخرج من الحكم في هذا الختم أنواعاً، ويعدد بعد ذلك طائفة من هذه الحكم، ليخلص إلى القول: إن المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين، قائمة في اتحاد موضعهما⁽²⁾. أما المناسبة الخاصة بين سورتي الإخلاص والمعوذتين، فيربطها ابن باديس بوظيفة كليّ منهما في بناء العقيدة؛ إذ إن سورة الإخلاص تُعرّف الخلق بخالقهم من خلال تقرير التوحيد، والتنزيه، والتمجيد، فإذا آمن المسلم بهذه المعاني وخرج من سورة الإخلاص مشبعاً بها، أدرك أن العالم مليء بالشرور، وأن لا ملجأ له من شرها إلا إلى ذلك "الصمد" الذي "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". ومن هنا تأتي المعوذتان لتكملان المعنى العقائدي بالتعبير عن هذا الالتجاء والتعوذ، الذي هو جزء لا يتجزأ من كمال التوحيد. ولذلك جمع بين هذه السور الثلاث – الإخلاص والمعوذتين – في التسمية، وفي سنة التعوذ، وفي قراءة الوتر، كما أشار ابن باديس⁽³⁾.

ويمكن أن نختم هذا المبحث بما أكدّه الشيخ البشير الإبراهيمي في تقديمه لتفسير ابن باديس، إذ يبيّن أن فهم القرآن الكريم لا يتحقق إلا باجتماع جملة من الشروط، منها⁽⁴⁾: صفاء القريحة، ونور الذهن، التعمق في أسرار البيان العربي، الفقه العميق في روح السنة النبوية المبيّنة لمقاصد القرآن، الإلمام الواسع بتراث علماء القرون الثلاثة المفضّلة، التأمل في سنن الله الجارية في الكون، الاطلاع على ما تكشف عنه العلوم التجريبية من هذه السنن وعجائبها. ويرى المتتبع لدروس ابن باديس التفسيرية أنها قد استوفت هذه الشروط، مما جعله في طليعة المفسرين المجددين في العصر الحديث.

(1) - المرجع نفسه، ج2، ص108

(2) - المرجع نفسه، ج2، ص109

(3) - انظر: المرجع نفسه، ج2، ص109-110

(4) - انظر: طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص250.

اعتماده على ما نقل عن الصحابة من الأحاديث الموقوفة والمرفوعة:

كان ابن باديس يستند في تفسيره إلى ما ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم من آثار صحيحة، سواء كانت موقوفة أو مرفوعة، مع الاستشهاد بمناقهم الثابتة، بوصفها مصدراً من مصادر البيان القرآني. ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: 30]، حيث استشهد بحديث موقوف على الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، جاء فيه: "تكون فتن، فيكثر المال، ويفتح القرآن، حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير، والمنافق والمؤمن، فيقرأه الرجل فلا يُتَّبَع، فيقول: والله لأقرأنه علانية، فيقرؤه علانية فلا يُتَّبَع. فيتخذ مسجداً، ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله، فيأياكم وإياه، فإنه بدعة وضلالة"⁽¹⁾. وقد علّق ابن باديس على هذا الأثر مشيراً -فيما يفهم من كلامه-: أن هذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ، فهو في حكم المرفوع، لأنه يتحدث عن مغيب من المستقبل، ومثل هذا لا يُعرف بالرأي، وإنما يُعلم عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان يعلمه الصحابة إلا بتوقيف نبوي⁽²⁾. ومن هذا المنطلق، يظهر اعتماد ابن باديس على الآثار الصحابية الموثوقة بوصفها منارات هادية في الكشف عن المعاني القرآنية، خاصة ما تعلق منها ببيان السنن الكونية والاجتماعية، وتحذير الناس من الانحراف عن القرآن في واقعهم العملي.

استمداه من أمهات التفاسير وكتب الحديث والأحكام:

إلى جانب اعتماده على الآثار، استمد ابن باديس تفسيره من أمهات كتب التفسير المعتمدة، وكذلك من كتب الحديث والفقه والأخلاق، التي عدّها من الأدوات المعينة على فهم النص القرآني واستنباط الأحكام والدلالات. وقد بيّن ذلك في دروسه على حد تعبيره: وعمدتنا

(1) - أخرجه أبو داود بلفظ: "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِي حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتَدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأَحَذَرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ". أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ج4، ص202

(2) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، ص410

فيما نرجع إليه من كتب الأئمة:

تفسير ابن جرير الطبري⁽¹⁾، الذي يمتاز بالنقل عن السلف، ويتسلسله في عرض الأقوال، وبلاغته في تفسير معاني الآيات، مع ترجيحه لما يراه أصوب من الأقوال.

وتفسير الزمخشري⁽²⁾، الذي يُعنى بجمال الأسلوب القرآني، وتطبيق فنون البلاغة عليه، وربطه بكلام العرب وفنون البيان.

وتفسير أبي حيان الأندلسي⁽³⁾، الذي يتفوق في تحقیقاته النحوية واللغوية، وتوجيهه الدقيق للقراءات القرآنية.

وتفسير الفخر الرازي⁽⁴⁾، الذي يقدم بحثاً موسّعة في العلوم الطبيعية والكونية، ومباحث الكلام، ومقالات الفرق، وأسلوب المناظرة والحجاج⁽⁵⁾.

وأضاف إلى ذلك قوله: "إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام"⁽⁶⁾.

ومجمل هذا يدل على أن ابن باديس قد وفق في منهجه التفسيري إلى الجمع بين صحيح المنقول من آثار السلف، وصريح المعقول من أدوات النظر العقلي واللغوي، مما يعكس توازناً منهجياً بارزاً بين الأثر والاجتهاد في تفسيره للقرآن الكريم.

(1) - المسعى: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

(2) - المسعى: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل".

(3) - المسعى: "البحر المحيط".

(4) - المسعى: "مفاتيح الغيب".

(5) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، ص 162-163.

(6) - ومن المصادر التي كان يعتمد عليها، على سبيل المثال لا الحصر: "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، و"لسان العرب" لابن منظور، و"إعلام الموقعين" لابن القيم، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاظمي عياض، و"القبس في شرح موطأ مالك" لابن العربي، و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير، و"ديوان المتنبي"، ومقدمة ابن خلدون، والعواصم من القواصم لابن العربي، وغيرها من المصادر التي تعكس سعة اطلاعه وتنوع روافد تكوينه العلمي.

موقفه من الإسرائيليات والأخبار الواهية:

تميّز منهج ابن باديس في التفسير بنقد صارم للإسرائيليات والأخبار الضعيفة التي تسربت إلى كثير من كتب التفسير، ولا سيما ما نُقل عن كعب الأخبار ووهب بن منبّه، وبعض ما ورد في المستدرک للحاكم، مما بيّن العلماء المحققون بطلانه. وقد كان ابن باديس حريصاً على تنقية الخطاب التفسيري من هذه الروايات، فلا يستشهد بها إلا على سبيل التحذير من بطلانها وبيان زيفها. ومن الأمثلة الدالة على ذلك، ما ذكره في تفسير سورة النمل، عند حديثه عن قصة سليمان عليه السلام، إذ قال: "رُويت في عِظم مُلك سليمان روايات كثيرة لا يصح منها شيء، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما نقل من غير تثبيت ولا تمحيص عن كعب الأخبار ووهب بن منبّه، وقد روى بعضاً من ذلك الحاكم في مستدركه، وصرّح الذهبي ببطلانه"⁽¹⁾.

ويظهر من هذا الموقف التزام ابن باديس بضوابط النقد الحديثي والتوثيق العلمي، وحرصه على صون التفسير من أن يتأثر بالقصاص الواهية أو الروايات المشكوك في صحتها.

اعتماده على الرأي المحمود بضوابطه الشرعية واللغوية والعقلية:

اعتمد ابن باديس في منهجه التفسيري على الرأي المحمود، باعتباره أداة لفهم المعاني القرآنية العميقة واستنباط الحكم الباطنة، شريطة ألا يتجاوز ثلاث ضوابط منهجية أساسية، وهي كما يلي:

أن تكون المعاني المستنبطة صحيحة في ذاتها.

أن تستند هذه المعاني إلى التركيب القرآني استناداً لغوياً صحيحاً، موافقاً لقواعد العربية.

أن تحظى هذه المعاني بتأييد من أدلة الشرع الكلية أو الجزئية.

وقد قال في ذلك: "وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول"⁽²⁾.

(1) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 2، ص 40

(2) - المرجع نفسه، ج 2، ص 35

ويبرز هذا المنهج في تفسيره لقصة سليمان عليه السلام في سورة النمل، عند قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، حيث نقل عن الإمام ابن العربي كلاماً نفيساً للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري، شيخ الصوفية في زمانه أنه قال: "إنما قال مالي لا أرى لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجله سلمها؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال: مالي... وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم. هذا في الأداب، فكيف بنا ونحن اليوم نقصر في الفرائض؟"⁽¹⁾، وعلّق عليه بقوله: "مثل هذه المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل، هي من أجلّ علوم القرآن وذخائره"⁽²⁾. وقد كان ابن باديس حاسماً في نقد التفاسير التي لا تلتزم بهذه الضوابط، ولا سيما ما جاء في بعض التفاسير الصوفية، حيث قال: "أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة، وخصوصاً الأول والثاني، فهو مما لا يجوز في تفسير كلام الله، وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية، كتفسير ابن عبد الرحمن السلمي من المتقدمين، والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين"⁽³⁾. وقد أضاف ابن باديس إلى هذه الشروط الثلاثة شرطاً رابعاً، يتعلّق بالمنهج العقلي واللغوي الذي ينبغي أن يحكم عملية التفسير، حيث قال - في سياق تفسيره لسورة يس -: "ويكون عمله في كتاب الله هو التفهم والتدبر لآياته، والتفطن لتنبهاته، ووجوه دلالاته، واستثارة علومه من منطوقه ومفهومه، على ما دلت عليه لغة العرب في منظومها ومنثورها، وما جاء من التفاسير المأثورة، وما نُقل من مفهوم الأئمة الموثوق بعلمهم وأمانتهم، المشهود لهم بذلك من أمثالهم"⁽⁴⁾. ويتضح من هذا أن ابن باديس دعا إلى توازن منهجي بين أعمال العقل والتقيّد بقواعد الشرع واللغة، دون غلوّ أو جمود.

كما كان موقفه واضحاً في التعامل مع آيات الغيب؛ حيث رفض الخوض في تفاصيلها

(1) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 2، ص 35

(2) - المرجع نفسه، ج 2، ص 35

(3) - المرجع نفسه، ج 2، ص 35

(4) - المرجع نفسه، ج 2، ص 56

بغير دليل، مؤثراً التوقف والتفويض إلى الله تعالى، من غير أن يعني ذلك تعطيلاً للعقل أو تعاطفاً مع الجمود. يقول في هذا السياق: "فكان من لطف الله بالإنسان أن جعل لعقله حداً يقف عنده، وينتهي إليه، ليسلم من هذا الخطر: خطر الإعجاب بالعقل"⁽¹⁾، ويضيف: "حتى إذا انتهى إلى مشكل استغلق عليه، اعترف بعجزه، ولم يرتكب من الأوهام والفروض البعيدة ما يكسو الحقيقة ظلمة، ويوقع الباحث من بعده في ضلالة أو حيرة. فكثر ما كانت الفروض الوهمية الموضوعية موضع اليقينيّات، سبباً في صد العقول عن النظر، وطول أمد الخطأ والجهل"⁽²⁾.

ويجدر التنبيه إلى أن ابن باديس لم يهمل المعطيات العلمية الحديثة، بل أفسح لها مجاًلاً في تفسيره، ما دامت منضبطة بالضوابط الشرعية واللغوية؛ ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: 12] حيث يقول: "واتفق علماء الفلك في العصر الحديث، بعد الاكتشافات والبحوث العلمية، أن جرم القمر، كالأرض، كان في أحقاب سحيقة وملايين السنين شديد الحرارة، ثم برد، فكانت له إضاءة في زمن حرارته، ثم زالت حين برد"⁽³⁾. وهو بذلك يمثل نموذجاً متوازناً بين التراث والمعاصرة، يجمع بين فقه النص وفهم الواقع، من غير تفريط في الثوابت ولا إفراط في المعطيات الحديثة.

استمداده من معاجم اللغة ودواوين العرب لفهم النص القرآني:

كان ابن باديس يُولي أهمية كبيرة للرجوع إلى معاجم اللغة العربية ودواوين العرب، بما فيها من أخبار وأمثال وأشعار، وطرائف لغوية وبلاغية، قصد فهم مقاصد العرب في استعمالهم للألفاظ والتراكيب؛ بما يعين على الكشف عن معاني النص القرآني التي قد يخفى فهمها على غير المتبحر في اللسان العربي. وقد عبّر عن منهجه هذا بقوله: "على عادتنا في تفسير

(1) - المرجع نفسه، ج 2، ص 53

(2) - المرجع نفسه، ج 2، ص 55

(3) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 195

الألفاظ بأرجح معانها اللغوية، وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البنيانية⁽¹⁾. ومن التطبيقات العملية لهذا المنهج ما ورد في تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، إذ يتناول ابن باديس دلالة لفظ "تَقْفُ"، فيقول: "فالقفو: اتباع عن غير علم، فهو أخص من مطلق الاتباع، ولذلك اختيرت مادته هنا. ولقربه من الجهل، جاء في كلام العرب بمعنى قول الباطل"⁽²⁾، ثم يستشهد ببيت من شعر جرير:

وطال جذاري خيفة البين والنوى *** وأحدوثة من كاشح متقوف⁽³⁾

ليبين أن التقوف في اللغة يتضمن دلالة سلبية تتصل بنقل الباطل دون تحقق أو علم. وهذا المثال يظهر اعتماد ابن باديس على المادة الشعرية والبلاغية في فهم دلالة المفردة القرآنية وتحديد المقصود بها بدقة، مع ربطها بالسياق البلاغي للآية.

عنايته بالدقائق البلاغية ووجوه الإعجاز:

تميّز تفسير ابن باديس بعناية خاصة بدقائق البيان القرآني، من لطائف بلاغية وتقديم وتأخير، وتناسب في التراكيب، إلى جانب اهتمامه بوجوه الإعجاز البياني والتنظيبي. وكان يعتبر هذه العناصر مكملّة لبيان المعنى، ومؤكدة لجلال النص القرآني وروعته. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: 6]، أشار إلى سر التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني، قائلاً: "ومن دقائق القرآن ولطائفه في البلاغة، أنه يُقَدِّم أولاً الأسمين المتلازمين في آية لسر من أسرار البلاغة، التي يقتضيها ذلك المقام، ولا يؤخّر ما قُدِّم في موضع آخر، إلا لاعتبار بلاغي

ثم يستشهد بتقديم السماء على الأرض في بعض المواضع وتأخيرها في أخرى، ومثال ذلك تقديم

(1) - المرجع نفسه، ج 1، ص 162

(2) - المرجع نفسه، ج 1، ص 265-266

(3) - جرير، ديوان جرير، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 1986م، ص 295. وفي أصل البيت غربة موضع خيفة، ويتقوف موضع متقوف.

(4) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 2، ص 127

الانس على الجن في سورة الانعام⁽¹⁾، ويطبّق القاعدة في تفسير آية سورة الناس، فيوضح أن تقديم الجنّة على الناس جاء انسجاماً مع طبيعة الوسوسة، كونها - من شياطين الجن - أخفى وأدق، رغم أن وسوسة الإنس أعظم أثراً. ويؤكد ذلك بقوله: "فشیطان الجن يستخدم شیطان الإنس للشر والإفساد، فيربى عليه ويكون شرّاً منه، لأنه بمثابة السلاح الذي يفتك به؛ ورب كلمة واحدة صغيرة يوحىها جنيّ للإنسي، فتتولّد منها فتن، ويمتد شرّها من جيل إلى جيل".⁽²⁾

أما عن وجوه الإعجاز، فقد توقف ابن باديس عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: 32]، ليبين إعجاز الترتيل والتنزيل التدريجي، حيث قال: "من محاسن هذه الشريعة المطهرة أنها نزلت بالتدرّج المناسب، وما كان ذلك ليأتي إلا بتفريق الآيات في الإنزال... وهذا الترتيل العجيب والتنضيد الغريب قد بلغ الغاية في الحُسْن والمنفعة، حتى إنه ليصحّ أن يُعدّ وحده وجهاً من وجوه الإعجاز"⁽³⁾. وهذا التوجيه البلاغي والبياني يعكس تفاعله العميق مع النص القرآني، وتقديره لأسلوبه المنظم الذي يخاطب العقل والوجدان في آن واحد.

أسلوبه في التفسير

امتاز أسلوب ابن باديس في التفسير بالسهولة والامتناع، حيث خلا من التعقيد اللفظي والسجع المتكلف، وتجنب فيه الجدل العقيم، والتكلفات الكلامية، والتعدد غير المنضبط في الآراء، مما جعل تفسيره يتصف بوضوح المقصد وسلاسة العبارة⁽⁴⁾. وقد ارتبط هذا الأسلوب بوظيفته الإصلاحية التي أراد أن يؤديها من خلال التفسير، إذ كان هدفه الأساسي معالجة واقع المسلمين وإصلاح أحوالهم الدينية والاجتماعية. لذلك، كان يراعي في تفسيره مقتضيات العصر، ويخاطب جمهور الناس بما يناسب مداركهم، ويتناول أمراض المجتمع وأدواءه بلغة

(1) - قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ، [الأنعام: 112].

(2) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج2، ص 128

(3) - المرجع نفسه، ج1، ص 418

(4) - انظر: نور الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد

القادر، الجزائر، سنة 2014 م، مجلد 19، العدد 37، ص 16.

واضحة وتوجيه مباشر⁽¹⁾. وإذا واجه شبهات أو اعتراضات من أهل الباطل، قابلها بالحكمة والموعظة الحسنة، متجنباً العنف اللفظي أو الفظاظ، موضحاً خطورة تلك الأقوال وسوء مقاصد أصحابها، تحذيراً للناس وتنبهاً لهم.

وكان منهجه العملي في التفسير يقوم على انتقاء آية أو مجموعة من الآيات، يضع لها عنواناً مناسباً يعكس مضمونها، ثم يشرع في تمهيد يتناول فيه فضائلها، وسياق نزولها، ومناسبتها لما قبلها إن وُجد، قبل أن ينتقل إلى تفسير لغوي مختصر يحدد من خلاله المفاهيم الرئيسية من حيث معناها اللغوي والاصطلاحي. ثم يعرض المعنى الإجمالي للمقطع، مع بيان وجوه الإعراب المحتملة إن وُجدت، وما يترتب عليها من تنوع في المعاني. يلي ذلك تفصيل للموضوعات التي تتناولها الآيات، وذلك من خلال عناوين فرعية تسلط الضوء على مضامين الآيات وربطها بواقع المجتمع ومشكلاته. ويظهر هذا المنهج بجلاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16]. فقد استخلص من هذا النص القرآني ستة عشر عنواناً فرعياً، هي: 1. تمهيد-2. أدب واقتداء-3. بيانه لهم حجته عليهم-4. تمثيل-5. أدب واقتداء-6. نعمة الإظهار والبيان بالرسول والقرآن-7. محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن نور وبيان-8. استفادة-9. اقتداء-10. الهداية نوعان-11. بماذا تكون الهداية-12. لمن تكون الهداية-13. إلى ماذا تكون الهداية-14. الإخراج من الحيرة إلى الاطمئنان-15. الإسلام هو السبيل الجامع-16. الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ضرورة دائمة.

وفي بعض الأحيان، يتبع هذا التمهيد بعناوين فرعية إضافية وفق ما تقتضيه الآيات، مثل: "المعنى"، "الأحكام"، "استنتاج"، "التطبيق أو الفائدة العملية"، "تحذير وإرشاد"، "عبرة وتحذير". وقد يقسم تفسيره إلى مباحث أو مسائل أو فصول، مقتفياً بذلك أثر فخر الدين

(1) -انظر: زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجا-، مجلة الخطاب (1) -التواصل، جامعة عين تموشنت، الجزائر، سنة 2016م، العدد 02، ص 285-287-288

(2) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 13-14

الرازي في منهجه التفسيري، ويختم في الغالب تفسيره بدعاء بليغ يناسب مضمون الآيات وسياقها⁽¹⁾.

خصائص تفسير ابن باديس

يُعدّ منهج ابن باديس في التفسير خروجًا واعيًا عن الطابع الأكاديمي أو المهني التقليدي الذي التزم به بعض المفسرين، حيث دعا إلى تجاوز الأساليب المدرسية الشكلية التي تركز على الجوانب اللفظية والعلوم الآلية على حساب إدراك مقاصد الشريعة وفهم الأحكام الإلهية. وقد عبّر ابن باديس عن رفضه لهذه المقاربات قائلاً: "فترى الطالب يُفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية، دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير، كتفسير الجلالين مثلاً، بل ويصير مدرّساً متصدّراً ولم يفعل ذلك"⁽²⁾. كما عبّر عن استغرابه من هذه الظاهرة بقوله: "كأنّ التفسير إنما يُقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية"⁽³⁾.

وقد مهّد هذا الوعي التعليمي المبكر الذي نادى به ابن باديس لاعتماد منهج تفسيري يربط هداية القرآن الكريم بواقع المجتمع، ويسعى إلى تقديم حلول واقعية تنسجم مع متطلبات الإنسان المعاصر وحضارته. وفيما يلي أبرز الخصائص التي امتاز بها تفسيره:

الاقتصاد في النقل عن أهل اللغة والبلاغة والفقه: امتنع ابن باديس عن الإكثار من ذكر أقوال النحاة والبلاغيين والفقهاء، واقتصر على ما تدعو إليه الحاجة لبيان معاني الآيات، وذلك تجنباً لما قد يشغل القارئ عن المقصود الأساسي من التفسير، وهو استجلاء وجوه الهداية القرآنية وتحقيق مقاصد الإصلاح الاجتماعي والديني.

الابتعاد عن المسائل الخلافية المجردة: تجنّب الخوض في القضايا الجدلية والمذاهب الكلامية التي لا يترتب عليها عمل أو فائدة عملية، كما امتنع عن إدخال التأويلات المعقّدة والمصطلحات المذهبية والآراء المضطربة التي من شأنها أن تصرف القارئ عن جوهر الرسالة

(1)- انظر؛ باي زكوب عبد العالي، منهج عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، ص 128-129

(2) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 408

(3) - المرجع نفسه، ج 1، ص 409

القرآنية.⁽¹⁾

الانفتاح على الرأي الآخر إذا أصاب الحق؛ لم يتردد ابن باديس في الاستدلال بأقوال من خالفه في الرأي متى استوفى القائل شروط التفسير وكان قوله صائبًا، كما فعل حين استشهاد بكلام الإمام القشيري، واصفًا إياه بـ "المعاني الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة"⁽²⁾.

وهذا المنهج يجسّد ما عبّر عنه ابن القيم بقوله: "البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها، ولا يتحيز إلى طائفة، وينأى عن أخرى بالكلية إلا يكون معها شيء من الحق، فهذه طريقة الصادقين"⁽³⁾.

الربط بين هداية القرآن وواقع المسلمين: حرص ابن باديس على توظيف تفسيره للقرآن في معالجة القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المسلمين، مستهدفًا بذلك تحقيق النهوض الحضاري واللاحاق بركب الأمم المتقدمة، دون أن يُغفل النقد الشديد للجمود الفكري والتقليد الأعمى الذي ساد بين بعض علماء عصره، والذين حصّروا الدين في طقوس داخل المساجد والزوايا، وغفلوا عن ضرورة الاجتهاد والتفاعل مع مستجدات العصر⁽⁴⁾.

كشف الشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة: من وظائف تفسيره كذلك توضيح المفاهيم التي أسيء فهمها، وردّ الشبهات التي تعلّقت بها، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: 20]، حيث بيّن أن الفتنة قد تقع بين الأمم كما تقع بين الأفراد، وأوضح كيف أصبحت الأمة الإسلامية، في خلفها، فتنةً للأمم الأخرى، إذ ينظر الغرب إلى حال المسلمين اليوم في الجهل والفقر والتبعية، فينفر من

(1) - انظر؛ علي محمد محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج2، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2016م، ص 270: 274.

(2) - ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج2، ص 35

(3) - ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عبد الغني محمد علي فاسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2023م، مج2، ص273

(4) - انظر: زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجا- ص285

الإسلام ظناً أن ما يراه هو من صميمه. كما حذر من الانهيار الأعى بتقدم الغرب، وما يترتب عليه من تقليد غير واعٍ، يطال حتى المفاصد والانحرافات، في مقابل احتقار التراث والدين، إلا من نظر بعين العلم فعرّف أن ما لديهم من خير، هو موجود أصلاً في تعاليم الإسلام وتاريخ المسلمين⁽¹⁾.

اعتماده المنهج التحليلي: اعتمد ابن باديس المنهج التحليلي في التفسير مكنه من استخراج العبر والعظات، واستنباط القواعد والأسس في مجالات التربية والتعليم والإصلاح والاجتماع، فضلاً عن الكشف عن السنن الكونية، ثم إسقاطها على واقع المسلمين في عصره. ومن الأمثلة على ذلك تفسيره لقوله تعالى: **وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا** [الإسراء: 58]؛ إذ استنبط منها ابن باديس سنة كونية تحكم مصائر الأمم، مفادها أن الأمم كالأفراد تمرّ بثلاث مراحل: مرحلة النشوء، ومرحلة القوة، ثم مرحلة الانحلال. فالمرحلة الأولى تشمل التأسيس والنهوض، والثانية مرحلة التوسع والازدهار، والثالثة بداية التراجع وصولاً إلى الاضمحلال أو الزوال، سواء بالاندثار أو بفقدان السيادة⁽²⁾.

وهذه الرؤية تكشف عن وعي ابن باديس بطبيعة التاريخ ودور السنن الإلهية في بناء الحضارات وانهيارها.

استخدام المنهج النقدي: انتهج ابن باديس المنهج النقدي في تفسيره لمواجهة الأفكار التي بثّها شيوخ الجمود والتقليد، والتي أدّت إلى نشوء نمط من التدين الخامل، العاجز عن مواكبة حاجات المسلمين اليومية، فضلاً عن عجزه عن حفظ الدين ولغة الأمة. وقد سعى من خلال هذا المنهج إلى غربة التراث وتخليصه مما علق به من شوائب التقليد والجمود⁽³⁾.

اعتماد المنهج العلمي: وظّف ابن باديس المنهج العلمي في التفسير ليبين أن القرآن لا

(1) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، ص398-399

(2) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج1، ص 294

(3) - انظر: شويه خيرة، بوحنة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس

التذكير، مجلة الشهاب، جامع الوادي، الجزائر، المجلد7، العدد03، سنة2021م، ص487

يناقض العلم، بل يدعو إليه، ويوجّه إلى استعمال العقل في إطار الشرع⁽¹⁾. ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا [الإسراء: 12] إذ يفسّر الليل بأنه الظلمة التي تغطي نصف الكرة الأرضية، والنهار بأنه الضوء الذي يعم الجانب المقابل لها، مبيّنًا تعاقبهما بفعل دوران الأرض وتكورها، وموضحًا أن هذا التعاقب لا يعني حلول أحدهما على الآخر، وإنما على محله. ثم يستخلص من ذلك دلالة قطعية على وجود خالق حكيم قدير لطيف خبير⁽²⁾، وهو ما يُعدّ توظيفًا علميًا دقيقًا لخدمة المقاصد الإيمانية.

استخدام المنهج الاستدلالي:

برز في دروس ابن باديس استعمال واضح للمنهج الاستدلالي، حيث كان يعتمد على نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف والخلف، بالإضافة إلى قواعد اللغة والمنطق والبرهان العقلي، وعلوم الكون والنفس والاجتماع. وكان يربط ذلك كلّه بواقع المسلمين المعاش، مما جعله يوظّف التفسير أداة للإصلاح والتجديد. ويلاحظ في تفسيره كثرة استدلاله بما ورد في الصحيحين، وهو ما يعكس رسوخًا في المنهجية الحديثية لديه⁽³⁾.

الاعتماد على أمهات التفاسير:

اعتمد ابن باديس على مصادر تفسيرية معتبرة، منها: تفسير الطبري، والزمخشري، وأبو حيان الأندلسي، والرازي، وقد صرّح بذلك في خطبة افتتاح دروسه التفسيرية⁽⁴⁾. ويفهم من هذا أن ابن باديس سعى إلى الجمع بين مناهج التفسير المعتمدة لدى السلف. ويعود هذا

(1) - انظر: محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مجلة

الصراط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد 02، العدد 01، سنة 2000م، ص 20-30

(2) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 193

(3) - انظر: زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجا- ص 285، انظر: نور

الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، ص 8-9

(4) - انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 162-163

الاعتماد إلى سببين:

الأول: تحرّراً من الوقوع في الخطأ عند تفسير كلام الله.

الثاني: دعماً لفكرته الإصلاحية التي أراد أن يبثّها عبر التفسير.

وقد قال في هذا السياق: "وإذا نظرنا إلى قصورنا، وخطورة مقام الكلام على كلام الله تعالى، أحجمنا، وإذا رأينا إلى فضل الله، وثقتنا به، وحسن قصدنا -في خدمة كتابه- أقدمنا وهذا الجانب الكريم أرجح عندنا، فنحن نقدم معتمدين على الله تعالى سائلين منه تعالى لنا ولكم أن يوفقنا إلى حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل⁽¹⁾". وهو تصريح صريح بأن المفسر ينبغي أن يتحلى بأربع صفات: حسن القصد، وصحة الفهم، وصواب القول، وسداد العمل.

أدب الحوار وخلق الاختلاف:

تميّز أسلوب ابن باديس في تفسيره برقيّ العبارة، وعفة القلم، وأدب الرد على المخالفين، إذ غالباً ما كان يوجّه خطابه بلغة عامة دون تعيين، ملتزماً بالتلميح بدل التصريح، إلا في بعض الحالات الاستثنائية. ومن ذلك رده على الشيخ المولود الحافظي⁽²⁾ في مسألة "العبادة المجردة عن الرجاء والخوف"، حيث فنّد قوله بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف، مبيناً مخالفة هذه الرؤية لمنهج الأنبياء والصالحين، وأنها لا تستند إلى نصّ شرعي صحيح، وأن العبادة لا تكتمل إلا بالجمع بين الحب والخوف والرجاء⁽³⁾. يتّضح مما سبق أن تفسير ابن باديس تميز بخصائص منهجية وفكرية جعلته محطّ اهتمام الباحثين والمصلحين، فدرسوه وحلّلوه، وعدّوه من التفاسير الإصلاحية الرائدة في مطلع القرن العشرين، لما فيه من وعي

(1) - المرجع نفسه، ج 1، ص 163

(2) - وقد أشار ابن باديس إلى اسم هذا الشيخ في تفسيره لقوله تعالى في سورة الفرقان: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا 65 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا 66. انظر: ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج 1، ص 447

(3) - انظر؛ شويه خيرة، بوحنة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير، ص 489-490-491

حضاري، ونزعة تجديدية، ومنهج متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

خاتمة:

يُعدّ تفسير ابن باديس في مجالس التذكير نموذجاً رائداً للتفسير الإصلاحي الذي جمع بين أصالة الموروث ومقتضيات الواقع.

اعتمد ابن باديس مناهج متعددة في التفسير، أبرزها: التحليلي، العلمي، النقدي، الاستدلالي، بما يعكس منهجاً شمولياً متزناً يجمع بين العقل والنقل.

تميّز تفسيره بالربط بين النص القرآني وقضايا الأمة، مما جعل التفسير وسيلة للإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي.

انطلق ابن باديس من مصادر تفسيرية معتمدة، وحرص على سلامة الفهم وصحة المنهج، مما أضفى على تفسيره طابعاً علمياً رصيناً.

تميّز بأسلوب لغوي راقٍ وأدب جمّ في الرد على المخالفين، محافظاً على وحدة الخطاب الدعوي وجاذبيته.

إنّ تفسير مجالس التذكير لم يكن مجرد بيان للمعاني، بل كان مشروعاً فكرياً متكاملًا، هدفه إحياء الأمة واستعادة فاعليتها الحضارية.

تدعو دراسة هذا التفسير إلى مزيد من العناية بالمناهج الإصلاحية في التفسير، وربطها بواقع الأمة وقضاياها المعاصرة.

توصيات و آفاق البحث المستقبلية:

دعوة إلى مزيد من الدراسات التحليلية حول مجالس التذكير لاستكشاف الجوانب البلاغية والأسلوبية في تفسير ابن باديس، ومدى تأثيرها في المتلقي.

تحقيق مقارنات منهجية بين تفسير ابن باديس وتفسير المصلحين في العالم الإسلامي، كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، لإبراز الخصوصيات والاشتراكات المنهجية.

تشجيع الباحثين على جمع وفهرسة الأصول التي اعتمدها ابن باديس في تفسيره،

وتحقيق الربط بين تفسيره والخطاب الصحفي والتعليمي الذي كان ينشره في جرائد الجمعية. الاهتمام بالمقاربة التربوية في تفسيره، من خلال دراسة القيم والمفاهيم التربوية التي بثّها في تفسيره، وربطها بالمنهج التربوية المعاصرة.

دعوة مراكز البحث والمؤسسات العلمية إلى إدراج تفسير ابن باديس ضمن المقررات الجامعية والدراسات القرآنية، لإبراز إسهامه الإصلاحي والمنهجي في مجال التفسير.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، دت.
- ابن باديس، عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995م.
- باي زكوب عبد العالي، منهج عبد الحميد بن باديس منهجه وخصائصه، مجلة الإسلام في آسيا، المجلة الإسلامية العالمية- ماليزيا، المجلد 8، العدد 2، ديسمبر 2011م.
- جرير، ديوان جرير، تح: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 1986م.
- زوالي نبيلة، واقعية الخطاب التفسيري وتوجيهها للدلالة - تفسير ابن باديس أنموذجا -، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة عين تموشنت، الجزائر، سنة 2016م، العدد 02.
- سومية ميعاد، الشيخ عبد الحميد بن باديس وفكره الإصلاحي، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، وجدة المغرب، المجلد 1، العدد 7، أكتوبر 2024م.
- شويه خيرة، بوزينة حمزة، المفاهيم الصوفية المعتدلة عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره مجالس التذكير، مجلة الشهاب، جامع الوادي، الجزائر، المجلد 7، العدد 03، سنة 2021م.
- طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

ط1، 1997م.

- علي محمد محمد الصّلابيّ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج2، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2016م.
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: عبد الغني محمد علي فاسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2023م.
- مجاهد، زكي محمد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1993م.
- محمد دراجي، السنن الكونية في تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، مجلة الصراط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، المجلد 02، العدد 01، سنة 2000م.
- محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار الفضيلة، بيروت، ط2، 2006م.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1955م.
- نور الدين تومي، المباحث الحديثية في تفسير ابن باديس، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، سنة 2014م، مجلد 19، العدد 37.

مناهج التفسير عند علماء الجزائر: عبد الحميد بن باديس نموذجاً رائداً

Qur'anic Interpretation Methods among Algerian Scholars: Abdelhamid Ben Badis as a Leading Model

د. جلة مصطفى

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

الملخص:

يُعدّ علم التفسير من أهم العلوم الإسلامية التي أسهمت في فهم النص القرآني وتوجيه الأمة في مختلف مراحلها التاريخية.

وقد تميّز علماء الجزائر عبر العصور بإسهاماتهم في هذا المجال، حيث مزجوا بين الأصالة العلمية والوعي الاجتماعي، مستلهمين من القرآن الكريم أدوات الإصلاح والتجديد.

وفي هذا السياق، يبرز اسم الشيخ عبد الحميد بن باديس بوصفه أحد أبرز أعلام النهضة الفكرية والدينية في الجزائر خلال القرن العشرين؛ فقد اتخذ من التفسير القرآني منطلقاً لمشروعه الإصلاحية، موظفاً إياه في بناء الهوية الوطنية، ومحاربة الجهل والخرافة، ومواجهة الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى طمس الشخصية الإسلامية للجزائريين.

فكيف وظّف ابن باديس التفسير لخدمة مشروعه الإصلاحية؟ وما هي القواعد المنهجية التي اعتمدها في تفسيره؟ وكيف تميز تفسيره عن غيره من المفسرين التقليديين؟

وخلصنا في نهاية الدراسة إلى أن الإمام ابن باديس اعتمد منهجاً إصلاحياً تربوياً في تفسيره، يهدف إلى إصلاح العقيدة، وتطهير الفكر من الخرافة والبدع.

كما ركّز على التفسير الموضوعي الذي يخدم قضايا الأمة، مثل التوحيد، الأخلاق، والعلم؛ واستخدم قواعد تفسيرية واضحة، مثل العودة إلى اللغة العربية، ومراعاة السياق، والربط بين الآيات.

الكلمات المفتاحية: عبد الحميد بن باديس؛ مناهج التفسير؛ التفسير الإصلاحي؛ المدرسة الجزائرية؛ التفسير الموضوعي؛ التربية القرآنية؛ مقاومة الاستعمار.

Abstract:

Tafsir Qur'anic exegesis is considered one of the most important Islamic sciences, contributing significantly to the understanding of the Qur'anic text and guiding the Muslim community throughout its historical stages.

Algerian scholars have distinguished themselves over the centuries through their contributions to this field, blending scholarly authenticity with social awareness, and drawing from the Qur'an tools for reform and renewal.

In this context, the name of Sheikh Abdelhamid Ben Badis emerges as one of the most prominent figures of intellectual and religious revival in Algeria during the 20th century. He adopted Qur'anic interpretation as a foundation for his reformist project, using it to build national identity, combat ignorance and superstition, and resist French colonialism, which sought to erase the Islamic character of Algerians.

This study explores how Ben Badis employed tafsir to serve his reformist vision, the methodological principles he relied upon, and how his approach differed from traditional exegetes.

The study concludes that Imam Ben Badis adopted a reformist and educational approach to tafsir, aiming to purify belief and eliminate superstition and innovation. He focused on thematic interpretation that addressed the concerns of the Muslim community, such as monotheism, ethics, and knowledge. His method was marked by clear exegetical principles, including a return to the Arabic language, attention to context, and coherence between verses.

; :Abdelhamid Ben Badis; Tafsir methodologies **Keywords**

Reformist interpretation; Algerian school of tafsir; Thematic .exegesis; Qur'anic education; Anti-colonial resistance

مقدمة:

يُعدّ علم التفسير من أقدم وأهم العلوم الإسلامية التي نشأت لخدمة النص القرآني، وتجلية معانيه، وتوجيه الأمة في مسيرتها الفكرية والدينية، وقد ظل التفسير عبر العصور أداة فعالة في بناء العقيدة، وترسيخ القيم، ومواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية التي تعترض المسلمين، وفي هذا السياق، برزت مدارس تفسيرية متعددة، كل منها يعكس خصوصية بيئته الثقافية والاجتماعية.

أهمية الموضوع:

شكّل التفسير القرآني في الجزائر أحد الوسائل الأساسية التي اعتمدها العلماء في نشر الوعي الديني، ومقاومة الاستعمار، وبناء الهوية الوطنية، ومن بين هؤلاء العلماء يبرز الإمام عبد الحميد بن باديس بوصفه نموذجاً رائداً في توظيف التفسير لخدمة مشروعه الإصلاحية، حيث لم يكن تفسيره مجرد نشاط علمي، بل كان أداة للتغيير والتربية والتحرير.

إضافة إلى ذلك أن دراسة مناهج التفسير عند علماء الجزائر، مع التركيز على ابن باديس، تتيح فهماً أعمق لخصوصية المدرسة الجزائرية في التفسير، وتكشف عن دورها في النهضة الفكرية والدينية.

إشكالية البحث:

ينطلق هذا البحث من الإشكالية التالية:

كيف وظّف الإمام بن باديس التفسير القرآني في مشروعه الإصلاحية؟ وما هي القواعد المنهجية التي اعتمدها؟ وكيف تميز منهجه عن مناهج المفسرين التقليديين؟

أهداف البحث:

- إبراز الخصائص المنهجية لتفسير ابن باديس.
- تحليل دوره في توظيف التفسير لخدمة الإصلاح الديني والاجتماعي.
- التعرف على ملامح المدرسة الجزائرية في التفسير من خلال نموذج ابن باديس.
- بيان أثر التفسير في بناء الهوية ومواجهة الاستعمار.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تسلط الضوء على جانب مهم من الفكر الإسلامي الجزائري، وتُظهر كيف يمكن للتفسير أن يكون أداة للتغيير، وبناء الهوية، ومواجهة التحديات الفكرية والسياسية، مما يجعلها ذات صلة بالواقع المعاصر في ظل التحولات الثقافية والدينية.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي التاريخي، من خلال دراسة نصوص تفسيرية لابن باديس، وتحليلها في ضوء السياق الاجتماعي والسياسي الذي عاش فيه، مع الاستعانة بالمصادر الأكاديمية التي تناولت فكره ومنهجه، ومقارنة تفسيره بمناهج أخرى تقليدية ومعاصرة.

حدود البحث:

يركز البحث على تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس بوصفه نموذجًا للمدرسة الجزائرية في التفسير، دون التوسع في دراسة باقي علماء الجزائر، كما يقتصر على الجوانب المنهجية والتربوية دون التعمق في الجوانب الفقهية أو البلاغية.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفاهيم أساسية متعلقة بعلم التفسير

المطلب الأول: مفهوم علم التفسير ومناهجه الأساسية

المطلب الثاني: تطور علم التفسير في العالم الإسلامي

المطلب الثالث: التفسير في الجزائر قبل ابن باديس

المطلب الرابع: ملامح المدرسة الجزائرية في التفسير:

المبحث الثاني: عبد الحميد بن باديس السيرة والمشروع الإصلاحي:

المطلب الأول: نبذة عن حياة ابن باديس العلمية والسياسية والاجتماعية

المطلب الثاني: أهداف مشروعه الإصلاحي ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في

ذلك.

المبحث الثالث: منهج ابن باديس في التفسير – الأسس والخصائص:

المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج ابن باديس ومصادره في التفسير

المطلب الثاني: الأسس التي اعتمدها ابن باديس في تفسيره

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من تفسير ابن باديس

المطلب الأول: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الديني والعقائدي

المطلب الثاني: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الأخلاقي والتربوي

المطلب الثالث: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الاجتماعي

المطلب الرابع: الآيات الموظفة في السياق السياسي والاجتماعي العام

المبحث الخامس: أثر تفسير ابن باديس في الفكر الجزائري.

المطلب الأول: تأثيره في الوعي الديني والوطني

المطلب الثاني: دوره في بناء الهوية الإسلامية

المطلب الثالث: أثره في التعليم الديني ومناهج المدارس الحرة

المطلب الرابع: استمرار تأثيره في الفكر المعاصر

الخاتمة : تضمنت:

- أهم النتائج المستخلصة.

- تقييم منهجه التفسيري في ضوء المناهج الأخرى.

- توصيات للباحثين في مجال التفسير الجزائري.

المبحث الأول: المبحث الأول: مفاهيم أساسية متعلقة بعلم التفسير

المطلب الأول: مفهوم علم التفسير ومنهجه الأساسية

الفرع الأول: مفهوم علم التفسير:

لغة: قَسَرَ الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسر: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه (1).

اصطلاحاً: علم التفسير هو علم يُعنى ببيان معاني القرآن الكريم، وتوضيح دلالاته، واستنباط أحكامه ومقاصده، وفق قواعد لغوية وشرعية محددة (2).

الفرع الثاني: مناهج التفسير الأساسية (3):

نشأ هذا العلم مع بداية نزول الوحي، حيث كان النبي ﷺ أول المفسرين للقرآن، ثم تبعه الصحابة والتابعون، فتكوّنت بذلك مدارس تفسيرية متعددة.

تُعد هذه المناهج التفسيرية أدوات لفهم النص القرآني، وقد تختلف في أساليبها وأهدافها، لكنها تتكامل في خدمة المقصد الأعلى: إدراك هدايات القرآن وتفعيلها في الواقع، من هذه المناهج:

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، 1979م، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 504/4.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، 1957م؛ البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 13/1.

(3) محمد علي الحسن، 2000 م، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ص: 260.

التفسير بالمأثور: يعتمد على ما ورد عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، ويُعد من أكثر المناهج أصالةً وموثوقية.

التفسير بالرأي: يقوم على الاجتهاد العقلي، مع الالتزام بالقواعد الشرعية واللغوية، ويُستخدم لتفسير الآيات التي لا تتوفر فيها روايات مأثورة.

التفسير اللغوي: يركّز على تحليل الألفاظ القرآنية من حيث المعنى، الاشتقاق، والنحو، ويُعد أساساً لفهم النص.

التفسير الفقهي: يهتم باستنباط الأحكام الشرعية من الآيات، ويُستخدم في كتب الفقه والتشريع.

التفسير الموضوعي: يجمع الآيات المتعلقة بموضوع معين كالتوحيد، أو المرأة، أو الجهاد ويحللها في سياق واحد، وهو منهج حديث نسبياً.

المطلب الثاني: تطور علم التفسير في العالم الإسلامي⁽¹⁾:

شهد علم التفسير تطوراً تدريجياً عبر مراحل التاريخ الإسلامي، متأثراً بالتحوّلات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عرفها المسلمون، ففي العصر النبوي، كان التفسير شفوياً ومباشراً، حيث كان النبي ﷺ يشرح الآيات للصحابة بحسب الحاجة والسياس، ثم جاء عصر الصحابة والتابعين، فبدأ التدوين الجزئي للتفسير، مع التركيز على الرواية والنقل؛ ومن أبرز مراحل تطور التفسير:

- عصر التأسيس القرن الأول والثاني الهجري: ظهر التفسير بالمأثور، وبدأ جمع أقوال الصحابة والتابعين، مثل تفسير مجاهد وقتادة وابن عباس.

- عصر التدوين القرن الثالث والرابع: ظهرت كتب تفسير شاملة، مثل تفسير الطبري، الذي جمع الروايات وناقشها بأسلوب علمي.

- عصر التنوع المنهجي القرن الخامس إلى الثامن: ظهرت مناهج جديدة، مثل التفسير

(1) محمد علي الحسن، 2000 م، ص: 221.

الفقهي القرطبي، واللغوي الزجاج، والفلسفي الفخر الرازي، والصوفي النسفي.

- العصر الحديث والمعاصر: بدأ التفسير يأخذ طابعاً موضوعياً وإصلاحياً، مع التركيز على مقاصد الشريعة، وقضايا الواقع، كما في تفاسير محمد عبده، رشيد رضا، والطاهر بن عاشور.

هذا التطور يعكس حيوية الفكر الإسلامي، وقدرته على التفاعل مع النص القرآني في ضوء المتغيرات، وهو ما يُمهّد لفهم تجربة ابن باديس في التفسير، بوصفها امتداداً وتجديداً في السياق الجزائري.

المطلب الثالث: التفسير في الجزائر قبل ابن باديس⁽¹⁾:

قبل ظهور الإمام عبد الحميد بن باديس، كان علم التفسير في الجزائر يمارس ضمن إطار تقليدي، غالباً داخل الزوايا والمدارس الدينية التي اعتمدت على حفظ القرآن وتعليم مبادئه الأساسية.

وقد تأثر التفسير في هذه المرحلة بعدة عوامل، أبرزها الطابع الصوفي، والانغلاق العلمي الناتج عن العزلة الثقافية التي فرضها الاستعمار الفرنسي.

ومن أبرز سمات التفسير في تلك المرحلة:

- الاعتماد على الشروح التقليدية: مثل تفسير الجالين، والبيضاوي، دون تحليل معمق أو ربط بالواقع.

- الطابع الصوفي والإشاري: حيث غلب التأويل الرمزي والروحي، خاصة في الزوايا التي كانت تركز على التربية الروحية أكثر من الفهم العقلي للنص.

- ضعف المنهجية العلمية: نتيجة غياب مؤسسات تعليمية منهجية، وانحسار الاجتهاد لصالح التقليد.

(1) أبو القاسم سعد الله ٢٠٠٧ م، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، 9/7؛ منير زباني، 2022، المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفها، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، مج 23.

- الانفصال عن قضايا المجتمع: إذ لم يكن التفسير يُستخدم كأداة إصلاح أو توعية، بل بقي محصوراً في النطاق التعبدى والتعليم الأولي.

ورغم وجود بعض المحاولات الفردية في التفسير، إلا أن غياب مشروع فكري متكامل جعل الساحة مهياةً لظهور شخصية مثل ابن باديس، الذي أعاد للتفسير دوره الحيوي في بناء الإنسان والمجتمع، وربطه بقضايا الأمة والهوية.

المطلب الرابع: ملامح المدرسة الجزائرية في التفسير⁽¹⁾:

تمتاز المدرسة الجزائرية في التفسير، خاصة مع بروز الإمام عبد الحميد بن باديس، بخصوصيات منهجية وفكرية جعلتها متميزة عن غيرها من المدارس التفسيرية في العالم الإسلامي، وقد تشكّلت هذه المدرسة في ظل ظروف استعمارية وثقافية خاصة، ما جعلها تتخذ من التفسير أداة للنهوض والإصلاح، لا مجرد علم نظري.

ومن أبرز ملامح هذه المدرسة:

- الوظيفة الإصلاحية للتفسير: حيث يُستخدم التفسير لتصحيح العقيدة، محاربة البدع، وتوجيه الناس نحو العمل الصالح.

- الارتباط بالواقع الاجتماعي والسياسي: فالتفسير لا ينفصل عن قضايا الأمة، بل يخاطبها ويعالج مشكلاتها.

- الاعتماد على اللغة العربية الأصيلة: باعتبارها مفتاح فهم النص القرآني، وركيزة للهوية الثقافية.

- الوضوح والبساطة في الأسلوب: لتيسير الفهم لعامة الناس، بعيداً عن التعقيد الفلسفي أو التأويلي.

- الدمج بين المأثور والاجتهاد: حيث يُستفاد من أقوال السلف، مع فتح المجال للتأمل

(1) أبو القاسم سعد الله ٢٠٠٧ م ، 9/7: منير زيباني، 2022، المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفهيًا، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، مج 23.

العقلي المنضبط.

وقد تجسدت هذه الملامح بوضوح في تفسير ابن باديس، الذي يُعد النموذج الأبرز لهذه المدرسة، حيث جمع بين الأصالة والتجديد، وبين العلم والعمل، وبين النص والواقع.

المبحث الثاني: عبد الحميد بن باديس السيرة والمشروع الإصلاحي:

المطلب الأول: نبذة عن حياة ابن باديس العلمية والسياسية والاجتماعية

الفرع الأول: نبذة عن حياته ونشأته العلمية⁽¹⁾

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس في مدينة قسنطينة الجزائرية يوم 4 ديسمبر 1889، الموافق لـ 11 ربيع الثاني 1307هـ، في أسرة عريقة في العلم والدين والسياسة، تنتمي إلى بني صنهاجة، وقد عُرف أفرادها بالريادة في القضاء والإمامة والتعليم منذ العهد العثماني.

تلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب، ثم درس على يد كبار علماء قسنطينة، أبرزهم الشيخ حمدان النونيسي، قبل أن ينتقل إلى جامع الزيتونة في تونس، حيث تخرج سنة 1912 متفوقاً في علوم الشريعة واللغة.

بعد عودته إلى الجزائر، رفض الانخراط في الوظائف الرسمية التي عرضها عليه الاستعمار الفرنسي، وفضل التفرغ للتعليم والدعوة، فأسس مدرسة للتعليم الحر، وبدأ مشروعه الإصلاحي الذي امتد ليشمل مختلف مناطق الجزائر.

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء 16 أفريل 1940م، بمسقط رأسه قسنطينة.

الفرع الثاني: السياق السياسي والاجتماعي في الجزائر تحت الاستعمار⁽²⁾:

(1) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، عام 1388 هـ - 1968 م، آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالي، الطبعة: الأولى، دار ومكتبة الشركة الجزائرية؛ 72/1؛ عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي 1995م، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير؛ المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 6/1.

(2) ابن باديس الصنهاجي، 1995 م، 8/1.

جاء ابن باديس في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر، حيث كانت البلاد ترزح تحت الاحتلال الفرنسي الذي سعى إلى طمس الهوية الإسلامية والعربية، من خلال فرنسة التعليم، إغلاق المدارس القرآنية، مصادرة الأوقاف، وتهميش اللغة العربية، انتشار الجهل والخرافة، وتراجعت مكانة العلماء، مما أدى إلى تفكك البنية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري.

ورسمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها ستريح بها اللعبة وهي بثُ الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري، بين العرب والبربر. وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم من سلالة أوروبية وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها، وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر.

في هذا السياق، أدرك ابن باديس أن الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعادة بناء الإنسان الجزائري عبر التعليم، التوعية، وتطهير العقيدة من الشوائب.

المطلب الثاني: أهداف مشروعه الإصلاحي ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ذلك.

الفرع الأول: أهداف مشروعه الإصلاحي⁽¹⁾

كان مشروع ابن باديس شاملاً، يهدف إلى:

- إحياء العقيدة الصحيحة وفق منهج أهل السنة والجماعة.
 - نشر التعليم العربي الإسلامي خارج سيطرة الاستعمار.
 - محاربة البدع والخرافات التي علقت بالدين.
 - بناء وعي وطني يربط بين الإسلام والعروبة والانتماء الجزائري.
 - إعداد جيل مقاوم فكرياً وثقافياً للاستعمار.
- وقد عبّر عن هذه الأهداف في شعاره الشهير: "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب".

(1) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي 1983م، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الطبعة: الأولى، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ص: 13 وما بعدها؛ ابن باديس، 1968 م، 1/101، وما بعدها.

الفرع الثاني: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽¹⁾

أسّس ابن باديس سنة 1931 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجمع فيها نخبة من العلماء والمفكرين، مثل الطيب العقبي، البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، كانت الجمعية منبراً لنشر الفكر الإصلاحية، عبر التعليم، الصحافة، والخطابة، وواجهت الاستعمار بوسائل سلمية قائمة على الوعي والتربية.

أصدرت الجمعية مجلة الشهاب التي كانت منبراً لتفسير القرآن، ونشر المقالات الإصلاحية، كما أنشأت مدارس حرة، وأعادت الاعتبار للغة العربية، وساهمت في تشكيل وعي جماهيري واسع.

المبحث الثالث: منهج ابن باديس في التفسير – الأسس والخصائص:

المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج ابن باديس ومصادره في التفسير⁽²⁾.

تميّز منهج ابن باديس التفسيري بجملة من الخصائص التي جعلته قريباً من الناس، ومؤثراً في الواقع، حيث جمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين التفسير العلمي والروحي، وبين التوجيه التربوي والإصلاحية، وقد استند في تفسيره إلى مصادر رصينة، من أبرزها:

- الاعتماد على القرآن لتفسير القرآن: ابن باديس يرى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ويشكّل وحدة متكاملة في المعنى والمقصد.

- الرجوع إلى السنة النبوية: استخدم السنة لتوضيح المجمل وتقييد المطلق وتفسير ما يحتاج إلى بيان.

- المنهج السلفي: التزم بمنهج السلف الصالح، واعتمد على تفاسيرهم مثل تفسير

(1) ابن باديس ، 1995 م، 1/11؛ ابن باديس ، 1968 م، 1/56، وما بعدها؛ د. علي محمد محمد الصّلاّبي، 2016م ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج 2، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1972/2؛ أ. المسعود الصّيد، بدايات النهضة للإمام عبد الحميد بن باديس في الجزائر من ظهور الرجل حتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، جامعة الجزائر.

(2) ابن باديس ، 1995 م، ص: 16؛ د. علي محمد محمد الصّلاّبي، 2016م ، 2/270، وما بعده.

الطبري والكشاف وأبي حيان والرازي، مع ترجيح المعاني اللغوية والبيانية.

- البعد عن التقليد المذهبي: لم يتقيد بمذهب معين، بل كان منفتحاً على ما يراه راجحاً من أقوال السلف.

- الوضوح والبساطة: اتسم تفسيره بالسهولة في العرض، والابتعاد عن التعقيد أو الجدل الكلامي.

- الاهتمام بالواقع المعاصر: ربط التفسير بقضايا الإنسان ومشاكله، وحرص على أن يكون التفسير وسيلة للإصلاح الاجتماعي والفكري.

- الانتصار للعقل والعلم: فسّر الآيات الكونية في ضوء المكتشفات العلمية، وأكد أن القرآن لا يتعارض مع العقل بل يدعو إلى استخدامه.

مثال تطبيقي: في تفسيره لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ} [الإسراء: 12]

ربط ابن باديس هذه الآية بالعلوم الكونية، واعتبرها دليلاً على قدرة الله، ودعوة للتأمل في نظام الكون، مما يعكس منهجه العلمي في التفسير⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الأسس التي اعتمدها ابن باديس في تفسيره⁽²⁾

- الأساس العقائدي التوحيد: ابن باديس جعل التوحيد محوراً أساسياً في تفسيره، فكان يبرز مظاهر قدرة الله ووحدانيته في الآيات، ويحرص على تنقية العقيدة من الشوائب.

- الأساس الإصلاحي والاجتماعي: ربط التفسير بقضايا المجتمع، مثل الأخلاق، العدالة، التعليم، ومحاربة البدع والانحرافات، وجعل القرآن وسيلة لإصلاح الفرد والجماعة.

- الأساس التربوي: اهتم بتربية النفوس من خلال التفسير، فكان يختار الآيات التي

(1) د. علي محمد محمد الصّلاّبي، 2016 م، 273/2؛ ابن باديس، 1968 م، 319/1.

(2) د. علي محمد محمد الصّلاّبي، 2016 م، 273/2؛ خالد بن زيان، مارس 2021، منهج ابن باديس في الإفادة من مصادر التفسير، مجلة جسور المعرفة، العدد 1، مج 07؛ محمد ياسين حني، 2017، أصول التفسير عند الإمام ابن باديس من خلال مجالس التذكير من كلام الحكيم، رسالة ماستر، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي_الجزائر.

تهذب السلوك وتغرس القيم، ويشرحها بأسلوب مؤثر.

- الأساس العلمي والعقلي: اعتمد على العقل في فهم النصوص، وفسّر الآيات الكونية بما يتوافق مع العلم الحديث، دون أن يتجاوز حدود النص القرآني.

- الأساس اللغوي والبياني: أولى اهتمامًا كبيرًا للغة العربية، فكان يفسر الآيات من خلال دلالاتها اللغوية والبلاغية، ويستشهد بالشعر العربي واللغة الفصيحة.

- الأساس التاريخي والحضاري: استعرض قصص الأمم السابقة في القرآن، وربطها بواقع المسلمين، ليستخلص منها العبر والدروس.

ملاحظات منهجية: كان الإمام ابن باديس يكتب تفسيره في مجلة الشهاب، مما جعله يخاطب جمهورًا واسعًا بلغة واضحة ومباشرة؛ ولم يكن تفسيره أكاديميًا صرّفًا، بل كان عمليًا موجّهًا للإصلاح والتوعية⁽¹⁾.

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية من تفسير ابن باديس⁽²⁾

بعد الوقوف على الأسس النظرية والخصائص المنهجية التي شكّلت تفسير ابن باديس، تبرز أهمية الانتقال إلى الجانب التطبيقي من عمله التفسيري، حيث تتجلى تلك المبادئ في تفسيره العملي للآيات القرآنية.

فقد حرص ابن باديس على أن يكون تفسيره مرتبطًا بالواقع، موجّهًا لعامة الناس، ومحتملاً برسائل تربوية وإصلاحية، مما جعل نماذجه التفسيرية انعكاسًا حيًا لمنهجه المتكامل. وفي هذا السياق، نستعرض نماذج مختارة من تفسيره، تُظهر كيف وظّف الأسس العقائدية، اللغوية، والاجتماعية في خدمة الفهم الصحيح للقرآن الكريم، وتقديمه كمنهج حياة شامل.

المطلب الأول: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الديني والعقائدي

(1) قواعد التفسير عند الإمام ابن باديس وأثرها على تنزيلات الآيات على الواقع - ذهب الصادق بن الساسي.

(2) د. علي محمد محمد الصّلاّبي، 2016 م، 275/2.

هذه النماذج تُظهر اهتمام ابن باديس بتصحيح العقيدة، والتحذير من الانحرافات الفكرية والدينية:

تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11]؛ استخدمها ابن باديس لتأكيد أن الإصلاح يبدأ من الداخل، وأن التغيير الحقيقي لا يكون إلا بتغيير النفوس، وهو أساس مشروعه الإصلاحية.

تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: 36]؛ شرح مفهوم "القفو" بأنه اتباع بغير علم، مؤكداً على ضرورة تحكيم النقل والعقل، ومبيناً أن الإنسان مسؤول عن استخدام جوارحه في إدراك الحقيقة، مما يعكس منهجه العقلي في التفسير⁽¹⁾.

تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [ص: 26]؛ فسّر ابن باديس هذه الآية في سياق التحذير من دعاة الضلال الذين يزيّنون الباطل للناس، واعتبر أن من أعظم صور الإضلال هو تحريف الدين أو تبرير الظلم باسم الشرع، مما يستوجب العذاب الشديد.

المطلب الثاني: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الأخلاقي والتربوي

ركّز الإمام ابن باديس على بناء الفرد أخلاقياً، مستلهماً ذلك من الآيات التي تهذب السلوك وتغرس القيم:

تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]؛ استخرج منها ابن باديس نموذجاً تربوياً، موضحاً أن الأخلاق هي أساس الدعوة، وأن المصلح لا ينجح إلا إذا كان متخلقاً بخلق القرآن، كما كان النبي ﷺ.

تفسير قوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى: 9]؛ اعتبر ابن باديس أن التذكير واجب في كل حال، حتى إن لم يظهر أثره فوراً، لأن الذكرى قد تنفع لاحقاً، وهذا يعكس منهجه التربوي في الدعوة والإصلاح⁽²⁾.

(1) ابن باديس الصنهاجي، 1995 م، 1/ 99

(2) نفس المصدر، 1/ 26.

قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: 9]؛ فسرها ابن باديس بأنها دعوة إلى تزكية النفس من الجهل والهوى، وربطها بمشروعه التربوي الذي يهدف إلى بناء الفرد الصالح كمدخل لإصلاح المجتمع⁽¹⁾.

المطلب الثالث: نماذج من الآيات الموظفة في السياق الاجتماعي

وظّف الإمام ابن باديس الآيات لمعالجة قضايا المجتمع، مثل الجهل، الفتنة، والانقسام: تفسير قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} [الفرقان: 20]؛ طبق ابن باديس هذه الآية على واقع الأمة الإسلامية، موضحاً كيف أصبحت الأمة فتنة لغيرها بسبب الجهل والتخلف، داعياً إلى النهوض الحضاري لاستعادة الصورة الحقيقية للإسلام. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص: 161

تفسير قوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ...} [النمل: 20-21]؛ يرى ابن باديس أن العذاب الشديد الذي فُسر بنتف ريش الهدهد يحمل دلالة رمزية على حرمان الإنسان من خاصية التفكير والعلم، وهو في نظره من أشد أنواع العذاب، مما يعكس اهتمامه بالتربية العقلية⁽²⁾.

المطلب الرابع: الآيات الموظفة في السياق السياسي والاجتماعي العام

لم يغفل الإمام ابن باديس البعد السياسي، بل استخدم الآيات في نقد الواقع السياسي والانحرافات السلطوية:

تفسير قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: 11]؛ ربط ابن باديس هذه الآية بالواقع السياسي والاجتماعي، موضحاً كيف يدعي بعض المفسدين أنهم مصلحون، بينما هم ينشرون الجهل والانقسام، مما يستدعي وعياً قرآنياً لكشف زيفهم.

تفسير قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [الأنفال: 27]؛ اعتبرها ابن باديس دعوة إلى الأمانة في الدين والدولة، وحذر من خيانة الأمانات الفكرية والاجتماعية،

(1) نفس المصدر، 73/1.

(2) نفس المصدر، 249/1.

مؤكدًا أن الخيانة تبدأ من التهاون في المبادئ.

تفسير قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ} [الفرقان: 1]؛ أبرز ابن باديس وظيفة الفرقان في التمييز بين الحق والباطل، وربط ذلك بضرورة اتباع الدعاة الصادقين الذين لا يسألون أجراً، في إشارة إلى الإخلاص في الدعوة⁽¹⁾.

تُظهر هذه النماذج التطبيقية من تفسير ابن باديس كيف تحوّل منهجه التفسيري من مجرد تحليل لغوي أو بياني إلى مشروع إصلاحى متكامل، يستهدف بناء الإنسان عقلياً وروحياً واجتماعياً.

فقد استطاع من خلال تفسيره أن يُفعّل الأسس التي اعتمدها، ويُنزّلها على الواقع المعاش، بأسلوب يجمع بين الأصالة والوعي الحضاري، وبين التوجيه التربوي والنهج العلمي.

وتؤكد هذه النماذج أن تفسير ابن باديس لم يكن مجرد اجتهاد فردي، بل كان جزءاً من حركة فكرية إصلاحية تهدف إلى إحياء الأمة من خلال العودة الواعية إلى كتاب الله، وفهمه في ضوء حاجات العصر ومقتضيات النهضة⁽²⁾.

المبحث الخامس: أثر تفسير ابن باديس في الفكر الجزائري⁽³⁾.

المطلب الأول: تأثيره في الوعي الديني والوطني⁽⁴⁾

في سياق الاحتلال الفرنسي ومحاولاته لطمس الهوية الجزائرية، جاء تفسير ابن باديس

(1) ابن باديس، 1968 م، 377/1.

(2) حدة سابق، حبيبة زماملية 2017، منهج الإمام ابن باديس في تنزيل آيات القرآن الكريم على الواقع، العدد 04، مج، مجلة المنهل، الوادي.؛ عبد الحليم توميّات، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين 6 نماذج من تفسير الإمام ابن باديس، الأحد 09 جمادى الثانية 1439 هـ الموافق لـ 25 فيفري 2018، موقع <https://www.nebrasselhaq.com> : الصادق بن الساسي 2024، قواعد التفسير عند الإمام ابن باديس وأثرها على تنزيلات الآيات على الواقع، مجلة الشهاب، المجلد 10، العدد 03.

(3) د. علي محمد محمد الصلابي، 2016 م، 97/2، وما بعدها؛ نبيل صابري، جهود المدرسة الإصلاحية الجزائرية في دراسة المصطلح القرآني - تفسير ابن باديس أنموذجاً-، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(4) ابن باديس، 1968 م، 99/1.

للقرآن الكريم كمنارة أضاءت طريق الوعي الديني والوطني، فقد تجاوز التفسير حدود الفهم الديني التقليدي، ليصبح أداة فعالة في إيقاظ الشعور بالانتماء الإسلامي والوطني لدى الجزائريين؛ وذلك من خلال ربطه بين العقيدة والواقع، وبين النص القرآني وقضايا الأمة، ساهم ابن باديس في بناء وعي جماهيري يدرك أن التحرر من الاستعمار يبدأ أولاً بتحرير الفكر والروح.

- ربط الإمام ابن باديس بين الدين والوطنية، مؤكداً أن الإسلام لا يتعارض مع حب الوطن، بل يعززه.

- استخدم تفسيره للقرآن لتوعية الشعب الجزائري بمكانته كأمة مسلمة لها تاريخ وحضارة، في مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس الهوية.

- أبرز في تفسيره قيم العدل، الحرية، والمقاومة، مما ساهم في تشكيل وعي جماهيري يدرك أن التحرر السياسي لا ينفصل عن التحرر الروحي.

المطلب الثاني: دوره في بناء الهوية الإسلامية⁽¹⁾

في ظل محاولات الاستعمار الفرنسي لطمس الهوية الإسلامية في الجزائر، برز دور ابن باديس كمجدد ومصلح استخدم تفسيره للقرآن الكريم كوسيلة فعالة لإعادة بناء الهوية الإسلامية للشعب الجزائري، ولم يكن تفسيره مجرد شرح للنصوص، بل كان مشروعاً حضارياً متكاملًا يستهدف ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتطهير الممارسات الدينية من البدع، وتعزيز الانتماء إلى الأمة الإسلامية؛ من خلال التركيز على القرآن والسنة، وإحياء اللغة العربية.

استطاع الإمام ابن باديس أن يعيد تشكيل الوعي الديني والثقافي، ويؤسس لنهضة إسلامية جزائرية أصيلة، تقاوم التغريب وتتمسك بجذورها الروحية والحضارية.

- ركّز على العقيدة الصحيحة، ونبذ البدع والخرافات، مما ساعد في ترسيخ هوية إسلامية نقية تقوم على الكتاب والسنة.

(1) ابن باديس، 1995 م، 1/11.

- أعاد الاعتبار للغة العربية كجزء من الهوية الإسلامية، واعتبرها وسيلة لفهم الدين، مما عزز ارتباط الجزائريين بدينهم وثقافتهم.
- قدّم تفسيراً مبسطاً وميسراً للقرآن، يخاطب عامة الناس، مما جعل الدين أقرب إلى حياتهم اليومية.

المطلب الثالث: أثره في التعليم الديني ومناهج المدارس الحرة⁽¹⁾

في ظل هيمنة التعليم الفرنسي الذي سعى إلى تغريب المجتمع الجزائري، برز ابن باديس كمجدد تربوي أعاد الاعتبار للتعليم الديني من خلال تأسيس المدارس الحرة. لم تكن هذه المدارس مجرد بديل تعليمي، بل كانت مشروعاً نهضوياً متكاملًا، استند إلى تفسيره للقرآن الكريم كمصدر أساسي للتربية الروحية والفكرية. وقد ساهم هذا التوجه في ترسيخ قيم الإسلام، وتعزيز اللغة العربية، وتكوين جيل واعٍ قادر على الجمع بين الأصالة والمعرفة، مما جعل التعليم الديني أداة فعالة في مقاومة الاستعمار وبناء الهوية الوطنية والدينية.

- أسّس المدارس الحرة التي كانت بديلاً عن التعليم الفرنسي، ودمج فيها تفسيره للقرآن كمصدر أساسي للتربية والتعليم.

- اعتمد منهجاً تربوياً يربط بين التعليم الديني والقيم الأخلاقية والاجتماعية، مما ساهم في تكوين جيل واعٍ ومثقف.

- شجّع على تعليم البنات، وهو أمر ثوري في زمنه، مما وسّع دائرة التأثير التربوي لتفسيره.

المطلب الرابع: استمرار تأثيره في الفكر المعاصر⁽²⁾

لا يزال أثر تفسير الإمام ابن باديس حاضراً بقوة في الفكر الجزائري المعاصر، إذ تجاوز تأثيره حدود زمانه ليصبح مرجعية دينية وفكرية تتجدد مع كل جيل، فقد أسّس ابن باديس

(1) ابن باديس، 1995، م، 1/11؛ ابن باديس، 1968، م، 1/114.

(2) د. علي محمد محمد الصّلاحي، 2016، م، 2/171، وما بعدها؛ نبيل صابري، جهود المدرسة الإصلاحية الجزائرية في دراسة المصطلح القرآني - تفسير ابن باديس أنموذجاً -، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.

من خلال تفسيره رؤية إصلاحية متوازنة تجمع بين الأصالة والانفتاح، مما جعله مصدر إلهام للمفكرين والدعاة في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية الراهنة، وتُستحضر مبادئه اليوم في الخطاب الديني المعتدل، وفي مشاريع التربية والتعليم، وحتى في النقاشات حول الهوية الوطنية والدينية، مما يؤكد أن فكره لم يكن لحظة عابرة، بل امتدادًا حيًا في مسار النهضة الجزائرية.

- لا يزال تفسير ابن باديس يُدرّس ويُستشهد به في المحافل العلمية والدينية، ويُعتبر مرجعًا في فهم القرآن في السياق الجزائري.

- ألهم العديد من المفكرين والدعاة في الجزائر وخارجها، خاصة في قضايا الهوية، الإصلاح، ومقاومة التغريب.

- يُستخدم تفسيره اليوم في تعزيز خطاب ديني معتدل، يوازن بين الأصالة والانفتاح، ويواجه التطرف والانغلاق.

خاتمة:

يتضح من خلال هذا البحث أن الإمام عبد الحميد بن باديس لم يكن مجرد مفسر للقرآن الكريم، بل كان حاملًا لمشروع إصلاحي متكامل، وظّف التفسير كأداة لبناء الإنسان الجزائري دينيًا، فكريًا، ووطنياً، فقد جمع في منهجه بين الأصالة والوعي بالواقع، وبين التمسك بالتراث والانفتاح على قضايا العصر، مما جعله نموذجًا فريدًا في تاريخ التفسير الجزائري والعربي.

أهم النتائج المستخلصة:

- اعتمد ابن باديس منهجًا تربويًا إصلاحيًا في تفسيره، يخاطب عامة الناس بلغة واضحة، ويهدف إلى تهذيب السلوك وبناء الوعي.

- ربط بين التفسير القرآني والواقع الاجتماعي والسياسي، مما جعله أداة فعالة في مقاومة الاستعمار وتعزيز الهوية الوطنية.

- ساهم تفسيره في ترسيخ العقيدة الصحيحة، ونبذ البدع، وإحياء اللغة العربية كجزء

من الهوية الإسلامية.

- كان لتفسيره أثر بالغ في تطوير التعليم الديني، خاصة من خلال المدارس الحرة التي أسسها، والتي اعتمدت القرآن كمصدر أساسي للتربية.

تقييم منهجه التفسيري في ضوء المناهج الأخرى:

عند مقارنة منهج ابن باديس بالمناهج التفسيرية الأخرى، يتبين أنه جمع بين عناصر متعددة:

- من المنهج البياني: اعتنى بجمال اللغة وبلاغة النص، مع تبسيط المعاني للمتلقي.
- من المنهج الاجتماعي: ركّز على معالجة قضايا المجتمع من خلال النص القرآني.
- من المنهج الإصلاحي: جعل التفسير وسيلة لتغيير الواقع، لا مجرد شرح للنصوص، بخلاف بعض المناهج التقليدية التي ركّزت على الجوانب اللغوية أو الفقهية فقط، فإن ابن باديس قدّم تفسيراً حياً، مرتبطاً بالناس، وموجّهاً نحو النهضة.
- وبذلك، يُعدّ منهج ابن باديس نموذجاً رائداً في التفسير الإصلاحي، يجمع بين العمق العلمي والفاعلية المجتمعية، ويستحق أن يُدرّس ويُستلهم في مشاريع التجديد المعاصرة.

توصيات للباحثين في مجال التفسير الجزائري

1. الاهتمام بالبعد التاريخي والسياقي

- ضرورة دراسة التفسير الجزائري في سياقه التاريخي والاجتماعي، خصوصاً في ظل الاستعمار الفرنسي، لفهم دوافعه وأهدافه الإصلاحية.
- تحليل العلاقة بين التفسير والواقع السياسي والثقافي الذي عاشه المفسرون الجزائريون.

2. تحقيق النصوص التفسيرية غير المنشورة

- العمل على جمع وتحقيق المخطوطات والمقالات التفسيرية التي لم تُطبع بعد، خاصة تلك المنشورة في الصحف والمجلات القديمة.

- إنشاء قواعد بيانات رقمية لتيسير الوصول إلى هذه النصوص للباحثين والطلبة.
- 3. المقارنة بين المناهج التفسيرية الجزائرية والمناهج الأخرى
- إجراء دراسات مقارنة بين منهج الإمام ابن باديس وغيره من المفسرين الجزائريين مثل الطيب العقبي، البشير الإبراهيمي.
- تحليل أوجه التشابه والاختلاف بين التفسير الجزائري والمناهج التفسيرية في المشرق العربي والمغرب الإسلامي.
- 4. الربط بين التفسير والتعليم والتكوين
- دراسة أثر التفسير في بناء المناهج التعليمية في المدارس الحرة والزوايا، وكيف ساهم في تشكيل الوعي الديني.
- اقتراح إدماج نماذج من التفسير الجزائري في مناهج التعليم الديني المعاصر.
- 5. الاستفادة من المناهج الحديثة في تحليل الخطاب التفسيري
- توظيف أدوات تحليل الخطاب، والمناهج النقدية الحديثة لفهم بنية التفسير وأسلوبه وأهدافه.
- دراسة التفسير الجزائري من منظور علم الاجتماع الديني، والأنثروبولوجيا الثقافية.
- 6. تشجيع الدراسات الميدانية والمقابلات
- إجراء مقابلات مع علماء ومثقفين جزائريين حول أثر التفسير المحلي في تشكيل الفكر الديني المعاصر.
- توثيق شهادات حية حول تأثير تفسير ابن باديس في التعليم، الدعوة، والإصلاح.
- 7. الانفتاح على البعد الإفريقي والمتوسطي
- دراسة تأثير التفسير الجزائري في دول الجوار، خاصة في تونس، المغرب، وليبيا، وكذلك في المجتمعات الإسلامية جنوب الصحراء.

- تحليل التفاعل الثقافي والديني بين التفسير الجزائري والمدارس الفكرية الأخرى في حوض المتوسط.

المصادر والمراجع:

1. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.
2. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، أبو عبد الله. 1957م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الأولى. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
3. الحسن، محمد علي. 2000م، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الطبعة الأولى. مؤسسة الرسالة، بيروت. كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة.
4. سعد الله، أبو القاسم. 2007م، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر.
5. زيباني، منير. 2022م، المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفهيًا، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، المجلد 23.
6. ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. 1968م، آثار ابن باديس. تحقيق: عمار طالبي. الطبعة الأولى. دار ومكتبة الشركة الجزائرية.
7. ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي. 1995م، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، 1983م، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الطبعة الأولى، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية.
9. الصلابي، علي محمد محمد. 2016م، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال

الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

10. الصيد، المسعود، بدايات النهضة للإمام عبد الحميد بن باديس في الجزائر من ظهور الرجل حتى تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، جامعة الجزائر.

11. زيان، خالد بن. مارس 2021م، منهج ابن باديس في الإفادة من مصادر التفسير، مجلة جسور المعرفة، العدد 1، المجلد 7.

12. حني، محمد ياسين. 2017م، أصول التفسير عند الإمام ابن باديس من خلال مجالس التذكير من كلام الحكيم، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي – الجزائر.

13. بن الساسي، الصادق. 2024م، قواعد التفسير عند الإمام ابن باديس وأثرها على تنزيلات الآيات على الواقع، مجلة الشهاب، المجلد 10، العدد 3.

14. سابق، حدة، وزماملية، حبيبة. 2017م، منهج الإمام ابن باديس في تنزيل آيات القرآن الكريم على الواقع، مجلة المنهل، العدد 4، الوادي.

15. توميات، عبد الحليم. 2018م، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: نماذج من تفسير الإمام ابن باديس". موقع نبراس الحق:

<https://www.nebrasselhaq.com>]

16. صابري، نبيل. دون تاريخ، جهود المدرسة الإصلاحية الجزائرية في دراسة المصطلح القرآني – تفسير ابن باديس أنموذجا.

التفسير عند الشيخ محمد باي بلعالم الأدراري الجزائري - المفتاح النوراني نموذجاً

أ. د. ناصري عبد العزيز - ط. د. عيسى مكاوي

جامعة أحمد درايعة - أدرار

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع غريب القرآن وهو جزئية من التفسير وعلوم القرآن عند أحد أعلام العلماء الجزائريين وهو الشيخ محمد باي بلعالم، صاحب مدرسة مصعب بن عمير بمدينة أولف بولاية أدرار الجزائرية، والذي يعد عالم موسوعي؛ حيث ألف في علوم مختلفة كاللغة والتفسير والحديث والفقه والتاريخ والشعر... واخترت علم التفسير كجزئية من العلوم التي أهتم بها وألف فيها، لتبيين ملامح الشيخ في التفسير وعلوم القرآن من خلال كتابه: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن كنموذج تطبيقي لهذه المداخل، علماً أن الكتاب يعالج جزئية من علوم القرآن وهي غريب القرآن؛ وهذا يبدو جلياً من عنوان الكتاب، ويدخل في علم التفسير. وذلك عن طريق التعريف بالمؤلف والكتاب، وذكر المصادر التي استند إليها، وطريقة الشيخ. رحمه الله. في توضيح غريب القرآن بأمثلة تطبيقية، مع العلم أن الكتاب عبارة عن شرح لمنظومة الشيخ محمد الطاهر السوفي في غريب القرآن، فهو مرتب على أبواب ومقسم على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ليسهل الرجوع إليه، على عادة المعاجم اللغوية.

الكلمات المفتاحية: الغريب، الشيخ باي، التفسير.

"Interpretation of Al-Miftah Al-Nurani by Sheikh Muhammad Bay Belalam Al-Adrari Al-Jazaery: A Model"

Abstract

This study addresses the topic of the "Strange Qur'an," which is a subset of tafsir interpretation and the sciences of the Qur'an, as explored by one of the prominent Algerian scholars, Sheikh Muhammad Bay Belalam. He is the founder of the Mus'ab ibn Umayr school in the city of Aoulef, located in the Adrar province of Algeria, and is considered a

polymath. He authored works in various fields, including language, tafsir, hadith, jurisprudence, history, and poetry. I have chosen tafsir as a specific area of his scholarly interest to highlight the features of the Sheikh's approach to tafsir and the sciences of the Qur'an through his book, "Al-Miftah Al-Nurani 'ala Al-Madkhal Al-Rabbani lil-Mufrad Al-Gharib fi Al-Qur'an," as a practical model for this paper. This book addresses the aspect of the sciences of the Qur'an related to the "Strange Qur'an," which is evident from its title, and falls within the realm of tafsir. The study will introduce the author and the book, mention the sources he relied upon, and elaborate on the Sheikh's method—may Allah have mercy on him—in elucidating the "Strange Qur'an" with practical examples. It is important to note that the book serves as an explanation of the poetic system by Sheikh Muhammad Al-Tahir Al-Sufi on the "Strange Qur'an." It is organized by chapters and divided according to the letters of the Arabic alphabet from Alif to Ya, facilitating reference in the manner of linguistic dictionaries.

Keywords: Strange; Sheikh Bay; tafsir interpretation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وصحابه الغر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فعلم التفسير وعلوم القرآن من أجل العلوم وأشرفها إذ ثمرته معرفة وفهم كلام الله . عز وجل . والاهتداء به، والقرآن هو معجزة الإسلام التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز: أنزله الله . عز وجل . على رسولنا محمد . صلى الله عليه وسلم . ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فلذلك أصلوا أصوله وقعدوا قواعده وصنفوه في مصنفات ورتبوا أبوابه وهذبوا مسائله وحققوا مباحثه، ولقد شهد مطلع القرن العشرين حركه تجديدية في مجالات علمية شتى ولعل من أهمها ما كان في مجال التفسير والدراسات التفسيرية، وشمل ذلك مناهجها النظرية ومجالاتها التطبيقية

واتجاهاتها الفكرية ومقاصدها الإصلاحية، ولقد كان للجزائريين مفسرين وباحثين في الدراسات القرآنية والتفسيرية جهودا كثيرة وإسهامات عديدة في هذا الميدان، لذلك انصرفت همتي وتوجهت عزمي لأن يكون بحثي في مجال الدراسات التفسيرية والقرآنية في الجزائر وبيان مناهج التفسير عند علماء الجزائر والباحثين في الدراسات التفسيرية ومعرفة اسقاطاتهم المنهجية على الموضوعات التفسيرية، فلم هذا اخترت عنوان بحثي حول أحد أعلام العلماء الجزائريين وهو الشيخ محمد باي بلعالم، صاحب مدرسة مصعب بن عمير بمدينة أولف بولاية أدرار الجزائرية، والذي يعد عالم موسوعي؛ حيث ألف في علوم مختلفة كاللغة والتفسير والحديث والفقه والتاريخ والشعر ... واخترت علم التفسير كجزئية من العلوم التي أهتم بها وألف فيها، لتبين ملامح الشيخ في التفسير وعلوم القرآن واخترت كتابه: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن كنموذج تطبيقي لهذه المداخلة، علماً أن الكتاب يعالج جزئية من علوم القرآن وهي غريب القرآن؛ وهذا يبدو جلياً من عنوان الكتاب، ويدخل في علم التفسير.

1. أهمية الموضوع: تكمن أهمية هذه المداخلة البحثية في نفوذ الغبار وتعريف علم من أعلام الجزائر ومدينة أولف بصفه خاصة على تراثه ومكانته العلمية بين العلماء، مع العلم أن بعض كتبه لا تزال مخطوطة ولم ترى النور بعد، وجعل رسائل علمية دكتوراه في ذلك.

2. الدراسات السابقة: من المعلوم أن الشيخ باي - رحمه الله - ألف في علوم متعددة كاللغة والنحو والفقه والتفسير وعلوم القرآن والتاريخ ... ووجدت مقالات علمية في ذلك عن طريق الشبكة العنكبوتية، فهناك دراسة في مجلة المرأة جامعة الشلف، المجلد 4، العدد 01، 2023 بعنوان: الشيخ محمد باي بلعالم - قراءة في سيرته ومؤلفاته، والدراسة واضحة من العنوان، وهناك رسالة دكتوراه في جامعة باتنة، 2023، للطالب: عمر شيباني بعنوان: الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في تناول مسائل العقيدة، والدراسة ركزت على العقيدة فقط، وهناك دراسات مختصرة عن الشيخ ومؤلفاته، ولكن لم أجد بحث تناول دراسة منهجه في كتابه المفتاح النوراني.

3. الإشكالية:

وانطلاقاً من هذه المقدمة الإجمالية؛ تأتي الإشكالية الرئيسية والمتمثلة في أمرين مهمين: من هو الشيخ محمد باي بلعالم؟ وما هي ملامح منهجه التفسيري في كتابه: المفتاح النوراني؟

فنحاول الإجابة على السؤالين الرئيسيين من خلال التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم .رحمه الله . صاحب مدرسة مصعب بن عمير بمدينة أولف بالجزائر، والتعرض لداسته ومشايخه وتسليط الضوء على مدرسته ونظامه في التدريس، وذكر مؤلفاته المختلفة، علما أن للشيخ .رحمه الله . ما يزيد عن 40 مؤلفا ما بين مطبوع ومخطوط، في شتى العلوم.

ثم نأتي للشق الثاني من الدراسة والمتمثل في ملامح منهج الشيخ في كتابة المفتاح النوراني، وذلك عن طريق التعريف بالكتاب، وذكر المصادر التي استند إليها، وطريقة الشيخ .رحمه الله . في توضيح غريب القرآن بأمثلة تطبيقية من الكتاب، مع العلم أن الكتاب عبارة عن شرح لمنظومة الشيخ محمد الطاهر السوفي في غريب القرآن، والكتاب مقسم على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ليسهل الرجوع إليه، وهي عادة المعاجم اللغوية، ومرتب على أبواب حروف الهجاء، وسماه: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن، والكتاب في غريب القرآن خاصة، وفيه جزء مخصص لذكر الأعلام من الرجال والقبائل والأماكن التي ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، حيث تتبع الشيخ السوفي واستدرك عليه ما فاتته في هذا النظم، وجعله بأسلوب بسيط وسهل يفهمه حتى البليد على حد تعبير الشيخ باي، وجعله خالص لوجه الله الكريم.

وأخيرا تأتي الخاتمة وهي عبارة عما يتوصل له من نتائج وتوصيات.

أولاً: التعريف بالشيخ محمد باي بلعالم

1. مولده ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري المالكي المذهب الشهير بالشيخ باي بلعالم، ويرجع نسبه إلى قبيلة فلان والتي تضاربت حولها الأقوال واختلفت فيها الآراء والمشهور أن أصولها تعود إلى قبيلة حمير القبيلة العربية المشهورة باليمن، ولد عام 1930 م في قرية ساهل من بلدية اقبلي بدائرة أولف بولاية

آدرار بجنوب الجزائر وله أربعة إخوة هو خامسهم وترتيبه بينهم الثالث، وكان والده محمد عبد القادر فقيها وإماما ومعلما ومؤلفا من مؤلفاته تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان. منظومة في حالة الوقت حارب فيها أهل البدع والخرافات وله عدة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وأمه خديجة بنت محمد الحسن كان والدها عالما قاضيا في منطقة تديكلت.

2. دراسته وتعليمه:

تربى في أسرة علمية متدينة اهتمت بتعليمه، وبدأ تعليمه في مسقط رأسه في مدينة ساهل التي كانت تعد منارة للعلم والمعرفة والتي تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء، فدرس القرآن الكريم في مدرسة ساهل بأقبلي على المقرئ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن المكي بن العالم، ثم درس على يد والده مبادئ النحو والفقه، ودرس على الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي مدة من الزمن، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي ومكث فيها سبع سنوات قرأ فيها الفقه المالكي وأصوله والنحو والفرائض والحديث والتفسير، وخلال فترة دراسته تحصل على عدد من الإجازات منها:

أ - إجازة عامة من الشيخ الطاهر بن عبد المعطي عند انتهاء الدراسة.

ب - إجازة عامة من السيد الحاج أحمد الحسن بأسانيد متعددة.

ج - إجازة من السيد علي البودليبي في الحديث.

د - إجازة من الشيخ السيد محمد علوي مالكي المكي.

هـ - شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية عام 1971م.

3. مدرسة مصعب بن عمير الدينية:

بعد أن تخرج من الزاوية المذكورة أنفا انتقل إلى مدينة أولف حيث قام - إبان الاستعمار الفرنسي - بتأسيس مدرسة مصعب بن عمير الدينية للعلوم الشرعية وقد كان نظام الدراسة فيها خارجيا، ولما تغلغت الثورة في الجزائر واستحكمت قرر إغلاق المدرسة مؤقتا خوفا على طلبته من المعارك التي كانت تدور آنذاك، ولما حصل الشعب الجزائري على

حريته ونالت الدولة استقلالها واستتب الأمن أعاد افتتاح المدرسة من جديد لتستقبل الطلاب بأعداد كبيرة وأضاف إليها قسم داخلي جديد، وفي عام 1964 م التحق بالسلك الديني فأصبح من الناحية الرسمية إماما وخطيبا ومفتيا ومدرسا معترفا به من قبل الدولة لمسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدينية، وفي عام 1971 م شارك في مسابقة وزارة الأوقاف التي أجرتها لمجموعة من المشايخ لتحديد مستواهم العلمي فتحصل على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الإسلامية، وفي عام 1981 م قام بتوسيع مدرسته وأضاف إليها قسما جديدا خاصا بالإناث فأصبحت تستقبل أعدادا كبيرة من الفتيات على غرار ما تستقبله من الفتيان وقام بتوسيع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلابا من خارج البلاد.

4. أسفاره ورحلاته:

زار عدة دول من بينها تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية حيث كانت أول زيارة له إلى المملكة العربية السعودية من أجل أداء فريضة الحج سنة 1974 م، ليعود إليها سنة 1984 م للمرة الثانية، ومنذ ذلك الحين وهو يحج كل عام حتى حج 36 حجة متتالية غير حجة الفريضة.

5. حياته العائلية:

تزوج عام 1954 م فأنجب ثلاثة أبناء ذكورهم على الترتيب عبد الله. محمد عبد القادر. أحمد العالم. وجميعهم موظفون في الحكومة وله أيضا ست بنات.

6. برنامجه اليومي:

- درس بعد صلاة الصبح لجميع المصلين.
- حلقة لاستقبال الزائرين وتقديم الصبح لهم ومحادثتهم ويقدم أيضا درسا لهم ولطلبته.
- ينتقل مباشرة إلى مكتبه ليتفرغ للتأليف، إلى موعد الغداء الذي يؤخره إلى الواحدة والنصف لأجل الزائرين والضيوف.

• درس بين الظهر والعصر في المدرسة العتيقة، وبين العصر والمغرب من نصيب زاوية حينون.

• أضيف إلى ذلك دروس السيرة النبوية في شهر المولد بين المغرب والعشاء، والمحاضرات الرمضانية.

• هاتفه لا يعرف التوقف عن المكالمات، من المستفتين، ومن طالب وجه أو وساطة أو صلح أو شفاعة.

7. برنامج في التدريس:

• يواظب الشيخ في كل عام على إتمام ختم صحيح البخاري وتدرسه كاملاً ما بين شعبان وذي الحجة، يدرسه صباحاً حيث يختم في الأربعاء الأخيرة من شعبان من كل سنة.

• يدرس أيضاً موطأ الأمام مالك كاملاً مساءً ويختمه في كل عام.

• يشرح صحيح مسلم كل سنتين.

• يدرس تفسير القرآن من فتح البيان لصديق حسن خان وله في ذلك خمسة أيام في الأسبوع. عدا الخميس والجمعة

• يقوم بتدريس المتون والكتب التي ألفها.

8. من صفاته:

• له عناية كبيرة بأهل منطقته ... حتى أنه تحمل مسؤولية تقسيم المياه بين أهل الحقول وله هبة عظيمة وله جلد عظيم في العبادة حتى في السفر ولو كان مرهقا.

9. من وصاياه:

• قاله يفتح عليك ويلهمك رشدك وأوصيك بتقوى الله والعمل بالسنة وإتباعها وإياك أن تطمح عينك إلى متاع الدنيا الفانية واعمل فيها عمل الراحل القاطع للطريق واصبر في ذلك المحل وعليك بالنصح للمسلمين وتعليمهم والمجاهدة في الطاعة.

• وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب ولا ينفع في ذلك

إلا الدعاء والتوبة من المعاصي والاستغفار والإدمان على قراءة القرآن والتدريس للعلم الشريف والنهج للطلبة وخفض الجناح لهم ولسائر المسلمين. وعليك بإتباع السنة المحمدية والوقوف معها ودمت بخير وعافية والسلام.

10. وفاته: في عشية السبت 22 ربيع الثاني 1430 هـ كان في مكتبه مع ضيوف يزودهم بالمعارف والدعاء الصالح والكتب، ثم لما وعك وهو في مكتبه أمر بأخذ الضيوف إلى مكان الغداء وإكرامهم، وودّعهم ودعا لهم، ثم توفي - رحمه الله - وترك أبناء صالحين، وطلبة علماء، ومؤلفات نافعة، وأقيمت جنازته يوم الإثنين بمسقط رأسه بأولف.

11. مؤلفاته:

له حوالي 40 مؤلفا، في علوم مختلفة:

1: علوم القرآن:

- 1 - ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن العالم جزءان.
- 2 - المفتاح النوراني على المدخل الرباني في الغريب القرآني.

2: الحديث:

- 3 - كشف الدثار على تحفة الآثار.

3: الفقه المالكي:

- 4 - زاد السالك شرح أسهل المسالك جزآن مطبوع بدار ابن حزم بلبنان.
- 5 - فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك ألفية في الفقه عدد أبياتها 2509
- 6 - ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك شرح فتح الرحيم المالك 4 أجزاء وطبع في دار هومة بالجزائر.
- 7 - الجواهر الكنزية نظم متن العزية.
- 8 - الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية شرح على نثر العزية ونظمها الجواهر الكنزية.

- 9 - السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية.
- 10 - فتح الجواد على نظم العزية لابن باد.
- 11 - الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضرى.
- 12 - الإشراق البدري شرح الكوكب الزهري.
- 13 - المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية.
- 14 - أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق مناسك ط دار هومة في الجزائر.
- 15 - إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادى على مهمات من مختصر خليل 4 أجزاء ط دار الحزم بلبنان.
- 16 - مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح على نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفى القمارى على مختصر خليل المسى جواهر الإكليل 10 أجزاء ط دار الفكر بلبنان.
- 4: علم الفرائض المواريث:
- 17 - الدرة السنية في علم ما ترثه البرية نظم.
- 18 - الأصداف اليمية شرح الدرة السنية.
- 19 - كشف الجلباب على جوهره الطلاب في علمي الفروض والحساب
- 20 - فواكه الخريف شرح بغية الشريف في علم الفرائض المنيف.
- 21 - مركب الخائض على النيل الفائض في علم الفرائض.
- 5: أصول الفقه:
- 22 - ركائز الوصول شرح على منظومة العمريطي في علم الأصول.
- 23 - ميسر الحصول شرح على سفينة الأصول.
- 6: السيرة النبوية:

24 - فتح المجيب على سيرة النبي الحبيب.

7: النحو:

25 - اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن أجروم.

26 - كفاية المهوم شرح اللؤلؤ المنظوم.

27 - منحة الأتراب على ملحمة الإعراب.

28 - الرحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم.

29 - التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة.

30 - عون القيوم على كشف الغموم.

8: التاريخ:

31 - الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات

في جزأين

32 - قبيلة فلان في الماضي الحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر

33 - الغصن الداني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني.

9: الفتاوى:

34 - له فتاوى شفهية وكتابية حول أسئلة ترد عليه بواسطة الهاتف والرسائل ذكر

بعضها في رحلاته، منها: إنقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس.

10: الأدب:

35 - له قصيدتان في الرد على الغاز بعث له بها الشيخ أحمد الطاهري السباعي.

36 - له قصيدتان في رثاء الشيخ أحمد الطاهري السباعي.

37 - له مجموعة قصائد مضمونها الرد على قصائد وصلته من أصدقائه.

38 - له قصيدتان في الرد على الملحد سلمان رشدي.

11: الرحلات:

39 - له عشرون رحلة مسجلة للحج والعمرة وله عشرون رحلة للحج لم تسجل

40 - له رحلة إلى المغرب الأقصى.

ذكر في هذه الرحلات الوقائع والعلماء والشخصيات التي اجتمع بها في تلك الرحلات، وله عدة محاضرات في الدعوة والتوجيه والإرشاد والتي ألقها في عدة مناسبات وملتقيات في عدة بلدان، وعدة كتب لم تطبع ومنها ما هو الآن تحت الطبع، وله وقفيات من مؤلفاته في مكتبة الحرم النبوي الشريف وهو ما يزيد عن 14 كتاب منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط⁽¹⁾.

ثانياً. المفتاح النوراني:

يلاحظ على المؤلفات الشيخ باي بلعالم. رحمه الله. أنه يؤرخ بالتاريخ الهجري في تدوينها، ففي صفحة الإهداء قال الشيخ. رحمه الله: أنه يهدي هذا الجهد لطلبة المدارس القرآنية والدينية، ومن تواضعه أنه يعتذر عن التقصير في تأليفه لهذا الكتاب، والكتاب مقسم على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ليسهل الرجوع إليه، وهي عادة المعاجم اللغوية، ومرتب على أبواب حروف الهجاء، ومن خلال مقدمة الكتاب يتبين أن الشيخ باي ألفه بعد تأليف كتابه ضياء المعالم حيث قال: أنه فوجئ بهذا الكتاب والنظم الرائق في موضوع نفيس مثل هذا، وهو عبارة عن ثلاث منظومات⁽²⁾ نظمها الشيخ محمد الطاهر السوفي⁽³⁾ في مسائل قرآنية حيث

(1) في التعريف بالشيخ، ينظر: رسالة أدرار، مجلة دورية تصدر عن ولاية أدرار، العدد 4، 2012. 2013، ص 14، 17، وكذلك المواقع الإلكترونية التالية: موقع توات: www.taouat.net، وموقع المكتبة الشاملة:

<http://shamela.ws>، وموقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: www.oulamadz.org

(2) يسمى الكتاب: مسائل في منظومات قرآنية، ويحتوي على ثلاث منظومات: 1. المدخل في غريب القرآن، 2. حجز المخلاة في مجالس المحاجات، 3. تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من المواد.

(3) هو: محمد الطاهر التليبي القماري السوفي الجزائري، ولد سنة 1910م، درس في مسقط رأسه قمار، ثم بجامع الزيتونة بتونس، ثم التحق بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935م، مدرسا وإماما وخطيباً، ثم بعد الاستقلال عمل في سلك التعليم بمناطق عدة من الوطن حتى تقاعد سنة 1972م، وتفرغ للعلم والتأليف، إلى أن وافته المنية سنة 2003م، ينظر: مصيطفى: محمد السعيد، "جهود الشيخ طاهر التليبي

أفاد وأجاد، وأتت المنظومة في 445 بيتاً من بحر الرجز، وأشار الناظم إلى هذا حيث عبر عن الأرقام بلغة الحروف كعادة أهل النظم بقوله:

أبياته في قولنا أتم الطاهر التليي هذا النظم

كان عمدة الشيخ في هذه المنظومة كتاب: قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل⁽¹⁾،

فدعت الحاجة الشيخ باي بن العالم لوضع تأليف على المنظومة الأولى للشيخ؛ والتي تسمى: المدخل في غريب القرآن، وهذا بعد الاستخارة والاتكال على الله -عز وجل- وسماه: المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن، والكتاب في غريب القرآن خاصة، وفيه جزء مخصص لذكر الأعلام من الرجال والقبائل والأماكن التي ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، حيث تتبع الشيخ السوفي واستدرك عليه ما فاتته في هذا النظم، وجعله بأسلوب بسيط وسهل يفهمه حتى البليد على حد تعبير الشيخ باي، وجعله خالص لوجه الله الكريم⁽²⁾.

ثالثاً. منهج الشيخ باي في المفتاح النوراني:

تتبع الشيخ باي شرح المنظومة التي بدأت بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي المصطفى، ثم بدأ بلب الموضوع والتعريف بالمنظومة والتي هي في غريب القرآن؛ حيث قال:

وبعد ذا فالقصد بالنظام نظم غريب محكم الكلام

السوفي في نظم القرآن"، مقال منشور في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 12، العدد 12019م، جامعة غرداية، ص 86، بتصرف

(1) محمد إسماعيل بن إبراهيم، ولد بالقاهرة عام 1900م، ونشأ بالحي المجاور للجامع الأزهر فاتصل بعلمائه وأفاد منهم في صباه، تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة واشتغل بالتدريس في المدارس الحكومية بمصر، ثم انتدب للتدريس بكلية المقاصد ببورت ثم مفتشاً بوزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية عام 1371هـ، له مؤلفات عديدة منها: الجهاد في الإسلام، والزواج، وسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكتب في أركان الإسلام وغيرها، ينظر: الحجيلي: عبد الرحمان، " المعاجم المفهومة لألفاظ القرآن الكريم"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ص 40.

(2) ينظر مقدمة كتاب المفتاح النوراني: باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مخطوط 1989م، بدون طبعة ولا دار نشر، ص 4، بتصرف

من كلمات وردت في الذكر مفردة غريبة في الذكر

ومن خلال هذا البيتين - على سبيل المثال لا الحصر - ؛ يتبين لنا قوة وغرض وفصاحة هذه المنظومة في موضوع غريب القرآن الكريم، ونعطي بعض الأمثلة التطبيقية من الكتاب على سبيل الاختصار؛ حتى يتبين لنا منهج الشيخ باي - رحمه الله - في كتابه المفتاح النوراني، لأن البحث محدود ولا يمكن التعرض للمنهج الكامل في هذا الكتاب.

قبل الخوض في تبين منهج الشيخ باي في كتابه: المفتاح النوراني، وإعطاء بعض الأمثلة التطبيقية نذكر أنه في مقدمة كتابه لخص منهجه باختصار وبين أنه رجع لأمّهات الكتب في اللغة والتفسير والحديث، فقال: واستعنت قبل الشروع في المقصود، أحضرت طائفة من تفاسير القرآن لعلماء أجلاء قد تصدوا لتفسير مشكله وغريبه ... كما أني راجعت طائفة من كتب الحديث وإعراب القرآن واللغة؛ بحيث لم أكتب جملة ولا كلمة في هذا التعليق إلا وهي مستقاة من مصادر صحيحة ومراجع واضحة...⁽¹⁾

1. الاستعانة بكتب اللغة:

استعانة الشيخ باي - رحمه الله - بجملة من أمّهات كتب اللغة، وكان أحيانا يذكر الكتاب الذي رجع له وأحيانا غير ذلك، فيأتي بالمعلومة دون ذكره مما أخذ، واكتشفت هذا من خلال تتبعي للشيخ في هذه الجزئية، ونعطي بعض الأمثلة من الكتاب على ما ذكرنا، فعند شرحه للكلمة الغريبة أبا في سورة عبس، نجده يقول:

لفظة أبا قد أتت منفردة في عبس لا غيرها مجردة

يعني أن لفظة أبا قد أتت منفردة في الآية 31 من سورة عبس، والأب الكلا والمرعى وما تأكله الهائم من العشب من أبه إذا أمه وقصده، لأنه يؤم ويقصد، أو من أب لكذا؛ إذا تهيا له للرعي، أو ما تأكله الهائم من العشب والنبات رطباً كان أو يابساً⁽²⁾. وبالرجوع إلى معاجم اللغة وعلى سبيل المثال: لسان العرب، نجد هذا الكلام وزيادة، ولكن الشيخ شرح المعنى

(1) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 3.4 بتصرف.

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 11

بإيجاز واختصر ودون ذكر للمصدر.⁽¹⁾

وأحيانا نجد الشيخ يذكر المصدر الذي يأخذ منه، فعند شرحه للمنظومة في قوله:

والرق بالفتح أتى في الطور مخصصا برقة المنشور

قال الشيخ: وقوله بالرق بفتح الراء، أتى في الآية 3 من سورة الطور، وهي قوله تعالى: ﴿

يَمِينِي يَمِينِي﴾ الطور: ٣، ومعناه كل ما يكتب فيه من ألواح وغيرها، قال الجوهري: الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق⁽²⁾. وهذا الكلام نقله الشيخ من قاموس الصحاح للجوهري، وقد ذكر المصدر هنا⁽³⁾.

وحين شرحه للمنظومة في قوله: ولات حين ذكرت في صاد شبيهها في الذكر غير باد

فقال في توضيح معنى ولات: لا حرف نفي، والتاء مزيدة للتأكيد النفي، والحين وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو ظرف مهم، بتخصيص الإضافة والمناص الفرار والخلص، أي ليس الوقت وقت فرار وخلص، ولا تعمل لات إلا في

الحين كما قال ابن مالك: وما للات في سوى الحين عمل⁽⁴⁾.

وهنا نلاحظ الشيخ أنه استشهد على عمل لات وإعرابها بألفية ابن مالك، وذكر ذلك⁽⁵⁾.

2. الاستعانة بكتب التفسير:

قد أخبر الشيخ -رحمه الله- في مقدمة كتابه أنه استعانة بأهماء الكتب في مختلف العلوم في شرحه لهذه المنظومة، وبعد تتبع الشيخ وجدته قد رجع إلى بعض التفاسير المهمة،

(1) ابن منظور: محمد بن مكرم، "لسان العرب"، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة: 1414 هـ، ج1، ص 204، حرف الباء، فصل الهمزة.

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 64.

(3) الجوهري: أبونصر إسماعيل، "الصحاح تاج اللغة"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، ج4، ص 1483، فصل الراء.

(4) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 138.

(5) ابن مالك: محمد بن عبد الله: "ألفية ابن مالك"، الناشر: دار التعاون، ص 20.

ونذكر بعض الأمثلة على ذلك؛ فعند شرحه لبيت الناظم في قوله: والمجلس الوحيد في المجادلة قد أفردوه دون ما مجادلة

قال الشيخ: قال القرطبي: الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو يوم جمعة، وأن كل واحد أحق بمكانه الذي يسبق له، ولكن يوسع لأخيه مالم يتأذى بذلك، فيخرجه الضيق عن موضعه⁽¹⁾.

وعند شرحه لقول الناظم: وصمد في سورة الإخلاص منفرد بتلك ذو اختصاص استشهد برأي الزمخشري في الكشف، فقال: الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الخلائق في الحوائج ويقصدونه في المطالب، وهو الغني المطلق الذي لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد، قال في الكشف: وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم⁽²⁾.

ونذكر المثال الأخير على استشهاد الشيخ بكتب التفسير وأخذها منها؛ حيث رجع إلى تفسير علامة الأندلس وهو أحد التفاسير اللغوية المهمة وهو تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، فعند شرحه لمعنى كلمة: عفريت في قول الناظم: ولفظة العفريت يا ذا العقل قد وردت مختصة بالنمل

قال الشيخ: رحمه الله: . والعفريت المارد القوي، ويقال للشديد إذا كان خبث ودهاء عفريت، وقال قتادة هو الداهية وقيل هو رئيس الجن، وقال ابن عطية: وقرأت فرقة عفر جمعه على عفار، قال وهب: اسمه كوزي، وقال السهيلي: ذكوان، وقيل هو صخر المارد⁽³⁾.

3. الاستعانة بكتب الحديث:

إلى جانب المصادر التي ذكرنا سابقا والتي رجع لها في كتب اللغة والتفسير، نجد الشيخ

(1) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص34.

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص92.

(3) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص106.

وذكرت اسم الله، فأمسكن فكل، وإذا رميت بالمعراض فخرق فكل»⁽¹⁾ فقد اعتبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخرق وعدمه؛ فإنه لا يحل إلا ما حذق لا ما صدم، فلا بد من التزكية إذا لم تنفذ مقاتله⁽²⁾.

ونجد الشيخ يستشهد أيضا بأحاديث الصحيحين في غير موضع من شرحه للمنظومة، ففي توضيح معنى يثرب في قول الناظم: في سورة الأحزاب جاء يثرب وجاء زيد وهو مولى أقرب قال الشيخ: في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُمْ﴾ الأحزاب: ١٣، اسم الأرض ومدينة النبي - صلى الله عليه وسلم - في ناحية منها، وسميت يثرب لأن الذي نزلها من العمالقة اسمه يثرب بن عميل، وقيل يثرب اسم لنفس المدينة، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه:- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"⁽³⁾.

4. الاستعانة بكتب الفقه:

من خلال تتبعي لشرح الشيخ باي لمنظومة الشيخ الطاهر السوفي في غريب القرآن؛ وجدته لا يسترسل في ذكر الأحكام الفقهية والخلافات المذهبية، وإنما يذكر رأيه الفقهي دون الرجوع للأراء المختلفة كما تبين لنا سابقا في مسألة الشاة الموقودة، ونعطي مثالا على ذلك: فعند شرحه لقول الناظم:

إن الأيامى ذكرت في النور مفردة في المصحف المسطور

قال الشيخ: يقصد الناظم قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلَمْ يَلَمْ﴾ النور: ٣٢، والأيامى جمع أيم: وهو

(1) البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير، الطبعة الأولى: 1422هـ، دار طوق النجاة، ج 9، ص 119، ر 7397

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 164.

(3) البخاري: محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري"، مصدر سابق، ج 3، ص 20، ر 1871، وينظر: باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 174.

كل ذكر لا أنثى معه، أو كل أنثى لا ذكر معها، بكرا أو ثيبا، والأمر للأولياء والسادات، وهو للندب عند الجمهور، يقال: أم يئم، فهو أيم والجمع أياى، أي مفردة لم تذكر في غير هذه السورة، من المصحف المسطور، أي المكتوب⁽¹⁾.

5. الاستدراك على الناظم:

كان الشيخ - رحمه الله - يستدرك على الناظم أي الشيخ محمد الطاهر السوفي لأن الكمال لله - ﷻ - ، وكان مع هذا متواضعا في رده، ولننظر على سبيل المثال مقدمة المفتاح النوراني؛ حيث قال الشيخ باي وهو يبين النقص الذي استدركه على الشيخ محمد الطاهر السوفي صاحب النظم: وهذا النظم يتضمن 401 كلمة من خلال الحروف الهجائية من الألف إلى الياء، وعدد 35 كلمة من الأعلام، وأهمل 13 كلمة لم يذكرها الناظم، وهي من هذا الموضوع، والمجموع 449 كلمة، فبينت لكل كلمة معناها أو معانيها وإعرابها، فجاء بحمد الله في غاية من الإيجاز والإفادة والإيضاح والنفاسة والإجادة، واخترت المنهج البسيط الذي يفهمه الطالب ولو كان بليداً، وتقرب للباحث ما كان بعيداً، والله أسأل أن ينفع به النفع العميم ، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله⁽²⁾.

وعند شرحه لقصيدة الناظم، ووصوله إلى الألفاظ الغريبة المفردة والتي لم تتكرر في القرآن الكريم، وضع الشيخ - رحمه الله - تنبيه واستدرك على الناظم، فقال: تنبيه: ترك الناظم رحمه الله تعالى كلمتين من هذا الباب من المفرد الذي لم يتكرر، وهما بعوضة من قوله تعالى: ﴿بَنِيَّ تَرْتَضِي تَرْتَمِتَن﴾ البقرة: ٢٦ ، ... والبعوض ضرب من الذباب، ويطلق على البق المعروف وعلى الناموس، ولم تذكر البعوضة إلا في هذه الآية من السورة.

والكلمة الثانية: يبحث، في قوله تعالى: ﴿ظَمِعْ عَمَّ غَجْمَ فَجْ﴾ المائدة: ٣١ ، ... ومعنى يبحث في الأرض يحفرها وينثر ترابها وينبش بمنقاره، ويثير التراب برجله على غراب

(1) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 14.

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 4.

ميت معه حتى واراها، وهذه اللفظة لم ترد في غير هذه السورة، والله أعلم⁽¹⁾.

ونجد الشيخ .رحمه الله .يستمر في شرح قصيدة الناظم، وعندما يجد الناظم أغفل شيء من الغريب الذي لم يذكره، يستدرك عليه، فعند المبحث: باب ما أوله عين؛ في آخر الباب استدرك الشيخ باي على الناظم، فقال: تنبيه: ترك الناظم كلمة من هذا المفرد الذي لم يتكرر في القرآن إلا مرة واحدة، وهي كلمة: العرجون في قوله تعالى: ﴿عَمَّ غَصَمُ فَجَفَ فَوْفَ فَمَقْهَ﴾ يس: ٣٩، ... والعرجون هو عود العذق ما بين الشماريخ إلى منبته من النخلة، والعذق: العنقود من النخل وهو كعنقود العنب، وسمي عرجونا من الانعراج وهو الانعطاف، شبهه بالقمر في دقته وانعطافه، وتقوسه واصفراره⁽²⁾.

6. الاستعانة بالأمثال والحكم:

وقبل أن ننهي هذا البحث المتواضع، نذكر بخاتمة النظم الجميل الذي ذكرها الشيخ باي بلعالم .رحمه الله . نقلاً عن الشيخ محمد الطاهر التليلي .رحمه الله .، والاستعانة في شرحها ببعض الأمثال والحكم، فقال:

هذا الذي حضرني في الحال قيدته كالصيد بالحبال

أبياته في قولنا أتم الطاهر التليلي هذا النظم

فرغت من تبيضه في الرابع من شهر زد لقمر مطالع

من عام ألف ومئات أربع وستين بالتاريخ الألع

والحمد لله ذي الإنعام أن منّ بالتوفيق للختام

ففي شرحه للقصيدة نجد الشيخ يستشهد بأقوال بعض الحكماء، فقال: قوله: هذا الذي حضرني يعني أن ما جمعه في هذا النظم الغريب، قال: قيدته كما يقيد الصيد بالحبال، وكأنه يشير إلى قول بعض الحكماء:

(1) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص24.

(2) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص111.

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الموثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتركها بين الخلائق طالقة⁽¹⁾

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فقد تناولتُ في هذه الورقة البحثية إلقاء نظرة على التفسير وعلوم القرآن عند الشيخ محمد باي لعالم - رحمه الله - صاحب مدرسة مصعب بن عمير بمدينة أولف بالجزائر؛ والتي اعتبرها مجرد رؤوس أقلام نظراً لمحدودية هذا البحث، ويمكن أن نسجل بعض النتائج لهذه الدراسة كما يلي:

1. أن الشيخ - رحمه الله - كان عالماً موسوعياً ألف في عدة علوم ومؤلفاته شاهدة عليه.
2. أن الشيخ - رحمه الله - لم يلق من العناية والرعاية كعالم كبير ومتبحر في جل العلوم سواء داخل الوطن وخارجه عكس علماء المشرق والذي نستطيع أن نقول أن منهم من يقل شأن منه، ولكن له ذكر وصيت.
3. أن منهج الشيخ - رحمه الله - في كتابه المفتاح النوراني يحتاج إلى بحث عميق، ونستطيع أن نقول أنه يرقى إلى رسالة ماستر على الأقل في معرفة منهج الشيخ، وبحث محدود مثل هذا لا يكفي لتبين المنهج كاملاً.
4. كان الشيخ - رحمه الله - يذكر المصادر التي يأخذ منها أحياناً، وفي الغالب لا يذكرها.
5. استدرك الشيخ - رحمه الله - على الطاهر السوفي ما لم يذكره في منظومته وكان متواضع في ذلك إلى أبعد الحدود.

أما التوصيات فتتمثل فيما يلي:

1. الاستعانة بتراث الشيخ - رحمه الله - ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وهذا نظراً لقيمتها العلمية.

(1) باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مصدر سابق، ص 178.

3. تحقيق مخطوطات الشيخ . رحمه الله . وإخراجها للوجود حتي يسهل الرجوع إليها والاستفادة منها.

3. جعل رسائل علمية في مؤلفات الشيخ . رحمه الله . في جل تخصصات الشريعة والتاريخ والآداب وغيرها، وهذا نظرا لمكانتها العلمية.

4. الاستفادة من تجربة الشيخ . رحمه الله . في التدريس والتأليف والاستعانة بتجربته في شتى أنواع المعارف. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1 . باي: محمد بلعالم، "المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن"، مخطوط 1989م، بدون طبعة ولا دار نشر.

2 . الجوهري: أبونصر إسماعيل، "الصحيح تاج اللغة"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

3. الحجيلي: عبد الرحمان، " المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم "، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ص 40.

4. ابن مالك: محمد بن عبد الله؛ "ألفية ابن مالك"، الناشر: دار التعاون.

5 . مصيطفى: محمد السعيد، "جهود الشيخ طاهر التليلى السوفى فى نظم القرآن"، مقال منشور فى مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 12، العدد 12019م، جامعة غرداية.

6. ابن منظور: محمد بن مكرم، "لسان العرب"، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة: 1414هـ.

7. النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد، "السنن الكبرى"، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلى، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

8. رسالة أدرار، مجلة دورية تصدر عن ولاية أدرار، العدد4، 2012.2013.

10. موقع توات: www.taouat.net

11. موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائرية: www.oulamadz.org

12. موقع المكتبة الشاملة: <http://shamela.ws>

المنهج اللغوي في تفسير ابن باديس . دراسة نماذج تطبيقية من مجالس التذكير

أ.د. عبد القادر بن فطة – أ.د. بوفادينة مصطفى

جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر

الملخص:

ما أبداه علماء الجزائر من نضج لغوي في إطار قرآني، وما أوردته من لطائف في الدرس اللغوي، يكشف عن العمق اللغوي لرجالها، وأصالة جهودهم المتميزة، يعتمدون بإزائه إلى ابتكار منهج الأصلح لخدمة اللغة العربية. هذا المنهج الذي اختطه ابن باديس في تفسيره كان امتدادا تراثيا أصيلا، قدما آراء بذائقة فنية، واسترسلا في بيان الميزان اللساني. ترشّحت من خاطره مباحث نحوية وبيانية من نظراته الثاقبة، وذهنه النير أملاه عليه البحث اللغوي، فكان للنحو دلالات متأصلة، وللبيان نصيب مما أبدع.

فبيئة الجزائر التي ترعرع فيها العالم بيئة علم، فنشأ مؤهلا يحمل في سريره من تأهب نفسي حازم، فالوحدة اللسانية زاخرة بثروة لغوية هائلة، تجاوزت حدود الدرس اللساني الحديث في بعض المسائل النحوية والبيانية.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس؛ المنهج اللغوي؛ مباحث نحوية؛ لطائف بيانية.

Abstract: The linguistic maturity demonstrated by scholars from Algeria within a Quranic framework, along with the insights they presented in linguistic studies, reveals the linguistic depth of its figures and the originality of their distinguished efforts. They strive to innovate the most effective approach to serve the Arabic language.

This approach, which Ibn Badis established in the study of language, was an extension of an authentic heritage. He presented opinions with artistic flair and elaborated on the linguistic balance. From his thoughts, grammatical and rhetorical discussions emerged from his penetrating insights. His bright mind dictated linguistic research to him, so grammar had inherent meanings, and rhetoric had a share in what he created.

The Algerian environment in which the scholar was raised was a scientific environment. He grew up qualified and carried within him a firm psychological readiness. The linguistic unit was full of an enormous linguistic wealth that exceeded the limits of modern linguistic study in some grammatical and rhetorical issues

Keywords: Ibn Badis; the linguistic approach; grammatical topics; rhetorical subtleties.

مقدمة:

أدرك علماء الجزائر كابن باديس بوعي أنّ مجرى تأصيل الدرس اللغوي العربي بدا ملتزما بهذا الزخم لروائع القرآن اللغوية التي ارتبطت بعبقريّة السلف التي فعلت فعلتها في نفس أهل الفصاحة، وكشفت عن فعاليتها ثبتت وظيفة التراث اللساني الإيحائية القادرة على منح العمل الإبداعي وتبلوره. وحين نستجلي آراءه نقف عند رؤية متنامية لدى الشيخ الذي غيّب النمط التقليدي ومعطياته وسحبه إلى الرّس، والإسراع إلى فتح مجراها القرآنية تدفعه في ذلك بواعث علمية تحمل على قناعة بالقدرة على تفجير ما تكتنزه ملكته.

واتّبعنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على المظاهر البارزة لرقى التكامل المعرفي بين المنهج اللغوي والدرس التفسيري، وما يحقّقه التفاعل المنطقي بينهما من انسجام يستريح له ذوق المتلقي. إنّ تكامل المستويين يختلف من مقام إلى آخر، ويتّسم بطابع التحدي المثير للعرب، كونهما من معالم الإعجاز اللغوي. كما عرف ابن باديس قيمة النحو العربي على أنّه علم باصر ذو فوائد جمّة، يوقي العربية من آفات اللسان، كما يشكّل البيان جوهر الجودة للنصّ يرد لدوافع سياقية، ويحمل أسراراً لسانية، ويتضمن مقاصد محدّدة متعاضدة مع لوازم فكرية ظاهرة أو خفية.

السؤال المطروح: هل تمكّن ابن باديس بما أوتي من ملكة عقلية على التعمّق في تطبيق المنهج اللغوي في تفسير القرآن، وإدراك ما وراءه النحو والبيان من معان ومقاصد، مادام أنّه أمدهما بفيض من الدلالات الراقية بغية دراستهما دراسة جادة ودقيقة؟

ملكة ابن باديس اللغوية:

عاشت الجزائر أجواء حافلة بالناشط العلمي الدائب الذي تعكسه الطائفة الغزيرة

من أهل العلم، فكان دافعهم الأكبر الاطلاع على الثروة الضخمة التي تمتلكها لغة القرآن الكريم، هذا أكبر مكسب يحزره عليها علماء يهتمون بعلومه مما أتيح لهم التعرف على خصائص اللغة العربية لتنوير الأذهان والأذواق لاقتناء رصيد لغوي نفيس، واستجماع فوائدها، واستوعاب متحفه العلمي تكريما له. فانتعاش الحركة اللغوية ورقمها كان عاملين في إقبال أهل العلم كابن باديس عليها بكل رغبة، وقد أغناه القرآن بذخيرة هائلة من النتائج يصل به إلى ما يطمئن إليه، ويثق به، ثقة تقرّبه من ذلك الطموح الدائب في تأصيل الدرس اللغوي.

كانت حياة الرجل ثرية بالحركة العلمية تعكسه جهوده، فهي ثمرة ناضجة من ثمار ملكته، فالحواضر الإسلامية كانت تشهد ازدهارا عظيما في علوم اللغة كالنحو والصرف. فأثّره ثروة لغوية زاخرة جعلته مقصدا لطلبة العلم، وهو الذي أجمع جمهور أهل العلم على الوثوق به والأخذ بأرائه كان للأخ الصديق "ابن باديس" رحمه الله ذوقا خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها يرفده. لعد الذكاء المشرق، و القريحة الوقادة، والبصيرة النافذة. بيان ناصع، اطلاع واسع وذرع فسيح في العلوم النفسية الكونية، وباع مديد في علم الاجتماع ورأي سديد في عوارضه و أمراضه⁽¹⁾ ولعلّ من أروع اجتهاده الذي هدّاه إليه كياسته، ونظرتة المستوعبة للقرآن ما ورد في مؤلفاته مجالس التذكير نلمس فيه جانبا عظيما من النباهة، ودائرة الأفق اللغوي.

إنّ اهتمام ابن باديس بالدرس اللغوي العربي أت من كونه أتقن اللغة العربية وعلومها، وهي صورة متكاملة للجمع بين العلوم الشرعية واللغوية، ودرايته بأراء السلف لا يكتفي بأقوالهم فحسب بل يناقشها ويعقّب عليها، ولم يترك مسألة تمرّ إلا أدلى فيها بدلوه، ما يثبت على امتلاكه ذخيرة علمية. فأفكار السلف تعدّ ركيزة نفيسة اعتمد عليها العلماء المحدثون، يبدو هذا بصورة علمية في مطلع القرن العشرين.

هذه الحركة المعرفية اقترنت بمؤلفه مجالس التذكير الذي ارتبط في الأذهان بكتاب

(1). توفيق محمد شاهين، ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق شاهين /

محمد الصالح رمضان، دار الفكر ط2 2002، ص 20

الله الدرة المضيئة في فترة لا قبل بالعربية في مواجهة الحضارة الغربية المارقة والوقوف أمام سموها إلا بالقرآن. عدّ الشيخ العلم بالتراث منقبة للباحث ومدعاة للتفاخر به، أمداً للدرس اللغوي العربي بثراء معرفي قصد تطوير النظام اللغوي وجعله منارا يبعث شعاعه لكشف فلسفة هذا العلم وحلّ عقده فعلى الطالب أن يفكر فيها ما يفهم من المسائل وفيما ينظر من الأدلة تفكيراً صحيحاً مستقلاً عن تفكير غيره وإنّما يعرف تفكير غيره ليستعين به ثم لا بد من استعماله فكره نفسه. بهذا التفكير الاستقلالي يصل الطالب إلى ما يطمئن له قلبه يسمى حقيقة. علماً وهي أمن فيما أخطأ فيه غيره، ويحسن التخلص منه إن وقع فيه⁽¹⁾

أدرك الشيخ أهمية الذخيرة اللغوية الواردة في القرآن الكريم، فاستظهر مضامينها وتعمّق في مقاصدها لتنشئة الذوق اللغوي وتعلّم الأسلوب الرصين تجنباً للزلق في التأليف، وتحقيق المنهجية الذكية. فدرجة الكمال لفصاحة كتاب الله أغنت العلم وأثرت المعرفة، وكوّنت شخصية المسلم وأبعدته عن الركود والنمطية، فلا عجب أن تكون هذه الذخيرة ذات القيمة ساطعة في تاريخ الدرس اللغوي ظلت مشّعة إلى رؤية البارزة مشحونة بالدلالات الراقية التي تسبح في فلك الحقل اللغوي. ولا شك أنّ هذا الإرث المرموق قصده طلاب العلم من العرب والعجم ما يعكس مدى قوّتها، نهلوا من رحيقها الذي رفع من معنوياتهم في تثبيت أعمالهم، وتأسيس جبهة علمية تفيض بالعلم والوقار في مواجهة الخصوم الذين كتبوا في الانتقاص من الدرس اللساني في القرآني، والطعن في اتساع لغته.

لا ريب أنّ غزارة الدرس اللغوي في القرآن الكريم لم تنكر القياس وما نطقت به سنة الفصحاء، خضعت للقيم اللغوية التي أقرّها القرآن الكريم، بعيدة عن الغريب والمصنوع. فعلى أهل العلم دوام الارتباط، والالتزام بهذا المدد العلمي ليسدّ قريحته ويشفي فطنته. وردت متميّزة بالجدة متجاوزة العرف الجاهلي تنحو منحى الإعجاز، تسير على وتيرة تحت قانون التوازن بين الدلالة والمقصد، حاملة الممارسة الذوقية والجمال التعبيري. قدّم حقائق لغوية جديدة، ومفاتيح نيّرة لافتحام باب البحث اللغوي تؤدي إلى آفاق كانت غائبة عن العقل، يستنبط منها أهل اللغة ما هو أقرب إلى السداد يثرون بها المعرفة اللغوية، تخرج التفكير

(1). ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة ط1

اللغوي من النمط التقليدي إلى ما هو أعلى درجة.

دراسة نماذج تطبيقية من مجالس التذكير:

أوتي عبد الحميد بن باديس بسطة في العلم وكياسة في العقل تنابعت عليه الأفكار، فلم يتوان عن الإبداع، امتص المعرفة النحوية من منبتها، وعثر على نفائسها من مهابة لغة القرآن وعظمتها، مدّ جسرا مع ملكة السلف للدخول في ظلال النحو القرآني، وأضاف إلى ذلك ما وسعه نبوغه. بقي الرجل يرسف تحت ظل القرآن الكريم يوطّد أفكاره ليستردّ شرف النحو العربي بغية إنمائه وإنارة العقول، فاستوعب المعرفة النحوية، وهضم فلكها لإنارة النزعة العلمية في قرائح طلبة العلم. فسعيه في إحياء حركة هذا العلم أخذ منه وقتا طويلا ليستقرّ في المحاضر العلمية؛ وفي وقار واثق انطلق الرجل يلقي إنتاجه الضخم الذي أمكن من تطويره وتيسيره وتعميمه في أنحاء العالم الإسلامي عن طريق تفسيره.

أ. فضل آراء ابن باديس في تهذيب الدرس النحوي:

ثبّت ملكته فلم يدع خبيثة تملكها بيئته اللغوية إلا أطلعها، ولا زاوية فيها إلا وسّعها، ثمّ صنع للنحو نهجا كان منتهى طاقته يفيض باللطائف، أتاح له أن يكتسب نباهة طيّعة، تتّضح إبداعاته من خلال إحاطته بالدلالة النحوية من الوعاء اللغوي المعبر عن فهم حقائق اللغة فسلك في درس كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة، وعصري الأسلوب والمرمى، مستمدا من آيات القرآن وأسرارها كثيرا مما هو مستمد من التفاسير وأسفارها⁽¹⁾ كلّ ذلك يؤثّر حجم القدرة في دائرة هذا العلم مستفيدا من ربطه بمنطق اللغة، كان لا يطلق اجتهاده على عواهنه عبثا، إنّما ينطلق من روافد علمية اعتنقها ما جعله يتشعب بين دروبها بسلاسة خالية من الشراسة، ملزما نفسه عدم الأخذ بما تنتابه الرطانة.

وقف الشيخ عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ الفرقان 75 تبصّر الرجل في اسم الإشارة أولئك وهو عند النحاة اسم مهم يخص الحيوان والجماد والنبات، لا بد أن يواكب لفظه لازمة حسية ويكون للمذكر والمؤنث،

(1). عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، دار الأمة الجزائر 2012، 104/2

التصدير بأولئك في الآية إرهاب لما يأتي بعدها ويقصد بها عباد الرحمن، فالصفات التي اتّصف بها هؤلاء خيرة ويستحقونها، هذا ما أبان عنه ابن باديس بقوله: وعرف المسند إليه بالإشارة تنبيها على استحقاقه للمسند كان بما تقدم من صفات⁽¹⁾ فالمسند إليه أولئك والمسند جملة يجزون تأمل الرجل في اسم الإشارة فوجد فيه بروقا مخصصة لعباد الرحمن وهم مهتدون بفيض إيمانهم الذي قذفه الله في قلوبهم، ولذا هم أرفع درجة، وأصحاب انفتاح ذهني، باح ابن الإمام بدلالة اسم الإشارة لإعلان التوبة لله وتمسكهم بشريعته للفوز بشفاعته. إنه إيذان بمرحلة تأمل في حصاد سنوات أفصحت عن هبائها، ولعلّ من الملاحظات التي اهتدى إليها النحاة ما ورد في اسم الإشارة الذي قد يطلق على غير العاقل قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء 36 فاسم الإشارة يعود على الحواس الثلاث المذكورة والمشهور لدى النحاة للعقال إلا أنّ الله نزلها تنزيل العقلاء لعلاقتها بالعقل، فالآية الكريمة دليل كاف للاستشهاد بها على إمكانية إسناد هذا الاسم إلى غير العقلاء.

وفي الشعر قال جرير:⁽²⁾

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

فأولئ أضيفت إلى غير العاقل وهي الأيام.

حرص الإمام في آرائه النحوية ألا يلحق فيها ما يقلل من شأنها، لذلك نراه يحسن تقريب الفهم لإدراك شرف نظم القرآن هذا ما أشار إليه في دلالة الأفعال قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمُنَا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل 16 فالفعلان عِلْمُنَا. ووَأُوتِينَا اتّصلت بهما نون العظمة ولم يقل أتيت وعلمت قال الإمام: عبّر سليمان عليه السلام عن نفسه بنون العظمة، ونوه بذلك الفضل المبين، ليتعظم بالسلطان، ولا يتناول بفضله؛ فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الخلق تواضعا

(1). ابن باديس، مجالس التذكير، 2/177

(2). جرير ابن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، 1406، ص252

لله وأرحمهم بعباده.⁽¹⁾ فابن باديس يرى أنّ العلم والإتيان كانا من طريق الوحي، فشرح الله قلب سليمان بالحكمة والعلم ليطلع على طبائع الموجودات ومميزاته، وأنّ الأمر عسير يكون شديد الإحساس بالمسؤولية التي كُلف بها نبي الله عليه السلام، فالعلم اقتصر على منطق الطير لا والاقتصرار على منطق الطير إيجاز لأنّ إذا عَلم منطق الطير وهي أبعد الحيوان عن الركون إلى الإنسان وأسرعها نفورا منها، علم المنطق أكثر اختلاطا بالإنسان حاصل له.⁽²⁾

فنون العظمة مع الفعلين كما يراها الشيخ ثمرة ناضجة تشهد ازدهارا باهرا في نشر عقيدة التوحيد، فسليمان عليه الصلاة والسلام عاصر أماكن طغى عليها الشرك كمملكة سبأ، وبفضل الله كانت في قبضته إنّما أراد تعظيم نعمة الله في عيون الناس، وتفخيم ملك النبوة في قلوب الرعية؛ ليملاً نفوسهم بالجلال والهيبة، فيدعوهم بذلك إلى الإيمان والطاعة، فينتظم الملك، ويهنا العيش، وتمتد بهم أسباب السعادة إلى خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الذي توخاه سليمان عليه السلام من المصلحة بإظهار العظمة.⁽³⁾ فنون العظمة المقترنة بالفعلين صورة جادة لشخصية سليمان عليه الصلاة والسلام التي رسمها القرآن دون شطط ولا تعسف.

إنّ نظرتة المستوعبة للنص القرآني تقوم على الربط بين الجانب الإعرابي والدلالي، فما لبثت أن تمثّلت في تفسيره لإثارة ذهن القارئ، وجلبه إلى رحابها ليودع فيه نباهته المتدفقة، ومن هنا كانت لمسة إلهامه، هذا ما وقف عنده الشيخ في تناوله لمعاني الحروف منها حروف الجر قوال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف 108 فحرف الجر على هنا للاستعلاء والاستعلاء نوعان حقيقي ومجازي فالحقيقي مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ المؤمنون 23 "فعلى" تفيد الحمل بالركوب الصادق مع حمل الأثقال، أمّا "على" في يوسف فلاستعلاء المجازي ويكون

(1). ابن باديس، مجالس التذكير، 209/2

(2). ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية 1984م، 238/19

(3). ابن باديس، مجالس التذكير، 210.209/2

للتمكن قال ابن باديس: واختيرت «على» لتدل على تمام التمكن⁽¹⁾ فالشيخ راضي على هذه الدلالة بثقة، فهو يسترسل عند إضافته لكلمة "تمام" ففيها القدرة على إنشاء الدلالة الإضافية، ليظهر جمالية معنى «على» حتى لا يعدم القيمة النحوية للحرف، إنها الممارسة الدوقية للآية وما تحمله من إحياءات، إن دقته في وضع الدلالة النحوية تتطلب دقة مماثلة للقارئ للوقوف على الفائدة. فارتباط حرف الجر "على" بكلمة «البصيرة» يجعل الدعوة إلى الله التي كُلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم تجري على وتيرة واحدة تحمل القانون الإلهي، وتعتمد على منطق يقيم التوازن بين صلاح المعاش والمعاد مما يجعل هذا الدعوة مؤثرة ومنيرة، إنه تحليل نفيس للتبادل بين القدوة والحجة.

وقف الشيخ على مشارف الدلالة النحوية لحروف العطف يستلهم منها الكثير من المعاني التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيها، وسعى إلى قطعها بعزيمة تملأ رغبته، فكياسته كللت بتتبع معاني الحروف لينتزع أثمن دلالتها التي تليق بعظمة كلام الله فَطَرَقَ باب معاني حروف العطف من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الإسراء 27 استخلص الشيخ من هذه الآية الكريمة ثلاثة حقوق حق الأقارب لتثمين العلاقة وتعميق البهجة وتحقيق الأواصر الكبرى بالنفقة، ثم حق المسكين لاقتلاع أشلاء الحاجة، وإنقاذهم من لهيب الحرمان وهزم الضن قال تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينَ﴾ الفجر 18 وختم هذه الحقوق بابن السبيل وهو المسافر فنصيبه من الزكاة المحافظة على كرامته من السؤال. ولعل لحرف العطف الواو أهمية في الجمع بينهم في هذا السياق، فالربط الذي حققه الحرف فيه نداء لحسم الداء الذي طال أمده في المجتمع العربي، ونخر كيان الفرد من جراء الشح والتنافر، ثم جاء الإسلام ليحرر الحقوق المغتصبة يقول الإمام: وفي ذكرهما أيضا جمع ما بين القريب الدار والبعيد الدار والمسافر كل هذا ليعلم أن ذا الحق يعطى حقه على كل حال، وبقطع النظر عن أي اعتبار⁽²⁾ استطاع هذا الحرف الواو بدعم من الفعل "أت" في دحر

(1). نفس المرجع، 127/1

(2). ابن باديس، مجالس التذكير، 221.220/1

الصدق، و تمتين الصف بين ثلاثة محاور تعدّ أحزمة واقية من سطو الهوى ألا وهي الإحسان إلى ذوي القربى، والصدقة لرفع البؤس، والضيافة لإثارة عواطف الإيثار.

بلغ ابن باديس ذروة الفهم وهذا دليل على الفضل الذي وصل إليه، كان عقله مستوعبا للحجج، يستنبط اللطائف النحوية استنباطا لبسط الفائدة هذا ما أبان عنه، وقف على مشارف الدلالة النحوية لأي القرآن يستلهم منها الكثير من المعاني، وسعى إلى قطفها بعزيمة تملأ رغبته، فكياسته كلّت بتتبع هذه العلاقة لينتزح أثنى دلالتها التي تليق بعظمة كلام الله. ما يميزه هو التزامه بالاستقراء العميق، وتغلغله إلى دوائر الدلالة يتقلب في مناحها ليستمتع ببدائعها.

ب. أهمية البيان لدى ابن باديس في فهم معاني أي القرآن:

قامت في نفسية ابن باديس رغبة صادقة في الدفاع عن البيان القرآني لتحرير العقول وتقويم اعوجاج الألسن، عملا على تنقية البلاغة من الحشو والطرانة، ومجاورة الصحيح والفصيح، كما رفض الشروح المرجوجة الموسومة باللحن والخطأ بالإرشاد، وما يقابلها من الفصيح الذي يوافق الإعجاز ويلائم سنة الفصحاء ليضفي على البيان القرآني المشروعية. نفى الشيخ يديه من لغة العامة إلى ملاحقة المنتسبين إلى لغة الضاد يقومون ما طاش من يرأعهم، وينفي ما فشا في الاستعمال وسكنت له الأذهان.

كما كان له فضل على البلاغة العربية، إذ يمثل تفسيره مجالس التذكير تركة لغوية جامعة، شغ منها هذا العلم الأريج، وأظهر قوة خارقة تدلّ على سداده في التعامل مع الرقيّ البلاغي في القرآن الكريم، انشغل بجوهر المادة العلمية وتكوينها، وعمل على فضّ حقائقها بالنظر والتأمل، وتيقّن أنّ الإعجاز الحجر الرئيس بنيت عليه نزهة البلاغة العربية، وأدرك الشيخ أنّ القرآن الملمم الأول لعلماء البيان. اتّجه الشيخ إلى إثبات الارتقاء البلاغي القرآن الكريم ونظمه، وعمل مخلصا على التماس الدقة في التغيير والتجديد في البلاغة العربية، واجتهد في سبيل حماية البلاغة العربية من خلال التفسير مبينا فيها القدرة على التعامل مع اللسان العربي.

إنّ تمسّكه بهذا العلم لم يقف عند ارتقائه إنّما أبان على أنّه جوهر النص القرآني

يتّصل بوجود الأمة، إبداعه في التعامل معه وطنّ جماله، وعمّق أهميتها في الحياة العلمية، فحرصه تخطى عقبة اللحن بوضع ضوابط تصون البلاغة العربية، كان ما وضعه إشراقاً لعصمته من الابتذال، فلم يخل حديثه في المسائل البلاغية من الاستشهاد بالقرآن الكريم. ألغى مبدأ التبعية قصد تطوير النظام اللغوي وجعله مناراً يبعث شعاعه لكشف فلسفة هذا العلم وحلّ عقده، وقد سلك الاتجاه العلمي للإفهام والإقناع في تحليل مسائله، فكانت قياساً ثبتت بها القواعد للتعليل والتأويل بإعمال المنطق والاجتهاد في فهم النصوص.

ومن الروائع البلاغية النفيسة في مجالس التذكير وقوفه عند قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ الإسراء 22 أدرك الشيخ قيمة قوة البيان في هذه الآية خاصة ما تحمله كلمة فَتَقْعُدَ التي تعني التكاثر والبعد عن الجد والاجتهاد، والعجز عن استغلال الآلاء الربانية التي وهبها الله للإنسان من عقل وقوة، وهي تعكس التخاذل الذي أصبح ملاذاً للمنكسرين وعبر الشيخ عن هذا: فالقعود في الآية بمعنى المكث، كناية عن بطلان العمل وخيبة السعي، وخور القلب، وفراغ اليد من كل خير.⁽¹⁾ هذا الصنف من الناس في رأيه متضعع المزاج، يعيش حياة بائسة إلى أن يوسد للحد.

للباري القدير في كتابه خطاب إلى الأبناء نحو آبائهم من تواضع وتلطّف في الكلام والإحسان إليهم حتى تكون نفوسهم راضية لا تعرف غير العطف والبر قال تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء 23 رسمت لنا الآية الرأفة بالوالدين، ودفع الضرر عنهما من خلال الصورة البيانية وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ العامرة بالعطاء والإخلاص أقام عليهما الانتقال من أوهام الغريزة إلى تهذيب السريرة، منتفعا بمدلولاتها قناعة نفسية ووعي في تجاوز رؤية العقوق. ظلت تهيمن على العصاة إلى التفاعل مع واقع جديد لاستيعاب آثار صفاء البر قال الشيخ: في ذكر هذه الصورة التي تشاهد من الطير تذكير بليغ مرقق للقلب موجب للرحمة وتنبيه للولد على حالته التي كان عليها معها في صغره.⁽²⁾ يقرّر ابن باديس في هذا المجاز اللغوي بقناعة صورة فيضان الإيمان المنبعث من

(1). ابن باديس، مجالس التذكير 375/1

(2). ابن باديس، مجالس التذكير، 184/1

احتضان الوالدين، ويشير إلى الاطمئنان والأمان وترغيب النفس للاستعداد للقاء الله، في أمر موجه لكل إنسان بار، فيها معان جليلة منها وقار الأبناء وسكينتهم، وتثبيت الخواطر لمنع الشطط ومجازة حقوق الأبوين.

وقف الشيخ مع القرآن قاصدا بيانه وجليل مقاصده وجميل آثاره، فجاء تذوقه ملتزما خاليا من التكلف منخولا بعناية جمع من البيان القرآني زبدة فهمه تكريما لبلاغة الكتاب الكريم ومن الروائع البلاغية البديعة في مجالس التذكير وقوفه عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ كان فضل الله على عباده الصالحين أعظم، فروح الورع والتقى تتجدد في حياتهم، ولم يتجاهل هؤلاء التقاة ودّ الرحمن ومضوا في صلاحهم، فالودّ كناية عن البشارة المرصعة بالإيمان والتكريم في الآية بشارة لهم بأن تلك الحالة لا تدوم، وأنهم سيكون لهم على كلمة الحق مؤيدون، وفي الله محبّون، وسيكون بهم ودّ في القلوب ممن يعرفون وممن لا يعرفون.⁽¹⁾ أبرز الرجل في شرحه هذه الصورة البيانية توغل الصالحين بودّهم في قلوب الناس، واكتسبوا الثبات والموادعة فسلموا من سلخ الألسنة، وأصبحوا قوة مؤثرة أثمرت في إيقاد جذوة الخير، وتوالدت مقومات الإيمان للاقتداء بهم، انتفع المسلمون بهم وطار في الأفاق ذكرهم واستبشر بهم الأبرار نفعا.

وصم الله الظلمة بالعار يوم القيامة لمجازتهم الحق ومخالفتهم شرعه، ولضيمهم وتورطهم في الأوهام فاعوجت ألسنتهم وأخذوا يندمون على أعمالهم، ويتحسرون على أفعالهم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ الفرقان 27 في الآية البوح بالسرّ الباطن نتيجة الحزن الذي فاض بقوة، وهاج بشدّة غليانه فهذه الصورة البيانية ويوم يعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ تعكس آثار الحسرة يلزمها الزفير والشهيق، لا تخلو الكناية من إيقاع يسرق اللب ولا سيما حينما تبين أهوال يوم القيامة. فيعضّ تحدّد بصيغتها معنى الحدث المعلوم، وجعلته يكشف ضعف الناس يوم الحساب عن الدفاع عن أنفسهم وفي نفس الوقت صورة حقيقية عن جهل المارقين شأن من وقع في غيض وحسرة وندامة أن يعضّ يديه ويأكل بنانه، كأنه لما لم يجد شيئا يطفئ فيه غيظه رجع إلى

(1). نفس المرجع، 375/1.

نفسه بذلك، فعرضَ اليدَ لازم لحالة الحسرة والغيبض والندامة.⁽¹⁾ فحين نرمي بأذهاننا إليهم نراهم كاليهائم، وردت هذه الصورة بلغة بديع مشحونة بالعزلة، إذ أراد الظلمة النطق بالتمني فعجزوا، ثم غمرتهم هبوات أرهقت وجدانهم فوقعوا في التأوّه الملهب وخيبة ساحقة.

كان العالم بحاجة لقيم وأخلاق سامية لتغيير الحياة العقيدية والنفسية، فالمبادئ الأخلاقية الحكيمة والثابتة تشير إلى أن الصحابة أصحابها قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان 63 إن المتدبر في الآية يجد فيها دلالتها متدققة قيمتها تبيان موقع الصالحين المتسمين بالصفح وعدم الانتقام، فيها ملامسة لطيفة وإيماءة موحية إلى عظمة خلقهم. فهم قدوة في اللين والعفو، نوه القرآن بهذه الخصلة النبيلة في أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران 159

يحمل التعبير يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا دلالة نقيّة صافية خالية من التأويل، فقد نذهل حين نقف على ما فيها من رقيّ عن نبل الأخيار تدلّ على شيء غير عادي فلا يصلح في موضعها غير تصوّر فضل المتحدث عنهم، وتنطوي تحتها الكثير من ملامح الرحمة والهداية، فالملتقي يلتبس دقة التصوير الذي قدّمته الصورة البيانية تكريما وتشريفا لهم يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا: تركيب كنائي أريد به معناه ولازم معناه، فهم يمشون هينين برفق وثبت ن لا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا⁽²⁾ كما نلمس فيها تنسيقا بديعا شكّل مدلول لا يمكن التعبير عنه إلا بهذه الكلمة، فإذا لم نحذق في المفردة فقدنا جانبا من جوانب دلالتها لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم تعرض للطعن عن طريق تقوّل الطاعنين، ونسجت حوله الشبهات، إذ للمرضى في مخيلتهم صورة مستقبحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحقّ وافيا في الردّ عليهم.

عمل الشيخ على تهذيب البيان القرآني ليضفي المشروعية على تفسيره، ويمنع النظر

(1). ابن باديس، مجالس التذكير، 201/1

(2). نفس المرجع، 84/2

المتعجل في بلاغة القرآن حتى لا يركبه السهل تحجيرا لبلاغة القرآن الكريم، وينتهي بالمتعلم إلى الضيق بها ل تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قُرَّةَ أَعْيُنٍ رسمت لنا شخصية عباد الرحمن العامرة بالعطاء والإخلاص بالدعاء أقاموا عليه الانتقال من أوهام الغريزة إلى تهذيب السريرة، منتفعا بمدلولاتها قناعة نفسية ووعي في تجاوز رؤية ظلت تهيمن على حياته إلى التفاعل مع واقعه ليفجر ما يخفي من جماليات و أسرار لاستيعاب آثار الصفاء الذي وجدوه من جراء اقترابهم من حبل الله المتينقرة أعين تركيب كنائي. فإذا كانت من القر فهو كناية عن السرور لأن العين في حالة السرور الباردة، وإذا سالت منها دموع في حالة فرح كانت باردة. وإذا كان الإنسان في حالة حزن ن فالعين تكون سخنة بسبب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة فإذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة.⁽¹⁾

إنها توحى إلى مفترق الطرق بين الدنيا والآخرة تقرّر بقناعة صورة فيضان الإيمان، هيأوا لها مسوغات الدعاء بالصلاح، فالكناية ليست صورة إبداع، إنما استعمالها ليشير إلى الاطمئنان والأمان وترغيب النفس للاستعداد للقاء الله، فهي أمر موجه لكل إنسان، فيها معان مجازية منها وقار المؤمن وسكينته، وتثبيت الخواطر إنها منعت الطمع في الخلد، وأومات بزوال الدنيا.

إنّ البيان في الآية ازداد قدره، واتسعت أسرارها هذا ما يفتح الطريق للولوج في كلماته لمعرفة دلالتها التي عرضت في أحسن السياقات، هذا ما نستشعره في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل 18 كلمة لَا يَحْطِمَنَّكُمْ فالبيان القرآني من خلال هذه المفردة يبين ما فيها من معنى يحتاج إلى تأمل فيه، ويستكشف دلالتها، إذ يصل إليها بعد دراسة السياق الذي وردت فيه. إنها أصل قويم في لغة الحيوانات وقد امتد شعاعها الهادي إلى دلالات أخرى حتى استقطبها السياق في أبعاده المتفاوتة الا وهو العلم الذي بثه الله في النملة، فإذا قرأناه وجدنا الأثر البيان للقرآن الكريم بكلّ تشعباته يشكّل القاعدة التي ترسو عليها دلالة الكلمة، جعلها مقربة بالهام النملة، وإنها

(1). ابن باديس، مجالس التذكير 168/2

لبالغة العمق في الصورة البيانية فقد وثقت لنا ما كان يساور غريزتها من خوف، وطلبت من النمل الدخول نهتهم عن المسبب التحطيم وقصدت السبب نهتهم عن أن يحطمهم، و الحطم ليس من فعلهم حتى ينهوا عنه، وإنما المعنى لا تكونوا خارج مساكنكم فيحطمكم، فنهتهم عن المسبب، والمراد النهي عن السبب لما في ذلك من الإيجاز المناسب لسرعة الإنذار لسرعة النجاة، ولما في ذكر المسبب وهو الحطم من التخويف الحامل على الإسراع إلى الدخول.⁽¹⁾

انفرد القرآن بانتقائه البيان البديع للكشف عما يتضمّنه من مقاصد لطيفة لذلك ورد كلّ مناسباً للسياق، وتخيّر مواقعه التي توحى إلى ما يختزنه من دلالات قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المؤمنون 52 فقوله إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ توحى إلى الأكل الطيب المبني على الحلال، فقد لخصت عطايا الرحمن الجامعة بين العمل الصالح، فالكفار فقدوا لثمتهم وأتهموا الرسل بأكل الخبائث قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ المائدة 95 فالأكل لا يعطل الدعوة والتبليغ فالرسل بشر أباح الله لهم الطعام، المخاطب مستشرف على مقاصد جلييلة، وعلى معان متأرجحة الفضائل وعلم الله مستلزم لجزائه للعاملين، فكان كناية عن الجزاء، وفي الكناية عن الجزاء بالعلم تفخيم لهذا الجزاء وتعظيم، فهو جزاء الله العليم وكفى به.⁽²⁾ تتضمّن كذلك الإكثار من الخير ترغيب على الزيادة من الأعمال الصالحة لأنّ الله لا يضيع مثله شيئاً.

ومن عبق بيانه تأمله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ يس 12 سخر الله تعالى الملائكة يكتبون أعمال الخلق ولا يفرطون في صغيرة ولا كبيرة، فحملوا الرسالة، وسايروا الإنسان جنبا إلى جنبا، وواءموا آثارهم فلم يعرهم فتور، ولم يصلهم عجز، بين أيديه كلّ تركة البشر هذا ما أبان عنه الشيخ في كلمة نكتب: عبّر بنكتب مضارعا ليفيد التجديد والاستمرار، فما من عمل أو أثر يتجدد إلا ويكتب. وأسند الكتابة إليه، والكتابون

(1). نفس المرجع، 216/2

(2). ابن باديس، مجالس الذكر، 1/417.416

الملائكة لأنهم بأمره يكتبون.⁽¹⁾⁽²⁾ هذا من المجاز العقلي إسناد الكتابة إلى إله سبحانه وتعالى، مع أنه لم يكن هو الذي يقوم بعملية الكتابة، إنما كان يأمر ملائكته بفعل ذلك فيطيعون أمره. وجمال هذه الصورة البيانية في رأي ابن باديس أن الكتابة تتصل بالعلم والعمل، والدنيا والدين، والأفكار والخواطر فيها ما يرفع الإنسان إلى أعلى درجات الجنة، ومنها ما يحطها إلى الدرك الأسفل من النار.

عظمت ملكة الشيخ وعلا نفعها، جعلها للبيان القرآني سورا من الأسوار يدافع عن بلاغته، وبفضل مقدرته اللغوية وبراعته البلاغية المهمة بالنباهة أن يواجهها خطر التخريب لتصبح دعوته العلمية أكثر قوة وفاعلية، استجاب لها حشد من أهل العلم لتحشيد جهودهم لردع الدخيل. إن تصاعد نشاط الشيخ بهذا الارتقاء والتفوق دفع المخلصين إلى مهاجمة أهل الابتذال والبطانة ليتقدم هذا البيان إلى حصن حازم في مقاومة أعداء القرآن.

خاتمة:

اهتمام ابن باديس باللغة العربية يعدّ شعاعا يجعل العقل مستعدا للتأمل في كتاب الله، وفتح الأذواق والأذهان على اقتناء معجم نحوي، واستجماع فوائد لطيفة لأنه يشكّل التربة التي تنأصل منها المعارف النقية. لم يترك صغيرة ولا كبيرة من الظواهر اللغوية إلا خاض فيها بالتأليف والشرح لضبط النحو العربي ضبطا سليما.

إن فلسفته كشكل راق من أشكال الوعي القرائي المؤسس على حيوية الممارسة العلمية ارتبطت بعلاقة متينة بالبيان القرآني وكلام العرب الفصيح مصحوبة بنباهة وحذر من خطر الانزلاق في متاهة اللحن والشذوذ، ومن أهم خاصيات المميّزة لفلسفته فالشيخ كان ملما متممّا في الاستعمال اللغوي، على دراية بسنة الفصحاء، وعلى هذا النحو لم يكن بالغريب أن تمنّ مكلته في ساحة علوم اللغة وتقوية فعاليتها.

(1). نفس المرجع، 302/2

النتائج:

1. جاهد ابن باديس كثيرا لحماية صفاء اللغة العربية، ودرء الرطانة، كان متشددا لتمييز النفيس من الخسيس.
2. تشكل علوم الآلة لدى الإمام التربة التي تتأصل منها المعارف اللسانية.
3. تجاوز التفاعل بين الدرس اللغوي وعلمي النحو والبيان عن الضحالة إلى أفق إنساني أوسع، فهو تأصيل علمي دقيق لا يتردد أهل العلم في استعماله.
4. تكشف أهمية النحو والبيان تمسك الشيخ بهما والالتزام بنظامهما، إنه النور الذي بسط المعرفة ورفع الجهل.

التوصيات:

1. الانفتاح على الدراسات اللغوية مع المحافظة على خصوصية الدرس اللغوي في الدراسات القرآنية.
2. الاهتمام بالبحث النحوي والبياني النظري والتطبيقي، وترشيد الباحث إلى الاقتراب من لغة القرآن.
3. التقريب بين ملكة السلف ونباهة الخلف في التكامل المعرفي لتأمين آفاق النحو والبيان.

المصادر والمراجع:

1. ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة ط 1 1984
2. جرير ابن عطية الخطفي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، 1406
3. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية 1984م
4. عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، دار الأمة الجزائر 2012
5. توفيق محمد شاهين، ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع

وترتيب: توفيق شاهين / محمد الصالح رمضان، دار الفكر ط2 2002

قراءة ونظرة في كتاب: "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"

للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي

أد. لخضر بن قوماز

جامعة غرداية

ملخص المداخلة:

تتعلق هذه المداخلة بكتاب قيم للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وهو: "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"، حيث وقع فيه لبس وأخطاء سواء من ناحيتين، من ناحية نسبته للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومن ناحية عنوانه، أما من ناحية نسبته لمفهرس خزانة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالجزائر إلى ناسخه وهو محمد بن طيفور بن أحمد بن طيفور إذ توجد لهذا الكتاب نسخة نادرة ووحيدة بخزانة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموع تحت رقم "3407 ويقع في 154 لوحة من الحجم المتوسط والمفهرس، ومن ناحية العنوان، وقع فيه لبس وخلاف، وهذا ما وقع فيه بعض الباحثين حيث خلط بين كتابين للشيخ الثعالبي هما: "الذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض آي القرآن العزيز" و "ملحق الغريب" وهما في الحقيقة كتابان مستقلان عن بعضهما كما وقع ذلك في رسالة دكتوراه لبعض الباحثين

Abstract

This intervention concerns a valuable book by Sheikh Sidi Abd al-Rahman al-Tha'alibi, entitled: "Al-Dhahab al-Ibriz fi Tafsir wa I'rab Ba'd Ayi al-Kitab al-'Aziz" The Pure Gold in the Interpretation and Parsing of Some Verses of the Noble Book. There is confusion and error in this book, both in its attribution to Sheikh Sidi Abd al-Rahman al-Tha'alibi and in its title. Furthermore, the cataloger of the manuscript In the National Library of Algeria, to its copyist, who is Muhammad bin Tayfur bin Ahmed bin Tayfur, as there is a rare and unique copy of this book in the manuscript collection of the National Library of Algeria within a collection under number 3407. It consists of 154 medium-sized

and indexed pages

Regarding the title, there was confusion and disagreement, as some researchers have fallen into this error by mixing up two books by Sheikh al-Tha'alibi: "Al-Dhahab al-Ibriz fi Tafsir al-Gharib wa I'rab Ba'd Ayi al-Qur'an al-'Aziz" and "Mulhaq al-Gharib," which are in fact two independent books, as was the case in a doctoral dissertation by some researchers.

خطة البحث:

مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع والإشكال

المطلب الأول: التعريف بالشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي

الفرع الأول: نسبه ومولده:

الفرع الثاني: نشأته العلمية وتكوينه

الفرع الثالث: تلاميذه ووفاته ووفاته

المطلب الثاني: لقراءة في كتاب "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"

الفرع الأول: نسبة هذا الكتاب إلى الثعالبي:

الفرع الثاني: الخلط والخلاف في عنوان هذا الكتاب:

الفرع الثالث: الخلط بين الكتاين وبيان الفرق بينهما

المقدمة: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ركزت في هذه المداخلة على هذا الكتاب لأنه كان مخطوطا وحقق مؤخرا لكن وقع فيه لبس كبير، واختلاف في عنوانه فالمفروض أن كتاب بهذه الأهمية لعالم بارز من علماء الجزائر يقع فيه هذا الاختلاف والتضارب من باحثين جزائريين فهذا لا يليق

الإشكال: كيف يمكن دفع هذا التضارب الواقع في نسبة الكتاب إلى مؤلفه الشيخ سيدي

عبد الرحمن الثعالبي، وكيف نتحقق من عنوانه هذا الكتاب، فالبعض يقول إن هناك كتابا واحدا للشيخ الثعالبي بهذا العنوان

المطلب الأول: تعريف بالشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽¹⁾

الفرع الأول: نسبه ومولده:

أولاً: نسبه: هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عامر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب

ثانياً: مولده: وُلِدَ عبد الرحمان الثعالبي سنة 786هـ - 1384م قرب وادي يسر وبجوار مدينة يسر الواقعة حالياً بولاية بومرداس شمال شرقي العاصمة الجزائرية، حيث تبعد عنها بمسافة 62,3 كلم، وهذه المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثعالبة،.

الفرع الثاني: نشأته العلمية وشيوخه⁽²⁾

أولاً: نشأته العلمية وأسفاره في طلب العلم⁽³⁾: نشأ عبد الرحمان الثعالبي في بيئة علم ودين وصلاح في جبال الخشنة المطلة على وادي يسر ووادي الجمعة، استهل تعلمه على يدي علماء منطقة القبائل.

ثم انتقل وتكون في قصبة الجزائر ثم قصد المغرب الأقصى بصحبة والده محمد بن مخلوف فتعلم أصول الدين والفقه المالكي فأخذ عن العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد. وزار مدينة بجاية فمكث بها سنة ثم عاد إلى مسقط رأسه في يسر بعد وفاة والده ثم رجع

(1) انظر: موسى إسماعيل جامع الأمهات في أحكام العبادات، للإمام أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي الجزائري المتوفي سنة 875هـ - 1470م - دراسة وتحقيق، السنة جامعة الجزائر، 2009/2010م ص: 46

1 انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمار طالي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج 1، ص: ج وما بعدها (2)

(3) انظر: مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2002، ج 1، ص: 382.

لمدينة بجاية فنزل بها سنة 802هـ 1399م ومكث فيها حوالي السبع سنوات، وتعلم فيها داخل مسجد عين البربر وكذلك جامع بجاية الأعظم في قصبة بجاية مع زملائه يحيى العيدلي وسيدي بوسحاق مع آخرين.

ثانيا: شيوخه: ⁽¹⁾ وكان تتلمذه على أئمة مقتدى بهم في العلم والدين والورع،

الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمن الوغليسي،

وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس

الشيخ الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي،

والشيخ الولي الفقيه المحقق أبي الربيع سليمان بن الحسن،

وأبي الحسن علي بن محمد البليلي،

وعلي بن موسى،

والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي، فحضر مجالسهم.

ثم انتقل إلى تونس سنة 809هـ 1406م فتعلم على تلاميذ ابن عرفة

كالشيخ أبي مهدي عيسى الغبريني،

والشيخ الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد الله الأبي،

وأبي القاسم البرزلي،

وأبي يوسف يعقوب الزغبى، وغيرهم.

ثم ارتحل إلى مصر سنة 814هـ 1412م، فسمع صحيح البخاري واختصار إحياء علوم

الدين بها

البلاي، وحضر مجلس شيخ المالكية بها

أبي عبد الله البساطي،

وحضر كثيرا عند شيخ المحدثين بها ولي الدين العراقي الذي أجازه بعدما أخذ عنه علم

الحديث مع علوم ومعارف أخرى، كما أخذ عن غيرهما من العلماء.

(1) انظر: سيدي عبد الرحمن الثعالبي: الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، تحقيق: محمد

شايب شريف، وأبي بكر بلقاسم ضيف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2018، 1م، ص: 06.

ثم رجع إلى تونس سنة 817هـ 1415م فإذا في موضع الغبريني

الشيخ أبو عبد الله القلشاني خلفه فيه عند موته فلازمه، وأخذ صحيح البخاري إلا سيرا عن البرزلي، ولم يكن بتونس يومئذ من يفوت الثعالبي في علم الحديث إذا تكلم أنصت العلماء وقبلوا ما يرويه، تواضعا منهم وإنصافا واعترافا لحقه، وكان بعض فضلاء المغاربة يقول له لما قدم من مصر: كُنْتَ آيَةً فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وحضر أيضا مجلس الشيخ الأبي وأجازه. ثم قدم تونس الشيخ ابن مرزوق عام 819هـ 1417م فأقام بها نحو سنة فأخذ الثعالبي عنه كثيرا وسمع عليه موطأ الإمام مالك بقراءة الفقيه أبي حفص عمر القلشاني ابن الشيخ أبي عبد الله مع علوم أخرى، وأجازه وأذن له هو والأبي في الإقراء،

وأخذ عن غيرهم من الأئمة كالشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني وحافظ المغرب أبي القاسم العبدوسي

وابن قرشية.

ثم ارتحل إلى الأناضول أين زار مدينة بورصة التي لقي فيها استقبالا عظيما، فأقيمت له زاوية صوفية هناك وحبت عليه، وماتزال تلك الزاوية وقفا حبسا على الثعالبي إلى اليوم. ثم قصد الحجاز فأدى فريضة الحج، واختلف إلى مجالس العلم هناك، ثم قفل راجعا إلى مصر ليواصل دراسته فيها، ومنها إلى تونس، فوافي بها ابن مرزوق الحفيد التلمساني، فلازمه وأخذ عنه الكثير.

ثم عاد إلى الجزائر بعد هذه الرحلة الطويلة في طلب العلم والمعرفة إلى قصبة الجزائر، فاهتم بالتأليف وصار يلقي دروسه بأكبر مساجد الجزائر آنذاك وهو الجامع الكبير.

تولى القضاء زمنا قصيرا، ثم تركه لينقطع إلى الزهد والعبادة، كما قام بالخطابة على منبر الجامع الكبير بالجزائر، ويروى أن من بقايا آثاره المتبرك بها إلى اليوم بهذا المسجد مقبض عصا خطيب صلاة الجمعة.

ثم عاد إلى الجزائر بعد رحلة طويلة وسنوات عديدة قضها في مكابدة طلب العلم، فاهتم بالتأليف وصار يلقي دروسه بزاويته، ويقوم بالخطابة على منبر الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، كما تولى الشيخ القضاء زمنا قصيرا، ثم اعتزله لينقطع إلى العبادة

والتدريس والتأليف .

الفرع الثالث: تلاميذه وؤلفاته ووفاته⁽¹⁾

أولاً: تلاميذه: تخرج على يدي الإمام الثعالبي كثير من العلماء، من بينهم:

أحمد بن عبد الله الزواوي

محمد بن عبد الله التنسي

ابن زكري التلمساني

محمد بن يوسف السنوسي

أحمد زروق

محمد المغيلي التلمساني

محمد بن مرزوق الكفيف

عبد الباسط الملطي

علي بن محمد التالوتي

عبد الرحمان بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي.

أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسني.

عبد الجليل بن محمد بن عثمان الزروالي الراشدي.

علي بن عيسى بن سلامة بن عيسى البسكري، نشأ في مدينة بسكرة وتعلم على يد ابن

مرزوق الحفيد ثم الثعالبي

علي بن عياد بن أبي بكر البكري، ولد بمدينة فاس سنة 830هـ 1426م أين

حفظ الرسالة الفقهية وتعلم الفقه المالكي قبل أن ينتقل إلى قسبة الجزائر ليتعلم عند

الثعالبي.

يعقوب بن عبد الرحمن بن يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد المغربي الفاسي المالكي،

(1) انظر: أطروحة دكتوراه بعنوان: الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز عبد الرحمن الثعالبي 875هـ- دراسة و

تحقيق

للطالب قاسي محمد وإشراف أ.د. نور الدين زرايدي نوقشت بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة كلية الآداب واللغات

والفنون قسم اللغة والأدب العربي سنة 2020/2019

يعرف بابن المعلم اليشقرى: ولد بفاس سنة 824هـ 1422م أين درس الفقه المالكي قبل أن يتلمذ في قسبة الجزائر على الثعالبي الذي أخذ منه علم الحديث.

ثانيا: آثاره العلمية⁽¹⁾

كان معروفا عن عبد الرحمان الثعالبي أنه عالم زمانه في القطر المغربي في علم التفسير والذي تميز فيه باتباع «منهج مميز» جمع بين «النقل والعقل»، وكذا علم العقيدة علم الكلام وأصول الدين والفقه والتصوف، وغيرها من العلوم الدينية الأخرى، وهو أحد أعلام القرن التاسع الهجري، ذلك أن الإنتاج الفكري للثعالبي انتشر في مختلف مكتبات العالم العربي والغربي.

عكف على التدريس والتأليف، وكانت معظم مصنفاته في علوم الشريعة، وقد ترك في هذا الحقل ما يزيد على تسعين مؤلفا في التفسير والحديث والتصوف والفقه واللغة والتاريخ والتراجم وغيرها، من أهمها:

تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن، في أربعة أجزاء.

المعجم المختصر في غريب القرآن الكريم.

الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، يعنى بعلم التفسير مع علم إعراب القرآن.

جامع الأمهات في أحكام العبادات، في جزء، يُعنى بالفقه المالكي.

رياض الصالحين وتحفة المتقين الأنوار في آيات النبي المختار

العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة

حقائق التوحيد، في جزء واحد، يُعنى بعلم التوحيد.

رياض الصالحين وتحفة المتقين، ضمّن كتابه هذا جملة من أحاديث النبي محمد في فضل الذكر وأحوال الآخرة وغيرها من أعمال الصالحين المنجية من عذاب جهنم. ويحتوي على مقدمة في التذكير بالموت والقبر ويصف الإمام كتابه بأنه: «كتاب جامع الفنون من العلوم وفوائد جمة لمن يريد حرث الآخرة».

(1) انظر: موسى إسماعيل جامع الأمهات في أحكام العبادات، المرجع السابق، ص: 19

الأنوار في آيات النبي المختار، في ثلاثة مجلدات، يُعنى بعلم التصوف.
 الأنوار المضيئة الجامعة بين الحقيقة والشريعة، في مجلد واحد، يُعنى بالتربية
 الروحية وعلم التصوف.
 الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات، في مجلد واحد، يُعنى بعلم
 التصوف.

الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، في مجلد واحد، يُعنى بعلم التصوف وعلم الحديث.
 العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، في مجلد واحد، يُعنى بعلم التصوف.
 المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع.
 روضة الأنوار ونزهة الأخيار، يُعنى بالفقه المالكي.
 جامع الهمم في أخبار الأمم، في جزئين، يُعنى بعلم التاريخ.
 حقيقة الذكر.

الأربعين حديثاً في الوعظ.
 جامع الأمهات للمسائل المهمات، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، وهو في الفقه.
 إرشاد السالك، في جزء، يُعنى بالتصوف.
 النصائح.

المعجم المختصر في غريب القرآن.
 غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد.
 التقاط الدرر.
 رياض الأنس في علم الدقائق وسير أهل الحقائق، في جزء، يُعنى بالتصوف.
 جامع الخيرات المصنف بقرب الممات.
 نور الأنوار ومصباح الظلام.
 الجامع الكبير.
 كتاب الإرشاد.

كتاب النصائح وجامع الفوائد.
 تحفة الإخوان في إعراب بعض آي من القرآن.
 شرح على مختصر خليل بن اسحاق.

شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي.

الدرر اللوامع في قراءة نافع.

قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين.

نفائس المرجان في قصص القرآن.

كتاب الرؤى والمنامات.

وله مخطوطات أخرى في التوحيد واللغة والتصوف والفقه.

ثالثا: وفاته رحمه الله ⁽¹⁾: توفي الإمام الثعالبي في ضحى يوم الجمعة 23 رمضان 875هـ، منتصف شهر مارس 1471م، ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي المجاورة لزاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي في قصبة الجزائر حيث ضريحه قرب مسجد سيدي عبد الرحمان بها إلى اليوم.

المطلب الثاني: قراءة في كتاب "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"

الفرع الأول: نسبة هذا الكتاب إلى الثعالبي: توجد لهذا الكتاب نسخة نادرة ووحيدة بخزانة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموع تحت رقم "3407 ويقع في 154 لوحة من الحجم المتوسط والمفهرس أخطأ في نسبة هذا الكتاب إذ نسبه إلى ناسخه وهو محمد بن طيفور بن أحمد بن طيفور، وقد ذكر الناسخ أنه نسخته لشيخه منصور بن محمد بن منصور القيرواني، وهو في الحقيقة ناسخ للكتاب وليس مؤلف الكتاب كما يظهر جليا في آخر المخطوط: "وكان الفراغ منه في الثامن عشر من شهر رمضان المعظم في يوم الاثنين بعد زوال الشمس بين الظهر والعصر من عام أربعة وأربعين بع تسعمائة 944هـ عرفنا الله خيرَه ووقانا شره وضيَره، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما على يد العبد الفقير إلى مولاه الحق الغني به عن جميع الخلق محمد بن طيفور بن أحمد بن طيفور لطف الله به وجميع المسلمين كتبه لشيخه منصور بن محمد القيرواني راجي بذلك دعاء الصالحين وبركتهم... الخ"

(1) انظر: التنبكي: نيل الابتهاج، مكتبة الثقافة الدينية، ط2004، ج1، ص:282.

الفرع الثاني: عنوان هذا الكتاب: لسيدي عبد الرحمن الثعالبي تفسير معروف وهو: الجواهر الحسان في تفسير القرآن هذا واضح ومعروف وحقق ومطبوع وعليه عدة دراسات. تفسيره تأثر فيه بمصادر مشرقية، كما تأثر بمصادر مغربية

وأندلسية، فجاء تفسيره مزيجاً بين الفكر المشرقي والفكر المغربي، حيث ضمنه المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزاده فوائد من غيره من كتب الأئمة، حسبما رآه أو رواه عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحققين.

لكن هناك كتابان آخران لها علاقة بكتاب الجواهر الحسان وهذا ما وقع فيه خلط بين الكتابين

أولاً: الكتاب الأول وهو ملحق الغريب هوتابع للتفسير وكأنه تكملة له :

وإنما هو: ملحق شرح الغريب الوارد في تفسير الجواهر الحسان ويسمى بالمعجم المختصر وهو عبارة عن معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من الألفاظ الغريبة ذيل به الثعالبي تفسيره الجواهر،

1- وقال الشيخ الثعالبي نفسه في مقدمة هذا المعجم: "أما بعد أيها الأخ أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين وجعلني وإياك من أوليائه المتقين، فإنه لما يسر الله علي إكمال هذا المختصر يعني الجواهر الحسان وفرغت من تصحيحه وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله، سألني بعض إخواني أن ألحق به

شرح ما وقع فيه من الغريب، ليتم بذلك مقصود الكتاب، والله الموفق بفضلله للصواب، فأجبتهم إلى ذلك وزدت فيه بيان ألفاظ وقعت في غيره يكثر في اللسان دورانها، ويفتقر الطالب إلى معرفتها، وجلها مما وقع في الموطأ والبخاري ومسلم وغيرها من كتب السنة.... إلى أن يقول: ومن نسخ هذا المختصر يعني التفسير فلا بد أن يكتب معه هذه الأوراق التي في الغريب إذ به يتم مقصود الكتاب، ومن الله أرتجي حسن المآب ورتبته على حروف المعجم

و يقول سيدي عبد الرحمن الثعالبي عن هذا الكتاب نفسه لكن هذه المرة في كتابه جامع الأمهات في أحكام العبادات الذي حققه الدكتور موسى إسماعيل يقول: "وقد جمعت قبل

هذا أي جامع الأمهات تصانيف بحمد الله مفيدة فمنها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مع الملحق به من الغريب، والمرائي وهي نيف عن ستين، فمن لم تقع بيده ووجدتها عند غيره فليحققها بالتفسير المذكور بعد الغريب

2- وهو ما يسميه البعض كالدكتور عمار طالبي في تحقيقه للجواهر الحسان ب " المعجم المختصر في غريب القرآن الكريم" وهو جزء ملحق بالتفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن

3- وفي الطبعة الثعالبية طبع سنة 1328هـ تحت عنوان: " معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من الألفاظ الغريبة" ثانيا: الكتاب الثاني: وهو بعنوان: " الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض أي الكتاب العزيز"

1- ورد هذا العنوان مصرحاً به في مقدمة المؤلف حيث قال : " وسميته بالذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض أي الكتاب العزيز"

2- الشيخ الثعالبي نفسه أشار إلى كتابه هذا في بعض مؤلفاته إلى وجود كتابين⁽¹⁾: كما في كتاب : " جامع الأمهات في أحكام العبادات، حيث قال رحمه الله تعالى: "أنا أسأل كل أخ في الله سبحانه وقف على كتابي هذا أو على شيء من كتبي أن يدعو لي بالرحمة، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وسميته : جامع الأمهات في أحكام العبادات ... ثم قال رحمه الله : " وابتدأت جمع هذا الكتاب في عام سبعة وخمسين وثمانمائة، جعله الله خالصاً لوجهه، ومبلغاً إلى جناته، وقد بلغت في السن في هذا الوقت نحواً من ثلاث وسبعين سنة، وها أنا أنتظر أجلي، والوقوف على كريم رحيم، أرجو من جزيل فضله بلوغ أمنيته، والعفو والتجاوز عن سوء ما قدمت من عملي. عاملنا الله وإياكم بفضله، وجعلنا من خاصة أوليائه، وقد جمعت قبل هذا تصانيف بحمد الله مفيدة، فمنها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مع الملحق به من الغريب، والمرائي وهي

(1) انظر: موسى إسماعيل جامع الأمهات في أحكام العبادات، المرجع السابق، ص: 177.

نيف عن ستين، فمن لم تقع بيده ووجدها عند غيره فليلحقها بالتفسير المذكور بعد الغريب. ومنها الأنوار في معجزات النبي المختار، والأنوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة، ورياض الصالحين، والتقاط الدرر، والدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، وشرحنا لابن الحاجب الفرعي، والجامع الكبير الملحق به، وإرشاد السالك كتاب صغير، والأربعون حديثا مختارة، وجامع الفوائد، وغنيمة الوافد، والمختار من الجوامع في محاذات الدرر اللوامع، وكتابنا هذا الذي نحن فيه، وكتاب النصائح، ثم يسر الله بعده بكتاب سميته بالذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض أي القرآن، ثم يسر الله بعده بكتاب سميته بالذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض أي القرآن العزيز

3- ونسبه إليه العلماء: في هدية العارفين ج 1، ص: 533، ونيل الابتهاج ص: 259، النور والحلل السندسية، 614/1 وشجرة النور 265/1، وتاريخ الجزائر العام 274/2 والتحفة المرضية: ص 341، ومعجم أعلام الجزائر ص: 90

الفرع الثالث: الخلط بين الكتابين:

وهذا ما وقع فيه بعض الباحثين حيث خلط بين الكتابين بالذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض أي القرآن العزيز و ملحق الغريب وهما في الحقيقة كتابان مستقلان عن بعضهما

1- فقد طبع سنة 2014م بدار بن مرابط الجزائر بعنوان: "الذهب الإبريز في تفسير غريب القرآن العزيز للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، بتحقيق الأستاذ عبد الحميد حاجيات، دون ذكر للمخطوطة أو الإشارة إليها، وعدد صفحاته 198 صفحة من الحجم المتوسط وما هو في الحقيقة إلا المعجم في تفسير الغريب الذي وضعه الثعالبي ذيلًا لتفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن.⁽¹⁾

(1) انظر: سيدي عبد الرحمن الثعالبي: الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض أي الكتاب العزيز، تحقيق: محمد شايب شريف، وأبي بكر بلقاسم ضيف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2018، 1م، ص: 12.

2- هناك أطروحة دكتوراه بعنوان⁽¹⁾: "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز" لعبد الرحمن الثعالبي 875هـ- دراسة و تحقيق

للطالب قاسمي محمد وإشراف أ. د. نور الدين زرايدي نوقشت بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة والأدب العربي سنة 2020/2019

وهو في الحقيقة ليس الذهب الإبريز، وإنما هو ملحق شرح الغريب الوارد في تفسير الجواهر الحسان ويسمى بالمعجم المختصر وهو عبارة عن معجم مختصر في شرح ما وقع في كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من الألفاظ الغريبة.

ذيل به الثعالبي تفسيره الجواهر، وعنه يقول: "وقد جمعت قبل هذا أي جامع الأمهات تصانيف بحمد الله مفيدة فمنها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مع الملحق به من الغريب، والمرائي وهي نيف عن ستين، فمن لم تقع بيده ووجدها عند غيره فليلحقها بالتفسير المذكور بعد الغريب

وقد طبع هذا المعجم بإشراف محمد بن مصطفى بن الخوجة وأعيد طبعه في آخر تفسير الجواهر بتحقيق الأستاذ الدكتور عمار الطالبي كما ذكرنا سابقا

الفرع الرابع: الفرق بين الكتائين:

أولاً: من حيث العنوان: فكل كتاب له عنوانه المستقل الذي ذكره المؤلف نفسه، فلا ينبغي أن يفتات عليه.

ثانياً: من حيث الموضوع: فملحق الغريب يتعلق بشرح ما وقع من الغريب في تفسير الجواهر الحسان، مع زيادة ألفاظ أخرى يحتاجها طالب العلم من الموطأ وصحيح البخاري ومسلم وغيرهم كما قال الثعالبي نفسه: " فإنه لما يسر الله علي إكمال هذا المختصر يعني

(1) انظر: أطروحة دكتوراه بعنوان:الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز عبد الرحمن الثعالبي 875هـ- دراسة و تحقيق

للطالب قاسمي محمد وإشراف أ. د. نور الدين زرايدي نوقشت بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة والأدب العربي سنة 2020/2019

الجواهر الحسان وفرغت من تصحيحه وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله، سألني بعض إخواني أن ألحق به شرح ما وقع فيه من الغريب، ليتم بذلك مقصود الكتاب، والله الموفق بفضلله للصواب، فأجبتهم إلى ذلك وزدت فيه بيان ألفاظ وقعت في غيره يكثر في اللسان دورانها، ويفتقر الطالب إلى معرفتها، وجلها مما وقع في الموطأ والبخاري ومسلم وغيرها من كتب السنة....⁽¹⁾

أما كتاب "الذهب الإبريز" ففيه إعراب بعض آي القرآن وتفسير غريبه حيث قال في مقدمته بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وها أنا أشرع إن شاء الله تعالى في في إعراب ما تيسر علي إعرابه من آي القرآن، وتفسير غريبه، وذكر أحاديث وفوائد لا يستغنى عنها، معتمدا في ذلك على الله سبحانه.... إلى أن يقول: وما قدمت عليه إلا بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أذكر في كتابي هذا المختار مما جمعه، وسميته بالذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز"⁽²⁾

ثالثا: من حيث الترتيب: فملحق الغريب مرتب على حروف المعجم كما ذكر الشيخ رحمه الله: "ورتبته على حروف المعجم"⁽³⁾

أما كتاب الذهب الإبريز: فمرتب على سور القرآن الكريم بدءا بالاستعاذة والبسملة ثم الفاتحة وختاماً بسورة الناس وكأنه ملخص التفسير

رابعا من حيث الحجم: فملحق الغريب فيح حوالي 190 صفحة، أما الذهب الإبريز ففيه 670 صفحة

الخاتمة:

(1) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمار طالبي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج5 ص:05

(2) انظر: سيدي عبد الرحمن الثعالبي: الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، تحقيق: محمد شايب شريف، وأبي بكر بلقاسم ضيف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2018، ج1، ص:22.

(3) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمار طالبي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج5 ص:06

تبين في هذا البحث بحمد الله أن الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي من أكابر علماء الجزائر وهو متمكن في كثير من فنون العلم، وله كتاب في التفسير سماه: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" كما له كتابان آخران لهما تعلق بهذا الكتاب منفصلان مستقلان عن بعضهما وهما: "ملحق الغريب" أو "معجم الغريب"، وهو كتاب شرح فيه ماورد في التفسير من الغريب، مرتب على حروف المعجم، وكتاب آخر بعنوان: "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز" وفيه إعراب ما تيسر إعرابه من آي القرآن، وتفسير غريبه مرتب على سور القرآن الكريم بدءا بالاستعاذة والبسملة ثم الفاتحة وختاماً بسورة الناس. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

- 1- التنبكتي: نيل الابتهاج، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م
- 2- الثعالبي سيدي عبد الرحمن: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق الدكتور عمار طالبي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- 3- الثعالبي سيدي عبد الرحمن: الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز، تحقيق: محمد شايب شريف، وأبي بكر بلقاسم ضيف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 2018، 1م،
- 4- قاسمي محمد: أطروحة دكتوراه بعنوان: الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز عبد الرحمن الثعالبي 875هـ- دراسة و تحقيق وإشراف أ. د. نور الدين زرايدي نوقشت بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة والأدب العربي سنة 2020/2019
- 5- موسى إسماعيل: جامع الأمهات في أحكام العبادات، للإمام أبي زيد عبد الرحمان الثعالبي الجزائري المتوفي سنة 875هـ - 1470م -دراسة وتحقيق، السنة جامعة الجزائر، 2010/2009م .

6- مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط:1، 2002 .

منهج التفسير عند الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري من خلال تفسيره

" من توجيهات القرآن العظيم "

أ.د. محمد السعيد مصيطفى

جامعة غرداية

الملخص:

هذا البحث محاولة لتعرف على علم من أعلام الجزائر وقامة علمية من قاماتها الشامخة، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، فقد جمع بين تخصصات علمية مختلفة، حتى وصفه الكثير من الباحثين بالباحث والعالم والمفسر والمحقق والمترجم، وهو ما تؤكد أعماله العلمية تجاوزت الستين بحثا. ولعل البارز منها ما تعلق بخدمة القرآن الكريم من خلال مؤلفه الكبير " من توجيهات القرآن العظيم "، الذي فسر فيه القرآن كاملا بأسلوب عصري مميز، ضمنه العديد من مباحث علوم القرآن وأصول التفسير وإسقاطات على واقع الأمة. ورغم عديد المحاولات للتعريف بهذه الشخصية العلمية الكبيرة والإشادة بمؤلفاتها؛ إلا أن تفسيره ظل لحد الساعة بعيدا عنها، وهو ما تهدف هذه الدراسة لخوض غماره بغية التعرف على منهجه وما تميز به من إضافات.

مقدمة

يعد الدكتور محمد بن عبد الكريم من القامات العلمية الكبيرة في الجزائر، فهو الباحث والعالم والمفسر والمحقق والمترجم، وفقه الله تعالى لخدمة العلم والدين، والعناية بالقرآن الكريم الذي أتم تفسيره في ديوان سماه من توجيهات القرآن العظيم.

وهو جهد مبارك يستحق الإشادة والتنويه، لاسيما وأنه يتعلق بعلم التفسير الذي لا يترشح له إلا من كان من طينة العلماء، كما أنه تراث تفسيري مكتوب شمل القرآن كله وهو ما يعد قليلا في الموروث الجزائري من التفسير الذي تغلب عليه الشفوية وفي الأكثر يقتصر على بعض سور القرآن.

ومن هذه الزاوية جدير بنا أن نتعرف على هذه الشخصية المتميزة، وأن نبين مساهمتها لا سيما في العناية بكتاب الله عز وجل التي تكللت بهذا الديوان العظيم توجهات القرآن العظيم.

ولتحقيق هذا الغرض جاء هذا البحث الذي وسمته بـ الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري الزواوي وكتابه من توجهات القرآن العظيم. حيث أقدمه للملتقى الوطني الذي تنظمه جامعتنا من خلال قسم العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتكمن أهمية هذا البحث من خلال الجوانب التالية:

1. تسليط الضوء على علم جزائري معاصر كانت له عناية كبيرة بتفسير القرآن الكريم لكنه للأسف مغمور في هذا الجانب.

2. التعريف بواحد من إسهامات الجزائريين في مجال التفسير وبيان منهجه والإضافات التي تميز بها.

3. إسهامه في إبراز جانب من التراث الجزائري الذي لا زال يستحق منا جهودا كبيرة لحفظه والتعريف والعناية به.

وأما إشكالية هذا البحث فتتمحور على سؤال مفاده: من هو الدكتور محمد بن عبد الكريم، وما منهجه الذي حرر به تفسيره المسمى من توجهات القرآن العظيم؟

وللإجابة على هذا التساؤل اعتمدت في إنجاز هذه الورقات على المنهج الوصفي والاستقرائي لأنني تتبعته هذا التفسير ودرست أبحاثه، وفصوله بغية الوقوف على ميزاته ومنهجه وجوانب الإضافة فيه.

ولهذا البحث أهدافا يسعى لبلوغها، من ذلك:

- الترجمة للدكتور العلامة محمد بن عبد الكريم الجزائري.

- التعريف بتفسيره من توجهات القرآن العظيم.

- الوقوف على ملامح المنهج الذي بنى عليه هذا التفسير المعاصر.

والحقيقة أنني وجدت من تحدث عن محمد بن عبد الكريم، من خلال بعض المقالات والأبحاث التي تناولت تحقيقاته وبعض مؤلفاته، إلا أنها لم تتناول بالبحث تفسيره، فكان هذا البحث زيادة من هذه الزاوية، فضلا أن هذه الجهود تستحق منا عديد المحاولات والأبحاث لإبرازها وإعطائها حقها من الاعتراف والتقدير.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة، وثلاثة مطالب:

في الأول ترجمت للمؤلف رحمه الله، وفي الثاني والثالث قمت بتعريف التفسير وبيان منهجه وما تميز به من قضايا.

فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: التعريف بالدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري .

لم تحظ شخصيته رحمه الله بتراجم وافية؛ اللهم إلا ما ذكر في بعض المجالات العلمية أو الصحف الوطنية التي دونت أقوال من عاصره من زملائه أو محبيه، وتحدثت عن سيرته،⁽¹⁾ ولعل ذلك لكونه حديث عهد بفراق الدنيا.

الفرع الأول: ترجمته.

أولاً: مولده ونشأته وتعليمه: ولد محمد بن عبد الكريم الزموري، الجزائري في 25 أفريل 1924م بـ "زمورة بيج بوعريج"،⁽²⁾ توفيت أمه وهو رضيع ثم توفي والده وهو لم يتجاوز السادسة من العمر. لذلك تربى يتيما عند أخواله بين مدينتي البرج وزمورة، وقد قام خاله الأكبر بالتكفل به واهتمام به.

نشأ رحمه الله وترعرع في بلدته زمورة المشهورة بالعلم والثقافة، وكثرة المساجد ووفرة دور العلم، فبدأ تعليمه القرآني على يد الشيخ العربي كشاط، و استهل مدراسة العلوم

(1) سمير بن سعدي، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد: 09/ سبتمبر، ص، 2018 م، ص 166.

(2) الصالح بن سالم، جهود محمد بن عبد الكريم في تحقيق المخطوط الجزائري العثماني، مجلة البحوث الجزائرية، العدد، 02، المجلد، 01، 2017م، ص. 158.

بمسجد أبي حيدوس على يد الشيخ علي بوبكر ، الذي أخذ عنه العقيدة بمتن الجوهرة، و النحو بمتن الأجرومية⁽¹⁾.

كما درس بعد ذلك على الشيخ عمر أبو حفص الزموري النحو من القطر، وشذور الذهب، والفقه من متن ابن عاشر، والفلك من السراج السوسي، والقراءات من الجزرية، كما درس علوم الفلك على يد الشيخ عبد المالك الأخضرري، ودرس علوم البلاغة والسيرة والتفسير، على يد الشيخ عبد القادر بن داود .

وإضافة لهذا النشاط في الطلب والتحصيل عرف رحمه الله وتميز من صغره بالفصاحة وقوة البيان. كما بين ذلك الأستاذ عبد المجيد بن داود في سياق تعداد له بعض خصال الشيخ ذات الصلة بطلبه للعلم في قوله: أنه: عُرف منذ صباه بذلاقة لسانه، وفصاحة بيانه، وقوته في المجادلة والحجاج في كافة العلوم ؛ وخاصة الدينية التي كان يملأ بها وقته، ومجالسه العلمية، و كان شغوفاً بالتصوف متعلقاً بمشايخه، لا يخفي انتمائه للطريقة العلوية إذ كان يتعاطى طقوسها ويدين بالولاء للشييوخها وأقطابها جهاراً ونهاراً، وكان شديد التعصب لما يعتقده صواباً، ومتصلاً بالدين⁽²⁾.

لم يمكث طويلاً في التحصيل فقد ألجأته الحاجة والفقر إلى ترك التعلم رغم صغر سنه، لذلك اتجه إلى العمل من أجل كسب القوت، ثم تزوج بعد ذلك فزادت متاعبه المادية، فاضطر لامتهان التجارة وصباغة الصوف والإتجار فيها، وكذا تدريس الصبيان اللغة

(1) ينظر بن داود، أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته، جريدة صوت الأحرار عدد: 5816، ص18، وعبد الحليم بوبكر، صفحات من حياة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري 1924-2012م ، جريدة البصائر، ع 852، الجزائر، الإثنين 12-06-1438هـ، 03 أفريل 2017 ، و سمير بن سعدي، " الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، العدد 09، سبتمبر 2018م، ص 167.

(2) عبد المجيد بن داود، " أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته ، صوت الأحرار ، ع 5816، الجزائر، الأحد 5 مارس 2017، ص18 .

العربية.⁽¹⁾

ورغم ظروفه الجديدة إلا أنه كان شغوفاً بالسفر للحواضر العلمية لمزيد العلم والتحصيل، وهو ما تمكن منه في حدود سنة 1952 حيث سافر في رحلة علمية إلى تونس لإكمال دراسته بمعهد الصادقية العريق" وهو عبارة عن مدرسة معاضدة لجامعة الزيتونة من حيث البرامج، إلا أنها تتميز بتفتحها على اللغات الأجنبية، وهنا درس على عدد من العلماء أمثال الشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ محمد العابد، والشيخ قريسة وأمثالهم، ما مكنه من الإلمام بعلوم المعهد في وقت قصير"، وكان يرجع سبب هذا الفتح إلى رؤيته المباركة التي رأى فيها الرسول في المنام يعطيه قضيباً من نور، فأصبحت هذه الرؤيا عبارة عن فأل خير وبركة لازمته طيلة حياته.⁽²⁾

وقد استفاد من هذه الرحلة العلمية نهجاً فكرياً وتعلقاً بالعلم ومطالعة لكتب الفقه والأدب والتاريخ، ولدت فيه حرصاً على التواصل ومجالسة العلماء في الدين وفي الثقافة والتراث، وظل شغوفاً بزيادة التحصيل.⁽³⁾

وبسبب تضيق الاستعمار وترصده له غادر الشيخ الجزائر مضطراً إلى فرنسا عام 1956م، فحل بمدينة ليون بنية العمل والاستقرار، وبعد ثلاثة سنوات من مكوثه بها وبسبب نشاطه النضالي في صفوف جبهة التحرير الوطني اعتقلته الشرطة الفرنسية التي تعدت عليه وصادرت العديد من كتبه ووثائقه التي كانت بحوزته وقامت بحرقها⁽⁴⁾ و سجنته في 11 فيفري

(1) سمير بن سعدي ، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة ، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد : 09/ سبتمبر، 2018 ، ص 167.

(2) عبد المجيد بن داود، " الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته "، جريدة صوت الأحرار، العدد، 5817، الإثنين 06 مارس 2017م، ص 18.

(3) المكان نفسه.

(4) مثل: دمعة الجزائر التي يحتوي على أشعار وطنية أنشدتها ما بين سنتي 1952 و 1959 م كما تحتوي على روايات وتمثيلات قد مثل جلها أيام كان مدرسا بالجزائر وأيضاً كتابه: الإلهامات الربانية إلى معنى الأجرومية، وهو شرح للمقدمة ابن أجروم .

1959م في سجن "لاليفات" الذي مكث فيه أربعة أشهر.⁽¹⁾

أطلق سراحه في 23 سبتمبر 1963م بعد أن قضى ثمانية عشر شهرا بمستشفى ذلك السجن إثر التعذيب الذي تعرض له.⁽²⁾

بعد ذلك وتحديدا يوم 15-10-1963م رجع إلى الجزائر وقصد بلدته زمورة، حيث انخرط مباشرة في سلك التعليم الرسمي، ومن حينها عاد إلى ميادين التحصيل والتكوين، فحاز سنة 1965م على شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي وبمقتضاها ارتقى إلى رتبة أستاذ مجاز مرسوم في التعليم الثانوي، على إثرها درس في مدرسة أميرا ببلكور، وفي مدرسة أشبال الثورة بالقليعة مدة أربعة أيام، وفي ثانوية النخيل بوهران مدة عامين 1965-1966م وفي مدرسة خروبة للبنات سنة 1976م. وغيرها.⁽³⁾

في سنة 1967م أسند له منصب في مصلحة الوثائق الوطنية بدار الولاية، وفي شهر أكتوبر من سنة 1968م توجه إلى تركيا من أجل تحضير دبلوم في علم الوثائق وفن المكتبات، حيث طاف على مكتبات اسطنبول وقد قدم لمحة موجزة عن المكتبات المتواجدة هناك،

(1) بعد اندلاع الثورة التحريرية وشروع فرنسا في عملية تصفية النخب المثقفة المتعاطفة مع الثورة بالجزائر قرر محمد بن عبد الكريم الهجرة إلى فرنسا سنة 1956، واستقر به المقام بمدينة ليون قبل أن ينتقل للعاصمة باريس، وقد تم الاتصال به من قبل فيدرالية جبهة التحرير الوطني بالمهجر، إذ سخر محمد بن عبد الكريم قلمه للثورة التحريرية في شكل قصائد شعرية ومقالات، وهو ما جعل المخابرات الفرنسية تضعه تحت الرقابة، وبتاريخ 11 فيفري 1959م تعرضت شقته في الفندق لاقتحام من قبل الشرطة الفرنسية، وتم اقتياده لغرفة التحقيق، كما صودرت جميع كتبه ووثائقه المخطوطة وتم حرقها، وتم الزج به في السجن تعرض خلالها للتعذيب لمدة أربع أشهر، وبعد تدهور حالته الصحية تم نقله لمستشفى السجن الذي مكث به ما يقارب سنة ونصف، هذه الحالة المزمنة جعلته يرأسل وزير الداخلية الفرنسية ويشرح له وضعيته المأساوية داخل السجن، وبعد هذه المراسلات أمر وزير الداخلية بإطلاق سراحه.

(2) سمير بن سعدي، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد: 09/ سبتمبر، ص، 2018، ص 168.

(3) عبد المجيد بن داود، "الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته"، جريدة صوت الأحرار، العدد، 5817، الإثنين 06 مارس 2017م، ص 18.

وعدها، وأهم المكتبات التي زارها.⁽¹⁾

استطاع في هذه المدة القصيرة أن يدرس اللغة التركية ويتقنها، يذكر الأستاذ بن داود عنه أنه سافر إلى تركيا عدة مرات لرصد وإحصاء التراث الجزائري المدون وأتاح له ذلك فرصة تعلم اللغة التركية في ظرف قياسي واتقانها، كما [قال أنه] لا يدري متى وكيف تعلم اللغة الإنجليزية رسماً ونطقاً، وأفاد من آدابها وفكرها، فضلاً عن اللغة الفرنسية التي ملك ناصيتها أكثر عندما انخرط بجامعة "السربون" قصد تعلم الآداب والفلسفة الفرنسية حتى أصبح يكتب بها ويترجم منها وإليها.⁽²⁾

نذكر أيضاً أنه تحصل على شهادة الدراسات العليا في التاريخ الحديث التي كان موضوع رسالتها تحقيق مخطوط "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" أشرف عليه فيها الدكتور مولاي بلحميسي، ويظهر من خلال توطئته أنه انتهى من تحريرها يوم 11 شعبان 1389هـ.

بعدما عاد من تركيا سنة 1969م، عين في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية، لكنه عزل منه في شهر مارس 1970م، فباشر على إثرها تحضيره لشهادة الدكتوراه التي تمحورت حول المقري "وكتابه نفح الطيب". ورغم مناقشته لها إلا أنه لم تمكنه الظروف من الالتحاق بالجامعة، وظل مرتبطاً بالتعليم الثانوي، حتى منع منه بطريقة تعسفية سنة 1977م.

على إثر ذلك سافر إلى المغرب ثم إلى ليبيا حيث أوفدته الجمعية الدعوية الليبية بمنصب داعية إلى فرنسا، فاستمر بها نشاطه 30 سنة زار خلالها العديد من مدن العالم.⁽³⁾

ثانياً: شيوخه: تتلمذ الشيخ رحمه الله على الكثير من العلماء في مختلف المراحل في مشواره العلم، فمنهم من حفظ على أيديهم القرآن، ومنهم من ساعده على النبوغ في مختلف

(1) عبد الحليم بوبكر، "صفحات من حياة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري 1924-2012م"، جريدة البصائر، ع 853، الجزائر، أفريل 2017م، ص 15.

(2) انظر: عبد الحميد . ع ، وآخرون ، بلخوجة صاحب سبعة وستين ، مؤلفا www.echorokonlin.cok ، ص 7 ، وعبد المجيد بن داود "أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته ، صوت الأحرار ، ع 5816 ، الجزائر ، الأحد 5 مارس 2017 ، ص 18 .

(3) انظر: عبد الحليم بوبكر، "صفحات من حياة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري 1924-2012م"، جريدة البصائر، ع 853، الجزائر، أفريل 2017م، ص 15..

العلوم، وآخرون استفاد منهم في تحصيله الأكاديمي في مناقشة رسالتي الماجستير والدكتوراه، يمكننا ذكرهم كما يلي:

1- في تحفيظ القرآن:

- الشيخ العربي كشاط: وهو من أوائل من حفظ الشيخ ابن عبد الكريم على يديه ما تيسر من القرآن الكريم بمسجد ابن فرح.

- الشيخ محمد بن العربي كشاط: وهو ابن شيخه الأول في التحفيظ، وقد تمكّن الشيخ من حفظ أكثر من ثلث كتاب الله عز وجل على يديه، بعد عودته إلى الكتاب.⁽¹⁾

2- شيوخه في العلوم المختلفة الذين أخذ عنهم بمسقط رأسه.

- الشيخ العلامة عمر بن أبي حفص الزموري: أخذ عنه النحو والصرف، والفقه، والأصول، والقراءات.

- الشيخ علي بوبكر: درس عليه متن الجوهرة في التوحيد، ومتن الأجرومية في النحو وغيرهما.

- الشيخ عبد المالك الأخضر، والشيخ عبد القادر بن داود، حيث تلقى عن الأول منهما علوم الفلك، ودرس على الثاني علوم البلاغة والسير والتفسير.⁽²⁾

3- شيوخه الذين أخذ عنهم بتونس.

درس بالمدرسة الصادقية على الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وابنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، وكذا الشيخ محمد العابد، والشيخ قريسة.⁽³⁾

(1) عبد المجيد بن داود "أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته، صوت الأحرار، ع 5816، الجزائر، الأحد 5 مارس 2017، ص 18.

(2) عبد المجيد بن داود "أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته، صوت الأحرار، ع 5816، الجزائر، الأحد 5 مارس 2017، ص 18.

(3) عبد الحليم بوبكر: "صفحات من حياة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، جريدة البصائر، ع 853، ص 15..

4- شيوخه بالجامعة الجزائرية.

– الدكتور مولاي بلحميسي : أشرف على رسالته التي كان موضوعها تحقيق "مخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية"، تحصل من خلال تحقيقها على شهادة الدراسات العليا في التاريخ الحديث.

– الدكتور "محمد إحسان النص" الذي أشرف على رسالته للدكتوراه الموسومة "ب" المقري وكتابه نفح الطيب.⁽¹⁾

ثالثا: تلاميذته.

مع أنه زاول مهنة التعليم عدة سنوات، إلا أن ترجمته في مختلف المصادر لم تذكر في سيرته العلمية أنه خلف تلاميذ عرفوا بأعيانهم، وكل من كتب عن سيرته ذكر أنه ابتداء التعليم بمسقط رأسه في نهايات النصف الأول من القرن الماضي، متخذاً من أحد المساجد؛ وهو "ضريح ابن أريقط" مدرسة لتعليم طلبة الأطوار الأولى مبادئ علوم اللغة العربية، وقد خاضها كأول تجربة له في التدريس اشتغل فيها مدة من الزمن. بالإضافة إلى التحاقه بالعديد من المدارس النظامية بعد الاستقلال فقد ووضعه نفسه في خدمة مصالح وزارة التربية الوطنية والتعليم... وكان يقوم بثلاثة أدوار أساسية في عمله اليومي، دور المعلم لأن التلاميذ أميون، و دور المربي لأنهم منحرفون، ودور المؤلف لعدم وجود كتاب يستعين به في أداء مهمته في التدريس، كما أنه عيّن في عدة مدارس قطع فيها ما يزيد عن العشرين عاما من عمل.

ورغم كل هذه الجهود التي بذلها، لا إنه لم يطلعنا من عايشه عن قرب بأسماء من ورثهم علمه كسائر أضرابه ممن يذكر عنهم ذلك، وحاله أشبه ما تكون بالعديد من شيوخ جمعية

(1) وهو من مواليد دمشق سنة 1921م تمت إعارته إلى جامعة الجزائر 1967م، للإسهام في تعريب الجامعة الجزائرية، درس الآداب ست سنوات، وعاد بعدها إلى دمشق سنة 1973م يقول الأستاذ بن داود: جرت المناقشة بكل نجاح، ودعي لها أكابر العلماء كعبد الله شريط، وعبد الواحد وافي، والأهواني، والنص وغيرهم، فكان يوم المناقشة يوما تاريخيا بالجامعة ... دامت المواجهة بين الدكاترة الأفذاذ الممتحنين والشيخ محمد بن عبد الكريم خمس ساعات متتالية. انظر: عبد المجيد بن داود "أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته، صوت الأحرار، ع، 5816، الجزائر، الأحد 5 مارس 2017، ص18.

العلماء الذين قيل عن بعضهم: أنه شُغل عن تأليف الكتب بتأليف الرجال، وهكذا المؤلف رحمه الله؛ فإنه وإن لم يخلف تلاميذ يرثون علمه، فإنه ورث كما هائلا من المؤلفات، ودرس على يديه أجيال من تلاميذ المدارس النظامية التي عمل فيها، بالإضافة إلى من تأثر بما أودع في كتبه من أفكار، وتبنّاه من مناهج في تفاعله مع القضايا العلمية والاجتماعية المختلفة.⁽¹⁾

ثالثا: الثناء عليه.⁽²⁾

أثنى عليه معاصروه وأقرانه ؛ من ذلك:

قال عنه أبو القاسم سعد الله: " والدكتور عبد الكريم ليس غريبا عن التحقيق ولا عن الثقافة الوطنية فهو بثقافته الواسعة وتجاربه في ميدان تحقيق المخطوطات خير مؤهل لنشر هذه الآثار العلمية".⁽³⁾

وقال عنه سعدي بزيان: "كل ما أوردته من حديث ومواقف للدكتور محمد بن عبد الكريم، فهو وجه منير ومثقف في الثقافة الجزائرية، وقد ظل وفيًا للجزائر، وجل ما حققه في التراث فهو عن التراث الجزائري، وفي مقدمتها المرأة".⁽⁴⁾

قال الشيخ محمد الهادي الحسني: هم ثلاثة أشخاص لهم في نفسي مكانة سامية، وفي عقلي منزلة عالية، وفي قلبي قيمة غالية، وهم يتسمون باسم واحد هو "محمد بن عبد الكريم"، أول الثلاثة هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ت1505م، وهو من منطقة توات، وقد وُصف بأنه جسر، شجاع القلب، أمارًا بالمعروف، نهّاء عن المنكر، وزاده شهرة تصديّه لمنكرات اليهود.. وقد اعترف له جهابذة علماء عصره بالفضل والتّبل، ومنهم الإمام السيوطي الذي أقرّ بنبله واعترف بفضله فقال عنه بأنه: "حبر أقرّ بنبله" و"لديّ ثناء واعتراف

(1) المكان نفسه،

(2) سمير بن سعدي، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بأقلام العلماء والأساتذة والباحثين، جامعة جيجل، العدد 4، جوان 2021، 157-159.

(3) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ت: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية لنشر الكتاب، دن، ص4.

(4) سعدي بوزيان، وقفة مع لمثقف الجزائري الراحل د. محمد بن عبد الكريم الجزائري 1912/2024 بمناسبة صدور أعماله الكاملة عن «دار الوعي» بالجزائر، <https://elbassair.dz/14047/>، 2025/10/27.

بفضله". عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر.. 3 / 75.

وثاني الثلاثة هو المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي ت 1963 الذي جاهد في الله حق جهاده، وقد أرقى برجولته دولتين كبيرتين هما إسبانيا وفرنسا، وأذاقهما من أمرهما عسرا، وأراهما من البطولة آيات لن ينسيها أحقابا.

وأما ثالث الثلاثة فهو الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري الذي توفاه الله- عز وجل- منذ سنتين، في 9 نوفمبر من سنة 2012 عن ثمانية وثمانين عاما، والزموري نسبة إلى بلدة برج زمورة بولاية برج بوعرييج.

عرفت اسم الدكتور محمد بن عبد الكريم في منتصف الستينيات، حيث اشترت بعض الكتب التي حققها ك"شاح الكتائب.. "لابن رويلة، و"إتحاف المنصفين والأدباء.. " لحمدان خوجة، و"رحلة الباي محمد الكبير.. "لابن هطال. وحضرت مناقشة رسالته للدكتوراه "المقري وكتابه نفح الطيب".

ولكن صلتني به ومعرفتي المباشرة له بدأت في منتصف السبعينيات عندما عملت رئيسا لقسم النشر العربي بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع SNED حيث كان يتردد عليّ لمتابعة نشر بعض كتبه.

لقد لقي محمد بن عبد الكريم تعباً كبيراً ونصبا شديداً في الجزائر، بعضه آت من شخصيته العصبية، وبعضه آت ممن يتلذذون بإرهاق غيرهم. وقد عمل في التعليم، ثم في المكتبة الوطنية.. ثم انتهى به الأمر إلى الاتصال بـ"جمعية الدعوة الإسلامية" الليبية التي تعاقدت معه للعمل في باريس.

لقد ترك محمد بن عبد الكريم ثروة هامة من الكتب والرسائل متفاوتة الأهمية والقيمة، منها المؤلف ومنها المحقق، ومنها المترجم، منها الكبير ومنها الصغير، ومنها العوان بين ذلك. وقد أثارت بعض كتبه ردودا كثيرة، مدحا وقدحا، ومنها كتابه "القذافي والمتقولون عليه"، و"فضائح تكشفها فخاخ الديمقراطية في الجزائر"، و"مزاعم الدكتور البوطي في تبرئة طغام الحكام وتأثيم دعاة الإسلام"، "تبديل الجنسية ردة وخيانة"، ومما قاله شعرا في هذا الموضوع:

لو سيم كلب في تبدل جنسه..... لبدا عليه لدى النّباح تعجب

من قال في التجنيس: ليس محرّماً..... هذا- لعمري- الجهل فيه مركب
لقد كتب الله- عز وجل- أن يختم محمد بن عبد الكريم حياته بكتابة تفسير للقرآن
الكريم في 8 أجزاء "من توجهات القرآن العظيم".
ومما حفظته عنه قوله- رحمه الله:

"لقد ندمت على ثلاثة أمور: على القراءة، وعلى الزواج، وعلى العودة إلى الجزائر".
ولما نستفسره عن سبب ندامته، يجيب: لو لم أقرأ لما حملت همّ شعبي وأمتي. وإن الزواج
مسئولية تجلب الدّلة.
وأما الندم على العودة إلى الجزائر، فلأن تحقيق أي أمر في الجزائر يستلزم ثلاثة شروط
هي:

جاه فرعون، ومال قارون، وعصا موسى، وصبر أيوب، وعمر نوح".
ولعله اقتبس بعض هذا من ثلاثة أبيات منسوبة إلى أبي تمام هي:
يحتاج من يرتجي نوالكم *** إلى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون، أن تكون له *** وعمر نوح، وصبر أيوب
رحم الله أستاذنا الدكتور محمد بن عبد الكريم، ونفعه بـ "52 كتاباً ورسالة" التي خلفها⁽¹⁾
رابعا: وفاته.

عاد في سنين وأيام عمره الأخيرة إلى الجزائر واستقر بمدينة سطيف، ورغم كبره في السن
ومرضه وضعف بصره في الآونة الأخيرة إلا أنه كان يسهر إلى ساعات متأخرة من الليل مواظبا
على البحث والتأليف إلى أن أقعده المرض. وفي يوم الجمعة الموافق لـ 9 من نوفمبر سنة 2012
م انتقل إلى الرفيق الأعلى عن عمر يناهز الثامنة والثمانين سنة، رحم الله الشيخ محمد عبد
الكريم الجزائري وأسكنه فسيح جناته .

(1) انظر : 773، <https://shamela-dz.net/?p=773>، بتاريخ: 15/10/2025

الفرع الثاني: آثاره العلمية.⁽¹⁾

كللت جهود محمد بن عبد الكريم بتحقيق ثروة علمية زاخرة ، حيث بلغ مجموع ما ألفه وحققه أو ترجمه أكثر من ستين كتابا ، يقول الأستاذ بن داود مبينا شغفه العلمي: « ملأ حياتنا الأدبية والفكرية بإنتاجه الخصب والمتنوع مما لا نظير له ولا شبيه في تاريخ الجزائر الحديث إذا استثنينا ناسك القبة "الشيخ الصديق" نساء الله في أجله، وذلك في مختلف المجالات كالأدب والتاريخ والدين والتراث والتحقيقات والترجمة حتى أن كتبه المطبوعة قد شارفت على الستين كتابا ، فضلا عن المقالات والمساهمات في المؤتمرات والجمعيات الدعوية والرابطات ... ووصفه بقوله : يكاد يكون فريدا من نوعه في الجزائر خلال هذا القرن⁽²⁾ .

وجملة القول فإن أعماله المطبوعة المتنوعة موزعة بين التأليف والتحقيق والترجمة، بالإضافة إلى الأدب والتاريخ والترجمة، والأحداث السياسية، عالج فيها العديد من القضايا المصيرية التي كانت محل نقاش، ودافع من خلالها عن اللغة العربية واعتبرها روح الأصالة التي لا يمكن فهم الإسلام بدونها.

وهي مؤلفات⁽³⁾ عديدة شملت مجالات المعرفة المختلفة، فمنها ما تناول فيه ما له علاقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ومنها ما عالج فيه واقع الأمة وهويتها اللغوية، والقسم الثالث أغلبه تحقيقات لكتب مختلفة ذات الصلة بالتاريخ وغيره، وقسم آخر عبارة عن ترجمة للعديد من الكتب وتعريبها ويمكن تقسيمها بهذا الاعتبار إلى ثلاث مجموعات، موزعة وفق ما يلي:

(1) محمد بن عبد الكريم، كشف الستار، معهد الهوقار، جنيف 2001، م، ص 106-150.

(2) بن داود، أضواء على مسيرة الأديب المشاكس، جريدة صوت الأحرار، عدد: 5819، ص 18، وانظر: بن داود عبد المجيد، أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الحلقة الأخيرة، جريدة صوت الأحرار، عدد: 5820، الخميس 9 من مارس، 2017، ص 18

(3) بلغت مؤلفات الشيخ سبعة وستين مؤلفا، كما صرح بذلك في لقائه مع طاقم إذاعة البيان المحلية ببرج بوعريج وفاته بقليل. ينظر مقال بن داود، أضواء على مسيرة الأديب المشاكس جريدة صوت الأحرار، عدد 5816، ص 18.

1- مؤلفات في العلوم الشرعية: وهي أغلب مؤلفاته، من أهمها:

– كتاب عباد الرحمن في سورة الفرقان"، وكتاب "الربا" في ميزان الإسلام"، و "الطهارة في ميزان الإسلام"، و"الصلاة في ميزان الإسلام"، و "الشورى في الإسلام"، و "الجهاد في الإسلام"، وهذه الكتب كما هو واضح من عناوينها تناول فيها ما ورد في القرآن الكريم من مواضيع تهذب الفرد، وتصلح المجتمع مما له علاقة بصلاح دنياهم وأخراهم،

– ومما له صلة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كتاب استخراج العبر والأحكام من حياة محمد عليه الصلاة والسلام"،

وكتاب الإسراء والمعراج.

"قبس من مولد محمد بن عبد الله وعيسى بن مريم عليهما السلام درس فيها سيرة النبي صلى الله عليه من جوانبه المتعددة داعيا إلى العمل على تدبرها، وأخذ العبر منها لمواجهة ما يعرض للفرد والأمة من تحديات في المجالات الحياتية المختلفة، والملاحظ أنه قرن بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والنبي عيسى عليه السلام، وله في ذلك مقاصد وغايات يريد تحقيقها لكون النبيين لا نبي بينهما، وللاتصال والامتزاج الحاصل بين الأمة المحمدية، ومن يزعم اتباعه لعيسى عليه السلام من أتباعه.

2- مؤلفات حول واقع الأمة وهويتها. كشف فيها عن ما تعرضت وتعرض له ثوابت الأمة من مسخ وتشويه، خاصة لغتها، من ذلك:

كتابه "لغة كل أمة روح ثقافتها".

ديوانه الذي بث فيه ما يحمله من هم تجاه الأمة، وكشف فيه عن مكنون فؤاده وقد سماه "كشف الستار".

كتابه "الثقافة ومآسي رجالها" تناول فيه المجال الثقافي بالبحث والتشريح مبرزا ما يعانيه المثقف المدافع عن الثوابت في الجزائر.

كتابه "فضائح تكشفها فخاخ الديمقراطية"، لم يغفل فيه عن تناول ما زجت فيه الأمة من نظم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبلها العذاب، حيث أبان عن ذلك في غيرها من

الكتب التي عالج فيها واقع الأمة من هذه الناحية.

سلسلة في ميزان الإسلام.

الحكم الشرعي لزواج المسلم من غير المسلمة وزواج المسلمة من غير المسلم

تبديل الجنسية ردة وخيانة.

مساجد الضرار من جديد.

3 مؤلفات وتحقيقات ذات صلة بتاريخ الأمة⁽¹⁾.

هذه المؤلفات أكثرها من جملة ما حققه أو عرّبه، وخدمه ، ووضع له مقدمات نفيسة

بيّن فيها أسباب تخلف الأمة، وتسلسل الأعداء وتكاليفهم عليها ، وهي كثيرة نذكر منها:

"التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" لابن ميمون الزواوي النجار، وهو في الأصل رسالته لنيل دبلوم الدّراسات المعمّقة بجامعة الجزائر في التاريخ الحديث، نال عنها درجة جيد، نوقشت سنة 1969 م بمعية مشرفه مولاي بلحميسي، طبع الكتاب لأوّل مرّة سنة 1981 م.

كتاب "الغنية" شيخوخ القاضي عياض الذي حققه سنة 1978 م ونشر بتونس عن الدار العربية للكتاب

يتكون من 383 صفحة، وأعيد تحقيقه مرّة أخرى من طرف ف ماهر زهير جرار سنة 1982 م عن دار الغرب الإسلامي ببغروت.

كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لأبي عبد الله بن الأزرق، الذي طبع ككتاب بالدار العربية للكتاب

عن المملكة العربية السعودية حيث تكوّن من جزئين.

- "رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد"؛ وهي رسالة صغيرة الحجم حقّقها محمّد بن عبد الكريم ممّا كان عضوا في هيئة التدريس بالجزائر.

- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهراّن كبني عامر" لصاحبه

(1) أمحمد طاهري، محمد بن عبد الكريم الزموري ومنهجه في تحقيق التراث الجزائري بين التقليد والتجديد، المجلة

التاريخية الجزائرية، المجلد، 07: العدد 01: 2023، ص 465.

عبد القادر المشرفي، وهو كتاب صغير لا تتعدى صفحاته 61 صفحة.

- "فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربّي ونعمته" لصاحبه محمّد أبوراس الناصري الجزائري، الذي دفعه شغفه العلمي إلى محاولة انصاف شيوخه ومعلّميه على درب سابقيه من فطاحل العلماء، فجعل لهمه ولنفسه كتابا يشرح فيه حياته الشخصية والعلمية، وجميع رحلاته وأعماله الفقهية والأدبية فكان على شكل المذكرات الشخصية يتكون من خمسة أبواب، انتهى من تحقيقه يوم 25 نوفمبر 1977م. وتم نشره سنة 1986م عن المؤسسة الوطنية للنشر حيث تم تصديره من طرف الأستاذ أبو القاسم سعد الله يوم 29 ماي 1982م.

- "رحلة محمّد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" لأحمد بن هطال التلمساني، والكتاب عبارة عن رحلة داخلية رسمية إلى الجنوب الصحراوي الجزائري. تم تحقيق الكتاب يوم 03 أفريل 1967م ونشر سنة 1969م بالقاهرة كطبعة أولى حيث قام الأستاذ أبو القاسم سعد الله بالتقديم له يوم 06 جوان 1969م، حجمه صغير لا يتعدى 55 صفحة بما فيها قسم الدراسة على أن النص المحقق يتكون من 68 صفحة.

- "أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر" لصاحبه مسلم بن عبد القادر الوهراني، نشر سنة 1974م عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- "السعي المحمود في نظام الجنود" لابن العنابي، الذي نشر سنة 1983م عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر

- "مجاغات قسنطينة" لصاحبه صالح العنتري، الذي حقّقه سنة 1974م ونشر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب" لصاحبه قدور بن أرويلة ويلييه ديوان العسكر المحمدي الملياني، الذي طبعه سنة 1968م عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع يتكون من 196 صفحة، ويعالج النظام العسكري الذي وضعه الأمير عبد القادر مع توضيح لشروط التجنيد ورتب ومعاشات الجند.

- "القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط" لصاحبه عبد الرحمان الشقراني الراشدي، وأعيد تحقيقه من طرف الأستاذ ناصر الدين سعيدوني سنة 1991م

كطبعة أولى وطبعة ثانية سنة 2013 م. والكتاب يتناول ثورة بوعمامة والأمير عبد القادر، وبعض الكوارث الطبيعية والفيضانات والمجاعات بالناحية الوهرانية، ناهيك عن وصف القبائل والمدن وكلّ بلاد المغرب العربي.

- "إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء" لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة، وهو كتاب في الطب والأوبئة حقّه محمد بن عبد الكريم سنة 1968 م، ونشر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع يتكون من 210 صفحة، به الكثير من الإشارات إلى الأدوية المستعملة ذات الطابع التقليدي، ناهيك عن إشارته لفكرة العزل الصحي التي نوّه بها الأوروبيون زمن الوباء.

إضافة إلى مؤلفات أخرى منها: حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة "ليس في الإمكان أبدع" لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة، وكتاب "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية" لصاحبه الحسين الورتيلاني، وثلاثة رسائل جزائرية في حكم الهجرة الونشيري، الأمير عبد القادر ومحمد بن الشاهد ورحلة أحمد باي قسنطينة، والاكتراث في حقوق الإناث محمد بن خوخة الجزائري

وترجم عدة كتب، منها:

ترجمة محاضرة القرآن والعلوم الحديثة للدكتور مورييس بوكاي.

ترجمة كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوخة الجزائري.

تعريبه لمذكرات حمدان بن عثمان خوخة الجزائري. لمحمد بن ميمون الجزائري وبالجملة فإن كتبه كثيرة، تعلقت بأهم المجالات التي طرقها الشيخ وترك بصماته فيها، وإظهار مدى اعتنائه بكل ما يعيد مجد الأمة العلمي، ويعلي مكانتها بين نظيرتها. وبالإضافة إلى ما ذكر فإن للشيخ كتباً أخرى مفقودة منها ما أحرقه الاستعمار، ذكر المؤلف منها:

"كتاب دمنعة الجزائر" الذي يحتوي قصائد شعرية ثورية، وروايات تمثيلية وقصص أدبية.

كتاب "الإلهامات الربانية إلى معاني الأجرومية"، قال عنه رحمه الله: وهو شرح لمقدمة

ابن أجروم في النحو... وقد تم حرق الكتابين بمركز "لافياليت" بعدما أُلقي علي القبض وتم استنطاق هناك، وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر "فيفري" شباط سنة 1952م وعند الله تجتمع الخصوم.⁽¹⁾

وإن المتأمل في عناوين هذه المؤلفات يلحظ تنوع المواضيع التي تناولها الشيخ بالتأليف والدراسة والتحقيق، وعمله الدؤوب على إخراج المخطوطات، وبثها في الأوساط العلمية وغيرها لإحياء ما اندرس من معالم هادية إلى نهضة تنوء بحمل أسبابها الجبال، ويتبين له السبب الذي أهله لخوض غمار التفسير الذي أحجم عنه الكثير.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "من توجيهات القرآن العظيم".

الفرع الأول: مكانة التفسير وقيمه العلمية.

المتأمل في النتاج التفسيري في الجزائر منذ عهدود يدرك أن المكتوب منه قليل، وأن أكثر ما دُوّن منه غير مكتمل، فغالب مادته إما اقتصر على تدريسها فقط أو أنها تناولت بعض السور دون بعض، وقد يكون من ذكر من المفسرين في عداد الذين لا تتوفر فيهم شروط ولوج عالم التفسير التي نص عليها العلماء.⁽²⁾

فكل هذه الدلائل وغيرها جعلت الدكتور عبد الغاني داود الذي عاصر الشيخ مدة ثلاث سنوات يقول إن: الجزائر لديها ما يقارب ثمانية عشر مفسرا، غالبيتهم بقيت تفاسيرهم مخطوطة، أما تفسير الشيخ ابن باديس، والشيخ بيوض، فلم يكونا كاملين... وكشف الدكتور عبد الغاني داود أن "بلخوجة" فسر القرآن الكريم كاملا في خمس سنوات. وثمانية أشهر، ولما ضعف بصره استعمل النظرات المكبرة، فقد أثر التفسير على نظره، مشبها إياه بابن حزم

(1) الجزائري، محمد بن عبد الكريم، ديوان كشف الستار، ص 21.

(2) ساق الدكتور عيساوي أسماء كثير ممن اشتهر أو اشتغل بالتفسير في العصور المختلفة التي مر بها المغرب الأوسط، وقلما تجد فيهم من ألف فيه تفسيرا كاملا، وفي ترجمته لبعضهم تبين أنه لم يؤلف أي تفسير، بل قد يكون ممن اشتغل به في زمن ما أو حضر بعض المجالس التفسيرية فينسب إليه تعاظم العمل التفسيري. ينظر عيساوي، جهود علماء الجزائر في علم التفسير، ص 101، وذكر المؤرخ سعد الله أبو القاسم في معرض تناوله للكثير من العلماء المشتغلين بالعلوم المختلفة: أما التفسير فقد ضعفت العناية به، فكان بعض العلماء يتناولونه في مجالسهم ودروسهم ولكن قلما ألفوا فيه. ينظر كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص 1121.

الأندلسي، فكلاهما طلب العلم وهما في سن كبيرة... لكنه ترك 67 مؤلفاً.⁽¹⁾

وهذا الاستنتاج يكشف أن التفسير ميدان صعب عسير وشأن عظيم، لا يتعاطاه إلا صاحب الزاد الوفير؛ من تمكن من تذليل عديد العلوم المعينة على التفسير، ولهذا من وفق لإكمال تفسير القرآن وكتابته؛ فقد حاز قصب السبق في هذا الميدان.

، وتفسير "توجهات القرآن العظيم" الذي بين أيدينا للدكتور محمد بن عبد الكريم- رحمه الله- من بين التفاسير الجزائرية القليلة التي كتب الله لها أن تصلنا كاملة، يقع في سبعة مجلدات كبيرة طبع عدة مرات في الخارج،⁽²⁾ وآخرها طبعة "بن حمادي" سنة 2013م.⁽³⁾

الفرع الثاني: غرض المؤلف من "توجهات القرآن العظيم"

أوضح المؤلف غرضه من هذا التفسير بقوله: إن الغرض من هذه المقدمة الوجيزة إلقاء نظرة خاطفة على قواعد عامة لها علاقة مباشرة بأي الذكر الحكيم، من حيث تركيب مبناه، وبيان معناه، وشرح محتواه، وتحديد مرماه، وذلك عن طريق النقل الأمين، والعقل الرزين، ولعل بهذا العمل المتواضع سيهدي إن شاء الله قارئه إلى سبيل الفهم، ويسلك دارسه منهاج الوعي المحفوف بسلطان التفكير فيه، والتدبر فيما قد جاء ظاهراً وباطناً، وهذا ما نرجوه ونتمناه، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [ابراهيم: 20].⁽⁴⁾

وما ذكره واضح لمن يطالع هذا التفسير حيث يلحظ كثرة الوعظ الباعث على التدبر، والعمل بما جاء في القرآن، ولذلك كان تركيزه على بيان ما تُوَجَّه إليه الآية من إرشاد، أو أمر ونهي، وفي كل ذلك يحرص ربطه بما ورد من أسباب النزول، مبيناً وجه الجمع بين المعنى

(1) عبد الغني داود وآخرون، بلخوجة" صاحب سبعة وستين مؤلفاً، مقال بالموقع الشروق اولاين بتاريخ 2017/06/10، نظر بتاريخ: 2025/10/15.

(2) آخر الطبوعات طبعت بالجزائر سنة 1434هـ 2013م، بمؤسسة المعالي للنشر والإعلام، وهي طبعة مجانية تحت إشراف مؤسسة عبد الكريم بن حمادي، وباقي الطبوعات المذكورة، اتم طبعها خارج البلاد.

(3) انظر: عبد المجيد بن داود وآخرون، مرجع سابق، "بلخوجة" صاحب 67 مؤلفاً.. أحرقت فرنسا كتبه واحتضنه القذافي، .

(4) محمد بن الكريم الجزائري، من توجهات القرآن العظيم، 8/1.

اللغوي والمعنى العام.

ومما تميز به هذا التفسير عن غيره افتتاحه بتلك المقدمة التي ضمنها الحديث عن علوم القرآن وما ينبغي تحصيله من قواعد وأصول التفسير.

الفرع الثالث: مصادر الشيخ ابن عبد الكريم في التفسير.

اعتمد المؤلف في تفسيره "توجيهات القرآن الكريم" على الكثير من المصادر التي استقى منها مادته العلمية وقواعده التفسيرية، من ذلك كتب التفسير، والسنة النبوية، وكتب اللغة وعلومها، وغيرها من العلوم المكملة لهذا الجانب. وفي ما يلي جرد لأهم هذه المصادر على النحو التالي:

1- مصادره في التفسير وعلوم القرآن. من ذلك:

- تفسير "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان" للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي ت 671 هـ.

- تفسير "القرآن العظيم" للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ت 700 هـ.

- تفسير "زاد المسير في علم التفسير" للعلامة جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ت 597 هـ.

- تفسير "أحكام القرآن" للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ت 643 هـ.

- تفسير "أحكام القرآن" للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ت 270 هـ. وقد اعتمد بشكل أقل على:

- تفسير "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" الذي اشتهر بالكشاف، لأبي القاسم جار الله الزمخشري ت 538 هـ.

- تفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للعلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت 685 هـ.

تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 314 هـ.

تفسير " الدر المنثور" للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت 911هـ
تفسير " القرآن الحكيم" الذي اشتهر بتفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا الحسيني
القلموني الطرابلسي ت 1354هـ

تفسير " لباب التأويل في معاني التنزيل" للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم
المعروف بالخازن ت 741هـ.

تفسير " روح البيان" للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ت 1127هـ
تفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للعلامة محمود شهاب
الدين أبي الثناء الحسيني الألوسي ت: 1270هـ

تفسير "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد" للشيخ محمد عمر نووي الجاوي البنتي
إقليما، التناري بلدا ت 1316هـ.

تفسير "التحرير" والتنوير" للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ت 1973م.
تفسير "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ت
1393هـ.

ولقد كانت استفادته على من هذه التفاسير تارة بالنقل الحرفي وأحيانا بالتصرف في
العبارة، وتنوع هذه المصادر وكثرتها دليل واضح على أهمية هذا التفسير وقيمه العلمية.

2 : مصادره في علوم القرآن.

اعتمد على الكثير من مدونات علوم القرآن غير أنه اعتمد بشكل أوسع على أسباب
النزول للسيوطي والنيسابوري، ومن تلك المصادر :

- "حجة القراءات" للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة ت 403هـ.
- "الناسخ والمنسوخ في القرآن"، لأبي عبيد القاسم هبة الله بن سلامة البغدادي ت 410هـ.
- "أسباب النزول"، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ت 468هـ.
- "البرهان في مشكلات القرآن"، لأبي المعالي عزيزي بن عبد المالك شيدلة ت 494هـ.
- "البرهان في علوم القرآن"، لبدر الدين الزركشي ت 794هـ.

- "النشر في القراءات العشر"، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ت833هـ.
- "الإتقان في علوم القرآن"، لجلال الدين السيوطي ت911هـ.
- "طبقات المفسرين"، لمحمد بن علي بن أحمد الداوودي ت945هـ.
- "غيث النفع في القراءات العشر" للشيخ لأبي الحسن النوري الصفاقصي ت1118هـ.
- "مناهل العرفان في علوم القرآن" للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ت1367هـ.
- "النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم" للشيخ محمد عبد الله دراز ت1377هـ.
- "علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه" للشيخ عدنان محمد زرزور.
- ت"رجمة كامل القرآن" لحמיד الله محمد الحيدر آبادي ت2002م.
- 3- مصادره في الحديث والفقه وأصوله.

أولا: مصادره في الحديث.

- "مسند الإمام أحمد" لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت241هـ.
- "الجامع الصحيح" للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت256هـ.
- "صحيح مسلم" للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ت261هـ.
- "سنن ابن ماجه" لأبي عبد الله محمد بن ماجه القزويني ت273هـ.
- "سنن أبي داود" لأبي داود السجستاني ت275هـ.
- "سنن الترمذي" لأبي عيسى محمد بن سورة ت279هـ.
- "صحيح ابن حبان" للحافظ محمد بن حبان بن أحمد الدارمي البستي ت354هـ.
- "معجم الطبراني" للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت360هـ.
- "المستدرک على الصحيحين" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت

405هـ.

- "صحيح مسلم بشرح النووي" الإمام يحيى بن شرف النووي محي الدين ت676هـ.
- "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني

ت859هـ.

- "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت 923هـ.

- "فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير" للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري ت: 1031هـ.
ثانيا : مصادره في الفقه وأصوله.

"المدونة الكبرى" للإمام مالك ابن أنس ت 189هـ.
"الكافي في فقه أهل المدينة" للعلامة يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري المالكي 368هـ.

"المحلى بالآثار" للعلامة علي أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت 456هـ.
"شرح كتاب السير الكبير" للفقهاء محمد بن أحمد تدمر السرخسي ت 490هـ.
"المقدمات الممهدات" للعلامة محمد بن أحمد بن رشد الجد ت 520هـ.
"مجموع الفتاوى" للعلامة أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية ت 728هـ.
"سبل السلام شرح بلوغ المرام" للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني ت 1182هـ.
"حاشية الدسوقي على شرح أحمد الدردير لمختصر خليل محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي 1230هـ.

"الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير" للعلامة شرف الدين الحسين بن أحمد الصنعاني ت: 1221هـ.
"فتح العلي الملك في الفتوى على مذهب الإمام مالك" للفقهاء محمد بن أحمد بن محمد عُليش ت 1299هـ.

ثالثا: مصادره في العقيدة والسيرة والتاريخ.

مصادره في العقيدة.

- "لإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير ت 683هـ.

- "بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول" للعلامة أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحراني ت 728هـ.

- "الإسلام عقيدة وشريعة" للشيخ محمود شلتوت ت 1893هـ.

- "الدين الإسلامي عقيدة وشريعة" للشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري ت 2012م.

2- مصادره في السيرة والتاريخ.

"المغازي" للحافظ النسابة محمد بن إسحاق بن يسار المدني 151 هـ.

"السيرة النبوية" لعبد المالك ابن هشام بن أيوب الحميري المعافري ت 213 هـ.

"تاريخ الأمم والملوك" للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310 هـ.

"دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة" للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين

البهقي ت 458 هـ.

"سراج الملوك والخلفاء ومنهاج الولاة والأمراء وتدير الملك والدول" للعلامة أبي بكر

محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ت 520 هـ.

"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم" للقاضي أبي الفضل عياض بن

موسى بن عياض بن عمرو بن موسى السبتي ت 544 هـ.

"الروض الأنف في شرح السيرة النبوية" للعلامة أبي القاسم السهيلي ت 1185 م.

"أسد الغابة في معرفة الصحابة" للإمام العلامة عز الدين علي بن محمد بن محمد بن

الأثير الجزري ت: 630 هـ - 1233 م.

"الكامل في التاريخ" للعلامة المؤرخ عز الدين بن الأثير ت 630 هـ.

"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" للقاضي أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد

بن خلكان ت 681 هـ.

"زاد المعاد في هدي خير العباد" للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزي ت 691 هـ.

"مقدمة ابن خلدون" للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808 هـ.

"الخصائص الكبرى" للإمام جلال الدين السيوطي ت 911 هـ.

- "السعي المحمود في نظام الجنود" للإمام محمد بن محمود بن محمد بن العنابي ت

1267/1851 م.

- "قصص الأنبياء" للأستاذ عبد الوهاب بن أحمد النجار ت: 1278 هـ 1941 م.

- "فجر الإسلام" للأستاذ أحمد أمين إبراهيم الطباخ ت1373هـ 1954م.
- "مجموع وثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة" للشيخ محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي ت1424هـ.
- مصادره في اللغة والنحو والمعاني.
- تفصيل ما ورد في تفسيره منها ما يلي:
- "مجاز القرآن" لأبي عبيد معمر بن المثنى البصري ت209هـ.
- "البيان والتبيين" لأبي عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصري الجاحظ ت255هـ.
- "المفردات في غريب القرآن" للعلامة الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصبهاني ت502هـ.
- "مختار الصحاح" للعلامة محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت660هـ.
- "تهذيب الأسماء واللغات" لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ت676هـ.
- "القاموس المحيط" للعلامة محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت817هـ.
- "معجم القرآن" لأبي رزق عبد الرؤوف المصري ت1960م.
- هذه أهم المصادر التي استقى منها الشيخ محمد بن عبد الكريم مادة تفسيره، وقد تميزت بكثرتها، وتنوع مجالاتها العلمية، وحقولها المعرفية، وهو ما عزز قيمة تفسيره من حيث أصالة مادته العلمية، وأهمية التوجيهات التي توصل إليها.

المطلب الثالث: منهج الشيخ محمد بن عبد الكريم في تفسيره.

جاء تفسير الدكتور محمد عبد الكريم الموسوم بـ "توجيهات القرآن العظيم"، في سبع مجلدات، أفرد الأول منها لمباحث علوم القرآن، فيما خصص الستة الآخرين لتفسير السور حسب ترتيبها المصحفي.

ذكر رحمه الله منهجه في مقدمته المطوّلة التي صدر بها تفسيره أن الغرض من هذه المقدمة الوجيزة إلقاء نظرة خاطفة على قواعد عامة لها علاقة مباشرة بأي الذكر الحكيم، من حيث تركيب مبناه، وبيان معناه، وشرح محتواه، وتحديد مرماه، وذلك عن طريق النقل

الأمين، والعقل الرزين.⁽¹⁾

وعلى الرغم من أن هذه المقدمة تظهر كتأليف مستقل في علوم القرآن والتفسير؛ إلا أنه لم يصرح بالخطوات المنهجية التي سيسلكها في عمله التفسيري، ولم يذكرها بشكل مباشر على الرغم من طولها، واستيعابها لمعظم مسائل علوم القرآن، ومباحث التفسير التي يذكرها العلماء عادة في مصنفاتهم في علوم القرآن، وأصول التفسير، ولذلك سنحاول من خلال مدارس هذا الكتاب تلمس معالم منهجه التفسيري ومنهجيته في هذا الكتاب، وذلك كما يلي:

تبدو منهجيته في تفسيره ومعالم منهجه وفق الملاحظات التالية:

1 - تصديره تفسير السورة بمقدمة يعرض فيها تعريفا مختصرا للسورة يذكر فيه اسمها ومكية أو مدنية وعدد آياتها، وقد يذكر ما استثناه بعض العلماء من الآيات كقوله: سورة البقرة مدنية إلا آية 281 فإنها نزلت في حجة الوداع. وهي مائتان وست وثمانون آية".

وفي سورة يونس قال: هي: مكية على المشهور، واستثنى بعض العلماء منها قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس 40]، [فإنها مدنية لأنها نزلت في اليهود⁽²⁾]. وهذا هو الغالب في جل التفسير.

2- اهتمامه بعد الآيات وكلماتها وحروفها: كما هو واضح في قوله عن سورة يونس: وآياتها مائة وتسع آيات وكلماتها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة، وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا.⁽³⁾

وعلى هذا النحو كان صنيعة في افتتاحه لكل سورة من سور القرآن الكريم، غير أنه لا يشير إلى المصادر التي يستقي منها تلك المعلومات، وربما ذلك لكونها مما اشتهر لدى علماء القراءات، وذكره غالب من سبقه من المفسرين، ومما قد تمت دراسته، وإفراده بالتأليف.

تقسيمه السورة إلى مقاطع: تشتمل كل منها على مجموعة من الآيات تكون محل

(1) محمد بن عبد الكريم، توجيهاً القرآن العظيم، ج 1، ص 8.

(2) محمد بن عبد الكريم، توجيهاً القرآن العظيم، ج 5، ص 2.

(3) المكان نفسه.

التفسير، مراعيًا في ذلك السياق العام للمعنى، ولا يتخذ من الآية الواحدة في معظم أحواله، أو جزء منها مقطعًا تفسيريًا مستقلًا كصنيع الكثير من المفسرين، وكان رحمه الله لا يضع لتلك المقاطع عناوين.

بعد ذكر الآيات، يعنون "شرح المفردات"، ويفرده لشرح غريب المقطع، ويتجاوز إن كان المقطع خالياً من الغريب.. ثم يعنون "مجلد المعنى" ويقدم فيه التفسير العام للمعنى، واختلف صنيعة ابتداء من سورة غافر، فدمج بين العنوانين وصار شرح المفردات مع مجلد المعنى تحت مسمى مشترك في تفسيره لبعض الآيات في بعض المواضع، كما هو واضح في سورة "الشورى" مثلاً.⁽¹⁾

وفي مواضع لا يتعرض للمفردات بالشرح، ولا يورد ما تدعو إليه الآيات من توجهات، بل ينتقل إلى بيان مجلد معنى الآيات مكتفياً بذلك كما هو صنيعة في الآيات الأخيرة من سورة النحل.⁽²⁾

وفي شرحه للمفردات الغامضة يبين ما يتعلق بها من متعلقات وضمان كما في قوله تعالى: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ، بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿النحل 103﴾، [حيث ذكر أن المقصود بالألفاظ "أنهم": كفار قريش، و"بشر": رجل أعجمي].⁽³⁾

وفي بعض الأحيان يشير إلى المقصود ببعض الأساليب الواردة في النص القرآني كالاستفهام وغيره من علوم اللغة الواردة في بعض الآيات.

وفي إيراد لمعان المفردات القرآنية يستعين على ذلك بعلوم اللغة المختلفة، فيبين أحيانا ما تجمع عليه اللفظة من ألفاظ، واشتقاقاتها، كما في تفسيره للبسملة، يتوسع في شرح كلمة "الاسم" بقوله: "الاسم": لفظ دال على المسمى، يجمع على أسماء، وأسام، أسامي، وأسماء. وهو عند البصريين - مشتق من السمو بمعنى العلو، وعند الكوفيين من السمة بمعنى العلامة، وفيه خمس لغات اسم بكسر الألف، وأسم بضمها، إذا ابتدأت بها، وسم

(1) محمد بن عبد الكريم، توجهات القرآن العظيم، ج 7 ص 24.

(2) المصدر نفسه، ج 5 ص 309..

(3) محمد بن عبد الكريم، توجهات القرآن العظيم ج 5، ص 297.

بكسر السين وسم بضمها ، وسم ، بفتحها ، وتصغيرها سمي⁽¹⁾. وقد يقتصر على بيان المعنى دون ذكر ما يتعلق بها من جذورها المختلفة.

وكان في تناوله لشرح المفردات يورد الأقوال دون عزوها لقائلها، أو إلى مصادرها، وفي بعض المواضع يصرح باسم المؤلف دون ذكر مؤلفه، ففي بيانه لمعنى "الشيطان" قال: قال أبو عبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوان.⁽²⁾

5 - اهتمامه بذكر للمعنى الإجمالي للآيات فبعد شرحه للمفردات يعرج على بيان المعنى العام، وهو بمثابة عصارة لما توصل إليه في فهمه للآيات الكريمة، فيبين ما توجهه الآيات من العمل أو التدبر والاعتبار، وربما نقل عن سبقة من المفسرين، ورجح ما يراه من المعنى المناسب للآيات، مؤيدا به ما ذكره قبل ذلك.

ثم تأتي "التوجيهات" وهي بمثابة مساحة يستغلها المفسر لذكر سبب النزول، والأحكام الفقهية والتنزيلات على الواقع واختلاف المفسرين وغيرها.

من منهجه عدم إعادة ما شرحه سابقا، والاكتفاء بالإشارة إليه في موضعه، كقوله في معرض شرحه لمفردات الآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ ﴾ [النحل 115]: [وما ذبح على النصب « داخل فيما أهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ، وقد تقدم شرح ذلك بإسهاب في سورة البقرة 172، 173⁽³⁾.

الايجاز و الاختصار. تميز هذا التفسير أيضا في عرضه لكل المراحل التي تبين المعنى بالإيجاز غير المخل الذي يوفي بالغرض ، حيث يعتمد إلى بيان معاني الألفاظ الغريبة بدون إسهاب ، ثم يثني بتلخيص ذلك في ما يذكره من معنى العام للآيات.

وقد يسهب في بيانه لما أسماه بمجمل المعنى في أحيان كثيرة، وفي الأخير يعلل لما ذهب إليه بتوجيهات مختصرة، ويضيف ما يراه من فوائد تفسيرية.⁽⁴⁾

(1) المصدر نفسه ج2، ص9.

(2) المصدر نفسه ج2، ص4.

(3) المصدر نفسه ج5، ص303.

(4) محمد بن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم، ج 5، ص 297.

اهتمامه ببيان أسباب النزول.

يستفتح في الغالب توجهاته بذكر سبب نزول الآية، إن كان لها سبب نزول، أو يستند إلى ما روي من الروايات في ذلك عن الصحابة - رضي الله عنهم - كابن عباس وابن مسعود في كتب السيرة والتاريخ، وما أثر في الموضوع نفسه من قصص يخدم المعنى مما ورد عن أهل الكتاب، ممهدا بذلك لبيان ما ذهب إليه من معاني.

ومن الأمثلة على ذلك مما له علاقة بعلم بأسباب النزول ما أورده في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة 176]، حيث قال: قال النيسابوري: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾. قال قتادة: ذكر لنا أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر، فأنزل الله هذه الآية، قال: وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال عبد الرحمن السيوطي: قال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب ولكر البر مع آمن بالله واليوم الآخر [البقرة 176].⁽¹⁾

ومن أمثلة إirاده للقصص الوارد في السيرة النبوية تمهيدا لاستنباط المعنى، قوله في معرض بيانه لمعنى قول الله عز وجل عن اليهود ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة 83]: عن محمد بن إسحاق بن يسار قال- بعد ما سرد الآيات الثلاث، وفسر بعض مفرداتها: أنبأهم الله - عز وجل - فداء أسراهم فكانوا فريقين، منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج، والنضير وبنو قريظة مع الأوس، يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم.⁽²⁾

وأما ما ورد عن الصحابة - رضي الله عنهم - قوله في تفسير قوله تعالى: ان إبراهيم كان أمةً فآيتاً إليه حنيفاً ولم يك من المشركين [النحل: 120].

(1) المصدر نفسه ج 2 ص 238.

(2) المصدر نفسه ج 2، ص 127.

المراد بالأمة هنا: الرجل الجامع للخير.... يروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يرحم الله معاذاً فقد كان أمة قانتاً، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله إبراهيم عليه السلام، فقال: إن الأمة الذي يعلم الناس الخير، وإن القانت هو المطيع. (1) (2)

ثم ذكر بيت أبي نواس مستشهداً به، بقوله:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ..... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ.

وفي إirاده لروايات أسباب النزول، يذكرها بصيغ أداء مختلفة، فمن ذلك قوله: قال أبو علي النيسابوري أو غيره، وتارة يقول: جاء في أسباب النزول له أيضاً، وقد يعزوها إلى المفسرين بقوله: قال المفسرون، وفي كل منها لا يراعي درجة صحتها، ولا يعقب أو يرجح، بل يكتفي بذكر مصدر روايته، مع أنه في بعض الأحيان يستقيها من مصادر مختلفة، وهو أمر واضح في تفسيره.

عنايته بتفسير القرآن بالقرآن.

حيث إنه يذكر للآية نظيراتها إذا وجد ذلك، فيسوقها كلها أو معظمها، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة 249]، بعد ذكره للآيات الواردة في سورة الحج، مبيناً "أن هذه الآيات أحسن ما يفسر به ما تقدم ذكره". (3)

ومن بين الأمثلة الواردة في إيضاحه للقرآن بالقرآن قوله في: «التوجيه الثاني: إلا من ظلمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» [النمل 11]، نظيره في القرآن كثير، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 80] وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء 109]. (4)

اهتمامه بتفسير القرآن بالسنة. لذلك تضمن التفسير العديد من الأحاديث النبوية الشارحة للآيات أو المبينة لمجملها، وغيرها من أحوال السنة مع القرآن؛ من ذلك إirاده

(1) ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، المقطم، مصر، ط1، 2013، ج2 ص 807.

(2) محمد بن عبد الكريم، توجهات القرآن العظيم، ج5، ص306.

(3) المصدر نفسه ج2 ص 383..

(4) المصدر نفسه، ج2، ص 160.

للتفسير النبوي المشهور لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّہْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 83] حيث قال: المراد بالظلم في الآية الشرك والكفر... وجاء في مسند الإمام أحمد حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ [الأنعام: 83]، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه، قال: {إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا قول العبد الصالح يبني لا تشرك بالله إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لقمان [13] ، إنما هو الشرك (1) .. (2)

وقوله في تفسير قوله تعالى ﴿سَيُطَوَّفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آل عمران [180]، يفسره أحسن تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: { ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله، إلا مثَّل له شجاعا أقرعا حتى يطوق عنقه (3). ثم قرأ مصداقه من كتاب الله: وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الْآيَةَ ... وقوله صلى الله عليه وسلم: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزيمه يعني شذقيه، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك } ، (4) ثم تلا الآية المذكورة أعلاه. (5)

12- تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

لا سيما مما له علاقة بأسباب النزول ، وأما أقوالهم الاجتهادية في التفسير فإنها قليلة مقارنة بما سبق، بل تكاد تكون منعدمة ؛ لا يستشهد بها إلا في حالات معدودة، من ذلك قوله في التوجيه الثالث من التوجيهات الوارد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِئُ الْمَوْتَى﴾ البقرة [259]، روي عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن آية أرجى من قوله

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب . الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، حديث رقم: 4353، ج4، ص1694..

(2) الجزائري ، مرجع سابق، ج4 ص132..

(3) المنذري عبد العظيم، الترغيب والترهيب، تحقيق: الألباني، اعتنى به مشهور حسن: كتاب: الصدقات، الترهيب من منع الزكاة، وما جاء في زكاة الحلي حديث رقم 756 ج2 ص 340، 339.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم: 1338، ج2 ص508..

(5) محمد بن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم، ج3 ص191..

تعالى ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ البقرة [260] ، وعن سعيد بن المسيب: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ اجْتَمَعَا يَوْمًا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَرْجَى عِنْدَكَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الرَّحِيمِ﴾ الزمر [50]، حتى ختم الآية، فقال ابن عباس: أما إن كنت تقول: إنها، وإن أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُولُمُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ البقرة: 2.1⁽¹⁾ [260]

13- الإشارة للقراءات القرآنية. فكان يلمح لها في ثنايا شرحه لمفردات الآيات، ، من ذلك قوله في بيان معنى كلمة "يَغْلُ" الواردة في قوله تعالى: ﴿يَغْلُ﴾ بالبناء للمفعول: يخان أو يوجد غالاً "خائناً"، أو ينسب إلى الغلول الخيانة"، وفي قراءة ﴿يَغْلُ﴾ بالبناء للفاعل: يخون، والمراد بالغلول الخيانة في المغانم، فعلى القراءة الأولى: ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخونه أصحابه في الغنيمة، ثم اسقط الأصحاب فبقي الفعل غير مسعى فاعله، وعلى القراءة الثانية: ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخون أصحابه في الغنيمة.⁽²⁾

ولم يكن يفصل القول فيما يتعلق بها من حيث نسبتها للقارئ بها أو كونها متواترة، أو شاذة، ويقتصر على توجيهها لبيان اختلاف المعنى.

14- الاحتياط في ذكر الإسرائيليات. محمد بن عبد الكريم من جملة من أوردها في تفسيره، وجعلها من مكونات منهجه التفسيري، ولكنه يذكرها مستشهداً بها كما هو واضح في هذا المثال، حيث نقل الأثر الذي ساقه ابن كثير في تفسيره بإسناده عن عبد الله بن سلام أنه قال لبعض كبراء اليهود محتجاً عليه بتركه فداء أسراهم: «جاء في التوراة إنك لن تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا اشتريته فأعتقته».⁽³⁾

واستشهد بما جاء في بعض أسفارهم في معرض بيانه لحرمة الربا عند سائر الأمم فقال: وجاء في أسفار العهد القديم، الذي هو الآن بأيدي اليهود والمسيحيين: إن أقرضت فضة

(1) محمد بن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم ج 2 ص 404..

(2) المصدر نفسه، ج 3 ص 175.

(3) المصدر نفسه ج 2 ص 126..

لشعبي الفقير الذي عنك، فلا تكن كالمراي، لا تصنعوا عليه الربا.⁽¹⁾

أو يشير إليها منكرها ومفنداً لها، كما قال في حديثه عن حادثة داود عليه السلام: الصحيح أن لفظة النعجة باقية في الآية على معناها بالأصالة، وهي أنثى الضأن، وليست هي كناية عن المرأة كما زعم بعض المفسرين وغير المحققين من الإخباريين، حيث قالوا: كان لداود تسع وتسعون. قال: القاضي عياض في كتابه "الشفا": وأما قصة داود عليه السلام فيجب أن لا يلتفت إلى ما سطره الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا.⁽²⁾

فتبين بما سبق ذكره أن ابن عبد الكريم لم ينساق مع أخبار أهل الكتاب، بل نقدها، ووقف عند حدود ما أذن فيه الشرع.

15- اهتمامه بالناسخ والمنسوخ

من الأمثلة التي ساقها في تفسيره قوله في توجيهه للمعنى الوارد عن جل المفسرين لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا خَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ البقرة [179]: إن حكم هذه الآية باق إلى الأبد، وليس بمنسوخ، بآية المواريث، كما جزم بذلك جل المفسرين، وجمهور علماء المسلمين، بل هذه الآية مؤكدة لتلك ومؤيدة لها، وليس هناك تعارض موجود بينهما في المبنى أو المعنى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴿البقرة [179-180] ولا يصح نسخ حكم الوجوب في الآية بقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قد أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث.

لأن الحديث ظني الورود متنا وسندا، والآية يقينية من جميع الوجوه، وليس من المعقول أن ينسخ ما هو يقيني بما هم ظني.⁽³⁾

(1) المصدر نفسه، ج 2 ص 438، وذكر أن ذلك ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج، ص 26.

(2) المصدر نفسه، ج 6 ص 459.

(3) محمد بن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم، ج 1 ص 246، 247، وما ذهب إليه المفسر خلاف ما عليه جمهور العلماء، قال الإمام الشوكاني: «المسألة العاشرة: يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة عند الجمهور كما حكى ذلك عنهم أبو الطيب الطبري، وابن برهان وابن الحاجب، قال ابن فورق في شرح مقالات الأشعري: وإليه ذهب شيخنا أبو الحسن الأشعري، وكان يقول: إن ذلك وجد في قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا خَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ البقرة [179]، فإنه منسوخ

فالمفسر ذهب إلى عدم جواز نسخ ما ورد في الآيات من الأحكام بما جاءت به السنة لاعتقاده الذي ذكره من كون الظني لا ينسخ القطعي الدلالة، وهذا فيه نظر كما أسلفنا.

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ البقرة [143]، تعرض لمسألة النسخ حيث قال في توجيهاته: أن الأمر بالانصراف عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام يثبت أحكام الله تعالى ناسخا ومنسوخا، وأن أول نسخ وقع في القرآن هو نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال القبلة بإجماع العلماء⁽¹⁾. وفي تفسيره مواضيع كثيرة تكلم فيها عن نسخ بعض الأحكام⁽²⁾.

وقد أشار إلى معنى النسخ اللغوي في ثنايا تفسيره لقوله تعالى ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ البقرة [105]، بقوله: النسخ في اللغة هو: إبطال شيء وإزالته وإقامة آخر مقامه، ومن قولهم نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت محله والمراد هنا إزالة حكم آية أو التعبد بها وإقامة حكم آية أخرى أو التعبد بها مقامها⁽³⁾.

وبما تم إيضاحه يتبين مدى تعامل المفسر مع هذا العلم في معرض تفسيره للقرآن الكريم.

14- ذكر المكي والمدني.

بالسنة المتواترة، وهي قوله: { لا وصية لوارث، لأنه لا يمكن الجمع بينهما، قال ابن السمعاني: وهو مذهب أبي حنيفة وعامة المتكلمين، وقال سليم الرازي: وهو قول أهل العراق، قال: وهو مذهب الأشعري والمعتزلة وسائر المتكلمين ... وحكاه ابن الفرج عن مالك، وذهب الشافعي في عامة كتبه كما قال السمعاني: إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة بحال، وإن كانت متواترة ... قال الإمام الشوكاني: ولا يخفك أن السنة شرع من الله عز وجل، كما أن الكتاب شرع منه سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ الرَّسُولُ فَخُذْهُ وَمَا نَهَيْكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر 07] وأمر سبحانه بإتباع رسوله في غير موضع من القرآن، فهذا بمجرد يدل على أن السنة الثابتة عنه ثبوتاً على حد ثبوت الكتاب العزيز، حكمها حكم القرآن في النسخ وغيره»، الشوكاني، إرشاد الفحول، ص 371-373..

(1) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجيهات القرآن العظيم 2، ص 205.

(2) ينظر المصدر نفسه، ج 2 ص 297-205.

(3) المصدر نفسه، ج 1 ص 161.

ذكر الشيخ ابن عبد الكريم عدة مواضع من توجيهاته ما يدل على مراعاته لما يرشد إليه هذا

العلم ويعين على فهم معاني الآيات الكريمة، ففي تفسيره لقول الله عز وجل ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: [125].

أورد في توجيهه لمعنى الآية ما روي عن ابن عباس أنه قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أُحُدٍ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه، ورأى حمزة قد شق بطنه، واصطلم أنفه، وجدعت أذناه، فقال: { لولا أن يحزن أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير ، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم ... فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل [127] فصبر ولم يمثل بأحد.⁽¹⁾

ثم قال رحمه الله معلقا المعنى على صحة كون الآية مكية أو مدنية، فإن صحت هذه الرواية فإن هذه الآيات مدنية وليست مكية.⁽²⁾

14- عنايته القضايا الاعتقادية والفقهية واللغوية والسلوكية والأصولية.

العقيدة : ففي تناوله للآيات الصفات كان يرد على المخالفين من المعتزلة وغيرهم، سالكا سبيل الجمع بين طريقة السلف، ومنهج الخلف، ففي مواضع كثيرة معتمدا - كما قرر - على ما ورد من صحيح المنقول، وصريح المعقول .

ففي تفسير لفظة "الاستواء" على العرش الواردة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الفرقان [59].

يقول: ثم ارتفع واستولى على العرش ارتفاعا واستيلاء يليق بجلاله، وتصرفه في ملكه تصرفا تاما.⁽³⁾

(1) المصدر نفسه ج 5 ص 308 .

(2) المصدر نفسه ج 6 ص 112 .

(3) محمد بن عبد الكريم، توجيهات القرآن العظيم ج 4، ص 283.

وفي تفسيره لهذه اللفظة في سورة الأعراف، نقل عن ابن كثير ما قرره عن السلف كما سبق بيانه .

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَبُرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ [البقرة 101]، في كلامه عن السحر رد على من أنكره ، ونقل من الأدلة ما يوضح ذلك، بقوله: « السحر مضرّ بالساحر والمسحور معا، وليس فيه أية فائدة لأي منهما، وهو مؤثر في المسحور حسبما تواترت به الآثار والأخبار، وحسبما هو مشاهد بين الناس زمانا ومكانا ، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد تأثر بما عمله له لبيد بن الأعصم من السحر، كما جاء في صحيح البخاري وغيره، ...، وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام، من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، لا في مرض ولا في قتل، ولا في حل ولا عقد، إنما ذلك تخيل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك ، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث، وأرباب القلوب من أهل التصوف، وما يعرفه عامة العقلاء.

وفي مقابل هذا اعتمد المفسر في محطات أخرى مذهب تأويل للصفات كما هو واضح في كلامه عن صفة الرحمة، ومعنى اسمي الرحمن والرحيم، وتعريفه للقرآن الكريم، رغم بيانه لما ينبغي أن يتبع ويسلك في بيان معاني الأسماء والصفات في معرض تفسيره لأية الاستواء في سورة الأعراف، فكانت طريقة بيانه لما تعلق بمسائل الاعتقاد دائر بين مذهبي الإثبات والتأويل، والجمع بينهما.⁽¹⁾

الفقه:

كما اعتنى رحمه الله بالآيات الأحكام، فيذكر أحكامها الفقهية، ويشير إلى الخلاف الفقهي الوارد فيها ويرجح ما يراه أقرب للصواب على نحو من التوسع في عديد المواضع، وهو في الغالب يميل إلى مذهب الإمام مالك، من ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة 22]، أن الآية الثانية والعشرين قد احتج بها الشافعية، والأحناف على عدم حنث من حلف أن لا ينام على فراش، ونام على الأرض، لأن حكم الأيمان حسب اجتهادهم مبني على

(1) المصدر نفسه ج6، ص150 .

المعتاد والمتعارف بين الناس من الأسماء والألفاظ اللغوية، وليس من العادة والعرف إطلاق اسم الفراش على الأرض، وقد خالفهم المالكية في هذا الاجتهاد، وبنوا مخالفتهم على عموم اللفظ في كل حكم منوي، استنادا إلى قول رسول صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.⁽¹⁾

وفي تفسيره لسورة الفاتحة؛ حيث بين في التوجيه الثالث عشر حكم قراءة الفاتحة في الصلاة، فقال معددا لجملة من أقوال أهل العلم من مختلف المذاهب: «الأحناف يعتقدون أن قراءة الفاتحة ليست فرضا في الصلاة المفروضة، بحيث لو تركها المصلي عمدا بطلت صلاته، وإنما المفروض عندهم قراءة القرآن على وجه العموم دون تعيين أية أية أو أية سورة، وقد استدلو بقوله تعالى: ﴿بِاقْرَأُوا وَآمَّا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ المزمّل [18]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: ... ثم اقرأ ما تيسر معك من ، فهذه العبارة معضودة بقول الله تعالى: فاقروا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ والقراءة عند الأحناف مفروضة في ركعتين فقط، ومن السنة عندهم أن تكون في الركعتين الأوليين، أما ما عداها فيستحب فيه التسبيح، وقد قدروا القراءة المفروضة بثلاث آيات قصار أو أية واحدة طويلة.⁽²⁾

ثم ذكر أقوال المالكية والشافعية والحنابلة وما اعتمدوا عليه في ما ذهبوا إليه من أدلة، وختم ذلك بقوله: ولكل هؤلاء استناد يعارض به استناد الآخر.⁽³⁾ فذكر الأقوال هنا دون أن يرجح.

كما أنه بحث ما يتعلق بالربا من أحكام بالتفصيل وخلص إلى القول: بأن الربا في الشريعة الإسلامية نوعان اثنان: النوع الأول: ربا النسئة، وهو المحرم تحريم المقاصد بصريح الكتاب والسنة، والنوع الثاني: ربا الفضل، وهو المحرم تحريم الوسائل بصريح السنة فقط، وقد اختلف علماء المسلمين وفقهائهم في حكم النوع الثاني.⁽⁴⁾

(1) محمد بن عبد الكريم، من توجيهات القرآن العظيم ج2، ص53.

(2) ج2، ص30.

(3) المكان نفسه

(4) المصدر نفسه ج2، ص451.

وبعد أن رجح قول القائلين بحصر التحريم في الأنواع الستة الواردة في الأحاديث النبوية، شرع في مناقشة ثلاثة مسائل مهمة ذات الصلة بالمسألة، وهي التي ذكرها بقوله: الأمر الأول: الحكم الشرعي في المعاملة بالربا مع غير المسلمين في دار الحرب، الأمر الثاني: الحكم الشرعي في أخذ الفوائد الزائدة على رؤوس الأموال المودعة في المصارف، وصناديق التوفير، وما على شاكلتها، الأمر الثالث: الحكم الشرعي في تبديل عملة بأخرى لا يسمح بها القانون الوضعي المتفق عليه دوليا في ميدان الصرف الرسمي.⁽¹⁾

ج- القضايا اللغوية. اعتنى رحمه الله في تفسيره بعدد القضايا اللغوية من ناحية الاشتقاق والصرف والنحو والبلاغة.

تناول بعض الألفاظ القرآنية من الناحية الصرفية في بعض المواضع بشيء من التفصيل في معرض شرحه لبعض المفردات، ولم يكن ذلك مطردا في تفسيره، ومن الأمثلة التي تبين طريقته في تناوله لها، ما ذكره في سياق شرحه للفظتي "الشهر" و"رمضان"، حيث قال: « والشهر مشتق من الشهرة التي هي الوضوح والبيان يقال: شهر الأمر يشهره إذا وضحه وبيّنه والمشاهير من الشهر كالمعاومة من العام، والمياومة من اليوم، وهي المعاملة بالشهور والأعوام والأيام، ويقال أشهر بالمكان إذا أقام به شهرا كاملا، ورمضان مشتق من الرّمض - بفتحيتين - وهو شدة وقع الشمس في الرمل، والرمضاء شدة حر الشمس.⁽²⁾»

وفي سرده لهذه المسائل في الغالب لا يعزوها إلى مصادرها في المعاجم كما جرت العادة عند الباحثين.

وقد يذكر ما لتغير صيغة الكلمة من تأثير في المعنى، كقوله في توجيهه لبعض معاني قوله عز وجل ﴿ وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَيُّ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْبَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا وَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ النساء: [139] الفائدة الثانية: أن صيغة الماضي في اللفظة دالة على ما سبق ذكره في الآية الثامنة والستين من سورة الأنعام.⁽³⁾

(1) المصدر نفسه ج2، ص 452.

(2) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجيهات القرآن العظيم، ج2 ص252.

(3) المصدر نفسه ج4 ص119.

أما في المسائل النحوية، فإنه لم يورد منها في ثنايا تفسيره إلا اليسير، مكتفيا بالإشارة إلى ذلك في سياق شرحه لبعض المفردات كقوله في تفسير قول الله عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ البقرة [179]، قال: كتب: "على حذف واو العطف، تقديره وكتب بمعنى فرض وأثبت.⁽¹⁾

وقوله في كلمة "بئسما" في آية 277 سورة البقرة [بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ . [بِمَا : "بئس" كلمة مستوفية لجميع الذم، عكس "نعم" هما فعلاان جامدان لا يتصرفان، و"ما" فاعل، فهذه عاداته في تفسيره في معرض ما يتناوله من مسائل إعرابية.

د- علم الأصول. :وظف المفسر رحمه الله الكثير من القواعد الأصولية في معرض تفسيره لبعض الآيات الكريمة، من ذلك تعليقه لقول الإمام مالك في موضع التأمين بقوله: وقد أول الإمام مالك عبارة الحديث : إذا أمن الإمام فأمنوا . بمعنى إذا بلغ مكان التأمين بعد الفاتحة فأمنوا، على حد قول العرب: أنجد الرجل، إذا بلغ نجدا، وقد دفع بالإمام إلى هذا التأويل عمل المدينة خلفا عن سلف.⁽²⁾

وفي تفسيره لقول الله عز وجل ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة [105]، أورد فيه بعض القواعد المتعلقة بالنسخ من جهة تعلقها بعلم أصول الفقه مما يدل على اهتمامه بها؛ وجعله لها من صميم منهجه.

ومن الأمثلة التي ساقها مما قعده علماء الأصول، قوله في التوجيه الخامس عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيَهُمْ عَن فَيْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ البقرة [141] أن الأمر بالانصراف عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام أنها أحكام الله تعالى ناسخا ومنسوخا، وأن أول نسخ وقع في القرآن هو نسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة بإجماع العلماء.⁽³⁾

ومن أمثلة هذا المجال استشهاده بالقاعدة المشهورة وهي: «العبرة بعموم اللفظ لا

(1) المصدر نفسه ج2 ص245.

(2) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجيهات القرآن العظيم ج1 ص31.

(3) المصدر نفسه ج2، ص205.

بخصوص السبب، في توجيهه لكل ما ورد في بعض الآيات من أوامر ونواهي ظاهرها خاص ببني إسرائيل، حيث قال: «أن كل ما أمر به بنو إسرائيل وتها عنه في هذه الآيات أمر به ونُهي عنه أيضا جميع البشر، ثم ذكر القاعدة السالفة الذكر⁽¹⁾

، وفي تناوله لأمر الله بالمشاورة في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران [159]، بين أنّ من الأوامر ما يكون للإرشاد وليس للوجوب، حيث قال في التوجيه الثامن: «أن الأمر بالمشاورة في الآية الكريمة - يفهم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس معصوما من أمور الدنيا، بل يخطئ ويصيب... لأن أمره صلى الله عليه وسلم في أي أمر من الأمور الدنيوية يسمى "أمر" إرشاد وفي الأمور الدينية يسمى "أمر تكليف"، ومن القواعد الأصولية أنّ العمل بأمر الإرشاد لا يسمى واجبا ولا مندوبا، والسبب في ذلك أنه لا يقصد به القرية، ولا فيه تعبد.⁽²⁾

و- المسائل السلوكية. حيث لم يخل هذا التفسير من ذكر بعض اللطائف والإشارات التي توحى باعتماده على بعض ما يؤثر عن مشايخ السلوك من أقوال دون نقدها، بل استثناسا بها، وهي عبارات لا يقدح في معناها في الغالب، كما هو واضح في استشهاده عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الروم [26]، بأبيات شعرية لبعض العارفين، حيث قال: « وأنشد بعض المفسرين لبعض العارفين عند تفسيره لهذه الآية ثلاثة أبيات لأحد أهل المعرفة، وهي:

إِذَا سَكَنَ الْغَدِيرُ عَلَى صَفَاءٍ وَجَنَّبَ أَنْ يُحْرَكُهُ النَّسِيمُ.

تَرَى فِيهِ السَّمَاءَ بِلَا امْتِزَاءٍ كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْدُو وَالنُّجُومُ.

كَذَلِكَ قُلُوبُ أَرْبَابِ التَّجَلَّى يُرَى فِي صَفْوِهَا اللَّهُ الْعَظِيمُ.

وفي صدد بيانه لما وضع للدعاء من شروط إجابهته، أورد بعض ما اشتهر من أقوال عباد الصوفية، حيث ذكر أن: عثمان بن عطاء قال: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه حضور القلب، والرأفة، والاستكانة، والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته

(1) المصدر نفسه ج 2، ص 126.

(2) المصدر نفسه ج 3، ص 172.

الأسحار، وأسبابه الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

ي - اعتناؤه بالقضايا الاجتماعية والسياسية. متأسيا في ذلك بنهج أصحاب المدرسة الإصلاحية في تناول التفسير ، فكان يعتني بما له علاقة بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية .

من ذلك ما أرشد إليه في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَاْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة [187] حيث ذكر أن أكل الأموال بالباطل يدخل فيه نوعان من الأكل، وفي النوع الثاني علّق عليه بقوله : وما أكثر أكل الأموال بالباطل في زماننا ولا سيما عن طريق الوكالات، والسماسرة، والمحامين إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ⁽²⁾.

ومما تناول به حال الأمة وما وصلت إليها حتى شابهت اليهود في بعض خصالهم، قوله: « أنّ ما وقع فيه عوام اليهود وجهلتهم هو عين ما وقع فيه عوام المسلمين وجهلتهم، وأن ما وقع فيه أحبار اليهود هو أيضا عين ما وقع فيه علماء المسلمين في العصر الحاضر ، فعوامنا مقلدون ، وعلمائنا مضللون متاجرون بدينهم ﴿فَمَا رَبحَتْ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ البقرة. (3)

ثم إنه عضد ما ذهب إليه من معنى بكلام الشيخ محمد عبده حيث قال : هكذا كان اليهود زمن التنزيل، وقد اتبعنا سننهم وتلوننا تلوهم، فظهر فينا تأويل الحديث الصحيح: لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وإننا نقرأ أخبارهم، فنسخر منهم ولا نسخر من أنفسنا، ونعجب لهم كيف رضوا بالألماني الكاذبة ونحن غارقون فيها، وهذا التمني قد برز فيه المسلمون حتى سبقوا من قبلهم قد أمسوا أكثر الأمم تلاوة لكتابتها ، وأقلهم فهما له واهتداء به، ومن شاء أن يرى نسخة مما كان عليه أولئك اليهود فلينظر فيما بين يديه فإنه يراها واضحة جلية يرى كتباً ألفت عقائد الدين وأحكامه حرفوا فيها مقاصده، وحولوها إلى

(1) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجهات القرآن العظيم ج2، ص255.

(2) المصدر نفسه ج2، ص261.

(3) المصدر نفسه ج2، ص119.

ما يَغَرِّ الناس ويمَنِّهم ويفسد عليهم دينهم، ويقولون: هي من عند الله، وما هي من عند الله. (1)

ومن أمثلة ذلك أيضا ما أورده في التوجيه الثالث الذي ذكره في تفسيره لقوله الله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة [214]، حيث قال: أن الخير فيما اختاره الله لعباده، ولو كرهوا ما بدا لهم منه، وأن الشر فيما نهاهم عنه، ولو أحبوا ما بدا لهم منه، قال الإمام القرطبي: «وقال الحسن- في معنى الآية- لا تكرهوا الملمات الواقعة، فربَّ أمر تكرهونه فيه نجاتكم، ولربَّ أمر تحبونه فيه هلاككم». (2)

وقد أشار إلى ما ينبغي أن تكون عليه دول المسلمين تجاه رعاياها في تفسيره لقول الله عز وجل ﴿وَإِنْ يَأْتِوكُمُ أَسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة [84]، بعد أن بين ما عليه شراذم اليهود من الحرص على فك أسراهم وافتدائهم مهما كلفهم ذلك من مال، بقوله: «ونرى دول المسلمين لم تحرك ساكنا لإنقاذ أبناء ملتهم، مع أن الشريعة الإسلامية توجب عليهم ذلك وتفرضه فرضا كفائيا، قال محمد القرطبي - نقلا عن بعض المحققين من العلماء: «فداء الأسارى واجب، وإن لم يبق درهم واحد بعد الفداء في خزينة الدولة، قال ابن خويز منداد تضمنت الآية وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم أن فك الأسارى من بيت المال، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين، ومن قام به منهم أسقط الفرض على الباقي». (3)

و - اهتمامه بالتفسير والإعجاز العلمي: تكلم عليه الشيخ رحمه الله في معرض تفسيره لبعض الآيات، وألق باللائمة على المشتغلين بالعلوم الحديثة، وأكد أنهم لو تدبروا في مضمون القرآن لكفاهم تعب ما يصبون إلى تحقيقه، يقول في التوجيه الخامس المتعلق بتفسير قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة: [34] أن استقرار البشر وتنعمهم لا يمكن لأي منهما أن يأتي إلا على سطح الأرض، ومن رام العيش والتمتع والاستقرار على كوكب آخر غير الأرض فقد رام المحال، فهذا فهمناه من قوله تعالى:

(1) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجهات القرآن العظيم ج2، ص119.

(2) المصدر نفسه ج2، ص294.

(3) المصدر نفسه ج2، ص126-127.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة[35]، ومن قوله في سورة الأعراف ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفَرٌّ وَمَتَّاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْدَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ الأعراف[23-24]، والسبب في ذلك أن عناصر حياة المخلوقات الأرضية غير متوفرة في غير كوكب الأرض من سائر كواكب الأزمنة والأمكنة، فهذا ما يؤكد علماء الطبيعة، علماء الدين، ويقطع به الواقع الملموس في نظام الله في ملكوته، وهذا ما يفند مزاعم العلم الحديث، ويبطل تكهنات أصحابه المستندين إلى تجاربهم المقيدة، واكتشافاتهم المحدودة دون أن ينظروا في سنة الله التي لا تبدل لها في تسيير الأكوان، فإن قال قائل: إن الاختراعات الحديثة قد توصل أصحابها إلى جعل الإنسان يضع قدمه فوق سطح بعض الكواكب السماوية من غير الأرض التي منها خلق ككوكب القمر مثلا، قلنا: إن ذلك لم يكن على سبيل الاستقرار الدائم ولا التمتع الطائل، وإنما قد كان وما زال مؤقتا عابرا.⁽¹⁾

خاتمة.

وفي ختام هذه الدراسة وبناء على هذا التطواف في الحياة العلمية لهذا العلم وكتابه من توجهات القرآن العظيم، يمكننا الخروج بالنتائج التالية :

- التأكيد على موسوعية الرجل نظرا لكثرة مؤلفاته وأبحاثه، فقد بلغ انتاجه الفكري والعلمي ما يناهز الستين كتابا، تنوع ما بين الترجمة، والتحقيق، والتأليف.

- يكشف تفسير "من توجهات القرآن العظيم" عن موسوعية المؤلف، وإحاطته بكتب التفسير وعلوم القرآن، وإلمامه بالتفسير المأثور والعقلي بنوعيه، فقد قدمه بأسلوب سهل ممتنع، يجد فيه قارئ ضالته، حاول ربطه بحالة عصره، مستجيبا لمتطلبات مجتمعه، وذلك لشذو القارئ المعاصر بالقرآن الكريم وتعزيز صلاحيته لكل زمان ومكان في النفوس.

- امتلاك المؤلف رحمه الله لأدوات البحث التفسيري بدليل اطلاعه على أمهات المسائل في علوم القرآن وأصول علم التفسير، وهو ما تؤكده مقدمته الفريدة التي رصع بها بداية تفسيره، كما أن توظيفه لذلك في ثنايا التفسير برهان على ذلك التمكن والاعتدال.

(1) الجزائري محمد بن عبد الكريم، من توجهات القرآن العظيم ج2، ص75.

- تفسير من توجهات القرآن العظيم يجمع بين المادة العلمية وبين معالجة الواقع والعناية بهموم الأمة وهو ما لاحظناه في عديد المناسبات.

- تطغى على هذا التفسير المسحة الموضوعية في تفسير السورة القرآنية بدليل اهتمامه الغالب بالمعنى العام لآيات، غير أنه لم يصرح بأنه يفسر مراعيًا هذا اللون من التفسير، ولعل ميوله لهذا الجانب اقتناعه بضرورة أن يكون التفسير وسيلة هامة لعلاج أمراض الأمة لاسيما في هذا العصر المتأزم.

الفهارس.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

كتب الحديث.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، المقطم، مصر، ط 2013، م

أحمد طاهري، محمد بن عبد الكريم الزموري ومنهجه في تحقيق التراث الجزائري بين التقليد والتجديد، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد، 07: العدد 01: 2023،

بن داود، أضواء على مسيرة الأديب المشاكس 1 جريدة صوت الأحرار، عدد 5816.

الجزائري، محمد بن عبد الكريم، ديوان كشف الستار.

سعد بن بوزيان، وقفة مع مثقف الجزائري الراحل د. محمد بن عبد الكريم الجزائري 1912/2024 بمناسبة صدور أعماله الكاملة عن «دار الوعي» بالجزائر، <https://elbassair.dz/14047/>، 2025/10/27.

سمير بن سعدي، "الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد 09، سبتمبر 2018م.

سمير بن سعدي، سمير الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بأقلام العلماء والأساتذة والباحثين، جامعة جيجل، العدد 4، جوان 2021م.

الصالح بن سالم، جهود محمد بن عبد الكريم في تحقيق المخطوط الجزائري العثماني،

- مجلة البحوث الجزائرية، العدد، 02، المجلد، 01، 2017م .
- عبد الحليم بوبكر، "صفحات من حياة العلامة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري 1924-2012م، جريدة البصائر، ع 853، الجزائر، أفريل 2017م.
- عبد الغني داود وآخرون، بلخوجة" صاحب سبعة وستين مؤلفا، مقال بالموقع الشروق اولاين بتاريخ 2017/06/10، نظر بتاريخ: 2025/10/15.
- عبد المجيد بن داود "أضواء على مسيرة الأديب المشاكس الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته، صوت الأحرار، ع 5816، الجزائر، الأحد 5 مارس 2017، م.
- عبد المجيد بن داود وآخرون، مرجع سابق، "بلخوجة" صاحب 67 مؤلفا.. أحرقت فرنسا مكتبه واحتضنه القذافي، .
- عبد المجيد بن داود، "الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته"، جريدة صوت الأحرار، العدد، 5817، الإثنين 06 مارس 2017م.
- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ت: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية لنشر الكتاب، دن.
- محمد بن الكريم الجزائري، من توجيهاات القرآن العظيم .
- محمد بن عبد الكريم، كشف الستار، معهد الهوقار، جنيف 2001، م، ص. 106-150.
- المنذري عبد العظيم، الترغيب والترهيب، تحقيق: الألباني، اعتنى به مشهور حسن
- 2025 / 10 / 15، بتاريخ: <https://shamela-dz.net/?p=773>
- عبد المجيد ع ، وآخرون، بلخوجة صاحب سبعة وستين ، مؤلفا
- ، www.echorokonlin.cok

منهج محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري في تفسيره من توجيهات القرآن الكريم

د. خالد مهدي

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة

ملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فيتعلق هذا البحث بأحد أعلام الجزائر المعاصرين الذين تركوا إنتاجا علميا كبيرا جاوز الستين كتابا، بين تأليف وتحقيق وترجمة، وفي موضوعات مختلفة: دينية، أدبية، وتاريخية، وسياسية... وهو من القلة الذين كتبوا في علوم القرآن وتفسيره في الجزائر، إلا أن كتابه لم ينتشر ولم يشتهر، وبالتالي لم ينل مكانته اللائقة به، ولم يدرس إلى حد الآن في حدود اطلاعي، وهذا ما يدعونا للتساؤل عن هذه العالم وحياته، وعن تفسيره ومنهجه فيه، وذلك ما أجيب عنه في هذا المداخلة.

الكلمات المفتاحية: تفسير؛ توجيهات؛ محمد بن عبد الكريم؛ الزموري.

Abstract:

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful. To proceed: This research concerns one of the contemporary scholars of Algeria, who left behind a substantial scientific output exceeding sixty works, including authorship, editing, and translation, across various subjects—religious, literary, historical, and political. He is among the few who have written about the sciences of the Qur'an and its interpretation in Algeria. However, his book did not gain wide circulation or fame, and thus did not receive the recognition it deserves. To the best of my knowledge, it has not yet been studied, which prompts us to inquire about this scholar, his life, and his approach to Qur'anic interpretation. These are the questions I will address in this presentation.

Keywords: Qur'anic exegesis Tafsir; Guidelines; Muhammad bin

Abdul Karim; Al-Zamouri

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن التعريف بأعلام الأمة وآثارهم العلمية هو إسهام في التعريف بحضارة الأمة نفسها وفعاليتها في الحضارة الإنسانية عموماً؛ فقدّر كل أمة بما ينتجها أبنائها ويضيفوه ويخلفوه لمن بعدهم؛ من علم وفكر وبناء...

ولقد كان لعلماء الجزائر دور في مختلف العلوم الدينية والدنيوية، في القديم والحديث، محلياً وإقليمياً ودولياً، إلا أن كثيراً من جهودهم لم تعرف حتى بين أهلهم فضلاً عن غيرهم.

وكان من هؤلاء العلماء؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري أحد أعلام الجزائر المعاصرين الذين تركوا إنتاجاً علمياً كبيراً جاوز الستين كتاباً، بين تأليف وتحقيق وترجمة، في موضوعات مختلفة؛ من أدب، وتاريخ، وفقه، وسياسة... وهو من القلة الذين كتبوا في علوم القرآن الكريم وتفسيره في الجزائر، إلا أن تفسيره لم ينتشر ولم يشتهر مثل نظرائه، وبالتالي لم ينل مكانته اللائقة به، ولم يدرس إلى حد الآن في حدود اطلاعي.

وهذا يدعونا للتساؤل عن هذه العالم، وعن تفسيره، ومنهجه فيه، وذلك ما أحاول الإجابة عنه في هذه الموضوع.

وتتجلى أهمية الموضوع في:

كونه يتعلق بأحد أعلام الجزائر الذين تركوا إنتاجاً علمياً كبيراً، ومعلوم أن مكانة الأمة بمدى مساهمة أبنائها في البناء الحضاري والفكري، خصوصاً إذا تعلق الأمر بكتاب الله تعالى. أن تفاسير القرآن الكريم لعلماء بلدنا المطبوعة قليلة، وهذا واحد منها لم يشتهر بين الناس، فهو يحتاج إلى التعريف به.

للشيخ له آراء واختيارات في بعض آيات القرآن الكريم تستحق الدراسة.

ترك الشيخ كتباً كثيرة، لم تنل حظها من النظر والبحث فيها، والاستفادة مما فيها من آراء.

وهو كذلك من الوفاء لأمثال هاته الشخصيات الذين ينبغي أن يكونوا قدوة للأجيال، وتوفيتهم حقهم، وعزة الأمة برجالها.

والهدف من هذا البحث هو التعريف بهذا الكتاب وصاحبه، وتقديمه للقراء عموماً، وللباحثين خصوصاً، بالإضافة إلى فتح الباب أمام الباحثين والطلبة لدراسة هذا الكتاب، وكتب الشيخ الأخرى، واستخلاص آرائه وأفكاره.

وهذا الموضوع لم يُدرس من قبل حسب اطلاعي، ولم أجد دراسات أكاديمية عن الأستاذ محمد بن عبد الكريم، سوى ثلاث مقالات، وهي:

الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بأقلام العلماء والأساتذة والباحثين، سمير بن سعدي، مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع، جامعة جيجل، المجلد: 04، العدد: 02 جوان 2021م، ص 152-169.

الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق الدعوة، سمير بن سعدي، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد 09، سبتمبر 2018، ص 165-182.

النشاط العلمي والدعوي للدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بالمهجر، سمير بن سعدي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلد: 04، العدد: 02 2020م، ص 274-283.

وقد اتبعت في البحث المنهج الوصفي، وقسمته وفق الخطة الآتية:

مقدمة.

المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري:

المطلب الأول: مولده ونشأته.

المطلب الثاني: وظائفه.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الأول: تفسيره من توجهات القرآن الكريم:

المطلب الأول: وصف الكتاب.

المطلب الثاني: منهج محمد بن عبد الكريم في تفسيره.

المطلب الثالث: مصادر تفسيره.

المطلب الرابع: مميزات تفسيره.

المطلب الخامس: ملاحظات على التفسير.

خاتمة.

المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري⁽¹⁾:

المطلب الأول: مولده ونشأته:

هو محمد بن عبد الكريم، الزموري الجزائري، عُرف في بلده بـ "محمد بلخوجة"، ينحدر من إحدى العائلات التركمانية التي ترجع في نسبها إلى العنصر العثماني البعيد في تاريخ زمورة، حيث نزحت عائلة بن عبد الكريم إلى هذه المنطقة خلال القرن الثاني عشر الميلادي، مع من نزحوا أثناء هجرة مسلمي الأندلس الكبرى من صقلية وإسبانيا... استمد كنيته "بلخوجة" من انخراط جده الأول في سلك أعوان الإدارة العثمانية المحلية بزمورة كخوجة، أي كاتباً لها قبل الاحتلال الفرنسي، فصارت لقباً ملازماً له لا يزيده إلا افتخاراً واعتزازاً⁽²⁾.

ولد في 25 أفريل 1924م، بهرج زمورة، ولاية برج بوعريج، نشأ يتيماً حيث توفيت أمه

(1) مصادر ترجمته قليلة، وقد استقيتها من مقالات زملائه وأصدقائه في الجرائد، وبعض المقالات عنه في مجلات محكمة.

(2) عبد المجيد بن دادو، أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته الحلقة الأخيرة، جريدة صوت الأحرار، العدد 5820، بتاريخ 09 مارس 2017م، ص 18.

وهو رضيع، ثم توفي والده وهو لم يتجاوز السادسة من العمر.

درس بالكتاب على عادة أهل بلده بـبرج زمّورة؛ لكن اضطر للعمل وترك الدراسة باكرا نظرا لظروفه المادية، "فالتجأ إلى امتحان مختلف الحرف المتاحة لأمثاله آنذاك، فامتن التجارة، وتعاطى صباغة الصوف والاتجار فيها، ثم امتن تدريس الصبيان"⁽¹⁾.

سافر إلى تونس لطلب العلم سنة 1946م والتحق بمعهد الصادقية، ولم يطل مقامه هناك فرجع إلى الوطن، وواصل طلب العلم، واشتغل مدرسا بمدرسة الجلالية التابعة لجمعية العلماء المسلمين بالجزائر العاصمة منذ سنة 1948م⁽²⁾.

لكن ألبأته حالته الاجتماعية والاقتصادية، وظلم الاستعمار، إلى السفر إلى فرنسا بحثا عن العمل والاستقرار سنة 1956م، وتعرض هناك للمداهمات والسجن.

عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال سنة 1963م وكله أمل في حياة أفضل في ظل الحرية والسيادة، عازما على المشاركة في بناء الوطن، واشتغل بالتدريس في عدة مدارس، كما عُيّن في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية؛ غير أنه لم يلبث أن فوجئ بإقالته.

التحق بالجامعة حيث تحصل على شهادة الدراسات العليا في التاريخ التي حقق فيها مخطوط: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، بإشراف مولاي بلحميسي، ثم شهادة الدكتوراه في الأدب العربي عن أطروحته: المقرئ وكتابه نفح الطيب، بإشراف الأستاذ إحسان النص.

(1) المرجع نفسه.

(2) المرجع نفسه.

تعرض للتضييق والتهميش⁽¹⁾، نظرا لشخصيته الحادة التي لا تخاف لومة لائم⁽²⁾، ومواقفه وآرائه وانتقاداته التي لم تُرض السلطة والإدارة، قال محمد الهادي الحسني: "لقد لقي محمد بن عبد الكريم تعباً كبيراً ونصباً شديداً في الجزائر، بعضه آتٍ من شخصيته العصبية، وبعضه آتٍ ممن يتلذذون بإرهاق غيرهم"⁽³⁾.

لذلك اضطر مرة أخرى للسفر، فتنقل تركيا لتحضير دبلوم في علم الوثائق وفن المكتبات، حيث ألف كتابه: مخطوطات جزائرية بمكتبات إسطنبول، طبعه سنة 1972م بمطابع دار مكتبة الحياة في بيروت- لبنان، ثم ليبيا لطباعة بعض كتبه، وفيها عرضت عليه جمعية الدعوة الإسلامية الليبية منصب داعية بفرنسا، فقبل العرض وانتقل إلى باريس ليستمر نشاطه الدعوي إحدى وثلاثين سنة، زار خلالها العديد من الدول الأوروبية والإفريقية. وعاد إلى الجزائر في أواخر التسعينيات، حيث استقر في مدينة سطيف.

المطلب الثاني: وظائفه:

اشتغل الشيخ محمد بن عبد الكريم في مهنة التعليم منذ 1948م، لمدة عشرين سنة⁽⁴⁾،

(1) ومما تعرض له:

- حرمانه من شهادة الأقدمية في التعليم والترقية.
- حرمانه من السكن الوظيفي.
- عزله من منصبه في المكتبة الوطنية.
- عرقلة مناقشة رسالة الدكتوراه.
- حرمانه من التدريس في الجامعة.
- عرقلة طبع كتبه في لبنان.

(2) قال عبد المجيد بن دادو: "وكان شديد التعصب لما يعتقده صوابا ومتصلا بالدين". جريدة صوت الأحرار، العدد 5820، ص18.

(3) محمد الهادي الحسني، محمد بن عبد الكريم، جريدة الشروق، العدد 8644، 2014/11/17، ص15.

(4) يقول في ذلك: "...بدأت أمارس مهنة التعليم الحرّ؛ منذ سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد" الثقافة ومآسي رجالها، ص198.

في عدة مدارس منها: مدرسة أميرا بجي سيدي امحمد بلوزداد، ومدرسة أشبال الثورة بالقليلة، وثانوية النخيل بوهران، ومدرسة الخروبة للبنات، كما عُيِّنَ بالثانوية التقنية في سبتمبر 1977م، بجي العناصر؛ ولكنه فوجئ برفض السيد المدير الذي منعه من توقيع محضر التنصيب.

وفي سنة 1969م، عُيِّنَ محمد بن عبد الكريم الجزائري، في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية؛ غير أنه لم يلبث أن فوجئ بإقالته من هذا المنصب.

المطلب الثالث: مؤلفاته:

ترك الشيخ العديد من الكتب بين تأليف، وتحقيق، وترجمة، وتنوعت موضوعاتها؛ بين التاريخ، والأدب، والسياسة، والفكر، والفقه، والتفسير... قال محمد الهادي الحسني: "لقد ترك محمد بن عبد الكريم ثروة هامة من الكتب والرسائل متفاوتة الأهمية والقيمة، منها المحقق ومنها المترجم، منها الكبير ومنها الصغير ومنها العوان بين ذلك"⁽¹⁾، لكن بالتأمل في عناوين مؤلفاته يظهر بوضوح غلبة المواضيع الدينية والشرعية عليه، وقد بلغ عدد كتبه نحو الستين كتابا⁽²⁾، كما هي مذكورة في آخر ديوانه كشف الستار⁽³⁾، منها:

مؤلفاته:

الإرهاب والأصولية بين الأصالة والابتداع.

استخراج العبر والأحكام من حياة محمد عليه الصلاة والسلام.

الإسراء والمعراج.

(1) المرجع السابق.

(2) بعض كتبه أحرقها الاستعمار ككتاب: دمة الجزائر، الذي قال عنه الشيخ: "يحتوي على قصائد شعرية ثورية، وروايات تمثيلية وقصص أدبية... وكتاب أَسْمَيْتُهُ الإلهامات الربانية إلى معاني الأجرومية وهو شرحٌ لمقدمة ابن أجيروم في النحو، سلكتُ فيه نهج التصوف من حيث التفسير الباطني لمداول الألفاظ الوضعية. وقد تمَّ إحراق هذين الكتابين؛ بمركز "لافيلات" بعدما أُلقي عليّ القبض وتم استنطاقه هناك، وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر فيفري شباط سنة 1959، بباريس، وعند الله تجتمع الخصوم" ديوان كشف الستار، ص 21.

(3) ينظر: محمد بن عبد الكريم الجزائري، كشف الستار، ص 122-124.

- الإسلام ثقافة واجتهاد وليس بتقليد أعمى.
- تبديل الجنسية ردة وخيانة.
- التصوف في ميزان الإسلام.
- تصويب أخطاء المجلس الإسلامي الأوروبي.
- الثقافة ومآسي رجالها.
- الجهاد في ميزان الإسلام.
- الحكم الشرعي لرؤية الهلال بالأبصار وإبطال نظرية الحساب الفلكي في الصوم والإفطار.
- حياة حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته.
- الدعوة الإسلامية والاستعمار والتبشير والصهيونية.
- دور المسجد في الإسلام.
- الديمقراطية والعلمانية في ميزان الإسلام.
- الدين الإسلامي عقيدة وشريعة.
- الربا في ميزان الإسلام.
- رسالة مفتوحة من محمد الزموري إلى الساسي لعموري.
- الزكاة في ميزان الإسلام.
- زواج المسلم بغير المسلمة وزواج المسلمة بغير المسلم في ميزان الإسلام.
- الشورى في ميزان الإسلام.
- الصلاة في ميزان الإسلام.
- الطهارة في ميزان الإسلام.

عباد الرحمن في سورة الفرقان.

عبد الرحمن الثعالبي وضريحه.

فضائح تكشفها فخاخ الديمقراطية في الجزائر.

قبس من مولد محمد بن عبد الله وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام.

كشف الستار ديوان شعر.

لب الباب في رد الفكر إلى الصواب.

لغة كل أمة روح ثقافتها.

مأساة كتاب في تاريخ الكتاب.

مخطوطات جزائرية في مكتبات إسطنبول.

مدينة وهران.

مذكرة القضاء.

مساجد الضرار من جديد.

المقري وكتابه نفح الطيب.

مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير.

من توجيهات القرآن العظيم تفسير كامل للقرآن الكريم في سبعة مجلدات.

الهجرة من الأقطار الإسلامية إلى الأقطار الإفرنجية في ميزان الإسلام.

واقع الإسلام والمسلمين بين الردة السياسية والرعاية الشرعية في معيار الإسلام.

تحقيقاته:

إتحاف المنصفين والأدباء، لحمدان بن عثمان خوجة.

الاكتراث في حقوق الإناث، لمحمد بن الخوجة الجزائري.

بدائع السلك في طبائع الملك، لمحمد بن الأزرق الأندلسي.

بهجة الناظر، لعبد القادر المشرقي الجزائري.

التحفة المرضية في الدولة البكداشية، لمحمد بن ميمون الجزائري.

ثلاث رسائل جزائرية في حكم الهجرة، لأحمد الونشريسي والأمير عبد القادر ومحمد بن الشاهد.

حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع، لحمدان بن عثمان خوجة الجزائري.

رحلة الباي محمد الكبير، لأحمد بن هطال الجزائري.

رسالة الإمام مالك بن أنس إلى الخليفة هارون الرشيد.

السعي المحمود في نظام الجنود، لمحمد بن العنابي.

الغنية، للقاضي عياض.

فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، لأبي راس الناصري.

الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية، للشيخ الحسين الورتلاني.

مقدمة في صناعة الشعر والنثر، لمحمد بن الخوجة الجزائري.

وشاح الكتائب، لقدور بن رويلة.

ترجماته:

محاضرة القرآن والعلوم الحديثة، لموريس بوكاي.

مذكرات حمدان بن عثمان خوجة الجزائري.

المرآة، لحمدان بن عثمان خوجة.

المطلب الرابع: وفاته:

توفي الشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري رحمه الله يوم الجمعة 9 نوفمبر 2012م، بعد صلاة الظهر، في منزله بمدينة سطيف، بعد معاناته الطويلة مع مرض الربو، الذي أقعده الفراش لعدة سنوات.

قال عنه محمد الهادي الحسني: "هم ثلاثة أشخاص لهم في نفسي مكانة سامية، وفي عقلي منزلة عالية، وفي قلبي قيمة غالية، وهم يتسمون باسم واحد هو محمد بن عبد الكريم... وأما ثالث الثلاثة فهو الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري"⁽¹⁾.

المبحث الثاني: تفسير من توجيهات القرآن الكريم ومنهجه فيه:

المطلب الأول: وصف الكتاب:

عنوانه: من توجيهات القرآن العظيم.

عدد أجزائه: ستة.

الطباعات: طبع الكتاب طبعة واحدة، وهي هذه الطبعة الأولى، ولم يطبع مرة أخرى في حدود اطلاعي.

الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

مكان النشر: طرابلس، ليبيا.

سنة النشر:

ج1: تفسير سورتَي الفاتحة والبقرة: 1371هـ-2003م.

ج2: تفسير سورة آل عمران، إلى الآية الخمسين من سورة المائدة: 1376هـ-2008م.

ج3: تفسير سورة المائدة من الآية الحادية والخمسين إلى سورة التوبة، 1376هـ-2008م.

ج4: سورة يونس، إلى سورة الحج، 1378هـ-2010م.

ج5: من سورة المؤمنون إلى سورة فصلت، 1378هـ-2010م.

(1) جريدة الشروق، ع 8644، 2014/11/17، ص15.

ج6: من سورة الشورى حتى سورة الناس، 1378هـ-2010م.

مجموع عدد الصفحات: مع الفهارس 3196 صفحة.

كتب في نهاية الجزء الأول: "حُرِّرَ بمدينة باريز صباح يوم الخميس في السابع والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ألف وتسعمائة وثمانين للميلاد 1986/11/27 م"⁽¹⁾.

وقد ألف كتابا جعله كمقدمة لهذا التفسير سماه: مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير.

المطلب الثاني: منهج محمد بن عبد الكريم في تفسيره:

يبدو أن الدكتور محمد بن عبد الكريم قد تأثر في منهجه إلى حد بعيد بتفسير إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن لأحمد عبد السلام أبو مريزق، حتى في عنوانه والتركيز على التوجيهات القرآنية، وقد قال عن منهجه في تفسيره: "وقد انتهجنا في عملنا هذا انتهاج التّوحي في التوضيح، والأخذ بكلّ ما هو صريح، لكلّ مَنْ أراد أمانة النّقل الأمين، وحصافة العقل الرزين، مرتجين من الله أن ينفع بما لفظناه وحرّزناه كلّ مَنْ قرأ مبناه وتفهّم معناه"⁽²⁾.

وقد كان سيره في التفسير على طريقة واضحة مطردة من أول تفسيره إلى آخره، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

يبدأ بذكر اسم السورة، ويذكر في الهامش سبب التسمية ومعنى الاسم، وأسمائها الأخرى إن وجدت، قال عن سورة البقرة: "سميت هذه السورة ببقرة بني إسرائيل التي ذكرت فيها أربع مرات، وذلك لعظم قصتها الخارقة للعادة، وسميت- أيضا- فُسطاط القرآن لما جاء فيها من الأحكام التي لم تُذكر في غيرها من سائر السور، وسميت- كذلك- سنام القرآن، وسنام كل شيء أعلاه"⁽³⁾.

(1) محمد بن عبد الكريم، من توجيهات القرآن العظيم، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1371هـ-2003م، ج1، ص476.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص3.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص35.

يُبين مكية هي أو مدنية، وأحيانا يُغفل ذلك، "سورة الفاتحة مكية"⁽¹⁾، "سورة البقرة مدنية"⁽²⁾.

يذكر عدد كلماتها أحيانا.

أحيانا يذكر عدد حروف السورة.

يذكر عدد آياتها، ويذكر في الهامش عدد آيات الأحكام فيها، قال في سورة البقرة: "وهي مائتان وست وثمانون آية"، وقال في الهامش: "منها تسعون آية خاصة بالأحكام"⁽³⁾.

وأحيانا يذكر الخلاف في عد الآيات في المتن أو الهامش، مثل عدد آيات الفاتحة، قال في الهامش: "قال محمد بن العربي في أحكام القرآن: لا خِلافَ أَنَّ الْفَاتِحَةَ سَبْعُ آيَاتٍ، فَإِذَا عَدَدَتْ فِيهَا {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} آيَةً اطَّرَدَ الْعَدَدُ، وَإِذَا أَسْقَطْتَهَا تَبَيَّنَ تَفْصِيلُ الْعَدَدِ فِيهَا.

قُلْنَا: إِنَّمَا الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْعَدَدِ فِي قَوْلِهِ: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} هَلْ هُوَ خَاتِمَةُ آيَةٍ أَوْ نِصْفُ آيَةٍ؟ وَيُرَكَّبُ هَذَا الْخِلَافُ فِي عَدِّ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْلَهُ: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} خَاتِمَةُ آيَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ تَامٌ مُسْتَوْفٍ، فَإِنْ قِيلَ: فَلَيْسَ بِمُقْفًى عَلَى نَحْوِ الْآيَاتِ قَبْلَهُ.

قُلْنَا: هَذَا غَيْرُ لَازِمٍ فِي تَعْدَادِ الْآيِ، وَاعْتَبَرَهُ بِجَمِيعِ سُورِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ تَجِدُهُ صَحِيحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قُلْنَا"⁽⁴⁾.

وعموما كانت طريقتة في ذكر اسم السورة وعدد آياتها... كالآتي: "سورة المؤمنون، هي مكية آياتها مائة وثمان عشرة آية عند الكوفيين، وهي عند البصريين مائة وتسع عشر آية. وكلماتها ألف وثمانمائة وأربعون كلمة، وحروفها أربعة آلاف وثمانمائة حرفاً"⁽⁵⁾.

ثم يذكر آية أو مجموعة آيات، وأحيان في قصار السور يسردها كاملة.

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 35.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 35.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 21.

(5) المرجع نفسه، ج 5، ص 5.

ثم يبدأ بعنوان شرح المفردات: يُبيّن فيه معاني بعض مفردات الآية بإيجاز غالبا، وتارة ينقل عن كتب اللغة والتفسير، وتارة لا يفعل ذلك، مثال ذلك: "فَبَلَّغْنَا قَارِئًا وَشَارِفًا، أَجْلَهُنَّ: انقضاء مدة عدتهن، ضرارا: مضرة، لتعتدوا: لتظلموا وتجاوزوا الحدود الشرعية..."⁽¹⁾.

ثم يضع عنوانا: مجمل المعنى: ويذكر ما تدل عليه الآيات بإيجاز، وأحيانا يغفل ذكر المعنى الإجمال لوضوحه، مثال ذلك: قوله: "... ولا داعي إلى ذكر مجمل المعنى لوضوح معنى الآية"⁽²⁾.

وأحيانا يغفل بعض العناصر السابقة لوضوحها، كشرح المفردات، أو التوجيهات، كما فعل في الآية الثالثة من سورة الفرقان، حيث ذكر مجمل المعنى فقط⁽³⁾.

وأحيانا يدمج بين شرح المفردات ومجمل المعنى، فيقول: شرح المفردات مع مجمل المعنى. ثم يذكر التوجيهات: وهذه التوجيهات تختلف في موضوعها وعددها، وبعض السور لا يذكر فيها توجيهات خاصة في قصار السور مثل العاديات، والعصر، والهمزة... وهو يذكرها دون عنوان فيقول: التوجيه الأول، التوجيه الثاني... وهكذا، لكن في فهرس الجزء الأول نجد لها عناوين.

اهتم بأسباب النزول، ويكون في التوجيهات، وكثيرا ما يكون في التوجيه الأول، مثل ما ذكره في تفسير آيات الحج من سورة البقرة 197-203⁽⁴⁾.

اعتمد على التفسير بالسنة، فمثلا عند قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: 283]، قال: "التوجيه الحادي عشر: أن قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ يُفسّره قوله عليه الصلاة والسلام: «على اليد ما أخذت حتى يُؤدّيه»،

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 331.

(2) المرجع نفسه، ج 5، ص 78.

(3) المرجع نفسه، ج 5، ص 83.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 265-266.

وقوله: «مَنْ أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ يُرِيدَ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدَ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»، وقوله: «الدَّيْنُ دَيْنَانِ: فَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَنْوِي قَضَاءَهُ فَأَنَا وَلِيُّهُ، وَمَنْ مَاتَ لَا يَنْوِي قَضَاءَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ يَوْمُئِذٍ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»، وقوله: «الدَّيْنُ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ، وَلَيْسَ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ»⁽¹⁾.

وكان يفسر بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك قوله: «{هونا}: أحسن تفسير لما أُريد بهذه اللفظة هو ما كان من مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان إذا مشى كأنما ينحطُّ من صعب، وكأنما الأرض تُطوى له، وفي الحديث الشريف: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم فاتموا» رواه البخاري ومسلم»⁽²⁾.

في الاعتماد على الأحاديث، يقوم بتخريجها في الهامش من مصادرها، إلا في بعض المواضع فقد خرجها من غير كتب الحديث مثل قوله: «رواه أبو السعود محمد العمادي، عن علي بن أبي طالب عند تفسيره للآية الواحدة بعد المائة من سورة المائدة»⁽³⁾.

وفي مواضع كثيرة كان يذكر التخريج في المتن، ومثال ذلك: قوله: «وأولاده في طاعة الله، ومن أطاع الله فلا يعصي من أمره الله بطاعته، وعباد الرحمن ما طلبوا إلا ذلك ففتحوا أعينهم به قال رسول الله ﷺ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي» رواه الحاكم عن أنس بن مالك، وقال: «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوه» رواه مسلم، والإمام أحمد، وغيرهما، عن أبي هريرة»⁽⁴⁾.

وأحيانا يذكر الحديث دون تخريج، ومثال ذلك:

لم يهتم بذكر القراءات كثيرا، مثل كلمة جبريل، حيث نقل عن ابن الجوزي مذاهب

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 460.

(2) المرجع نفسه، ج 5، ص 108.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 108.

(4) المرجع نفسه، ج 5، ص 111.

العرب فيها ومن قرأ بكل وجه منها، وهي⁽¹⁾: جَبْرِيل، جَبْرِئِيل، جَبْرَيْل، جَبْرَائِيل، جَبْرَائِيل، جَبْرَائِيل، جَبْرَيْن، جَبْرِين، جَبْرَائِل، جَبْرَائِينَ.

يستشهد بالشعر، ويذكر البحر في الهامش مع الاهتمام بضبط البيت بتشكيله كاملاً، وأحياناً يذكر الشاعر وأخرى لا يذكره، مثل قوله في شرح الاستعاذة: "وقال الراجز العربي:

قَالَتْ وَفِيهَا حَيْدَةٌ وَذُعْرُ عَوْذُ بَرِّي مِنْكُمْ وَحُجْرُ"⁽²⁾.

ومثل قوله: "وفي هذا المعنى بالذات أنشد هدبة بن خشرم، فقال:

وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضاً مُقَارِباً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وَكُنْ مَعْدِناً لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَى مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبّاً مُقَارِباً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ"⁽³⁾.

اهتم أحياناً بالتفصيل في بعض المسائل الفقهية، مثل أحكام الربا حيث أخذت منه أكثر من أربعين صفحة⁽⁴⁾.

يهتم بتكييف النوازل الفقهية المعاصرة، مثلاً عند كلامه عن الربا تحدث عن الفوائد المصرفية، وتبديل عملة بأخرى⁽⁵⁾.

اهتم بإزالة الإشكالات التي قد ترد على الآيات على طريق السؤال والجواب، كتعارض ظاهر آيتين، مثل مسألة سبق خلق الأرض على خلق السماء، حيث اختار أن الأرض خلقت أولاً عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: 29]، ثم قال: "فإن قال قائل: إن فهمكم لهذه الآيات يخالف فهمنا لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا 27 رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا 28

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 134-135.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 5.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 25.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 411-450.

(5) المرجع نفسه، ج 1، ص 437-450.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا 29 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا 30 أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا 31 وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا 32 مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ 33﴾ [النازعات: 27-33]، فقلوه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ صريح في إيجاد الأرض بعد إيجاد السماء.

قلنا: إن دحي الأرض في الآية الكريمة هو بسطها وتمديدتها بإخراج مائها ومرعائها، وإرساء جبالها، كما هو مُفسَّر ومُبيَّن في الآية بعد.

وهذا لا ينافي أن الله خلق الأرض أولا، ثم السماء ثانيا، ثم عاد بعد ذلك إلى الأرض فدحاهما بإخراج ما كان مودعا فيها بالقوة إلى الفعل، فشق فيها الأنهار، وفجر الينابيع، وأثبت الجبال، وميز الرمال عن الأكام والسهول، وهلم جرا⁽¹⁾.

يحرص على ذكر نظائر⁽²⁾ الآيات، بل في كثير من المواضع تكون التوجيهات عبارة عن ذكر النظائر، كما يذكر الآيات التي تدور حول المعنى نفسه، كقلوه: "قلوه تعالى: ﴿لَنُخَيِّبَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْنًا﴾ [الفرقان: 49]، نظيره قلوه: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]"⁽³⁾.

وقلوه: "قلوه تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، فلمهذه الآية نظائر كثيرة في القرآن، منها قلوه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 73]... قلوه تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: 53]، نظيره قلوه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ 19 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ 20 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 19-21]، وقلوه: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 61]"⁽⁴⁾.

اهتم بالحقائق العلمية الحديثة التي أشار إليها القرآن الكريم، بل أحيانا يرد على العلماء

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 63-64.

(2) ويظهر أنه لا يقصد بمصطلح النظائر المتعارف عليه في علم الوجوه والنظائر في كل المواضع، بل يشمل كل الآيات التي تدور حول المعنى نفسه.

(3) ج 5، ص 102-103.

(4) ج 5، ص 102-103.

التجريبين بالقرآن والعقل، فنراه مثلاً ينفي إمكان الحياة خارج الأرض من الكواكب الأخرى، يقول في ذلك: "أن استقرار البشر وتنعمهم لا يمكن لأي منهما أن يتأتيا إلا على سطح الأرض التي منها خلقوا وفيها يُقبرون، ومن رام دوام العيش والتمتع والاستقرار على كوكب آخر غير الأرض فقد رام المحال، فهذا ما فهمناه من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 36]، ومن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ 24 قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 24-25]، وغير ذلك من صريح الآيات الأخرى.

والسبب في ذلك أن عناصر حياة المخلوقات الأرضية غير متوفرة في غير كوكب الأرض من سائر كواكب الأزمنة والأمكنة، فهذا ما يؤكده علماء الطبيعة، وباركه علماء الدين، ويقطع به الواقع الملموس في نظام الله في ملكوته.

وهذا ما يفند مزاعم «العلم الحديث ويبطل تكهنات أصحابه المستندين إلى تجاربهم المقيدة واكتشافاتهم المحدودة دون أن ينظروا في سنة الله التي لا تبدل لها في تسيير الأكوان. فإن قال قائل: إن الاختراعات الحديثة قد توصل بها أصحابها إلى جعل الإنسان يضع أقدامه فوق سطح بعض الكواكب السماوية - من غير الأرض التي منها خلق ككواكب القمر مثلاً.

قلنا: إن ذلك لم يكن على سبيل الاستقرار الدائم ولا التمتع الطائل، وإنما قد كان - وما زال - مؤقتاً عابراً، وبالإضافة إلى ذلك فإن عناصر الحياة المزوّدة بها الواصل إلى القمر كانت من مواد الأرض حقاً يقيناً، كـ «الأكسجين» مثلاً.

ولو أن علماء «العلم الحديث تدبروا مضمون القرآن الكريم لكفاهم تعب ما يصبون إليه دون جدوى، ولأغناهم عن دقائق مغيبات الأكوان والعوالم»⁽¹⁾.

ينقل أحياناً عن الكتب السماوية السابقة، مثل قوله: "وجاء في أحد أسفار العهد القديم الذي هو الآن بيد اليهود والمسيحيين: إن أقْرَضَتْ فِضَّةً لَشُعْبِي الْفَقِيرَ الَّذِي عِنْدَكَ، فَلَا تَكُنْ

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 74-75.

له كالمُرَّابي، لا تصنعوا عليه رياءً⁽¹⁾.

تنزيل الآيات على الواقع، كما في قوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وهذا باد في قولهم: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا، جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم!، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطَرْنَا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»، وما أكثر أصحاب هذا القول في زماننا⁽²⁾.

أحياناً يترجم باختصار لبعض الأعلام في الهامش مثل عيسى بن دأب⁽³⁾، وصهيب الرومي رضي الله عنه⁽⁴⁾.

يحيل على كتبه للاستزادة حول المسألة، وذلك في الهامش غالباً، كقوله: "انظر كتابنا: الحكم الشرعي لرؤية الهلال بالأبصار وإبطال نظرية الحساب الفلكي في الصوم والإفطار"⁽⁵⁾، ومثل قوله: "انظر كُتَيْبْنَا: الدين الإسلامي عقيدة وشريعة. طرابلس الغرب، 1986، مطبعة الدعوة الإسلامية"⁽⁶⁾.

وقد يُحيل في المتن، مثال ذلك: "وقد أشبعنا الحديث عن هذا الموضوع في كتابنا المساجد القرار من جديد"⁽⁷⁾.

المطلب الثالث: مصادر تفسيره:

لقد اعتمد محمد بن عبد الكريم في تفسيره على مصادر كثيرة في علوم مختلفة، ينقل

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 419.

(2) المرجع نفسه، ج 5، ص 268.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 102.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 268.

(5) المرجع نفسه، ج 1، ص 249.

(6) المرجع نفسه، ج 1، ص 472.

(7) المرجع نفسه، ج 5، ص 64.

منها أو يحيل عليها، مما يدل على سعة اطلاعه، وفيما يأتي تصنيف لهذه المصادر:

في العقيدة وعلم الكلام:

الرسالة الأشعرية للبيهقي.

معارج القدس في معرفة مدارج النفس، للغزالي.

في الفقه:

أحكام القرآن، لابن العربي.

أحكام القرآن، للجصاص.

إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية.

بداية المجتهد، ابن رشد الحفيد.

تعاليق على كتاب اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، لجمال الدين القاسمي.

سبل السلام، للصنعاني.

الفتاوى، لمحمد شلتوت.

المختصر النافع في فقه الإمامية، لجعفر بن الحسن الحلي.

المقدمات، لابن رشد الجد.

ألفاظ القرآن ولغته:

المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني.

تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة.

بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية.

التفاسير:

إرشاد العقل السليم، لأبي السعود.

الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال، لابن المنير.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي.

تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

تفسير المنار، لرشيد رضا أحيانا ينسبه لمحمد عبده.

جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

زاد المسير، لابن الجوزي.

الكشاف، للزمخشري.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي.

أسباب النزول:

أسباب النزول، للنيسابوري.

لباب النقول، للسيوطي.

علوم القرآن:

الإتقان، للسيوطي.

القراءات:

لطائف الإشارات، للقسطلاني أحمد.

السيرة النبوية:

السيرة النبوية، لابن هشام.

زاد المعاد، لابن قيم الجوزية.

الروض الأنف، للسهيلى.

الحديث وشروحه:

الصحيحان: البخاري ومسلم.

السنن الأربعة: الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه.

مستدرک الحاكم.

صحيح ابن حبان.

مصنف عبد الرزاق.

جامع الدار قطني.

الموطأ، للإمام مالك.

مسند الدارمي.

المعجم الأوسط للطبراني.

مشكل الآثار، للطحاوي.

فيض القدير، للمنาวى.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر.

مسند البزار.

مسند أبي يعلى.

مسند الفردوس، الديلمي.

جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر.

المعاجم اللغوية:

لسان العرب، لابن منظور.

الصحاح، للجوهري.

مختار الصحاح، للرازي.

القاموس المحيط، للفيروز أبادي.

التاريخ والتراجم:

تاريخ ابن عساكر.

كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، لابن إسحاق.

التاريخ الكبير، للبخاري.

تاريخ الخطيب البغدادي.

السياسة الشرعية:

السّير الكبير، لمحمد بن الحسن الشيباني.

شرح كتاب السير الكبير، للسرخسي.

السعي المحمود في نظام الجنود، لابن العنابي.

الإسلام ومصالح الناس، لعبد الوهاب خالف.

المطلب الرابع: مميزات تفسيره:

كان لعصر المؤلف وثقافته أثر بارز في تفسيره، حيث ظهر ذلك بوضوح من خلال بعض

الميزات، ومنها:

تميز هذا التفسير بالإيجاز والبعد عن كل ما زاد عن بيان معنى الآيات من استطرادات

فقهية وعقدية ولغوية...

سهولة اللغة ومناسبتها للعصر.

عني بإخراج الكتاب وفق منهجية البحث العلمي الأكاديمي.

وظّف الهامش لزيادة الشرح والتعليقات.

اهتم باستخراج التوجيهات والفوائد من الآيات القرآنية.

جمع بين التفسير بالنقل والتفسير بالرأي.

الاستقلالية في الآراء، وتبرز من خلال الاختيار والترجيح بين الأقوال، ومناقشة الأدلة، مثلاً: اختار أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة ولا غيرها من السور⁽¹⁾، وفي مسألة وقوع الربا في الأوراق النقدية في تبادل العملات، حيث اختار عدم الربا فيها وذكر الأدلة التي استند عليها⁽²⁾، اختياره أن معنى القُرء هو الطُّهر⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]: قال: "التوجيه الثاني عشر: أن بعض المفسرين قد فهموا من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أن التقوى سببٌ لتحصيل العلم، وأنها متقدمة عليه في الوجود، ولم يدر هؤلاء المفسرون أنهم مخطئون في فهمهم، وأنهم لم يصيبوا محزّ الحقيقة، ولم يهتدوا إلى طريق الصواب المطلوب، والدليل على خطئهم وعدم إصابتهم قد جاء من الوجهة العقلية والنقلية معا..."⁽⁴⁾، وثم بين ذلك.

يتعقب على غيره، مثلاً نقل هذا النص: "قال عمر ابن الخطاب: لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين، فإني أخاف عليكم الرِّماء"، ثم علّق في الهامش: "وقد أسند محمد بن قيس الجوزية هذا النص برواية أبي سعيد الخدري إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي هذا الإسناد نظر. انظر أعلام الموقعين، ج 2 ص 155"⁽⁵⁾.

كانا نظيف العبارة في رده ما لا يرتضيه من الآراء، فعند كلامه عن البسملة عند شرح الرحمن الرحيم، قال: "ولا يُلتفت إلى زعم من زعم أن الرحمة من الله تعالى مجاز عن إنعامه

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 13-17.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 447-450.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 313-315.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 460-462.

(5) المرجع نفسه، ج 1، ص 416.

أو إرادته، مُعَلِّلاً ذلك الزعم بأنّ الرحمة من الأعراض النفسية المستحيلة على خالقها مع ذواتها، وقد غاب عن هذا الزاعم أن الله قد وصف نفسه بالرحمة كما وصفها بالعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وهي من الأعراض النفسية أيضاً، ولم يقل أحد من العقلاء: إنها حقيقة في المخلوق، مجاز في الخالق، وإنما هي صفاً تحقيقية في كل منهما، بَيِّدَ أنها تختلف باختلاف أنواعها حسب اختلاف الموصوفين بها..."⁽¹⁾ إلى آخر كلامه.

يذكر تاريخ إنجازهِ لبعض البحوث حول مسألة معينة والتي ضمنها تفسيره، مثال ذلك: في ختام حديثه عن الربا في الأوراق النقدية، قال في الهامش: "تم تحرير هذا البحث صبيحة يوم السبت، رابع شهر ماي لسنة خمس وثمانين وتسعمائة وألف 1985/5/4"⁽²⁾.

يُبيِّن في الهامش بعض المبهات التي قد ترد في النصوص التي ينقلها، مثلاً قال في المتن: "روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم، عن مَعْقِل بن يسار أنه زَوَّج أخته رجلاً من المسلمين..."⁽³⁾، ووضع هامش عند كلمة أخته، قال فيه: "اسمها جميلة بنت يسار"، وآخر عند كلمة رجلاً قال فيه: "اسمه أبو البدّاح".

المطلب الخامس: ملاحظات على الكتاب:

رغم أهمية هذا التفسير، إلا أنه يحتاج إلى طبعة جديدة لاستدراك بعض الملاحظات التي وقع فيها، ومنها:

الكتاب فيه أخطاء مطبعية، سواء في كتابة الكلمات، أو علامات الترقيم، أو أرقام الهوامش، مثلاً نجد خلافاً في ترقيم هوامش ص 21 ج 1، وفي ص 108 ج 1، أرقام الهوامش كلها 1.

يحتاج إلى توثيق بعض النقول.

شرح المفردات الغريبة في النصوص التي نقلها في الهامش دون الرجوع إلى المعاجم

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 11-12.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 450.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 332.

ومصادر اللغة الأخرى، مثلاً: قال: "بَدَأًا: متبادرين ومسرعين إلى إنفاق أموال اليتامى، خشية أن يكبروا فيأخذوها"⁽¹⁾.

وكذلك في تعريف المصطلحات، مثلاً قال: "الطلاق في الاصطلاح الشرعي: إزالة النكاح برفع العقد وحل الارتباط الحاصل بين الزوجين"⁽²⁾.

في تخريج الأحاديث يُحيل على كتب الحديث دون ذكر الباب ورقم الحديث ولا معلومات النشر، مثلاً: قال في تخريج حديث: «الدَّيْنُ قَبْلَ الوَصِيَّةِ، وَلَيْسَ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ»: "رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب"⁽³⁾، كما أنه لا يُبين درجة الحديث إذا كان في غير الصحيحين.

أحياناً قد يقع في التكرار مثال ذلك، قال في هامش ج 1 ص 265: "الحُمُس جمع أحمس، وهو الشديد الصَّلْب في الدين والقتال"، وهذا الكلام قد سبق في ج 1 ص 250 مع زيادة عليه، فكان الأفضل أن يحيل عليه.

أخطاء في التزام منهجية التوثيق التي ألزم بها نفسه.

خاتمة:

تطرقت في هذا البحث للتعريف بالشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري وبكتابه: مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، لذلك قسمته إلى قسمين كالآتية:

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري؛ تناولت فيه: مولده ونشأته، رحلاته، وظائفه، مؤلفاته، وفاته.

تفسيره: من توجيهات القرآن العظيم؛ تناولت فيه: الوصف الشكلي المادي، منهجه، مصادره، مميزات كتابه، ملاحظات على كتاب.

وتوصلت من خلال البحث إلى:

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 463.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 304.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 460.

أن الشيخ محمد بن عبد الكريم ترك ثروة علمية كبيرة في مختلف المجالات العلمية. كان ذو شخصية قوية مستقلة، له آراؤه الشخصية واختياراته، وذلك ما جلب عليه المضايقات والتهميش.

كتبه لم تشتهر ولم تنتشر ولم يُعَد طبعها.

تفسيره لم يدرس إلى حد الآن في حدود اطلاعي.

اتسم تفسيره بالإيجاز وسهولة اللغة، واتباع المنهجية العلمية الأكاديمية الحديثة.

يمكن تصنيف تفسيره ضمن الاتجاه الإصلاحية؛ فقد بناه على أساس التوجهات.

هذا، وأوصي بإعادة طباعة هذا الكتاب وباقي كتبه ونشرها؛ لأنها غير متوفرة، وبعضها في عداد المفقود.

كما أوصي الباحثين بدراسة كتب الشيخ واستخلاص آرائه وأفكاره، للاستفادة منها، وتقويم ما يحتاج إلى تقويم منها.

وكذا توجيه طلبة الجامعة إلى كتابة بحوث حوله وحول مؤلفاته في مذكرات تخرجهم.

وصلى الله وسلم على الرسول الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

الكتب:

محمد بن عبد الكريم، مقدمة في علوم القرآن وعلوم التفسير، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى.

محمد بن عبد الكريم، ديوان كشف الستار، نسخة لا يوجد عليها أي بيانات إلا اسم المؤلف وعنوان الكتاب، ولا رقم الإيداع القانوني.

محمد بن عبد الكريم، الثقافة ومآسي رجالها، مطبعة B.M، باريس.

دراز عبد الله، النبأ العظيم.

مقالات جرائد:

عبد المجيد بن دادو، أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته 1، جريدة صوت الأحرار، العدد 5816، بتاريخ 05 مارس 2017م، ص18.

أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته 2، جريدة صوت الأحرار، العدد 5817، بتاريخ 06 مارس 2017م، ص18.

أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته 3، جريدة صوت الأحرار، العدد 5818، بتاريخ 07 مارس 2017م، ص18.

أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته 4، جريدة صوت الأحرار، العدد 5819، بتاريخ 08 مارس 2017م، ص18.

أضواء على حياة الأديب المشاكس؛ الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في ذكرى وفاته الحلقة الأخيرة، جريدة صوت الأحرار، العدد 5820، بتاريخ 09 مارس 2017م، ص18.

محمد الهادي الحسني، محمد بن عبد الكريم، جريدة الشروق، العدد 8644، بتاريخ 17 نوفمبر 2014، ص15.

"الشروق" تُكرم العلامة محمد بن عبد الكريم الجزائري؛ "بلخوجة" صاحب 67 مؤلفاً.. أحرقت فرنسا كتبه واحتضنه القذافي، جريدة الشروق، العدد 13326، بتاريخ 16 جوان 2017م.

الشيخ أبو بكر الجزائري مفسراً

د.المسعود جمادي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة.

*ملخص المداخلة

ويمكن تلخيص المداخلة في العناصر الآتية:

* الشيخ أبو بكر جابر الجزائري اللّيوّي البسكريّ الجزائريّ المدنيّ، والمولود سنة 1921م، والمتوفّي سنة 2018م.

* كانت للشيخ أبي بكر جابر الجزائري نشاطات فكرية متنوّعة كالوعظ، والإرشاد، والفقه، والإصلاح عموماً والتفسير خصوصاً.

* ظل الشيخ أبو بكر جابر الجزائري يفسّر القرآن الكريم مشافهة أكثر من خمس وأربعين سنة في المسجد النبوي.

* وتوّج هذا التفسير الشفوي بتأليف تفسير وحاشية عليه أسمى هذا العمل التفسيري بـ[أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير] وبهامشه [نهر الخير على أيسر التفاسير].

* الدافع من وراء هذا العمل التفسيري تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين، اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً.

* لقد نال تفسير أبي بكر الجزائري مكانة مرموقة، فكان قبلة لمختلف فئات المجتمع من عامة الناس، إلى طلبة العلم، إلى صفوف

الباحثين والمختصين، وكل حسب حاجته المطلوبة، وغايته المنشودة، ولذلك تعددت الطباعات نظرا للطلب المتزايد.

*وقد وُصف تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري [أيسر التفاسير] بأوصاف مختلفة، وبنعوت متنوعة من زوايا عدة، يكمل بعضها

بعضها ليكون في الأخير تفسيرا ذا قيمة علمية مرموقة، وإضافة معاصرة في الجانب التفسيري لكلام الله تعالى.

*وُصف عمل الشيخ التفسيري بكونه مختصرا، وذا اتجاه إجمالي، ومثالا عن أمثلة الرأي المحمود، وذا نزعة تربوية إرشادية، وحاويا

على شق لغوي نسبي إلى حد ما.

* تميّز العمل التفسيري للشيخ أبي بكر جابر الجزائري بسهولة العبارة، وسلامة اللغة، وجزالة التركيب، وقوته، وقربها من الفهم؛

بلغة عصرية يفهمها عامة الناس، وقد أثنى على تفسيره الكثير من العلماء والدعاة.

الكلمات المفتاحية:

أبو بكر، جابر، الجزائري، مفسرا.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Sheikh Abu Bakr al-Jazairi as a Qur'an Commentator

Abstract

This paper can be summarized in the following points:

Sheikh Abu Bakr Jabir al-Jazairi, originally from Lioua El-Oued and Beskra in Algeria, later settled in al-Madina al-Munawwara. He was born in 1921 and passed away in 2018.

Sheikh Abu Bakr Jabir al-Jazairi engaged in various intellectual and religious activities, including preaching, guidance, jurisprudence, reform, and—most notably—Qur'anic exegesis.

He devoted over forty-five years to orally interpreting the Qur'an in the Prophet's Mosque in Madinah.

He crowned his long oral teaching with a written commentary and marginal notes entitled *Aysar al-Tafāsīr li-Kalām al-'Alī al-Kabīr* The Easiest Exegesis of the Words of the Most High, accompanied by his gloss *Nahr al-Khayr 'alā Aysar al-Tafāsīr* The River of Goodness on the Easiest Exegesis.

The motivation behind this exegetical work was to make the meanings of the Divine Book more accessible to ordinary Muslims, in belief, practice, and ethics.

Al-Jazairi's *Aysar al-Tafāsīr* earned a distinguished status, becoming a reference for various segments of society—from the general public to students of knowledge and academic researchers—each finding in it the guidance suited to their needs. Its popularity led to numerous reprints due to increasing demand.

The work has been described in various ways from different perspectives, each complementing the other, forming together an exegetical contribution of high scholarly value and a contemporary addition to Qur'anic interpretation.

His exegesis has been characterized as concise, general in orientation, an example of commendable opinion-based interpretation *tafsīr bi al-ra'y al-mahmūd*, educational and guiding in nature, and containing a moderate linguistic dimension.

Sheikh Abu Bakr Jabir al-Jazairi's exegetical style is marked by clarity, linguistic accuracy, eloquent structure, and accessibility. His modern yet simple language made the Qur'anic meanings understandable to all, earning praise from numerous scholars and preachers.

Keywords: Abu Bakr, Jabir, al-Jazairi, Qur'an commentator.

*التعريف بموضوع المداخلة وبيان أهميته:

*إنّ علم التفسير يعتبر أشرف العلوم، لأنّ موضوعه أساس علوم الإسلام، ومدار الأحكام، وحبل الله المتين، ونوره المبين، ولأنّ غايته هي الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى، وهما أشرف الغايات، وأجداهما نفعاً⁽¹⁾، ولذلك انبرى علماء الإسلام قديما وحديثا، وسلفا وخلفا على مرّ العصور والأزمان ففسّروا كلام الله تعالى بين موسّع ومختصر، وكل حسب تخصّصه الذي برع فيه، فجاء التفسير اللغوي، والتفسير الفقهي، والتفسير العام... ومن هؤلاء الأعلام المعاصرين الذين كانت لهم بصمة واضحة في التفسير مشافهة وكتابة، تدريسا وتأليفا الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الذي أفنى عمره في الدعوة والإرشاد والتدريس والتأليف عموما وفي علم التفسير خصوصا، والذي أخرج لنا تفسيراً هاماً، سهلاً واضحاً، مليئاً بالدرر، وعامراً بالجواهر الكثر، هو بداية المجتهد ونهاية المقتصد، يستحق أن يكون في كل بيت مسلم ليقراه أهله ويتمثّلوه عملاً، فأسماه [أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير] فكان لاسمه منه على مضمونه نصيب، وحلّاه بحاشية زادته رونقا وجمالا ضمّنها إياه منعنا لها ب[نهر الخير] ولذلك جاءت مداخلتني بعنوان: [الشيخ أبو بكر جابر الجزائري مفسراً] قصد المشاركة بها في الملتقى الوطني حول [إسهامات علماء الجزائر في العلوم الإسلامية التفسير والمفسرون]،

(1) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني، رسالة دكتوراة، ط1/1426هـ/ دار ابن الجوزي [25].

بقسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم

الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية.

*إشكالية الموضوع: هناك تساؤل رئيس يعبر عن إشكالية الموضوع بصفة عامة، وتساؤلات فرعية جزئية تجمل عناصر الموضوع وتفصيلاته.

.التساؤل الرئيس: هل يعتبر الشيخ أبو بكر جابر من المفسرين الجزائريين المعاصرين ؟
.التساؤلات الفرعية الجزئية: من هو الشيخ أبو بكر جابر الجزائري؟، وما مدى اهتمامه بعلم التفسير؟، وما مكانة تفسيره بين مختلف التفاسير القديمة والمعاصرة؟ وما ميزاته؟، وما منهجه فيه من حيث العموم والتفصيل؟

*دوافع المداخلة: ويرجع ذلك لأسباب، ومنها:

1. الرغبة الشخصية في البحث في المواضيع التي تُعنى بعلماء الجزائر عموما وبالمفسرين منهم خصوصا.
2. كون موضوع إسهامات علماء الجزائر في التفسير متعلقًا بشقين: الشق الأول: يُعنى بأكمل وأفضل كلام وهو كلام الله تعالى، والشق الثاني: يتعلّق بتناول التفسير من طرف علماء جزائريين معاصرين.
3. إن المجتمع الإسلامي الجزائري المعاصر بحاجة ماسة إلى من يخاطبهم بلغة العصر في مختلف شؤونهم عموما وفي العلوم الشرعية خصوصا، وفي تفسير كلام الله تعالى على أخص الخصوص من أجل الاعتقاد الصحيح، والعمل المشروع، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

*أهداف البحث وأهميته: وبناء على ذلك فإنّ هذه المداخلة تهدف إلى:

1. التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري بحياته؛ الشخصية والعلمية.
 2. التعريف بتفسيره [أيسر التفاسير] ومكانته وميزته.
 3. التعرف على منهج الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في تفسيره من حيث العموم والتفصيل.
- *عناصر البحث: إن التساؤلات السابق ذكرها في الإشكالية بنوعها نجيب عنها وفق هذه الخطة في العناصر الآتية:
- وقد حوت هذه المداخلة مطلبين وفي كل مطلب فرعان، ومقدمة وخاتمة:
- المقدمة/ المطلب الأول : التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري، وفيه فرعان: الفرع الأول: التعريف بحياة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري الشخصية/ الفرع الثاني: التعريف ببحياة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري العلمية / المطلب الثاني: التعريف بتفسير
- الشيخ أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] ومنهجه العام والتفصيلي فيه، وفيه فرعان: الفرع الأول: التعريف بتفسير الشيخ [أيسر التفاسير] ومنهجه العام فيه / الفرع الثاني: منهج الشيخ التفصيلي في تفسيره [أيسر التفاسير] / الخاتمة.
- المطلب الأول : التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري:
- الفرع الأول: التعريف بحياة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري الشخصية:
- أولا. اسمه ونسبه ومولده ونشأته⁽¹⁾:

(1) العلامة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: الدكتور عباس رضوان، والدكتور بن معمر بوخضرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة غليزان، المجلد: 08، العدد: 01، 2022م، [1205 وما بعدها]، ورابط الموقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856>، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: علي بن ميله، رسالة دكتوراة في العلوم الإسلامية، اللغة العربية والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور منصور كافي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، 1443هـ/1444م/2022م/2023م [65 وما بعدها]، أبو بكر جابر الجزائري وكتابات

1. اسمه ونسبه: هو الشيخ الفاضل الكريم أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، واسمه أبو بكر، والكنية هي الاسم، واسم أبيه موسى بن عبد القادر بن جابر، وجابر جده الأكبر، وكنية الشيخ أبو عبد الرحمن⁽¹⁾.
2. مولده ونشأته ولد رحمه الله تعالى، بالنواة القديمة أو ما يعرف بالدشرة القديمة، أي أنه ينتمي لعرش جابر المعروفين ببساطتهم وتعلقهم بالدين⁽²⁾، بقرية/بلدية ليؤه بكسر اللام مع المد، وفتح الواو ثم بعدها هاء، وهي قرية زراعية من قرى مدينة بسكرة بينها، وبين بسكرة أربعون كيلومتراً، وكان مولده عام 1342هـ/1921م وتوفي والده في عامه الأول، فنشأ يتيماً في حجر أمّه⁽³⁾.

في السيرة النبوية: الأستاذ دواوي فرادي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي التبسي، العدد الثالث عشر [183 وما بعدها]، الاتجاه الاجتماعي في تفسير أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمع الإسلامي: أمينة بوذيب، والدكتور عبد القادر شكيمة، مجلة الشهاب، المجلد: 09، العدد: 03، 2023م [141]، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: الدكتور المسعود جمادي، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019م.

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع: <http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=26357>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ /الزيارة 1 جانفي 2019م، مركز سلف للبحوث و الدراسات: أعلام السلفية 13 ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى، على الموقع <https://salafcenter.org/wp-content/uploads/2018/08>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ /الزيارة 1 جانفي 2019م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) الموقع: <https://www.ennaharonline.com>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ /1 جانفي 2019م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(3) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلا أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري: الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري، مجلة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، العدد العاشر، على الموقع: <http://uqms.edu.ye/content/uploads/2016/05>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ /1 جانفي 2019م، ص 138، الملتقى الفقهي على الموقع: <http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=18449>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م، الجامع في تراجم العلماء القدماء والمعاصرين، على الموقع:

ثانيا. أبناء الشيخ وصفاته وأخلاقه:

1. أبناؤه⁽¹⁾: له ابن واحد، وهو الدكتور عبد الرحمن بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وله من البنات تسع عفيفات، صالحات، ومن الأحفاد، والأسباط ما يفوق الستين عدداً.

2. من صفات الشيخ وأخلاقه⁽²⁾:

أ. من صفاته الخُلُقِيَّة: هو رجل مربع القامة إلى القصر ما هو ببعيد، أبيض اللون مشرباً بحمرة، كث اللحية، وابتضت في الآونة الأخيرة، وشيبته حسنة.

ب. من صفاته الخُلُقِيَّة: يمتاز الشيخ رحمه الله تعالى بالرفق، واللين فهو دمث الأخلاق لئن المعشر، صلباً في الحق، صفاته صفات العلماء العاملين. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً. متواضع في ملبسه، ومسكنه، ومركبه، ومطعمه، ومشربه مع الكبير، والصغير، والفقير، والأمير، وهذا ما حبَّبه للعباد، طلق المحيا، هاشاً باشاً، فهو رجل دعوة، أمضى عمره المديد في الدعوة إلى الله عز وجل.

الفرع الثاني: التعريف بحياة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري العلمية:

أولاً. شيوخه وتلاميذه ووظائفه:

http://kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=26 تاريخ الزيارة: ربيع الآخر 1440هـ / 3 جانفي 2019

م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع نفسه، وتاريخ الزيارة نفسه، الجامع في تراجم العلماء القدماء والمعاصرين، المرجع السابق، وتاريخ الزيارة نفسه، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع نفسه، وتاريخ الزيارة نفسه، المكتبة الشاملة على الموقع: المرجع السابق، الجامع في تراجم العلماء القدماء والمعاصرين، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

1. طلبه العلم⁽¹⁾:

كانت أسرته؛ أباه، وأجداده حقاظ القرية للقرآن الكريم، يتوارثون ذلك، فنشأ في ذلك الجو المتدين، فأشرفت أمه على تعليمه، وتحفيظه القرآن الكريم، وغرست فيه الأخلاق الفاضلة؛ كالصدق، والأمانة فكانت خير معين له، وأتم حفظ القرآن في القرية، وسنه ستة عشر عامًا، أو أربعة عشر عاما على يد مشايخ المنطقة، منهم الشيخ بلقاسم قارة، والشيخ مسعود تمامي، كما كان له شرف إمامة الناس وعمره 16 سنة⁽²⁾، وتعلم القراءة، والكتابة في القرية. ولما سمع أن ببسكرة شيخا يعلم النحو، والفقه، وهو الشيخ عيسى معتوقي، استحضره إلى قريته، وأسكنه في داره، وأضافه، وخدمه في سبيل تعليمه، فدرس عليه الأجرومية، ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومصطلح الحديث، والمنطق، وأصول الفقه⁽³⁾ وغيره، فتعلم كثيرا من العلوم النقلية والعقلية.

ثم بعد ذلك انتقل إلى بسكرة فتعلم على مشايخ بها مثل: نعيم النعيمي، والطيب العقبي، وقد لازم الشيخ الطيب العقبي، وتعلم عليه، وكان الشيخ الطيب العقبي قد درس بالمسجد النبوي الشريف العقيدة الصحيحة الصافية على مشايخ الدعوة إبان دخول الحجاز تحت الحكومة السعودية، فتأثر الشيخ به وقد لازمه في دروس التفسير عدة سنوات في العاصمة الجزائرية، وهو من أفاضل مشايخه.

ولقد شارك الشيخ في مختف ألوان النشاط الإسلامي فعمل في حزب البيان الجزائري، ثم في شباب الموحدين، ومارس التعليم لكتاب الله تعالى مدة أربع سنوات، ثم في تعليم الأحداث من بنين وبنات لمدة أربع سنوات في العاصمة، وعمل في الصحافة فأنشأ مجلة الداعي، وبعد احتجاب الداعي أسندت إليه إدارة جريدة اللواء الناطقة بلسان شباب الموحدين، واستمر

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، وتاريخ الزيارة نفسه، مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) الموقع: <https://www.ennaharonline.com>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ/1 جانفي 2019م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(3) علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب، دار الشروق، القاهرة، ط4، 28/1، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

على إدارتها حتى ترك الجزائر مهاجرا إلى الحجاز في عام 1372هـ⁽¹⁾ فقدم إلى مكة للحج، والعمرة، والزيارة، وكان قصده بعد أداء فريضة الحج الرجوع إلى بلده إلا أن الإخوة الجزائريين المهاجرين المقيمين بالمدينة حبّبوها له البقاء للاستفادة منه، ولأسيما عمّه عيسى -رحمه الله- فتأثر الشيخ بذلك وفي فيها، وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخ المدينة، فلأزم حلقة الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، وكذلك الشيخ محمد الخيال، ورئيس قضاتها، وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح.

2. من شيوخه⁽²⁾:

* وفي حوار له مع موقع شبكة السنة النبوية، أوضح الشيخ أبو بكر الجزائري، أنّ من شيوخه في الجزائر الذين تتلمذ على أيديهم، الشيخ نعيم النعيمي، والشيخ عيسى معتوقي، والشيخ الطيب العقبي الذي لأزمه وتأثرت به.

* قال عن نفسه، وعن هجرته في بداية حياته: هاجرت إلى المدينة المنورة عام 1372هـ، فأخذت عن الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، والشيخ محمد الخيال، وغيرهم، فبدأت بالتدريس عام 1374هـ في المسجد النبوي الشريف، وفي عام 1379هـ، وحصلت على شهادة كلية الشريعة بالرياض، وعملت في ميادين الدعوة والإصلاح، فدعوت إلى فتح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وإنشاء رابطة للعالم الإسلامي، وإيجاد إذاعة للقرآن الكريم⁽³⁾.

أ. من مشايخه في الجزائر⁽⁴⁾:

(1). علماء ومفكرون عرفتهم: المرجع السابق 32، 33/1، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق.

(3) الموقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856>، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م.

(4) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق.

الشيخ نعيم النعيمي⁽¹⁾، والشيخ عيسى معتوق⁽²⁾، والشيخ الطيب العقبي⁽³⁾.

ب. من مشايخه في المدينة المنورة⁽⁴⁾:

الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، والشيخ محمد الخيال، والشيخ عبد العزيز بن باز.

وقد اهتم بالعلم الأكاديمي فانتسب لكلية الشريعة بالرياض، ونال شهادتها العالمية سنة: 1381هـ، كما حصل على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي، وبهذا يكون قد جمع بين علم الحلقات والدراسة داخل أسوار الجامعة⁽⁵⁾.

(1). ولد عام 1327هـ/1909م بمدينة سيدي خالد، غرب ولاية بسكرة، وهو عالم، وفقيه ماهر في الأصول، و الفروع على مذهب مالك رحمه الله تعالى، وأديب ماهر، وقد وافته المنية في 18/07/1973م. انظر: الدكتور محمد يعيش: الشيخ نعيم النعيمي و دوره الإصلاحي بمنطقة المسيلة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 2 رمضان 1438هـ/ماي 2017م عدد خاص بالندوة الوطنية الأولى المنظمة من قبل المخبر تحت عنوان إعلام منطقة الحضنة و دورهم في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، 23 ماي 2017م، ص[65 – 72]، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) الشيخ عيسى المعتوق من مواليد 1914م، بدوار الحميدات، بقرية المعاتيق، بلدية أولاد أعدي القبالة، و قد تنقل كثيرا، و يبدو أنّ المحطة الأخيرة كانت بالاستقرار في زاوية بسكرة، و قيل كان ذلك سنة 1946م، و عمل بزواياها لمدة معتبرة، و وافته المنية سنة 1962م. انظر: الدكتور حميدي أبو بكر الصديق: عيسى حمدي المعتوق 1914م/1962م، و دوره في الحركة الوطنية والثورة، المرجع نفسه، [73 – 80].

(3) الشيخ الطيب العقبي، ولادته و وفاته 1890م/1960م. انظر: حنان عدوان: الشيخ الطيب العقبي و دوره الإصلاحي 1890م/1960م، ماستر، تخصص تاريخ معاصر، إشراف الأستاذة شهرزاد شلبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قطب شتمة، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ 2012م/2013م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(4) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(5) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: علي بن ميلة، رسالة دكتوراة في العلوم الإسلامية، اللغة العربية والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور منصور كافي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر،

3. من تلاميذه⁽¹⁾ :

تخرّج على يديه كثير من الطّالّاب من الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير، أمّا في كلية الشريعة بالجامعة، والمسجد النبوي الشريف فلا يُحصى عدد ذلك إلا الله، و منهم:

الشيخ عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين، والأستاذ الدكتور الشيخ عدنان بن عبد العزيز الخطيري، والشيخ عبد الرحمن بن صدوق الجزائري، والشيخ إدريس بن إبراهيم المغربي، والشيخ حمزة بن حامد بن بشير القرعاني، والشيخ الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين، والشيخ الدكتور مختار بن الشيخ محمد الأمين، والشيخ الدكتور عمر بن حسن فلاته المدرّس بالمسجد النبوي، والشيخ عواد بن بلال بن معيض، والشيخ عبدالله بن فايز الجهني، والشيخ عبد الحليم نصار السلفي، والشيخ الدكتور حسام الدين عفانة، والشيخ صالح المغامسي إمام، وخطيب مسجد قباء، والدكتور الشيخ أبو عبد المعزّ محمد علي فركوس الجزائري⁽²⁾، وغيرهم.

1443هـ/1444هـ/2022م/2023م[72]، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، و الموقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856>، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م، العلامة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: الدكتور عباس رضوان، والدكتور بن معمر بوخضرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة غليزان، المجلد: 08، العدد: 01، 2022م، [1209 وما بعدها]، ورابط الموقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856>، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [74 وما بعدها]، أبو بكر جابر الجزائري وكتابات في السيرة النبوية: الأستاذ دوادي فرادي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي التبسي، العدد الثالث عشر [184 وما بعدها]، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(2) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، على الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

4. نبذة عن أخباره، وأعماله، والوظائف التي تقلدها⁽¹⁾:

عمل في التدريس بوزارة المعارف، وذلك في المدرسة المحمدية، وكذلك عمل في التدريس بالمدرسة السلفية، ثم بدار الحديث المدنية، ثم لما فتحت الجامعة الإسلامية انتقل إليها، وكان له دور فعال في إنشائها، حيث دعا إلى ذلك لدى المسؤولين، وأيضاً كان من الداعين إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وإذاعة القرآن الكريم، و كان مدرّساً، و واعظاً بمسجد النبي ﷺ لعقود طويلة، والذي قضى فيه أكثر من خمسين عاماً⁽²⁾.

* و قال الأستاذ سعد العتيبي: أمّ الشيخ أبو بكر الجزائري المصلين في المسجد النبوي في صلاة العصر عام 1413هـ عندما تأخّر إمام المسجد النبوي الشيخ عبد العزيز بن صالح.

* و ذكر عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي في كتابه أئمة الحرمين: [مشايخ كان لهم شرف الإمامة في المسجد النبوي]، و منهم [الشيخ أبو بكر جابر الجزائري]⁽³⁾.

* وقد زار بلاداً كثيرة للدعوة والإصلاح، من إندونيسيا شرقاً إلى المغرب غرباً إلى بلاد أوروبا وغيرها.⁽⁴⁾

* أحيل إلى التقاعد عام 1406هـ/1986م، ولكن منزله عامر بطلّاب العلم، وله دروس في منزله قبل الظهر في التفسير: أيسر التفاسير، وفي الحديث: صحيح البخاري، وموطأ مالك فضلاً عن دروسه في الحرم النبوي الشريف، وهي مستمرة في جميع ليالي الأسبوع ما بين المغرب

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري: المرجع السابق، الملتقى الفقهي، على الموقع نفسه، وتاريخ الزيارة نفسه.

(2) الموقع: <https://arabi21.com/story/1116020>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م.

(3) أئمة الحرمين 1343هـ/1433هـ: عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية/1432هـ، ص122.

(4) جزايرس على الموقع، <https://www.djazairiss.com/echorouk/1355>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ / 1 جانفي 2019م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

إلى العشاء، وبدأها مع بدء إجازته للتدريس⁽¹⁾.

ثانيا. مؤلفاته و أقوال العلماء فيه ووفاته:

1. مؤلفاته و آثاره⁽²⁾:

تميّزت مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى بسهولة الأسلوب، وجزالة التركيب، وقوته، وقرئها من الفهم؛ فتأليفه إصلاحية، ودعوية لتقريب، وتفهم الإسلام الصحيح الخالي من البدع، ومنها:

1. [الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو و الإجحاف].

2. [حرمة الابتداع في الدين وكل بدعة ضلالة].

3. [العلم والعلماء].

4. [منهاج المسلم] وهو من أكثر مصنفاته قبولا وانتشارا في البلدان العربية.

5. [عقيدة المؤمن].

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(2) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع نفسه، و تاريخ الزيارة نفسه، مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق، المكتبة الشاملة على الموقع نفسه، وتاريخ الزيارة نفسه، الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري: المرجع السابق، 137/136، العلامة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: الدكتور عباس رضوان، والدكتور بن معمر بوخضرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة غليزان، المجلد: 08، العدد: 01، 2022م، [1210 وما بعدها]، ورابط الموقع: <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856> تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [73 وما بعدها]، أبو بكر جابر الجزائري وكتابات في السيرة النبوية: الأستاذ دواوي فرادي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي التبسي، العدد الثالث عشر [184 وما بعدها]، الاتجاه الاجتماعي في تفسير أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمع الإسلامي: أمينة بوزيب، والدكتور عبد القادر شكيمة، مجلة الشهاب، المجلد: 09، العدد: 03، 2023م [142]، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

6. [أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير]، وبهامشه [نهر الخير على أيسر التفاسير] وهو تاج مؤلفاته.

2. من أقول العلماء فيه ⁽¹⁾:

* قال عنه الإمام حمّاد الأنصاري محدّث المدينة: رأيت في المنام الشيخ أبا بكر الجزائري يمشي، وهو لا لبس لباساً لم أر أحداً في الدنيا لا لبساً مثله، ومعه شخص آخر لا لبس لباساً أقل منه، فأولته بلباس التقوى.

* وقال عنه بدر المدينة الشيخ عبد المحسن العباد: وبعد انتقال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- من رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى رئاسة البحوث العلمية، والإفتاء بالرياض كان -رحمه الله- كلّما لقيتّه يسألني عن الدروس في المسجد النبوي، والمدرّسين فيه، ويخصّ بالسؤال عن الشيخ أبي بكر الجزائري.

* وخلاصة القول فيه أنّ الشيخ حفظه الله مجاهد؛ جاهد بلسانه، وماله في الدعوة إلى الله على بصيرة ⁽²⁾.

* قال الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري: [أبو بكر جابر الجزائري الذي قضى حياته في الدعوة، والإرشاد، والتدريس، والتأليف] ⁽³⁾.

* قال أبو ذر القلموني: [يرجع الفضل في جمع هذا الكتاب [كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري] لله وحده، ثم لمحبتي في الله الشيخ أبا بكر الجزائري، فلقد رأيته في الرؤيا يصعد سلماً أمام قبر النّبي ﷺ معتمداً بعمامة بيضاء تصل ذؤابتها قريباً من نصف ظهره، وقد علاه الوقار، ثمّ ذهبت إلى الروضة بمسجد النّبي ﷺ إلى آخر الرؤيا...

(1) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(2) معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(3) المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلالها أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

و من المعلوم عند علماء تأويل الأحلام أنّ الارتفاع في الرؤيا على الأرض رفعة عند الله تعالى، فازداد جبي لهذا الرجل، كما ازداد عند قراءتي من قبل لكتابه القيمّ منهاج المسلم⁽¹⁾.

* وقال كذلك صاحب الكتاب السابق الذكر: [و من فضل الله تعالى أنّه أثناء قيامي بمراجعة الكتاب رأيت الشيخ الجزائري في الرؤيا، وهو يعطي درسا بأحد المساجد، وفي أثناء الدرس توقّف فضيلته، وطلب مني أن أكمل الدرس مكانه، فوقع في ذهني أن أتكلّم عن محبة الله تعالى، أخبرني الأخ حامل الكتاب . بعد صدوره . إلى الشيخ الجزائري أنّه سرّ عند رؤية الكتاب]⁽²⁾.

* حظي الجزائري بتقدير الأوساط العلمية في البلدان العربية، والإسلامية، واعتبره الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين واحدا من أبرز العلماء الربانيين، والمفكرين الذين عرف عنه الورع، والتقوى، والعلم⁽³⁾.

* كما اكتسب مكانة مهمّة في الوسط الأكاديمي الشرعي من خلال عمله أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لأزيد من عشرين عاما⁽⁴⁾.

* وعُرف أبو بكر الجزائري على نطاق واسع بحكم ممارسته التدريس بالحرم النبوي الشريف خمسين عاما، ما أكسب دروسه، وكتبه زخماً كبيراً، ويُعدّ كتابه "مناهج المسلم" من

(1) كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(2) كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(3) الموقع: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/10/23>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر: المرجع السابق.

أكثر مصنفاته قبولا، وانتشاراً في البلدان العربية⁽¹⁾.

* وترحم الشيخ صالح المغامسي على الجزائري علماً أنه سبق وتعلم على يديه: رحم الله شيخنا أبا بكر جابر الجزائري، وغفر له، وجزاه عنا، وعن العلم، وأهله خير الجزاء، شرفت بالجلوس بين يديه في حلقة بالمسجد النبوي قبل ثلاثين عاماً، ونيف، عالم مبارك، عذب الحديث، عف اللسان، قريب من العامة، ناصح، محب لولاة الأمر، فاللهم اجر اجبر كسرنا، وارحم شيخنا.

* وبدوره كتب الداعية الدكتور خالد الخشلان مشاركاً في الوسم: حينما تتوارد الألسن تلقائياً في الثناء على إنسان بعد وفاته من غير تواطؤ تدرك عندها معنى قول النبي ﷺ: [أنتم شهداء الله في أرضه]⁽²⁾.

3. وفاته:

* لقد توفي الشيخ أبو بكر جابر الجزائري فجر يوم الأربعاء 4 ذو الحجة 1439 هـ، الموافق 15 أغسطس 2018م عن عمر ناهز 97 عاماً، بعد صراع مع المرض، وصلي عليه صلاة الجنازة بعد ظهر يوم وفاته في المسجد النبوي الشريف، ووري جثمانه الثرى في مقبرة البقيع⁽³⁾.

* وقد أدت جموع المصلين في المسجد النبوي في المملكة العربية السعودية، بإمامة الشيخ عبد الباري الثبتي صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر، على فضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري⁽⁴⁾.

(1) الخليج أونلاين، نبض الخليج العربي، على الموقع: <http://alkhaleejonline.net>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440هـ/30 ديسمبر 2018م، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(2) رواه البخاري في صحيحه، في الشهادات، باب تعديل كم يجوز، حديث رقم 2642، ومسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خيراً أو شراً من الموتى، حديث رقم 1949.

(3) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(4) الموقع: <https://www.elkhabar.com/press/article/142135>، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440هـ/30 ديسمبر 2018م، انظر الموقع: <https://arabic.euronews.com/2018/08/15/saudi-arabia-based->

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الشيخ [أيسر التفاسير] ومنهجه العام والتفصيلي فيه:

الفرع الأول: التعريف بتفسير الشيخ [أيسر التفاسير] ومنهجه العام فيه:

أولا. التعريف بتفسير الشيخ أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] ⁽¹⁾:

1. اسم تفسيره: وتفسير الشيخ أبي بكر الجزائري المسمى [أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير]، وهو الثابت في جميع طبعات

الكتاب، والدراسات التي تناولته بالبحث دون تغيير أو تعديل ⁽²⁾.

2. سبب تأليفه: من التفاسير الهامة المطبوعة، قال الشيخ رحمه الله تعالى عنه في مقدمته: "نظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعيّن

وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله تعالى، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، تبيّن فيه العقيدة

السلفية المنجية، والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية ملكة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل، وتبغيض الرذائل، والحث على

أداء الفرائض، واتقاء المحارم، مع التجمل بالأخلاق القرآنية، والتحلي بالآداب الربانية" ⁽³⁾.

فالدافع من ورائه تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين، وتجلية الأحكام

cleric-abu-bakr-al-jazairi-is-no-more، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م، / مركز سلف للبحوث و الدراسات: المرجع السابق، الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: المرجع السابق.

(1) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [785]، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [101 وما بعدها].

(2) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [101].

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر [5/1].

الشرعية لهم ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق،

وبالعمل بما شرع دون ما ابتدع مزين نفوسهم بذلك مكملين آدابهم مهذبين أخلاقهم⁽¹⁾.

فحرص من وراء ذلك تحقيق غرضين: جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم، وعدم تشتيت الذهن، والتوجيه نحو

العمل والاجتهاد بدل القول والجدل⁽²⁾.

3. طبعااته⁽³⁾: لقد نال تفسير أبي بكر الجزائري مكانة مرموقة، فكان قبلة لمختلف فئات

المجتمع من عامة الناس، إلى طلبة

العلم، إلى صفوف الباحثين والمختصين، وكل حسب حاجته المطلوبة، وغايته المنشودة،

ولذلك تعددت الطباعات نظرا للطلب

المتزايد.

إنّ من طباعات كتاب [أيسر التفاسير] أول نسخة صدرت عام [1407هـ]، وأعيد طبعه مرة

ثانية عام [1408هـ]، وفي كلا

الطبعتين كان في أربع مجلدات، ليتم إصداره مرة ثالثة في نسخة منقّحة، وقد وضع فيها

المؤلف حاشية مكتملة اسمها [نهر الخير

على أيسر التفاسير]، وجاءت هذه الطبعة في خمس مجلدات كبرى تمّ إصدارها

عام [1401هـ]، وهي تعد من أهم طباعات هذا

التفسير لأنها صحّحت وحقّقت، كما دعمت بأقوال وشواهد علمية.

وقد قامت مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة بطبع أيسر التفاسير ونشره عدة مرات،

فكانت الطبعة الأولى سنة 1416هـ

(1) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [102].

(2) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [103/102].

(3) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [106 وما بعدها].

1995م، ثم الطبعة الثالثة سنة 1418هـ/1997م، ثم نسخة رابعة سنة 2002م، ثم طبعة خامسة سنة 1424هـ/2003م.

وقد تعاونت دار الحديث بالقاهرة مع الدار نفسها في إصدار نسخة أخرى سنة 1423هـ/2006م، وهي متوفرة على الشبكة

العنكبوتية، كما أخرجت دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة إصدارا رابعا من هذا التفسير سنة 1992م.

4. مكانته وميزته: وقد قال عنه عبد الله الغامدي: "وهو كتاب شامل لتفسير كتاب الله، وميسر له ليفهمه عامة الناس"⁽¹⁾.

وهو ما يفهم من العنوان بأن فيه سهولة لشرح كلام الله عزّ وجلّ وتيسيره، وهذا لا يعني دنو مرتبته عن منزلة طلبة العلم والعلماء،

حيث قال أحمد شاكر: "ينفع المبتدئ، ولا يسغني عنه العالم"⁽²⁾.

وهذا التفسير نتاج وثمره انبرائه لتدريس التفسير ضمن دروسه في المسجد النبوي التي تذاع بإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية

السعودية، والذي استمرّ في تفسيره طيلة خمس وأربعين سنة ختم خلالها القرآن خمس مرات⁽³⁾.

فهو تفسير رصين، ذو تحليلات دقيقة، ونكت علمية فريدة، حيث جاء ليقدم شرحا مبسّطا للقرآن الكريم، ويعاصر ما يعيشه

(1) أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي 1345هـ/1436هـ: عبد الله الغامدي، ط 1432هـ، دار الطرفين للنشر والتوزيع [449].

(2) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [103/102]، خلاصة التفسير من كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري من سورة الذاريات إلى سورة الناس: أحمد شاكر عوّال العمري، غير جابو، ط 1433/1هـ/2012م.

(3) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [202]

المسلم اليوم، مع تناوله لقضايا فقهية وأخرى عقدية، فحارب الشرك والبدعة، ودعا المسلمين للتخلي بالأخلاق الحسنة

الفاضلة⁽¹⁾.

*وقد وصف تفسير الشيخ أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] بأوصاف مختلفة، وبنعوت متنوعة من زوايا عدة، يكمل

بعضها بعضا ليكون في الأخير تفسيرا ذا قيمة علمية مرموقة، وإضافة معاصرة في الجانب التفسيري لكلام الله تعالى، ومن هذه

الأوصاف⁽²⁾:

أ. كونه من التفاسير المختصرة نظرا لإيجازه وعدم تطويله، حيث قال الدكتور بريك بن سعيد القرني عند كلامه على حاجة

الناس في هذا العصر إلى تفسير مختصر: "وحام كثير من أهل التصانيف حول هذا المقصد من نحو:.... وأيسر التفاسير..."⁽³⁾.

ب. كونه ذا اتجاه إجمالي لعدم تفصيله في دقائق الآيات، كما وصفه بذلك الجابري⁽⁴⁾.

ج. كونه مثالا عن أمثلة الرأي المحمود لتجلي اجتهاداته في التفسير وقلة الاعتماد على المأثور، كما جعله ابن طرهوني⁽⁵⁾.

(1) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [103]،

(2) جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [104 وما بعدها].

(3) دعاوى تجديد التفسير في العصر الحديث. المصطلح والمفهوم والمنطلقات تحليل ونقد: بريك بن سعيد القرني، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، رجب، 1437هـ/2016م، عدد: 40 [509].

(4) الاتجاهات المعاصرة في التفسير: محمد الجابري، على الرابط: <https://mhammed-jabri.com>. تاريخ الزيارة: 2025/10/9

(5) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [785].

د. كونه ذا نزعة تربوية إرشادية لهدفه الإصلاحي في المجتمع المسلم، حيث قال السيد محمد إيازي عنه: "وهو تفسير إرشادي

تربوي مطابق لعقائد أهل السنة والجماعة، ملبياً حاجة المسلم في بيئته في فهم كتاب الله العزيز"⁽¹⁾.

هـ. كونه حاوياً على شق لغوي نسبي إلى حد ما، متمثلاً في تقديمه معان لمفردات الآيات، وما زاده في حاشيته من

الشواهد اللغوية، والقضايا النحوية والبلاغية، وغيرها، إذ لا يصح أي عمل تفسيري دون توظيف اللغة العربية بمختلف قواعدها.

5. حاشيته: وقد وضع عليه حاشية مكتملة أسماها [نهر الخير على أيسر التفاسير]، قال رحمه الله تعالى متحدثاً عن سبب تأليف

نهر الخير: "إنه نظراً إلى حاجة طالب العلم إلى المزيد من المعرفة وضعت هذه الحاشية التي هي أشبه بتعليق على أيسر التفاسير

وأسميتها: نهر الخير، أودعت فيها مع مراعاة الاختصار بعض ما يرغب طالب العلم في معرفته والحصول عليه من شاهد لغة أو

بيان أو أثر جميل أو مستند حديث جليل أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه، أو الوقوف على سر من أسرار القرآن، أو عجيبة

من عجائب القرآن لا تنقضي بمرور الزمان، ولا تنتهي بتعاقب الملوان، وأهم من ذلك تصويب رأي، أو تصحيح خطأ وقعاً في

التفسير، مع إزالة إبهام، أو إضافة بعض الأحكام"⁽²⁾.

(1) المفسرون حياتهم ومنهجهم: السيد محمد علي إيازي، ط 1/1386، طباعة ونشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران [262].

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [5/1].

وتعتبر الملكة التفسيرية للشيخ تكوّنت لما لازم الشيخ الطيب العقبي دروسه في التفسير، طوال سنوات، فكان لهذه الملائمة أثرها الكبير في شخصيته عموما وفي التفسير خصوصا إذ يعتبره من أفضل مشايخه والموجه الأكبر لسلوكه في النهج الإسلامي الصحيح⁽¹⁾.

6. الدراسات حوله من الرسائل الجامعية والكتب حول الشيخ وتفسيره⁽²⁾:

أ. هناك رسالة دكتوراة في جامعة أفريقيا العالمية بالسودان، بعنوان: [الشيخ أبو بكر الجزائري ومنهجه في التفسير من خلال كتابه أسير التفاسير وهامشه نهر الخير]، وقد أجازت الرسالة، وأوصت لجنة المناقشة منح الطالب الوليد صديق خالد أبو بكر درجة

الدكتوراة في التفسير بتاريخ: 1433/3/1 هـ، الموافق 2012/1/24 م.

ب. و كما قال الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري: [ولم يلتفت الباحث لفقرة الهدايات التي يذيل بها أبو بكر

الجزائري تفسير كل مقطع]⁽³⁾، وانطلاقا من فقرة الهدايات الموجودة في تفسير أبي بكر جابر، كتب مقالا بعنوان [المقاصد الإيمانية

في جزء قد سمع من خلال أسير التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري].

* وقال في تقديمه لهذا المقال عن أبي بكر جابر الجزائري وتفسيره: [وكان من ضمن جهوده المباركة تفسيره الموسوم بأيسر

(1) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [201]

(2). مركز سلف للبحوث والدراسات: المرجع السابق.

(3). المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أسير التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري: المرجع السابق،

التفاسير لكلام العليّ الكبير، وقد أبدع، وأمتع في تفسير كتاب الله تعالى، واختصاره، وتقريب معانيه ليفهمه الناس، ويعملوا به،

فيسعدوا في الدارين، وعند مطالعاتي المتكررة في هذا السفر المبارك وجدت مؤلفه يُعنى ببيان هدايات القرآن الكريم في

نهاية كل مقطع يفسّره، وهي سمة يكاد ينفرد بها، وتجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره المسّمّن بالتفسير

المنير يذكر نهاية كل مقطع يفسّره عبارة فقه الحياة والأحكام، وهذا ما دعاني إلى الكتابة في موضوع المقاصد القرآنية عند

الجزائري، ومحاولة إبراز جهوده في مقصد رئيس من تلك المقاصد، وهو المقصد الإيماني في جزء قد سمع وهو الجزء الثامن

والعشرون من القرآن الكريم، وقد سميت هذا البحث [المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري]⁽¹⁾.

ج . [كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري] جمع وترتيب أبي ذر القلموني، دار ابن حزم، القاهرة،

ط1/1430هـ/2009م، وقد بيّن صاحب الكتاب سبب تأليف الكتاب، وطريقته فيه بقوله: [يرجع الفضل في جمع هذا

الكتاب لله وحده، ثم لمحبتي في الله الشيخ أبا بكر الجزائري....، فقممت باستخارة الله تعالى بأخذ معاني الكلمات، والتي يسمّيها

أثابه الله: شرح الكلمات، وأضفت إليها القرآن كاملاً، وكنت في البداية سأكتفي بذكر

(1). المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير لأبي بكر الجزائري: المرجع السابق،

معاني الكلمات مجزدة، ولكن رأيت

أنّ ذلك سيكون يسيرا على حملة القرآن، شاقّا على غيرهم فتمّ ما اختاره الله تعالى، وهي طريقة جديدة تعين على فهم كتاب

الله تعالى في أقل وقت ممكن...وكنّت أحيانا أضيف بعض المعاني، والهوامش من معنى الآيات عند الضرورة، وذلك في إطار

ضيق، وأحيانا كنت أقوم بإيراد بعض التعليقات من تفسير ابن كثير إتماما للفائدة⁽¹⁾.

د. التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: الدكتور محمد بن رزق بن طهوني، رسالة دكتوراة، ط1/1426هـ/دار ابن الجوزي، وكان ممّن

تناولهم بالدراسة والتفصيل الشيخ أبا بكر جابر الجزائري وتفسيره [أيسر التفاسير].

ه. جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: علي بن ميله، رسالة دكتوراة في العلوم الإسلامية، اللغة

العربية والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور منصور كافي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، 1443هـ/1444هـ/2022م/2023م،

وكان ممّن تناولهم بالدراسة والتفصيل الشيخ أبا بكر جابر الجزائري وتفسيره [أيسر التفاسير].

ثانيا. المنهج العام للشيخ أبي بكر جابر في تفسيره⁽²⁾:

لقد ذكر الشيخ نفسه منهجه في تفسيره بصفة عامة في المقدمة، فقال . رحمه الله

(1). كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري: المرجع السابق، 15، على الموقع: https://d1.islamhouse.com/data/ar/ih_books/single تاريخ الزيارة 26 ربيع الآخر 1440هـ / 3 جانفي 2019م.

(2) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [788 وما بعدها]، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [101 وما بعدها].

تعالى⁽¹⁾.. هذا وإن من مميزات هذا التفسير

التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي:

1. الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.
2. اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.
3. الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.
4. إخلاؤها من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة، وكان مما تجوز روايته لحديث: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"⁽²⁾.
5. إغفال الخلافات التفسيرية.
6. الالتزام بما رجّحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى آية، وقد لا أخذ برأيه في بعض التوجهات للآية.
7. إخلاء الكتاب من المسائل من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.
8. عدم التعرّض للقراءات إلا نادرا للضرورة جدا، حيث يتوقّف معنى الآية على ذلك، وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادرا.
9. خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت، والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح حتى

(1) أيسر التفاسير لكلام علي الكبير: المرجع السابق [4/1 وما بعدها].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث [3461].

إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جلية، وذلك لحاجة جميع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم.

10. التزمت في هذا التفسير بالخطّة التي مثّلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقا

وعملا، لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدبا وقضاء وحكما، فلذا أخليت من

كل ما من شأنه أن يشتّت الذهن أو يصف عن العمل إلى القول والجدل.

ولذا فقد جعلت الكتاب دروسا منظّمة منسقة، فقد أجعل الآية الواحدة درسا فأشرح كلماتها، ثم أبين معناها، ثم أذكر هدايتها

المقصودة منها للاعتقاد والعمل، وقد أجعل الآيتين درسا والثلاث لآيات والأربع والخمس، ولا أزيد على الخمس إلا نادرا، وذلك

طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به، وقد جعلت الآيات مشكولة على قراءة حفص وبخط المصحف، وإني أطالب المسلم أن

يقرأ أولا الآيات حتى يحفظها، فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها، ثم يدرس معناها حتى يعيه، ثم يقرأ هداياتها للعمل

بها فيجمع بين حفظ كتاب الله تعالى وفهمه والعمل به، وبذلك يسود ويكمل ويسعد إن شاء الله تعالى⁽¹⁾.

11. وقد ذكر الشيخ أن تفسيره قد اعتمد فيه على مراجع أربع وهي: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير

الجلالين المحلي والسيوطي، وتفسير المراغي، وتفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [1/617].

المنان لعبد الرحمان بن ناصر السعدي⁽¹⁾.

ولكنه رحمه الله تعالى لم يقتصر على المراجع السابقة الذكر عند تصنيف [نهر الخير]، ورجع إلى مصادر أخرى، مثل: تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي⁽²⁾.

الفرع الثاني: المنهج التفصيلي للشيخ أبي بكر جابر في تفسيره⁽³⁾: ومن ذلك:

أولا. ذكر الشيخ أسماء السور، وعدد الآيات والوقوف، وبيان المناسبات، ومن ذلك: ذكره الفاتحة أنها مكية وعدد آياتها

سبع وعدّ أسماءها ثم شرح تلك الأسماء في حاشية نهر الخير⁽⁴⁾.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: 21] تعرّض لذكر المناسبة بين الآيات، بقوله وجه المناسبة أنه

تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين، ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين، ثم على طريقة

الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء⁽⁵⁾.

ثانيا. اعتماده تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان غير مكثّر له، ويتعرّض له في الحاشية، ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]، قال: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ثم قال في

(1) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [787]، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشها نهر الخير على أيسر التفاسير: المرجع السابق [7/1]

(2) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [787]

(3) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [788 وما بعدها]، جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: المرجع السابق [101 وما بعدها].

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [9/1 وما بعدها].

(5) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [33/1].

الحاشية: ورد هذا البيان في قوله تعالى: ﴿

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [البقرة: 21]⁽¹⁾.

ثالثا . اعتماده على تفسير القرآن بالسنة، وإن كان لا يذكر الأحاديث كثيرا في صلب الكتاب، وربما يذكرها في الحاشية، ومن ذلك:

في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154]، قال: أما الآية فقد تضمنت نهيه تعالى لهم أن يقولوا معتقدين: إن

من قتل في سبيل الله ميت، إذ هو حي في البرزخ، وليس بميت، بل هو حي يرزق في الجنة، قال رسول الله ﷺ: "أرواح الشهداء

في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش"⁽²⁾⁽³⁾.

رابعا . إكثاره من ذكر أسباب النزول في الأصل والحاشية، ومن ذلك: قوله: روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سألو

رسول الله ﷺ قائلين: ما بال الهلال يبدو دقيقا، ثم يزيد حتى يعظم ويصبح بدرا، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما كان أول

بدئه؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ﴾ [البقرة: 189]، وأمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [15/1].

(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، رقم الحديث [1887].

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [134/1].

لِلنَّاسِ ﴿البقرة: 189﴾⁽¹⁾⁽²⁾.

خامسا. تعرّضه لفضائل السور والآيات في نهر الخير، ومن ذلك: قوله: الحمد لله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المولى أن النبي ﷺ قال له: "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن"، وقوله له: "ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها"⁽³⁾⁽⁴⁾.

سادسا. عدم نسبته شيئا من الأقوال للمفسرين من السلف في صلب الكتاب، أما في الحاشية فقد ينسب بعض ذلك، ومن ذلك: قوله: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، ونقول ليس علينا في ذلك بأس، فقال له: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75]، إنهم أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم⁽⁵⁾.

سابعا. تعرّضه للتاريخ والسيرة أثناء تفسير الآيات المتعلقة بالغزوات، مثل غزوة بدر وأحد وتبوك والأحزاب وغيرها، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: 117]، ذكر قصة توبة كعب بن مالك ومن معه

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [441/6].

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [171/1].

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، [156/8].

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [12/1].

(5) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [334/1].

باختصار⁽¹⁾.

ثامنا . ذكره طرفا من الإسرائيليات في الحاشية، ما تقدّم في المقدّمة عن موقفه من الإسرائيليات، وأنه لا يتعرّض لها إلا لما لا بد منه لفهم الآية الكريمة، وبذلك التزم بما قرّره في المقدّمة ولم يخالفه كما ظهر ذلك للدكتور محمد طرهوني⁽²⁾ (3).

ومن ذلك: قوله: اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد سليمان كان سببه أن مردة من الشياطين كتبوا كتابا ضمّنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان . وهو أصف . ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلي بنزع ملكه، ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس، وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحرا، وما غلب الجن والإنس إلا بالسحر، فصدّقهم أناس وكذب آخرون، ولما بعث محمد ﷺ وكفر به اليهود، وتنكروا للتوراة لاتفاقها مع القرآن، أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: 102]، فبرأ سليمان وكفر اليهود⁽⁴⁾.

تاسعا . اعتماده اللغة العربية من خلال شرح المفردات في كل مجموعة من الآيات من غير تعرّض لشواهد شعرية، ثم بيّين في

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [434/2].

(2) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: المرجع السابق [785].

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [6/1].

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: الشيخ المرجع السابق [89/1].

حاشيته اشتقاق الكلمة، ويسوق بعض الشواهد الشعرية، ومن ذلك: قوله: الرب السيد المالك المصلح المعبود بحق جلّ جلاله،

كما قال في نهر الخير: مما شهد لإطلاق لفظ الرب على المعبود قول الشاعر:

رب يبول الثعلبان برأسه*** لقد هان من بالت عليه الثعالب⁽¹⁾.

عاشرا. اعتماده قراءة حفص كما ذكر في المقدمة، وقد يذكر شيئا من القراءات في نهر الخير، ومن ذلك: قوله: مثل قرأ حفص

[مالك][الفتحة: 3] باسم الفاعل، وقرأ نافع[ملك] بدون ألف، وهما قراءتان سبعيتان، والله حقا هو الملك المالك⁽²⁾.

الحادي عشر. تعرضه لبعض المسائل الفقهية الواقعية، والقضايا الأصولية، ومن ذلك:

1. من المسائل الفقهية الواقعية: قوله: عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: 73]، وفي هذه الآية شاهد لمالك في

أن الجريح إذا أخبر عن جرحه، ومات أن إخباره يعد لوثا وتجري في الحادث القسامة، وخالف الجمهور وقالوا: إخبار القتل لا

يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة، ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رضّ اليهودي رأسها كما في

البخاري⁽³⁾.

2. من القضايا الأصولية: ومن ذلك: قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

(1) أيسر التفاسير لكلام علي الكبير: الشيخ المرجع السابق [12/1].

(2) أيسر التفاسير لكلام علي الكبير: المرجع السابق [13/1].

(3) أيسر التفاسير لكلام علي الكبير: المرجع السابق [71/1].

في الآية دليل على بطلان التقليد، وهو قبول قول الغير بلا دليل، وفي الآية أن من ادعى شيئا نفيا أو إثباتا يطالب بالدليل، وإلا بطلت دعواه⁽¹⁾.

الثاني عشر. عدم اهتمامه بالعلوم الحديثة، والفلسفة والمعجزات الكونية، ولعل سبب ذلك ما شرطه على نفسه في مقدّمة تفسيره.

الثالث عشر. تفرد الشيخ في تفسيره بذكر ما سمّاه [هداية الآيات]: ويسوق ما تحتها ما يستفاد من الآية بأسلوب دراسي وعظي، وهو الغرض الأصلي من تفسيره، كما يّين في المقدمة.

الرابع عشر. بروز الاتجاه الاجتماعي⁽²⁾ في [أيسر التفاسير] وذلك من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمع الإسلامي، فكان رحمه الله تعالى لا يكتفي ببيان المعاني العامة للآيات، بل كان ينتقل إلى مرحلة أخرى، وهي ربط تلك المعاني بأحوال المجتمع الإسلامي في زمانه ليعملوا بتلك التوجيهات الربانية المبنية على عملية الاستنباط، كما تنوّعت هذه التنزيلات لتشمل مجالات مختلفة تنوّعت بين العقيدة والأخلاق والنوازل الفقهية.

ومن الأمثلة على ذلك تمثيلا لا حصرا . والأمثلة كثيرة . تنزيلات الشيخ أبي بكر جابر الجزائري المتعلقة بقضايا فقهية معاصرة،

والآيات التي كان ينزلها على بعض المسائل المعاصرة الفقهية والتي تعرف بالنوازل، حيث

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [99/1].

(2) الاتجاه الاجتماعي في تفسير الشيخ أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمع الإسلامي: [142 وما بعدها].

كان يربط بين معنى الآية والمسألة

الفقهية، فبيّن حكمها ليعمل بها المسلمون، وفق التوجيه الرباني المستنبط من الآية، وقد وجدت للشيخ عدة تنزيلات فقهية في مجال العبادات والمعاملات، ومنها:

1. مسألة بيان مقدار مسافة القصر بالقياسات المعاصرة: لقد بيّن الفقهاء في كتبهم مقدار المسافة التي يقصر فيها المسافر

بالقياسات القديمة التي كانت معروفة في القديم عندهم، ولذا فكثير من المعاصرين لم يفهموها لاختلاف مصطلحات القياسات

عند المعاصرين، ولذا فإن الشيخ أبو بكر جابر لما فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ

بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، بيّن مسافة القصر بوحدة الكيلومتر المعروفة في زماننا حتى تكون واضحة عند

القارئ فقال: "أوسط ما قيل في مسافة القصر إنها أربعة برد، وهي ثمانية وأربعون ميل، والميل: ألفا ذراع عند أهل الأندلس، وهو يعادل الكيلو متر المعروف الآن"⁽¹⁾.

2. مسألة حكم التعامل مع البنوك الربوية المعاصرة: لقد بيّن الشيخ أبو بكر جابر صفة تعامل البنوك المعاصرة وحكم بربوية

هذه المعاملة، وذلك لما فسّر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، فقال: "وحقيقته أن يكون لك على المرء دين فإذا حلّ

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [1/164].

أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: آخر وزد، فتؤخره أجلا وتزيد في رأس المال قدرا معيننا هذا هو ربا الجاهلية، والعمل به اليوم

في البنوك الربوية فيسلفون المرء مبلغا إلى أجل ويزيدون قدرا آخر نخو العشر أو أكثر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة

والإجماع، وسواء كان ربا فضل أو ربا نسيئة⁽¹⁾.

الخاتمة: النتائج العامة وبغض التوصيات:

1. النتائج العامة: ومما سبق ذكره و بحثه نخلص إلى النتائج الآتية:

أ . الشيخ أبو بكر جابر الجزائري اللّيوّيّ البسكريّ الجزائريّ المدنيّ، و المولود سنة 1921م، و المتوفّي سنة 2018م.

ب . كانت للشيخ أبي بكر جابر الجزائري نشاطات فكرية متنوّعة كالوعظ، والإرشاد، والفقه، والإصلاح عموما والتفسير خصوصا.

ج . ظل الشيخ أبو بكر جابر الجزائري يفسّر القرآن الكريم مشافهة أكثر من خمس وأربعين سنة في المسجد النبوي.

د . وتوجّ هذا التفسير الشفوي بتأليف تفسير وحاشية عليه أسعى هذا العمل التفسيري ب[أيسر التفاسير لكلام العلي

الكبير]وبهامشه[نهر الخير على أيسر التفاسير].

هـ . الدافع من وراء هذا العمل التفسيري تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين، اعتقادا وعملا وأخلاقا.

و . لقد نال تفسير أبي بكر الجزائري مكانة مرموقة، فكان قبلة لمختلف فئات المجتمع

(1)أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: المرجع السابق [1/268].

من عامة الناس، إلى طلبة العلم، إلى صفوف الباحثين والمختصين، وكل حسب حاجته المطلوبة، وغايته المنشودة، ولذلك تعددت الطباعات نظرا للطلب المتزايد.

ز. وقد وصف تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري [أيسر التفاسير] بأوصاف مختلفة، وبنعوت متنوعة من زوايا عدة، يكمل بعضها بعضا ليكون في الأخير تفسيرا ذا قيمة علمية مرموقة، وإضافة معاصرة في الجانب التفسيري لكلام الله تعالى.

ح. وصف عمله التفسيري بكونه مختصرا، وذا اتجاه إجمالي، ومثالا عن أمثلة الرأي المحمود، وذا نزعة تربوية إرشادية، وحاويا على شق لغوي نسبي إلى حد ما.

ط. تميّز العمل التفسيري للشيخ أبي بكر جابر الجزائري بسهولة العبارة، وسلامة اللغة، وجزالة التركيب، وقوته، وقرئها من الفهم؛ بلغة عصرية يفهمها عامة الناس، وقد أثنى على تفسيره الكثير من العلماء والدعاة.

ي. بيّن الشيخ منهجه العام في مقدّمة تفسيره متمثلة في مجموعة من الأوصاف؛ كالوسطية، واتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات، والالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية، وإخلاؤها من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا للحاجة الماسة، وإغفال الخلافات التفسيرية، وإخلاء الكتاب من المسائل من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية...

2. بعض التوصيات: ومن ذلك:

أ. حُقّ لمثل هذا العلم الجزائري الشيخ أبي بكر جابر الجزائري أن تجرى عليه دراسات

علمية أكاديمية، باعتباره فقيها/ معلما/

مريئا/ مصلحا/ مفسرا....

ب . وعليه أدعو الباحثين، وعلى مختلف تخصصاتهم -الجزائريين- أن يعتنوا كثيرا بالأعلام الجزائريين، وينتشلوهم من طيّ النسيان،

ويميطوا عنهم اللثام لتستفيد منهم الأجيال الحاضرة، والقادمة، فاكتبوا رسائل علمية، ودراسات أكاديمية حول الشيخ أبي بكر

جابر الجزائري لتعرفوا الأجيال بمآثره، وإخلاصه لدينه، ووطنه، وتمكّنه في مختلف العلوم الدينية.

***من مصادر البحث ومراجعته:**

* أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي 1345هـ/1436هـ: عبد الله الغامدي، ط 1432هـ، دار الطرفين للنشر والتوزيع.

*أبو بكر جابر الجزائري وكتابات في السيرة النبوية: الأستاذ دوادي فرادي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي التبسي، العدد الثالث عشر.

* الاتجاه الاجتماعي في تفسير الشيخ أبي بكر جابر الجزائري [أيسر التفاسير] من خلال تنزيل الآيات على واقع المجتمع الإسلامي: أمينة بوزيب، والأستاذ الدكتور عبد القادر شكيمة، مجلة الشهاب، المجلد: 9، ، العدد: 3 [2023م]، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر.

* الاتجاهات المعاصرة في التفسير: محمد الجابري، على الرابط: <https://mhammed-jabri.com> تاريخ الزيارة: 2025/10/9، المملكة العربية السعودية، رجب، 1437هـ/2016م، عدد: 40.

*أعلام السلفية 13 ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى/ إعداد مركز سلف للبحوث و

الدراسات على الموقع: <https://salafcenter.org/wp-content/uploads/2018/08/>،

تاريخ الزيارة 24 ربيع

الآخر 1440 هـ / الزيارة 1 جانفي 2019 م.

* الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف/ أبو بكر جابر الجزائري/ شركة الشهاب/ الجزائر.

* أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، و بهامشهنهر الخير على أيسر التفاسير/ تأليف أبي بكر جابر الجزائري،

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف/ الناشر مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ توزيع دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان/ ط1/ 1416 هـ/ 1995 م.

* أئمة الحرمين 1343 هـ/ 1433 هـ/ عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي/ فهرسة مكتبة الملك فهد

الوطنية/ 1432 هـ أئمة المسجد النبوي في العهد السعودي 1345 هـ/ 1436 هـ: عبد الله الغامدي، ط 1432 هـ،

دار الطرفين للنشر بالجامعة الإسلامية والمسجد النبوي الشريف/ نشر مكتبة الكليات الأزهرية/ مطبعة

المعرفة/ القاهرة.

* بوابة الأفق للمعلومات، على الموقع: <http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session>، تاريخ

الزيارة 27 ربيع الآخر 1440 هـ/ 4 جانفي 2019 م.

* التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني، رسالة دكتوراة، ط1/ 1426 هـ/ دار ابن الجوزي

* الجامع في تراجم العلماء القدماء والمعاصرين، على الموقع:

<http://kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t>

تاريخ الزيارة 26 ربيع الآخر 1440 هـ/ 2019 م.

* الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السُّنة وآي القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله

بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1/ 1427 هـ/ 2006 م.

* جزايرس على الموقع، <https://www.djazairiss.com/echorouk/1355> تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440 هـ/ الزيارة 1

جانفي 2019 م.

* جهود علماء الجزائر في توظيف المباحث اللغوية في تفسير القرآن الكريم: علي بن ميله، رسالة دكتوراة في العلوم الإسلامية، اللغة العربية والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور منصور كافي، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، 1443 هـ/ 1444 هـ/ 2022 م/ 2023 م.

* حرمة الابتداع في الدين وكل بدعة ضلالة/ تأليف أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف/ دار الفتح للنشر

الإعلان/ البليدة.

* الحطة في ذكر الصحاح الستة: صديق حسن خان، دراسة، و تحقيق علي حسن الحلبي، المكتبة العلمية، دار

عمار، عمان دار الجيل، بيروت.

* خلاصة التفسير من كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري من سورة الذاريات إلى سورة الناس: أحمد شاكر عَوّل العمري، غير جابو، ط 1/ 1433 هـ/ 2012 م.

* الخليج أونلاين، نبض الخليج العربي، على الموقع: <http://alkhaleejonline.net> / ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/ 30

ديسمبر 2018 م.

- * دعاوى تجديد التفسير في العصر الحديث . المصطلح والمفهوم والمنطلقات تحليل ونقد . : بريك بن سعيد القرني، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- * سَلَم الوصول إلى تراجم علماء مدينة الرسول 353: حمزة القرعاني.
- * شبكة ومنتديات فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم / الكاتب أبو إبراهيم سعد العتيبي، يوم السبت 24 شعبان 1433 هـ الموافق 4 / 7 / 2012م.
- * الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر: الدكتور المسعود جمادي، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019م.
- * الشيخ الطيب العقبي و دوره الإصلاحى 1890م/1960م: حنان عدوان، ماستر، تخصص تاريخ معاصر، إشراف الأستاذة شهرزاد شلبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قطب شتمة، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ 2012م/2013م.
- * عقيدة المؤمن/ أبو بكر جابر الجزائري/ ط2/ سنة النشر: 1398هـ - 1978م.
- * العلامة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: الدكتور عباس رضوان، والدكتور بن معمر بوخضرة، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 08، العدد: 01، 2022م.
- * العلم والعلماء/أبو بكر جابر الجزائري/دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قريفي/1985م.
- * علماء و مفكرّون عرفتهم: محمد المجذوب، ط4، دار الشروق، القاهرة.
- * كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير للجزائري: جمع وترتيب أبي ذر القلموني، دار ابن حزم، القاهرة،

ط1/1430هـ/2009م.

* كمال الأمة في صلاح عقيدتها شرح آية ﴿و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾/ تأليف
أبي بكر جابر الجزائري الدرس
بالجامعة الإسلامية و المسجد النبوي الشريف/ نشر مكتبة الكليات الأزهرية/ مطبعة
المعرفة/ القاهرة.

* المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 2 رمضان 1438هـ / ماي 2017م، جامعة محمد
بوضياف المسيلة، عدد خاص بالندوة
الوطنية الأولى المنظمة من قبل المخبر تحت عنوان إعلام منطقة الحضنة و دورهم في
الحركة الوطنية والثورة
التحريرية، 23 ماي 2017م.

* معلمو المسجد النبوي الشريف، جمع وترتيب: الدكتور. عمر حسن فلاتة، الأستاذ
عبد الوهاب محمد زمان، الأستاذ الدكتور عدنان درويش جلون.

* معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، على الموقع:
<http://afaqattaiseer.net/vb/showthread.php?t=26357>، تاريخ الزيارة 24 ربيع
الآخر 1440هـ / الزيارة 1 جانفي 2019م.

* المفسرون حياتهم ومنهجهم: السيد محمد علي إيازي، ط1/1386، طباعة ونشر وزارة
الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

* المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي
بكر الجزائري: الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري، على الموقع:
<http://uqms.edu.ye/content/uploads/2016/05>، تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ
/ الزيارة 1 جانفي 2019م.

* المكتبة الشاملة على الموقع: <http://shamela.ws/index.php/author/127>، تاريخ
الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ / الزيارة 1 جانفي 2019م.

- * الملتقى الفقهي على رابط الموقع:
http://fiqh.islammessage.com/NewsDetails.aspx?id=18449، تاريخ الزيارة 22 ربيع
الآخر 30/1440 ديسمبر 2018م.
- * منتديات قراء طيبة الطيبة، قسم أئمة الحرم النبوي الشريف، بحث بعنوان أئمة
المسجد النبوي من بداية العهد السعودي ملف وورد للكاتب أبو إبراهيم سعد العتيبي/يوم
الأحد 29 رجب 1431هـ الموافق 11/7/2010م.
- * منهاج المسلم، كتاب عقائد و آداب و أخلاق و عبادات و معاملات/أبو بكر جابر
الجزائري/جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف/1401هـ/1981م.
- * الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري.
- * ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، على الموقع:
https://ar.wikipedia.org/wiki/أبو_بكر_الجزائري، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 30/1440هـ
ديسمبر 2018م.
- المواقع:
- * https://www.ennaharonline.com /تاريخ الزيارة 24 ربيع الآخر 1440هـ/1 جانفي
2019م
- * https://arabi21.com/story/1116020 / ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 30/1440
ديسمبر 2018م.
- * http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856 ، تاريخ الزيارة 23
ربيع الآخر 31/1440 ديسمبر 2018م.
- * https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/10/23 /، تاريخ
الزيارة 22 ربيع الآخر 30/1440 ديسمبر 2018م.
- * https://www.elkhabar.com/press/article/142135 /، تاريخ الزيارة 22 ربيع
الآخر 30/1440 ديسمبر 2018م.

- * <https://arabi21.com/story/1116020> ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م.
- * <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=23856> ، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440/31 ديسمبر 2018م.
- * <https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound> ، تاريخ الزيارة 23 ربيع الآخر 1440 هـ / الزيارة 31 ديسمبر 2018م.
- * <https://arabi21.com/story/1116020> / ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م.
- * <https://www.elkhabar.com/press/article/142135> ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م.
- * <https://arabic.euronews.com/2018/08/15> ، تاريخ الزيارة 22 ربيع الآخر 1440/30 ديسمبر 2018م. 000000

الشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي وإسهاماته في خدمة تفسير القرآن الكريم

- كتاب "الدر الثمين في تفسير القرآن المبين" أنموذجا-

أ.د. هشام شوقي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص

يعتني هذا البحث بإبراز جهد أحد أعلام الجزائر المعاصرين وهو "التواتي بن التواتي" في تفسير القرآن الكريم، حيث حاولت فيه بيان منهج الشيخ في تفسيره "الدر الثمين" وتقديم ترجمة له، مجيبا بذلك عن الإشكاليتين:

- من هو التواتي بن التواتي؟.

- ما المنهج الذي اعتمد عليه التواتي في تفسيره "الدر الثمين"؟.

وقد توصلت في هذا البحث إلى أن تفسير الشيخ التواتي يعتبر أكبر تفسير جزائري عبر تاريخ التأليف في تفسير القرآن، كما أن أسلوبه كان سهلا كونه كان تفسيراً شافهاً يلقى في المساجد ثم انتقل إلى الكتابي. كما أن تفسير التواتي "الدر الثمين" جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي انطلاقاً من أصول التفسير التي اعتمدها.

Research Summary

This research focuses on highlighting the efforts of one of Algeria's contemporary figures, "Al-Tuwati bin Al-Tuwati," in interpreting the Holy Quran. It attempts to clarify the Sheikh's methodology in his interpretation "Al-Durr Al-Thamin" and provides a biography of him, answering the following questions:

- Who is Al-Tuwati bin Al-Tuwati?

- What methodology did Al-Tuwati rely on in his interpretation "Al-Durr Al-Thamin"?

In this research, I concluded that Sheikh Al-Tuwati's interpretation is considered the largest Algerian interpretation throughout the history of

Quranic exegesis. His style was easy since it was originally an oral interpretation delivered in mosques before being transcribed. Moreover, Al-Tuwati's interpretation "Al-Durr Al-Thamin" combined both transmitted narrative interpretation and opinion-based interpretation, based on the principles of exegesis he adopted.

الكلمات المفتاحية: الدر الثمين ، التواتي بن التواتي، الجزائريين.

Keywords: precious pearl, Al-Tuwati bin Al-Tuwati, Algerians.

نص الورقة البحثية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب أنزله الله لهداية البشر جميعا، فاشتغلت به الأمة مذ نزوله إلى العصر الحديث، وكان للعلماء في ذلك مناهج واتجاهات مختلفة، فمنهم من اعتنى فيه بنوع من الآيات كالعقائد أو الأحكام أو القصص، ومنهم من اشتغل به من جهة بيان علوم القرآن المكنونة فيه، وهكذا أخذ كل واحد من هؤلاء العلماء ما يوافق ميله ويروي ظمأه .

ومن هؤلاء العلماء الذين اشتغلوا بالقرآن الكريم توضيحا وشرحا وتأصيلا لعلومه؛ الشيخ: التواتي بن التواتي الأغواطي؛ وهو أحد العلماء المعاصرين المبرزين في الجزائر، حيث كانت له جهود بارزة من خلال كتبه ودروسه أبرزها تفسير "الدر الثمين" الذي فسر فيه القرآن الكريم كاملا، واعتنى فيه بعدة جوانب فجمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، حتى صار أكبر تفسير جزائري معاصر حيث بلغ عشرين مجلدا.

ومحاولة مني للتعريف بالشيخ وإبراز منهجه في هذا التفسير تأتي هذه المداخلة بعنوان " الشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي وإسهاماته في خدمة تفسير القرآن الكريم - كتاب "الدر الثمين في تفسير القرآن المبين" أنموذجا-"، محاولا الإجابة فيها عن الإشكالية الآتية:

- من هو الشيخ: التواتي بن التواتي الأغواطي؟.

- ما المنهج الذي اعتمد عليه التواتي في تفسيره "الدر الثمين"؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، رتبت مسائل هذا البحث وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: ترجمة للشيخ التواتي بن التواتي .

المبحث الثاني: منهج التواتي في تفسيره " الدر الثمين " .

وتفصيل هذه المسائل كما يلي:

المبحث الأول: ترجمة الشيخ التواتي بن التواتي:

وفيه الحديث عن الحياة الشخصية والعلمية للشيخ، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: الحياة الشخصية للشيخ التواتي بن التواتي:

والحديث عنها من خلال عدة جوانب هي:

أولاً: اسمه ومولده ونسبه: هو التواتي بن الحاج إبراهيم بن مبارك بن التواتي الأغواط.

ولد في: 01/09/1943م بالأغواط، وهو من أعلام الأغواط الأصليين، قال في نسبه

الأستاذ: رضوان معاش: "نسب الشيخ بن التواتي ينتهي إلى الرسول ﷺ" (1).

والتواتي: نسبة إلى جدهم الأول، حيث أن العرب لما دخلوا مدينة الأغواط لجأ أهلها

إلى جبال كسال، فكُونُوا هناك مدينة أطلقوا عليها "أغواط كسال"، ولما حسن إسلامهم

عادوا، لكن الجد الأول للشيخ التواتي ذهب إلى "توات"، و لما رجع إلى الأغواط قال سكانها:

"رجع التواتي" نسبة منهم له إلى "توات" التي لجأ إليها، ومكث فيها والتحم مع العرب حتى

أصبحت له مكانة مرموقة عند القبائل العربية في عهد الأتراك؛ إذن أصلهم أمازيغ عَرَبِيَّ

الإسلام، كما صرح التواتي بذلك قائلا: "أصلي أمازيغي، كما قال محمد الغزالي عَرَبِيَّ

(1) موقع: "منتديات الشروق"، منتدى القرآن الكريم، بتاريخ: 2016/06/27، من تقرير بعنوان: العلامة ابن التواتي

الجزائري الذي فسّر القرآن في 20 مجلدا، تغطية: زهيرة مجراب وقدر جربوعة، الرابط:

<https://montada.echoroukonline>

com/showthread.php?t=345781.

الإسلام⁽¹⁾.

ثانيا: مذهبه الفقهي: لا ريب أن الشيخ التواتي بن التواتي كان على مذهب الإمام مالك - رحمه الله- لأنه المذهب السائد في بلده والذي تفقّه عليه الشيخ، وبقي حياته كلّها يشرح كتب المالكية ويؤلف في نفس المذهب، ولا أدلّ على ذلك من موسوعته الفقهية بعنوان "المبسّط في الفقه المالكي بالأدلة" والتي بسط فيها مذهب مالك في خمسة مجلدات، وكذلك كتابه "محاضرات في الفقه المالكي"، وغيرها ذلك من الدروس والمحاضرات.

وقد صرح الشيخ التواتي بمذهبه الفقهي في غير موضع من تفسيره، منها قوله أثناء تعداده لمصادر تفسيره التي ذكر منها تفاسير المالكية ثم قال: "اعتمدت على كتب التفاسير أذكر منها: ... جامع الأحكام للقرطبي والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وكذا ابن عرفة، كانت هذه الكتب الثلاثة بجانب طيلة انقطاعي لهذه المهمة الصعبة لأن أصحابها من أعلام مذهبنا..."⁽²⁾.

ومع ذلك فقد كان يخالف المذهب أحيانا إذا ظهر له رجحان غيره، ففي مسألة: الحج بالمال الحرام، ذهب إلى أنه لا يصح، مخالفا بذلك مذهب المالكية فقال: "فمن كان كسبه من مال حرام أي: من الربا، أو رشوة، وأنه غصب مال غيره فلا حج له"⁽³⁾. وهو في هذا يخالف مذهب المالكية والجمهور كأبي حنيفة والشافعي، الذين ذهبوا إلى أنه مجزئ مع الإثم، وقال أحمد: لا يجزؤه⁽⁴⁾.

كما ينبغي التنبيه على أن الشيخ لم يكن متعصبا للمذهب المالكي إذا خالف الدليل، بل صرح بدمّ التعصّب للأئمة دون دليل فقال: "تنبيه هام: إن هذا الأمر مشاهد في عصرنا في

(1) مقابلة الطالبة: هاجر بوغرامة مع الشيخ التواتي بن التواتي في بيته، يوم: 13 نوفمبر 2018م، على الساعة: 14:11،

الرابط: https://justpaste.it/Imam_touati

(2) الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، دار الحكمة، الجزائر، ط: 1، سنة: 2016م، 29/1.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 509/3.

(4) موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط: 2، سنة: 1428هـ-2007م، 339/1.

جماعة من مقلّدي المذاهب، فكثير من الآيات من كتاب الله تعالى في بعض المسائل تخالف ما نص عليه بعض الفقهاء إلا أنهم لم يقبلوا تلك الآيات، ولم يلتفتوا إليها وأصرّوا على مخالفة ما هو نص ظاهر في الكتاب والسنة قائلين: كيف يعمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها، ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الأكثرين من أهل الدنيا، ويجب أن نبزئ أئمتنا الأعلام - كالإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الأعلام جميعا⁽¹⁾ - من مخالفة الكتاب والسنة فعنهم أخذنا وبعلمهم استنرنا، وإنما الخطأ في الأتباع حين أصرّوا على المخالفة، ولدي كثير من الأقوال دسّت على أعلامنا ولم يقولوها البتة"⁽²⁾.

كما أن الشيخ التواتي كان مطالعا اطلعا واسعا على مذهب الإباضية لأنه اشتغل به طويلا أثناء جهوده وسعيه في التقريب بين المنتمين للمذهبين ووَادَّ نار الفتنة في الأحداث التي حدثت في ولاية غرداية بين المالكية والإباضية، حتى أنه ألّف كتابا في الفقه المقارن بين فقه المالكية والإباضية، بيّن فيه أوجه الاتفاق والاختلاف بين المذهبين مما يدلّ على سعة اطلاعه فيه.

ثالثا: وظائفه وأعماله: شغل الشيخ التواتي عدة وظائف ومناصب في مسيرته أهمها:

1- عمل في حقل التربية والتعليم في مختلف الأطوار التعليمية أكثر من 46 سنة؛ حيث التحق بقطاع التعليم الابتدائي وبعده تدرّج في التعليم المتوسط ثم الثانوي، ثم التقاعد سنة: 1998م، ودرّس بجامعة عمار ثليجي بالأغواط أكثر من عشرين سنة.

2- بعد التقاعد وبالضبط سنة: 2000م، حصل على الماجستير ببحث في النحو وأصوله بعنوان: "الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية"، وبعده سجل لرسالة الدكتوراه في القراءات التي نالها سنة 2004م بعنوان: "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي" بدرجة مشرف

(1) وقد ألّف في ذلك ابن تيمية كتابا قيما سماه "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"؛ ذكر فيه براءة الأئمة ممن يتبعهم بغير دليل، وعذرهم في ترك بعض الأدلة التي قد تبدو واضحة... الخ. ينظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة: 1403هـ-1983م، 33/9.

(2) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 196/10.

جدا.

- 3- قضى حوالي عشرين سنة بالتدريس في جامعة عمار ثليجي بالأغواط أستاذا مشاركا، فأشرف وناقش العديد من البحوث العلمية: رسائل الماجستير والدكتوراه في اللغة والفقه.
- 4- كُلف من طرف مديرية الشؤون الدينية بالإمامة وتقديم الدروس والمحاضرات بمساجد الولاية.

5- عضو اللجنة القطرية لمشروع "الذخيرة العربية" الذي تبنته جامعة الدول العربية.

6- عضو هيئة التحرير لمجلة مجمع اللغة العربية الجزائري.

7- عضو جمعية اللسانين الخليين.

8- مفتي الأغواط، ومفتي المذهبين: الإباضي والمالكي باعتباره مطفى نار الفتنة بين المذهبين⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الحياة العلمية للشيخ التواتي بن التواتي:

والحديث عنها من خلال عدة جوانب هي:

أولاً: نشأته وطلبه للعلم: تربى التواتي في عائلة كريمة تحب العلم و تبجل أهله، كما أنها عائلة ذات مستوى معيشي ميسور الحال، فقد كان جدّه الحاج سليمان موّالا، ووالده الحاج مبارك من حملة كتاب الله تعالى، كما كانت أسرته ذات علاقة طيبة بالزاوية الرحمانية؛ هذه الزاوية التي كانت لها مكانة عند مشايخ الزوايا في ذلك الوقت وعندها سلطة أدبية عليهم واحترام وتقدير، فكان أبناء التواتي كلّهم يلتحقون بالزاوية الرحمانية لحفظ القرآن الكريم، ولذا فإنه ومنذ حداثة سنّه نشأ محبا للعلم مسخّرا حياته له، حيث حثّه والده على حفظ القرآن الكريم فختمه وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية "المدرسة الأهلية" وهو ابن تسع سنوات تقريبا، وبهذه المدرسة أخذ مبادئ اللغة الفرنسية

(1) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 6/1، ومقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي ببيته يوم: 13

نوفمبر 2018م.

واستطاع التدرج حتى تحصّل على شهادة دبلوم وطنية مع مرتبة الشرف BEPC⁽¹⁾.

وأما عن أهم محطاته في تحصيل العلوم الشرعية وطلب العلم فهي كما يلي:

1- فبالنسبة للقرآن الكريم: أخذ القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية في فترة وجيزة جدًا عن الشيخ كويسي المبروك، حيث تعلّم بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم التحق بجيش التحرير الوطني الجزائري، وبعد الاستقلال أعاد حفظ القرآن عن الشيخ غالم محمود⁽²⁾.

2- وبالنسبة للفقه والأصول: فقد أخذها عن الشيخ أبي بكر الحاج عيسى؛ حيث اتصل به وأخذ عنه كتاب "الموافقات" للشاطبي، و"بدائع الفوائد" لابن القيم، وكتاب "المحصول في علم الأصول" للرازي، وذلك بعد التخرج من الجامعة؛ حيث لا زمه لسنوات وكانت الحلقة منتظمة، فكان الشيخ أبو بكر يطالبه بالحفظ واستظهار ما تقرر وما دار بينهما من شرح، ثم التلخيص لها وشرحها بين يديه، ليصحّح ما يراه مجانبًا للصواب.

3- وبالنسبة للغة العربية: فقد أخذها عن علّم من أعلام العالم العربي، ورئيس المجمع اللغوي "عبد الرحمن الحاج صالح" الذي كانت تربطه به علاقة تتلمذ ورابطة صداقة، جمعته به إلى آخر حياته⁽³⁾.

ثانيا: شيوخه: تتلمذ الشيخ التواتي على عدة مشايخ، منهم:

1- الشيخ كويسي مبروك -رحمه الله-: وهو من مواليد سنة: 1908م، أحد كبار رجالات العلم والدين والفقه، وكان موسوعة في التاريخ الإسلامي عموما وخصوصا ميدان أصول العائلات والعروش المحلية والشيوخ والعلماء داخل الوطن وخارجه يجيد اللغة الفرنسية، استمرت رحلته مع تدريس القرآن الكريم ستين سنة في كتابه المشهور في حي: الشطيطة الغربي بالأغواط، تخرّج على يديه مئات الطلبة داخل الأغواط وخارجها، ومنهم مفسرنا: التواتي بن

(1) مقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي يوم: 13 نوفمبر 2018م.

(2) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 5/1.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 6/1، ومقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي ببيته يوم: 13

نوفمبر 2018م.

التواتي.

كان يشتغل في مهنة النجارة التي برع فيها، وكان يرجع إليه في أواخر أيامه في الكثير من المسائل الفقهية وفك النزاعات حتى وافته المنية يوم 04 أفريل سنة: 2008م، وعمره مائة سنة⁽¹⁾.

أخذ عنه الشيخ التواتي القرآن الكريم بالزاوية الرحمانية.
2- الشيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطى التلمساني: ولد عام 1912م بالأغواط، أصله من تلمسان، وحين سافر جده للحج مر بمدينة الأغواط فعرض عليه سكانها البقاء فيها، فقبل عرضهم واستقرّ هناك، تخرج من جامعة الزيتونة ودرّس فيها سنة كاملة، ثم أخذ عن عبد الحميد بن باديس وشاركه في التدريس، ومن جملة تلاميذه: التواتي وأحمد حماني، توفي يوم: 28/07/1987م⁽²⁾.

أخذ عنه الشيخ التواتي: علّمي الفقه والأصول، ولجأ إليه مفسرنا حين تخرج من الجامعة فقال له: "يا سيدي أعطني علما" فقال له الحاج أبو بكر: "كنت تدرس في الجامعة"، فرد عليه التواتي: "الجامعة لا تعطيك علما، إنما تضعك على حافة العلم"⁽³⁾.

3- البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح: ولد سنة: 1927م، بمدينة: وهران، وهو ينتمي إلى عائلة عريقة، درس بمدارس جمعية العلماء الجزائريين، انضم في شبابه إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1947م، ثم انتقل إلى مصر بسبب تضيق السلطات الفرنسية عليه وانتسب هناك إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، عُيّن عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة: 1978م، وفي سنة: 1988م عُيّن عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعين عام 2000م رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية، وافته المنية سنة: 2017م. أخذ عنه

(1) مقال موسوعة الأغواط في الفكر الإسلامي، عطاء الله حمدي، بتاريخ: 7 نوفمبر 2013، الرابط: <http://sidielhadjaissa.over-blog.com/article-121003757.html>

(2) مقال: نابغة الأغواط: العلامة الشيخ: أبو بكر الحاج عيسى، مجلة الإصلاح، سمراد سمير، مج: 4، عدد: 23، سنة: 2010م.

(3) مقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي بن التواتي في بيته، يوم: 13 نوفمبر 2018م.

التواتي علوم اللغة العربية ولازمه ملازمة تلمذة وصداقة⁽¹⁾.

4- أحمد أبو زيد قصيبة الأغواطي: ولد بالأغواط في: 1919م، نشأ في كتابتها، وتتلמד على بعض علماء جمعية العلماء كمبارك الميلي والسعيد الزاهري، ثم انتقل إلى الزيتونة سنة: 1933م، ضمن بعثة الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان يشرف عليها مبارك الميلي، فتتلמד على يد الطاهر بن عاشور، وبعد تخرجه رجع إلى الوطن واشتغل بالتعليم، وكتب رسالة وصف فيها رحلته إلى تونس عنونها بـ "كيف هاجرت إلى تونس"، واختير كاتباً عاماً للجمعية بعد تأسيس مركزها بالقبة بالعاصمة سنة: 1946م.

بعد الاستقلال تولى إدارة الشؤون الدينية بولاية الأغواط، كما تولى إدارة المعهد الإسلامي بالأغواط بين سنوات 1964م و1979م، وأحيل على التقاعد عام 1980م، ولم يبخل بدروسه وإن كانت قليلة حتى توفي يوم 04 جويلية 1994م، وعمره: 80 سنة⁽²⁾.

وله الفضل بعد الله في اشتغال التواتي بعلم التفسير، حيث ذكر في مقدمته سبب وُلُوجِه لتفسير القرآن فقال: "ولا يفوتني أن أذكر بخير الشيخ العلامة أحمد قصيبة -رحمه الله- إذ أن هذا الرجل الفاضل والعالم الجليل له كل الفضل في توجيهي إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة، فقد قصرت دروسي على الفقه المالكي وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار عليّ فقال لي: لو أنك تفاصل بين الدروس، فجعلت يوماً للتفسير ويوماً للفقه بذلك تجمع بين الأصل والفرع، فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بالوصية فكانت نتيجتها هذا العمل الذي احتسبته عند الله لي تدريساً وتأليفاً وله -رحمه الله- توجيهاً"⁽³⁾.

ثالثاً: مؤلفاته: يقول التواتي: "لم أكتب في الفنون ولكن كتبت فيما يقربني إلى كتاب الله

(1) مقال: العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، محمد سيف الإسلام بوفلاقة، سنة: 2017/04/10، الرابط: <https://binbadis.net/archives/2286>.

(2) ينظر: أحمد قصيبة الشيخ الكاتب المناضل المصلح، مقال: بقلم: محمد الطيب، 2021/07/04، الرابط: <https://binbadis.net/archives/11552>.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 35/1.

وأعتبر مقولة الشاطبي: -من تصدى لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ استنباطا أن يكون عربي اللسان أو كالخليل وسيبويه، ولا يشترط فيه حفظهما وإنما عارفا... - (1)، شعارا ومنهجاً (2).

وقد تعددت مؤلفات الشيخ التواتي وتنوعت بين عدة فنون أهمها:

1- في التفسير وعلوم القرآن: وله عدة مؤلفات في هذا العلم هي:

- تفسير "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" في 20 مجلدا، وهو عبارة عن دروس في التفسير ألقاها الشيخ في المساجد، وهو مطبوع بدار الحكمة، الجزائر، سنة: 2016م، وسيأتي الحديث عنه.

- كتاب "التفسير اللغوي للقرآن الكريم" وموضوعه: مفردات القرآن دلالاتها واستعمالاتها في لغات العرب، أما المنهجية التي اتبعها فقد اعتمد فيه على التحليل اللغوي وما تركه كتاب الله من أثر في لغة العرب، فلم يستشهد إلا بالشعر القديم كما بيّنه وحدّده الدارسون للغة. وقد ألزم نفسه العناية بهذا الضابط ولم يخرج عنه إلا في القليل النادر جدا، كما أنه يختار اللفظ من الآية ويقدم المعنى ثم ينتقل إلى عنوان آخر هام وهو: وفي اللغة واستعمالات العرب، ويقدم كلّ الوجوه الواردة في كلام العرب سواء أكانت شعرا أم نثرا مما جعله يقدم ثروة لغوية ومعجمية تفيد الباحث في مجال تخصصه بالإضافة إلى المناقشات العلمية لأوجه القراءات وغيرها من العناوين الواردة في التفسير (3).

- كتاب "إرشاد العلي المنان في معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن"، في ثلاثة مجلدات.

- كتاب "القراءات وأثرها في الدرس النحوي والفقه الإسلامي"، وهي رسالته في الدكتوراه.

- كتاب "قراءة نافع برواية ورش في المغرب الأوسط الجزائر"، وهو مطبوع (4).

(1) كتاب الاعتصام للشاطبي، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط: 1، سنة: 1412هـ-1992م، 53/2.

(2) مقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي بن التواتي في بيته، يوم: 13 نوفمبر 2018م.

(3) نقلا عن ابنه الدكتور: عبد القادر، من صفحته في الفايسبوك "عبد القادر بن التواتي"، الرابط:

<https://www.facebook.com/abdelkader.touati.397>

(4) اتجاهات التفسير في الجزائر في العصر الحديث-التواتي وكعباش أنموذجا-، د: إبراهيم محفوظ حاج، ص: 67.

2- في الفقه: وله عدة مؤلفات في هذا العلم هي:

- موسوعة فقهية بعنوان "المبسّط في الفقه المالكي بالأدلة" وهو في خمسة مجلدات، طبع في دار الفكر لبنان، سلك فيه صاحبه منهجاً مبسّطاً سهلاً، واجتهد أن يأتي بالأدلة على الفروع الفقهية المالكية، وعن أصول منهج مالك في الاجتهاد والاستنباط، ومشروع هذا الكتاب عبارة عن دروس فقهية في الفقه المالكي قدّمها المؤلف عبر مجموعة من المساجد على مدار خمسة وعشرين سنة، وما يميّز الكتاب إضافة إلى الأدلة هو عناية صاحبه بالأمور المستجدة في عصرنا، مثل كتابته عن الزكاة وما يتّصل بها من الأموال الورقية التي حلّت محلّ التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي، والاجتهاد في تحديد النّصاب والوزن الخاص بالدينار والدرهم... ، وقد قسّم المؤلف كتابه إلى خمسة أجزاء وتوخى فيها السهولة في العرض والتبسيط، وقد ابتدأ بالأصول ثم الفروع وأتبعها بلمحة موجزة عن حياة مالك وفقهه، وحديث موجز عن الموطأ وما قاله أهل العلم عنه تقريراً وتعرّض لأقسام الحكم الشرعي والعقلي والتجريبي؛ أما الجزء الأول: فخصّصه للطهارة والصلاة والزكاة، وأما الجزء الثاني: فخصّصه للصوم والحج، أما الجزء الثالث: فخصّصه للأضحية والعقيقة والولائم والأيمان والندور، أما الجزء الرابع: فخصّصه للأحوال الشخصية، وأما الجزء الخامس: فخصّصه للمعاملات.

- كتاب "الفقه المقارن"، وهو كتاب خصّصه للمقارنة بين فقه المالكية والإباضية، ودعا فيه الشيخ إلى التآلف والتآخي ونبذ الخلاف المقيت والتعصب الأعى، طبع في مجلدين بدار ابن حزم، لبنان.

- كتاب "مالك إمام دار الهجرة ومنهجه الفقهي"، وقد طبع بمطبعة بن سالم سنة: 2017م.

- كتاب "الإمام المازري المالكي ومنهجه الفقهي".

- كتاب "محاضرات في الفقه المالكي"⁽¹⁾.

(1) الترجمة الموجودة في مقدمة "الدر الثمين في تفسير الكتاب المين"، التواتي بن التواتي، 6/1.

3- في الدراسات اللغوية: وله عدة مؤلفات في هذا العلم هي:

- كتاب "الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية"، وهو رسالته في الماجستير وهو مطبوع.
- كتاب "المصطلحات بين الفقهاء والنحاة".
- كتاب "الموجز في قواعد العربية" وهو عبارة عن محاضرات في النحو العربي ألقاها في الجامعة.
- كتاب "معاني القراءات عند الأخفش الأوسط وتوجيهها النحوي" يتكون من 12 جزءاً.
- كتاب "الخصائص اللغوية والنحوية للهجة بني تميم"، وهي عبارة عن رسالة صغيرة.
- كتاب "محاضرات في أصول النحو"، مطبوع.
- كتاب "مفاهيم في علوم اللسان" أو ما يسمى باللسانيات الحديثة.
- كتاب "المدارس النحوية"، وللشيخ في هذا رأي خالف فيه تقسيم المدارس النحوية إلى بصرية وكوفية وما إلى ذلك، ودعمه بالأدلة.
- له مجموعة من الأشعار باللغة الفرنسية والعربية، وهي لا تزال تحت الطبع.
- له عدة مقالات نشرت في مجلة: اللسانيات الصادرة عن مركز ترقية اللغة العربية، ومجلة: المخبر التابعة لمعهد أصول الدين بالجزائر، ومجلة: مجمع اللغة العربية بالجزائر، ومجلة: قسم اللغة والأدب العربي جامعة الأغواط، ومجلة الواحات الصادرة عن جامعة غرداية.

4- الحديث النبوي: وله عدة مؤلفات في هذا العلم هي:

- كتاب "منهج السالك في شرح موطأ الإمام مالك"، وهو في عشرين مجلداً، وهو دراسة تقابلية بين مسند ربيع بن حبيب والموطأ.
- كتاب "الدروس الوعظية من خلال الأحاديث النبوية"، في جزئين.

5- في أصول الفقه: وله عدة مؤلفات في هذا العلم هي:

- كتاب "التحفة الهمية في أصول الفقه"، وهو منظومة في ألفي بيت.

- كتاب "شرح التحفة الهمية في أصول الفقه"، وهو في ثلاثة مجلدات طبع بدار: ابن حزم بيروت⁽¹⁾.

المبحث الثاني: منهج التواتي في تفسيره "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين":

والحديث عن ذلك سيكون من عدة نقاط، تفصيلها كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بتفسير "الدر الثمين" ووصفه الخارجي:

وقد عرفت به من جوانب متعددة تشكل صورة عامة عنه وهي:

أولاً: اسمه وسبب تأليفه: أما اسمه: فقد صرح به التواتي في مقدمة التفسير فقال: "وقد وسميته بـ"الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين"، وذلك لأنني جلت في كتب التفسير القديمة والحديثة فأخذت ما فيها من درر ومعاني ومفاهيم عميقة أثبتها في هذا التفسير"⁽²⁾.

وأما سبب تأليفه: فذكره التواتي بقوله: "ولا يفوتني أن أذكر بخير الشيخ العلامة أحمد قصبية -رحمه الله تعالى- إذ أن هذا الرجل الفاضل والعالم الجليل له كل الفضل في توجيهي إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك حين انتدبت للتدريس في مسجد النور بمدينة الأغواط المحروسة فقد قصرت دروسي على الفقه المالكي، وكان الشيخ لتواضعه دائم الحضور، وذات يوم أشار إليّ بعد أن استضافني في بيته و أكرمني أكرمه الله تعالى من فيضه ورحمه برحمته، قال لي: لو أنك تفاصل بين الدروس فجعلت يوماً للتفسير ويوماً للفقه بذلك تجمع بين الأصل والفرع، فكان لهذا التوجيه الرشيد أثر في نفسي، وأخذت بوصيته، فكان نتيجة هذا العمل الذي أحسبته عند الله تعالى لي تديساً وتأليفاً وله -رحمه الله- توجيهاً"⁽³⁾. وقد عمل مفسرنا بوصية شيخه أحمد قصبية، فجعل دروس التفسير موازية لدروس الفقه، وأصبح يدعو الناس لحضور درس التفسير عندما ينتهي من درس الفقه للجمع بين الدرسين.

(1) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 8-7/1.

(2) المصدر السابق، 32/1.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 35/1.

ثانيا: هل تفسير "الدر الثمين" كان تفسيرا كتابيا أم شفاهيا؟

هذا التفسير جمع فيه التواتي بين الكتابة والمشافهة؛ ومما يدلّ لذلك قوله في المقدمة: "هذا العمل الذي أحسبه عند الله تعالى لي تدريسا وتأليفا"⁽¹⁾.

ثالثا: وقت ومكان إلقاء دروس التفسير:

أما وقت إلقاء دروس التفسير، فقد كان الشيخ التواتي مثل غيره من علماء الجزائر ومشايخها يلقي درس التفسير بالليل لأنه الوقت الذي يجتمع فيه الناس، ويُفهم ذلك من خلال كلمات الشيخ المتكررة في دروسه الليلية، ومنها قوله: "وهو موضوع درسنا في الليلة القادمة - إن شاء الله تعالى -"⁽²⁾.

وأما مكان إلقائه فقد ذكر الشيخ أنه كان يلقي دروس التفسير في مساجد الأغواط وسمى بعضها مثل: مسجد النور، حيث قال: "ورد سؤال أثناء درس التفسير في مسجد النور مفاده..."⁽³⁾.

رابعا: مدة ختام هذا التفسير: لم أقف على نص من الشيخ التواتي صرح فيه بالسنة التي بدأ فيها بإلقاء دروس التفسير، لأنه بدأ دروس الفقه أولا ثم أدخل عليها التفسير بعد ذلك؛ وأما ختامه فقد صرح به في خاتمة التفسير فقال: "تمت كتابة هذا التفسير يوم 21 شعبان 1435 هـ بعد صلاة الصبح، وكان هذا التفسير عبارة عن دروس يومية أُلقيت في مساجد الأغواط"⁽⁴⁾، وإذ أنه مرّ بنا أن سبب شروع الشيخ في التفسير هو اقتراح ذلك من شيخه أحمد قصيبة، ثم علمنا بأن الشيخ قصيبة توفي في 04 جويلية 1994م - كما سبق -، فإننا ندرك أنّ مدة التفسير دامت أكثر من 20 سنة.

خامسا: طبعات التفسير: طبع تفسير "الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين" لحد الآن

(1) المصدر نفسه، 35/1.

(2) المصدر نفسه، 166/6.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 4/180. وانظر: 35/1.

(4) المصدر نفسه، 545/20.

وينبغي هنا تسجيل ملاحظة مهمة وهي أن الطبعة الحالية لا تخلوا -في الغالب- صفحة منها من خطأ مطبعي واحد على الأقل كإسقاط كلمة أو تبديل حرف مكان آخر... ، وقد هممت بوضع فهرس لها، لكن الأمر تعذر لكثرتها الكثيرة، ولذلك يجب إعادة طبع هذا الكتاب النفيس وتخليصه من الأخطاء التي تجعل القارئ يملُّ من القراءة فيه بسببها.

1- المجلد الأول: واشتمل على ترجمة مختصرة للمصنّف من وضع الدار، ثم مقدمة للكتاب، فيها:

- بعدها عنون الشيخ بـ "الفصل الأول" وعنوانه: مفهوم القراءات وقواعد أصولها، أما بقية الفصول فخصصها الشيخ لتفسير سور القرآن الكريم من الفاتحة للناس.

- ثم شرع المصنف في تفسير سورة الفاتحة، ثم سورة البقرة من بدايتها إلى قوله تعالى ﴿قَيِّمُوا كَيْدَ الْمُكْفِرِينَ﴾ البقرة: ٥٤.

- وختم المجلد الأول بفهرس خاص لما حوته المقدمة من مواضيع، وفهرس للآيات التي تمّ تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها، وجاء المجلد في 595 صفحة.

[illegible]

٦، إلى نهايتها، ثم تلتها سورة الأنعام من بدايتها إلى قوله تعالى ﴿فَذُفِّقْ قَمَ كَجْ كَ كْ﴾ إلى نهايتها، ثم تلتها سورة الأنعام من بدايتها إلى قوله تعالى ﴿فَذُفِّقْ قَمَ كَجْ كَ كْ﴾. وجاء المجلد في 498 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

9- المجلد التاسع: ويبدأ من قوله تعالى ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ إلى نهايتها، ثم أعقبه بتفسير سورة الأعراف كاملة. وجاء في 488 صفحة، وختم بفهرس موضوعي للآيات.

10- المجلد العاشر: ويبدأ من تفسير أول سورة الأنفال، ثم سورة التوبة، إلى آخر سورة يونس.

وجاء حجمه في 494 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها.

11- المجلد الحادي عشر: ويبدأ من تفسير أول سورة هود، ثم سورة يوسف، ثم سورة الرعد، ثم سورة إبراهيم، إلى آخر سورة الحجر. وجاء في 509 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

12- المجلد الثاني عشر: ويبدأ من تفسير أول سورة النحل، ثم سورة الإسراء، ثم سورة الكهف، إلى آخر سورة مريم. وجاء حجمه في 498 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

13- المجلد الثالث عشر: ويبدأ من تفسير أول سورة طه ثم سورة الأنبياء، ثم سورة الحج، ثم سورة المؤمنون، إلى آخر سورة النور. وجاء حجمه في 494 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

14- المجلد الرابع عشر: وجاء فيه تفسير سورة الفرقان كاملة، ثم سورة الشعراء، ثم سورة النمل، ثم سورة القصص، إلى آخر سورة العنكبوت.

وجاء حجمه في 495 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها.

15- المجلد الخامس عشر: ذكر فيه تفسير سورة الروم، ثم سورة لقمان، ثم سورة

السجدة، ثم سورة الأحزاب، ثم سورة سبأ، ثم آخر سورة فاطر.

وجاء حجمه في 455 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها

16- المجلد السادس عشر: ويبدأ من تفسير سورة يس، ثم يليه تفسير سورة الصافات وسورة ص، إلى آخر سورة الزمر. وجاء حجمه في 438 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

17- المجلد السابع عشر: ابتدأه بتفسير سورة غافر، ثم أعقبه بتفسير سورة فصلت، ثم سورة الشورى، ثم سورة الزخرف، ثم سورة الدخان، ثم سورة الجاثية، إلى آخر سورة الأحقاف.

وجاء حجمه في 503 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها.

18- المجلد الثامن عشر: جاء فيه تفسير سورة محمد، ثم سورة الفتح، ثم سورة الحجرات، ثم سورة ق، ثم سورة الذاريات، ثم سورة الطور، ثم سورة النجم، ثم سورة القمر، ثم سورة الرحمن، ثم سورة الواقعة، إلى آخر الحديد. وجاء حجمه في 581 صفحة، وختم بفهرس مع موضوع الآيات.

19- المجلد التاسع عشر: ابتدأه بتفسير سورة المجادلة، ثم أعقبه بتفسير، سورة الحشر وسورة الممتحنة، ثم سورة الصف، ثم سورة الجمعة، ثم سورة المنافقون، ثم سورة التغابن، ثم سورة الطلاق، ثم سورة التحريم، ثم سورة الملك، ثم سورة القلم، ثم سورة الحاقة، ثم سورة المعارج، ثم سورة نوح، ثم سورة الجن، ثم سورة المزمل، ثم سورة المدثر، ثم سورة القيامة، ثم سورة الإنسان، إلى آخر سورة المرسلات.

وجاء حجمه في 552 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها

20- المجلد العشرين: يبدأ من أول سورة النبأ إلى نهاية سورة الناس.

وقد جاء حجمه في 553 صفحة، وختم بفهرس للآيات التي تم تفسيرها مع ذكره لموضوعاتها.

سابعا: مصادر التواتي في تفسيره "الدر الثمين":

اعتمد الشيخ التواتي في تفسيره على مجموعة كبيرة جدا من الكتب المتنوعة في مختلف الفنون والعلوم؛ بعضها صرح باسمها وبعضها لم يصرح به، وقد ذكر الشيخ عدد المصادر التي اعتمد عليها في مقدمة تفسيره فقال: "وقد بلغ عددها أكثر من 250 كتابا تناولت القرآن وعلومه: منها مائة وعشرين تفسيراً، ونظرت فيها آية آية"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: منهج التواتي في تحرير المسائل في تفسيره "الدر الثمين":

وسأتحدث هنا عن المنهج الذي سلكه التواتي في تفسيره "الدر الثمين"، وذلك كما يلي:
أولاً: الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي: حيث جمع التواتي في تفسيره بين الأثر والنظر أو المأثور والرأي، وفي ذلك يقول: "أما منهجية الكتاب فقد سلكت فيه الجمع بين الأثر والنظر"⁽²⁾. ويقصد بذلك منهجي التفسير المعروفين وهما:

- التفسير بالمأثور وهو: تفسير القرآن الكريم بما جاء في القرآن الكريم أو السنة، أو أقوال الصحابة والتابعين، مما ليس منقولاً عن أهل الكتابين اليهود والنصارى.
 - التفسير بالرأي وهو: تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، وألفاظ العربية ووجوه دلالتها، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك⁽³⁾.
- ثانياً: تفسير جميع سور وآيات القرآن الكريم: حيث تتبع القرآن سورة سورة وآية آية؛

(1) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 30/1.

(2) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 29/1.

(3) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق

ط: 2، سنة: 1418هـ - 1998م، ص: 236.

ومثى في تفسيره على ترتيب المصحف⁽¹⁾، وكما جاءت في نظم ابن جابر الذي سرده كاملا، فقال: "وسوف أتبع سور القرآن سورة سورة كما وردت في نظم متن ابن جابر - رحمه الله تعالى - (2) :

بحمد إله العرش أستفتح القولا.....وفي آية الكرسي أستمنح الطولا

وفي آل عمران أتى ذكر أحمد.....نساؤهم بالعقد قد أنعموا القولا"⁽³⁾.

ثالثا: الاختصار وعدم الاستطراد إلا لفائدة: فقد عزم الشيخ على سلوك طريق الاختصار ما استطاع؛ فلا تطويل إلا لزيادة فائدة ضرورية ومهمة، وفي ذلك يقول: "وإني سالك في هذا السبيل طريق الاختصار ما استطعت، وربما أطيل حيث رأيت الفائدة"⁽⁴⁾. بل إن التواتي ذم ما يذكره المفسرون من استطرادات في تفاسيرهم من غير فائدة؛ مثل الإطالة في ذكر الأحاديث المتعلقة بالقصص، أو الاستطراد في ذكر الفضائل... الخ، وقد نص على ذلك لما فسّر سورة الإسراء فقال: "ونشير أنه قد أطال كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطي"⁽⁵⁾ وغيرهما في هذا الموضوع، بذكر الأحاديث الواردة في الإسراء على اختلاف ألفاظها وليس في ذلك كثير فائدة، فهي معروفة في موضعها من كتب الحديث... والمقصود من كتب التفسير ما يتعلق من تفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ منه من المسائل

(1) وكان التواتي يشير إلى بعض المفسرين الذي لم يتبعوا هذا الترتيب، مثل الشيخ: حبنكة الميداني في كتابه "معارج التفكير ودقائق التدبر"، وهو تفسير للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل.

(2) وهذا النظم لابن جابر الأندلسي، وُلد عام 1298 في مدينة ألمرية وتوفي عام: 1378هـ. واسم النظم "المنظومة في مدح رسول الله ﷺ"، مُؤرّبا فيها بسور القرآن مرتبة. ينظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، سنة: 1414هـ-1993م، 423/2.

(3) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 32/1 و33.

(4) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 31/1.

(5) ساق ابن كثير كثيرا من الروايات المتعلقة بحادثة الإسراء، وعنون لذلك بقوله: "ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء". تفسير ابن كثير، 6/5، وينظر أيضا تلك الروايات الكثيرة في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، 182/5.

الشرعية، وما عدا ذلك فهو فضلة لا تدعو إليه حاجة"⁽¹⁾.

وقد يستطرد الشيخ أحيانا في بعض المواضع لفائدة يراها، فيضع عنوان واضحا بخصوص ذلك فيقول "استطرد"، ومثاله: ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَحْمِلُ صَوَارِغَ شِدَارٍ فَإِذَا هُمْ خَامِلُونَ﴾ "استطرد: وأذكر في هذه المناسبة قول القائل الذي انقطعت به السبل في عرض البحر وظن أن لا منجي له مما هو فيه فقال:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي * وصار القرى كاللبن الحليب

وصار البر مرتع كل حوت * وصار البحر مرتع كل ذيب

وإذا بهاتف من قبل الله يجيبه ويؤنسه، ويفتح له باب الأمل، وأن الله تعالى ما أغلق بابا إلا وقد فتح أبوابا أخرى فيها الأمل، وفيها الرجاء وتفريج كربة المكروب، فكان الهاتف "وعسى كل ضيق وراءه فرج"، يجب على من كان مؤمنا بالله حق الإيمان ألا ينقطع رجاؤه من الله"⁽²⁾.

رابعا: الاهتمام الخاص بعلم القراءات: حيث صرح التواتي في مقدمته بتركيزه على القراءات القرآنية، وجعل ذلك من أولويات اهتماماته فقال: "وأما الفصول الأخرى فقد خصصتها للتفسير معتمدا على القراءات وتوجيهها حسب ترتيب السور"⁽³⁾. ومما يدل على اهتمامه البالغ بالقراءات القرآنية أمران:

1- من الناحية النظرية لها: حيث خصص لها فصلا كاملا في المجلد الأول من التفسير تحت عنوان: "مفهوم القراءات وقواعد أصولها"، وذلك ابتداء من الصفحة: 41 إلى الصفحة 143.

(1) المصدر نفسه، 169/12.

(2) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 215/13. وهناك مثال آخر في تفسيره لقوله تعالى ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنْ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَبْنَاهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ "حيث استطرد في ذكر الذرية وغير ذلك، ينظر: الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 172/12 و173.

(3) المصدر نفسه، 32/1.

2- من الناحية التطبيقية: لم يُغفل في تفسيره ذكر القراءات وتوجيهها فكان يضع عنواناً لذلك فيقول "أوجه القراءات" ثم يذكر توجيهها، وعَلَّل ذلك بقوله: "إذ كلما تغيّر الأداء القرآنيّ تغيّر التفسير في غالب الأحيان، وذلكم لسعة ما أودعه الله تعالى في هذا الكتاب الصالح لكلّ زمان ومكان"⁽¹⁾.

خامساً: توظيف الاتجاه العلمي في التفسير: وقد صرح الشيخ بذلك في مقدمته فقال: "ولم أغفل الحديث عن الآيات الكونية التي هي دليل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ولقد أشار أحدهم إلى هذه الظواهر العلمية فقال: "إن الظواهر العلمية في القرآن إذ قيست بما اكتشفه العلم الحديث، فإن هذا العلم مازال يحبو بالنسبة لها"⁽²⁾. ومثاله: ما ذكره في معجزة

الإخبار بتعدد المشارق والمغارب، عندما فسّر قوله تعالى ﴿سَمِيعٌ شَمِيعٌ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ﴾⁽³⁾ المعارج: ٤٠، فقال: "إن التقدم العلمي جعلنا نفهم بعمق معنى هذه الآيات، فكلّ ما كان على الأرض له مشرق ومغرب، هذه هي النظرة العامة، وعرفنا أن الشمس حين تشرق عندي، تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند قوم آخرين، إذن فمع كلّ مشرق مغرب ومع كلّ مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان، ثم عرفنا أن الشمس لها مشرق كلّ يوم ومغرب كلّ يوم يختلف عن الآخر، وفي كلّ ثانية هناك شروق وغروب، إذن فالقسم هنا ﴿سَمِيعٌ شَمِيعٌ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِذْنِهِ﴾⁽³⁾ المعارج: ٤٠، لأن المشارق والمغارب مختلفة على مدار السنة"⁽³⁾. مع ملاحظة أن الشيخ لم يكثر من التفسير العلمي في كتابه.

سادساً: اجتهاده في تنزيل الآيات على الواقع وربطها بأحوال المجتمع: فإن كان للآية أو الآيات صلة بالواقع، فإنه يقوم بتنزيلها على واقع المسلمين كاشفاً عن الداء الذي تسرّب في الأوساط الإسلامية وواصفاً الدواء والعلاج المناسب من هدايات القرآن، كما صرح به في مقدمة تفسيره قائلاً: "وأطبّق الآية المفسرة على واقع الناس، داعياً إياهم إلى فهم القرآن

(1) الدر الثمين، التواتي بن التواتي، 421/17.

(2) المصدر نفسه، 32/1.

(3) المصدر نفسه، 377/19.

وتدبره كما أمرهم الله تعالى بقوله ﴿كَأَكْلِ كُلِّ كَمٍّ كَيَّ كَيٍّ لَمْ لَمْ﴾ محمد:
(٢٤)^(١).

خاتمة:

- 1- نشأة التواتي كانت في بيت علم وقرآن، وهو ما سهل له الطريق في سلوك سبيل العلم وتعلمه في سن مبكرة.
- 2- المذهب الفقهي الذي نشأ عليه التواتي وتبناه، هو المذهب المالكي جريا على ما ساد عليه العلماء في بلده، وقد ظهر أثر ذلك في تفسيره لآيات الأحكام ظهورا واضحا.
- 3- تنوعت مؤلفات الشيخ التواتي في فنون عديدة في التفسير والحديث واللغة والفقه، مما يدل على موسوعيته العلمية والمكانة العالية التي تبوأها.
- 4- تفسير "الدر الثمين" جمع بين منهجين في التفسير الشفاهي والكتابي، حيث كان الشيخ يكتبه ويلقيه في المسجد على شكل دروس ثم طبعه في كتاب.
- 5- تنوعت المصادر التي اعتمد عليها التواتي في "الدر الثمين" حتى بلغت 250 مصدرا، مما يدل على الجهد الذي بذله الشيخ فيه، والمكانة التي بلغها هذا التفسير.
- 6- جمع التواتي في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وهو ما زاده قيمة علمية.
- 7- تميز "الدر الثمين" بسهولة الأسلوب ويسر العبارة، ولذا فقد جاء سلسا يسهل فهمه من كل قارئ له.
- 8- غلب على التفسير النقل عن المفسرين دون عزو، حتى أنه النقل قد يبلغ أحيانا صفحتين فأكثر.
- 9- اهتم الشيخ التواتي بالقراءات القرآنية في تفسير، حتى أنه جعل لذلك مقدمة كاملة

(١) المصدر نفسه، 32/1.

افتتح بها تفسيره.

10- ظهرت ثلاثة اتجاهات تفسيرية في كتاب "الدر الثمين"، هي: الاتجاه الاجتماعي واللغوي والفقه.

11- وظف الشيخ أصول التفسير النقلية والعقلية وكثيرا من أنواع علوم القرآن في تفسير "الدر الثمين".

مراجع البحث:

1- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، سنة: 1414هـ-1993م، 423/2.

2- تفسير ابن كثير، تحقيق، سامي بن محمد السلامة، دار طبعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط: 2، سنة: 1420 هـ - 1999.

3- الدر الثمين في تفسير الكتاب المبين، التواتي بن التواتي، دار الحكمة، الجزائر، ط: 1، سنة: 2016م.

4- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة: 1403هـ-1983م.

5- رسالة دكتوراه بعنوان: اتجاهات التفسير في الجزائر في العصر الحديث -التواتي وكعباش أنموذجا-، د: إبراهيم محفوظ حاج، نوقشت سنة: 2018، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.

6- كتاب الاعتصام للشاطبي، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط: 1، سنة: 1412هـ-1992م.

7- موقع: "منتديات الشروق"، منتدى القرآن الكريم، بتاريخ: 2016/06/27، من تقرير بعنوان: العلامة ابن التواتي الجزائري الذي فسّر القرآن في 20 مجلدا، تغطية: زهيرة مجراب وقدور جربوعة، الرابط: <https://montada.echoroukonline>

- 8- مقابلة الطالبة: هاجر بوغرارة مع الشيخ التواتي بن التواتي في بيته، يوم: 13 نوفمبر 2018م، على الساعة: 14:11، الرابط: https://justpaste.it/Imam_touati.
- 9- موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط: 2، سنة: 1428هـ-2007م.
- 10- مقال موسوعة الأغواط في الفكر الإسلامي، عطاء الله حمدي، بتاريخ: 7 نوفمبر 2013، الرابط: <http://sidielhadjaissa.over-blog.com/article-121003757.html>¹.
- 11- مقال: نابغة الأغواط: العلامة الشيخ: أبو بكر الحاج عيسى، مجلة الإصلاح، سمراد سمير، مج: 4، عدد: 23، سنة: 2010م.
- 12- مقال: العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان، محمد سيف الإسلام بوفلاحة، سنة: 2017/04/10، الرابط: <https://binbadis.net/archives/2286>.
- 13- مقال: أحمد قصبية الشيخ الكاتب المناضل المصلح، بقلم: محمد الطيب، 2021/07/04، الرابط: <https://binbadis.net/archives/11552>.
- 14- صفحة الدكتور: "عبد القادر بن التواتي" في الفيسبوك الرابط: <https://www.facebook.com/abdelkader.touati.397>
- 15- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق ط: 2، سنة: 1418هـ-1998م.

الاتجاه التربوي في تفسير القرآن للإمام الثعالبي: دراسة تحليلية استقرائية

لمنهج "الجواهر الحسان"

د. بوشيبة عبد اللطيف - جامعة أحمد زبانة غليزان

د. علي عبد الفتاح صديقي - جامعة قاصدي مرباح ورقلة

الملخص :

تكشف هذه الدراسة عن البعد التربوي في تفسير الثعالبي، الذي لا يقتصر على التحليل اللغوي أو الفقهي، بل يؤسس منهجاً متكاملًا يهدف إلى تزكية النفس وتقويم المجتمع، وتبرز قيمة هذا المنهج في تعامله المنصف مع مسائل الخلاف، وحرص مؤلفه الذي جمع بين العلم والزهد على استخلاص كنوز الآيات لخدمة الأمة ونفعها.

Absstrat:

This study derives its significance from revealing the pedagogical dimension in al-Tha'alibi's tafsir, which transcends mere linguistic or jurisprudential analysis. Instead, it establishes an integrated methodology aimed at the purification of the soul tazkiyat al-nafs and the rectification of society. The value of this approach is highlighted by its equitable handling of disputed matters and the author's commitment—a man who combined knowledge with asceticism zuhd—to extracting the treasures of the Quranic verses for the service of the Ummah the Muslim community.

المقدمة :

يُمثل التفسير القرآني الركن الأساسي في تحقيق غايات الشريعة، إذ لا يمكن الوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية إلا بالتدبر الواعي لآيات الكتاب العزيز، ومن هذا المنطلق ظهرت تفاسير تركز على الجوانب التوجيهية والمنهجية، تسعى إلى تحويل النص الإلهي إلى برنامج عملي متكامل لتزكية النفس وتقويم المجتمع، ومن أبرز هذه الأعمال في تاريخ الغرب الإسلامي، تفسير الإمام أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي ت 875 هـ، المسمى *الجواهر الحسان* في

تفسير القرآن .

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من الكشف عن البعد التربوي الكامن في تفسير الثعالبي، الذي يتجاوز التحليل اللغوي أو الفقهي السطحي ليؤسس منهجاً حصيفاً في التعامل مع مسائل الخلاف، ويعرض الظواهر ثم يناقشها بإنصاف. ويُعد الثعالبي من أحد أعلام الجزائر في القرن التاسع الهجري، شخصية محورية جمعت بين العلم والتقوى والزهد، مما انعكس على منهجه، حيث حرص على استخلاص كنوز الآيات وتدبرها لخدمة الأمة، إن دراسة هذا الجانب ضرورية لتأصيل مساهمات المدرسة التفسيرية المغاربية في بناء الشخصية الإسلامية الشاملة.

الإشكالية : ما هي الأبعاد المنهجية والسمات النوعية التي شكلت الجانب التربوي في تفسير الثعالبي *الجواهر الحسان*، وكيف ساهمت هذه الأبعاد في صياغة مفهوم متكامل للتربية الإسلامية يجمع بين الفقه والسلوك والتركيب؟

الأهداف : - التعريف بالإمام عبد الرحمن الثعالبي كمفسر، وتأكيد موقعه الزمني والجغرافي

- تأصيل الإطار النظري والمفاهيمي للتربية التي اعتمدها الثعالبي، شاملاً الأبعاد التشريعية والروحية والعقلية.

- تحليل الأساليب التربوية الموظفة في التفسير، مثل استخدام القصص، ومنهج الترغيب والترهيب، وتقنية نقد المرويات، ودورها في بناء السلوك وتقويم الشخصية.

كما تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء المنهج التربوي الذي اعتمده الإمام عبد الرحمن الثعالبي ت 875هـ في كتابه *الجواهر الحسان* في تفسير القرآن، وكيفية توظيفه لعلوم التفسير المختلفة لخدمة غرض تهذيب النفوس وبناء الوعي الإسلامي الشامل .

خطة البحث : اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الإطار النظري والسياق المنهجي لتربية الثعالبي

المطلب الأول : التعريف بالإمام عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه الجامع

المطلب الثاني : الجواهر الحسان وموقعه في التراث التفسيري كأصل تربوي

المبحث الثاني : الأصول التربوية الكبرى والأسس المنهجية المنطلقات

المطلب الأول : التربية العقدية ومنهج الثعالبي في تهذيب المفاهيم أصول الدين

المطلب الثاني : التربية التشريعية الفقهية كمنهج عملي لضبط السلوك

المطلب الثالث : التربية الوجدانية وتزكية النفوس الأخلاق والسلوك

المبحث الثالث: الوسائل التعليمية والآليات التربوية المستنبطة

المطلب الأول : القصة القرآنية والقُدوة كأداة للتعليم العبر التربية بالنموذج

المطلب الثاني : الآليات اللغوية والمعرفية التربية العقلية

المطلب الثالث : الأدوات التعليمية المباشرة وغير المباشرة

أما منهج الدراسة فقد اعتمدت المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع المواضع التربوية في تفسير الثعالبي وكذلك المنهج التحليلي في استخراج تلك المواضع وبيانها وتصنيفها .

المبحث الأول: الإطار النظري والسياق المنهجي للثعالبي وكتابه الجواهر الحسان

المطلب الأول : التعريف بالإمام عبد الرحمن الثعالبي

في سجلّ تاريخ الجزائر الذي يزدانُ بأعلام الهدى وأئمة الثّقى، يتلأأ اسمُ الإمام عبد الرحمن الثعالبي كنجمٍ ساطعٍ في سماء المعرفة، وكنزٍ ثمينٍ من كنوز التراث الروحي والفكري للمغرب الإسلامي. لم يكن عالماً فحسب، بل كان منارةً للعلم، وقُدوةً في العمل، ومربيّاً للأجيال، جمع في شخصه بين رسوخ الفقيه، ودقة المحدث، وروحانية العارف بالله.

لم تقنع همّة الثعالبي بما في وطنه من علوم، فامتدت به الأشواق إلى مناهل المعرفة الكبرى. يممَّ وجهه شطر حواضر العلم في زمانه، فارتحل إلى تونس الخضراء، وفاس دار العلماء، ومصر القاهرة المعز، حيث جلس بين يدي جهابذة العصر، فأخذ عنهم وأجازوه، وعاد إلى بلده بجرّاً زاخراً بالعلوم، وفكراً نيراً يجمع بين الأصالة والتجديد. ومن طالبٍ نابهٍ، تحول إلى إمامٍ يُقصد، وأستاذٍ تُشدُّ إليه الرحال، فتخرج على يديه كوكبةٌ من العلماء حملوا علمه

وأضأوا به الأقطار.

فكان له رحمه الله منهجٌ متفردٌ: يجمع بين الشريعة والحقيقة كان للثعالبي منهجٌ علميٌّ وتربويٌّ فريد، فهو نسيحٌ محكمٌ من العلم والعمل، يجمع بين:

- التفسير: حيث يتجلى إبداعه في سفره الخالد "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، الذي مزج فيه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، مع عناية فائقة ببيان مقاصد السور، ولطائف اللغة، وأسرار النظم القرآني، كل ذلك بأسلوبٍ تربوي يهدف إلى تزكية النفس.

- الفقه: كان فقهياً مالكياً راسخ القدم، لكنه لم يكن مقلداً جامداً، بل كان يستنبط الأحكام بروح الفقيه المجتهد الذي ينظر إلى مقاصد الشريعة وغاياتها الكبرى.

- التصوف: سلك طريق التصوف السُّني، فكان داعيةً إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، يرى أن التصوف الحق هو تهذيب للأخلاق، وتصفية للقلب، وإحسان في عبادة الله، لا ينفصل عن متابعة الكتاب والسنة.

أما عن تراثه العلمي فقد خلّف الإمام الثعالبي وراءه تراثاً علمياً ضخماً، يدل على سعة معارفه وعمق إدراكه، ومن أنفس ما خطّه يراعُه:

- تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وهو درة أعماله وعنوان علمه.
- "الجامع الكبير"، موسوعة فقهية في أحكام العبادات والمعاملات.
- "معجم الغريب" وهو من أوائل المعاجم اللغوية الجزائرية التي تهتم بغريب القرآن والسنة والأثر.

- عشرات المصنفات الأخرى في الحديث والسيرة واللغة والأخلاق.

لم تكن عظمة الثعالبي في مؤلفاته فحسب، بل في الأثر العميق الذي تركه في الحياة العلمية والروحية للجزائر. فقد أسس مدرسةً علميةً وتربويةً أصبحت على مر القرون حصناً منيعاً للهِوية الإسلامية والعربية للمنطقة. وبعد حياةٍ مباركةٍ أمضاها في التعليم والإرشاد، انتقل إلى جوار ربه سنة 875 للهجرة 1470م، ودُفن في زاويته بالجزائر العاصمة، التي ما زالت إلى يومنا هذا منارةً للهدى، ومقصداً للزائرين، وشاهداً حياً على سيرة إمامٍ وهب حياته لخدمة

دين الله وعباده⁽¹⁾.

المطلب الثاني : الجواهر الحسان وموقعه في التراث التفسيري

يُصنّف تفسير "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للإمام عبد الرحمن الثعالبي ت 875هـ ضمن التفاسير التي تميزت بمنهجية التحرير والتهديب، حيث اتسم بأسلوبه الموجز، وخلوّه من الاستطرادات غير الوظيفية والحشو الزائد، وتكمن أهميته المرجعية في كونه خلاصة منتقاة من تفسير "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي ت 542هـ، الذي عدّه ابن خلدون زبدة التفاسير المتقدمة عليه.

وقد عمد الثعالبي إلى تهذيب "المحرر الوجيز" عبر تنقيحه من وفرة الأقوال المتشعبة، والخلافات المطولة، والروايات المتعددة، منتقياً ما ارتآه أقرب إلى روح النص القرآني ومقاصده، وكان يهدف من خلال هذا الاختصار إلى تيسير الانتفاع بالتفسير لجمهور أوسع من المتخصصين والعامة، كما صرح بذلك في مقدمة كتابه. وعلى الرغم من حرصه على الإبقاء على الهيكل العام لمنهج ابن عطية وشخصيته العلمية، إلا أن نزعتَه التربوية الوعظية كانت تظهر بوضوح في المواضيع التي تستدعي الترغيب والترهيب، حيث يسترسل في إيراد الأحاديث والأثار المتعلقة بالرقائق وأمور الآخرة.

وقد كشفت المقارنة التحليلية بين "الجواهر الحسان" و"المحرر الوجيز" عن استقلالية علمية للثعالبي في مواضيع عدة، حيث لم يكن مجرد ناقل أو مختصر، بل باحث محقق له اختياراته النقدية. وتتلخص أبرز مظاهر هذه الاستقلالية في النقاط التالية:

- التفوق في الصناعة الحديثية: تميّز الثعالبي بعناية أكبر في تخريج الأحاديث ونقدها، متفوقاً في هذا الجانب على الأصل الذي اختصر منه.
- التعقّب والاستدراك: تتبّع الثعالبي بعض المسائل التي ذكرها ابن عطية ثم تراجع

(1) انظر سيرته في: شجرة النور الزكية في تراجم المالكية لمخلوف 264، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – للتنيكتي 257، تعريف الخلف برجال السلف 308، معجم أعلام الجزائر 90، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر للنويهيض 276.

عنها، كما استدرك عليه في قضايا دقيقة تتعلق بعصمة الأنبياء ومنزلتهم.

• **الترجيح النقدي:** خالف الثعالبي ابن عطية في فهم بعض الآيات القرآنية، حيث رجّح تفسيرات أخرى بناءً على أدلة وقرائن ساقها.

• **المناقشة العلمية:** ناقش الثعالبي آراء ابن عطية في بعض القضايا التفسيرية والفقهية، مُظهرًا حسه النقدي.

• **المخالفة في المباحث اللغوية:** سجلت عليه مخالفات لابن عطية في بعض القضايا اللغوية والنحوية، مما يدل على تمكنه من علوم اللغة واختياراته الخاصة فيه⁽¹⁾.

المبحث الثاني: الأصول التربوية الكبرى والأسس المنهجية المنطلقات

تُظهر الأصول المنهجية التي اعتمدها الثعالبي بناءً تربوياً متكاملاً يشمل العقيدة والتشريع والسلوك، مؤسساً بذلك لنموذج تربوي يوازن بين متطلبات العقل والقلب والعمل.

المطلب الأول: التربية العقدية ومنهج الثعالبي في تهذيب المفاهيم

تعرض الثعالبي في تفسيره لمسائل مهمة في أصول الدين، ومن أبرز مظاهر عنايته بالتربية العقدية ما يظهر في استدراكاته على ابن عطية، لا سيما في المسائل المتعلقة بمنزلة الأنبياء وعصمتهم. لقد كان الثعالبي يطالب بتهذيب العبارات التي قد يستخدمها ابن عطية أحياناً ولا تُحسن التعبير عن منزلة الأنبياء، فينظر إلى هذا التصحيح اللفظي كعمل تربوي دقيق، فيما أن التربية تعتمد على القدوة، كان لزاماً على الثعالبي صيانة نموذج الأنبياء وتنقيتها من أي تعبير يوحي بنقص أو خلل، وذلك لما لهذه المسائل من عواقب عقدية وسلوكية مباشرة على المتلقي. بالإضافة إلى ذلك، فإننا نجده يستخدم الفكر العقلي لترسيخ اليقين؛ هذا المنهج يوضح أن الثعالبي لم يقتصر على التلقين النقلي، بل عزز البصيرة العقلية لدى القارئ لمواجهة الشبهات، مما شكل أساساً متيناً للتربية العقلية والدفاعية في عصره.

برزت عناية الثعالبي بالتربية العقدية من خلال حرصه على تصحيح المفاهيم الكبرى في

(1) التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا د. محمد بن رزق بن طرهوني 698/1، التفسير والمفسرون لحسين الذهبي

الإيمان وترسيخ معاني المراقبة والتوحيد؛ فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ البقرة: 115 يُبرز الثعالبي الأساس التربوي لهذه العقيدة، حيث يقول: "المقصود أن العبد لا يخلو من نظر الله إليه في أي جهة كان، فمن علم إحاطة الله به استحيا أن يعصيه" (1).

يُلاحظ أن الثعالبي لا يقدم هنا تفسيراً عقدياً صرفاً، بل يربط المعنى بالسلوك، ويجعل من مفهوم الإحاطة الإلهية مدخلاً إلى تهذيب النفس؛ ومثله تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ الحج: 37 إذ يركّز على تنقية النية حيث قال: "المراد أن الله لا يريد من العبد صورة العمل ولكن يقبل ما كان خالصاً لوجهه" (2)، وهذا النص يعكس توجهاً تربوياً يجعل الإخلاص محورياً أساسياً في بناء شخصية المؤمن.

المطلب الثاني: التربية التشريعية الفقهية منهج عملي لضبط السلوك

اعتنى الثعالبي بالجانب التشريعي عناية فائقة، حيث تعرض لآيات الأحكام وذكر الاختلافات الفقهية، وتتجلى هذه العناية في إطلاته في بعض المسائل الفقهية، مثل علمه الواسع في علم الموارث عند تفسير سورة النساء، حيث كان يطيل في ذلك مما يدل على باعه الكبير والطويل في علم الفقه، إن الإطالة في مسائل الأحكام، حتى وإن أدت أحياناً إلى الخروج عن مقصود الآية المباشر، لا تُعد مجرد استعراض للعلم، بل هي ترسيخ للالتزام الشرعي، وتُشكل "تربية بالإلزام"، ويُفهم هذا التركيز على الجانب العملي والتشريعي في سياق سيرته ومنهجه؛ فهو رجل جهاد وعمل، وتفسيره يتماشى مع رسالته التي بعثها إلى أحد تلاميذه متضمنة نصائح وتوجيهات في الجهاد، هذا الربط بين الفقه والمسؤولية العملية يجعل التربية الفقهية امتداداً لمفهوم "جهاد النفس"، كما أنه استخدم آليات تفسيرية تخدم التربية التشريعية، مثل ذكره لأسباب النزول ومكي القرآن ومدنيه، مما يساعد القارئ على فهم التدرج في التشريع وربط النص القرآني بالسياق التاريخي لإنزال الأحكام، عند تفسيره لآية المداينة البقرة: 282، وهي أطول آية في القرآن، يبدأ الثعالبي بشرح مفرداتها اللغوية وأوجهها البلاغية الجانب المعرفي. ثم ينتقل بسلاسة إلى تفصيل الأحكام الفقهية المتعلقة بالدين،

(1) الجواهر الحسان للثعالبي 164/1.

(2) الجواهر الحسان للثعالبي 240/3.

والكتابة، والشهادة، والرهن، عارضاً آراء المالكية ومقارناً إياها بغيرها الجانب العملي/الفقهي، وبعد أن يفرغ من تفصيل الأحكام، لا يترك الآية دون أن يربطها بالجانب الوجداني، فيورد أحاديث وآثاراً في التحذير من خطورة الدين، وأهمية أداء الحقوق، ومراقبة الله في المعاملات المالية، مذكراً بيوم الحساب الجانب الإيماني هذا الانتقال السلس بين المعرفة والفقه والتزكية هو جوهر خاصية الشمولية لديه ⁽¹⁾.

حيث قال رحمه الله: " والأمر بالكتاب علّة حفظ الحقوق وصيانة الأموال، وفيه أدب شرعي يمنع أسباب الخصومة" ⁽²⁾.

المطلب الثالث: التربية الوجدانية وتزكية النفوس الأخلاق والسلوك

يُمثل الجانب الوجداني حجر الزاوية في منهج الثعالبي التربوي، وذلك من خلال اعتماده المكثف على كتب التربية والرقائق كجزء أصيل من منهجه. كان الهدف هو تهذيب النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها. ومن الأمثلة على التوجيه الوجداني العميق، استنباطه للعبير المتعلقة بتحمل الابتلاء والرضا به، حيث يرى أن هذا البلاء علامة محبة من الله للعبد.

ولتحقيق هدف الترغيب والتحفيز الوجداني، اتبع الثعالبي سياسة منهجية تجاه الأحاديث الضعيفة: رفض الأحاديث الواهية والضعيفة في صميم تفسير الآيات والأحكام، لكنه تساهل في إيرادها في فضائل الأعمال. يُنظر إلى هذا التساهل المشروط كاستراتيجية تربوية تهدف إلى تحفيز القارئ العادي نحو الطاعة والعمل الصالح، دون الإخلال بأسس العقيدة والأحكام التي تتطلب دقة وثبوتاً عالياً، وهذا يؤكد وجود رؤية تربوية واضحة لديه توازن بين الدقة العلمية والتحفيز الروحي. ولتوضيح مصادره النوعية التي خدمت هذا الجانب.

ويظهر هذا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: 155 حيث يقول: " الصبر

(1) مقال: مظاهر النقد الفقهي عند المفسرين المالكيين الجزائريين - تفسير الإمام الثعالبي الجواهر الحسان أنموذجاً - للدكتورة ليلى حيي ص 38 وما بعدها.

(2) الجواهر الحسان للثعالبي 1/ 233.

منازل العارفين، ومن ابتلاه الله فصبر فقد أحبه، فإنَّ البلاء للمؤمن علامة المحبة " (1).
كما يبرز أثر الصحبة الصالحة في تزكية النفس عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: 119 حيث قال: " الصدق عمود الدين، ومن لازم الصادقين صقل الله قلبه بنور الحق " (2).

المبحث الثالث: الوسائل التعليمية والآليات التربوية المستنبطة

جمع الثعالبي في «الجواهر الحسان» بين أدوات تعليمية متكاملة؛ ففعل السرد القرآني بوظائفه التربوية من قصة وقادة وموعظة وترغيب وترهيب لبناء العبرة وتثبيت المعنى، وعضد ذلك بتحليل معرفي دقيق يعنى باللغة والنظم والسياق، مع تجنب منهجي الحشو والاستطراد ويقصد إلى الإفهام والتهديب؛ ولبيان مكوّنات هذا المنهج بصورة أوضح:

- الوسائل السردية التربوية: توظيف القصة القرآنية لبناء العبرة، واستحضار نماذج القدوة من الأنبياء والصالحين، وإيراد المواقف بما فيها الترغيب والترهيب وربطها بسلوك المتلقي.

المطلب الأول: القصة القرآنية والقدوة كأداة للتعليم

قد وظّف الإمام الثعالبي القصة القرآنية كأداة تعليمية محورية، معتبرا إياها، كما في سياق قصة موسى عليه السلام، مصدرا للبصائر والهداية والرحمة، ولم يكن توظيفه للسرد القصصي مجرد عرض للأحداث، بل كان مدخلا لاستنباط العبر السلوكية، وتأصيل القواعد التربوية، واستخلاص الأحكام التشريعية.

ولم يقتصر على نماذج الأنبياء، بل استلهم من منهج الصحابة في التدبر نموذجا تعليميا للقارئ. ويتجلى ذلك في إيراد قصة سؤال عمر بن الخطاب لحبر الأمة ابن عباس عن آية من سورة البقرة، ليقدم مثالا عمليا على كيفية التفاعل العميق مع النص القرآني، والغوص في طبقات معانيه.

(1) الجواهر الحسان للثعالبي 1/ 204.

(2) الجواهر الحسان للثعالبي 2/ 420.

وفي سياق متصل يهدف إلى حماية النموذج التربوي وصيانتَه، برز منهج الثعالبي المعتدل في التعامل مع المرويات الإسرائيلية، فقد اتسم بالحذر والترشيد، حيث أعرض عن كثير من الروايات التي توسع غيره من المفسرين في نقلها، متجنباً ما لا يخدم المقصد القرآني أو يتعارض مع أصول العقيدة. إن هذا المسلك النقدي في تنقية المادة التفسيرية يعكس وعياً منهجياً عميقاً، وسعيًا حثيثاً لتقديم تفسير صافٍ، تكون فيه الهداية مستمدة من معين القرآن الكريم النقي، ومن نبع السنة النبوية المطهرة ⁽¹⁾.

من أظهر النماذج التربوية في تفسيره توظيفه لقصة موسى والخضر، حيث يقول عند تفسير آيات سورة الكهف: "في القصة تعليم لطالب العلم أن يتأدّب مع العالم وألا يعجل بالإنكار قبل الوقوف على وجه الحكمة ⁽²⁾"، وفي قصة طالوت وجالوت يذكر "... وفي اختيار طالوت دون أشرف بني إسرائيل أنّ الفضل بالتقوى لا بالنسب، وأن الله ينصر أهل اليقين ولو قتلوا ⁽³⁾".

المطلب الثاني: الآليات اللغوية والمعرفية التربية العقلية

أدرك الثعالبي أن سلامة الاستنباط التربوي تتطلب انضباطاً عقلياً ومنهجياً، لذلك اعتمد على آليات لغوية ومعرفية دقيقة. فقد احتج باللغة والمسائل النحوية والتصريفية، وهناك دراسات أكاديمية تناولت توجيهه النحوي للقراءات القرآنية. هذا التركيز على الإعراب والنحو ليس مجرد استعراض لغوي، بل هو في حقيقته تربية منهجية على دقة الفهم، لأن سلامة المعنى المستنبط وبالتالي سلامة التوجيه التربوي أو الحكم الفقهي مرهونة بالإعراب الصحيح.

كما أكد الثعالبي على أهمية توظيف جملة من السياقات التداولية لمعرفة المعنى المراد من النص القرآني، فهذا المنهج السياقي يرمي إلى مساعدة القارئ على التعمق في المقاصد

(1) مقال توجيهات عبدالرحمن الثعالبي الصرفية للقراءات القرآنية في تفسيره "الجواهر الحسان": نماذج منتقاة

لمقدم عبد الكريم في مجلة آفاق ص 14.

(2) الجواهر الحسان للثعالبي 114/3.

(3) الجواهر الحسان للثعالبي 235/1.

الإلهية والتمكين من الفهم والاستيعاب المنهجي .

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ الشمس: 5 يورد الثعالبي توجهاً لغوياً مهماً: " ما مصدرية، وتقدير الآية: وبناء السماء. وفي هذا حسن تدبر لمعاني النظم.⁽¹⁾"

المطلب الثالث : الأدوات التعليمية المباشرة وغير المباشرة

لم يقف الإمام الثعالبي في تفسيره عند حدود المنهج التحليلي للنص القرآني، بل جاوزه إلى توظيف أدوات تعليمية مباشرة، تعكس دوره كشيخ ومربٍ. فانطلاقاً من مكانته الروحية كـ"ولي صالح وعارف بالله"، حرص على بث آثار الصالحين وأخبارهم في ثنايا تفسيره، لتكون هذه المرويات موعظة للقلب، ورونقاً للأسلوب، وجسراً يربط القارئ بتراث السلف الروحي.

ويتأكد هذا الدور التربوي المباشر من خلال وثائق أخرى خارج التفسير، كرسالته الشهيرة إلى أحد تلاميذه، التي تضمنت نصائح عملية في الجهاد والسلوك، مما يبرهن على أن منهجه لم يكن نظرياً فحسب، بل كان توجهاً عملياً مباشراً.

وفضلاً عن ذلك، فإن مقدمة تفسيره "الجواهر الحسان" بحد ذاتها تمثل خطة تعليمية متكاملة. فالفصول التي عقدها في فضل القرآن، وشرف علم التفسير، وآداب المفسرين ومراتبهم، لم تكن مجرد تمهيد تقليدي، بل كانت بمثابة إطار منهجي يوطر عقل القارئ ويروئ نفسه، ويزوده بالأدوات اللازمة لفهم النص القرآني فهماً صحيحاً، مؤسساً بذلك طالب علم مؤهل للتعامل مع كتاب الله.

ومن أمثلة الترغيب بضوابط علمية، قوله عند فضائل سورة الملك: "وَرُوي أَنَّ سورة الملك تجادل عن صاحبها حتى تدخله الجنة"⁽²⁾.

الخاتمة

قدم الثعالبي في «الجواهر الحسان» نموذجاً تربوياً متكاملًا يدمج بين بناء الإيمان، وتقويم السلوك، وتهذيب الوجدان، ضمن إطار تفسيري محكم يُوجّه المتلقي إلى الفهم

(1) الجواهر الحسان للثعالبي 5/ 421.

(2) الجواهر الحسان للثعالبي 5/ 390.

المقاصدي لا مجرد بيان الألفاظ، وتتضح خصائص منهجه في الآتي:

- الشمولية والدمج: نجح في توحيد أبعاد التربية الإيمانية، والتربية العملية الفقه بمباحثه الموسّعة، والتربية الوجدانية الرقائق والتزكية، في نسقٍ تفسيري واحد يوازن بين المعرفة والتزكية والعمل.

- الواقعية والمرونة التربوية: اعتمد—بضوابط محددة—إيراد الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال؛ بما يراعي دوافع النفس البشرية ويحفّز جمهور المتلقين على الطاعة، من غير إخلال بثوابت العقيدة أو قواعد الأحكام.

- التوجيه نحو الفهم العميق المقاصدي: فعّل أدوات السياق التداولي وبلاغة الخطاب القرآني لتمكين القارئ من الاستيعاب المركّب للنص، فجمع بين تحليل اللغة والنظم، واستحضار المقاصد والعلل، وتقديم المعنى في طبقته الكلّية لا الجزئية.

خلص البحث إلى أن الجانب التربوي في تفسير الإمام عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لم يكن مجرد إضافة عارضة، بل كان هدفاً منهجياً أساسياً. لقد استخدم الثعالبي منهجه الجامع التفسير بالمأثور والرأي كإطار، ولكنه عزز المحتوى بوعي تربوي عميق يستند إلى مصادر تزكوية متخصصة، مثل كتب الرقائق والوعظ، وتصحيح المفاهيم العقدية المتعلقة بعصمة الأنبياء، والإطالة في الأحكام الفقهية لترسيخ الالتزام العملي.

إن هذه المقاربة الشمولية أنتجت تفسيراً يتجاوز الوظيفة المعرفية إلى الوظيفة التزكوية، مما يجعله مدونة تربوية متكاملة ومناسبة ليس فقط للعلماء بل وللأفراد الساعين تهذيب نفوسهم.

أما عن التوصيات الناجمة من هذه الدراسة :

- الاستمرار في البحث الأكاديمي المتخصص في المجالات التالية: دراسة مقارنة متعمقة: تحليل الاستدراكات الثماني عشرة للثعالبي على ابن عطية من منظور تربوي صرف، لتحديد كيف أثر كل تصحيح على السلوك العقدي أو الأخلاقي للمتلقي.

- استخلاص المنهج التعليمي: جمع وتصنيف الأدوات التعليمية المباشرة التي استخدمها الثعالبي في مقدمة تفسيره وفصوله الأولى، لتقديم نموذج عملي لخطة تربوية مستنبطة من أصول التفسير.

قائمة المصادر والمراجع :

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج – للتنبكتي بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1999م، تحقيق: عبد المجيد خيالي.

- مقال توجيهات عبدالرحمن الثعالبي الصرفية للقراءات القرآنية في تفسيره "الجواهر الحسان": نماذج منتقاة لمقدم عبد الكريم في مجلة آفاق

- مقال : الثعالبي مفسرا للدكتور محمود محمد الحنظور ، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية .

- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر للنويهض بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1403هـ/1983م، 2 مجلد.

- معجم أعلام الجزائر

- مظاهر النقد الفقهي عند المفسرين المالكيين الجزائريين - تفسير الإمام الثعالبي الجواهر الحسان أنموذجا – للدكتورة ليلى حي .

- شجرة النور الزكية في تراجم المالكية لمخلوف بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م، تحقيق: عبد المجيد خيالي.

- تعريف الخلف برجال السلف

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/1996م، 5 مجلدات، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.

- التوثيق اللغوي في مناهج المفسرين الجواهر الحسان للثعالبي أنموذجا للدكتور

السعيد بوخالفة.

الشيخ أبو بكر جابر الجزائري وإسهامه في تفسير القرآن من خلال كتابه "نداءات الرحمن لأهل الإيمان".

أ.د. سليم كرام

جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص :

شغل القرآن الكريم منذ نزوله فصحاء العرب وأعجزهم بيانه وقرآنه، وبعد أن تحول من الصدور إلى الدثور زاد أمر الانشغال وتنوع التفكير فيه من نوافذ متعددة وأبواب كثيرة حتى بات شغل الفعل العلمي والفكري والحضاري خاصة في العصر العباسي وما يليه، وهكذا بات في كل زمان زاد المعرفة ومحور العلوم، فتعددت المجهودات في استنطاق أسرارهِ، واستنباط مقاصده تبعا لواقع الحياة المعاشة بحثا عن ملامح الإضافة الحضارية في متنه.

على ضوء ذلك تحمل هذه الورقة البحثية قراءة في جهود أحد أعلام الثقافة والفكر الجزائريين في مجال التفسير الشيخ الداعية أبو بكر جابر الجزائري متتبعا تفاصيل ملامح فكره ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، متخذنا لقلمه في إحياء تلك العلوم منهجا علميا معاصرا في التفسير يعيد للقرآن بفضاء العربية وعلومها مجدها الفكري وثقة أهلها بما يملكه من قدرة في مسيرة الحضارة الحديثة، درءا لما يشيعه الأعداء من محدوديته وعجزه.

الكلمات المفتاحية: أبو بكر جابر الجزائري. تفسير القرآن، علوم اللغة، جهود جزائرية دينية، صراع حضاري، الفكر العربي.

:Abstract

Since its revelation, the Holy Qur'an has occupied the eloquent Arabs, who were unable to explain and read it. After it shifted from the beginning to the end, the matter of preoccupation increased and thinking about it diversified from multiple windows and many doors until it became the concern of scientific, intellectual and civilizational action, especially in the Abbasid era and what followed. Thus, in every era, knowledge and the focus of sciences increased, so efforts multiplied in interrogating its secrets and deducing its objectives

according to the reality of lived life in search of features of civilizational addition in its text.

In light of this, this research paper includes a reading of the efforts of one of the most prominent figures in Algerian culture and thought in the field of interpretation, Sheikh and preacher Abu Bakr Jaber Al-Jazaery, tracing the details of the features of his thought and approach to interpreting the Holy Quran, adopting for his pen in reviving those sciences a contemporary scientific approach to interpretation that restores the Quran in the space of Arabic and its sciences its intellectual glory and the confidence of its people in the ability it possesses to keep pace with modern civilization, in order to ward off what the enemies are spreading about its limitations and inability .

Keywords: Abu Bakr Jaber Al-Jazairi. Interpretation of the Qur'an, linguistics, Algerian religious efforts, civilizational conflict, Arab thought.

1-المقدمة:

منذ أن وُجد القرآن وأصبح أثر عين بعد أن ختن في الأوراق، بعد أن قد حفظ مرحلة ليست بالقصيرة في الصدور، ليتحول شغل الباحثين الشاغل من بلاغيين وفصحاء، فتواترت الجهود على قراءة وتداولت الأفهام على التدبر في أحكامه ومعامله وأسسهِ؛ لغة وحكمة وفنا وتفسيرا وبلاغة وحتى قصا، إلى أن استتمت علومه انطلاقا بقياسها بما تحمله آياته وسوره من أحكام في شتى العلوم، فكان منطلقا ونقطة انتهاء لجميع مفكرينا، خاصة خلال البناء الحضاري للأمة العربية والإسلامية، حينها اتخذوه مرجعا معتمدا في جزئيات تفكيرهم في جميع تلك المعاني والعلوم، التي تطورت خلال العصور الحضاري، مدة ربح طويل من الزمن قوامه باع من القرون والسنين .

من نافلة القول أن الله قد خص أمة العربية بكتاب ينظم حياتهم ويرتب أدق تفاصيل تعاملاتهم، وفق منهج دقيق يحفظ للناس كياناتهم ويسمو بمكانتهم، ويعمل على تطوير أفكارهم وارتباطاتهم النفسية والاجتماعية والأخلاقية، وكان كتاب الله ملهمهم في حياتهم، فقد أودع فيه المولى عز وجل كل شيء وعلم من خلاله بنو آدم كل الأسماء والصفات، توجه

به سبحانه وتعالى إلى السلام كل مسترشد يرجو الاستئناس بأحكام الآراء وأدق الاختيارات، التي تقف عندها الخلائق على أعتاب مفترق الاختيار، إما صالحا مدركا وإما فاجرا آبقا، وما فعل ذلك إلا ما جنته أيدي علمائها بأعظم أمانة كتاب الله وتفسيره.

أ/ أهمية موضوع البحث وأسباب اختيار:

لقد أكدت جميع الأحلام النقية الصافية من كل حقد أن القرآن مفتاح الحياة، يحمل الراحة والأمان ويحفظ الحقوق، وسي رَوْحًا وريحانًا لأنه «يحيي القلوب بأوراده ولأنه يؤدي إلى حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد، فجعل هذا الروح سببا للاقتدار، وعلمنا على الاعتبار»⁽¹⁾، وأنه نظم المعاملات حتى مع المختلفين والأعداء، لذلك تأكدت أنه دستور حي يصلح لتنظيم الحياة، وإحلال العدل في الحكم وتقنين التعاملات في كل زمان ومكان، وأمام حملات الجاحدين الرامية إلى تقزيم دور القرآن، باتهامه بمحدودية قدرته على التنظيم، وأنه خص فقط أمة كانت تعيش الفوضى والجهل وأسى لها نظاماً صلح في تجاوزها تلك المرحلة فحسب، ولذلك فقدته لا تتجاوز تلك القرون فكيف به يستطيع أن يستشرف المستقبل، ويبلغ مبلغ تنظيم عقول أبسطها قد يساوي أضعاف أضعاف ما كانت عليه عقول البشرية في التفكير والتدبر حينها، وكانت حدود أهمية الدراسة تقف عند الآفاق التالية:

-أهمية التفكير في القرآن: فكتاب الله سفر مقدس محفوظ لم يطأه التحوير والتبديل كما وسم غيره من الكتب المقدسة، لذلك لم يتجرأ أحد في إعادة نشره وتدوينه أن يغير كلماته أو أبسط شيء فيه، على غرار ما حدث في الصحف والأناجيل المتعددة التي خصها كتابها بتغيير مادتها ومتونها لذلك حافظت على أصولها التي نزلت بها دون تغيير أو تحوير.

إن الأهمية التي تحملها هذه الروح السارية في القرآن الكريم تجعل من مقصد التفكير مقصدا مركزيا، والقرآن كله رسالة عقلية وقد استخلص بعض متكلمي لساننا أن جعلوا أول الواجبات النظر، واعتبروا التقليد مبطلا للعقيدة، وإن كانوا محجوجين بالتصوص في هذا المذهب، معتبرين أن التفكير بمختلف تلويناته ومراتبه سبيلا آمنا إلى معرفة سبيل الله تعالى،

(1) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان،

و«آيات النظر العقلي والتفكير كثيرة في الكتاب العزيز، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكير والعقل والتدبر، وأن الغافلين عن الدين يعيشون كالأنعام، لا حظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الأنفس، ولا تثقف العقول، ولا تصعد بها في معارج الكمال، يعرفان ذي الجلال والجمال»⁽¹⁾. لذلك جندت الأمة الإسلامية لمهمة التفسير، واصطفت ثلة من الوجوه النيرة والقلوب الصافية والعقول الملمة بالعلوم الشرعية والبلاغية واللغوية، ومن تحمل لمحة من الفطنة والدراية، حتى تكون جهودها بصورة آلية نحو إعادة رسكلة معاني القرآن الكريم، وتحسين أحكامه وتنظيماته التعاملية، ويصبح مسارها الفكري والتعاملي مرتبطاً بما تحمله متطلبات العصر الحديث.

- أهمية تفعيل التفكير القرآني وتحديثه: إنَّ الاجتهاد في تفسير القرآن وتيسير أحكامه يهدف العالم من ورائه إلى تزويد الناس بمعلومات وخبرات جديدة، لذلك فهم يتسلسلون في الأفكار من البداية حتى النهاية، وكذلك تتسلسل الآيات والسور، ويكون ذلك واضحاً غاية الوضوح ويتم الفعل بربطها وإحكام البحث في علائقها، وإلا عُدَّ خلافاً وقصوراً. وهذا أمر مفهوم في الاجتهاد الذي يُقصد به نقل المعلومة والخبرة.

- تحقيق التوازن في الدراسات بين الأصالة وضرورة العصرنة: إن تقديس منهج الأجداد في علوم الدين وخاصة في علم التفسير يبقِي القرآن على بُعدٍ من حياة الناس، لذلك بات من الضروري التعمق في مقاصدها العميقة والتجرد من المحمول اللفظي فذلك يحيلنا على التفكير والتدبر، وخلق المنهجية السوية في التأمل والبحث والاستنباط، فإن أسلوب العرض يجب عندها أن يختلف؛ فلا نعود بحاجة إلى سرد لفظ الآيات، بل نكون بحاجة إلى التسلسل الذي يجتهد القارئ في مواكبة اكتشافه ولذلك سيبقى الإنسان ينظر في تفاصيل هذا القرآن العظيم في محاولته لتصوّر البناء الكلي في صورة أفضل، كما يفعل وهو يحاول أن يفهم الكون و يبحث عن حقيقة وجوده، فالقرآن يخاطب العقول، ويعتمد عليها في فهم الدين، وعمارة الدنيا، وهو يدعو إلى العلم والتفوق فيه، والأخذ بأحدث أساليبه، والنزول على حكمه في كل المجالات، يعتبر التفكير عبادة، ولا يرى أي تعارض بين العقل الصريح

(1) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 1406هـ، ص206

والنقل الصحيح، فالعقل - كما قرر علماء الإسلام - هو أساس النقل، إذ به ثبت وجود الله تعالى وثبتت النبوة، وبه يسمو فعل التفسير زمنا بعد زمن وتتطور طبيعة النظر فيه وآليات ذلك، وقد انتقلت من العام إلى الجزئي الخاص على غرار ما لمسناه في اجتهاد شيخنا ابو بكر جابر حين توجه في تفسيره إلى نمط ونوع من نداء الخواص "يا أيها الذين آمنوا" وآفاق استخدامها.

ب/ أهداف الدراسة:

إن العلاقة بين القرآن والفكر قوية، فقد جاء القرآن يخاطب العقول ويدعو للفكر والتأمل، فالدين الذي لا فكر معه هو الوثنية والتجسيد والتعديد، بل إن أعمال الفكر هو الطريق للرقى الإيماني، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: 190 وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك، وعلى سائر خلقه، بأنه المدير المصرف الأشياء والمسخر ما أحب، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جل ثناؤه: تدبروا أيها الناس واعتبروا، ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقبته بينه من الليل والنهار فجعلتهما يَتَعَقَّبَانِ عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في ذا راحة لأجسادكم معتبر ومدكر، وآيات وعظات، فمن كان منكم ذا لب وعقل، يعلم أن من نسبي إلى أي فقير وهو غني كاذب مفتر، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه، ولو أبطلت ذلك لهلكتم، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السموات والأرض بيده وإليه؟ أم كيف يكون غنياً من كان رزقه بيد غيره، إذا شاء رزقه وإذا شاء حرمه؟ فاعتبروا يا أولي الأبواب.

وتبقى أهمية تدارس القرآن وعلومه حالة مستدامة متكررة في كل عصر وأوان، فمذ أن كان واقعا يترى بين الناس كان الصحابة والتابعون وهم أهل اللغة والبيان، كثيرا ما تستوقفهم مقاصد بعض آي القرآن عندما كانوا يتدبرونها، فيُشَكِّلُ عليهم يأخذ ذلك حظاً من تفكيرهم، ويلجأ بعضهم إلى بعض يتشاورون؛ فهذا معاوية، رضي الله عنه، يدخل عليه عبد الله بن عباس، فيقول معاوية: "لقد ضربتني أمواج القرآن الباردة، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك"، ويعرض عليه آية من الآيات التي استشكلها، فيبيّنها عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، وهذا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وفي أكثر من موقف يجمع الصحابة ويناقش

معهم معنى آية كريمة أو أكثر، كل ذلك مرجعه أن «القرآن ينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة، ويختار من أدوات التعبير ما يعطيك من المعنى ما هو دائما متجدد متدفق، بحيث يسع وجهات النظر المختلفة»⁽¹⁾، أما اليوم فيكتفي الكثير من الناس بالرجوع إلى كتاب من كتب التفسير عند استشكل معنى آية من الآيات، ويندر أن يتم الرجوع إلى أكثر من كتاب في التفسير، ويندر أيضاً أن تتم مناقشة ذلك مع آخرين للتوصل إلى فهم أفضل، فلا عجب بعد ذلك أن لا تتشكل عند الكثيرين منا المنهجية المأمولة. في المقابل لا عجب أن يتأثر الصحابة والتابعون بالقرآن الكريم، ثم تتشكل لديهم المنهجية في التفكير، فيستبصروا فيجدوا أن «القرآن الكريم يستخدم كل مادة على منهج معين، ولا اعتبارات دقيقة ثم يلتزم هذا المنهج في جميع صور المادة»⁽²⁾، وهذا كله يؤكد على ضرورة التزام المصطلح القرآني، وهذا ما وقع فيه الاجتهاد المعاصر في تنوع توجهات التفسير كما نراه في محاولة شيخنا أبي بكر جابر الجزائري في كتابه محور دراستنا هنا.

ج/ منهج الدراسة وأدواتها:

إجتهد المسلمون في كل زمان ومكان على إعادة تفسير آياته وصوره، من خلال ابتكار العلاقات الجديدة التي تفرضها الحياة المتطورة، بما يوافق ما بلغه تفكير الإنسان وما تحقق من اكتشافات علمية ونظريات اجتماعية وثقافية وأخلاقية، وما وصلت إليه الجهود من معرفة مقننة تخضع إلى التفكير العقلي، إيماناً من هذه الجهود المفسرة أن القرآن لم يخص عرب الجاهلية، ولا يتجاوزها إلى ما بعدها من قرون الحياة التي عاشتها وتعيشها البشرية.

وقد اعتمدنا في ورقتنا البحثية هذه على استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث يعتمد إلى بسط محتوى معلوماته المستجلاة من مراجع البحث في العلوم الإنسانية، وخاصة ما تكون ملامح التفسير وآليات التفكير فيه مبحثاً دراسياً، وقد يكون اعتمادها على وسائل التفسير والمقاربة بالملاحظة والرواية، وقد استخلصت الدراسة منها ما يتناسب وموضوع البحث، ومن

(1) عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1992م،

(2) المرجع نفسه، ص 18

ثم قمنا بعرضها وفق ما يخدم طرح البحث لإبراز قيمة ما يحمله جهد شيوخ التفسير في زماننا هذا وجهدهم في تحيين مقاصد القرآن لتحقيق ما أقرته الآيات بأنه صالح لكل زمان ومكان، أي اعتباره موضوع الراهن والساعة، ومدى إسهام شيخنا أبي بكر الجزائري من خلال اجتهاده في استنباط مقاصد "نداءات الرحمن لأهل الإيمان لخلق صورة لفكر عربي جديد واستعادة هوية الأمة بعد أن حيل بينهما ردحا من الزمن ليس باليسير.

د/ حدود الدراسة وإشكاليات البحث:

وفي مجال التعرف على حدود دراستنا نخلص إلى أن ما تحمله هذه الورقة العملية من إجهادنا في محاولة توضيح منهج وأسلوب، واحد من رعييل المفسرين للقرآن في هذا العصر، مبرزاً في ذات التوجه قدرته على الابتكار في مجال صناعته في التفسير والدرس الوعظي، الذي أفنى في خدمته أزيد من ثلثي سنوات حياته، بين كبار المنشغلين من علماء الحقل الديني والاجتهاد، في جوار قبره صلى الله عليه وسلم وفي رحاب روضته الطاهرة في مدينته المنورة، وقد شهد له بحسن وتوفيق الاجتهاد والإبداع والنشاط علماء الحرمين مجتمعين، لنسعى بذلك إلى الإجابة عن أسئلة تضعنا في لب إنشغال إشكالية هذا العمل: من هو الشيخ الداعية والإمام أبو بكر جابر الجزائري؟ وماهي مؤهلاته في التفسير؟ وما هو منهجه في تفسيره الجزئي في كتاب "نداءات الرحمن لأهل الإيمان"؟ وهل هو تخصيص لعموم أم تخصيص لتخصيص؟ وترسم الإجابات عن هذه الأسئلة من خلال انتقاء أمثلة من الكتاب موضوع الدراسة.

3- التفكير في القرآن أمر حتمي:

"أنا أفكر أنا موجود" حتمية قولية لخصت الحياة وقيمتها ودور الإنسان فيها، جملة أحاطت بكل المطلوب والمقصود، فمنذ أن نزل القرآن وهو يحمل الإنسان على التفكير والتأمل والنظر وجاء المصطلح في ثنايا الآيات تصريحاً وتلميحا وإشارة، بطلب لطيف إلتماسا وتارة بقوة وزجر وثالثة بأمر وردع توبيخاً وتأنيباً، ولو نستكشف مواضعها في سور القرآن الكريم نجد أنها تموضعت في زاوية النهاية لآيات التشريع وأحكام المعاملات، وحتى تكون آخر ما يبقى

على لسان قارئها تنهاه عن التقبل دون اقتناع ويقين لأن الإسلام يرفض الإمعة ويستقطب صاحب اللب الذي يعي ما يفعل ويقتنع بما هو عقلي لأن بعد ذلك يصبح المسلم مطالب بالتبليغ وفاقده الشيء لا يعطيه، لذلك، حرص الإسلام على الجمع بين الدين وفهم دستوره ألا وهو القرآن.

وحق يتحقق الفهم على أسس صحيحة وكاملة، لم يعد من الموافق للواقع الاعتماد في فهم القرآن وأحكامه وضوابطه، ومقاصد آياته في أوامرها ونواهيها الاكتفاء بالتفسير العتيقة الموروثة، رغم ما تحمله من ثوابت إسترشاد وعميق الفهم، إلا أن متطلبات العصر ومكتشفات الحياة في صورتها الجديدة، تدفع إلى التأمل في حكمها ومدى ما ترى في أمر استغلالها، ونسبة إسقاطها الشرعي على أشياء أسلافنا، مما تفكروا في إعطاء حكم اجتهادي في أمرها، مادامت لم يخصصها القرآن بذكر صريح، لذلك بات من الضروري ولصناعة جديدة لمعاني القرآن، إخضاعها لمقاربة حدائية تسقط فيها تلك المستجدات على واقع ما تحمله الآيات، على غرار ما فعله الأسلاف في كل مرحلة تطول أو تقصر من حياة الأمة الإسلامية ومستوى تفكيرها.

لقد كان تواتر تفاسير القرآن الكريم ولقرون طويلة، قد جعل مدلول القرآن يتطور في عدد قليل من الحالات، وعزفنا على مجهود عدد محدود من المفسرين، قد بلغ ثلة معدودة منهم في كل عصر، لأن تطورات العصر لم تختلف وضوابط الحياة وأسس التفكير، كانت تتحول ببطء وتتطور بهدوء، غير أن ما حملته الحياة بداية من الربع الرابع للقرن الماضي جعل من الضرورة تكاثر عدد المفسرين، وتنوع وسائلهم وأدواتهم بما يصلح أن يواكب جنون تطور الحياة، وتوسع حال الفكر الذي أوج صراعا ضد الإسلام، إلى أن اتهموه بالجمود والقدم، ومادامت المعاول الفكرية الغربية تكيل الضربات، كان من الواجب أن تحمل الأفهام المعتنقة كل طاقاتها لتثبت مسaire الإسلام للزمان، وأنه مشروع حضارة متكامل يصلح قيامه شريكا للإنسانية في تنظيمها وتسييرها، والحفاظ فيها على الحقوق مهما كانت مظاهر التغير في الحياة، ما دام يدعو الإنسان إلى التفكير، وأن «العقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والروية، فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحيانا، وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر

والاعتبار والذكر والعلم، وسائر هذه الكلمات الذهنية التي تتفق أحيانا في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى»⁽¹⁾.

والقرآن بذلك ينظر إلى الإنسان كوحدة متكاملة، فيخاطب فيه الملكات العقلية والوجدانية، ويدعوه إلى اليقظة الإدراك والوجدانية، ليتفاعل مع ذاته ومع غيره ومع الكون أجمع، ليس تفاعل اتصال عابر بل تفاعل نظر وتفكر واستبصار، ومن هنا تظهر الأبعاد العملية الأخلاقية لمقصد التفكير في القرآن الكريم، والتي ينبغي الوقوف عندها وقوف تبصرة طويلة؛ إذ ليس التفكير من أجل التفكير وحده، وإن كان هذا جزءا من كلٍ ونزرا من كثير، لكن يبدو من الخطاب القرآني أن مقصد التفكير يرمي إلى مرمى أهم من وجود الإنسان على ظهر البسيطة، وهو إدراك الحق والخضوع له، وهو ما يلوح له مصطلح العبودية؛ أي: عبودية لله قائمة على أساس من دليل وبرهان، وهي إذن القصد الأخير من تضافر هذه الشبكة من المفاهيم التي تحت على النظر والاعتبار والتذكر والتدبر، حيث يصل بها المرء إلى الاستبصار، ولكنه لا يخلص بها إلى العبودية، كما حصل لكثير من الكفار الذين أداهم التفكير إلى معرفة الهدى، ولكن حال بينهم وبين عبودية اتباع الهوى أو الحياء من الملأ والعوام، إن القرآن الكريم يستخدم الاستدلال في التفاسير بمعناه المنطقي الذي يستخدمه الحجاج الذي هو أوسع في الاستخدام بتوظيفه جملة من التقنيات البيانية الباعثة على الإذعان، وينطلق في الأساس من مبدأ الحرية ويقوم على الحوار: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس/99، ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن﴾ النحل/125.

إن القرآن يقصد بالتفكير إرجاع الناس إلى روحانية الإنصات إلى نداء الروح، التي خلقها الله ووضعها بين أصبعين، تصغي من خلال أحكام من ينقلون مقاصد الدين، بجهودهم الفكرية ومحمولات مكتسباتهم الثقافية في وضع صامت، بعيدا عن ضجيج النفس والغیر، كما أن لمقصد التفكير ارتباطات بمقاصد أخرى، تمثل ضوابط العصرنة الطارئة في الحياة، كمقصد أحكام العمران ومقصد الرحمة، لأن المقاصد يرتبط بعضها مع بعض، ويفضي

(1) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، 2014، ص12-13.

بعضها إلى بعض في تكامل وانسجام، وتفسير القرآن اعتباراً لهذه المقاصد الطارئة يقتضي بالضرورة بيان هذه العلاقات التي لمقصد التفكير مع غيره من مقاصد الدين في القرآن الكريم.

لقد نَوَّع القرآن الكريم الحقل الدلالي لمفهوم التفكير مما جعل أصول التفسير تسترسل ويتحول ذاته مقصداً أصيلاً، لكن يخدم مقاصد أخرى كثيرة، يمكن اعتبارها مقاصد مقصد التفكير في التفسير، ليتجلى فيها تحصين الذات الإسلامية من الغفلة والتقليد، وتحفيزها إلى الاهتمام بمناهج الفكر، إذ لا تفسير سليم دون منهج ذكي حصيف، يكون تكوين إمامه عقلية علمية منتجة للمعارف، لما لهذا من أثر حميد على الفرد والجماعة، وقد أثمرت هذه العقلية عند المسلمين تطوراً أصاب جملة علوم سواء أكانت عقلية وضعية، مثل: علم أصول الفقه والمقاصد، أو علوم عقلية مثل: علم الحساب، وعلم الموارث، كما أثمرت هذه العقلية إنتاجات كثيرة بانفتاحها على موروث الأمم السابقة على الأمة الإسلامية.

لقد جلب مقصد التفسير للمسلمين مصالح كثيرة، ودرأ عنهم مفسدات كثيرة أيضاً، ومنها النهي عن التعامل في الدين بجهل وانعدام دراية، وترك التفكير في جميع مسائل العقيدة والمعاملات إلى أهل الذكر ماداموا لا يعلمون، فأكسب أهل الفكر وصناع التفاسير هالة وألبسهم جبة الوقار والاحترام، فالخوض في أمور العقائد وتوجيه النظر في القرآن الكريم خاصة في آيات الأنفس والآفاق المتجلية في خلق الإنسان والجمادات والحيوانات والنجوم من هذه المخلوقات المحسوسة المشار إليها، أما ما وراءها مما يدخل في عالم الغيب فيدخل العقل في متاهات النقائض، ومن هنا حكمة القرآن في جعل حدود معينة للتفكير، كما أن الشارع الحكيم سكت عن أشياء رحمة بالمسلمين ونهاهم عن التفكير فيها حتى لا يضيقوا على أنفسهم واسعا، وكذا لأن وقتها لم يحن أوانه لحظتها، والأکید أن المكتشفات العلمية التي بلغها العلم وما تأكد من أن المستقبل يحمل الكثير من المفاجآت التي توقف السياق القرآني على عتباتها العلمية والتفكير، لذلك يتطلب على كل مفكر مفسر أن يصل بالآيات في مقاصدها إلى عتبات ما وصلت إليه كشوف العلم من حد ومستوى، ولا يجتهد في أكثر من ذلك حتى لا يقع في التغليب الحالي أو على يد مكتشفين في المستقبل فيسيء من حيث أنه يريد حسناً الإفادة، يقول الشيخ "الطاهر بن عاشور" في بيانه لمقصد البيان في الدنيا والآخرة كأثر من آثار التفكير، ومقصد من مقاصده، وأن الأغلاط سببها انعدام البيان والبصيرة: «أما

إصلاح التفكير المبحوث عنه هنا فهو التفكير فيما يرجع إلى الشؤون في الحياة العاجلة والأجلة، لتحصيل العلم بما يجب سلوكه للنجاح في الحياتين، كي يسلم صاحبه من الوقوع في مهاوي الأغلاط في الحياة العاجلة، وفي مهاوي الخسران في الحياة الآخرة»⁽¹⁾.

ونحن ههنا نشيد بكل جهد يرفع راية الإسلام، ونهيب بالاحترام لكل كيان يزيد على جهده ذاك، بالاشتغال بفضاء تفسير القرآن الكريم مستوحيا في اجتهاده روح العصر، محاكيا في اكتشاف مقاصد الآيات والصور من حال الناس ومآلهم، وما هو عليه عاصرهم نمطا في التفكير وأسلوب حياة، وما أنا أسعى لبسط أوراق منهج التفسير لعلم من أعلام الجزائر الخيرين، الذين تحدوا أساليب التغريب والمسخ الاستعماري، وانطلق مغامرا متحديا في اكتشاف مقاصد القرآن، متخذنا من حال المسلم الغريب في أرضه وقيمة أفكاره وقناعاته، وممارساته التي غيها المستعمر ردحا غير يسير من الزمن، ويحتاج لمحوها كيلا زمنيا بنفس مقدارها من المسخ حتى تستوي على سوقها وتستعيد نصاعتها.

لقد كان الشيخ "أبو بكر جابر الجزائري" أحد المجتهدين والمغامرين في حقل الفكر، والتربية والوعظ مارسها في صورتين وفضائين مختلفين جزائر الاحتلال والسعودية دار الأمان ورفادة العلم، وحينما وجد نفسه وتيقن من ضرورته في فعل التفسير لم يتردد، مقدما للمسلمين أحد أيسر طروس التفسير للعودة إلى رحاب القرآن واستنشاق روائح القداسة التي افتقدت، فكان تأليفه لتفسيره "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، وشهادة حق في مجهود الشيخ الجزائري ما حملته اعتراف صاحب هذا النص من تصوير قائلا: «ومن توفيق الله للشيخ أن جعل لحديثه في شؤون الدعوة قبولاً في الأسماع والقلوب، فما إن يفتح الكلام حتى يجذب إليه الانتباه وتتفاعل معه النفوس، ومرد ذلك إلى انفعاله هو بما يدعو إليه، تصديقاً للحكمة القائلة: ما خرج من الجنان فمقره الجنان، وما خرج من اللسان فلا يتجاوز الأذان، وما أراني مبالغاً إذا قررت أن الشيخ أبا بكر من أوفر المدرسين الإسلاميين نجاحاً في دروسه، لا لأنه فوق غيره علماً وخبرة، بل لأثره في قلوب طلابه وحسن تأنيه في معاملتهم، فهو شيخهم في أداء المحاضرة ولكنه أبوهم وأخوهم، وأكثر أصدقائهم اهتماماً بشؤونهم، فلا غرابة أن يبادلوه ودًا

(1) محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع. تونس، د.ط، د.ت،

بود واحتراماً باحترام، وهذا الضرب من العلائق الروحية بين الأستاذ وتلميذه، هو الذي نفتقده وندعو إليه، ونلاقي العنت ممن يخالفنا فيه، لأنه لا يرى المدرس من مهنة تتجاوز حدود الدرس، فإذا فرغ منه فرغ من كل اتصال»⁽¹⁾.

إن صحة النظر في منهج الشيخ جابر في تفسيره للقرآن، مرده إلى الأمور ودقة الحكم على الأشياء تجيء أولاً، ثم كانت الدعوة إلى الإسلام أهاب القرآن بالناس أن ينفضوا عنهم ما ورثوا من خرافة، وأن يعيدوا اليقظة إلى عقولهم المغيَّبة، وظاهرة أخرى تُرى في عمله و«تطبع دروسه ومواعظه وصلاته بالناس، وتسيطر على مؤلفاته صغيرها وكبيرها، فكما يستقطب القلوب بحديثه، يستولي على قناعاتها بكتابات، ولا تفسير عندي لذلك سوى ما أسلفته من تفاعله الحار مع أفكاره، ولو كانت هذه الأفكار أحياناً قصيرة الموجة، محدودة المدى»⁽²⁾.

وهكذا يعتبر التفكير في عمل الشيخ بالتفسير هو المبدأ والأساس، منه تبدأ الإنسانية إذا تشوفت همتها إلى مصالحتها ورقمها في عاجل حياتها أو أخراها، وإليه تنتهي إذا أرادت إقامة ما اعوج من أحوالها وأوضاعها، «وشيء آخر في مؤلفات الشيخ هو تصويرها لأفاقه الفكرية والنفسية، إذ ترسم للقاريء مدى اهتمامه بشئون المسلمين، وتتبعه لأحداث العالم الإسلامي، فهي أفكار حية لا تقوم على التكرار والشروح، بل تتناول كل ما يراه أنفع للمسلمين وأكثر مساساً بحاجاتهم»⁽³⁾.

لقد كان اجتهاد الشيخ أبي بكر الجزائري في كثير من العلوم ولم يختص في الشرعية فحسب موضع اهتمام علماء المسلمين في المغرب والحجاز، وقد ظلت أعماله في هذا التوجه العلمي حية، ولا اعتبار ما تحمله متونها من معرفة علمية إنسانية مشتركة، لا تميل بها الأهواء في ظاهرها أو باطنها إلى تعصب، ولا تنشر عدوانية أو بغضاء، كانت كالمهل العذب كثير زحام الراغبين في نشر صورة الإسلام وأحكامه للإنسانية جمعاء بنوايا معلنة لا يشوبها الخفاء، وليس بغريب على شيخنا أن يعمد إلى تحويله إلى آثار عينية، يتذاكر بها مريدوه وطلاب العلم

(1) محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1992، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 38.

(3) المرجع نفسه، ص 38.

في زمانه وبعد ذلك.

3- تعريف بالشيخ أبو بكر جابر الجزائري 1921م – 2018م

أ/ نسبه ومولده :

هو سفير العلم الزباني إمام المسجد النبوي الشيخ أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، المعروف بأبي بكر الجزائري، وجابر جده الأكبر، وكنية الشيخ أبو عبد الرحمن، تعود أصوله إلى قبيلة بني هلال العربية، التي استقرت في إفريقيا، ولد عام 1342هـ، 1921م في قرية ليوة القريبة من طولقة، ودرج في أسرة تعلقت بالقيم الدينية، توفي والده ولم يبق فيه عامه الأول في الحياة، فنشأ يتيما في حجر عمه الحاج عيسى وأمه فاطمة بوسام.

ب/ نشأته وتعليمه:

لم تدخر أم الفتى جهدا ولم تُخفِ اهتمامها ورغبتها في صلاح ابنها اليتيم، فقامت على تنشئته فتلقى في بلدته علومه الأولية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وسنّه أربعة عشر عاما وتعلّم القراءة، والكتابة وبعض المتون في اللغة والفقه المالكي، على يد مشايخ المنطقة، منهم الشيخ بلقاسم قارة، والشيخ مسعود تامامي، ولما سمع أن ببسكرة شيخا يعلم النحو، والفقه، وهو الشيخ عيسى معتوق، استضافه في قريته، وأسكنه في داره، وأكرم وفادته في سبيل تعليمه، فدرس عليه متن الأجرومية ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومصطلح الحديث والمنطق، وأصول الفقه وغيرها، فتعلّم عددا من العلوم النقلية والعقلية، ما أهله إلى شرف إمامة الناس وعمره 16 سنة⁽¹⁾.

وما لبث أن بعثته أمه لما رأته من شغف ابنها إلى تحصيل العلم إلى مدينة بسكرة، فتعلّم على مشايخ بها كنعيم النعيمي، والطيب العقبي، الذي لازمه وتلمذ عليه مرتين، الأولى ببسكرة والجزائر في دروس التفسير عدة سنوات وهو شاب، والثانية في دروس العقيدة الصحيحة

(1) ينظر: أعلام السلفية، ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات .

الصافية بالمسجد النبوي الشريف، فتأثر به فهو يراه من أفاضل مشايخه⁽¹⁾.

بعدها تزوج الشيخ من ابنة عمه يمينة جابر، وانتقل مع عائلته إلى نادي الترقّي في العاصمة، أين ساهم الشيخ المعلم في جمعية العلماء المسلمين في تكوين شباب الموحدين بدروسه في الوعظ والإرشاد، والمنهج الصحيح محارباً للبدع والخرافات لتصحيح مسيرة الأمة الإسلامية الجزائرية، فعمل على نشر الوعي السلفي كما أصدر مجلته الداعي ثم أسندت له إدارة جريدة اللواء الناطقة بلسان شباب الموحدين والتي هي جمعية إصلاحية وأدارها لفترة وكان يحرر أبوابها كلها بنفسه، وكلماتها كان يوزعها بنفسه⁽²⁾.

وفي عام 1372هـ ما لبث أن عنت له فكرة الرحلة إلى المدينة المنورة لرؤية رآها في منامه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم يحثه فيها على ملازمة الصلاة في مسجده، ولذلك كان لا يصلي إلا في المسجد النبوي الشريف فروضه الخمسة إلا لمرض، أو سفر، لقد عاش مترجمنا عاشقا للمصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن ثمار تلك المحبة ألّف كتابه هذا الحبيب يا محب في السيرة العطرة، قام بتدريسه في المسجد النبوي، وهكذا خضع لأمر داعي السماء فرحل مع أسرته إلى روضته الشريفة، وفي رحابها استأنف طريقه العلمي بالجلوس إلى حلقات العلماء والمشايخ من أمثال: عمر بري ومحمد الحافظ ومحمد الخيال وعبد العزيز بن صالح، وفي عام 1374هـ، 1961م نال الشهادة العالمية من كلية الشريعة بجامعة الرياض، وحصل على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في المسجد النبوي⁽³⁾.

ج/ نشاطه وأراؤه :

لقد بدأ نشاط الشيخ النضالي مبكراً في الجزائر فقد انخرط في الصراع السياسي في حزب البيان، وزادت مشاركته حدة بتأسيس حركة شباب الموحدين ذات التوجه الإسلامي السلفي

(1) ينظر: سليم كرام، قبس من سير أعلام الثقافة والفكر والنضال بالزيبان، مطبعة جامعة بسكرة، الجزائر، ط1، 2022، ص 60.

(2) ينظر: عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، أئمة الحرمين، 1343هـ/ 1436هـ، فهرسة: مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف، السعودية، د.ط، 1436هـ، ص 1082.

(3) ينظر: محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 1، ص 30.

الملتزم، كما مارس الوعظ والإرشاد بتعليم علوم كتاب الله تعالى مدة أربع سنوات، ثم في تعليم الأحداث من بنين وبنات لمدة أربع سنوات في العاصمة الجزائر، كما نشط في الصحافة بإنشاء مجلة الداعي، والتي لم يصدر منها سوى بضعة أعداد، وكان خط سيرها الدعوة إلى توحيد الأحزاب، والجمعيات الجزائرية، وبعد تعطيلها أُسندت إليه إدارة جريدة اللواء الناطقة بلسان شباب الموحدين، واستمر على إدارتها حتى ترك الجزائر مهاجرا إلى الحجاز في عام 1372هـ⁽¹⁾.

بعد استقراره في السعودية قال عن نفسه، فبدأت بالتدريس عام 1374هـ في المسجد النبوي الشريف، وفي عام 1379هـ، حصلت على شهادة كلية الشريعة بالرياض، وعملت في ميادين الدعوة والإصلاح، فدعوت إلى فتح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وإنشاء رابطة للعالم الإسلامي، وإيجاد إذاعة للقرآن الكريم، فأصبحت له حلقة خاصة يلقي فيها تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف، إلى جانب عمله مدرسا في مدارس وزارة المعارف، كالمدرسة المحمدية والمدرسة السلفية وفي دار الحديث في المدينة المنورة، وعندما فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها عام 1380هـ كان من أوائل أساتذتها والمدرسين فيها لأزيد من خمس وعشرين سنة، وقد كان له فضل بدعوة المسؤولين إلى إنشاءها⁽²⁾.

هكذا وُسم أبو بكر على نطاق واسع بمهنة التدريس بالحرم النبوي الشريف لخمسين عامًا، كان فيها كاتبًا عالمًا، وأستاذًا جامعيًا مسلمًا متزنًا، ومفسر ملتزمًا ميسرًا، مما أكسب قبولًا في أوساط سكان المدينة وزوارها، ويعد كتابه منهاج المسلم من أكثر مصنفاته قبولًا وانتشارًا في البلدان العربية. أكسبه مكانة مهمة في الوسط الأكاديمي الشرعي، وقد أخبر عن رغبته في إنشاء حلقات علم بالمسجد النبوي الشريف، تُخرج علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية، وذلك لما رآه من نقص التحصيل العلمي، وخشيته من ذهابه بذهاب العلماء، وضعف مستوى من يأتي جيلًا بعد جيل، فتكون نهضة علمية إسلامية تحافظ على المكاسب

(1) ينظر: محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 1، ص 34.

(2) ينظر: أعلام السلفية، ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى.

وتدعمها⁽¹⁾.

كما حظي مترجمنا بتقدير الأوساط العلمية في البلاد العربية والإسلامية، واعتبره الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين واحدا من أبرز العلماء الربانيين والمفكرين لما عرف عنه من الورع، والتقوى، والعلم، وكان مُرحبا به أينما حل؛ فقد زار بلادا كثيرة للدعوة والإصلاح، من إندونيسيا شرقا إلى المغرب غربا إلى بلاد أوروبا وغيرها، وقد عرف الشيخ بتواضعه في ملبسه، ومسكنه، ومركبه، ومطعمه، ومشربه، صلب في الحق، حبيب لطلاب العلم، وكثير إنفاقه ومساعدته لهم؛ خاصة القادمين للدراسة بالمدينة النبوية، كما عرف بسلسلة الحديث، وحسن اختياره للعبارات، واستدلّاه بالقصص، وذكر عبّر عن مضي من الأولين، مما يشد انتباه المستمعين إليه، رفيق رقيق القلب، سريع الدمعة، ومن رفته كما حدث أنّه لم يذبح بيده قط حيوانا لا دجاجة ولا شاة أو غيرها، صابر محتسب خاشع، لم يقتض في حياته قط إن وجد أنفق، وإن لم يجد صبر، وطني ملتزم بقضايا وطنه ولو كان بعيدا⁽²⁾.

كما تأثر الشيخ بما عاشته الجزائر في العشرية السوداء، حيث يؤكد معاشه أنّه كان يبكي تأسفا كلما سمع بوقوع مكروه للجزائر وأهلها، مستقصيا عما يحدث منها في شجاعة داعيا الجماعات بالجزائر إلى التوبة إلى الله، والكف عن زهق دماء المسلمين الأبرياء، بفعل تلك الفتاوى المخادعة التي تنتشر بين الشباب، متيقنا أن الوضع سيتغير، ويضرب بالدعاء للجزائر سرا وعلنا⁽³⁾.

أحيل عام 1406هـ، 1986م على التقاعد، ولكن بقي منزله كخلية نحل عامرا بطلاب العلم، فكان يقدم فيه دروسا قبل الظهر في التفسير وفي حديث صحيح البخاري، وموطأ مالك فضلا عن دروسه في الحرم النبوي الشريف، التي كانت مستمرة في جميع ليالي الأسبوع ما بين المغرب إلى العشاء، وبدأها مع بدء إجازته للتدريس⁽⁴⁾.

(1) ينظر: سليم كرام، قبس من سير أعلام الثقافة والفكر والنضال بالزيبان، ص 63.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 65.

(3) ينظر: محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 1، ص 44.

(4) ينظر: عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، أئمة الحرمين، 1343هـ/ 1436هـ، ص 1088.

د/وفاته:

تناقلت بعض المواقع الإعلانية في شهر مارس 2014م خبر وفاة الشيخ أبو بكر غير أن الإشاعة تحطمت برد موقع الشيخ الرسمي العام بتكذيب الخبر، إلا أن الموت أنفذ فيه وعده في فجر يوم الأربعاء 4 ذو الحجة 1439 هـ الموافق 15 أغسطس 2018، عن عمر ناهز 97 عاماً، بعد صراع مع المرض وصلي عليه في المسجد النبوي الشريف، ووري جثمانه الثرى في مقبرة البقيع⁽¹⁾.

و/ آثاره⁽²⁾:

تميّزت مؤلفات الشيخ بالكثافة والكثرة والتيسير، فتأليفه إصلاحية دعوية منها:

1. الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، طبع شركة الشهاب، الجزائر.
2. من رسائل الدعوة:
- كمال الأمة في صلاح عقيدتها، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، مطبعة المعرفة، القاهرة.
- حرمة الابتداع في الدين وكل بدعة ضلالة، دار الفتح للنشر والإعلان، البليدة.
3. العلم والعلماء، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرني، 1985
4. منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، 1401هـ 1981م
5. عقيدة المؤمن، يشتمل على أصول عقيدة المؤمن جامع لفروعها، ط2، 1978م
6. رسائل الجزائري، الناشر: مكتبة لينة 4 مجموعات، جامع العلوم والحكم مجموعتان، سنة النشر: 1995م، عدد المجلدات: 6 ط3، المجموعة الأولى 30 رسالة، المجموعة الثانية 15 رسالة، المجموعة الثالثة 16 رسالة، المجموعة الرابعة 15 رسالة، المجموعة الخامسة 26 رسالة، المجموعة السادسة 13 رسالة.

(1) ينظر: عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، أئمة الحرمين، ص 1092.

(2) ينظر: سليم كرام، قبس من سير أعلام الثقافة والفكر والنضال بالزيبان، ص 66.

7. نداءات الرحمن لأهل الإيمان، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002م.
8. كتاب المسجد وبيت المسلم، الناشر: مكتبة لينة، سنة النشر 1992م، المكتبة الوقفية.
9. هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، دار الخاني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، دار الشروق للنشر والتوزيع، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط3، 1989م.
10. المرأة المسلمة، العقائد، العبادات، المعاملات، الآداب والأخلاق، الناشر دار الكتب العلمية، ط3.
11. النكاح والطلاق أو الزواج والفرق، ط2، الناشر مطابع الرحاب
12. المدينة المنورة النبوية فضلها، فضل ساكنيها، زيارتها، الناشر مطابع الرشد.
13. عظات وعبر من أحاديث سيد البشر صلى الله عليه وسلم، ط1.
14. حقيقة الجهاد في سبيل الله ومحرمه الخروج على حاكم المسلمين، الناشر مطابع الرشد، ط1.
15. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، الناشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.
16. الضروريات الفقهية. رسالة في الفقه المالكي.
17. الدولة الإسلامية.
18. كمال الأمة في صلاح عقيدتها.
19. هؤلاء هم اليهود.
20. التصوف يا عباد الله.
- 4- منهج الشيخ جابر الجزائري في تفسير "نداءات الرحمن الإيمانية"

أ/ قيمة النداء في القرآن الكريم:

منَ التنوع الذي يزخر به النظم القرآني كثيرا والداعي دوما إلى التأمل والتفكر، ما يختزن ضمن السياقات المختلفة التي ترد فيها فعالية الوحدات الدالة على المعاني وروافدها، إذا ما هي انفصلت بوصفها مفردات أحادية لها خصوصيتها عن أي مفردة أخرى تنتهي إلى نص سوى القرآن؛ أو أن هذه المفردات اتحدت فيما بينها لتشكّل التركيب النحوي الذي بمجموعه يتحقق مفهوم الآية أو يرتسم للذهن حدود المعنى الأولي أو المعنى التأسيسي الذي يمدّ وشائجه لما بعده، فينشأ بذلك المعنى الإضافي الذي لو تخلّت عنه الآية الواحدة لانصرم حبل ودها مع نظيراتها من الآيات الأخر.

ومما لا شك فيه أن القصص يشغل في متن القرآن الكريم حيزا كبيرا، تتنوع فيه سياقات التعبير وتتعدد أساليبه، ويعدّ النداء فيه أحد الأساليب البلاغية ووجهاً من وجوهه البيانية، التي تدلّ على العناية الكاملة والاهتمام العظيم بالمطلوب، وبالمنادى، وهذا من بديهي الطرح، وإذا ما تأملنا فيه يظهر لنا نوعان من نداء الله تعالى الموجه إلى خلقه وهذان النداءان هما: نداء تكويني، ونداء تكليفي.

أما النداء التكويني: فيختص بنداء الله تعالى لغير العقلاء مما خلق،

وكمثل قوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: 44]

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الأنبياء: 69]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]

وهذه النداءات في القرآن الكريم تُظهر مطاوعة الكائنات لخالقها وخضوعها لسنّته والدلالة على وحدانيته، إذ الشركة تمنع مثل هذا الانقياد لما بين الشركاء من التضاد، المؤدي إلى النزاع «كما تدلُّ أيضاً على عظمة هذه الأجسام الدالة على عظمة خالقها وأنه تعالى

مستول عليها متصرف فيها كيف يشاء»⁽¹⁾، ويقول الإمام الزمخشري: «نَادَى الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بما ينادى به الإنسان المميز على لفظ التخصيص، والإقبال عليه بالخطاب من بين سائر المخلوقات، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحت طاعته علمهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته»⁽²⁾، ومن مثل ذلك نداء النمل

وأما النداء التكليفي: ومعناه نداء الله تعالى الموجه إلى العقلاء، وهو إما أن يتضمن أمراً يطلب فعلاً، وإما أن يتضمن نهياً يطلب تركاً أو يتضمن مدحاً أو ذماً أو تبيكياً أو تعجيزاً أو تذكيراً بنعم الخالق إلى غير ذلك مما يتصل بالمكلفين، مما سيلي ذكره من خلال المطالب التالية.. ويتفرع إلى أنواع مخصوصة متعددة يمكن حصر أهمها في: نداء العموم يا عباد، نداء النسبة يا بني إسرائيل، نداء الأبوة والبنين، يا أبتى يا بني نداء التشريف يا أيها النبي نداء الخصوص يا قوم أو نساء النبي، نداء الطائفة أهل الكتاب، وخطاب الجنس الإنسان وخطاب النوع والنسبة بني آدم⁽³⁾، ويبقى من أشرفها نداء أمة رسول الله يا أيها الذين آمنوا، وهذا النداء يكثر عندما يتعلق النداء بالأصول العامة للدين، من الإيمان بالله والوحي والرسالة، واليوم الآخر، وغير ذلك من أفعال المكلفين، وقد ورد عن بعض الصحابة والتابعين أن ما كان فيه الخطاب بـ "يا أيها الناس" فهو مكي، وما كان فيه الخطاب بـ "يا أيها الذين آمنوا" فهو مدني.

وقد جعل المولى عز وجل نداء طائفة المؤمنين من أمة رسوله يا أيها الذين آمنوا، تثبيتاً لأهم دعائم محبته لعبده، أي ما يجب الإيمان به على سبيل المدح والتعزيز⁽⁴⁾؛ إذ إنهم وبحكم هذا الوصف أقدر على الاستجابة، وامتنال ما طلب منهم، وكلفوا به، وتنبيهاً في نفس الوقت

(1) محمد فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 17، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص 353.

(2) جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 397.

(3) ينظر: سيد مرسى إبراهيم، فتح الخبير في أدوات التفسير ج 2، ط 1، 1987، ص 159.

(4) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 228.

إلى رفعة شأنهم وامتداح أمرهم عند ربهم، وقد ورد نداء هذه الطائفة بوصف الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بلغت تسعين موضعاً، وبهذا يفوق نداء هذا النوع على بقية النداء⁽¹⁾، فصلها المنشغلون بأسرار القرآن إلى هذه المواضع كما يلي: في سورة البقرة عشر مرات، وفي سورة آل عمران سبع مرات، وفي سورة النساء تسعة، وفي سورة المائدة ستة عشر، وفي سورة الأنفال ستة، وفي سورة براءة ستة، وفي سورة الحج واحدة، وفي سورة النور ثلاثة، وفي سورة الأحزاب سبعة، وفي سورة محمد اثنتان، وفي سورة الحجرات خمسة، وفي سورة الحديد واحدة، وفي سورة المجادلة ثلاثة، وفي سورة الحشر واحدة، وفي سورة الممتحنة ثلاثة، وفي سورة الصف ثلاثة، وفي سورة الجمعة واحدة، وفي سورة المنافقين واحدة، وفي سورة التغابن واحدة، وفي سورة التحريم اثنتان، وقام "الفيروز آبادي" بتقسيمها إلى مواضع مجموعها ثلاث مجموعات ما كان فيها أمر صرف وما كان فيها نهي مطلق وما اجتمع فيها الأمر والنهي⁽²⁾ وكل مجموعة تندرج تحتها تراكيب حمل مختلفة مميزات مضمون كل نداء غن الآخر الأمر الذي بفصل بين الجمل المتباينة، فيعكس بذلك قيم الانزياح في المجال الواحد وهو نداء المؤمنين.

وقد ورد نداء هذه الطائفة بوصف الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بلغت تسعة وثمانين موضعاً، وبهذا يفوق نداء هذا النوع من حيث الإحصاء العددي جميع أنواع النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم، مما يدل على رفعة شأن تلك الطائفة، وقربها من رب العالمين كما يدل أيضاً على قدر المسؤولية تجاه ما كلفت به «وهذا واضح وبين فيما ورد في تلك النداءات من امتثال الأحكام والعمل بمقتضاها، وكذلك الحث على الأخلاق والتحلي بها»⁽³⁾

ومن ثم فلهذا النداء أهمية كبرى؛ إذ عليه تبنى جل التشريعات الإسلامية، وما ينبغي على

(1) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص101.

(2) ينظر: مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج5، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص430.

(3) ينظر: سيد مرسي إبراهيم البيومي، فتح الخير في أدوات التفسير، ج2، ط1، 1987، ص162.

أمة الإسلام امتثاله، ليظهر بذلك سمتها ومكانتها بين الأمم، لذلك لا نجد هذا النداء إلا وهو يدور على إحكام عقيدة التوحيد، وتقوى الله وما يندرج تحت ذلك من أحكام الشريعة من الوجوب أو الحرمة أو النذب إلى غير ذلك من التكاليف الشرعية، والآداب والأخلاق الاجتماعية، إنه نداء الله تعالى لعباده المؤمنين «ناداهم بعنوان الإيمان لأن المؤمن حي بإيمانه، يسمع ويعقل ويقدر على الفعل والترك بخلاف الكافر، فإنه لا يسمع ولا يعقل ولا يفعل إن أمر، ولا يترك إن نهي، واعلم أيها القارئ لهذا النداء أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم، أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم، أو ليبشرهم، أو ينذرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم»⁽¹⁾، وقد ورد عن ابن مسعود أنه قال: "إذا سمعت الله تعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا" فأرעה سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"⁽²⁾.

ب/ وقفات الشيخ في تفسير نداءات الايمان يا أيها الذين آمنوا:

بعد أن أتم الشيخ الجزائري التفسير الأكبر الذي أسماه "أيسر التفاسير" ووضع فيه كثيرا من الجهد والوقت والاهتمام والإبداع والإثارة في أجزائه الثلاثة حتى استقر سفرات مرجعاً معتمداً ومهتماً به من أئمة التفسير في بلاد الحرمين وما جاورها، إلى أن بلغ عنان المغرب سيته ونال حظه من التقدير والتوقير، راح الشيخ جابر إلى الاستمتاع بقراءة ثانية بمجهود التفسير، فبدأ يتنبه للطائف التي شملها كتاب الله عز وجل، فأثارته بعض اللطف التي اختص بها كلام المولى في خطابه للمسلمين عامة وأرباب البلاغة في أمة اللسان القويم، فلفت انتباهه تنوعات أشكال الخطاب التي جاءت في سياق السور ومطالع آياتها؛ فمرة "يا أيها الناس" وأخرى "يا أيها العباد" و"يا أيها المسلمون" وغيرها من تشاكيل صيغ النداء، وبعد أن صنفها استهواه أسلوب آخر للنداء يظهر فيه الخطاب في قمة التشريف والتكريم، خص به المولى مخصوصاً بالكلام سلام موجها إليه وكانت صيغة التشريف في الخطاب "يا أيها الذين آمنوا"، قال فيها شيخنا جابر: «فهذه نداءات الرحمن لعباده المؤمنين البالغة تسعين نداء،

(1) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ط، 2002، ص 09.

(2) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في "تفسير القرآن العظيم مسند عن الرسول والصحابة والتابعين"، ج1، دار ابن

الجوزي، السعودية، ط1، 1439هـ، ص196.

حواها كتابه القرآن الكريم، قد يسر الله تعالى لي جمعها في هذا المؤلف الصغير كما يسر لي شرحها، وبيان ما تحتويه من علم وهداية لعباده المؤمنين المتقين، قد اشتملت على ما يهم المسلم في أمور دينه ودنياه، هذه النداءات الرحمانية بينت العقيدة والعبادات الدينية المزكية للنفس البشرية، كما بينت الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والآداب الشرعية السامية والمعاملات النافعة للانتفاع بها، والضارة لاجتنابها، كما بينت الأحكام الخاصة والعامة وذلك في الأموال والدماء والحدود، وفي الجهاد والمعاهدات⁽¹⁾، وقد أسماها الرحمانية الإيمانية وبدأها بالأدب الرفيع وختمها بالتوبة النصوح المنجية من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

لقد وقف أبو بكر جابر على حدود من تبع النداء من متطلب وتأمله جيد واستنطق واستحلب المعني الذي يحمله ثم جمعه في حكمة مخصصة رآها أنها وقف عليه حين نجمع تلك الحكم عمومها قد نصل بعد ذلك إلى كل شروط حمل وسام الانضمام إلى هذه الفئة المشرفة، ونظرا لأنها تسعين حكمة وموعظة وخصيصة وضعها الإمام بترتيب ورودها في كتاب الله، والكتاب جدير بالقراءة والتأمل ويسير تحصيله، وسأنتخب من ذلك العدد المعتبر بعضها، لا على أهمية المختار أو أولويته، إنما لأن ورقة العمل لا تتحمل سعتها فحسب، ومن بين خصيصات النداء المختارة نذكر ما يلي:

- النداء الأول: وجعله في تعليم المسلمين الأدب مع رسول الله واستدل عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 104] جاءت آيات كثيرة توضح للمؤمنين كيفية الرقي في التعامل مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها ما استرعى الله تعالى بندائه عباده المؤمنين في هذه الآية لينهاهم عن كلمة راعنا، ويرشدهم إلى استبدالها بكلمة انظرننا والحكمة في «ذلك لأن المنافقين من اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ راعنا وهي في لغتهم العبرية بمعنى الاستهزاء والسخرية، فكانوا بذلك يستهزئون بالرسول ﷺ ويسخرون منه والاستهزاء بالرسول والسخرية منه كفر، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للرسول إذا جلسوا إليه يتعلمون الكتاب والحكمة راعنا، وليقولوا بدلها وهي في العربية بمعناها انظرننا بمعنى أمهلنا، ولا تعجل علينا حتى نحفظ أو نفهم ما

(1) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، مقدمة الكتاب، ص 7.

تقول لنا وأمرهم بالإصغاء والسماع عند تلقي العلم والمعرفة والتأدب في ذلك»⁽¹⁾، وحذرهم من مكائد الكافرين وخبثهم وهم يريدون الاستهزاء برسول الله عمدا فتتبعون أنتم خطواتهم على عصى، فهل تحبون أن تلقوا جزاءهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة، وفي هذه الآية الكريمة «بيان وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ، وحرمة الإساءة إليه بقول أو عمل هذا مع الجهل وعدم العلم، أما مع العلم بأن اللفظة أو الحركة فيها إساءة أدب مع رسول الله فإن ذلك هو الكفر بعينه، والعياذ بالله تعالى»⁽²⁾، فإساءة الأدب مع رسول الله محرمة وقد تكون كفراً مع التعمد والقصد، كما أن عيب المؤمن أو احتقاره أو الهزء به والسخرية منه محرمة وفاعلها فاسق إن لم يتب من ذلك كما يؤكد الشيخ أبي بكر جابر بدليل عديد الآيات في القرآن الكريم، «فلتحذر إساءة الأدب مع الله ورسوله فإذا ذكر الله تعالى أو تلي كتابه يجب أن نصغي ونخشع، ولا ترفع أصواتنا، أو نضحك، وإذا ذكر رسول الله ﷺ أو حديثه يجب أن تصغي ويظهر علينا إجلاله واحترامه وحبه وتقديره، وهذه ثمرة هذا النداء الإلهي الذي أكرمنا الله تعالى بحفظه وفهم معناه»⁽³⁾، فعلينا الوقوف على عتبتها وجني ثمرها.

-النداء السادس: وجعله في وجوب قبول شرائع الإسلام كلها، وحرمة إتباع الشيطان: واستدل عنه في ندائه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة: 208]، مما أقره النبي ﷺ وأكدته أي القرآن وتعاليمه أن الإسلام دين كامل ومتكامل، وأن القرآن دستور لا يأتيه الباطل من خلفه أو أمامه، «لذا هو لا يقبل الزيادة فيه، ولا يسمح بالنقص منه، إذ الزيادة فيه تبطله، والنقص منه يفسده. وأقرب مثال يوضح هذه الحقيقة صلاة المغرب ثلاث ركعات، فلو زيد فيها ركعة أو سجدة بطلت، كما أنه لو نقصت منها ركعة أو سجدة بطلت كذلك، بإجماع علماء الإسلام»⁽⁴⁾، ويضيف الشيخ في تمثيله التفسيري أنه «لو أن فرداً من الناس قال: أنا أقبل الإسلام وأدخل فيه إلا أن ما حرمة من المطاعم والمشارب لا أحرمه، أو قال آخر: أنا أدخل في

(1) المصدر نفسه، ص 09.

(2) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص 09.

(3) المصدر نفسه، ص 10.

(4) المصدر نفسه، ص 20.

الإسلام إلا أن الصيام لا أعترف به لأنه يضعف من قوتي البدنية، أو قال آخر: أقبله إلا أنني لا أعترف بما قرره الإسلام من أن المرأة لها نصف ما للذكر في الميراث، أو قال آخر: أنا أقر بالإسلام وأدخل فيه إلا أنني لا أعترف بحكم قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، فهل يقبل الإسلام من هؤلاء؟ والجواب: لا يقبل أبداً، وهم كافرون مخلصون في النار إذا ماتوا على هذا الكفر، ومثال آخر: لو أن مسلماً أباً أو جداً قال: أنا لا أعترف بأن المسلم إذا دعا الأولياء أو استغاث بهم، أو تقرب إليهم بذبح أو نذر هو مشرك وأصر على ذلك فإنه كافر، وإن هو استغاث بغير الله ودعا غير الله وتقرب إلى غيره بذبح أو نذر فهو مشرك لا يقبل منه إيمان ولا إسلام، ولو صلى وصام وحج واعتمر وجاهد ورباط⁽¹⁾، واستدل بقصة وسبب نزول الآية لزيادة الإقناع بالدليل قائلاً: «هذه الآية الكريمة نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبراً من أحبار اليهود في المدينة، ودخل في الإسلام عن علم وقناعة، وبُشر على لسان الرسول بالجنة لرؤيا رآها، هذا العالم رأى في بداية إسلامه أن يبقى على تعظيم السبت، وأن يقرأ بشيء من التوراة في صلاته بحجة أن السبت فرضه الله تعالى تعظيماً على اليهود، وأن التوراة كلام الله تعالى، وقبل أن يفعل استأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فنزلت هذه الآية تأمر المؤمن أن يدخل في الإسلام بكله، لا يبقى شيئاً خارجاً عنه حتى ولو كان تعظيم يوم السبت الذي كان تعظيمه شرعاً وعبادة قبل الإسلام، أو تحريم لحوم الإبل وألبانها إذ كانت محرمة على اليهود، فرأى بعضهم ممن أسلموا أن يبقوا على ما كانوا عليه من تحريمها، فكانت هذه الآية الكريمة مانعة من كل ذلك. ولا يسع المؤمن الحق إلا الدخول في الاستسلام الكامل لله تعالى، وذلك بقبول ما شرع وعدم التخير فيه بقبول بعض ورفض بعض»⁽²⁾، فالتزام أمر الله بعبادة انقياداً كاملاً وطاعة تامة لله ورسوله في كل ما حواه الإسلام من الشرائع والأحكام العامة والخاصة، كنهيه تعالى المؤمنين عن إتباع خطوات الشيطان التي تقطع عن الله تعالى «إنه لكم عدو مبين أي بين العداوة ظاهراً لا تخفى على أحد من ذوي العقول الراجحة والفهم السليمة، وكيف وهو يزين اللواط والزنا والربا وقتل النفس، والحسد والكبر والعجب، وعقوق الوالدين وأذية

(1) المصدر نفسه، ص 20.

(2) المصدر نفسه، ص 21.

المسلمين، إلى غير هذا من كبائر الذنوب والفواحش»⁽¹⁾، ثم بعد ذلك يخصص نداءه لشباب المسلمين مؤكداً «أن هذا النداء اشتمل على بيان طريق النجاة وطريق الهلاك فطريق النجاة هو الإسلام الكامل الله تعالى باعتقاد ما أمر باعتقاده، وقول ما أمر بقوله، وفعل ما أمر بفعله، واجتناب ما أمر باجتنابه من ذلك كله اعتقاداً أو قولاً أو عملاً، وطريق الهلاك هو إتباع خطوات الشيطان بتحسين القبيح، وتقبيح الحسن، فإذا أصبح العبد يجب ما يحب الشيطان، ويكره ما يكره فقد التحق به وأصبح من أولياته، وخسر نفسه وأهله»⁽²⁾، ووضع نفسه في زمرة من تحمله الآية من وعيد شديد.

-النداء الثاني عشر: وجعله شيخنا الفاضل في التحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه، ودليله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 100]، يرشد الشيخ وينبه إلى ضرورة التنبيه لنداء الله العزيز الرحيم فهو لا «ينادي المؤمنين إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم، أو لينهاهم عما فيه خسارتهم وشقاؤهم في دنياهم وأخراهم، أو ليبشرهم بما يزيد حبه في الله وطاعة له وحباً فيه، وذلك لأنهم إن اتقوه كانوا أولياء، وأولياؤه تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»⁽³⁾، وجعل لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا هو الفوز العظيم.

والآية تحمل تحذيراً ربانياً من أن يكون المؤمن إمعة يتبع الغير على عى ولو دخلوا حجر ضب لا تبعوهم، والمولى يحرص على فطنة المسلم ويراهن عليها، ولكن يخشى على عباده المؤمنين ثقتهم إن وضعت غفلة في غير موضعها، لذلك خصهم بالخطاب ف«ناداهم ليخبرهم محذراً لهم من طاعة بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ فإنهم إن أطاعوهم كفروهم بردتهم عن الإسلام، فقال عز وجل: يا أيها الذين امنوا أي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً وإن تطيعوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُمْ الْحَاقِدُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، الْمُغْتَاطُونَ الظُّهُورِ الْإِسْلَامِ وَانْتِشَارِ نُورِهِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِن تَطِيعُوهُمْ فِيمَا يَزَيِّتُونَ لَكُمْ

(1) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص 21.

(2) المصدر نفسه، ص 21.

(3) المصدر نفسه، ص 34.

ويحسنون من الباطل والكفر الخفي، وفيما يقبحون لكم من أحكام الإسلام وعباداته، وآدابه وأخلاقه بدعوى أنها منافية للديمقراطية والحرية الشخصية، أو أنها تعوق عن التقدم الحضاري، أو أنها كانت فيما مضى صالحة، أما اليوم فنحن في عصر الذرة وغزو الفضاء، فإنها تخلف أصحابها وتقعد بهم دون الحضارة والتقدم. هؤلاء وهم طائفة اليهود والنصارى ممن يدعون العلم والمعرفة، وهم يحملون العداء للإسلام وأهله»⁽¹⁾.

وبالتدبر في هذا الشرح نجده يسقط الآية على حالات حديثة ويلبسها ثوبا من التفكير المعاصر فمقاصد التفسير كانت تسترجي مثل هذا التفكير وإلا ما الفرق بينه وبين ما قدمه مفسرو السلف الصالح من جهد في تفاسيرهم، «فالحذر الحذر أيها المؤمنون وخذوا بهذه النصائح القرنية الغالية، فإنكم تنجون من كيد أعدائكم الماكرين بكم الطالبيين بعدكم من مصدر عزكم وقوتكم وسيادتكم وقيادتكم، واعموا أن في الآية الكريمة بعد هذه مباشرة كبر حصن لكم، وأعظم سور لمناعتكم من أعدائكم الكائدين لكم... وإنما منعهم من الإسلام حب الرئاسة، والمصالح المادية التي يعيشون عليها بين أتباعهم. والشهوات المسيطرة على نفوسهم، لأن الإسلام يحرم منها ويبعد من ساحتها»⁽²⁾، ضاربا مثالا على ذلك برجال الرافضة الشيعة الذين «يبذلون الغالي والرخيص في صرف أهل السنة والجماعة عن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك بالتشيع القائم على تكفير خيرة الأصحاب أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وتحريف معاني آيات الله، وأحاديث رسول الله تصحيحاً لمذهبهم الباطل، تحمل الأجيال على اعتناقه ليهلكوا معهم ويحرموا الجنة مثلهم»⁽³⁾.

النداء الحادي والأربعون: وجعله في وجوب النهي عن السؤال عما لا فائدة فيه ولا حاجة تدعو إليه والتحذير من عواقبه: واستدل عنه في ندائه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: 101]، قبل أن يخوض الشيخ في تفسير مقاصد ندائه سبحانه وتعالى، بدأ الإنارة بنقل سبب الدعاء وقصة

(1) المصدر نفسه، ص 34.

(2) المصدر نفسه، ص 35.

(3) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص 35.

وجوده بين الناس تأكيد مقصديا على منة الله التي تستوجب دائما الحمد والشكر، «وإليك بيان سبب هذا النداء قال البخاري: حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثله قط وقال فيها "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً"، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين فقال رجل من أبي؟ قال فلان فنزلت هذه الآية»⁽¹⁾، ثم يستطرد الشيخ في أمرها أنها عبارة عن جملة من الروايات تحمل مقصدا واحدا وهو أن لا يتسرع المستمع في السؤال وأن ينتظر فسيأتيه جوابه، وأن لا يكون حاله كحال موسى مع الخضر حين ضيع بسؤاله تعلم العلم الغزير وحرّم نفسه بشغف الاستفسار دون تريث، «ومثل هذا سؤال الذين لما قال رسول الله ﷺ أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا أعاماً واحداً أم كل عام يا رسول الله؟ فقال: لا بل عاماً واحداً ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم فهذا معنى قوله تعالى: وإن تبد لكم تسؤكم»⁽²⁾.

ثم راح الشيخ يضرب أمثلة عن تنطع أقوام على رسلهم، أرادوا بها المحاججة والإحراج والتعجيز؛ ومن أمثلة الأسئلة التي هلك فيها من هلك سؤال اليهود إذ قالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، وسؤال قوم صالح الناقة فأعطوها ثم عقروها فهلكوا، وسؤال الحواريين لعيسى المائدة وبعد كانت وبالا عليهم في الدرك الأسفل من النار، خاتما قوله بنصح مستنبط من وعظ معلم الإنسانية قائلا: «إن الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها فعلينا بالأدب مع الله فلا تسأله ما لم تجر سنة الله تعالى به، وعلينا بالأدب مع رسول الله ﷺ فلا نرد عليه ما دعا إليه ونصح به، وعلينا بالأدب مع أهل العلم فلا نسأل سؤال تنطع، ولا نسأل عما نحن به عالمون ولا عما نحن غير عازمين على العمل به ولا نسأل الناس ولا تكلفهم ما لا يحسنون ولا ما لا يطيقون، ولنلزم الصبر والصمت والذكر، فهذا هو طريق الهداية والكمال»⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 107.

(2) المصدر نفسه، ص 108.

(3) المصدر نفسه، ص 108.

النداء الرابع والستون: وجعله في وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ: واستدل عنه في نداءه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، في كل نماذج النداء المعتمدة في هذه الصيغة، بل وإن جاز التعميم في كل صيغ النداء التي وردت في الآيات القرآنية، كان تحضيضا وعرضا من المولى على فعله في إحدى صيغتي الطلب الأمر والنهي ومادامت الغاية والجائزة هي الجنة فقد كان المولى عز وجل يرسم لنا طريقها وينفض عن فضائها أماننا ضباب الشياطين فهو مقدرها لذلك فعل تلك الأوامر والنواهي تخص الإنسان ولا تتطلب من الأمر فعلها، وينتظر من عباده الاقتداء فما قولك يا شيخ في حكمة الدعوة إلى الصلاة على رسول الله وحبيبه صلى الله عليه وسلم، «حسبك أن ما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين كان قد فعله سبحانه وتعالى قبل أن يأمر به عباده؛ إذ قال تعالى قبل هذا النداء: إن الله وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ هُوَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَيْنَ نَحْنُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَالِ مَلَائِكَتِهِ وَطَهَارَتِهِمْ وَهُمْ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. إِذَا فَأَمَرَهُ تَعَالَى لَنَا بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ شَرَفَ عَظِيمٍ لَنَا، وَكَرَامَةً تَفُوقُ كُلَّ كَرَامَةٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. أَمَّا الْمُصَلِّي وَالْمُسْلِمُ عَلَيْهِ فَلَا نَسْأَلُ عَنْ كَرَامَتِهِ وَعَنْ دَرَجَتِهِ وَنَسْمُو مَقَامَهُ فَإِنَّا لَا نَدْرِكُ ذَلِكَ، وَلَا تَقْوَى عَلَى تَصَوُّرِهِ، فَالْهِمُّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ الذَّاكِرُونَ وَغُفِلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ»⁽¹⁾، ليعن له أن يشرح موضع تلك الصلاة التي لا تحتاج طهارة أو وضوء أو ركوعا وسجود، في صيغة سؤال: ما معنى صلاة الله تعالى، وصلاة الملائكة ثم صلاتنا نحن المؤمنين على النبي ﷺ؟

وجوابه التفسيري يتمثل في «صلاة الله تعالى على النبي ﷺ معناها ثناؤه ورضوانه عليه، وصلاة الملائكة عليه دعاؤهم له واستغفارهم له، وصلاة المؤمنين معناها: التشريف والتعظيم له»⁽²⁾، أما حكمها على العباد دون الملائكة فهي واجب حتمي، «فمن لم يصل عليه ولو مرة في عمره هلك وخسر بمعصيته هذه التي لا يتصف بها ولا يأتيها إلا من فارق الإيمان قلبه، وأصبح في عداد من لا يؤمن بالله ورسوله وكتابه»⁽³⁾، ذاكرنا نعت الرسول للبخیل الخاسر الذي ذُكر

(1) أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص 170.

(2) المصدر نفسه، ص 170.

(3) المصدر نفسه، ص 170.

اسم النبي محمد ولا يصلي عليه، رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل عليك والقائل "جبريل" عليه السلام في حديث صحيح.

ثم زاد في تخصيص هذه الصلاة بالحديث عن مواضع تأكدها شرعا كالتشهد في خاتمة الصلاة وفي الدعاء «رجاء الإجابة، إذ سمع رجلاً يدعو يا رب يا رب.. قال: لقد عجل هذا إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليحمد الله وليصل على نبيه ثم يسأل حاجته. فالدعاء إذا كان بين صلاتين على رسول الله يستجاب»⁽¹⁾، وبعد الأذان والإكثار منها يوم الجمعة وليلتها لترغيبه في ذلك، سواء أطالت صيغة الصلاة والسلام أو كالصيغة «التي في هذا النداء فهي: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً، وهذه أصغر الصيغ وأيسرها وأسهلها وبها يؤدي الواجب وبعض المتأخرين يكتب ص وهذا إجحاف ولا ينبغي»⁽²⁾.

هكذا وبهذه الصورة من العلمية والفكرية التي احتوت معاني القرآن واسترشدت هديه التشريعي تشيئة ووعظاً استطاع التواصل اللين مع كل نداءات الرحمن للمؤمنين مستحلبا ضوابطها ومقاصدها ليبسطها على العيان بفكرة معاصر مسقطا تلك المقاصد على أحداث العاصرة ليوقط الغفلة والنوم الذي يعتقدون أن القرآن خص نزوله وارتبط بحوادث الجاهلية وبعض زمن الرسول والصحابة وأن ما ألزمهم به لا يصلح به إلزام إنسان الذكاء الصناعي وحياة السرعة التي تجاوزت بسرعتها زمن الأجداد وتراثهم الذي بات من عناصر ذاكرة فقط للحكي والإمتاع.

وبهذا تمكن شيخنا من أن يستقطب شبابا إلى حلقاته تسترشد هديه وتنتفع بعلمه وبأسلوب تعليمه، إذ كان عمله نابعا من دراية أكاديمية متوازنة نجحت مشافهة وتوفقه أيما توفيق بالتأليف فقد كانت بصمته الخاصة سمة أزيد من عشرين عنوان جعله صدقة جارية لطالبي المنفعة والصالح يمكن تحميلها من محركات بحث ومواقع مختلفة، ويبقى كتابه هذا "نداءات الرحمن لأهل الإيمان" عبارة عن مقالات إستوت كل إجابة وتفسير للنداءات الخمسين على صفحتين وقليل على ثلاث صفحات، كان فيها التفسير مركزا ومبسطا ودون

(1) المصدر نفسه، ص 170.

(2) المصدر نفسه، ص 170.

تشعب أو عمق كما كان في تفسيره الأكبر المذكورة، وينتهي تفسير كل نداء بعد الحمد والشكر بعبارة "وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".

أما إذا تساءلنا عن منهج الشيخ في عمله التفسيري فقد أجابنا عن ذلك في مقدمة تفسيره الكبير⁽¹⁾، نلخصه في نقاط نراها تشكل أسس مشروعه العلمي في التفسير لم يحد عنه ولم يغيره أبداً ويتمثل في:

- 1- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.
- 2- اتباع منهج السلف في العقائد والالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية.
- 3- خلو التفسير من الإسرائيليات صحيحها وفاسدها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.
- 4- صرح أيضاً بإغفال الخلافات التفسيرية والالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا يأخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.
- 5- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية وعدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك.
- 6- بالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم يعزها إلى مصادرها إلا نادراً.
- 7- جاء تفسيره خالياً من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح، حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي يفهم من كلام ربه تعالى.

وهذه ميزة جلييلة وذلك لحاجة جميع المسلمين للاجتماع على فكر إسلامي موحد صائب سليم، ولذا فقد جعل الكتاب دروساً منظّمة متسقة فقد جعل الآية الواحدة أو الآيتين أو أكثر

(1) ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، ج1، مكتبة العلوم والحكم، المملكة

درساً فيشرح كلماتها، ثم يبين معناها، ثم يذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل.

5- خاتمة ونتائج:

يقف المقال عند نقطة الانتهاء ليستخلص جملة ما تمت مناقشته وتحليله في متنه:

✓ القرآن حقل معرفي وفضاء علمي بكر يتجدد بالتأمل والتفكر في آياته، وإضافة لما يحمله من إشارات معرفية مرموزة تحيي القلوب بأوراده لتكون سببا للاقتدار، وعلماء على الاعتبار، وكونه محفوظا لم يطرأ التحوير والتبديل كما وسم غيره من الكتب المقدسة، ظهرت مشمولاته ككلام الله حين تسابق المفسرون في استرفاد أسرارهِ مما يجعله صالحا لكل زمان ومكان.

✓ إن العلاقة بين الفكر والقرآن تؤسس لها عديد الآيات، فأصل القرآن إقتناع عقلي لا انجذاب عاطفي؛ لذلك عرفت عديد آياته دعوة للتفكر والتساؤل، فلا تبرح تلك الوحدات من أن تختم سياقها إلا بدعوة كريمة لاستفتاء العقل في أي طرح عقائدي ومقصد شرعي فالإسلام يصنع أنصارا يحملون مشعل الدين عن فهم واقتناع.

✓ لقد عرف فن التفسير مجهودات كبيرة في كل عصر ولذلك استوجب على كل أهل قرن أن يحينوا تفاسيرهم على ما أصبحت عليه حياتهم من مستكشفات في العلم اجتماعيا وحضاريا وسياسيا واجتماعيا، والشيخ جابر الجزائري بمجهوده الخاص كان مرحلة من مراحل مجهود المعاصرين في مسار تفسيرهم للقرآن العظيم.

✓ ومن بين ملامح مجهود شيخنا جابر التفسيري قدرته على الاستنباط؛ حيث كان يربط بين معنى الآية والواقع الذي يعايشه فعدد الإسقاطات على الواقع الاجتماعي للحياة المعيشة مهما كانت ديانتها جعلت تفسيره أقرب إلى البعد الاجتماعي الذي يشمل قضايا عقلية وأخلاقية؛ بعضها يتعلق بفسادهم في أنفسهم أو بأيدي غيرهم.

✓ وصفت أبعاد تفسير الشيخ بميلها إلى الرؤية السلفية أو الفقهية أو الكلامية وثلاثتها غير معلنة لكن كان الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية، وفي فعله التفسيري كان يتسم بالوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.

✓ جاء تفسيره خالياً من ذكر الأقوال والتشعب فيها إنما يعتد الشيخ بالمعنى الراجح الذي عليه جمهور المفسرين حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي يفهم من كلام ربه تعالى، كم أنه كان يعزف عن الاستناد إلى الاسرائليات صحيحها وسقيمها إلا ما كان في روايته تجوز لفهم الآية الكريمة.

✓ تجنب الشيخ في الخوض خلال التفسير على المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية وعدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك.

ونقطة الوقوف أن الإمام الشيخ أبو بكر جابر الجزائري كان ميمونا عند الله محبوباً عند خلقه، فقد كان يكتفي في زيارة السعودية بالحج والعودة إلى مسقط رأسه لكن إلحاح الجزائريين وعمه على البقاء في المدينة وبمجاورة قبر رسول الله وروضته انفتح له باب العلم والمعرفة والاشتهار بين الناس وكتب اسمه في سجل الصالحين والمقربين، ما ساعده في التوفيق في أن يكون لباع من السنين جندياً شريفاً في ساحة شرف العلم والمعرفة الإسلامية فكان حصاده الفكري ثمرة حلوة وضعها في حلق كل شغوف بعلوم القرآن يستطيب بها داخله وينو ربه قلبه وعقله ولسانه، فعليك يا شيخنا الفاضل من الله ما أنت أهله لنيله من الفضل، ولك منا جميل الدعاء بالرحمة والمغفرة والرضوان.

المصادر والمراجع:

أ/ مصادر:

- 1- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، مكتبة العلوم والحكم، المملكة السعودية، ط5، 2003
- 2- أبو بكر جابر الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ط، 2002.

ب/ مراجع:

- 3- أعلام السلفية، ترجمة العالم الواعظ المعمر أبو بكر الجزائري رحمه الله تعالى، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات.

- 4- ابن أبي حاتم الرازي في "تفسير القرآن العظيم مسند عن الرسول والصحابة والتابعين"، ج1، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1439هـ.
- 5- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 6- جار الله الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- 7- سليم كرام، قبس من سير أعلام الثقافة والفكر والنضال بالزيبان، مطبعة جامعة بسكرة، الجزائر، ط1، 2022.
- 8- سيد مرسي إبراهيم، فتح الخير في أدوات التفسير ج2، ط1، 1987.
- 9- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، يناير 2014.
- 10- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992م
- 11- عبد الله بن أحمد آل علاف الغامدي، أئمة الحرمين، 1343هـ/ 1436هـ، فهرسة: مكتبة الملك فهد الوطنية، دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف، السعودية، د.ط، 1436هـ
- 12- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 1406هـ.
- 13- محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع. تونس، د.ط، د.ت.
- 14- محمد فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج17، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت.
- 15- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث،

القاهرة، مصر، ط1، 1996.

16- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1992.

17- مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج5، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت.

الدلالة السياقية في تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن سورة البقرة أنموذجا

د. خير الناس يس - د. خير الناس مصطفى

جامعة غرداية

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأنار سبيله بهداية القرآن، وأصلي وأسلم على خير خلق الله محمد عليه أزكى الصلوة والسلام، وبعد:

القرآن الكريم كتاب الله المُقدّس عرف اهتماما وعناية كبيرة من العلماء عبر العصور جمعا وصونا وتفسيرا وبيانا لمعاني سوره وآياته، وإظهارا لمواطن الإعجاز فيه، ولا يتأتى ذلك إلا بحسن النّظر والتّفقّه في آيه الكريم ألفاظا ومعان، ونحن إذ نعرض لهذا البحث، نحاول من خلاله ربط جسور المعرفة الحضارية للأمة الإسلامية بحلقة من حلقات تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث وإحاقها بالجهود السابقة في خدمة أي الذكر الحكيم، اخترنا له عنوان: "الدلالة السياقية في تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن سورة البقرة أنموذجا."

إنّ للدلالة السّياقية أهميّة كبرى في التّفسير ما يجعلها أداة من الأدوات التي لا غنى للمُفسّر عنها في رفع ودفع كثير من حجب الغموض واللبّس الدّلالي الذي يعرض لبعض المعاني القرآنية وترجيح وتوجيه مُحتملها، وهذا البحث يأتي وصفا وتحليلا للدلالة السّياقية وبيانا لمظاهرها في تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ محمد سعيد كعباش باعتبارها من أبرز الأسس المنهجية التي استعان بها لبيان معاني آيات القرآن الكريم، وهو ما سيسعى الباحث إلى رصد بعض جوانبه من خلال تفسير سورة البقرة، والإجابة عن الأسئلة الآتية: من هو الشيخ محمد سعيد كعباش؟ وما مواصفات تفسيره؟ ما مفهوم دلالة السّياق القرآني؟ وما هي عناصره؟ ما هي مظاهر الدّلالة السّياقية في تفسير الشيخ؟

وقد رأينا الإجابة عن هذه الأسئلة وفق خطة منهجية تتكوّن من مقدّمة وثلاثة مباحث، فالمقدّمة جاءت تمهيدا وبسطا لموضوع البحث وأسئلته، والمبحث الأوّل لبّذة تعريفية عن

الشيخ وتكوينه العلمي خاصة ما يخدم جوانب التفسير، وكذا التعريف بكتاب التفسير، والمبحث الثاني لبسط المفاهيم المتعلقة بدلالة السياق القرآني وأنواعه، ثم المبحث الثالث الذي يتناول الجانب التطبيقي على سورة البقرة ببيان جوانب اهتمام الشيخ بدلالة السياق القرآني في تفسيره، وختم البحث بأهم النتائج المتوصل إليها والله نسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ وبتفسيره نفحات الرحمن

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد سعيد كعباش.

قبل أن نعرض لهذه الدراسة المتعلقة بالدلالة السياقية في تفسير نفحات الرحمن لا بدّ من وقفة تعريفية عن المؤلّف وتفسيره ولو بشكل مختصر من خلال العناوين التالية:

أولاً: نشأته ومولده وعوامل نبوغه

هو محمد بن ابراهيم سعيد المعروف بكعباش، ولد خلال 1929م ببلدية العطف ولاية غرداية، من الجمهورية الجزائرية، وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد بكّة في بلدة العطف تاجنيت، متزوّج وأب لتسعة أولاد، نشأ في حضان أسرة كريمة ومتواضعة، فقيرة حيث توفي والده وهو في السنتين من عمره وليس معه إلاّ أختين فتولت أمّه تربيته تربية صالحة على حبّ الله ورسوله وحفظ القرآن الكريم، ومن عوامل نبوغه أنّه كان يمتاز بذاكرة قوية وذكاء وقاد، حيث حفظ كتاب الله ولم يتجاوز العاشرة من عمره.

ثانياً: تعلّمه والمناصب التي شغلها وإنتاجه العلمي

درس في كتاب قرينه ثم ارتحل إلى معهد القرارة عند الإمام الشيخ بيّوض الحاج ابراهيم بن عمر من سنة 1945 إلى سنة 1950، ثم إلى تونس الخضراء حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني على أيدي علماء فطاحل، أمثال المشائخ: الفاضل بن عاشور، محمد الزغواني، البشير النفير، أحمد بن ميلاد وغيرهم، ثم بين يدي الشيخ علي التريكي في علوم القراءة والتجويد على قراءة الإمام نافع ورش وقالون، وحصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي في أوائل السبعينيات من الجامعة الجزائرية.

قضى ما يقرب عن أربعين سنة من عمره في مجال التعليم وتربية الأجيال، حيث شغل منصب أستاذ ومدير في القطاع الديني الحرّ في فترة الإستعمار، ثم في القطاع العمومي بعد الإستقلال الوطني حتى تقاعده عن العمل سنة 1990م.

في سنة 1958م، انخرط في عضوية أعلى هيئة في سلّم التنظيم الديني والاجتماعي بمزاب وهي حلقة العزابة للمسجد الجامع بالعطف بصفة رسمية، ثمّ عُيّن إماماً ومرشداً في مجال الاصلاح الديني والاجتماعي.

ثالثاً: إنتاجه العلمي

كان للشيخ إسهامات عديدة في إثراء المكتبة الاسلامية من خلال مؤلفاته المتنوعة في التفسير والأدب والشعر والاصلاح والتاريخ وغيرها منها:

حديث الشيخ الامام، صرخات على صرح المجتمع، تاجينيت مدينة ألف عام، أعلام الاصلاح، صوت المنبر، نفحات الرحمن في رياض القرآن، وغيرها⁽¹⁾

المطلب الثاني: التعريف بكتاب نفحات الرحمن في رياض القرآن

كانت للشيخ علاقة وطيدة بالقرآن الكريم منذ الصغر سماعاً وحفظاً ومحاولة فهم إلى أن ختمها بتفسير كتاب الله العزيز كاملاً.

التفسير بعنوان: نفحات الرحمن في رياض القرآن، وقد اختار الشيخ هذه التسمية وعلّق على ذلك قائلاً: "أجل، إنّها حقاً نفحات ربّانية، وإشراقاتٌ لدنيّة، أشعر بها وأحسّها وأنا على منبر المسجد، وقد استجمعت قوّة فكري واستحضرت ذاكرتي، فتزول تماماً من صفحة عقلي كل الشواغل الدنيوية، ويغمرنني فيض ربّاني يهتّزّ له كياني ويستنير به خاطري، فإذا بي أغوص في بحر من التأمل، تومض خلاله خطرات في ذهني وتنقذ معانيها فتجري سلسلاً على لساني، وقد يبلغ بي التّأثر ذروته فيهدّج صوتي وتسيل عبراتي، فيتجاوب الجمهور معي في ذلك، وسرعان ما يوقّفي الله تعالى إلى آيات أخرى من القرآن تثبت ذلك المعنى وتركّزه.

فيا ما أحلى تلك اللحظات التي تمرّ كومضة البرق لتقذح غيوم الفكر فتنبصّ غيثاً

(1) نقلاً من مقدّمة تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج 1، ص: ت- ث. بتصرف.

مريباً، ولا تسَلَّ عن الحالة النَّفسية التي يكون عليها الإنسان في تلك اللَّحظة، إنَّها أشبه بحالات الوجد والهيام في خلوة الحبيب الوفيّ. وصدق الذي قال: لا يدرك الوجد إلا من يكابده ولا الصَّباة إلى من يعانها

ولست بهذا أزعم أنَّي بلغت المنزلة التي تبوَّأها شيوخنا العظام من أساطين العلم والمعرفة، ولكن المثل يقول: "يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر"، فادعو الله أن يوفِّقني إلى نيل رضاه بهذا العمل المتواضع، ويقبل عثراتي ممَّا يغيب عن فهمي القاصر، ويتجاوز جهدي المحدود، فإنَّ كتاب الله هو الأفق اللامحدود في فضاء الكون والوجود، حوى علوم الأولين والآخرين، وإنه لتنزِيلٌ من ربِّ العالمين، حجة الله على خلقه أجمعين، ومنار الهداية والنور للمؤمنين.⁽¹⁾

والتفسير يقع في أربعة عشر جزء، يتراوح عدد صفحات كلِّ جزء بين: 480 و 500، طبع في المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية، ونُشر من طرف "جمعية النهضة العطف، غرداية - الجزائر-

وقد اعتنى بتخريج الأحاديث، والفهرسة والتنسيق الفني الأستاذ الدكتور قاسم بن عمر حاج امحمد.

المبحث الثاني: تعريف دلالة السياق القرآني

المطلب الأول: تعريف الدلالة

أولاً: في اللغة: تنوعت الآراء في بيان معنى الدلالة في اللغة على النحو الآتي:

يقول ابن فارس: " الدَّالُّ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَّتُ فَلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالِدِلَالَةِ.

(1) كعباش، محمد بن إبراهيم سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، المطبعة العربية، جمعية النهضة، غرداية،

الجزائر، 1430هـ، 2009م ص ذ - ر.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ قَوْلُهُمْ: تَدَلُّدِلُ الشَّيْءُ، إِذَا اضْطَرَبَ.⁽¹⁾

وفي كتاب مفردات غريب القرآن: "الدلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

[سبأ/14]. أصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمّى الدالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره.⁽²⁾

وعند ابن منظور: "دلّ: أدل عليه وتدلّل: انبسط. ودل فلان إذا هدى، والدل قريب المعنى من الهدي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك... والجمع أدلة وأدلاء، والاسم الدلالة والدلالة، بالكسر والفتح... ودللت بهذا الطريق: عرفته، ودللت به أدل دلالة، وأدللت بالطريق إدلالا.⁽³⁾

عند النّظر إلى مجموع هذه المعاني اللغوية للدلالة نجد أنّها تدور حول معنى الإبانة والبسط والهيئة للوصول إلى المطلوب، وهداية الناس وإرشادهم إلى ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء.

ثانيا: في الاصطلاح

يقول الجرجاني في تعريف الدلالة: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم

(1) ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: 395هـ معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م، ج2، ص 259-260.

(2) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت: 502هـ المفردات في غريب القرآن، تج: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1412هـ، ج1، ص 316-317.

(3) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ت: 711هـ لسان العرب، دار صادر - بيروت - لبنان، ط: 1414هـ، ج11، ص 247-248.

بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى.⁽¹⁾

وفي كتاب الكليات نجد: "الدلالة كون الشيء بحيث يفيد الغير علماً إذا لم يكن في الغير مانع كمزاحمة الوهم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية."⁽²⁾

وبالنظر إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي للدلالة يتبين بأن المعنيين يتوافقان على إفادة العلم بالشيء بجميع الطرق التي تؤدي إلى معرفته في ذاته، لغوية كانت أو غير لغوية بالرمز أو الإشارة أو غير ذلك.

المطلب الثاني: السياق القرآني

أولاً: السياق لغة

كلمة سياق مأخوذة من الجذر اللغوي س و ق، والكلمة مصدر ساق يسوق سوقاً وسياقاً، وعند تتبع هذه المفردة في المعاجم اللغوية نجد أنها تحمل عدّة معان:

حدو الشيء: جاء عند ابن فارس: "سوق السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدُّ الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقاً"⁽³⁾.

التتابع و اللّحوق: جاء عن ابن منظور: في مادة سوق "السَّوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً وهو سائق وسَوَاق... و المُساوِقة المُتَابِعة كأنَّ بعضها يسوق بعضها... ويقال له السِّيق أيضاً، وأصله سِواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين وهما مصدران من ساق يسوق"⁽⁴⁾، فالسوق إذا المكان الذي تُساق إليه البضائع وتُجمع وتُعرض فيه بانتظام، وفي

(1) الجرجاني علي بن محمد بن علي ت: 816هـ التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت - ط: 1، 1405هـ، ج 1، ص 139.

(2) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ت: 1094هـ الكليات، تحق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م، ج 1، ص 686.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج 3، ص 90.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 10، ص 166.

سوق الإبل بتتابع يُبين معنى الحلقة المتسلسلة المترابطة، المتواصلة.

بالنظر إلى هذه المعاني اللغوية نجد أنّها تحمل معنى التتابع والتوالي وحذو الشيء، ويضيف صاحب كتاب نظرية السياق القرآني معنى آخر يتمثل في الغاية التي يمكن الوصول إليها بقوله: "انتظام متوالٍ في الحركة لبلوغ غاية محددة"⁽¹⁾؛ فالمستمع لكلام أو حدث أو قصّة يتتبع الكلمات والأحداث ليصل إلى نتيجة في الأخير وهي الغاية والقصد منه، وبذا يمكن القول بأن السوق والسياق بمعنى التتابع بين الأشياء لبلوغ غاية مشتركة من دون فاصل بينها.

ثانيا: السياق القرآني اصطلاحا

يعرّف السياق القرآني بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"⁽²⁾، ويُعرّف أيضا بأنه: "تتابع المفردات والجمل والتركيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى"⁽³⁾.

ومن خلال هذين التعريفين يمكن ملاحظة التقارب بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للسياق من التتابع بين الأشياء، والترابط بينها، والغاية المشتركة التي تنتظم في سلكها مفردات القرآن الكريم لأداء المعنى.

ثالثا: أنواع السياق القرآني

للسياق القرآني عدّة أنواع منها سياق السّورة الذي يرتبط بالوحدة الموضوعية للسّورة ببيان المحور الذي تدور عليه آيات السّورة المترابطة، وسياق المقطع الذي يشكّل محورا من محاور سياق السّورة، وسياق الآية الذي يرتبط ببيان معاني ألفاظها، وكل من السياقين الأخيرين يصبّان في محور السّورة الرئيسي ويرتبطان به ارتباطا وثيقا.

(1) المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، الأردن، ط:1، 1429هـ، 2008م، ص 14.

(2) المثني عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، مرجع سابق، ص 15.

(3) عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى كلية أصول الدين، ص 71.

أولاً: سياق السّورة

وهو ما يكون في السورة كلها من بدايتها إلى منتهاها بمعرفة الرّكيزة الأساسيّة التي تدور حولها معاني الآيات، وقد تختلف نظرة الباحثين في توصيف تلك الرّكيزة كل حسب وجهة نظره والنهج الذي يسير عليه في النّظر إلى مجموع معاني السورة، ولكن المتفق عليه أنّ هذا الأمر ينبغي الأخذ به في العمليّة التّفسيّريّة، وهي من الأمور التي نبّه إليها الدكتور عبد الله دراز قائلا: "بأنّ السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصّلات الموضوعية بين جزء و جزء منه -وهي تلك الصّلات المبتوثة في مثالي الآيات ومقاطعها- إلا بعد أن يُحكم النّظر في السّورة كلّها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوّناً له على السير في تلك التفاصيل عن بينة".⁽¹⁾

ثانياً: سياق المقطع

ويقصد به مجموع آيات في سورة واحدة متّحدة في غرض واحد، وسمّيت بالمقطع لأنّها مقتطعة من مجموع آيات السورة، وقد أشار الامام الشاطبي في كتابه الموافقات إلى أهميّة الالتفات إلى هذا الجانب للنّظر في كتاب الله حيث أكّد على ضرورة الرّبط بين الجمل والآيات وربطها بسابقتها ولاحقها في سياق المقطع الذي عبّر عنه بالقضيّة الواحدة ثمّ ربطها بسياق السّورة حتّى يكتمل بناء المعنى، مع مراعاة مقتضى الحال فيها⁽²⁾، فالمنهج إذا لمعرفة معاني آيات المقطع يستند على التّحليل والرّبط بينها للوقوف على المعنى المنضبط.

ثالثاً: سياق الآية

سياق الآية وفيه يتم تحديد المعنى المراد للمُفردة القرآنية من بين معانيها المُحتملة باعتبار السباق واللاحق في الآية القرآنية الواردة فيه دون تجاوز ما سبقها أو لحقها من آيات.

(1) دراز محمد بن عبد الله ت: 1377هـ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: 1426هـ- 2005م، ج 1، ص 192.

(2) ينظر: الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ت: 790هـ، الموافقات، تج: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1، 1417هـ/ 1997م، ج 4، ص 266.

(1)

هذه أنواع السياق القرآني وقد يُضيف بعض الباحثين نوعا رابعا وهو السياق العام للقرآن، وكل هذه الأنواع متكاملة لا نجد بينها تعارضا بحيث ينتج عنها معان متعددة وأغراض متنوعة.

المبحث الثالث: الدلالة السياقية في سورة البقرة

المطلب الأول: بين يدي سورة البقرة

سورة البقرة من السور الطوال، جاءت بعد الفاتحة وقبل آل عمران في ترتيب المصحف وهي مدنية بالاتفاق على ما ذكره ابن حجر في فتح الباري⁽²⁾ وهي من السور التي لم تنزل دفعة واحدة كما هو مشهور عند العلماء وإنما "نزلت في مدد شتى"⁽³⁾ وقد قيل إنها أول ما نزل بالمدينة لما جاء فيها من فرض الصوم في أواخر السنة الأولى أو بداية الثانية واستمر نزولها إلى سنة خمس أو ست لما اشتملت على أحكام الحج والعمرة وعلى أحكام القتال من المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام، وقد يمتد إلى ما بعد سنة ثمان، على أنه قد قيل أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]⁽⁴⁾

المطلب الثاني: دلالة سياق السورة

تتابع المعاني في السورة رغم تنوع موضوعاتها إلا أنها تصبّ في رافد واحد وهو سياق

(1) المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير، ص 106.

(2) ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل: 852هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ج 8، ص 160.

(3) ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ت: 542هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت- ط: 1، 1422 هـ، ج 1، ص 81.

(4) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد ت: 1393هـ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس- د ط، 1984هـ، ج 1، ص 201-202.

السورة العام

يقول الشيخ: "في مُسْتَهْلَ تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ 40 ﴿ ما يزال الحديث متناسقا تتابع موضوعاته في أسلوب محكم بدءا بالإشادة بكتاب الله وما جاء فيه من هدى ونور لا ريب فيه، ثم بيان أحوال الناس وأصنافهم أزاء هديه فمنهم مؤمن ومنهم كافر، وبينهما المنافقون المخادعون الذين ضرب الله لهم الأمثال بما لا مزيد عليه من التشنيع والتنديد، ثم دعا الناس إلى عبادة الله والإيمان برسالة محمد عليه السلام مذكرا الخلق ببديع صنعه وآيات قدرته في الأنفس والأفاق، وعلى خطاب أهل الكتاب خصّ بالذكر بني إسرائيل لكونهم أشهر أمة موحّدة ذات كتاب مشهور وهو التوراة، ولوجودهم في المدينة المنورة وهم أصحاب نفوذ فيها اجتماعيا واقتصاديا وحتى ثقافيا، إذ يتحدثون اللغة العربية إلى جانب العبرية، وقد واجهوا الدّين الجديد بالتنكر والعناد ويمتد الحديث عنهم من الآية الأربعين إلى الثانية والأربعين بعد المائة." (1)

واختتم تفسير السورة بالربط بين مفتحتها وختامها ببيان المناسبة بينهما والتي كانت مُرتبطة ببيان منزلة القرآن وكونه هدى للمتقين وحقّا لا ريب فيه، وأنّ أولى صفات هؤلاء المتّقين هي الإيمان بالغيب والإيمان بما أنزل على الرّسول وعلى من سبقه من الرّسل، وهكذا كان الرّبط بين مفتتح السّورة وختامها بما يُشعر بوحدة السّورة والتّناسق والانسجام بين آياتها.

ثمّ يَدلّل على ذلك بذكر الموضوعات المتسلسلة الّتي تعرّضت لها السّورة من ذكر أخبار أهل الكتاب ومحاجّتهم، ثمّ تشريع الأحكام الّتي تُنظّم شؤون الفرد والمجتمع والدّولة، والمسلمون يسمعون كلام الله فيستجيبون، ويأمرهم الرّسول فيطيعون، بعد ذلك أراد الله أن يشهد لهم بالسّمع والطّاعة والانقياد، وأنّهم بذلوا جهدهم في تنفيذ تلك الأحكام، ولقّن لهم من الأدعية ما يستنزلون به رحمة الله ومغفرته ونصره فقال تعالى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا

(1) كعباش، نفحات الرحمن، ج 1، ص 108-109.

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿285﴾⁽¹⁾.

المطلب الثالث: دلالة سياق المقطع

يظهر اهتمام الشيخ بوصل المعاني المتتابعة من خلال تقسيمه أولا للآيات وفق ما يراه أنها تتحدث عن موضوع واحد وكذلك في فواتح البيان والتفسير إذ يعتمد إلى وصل الآيات السابقة باللاحقة ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ 26﴾ يقول: "ما يزال السياق متتابعاً موصول الحلقات من مفتتح السورة إلى هذا البيان المذكور في هذه الآية الكريمة، فقد ضرب الله مثلين لليهود والمنافقين في الحيرة والاضطراب أمام ما يسمعون من بيان كتاب الله، وهم لا يألون جهداً في الطعن والتشكيك في نبوءة رسول الله ﷺ" (2)

وهكذا مع جميع آيات سورة البقرة كلما رأى تناسقا وترابطا بين الآيات بسباقها ولحاقها لتحقيق التكامل السياقي، حيث يذكر ذلك في مقطع آخر من آيات السورة وتحديدا الآيات من 148 إلى 152 من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ... فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ 152﴾ فقد ربط بين آيات هذا المقطع الذي يجمعها موضوع حكمة الاختلاف في القبلة وبيان أسبابها وسابقها من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... 146﴾ التي تشير إلى موضوع تحويل القبلة وموقف أهل الكتاب من ذلك، حيث اعتبر بأن معنى الآيتين في تتابع بما يحقق تكامل السياق ومرد ذلك إلى تكرار الأمر الإلهي بالتوجه إلى الكعبة حيث تكرر ثلاث مرّات مع تنوع التعقيب في كلّ مرّة ممّا يدلّ على زيادة تأكيد الحكم وتعميمه ليشمل كل الأحوال وكل الأمكنة والأزمنة فقد ربّ الله عليه قوله: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ وما تلاه من الفوائد الأخرى لتثبيت المسلمين على الحق الواضح الذي أكده خلال الآيات ثلاث مرّات تنويعاً بشأن الكعبة وتحذيراً من التهاون في أمرها، وتهويماً من شأن المعاندين المكابرين.

(1) ينظر: كعباش، نفس المرجع، ج2، ص 207-208.

(2) كعباش، نفحات الرحمن، ج1، ص 71.

ثم يُفصّل أكثر في الأساليب البلاغية التي وردت في الآية -إعادة الكلام وتنويعه، الالتفات من ضمير الخطاب إلى الغيبة، ومن صيغة الإفراد إلى الجمع -والتي من شأنها تركيز الانتباه واستقطاب المخاطبين حتّى لا يتأثّروا بالدعايات المغرضة والشبهات المضلّة.⁽¹⁾

المطلب الثاني: الترجيح الدلالي بالسباق

غالبا ما يشير الشّيخ في تفسيره للآيات التي أشكلت على المفسرين أو ورد فيها عدّة أوجه فيرجّح بما بدا له من الدلائل المعينة على ذلك ويتوقّف إن لم يظهر له مرجّح فيها من ذلك ما أشكل على بعض المفسرين في الصّورة التشبيهية من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ 16﴾ من وجود الهدي بين أيدي المنافقين حيث اعتبر بعضهم أنّ حفاظهم على دمائهم وأموالهم ضربا من الهدى حتى يستطيعوا بذلك أن يكملوا الصورة التشبيهية للمعاوضة التي تتطلبها عملية الشراء وتصوّر الربح والخسارة فيها إلى غير ذلك من ضروب التكلّف، ثمّ يبيّن الوجه الذي يراه مناسبا لسياق الآية فقال بأنّ اختيار هذه الصورة لتشخيص حالة هؤلاء المنافقين، لا يقصد بها معنى المعاوضة، وإنما يراد بها معنى الاختبار والاستحباب للشيء عن رغبة وطوعية، إذ أن الشاري لبضاعة ما، إنما تدفعه إلى ذلك الحاجة الملحة في اكتساب ذلك الشيء لجلب منفعة أو دفع مضرة، فالإسلام في نظر هؤلاء الإجماعات عملة زائفة يتسوّرون وراءها ويستبدلون بها الذي يهفون إليه في صفقة يوهمون الناس بها أنهم يكسبون بالطرق الشرعية المألوفة ويلتمسون الربح ببذل المجهود والتبادل المعهود، وإلاّ فهم من أوّل أمرهم على طريق الضلالة سائرون وفي سبيلها يعملون، فإذا صحّ أن تروج هذه العملية المفضوحة على الناس الذين يحكمون بظواهر الأشياء، فإن الله الذي يعلم السرّ وأخفى لا يجازي على ظواهر الأعمال، ولا يقيّم بالصور والأشباح، ولكنه ينظر إلى الدوافع الحقيقية والنيات المستكنة في حنايا الصدور، ولذا فقد حكم بالخسارة على هذه التجارة من أوّل أمرها: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ 15﴾⁽²⁾

(1) ينظر: كعباش، نفس المرجع، ج1، ص 311.

(2) ينظر: كعباش، نفحات الرحمن، ج1، ص 42-43.

المطلب الرابع: الدلالة السياقية في بيان المعاني المترابطة بين الآيات

يُعرّف السياق على أنه تتابع في المعاني للوصول إلى غاية محدّدة، وهذا المعنى مما نجده في تفسير الشيخ مثلاً لبيان معاني آيات من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 21﴾ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون 22 وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين 23﴾ بعد أن فرغ من تفسير الآيات الأولى مهّداً لما بعدها فقال: "بأن الله تعالى أرشد الخلق إلى دلائل توحيد الله والقائمة بأنفسهم إيجادا وخلقا وتقديرا، ثم الدلائل القائمة في الآفاق بما فيها من صنع بديع ونظام محكم، وينتقل السياق إلى معالجة العنصر الثاني من العقيدة وهو الإيمان بنبوءة محمد ﷺ".⁽¹⁾

المطلب الخامس: الدلالة السياقية الترجيحية

أولاً: الترجيح بدلالة السياق القرآني

قوله تعالى: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 23﴾ نجد في هذه الآية التحدي الإلهي للمعاندين الجاحدين بأن يأتوا بمثل القرآن أو في مواضع أخرى من القرآن بسورة أو بسورة من مثله أو بعشر سور ولهذا التنوع في المطلب معان ومقاصد حاول المفسرون أن يهتدوا لبيانها وتحديدها، فكان للشيخ رأي فقال: "ويبدو لي - والله أعلم - أن ليس المقصود بذلك المطلوب المتحدى به هو الإتيان بكمية محددة من الآيات أو السور يعجزون هم عن الإتيان بمثلها مجتمعين أو متفرقين، وهم أساطين الفصاحة والبلاغة، سيما أهل مكة وقد نزل القرآن على لغتهم، وإنما المقصود هو إثبات عجزهم ابتداء على الإتيان بالحد الأدنى المتمثل في سورة واحدة بله الإتيان بالحد الأوسط أو الأعلى المتمثل في عشر سور أو بجملة القرآن، ويرجح هذا المعنى قوله تعالى: فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، ولم يقل مثلاً: "ولن تستطيعوا"، ليدل بذلك على أنهم عاجزون حتى على مجرد المحاولة، وهم لتمام عجزهم لم تبدر منهم أية بادرة

(1) كعباش، نفس المرجع، ج 1، ص 57.

في ذلك.⁽¹⁾

ثانيا: الترجيح بدلالة سياق اللحاق

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ 36 فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 37 قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ حيث ذكر الشيخ بأن المفسرين أوردوا وجوها في بيان موجب تكرير الأمر اهْبِطُوا في الآية الكريمة ثم عَقَّب عليها قائلا: "فإن تكرار اهْبِطُوا -وهو ينم عن الغضب والسخط- قد أعقبه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وأفاد ذلك معنى زائدا عن "اهبطوا" الأولى، وهو ربط الطاعة والمعصية من طرف الإنسان بهدى الله الذي يكون حجة عليه في اجتهاده وكسبه وهو موفور الحرية والإرادة بعد أن احتضنته الأرض وتقيدت إقامته ومتاعه فيها بأنها إلى حين، فإن الله تعالى من تمام رحمته به لم يتركه في حيرته يتخبط بعد أن حُرِم من حياة الرِّاحة والنعيم في الجنة، لأن الحياة التي انتقل إليها في الأرض مليئة بالمتناقضات متعددة المسالك فهناك حق وباطل، وهدى وضلال وإيمان وكفر وخير وشر ... إلخ، فمن الذي يأخذ بيد هذا الإنسان حتى لا تحيط به خطيئاته مرة أخرى؟ إنه هدى الله المنزل على أصفياء خلقه.

المطلب السادس: الدلالة السياقية وتوجيه المعاني

أولا: توجيه المعنى بالسياق القرآني

ويظهر ذلك في الأغلب عند الألفاظ المشتركة التي تحمل عدّة معان مثل أنواع النداءات لأهل الديانات السابقة فتارة يأتي بيا بني إِسْرَءِيلَ، وتارة بيا أَهْلَ الْكِتَابِ أو يَٰ أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وقد يُفرّق بين صنفَي أَهْلِ الْكِتَابِ إلى يهود ونصارى أو الذين هادوا وغيرها، فيكون للسياق دور مهمّ في فهم المقصد من هذه النداءات والغرض الذي وُضعت من أجله في موضع دون آخر مثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ 47﴾ حيث يذكر الشيخ بأنّ النداء هنا معناه يا أبناء يعقوب نسبة إلى الجدّ الكريم الذي تنتسب إليه الأمة اليهودية، وقد ناسب هذا النداء السياق الذي وردت

(1) ينظر: كعباش، نفحات الرحمن، ج 1، ص 58-59.

فيه وهو مقام التذكير بنعم الله الضّافية التي أكرمهم الله بها وقد تكرر النداء في هذه السّورة وفي أغلب السّور المدنيّة بنفس الإضافة والانتساب مما يدلّ على اعتبارهم أمة واحدة تواصل فيها الأسلاف والأخلاف على عهد الله وميثاقه، ويخاطبون بأسلوب واحد لإشعارهم بالمسؤولية التضامنية التي تتوارثها الأجيال، وقد ينسى الأخلاف ماضي أسلافهم فلا يقيمون له وزنا سيما الأجيال الشّابة، وهي مدفوعة بفتوّتها ونشاطها، فلا تحسن الربط بين حلقات الزّمان.⁽¹⁾

وفي موضع آخر من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ 208 يذكر الشيخ بأنّ المفسرين اختلفوا في تحديد جهة المخاطبين أهو للذين آمنوا من المسلمين أم من أهل الكتاب أو لأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالرسول فيكون المعنى: يأيها الذين آمنوا بكتبهم أنبياءهم ادخلوا في شريعة الإسلام، وتبعاً لهذه الاحتمالات اختلف المفسرون أيضاً في المراد بلفظ "السلم" أهو الإسلام كما رجّح ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة، أم المراد به المسالمة والصلح، أم الانقياد والإذعان؟

وللترجيح بينها ذهب الشّيخ إلى القول بأنّ الفصل فيها لا يتمّ إلّا باستصحاب وتيرة السّياق للتوصّل إلى معرفة المعنى المقصود ورأى بأنّ ما ذكره ابن عاشور الأنسب للسّياق من أنّ النداء للمسلمين، وذلك ببيان سياق الآيات فيقول: "بعدما تقدم في أنّ الله تعالى يهتئ المسلمين نفسياً لقتال المشركين بعد أن قال لهم: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، وبعد أن حدث ما حدث في صلح الحديبية، إذ ذكر الله ذلك في ما سبق واستطرد بعده ببيان أحكام الحج، استؤنف هنا أمر المسلمين بالرضا بالسلم والصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع أهل مكة، لأن كثيراً من المسلمين كانوا أسفين من وقوعه، فتكون المدّة ما بين نزول المسلمين بالحديبية وتردد الرسول بينهم وبين قريش وما بين وقوع الصلح هي مدة نزول الآيات من قوله: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ ... إلى هنا، ثم يقول: "فإذا فسّر السلم بالإسلام فإن الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وأمر المؤمنين بالدخول في الإسلام يؤوّل بأنه أمر بزيادة التمكن منه والتغلغل فيه"⁽²⁾

(1) ينظر: كعباش، نفحات الرحمن، ج1، ص 109.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج2، ص 276-277. بتصرف

فالتّرجيح هنا كان بدلالة سياق المقطع من الآيات السابقة ويضيف الشّيخ زيادة تأكيد لهذا المعنى ما ورد في سياق الآيات اللاحقة من قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَ . اتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ مَّ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْهُم بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ 211﴾ تحذيرا منه تعالى من الاختلاف والتفرّق في الدّين كما حصل بين بني إسرائيل، ليعتبر منه المسلمون، ثمّ تلاه التّحذير من اتّباع خطوات الشّيطان لأنّ طريقه هو مثرات التفرّق والخصام، فهو العدوّ اللدود للإنسان. (1)

ثانيا: دلالة السّياق وتوجيه القراءات

علم القراءات من العلوم العظيمة المتعلّقة بالتفسير، والمعينة على فهم معاني الآيات، فتعدد القراءات يدل على تعدد المعاني والأحكام، كما أنها دالة على بلاغة القرآن وإيجازه، حيث تُقرأ الكلمة بأكثر من وجه فتدل على أكثر من معنى، فكانت أجلّ حكمة من تعدّد القراءات التيسير والتخفيف على الأُمَّة في القراءة مراعاة لاختلاف الألسن في اللّغات واللهجات، ورافد من روافد إعجاز القرآن الكريم، ويظهر اهتمام المفسّرين كما ذكرنا في توجيه المعاني والتّرجيح بينها مثل ما هو في تفسير الشّيخ لقوله تعالى:

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ حيث يذكر بأنّ للآية قراءتين:

1. قراءة نافع "يَقُولُ" برفع اللّام.

2. الباقيون بالنّصب والرفع على اعتبار أن الفعل محكيّ به تلك الحالة العجيبة، وجاز فيه أن يُعتبر قول رسول المخاطبين، ف"أل" فيه للعهد ويكون المعنى: وزلزلوا وتزلزلون مثلهم حتى يقول الرسول ...، فيكون الفعل منصوبا لأنّ القول لم يقع وقتئذ.

ثمّ يختم بتوجيه معنى القراءتين:

- قراءة الرفع أنسب بظاهر السياق المتعلّق بسوق المثل بأحوال الأمم السّابقة الذين زلزلوا بشدّة واضطربت أحوالهم بأنواع البلايا والشّدائد والأزمات في سبيل إحقاق الحقّ ومُحاربة الباطل.

(1) ينظر: كعباش، نفحات الرحمن، ج2، ص 14-15.

- قراءة النص أنسب بالغرض المسوق له الكلام، وهو الحثّ على الصبر والثبات في مثل تلك الظروف العصيبة، والتوكّل على الله.⁽¹⁾

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد أن تعرّفنا في هذا البحث على تفسير نفحات الرحمن وبمؤلفه وكذا جوانب أخذه بدلالة السياق في تفسيره، نقف على بعض النتائج التي توصّلنا إليها وهي كالآتي:

- اهتمام الشيخ بدلالة السياق القرآني كأصل من أصول التفسير من خلال الإشارة إلى تتابع المعاني في سلك الألفاظ القرآنية وكذا أنواعه من سياق السورة وسياق المقطع وسياق الآية.

- يلحظ الباحث بأن لدلالة السياق القرآني حضورا بارزا في تفسير الجزء الأول والثاني وقد يكون مردّ ذلك إلى توجّه واهتمام الشيخ بالدرس الأدبي اللغوي وممارسته لتدريس اللغة العربية وأدائها فضلا عن أنّ قاعدة السياق تُعدّ من الأسس الرئيسية في اتجاهات التفسير المعاصرة.

- اهتمام الشيخ بدلالة الألفاظ من خلال بيان معاني ألفاظ الآيات مركبة مترابطة مترابطة غير معزولة عن سياق النصّ القرآني.

- اهتمامه بدلالة السياق في توجيه القراءات، وبيان المعاني المتعلقة بالآية أو الترجيح بينها.

هذا ما وقفنا عليه من نتائج في هذا البحث، ولسنا ندعي أنّنا أصبنا الكمال في ذلك ولكن حسبنا أنّنا اجتهدنا بما قدر الله لنا من ملكات فهم وتحليل فإن أصبنا فمن الله وتوفيقه وإن أخطئنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله أعلم وأحكم، والحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بالدراسات اللغوية والبلاغية وبيان أثرها في كتب التفسير تحقيقا للتكامل المعرفي بين علوم اللغة والدراسات القرآنية.

(1) ينظر: كعباش، نفحات الرحمن، ج2، ص 19-20.

- توجيه جهود الباحثين لدراسة تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن من جوانب عدّة، لغويّة، بلاغيّة، مقاصدية، اجتماعية... تميّنا وتقديرا وإبرازا لجهود علماء الجزائر في خدمة كلام الله عزّ وجلّ.

المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

- ¹ ابن حجر أحمد بن علي أبو الفضل: 852هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- ² ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد ت: 1393هـ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس - د ط، 1984هـ.
- ³ ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ت: 542هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت - ط: 1، 1422هـ.
- ⁴ ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: 395هـ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م.
- ⁵ ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ت: 711هـ لسان العرب، دار صادر - بيروت - لبنان، ط: 3، 1414هـ.
- ⁶ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ت: 1094هـ الكليات، تحق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.
- ⁷ الجرجاني علي بن محمد بن علي ت: 816هـ التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت - ط: 1، 1405هـ.
- ⁸ دراز محمد بن عبد الله ت: 1377هـ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: 1426هـ - 2005م.
- ⁹ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ت: 502هـ المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، 1412هـ.

هـ

- ¹⁰. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ت: 790هـ، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1، 1417هـ/ 1997م.
- ¹¹. عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى كلية أصول الدين.
- ¹². كعباش، محمد بن إبراهيم سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، المطبعة العربية، جمعية النهضة، غرداية، الجزائر، 1430هـ، 2009م.
- ¹³. المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، الأردن، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

ملاح تفسير عمر بن محمد المحجوب البهلول الزواوي الجزائري من خلال تفسيره المخطوط

د. شنن عبد الحفيظ

جامعة باتنة 1

ملخص المداخلة

نسلط في هذه المداخلة الضوء على تفسير لمؤلف جزائري لم ينل حظّه من الخدمة العلمية إذ بقي مخطوطاً إلى الآن رغم توفر نسخه وسهولة الوصول إليها من طرف الباحثين، زد على ذلك أنّ هذا التفسير قد أكمله مؤلفه، وقد سميّ بتفسير البهلول في بعض المصادر، أمّا اسم مؤلفه فهو العالم الجزائري عمر بن محمد المحجوب البهلول الزواوي وسيتضمن هذا العمل محاولة إبراز أهم ملاح تفسيره من خلال بعض الآيات، مع تحقيق سورة الفاتحة من أجل إبراز الشخصية التفسيرية لهذا العالم.

الكلمات المفتاحية: تفسير، مخطوط، البهلول، الزواوي، تحقيق.

Abstract

In this paper, we shed light on a Qur'anic commentary authored by an Algerian scholar that has not yet received sufficient academic attention, as it has remained in manuscript form despite the availability of its copies and the relative ease of access for researchers. Moreover, the work was fully completed by its author. The commentary is referred to in some sources as Tafsir al-Bahlul, authored by the Algerian scholar 'Umar ibn Muhammad al-Mahjoub al-Bahlul al-Zawawi. This study seeks to highlight the main features of his exegesis through selected verses, along with the critical edition of Surat al-Fatihah in order to showcase the exegetical methodology and personality of this scholar.

Keywords: Tafsir, manuscript, al-Bahlul, al-Zawawi, critical edition.

* شنن عبد الحفيظ دكتوراه تفسير وعلوم القرآن جامعة باتنة-1- إمام خطيب أول

بولاية المسيلة، أستاذ متعاقد بقسم العلوم الإسلامية جامعة المسيلة

مقدمة

الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بإنزال كتابه، وجعله هدى ونورا تهتدي به، وعظمه أيما تعظيم ورتب الأجور الجزيلة على تلاوته وتدبره، وتفسيره، وجعل الخيرية في تعلمه وتعليمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لذلك اهتمت الأمة من خلال علمائها بمختلف العلوم المرتبطة بكتاب الله لأجل تقريب مراد الله تعالى من النص القرآني، ويتجلى ذلك في علم التفسير الخادم لكتاب الله تعالى، ولم تعرف أمة من الأمم جهدا لخدمة كتاب ما بذلته هذه الأمة عبر العصور خدمة لكتاب الله تعالى منذ العصر النبوي إلى يومنا هذا، فظهرت العديد من التفاسير وتنوعت اتجاهاتها وتعددت نسخها وطبعاتها، ولم يكن علماء الجزائر بمنأى عن هذا الشرف في خدمة القرآن الكريم، ولم ينقطع الدرس التفسيري عن حواضر العلم الكبرى ولا عن المساجد، أما مجال التأليف في التفسير فبرز فيه علماء كثير، انتشرت تفاسيرهم وانتفع بهم طلاب العلم، وكان لها تأثير في غيرها من التفاسير.

ورغم خروج العديد من التفاسير إلى مضمار الطباعة وتداولتها أيدي طلاب العلم إلا أن العديد من التراق التفسيري لعلماء الجزائر بقي مخطوطا في خزائن العالم، والهدف من هذه المداخلة إبراز تفسير بهلول الذي لا زال مخطوطا يحتاج أن تمتد إليه أيدي الباحثين لينتفع به المتعطشون لعلم التفسير في هذه البلاد وغيرها، وسأعرض فيه تحقيقا أوليا لسورة الفاتحة لإتاحة الاطلاع على نموذج بسيط من هذا التفسير.

وقد تم تناول هذه المداخلة وذلك وفق الخطة الآتية:

مقدمة

إشكالية الدراسة

المطلب الأول: علم التفسير وعناية علماء الجزائر به

المطلب الثاني: ترجمة عمر بن محمد المحجوب بهلول الزواوي

المطلب الثالث: التعريف بتفسيره المخطوط

المطلب الرابع: تفرغ سورة الفاتحة من تفسيره

المطلب الخامس: أهم ملامح تفسيره

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

النتائج والتوصيات

إشكالية الدراسة

ما هي أبرز الملامح العلمية في شخصية عمر بن محمد المحجوب الهلول الزواوي؟

ما هي الإضافة العلمية التي يمكن أن يقدمها هذا التفسير للمكتبة التفسيرية،

ما هي أهم الخطوات العملية لخدمة هذا التفسير؟

المطلب الأول: علم التفسير وعناية علماء الجزائر به

1. تعريف علم التفسير لغة واصطلاحاً

1.1 تعريف التفسير لغة

التفسير مصدر على وزن فعيل ، مشتق من الفسر ، وهو "البيانُ. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضمّ، فسراً وفسراً: أبانه، والتفسيرُ مثله" ⁽¹⁾ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:33]. وتقول العرب: «فسرتُ الدابة وفسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف أيضاً» ⁽²⁾

وورد أنّ التفسير، مشتق من السفر: بمعنى أن التفسير مشتق من مقلوب السفر وهو الكشف تقول: "سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبيح إذا أضاء، وسفرت الريح السحاب إذا

(1) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1388هـ - 1968م، 5/55.

(2) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى: 1376 هـ - 1957 م، 2/147.

قشعته" (1).

1.2 تعريف التفسير اصطلاحاً

عرّفه أبو حيان بقوله: "التفسير، علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتمتاز لذلك" (2).

عرّفه الإمام الزركشي رحمه الله بقوله: "علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه" (3).

وقد ذكر السيوطي في الإتقان عدة تعريفات كثيرة للتفسير، واعتبر في كتابه «التحبير في علم التفسير» تعريف أبي حيان أحسن تعريف، ولعل خير ما يجمع تلك التعاريف كلها، ذلك الذي ذكره الزرقاني، حيث يقول: "والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية" (4).

2. عناية علماء الجزائر بال تفسير

لقد كانت الجزائر عبر مراحل تاريخها عاصمة لحواضر العلم التي يؤمها الطلاب والعلماء للاعتراف من نبعها العلمي في مختلف العلوم، وذلك لتنوع العلوم والفنون في مدارسها ومساجدها، ولم يكن علم التفسير ببعيد عن هذا النشاط العلمي فقد كان بين جدران المدارس والمساجد وحلقات العلم، إضافة إلى عديد المؤلفات في التفسير ما بين مطبوع

(1) الجصاص: أبو بكر الرازي، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1994 م، 1/213.

(2) أبو حيان التوحيدي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صديقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: 1420 هـ، 1/26.

(3) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى: 1376 هـ - 1957 م، 1/13.

(4) الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فوز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ، 1995 م، 2/6.

ومخطوط ومفقود⁽¹⁾ ، ومن أشهر كتب التفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرحمن الثعالبي، هود بن مُحَكَّم الهواري⁽²⁾، كما ينسب للمغيلي تفسير بعنوان البدر المنير في علم التفسير، وينسب أيضا لأبي جميل إبراهيم بن فائد الزواوي تفسير مكتوب للقرآن الكريم، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني، الشهير بابن زاغو له تفسير سورة الفاتحة، وللشيخ قاسم بن سعيد بن محمد العقباني، تفسير سورتي الأنعام والفتح، العربي بن أحمد السنوسي⁽³⁾.... وغيرهم كثير

والخلاصة:

ما يلاحظ على التفسير عند علماء الجزائر عموما أنَّ الغالب عليه هو الدرس التفسيري في المحاضر والمساجد وحلقات الدرس، والتأليف فيه أقل، بل إن الكثير من العلماء إذا رجعنا إلى تراجمهم نجد وصفهم من الناحية العلمية في علم التفسير وصفا عجيبا، لكن لا نجد لهم تفاسير مكتوبة، والمكتوبة أكثرها لم يصلنا ، وما وصل يكون تفسيرا غير مكتمل، أو تفسير أجزاء من القرآن أو سور منه.

المطلب الثاني: ترجمة عمر بن محمد المحجوب الهلول الزواوي

المعلومات حول هذا العالم شحيحة جدا وأغلب من ذكره لم يعثر له على ترجمة أو معلومات تشفي الغليل⁽⁴⁾، و لم أجد فيما وقع بين يدي كثير معلومات تثرى المعلومات حول حياة هذا العالم.

فهو هو عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي الهلول المغربي الزواوي الجزائري، وهذا

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 121/1.

(2) معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 101/8.

(3) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد -فتحا- ابن سودة، تحقيق، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 589/2.

(4) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق طرهوني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 268/1.

الاسم أثبتته بنفسه في تفسيره، وبعض مؤلفاته، فهو من زاوية وذكر في نهاية تفسيره أنه هاجر إلى دمشق .

مذهبه وعقيدته

مذهب الشيخ الهلول هو المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية

مؤلفاته:

بالعودة إلى قواعد البيانات نجد ورود اسم الهلول في عدة مواضع كما ذكرت له عدة مؤلفات منها

تفسيره الموسوم بـ تفسير القرآن الكريم⁽¹⁾، شرح منظومة عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي وهي منظومة في الفقه من نظمه⁽²⁾، شرح منظومة في العقيدة من تأليفه⁽³⁾

وفاته

لم نجد تاريخا محدد لوفاته، وذكر في بعض الفهارس أنه كان حيا سنة 1301هـ⁽⁴⁾

المطلب الثالث: التعريف بتفسير عمر بن محمد المحجوب الهلول الزواوي

1. نسخ المخطوط وأماكن تواجده

بالرجوع إلى فهرس المخطوطات ظهر لي تفسير الشيخ عمر بن محمد المحجوب في:

1. المكتبة الظاهرية⁽⁵⁾،

(1) فهرس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م، 3/157. تاريخ الجزائر الثقافي، 1/121.

(2) خزانة التراث، فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل، 76/744.

(3) مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات، اسم الكتاب، شرح المحجوب على منظومته في الفقه، تحت رقم، 245 ش.م، 2. ر 217.

(4) خزانة التراث، 76/744.

(5) فهرس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية

والتفسير في المكتبة متفرق في أجزاء كل ربع من القرآن في مجلد تحت المعلومات التالية:

تفسير القرآن الكريم- الربع الأخير- *الرقم: 5317

المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي الجزائري ...، أوله: سورة يس مباركة بنور الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم: يس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ، واتقوا الله واعلموا أن الله قد أنعم على نبيه بسورة يس، وهو اسم من أسمائه تعالى، وأقسم به لعبده، يعني وحق يس وكتابه القرآن الذي أنزلته على قلبك من لدن الحكيم العليم، إنك يا محمد لمن المرسلين.

آخره: ثم بين الله مقام الكافرين بقوله تعالى أليس في جهنم مثوى للكاذبين المشركين المكذبين الظالمين بكل حال، وأما الذين جاءوا قول الحق الصادق من عند الله وعملوا بما فيه من أمر ونهي، أولئك هم المتقون الذين قالوا ربنا الله الذي لا إله إلا هو، ولا يفيد إلا إياه ولو كره المشركون. «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ»

أوصاف المخطوط: نسخة ممزقة من القرن الثالث عشر الهجري خربت من آخرها مقدارا كبيرا ولا ندري مقدار الخرم، كتبت بخط مغربي معتاد، فيه أخطاء إملائية ونحوية، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر كتب التفسير في الأوراق الأولى على وجه واحد وترك الوجه الثاني فارغا. المخطوط مصاب بالرطوبة وغلافة ممزقة.

ق 49/ م 31* 5، 22/ س 18

تفسير القرآن الكريم- الربع الثاني- الرقم: 7122

المؤلف: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي الهلول المغربي الزواوي الجزائري المهاجر الى دمشق.

أوله: سورة الأعراف مكية مباركة بنور الله.

بسم الله الرحمن الرحيم: «المص، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» اعلم أن الله أراد أن يرسل رسولا، ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم

وبصره الى مكنون علمه سبحانه وتعالى، والمص، هذا كتاب أنزل إليك بالحق فلا يكن في صدرك وقلبك منه حرج وأنزلته إليك لتنذر به أمتك بالحق فلا يكن في صدرك حرج وأنا دائما معك. آخره: قل إنما بشر مثلكم يوحى إليّ، إنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» ثم أخبر الله نبيه بنتيجة الكلام بعد ما حدث الناس وجادلوا بالكلام ثم قال الله: ورسوله إنما أنا بشر مثلكم ولكن يوحى إليّ من عند الله، إنما إلهكم إله واحد وهو رب العالمين، فمن كان يرجو ويطمع رضا ورحمة من لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ...

كمل بحمد الله وحسن عونه ربع الثاني من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه ومفسره عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي المهلول المغربي الجزائري المهاجر الى دمشق الشام الشريف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربي معتاد وهو خط المؤلف. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء نحوية وإملائية، وقد أصابها الرطوبة وبدأت أوراقها تتكسر نتيجة جفافها الغلاف ممزق.

ق 332 / م 24 * 18 / س 13

تفسير القرآن الكريم- الربع الثالث* الرقم: 5324

المؤلف: عمر بن محمد المحجوب.

أوله: سورة مريم عليها السلام، مكية، حفظها الله دائما.

آخره: «وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» فاطر. والحال إن الله كان دائما متصفا بالعلم والحلم على عباده كمل بحمد الله الربع الثالث من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربي معتاد

وهو خط المؤلف، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء كثيرة نحوية وإملائية، أصيبت الأوراق بالرطوبة ثم الجفاف وقد تمزقت أطرافها.

ق 284 / م 24 * 18 / س 13

2. 1 نسخة المكتبة التيمورية⁽¹⁾

جاء في وصف النسخة تفسير الهلول_ وهو رجل من العامة اسمه عمر بن المحجوب الهلول الزواوي المغربي المتوفى سنة لم تذكر السنة كتب فيه ما عن له، أوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله. جزء 4-مجلد 4 - خط مغربي 1308

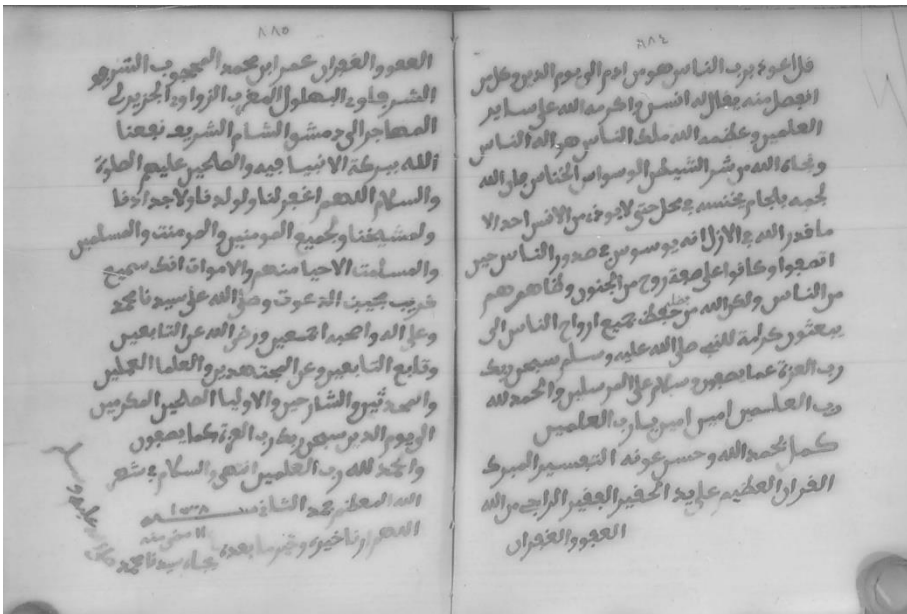
وقد علّق أبو القاسم سعد الله عن وصفه بالعامي بقوله: "والظاهر أن كلمة "عاميا" إنما تعني أنه قد أملى تفسيره على تلاميذه بشيء من البساطة في العبارة، أو أنه كان غير عميق في معانيه فظهر لمن اطلع عليه أن صاحبه عامي الثقافة"⁽²⁾

(1) فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1367هـ- 1948م، 1/16.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، 20/2.



الصفحة الأولى من المخطوط النسخة التيمورية



الصفحة الأخيرة من المخطوط النسخة التيمورية

المطلب الرابع: تفريغ سورة الفاتحة من تفسيره

عند مطالعة هذه السورة وقفت على بعض الأخطاء النحوية والصرفية وقد أثبتتها كما وردت في الآتي.

"... قال الله ورسوله بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أن الله سبحانه وتعالى أنعم على عبده بفضله انظره وبصره على سرّ وحيه وعلم ذاته وكتابه المكنون فقال له: اذكر بسم الله الرحمن الرحيم وانا فعلت ذلك مستعينا وطامعا من الله الفتوح ويعينني بعناية سر المكنون سبحانه وتعالى وببركة الله والرسول صلى الله عليه وسلّم الحمد لله ربّ العالمين هذا من فضل الله وكره قال لعبده اذكر نعمة الله على كل حال وقل الحمد لله هو ربّ العالمين كل ما سواه سبحانه وتعالى هو خالقهم ورازقهم بفضله وكرمه الرحمن الرحيم كذلك الرحمن هو اسم من أسمائه تعالى هو الرحيم المنعم على عباده، بإرسال نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم إلى سائر العالمين ملك يوم الدين هو اسم من أسمائه تعالى يعني يوم ابتداء الخلق إلى يوم يبعثون وهو مالكهم بوحدة ذاته وصفاته سبحانه وتعالى، إياك نعبد وإياك نستعين اعلم أن الله سبحانه وتعالى حين أنعم على عباده وأرسل الرسل فدّلهم وأبصرهم على سرّ علم وحيه تعالى ودّلهم بعلمه على وحدانية ذاته وصفاته ثم أمرهم بذكر أسمائه ونعمة شكره دائما فقال الرسول الذي هو بشيرا ونذيرا يا رب إياك نعبد ثم استجابوا بقولهم وبصدق قلوبهم لا نعبد ولا نستعين إلا بك وإياك نعبد وبك نصل وأنت أرحم الراحمين اهدنا الصراط المستقيم بفضلك وكرمك تهدينا إلى سواء السبيل يوصلنا إلى رضوان جنّتك ومعرفتك هو صراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين اللهم بعنايتك وبسر آيتك وعظمة جلالك تهدينا وتسلك بنا بطريق الحق الذي اتبعوه المتقون هو صراط المستقيم ولا تجعلنا مع الذين أبغضت عليهم ولا الذين أضللتهم عن طريق الحق وأخذلتهم بحكم عدلك اللهم أنت أرحم الراحمين بفضلك وكرمك أنك تحسن عبادتنا مع حفظك وسترك علينا دائما وعلى جميع عبادك تجعلنا في شفاعة نبيّك محمد صلى الله عليه وسلّم ورضي الله ... جميع أصحابه صلى الله عليه وسلّم مع قوله آمين

المطلب الخامس: أهم ملامح تفسيره

مرّ معنا وصف الشيخ عمر بن المحجوب الهلّول الزواوي بأنه رجل من العامة من خلال الرجوع إلى تفسيره لمفهرسي المكتبة الظاهرية، وقد علّق الأستاذ الكبير أبو القاسم سعد الله على هذا الوصف بقوله: "والظاهر أن كلمة "عاميا" إنما تعني أنه قد أُملي تفسيره على تلاميذه بشيء من البساطة في العبارة، أو أنه كان غير عميق في معانيه

فظهر لمن اطّلع عليه أن صاحبه عامي الثقافة"⁽¹⁾ وهذا التخرّج للأستاذ أبو القاسم سعد الله له حظ من النظر، ضف إلى ذلك لم يعرف التاريخ من تصدّر إلى كتابة تفسير كامل وهو عامي سطحي الثقافة.

وحقيقة هذا التفسير كما يظهر لا يبدو فيه ذلك النفس التفسيري الذي ينبئ عن تبحر صاحبه، بل حتى أسلوب الكتابة في مخطوطتي العقيدة والفقه ظهر بأسلوب بسيط جدا.

ونعود إلى تفسيره فنقول: ما يظهر على تفسير هذا التفسير أنه تفسير كامل القرآن الكريم، غلب عليه أسلوب بسيط يفتقر للعمق كما هو شأن المفسرين بل مستوى هذا المفسّر لا يرقى لكتابات بعض المفسرين المعاصرين!!، ضف إلى ذلك الكثير من الأخطاء النحوية والإملائية التي لا تكاد تخلو منه قطعة من المخطوط، أمّا أسلوب الكتابة فيقرب إلى أسلوب الوعظ

وكأنّ الشيخ ألقاه في مسجد أو حلقة يحضرها الكثير من العامة ولعلّ طالبا سمعه كاملا ونقله سماعا حسب فهمه وربّما تصرّف في عبارات المؤلف والله أعلم، وربّما هذا الذي جعل المحققين يغضون الطرف عن تحقيقه رغم توفر نسخه ووضوح عباراته.

الخاتمة

وختاما نقول إنّ مسيرة علم التفسير في الجزائر كانت حافلة في الكثير من محطاتها تدريسا وتألفيا، وكما سبقت الإشارة إليه في طيات هذه المداخلة فإنّ العديد من

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، 20/2.

مخطوطات التفسير لم تحقق بعد وبعضها مفقود ، ومن بين التفاسير المخطوطة تفسير الشيخ عمر بن المحجوب البهلول الزواوي الذي بذل فيه جهدا وفسر القرآن كاملا، بأسلوب بسيط وعظي مناسب للعامة مقربا معاني القرآن بأوضح عبارة، فينبغي خدمته وإخراجه من صورته المخطوطة إلى عالم النشر خدمة لهذا العلم الجليل.

النتائج والتوصيات

ما خلصت إليه في هذه المداخلة من نتائج وتوصيات

1. الشيخ عمر بن المحجوب البهلول الزواوي عالم جزائري مهاجر إلى دمشق ومعلومات حياته شحيحة جدا
2. الاهتمام بشخصية الشيخ عمر بن المحجوب البهلول الزواوي من خلال اقتراح اجزاء من تفسيره في مقررات الجامعة تحقيقا ونقدا واستدراكا
3. ينبغي حصر التراث التفسيري لعلماء الجزائر خاصة المخطوط منها انطلاقا من الجهود السابقة التي كانت قبل التطور الذي نعيشه في ظل أدوات الذكاء الاصطناعي
4. أقترح إنشاء موسوعة تفسير إلكترونية يكون لها موقع وتطبيق مهمتها العناية بمفسري الجزائر مع رفع الإنتاج المطبوع والمخطوط

قائمة المصادر والمراجع

1. أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415 هـ - 1994 م.
2. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
3. البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420 هـ.
4. البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى: 1376 هـ - 1957 م.
5. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426 هـ.

6. تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
7. خزانة التراث، فهرس مخطوطات، مركز الملك فيصل.
8. لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1388هـ - 1968م.
9. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
10. مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ، 1995م.
11. مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات، "شرح المحجوب على منظومته في الفقه"، تحت رقم 245 ش.م.
12. مخطوط تفسير الهللول، الخزانة التيمورية.
13. فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م.
14. فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1367 هـ - 1948 م.

عناية علماء الجزائر بعلوم القرآن الكريم من خلال مقدمات كتب التفسير

الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري من خلال كتابه "توجيهات القرآن الكريم" أنموذجا

عرقوب سعيد – أ.د. محمد تمزغين

جامعة الجزائر 1

الملخص:

تضيء هذا الورقة جانب مهم من تاريخ علماء الجزائر في فن من أجل فنون الشريعة الإسلامية، نتكلم عن الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري ٢٠١٢م، من خلال مساهمته المتميزة في علوم القرآن وعلوم التفسير التي ضمنها في مقدمة كتابه توجيهات في القرآن الكريم، والتي تعتبر ذات أهمية بالغة في التخصص، وبرزت فيه شخصيته العلمية البارزة، وحق له أن يبرز مثل هذا الإمام العلم الذي قد قصر النظر إلى أمثاله من علماء الجزائر. وقد ارتكزت هذه الورقة البحتة حول ثلاث نقاط أساسية:

- ذكر جوانب مهمة من حياة الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري ٢٠١٢.
- التعريف بكتاب توجيهات في القرآن الكريم.
- مساهمة الدكتور محمد بن عبد الكريم في علوم القرآن وعلوم التفسير.

والله المستعان

الكلمات المفتاحية:

محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري، توجيهات في القرآن الكريم، علوم القرآن، علوم التفسير، الجزائر.

مقدمة:

فإنه مما لا شك فيه أنّ علم التفسير وعلوم القرآن الكريم عموما من أجل علوم الشريعة الإسلامية التي انبرى لها علماء الأمة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم تعلموا

وتعليمًا، وكان للجزائر منذ فجر الإسلام حظ كبير في ذلك ومشاركة واسعة ومتميزة استمرت إلى عصرنا الحالي، وبين يدي هذه المداخلة نموذج متميز يتمثل في الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري - الذي تضمن كتابه توجيهات في القرآن الكريم مقدمة غنية ومهمة في علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير، وستحاول هذه الورقة أن تضيء على هذا الجهد الذي يستحق الذكر والتعريف، فكانت هذه المداخلة بعنوان:

عناية علماء الجزائر بعلوم القرآن الكريم من خلال مقدمات كتب التفسير

الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري -

أهمية الموضوع:

- تعلقه بعلم يعتني بكتاب الله .
- تعلقه بعلم من علماء الجزائر المعاصرين، وهو الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري.
- مكانة الكتاب العلمية، في تخصص علوم القرآن، وتميز صاحبه في تناول مباحث هذا العلم.

أهداف الموضوع:

- ذكر أبرز محطات الدكتور محمد بن عبد الكريم في حياته العلمية.
- بيان جهد الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري في علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير.
- الكشف عن منهج محمد بن عبد الكريم الزموري في دراسة علوم القرآن الكريم.
- بيان المباحث التي تناولها الدكتور محمد بن عبد الكريم.
- إبراز القيمة العلمية لمقدمة كتابه توجيهات في القرآن الكريم في مجال علوم القرآن والتفسير.

- ذكر أهم الإضافات العلمية التي احتوتها مقدمة تفسير توجيهات في القرآن الكريم.
إشكالية البحث:

فيم تكمن المكانة العلمية لمقدمة كتاب توجيهات في القرآن الكريم في مجال علوم القرآن
وعلوم التفسير؟

المنهج المتبع:

وقد اعتمد فيها عموما على المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي وكذا المنهج التحليلي.

خطة البحث: كانت هذه المداخلة قائمة على ثلاثة محاور وهي:

أولاً: التعريف بالدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري .

ثانياً: لمحة موجزة حول كتاب توجيهات في القرآن الكريم

ثالثاً: عناية الدكتور محمد بن عبد الكريم بعلوم القرآن من خلال مقدمة تفسيره

سائلين الله , التوفيق والسداد.

أولاً: التعريف بالدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري -

هو الدكتور محمد بن عبد الكريم من بلدة زمورة بولاية برج بوعريج بالجزائر ولد 25
أفريل سنة 1924م ونشأ وترعرع يتيم الوالدين، وقد عرفت بلدته بكثرة المساجد ووفرة دور
العلم، ونشأته العلمية عرفت ثلاث مراحل مهمة:

المرحلة الأولى: مرحلة التلقي

وهذا في صغره على يدي شيوخ بلدته، وقد تلقى جملة واسعة من علوم الشريعة.

المرحلة الثانية: الهجرة في طلب العلم

وهذا في مرحلة مختلفة من حياته، وبعد انقطاع عن العلم لمشاغل الحياة، جاءت فرصة
للسفر إلى تونس سنة 1952 حيث التحق بمعهد منزلة القلم التابع لجامعة الزيتونة وتلقى
فيها العلوم على يدي علماء تونس.

المرحلة الثالثة: الدراسة النظامية

وهذا أيضا في مرحلة متأخرة حيث تحصل على شهادة الكفاءة العلمية سنة 1963 ثم

على شهادة الدكتوراه بعدها.

ويلاحظ التنوع في مصادر التلقي والمعرفة التي تلقاها وهذه لا شك كان لها أثر بارز في

تكوين الشخصية العلمية للدكتور محمد بن عبد الكريم -

في الجانب المهني اشتغل الدكتور في شبابه مهنا كثيرة صعبة بسبب ظروف المعيشة القاهرة التي مرت به حتى كانت سببا في انقطاعه عن التعلم، ثم اشتغل بالتدريس خاصة بعد تلقيه شهادة الكفاءة العلمية أين اشتغل بعدة ثانويات بوهران والعاصمة ثم اشتغل في مصلحة الوثائق الوطنية بدار الولاية ثم في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية ثم عزل منها سنة 1970.

أما عن حياته العملية: فقد عرفت ثلاث محطات مهمة:

1- محطة التحقيق: حيث تعتبر فترة الستينات والسبعينات فترة خصبة للدكتور في

تحقيقه للمخطوطات، ومن أبرز تحقيقاته:

- ثلاث رسائل جزائرية في حكم الهجرة، لأحمد الونشريسي والأمير عبد القادر ومحمد بن الشاهد.

- رحلة الباي محمد الكبير، لأحمد بن هطال الجزائري.

- بدائع السلك في طبائع الملك، لمحمد بن الأزرق الأندلسي مجلدان.

- بهجة الناظر، لعبد القادر المشرقي الجزائري.

- التحفة المرضية في الدولة البكداشية، لمحمد بن ميمون الجزائري.

- كتاب «كواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية» للشيخ الحسين

الورتلاني.

2- محطة التأليف: وتعتبر فترة الثمانينات والتسعينات فترة خصبة في تأليفه للكتب

حتى ناهزت العشرين مؤلف في هذه المرحلة ومن أبرز كتبه:

- لغة كل أمة روح ثقافتها.

- توجيهات في القرآن الكريم

- المقري وكتابه نفح الطيب وهو رسالته في الدكتوراه.

فضلا عن الدواوين الشعرية التي نظمها.

3- محطة الدعوة: وهذا بعد سفره إلى ليبيا أين أرسلته الدولة الليبية إلى فرنسا وانتسب إلى جمعية الدعوة الإسلامية وقضى فيها مدة طويلة في الدعوة.

عاد إلى الجزائر في أواخر التسعينات وتوفي - بسطيف في 9 سبتمبر 2012م.

ثانيا: لمحة موجزة حول كتاب توجيهات في القرآن الكريم

طبع الكتاب سنة 2013 من قبل دار المعالي للنشر في سبع مجلدات تضمنت ما يلي:
القسم الأول: مقدمة في علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير وهذا في مجلد واحد.
القسم الثاني: تفسير القرآن الكريم وهذا في ستة مجلدات، ويعتبر ثاني تفسير جزائري كامل بعد تفسير عبد الرحمن الثعالبي -، وقد اتبع فيه المنهجية الآتية:

1- التعريف بالسورة من خلال بيان أسمائها وهل هي مكية أم مدنية.

2- تقطيع السورة إلى عدة مقاطع ثم يقوم بما يلي:

- شرح الغريب إن وجد.
- بيان المعنى الإجمالي.
- التوجيهات التي يتضمنها المقطع ويذكر من خلالها:
- سبب النزول إن وجد.
- الأحكام الفقهية.
- أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الآيات.
- التنزيلات الواقعية.

ثالثا: عناية الدكتور محمد بن عبد الكريم بعلوم القرآن من خلال مقدمة تفسيره

لقد اهتم المؤلف - بعلوم القرآن الكريم وعلوم التفسير وأولى لها عناية خاصة من خلال مقدمة كتابه توجيهات في القرآن الكريم، ويمكن أن نجمل أهم ما ذكر في مقدمة هذا الكتاب فيما يلي:

1- ما تعلق بالمصادر التي اعتمد عليها:

لقد تناول جملة من الكتب المرجعية في جمع المادة العلمية، فضلا عن القرآن الكريم الذي استدلل به في أكثر من موضع استدلالا مباشرا على بعض المسائل وكذلك الأمر بالنسبة

للدواوين السنة النبوية، فقد اعتمد على مجموعة من الكتب من مختلف المجالات منها:

- كتب علوم القرآن الكريم:

- الإتيقان لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي - ت 911 هـ.
- البرهان في مشكلات القرآن الكريم لأبي المعالي عزيري بن عبد الملك - ت 494 هـ.
- البرهان لبدر الدين الزركشي - ت 745 هـ.
- طبقات المفسرين لمحمد شمس الدين الداودي - ت 954 هـ.
- علوم القرآن لعبدان الزرزور.
- فضائل القرآن الكريم لعماد الدين ابن كثير - ت 774 هـ.
- مناهل العرفان لعبد العظيم الزرقاني - ت 1122 هـ.

- كتب القراءات:

- لطائف الإشارات في فنون القراءات للقسطلاني - ت 923 هـ.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري - ت 833 هـ.
- النفع في القراءات السبع للصفاسي المالكي - ت 1118 هـ.

- كتب التفسير:

- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي - ت 671 هـ.
- الدر المنثور لعبد الرحمن السيوطي - ت 911 هـ.
- زاد المسير لأبي الفرج ابن الجوزي - ت 597 هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن عطية - ت 518 هـ.
- مقدمة المباني في نظم المعاني.
- النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز - ت 1958 م.

- كتب الغريب:

- غرائب القرآن لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري - ت

٨٥٠ هـ.

• معجم مفردات القرآن الكريم لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - ت ٥٠٢ هـ

- كتب السير والتراجم والتاريخ:

• تهذيب الأسماء واللغات لشرف الدين أبي يحيى النووي - ت 631 هـ.

• الروض الأنف لعبد الرحمن السهيلي - ت 581 هـ

• مقدمة ابن خلدون - ت 808 هـ.

- كتب العقيدة والفكر:

• الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت - ت 1963 هـ.

يلاحظ التنوع في المصادر التي اعتمد عليها فهو يأخذ من كل مصدر متخصص ما يحتاجه في تحرير المسائل العلمية، ويستفيد من العلماء بقدر واسع وسيأتي شيء من منهجه في كيفية هذه الاستفادة.

2- ما تعلق بالمباحث التي تناولها:

قد سبق الحديث أنّ المجلد الأول جعله في فنين متقاربين وهما علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير، ولذلك قسم هذا الجزء إلى قسمين مناصفة:

القسم الأول: مقدمة في علوم القرآن الكريم

وهذا القسم تناول فيه جملة واسعة من مباحث علوم القرآن الكريم، وهي على النحو الآتي:

1- أسماء الوحي القرآني.

2- خصائص القرآن الكريم.

3- مصطلحات مقترنة بالقرآن الكريم المصحف / السورة / الآية

4- تقسيم القرآن الكريم عند الصحابة.

5- تاريخ نزول القرآن الكريم.

- 6- صور الوحي.
- 7- أسباب نزول القرآن الكريم.
- 8- المكي والمدني
- 9- الأحرف السبعة.
- 10- حفظ القرآن الكريم وكتابته.
- 11- مبحث جامع حول القراءات.
- 12- علم التجويد
- 13- آداب تلاوة القرآن الكريم.
- 14- فضائل القرآن الكريم.
- 15- فضل حملة القرآن الكريم.
- 16- منهج القرآن الكريم في تفسيره وذكر مبحثي الحقيقة والمجاز.
- 17- مجمل محتويات القرآن الكريم.
- القسم الثاني: علوم التفسير

وذكر فيه جملة من المباحث المتعلقة بالتفسير وهي:

- 1- حد التفسير والتأويل.
 - 2- موضوع التفسير.
 - 3- حكم التفسير.
 - 4- مصادر التفسير .
 - 5- التفسير بالمأثور وبالرأي.
 - 6- مراتب التفسير.
 - 7- تاريخ التفسير.
 - 8- ترجمة القرآن الكريم.
- من الملاحظ أن المؤلف قد ذكر معظم مباحث علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير ولم يفته الكثير من تلك المباحث إلا القليل مثل عد الآي والنسخ والمحكم والمتشابه وأقسام القرآن والإعجاز والاختلاف في التفسير أنواعه وكيفية التعامل معه ولكن عموما ذكر عددا

لا بأس به يفي بالغرض العام من التأليف في علوم القرآن الكريم.

3- ما تعلق بالمنهج العام للمؤلف في تدوينه لعلوم القرآن والتفسير:

أولاً من حيث النقل فهو يتحرى ذكر المصادر المتخصصة في الفن وأحياناً يستفيد من المخطوطات والنوادر من الكتب، ولم يكن فقط يجمع الأقوال بقدر ما يستفيد منها يقدم لها بمقدمة ويعلق عليها وينقد بعضها ويستدل لأخرى وهذا يؤكد أننا أمام باحث وقامة علمية متمكنة في الفن، وهذا يؤدي بنا للحديث عن إضافاته العلمية في الكتاب فقد انتهج أسلوب علمي أكاديمي وكانت له بصمة واضحة وتميز في طريقة طرحه للمسائل العلمية في هذا الفن ويمكن أن نجمل هذه الإضافات إلى ما يلي:

أ- ما تعلق بطريقة العرض: فيعتمد المنهج الوصفي بدقة ويمزجه بالمنهج التحليلي عن طريق السبر والتقسيم وهذا ملاحظ على سبيل المثال في العناصر الآتية:

- تقسيمه لأسباب النزول إلى قسمين: (1)
- أصلية ابتدائية تفهم من خلال التدبر والتأمل وهذا ما يعرف لاحقاً بمقاصد القرآن الكريم.
- فرعية طارئة وهي المرادفة لمصطلح أسباب النزول المعهود.
- أوجه اختلاف العرب في لغاتها، وجعلها على سبعة أنحاء استنبطها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة: (2)
- ترجيحه لقول بقاء الأحرف السبعة وعدم نسخها والاستدلال على ذلك من عدة أوجه: (3)
- تقسيمه لمراحل الرسم العثماني إلى قسمين: (4)

(1) محمد بن عبد الكريم، توجيهاً في القرآن الكريم، ص 48.

(2) المصدر نفسه، ص 62.

(3) المصدر نفسه، ص 73.

(4) المصدر نفسه، ص 96.

- شكله بالأصالة.
- تحسين الرسم العثماني.
- مجمل محتويات القرآن الكريم: حيث جعلها ثمانية أنواع⁽¹⁾
 - أحكام الاعتقادات.
 - أحكام العبادات.
 - أحكام الأخلاق.
 - أحكام المعاملات المنتظمة، وجعل في ضمنها سبعة فروع أساسية:
 - ✓ أحكام الأحوال الشخصية.
 - ✓ الأحكام المدنية.
 - ✓ الأحكام الجنائية.
 - ✓ أحكام المرافعات.
 - ✓ الأحكام الاقتصادية.
 - ✓ الأحكام الدستورية.
 - ✓ الأحكام الدولية.
 - التبشير والإنذار.
 - الوعظ والإرشاد.
 - القصص.
 - الجدل.
- أوجه بيان السنة حيث ردها في المجمل إلى خمسة محاور أساسية: (2)
 - بيان المجمل.
 - بيان معنى لفظ أو متعلقه⁰

(1) المصدر نفسه، ص 222.

(2) المصدر نفسه، ص 249.

- بيان الآيات المنسوخ حكمها.
- بيان إثبات وتأكيد حكم مفهوم أو منطوقا.
- بيان أحكام شرعية لم ينص عليها القرآن.
- بيان أقسام أقوال الصحابة في التفسير حيث جعلها أربعة أقسام (1):
- ما كان مرفوعا للنبي '.
- ما كان راجعا لأسباب النزول.
- ما كان راجعا إلى فهم اللغة.
- ما كان اجتهادا.
- تقسيم تاريخ التفسير إلى قسمين: (2)
- التفسير الشفهي.
- التفسير الكتابي وجعله قسمين:
- ✓ التدوين المشترك.
- ✓ التدوين المستقل.
- أوجه استحالة ترجمة القرآن الكريم، حيث استنبط اثني عشر سببا مستدلا على كل سبب بعدة أدلة. (3)
- ب- ما تعلق بإضافاته: ومن ذلك:
- تقسيمه لنزول القرآن الكريم إلى مرحلتين سماهما: السماوية والأرضية. (4)
- مقدمات علمية في مسألة الأحرف السبعة أجاد فيها وأفاد. (5)

(1) المصدر نفسه، ص 253.

(2) المصدر نفسه، ص 358.

(3) المصدر نفسه، ص 375.

(4) المصدر نفسه، ص 48.

(5) المصدر نفسه، ص 62.

- قواعد مثمرة للعقل مريحة للقلب جعلها ما ذكره من ملاحظات حول جمع القرآن الكريم مفيدة ونافعة. (1)

- ملاحظات مهمة ذكرها في مسألة تلاوة القرآن الكريم. (2)
وفي الأسلوب العلمي الذي انتهجه جعله يصيب في كثير من المسائل وتقل عليه المؤاخذات حتى لا تكاد تظهر اللهم إلا ما ذكره من موافقته لقول ابن خلدون - (3) من أن الرسم العثماني الأول كان بدائيا يقل فيه الجودة والإتقان وهو يتعارض مع ما قرره كثير من العلماء من بيان خصائص الرسم العثماني وما تضمنه من إعجاز.

خاتمة

يتبين مما سبق أننا أمام قائمة علمية متخصصة في هذا المجال، وهذا الكتاب في جزئه الأول يعتبر إضافة علمية في مكتبة علوم القرآن الكريم والتفسير ولا ينبغي تفويته لما فيه من فوائد علمية وجمع لكثير من المسائل ينم عن اطلاع واسع للدكتور وقلم سيال وذهن منفتح، ومن أهم النتائج التي نقف أمامها:

تناولت مقدمة كتاب توجيهات القرآن الكريم، جملة مهمة من مباحث علوم القرآن الكريم وأصول التفسير، ولم يفت الدكتور محمد عبد الكريم إلا الشيء القليل من هذه المباحث.

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها، مما يدل على سعة اطلاعه، ولم يكتف بكتب علوم القرآن الكريم فقد اعتمد على كتب القراءات والتفسير واللغة والسيرة والعقيدة، حسب ما يقتضيه كل مبحث تناوله.

تنوع أيضا في المناهج التي اعتمدها في نقل المادة العلمية وتحليلها ونقدها، وتميز بأسلوب علمي أكاديمي في نقد الأقوال وتحريр المسائل.

(1) المصدر نفسه، ص 86

(2) المصدر نفسه، ص 199

(3) المصدر نفسه، ص 98 و 100.

كانت له إضافات منهجية وأخرى علمية خاصة في التقسيمات التي اعتمدها في بعض المباحث.

من جملة التوصيات التي يختم بها الباحث هذه الورقة البحثية اقتراح هذه المقدمة مقررا دراسيا في الجامعات الجزائرية يعتمده الطلبة في دروسهم لما فيه من الشمولية والدقة، خاصة في الدراسات العليا في ما يعرف بمقياس دراسات معمقة في علوم القرآن الكريم، فهي الجزائر لا زالت ولادة تلد الرجال والعلماء والكبار الذين إذا انبروا في ميدان ما رأينا منهم ما يسر القلوب وتقر به الأعين، فرحم الله الدكتور محمد بن عبد الكريم وسائر علماء المسلمين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- نصيرة سلسبيل، تنزيل النص القرآني عند محمد بن عبد الكريم الجزائري من خلال تفسيره توجهات في القرآن الكريم، مداخلة في ملتقى جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع، جامعة الشهيد حمه لخضر باتنة، 15 نوفمبر 2022.
- سمير بن سعدي، الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري وجهوده في البحث والكتابة والتحقيق والدعوة. المجلة التاريخية الجزائرية جامعة بوضياف المسيلة، سنة 2018.
- سمير بن سعدي، النشاط العلمي والدعوي للدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري بالمهجر، المجلة التاريخية الجزائرية جامعة بوضياف المسيلة. سنة 2020.
- لزهري بولزازن، أصول التفسير في الممارسة التفسيرية الجزائرية، محمد عبد الكريم أنموذجا، أطروحة دكتوراه، 2022م، جامعة باتنة 1. الحاج لخضر.
- محمد بن عبد الكريم الجزائري، توجهات القرآن الكريم، مؤسسة المعالي للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م.

ملاح المنهج التفسيري عند الشيخ الطاهر آيت علجت دراسة تحليلية من خلال نماذج مختارة

ط د. حواء نور الهدى خليفة - جامعة وهران 1، أحمد بن بلّة.

ط د. الصادق الأمين صحوة الدين خليفة - جامعة الجزائر 1

الملخص:

يتناول هذا البحث ملاح المنهج التفسيري لدى الشيخ طاهر آيت علجت، أحد أبرز المفسرين الجزائريين المعاصرين، الذي لم يخلّف تفسيراً متكاملًا، وإنما جُمعت آراؤه من مجالسه التفسيرية في بعض السور والآيات، ويتميّز منهجه باعتماده الواسع على اللغة والإعراب، إذ كان يُعنى بشرح دقائق النحو والصرف، ويعقّب عليها بتأملات بيانية تكشف عمق نظره في البلاغة القرآنية، وقد تأثر الشيخ بمدرسة التفسير البياني الكبرى، لاسيما تفسير ابن عاشور، مع احتفاظه بسمات شخصية علمية تتقاطع مع منهج المصلحين من أمثال ابن باديس، ويسعى هذا البحث إلى إبراز القيمة العلمية والبيانية في هذا اللون من التفسير، وبيان أهميته في واقعنا المعاصر الذي يقتضي تجديد الصلة بالنص القرآني من خلال استجلاء جماليات لغته ودقّة دلالاته.

الكلمات المفتاحية: الطاهر آيت علجت، المنهج التفسيري، البلاغة القرآنية، الإعراب.

Abstract

This study explores the features of the exegetical methodology of Sheikh Tahar Aït Aljet, one of the most prominent contemporary Algerian interpreters of the Qur'an. Although he did not leave behind a complete exegesis, his interpretations were compiled from his lessons and commentaries on selected chapters and verses. His approach is distinguished by a strong reliance on linguistic analysis and grammatical structure, as he paid great attention to the subtleties of syntax and morphology, complemented by rhetorical reflections that reveal the depth of his insight into Qur'anic eloquence. Sheikh Aït Aljet was influenced by the major school of linguistic exegesis, particularly the work

of Ibn Ashur, while maintaining a scholarly character closely aligned with the reformist methodology of figures such as Ibn Badis. This study aims to highlight the scientific and rhetorical value of this type of exegesis and to demonstrate its relevance in the contemporary context, which calls for renewing the connection with the Qur'anic text through the appreciation of its linguistic beauty and precise meanings.

Keywords: Interpretive Method, Tahar Aït Aljet, Parsing I'rāb, Qur'anic Rhetoric.

مقدمة:

يُعَدّ الشيخ طاهر آيت علجت من أبرز علماء الجزائر في العصر الحديث، وأحد الوجوه العلمية التي تركت أثراً واضحاً في الحقل الديني والفكري، تميّز بعلمه الغزير، وتكوينه الراسخ في علوم العربية والقرآن، فجمع بين الأصالة اللغوية والتوجّه الإصلاحي، نشأ في بيئة علمية محافظة تأثرت برواد النهضة الإصلاحية في الجزائر، فكان امتداداً حياً لمدرسة ابن باديس في الدعوة إلى إحياء علوم القرآن واللغة، وربط المعرفة الدينية بواقع الأمة وقضاياها.

وقد عُرف الشيخ آيت علجت بجهوده التعليمية والتربوية، إذ كرّس حياته للتدريس والإرشاد، وأسهم في تكوين أجيال من الطلبة والعلماء الذين نهلوا من علمه ونهجه الوسطي المتزن، كما كان من العلماء الذين جمعوا بين عمق الفكر وانفتاح الرؤية، متمسكاً بالثوابت الدينية ومعتزاً بمرجعياته العربية الإسلامية، دون أن ينغلق عن مقتضيات العصر وأسئلته، ومن خلال حضوره العلمي ومشاركاته في مجالات الدعوة والتعليم، مثّل الشيخ نموذج العالم المصلح الذي يستمد من القرآن منهجه في بناء الإنسان وتوجيه المجتمع، جامعاً بين البعد العلمي والروحي في مقارنته للمعرفة الدينية.

وتزداد دراسة شخصيته أهمية في سياق الاهتمام المعاصر بإحياء الفكر التفسيري الجزائري، والبحث في إسهامات علمائه في تجديد الصلة بالنص القرآني، إذ يشكل الشيخ طاهر آيت علجت حلقة بارزة في هذا المسار، ورافداً مهماً من روافد المدرسة الإصلاحية التي ربطت العلم بالرسالة، واللغة بالوحي، والفكر بالواقع.

الإشكالية:

ما طبيعة الجهود التفسيرية التي قدّمها الشيخ طاهر آيت علجت، وما مدى إسهامها في إثراء الدرس القرآني في الجزائر الحديثة؟

وينبثق عنه سؤالان فرعيان:

من هو الشيخ طاهر آيت علجت، وما أبرز إسهاماته العلمية والفكرية والاجتماعية؟

ما السمات العامة التي تميّز منهجه في تناول النص القرآني وقراءته التفسيرية؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من اعتبارات علمية ومعرفية عدة، أبرزها:

1. جدة الموضوع، إذ لم يحظَ الشيخ طاهر آيت علجت بدراسة تفسيرية وافية تكشف عن ملامح منهجه وجهوده في خدمة القرآن الكريم.

2. الإسهام في إثراء الدراسات القرآنية من خلال لفت أنظار الباحثين إلى تراث الشيخ ومجالسه التفسيرية، وما تحمله من مادة علمية تستحق الجمع والتحليل.

3. إبراز القيمة العلمية للتفسير اللغوي والبياني، بوصفه مدخلاً أساسياً للفهم الصحيح للقرآن الكريم، ووسيلة لمواجهة القراءات الحداثية التي تُغفل البعد اللغوي والبياني في النص القرآني.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من المقاصد العلمية، أهمها:

1. التعرف على شخصية الشيخ طاهر آيت علجت، وتكوينه العلمي، وإسهاماته في المجالين العلمي والاجتماعي.

2. بيان جهوده في خدمة التفسير القرآني وتوجيه الطلبة والباحثين للاهتمام بعلمه وتراثه.

3. الكشف عن طريقته في تناول المعاني القرآنية وتوجيه دلالاتها وفق رؤية لغوية وبيانية متكاملة.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة رسالة ماستر، جهود الشيخ الطاهر ايت علجت في التفسير "سورة الأنبياء أنموذجاً" للطالبة: مشرف عقيلة السنة 2022م، المشرف: ساردي محمد، لمن أراد أن يتوسع فله ذلك.

يشكل هذا البحث جهداً معتبراً، إذ قامت الباحثة بتفريغ التسجيلات الصوتية لمجالس الشيخ التفسيرية في المسجد، رغم صعوبة فهم بعضها نتيجة انخفاض صوت الشيخ وكبر سنّه، إضافة إلى لهجته القبائلية، وهو ما استدعى صبراً طويلاً وسرعة في الاستيعاب، وهو جهد مشكور عليه.

ومع ذلك، فإنّ وصف الباحثة للشيخ بأن له تفسير خاص به، غير مؤسس على دليل علمي، إذ إن مجالسه لم تشمل جميع سور القرآن الكريم، بل اقتصر على بعض السور والآيات، وكان الشيخ في تفسيره يعتمد أساساً على كتب التفسير المعروفة، مصحوبة بالشرح والتعقيبات التوضيحية، ويجدر بالذكر أن بحثي هذا اعتمد على بحث الطالبة مشرف عقيلة كمصدر رئيس، خاصة عند التطرّق لحياة الشيخ، نظراً لندرة المصادر وصعوبة الوصول إليها.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على منهجين تكميليين:

- المنهج الوصفي: وذلك لوصف المفاهيم والمعاني المتعلقة بموضوع الدراسة، مثل مفهوم التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ولفهم الإطار النظري للبحث وشرح المصطلحات الأساسية المرتبطة به.

- المنهج التحليلي: يُوظف لتحليل واستنباط منهج الشيخ طاهر آيت علجت وخصائصه في التفسير، من خلال دراسة مجالسه التفسيرية ومقارنة إسهاماته بالمراجع العلمية ذات الصلة.

أولاً: ترجمة الشيخ ومنهجه في التفسير

- حياته الشخصية والعلمية⁽¹⁾:

1. مولده، نسبه، نشأته:

هو الشيخ العلامة محمد الطاهر بن مقران بن محمد الطاهر بن صالح آيت علجت، وُلد في الخامس من محرم 1335 هـ الموافق للسابع من فيفري 1917 م، بقرية تمقرة دائرة آقبو ولاية بجاية.

2. الدراسة والتعلم:

تكوّنت المسيرة العلمية للشيخ طاهر آيت علجت عبر مراحل متعددة ومتكاملة، ابتدأت في كنف والده الذي غرس فيه حب القرآن وأساسيات الدين، ثم توسّعت بتتلمذه على مشايخ قريته، بعد إتمامه حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، واصل تكوينه العلمي في زوايا العلم، متنقلاً بين مناطق عدة مثل أمالو وتلاغمة، حيث نهل علوم النحو والصرف والفقه، وقد اختتم رحلته العلمية بالدراسة في جامع الزيتونة بتونس، مستفيداً من كبار علمائه.

وقد ارتكز التعليم في عصره على حفظ المتون وشرحها، وهو ما صقل ملكته اللغوية وأكسبه قدرة متميزة على الدمج بين الرواية والدراية، وبين اللغة والبيان، ما أضفى على دروسه طابعاً خاصاً ظل شاهداً على عمق مكانته العلمية ومتانة تكوينه المعرفي.

3. شيوخه وتلاميذه:

- الشيوخ:

الشيخ صالح أوقاسي، الشيخ الطيب اليتورغي، الشيخ محمد وعلي مداع، الشيخ لحلو خياري لحلو لعمارة، الشيخ السعيد اليجري، الشيخ السعيد بن مالك اليعلاوي، الشيخ أحمد الخالدي، الشيخ مصباح الزيتوني التونسي، الشيخ محمد الميزوني التونسي، الشيخ ربيع

(1) يُنظر كتاب رحلة قرن من عمر العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، تقديم الأستاذ: محمد الصالح الصديق بقلم: نجله محمد الصالح آيت علجت، الناشر: أبجديات، 2016م، مأخوذ من رسالة ماستر جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية، عنوان المذكرة: "جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً"، للطالبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي محمد، السنة الدراسية 2021م-2022م.

- الزينوني التونسي، الشيخ الفاضل بن عاشور، الشيخ اللقاني، الشيخ الزغوني⁽¹⁾، وغيرهم.
- تلاميذه: الشيخ الطاهر بالعثرات بل بالملئات من كل أرجاء الوطن، ونظرا لكثرتهم سأكتفي بذكر بعض الأسماء فقط:
 - المفكر الجزائري العلامة الموسوعي مولود قاسم نايت بلقاسم.
 - الدكتور الشيخ محمد الشريف قاهر، رئيس لجنة الإفتاء في المجلس الإسلامي الأعلى.
 - المجاهد والباحث في التاريخ الإسلامي والتراث الأمازيغي محمد الصغير بن لعلام.
 - المفكر والأديب والمجاهد ولمؤرخ محمد صالح الصديق.
 - الوزير السابق والضابط السامي في سل اح الطياران محمد الطاهر بوزغوب.
 - الشهيد محمد وعلي أقرفة، وهو من المجاهدين الذين جلبوا السلاح من مصر سنة 1956م عبر الباخرة التي يقط بيد المستعمر الفرنسي⁽²⁾.
 - حياته الاجتماعية⁽³⁾:

● المسيرة التعليمية والجهود الوطنية للشيخ طاهر آيت علجت:

عاد الشيخ طاهر آيت علجت سنة 1937 إلى زاوية تمقرة التي دمرها الاستعمار الفرنسي عقب ثورة المقراني والحداد 1871م، فأعاد فتحها بمساعدة شيوخه ووجهاء القرى المجاورة، وقد وضع برنامجاً دراسياً مكثفاً تجاوزت حصصه 12 ساعة يومياً، شمل مختلف العلوم من فقه ولغة وقراءات وسيرة وحديث وحساب وتاريخ وجغرافيا، مقتفياً بذلك النظام المعتمد في جامع الزيتونة ومعهد ابن باديس، واستمر نشاطه التعليمي في معهد تمقرة إلى غاية سنة 1956، قبل أن يلتحق وطلابه بالثورة التحريرية، حيث استشهد عدد منهم⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق ص22.

(2) المصدر السابق ص23.

(3) يُنظر كتاب رحلة قرن من عمر العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، بقلم نجله: الصالح ايت علجت.

(4) جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً"، للطالبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي

محمد، السنة الدراسية 2021م-2022م، ص24، 23.

ورغم التحاقه بصفوف جيش التحرير، لم يتوقف دوره التربوي، إذ كلفه العقيد عميروش بالسفر إلى تونس للإشراف على الطلبة الجزائريين هناك، بدءاً من أغسطس 1957، كما أشرف على التعليم في دور الطفولة التي أنشأتها الحكومة المؤقتة، مستفيداً في ذلك من حضور دروس كبار علماء جامع الزيتونة، مثل الفاضل بن عاشور واللقاني والزغوني، حتى سنة 1960.

بعد الاستقلال، واصل الشيخ طاهر رسالته التعليمية فعُيِّن أستاذاً للغة العربية في عدة ثانويات بالعاصمة الأبيار، عقبة، عمارة رشيد، إلى جانب تقديمه للدروس المسجدية في العلوم الشرعية واللغوية، مستمراً على هذا النهج حتى إحالته على التقاعد سنة 1978.

• النشاط الوطني والجهادي:

لم يكن الشيخ الطاهر آيت علجت عالماً ومرتبياً فحسب، بل كان أيضاً رمزاً للروح الوطنية ومناصرة للمقاومة في منطقته، إذ تحولت زاويته إلى ملاذ آمن للمناضلين والمطاردين من قبل سلطات الاستعمار الفرنسي، تحت مسميات متعددة كالمريض أو العابر سبيل أو المحتاج للمعونة، ورغم ذلك، لم تغفل سلطات الاستعمار نشاطاته، فتم نفيه سنة 1948 إلى زاوية سيدي سعيد قرب صدوق، حيث قضى عاماً كاملاً بصبر واحتساب.

في سنة 1956 التحق الشيخ بصفوف الثورة التحريرية إلى جانب العقيد عميروش، شاغلاً مناصب قضائية وإرشادية، ثم كلف أواخر 1957 بالسفر إلى تونس للإشراف على الطلبة الجزائريين، مواصلاً رسالته التعليمية والجهادية في آن واحد.

• الإسهامات في الحياة العامة:

تجلت إسهامات الشيخ الطاهر آيت علجت في ميادين متعددة، حيث جعل خدمة الوطن والمجتمع أولوية له، مفضلاً الأعمال الدعوية والخيرية ذات النفع العام على المناصب الرسمية، ومن أبرز هذه الإسهامات:

1. المشاركة في تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية مع بن يوسف بن خدة والشيخ أحمد سحنون، التي سعت لإصلاح ذات البين والتدخل في القضايا الوطنية الحساسة للحفاظ على وحدة الصف.

2. العضوية الفاعلة في لجنة الأهلة، حيث كان يظهر عبر التلفزيون الجزائري لتوضيح العلاقة بين الصيام والمعاملات الدينية.

3. الانضمام إلى بعثات الحج ضمن لجنة الفتوى والإرشاد الديني، نظير جديته وحرصه على توجيه الحجاج.

4. دعم الباحثين وطلّاب العلم، عبر توجيههم إلى المصادر الموثوقة وتزويدهم بالإرشادات العلمية في شتى مجالات العلوم الدينية واللغوية والأدبية.

- ثناء العلماء وأهل الفضل عليه:

أجمع العلماء والفضلاء من معاصري الشيخ على مكانته العلمية والروحانية، وقد عبروا عن تقديرهم له في عدة مناسبات:

• قال الشيخ محمد باي بلعالم: "وممن عرفته من علماء الجزائر الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، تلاقيت معه في عدّة ملتقيات، وهو من أجلّ الأصدقاء المخلصين بالمحبّة وصدق المودّة".

• وقال الشيخ محمد الشريف قاهر: "عالم ربّاني خدم الجزائر علماً وجهاداً".

• وقال الشيخ محمد صالح صديق: "فكانّ الشيخ محمد الطاهر العالم الذي يصنعه القرآن، وتعدّه قيمه وخصائصه نسقاً متميّزاً في تفكيره وأخلاقه وسلوكه، ومثالاً رائعاً في إخائه ومودّته، وفي وقاره وإخلاصه، كل ما فيه يذكرك بالصحابة الكرام وأجلّ العلماء".

ثالثاً: منهج الشيخ في التفسير من خلال سورة الأنبياء

1. نبذة عن حلقات الشيخ ومنهجه في التفسير⁽¹⁾- المنهج التربوي والتفسيري للشيخ طاهر آيت علجت⁽²⁾:

اتسمت دروس الشيخ طاهر آيت علجت بتنوع أهدافها وثراء مضامينها، إذ لم تقتصر على الجانب المعرفي فحسب، بل سعت إلى تكوين شخصية الطالب تكويناً متكاملًا ومتوازنًا من الناحية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، ليصبح الفرد متحرراً في تفكيره، معتدلاً في سلوكه، متزناً في تصرفاته، وفاعلاً صالحاً في محيطه.

اعتمد الشيخ منهجاً تفاعلياً في تدريسه، محفّزاً الطلبة على المشاركة وطرح الأسئلة، ثم كان يجيب عنها بنفسه حرصاً على إزالة الحرج عنهم، مختتماً الدرس بمزيج من البشر والرضا، ومعززاً أمل الطلبة ورجاءهم في الله تعالى، كما غرس في طلابه قيمة الأدب مع العلم واحترام أهله، إذ كان يوجههم برفق عند ملاحظته لأي خطأ في الكتب المقررة، فيطالهم بتدوين ملاحظاتهم بهدوء في الهامش، مما يربّي الطالب على النقد المسؤول واحترام النصوص العلمية.

في مجالس التفسير، تجلّى منهج الشيخ بوضوح من خلال الجمع بين طريقتي أهل الأثر وأهل الرأي، مع اعتماد واسع على علوم اللغة العربية المختلفة: نحواً و صرفاً وبلاغة، واستدلال بالأحاديث الصحيحة، مع الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين عند ورودها، كما وظف قواعد النظر العقلي من منطق وأصول الفقه، خصوصاً في مباحث الدلالات، مقتدياً في ذلك بكبار المفسرين من المتقدمين كابن عطية الأندلسي وابن حيان الأندلسي والزمخشري

(1) أخذت من تسجيلات حلقات الشيخ للتفسير، ومعلومات أُخذت من عند تلامذته شخصياً، والباحثة "مشرف عقيلة" كان لها الدور في ذلك.

(2) هذا الكلام من خلال لقاء بعض طلبة الشيخ ومعارفه اعتماداً على مجهودات الباحثة مشرف عقيلة للوصول لهذه المعلومات عن طريق بعض تلامذة الشيخ، ومعارفه المواضين على حضور مجالسه التفسيرية، وكذلك يُرجع لكتاب كتاب رحلة قرن من عمر العلامة الشيخ محمد الطاهر آيت علجت، بقلم نجله: الصالح آيت علجت.

والرازي، ومن المتأخرين كالألوسي وابن عاشور.⁽¹⁾

ويظهر من منهجه العلمي وقراءاته اختيار تفسير الصابوني كأساس، حيث حافظ على الموازنة بين الرأي والأثر، لكنه تجاوز الاقتصار على البيان والإيجاز، فوسّع استخدام أدوات النظر والاستنباط، مع المحافظة على إيجاز عباراته وثراء دلالاتها، متجنباً التكرار غير الضروري للأحاديث والآثار الواردة في المصادر السابقة.

وقد اتسمت مجالسه التفسيرية بسخاء علمي وحرص على ربط الدروس ببعضها، إذ كان يستطرد ليذكر طلبته بما درسوه سابقاً في النحو والصرف والبلاغة والفقه، مستشهداً أحياناً بأبيات من الألفية، أو من الجوهر المكنون في البلاغة، أو كلام الشيخ خليل في مختصره، أو بأبيات من العصامية في القضاء، بما يراعي مقتضى المقام ويربط العلوم ببعضها.

ويظهر من دراسة منهجه العام أنه حافظ على مسار كبار المفسرين كابن عطية الأندلسي والرازي وابن عاشور، مع قدرته على تبسيط العبارات المعقدة وجعلها في متناول جميع الحاضرين، وتنوع أساليب الإلقاء لتقريب المعنى، ما يعكس سعة معارفه وتعدد مجالاته وخبرته الطويلة في التعليم منذ أربعينيات القرن العشرين.

كما اعتمد في دروسه على شروح وتعليقات عدد من المصادر المساندة، مثل "صفوة التفاسير" للصابوني، و"تفسير الجلالين"، و"التحرير والتنوير" لابن عاشور، لتمكين الطلبة من متابعة الدرس بانتباه وتركيز، وتجنب شرود الأذهان أو انقطاع التسلسل الفكري.

وقد تناول تفسير القرآن الكريم ابتداءً من سورة الفاتحة وصولاً إلى سورة الزخرف، مع التوقف عن مواصلة حلقات التفسير بعد انتشار جائحة كورونا، ولم يُستأنف بعدها، وقد اعتمد في تفسير سورة الأنبياء على "صفوة التفاسير" للصابوني، حيث كان يقرأ الآية، ثم يستعرض تفسيرها عند المؤلف، ليقدم بعدها شرحه وتعليقاته الخاصة، وأحياناً يكتفي بتقديم تفسيره مباشرة دون الرجوع للصابوني.

ويمتاز منهجه في التفسير بالتدرج المنهجي الدقيق، إذ يبدأ بالدراسة المعجمية اللغوية،

(1) جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً، للطالبة: مشرف عقيلة، ص 28، 29.

ثم التحليل الصرفي، يليه التفسير النحوي، ثم الدراسة البلاغية، ليخلص في النهاية إلى المدلول العام للنص القرآني، جامعاً بذلك بين التفصيل العلمي والغاية التفسيرية، ما يجعله نموذجاً متميزاً في الدمج بين المعرفة اللغوية والبيانية والدينية.

2. المعالم التفسيرية عند الشيخ طاهر آيت علجت:

أ. منهجه في التفسير بالمأثور⁽¹⁾:

• تفسير القرآن للقرآن:

اعتمد الشيخ الطاهر آيت علجت في تفسيره على مبدأ تفسير القرآن للقرآن، مستعيناً بآيات أخرى لتوضيح المعاني، إلا أنه لم يطبق هذا الأسلوب في تفسير سورة الأنبياء، حيث اقتصر على الشرح المباشر للآيات.

• تفسير القرآن بالحديث:

أولى الشيخ اهتماماً بالاستدلال بالحديث الشريف لتوضيح معاني الآيات، مبرزاً العلاقة الترابطية بين النص القرآني والحديث. ومع ذلك، لم يورد في تفسيره أحاديث مستقلة، بل كان يستعين بالأحاديث الواردة في تفسير الصابوني ويقدم شرحها وتوضيحاته الخاصة.

• تفسير الصحابة والتابعين:

حرص الشيخ على الاستفادة من أقوال الصحابة والتابعين في فهم الآيات، مع التوقف عند آرائهم المعتمدة. ورغم اقتصره على ذكر تفاسير الصحابة في بعض المواضع، لم يغفل عنها، بل اعتمد على ما أفادته المرويات، لا سيما تلك المنقولة عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما.

• علوم القرآن:

يُعرف علماء علوم القرآن هذا العلم باعتباره فناً مدوناً بأنه: "مباحث تتعلق بالقرآن

(1) جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً"، للطالبة: مشرف عقيلة، السنة الدراسية 2021م-2022م.

الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءته وأسباب نزوله ومكية ومدنية ونحو ذلك".⁽¹⁾

أبرز العلوم التي أولى الشيخ طاهر آيت علجت عناية خاصة في تفسيره هي: علم التفسير، وأسباب النزول، وعلم المناسبات، والقراءات، وقصص القرآن، إضافة إلى دراسة أغراض وفضائل السور.

ففي علم المناسبات، تجلّى اهتمامه ببيان الروابط بين الآيات، مبرزاً أوجه التناسب التي تجمعها، وذلك بهدف توضيح المعنى وتيسير إدراكه للطلبة.

أما في علم القراءات، فقد ركّز على إبراز أثر اختلاف القراءات على التفسير والإعراب، موضحاً كيف يمكن أن يؤدي هذا الاختلاف أحياناً إلى تباين في دلالات المعنى.

وفيما يخص القصص القرآني، فقد أولى الشيخ اهتماماً خاصاً بتحليلها من جانبيين: الأول يتعلق بالأسلوب الفني الذي صيغت به القصة، والثاني بالغايات والعبر المستخلصة منها، بما يعكس الجمع بين الدقة اللغوية والبعد التربوي والتوجيهي في تفسير القرآن الكريم.

ب. منهجه في التفسير بالرأي⁽²⁾

يُعدّ التفسير بالرأي أحد الركائز الأساسية في منهج الشيخ طاهر آيت علجت التفسيري، إذ تناوله بروح لغوية دقيقة ومجتهدة، ملتزماً بالضوابط العلمية للرأي المحمود دون انحراف عن المصادر التي اعتمد عليها. ولم يُعرف عن الشيخ تعصّب لمذهب معين، بل اتسم منهجه بالمرونة العلمية والموضوعية في التعامل مع الآيات وتفسيرها.

• تفسير القرآن بالقرآن:

اعتمد الشيخ أحياناً على مبدأ تفسير القرآن بالقرآن، من خلال الربط بين الآيات المختلفة لتوضيح معنى الآية بمجموعة من الآيات الأخرى. ويتضح هذا النهج في سياقين رئيسيين: الأول، توضيح معنى الآية بمعنى آخر؛ والثاني، تفسير الآية المجملة بآية أخرى من

(1) دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض الطبعة السادسة عشر 1430/2009 هـ، ص32.

(2) رسالة ماستر جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية، عنوان المذكرة: "جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً"، للطلبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي محمد، السنة الدراسية 2021م-2022م.

باب حمل المطلق على المقيد، بما يعكس حرصه على الدقة والاتساق في فهم النصوص القرآنية.

• تفسير القرآن باللغة:

_ علم النحو:

كان الشيخ الطاهر آيت علجت يولي علم النحو أهمية بالغة، مؤكداً لطلابه أنه علم قائم بذاته في تفسير النصوص القرآنية، وليس مجرد وسيلة مساعدة للفنون العربية أو الشرعية الأخرى، كما يُشاع عند البعض، وقد أسس في تدريسه للنحو قاعدة رصينة لفهم تراكيب الآيات وتحديد دلالاتها، مما يبرز دوره المحوري في تحليل اللغة لخدمة التفسير، فقد كان يقول حفظه الله "الجملة إذا أُعربت فهمت"⁽¹⁾، وكان كثيراً ما يرد عليه عند تدريسه لكتب ابن هشام ما جرى له مع بعض الناس حيث سأله أحدهم فقال له لما لم تؤلف كتاباً في التفسير، فقال لهم لقد ألفت لكم مغني اللبيب عن كتاب الأعراب، فقد تطرق الشيخ إلى:

(أ) استعمال قاعدة التضمين وهو استعمال فعل في معنى فعل آخر عند وجود قرينة تؤيد ذلك وهي حرف الجر، والغرض منه في القرآن تكثير المعاني في العبارة الواحدة⁽²⁾.

(ب) استعمال التقدير الإعرابي والغرض منه إظهار المحذوف من الأقوال لتوضيح المعنى ولإظهار كثير من الأسرار⁽³⁾.

(ت) استعمال المصطلح الإضرابي بنوعيه الإبطالي والانتقالي وهو كثير في السورة عند الاستدلال والاحتجاج.

- البلاغة:

• مسألة الوصل والفصل العطف والاستئناف:

(1) هذه المقولة تتكرر كثيراً عند الشيخ في مجالسه التفسيرية.

(2) ينظر التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع 1426هـ، بالإضافة إلى مساعدة طلبة الشيخ.

(3) ينظر جامع الدروس العربية، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني ت ١٣٦٤هـ، الناشر: المكتبة العصرية،

صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م. ج 2 ص 182.

الوصل: عطف بعض الجمل على بعض بالواو، والفصل: تركه، كما في قوله تعالى: "يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا" سبأ: ٢. (1)

أهتم الشيخ بدراسة العلاقة بين الآيات لبيان التسلسل والترابط بينها، وهذا من مسائل علم المعاني، ويظهر كثيرًا في تفسيره لتوضيح المعنى بدقة.

• القول بالموجب "استعمال دليل الخصم":

القول بالموجب هو تسليم الدليل أو النص وعدم إنكاره، مع توضيح أنه لا يلزم منه الحكم المتنازع عليه. ويأتي في صورتين: النفي، حيث يُبطل ما يظنه الخصم مأخذًا دون أن يترتب على ذلك إبطال مذهبه، والإثبات، حيث يُثبِت الحكم مع احتمال الخطأ في فهم المدركات، خاصة عند تعقيد النصوص وكثرة تفاصيلها. يُستخدم هذا الأسلوب كثيرًا في المناظرات والجدل العلمي، لأنه يسمح بالاعتراف بالنصوص مع منع استلزامها لموضع النزاع (2)، وهو من علم البديع، حيث يُستعمل لإظهار الحكم بالنقيض أو ما يُعرف بـ "دليل الخصم"، مثال على ذلك قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾ «الأنبياء 34».

• العدول عن مقتضى الظاهر:

في علم البيان يُطلق على الكلام المنقول وفقًا لظاهره مصطلح التصريح، ويُعد إخراج الكلام على مقتضى الظاهر أدق وأخص من إخرجه على مقتضى الحال، إذ إن التنازل عن مقتضى الظاهر يظل خاضعًا لمقتضى الحال، لكنه لا ينطبق عليه بالضرورة، وقد يُعدل عن الظاهر، أي يُحوّل الكلام عن ظاهره، ويُسمى حينها إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر، ويُقام فيه العالم بالفائدة والمراد، بينما يقف الجاهل عند مقتضى الظاهر، وذلك لأسباب

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي ت ١٣٩١ هـ، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م، ج 2، ص 278.

(2) فتح الباقي على منظومة المراقي محمد بن محمد بن المصطفى اليعقوبي ج 2 ص 160.

خطابية وإقناعية مرتبطة بالمعاني المضمَّنة والمقدَّرة⁽¹⁾، يُستعمل هذا في الاستفهام التوبيخي والإنكاري لتعديل اللفظ عن ظاهره بما يخدم المعنى، وهو من علم المعاني.

• استعمال المجاز بأنواعه المختلفة:⁽²⁾

سواء الفعلي أو اللغوي، ويُعد من علم البيان، ويستخدمه الشيخ كثيرًا لإضافة عمق على المعنى وإظهار البلاغة.

• التمثيل أو التشبيه التمثيلي:

التشبيه المركب أو التمثيل هو نوع من التشبيه في الوجود. يتفق التمثيل مع التشبيه في كونهما يربطان بين مشبه ومشبه به، لكنهما يختلفان: فالتشبيه العادي يكون طرفاه مفردين ووجه الشبه عادةً واحد، بينما يشترط التمثيل أن يكون طرفاه مركبين من عنصرين فأكثر، كما في تشبيه القمر في أواخر لياليه بالعرجون القديم في التقوُّس والشحوب والنحافة⁽³⁾، يُستعمل لتقريب الأمور المستحيلة عقليًا أو المجردة للسامع، مثال: قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ «الأنبياء 104».

• الإيجاز بالحذف:

الإيجاز أسلوب بلاغي يقصر الكلام مع الاحتفاظ بالمعنى، وينقسم إلى إيجاز بالحذف، الذي يشمل حذف الجمل أو المفردات، مثل حذف السؤال المقدر، أو الاكتفاء بالسبب عن المسبب، أو حذف الفاعل أو الفعل، وإيجاز بغير الحذف الذي يختصر المعنى دون إسقاط

(1) تحقيق الفوائد الغيائية، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى ت ٧٨٦ هـ، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخیل الله بن عجیان العوفی، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، ج 1، ص 270.

(2) تحقيق الفوائد الغيائية، شمس الدين الكرمانى، ج 2، ص 674.

(3) الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر

عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج 1 ص 523.

أي جزء من الكلام،⁽¹⁾ ويكثر الشيخ من استخدامه لتكثيف الكلام مع الحفاظ على المعنى، وهو من صور الإعجاز القرآني ومن علم المعاني.

• قاعدة حسن التخلص:

التخلص أسلوب شعري يتميز بانتقال الشاعر بسلسلة من معنى إلى آخر مرتبط بالممدوح، بحيث يندمج المعنيان بانسجام لا يشعر به السامع، ويشمل أي موضوع شعري، والأفضل الانتقال من الغزل إلى المدح بأسلوب سلس وبلاغة عالية دون أن يشعر المستمع بفجوة أو خلل⁽²⁾.

• التفصيل بعد الإجمال:

إعادة توضيح النقاط التي تم ذكرها إجمالاً لتقريب المعنى وتسهيل فهمه.

• ربط مقطع السورة بمطلعها:

أسلوب يستخدمه لربط الأفكار القرآنية ببعضها وتوضيح المعنى، أو ما يسمى بعلم المناسبات مرتبط بالتفسير الموضوعي للسورة، إذ تجمع الآيات رغم اختلاف أسباب نزولها وفترات نزولها على وحدة المعنى⁽³⁾.

• الحجاج بالأساليب البلاغية:

الاحتجاج بدليل عقلي على الخصم برهان التمانع، وسُيَّ برهان التمانع بهذا الاسم لأن وجه الدلالة فيه يقوم على استحالة تعدد الآلهة، من خلال فرضية أن تتعارض إراداتهم، فيمنع بعضهم بعضاً من تنفيذ مراده، وهو ما يدل على امتناع التعدد، والخوض في تفاصيله

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ت ٦٣٧ هـ تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ج2 ص318.

(2) خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ت ٨٣٧ هـ، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤ م، ج 1، ص 329.

(3) مباحث في التفسير الموضوعي، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص 57.

خارج نطاق هذا المقام⁽¹⁾.

• الاستعارات التمثيلية:

تنقسم الاستعارة من حيث كونها مفردة أو مركبة إلى نوعين:

فالاستعارة المفردة هي التي يكون اللفظ المستعار فيها مفردًا، كما هو الحال في الاستعارة التصريحية

أما الاستعارة المركبة، فهي التي يُستعار فيها تركيب كامل، ويُطلق عليها البلاغيون اسم الاستعارة التمثيلية، ويُعرفونها بأنها: استعمال تركيب في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة، مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ «الأنبياء 18»

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ «الأنبياء 65»

• المقابلة:

المقابلة هي من المحسنات المعنوية، وتقوم على الجمع بين معنيين متوافقين أو أكثر وضدهما في تركيب واحد، بحيث يُذكر كل لفظ وما يقابله على نحو متوازن يبرز التناظر بين المعنيين، ويُقصد بها إحداث توازن دلالي وجمالي في النص، يظهر من خلال التوازي بين الألفاظ أو الجمل المتقابلة في المعنى⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ «الأنبياء 23»

(1) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م [١٤٠٤ هـ]، ج 17، ص 41.

(2) علم البيان، المؤلف: عبد العزيز عتيق ت ١٣٩٦ هـ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: بدون عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م، ص 192.

(3) - البيان والبدیع، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية، 395.

• الاستفهام الإنكاري:

حُمل قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ على معنى الاستفهام الاستنكاري، وتقديره: أفلا اقتحم العقبة، أو هلا اقتحموا العقبة، أي هلا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام المساكين، ليجاوز به العقبة فيكون خيراً له من إنفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، والاستفهام الانكاري هنا على تركه للإنفاق بالخير، وإذا كان كذلك فيدل على مشروعيته وطلب الشارع له⁽¹⁾. الاستفهام الاستنكاري في هذا السياق معناه سؤال يُراد به اللوم والتوبيخ لا الاستفهام الحقيقي، أي أن الله سبحانه لا يسألهم ليستفهم، بل يُوبّخهم على تركهم فعل الخير، كأنه يقول: لماذا لم يقتحموا العقبة؟ أي: لماذا لم ينفقوا أموالهم في سبيل الخير وفك الرقاب وإطعام المساكين؟ فالمقصود من الاستفهام هنا الإنكار والتفريع على ترك الإنفاق في وجوه البر.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ «الأنبياء 52»

• الاستفهام التوبيخي:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُمْنَا آمِنِينَ﴾ «الشعراء 146»، الاستفهام للإنكار التوبيخي، أي لا تطنوا ولا ينبغي لكم أن تعتقدوا أنكم تتركون في الدنيا متقلبين في هذه النعم، التي أعطاكم الله، آمين من الموت أو العذاب، باقين في الدنيا.⁽²⁾

• التعريض للاستدراج:

"الكناية ونوع من التعريض يسمى بالاستدراج وهو: إرخاء العنان مع الخصم في المجازاة ليعثر حيث يريد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه السلام مع القوم هذا المنهج، فقوله: "إني سقيم"، إيهام منه أنه استدل بأماره علم النجوم على أنه سقيم ليتركوه فيفعل بالأصنام ما

(1) جامع الدروس العربية، مصطفى الغيالي، ج2، ص182.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي ت ١٣٠٧هـ، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج9، ص406.

أراد أن يفعل، أو سقيم لما أجد من الغيظ والحنق باتخاذكم النجوم آلهة⁽¹⁾.

التعجيز:

في قوله تعالى: "فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ"، "والعلاقة فيه المضادة، إذ لا يكون التعجيز إلا في الممتنع"⁽²⁾.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ «القصص 75».

• التمثيل:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ «الأنبياء 104»، ويهدف كل هذا إلى تبسيط المعاني المجردة للسامع، توضيحها، إزالة الغموض عنها، وتأثير المستمع بطريقة بلاغية دقيقة.

رابعا: نموذج من تفسير الشيخ والفوائد المستنبطة منه.

- تفسير الشيخ الطاهر آيت علجت⁽³⁾:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَمَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 102]

حسيسها: أي حسيس جهنم الحسيس على وزن فاعيل بمعنى مفعول وهو الصوت

(1) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكشاف عن حقائق السنن، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ٧٤٣ هـ، المحقق: د. عبد الحميد هندواي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. ج 11، ص 3604.

(2) الإيهاج في شرح المنهاج شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للفاضل البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ، المؤلف: شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٥٦ هـ وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١ هـ، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري، أصل التحقيق: رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. ج 4، ص 1026.

(3) رسالة ماجستير جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية، عنوان المذكرة: "جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجا"، للطالبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي محمد، السنة الدراسية 2021م - 2022م.

الخفي وهذا من تمام نعمة عليهم والجملة هي: إما من باب الخبر بعد خبر أو أنها جملة منصوب على الحالية وصاحبها هو الضمير المستتر في سبقت، هو: معطوف على ما قبله من عطف العام على الخاص اعتبار ان المشتبه من عدم استماع الحسييس، اما إذا كان الاشتباه مراداً به ما يتناوله من طعام الجنة ومشاربه ومناكحه فهو من باب عطف الخاص على العام، هم: مبتدأ، في: حرف جر. ما: اسم وصول في محل جر، اشتهت أنفسهم: صلة ما والجار والمجرور متعلق بما بعده. خالدون: خبر والتعير بالجملة الإسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار.⁽¹⁾

الفوائد التفسيرية المستنبطة⁽²⁾:

- استخدام الأسلوب التصويري الصوتي في "حسييسها".
 - توظيف الجملة الاسمية للإيجاز والتأكيد على الثبوت.
 - المقابلة والتوازي بين النفي والاستحقاق لإبراز الفرق بين العذاب والنعيم.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: 98]
- هذا الكلام مستأنف للرد على قوله هو مقول لقول المحذوف أي يقال لهم ذلك.

إنكم: حرف نصب والكاف اسمها، الواو: عاطفة أو المعية، ما تعبدون: اسم موصول وصلة في محل نصب معطوف على اسم ان أو انه مفعول معه والتقدير: "انكم ومعبداتكم" والعائد محذوف.. من دون الله: جار ومجرور في محل نصب حال من ما، حصب: خبر إن مضاف، جهنم: مضاف إليه، أنتم لها واردون: جملة إسمية في محل جر نعت لجهنم، أنتم: مبتدأ لها متعلق ب "واردون"، واردون: خبر، أصل في الورد أن يكون في المجيء الى الماء واستعمله هنا على جاءت الاستعارة للتهكم.⁽³⁾

(1) المصدر السابق ص172.

(2) هذه الفوائد خارجة عن تفسير الشيخ.

(3) جهود الطاهر ايت علجت في التفسير، سورة الأنبياء أنموذجا، مشرف عقيلة، المشرف: ساردي محمد، رسالة

ماتسر، 2022، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية ص172.

الفوائد البيانية المستنبطة:⁽¹⁾

- الأسلوب التوكيدي والاستشهادي بـ "إنكم".
- التشبيه والاستعارة في "حصب جهنم" و "واردون" لتقوية المعنى وتحقيق الصدمة النفسية.
- العطف والمقابلة بين الفعل والنتيجة لتأكيد الجزاء.

قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ آحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ «الأنبياء»
112»

الجملة استئنافية، ولما كانت السورة قد ذكرت لكل نبي دعاء، ختمت هذه السورة بأن طلب نبينا عليه الصلاة والسلام بالدعاء على أهل مكة، الذين اضطهدوا الصحابة رضوان الله عليهم وإذاقوهم سوء العذاب، بأن يحكم الله تبارك وتعالى حكما قدريا يمكن من خلاله للمسلمين ويظهرهم على أعدائهم من الكافرين بحيث أنهم ينالون جزاؤهم بلا ظلم ولا تجاوز ولقد أجابه إلى ذلك وحقق له مطلوبه⁽²⁾.

رب: منادى بحرف نداء محذوف والمضاف إليه المحذوف.

احكم: فعل الدعاء.

بالحق: جار ومجرور نعت لمفعول مطلق محذوف تقديره: "احكم حكما كائنا بالحق"، أو هو حال من المنادى تقديره: "احكم حال كونك فاعلا ذلك بالحق"، وفي الأمر بالدعاء إشارة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه سينصرهم الله على أعدائهم كما فعل الله تعالى بمن سبقهم من الأنبياء وأتباعهم، والكلام يتضمن الدعوة إلى التأيي بهم وفيه تسلية لهم. وفي عبارة في الحق دفع لتوهم الكافرين من كون الله تعالى لما قال: "لا يسأل عما يفعل

(1) هذا ليس من تفسير الشيخ وإنما ما استنبطناه من تفسيره من مفاهيم وصور بلاغية.

(2) "جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجا"، رسالة ماستر جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية، للطالبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي محمد، السنة الدراسية 2021م-2022م، ص 187، 188.

وهم يسألون"، ظالما لخلقه، بل كل أحكامه لا تخرج عن العدل والفضل، فما كان من عقاب من ثواب فعن فضل، وفي رواية قال "رب احكم بالحق بالأخبار" وهي قراءة حفص أما الأولى فهي قراءة الجمهور⁽¹⁾.

خاتمة:

يتضح من البحث أن الشيخ طاهر آيت علجت شكّل إحدى الشخصيات البارزة في الحركة التفسيرية الجزائرية المعاصرة، إذ أسهم بشكل ملحوظ في خدمة القرآن الكريم من خلال مجالسه التفسيرية التي جمعت بين الاعتماد على المأثور وإتقان أدوات اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، بما أتاح له إبراز دقة التعبير القرآني وجمالياته. وتمثل قيمة الشيخ ليس فقط في عمق علمه ومهارته اللغوية، بل في قدرته على نقل المعاني القرآنية لطلابه بأسلوب رصين يجمع بين البيان والإقناع، ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية دراسة تجربته العلمية، لما توفره من إضاءة جديدة على تراث التفسير في الجزائر، وتعكس الحاجة إلى إعادة الاعتبار لمثل هذه التجارب التي تمزج بين أصالة المأثور وعمق التحليل اللغوي، بما يسهم في إثراء الدراسات القرآنية المعاصرة وفهم النص القرآني قراءة دقيقة ومتعمقة.

نتائج البحث:

من أهم النتائج التي نستخلصها من هذا البحث ما يلي:

1. يتضح أن الشيخ طاهر آيت علجت لم يترك تفسيرًا متكاملًا خاصًا به، إذ جاءت جهوده التفسيرية في شكل مجالس متفرقة، اعتمد خلالها على التفسير السابقة، لا سيما تفسيري الصابوني والطاهر بن عاشور، مع توظيفه لملكته اللغوية في الشرح والتعقيب، ما أضفى على المادة العلمية بعدًا شخصيًا ومتميزًا.
2. أظهرت الدراسة اهتمامه البالغ بالإعراب والنحو والصرف، إلى جانب البلاغة، ما أكسب تفسيره طابعًا لغويًا بارزًا يميّزه عن غيره من المفسرين، ويبرز حرصه على الجمع بين الدقة اللغوية وعمق المعنى القرآني.

(1) المصدر السابق.

3. تُعدّ جهوده في مجال التفسير إضافة معتبرة للتراث التفسيري الجزائري، إذ لم تقتصر على النقل عن المصادر التقليدية، بل تميزت بإضفاء لمسة شخصية تعكس عمق تكوينه العلمي ورؤيته المنهجية الخاصة، ما يعزز قيمتها العلمية والتربوية.
4. يظهر من سيرته أنّه حمل رصيّدًا علميًا زاحراً تلقّاه عن كبار علمائه في جامع الزيتونة والزوايا العلمية الجزائرية، ونقله إلى تلامذته بأسلوب تعليمي متقن وروح معلم معطاء، ما جعله قدوة للأجيال وركيزة من ركائز المعرفة في الجزائر.
5. تُبرز رحلته العلمية مسارًا متكاملًا بدأ من بيئته المحلية بتلقي العلم على يد والده ومشايخ قريته، ثم تعمّق في دراسته بجامع الزيتونة في تونس، ليعود إلى وطنه مشاركا في النضال ضد الاستعمار الفرنسي، جامعًا بين العلم والجهاد، ما يعكس التزامه الوطني ودمجه بين التكوين العلمي والخدمة المجتمعية.
6. تُستخلص من هذه الدراسة أيضًا أهمية دور الشيخ في إرساء نموذج جامع بين الالتزام الديني، والتفوق العلمي، والممارسة الوطنية والاجتماعية، وهو نموذج يُعتبر مرجعًا قيمًا لدراسة العلاقة بين العلماء والمجتمع في الجزائر المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المؤلف: عبد المتعال الصعيدي ت ١٣٩١ هـ، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
- 3- رحلة قرن من عمر العلامة الشيخ محمّد الطاهر آيت علجت، تقديم الأستاذ: محمّد الصالح الصديق بقلم: نجله محمّد الصالح آيت علجت، الناشر: أبجديات، 2016م.
- 4- رسالة ماستر جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة كلية العلوم الإسلامية، عنوان المذكرة: "جهود الشيخ الطاهر آيت علجت في التفسير سورة الأنبياء أنموذجاً"، للطالبة: مشرف عقيلة، إشراف: ساردي محمد، السنة الدراسية 2021م- 2022م.
- 5- اللبّ المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري على مؤلفه عبد الرحمان دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- 6- فتح الباقي على منظومة المراقي محمد بن محمد بن المصطفى اليعقوبي.
- 7- تحقيق الفوائد الغياثية، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى ت ٧٨٦ هـ، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيلان العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- 8- التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع 1426 هـ.
- 9- جامع الدروس العربية، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم الغلايينى ت ١٣٦٤ هـ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- 10- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م [١٤٠٤ هـ].
- 11- دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض الطبعة السادسة عشر 1430/2009 هـ.
- 12- الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للثئون الإسلامية، مصر، عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- 13- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد. تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة.
- 14- خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي ت ٨٣٧ هـ، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤ م.
- 15- علم البيان، المؤلف: عبد العزيز عتيق ت ١٣٩٦ هـ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م.
- 16- الرحلة العلمية.
- 17- البيان والبدیع، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

18-فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ت ١٣٠٧ هـ، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

19-جامع الدروس العربية، مصطفى الغيالي.

20-الإبهاج في شرح المنهاج شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاظمي البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ، المؤلف: شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٥٦ هـ وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١ هـ، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغييري، أصل التحقيق: رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

21-شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـالكاشف عن حقائق السنن، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ٧٤٣ هـ، المحقق: د. عبد الحميد هندراوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

22-مباحث في التفسير الموضوعي، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

م.

الإسرائيليات في تفسير ابن عطية وعبد الرحمن الثعالبي -دراسة مقارنة-

The Israelites in the interpretations of Ibn Atiyah and Al-Tha'alabi

-Comparative study-

أ.د. حاج بنيرد

جامعة مولود معمري- تيزي وزو

- الملخص: لقد حفلت أغلب كتب التفسير بمادّة ضخمة من المرويّات والأخبار عن السّابقين من الأمم؛ من كتبهم وصحائفهم وأسفارهم؛ وعُرفت تغليبا بالإسرائيليات، استعملها المفسّرون استئناسا، واستشهادا، وعرضا لملكهم وسعة اطلاعهم، ويلاحظ أنّ تلك الإسرائيليات تتكرّر في كثير من التّفسير لفظا وموضعا، منها تفسير الجواهر الحسان لعبد الرّحمن الثّعالبيّ 875هـ، فقد أخذ معظم نصوصه ومنها الإسرائيليات من تفسير المحرّر الوجيز لابن عطية الأندلسي 542هـ مع باقي المادّة التي لخصّها منه، فحذف معظمها وأبقى على أقلّها، يحاول هذا البحث عرض ذلك بالتّتبّع والاستقراء والمقارنة والتّعليق، واستكناه منهج ابن عطية والثّعالبيّ في التّعامل مع الإسرائيليات، من خلال عرض بعض منها، ومواضع توظيفها؛ اقتصاراً على سورتي الفاتحة والبقرة، مع بيان منهج ابن عطية في إيراده لها وتعليقه عليها، ثمّ بيان موقف الثّعالبيّ من نقول ابن عطية؛ فهو يحذفها أحيانا، ويورد بعضها اختصارا أو اقتصارا؛ ثمّ يسكت عليها أحيانا رضى برأي ابن عطية؛ أو يُعلّق عليها فيؤيّدّها أو ينفيها اعتمادا على كتب الحديث كالبخاريّ والثّرمذي، أو كتب السّيرة وخاصة كتاب الشّفا للقاضي عياض 544هـ.

- الكلمات المفتاحية: إسرائيليّات؛ تفسير ابن عطية، تفسير الثّعالبي، مقارنة.

- **Abstract:** Most of the books of Tafsir were filled with a huge amount of narrations and news about the former from the nations; from their books and stories; and they were mostly known for the Israeli stories, which the interpreters used as an appeal, citation and

presentation of their erudition, and it is noted that these Israelites are repeated in many interpretations verbally and locally, including the Tafsir al-Jawaher Al-Hissan by Abd al-Rahman Al-Tha'alabi d875 Ah, most of his texts, including the Israelites, were taken from the Tafsir Al-moharer Al-wajiz by ibn Attia, This research attempts to present this by tracing, extrapolating, comparing and commenting, while the methodology of Ibn Atiyah and Al-thaalabi explored it in Dealing with the Israelites, by presenting some of them, and their employment positions; limited to the Fatiha and the cow surahs, with an indication of Ibn Atiyah's approach in his mentioning and commenting on them, and then a statement of Al-Tha'alabi's position on Ibn Atiyah's sayings; he sometimes deletes them, and lists some of them briefly or sparingly; then he sometimes silences them with satisfaction with Ibn Atiyah's opinion; or comments on them and endorses or denies them depending on the books of Hadith such as al-Bukhari and al-Tirmidhi, or books of biography, especially book of achifa by al-quadi iyadh t544h.

– **Keywords:** Israelites; interpretation of Ibn Atiyah, interpretation of Al-Tha'alabi, comparison.

– المقدمة:

يندرج تفسير ابن عطية وتفسير الثعالبي ضمن منهج التفسير بالمأثور، وتلك هي السمة الغالبة على تفاسير الأندلسيين والمغاربة، حيث يورد ابن عطية الآية ويفسرها تفسيراً بسيطاً بعبارة سهلة، يغلب التفسير بالمأثور، فيكثر إدراج الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، وينقل عن ابن جرير الطبري بتصرف، فيحذف بعض أقوال السلف، ويكثر من الاستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية في بعض المواضع، لغةً ونحواً وبلاغةً، ويورد القراءات المختلفة ويفسر بعضها⁽¹⁾. وهو في ذلك كله تابع لما شاع من منهج المدرسة الأندلسية في التفسير، والتي يغلب عليها التفسير بالمأثور، واصطبغت بصبغتهم ومناهجهم ومذهبهم الفقهي المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني على مذهب الإمام الجنيد،

(1) - الزّومي، فهد بن عبد الرحمن، منهج المدرسة الأندلسية في التفسير صفاته وخصائصه، مكتبة التوبة، الرياض،

ط1، 1997م، ص12، 13.

وغلب عليها الاختصار والاقتصار أثناء الاحتجاج بالأحاديث والآثار، باختصار الأسانيد والاقتصار على موضع الشاهد فيها، وربما أوردوها بالمعنى دون اللفظ، ومنها الأحاديث الضعيفة والآثار والأخبار مع التعليق عليها أحيانا تضعيفا وتحسينا وتصحيحا وتوقفا فيها، ويدخل ضمن هذا الاستئناس بالإسرائيليات، فيذكرون ما وافق الكتاب والسنة غالبا، ويضعفون ما خالفهما، يقول أبو بكر ابن العربي: "... ما وافق - يقصد الإسرائيليات - ظاهر القرآن فهو صحيح، وما خالفه فهو باطل، وما لم يرد له فيه ذكر فهو محتمل، ربك أعلم به"⁽¹⁾، ولا تخلو من الردود على المخالفين كالرافضة والمعتزلة والكرامية ونحوهم مما يعدّ خصوصا لمذهب أهل الغرب الإسلامي عموما، وكثر الاستشهاد فيها بأهل اللغة والقراءات لتوجيه هذا المعنى أو ذاك⁽²⁾.

وقد تميّز منهج المفسرين في الغرب الإسلامي بتوحيّ سهولة الأسلوب لغلبة العجمة على أهله، ورسم المنهج في مقدّمة التفسير وبيان القواعد والخطوات التي سيتبعها المفسر أثناء تفسيره، "وتكاد هذه الطريقة أن تكون خاصّة بمفسري الأندلس ولم يسلكها إلّا القليل من المفسرين في المشرق"⁽³⁾، كما تميّزت بكثرة النقول، فينقل مثلا القرطبي كثيرا عن ابن عطية وابن العربي، ونقل أبو حيّان عنهما وعن القرطبي، ونقل ابن جزي عن ابن عطية، وقد اتّبعه عبد الرحمن الثعالبي في منهجه؛ فاختصره ثمّ أضاف إليه من كتب التفسير وعلم الكلام والفقه والرقائق وعلوم العربيّة؛ واستأنس كثيرا بكتب الحديث لتقوية ما في كلام ابن عطية من صواب، أو لردّ بعض المقولات التي لم يرضها الثعالبي، كمقولات المعتزلة وغيرهم، وأيضا في ردّ الإسرائيليات بما صحّ من الأحاديث النبويّة الشريفة.

- الإشكالية: وعليه ما حدود استشهاد ابن عطية بالإسرائيليات؟ وما موقفه منها؟ وما منهجه في قبولها وردّها؟ ثمّ ما مدى اعتماد الثعالبي على تفسير ابن عطية في نقل الإسرائيليات؟ وما مدى اعتراضه عليه فيها؟

(1) - أبو بكر، ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط2، 1387هـ، ج3 ص1254.

(2) - انظر: الرومي، منهج المدرسة الأندلسيّة في التفسير صفاته وخصائصه، ص19 وما بعده.

(3) - الرومي، منهج المدرسة الأندلسيّة في التفسير صفاته وخصائصه، ص64.

- **الفرضية:** افترضنا أن ابن عطية لا يُكثر من إيراد الإسرائيليات إلا على سبيل الاستئناس أو النقد بما في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ اعتمادا على أنه مذهب أهل السنة عموما ومذهب المغاربة والأندلسيين خصوصا، وافترضنا أيضا أنه موقف عبد الرحمن الثعالبي أيضا، بالنظر إلى اعتماده على ابن عطية في التفسير، وتفسير ابن عطية هو نواة تفسير الثعالبي وعمدته، وهذا ما جعلنا نعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة.

- **المنهج المعتمد:** قد اعتمدتُ في ذلك أساسا على المنهج الوصفي المقارن، بتتبع نصوص الإسرائيليات في تفسير سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير ابن عطية، ومقارنتها بما في تفسير الثعالبي من تلك النصوص حذفاً وإيجازاً واختصاراً واعتراضاً.

- **خطة البحث:** قد وزعتُ هذا البحث على مقدمة، ومدخل في بيان معنى الإسرائيليات، ثم قسّمت نصوص تفسيري ابن عطية والثعالبي على ثلاثة أجزاء: أولها في النصوص التي تعرّضت لشرح بعض المفردات؛ كلفظة "إسرائيل" و"إبراهيم" ونحوها، وثانيها في عرض القصص التي استشهدت بالإسرائيليات، ثم في تفسير الآيات الأخرى التي لا صلة لها بما تقدّم، وفي كلّ عنصر منها أُورد آراء ابن عطية وتعقيب الثعالبي على نصوص ابن عطية.

- **أولاً: مفهوم الإسرائيليات:** "الإسرائيليات" جمع إسرائيلية؛ نسبة إلى إسرائيل أو بني إسرائيل، وإسرائيل هو لقب لنبيّ الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام-⁽¹⁾؛ ويُقصد بالإسرائيليات القصة أو الحادثة تُروى عن مصدر إسرائيلي⁽²⁾، ويُقصد بها أيضا الأخبار التي جاءت في صحف العهدين القديم والجديد، وكلّ ما جاء في صحف أنبياء بني إسرائيل وأسفارهم وأخبارهم وقصصهم، وشروح تلك النصوص من علماء اليهود وحاخاماتهم ورهبان النصارى وقساوستهم، "وهذه كلّها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير والتاريخ والمواعظ"⁽³⁾، وقد عرّفها المستشرق الهولندي فان

(1) - نعناعة، رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق، ط1، 1970م، ص71-75.

(2) - الذّهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م، ص13.

(3) - أبو شهبه، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، القاهرة، ط4،

فلوتن ت1903م بأنها تُطلق على جميع العقائد غير الإسلامية عند المسلمين، ولا سيّما تلك العقائد والأساطير التي دسّها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأوّل الهجري⁽¹⁾. وقد دخلت الإسرائيليّات كتب التّفسير خاصّة عن طريق النّقل عن أهل الكتاب الذين أسلموا ككعب الأحبار ت32هـ، وتميم الدّاري ت40هـ، وعبد الله بن سلام ت43هـ، ووهب بن منبّه ت110هـ وأمثالهم، ولم تكن تلك المرويات عادة تتعلّق بأصول الدين، وإنّما كانت تتعلّق بالقصص وأخبار السّابقين، والملاحم والفتن، وبدء الخلق، وأسرار الكون، وأحوال يوم القيامة⁽²⁾، وكانوا المفسّرون يستأنسون بها ويستسهلون روايتها؛ ومنهجهم في ذلك الحديث النبوي الشريف: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" -رواه البخاري-، وفي الحديث الآخر: "إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم"، ولذلك تُذكر تلك الأخبار استشهاداً لا اعتقاداً. ولا تكاد تخلو تفاسير المتقدّمين من إدراج الإسرائيليّات في كتبهم؛ ومن أشهرهم أبو إسحاق الثعلبي ت427هـ، وكانت قد دخلت المرويات الإسرائيليّة في تفسير القرآن الكريم في وقت مبكر زمن الصحابة والتّابعين؛ ممّن أسلموا من أهل الكتاب أو ممّن درسوا صحائفهم أو اتّصلوا بعلمائهم⁽³⁾.

ويمكن تقسيم الإسرائيليّات من حيث الاحتجاج بها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوّل منها ما علّمت صحّتها بما يؤيدها من نصوص القرآن والسّنة فيذكر استئناساً واستشهاداً، والقسم الثّاني منها ما علّمت ضعفها وكذبها بما يخالفها من نصوص القرآن والسّنة؛ كقصص الأنبياء التي فيها انتقاص لهم وافتراء عليهم، والقسم الثّالث ما هو مسكوت عنه فلا يوجد ما يؤيده أو ما يخالفه؛ فلا يُصدّق ولا يُكذّب⁽⁴⁾.

(1) - يوسف، محمّد عطا أحمد، المسكوت عنه من الإسرائيليّات بين القبول والرفض، منشورات حوليّة الجامعة

الإسلاميّة العالميّة، غرّة، فلسطين، 1999م، ص5.

(2) - الدّهبي، محمّد حسين، الإسرائيليّات في التّفسير والحديث، ص91.

(3) - انظر: حمدان، علي، الإسرائيليّات في كتب التّفسير تاريخها ونماذجها، مجلّة "De Jure: Jurnal Hukum dan

"Syariah"، كلية الشريعة، أندونيسيا، مج7 ع2، ديسمبر 2015م، ص152.

(4) - المرجع نفسه، ص106-108، والدّهبي، الإسرائيليّات في التّفسير والحديث، ص35-38.

- ثانيا: الإسرائيليات مصدرا لتفسير ابن عطية: يذكر ابن عطية الإسرائيليات في بعض المواضع؛

- 1: في أسماء الأعلام: يشرح ابن عطية بعض الأسماء الأعجمية كأسماء الأنبياء بما ورد في الإسرائيليات؛ من ذلك:

- في كلمة "إسرائيل" يأتي بوجوه نطقها: إسرائيل، إسرائيل، إسرائيل، إسرائيل، ويشرح معناها بالعبرانية: "إسرا" هو بالعبرانية عبد، و"إيل" اسم الله تعالى، فمعناه: عبد الله، وعنه نقلها الثعالبي⁽¹⁾، وقد استعان ابن عطية في بيانها بما حكاه أبو العباس المهدوي 440هـ⁽²⁾ "أنّ" "إسرا" مأخوذ من الشدة في الأسر كأنه الذي شدّ الله أسره وقوى خلقته"⁽³⁾.

- وفي تسمية "موسى" - عليه السلام - قال: "والقبط على ما يروى يقولون للماء "مو" وللشجر "سا"، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سمي "موسى"⁽⁴⁾.

- وفي كلمة "إبراهيم" - عليه السلام - قيل معناها بالعربية أب رحيم⁽⁵⁾، وفي تفسير

(1) - الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عليّ محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997م، ج1 ص225.

(2) - المهدوي هو أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي الأندلسي؛ مفسر مقرئ نحوي، ولد بالمهدية، وأخذ عن أبي الحسن القابسي وغيره بالقيروان، ورحل إلى المشرق، ثم دخل الأندلس سنة 430هـ، وأخذ عنه جماعة منهم، توفي بها سنة 440هـ، له: تفسير التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، وهو من مصادر تفسير القرطبي، واختصره، وله كتاب في علل القراءات وغيرها. انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ص30، طبقات المفسرين، الداودي، ج1 ص56، 57، تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج4 ص397-400.

(3) - ابن عطية المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج1 ص133. والمهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد زياد وفرح نصري، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط1، 2014م، ص182. وعبارته فيه: "كانّ" "إسرا" بمعنى عبد، و"إيل" اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وقيل: "إسرا" من الشدّ، فكانّ "إسرائيل" الذي شدّه الله، وأتقن خلقه".

(4) - ابن عطية المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص142.

(5) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص205، وتفسير الثعالبي، ج1 ص313.

الكرماني ت531هـ: "قل معناه: أب رحيم، وقيل: من البرّهمة، وهي شدة النظر، و"إسحاق" قيل معناه: الضّاحك"⁽¹⁾، ونقلها عنه السيوطي ت911هـ في الإتقان⁽²⁾ من عجائب الكرماني⁽³⁾.

- وفي كلمة "إسماعيل" قال الماوردي ت450هـ: "أصله: اسمع يا إيل"⁽⁴⁾، وأصل عبارة الماوردي: "وتفسير إسماعيل: اسمع يا الله، لأنّ "إيل" بالسريانية هو الله، لأنّ إبراهيم لما دعا ربّه قال: اسمع يا إيل، فلمّا أجابه ورزقه بما دعا من الولد سمّي بما دعا"⁽⁵⁾.

- ومنها كلمة "إبليس" ذكروا الخلاف في أصل إبليس؛ قيل إنّهُ أبو الجنّ، واسمه الحارث، وقيل كان خازنا وملكا على السّماء الدّنيا والأرض، واسمه عزازيل، ومنها ما ذكره عن شهر بن حوشب ت112هـ أنّ إبليس -لعنه الله- "كان من الجنّ الذين كانوا في الأرض وقتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا، وتعبد مع الملائكة وخُوطب معها"⁽⁶⁾، وهي روايات نقلها الثّعالبي من تفسير ابن عطية. وفي تفسير ابن عطية يذكر الشّجرة الّتي أكل منها؛ فقالوا شجرة التّين وشجرة الكرّم، وشجرة العلم، وشجرة الخلد⁽⁷⁾، وغيرها ممّا يغلب على الظّنّ أنّها من الإسرائيليات.

- اعتراض ابن عطية: اعترض ابن عطية على الرّواية السّابقة بأنّه لا يعضدها خبر

(1) - الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، لباب التّفاسير، تحقيق: ناصر بن سليمان العمر وآخرون، أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدّين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرّياض، 1404هـ، ص315.

(2) - السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج4 ص69.

(3) - الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، غرائب التّفسير وعجائب التّأويل، تحقيق: شمران سرّكال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جدّة، ومؤسّسة علوم القرآن، بيروت، 1983م، ج1 ص174.

(4) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص210.

(5) - الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد البصريّ البغداديّ، النّكت والعيون تفسير الماورديّ، تحقيق: السيّد عبد المقصود عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ج1 ص190.

(6) - الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان، ج1 ص215، 216، وتفسير ابن عطية، ج1 ص124.

(7) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص127، 128.

بعدما ذكر مزاعم اليهود بأنّها شجرة الحنظلة فقد كانت حلوة وبعدها صارت مرّة، وقيل الكرم، والتّين، والسنبلة، وذكر عن ابن عبّاس أنّها شجرة العلم وضعّفه ابن عطية، بينما تجاوز الثّعالبي ذلك واكتفى بتلخيص العبارة، ولا يخفى أنّها من الإسرائيليات. ويُفهم من اعتراض ابن عطية على أخبار اليهود أو الإسرائيليات أنّه يقف في تصديقها أو تكذيبها إلّا بوجود ما يؤيّدنها من القرآن الكريم أو الآثار الصّحيحة.

2- في القصص: يستأنس ابن عطية في تفسير قصص الأنبياء في القرآن بما ورد منها في الإسرائيليات؛ من ذلك:

- قصّة بداية الخلق: في قوله تعالى في سورة البقرة: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: 30]، نقل عن ابن عبّاس أنّه قال: "كان إبليس -لعنه الله- قد أُعجب ودخله الكبر لما جعله الله خازن السّماء الدّنيا وشرفه"، وقيل: بل لما بعثه الله إلى قتل الجنّ الذين كانوا أفسدوا في الأرض فهزمهم وقتلهم بجنده -قاله ابن عبّاس أيضا-، واعتقد أنّ ذلك لمزية له واستحقب⁽¹⁾ الكفر والمعصية في جانب آدم -عليه السّلام-، قال: فلمّا قالت الملائكة وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: 30]؛ وهي لا تعلم أنّ في نفس إبليس خلاف ذلك، قال الله لهم: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ يعني ما في نفس إبليس"⁽²⁾.

- تعقيب الثّعالبي: ذكر الثّعالبي القصّة نقلا عن ابن عطية: "قال ابن عبّاس: كانت الجنّ قبل بني آدم في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدّماء، فبعث الله إليهم قبيلة من الملائكة قتلهم، وألحق فلّهم بجزائر البحار، ورؤوس الجبال، وجعل آدم وذريّته خليفة"⁽³⁾، وهذه العبارة نقلها أيضا الإمام ابن عرفة ت803هـ في تفسيره عن تفسير ابن عطية، وأورد عليها فوائد

(1) - استحقب الشّيء أدخره، واستحقب له بحقّه سلّم له به، واحتقبه على ناقته أردفه خلفه على حقيبة الرّجل، واحتقب فلان الإثم جمعه، ومن المجاز احتقبه واستحقبه أي احتمله. انظر: تاج العروس، ج2 ص800، 801، ومعجم متن اللغة، ج2 ص430، وتكملة المعاجم العربيّة، ج3 ص251.

(2) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص119.

(3) - الثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص205.

واعتراضات؛ كاستفادته من كون الجنّ أجساما كبني آدم⁽¹⁾.

وقد أطلّ الثَّعالبي في هذا الموضوع في تأويل قوله تعالى: أَتَجْعَلُ فِيهَا وَأَنْ الاستفهام ليس بغرض الإنكار بل استخبار واسترشاد واستعلام، ونقل عن التَّرمذي ت279هـ قوله في وجوب الاعتقاد بعصمة الملائكة، "فلا يقع منهم ما يوجب نقصانا في رتبتهم وشريف منزلتهم -صلوات الله وسلامه على جميعهم-"⁽²⁾، وأعاد تأكيد ذلك وعلّق على وجوه تأويلها؛ والثَّعالبي في كلّ هذا يدافع عن عقيدته في التَّنزيه؛ فالاستفهام يوهّم الإنكار في هذا الموضوع، وفيه سوء أدب في حقّه تعالى، لذلك يجب توجيه التفسير إلى غرض الاستخبار والاستعلام، والثَّعالبي يستعين في بيان ذلك وترجيحه بالأحاديث النبويّة والآثار؛ من ذلك:

- ومن ذلك أنّه روى عن بعض الصّحابة أنّ معنى الآية: إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في أنّ الخليفة يُفسد ويسفك؛ بقوله: "وفي النفس من هذا القول شيء، والملائكة معصومون منزّهون كما تقدّم، والصّواب ما تقدّم من التفسير عند قوله تعالى: أَتَجْعَلُ فِيهَا... الآية"⁽³⁾.
- ونجده في موضع آخر يكرّر الدّفاع عن آدم -عليه السّلام- وإخراجه من الجنّة، بعد نقله لكلام ابن عطية بأنّ آدم أخرج "من نعمة الجنّة إلى شقاء الدّنيا، وقيل: من رفعة المنزلة إلى سفل مكانة الذّنّب"⁽⁴⁾، والعبارة نقلها أبو حيّان الأندلسي ت745هـ في البحر المحيط⁽⁵⁾. وتعقّب الثَّعالبي ابن عطية بقوله: "وفي هذا القول ما فيه، بل الصّواب ما أشار إليه صاحب التّنوير بأنّ إخراج آدم لم يكن إهانة له، بل لما سبق في علمه سبحانه من إكرام آدم وجعله في الأرض خليفة، هو وأخيار ذريّته..."⁽⁶⁾.

(1) - ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الوردغي التونسي المالكي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م، ج1 ص236.

(2) - الثَّعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص206.

(3) - الثَّعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص210.

(4) - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص129.

(5) - أبو حيّان الأندلسي، أثر الدين محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج1 ص262.

(6) - الثَّعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص221.

ومع كثرة تعقّب الثّعالي لقصة بداية الخلق في هذا الموضوع، إلّا أنّه نقل ما ذكره ابن عطية من كلام إسماعيل السديّ ت128هـ في دخول إبليس إلى الجنة وإغواء آدم بدخوله في فم الحية، ولم يتعقّب ذلك.

ويُستفاد أنّ الثّعاليّ قد اعتمد على مرجّح أساسيّ في توجيه المعنى وردّ ما يعارضها من الإسرائيليات؛ وهذا المرجّح هو عقيدة التّزيه تنزيه الله عن صفات النّقص والتّشبيه والتّعطيل، وتنزيه أوليائه من الأنبياء عمّا ينتقص قدرهم من الآثار والأخبار.

- وأيضا في قصة نزول آدم -عليه السّلام- على جبل من جبال سرنديب الهند، وأنّ حوّاء نزلت بجدة، وأنّ الحية نزلت بأصفهان، وقيل بميسان العراق، وأنّ إبليس نزل بالأبلّة قرب البصرة، وقد ذكرها دون تعقيب أيضا نقلا من تفسير ابن عطية، ولا يخفى ما فيها من بعد أسطوريّ، وأصل القصة ذكرها ابن جرير الطّبري ت310هـ في تفسيره، وأسندها إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- وأهل التّوراة، في قصة تكليم الشّيطان آدم وحوّاء في الجنة وخروجهما من الجنة⁽¹⁾، وذكر نزول آدم إلى أرض الهند في قصة بناء الكعبة⁽²⁾.

وذكر الطّبري روايات عديدة في قصة خروج آدم من الجنة، وعلّق عليها بقوله: "وأولى ذلك بالحقّ عندنا ما كان لكتاب الله موافقا"، بينما توسّع الثّعالي في إيراد أقوال قصة الخطيئة ونزول آدم إلى جبل بسرنديب بالهند يقال له نودة أو واشم، وحوّاء بجدة، وإبليس بالأبلّة وقيل بميسان، والحية بأصفهان⁽³⁾، وهذه القصة اتّفق أهل التّفسير على ذكرها وتكرارها.

- قصة خروج بني إسرائيل: حكى ابن عطية عن ابن جرير الطّبري قصة خروج بني إسرائيل وقد أخذوا حلي القبط ومتاعهم، وكانت عدّتهم ستمائة ألف وعدّة فرعون ألف ألف

(1) - الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت، ج1 ص530-552.

(2) - المرجع نفسه، ج18 ص503.

(3) - الثّعاليّ، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثّعالي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م، ج1 ص183.

ومائتي ألف، وقال ابن عطية: "وحكي غير هذا ممّا اختصرته لقلّة ثبوته"⁽¹⁾، ونقل الثعالبي عنه هذه العبارة دون أن يعلّق عليها، وعامّتها ممّا نقله ابن عطية من تفسير الطبري. وقد ذكر الطبري عدّة روايات فيها دون أن يعلّق عليها؛ منها رواية عن قتادة: "كان مع موسى ستمائة ألف، وأتبعه فرعون على ألف ألف ومائة ألف حصان"⁽²⁾، ورواية قتادة جاءت في تفسير الصنعاني ت211هـ⁽³⁾، وفي رواية مجاهد في تفسيره أنّ عدد قوم موسى -عليه السّلام- "كانوا ستمائة ألف، وكان لا يُحصى عدد أصحاب فرعون"⁽⁴⁾.

- اعتراض ابن عطية: اقتصر ابن عطية على رواية واحدة في ذكر عدد بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، وأشار إلى اختصار ذلك؛ ممّا يُفيد أنّه يشكّك في عدد بني إسرائيل، ويستند في التّلميح إلى تضعيف ذلك لعدم ثبوته، وهو ما يوافق رأي الثعالبي ولذلك اعتمده ونقل عنه هذه العبارة.

- قصّة السّامريّ: في اتّخاذ بني إسرائيل للعجل واختلافهم في ظهوره وفي كونه من بني إسرائيل أو لا، وفي كيفية تعرّفه على جبريل عليه السّلام وقت عبور البحر؛ ف قيل إنّ أنكر هيئته فعلم أنّه ملك، وقيل إنّ ولد عام الدّبح فوضعت أمّه في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل يغذوه لذلك تعرّف عليه، فأخذ قبضة تراب من تحت حافر فرسه، ذكرها ابن عطية دون أن يعلّق عليها⁽⁵⁾، وتبعه الثعالبي في ذلك، والقصّة حكى نحوها ابن جرير الطبري ت310هـ في تفسيره⁽⁶⁾، وأبو الحسن الماوردي ت450هـ في تفسيره⁽⁷⁾، وأبو القاسم الكرمانى ت531هـ في

(1) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص141، والجواهر الحسان، ج1 ص235، 236.

(2) - الطبري، جامع البيان، ج1 ص657، 658.

(3) - الصنعاني، أبو بكر عبد الرزّاق بن همام بن نافع اليماني، تفسير عبد الرزّاق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1419هـ، ج1 ص270.

(4) - مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التّابعي القرشي، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السّلام أبو النّيل، دار الفكر الإسلامي الحديثّة، مصر، ط1، 1989م، ص510.

(5) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص143، 144، وتفسير الثعالبي، ج1 ص240-243.

(6) - الطبري، جامع البيان، ج1 ص669.

(7) - الماوردي، أبو الحسن عليّ بن محمّد البصري البغدادي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ج3 ص423.

تفسيره⁽¹⁾.

- وفي اختيار موسى سبعين رجلا من قومه يحكي ابن عطية عن النقاش أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه؛ "قالت له طائفة ممن لم يعبدوا العجل: نحن لم نكفر ونحن أصحابك ولكن أسمعنا كلام ربك، فأوحى الله إليه أن اختر منهم سبعين شيخا، فلم يجد إلا ستين، فأوحى الله إليه أن اختر من الشّباب عشرة، ففعل، فأصبحوا شيوخا، وكان قد اختار ستة من كلّ سبط فزادوا اثنين على السبعين، فتشاحوا فيمن يتأخر، فأوحى الله إليه أن من تأخر له مثل أجر من مضى، فتأخر يوشع بن نون وطالوت بن يوقنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد أن أمرهم أن يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث، واستخلف هارون على قومه، ومضى حتى أتى الجبل، فألقي عليهم الغمام .."⁽²⁾، ونقل الثعالبي عنه ذلك، والقصة حكى أبو إسحاق الثعلبي ت427هـ نحوها بروايات عديدة في تفسيره⁽³⁾.

- قصة أصحاب السبت: ومنها قصة أصحاب السبت؛ وذلك أن الله عزّ وجلّ أرشد موسى إلى يوم الجمعة وعزّفه فضله، وأمر موسى بني إسرائيل بالتشّرع فيه، ولكنّ بني إسرائيل أبوا وتعدّوه إلى يوم السبت، فامتنعهم بترك العمل والصّيد فيه⁽⁴⁾، وهو لفظ ابن عطية⁽⁵⁾، ولم يعلّق ابن عطية عليها. والقصة وردت في تفسير مقاتل بن سليمان ت150هـ، وتفسير الطبري من أثر ابن عباس -رضي الله عنهما-، وفي تفسير ابن كثير ت774هـ⁽⁶⁾.

(1) - الكرمانى، أبو القاسم محمود بن حمزة، لباب التّفايسر، رسالة دكتوراه، إعداد: إبراهيم بن محمّد بن حسن دومري، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدّين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1429هـ، ص448.

(2) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص146، 147، والثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص240.

(3) - الثّعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج4 ص291، وج12 ص544.

(4) - انظر: الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان، ج1 ص255.

(5) - انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص160.

(6) - مقاتل، مقاتل بن سليمان الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء الثّراث العربي، بيروت، ط1، 1423هـ، ج2 ص493، والطّبري، جامع البيان، ج2 ص61. ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل

وعليه نجد أنّ ابن عطية لا يعلّق على الأخبار والإسرائيليات تضعيفا أو تصديقا عندما لا يتبيّن له وجه، وإنّما يكتفي بإيراد القصّة دون تعليق، وعادة ما يوافقّه الثّعالي في ذلك فينقل عنه القصّة دون تعليق أيضا.

- قصة بقرة بني إسرائيل: ومنها قصّة البقرة على ما رُوي أنّ رجلا من بني إسرائيل أسنّ وكان له مال، فاستبطأ ابن أخيه موته، وقيل أخوه، وقيل ابنا عمّه، وقيل ورثة غير معيّنين، فقتله ليرثه، وألقاه في سبط آخر غير سبطه ليأخذ ديتة ويلطّخهم بدمه، وقيل كانت بنو إسرائيل في قريتين متجاورتين، فألقاه إلى باب إحدى القريتين، وهي التي لم يقتل فيها، ثمّ جعل يطلبه هو وسبطه حتّى وجده قتيلا، فتعلّق بالسّبط أو بسكّان المدينة التي وُجد القتل عندها، فأنكروا قتله، فوقع بين بني إسرائيل في ذلك لحاء، حتّى دخلوا في السّلاح، فقال أهل النّهي منهم: أنقتل ورسول الله معنا؟! فذهبوا إلى موسى عليه السّلام، فقصّوا عليه القصّة، وسألوه البيان، فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرة، فيضرب القتل ببعضها، فيحيى ويخبر بقاتله ..⁽¹⁾. والقصّة ذكرها أصحاب التّفاسير كالثّعالي وابن جرير ومن نقل عنهما.

- تعقيب الثّعالي: وقد أحرّ الثّعاليّ ذكر أصل هذه البقرة -واختصر ما جاء في تفسير ابن عطية⁽²⁾- عند تفسير قوله تعالى: صَفْرَاءَ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ؛ أنّ رجلا من بني إسرائيل ولد له ابن، وكانت له عجلة فأرسلها في غيضة، وقال: اللّهمّ إني قد استودعتك هذه العجلة لهذا الصّبيّ، ومات الرّجل، فلمّا كبر الصّبيّ قالت له أمّه: إنّ أباك كان قد استودع الله عجلة لك، فاذهب فخذها، فلمّا رأته البقرة جاءت إليه حتّى أخذ بقرنيها، وكانت مستوحشة، فجعل يقودها نحو أمّه، فلقيه بنو إسرائيل ووجدوا بقرته على الصّفة التي أمروا بها، فلمّا وُجدت البقرة ساموا صاحبها، فاشتطّ عليهم، فأتوا به موسى عليه السّلام وقالوا له: إنّ هذا اشتطّ علينا، فقال لهم موسى: أرضوه في ملكه، فاشتروها منه بوزنها مرّة -قاله عبدة السّلماني-، وقيل بوزنها مرّتين، وقيل بوزنها عشر مرّات، وقال مجاهد: كانت لرجل يبرّ أمّه،

بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد السّلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1999م، ج1 ص290.

(1) - ابن عطية، المحرّر الوجيز، ج1 ص161، والثّعالي، الجواهر الحسان، ج1 ص259، 260.

(2) - انظر: ابن عطية، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص164.

وأخذت منه بملء جلدها دنانير⁽¹⁾. وقد ذكرها دون تعليق عليها، ونظنَّ أنَّ الثَّعالبي إنَّما ذكرها لورودها في المأثور كتفسير الإمام البغوي ت510هـ⁽²⁾ على أنَّ ظاهر القصَّة من الإسرائيليات، ولما في القصَّة من كرامات للرجل الصَّالح وكرامة برِّ الوالدين؛ استحسَّن الثَّعالبي إيرادها واستخلاص العبر منها.

- قصَّة هاروت وماروت: يذكر ابن عطية الأقوال والروايات المختلفة في قصَّة هاروت وماروت، بينما اكتفى الثَّعالبي بقول واحد؛ فقال: "والَّذي تلتَه الشَّياطين قيل إنَّهم كانوا يُلقون إلى الكهنة الكلمة من الحقِّ معها المائة من الباطل حتَّى صار ذلك علمهم، فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيِّه، فلمَّا مات قالت الشَّياطين: إنَّ ذلك كان علم سليمان، -وهي رواية ذكرها الثَّعالبي-، وقيل بل كان الَّذي تلتَه الشَّياطين سحرا وتعلِّما فجمعه سليمان عليه السَّلام كما تقدَّم، وقيل إنَّ سليمان عليه السَّلام كان يُملي على كاتبه آصف بن برخيا علمه ويخترنه، فلمَّا مات أخرجته الجنَّ وكتبت بين كلِّ سطرين سطرا من سحر ثمَّ نسبت ذلك إلى سليمان، وقيل إنَّ آصف تواطأ مع الشَّياطين على أن يكتبوا سحرا وينسبوه إلى سليمان بعد موته، وقيل إنَّ الجنَّ كتبت ذلك بعد موت سليمان واختلقته ونسبته إليه، وقيل إنَّ الجنَّ والإنس حين زال ملك سليمان عنه اتَّخذ بعضهم السَّحر والكهانة علما، فلمَّا رجع سليمان إلى ملكه تتبَّع كتهم في الآفاق ودفنها، فلمَّا مات قال شيطان لبني إسرائيل: هل أدلكم على كنز سليمان الَّذي به سخَّرت له الجنَّ والريح، هو هذا السَّحر، فاستخرجته بنو إسرائيل وانبثَّ فهم، ونسبوا سليمان إلى السَّحر وكفروا في ذلك حتَّى برَّاه الله على لسان محمَّد -صلَّى الله عليه وسلَّم-. وروي أنَّ رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- لما ذكر سليمان في الأنبياء قال بعض اليهود: انظروا إلى محمَّد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلَّا ساحرا"⁽³⁾.

- وفي قصَّة هاروت وماروت ذكر ابن عطية أنَّهما ملكان نزل للحكم بين بني إسرائيل،

(1) - الثَّعالبي، عبد الرَّحمن، الجواهر الحسان، ج1 ص262، 263.

(2) - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمَّد البغوي الشَّافعي، معالم التَّنزيل في تفسير القرآن، تحقيق:

عبد الرزَّاق المهدي، دار إحياء التَّراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج1 ص128.

(3) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص185، 186. ثمَّ يذكر مسألة فقهية في حكم السَّحرة

وأقوال الأئمَّة فيها.

وافتننا بامرأة فاشتترطت أن يسكرا ويقتلا، فأخبرها بالاسم الذي يصعدان به إلى السماء، فصعدت ومسخت إلى كوكب الزهرة، وكان ابن عمر يلعبها، فعقّب ابن عطية على ذلك بقوله: وهذا كلّ ضعيف وبعيد على ابن عمر -رضي الله عنهما-⁽¹⁾.

- تعقيب الثعالبي على قصّة هاروت وماروت: وفي قصّة هاروت وماروت علّق الثعالبي بكلام القاضي عياض: "... وما رُوي عن عليّ وابن عباس -رضي الله عنهما- في خبرهما وابتلائهما، فاعلم -أكرمك الله- أنّ هذه الأخبار لم يُرو منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، وليس هو شيئا يؤخذ بقباس، والذي منه في القرآن اختلف المفسّرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءهم كما نصّ الله أوّل الآيات"⁽²⁾، وفي إيراد الثعالبي تعقيب القاضي عياض على قصّة هاروت وماروت تكذيب لها؛ لأنّ القاضي عياض ردّها وقال بأنّه لا يصحّ منها شيء، وهي من أخبار اليهود في كتبهم وافتراءهم على سليمان عليه السّلام وتكفيرهم إيّاه، وقد استشنعها القاضي عياض واستوضح إشكالاتها بالتفصيل، والقصّة ذكرها الواحدي في أسباب النّزول⁽³⁾.

- قصّة إحياء قوم من بني إسرائيل: والقصّة ذكرها القرآن في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ... الآية؛ قيل في قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت، فأماهم الله ثمّ أحياهم وأمرهم بالجهاد ثانية، وعلّق ابن عطية بأنّها قصص لينة الإسناد، والغرض التّنبية على أنّ الإمامة إنّما هي بإذن الله فلا معنى لخوف لخائف، وجعلها مقدّمة بين يدي أمره أمّة محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- بالجهاد في سبيل الله، وهذا قول الطّبري⁽⁴⁾. وتبعه الثعالبي كعادته في الاستئناس بتليين ابن عطية للأخبار والإسرائيليات، وذكر القرطبي في هذه القصّة عدّة روايات تُجمع على أنّهم

(1) - المرجع نفسه، ج1 ص187.

(2) - الثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص289. وأصل النّص في: القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السّبيتي، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمّان، ط2، 1407هـ، ج2 ص400.

(3) - الواحدي، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد النّيسابوري، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدّمام، ط2، 1992م، ص33.

(4) - الثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص483، 484، وتفسير ابن عطية، ج1 ص327، 328.

فَرَّوْا مِنَ الْوَبَاءِ، وَقِيلَ مِنَ الْجِهَادِ؛ وَاسْتَأْنَسَ بِقَوْلِ ابْنِ عَطِيَّةٍ فِي لَيْلِ أَسَانِيدِهَا، "وَإِنَّمَا اللَّازِمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْبَارًا فِي عِبَارَةِ التَّنْبِيهِ وَالتَّوْقِيفِ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْبَشَرِ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فَرَارًا مِنَ الْمَوْتِ فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ..." (1).

- **قِصَّةُ طَالُوتَ وَجَالُوتَ:** وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ... الْآيَةِ؛ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ اسْمِ النَّبِيِّ؛ فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: شَمُوِيلُ بْنُ بَابِلَ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةٍ: "شَمُوِيلُ بْنُ بَابِلَ، وَقَالَ السَّدِّيُّ: شَمْعُونُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ؛ وَعَلَّقَ عَلَيْهِمَا ابْنُ عَطِيَّةٍ بِأَنَّهُ قَوْلٌ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ مَدَّةَ دَاوُدَ هِيَ بَعْدَ مَدَّةِ مُوسَى بِقُرُونٍ مِنَ النَّاسِ، وَيَوْشَعَ هُوَ فَتَى مُوسَى". فَقَدْ اسْتَعْمَلَ ابْنُ عَطِيَّةٍ النَّقْدَ التَّارِيخِيَّ لِتَضْعِيفِ الْخَبَرِ.

ثُمَّ أَضَافَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: "وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَغْلِبُ مِنْ حَارِبِهَا، وَرَوَى أَنَّهَا كَانَتْ تَضَعُ التَّابُوتَ الَّذِي فِيهِ السَّكِينَةُ وَالْبَقِيَّةُ فِي مَازِقِ الْحَرْبِ فَيَنْتَصِرُونَ، حَتَّى ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي وَاتَّبَاعُ الشَّهَوَاتِ فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأُمَمَ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ التَّابُوتَ ..." (2). وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: كَانَ هَذَا التَّابُوتُ مِمَّا تَرَكَهُ مُوسَى عِنْدَ يَوْشَعَ، فَجَعَلَهُ يَوْشَعَ فِي الْبَرِيَّةِ، وَمَرَّتْ عَلَيْهِ الدَّهُورُ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ طَالُوتَ، وَقِيلَ غَيْرَ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَالسَّكِينَةُ قِيلَ طُسْتُتُ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ لَهَا رَأْسُ كِرَاسِ الْهَرَّةِ وَجَنَاحَانِ وَذَنْبٌ، وَقِيلَ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْآيَاتِ فَيَسْكُنُونَ إِلَيْهَا، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَتْ فِيهِ أَشْيَاءُ فَاضِلَةٌ مِنْ بَقَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَثَرِهِمْ تَسْكُنُ إِلَى ذَلِكَ التَّفُوسِ وَتَأْنَسُ بِهِ، ثُمَّ قَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَجِيءَ التَّابُوتِ آيَةٌ لَهُمْ إِنْ كَانُوا مِمَّنْ يُؤْمِنُ وَيَبْصُرُ، وَعَقَّبَ الثَّعَالِبِيُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ هَذَا يُؤَيِّدُ تَأْوِيلَ الطَّبْرِيِّ الْمُتَقَدِّمِ (3).

- **نَقْدُ قِصَّةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَالُوتَ:** وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ... الْآيَاتِ؛ ذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةٍ قِصَّةَ قَتْلِ دَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِجَالُوتَ بَعْدَ رَمِيهِ بِالْمَقْلَاعِ، ثُمَّ تَوَلَّى الْمَلِكَ بَعْدَ زَوْاجِهِ مِنْ ابْنَةِ طَالُوتَ، ثُمَّ قَالَ: "وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي قِصَصِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ لَيْلِ الْأَسَانِيدِ، وَلِذَلِكَ انْتَقَيْتُ مِنْهُ مَا تَنَفَّكَ بِهِ الْآيَةُ، وَيَعْلَمُ مِنْهُ

(1) - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج3 ص230.

(2) - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص330، والثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص488، 489.

(3) - الثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص491، 492، وتفسير ابن عطية، ج1 ص333، 334.

مناقل النَّازِلَة"، وكثيرا ما ينتقد ابن عطية أسانيد الإسرائيليات ويذكرها استنساها في تفسير المعنى وإيصاله، وعادة ما يتبعه الثَّعالبي بنقل تضعيف ابن عطية للأخبار وتليين أسانيدها⁽¹⁾. أوضح ابن عطية منهجه في نقل الإسرائيليات التي يرى بأنها لا تصح؛ فيشير إلى ضعف إسنادها؛ ويستعمل مصطلح "لينة الأسانيد"، ثم يعقب بما انتقاه منها ولا تستغني الآية عن إيراد تلك القصص لاستيضاحها وبيان تأويلها.

- قصّة النَّبِيِّ عَزَّيْرٍ عَلَيْهِ السَّلَام: وفي تفسير قوله تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. الآية؛ ذكر ابن عطية عن ابن عباس وجماعة أنه عزيز، وعن وهب بن منبه ت114هـ وجماعة أنه أرمياء، وقال ابن إسحاق: أرمياء هو الخضر، وحكاها النقاش عن وهب بن منبه، وعنه وجماعة "القرية" بيت المقدس لما خرَّجها بختنصر البابلي، وضعف ابن عطية بعضها في إحياء عزيز⁽²⁾، وتبعه الثَّعالبي كعادته في نقل تضعيف ابن عطية للأخبار وتليين أسانيدها، بعد اختصاره للروايات المختلفة، أو اقتصاره على ذكر بعضها.

- قصّة النَّمْرُود: وفي قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ .. الآية؛ ذكر ابن عطية والثَّعالبي أنه النَّمْرُود مع ذكر اختلاف نسبه وقصصه، ورتَّب الثَّعالبي قصّة المحاجة على روايتين تبعا لابن عطية؛ وهما:

أولا: رواية زيد بن أسلم أنّ النَّمْرُود قعد يأمر النَّاس بالميرة، فكلَّما جاء قوم قال: من ربِّكم وإلهكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم، وجاء إبراهيم -عليه السَّلَام- يمتار، فقال له: من ربِّك وإلهك؟ قال إبراهيم: ربِّي الَّذِي يَحْيِي وَيُمِيت، فلَمَّا سمعها نمروذ قال: أنا حيي وأميت، فعارضه إبراهيم بأمر الشَّمْس؛ فُبُهِت الَّذِي كَفَر، وقال: لا تميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء، فمرَّ على كَثِيب رمل كالذَّقِيق، فقال: لو ملأت غرارتي من هذا، فإذا دخلت به فرح الصَّبَّيان حتَّى أنظر لهما، فذهب بذلك، فلَمَّا بلغ منزله فرح الصَّبَّيان، وجعلا يلعبان فوق الغرارتين، ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لو صنعت له طعاما يجده حاضرا إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت أحسن ما يكون من الحواري، فخبزته، فلَمَّا قام وضعته بين يديه، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الذَّقِيق الَّذِي سقت، فعلم إبراهيم أنّ الله يسر لهم ذلك.

(1) - الثَّعالبي، الجواهر الحسان، مرجع سابق، ج1 ص496، 497، وتفسير ابن عطية، ج1 ص336، 337.

(2) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص347، 348، وتفسير الثَّعالبي، ج1 ص508.

وثانيا: الرواية التي ذكر السدي: أنه لما خرج إبراهيم من النار وأدخل على الملك، قال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت⁽¹⁾.

3- في تأويل بعض الآيات:

- منها في قوله تعالى: الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا: ذكر النقاش أن بعض الناس استأنس بالآية في تفضيل الفقر على الغنى، لأن الشيطان إنما يُبعد الناس عن الخير بتخويفهم منه، واعترض ابن عطية عليه وأنه ليس في ذلك حجة قاطعة، وقد روي في التوراة: "عبدني أنفق من رزقي أبسط عليك من فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة"، وفي القرآن مصداقه؛ وهو: وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [سبأ: 39]⁽²⁾. وبالتالي فتصديقه للإسرائيليات في التوراة وغيرها مبني على تصديق القرآن أو السنة الصحيحة لها. وطبعا الثعالبي يستأنس بتليين ابن عطية للأسانيد أو تصديقه لها؛ فينقل عنه ما اطمأن إليه منها.

- وفي تفسير البسملة أن حروفها تسعة عشر بعدد ملائكة النار؛ قال الله تعالى فيهم: عَلِمَها تِسْعَةَ عَشَرَ [المدثر: 30]، لكل حرف ملك، وهم يقولون في كل فعل: "بسم الله الرحمن الرحيم" فمن هنالك قوتهم، وباسم الله استضلعوا، عقّب ابن عطية بقوله: "وهذه من ملح التفسير، وليست من متين العلم، وهي نظير قولهم في ليلة القدر أنها ليلة سبع وعشرين، مراعاة للفظه هي في سورة إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر: 1].." ⁽³⁾، فذكر ابن عطية لمثل هذه الروايات استملاحا مع بيان لينها؛ لأنها ليست مما يُعوّل عليه من متين العلم، واستأنس الثعالبي كعادته بكلام ابن عطية المتقدم في تليين تفسير عدد الحروف بعدد الملائكة؛ ثم استزاد بقوله: "ولا يخفى عليك لين ما بلغ هؤلاء، ولقد أغنى الله تعالى بصحيح الأحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين، فجزى الله نقاد الأمة عنا خيرا"⁽⁴⁾، ثم ساق الثعالبي أحاديث في فضل سورة الفاتحة، وبالتالي فيمكن القول إجمالا أن الثعالبي شديد التحري محترز

(1) - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1 ص345، 346، والثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص507.

(2) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص364، وتفسير الثعالبي، ج1 ص525.

(3) - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1 ص61.

(4) - الثعالبي، الجواهر الحسان، ج1 ص156، 157.

الخطى في ما يروي وفي ما ينقل في تفسيره.

- الخاتمة:

- أراد المفسرون الاستشهاد بالإسرائيليات والاستئناس بها على بعض المعاني القرآنية ذات الصلة بالصّحائف والأسفار والأخبار، وفي بعض الأحيان الاحتجاج بها، فصارت تلك الإسرائيليات من وسائل الاستئناس عند المفسرين، ومن أدوات استنطاق بعض المعاني والأسرار المسكوت عنها في آيات القرآن الكريم؛ بوصفها استجلاءً لها ومزیدَ بيان وإشباعاً لفضول النفس، كما يدلّ عرض تلك المرويّات على سعة اطلاع المفسر وقوّة ملكته وأهليّته لتبيين معاني آيات القرآن الكريم.

- يُفهم من اعتراض ابن عطية على أخبار اليهود أو الإسرائيليات أنّه يقف في تصديقها أو تكذيبها إلّا بوجود ما يؤيدها من القرآن الكريم أو الآثار الصّحيحة، وعليه نجد أنّ ابن عطية لا يعلّق على الأخبار والإسرائيليات تضعيفا أو تصديقا عندما لا يتبيّن له وجهه، وإنّما يكتفي بإيراد القصّة دون تعليق، وعادة ما يوافقه الثّعالي في ذلك فينقل عنه القصّة دون تعليق أيضا.

- منهج ابن عطية في تصديق الإسرائيليات في التّوراة وغيرها مبنيّ على تصديق القرآن أو السنّة الصّحيحة لها، وكثيرا ما يؤيده الثّعالي في ذلك ويستأنس بتلين ابن عطية للأسانيد أو تصديقه لها؛ فينقل عنه ما اطمأنّ إليه منها.

- أوضح ابن عطية منهجه في نقل الإسرائيليات التي يرى بأنّها لا تصحّ؛ فيشير إلى ضعف إسنادها؛ ويستعمل مصطلح "ليّنة الأسانيد"، ثمّ يعقّب بما انتقاه منها ولا تستغني الآية عن إيراد تلك القصص لاستيضاحها وبيان تأويلها.

- استعمل ابن عطية النّقد التّاريخي لتضعيف الخبر، كما في اختلافهم في تحديد اسم النّبيّ بعد موسى عليه السلام في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ... الآية؛ فقيل: شمويل بن بابل، وقيل: شمعون، وقيل: يوشع بن نون؛ فعلق عليها ابن عطية بأنّه قول ضعيف؛ لأنّ مدّة داود هي بعد مدّة موسى بقرون من النّاس، ويوشع هو فتى موسى. - يستعمل ابن عطية مصطلح "اللين" في الإشارة إلى الأسانيد الضّعيفة، ويستعمل

مصطلح، "الصّدق" و"متين العلم" في الإشارة إلى صحتها، أو وجود قرائن خارجية ترجّح صحتها عنده.

- استحسن الثّعالبي إيراد بعض الأخبار واستخلاص العبر منها دون تعليق عليها، ونظنّ أنّ الثّعالبي إنّما ذكرها لورودها في المأثور كتفسير الإمام البغوي ت510هـ مع أنّ ظاهر القصّة من الإسرائيليّات، ولما في تلك القصص من دروس وعبر أو ذكر لكرامات الصّالحين وكرامات أعمال البرّ.

- يُستفاد أنّ الثّعالبيّ قد اعتمد على مرجّح أساسيّ في توجيه المعنى وردّ ما يعارضها من الإسرائيليّات؛ وهذا المرجّح هو عقيدة التّنزيه تنزيه الله عن صفات النّقص والتّشبيه والتّعطيل، وتنزيه أوليائه من الأنبياء عمّا ينتقص قدرهم من الآثار والأخبار.

- يستأنس الثّعالبيّ في تأييد بعض توجيهات ابن عطية من تليين للقصص أو تأييد لها بالرجوع إلى الحديث النبويّ الشريف، أو بما ذكره غير ابن عطية من المفسّرين، وخاصّة تفسير ابن جرير الطّبري ت310هـ.

- يمكن القول إجمالاً أنّ الثّعالبيّ أشدّ احترازا في نقل ما يرويه من التّفاسير، وكثيرا ما يستأنس بالأحاديث النبويّة الشّريفة عند نقله من تفسير ابن عطية، ويستعيز بالسّيرة ككتاب الشّفا للقاضي عياض ت544هـ، وأحيانا يستزيد من غيره من التّفاسير ليصل إلى أقرب الآراء إلى الصّواب.

- المصادر والمراجع:

- ابن العربي، أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط2، 1387هـ.

- ابن تيمية، الحراني، مقدّمة في أصول التّفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط1، 1391هـ.

- ابن عرفة، أبو عبد الله محمّد بن محمّد الورغيّ التّونسي المالكي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزّيتونيّة، تونس، ط1، 1986م.

- ابن عطية المحاربي، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر

- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م.
- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- أبو شهبه، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنّة، القاهرة، ط4، 1408هـ.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1997م.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.
- حمدان، علي، الإسرائيليات في كتب التفسير تاريخها ونماذجها، مجلة "De Jure: Jurnal Hukum dan Syar'iah"، كلية الشريعة، أندونيسيا، مج7 ع2، ديسمبر 2015م.
- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين للداوودي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1983م.
- دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربيّة، وزارة الثقافة والإعلام العراقيّة، ط1، 1979م.
- الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، 1990م.

- رضا، أحمد، معجم متن اللّغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.
- الرّومي، فهد بن عبد الرّحمن، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، مكتبة التّوبة، الرياض، ط1، 1997م.
- الرّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصّين، وزارة الإرشاد والأنباء الكويتيّة والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965م.
- السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1974م.
- السيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر، طبقات المفسّرين العشرين، تحقيق: علي محمّد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ.
- الصّنعاني، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همام بن نافع اليماني، تفسير عبد الرّزّاق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1419هـ.
- الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت.
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السّبتي، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمّان، ط2، 1407هـ.
- القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط2، 1964م.
- الكرمانى، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، غرائب التّفسير وعجائب التّأويل، تحقيق: شمران سركال يونس العجليّ، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جدّة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، 1983م.
- الكرمانى، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، لباب التّفاسير، تحقيق: ناصر بن سليمان العمر وآخرون، أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول

- الدّين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، 1404هـ
- الكرمانى، أبو القاسم محمود بن حمزة، لباب التّفاسير، رسالة دكتوراه، إعداد: إبراهيم بن محمّد بن حسن دومري، قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدّين، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، 1429هـ.
 - الماورديّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد البصريّ البغداديّ، النّكت والعيون تفسير الماورديّ، تحقيق: السيّد عبد المقصود عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.
 - مجاهد، أبو الحجّاج مجاهد بن جبر التّابعي القرشي، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السّلام أبو النّيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1989م.
 - محفوظ، محمد، تراجم المؤلّفين التونسيّين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م.
 - مقاتل، مقاتل بن سليمان الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، 1423هـ.
 - المهدي، أبو العباس أحمد بن عمّار، التّحصيل لفوائد كتاب التّفصيل الجامع لعلوم التّنزيل، تحقيق: محمّد زياد وفرح نصري، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دولة قطر، ط1، 2014م.
 - نعناعة، رمزي، الإسرائيليّات وأثرها في كتب التّفسير، دار القلم، دمشق، ط1، 1970م.
 - الواحدي، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد النّيسابوريّ، أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدّمام، ط2، 1992م.
 - يوسف، محمّد عطا أحمد، المسكوت عنه من الإسرائيليّات بين القبول والرّفص، منشورات حوليّة الجامعة الإسلاميّة العالميّة، غزّة، فلسطين، 1999م.

معالم التفسير الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد كعباش من خلال تفسيره:

"نفحات الرحمان في رياض القرآن"

د. فتيحة عبو - د. لدمية بلسبط

جامعة عمّار ثليجي - الأغواط

الملخص:

يعدُّ تفسير الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش "نفحات الرحمن في رياض القرآن" من التفسيرات المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله، وإحسان تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقاداً أنّه كتاب تحرّك لا مجرد تبرُّك؛ فهو كتاب هداية يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتها، وتزايد تحدياتها. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهمّ معالم التفسير الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمان في رياض القرآن.

كلمات مفتاحية: الشيخ كعباش، التفسير الإصلاحي، نفحات الرحمان.

Abstract:

The interpretation of the Quran of Sheikh Muhamed Ben Ibrahim Said Kaabash titled "Nafahat Al Rahman Fi Riyadh Al Quran" is one of the contemporary interpretations. Which seek to facilitate the understanding of the Holy Quran. Further they well drop its verses on the realities of life. Moreover, they work on solving contemporary issues in light of the teachings of the Quran. Believing that the Quran is a book of living and not one of blessing, it is a book of guidance, a way of life, of which its problems are numerous, its challenges are increased.

This research paper aims to highlight the most important features of the reformist interpretation of Sheikh Muhammad Sa'id Ka'bash through his interpretation of Nafhat al-Rahman in Riyad

al-Quran.

Keywords : Sheikh Ka'bash, reformist interpretation, Nafhat al-Rahman.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن للبشرية هدى ونورا، وتعمّد بحفظه من كل تحريف محذور، وقيّض من عباده العلماء مشهورا أو مغمورا، ممن انبرى لتفسير كتاب الله المسطور، وتسيير فهمه دون إخلال أو قصور، وبعد:

فقد عجّ تاريخ الجزائر منذ القديم بثلة من العلماء الأثبات، والمحققين الثقات، ممن ظلت الجزائر بهم تفخر وتزخر في كل قطر ومصر، كأمثال الشيخ "محمد بن إبراهيم سعيد كعباش" أحد المفسرين المعاصرين، المنحدر من بلدة العطف بغرداية، خلد مسيرته العلمية من خلال مؤلفاته القيّمة، وما تفسيره المسمّى بـ "نفحات الرحمان في رياض القرآن" إلا واحداً من تلك اللآلئ العديدة، لما فيه من المعاني المفيدة واللطائف الفريدة، انتقى تفسيره من مصادر متنوعة عكست تكوينه وشخصيته العلمية والثقافية، فجاء تفسيره مملوءً بنفائس النفحات الفسيحة، وجواهر السنن الصحيحة، مما أفادت وجادت به القرينة، وقد كانت بدايات تفسيره سنة 1972م مسجلة على الأشرطة، فلما خشي ضياعها من تهالك تلك الأشرطة عقد العزم على تدوين تفسيره بخط يده وأسلوبه الأدبي الرفيع، حتى أتم ضبطه وأخرجه في حلته المطبوعة سنة 2015م.

ويعدّ تفسير النفحات من التفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله وإحسان تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقاداً أنّه كتاب تحرّك لا مجرد تبرّك؛ فهو كتاب هداية يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتها، وتزايد تحدياتها.

ونحن في هذا البحث المتواضع نتناول هذا التفسير الجليل بالدراسة والتحليل، فيما يتعلّق ببيان أهمّ المعالم الإصلاحية التي ضمّتها الشيخ في تفسيره

وينطلق هذا البحث من إشكالية مفادها: ماهي ميزات التفسير الإصلاحي عند الشيخ كعباش محمد سعيد، وفيما تتجلى مظاهر الإصلاح في هذا التفسير؟

إجابة على هذه الإشكالية اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين:

أما المبحث الأول: الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش وتفسيره "نفحات الرحمان في رياض القرآن" تناولت فيه ترجمة للشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، ثم تطرقت إلى التعريف بتفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"، وأما المبحث الثاني: تطرقت فيه إلى أهم المعالم الإصلاحية في تفسير النفحات.

أهمية الموضوع:

يُعد موضوع مناهج التفسير عامة، ومنهج الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش خاصة، من المواضيع ذات الأهمية الكبيرة في ميدان الدراسات القرآنية، وذلك لما يتضمنه من محاولة لفهم النص القرآني فهما دقيقاً، يتماشى مع مقاصده العليا، ويراعي السياقات الزمنية والاجتماعية المتغيرة. وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنظر إلى الحاجة الماسة لإحياء مناهج التفسير الإصلاحية التي تجمع بين أصالة التلقي الشرعي، وحيوية المعالجة المعاصرة.

كما تتجلى أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على شخصية علمية جزائرية بارزة، أسهمت في خدمة القرآن الكريم بأسلوب علمي رصين، بعيد عن النزعات التأويلية المتطرفة أو المبالغات التأويلية البعيدة عن روح النص. فالشيخ كعباش يعد أنموذجاً فريداً في الجمع بين التمسك بالمنهج الأثري في التفسير، وبين الإفادة من معطيات العلوم اللغوية الحديثة لتحليل النص القرآني وخدمة المجتمع عن طريق الدعوة والإصلاح

ومن جهة أخرى، فإن تناول هذا الموضوع يعد إثراءً للمكتبة القرآنية الجزائرية، وإسهاماً في إبراز الجهود الوطنية في خدمة كتاب الله، في وقت تشتد فيه الحاجة إلى إبراز النماذج العلمية الجادة التي جمعت بين العلم والدين، وبين الفهم العميق للتراث والانفتاح الواعي على متطلبات الواقع المعاصر.

المبحث الأول: الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش وتفسيره "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

المطلب الأول: ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش

يقول فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في كتابه "رحلة العمر": "وبعد، فإنني أقدم بكل تواضع هذه الترجمة المختصرة لحياة رجل قيل عنه: إنه من بناء الإصلاح في دائرة "وادي ميزاب"، ومن الدعاة إلى الله، في وقت كثرت فيه الاتجاهات وتشعبت المسالك، وظهر فيه المتفقيهن والمتعاملون. وما قصدي من وراء ذلك أن ينعتني الناعتون بما لا أستحقه من أوصاف الشهرة والعظمة، لأنني -والله يشهد- أمقت المحمدة والثناء، وأزدرى التعاضم والخيلاء. بل أريد إثبات الحقيقة التاريخية التي طالما أنكرها الجاحدون أو حرفها المغرضون الحاقدون"⁽¹⁾.

هكذا قدّم الشيخ سيرته الذاتية في مفصلة في الكتاب المذكور، والتي نختصرها كما يلي:

الفرع الأول: النشأة والتعلّم

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بكعباش، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، من الجمهورية الجزائرية، وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة "أولاد باگّة" في بلدة العطف إحدى قرى وادي ميزاب السبع، وتسمى باللغة المحلية تجنّنت⁽²⁾.

أبصر نور الحياة خلال سنة 1929م في حضان أبوين كريمين هما: سعيد إبراهيم بن باحمد، وبهون شبيخة بنت الحاج محمد؛ توفي والده وتركه يتيماً فقيراً لا يزيد عمره عن سنتين، وليس معه إلا أختان، توقّيت إحداهما فأصبح وحيد أمّه وقرة عين لها، فاعتنت بتربيته على حبّ الله ورسوله وعلى حفظ كتاب الله في سنّ مبكرة، وقد وهبه الله ذاكرة قويّة وذكاء لامعاً، فدفعته إلى كُتّاب القرية ليتعلّم مبادئ القراءة والكتابة؛ وكان أبرز معلميه آنذاك شيخه المرحوم الحاج إبراهيم محمد بن بهون، والذي ترك في نفسه أثراً قوياً وحبا غامراً للعلم والمعرفة.

ولم يكن كُتّاب قريته ليُقنّع طموحه في التعلّم، فارتحل إلى معهد الحياة العامر بالقرارة

(1) كعباش محمد بن إبراهيم سعيد، رحلة العمر، تنسيق وفهرسة: ابن عيسى عبد الله بن موسى، مكتبة التوفيق، العطف، غرداية، الجزائر، 2015م، ط1، ص3.

(2) المرجع السابق، ص:4.

عند الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بَيَّوض، ومكث فيه خمس سنوات من عام 1945 إلى 1950م، وانتقل بعدها إلى تونس الخضراء، حيث التحق بالجامع الزيتوني، أين درس علوم العربية والشريعة، وبالمعهد الخلدوني، أين درس العلوم التطبيقية، وذلك إلى غاية سنة 1954.

وقد تتلمذ هنالك على يد علماء تونس الفطاحل من أمثال: الشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ محمد الزغواني في التفسير، والشيخ البشير النيفر في أحكام القرآن، والشيخ اللقاني في مقاصد الشريعة، والشيخ أحمد بن ميلاد في أصول الفقه، وغيرهم.

ثم انتسب لاحقاً إلى جامعة الجزائر وذلك في أوائل السبعينيات أين حصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي سنة 1972⁽¹⁾.

الفرع الثاني: مسيرته العلمية، الاجتماعية والسياسية

فور عودته من تونس سنة 1954 شَمَّر عن ساعديه لِيُسهم في مجال التربية والتعليم بالعطف الحر منه ثم الرسمي إلى أن تقاعد سنة 1990، وكان إِبَّان الثورة التحريرية عضواً حيوياً بالمجلس الثوري للمنطقة، وقد ناضل بحزم في سبيل الاستقلال؛ انخرط عضواً في حلقة العزَّابة بالمسجد العتيق للعطف سنة 1958، ثم عَيَّنَتْه الحلقة إماماً ومرشداً سنة 1970؛ ليُبْزُر في محراب الإصلاح الديني والاجتماعي؛ وقد شرع منذ 1972 في تفسير كتاب الله العزيز؛ ثُمَّ انتَظَم في تحرير دروسه وإلقائها منذ سنة 1985 إلى 2015؛ وقد سَمَّى تفسيره المبارك "نفحات الرحمن في رياض القرآن" ويقع في 14 مجلداً؛ وله أعمال أخرى مطبوعة وأخرى مخطوطة ودروس مسجدية تُناهز ألف شريط وقرص⁽²⁾.

الفرع الثالث: إصداراته

(1) نبذة تعريفية بفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش _حفظه الله_، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش <http://chikhkaabache.net/propochikh.php>، مطلع عليه بتاريخ 2020/08/25.

(2) محمدي مصطفى بن عمر، ترجمة المفسر محمد سعيد كعباش الجزائري، الموقع الرسمي للمكتبة الجزائرية الشاملة، <http://shamela-dz.net/?p=638>، مطلع عليه بتاريخ 2020/08/25.

للشيخ كعباش إصدارات عديدة منها المخطوط والمرئي والمسموع، نذكر منها ما يلي:

- من أخلاق القرآن صفات عباد الرحمن
- صرخات على مسرح المجتمع الطبقة الثانية
- من أخلاق القرآن الوصايا العشر ووصية لقمان
- من أخلاق القرآن بيان ما في سورتي الحجرات والمجادلة من أخلاقيات الحقوق المتبادلة

- مسابقة رمضان المعظم 1416-1417-1418 هـ الحلقة الأولى
- صوت المنبر الحلقة الثالثة – الحلقة الثانية – الحلقة الأولى
- صرخات على مسرح المجتمع
- شرح الصدور لتفسير سورة النور
- حديث الشيخ الامام في صلاة الجمعة ومالها من أحكام، الحلقة 2
- رحلة العمر السيرة الذاتية
- جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح
- العطف تاجنيت أم القرى الميزابية في ذكرها الألفية
- الدر النظيم في فعاليات التدشين والتكريم
- نفحات الرحمن في رياض القرآن أربعة عشر جزءاً⁽¹⁾.
- المطلب الثاني: تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

يعدُّ تفسير الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش "نفحات الرحمن في رياض القرآن" من التفاسير المعاصرة التي سعت لتيسير كتاب الله، وإحسان تنزيل آياته على الواقع الذي تعيشه الأمة، والعمل على حلّ القضايا الراهنة على هدي حقائق القرآن الكريم اعتقاداً أنّه كتاب تحرّك لا مجرد تبرُّك؛ فهو كتاب هداية يحوي منهج حياة الإنسان التي تتعدّد إشكالاتها،

(1) أخضري عيسى، نويجم مسعودة، قراءة في نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ: محمد بن إبراهيم سعيد

كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أدبيًا ومفسّرًا، جامعة غرداية، 14-

15 مارس 2017، ج2، ص269.

وتتزايد تحدّياتها.

الفرع الأول: التعريف بتفسير "نفحات الرحمن في رياض القرآن"

يقع هذا التفسير النفيس في أربعة عشر مجلداً، حيث إنه لم يكن دفعة واحدة وإنما في بداية 1972 م، بدأ ينتقي لجمهور الآباء والأمهات من عمار المسجد العتيق بعض السور القصار لتفسيرها. ثم تدرّج إلى السور القرآنية التي تتلى في المناسبات المختلفة كسورتي ياسين والأنعام، وبعد إتمام تفسير هذه السور القرآنية شرع بعون الله وتأييده في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة نزولاً إلى سورة الناس وذلك في دروس منتظمة إلقاءً وتحريراً من سنة 1985م، والذي أسماه "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، إلى أن أتمّ بعون الله وتوفيقه تفسير سورة الناس يوم الجمعة 01 جمادى الأولى 1436 هـ الموافق لـ: 20 من فبراير 2015م⁽¹⁾. وقد ذكر ذلك في مقدمة التفسير حيث يقول: "وبعد التردد والإشفاق عزمتُ أمري وتوكلت على الله ثم قرّرت أن أسير في دروسي بالمسجد السير الطبيعي ابتداء من أم الكتاب فالسور الطوال تنازلاً في ترتيب المصحف الشريف، وكان أحد رفقائي في الحلقة يتولى تسجيل الدروس في أشرطة سمعية أرتّبها وأرقمها حسب الآيات في كل سورة، لتبقى محفوظة في مكتبة المسجد، وبعد مشوار غير قصير انتهى بي إلى أوائل سورة النساء وبعد الفحص لمدى حفظ الشريط لوضوح الصوت وفصاحته تبّين لي أن الجو الحار وانعدام الرطوبة قد أثّرت في الشريط حتى كاد الصوت ينطمس في البعض منها فحز ذلك في نفسي إذ أرى ضياع جهدي في هذا المجال وأنا ما أزال على قيد الحياة..."⁽²⁾.

من المميزات البارزة لتفسير "نفحات الرحمن في رياض القرآن" جمّعه بين الحُسنيين:

(1) مصطفى رشوم، منيح الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسير آيات الأحكام الشرعية من خلال كتابه "نفحات الرحمن في رياض القرآن" سورة البقرة نموذجاً، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أدبيًا ومفصّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج 1، ص: 272-273.

(2) محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، جمعية النهضة المطبعة العربية، العطف، الجزائر، ج 1، ص د.

تفسيره شَفَّهيا وكتابتَه وضبطه والمبادرة إلى طباعة أجزاءه تَباعاً⁽¹⁾، وقد اعتمد على ثلاثة تفاسير:

- تيسير التفسير للشيخ القطب أمحمد بن يوسف اطفيش.
- التَّحْريْر والتَّنْويِر للإمام محمد طاهر بن عاشور.
- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي⁽²⁾.

الفرع الثاني: بين يدي التفسير

نجد هذا التفسير في أربعة عشر جزءًا بغلاف أزرق مزخرف كتب على الواجهة اسم المؤلف والمؤلف والجزء والنشر لجمعية النهضة العطف-غرداية الجزائر.

وبكَمِّ صفحات متقارب يتراوح ما بين 417 ص إلى 101 صفحة وذلك لما يقتضيه تفسير كل آخر سورة أو آية حيث نجد صفحات: ج: 1-450، ج: 2-494، ج: 3-513، ج: 4-477، ج: 5-480، ج: 6-458، ج: 7-484، ج: 8-497، ج: 9-521، ج: 10-499، ج: 11-515، ج: 12-520، ج: 13-541، ج: 14-576.

حيث نجد التعريف بالمؤلف في بداية الجزء الأول وآخر كل جزء من الأجزاء الأخرى، وهو نفس التعريف الذي كتب بالأول، كما نجد آخر صفحة في كل جزء تتحدث عن محتوى أجزاء التفسير للجزء المكتوب فيه وكل الأجزاء التي قبله، حيث يحدد لنا تفسير كل جزء من بداية أي سورة أو آية إلى آخر تفسير من السور والآيات، مثلاً في آخر صفحة في الجزء الثاني نجد:

- الجزء الأول من سورة الفاتحة إلى الآية 203 سورة البقرة.

- الجزء الثاني من الآية 204 سورة البقرة إلى الآية 175 من سورة آل عمران

ويليه بإذن الله الجزء الثالث، وتحتوي هذه الأجزاء على فهارس متعددة، حيث احتوى

(1)حمو بن عيسى الشهباني، الدرس العقديّ عند الشيخ كعباش من خلال تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسِّراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج1، ص:215-216.

(2) بن الدين بخولة، سيرة ومسيرة علامة الشيخ محمد بن إبراهيم كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسِّراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج1، ص:117.

كل جزء على الفهارس:

- فهرس الآيات والعناوين الرئيسية.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- كما انفرد الجزء الأول والثاني:
- فهرس التعريفات والتراجم.
- وانفرد الجزء الرابع بـ:
- فهرس الحكم والأقوال.
- وانفرد الجزء الرابع عشر والأخير بفهرس إضافي وأخير ألا وهو:
- فهرس مصادر التفسير ومراجعته.⁽¹⁾

الفرع الثالث: طريقة الشيخ كعباش في تفسيره

سلك الشيخ مسلكا واضحا وسهلا في تفسير السورة القرآنية، فالتزم خطة موجزة محكمة طوال تفسيره، جنبته كثيرا من النقائص، كالحشو والاستطراد والتكرار. وقد بين معالمها في مقدمة تأليفه، وهذه الخطة تتمحور حول العناصر الآتية:

1. مقدمة حول السورة سمّاها "بين يدي السورة"، يتعرض فيها لتسميتها، عدد آياتها، مكّمتها ومدنيتها، ترتيبها في المصحف وفي النزول، المأثور الصحيح في فضلها، وكذا محورها الرئيسي ومحاورها الفرعية.
2. تقسيم السورة المراد تفسيرها إلى مقاطع حسب الموضوع.
3. اختيار عنوان المقطع القرآني من السورة المراد تفسيرها، بمعدل 70 مقطعا في كل جزء.
4. ضبط النص القرآني برواية ورش عن نافع بالبنط العريض وبشكل دقيق وجذاب.

(1) أخضري عيسى، نوبجم مسعودة، مرجع سبق ذكره، ص: 270-271.

5. التّحقيق اللغوي وشرح غريب القرآن الكريم، ويظهر ذلك مدى نبوغه وعمق تكوينه الأدبي والبلاغي.

6. بيان أوجه القراءة وتوجيهها وإنزالها على أصحّ المعاني وأحسنها.

7. البيان والتفسير المفصّل للمعاني والأحكام بشكل دقيق وموجز ودون إخلال، فيورد أقوال المفسّرين الأقرب إلى معنى الآية بكل أمانة، ثم يعقّب برأيه ويسبقه بـ: "قلت".

8. تراجم الأعلام والأماكن والنّبد التاريخية إن وجدت⁽¹⁾.

الفرع الرابع: مميزات تفسير "نفحات الرحمان في رياض القرآن"

لتفسير الشيخ عدّة مميزات نذكرها كما يلي:

1. ابتعاده عن المذهبيّة الضيّقة، بل كان يرى أنّ القرآن الكريم هو الحاكم على المذاهب والتّيّارات المختلفة، وليست هي الحاكم عليه، وخير دليل على ذلك رجوعه إلى مختلف المصادر والمراجع ليقتبس منها ما يراه أقرب إلى معنى الآية القرآنية، وكان ينقل ثم يناقش، فيوافق ويعارض، ويقبل ويردّ، ولكن يفعل كل ذلك بقلم هادئ ولسان عف وقلب سليم.

2. هو تفسير حركي اجتماعي، بإسقاط المثل القرآنية على الواقع.

3. يجمع بين الأسلوب البسيط "السهل الممتنع" الموجه للعامة، والمنهجية المنضبطة.

4. يعرض آراء الإباضية المعاصرين الفقهية والعقدية دون تعصّب ودون توسّع في البراهين والرّدود.

5. خال من الروايات الإسرائيلية.

6. الجمع بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور والتفسير بصحيح السّنة.

7. يبرز الوحدة الموضوعية للصور ولا يكتفي بالتفسير الجزئي الذي لا تتضح معه مقاصد القرآن.

8. يهتم ببيان أوجه الإعجاز القرآني لا سيما العلمي والبلاغي.

9. يمتاز بالأسلوب المعتدل في مناقشة شبه المستشرقين المشكّكة في القرآن.

(1) رمضان يخلف / نور الدين هبية، مسلك الشيخ محمد إبراهيم سعيد كعباش في تعامله مع أسباب النزول القرآني في التفسير، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أدبيًا ومفسّرًا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج2، ص: 10-09.

10. يحتوي مادة تاريخية مهمة من التراجم والحوادث المحليّة والعالميّة⁽¹⁾.

المبحث الثاني: التفسير الإصلاحي عند الشيخ سعيد كعباش في تفسيره

المطلب الأول: مفهوم التفسير الإصلاحي

الجانب الإصلاحي في التفاسير هو منهج يهدف إلى بيان آيات القرآن الكريم بطرائق إصلاح الأفراد والمجتمعات، ويُركّز على تجديد علاقة المسلم بالقرآن وربط تعاليمه بواقع الحياة المعاصرة لمعالجة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ويتميز بالتركيز على المعاني القرآنية التي تُساهم في الإصلاح والتجديد، ومعالجة الروايات الواهية والإسرائيليات، وبيان الحجج الفاسدة والباطلة.

ومن التسميات التي تطلق على الاتجاه الإصلاحي في التفسير "الاتجاه الهدائي" وتسميته بذلك أمر واضح التعليل؛ نظرا لاتفاق المفسرين الذين ينتمون لهذا الاتجاه على مبدأ كون القرآن كتابَ هداية؛ فينبغي لكل مفسر أن يستهدفها قبل كل شيء في تفسيره، حتى يؤدي التفسير دوره في تفعيل حركة القرآن في هداية المجتمع من خلال تقريبه من الواقع وتجسيد مفاهيمه الإصلاحية تجسيدا حيا، وقد مثل هذا الهمّ هاجسا مشتركا بين جميع التفاسير ذات المنحى الإصلاحي.

المطلب الثاني: خصائص الجانب الإصلاحي

- ربط الواقع بالقرآن: يقوم مفسرو هذا الاتجاه بربط الواقع المعاصر بما يتضمنه القرآن الكريم من هدايات لفهم قضايا العصر وإيجاد حلول لها.
- معالجة الروايات الواهية: يرفض هذا الاتجاه الروايات الضعيفة والموضوعات والإسرائيليات التي دخلت كتب التفسير، ويعتبرها مشوشة على عامة الناس.
- تجديد علاقة المسلم بالقرآن: الهدف الأساسي هو تجديد علاقة المسلم بالقرآن الكريم باعتباره كتاب هداية للحياة وليس مجرد تراث.
- الإصلاح الشامل: يسعى المفسرون الإصلاحيون إلى الإصلاح الشامل في جميع شؤون

(1) المرجع السابق، ص: 10.

الحياة التي شابهها انحراف وزيف.

- التركيز على العناية العلمية: يهتم المفسرون الإصلاحيون بالعلم الصحيح والتحذير من ضده، كون القرآن الكريم يوضح أهمية العلم في بناء الأمة.
- المطلب الثاني: معالم من التفسير الإصلاحي عند الشيخ سعيد كعباش في نفحاته:

المنهج الإصلاحي هو ما يكون فيه الهداية وإصلاح المجتمع المقصد الأسى من التفسير، ويعدّ الشيخ محمد كعباش ضمن المدرسة الإصلاحية في الجزائر والتي قادها ثلّة من علماء الجزائر، حتى إنّ للشيخ كتاباً سمّاه: "جيل النهضة والإصلاح في بلد العطفاء".⁽¹⁾

يتجسد الجانب الإصلاحي في تفسير الشيخ كعباش في منهجه التربوي والاجتماعي الذي يهدف إلى ربط المجتمع بكتاب الله، وتوجيه الأفراد نحو الفهم الصحيح للإسلام من خلال التحليل والتبسيط والتركيز على الفصاحة والأدب ومواكبة روح العصر، وتجديد علاقة المسلم بالقرآن وجعله كتاب هداية

ومن مميزات التفسير الإصلاحي عند الشيخ كعباش:

- السهولة والتبسيط مع الفصاحة والبلاغة:

حيث تميزت دروسه بالقدرة على تحليل الأفكار المعقدة وتبسيطها، مما جعلها سهلة الفهم للمستمعين بمختلف مستوياتهم. حيث استخدم الشيخ كعباش لغة عربية فصيحة وواضحة، تمزج بين البلاغة والأدب، مع مواكبة روح العصر. فقد عرف بأسلوبه الرصين السهل الغير متكلف ولا المبتذل، والشيخ بظهر في تفسيره أنّه متمكّن من اللغة ويجيد التعبير عن المعنى المراد بكلّ سهولة ويسر، فيفهمه العامي قبل المتعلّم. ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ الشيخ معاصر ولغته قريبة من أهل عصره، وكذلك كونه كان يلقي التفسير شفويا فساعد على كون التفسير ميسراً واضحاً، فلا تجد كلمة غامضة أو نادرة غير مستعملة ولا تجد في تفسيره ألفاظ العامّة من الناس.

- التأثير الواسع:

(1) محمد سعيد كعباش، ينظر: نفحات الرحمان، ج1، ص93

امتدت دروسه عدّة سنوات، فقبل كتابة الشيخ لتفسيره نفحات الرحمن كان يفسّر القرآن شفويا، فكان الشيخ قد بدأ دروسه الشفوية سنة 1972م، وكان ينتقي لجمهور الآباء والأمّهات من عمّار المسجد العتيق بعض السور القصار لتفسيرها وبيان فضلها ومعانيها، ثمّ تدرّج بعد ذلك إلى تفسير السور القرآنية التي تتلى في المناسبات المختلفة، وبعدها شرع في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وذلك في دروس منتظمة إلقاء وتحريرا من سنة 1985م، إلى أن رأى النور سنة 2015م، وخلفت تلك الدروس أثراً عميقة في الأفراد، مما ساهم في نشر الثقافة الإسلامية وتعميق الوعي الديني لدى الأوسر.⁽¹⁾

وتتجلى مظاهر الجانب الإصلاحي في تفسير الشيخ كعباش فيما يلي:

○ ذكره لأداب حسن المعاملة بين أفراد المجتمع المسلم:

يشيد الشيخ على ضرورة التآخي بين الأفراد إذ يقول: "والأخوة الإيمانية في المجتمع المسلم هي السياج الواقي وجهاز المناعة في جسم الأمة، لأنّ للجاهلية رواسها في مجال العلاقات الاجتماعية يجب القضاء عليها، ولذا جاءت تلك الارشادات الربانية بأسلوب النهي الصارم مع التعليل الحكيم بعدم الاغترار بالمظاهر وسوء التقدير للمفاهيم".⁽²⁾

○ الحثّ على التوكّل في طلب الأمر:

يحثّ الشيخ كعباش في تفسيره على التوكّل في الطلب مع بذل الأسباب، حيث أن التوكّل على الله هو نصف الدين، وهو الاستعانة بالله مع الإنابة إليه، وفيه تحقيق لسكينة القلب وطمأنينته وثقته بتدبير الله تعالى، مع ضرورة حسن الظنّ به والرضا بما يقدره. ويختم الشيخ كعباش كلامه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: 23] بقوله أنّ تلك الآيات فيها من الإرشاد الحكيم لما يجب على المؤمن من تفويض الأمور كلّها إلى الله، فما من حركة ولا سكونة في هذا الوجود ولا في حياة خلقه إلّا وهي من تدبير الله ومشيئته، وليس معنى ذلك أن يبقى الإنسان مكتوف الأيدي لا يسعى ولا يتخذ الأسباب، كما يغالط

(1) ينظر: محمد سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج 1، ص: ت ث

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 13، ص 131

كثير من النَّاس في معنى التوكل على الله، ولكن قوله: إن شاء الله، في كل سعي يدبره، أو أمر ينوي القيام به، هو استعانة بالله وتفويض الأمر إليه، وبذلك يكون المؤمن متوازنا في مجابهة واقعه، فلا ينتفش ولا يبطر إذ كتب له النجاح، ولا ييأس ولا يقنط إذا أصابه الفشل.

كما يذكر الشيخ كعباش أنه في حالة الغفلة والنسيان لقولك "إن شاء الله" في البدء، فتدرك بذكر ربك راجيا منه تعالى أن يوفقك ويهديك إلى ما هو أقرب إلى الصواب والرشد، وأن يلزمك ذكر الله في كل أعمالك. وقد استجاب الله دعاء رسوله، فأعطاه ما هو أعظم منفعة، وأوسع هدى من تلك القصّة، بما فيه الخير لأمته من أحكام شريعته.⁽¹⁾

○ التذكير بعاقبة الشكر والكفر:

يذكر الشيخ كعباش أنّ الشكر سبب لدوام النعم وزيادتها، بينما الجحود بها هو سبب زوالها وعقوبة الله العاجلة والأجلّة، وذلك في معرض حديثه عن مثل النموذجين من الناس: الغني والفقر في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ... هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: 32-44]، يقول: "ذلك هو المثل الرائع لعاقبة الشكر والكفر، فليختر الإنسان لنفسه ما شاء، فطوبى لعبد قنعه الله بما قسم له فصبر وشكر، وأمّا المتهافتون على زينة الدنيا فليتهم تدبروا هذه الآية الكريمة ليعرفوا وسيلة التقرب إلى الله فيكفكفون من غلوائهم، قال تعالى جوابا للذين اغتروا بأموالهم وقالوا: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾

[سبأ: 35]، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾

[سبأ: 37] والله أعلم.⁽²⁾

○ التأسّي بهدي النبي وصحابته الكرام:

يؤكد الشيخ كعباش على ضرورة التأسّي بخير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته الخيرة، فهم النموذج الأمثل، كما دعا إلى السير على أخلاقهم حتى يسمو المجتمع

(1) ينظر: محمد سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج 8، ص 182

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 8، ص 202

بقيم فاضلة، تتعزّز قوّة الإسلام كما كانت عليه، يقول الشيخ كعباش حفظه الله: "وكم تخيل الحكماء والفلاسفة النموذج المثالي لمجتمع فاضل، وكم اجتهدوا في رسم معالمه، وتخطيط نظمهم وأعرافه، ولكن أتى لهم أن يبلغوا في ذلك ما حققتة رسالة الله في تلك الجماعة المختارة من صحابة رسول الله وهو يزجي صفوفها، ويتولاه بالإرشاد والتهديب والتشذيب، وهي تنمو رويدا رويدا حدة غدت دوحة فينانة تظلل الآفاق، وتغدق الخيرات والبركات، وكم من أقوام انجذبت إلى ظلها، وفي طبعهم جفوة البادية وقساوة طبيعتها، ولكن سرعان ما لانت تلك الطباع، وانصقلت تلك النفوس ثم انصهرت في بوتقة الجماعة الخيرة، فتعززت بها قوّة الإسلام واندفعت كالسيل الجارف يطهر مسار الإنسانية، ويفتح مسالكها نحو الخير والصالح.⁽¹⁾

○ التذكير بيوم الجزاء والحساب:

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254]

قال: "وأكد الله الأمر بالتذكر بيوم الجزاء والحساب، يوم تنقطع فيه الأسباب الدنيوية عن الإنسان مما كان يستعين به في قضاء حوائجه من أنواع الوسائط، إذ يجب على المؤمن أن يبادر في اغتنام فرصة العمر لادخار الثواب ليوم الحساب"⁽²⁾ فنصّ تفسيره فيه تذكير وموعظة للناس ومخاطبة للقلوب بما جاء في الآية من مواعظ، فيذكّرهم بيوم الحساب وأنه يوم تنقطع فيه الأسباب وعلى المؤمن استغلال العمر، كلّ ذلك فيه جانب المنهج الإصلاحي وإرادة هداية الناس به ودعوتهم إلى الخير.

○ الحفاظ على ما يوحد الأمة ويجمع شملها:

يشير الشيخ كعباش إلى أهمية الوحدة ويدكر بما في كتاب الله من الدعوة إلى ضرورة جمع شمل الأمة، كما يدعو إلى عدم التفرق، وعدم تكفير المسلمين بعضهم بعضا، حيث يقول الشيخ كعباش تفسيره: "وكم في القرآن من آيات تندّد بالتفرق والاختلاف في الدين،

(1) ينظر: محمد سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ج 13، ص 106

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 2، ص 125

وتحدّر المسلمين من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة، فإذا كان القتال ناشئاً عن الاختلاف في الدين المتعدّد، وربّما يكون في ذلك نوع من العذر، لأنّه لا مناص منه منذ القدم، فإنّ الاختلاف في الدين الواحد-كما حدث بين المسلمين-لا يجوز أن يؤدي إلى مستوى التكفير الذي يؤدي إلى الاقتتال، لأنّ الدين يجمع ولا يفرّق، فيجب على المسلمين أن يعذر بعضهم بعضاً فيما ينشأ بينهم من الخلاف لا يمسّ جوهر الدين في أصوله ومبادئه الكبرى، والله أعلم⁽¹⁾.

○ إرشاد القرآن إلى آداب تنظيم شؤون المجتمع:

ذكر الشيخ كعباش في مقدّمة حديثه عن سورة الحجرات أنّ هذه السورة على قلّة آياتها إلّا أنّها إرشادات وآداب عظيمة في تنظيم شؤون المجتمع وتحديد الروابط والعلاقات بين جميع أفرادها، سورة تضع المعالم المحددة لمجتمع فاضل لا تتصادم فيه العلاقات ولا تندّد فيه الرغبات عن حدود الآداب مع الله ورسوله أولاً، ثمّ مع الخلائق فيما بينها، مهما انداحت دائرة المجتمع الإنساني من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي⁽²⁾.

ثم يقول: "إنّما روابط تضمن ذلك القدر من الكرامة الإنسانية في إطار الإخاء والمساواة والتكافل الاجتماعي محصّنة بالإيمان والعقيدة الراسخة في القلب والضمير، تحب الخير والفضيلة، وتكره الشرّ والرذيلة، تحدو بها النداءات الإلهية على طريق الاستقامة، وتستجيش الضمائر لترعى تلك المسؤولية التضامنية في المجتمع المسلم، وهو يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تحقيقاً للخيرية التي وصفه الله بها⁽³⁾."

○ أصول إصلاح المجتمع المسلم وبناء أركانه:

تتوالى الإرشادات الإلهية لقيام المجتمع الإسلامي على الأصول الأخلاقية المتينة وعلى القيم الاجتماعية الرّصينة. فبعد بيان قوام الأسرة المسلمة في الإحسان إلى الوالدين وإيتاء ذي القربى والمساكين وابن السبيل، ثمّ التّعامل بالقول الميسور والقصد في الإنفاق، قفّى الله

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 2، ص 123

(2) ينظر: محمد سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، ص 105-106

(3) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 13، ص 106.

على ذلك بالنهي عن ثلاث موبقات: وهي الزنى والقتل بغير الحق، وأكل مال اليتيم، ثم تتابعت الأوامر والنواهي بكل ما يصلح للمجتمع المسلم عقيدة وسلوكا ونظاما.⁽¹⁾

○ ربط التفسير بالواقع المعاصر:

لم يقتصر تفسيره على النصوص الدينية، بل كان يسعى لربطها بواقع المجتمع وقضايا المعاصرة، مما يجعله ذا قيمة عملية وتوجيهية. حيث يمزج كعباش تفسيره بالواقع الذي يعيشه ليعطي توجها للمشكلات سواء التي تتعلق بالدين أو الدنيا، ويحمل هم الأمة الإسلامية جميعا، يظهر ذلك مثلا في حضور القضية الفلسطينية في تفسيره، ففي قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112]، يقول: "لله ما أبلغ كلام الله وما أصدق وعده، فقد لازم هذا الوصف اليهود في مسار وجودهم أوزاعا وأشتاتا بين الأمم، كما قال تعالى عنهم في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168] ولم يقم لهم كيان اليوم على أرض فلسطين إلا تحت مظلة الأمريكان وحلفائهم الأوروبيين، وذلك على حين خمول وذهول وتشتت من طرف المسلمين، والله الأمر من قبل ومن بعد.⁽²⁾

فحضور القضية الفلسطينية في تفسيره دليل على أنه يربط القضية الفلسطينية بواقع الأمة الإسلامية وما يتعلق بها من قضايا تمس المسلمين والإسلام.

○ ربطه التفسير بواقع بلاده:

نجد أن الشيخ كعباش يحمل هم بلاده وهم إصلاحها، إذ يقول في معرض تفسيره لآية: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: 217]. وما ظاهرة اللاجئين المعروفة في عصرنا إلا فرار وخروج من الديار هروبا من

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 8، ص 54-53.

(2) ينظر: محمد سعيد كعباش، نفحات الرحمن في رياض القرآن، ج 2، ص 379.

الفتن والحروب الأهلية حين لا يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وإن في بلد مسلم ولكنه لا يطبق حكم الله ولا يتقيّد بحدوده، وكم عانت بلادنا الجزائر من هذه الظاهرة ولا تزال. فلا عجب أن تتوزّع الأسر الجزائرية في كلّ القارات تقريبا، فلا يقال: إنّ أغلب أولئك المهاجرين هم طلاب الدنيا وزخرفها، لأنّ الثورات والمواجهات التي عرفتها بلادنا لاسيما في فترة الاستعمار البغيض إنّما قامت على أساس من الدين جهادا في سبيل الله لتطهير أرضنا من أرجاس الكفر. وما كان الله ليضيع أجر المظلومين البائسين. والله أعلم.⁽¹⁾

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث ومن خلال كل ما سبق فإنني أخلص إلى ذكر هذه النتائج:

- الاتجاه الإصلاحي في تفسير الشيخ كعباش واضح المسلك، لأنّ من خصائصه اعتماده على الإملاء والشفاهة، وهو ما كان يمارسه الشيخ كعباش منذ بدايات تفسيره الشفوي في المساجد، وهي خاصيّة تقتضها طبيعة الإصلاح كون المصلح يجالس أفراد المجتمع ويعالج قضايا المجتمع بحلول قرآنية
- التفسير الإصلاحي عند الشيخ كعباش محاولة لبعث الروح والفاعلية والحركية في التفسير وربطه بالواقع المعاش.
- استعمل الشيخ كعباش التفسير الإصلاحي كأداة إصلاح لما أفسده الدهر، إذ استمداده من الكتاب والسنة والمعتبر من تفاسير السابقين ومن قواعد اللغة وعهدها وأساليبها
- يميّز تفسير النفحات بأسلوبه السهل وعدم استعماله للألفاظ الصعبة وإنّما بما يتناسب مع العصر الحالي، كما يميّز بالتحليل البسيط البعيد عن التعقيد إذ يغلب على تفسيره المنهج الإصلاحي، وخطابه الذي يدعو إلى توحيد الأمة وبعده عما يفرّقها
- ضمّن الشيخ تفسيره كثيرا من المواعظ والهدايات وتوجيهات التربية والتزكية الإيمانية.
- يتجسد الجانب الإصلاحي في تفسير الشيخ كعباش في منهجه التربوي والاجتماعي

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ج 2، ص 88.

الذي يهدف إلى ربط المجتمع بكتاب الله وذلك باتباع ما جاء في القرآن من أصول إصلاح المجتمع المسلم وبناء أركانه وآداب تنظيم شؤون المجتمع، وتوجيه الأفراد نحو الفهم الصحيح للإسلام.

■ يربط الشيخ كعباش بالواقع والأحداث التي تحدث في بلاده وفي العالم الإسلامي وفي العالم عموماً

هذا ما استطعت جمعه من معالم هذه الدراسة، التي أسأل الله تعالى أن تكون نافعة شافعة، وأوصي كل باحث مهتم بالتفسير المعاصرة أن يزيد البحث ويوغل الدراسة في نفحات الشيخ كعباش فلا يزال هذا التفسير ميداناً خصباً ومعيناً لكلٍّ موجه ومرتبٍّ ومصلح. والحمد لله وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أخضري عيسى، نويجم مسعودة، قراءة في نفحات الرحمن في رياض القرآن للشيخ: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017، ج2،
2. بن الدين بخولة، سيرة ومسيرة علامة الشيخ محمد بن إبراهيم كعباش، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.
3. حمو بن عيسى الشهباني، الدرس العقدي عند الشيخ كعباش من خلال تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.
4. رمضان يخلف / نور الدين هيبة، مسلك الشيخ محمد إبراهيم سعيد كعباش في تعامله مع أسباب النزول القرآني في التفسير، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديباً ومفسراً، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.
5. كعباش محمد بن إبراهيم سعيد، رحلة العمر، تنسيق وفهرسة: ابن عيسى عبد الله بن موسى، مكتبة التوفيق، العطف، غرداية، الجزائر، 2015م، ط1

6. كعباش محمد بن ابراهيم سعيد، نفحات الرحمن في رياض القرآن، جمعية النهضة المطبعة العربية، العطف، 2008م.

7. مصطفى رشوم، منهج الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسير آيات الأحكام الشرعية من خلال كتابه "نفحات الرحمن في رياض القرآن" سورة البقرة نموذجا، أعمال الملتقى الوطني الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش أديبا ومفسرا، جامعة غرداية، 14-15 مارس 2017.

المواقع الالكترونية:

- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش
<http://chikhkaabache.net/propochikh.php>
- الموقع الرسمي للمكتبة الجزائرية الشاملة، <http://shamela-dz.net/?p=638>

الآثار التربوية والاجتماعية عند الشيخ الأخضر الدهمة في تفسيره قطوف دانية من سور قرآنية

د. حميدة حوامدي - د. ليلى شبرو

مديرية الشؤون الدينية - ولاية الوادي

الملخص:

موضوع هذا البحث موسوم بـ "الآثار التربوية والاجتماعية عند الشيخ الأخضر الدهمة في تفسيره قطوف دانية من سور قرآنية"، وإشكاليته الرئيسية التي حاول الإجابة عنها هو: ما هي أبرز الآثار التربوية والاجتماعية المستخلصة من تفسير قطوف دانية للشيخ الدهمة؟ وقد جاء البحث في مطلبين؛ خُصص أولهما بترجمة الشيخ الدهمة وبمنهجه في التفسير، أما الثاني استقرت فيه الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير الشيخ من خلال نماذج مختارة.

ومن النتائج الأساسية التي توصل لها البحث أن الشيخ الدهمة كان له تركيز كبير ومواقف من القضايا التربوية والاجتماعية المعاصرة، كما أوصى البحث بضرورة استخلاص الدرر المكنونة في تفسير الشيخ.

الكلمات المفتاحية: الآثار التربوية والاجتماعية، تفسير قطوف دانية، الشيخ الأخضر

الدهمة

Abstract :

The topic of this research is titled "The Educational and Social Effects of Sheikh Al-Akhdar Al-Dahma in His Interpretation of "Qutuf Daniya" from Quranic Surahs." The main problem it attempts to answer is: What are the most prominent educational and social effects derived from Sheikh Al-Dahma's interpretation of "Qutuf Daniya"? The research is divided into two sections. The first is devoted to a biography of Sheikh Al-Dahma and his interpretational approach. The second section explores the educational and social effects of the Sheikh's interpretation through selected examples.

One of the main findings of the research is that Sheikh Al-Dahma had a strong focus and stance on contemporary educational and social issues. The research also recommends the need to extract the hidden gems in the Sheikh's interpretation.

Keywords: Educational and social effects, interpretation of "Qutuf Daniya", Sheikh Al-Akhdar Al-Dahma

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لقد حظي كتاب الله تعالى بعناية كبيرة لم يحظ لها أي كتاب آخر عبر التاريخ، في شتى المجالات والميادين، وإن من أجل ما اعتنوا به، وصرفوا إليه همهم، هو علم تفسير القرآن، حيث تعتبر التفاسير القرآنية مصادر مهمة لفهم تعاليم الإسلام وتوجيهاته لكونها تشمل أبعادا تربوية واجتماعية مفيدة لمعالجة النفس البشرية والرقى بها نحو المعالي، لذا جاء هذا البحث لاستخراج الآثار التربوية والاجتماعية من تفسير علم من أعلام الجزائر الذين كرسوا حياتهم في خدمة الدين، فجاء البحث بعنوان: "الآثار التربوية والاجتماعية عند الشيخ الأخضر الدهمة في تفسيره قطوف دانية من سور قرآنية".

إشكالية البحث: يتمثل الاشكال الرئيسي للبحث في السؤال التالي: ما هي أبرز الآثار التربوية والاجتماعية المستخلصة من تفسير قطوف دانية للشيخ الدهمة؟

وينجر عن هذا التساؤل الرئيس السؤال الآتي: كيف يمكن الاستفادة من الآثار التربوية والاجتماعية في الواقع المعاصر؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في عدة جوانب:

- أهمية القرآن كمنبع للقيم والمبادئ التربوية التي تسهم في تكوين شخصية المسلم السوية.

- المشاركة في خدمة آثار العلماء التي ورثوها لنا، اعترافا بجهودهم المبذولة.

- معرفة كيفية استنباط الحلول القرآنية للمشكلات الاجتماعية المعاصرة.

- بيان الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير القرآن الكريم.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- التعريف بالشيخ الأخضر الدهمة لكونه من أبرز علماء الجزائر المعاصرين الذين لهم صوت صдах في معالجة قضايا زماننا.

- استخلاص الآثار التربوية والاجتماعية من تفسير الشيخ الدهمة والاستفادة منها في واقعنا المعاش.

المنهج المتبع في البحث: اعتمد البحث على:

المنهج الوصفي؛ قصد وصف منهج الشيخ في تفسيره.

والمنهج التحليلي؛ لتحليل النصوص التفسيرية التي تتناول جوانب تربوية واجتماعية، واستخلاص أبرز المفاهيم والقيم التربوية والاجتماعية من هذه النصوص.

خطة البحث: تضمن البحث مقدمة، ومطلبين وخاتمة:

المطلب الأول ترجمت فيه الشيخ الدهمة ومنهجه في تفسيره.

أما المطلب الثاني فتكلمت فيه عن الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير الشيخ. المطلب الأول: ترجمة الشيخ الأخضر الدهمة ومنهجه في التفسير

الفرع الأول: ترجمة الشيخ الأخضر الدهمة

1- اسمه ومولده ومرحلة دراسته الأولى: نشأ الشيخ في مدينة متليلي الشعانبة، وختم القرآن على يد أحد معلميه، وهو الشيخ محمد كديد _ رحمه الله _ وتعلم شيئاً من الفقه ، ثم انتقل عام 1942م، مع بعض زملائه من متليلي، إلى مدينة غارداية لتلقي علوم اللغة العربية والفقه الإسلامي على المذهب المالكي على يد الشيخ: محمد الأخضر فيلاي أحد تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس _ رحمهما الله _

وقصة معي الشيخ محمد الأخضر فيلاي إلى غارداية أنه كان في زيارة لصديقه الشيخ

محمد البشير الإبراهيمي في منفاه بمدينة آفلو أثناء الحرب العالمية الثانية، وصادف ذلك أن زاره أحد أعيان قبيلة المزابيح في غارداية وهو السيد: زرباني أبو بكر، وبتلك المناسبة طلب منه باسم الجماعة أن يعين لهم شيخا من مشايخ جمعية العلماء المسلمين لينفع الله الأمة بعلمه، فوجد الشيخ البشير الفرصة سانحة ليقترح على الشيخ محمد الأخضر المذكور أن يلبي طلب الجماعة، ورغبه في ذلك فكان منه القبول، واصطحبه الأخ أبوبكر معه إلى غارداية ليجد الشيخ الترحيب التام من المواطنين، وذلك في خلال سنة 1940م، ولم يلبث أن كون ثلاث حلقات علمية على حسب مستويات الطلبة في اللغة العربية وقواعدها، والفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك - رحمه الله - مع تحفيظ القرآن الكريم، ومراجعته يوميا بالنسبة لحافظيه...، وكانت له حلقة عامة بعد صلاة العشاء في جامع خالد بن الوليد في كل ليلة تؤمها الجماهير من أحياء غارداية، وموضوعها: الأحاديث الشريفة وشرحها، أما في فصل الصيف وجزء من فصل الخريف فينتقل بطلبته إلى الجامع العتيق بضاية بن ضحوة.

وكان في الحلقات الخاصة يكون طلبته تكوينا سياسيا، وفي كل مناسبة يزرع في قلوبهم كراهية الاستعمار الفرنسي الطاغى، ويخزن في ضمائرهم الاستعداد للمساهمة في تحرير الوطن عندما يأذن الله بذلك، وكان يعلن لطلبته أن العدو الحقيقي للمسلمين ليس بعضهم لبعض مهما اختلفت طوائفهم ومذاهبهم، وإنما هو الاحتلال الفرنسي الذي يغذي فيهم العداوات والنزاعات انطلاقا من القاعدة التي اتفق عليها محتلو البلاد العربية، وهي "فرق تسد"، الأمر الذي لفت الحاكم الفرنسي إلى خطورته، فكلّف جواسيسه بمراقبته في دروسه الخاصة والعامة، وقد بلغ السيل الزبا حينما اتهم بتأييد حاملي السلاح من القطر الليبي إلى القطر الجزائري، فنفي من غارداية، وبذلك فترت النهضة العلمية التي زرع بذورها في الفترة الممتدة بين: 1940م - 1946م، ولو أن روحها ظل يحرك المتمتعين بها، والمستفيدين منها ليعكسوه في أرواح غيرهم من إخوانهم وأبنائهم، ثم عاد الشيخ المنفي من الجزائر العاصمة إلى غارداية بعد تدخلات لدى السلطات الحاكمة من بعض المقربين عندها، ولكن لا يستأنف النشاط فيها، ولكن ليحقق حلما راوده في منفاه وهو إرسال وفد من طلبته إلى تونس لينهلوا

من معين جامع الزيتونة⁽¹⁾.

2- مرحلة التحصيل العلمي في الزيتونية: تحقيقا لرغبة الشيخ الفيلاي في التحاق بعض الطلاب بجامع الزيتونة اختير منهم ثلاثة أحدهم الأخضر الهمة، سنة 1946م، وأمضى فيها أربع سنوات 1946-1950م لينال منها شهادة التحصيل، وعاد شهابا ورأيا من العلم وقدحا مشتعلا من الوطنية. ولم تكن يد الاستعمار قاصرة عن تقفي آثارهم فعمدت إلى التضييق على أھالهم، حتى أن أذناها أحرقت حانوت أبيه بمتليلي ليقطعوا عنه المعونة والممدد، ولكن قضى الله أمرا كان مفعولا⁽²⁾.

3- الأعمال الوطنية للشيخ: انطلق الشيخ في التربية والتعليم والإصلاح بمدرسة حرة في عين بسام ولاية البويرة، ليدبر ويعلم في مدرسة حرة، واستمر في ذلك العمل إلى غاية 1957م، أين اشتدت الثورة، وترامت الأنباء باعتقاله، فيمم شطره إلى غرداية لمواصلة رسالته التربوية والاصلاحية بمدرسة العرفان التابعة لمسجد حمزة مع بعض الزملاء في ظروف صعبة جدا نجمت عن تصرفات السلطة الأجنبية التي استمرت إلى إيقاف النار، وفي سنة 1992م أوقف الشيخ مكتبته الثرية بمختلف المصادر في سبيل الله، لتبقى شاهدا على أعماله العلمية المكتوبة منها والمسموعة، وهي إلى الآن مقصد الطلبة الجامعيين والباحثين⁽³⁾.

4- للشيخ دروس شفوية متمثلة في الإرشاد والتوجيه في المساجد والمحافل والأفراح والمآتم، وكانت دروسه الشفهية لا تنقطع بعد صلاة الصبح وبين العشائين، وخصص دروس الجمعة للتفسير الهادي، وكان مسلكه تربويا عاليا، ركز فيه على واجب الوقت في القضايا الاجتماعية والأخلاقية، مع حسن السبك والبيان، وقد أمضى في تفسير البقرة وحدها ثمانين سنين.

(1) كتبه أحد تلاميذه في آخر كتاب: قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، مطبعة مداد، غرداية، الجزائر، 1431هـ/2010م، 362-359/2.

(2) الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجا/ د: محمد عبد الحليم بيثي، جريدة البصائر الرقمية صفحة على النت، تم الاطلاع عليها يوم 14 سبتمبر 2025م.

(3) الشيخ الأخضر الدهمة وجهوده التفسيرية واللغوية من خلال تفسيره قطوف دانية من سور القرآن، ميلود عمار، مجلة المنهل، المجلد 8، العدد 2، سنة 2022م، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ص 259.

كما له مؤلفات مكتوبة وهي: قطوف دانية من آيات قرآنية، وأضواء على سورة الحجرات، وإرشاد الضمآن إلى معاني قلب القرآن، ودروس وعبر من سورة الحشر.

الفرع الثاني: منهج الشيخ الدهمة في تفسيره

1- منهجه العام: وهذا ذكره بنفسه في مقدمة تفسيره، انتهج فيه منهج أصحاب النظر الثاقب، حيث يقول عن ذلك ومنهجي في التفسير أن أتلو الآيات التي أقصد إليها تلاوة متأنية، أحاول بها اقتناص المعاني القريبة التناول، وتحديد الآيات التي تستوجب الاستعانة ببعض كبار المفسرين ومحققهم وعند اختلافهم أقارن بين أقوالهم محكما النقل الصحيح، والعقل الحصيف، والذوق السليم، فأستمسك بما يشهد له هذا التحكيم، وأرفض ما سواه، ثم أرتب المعاني وفق ما أراه حريا بولوجها إلى أذهان المستمعين أو القراء في يسر وانسجام، ثم أتوكل على الله في تسجيلها وإلقائها ونجاحها، مراعيًا في الإلقاء تباين المستويات بحيث لا ينزعج المثقف بضياح وقته ولا الأمي بعسر فهمه⁽¹⁾.

2- ملامح منهجه التفصيلي: يمكن تحديد ملامح منهجه التفصيلية فيما يلي:

- تفسير القرآن بالقرآن عن طريق جمع نظائر الآيات، واستخراج الإيماءات الخفية باستحضار المتشابه السياقي، وبيان مقتضى الأساليب، والتركيز على المناسبات القرآنية، ثم بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ما جاء به السلف، وهذا دليل على سلامة منهجه.
- يتطرق إلى شرح المفردات والكلمات، ويستشهد بالأبيات الشعرية في كثير من المواقف.
- استصحاب متعلقات الألفاظ، وبيان العلاقة السببية بين الآيات.
- الاهتمام باللغة والإعراب المعين على بيان المقصد من السياق.
- يقدم النصيحة والموعظة كلما سنحت له الفرصة، وهذا دليل على اهتمامه التطبيقي للآيات أكثر من النظري.

- كثرة أساليب التعجب والاستفهام لتحريك ذهن القارئ لمزيد التمعن والتدبر.

- يبين الشيخ مصادره في التفسير فكثيرا ما يستشهد بما جاء في تفسير العلامة محمد

(1) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 2/1.

الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير.

-يرد على الشبهات المعاصرة والمفاهيم الخاطئة المتعارضة مع أصول الإسلام ومقاصده الشاملة، ومن ذلك رده على الفرق الضالة من غلاة الشيعة في سب الصحابة⁽¹⁾.

-الاعتناء بالجانب المقاصدي في الشريعة الإسلامية فكان ينبه في كل مناسبة على أن الإسلام دين السلم والأمان، لا الارهاب والترويع، ومثال ذلك قوله تعالى: **سَمِّحٌ وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** أسجى [الحجرات: 13]، يقول: "الاهتمام بمعرفة النسب من أجل صلة الأرحام أي الاحسان إلى الأقارب مطلوب شرعا....، وكذلك الاهتمام بالمحافظة على طهره، والحذر من اختلاطه، وهو من مقاصد الشريعة الإسلامية"⁽²⁾.

المطلب الثاني: الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير قطوف دانية

الفرع الأول: الآثار التربوية في تفسير الشيخ:

1- مفهوم الآثار التربوية: المراد بالآثار التربوية في البحث: "مجموعة الانعكاسات التربوية والأخلاقية والآداب التي تنتج من الأمان والتعايش مع القرآن الكريم، وغالبا ما تدور حول تزكية النفس والسير بها نحو المعالي، من الآداب وحسن الأخلاق وتربية النفس وترويضها على السلوك الطيب المستقيم، والبعد عن حظ النفس وأمراض القلوب من العجب وغير ذلك"⁽³⁾.

2- الآثار التربوية: إن القرآن الكريم هو منهج تربوي متكامل يعمل على تنمية الانسان من الداخل، ويركز على بناء شخصية متوازنة من جميع النواحي: الروحية والعقلية والأخلاقية، وذلك من خلال الآثار الآتية:

أولاً: التربية الروحية: تشير التربية الروحية إلى تهذيب النفس البشرية وتنقيتها وتهذيبها

(1) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 388/1.

(2) المصدر نفسه، 285/1-286.

(3) الآثار التربوية في تفسير لطائف الإشارات للقشيري في الايمان بالله تعالى، محمد عطا أحمد يوسف، ونادية علي مسعود أبو سكيانة، العدد 58، سنة 2025م، المجلة العلمية بكلية الآداب، بجامعة طنطا، ص 1247.

من الأهواء والشهوات الدنيوية، بحيث تهدف إلى تنمية الايمان بالله واليوم الآخر، واحياء الوازع الديني في القلب وتتجلى من خلال الآيات التالية:

-ترسيخ الإيمان بالله تعالى: يتضمن ما يلزم معرفة الخالق سبحانه وتوحيده في ألوهيته وربوبيته، والتزام أسمائه وصفاته عقديا وسلوكيا، هذا مما يعمق الايمان ويجعله أكثر ثباتا في القلب، "وتوحيد الله في ربوبيته يعني توحيده في الخلق والرزق والملك والحكم والنفع والضر والاحياء والإماتة، ومن الشرك اعتقاد أن الله شريكا في هذه الصفات، ويستلزم توحيد الله في ربوبيته توحيده في ألوهيته أي افراده بالعبادة"⁽¹⁾، ومما يدخل في ترسيخ الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر على اعتبار أن الدنيا مرحلة مؤقتة، لكن تكتسب أهميتها من كونها مزرعة و جسرا إلى الآخرة، فعلى الإنسان أن يستعد لها، قال الشيخ: "والمستفاد من ذكر مشاهد القيامة وموازينها في سورة القارعة أن الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقية الجديرة بالسعي إليها للفوز بالسعادة الأبدية"⁽²⁾، وعلى الانسان أن لا يغتر بالدنيا ما دامت فانية كما في قوله تعالى: **سَمِحَ الْهَلِكُمْ لَلْكَائِرِ 1 حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ سَجَى [التكاثر: 1-2]**، "في الآيتين توبيخ للمشركين وتحذيرهم لهم من مغبة افتتانهم بالدنيا، فكأنه يناديهم قائلا لهم: أيها المخدوعون قد شغلتم التفاخر بأعراض الحياة الدنيا، وألهاكم الفاني عن الباقي، حتى فنيت أعماركم، وحملتكم إلى قبوركم، والتحذير في السورة وإن كان للمشركين فإن المؤمنين لا يعفون منه إذا فعلوا فعلهم، وتخلقوا بأخلاقهم"⁽³⁾، ومن الآثار التربوية في تحقيق التوحيد الخالص نذكر:

- "أن المسلم الصادق في دينه لا يقبل المساومة في عقيدته، ولا يرضى بالندية في دينه، وهذا هو الثبات الذي يميز المؤمنين المخلصين ويُعِدُّهم لأن يكونوا أئمة متبوعين لا تابعين، شاهدين على الناس لا مشهودا لهم، وديننا الحنيف بقدر ما يحث أتباعه على التمسك بالحق، والدفاع عنه، ويجعل ذلك من العناصر المكونة للشخصية الإسلامية، ينفر من

(1) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 27/1.

(2) المصدر نفسه، 171/2.

(3) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 177/2.

التلون والمداهنة، ويغض النفاق والمنافقين⁽¹⁾.

- من نصر الله بتحقيق العبودية التامة نصره: "ولنا في رسول الله وصحابته الإسوة الحسنة، فقد كانوا يعدون العدة والعدد قبل أن يخوضوا المعارك مع أعدائهم متوكلين على الله حق التوكل، وقد نصرهم الله في كل المعارك، وإن حصل لهم اهتزاز فلحكمة، ولم يتخل الله عنهم إلا يوم تخلوا عنه بالإقبال على الشهوات والعزوف عن الواجبات، فسلط الله عليهم شرارهم يذلونهم ويعنتونهم ويخضعونهم لرغباتهم وسفاهاتهم وحمقاتهم التي يندى لها الجبين"⁽²⁾

- "أن الله عز وجل هو الوحيد الذي يستمد منه المسلم توفيقه إلى الصواب، وإعانتة على الأعمال ومباركتها وقد تظاهرت النصوص الشرعية على ذلك"⁽³⁾.

- العبادة الخالصة لله وحده: مثل الصلاة الزكاة التي توثق الصلة بين العبد وخالقه وتجلب السكينة والطمأنينة، ويتجلى ذلك في:

- حصول الطمأنينة القلبية: فعندما يدرك المسلم أنه يؤدي العبادة لوجه الله وحده، يجد راحة وطمأنينة، "فبعد أن كانت الأفضلية للذرمة في القراءة صارت للنوع المعروف في القراءة بالحد والترتيل، وبعد أن كانت الطمأنينة في الصلاة مهضوما حقها أصبحت تسترجعه"⁽⁴⁾، ولذلك وجب تحذير "أولئك الذين تشبه صلاتهم صلاة المنافقين من حيث فراغ قلوبهم من الخشوع لله تعالى فيها، وعدم استحضاره في نفوسهم، ومن حيث أداؤها بسرعة منكرة"⁽⁵⁾

- الإخلاص في العبادة سبب قبولها ويقوي صلة العبد بربه: لذلك نهى عن الرياء في العبادة في سورة الكوثر قال الشيخ: "في الآية تحذير للمسلمين من المراة بالعبادة، وطلب

(1) المصدر نفسه، 275-274/2.

(2) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 290-289/2.

(3) المصدر نفسه، 19/1.

(4) المصدر نفسه، 106/2.

(5) المصدر نفسه، 249-248/2.

السمعة والتقرب بالذبايح والنحائر لأي مخلوق مهما جل قدره وعظمت منزلته"⁽¹⁾.

-التفكر في خلق الله وآياته الكونية: مما يقوي اليقين والخشوع، "احساسك بنعم الله عليك قد استقر في ذهنك فلم يبق إلا أن تقابل النعمة الجليلة بشكر المنعم عليك، وذلك بأن تجتهد في عبادة ربك، وتتأمل في عجائب صنعه"⁽²⁾، فهذا يقوي يقين المسلم بالله ففي قوله تعالى: **سَمِّحْ وَلَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ وَمَثَارِبٌ سَجَى** [يسين: 73]، قال الشيخ: "والعبرة التي ينبغي للمؤمن أن يستخلصها من هذه الآيات أنه كلما ملكه الله حيوانا يركبه بيسر، ويحمل عليه أثقاله، ويقطع به مسافات، وكلما شرب جرعة من لبن، أو أكل قطعة من لحم أو جبن....، وكلما انتفع بصوف أو وبر أو شعر أحس بفضل الله عليه في كل ذلك فيمتلئ قلبه بتوحيده في ربوبيته وألوهيته، ويلهج لسانه بشكره والثناء عليه، وتنطلق جوارحه في طاعته، وتتورع عن محارمه مما يزيد في اتساع النعم، ويحفظ من النقم"⁽³⁾.

-مجاهدة النفس والسيطرة على الغرائز ومحاربة الشهوات: تؤدي إلى تزكية النفس وتنقيتها، ومن آثارها:

- القرب من الله والوصول إلى الفلاح الآخروي: فمجاهدة النفس من أعظم أبواب القرب من الله والوصول إلى الجنة، "فلا سفالة أشنع من سفالة انسان انسلخ من انسانيته الراقية وهبط إلى أحوال الشهوات يتقلب في أصنافها كيفما شاءت له غريزته الحيوانية، ومن لطف الله بهذا الانسان أن عرض عليه في كتابه الكريم نماذج بشرية انحرفت عن فطرتها السليمة فاستحقت غضب الله عليها، وذلك لينأى بنفسه عن التسفل.... فأرشد الله الانسان إلى أسباب ترقيه التي تتمثل في الشريعة السماوية من إيمان وأعمال صالحات... وأوضح أن من أحسن الاختيار لنفسه كان من المفلحين، وأن من أساءه كان من الخاسرين، فلا يلومن إلا نفسه"⁽⁴⁾.

(1) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 260/2.

(2) المصدر نفسه، 32-33.

(3) المصدر نفسه، 180-181.

(4) المصدر نفسه، 51-52.

-قراءة القرآن بتدبر: بما يغذي الروح ويقرب الانسان من خالقه، ومن آثارها:

- السكينة والطمأنينة: "فالمؤمنون الذين تمكن الايمان من قلوبهم فهم حين يقرءون القرآن أو يسمعون كما وصفهم الله تعالى في سورة الزمر: **سَمِعَ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ سَجَىٰ** [الزمر: 23]، أي ترتعد منه جلود الذين يخافون الله، وتكاد قلوبهم تنخلع حين يسمعون الآيات الدالة على التهديد والانذار ثم تطمئن جلودهم وقلوبهم حين يسمعون الآيات الدالة على لطف الله بعباده، ورحمته بهم"⁽¹⁾، وأسباب عدم التأثر بالقرآن كثيرة منها: "الضعف الذي طرأ على العرب في لغتهم التي نزل بها القرآن، أيضا عدم المبالاة به لدى الكثيرين من السامعين، فترى أحدهم يتابع القرآن بأذنيه ليستمتع بنغمات القارئ الحلوة، ولكن لا يتابعه بقلبه"⁽²⁾.

ثانيا: التربية العقلية: وتُعنى بتنمية قدرات الانسان على التفكير والتحليل والاستنتاج، واعمال العقل في فهم آيات الله وسننه في الكون والحياة، فهي تحول الفرد من مجرد متلق إلى مفكر وباحث، وهذه تؤثر على الفرد من ناحية:

-التأمل في الكون للإيمان بقدرة الله وعظمته، وبالتالي يزداد العبد إيمانا بربه، وعدم التفكير يؤدي للجحود وإنكار الحق بسبب:

*مرارة الحق، لأنه يدعو إلى القيان بالتكاليف التي تراها النفوس الضعيفة ثقيلة عليها.
*الهوى المتبع: الذي يميع شخصية الانسان، ويجعله مستهترا، لا يبالي بما يفعل ولا بما يترك، ولا تهمة التفرقة بين الفضيلة والرذيلة.
*الاستكبار والاستعلاء.

*التعصب لأفكار وتقاليد توارثها الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد، وجمدوا عليها،

(1)قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 429/1.

(2)المصدر نفسه، 430/1.

فاستغلقت عقولهم، ورفضوا مجرد النظر فيما عرض عليهم مدعما بالأدلة والبراهين.

*التعصب لقومية ما، أو لقبيلة ما، والتقليد دون تمحيص ونظر⁽¹⁾.

-الاستفادة من العلوم والمعارف: فالقرآن يحث على طلب العلم ويجعله فريضة، "لأنه سبيل الحياة الراقية، وأساس التقدم"⁽²⁾، ولأهميته جاءت "الإشادة بالقلم في أول ما نزل من القرآن الكريم، تنبها لبني آدم على قدرة الله المتمثلة في إلهامهم إلى التوفيق بين كل صوت يلفظونه وصورة الحرف الذي اخترعوه ليدل عليه"⁽³⁾، وفي سورة الضحى حثَّ على تعليمه، "كما أنقذتك من ظلام الجهل، وأنرت بصيرتك بنور العلم يجب عليك أن تبش في وجوه السائلين المسترشدين، ألا تبخل عليهم بما فتحه عليك، وألا تتضايق من أسئلتهم فتهمهم وتبعدهم"⁽⁴⁾.

-التفكير المنطقي ودعوة الانسان للاعتماد على بصيرته في سبب خلقه: مما يعمق صلة العبد بربه الذي خلقهم من أجل عبادته "فمن قام بتكاليف العبادة ورعاها حق رعايتها كان من المفلحين، ومن أعرض عنها واستنكف عن متطلباتها كان من المخفقين"⁽⁵⁾، وضرب الأمثال في سورة الحشر "جعلها الله للناس، ووضعها لهم ليتفكروا فيها أي ليجيلوا فيها أفكارهم، ويعملوا عقولهم، عساهم يتعظون بها، وينتفعون بمغزاها في حياتهم الدنيوية والأخروية، وفي الآية حث على التفكير والتدبر في الأمور المهمة وتقليب وجهات النظر في مقدماتها ونتائجها"⁽⁶⁾.

ثالثا: التربية الأخلاقية: تهدف الى بناء شخصية متوازنة تتميز بالفضائل والخصال الحميدة، ويظهر تأثيرها من خلال عدة نقاط منها: بناء الشخصية القوية السوية من خلال ربط الإيمان بالأخلاق، أيضا بتهذيب النفس والسلوك من خلال كونه يدعو للصفات

(1) المصدر نفسه، 2/127-130.

(2) التفسير التربوي للقرآن الكريم، أنور الباز، دار النشر للجامعات، مصر، القاهرة، 3/566.

(3) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 2/83-84.

(4) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 2/16.

(5) المصدر نفسه، 2/57.

(6) المصدر نفسه، 1/432-433.

الحسنة، ومن الأخلاق التي يدعو لها القرآن:

- الإخلاص في الأعمال والأقوال: حيث تعلمنا سورة الإخلاص أن أساس الأخلاق هو الايمان الصادق بالله وحده، فعندما يكون القلب خالصا لله، فإن الأفعال والسلوكيات ستكون خالصة لوجهه بعيدة عن الرياء، والايمان هو التصديق القلبي بوجود الله والاذعان لكل ما جاءنا به الرسل: ومن آثار الايمان:

*الايمان يمنح الطمأنينة والثقة: في سورة الإخلاص يتم التأكيد على وحدانية الله المطلقة وكماله، مما يزيل من قلب المؤمن أي خوف أو تعلق بغير الله، ويجعله يستمد قوته من الله وحده فلا يخشى سواه، "فالمؤمن الموحد لا يلتجئ إلى غير الله في جلب نفع، أو دفع ضرر"⁽¹⁾.

- الصبر والعمل الصالح: فسورة العصر تلخص لنا أركان النجاة من الخسران في أربعة أمور وهي: "الايمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر"⁽²⁾، وهذا يعلم المسلم أن الوقت ثمين لا بد من استغلاله أحسن استغلال، "فمن زرع فيه الشر حصد الندامة والشقاوة والخسران، ومن زرع فيه الخير حصد الغبطة والسعادة والريح المبين"⁽³⁾.

-العزة والثبات: ترسخ سورة الكافرون في المسلم مبدأ المفاضلة الأخلاقية في العقيدة، وتعلمه الثبات على دينه، وعدم المساومة على مبادئه، "فالمسلم الصادق في دينه لا يقبل المساومة في عقيدته، ولا يرضى بالدنية في دينه، وهذا هو الثبات الذي يميز المؤمنين المخلصين ويُعِدُّهم لأن يكونوا أئمة متبوعين لا تابعين، شاهدين على الناس لا مشهودا لهم، وديننا الحنيف بقدر ما يحث أتباعه على التمسك بالحق، والدفاع عنه، ويجعل ذلك من العناصر المكونة للشخصية الإسلامية، ينفر من التلون والمداينة، ويبغض النفاق والمنافقين"⁽⁴⁾.

-الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية: سورة العصر تربّي في الانسان مسؤوليته اتجاه

(1)المصدر نفسه، 2/323.

(2)المصدر نفسه، 2/196.

(3) المصدر نفسه، 2/194.

(4)قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 2/274-275.

الآخرين، ومن أثار ذلك عليه: *تعزيز التكافل والدعوة إلى الخير: حيث يصبح المسلم داعية للحق ويشجع الآخرين عليه، "فالتواصي بالحق أن يوصي المؤمنون بعضهم بعضا بالالتزام به...واهمال التواصي بالحق يؤدي إلى الجهل، ويوقع في الباطل، وما انتشر الباطل في أمة إلا عمتهما الفتنة التي تهلك العباد والبلاد، فهي تصيب بنا راها الظالمين وغير الظالمين"(1).

-الشكر والاستغفار: فمن من الله عليه بالفتح والانتصار عليه أن يقابل ذلك الفضل بالشكر والاستغفار، لأن فيه "اظهار العبودية المطلقة له، وذلك بالتواضع لله، والتسبيح له، وتنزيهه عما لا يليق بكبريائه، والالتجاء إليه بطلب العفو وستر العيوب"(2).

- التوكل التام على الله: يجب على المسلم التوكل على الله في جميع أموره "فالعبد مستعين بالله، أي يطلب منه العون على إتمام العمل الذي يعجز عن الاستقلال به...، واستعانة المؤمن بالله تعني تبرؤه من حوله وقوته الذاتية؛ فهو يقر بعجزه عن التحول من حال إلى حال، وبعدم قدرته على شيء إلا بأقدار الله إياه على ذلك"(3).

-الإحسان: "إن تأمل المؤمن في الصفات الإلهية ربوبيته للعالمين ورحمته الواسعة بهم والتصرف المطلق له وحده في يوم الدين يثير في قلبه إلى استحضار الله أمامه فيتوجه إليه، وهذا هو مقام الاحسان"(4).

- لزوم دعاء الله الهداية للصواب: "علمنا الله عز وجل أن نطلب منه الهداية بعد أن علمنا أن نثني عليه ونستعين به وحده، لأن الهداية هي أهم شيء يطلبه الانسان من خالقه أن يعينه على بلوغه"(5).

- التثبت من الأخبار: في قوله تعالى: **سَمَحَ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ**

(1)المصدر نفسه، 198/2.

(2)المصدر نفسه، 290/2.

(3)المصدر نفسه، 37-36/1.

(4)ن المصدر نفسه، 37/1.

(5)المصدر نفسه، 43/1.

بِنَبَأٍ قَنَّبِيْنُوْا۟ سَجَىٰ [الحجرات: 6]، تدعو إلى وجوب التثبت في الأخبار ذات الشأن التي قد يترتب عليها أذى أو ضرر بمن قيلت فيه، وحرمة التسرع المفضي بالأخذ بالظنة فيندم الفاعل بعد ذلك في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، قال الشيخ: "أن الله تعالى يخاطب المؤمنين ليحذروهم من تصديق أي فاسق يأتهم بأي نبأ قبل أن يتحققوا من صدق ما نبأهم به، فقد يكون هذا المخبر كاذبا فيعاقبوا أناسا أبرياء مما نسب إليهم ثم يكتشفوا خطأهم في تصديقه فيندموا ويتمنوا لو أنهم لم يتعجلوا"⁽²⁾.

-تهذيب النفس ومحاربة الأمراض القلبية كالسخرية والنفاق: "وقد بين الله تعالى لنا في محكم التنزيل أن السخرية من أخلاق أهل الكفر والنفاق، ومن ثم استحقوا العقوبة في الدار الآخرة، فلا يليق بالمؤمنين أن يتشبهوا بهم... والأجدر بالمؤمن أن تشغله عيوب نفسه ليصلحها قبل أن تشغله عيوب غيره"⁽³⁾، وقال: "وفائدة الجملة دفع الناس إلى تزكية نفوسهم وتطهير نواياهم، وتحسين تصرفاتهم"⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: الآثار الاجتماعية في تفسير الشيخ.

1- مفهوم الآثار الاجتماعية: يقصد بالآثر الاجتماعي هو التغيرات التي تطرأ على المجتمعات - إيجابية أو سلبية - نتيجة لمستجدات وعوامل معينة⁽⁵⁾، وتهتم ببناء المجتمع المسلم وتنظيم علاقات أفراد.

2- الآثار الاجتماعية في تفسير قطوف دانية: وتتمثل في:

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م، 5/126.

(2) قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 1/228.

(3) نفس المرجع، 1/255.

(4) المصدر نفسه، 1/290-291.

(5) الآثار الاجتماعية والنفسية لجائحة كورونا على الأسرة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بعمادة السنة التحضيرية بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام رضا محمد حسن هاشم، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، المجلد 22، العدد السادس، 2021م، ص125.

أولاً: تحقيق العدالة الاجتماعية: يرسخ القرآن مبادئ العدل والمساواة بين الناس، وتقليل الفوارق الطبقية، مما يساهم في إرساء مجتمع يحترم حقوق الافراد ويحارب الظلم والفساد، ومن الآثار المستخلصة:

*اصلاح ذات البين: في قوله تعالى: **سَمَّحُوا إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا سَجَى** [الحجرات: 9]، قال الشيخ: "أمر الله المؤمنين بأن يصلحوا بين إخوانهم حين يتقاتلون، وأن يقاتلوا الطائفة التي ترفض الصلح حتى تكف عن اعتدائها وتعود إلى حكم الله، وحينئذ يجب الإصلاح بين الطائفتين بما يقتضيه العدل والانصاف، ثم إن الله تعالى أمر المؤمنين بنشر العدل بينهم في كل قضاياهم ومشاكلهم التي تعرض لهم، وأخبرهم بأنه يحب العادلين في أحكامهم"⁽¹⁾، وقال: "وأولى الناس بمراعاة معنى الآية وتطبيقه على القضايا المختلفة القضاة والحكام والرؤساء، فقد يقتل برئ أو يسجن أو ينكل به لأن قاضيا أو حاكما أو رئيسا انخدع بقول فاسق كذاب لا ضمير له، وما أكثر الفساق الذين يريدون تضليل الحكام من أجل المكر بخصومهم أو الحصول على غرض من أغراض الدنيا الزائلة، ولا يتذكرون أن هذه الأكاذيب تكون عليهم حسرة يوم القيامة"⁽²⁾.

*تغليب المصلحة الجماعية على الفردية: ففي قوله تعالى: **سَمَّحُوا وَلَا تَجَسَّسُوا سَجَى** [الحجرات: 12]، استخلص أن "سهر الحاكم على أمن الرعية، وحرصه على سلامتها من الآفات الاجتماعية وشعوره بالمسؤولية العظمى إزاء شعبه، وعدم استنكافه من القيام بمهمة الحارس الأمين لمجتمعه، وثانيتها حرية التعبير، وثالثها أن الحاكم لا ينبغي له أن يقر المفسدين في الأرض على فتح أوكار للفساد مهما كان نوع هذا الفساد ولا تقبل حججهم التي يحتجون بها تغليباً لمصلحة الجماعة على نزوات الأفراد"⁽³⁾.

*إقامة العدل بين الأفراد: في سورة الزلزلة قال: "لو أننا معشر المسلمين طبقنا في مجتمعنا هذا المبدأ العظيم وهو العدل الشامل بحيث ينال كل واحد ما يستحقه من اكرام

(1)قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 243/1

(2)المصدر نفسه، 229/1.

(3)المصدر نفسه، 275/1

وتشجيع وحسن جزاء إذا أحسن عمله، ومن إهانة وعقوبة وحرمان إن أساء عمله دون التفات إلى الروابط النسبية أو المصلحية، إذن لاستقامة الحياة، وازدهرت الحضارة الروحية والعقلية والمادية، وتدرج الناس في مراقي الكمال المقدر لهم، ولكنها الأهواء العفنة المنتجة للظلم الاجتماعي الذي يقتل في الانسان روح المبادرة والابتكار ويزهد في بذل الجهد في سبيل التطوير والتحسين في كل مجالات الحياة"⁽¹⁾.

ثانيا: التكافل الاجتماعي: ويتمثل في مساعدة المحتاجين مما يعزز التماسك الاجتماعي، ويعلم المسلمون أنهم اخوة لهم حقوق وواجبات تجاه بعضهم البعض، مما يقوي الروابط الاجتماعية ويحارب الفرقة، ومن آثار ذلك:

*بناء مجتمع مترابط قائم على الأخوة: "يستنتج من آية **سَمَحَ إِنَّمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ سَجَى** [الحجرات: 10] "أن الأخوة بين المؤمنين وما تقتضيه من حب ووثام ووحدية وسلام وتعاون هي الأصل في حياة المسلمين، وأن التباعد والتنازع والتقاتل خروج عن ذلك الأصل، لهذا أوجب الله عز وجل على أولى الأمر من المؤمنين أن يقاتلوا الفئة الباغية منهم حتى تعود إلى الجماعة وتندمج معها، وحينئذ يجب الكف عنها، وعدم ملاحقة الفارين منها وعدم الاجهاز على جريحها، وألا تؤاخذ غنائمها"⁽²⁾، فهذا المفهوم يعزز الوحدة والترابط، ويمنع الصراعات الطبقية، ويقوي الروابط بين أفراد المجتمع.

*نشر المحبة والألفة: فالتكافل يزيل مشاعر الحقد والحسد بين الأغنياء والفقراء مما يؤدي إلى زيادة الألفة والمحبة، ففي مضمون سورة الماعون "تحذير المؤمنين الصادقين من صفات المكذبين بالدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وفيها حث للمسلمين على التكافل فيما بينهم"⁽³⁾.

*الايثار والتعاون: تظهر الآية: **سَمَحَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَنَ سَجَى**

(1)قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 148/2.

(2)المصدر نفسه، 249/1

(3)المصدر نفسه، 252/2.

[الحشر: 9] صورة رائعة للتكافل من خلال ايثار الأنصار للمهاجرين، فالمعنى "أن الله تعالى مدح الأنصار بتفضيلهم إخوانهم المهاجرين على أنفسهم في مل شيء ولو كانوا في أشد الحاجة إلى هذا الشيء"⁽¹⁾

*تحقيق الأمن والتقليل من الجرائم: في قوله: **سَمَحَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ سَجَى** أن الله اوجب العقوبات على أصحاب الجرائم "فالله يريد أن يتحقق الأمن الشامل بين جميع الناس بحيث يأمن الانسان على نفسه فلا يتعرض للقتل ويأمن على ماله فلا يتعرض للسرقة، ويأمن على عرضه فلا يتعرض للتهم، ويأمن على دمه وماله حين يسافر من بلد إلى بلد، لذلك أوجب القصاص في القتل العمد والقطع ليد المعتدين والجلد لمن يقذف غيره بفاحشة بدون بينة...فهذه العقوبات ظاهرها قسوة ونتائجها رحمة ورأفة"⁽²⁾.

*توزيع الفيء: من خلال الصدقات والزكاة لا تبقى الثروة محتكرة في أيدي الأغنياء فقط، بل توزع على مستحقها، وذلك في قوله تعالى: **سَمَحَ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ سَجَى** [الحشر: 7]، "المعنى أن الله تبارك وتعالى حكم بأن يوزع الفيء المأخوذ من الأعداء على رسول الله وذوي قرابته من بني هاشم واليتامى والمساكين وابن السبيل، وذلك لأجل ألا يكون المال محصورا في أيدي الأغنياء يتداولونه فيما بينهم ليبقى الفقراء محرومين منه"⁽³⁾.

*الشعور بالرضا والاطمئنان: التكافل يمنح الفرد الشعور بالرضا والطمأنينة عندما يشعر أن جزء من الناس مهتم به، فيعزز في روحه الرضا والراحة النفسية.

ثالثا: التعايش السلمي: ويظهر أثر ذلك في:

*الحوار وقبول الآخر: فقولته تعالى: **سَمَحَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ**

(1)المصدر نفسه، 375/1.

(2)المصدر نفسه، 388/1.

(3)قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 356/1.

لِتَعَارَفُوا سَجَى [الحجرات: 13]، تشير الى أن الاختلاف في الأديان والأعراق هو سنة كونية، وأن الهدف منه هو التعارف لا التنازع، قال الشيخ: "أن الله تعالى ينادي الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم ليخبرهم أنه خلقهم من ذكر واحد وأنثى واحدة، وبأنه جعلهم شعوبا وقبائل من أجل أن يقع التعارف بينهم لا من أجل التناكر والتفاخر والتعالي، وذلك يعد انحرافا عن الحكمة المقصودة من جعلهم شعوبا وقبائل"⁽¹⁾.

* الاحترام وحسن التعامل مع الغير: فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم للأخوة في الدين ما أعطى لأخوة النسب من التوارث، والتكافل والمساواة، حتى إن الأنصاري كان يتنازل للمهاجر عن نصف ماله"⁽²⁾.

* الحرية الدينية: سورة الكافرون تشير إلى مبدأ حرية الاعتقاد، وتوضح أن الدين لله وحده، فلا إكراه في الدين، مما يؤسس لمبدأ التعايش على أساس عقائد الآخرين، ومن الأمثلة التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين "لما أمر كاتبه أن يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" أصر مفاوض المشركين على محوها واستبدالها بـ "باسمك اللهم" بدعوى أنهم لا يعرفون هذه البسملة التي ينطق بها المسلمون عند بداية أعمالهم، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم كاتبه بمحوها واستبدالها بـ "باسمك اللهم" التي يعرفها المشركون، وذلك لا يتناقض مع العقيدة الإسلامية"⁽³⁾.

* أن دين الإسلام هو دين السلام: ويؤكد ذلك قوله: سَمِحْ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهُمْ سَجَى [الأنفال: 61]، "يرشد إلى أن الإسلام دين سلام وأنه يؤثر العافية لأهله إلا إذا فرضت عليه الحرب"⁽⁴⁾.

- بناء الهوية الجماعية: فسورتي الفلق والناس تعلمان الفرد أن الاستعانة بالله هي

(1) المصدر نفسه، 1/285.

(2) المصدر نفسه، 1/246.

(3) المصدر نفسه، 2/275-276.

(4) قطف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، 1/304.

مصدر القوة والوحدة ضد الشرور الداخلية والخارجية، مما يخلق الشعور بالتضامن والحماية المتبادلة، قال الشيخ: "السورة الأولى علمتنا الاستعاذة بالله الذي هو رب الفلق من جميع الشرور الظاهرة الواقعة ليلا ونهارا في الأبدان والأموال والأعراض، والثانية علمتنا الاستعاذة من شر واحد خفي وهو الشيطان"⁽¹⁾.

الحمد لله رب العلمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لنا الصعاب، وفتح لنا الأبواب فله الثناء كله، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وصحابته الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد هذه الجولة اليسيرة نورد بعض النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج المتوصل إليها: ومن خلال جهدي المتواضع توصلت إلى النتائج الآتية:

- أن الشيخ الدهمة كان له تركيز كبير ومواقف من القضايا التربوية والاجتماعية المعاصرة.

- يظهر القرآن أنه ليس فقط مصدر تشريع بل هو مصدر غني بالآثار التربوية والاجتماعية التي تهدف الى صنع انسان فاضل ومجتمع صالح.

- أن تطبيق مبادئ الإسلام وقيمه يؤدي الى بناء مجتمعات متماسكة قادرة على مواجهة التحديات وتحقيق الازدهار على المدى الطويل.

- أن التربية على العقيدة الصحيحة هي الهدف الأول للتربية القرآنية، والهدف الأسى لتربية الفرد والمجتمع، الأمر الذي جعل الشيخ يكثر منها.

ثانيا: التوصيات: يوصي البحث بـ:

1- القرآن الكريم مصدر العزة والشرف في الدنيا والنجاة والفلاح في الآخرة، لذا وجب الرجوع إليه في استخراج الآثار التربوية والاجتماعية لبناء شخصية ربانية متكاملة من كل الجوانب.

2- الغوص في تفسير الشيخ الدهمة واستخلاص الدرر المكنونة فيه تربيتا وخلقيا وإيمانا

(1)المصدر نفسه، 2/350.

وعملا ليستفيد منه طلبة العلم لكونه يمس الواقع.
وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

- الآثار الاجتماعية والنفسية لجائحة كورونا على الأسرة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بعمادة السنة التحضيرية بجامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام، رضا محمد حسن هاشم، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، المجلد 22، العدد السادس، 2021م.
- الآثار التربوية في تفسير لطائف الإشارات للقشيري في الايمان بالله تعالى، محمد عطا أحمد يوسف، ونادية علي مسعود أبو سكينة، العدد 58، سنة 2025م، المجلة العلمية بكلية الآداب، بجامعة طنطا.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.
- الدرس التفسيري في الجنوب الجزائري الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً/ د: محمد عبد الحليم بيثي، جريدة البصائر الرقمية صفحة على النت.
- الشيخ الأخضر الدهمة وجهوده التفسيرية واللغوية من خلال تفسيره قطوف دانية من سور القرآن، ميلود عمارة، مجلة المنهل، المجلد 8، العدد 2، سنة 2022م، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي.
- قطوف دانية من سور قرآنية، الشيخ الأخضر الدهمة، مطبعة مداد، غرداية، الجزائر، 1431هـ/2010م.

الأبعاد الحضارية للدرس التفسيري عند علماء الجنوب الجزائري . تفسير الشيخ صدقي أنموذجاً

أد. محمد بولقصاع

جامعة غرداية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز الأبعاد الحضارية للدرس التفسيري لدى علماء الجنوب الجزائري، وقد تم اختيار التفسير الشفوي للشيخ صدقي محمد بن أيوب نظراً لمزاياه العديدة؛ إذ يعدُّ أنموذجاً تطبيقياً جديداً سعى فيه مفسِّره إلى تفعيل دور القرآن لبناء الإنسان بناءً حضارياً، وتقويم سلوكه وتحسينه من التيارات الدخيلة على المجتمع المدني المسلم.

وسأنتظر في هذا البحث إلى بيان مفهوم الدرس التفسيري الشفوي، والفرق بينه وبين التفسير الكتابي، ثم أخرج إلى التعريف بشخصية المفسِّر، وبيان مصادره التفسيرية، والوقوف على منهجه التفسيري، ثم الوقوف على الأبعاد الحضارية في دروسه التفسيرية التي أظهر فيها نباعته وتضلعه في مختلف الفنون والعلوم التي مكَّنته من تفعيل دور القرآن حضارياً وإنسانياً، وقد اعتمدت في البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

وقد توصل الباحث إلى أنَّ المستمع لدروس تفسير الشيخ صدقي ليدرك حقاً أنها تحمل أبعاداً حضارية متكاملة سواء في الجانب التربوي، أو الفكري، أو الاجتماعي، أو الإصلاحي؛ كما أنَّ دروسه سعت لترسيخ اللغة العربية، وحفظ الهوية المزابية، وتعزيز اللُّحمة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: الدرس التفسيري، الشيخ صدقي، الجنوب الجزائري، الأبعاد الحضارية.

المقدمة

إنَّ جذور الدرس التفسيري ترجع إلى زمن النبي ﷺ فقد كان جلُّ أوقاته يقضيها في مسجده ﷺ معلماً وناصحاً، ومبشراً ونذيراً؛ معتمداً في ذلك على ما ينزل عليه من الوحي مصداقاً

لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ومن هنا فقد كان النبي ﷺ هو أول من أقام الدروس التفسيرية في مسجده، فكان يجيب على أسئلة الصحابة ممّا أشكل عليهم في أمور دينهم ودنياهم، ويُبَيِّن لهم بعض ما أجمل في القرآن لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فكانت لدروسه التفسيرية أبعادا حضارية شملت جميع نواحي الحياة فخرج لنا جيلا فريدا لم يرى له مثل من قبلهم ولا من بعدهم ﷺ.

وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم انتشرت المدارس التفسيرية في الأمصار، فكانت مدرسة الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة أقام فيها الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه مدرسته التفسيرية التي تجمع بين النقل والاجتهاد، وفي العراق ظهرت مدرسة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفي الشام بزغت مدرسة أبي الدرداء رضي الله عنه، فتخرج من هذه المدارس أشهر المفسرين من كبار التابعين.

وعند بدايات القرن الثالث الهجري أخذ الدرس التفسيري نمطا علميا متخصّصا فدوّن في مصنفات كبيرة كتفسير جامع البيان في تأويل أي القرآن للإمام الطبري، فظلّ في تطوره إلى العصور المتأخّرة مع تنوّع المناهج والمدارس.

وجاء العصر الحديث ليلبغ الدرس التفسيري أوجه وعطاءه، فعَمَّ نفعها الربوع الإسلامية، ففي الجزائري وبالأخص في جنوبها نجد انتشارا واسعا للمدارس التفسيرية في مدنها وقراها، وفي هذه الورقات سنوقف القارئ على المدرسة التفسيرية ببني يسجن بولاية غرداية، مع رائدها المفسّر الشيخ صديقي أيوب بن محمد لنكتشف أبعادها ومزاياها سواء ما تعلق منها بالفرد أو المجتمع.

المحتوى:

مفهوم الدرس التفسيري

يتميز مجتمع الجنوب الجزائري بانتشار مراكز تعليمية تقليدية متّبعة النمط القديم في

التدريس كالزوايا والمحاضر والجوامع، وبالموازاة كذلك نجد انتشارا للمدارس الحديثة المعاصرة كالمعاهد الشرعية المتخصصة، والتخصّصات الشرعية الجامعية، فغدا بذلك واد مزاب حقلا علميا دينيا يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

فالدرس التفسيري هو ما يُلقى مشافهة في حلقات المساجد، أو المجالس العلمية، حيث يشرح المفسّر النص القرآني ويُبيّن معانيه أمام المتلقّين مباشرة، فيبدأ بقراءة الآية أو الآيات المراد تفسيرها في ذلك الدرس ثم يشرع في بيانها وشرحها وتحليلها واستنباط الأحكام والحجّم، والدروس والمواغظ من الآيات؛ مستخدما في ذلك علوم اللغة العربية، وأصول الشريعة، وعلوم القرآن المختلفة من أسباب النزول، والمكي والمدني، وعلم القراءات، وعلم المناسبات، وغير ذلك من العلوم التي تعين على فهم النص القرآني لتقريب الفهم للمتلقّي، وربطه مع الواقع المعاصر، فتتجلى بذلك عظمة القرآن ومدى مواكبته ومسايرته للأحداث والمستجدات (1).

ويمكن أن نكتشف الفرق بين الدرس الشفوي التفسيري، والتفسير الكتابي من عدة جوانب:

1. من حيث الطريقة: الدرس الشفوي التفسيري: هو ما يُلقى مشافهة في حلقات المساجد، أو المجالس العلمية، أو الدروس الأكاديمية، حيث يقوم المفسّر بشرح النص القرآني، وتبيين معانيه للمتلقّين مباشرة. أما التفسير الكتابي: فهو ما يُدوّن في مؤلفات ومصنفات مرتبة تفسيرها حسب ترتيب المصحف على اختلاف مناهجها ومدارسها لتصل المعاني إلى القارئ عبر النص المكتوب.

2. من حيث المنهج:

التفسير الشفوي: يُعتمد فيه غالبًا على التبسيط، والشرح المباشر حتى يفهمه العاقي والعالم، كما يفتح فيه أقواسا كثيرة تشمل قضايا اجتماعية ومحلية يريد علاجها بمنطلق قرآني فيربطها به، وأحيانا تكون اللُّغة المستعملة غير العربية كأن تكون بالمزايبة كما هو الحال

(1). ينظر: الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، لبنان، 1957م، ص13.

في درس الشيخ صدقي.

أما التفسير الكتابي: فيميل إلى التحقيق والتدقيق والتوثيق، والاستطراد في المسائل اللغوية والفقهية والعقدية، مع الاستدلال والنقد والمقارنة بين الأقوال.

3. من حيث المقصد:

التفسير الشفوي: غايته الأساسية التعليم المباشر، وتثقيف المستمع، وإحداث تغيير في ذهن المستمع بما يقيمه من أدلة وبراهين، كما يسعى إلى الإصلاح والتغيير إلى الأفضل، وإحداث أثر تربوي وسلوكي فعّال لدى مختلف الفئات الاجتماعية.

أما التفسير الكتابي: فغاياته التدوين العلمي المنهجي وحفظ التفسير للأجيال، وبناء مرجعية معرفية ثابتة يمكن الرجوع إليها عند الحاجة.

وكثيرا ما يتم تحويل التفسير الشفوي المسجل في الأشرطة إلى التفسير المكتوب؛ وخاصة إن قيّض الله لهذا الشيخ المفسر طلابا جادّون فيقومون بهذا العمل الجبار من تحويل التفسير من صورة شفوية عابرة إلى وثيقة مكتوبة، كما هو الحال في التفسير الشفوي للشيخ الشعراوي، والشيخ بيوض.... وعلى أمل أن يحرّر تفسير الشيخ صدقي كتابيا ليعمّ نفعه وفائدته للأجيال القادمة.

ومن خلال هذه الفروق تظهر مكانة التفسير الشفوي في الدروس المسجدة، فمفسرها يسعى إلى تفعيل القرآن في حياة الناس اليومية، وله أثره الكبير لدى الأوساط الاجتماعية، إذ يشهد إقبالا وحضورا كثيفا من مختلف الفئات الاجتماعية؛ وخاصة إن كان للمفسر قدم راسخة في التفسير، ودعابة يجلب من خلالها الجمهور كمفسرنا الشيخ صدقي.

التعريف بالشيخ صدقي وبتفسيره:

ميلاده: ولد الشيخ صدقي ببني يزقن مزاب ولاية غرداية، مساء الخميس 24 صفر 1353هـ/ 07 جوان 1934م. أمه بلمسجور جاجي بنت يحي، وأبوه أيوب بن سليمان من عشيرة آل خالد، توفي يوم 08 أفريل 1967م -رحمه الله-.

نسبه: هو محمد بن أيوب بن سليمان بن زكري بن سليمان بن زكري بن بالحاج، وهو

من عشيرة آل خالد.

مشائخه: تلقى الشيخ صدقي القرآن على يد لفقيان فقهاء المحاضر: السيد الحاج يحيى بن محمد بن ادريسو، والسيد الحاج يوسف بن سليمان قليل، والسيد الحاج عيسى بن إبراهيم الشقمة الذي استظهر عليه القرآن كله، وتلقى بقيّة معارفه الابتدائية على يد كلّ من عبد الرحمن عمر بن الحاج يوسف، وشريفي الحاج عمر بن بكير، والشريف حاجي بن الحاج محمد، في مشروع تعليمي خاصّ سمّي بعد ذلك "مدرسة العرفان"، كانت تابعة لـ"جمعية التوفيق" المؤسّسة يوم 06 ماي 1946م، كما تتلمذ على يد رئيس الجمعية الشيخ إبراهيم بن بانوح مطياز.

تعلمه: التحق بحلقة الشيخ إبراهيم بن بكير حفّار، أحد تلاميذ القطب، بالمعهد الجابريّ، تحت إدارة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، إلى جانب تتلمذه فيه على الشيخ محمد بن بنوح مفنون. بعد وفاة الشيخ حفّار، واصل دراسته على يد الشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي إلى عام 1958م.

انتقل إلى الجزائر العاصمة لمتابعة دراسته، فتخرّج في دار المعلمين عام 1962م؛ ثمّ التحق بالجامعة، وتحصّل على شهادة الليسانس من كلّية الآداب في جوان 1966م، وعمل مدرّسا بموازاة دراسته الجامعية في متوسّطة بجي "شومان يوسف" ببلكور.

مهنّته: عند تأسيس جمعية "الجابرية" رسميًا بتاريخ 15 ذي الحجة 1372هـ/ 26 أوت 1953م، تولّى التدريس بمدرستها الابتدائية، تحت إدارة الشيخ الحاج محمد بن الحاج يوسف ببانو، واستمرّ فيها إلى تاريخ 21 ديسمبر 1958م، ومن أبرز تلاميذه في هذه الفترة: الحاج يحيى بن عمر باحيو، ويوسف بن بكير الحاج سعيد، وصالح بن بكير الحاج سعيد، كما اشتغل معلّمًا للخطّ في "مدرسة الثبات" ببونورة، لمدّة 03 سنوات تقديرا؛ ثمّ درّس بـ"مدرسة النور" ببونورة، في الموسم الدراسي 1959-1960م.

درّس اللغة العربية وآدابها في عدّة مؤسّسات رسميّة: في المديرية في الموسم الدراسي 1966-1967م بـ"ثانوية فخار مصطفى"؛ وفي الأغواط من 1967 إلى 1973م بـ"ثانوية الإمام محمد الغزالي"؛ وفي غرداية من 1973 إلى 1981م بـ"متوسّطة التعليم التقني" عبد الرحمن بن رستم حاليا؛ وفي بني

يزفّن من 1981 إلى تقاعده عام 1995 م بـ"ثانوية مفدي زكرياء".

قام بالتدريس في معهد عمي سعيد منذ نشأته، وهو حاليا أستاذ محاضر في "معهد عمي سعيد للدراسات الإسلامية والحضارية"، في مواد: علوم القرآن، وأصول الفقه، والفقه المقارن، والأدب العربي.

نشاطه الاجتماعي: التحق بهيئة إروان عام 1969 م، في عهد رئاسة عمّنا الحاج عيسى بن داود بزمال للحلقة.

كان عضوا في "مجلس الضمّان"، ثمّ في "مجلس أعيان بني يزفّن"، وتولّى رئاسة عشرينته آل خالد من 16 جانفي 1981 م إلى سنة 1995 م.

كان من أبرز المؤسسين لمؤسسة "معهد عمي سعيد" بغرداية سنة 1973 م، وهو عضو بارز في إدارتها.

تفسيره للقرآن: شرع في تفسير القرآن الكريم للعموم إلى جانب شرح الحديث النبوي والفتوى، بحصة أسبوعية منتظمة، منذ 12 فيفري من سنة 1981 م، استمرت اثنتين وأربعين سنة، نحمد الله على تمامه، وقد قامت "مؤسسة المطياف" بنشر هذا العمل المبرور في أقراص مدمجة.

تصانيفه: يمكن أن نسرد بعضها منها كالآتي:

✍ طبع "كتاب أبي مسألة"، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن بكر، بمعية سبع إبراهيم بن محمد، طبع عام 1984 م.

✍ "السيرة تجسيد للسلوك المثالي"، طبع عام 2003 م، وأعيد طبعه في 2017 م.

✍ رسالة "لكي لا نصّح الخطأ بالخطأ"، طبعت عام 2006 م، وأعيد طبعه في 2008 م.

✍ رسالة "رأي على رأي"، طبعت عام 2008 م.

✍ تقديم وتعقيب على "رسالة في حكم تجويد القرآن وتلاوته"، للشيخ الحاج صالح بن عمر

لعلي، طبعت عام 2009 م.

✍ محاضرات في علوم القرآن، طبعت عام 2012 م.

✍ رسالة "الحقيقة المطموسة"، طبعت عام 2014 م.

✍ رسالة "قوارع قرآنية وشواهد تاريخية"، طبعت عام 2014 م.

✍ "الأصول الفكرية في الإسلام للتعايش الديني والثقافي وتحقيق السلم والأمن"، طبع عام 2016م.

✍ كتاب "محاضرات في علوم القرآن" وهو مقرر لطلاب السنة الأولى ليسانس.

✍ كتاب "فقه الجيران والضيوف" ⁽¹⁾.

- منهج الشيخ في تفسيره الشفوي:

وظف الشيخ صدقي في تفسير القرآن الكريم المناهج الآتية:

1. التفسير التحليلي: وهو المنهج السائد في تفسيره، فكان يمزج في تفسيره بين ما يطلق عليه التفسير بالمأثور أو ما يسمى بالتفسير بالرواية حيث يعتمد المفسر فيه على تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة، أو بكلام الصحابة، أو التابعين ⁽²⁾، وبين ما يطلق عليه التفسير بالرأي المحمود أو ما يسمى بالتفسير بالدراية، أو التفسير بالمعقول وهو تفسير القرآن بالاجتهاد وذلك بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومعرفة دلالات الألفاظ، ومعرفة أسباب النزول، والمكي والمدني، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ⁽³⁾. فسار الشيخ صدقي في تفسيره التحليلي وفق تسلسل النظم القرآني وترتيبه، فتناوله سورة سورة، وآية آية، وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى، وكان يسعى في تفسيره إلى إبراز مختلف مباحث علوم القرآن، وخاصة عندما يشرع في تفسير بداية السور فيقدم لها بمقدمات مهمة كتسمية السورة وعدد آياتها، وزمن نزولها، وفضائلها، ووحدتها الموضوعية، ومناسباتها لما قبلها وما بعدها ⁽⁴⁾.

كما اهتم الشيخ صدقي بالناحية اللغوية أكثر من الجوانب الأخرى في التفسير، فكان يولي للمفردة القرآنية قيمة عظيمة، وأهمية كبرى؛ ذلك لأن المفردة القرآنية هي الأصل التي يدور عليها المعنى، وهي حجر الزاوية، فاختيار المفردات في القرآن الكريم لمن أسرار إعجازه، ومن

(1). هذه الترجمة مأخوذة من فعاليات الملتقى الدولي للتفسير الشفوي للشيخ صدقي، يومي 7/6 أكتوبر.

(2). ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، 2000م، ص358.

(3). ينظر: الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج2، ص49.

(4). ينظر: الدرس الأول من تفسير سورة الأنبياء، وسورة الأحزاب.

عجائبه التي لا تنفذ؛ لذلك تجد كل مفردة في القرآن قد وضعت في محلها ولا يصلح غيرها في مكانها، ولو أدير لسان العرب كله على مفردة غيرها لتؤدي معناها في مكانها، لن نجد؛ فهو اختيار ربّاني لها.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ} [النور: 60]، قال: "كلمة القواعد في اللغة العربية جمع قاعدة كخارجة خوارج، وطائفة طوائف، وإنما بالنسبة للمرأة يقال لها: قاعد، لأنها من صفات النساء كحائض، وطامث، وسافر والمرأة السافر هي التي لا تحتجب، ولا يقال سافرة وهو خطأ لغوي، والمرأة القاعد هي التي قعدت عن الحيض أو عن الولادة، وهي التي بلغت درجة كبيرة من العمر، وهي التي لا ترجو نكاحا، والرجال لا يرغبون في التزوج بها"⁽¹⁾.

وأيضا عند تفسيره لقوله تعالى: "وخرّ راكعا وأناب" قال: خرّ بمعنى سقط سقوطا من دون أن يتحكّم في نفسه، كقوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل / 26]، وقوله: {وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} [الفرقان: 73].

ومما تميّز به تفسير الشيخ اعتماده على سرد أحداث السيرة النبوية إذا تعلق بها الأمر في تفسير الآية أو الآيات، فعند تفسيره لصدر سورة الحشر تطرّق لذكر تواريخ غزوات النبي ﷺ بدءا بغزوة بدر وانتهاء بجلاء يهود بني النضير من المدينة المنورة، وأوقفنا على أهم المحطات التاريخية لهذه الفترة، وعايّشنا تواريخها وشخصياتها المرتبطة بهذه الغزوات، واستحضر لنا المشاهد والوقائع وكأئننا نراها رأي العين؛ فله درّه ما أوسع حافظته التي وهبها الله له، أسأل الله أن يبارك فيه⁽²⁾.

ونفس الأمر نجده عند تفسيره لبداية سورة الفتح حيث استعرض لنا الشيخ موجزا مركزا لسيرة الرسول ﷺ ابتداء من الأحداث التي وقعت قبيل الهجرة كعام الحزن ويوم بُعث، وبيعة العقبة الأولى والثانية ثم الهجرة واستمر في حديثه إلى ذكر أحداث صلح الحديبية ثم فتح مكة، كما أشار إلى الحكمة من هذا الاستعراض بقوله: "لأن سيرة الرسول ﷺ شخصيا

(1). الدرس العشرين من تفسير سورة النور.

(2). ينظر: الدرس الأول من تفسير سورة الحشر.

من خيرة ما يُقدَّم إلى الطلبة من التعرف على منهج الإسلام الصحيح، وعلى طريقة الرسول ﷺ وأسلوب تبليغه، وكيفية انفتاح الناس له واستجابة الشعوب له⁽¹⁾.

ومن محاسن المجالس التفسيرية التي يعقدها الشيخ أنها لا تخلو من روح الدعابة والنكتة الهادفة التي يهدف من خلالها إلى لفت انتباه الحاضرين، وإبعاد السآمة والملل عنهم، وإيصال الفكرة بأسلوب مشوّق، ففي تفسير الشيخ للآية الثالثة من سورة الأحزاب وقد كان حينها يذكر الفرق بين رقابة الخالق ورقابة المخلوقين، فقال بأنَّ المخلوق رقابته ظاهرة بخلاف الرقابة الإلهية فهي تشمل الظاهر والباطن لأنه خبير، ثم ذكر عيبا من عيوب رقابة المخلوقين بأنه يمكن أن يشتري بالمال أي بالرشوة واستدل بقوله تعالى: ودوا لو تدهن فيدهنون. وحكى قصة بيّن فيها أنَّ بعض من يزعم أنه يمثل النظام فإذا به يخرقه، وذلك أنَّ شخصا وصل إلى نقطة عبور وكان يمشي على استحياء ولم يفهم الرسالة الخفية ممَّن أوقفه بأنه يريد منه رشوة، فطرح عليه هذا الأخير سؤالا فقال: ما اسم امرأة الفكرون "السلفهة"؟ فقال: الفكرونه، فأجابه: فكرونا، أي فكّر في أعطية أو مال حتى نخلي سبيلك.

2. التفسير العلمي: وللتفسير العلمي حضور في الدروس التفسيرية للشيخ، فقد كان يفسّر الآيات التي تتعلق بالحقائق الكونية أو بالنفوس البشرية والتي لم يدركها البشر زمن نزول القرآن ثم أثبت العلم لاحقا؛ أقول كان يفسرها ويوضحها وفق الشروط والضوابط التي وضعها العلماء الذين تبنّوا التفسير العلمي للقرآن الكريم⁽²⁾.

فعند استماعي لتفسير الشيخ للآيات 30 إلى 33 من سورة الأنبياء وهو الدرس السابع من السورة الكريمة أفردّه كاملا بالتفسير العلمي لها حيث ذكر أنَّ الأرض كانت رتقا أي كتلة واحدة وكيف انفصلت، ثم تحدّث عن معجزة الماء الذي هو مصدر الحياة، وبعدها تطرّق للحديث عن السماء وسقفها المحفوظ، وعن أنباء أجرام الكون وأسراره، حتى أنَّ الشيخ ذكر قصة كريستوفر كولومبوس مكتشف أمريكا، وقد كان في الحقيقة درسا علميا ماتعا تميّز

(1). الدرس الأول من تفسير سورة الفتح.

(2). ينظر: حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ص82.

بالضبط والدقة.

3. **التفسير الموضوعي:** وهو تفسير يعنى بتتبع المفردة أو الموضوع الواحد من خلال سورة أو أكثر لإبراز الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم⁽¹⁾، وهو منهج اعتمد عليه مفسرنا الشيخ صدقي اعتمادا ظاهرا في تفسيره، وعُرف به في علاجه لكثير من القضايا التي كان يحشد لها الآيات المتعلقة بالموضوع؛ ليحقق بذلك واقعية القرآن الكريم، وشموليته، وحيويته، واستمراريته لعلاج المشاكل المعاصرة التي يئنُّ حولها الفرد والمجتمع. فالمفسر الشيخ صدقي جمع بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي حيث التزم بتفسير الآيات والسور على حسب ترتيبها التوقيفي، ثمَّ أضاف لتفسيره نقلة نوعية جديدة حيث كان يتوقف أمام مفردة أو موضوع معيَّن فيجمع له الآيات القرآنية المتعلقة به فيخلص بذلك إلى تقديم صورة واضحة وشاملة للموضوع وفق رؤية قرآنية، وقد وظَّف المفسر منهجه هذا بالتركيز على لونين من ألوان التفسير الموضوعي هما:

أ. **التفسير الموضوعي للمفردة القرآنية:** فقد كان الشيخ أحيانا يتتبع لفظة من كلمات القرآن الكريم ويجمع الآيات التي تحمل نفس اشتقاقها ثم يُبين دلالتها من خلال استعمال القرآن لها، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ} [ص: 32] قال: "الخير بمعنى المال، وقد جاء ما يؤكد ذلك في سورة العاديات في قوله تعالى: وإنه لحب الخير لشديد، وجاء أيضا في سورة البقرة قوله تعالى: إن ترك خيرا، أي: مالا"⁽²⁾.

ب. **التفسير الموضوعي لموضوعات القرآن:** وهذا مما تميَّز به تفسير الشيخ فقد كان يستجمع الموضوع الواحد في كامل القرآن الكريم حتى يزيد الموضوع المبحوث وضوحًا وبيانًا، ليخلص بنا في الأخير بتقديم صورة صادقة وكاملة عن هذا الموضوع حسب منظور القرآن الكريم، وبذلك تتكامل الآيات في تفسير بعضها بعضًا ولا تتنافر، ففي تفسيره لسورة الأحزاب

(1). ينظر: الزهراني أحمد بن عبد الله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1413هـ، ص12.

(2). الدرس الثامن من تفسير سورة ص.

تطرق لموضوع النبي ﷺ من خلال القرآن الكريم، وفي نفس السورة تناول موضوع النفاق في القرآن الكريم (1).

4. تفسيره آيات الأحكام: لا يخلو تفسير الشيخ من المباحث الفقهية عند تعرضه لآيات الأحكام، إلا أنَّ المنهج السائد عند الشيخ أنَّه لا يخوض في جزئيات المسائل الفقهية، وتفصيلها ودقائقها حتى لا يُشغل السامعين بهذه التفرعات، ويشتت ذهنهم، أو يخرجهم عن المسار الذي رسمه في تفسيره وهو المسار الهدائي، والإصلاحي، ولذلك كان يبتعد عن الاشتغال بالأراء الفقهية والأقوال المذهبية التي ليست من اهتمامات المتلقين عنه، بل هي من صميم أهل الاختصاص، فمثلا عند تفسيره لسجدة التلاوة في سورة ص قال: "اختلف العلماء والأئمة في إلزامية سجدة التلاوة في سورة ص من عدمها لقول النبي ﷺ في شأنها: "إنما هي توبة نبي" (2) أيًا كان، فنحن نرى أنها من السجعات المعتمدة، ونظرا للدرس المسجل حاليا ونحن أمام الكاميرا، سنسجدها بعد صلاة العشاء لنيل الأجر" (3).

مصادره في التفسير:

ظهر جليا في تفسير الشيخ صدقي رجوعه إلى الذين سبقوه من المفسرين، فهو يحيل كثيرا إلى بعض المفسرين، ويسمي بعضهم وعناوين تفاسيرهم وأحيانا يترك ذلك أو يشير إجمالا إلى المفسرين، ويرجع هذا إلى كونه يراعي المستمعين فلا يثقل عليهم باستقصاء ذكر التفاسير، ويكتفي بالإشارة إلى المعاني التي ذكرها من سبقه.

ومن خلال إحصاء ما ورد من مواضع الإحالة وتسمية بعض المفسرين وتفاسيرهم ندرك مدى اجتهاد الشيخ في الرجوع إلى من سبقه، وسعة اطلاعه، وتوثيقه للمعلومات، وتنوع مصادره في هذا الجانب، إذ لم يكن يقتصر على مفسر أو على فئة من المفسرين لاعتبار من الاعتبارات، بل كان ينظر في مختلف ألوان التفسير، وكذا يقدم رأيه ونقده كذلك.

(1). ينظر: الدرس الأول والخامس والسادس من تفسير سورة الأحزاب.

(2). أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ج 2، ص 553، رقم الحديث: 1410.

(3). الدرس السادس من تفسير سورة ص.

ومن التفاسير الوارد ذكرها الآتي⁽¹⁾:

1. "جامع التأويل لمحكم التنزيل"، لأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ت 322هـ.
 2. "تفسير مفاتيح الغيب"، للرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين ت 606هـ.
 3. "البحر المحيط"، لأبي حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي ت 745هـ.
 4. "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القي النيسابوري ت 850هـ.
 5. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت 1270هـ.
 6. "تيسير التفسير"، للقطب امحمد بن يوسف اطفيش ت 1332هـ/1914م.
 7. "التحرير والتنوير"، للشيخ طاهر بن عاشور ت 1393هـ/1979م.
 8. "في رحاب القرآن"، للشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ت 1316هـ/1999. 1401هـ/1981م.
- فلاحظ أن الشيخ قد اعتمد تفاسير مختلفة من الإباضية والمعتزلة والأشاعرة، وبين القديم منها والحديث، ويبدو أن أهم تفسيرين اعتمد عليهما أكثر هما "التيسير" للقطب، و"التحرير والتنوير" لطاهر بن عاشور، إذ أحال إليهما مرات متعددة.
- كما يحتمل أن بعض التفاسير قد اطلع عليها بواسطة بعضها الآخر، ومنها تفسير أبي مسلم الأصفهاني، الذي ظل مفقودا حتى طبع مؤخرا⁽²⁾.

(1). ينظر: صدقي، تفسير سورة مريم، الدروس: الأول؛ الثالث؛ الرابع؛ الخامس؛ السابع؛ التاسع.

(2). ينظر: وينتن مصطفى، منهج التفسير الشفوي عند الشيخ محمد أيوب صدقي. تفسير سورة مريم نموذجا. بحث شارك به في الملتقى الدولي: الشيخ محمد أيوب صدقي والتفسير الشفوي: المسيرة والأثر، المنعقد يومي 07/06 أكتوبر 2023م، ص 20.

الأبعاد الحضارية في تفسير الشيخ صدقي:

نقصد بالأبعاد الحضارية من الدرس التفسيري هي التوجيهات والتعليمات التي كان يقصدها المفسر ويصبو بها إلى بناء حضارة إنسانية تنطلق من نور القرآن وترجع إليه، سعيا منه لإنشاء جيل قرآني يضبط فكره، ويقوم أخلاقه، وينظم مجتمعه، ويقوي اقتصاده، ويعزز انتماءه، ويحافظ على هويته ووطنيته.

فالمواظب على سماع الدروس التفسيرية للشيخ صدقي يمكن أن يدرك عدة أبعاد حضارية نجملها في الآتي:

1. البعد الفكري: ويتمثل في الأسلوب ومنهج الإقناع الذي يوظفه الشيخ في دروسه إذ يخاطب الفطرة، ويحث العقل، ويشبع العاطفة بأسلوبه البياني واللغوي الماتع مع ربط ذلك بالواقع المعاشي، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال الآتي:

أ- إعمال العقل في الفهم: يعتمد الشيخ كثيرا في تفسيره على إعمال العقل؛ لأن القرآن ببساطة يخاطب العقل السوي، فكان من منهجه أنه يرفض القصص المشحون بالخرافات والأساطير، أو التي لها علاقة بموضوع الإسرائيليات ذلك لأنها لا تنسجم مع العقل، ففي تفسيره لقوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 30]. يقول الشيخ: "لم أجد في كتب التفسير وكتب قصص الأنبياء قصة مليئة بالإسرائيليات مثل هذه القصة وقد ملئت بالأساطير والخرافات، وهي لا تمتُّ إلى العقل بصلة، ولا يقبل العقل نسبتها إلى البشر فكيف هم ينسبونها إلى الأنبياء والرسل كسليمان عليه السلام الذي قال الله فيه: نعم العبد إنه أَوَّاب، فهذه الروايات تنفمها السياق، وقد قال المنفلوطي: أنا لا أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم حين يتحدثون. ثم يقرر منهجه في التعامل مع الإسرائيليات وأخبار أهل الكتاب قائلا: سنقتصر على النصِّ القرآني وهو كاف في موضوعه وسرده للقصة"⁽¹⁾.

ب- الربط بين الإيمان والعمل: فقد كان الشيخ يركز على البيان الهدائي الإيماني، الذي يسعى من خلاله إلى بناء شخصية المسلم المتزنة والتي تجمع بين الإيمان والعمل، وبين عالم الشهادة وعالم الغيب مع اعتدال وتوسط من دون غلو أو تنطع، ففي معرض تفسيره لقوله

(1). الدرس الثامن من تفسير سورة ص.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ۖ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١١] يقول الشيخ: ينادي الله أهل الإيمان بعقد تجارة غيبية معه فهم من جهتهم يقدمون الثمن وهو الإيمان الحقيقي بالله ورسوله، والإخلاص لهذه العقيدة وذلك بالتضحية في سبيل الله، وأما من الله فيكافئهم بسلعته الغالية وهي المعفرة ودخول الجنة^(١).

ت- الربط بين الإيمان والعلم: كان الشيخ يقف عند الآيات التي فيها إشارات علمية كالتى تتعلق بالحقائق الكونية أو بالنفس البشرية فيفسرها ويوضحها وفق الشروط والضوابط التي وضعها العلماء الذين تبنا التفسير العلمي للقرآن الكريم.

ث- التحليل المنطقي والعقلي: لا يكتفي الشيخ صدقي في تفسيره على النقل والرواية، بل يحاول أن يبني تفسيره على قواعد عقلية واضحة، فنجده يستخدم أسلوب الحوار العقلي لتفنيد الشبهات والإلحاد، وإبراز انسجام النص القرآني مع الفطرة والعقل السليم، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۖ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۖ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩] يقول بأن الله عندما يريد أن يقدم لنا توضيحات عن عظمته ووحدانته فإنه يقدمها في خمس مجالات، وهي طرق إقناعية تتوافق مع الفطرة، ثم ذكر الشيخ عظمة الخالق في خلق الخلية وانقساماتها بأسلوب علمي وتحليل منطقي^(٢).

ج- التركيز على القيم الفكرية: كان الشيخ يمزج في تفسيره بين المادة والروح، وبين النقل والعقل، وكثيرا ما يستخدم أسلوب السؤال والجواب لإقناع المستمع، ويستخدم الحوار والنقاش من دون أن يفرض رأيه على أحد، كما كان يدعو إلى التفكير في المقاصد الأساسية للقرآن الكريم: كحرية الاختيار، والعدالة، والكرامة الإنسانية، والاجتهاد العقلي.

2. البعد العقدي: الشيخ صدقي كان منتصيا إلى المدرسة الإباضية، ومنتصرا لأرائها

(1). تفسير سورة الصف من الآية 9 إلى الآية 13.

(2). ينظر: تفسير سورة الواقعة من الآية 58. 67.

وأفكارها العقدية من دون إلزام الرأي للمستمع، فكان إذا مر في تفسيره بآيات العقيدة فإنه يبرز عقيدة الإباضية التي تنبني على محكمات القرآن، ولا يعول فيها على الظني من الأحاديث الصحيحة إلا إذا وافق البين المحكم وكان يسوقه على سبيل الاستئناس لا على سبيل الاحتجاج، فنراه في آيات صفات الله التي ظاهرها يوهم التجسيم فإنه يؤولها ويصرفها عن معناها الظاهر المتبادر إلى الذهن إلى معنى آخر يرتضيه سياق الآية ويحتمله البيان العربي قصد تنزيه الله تعالى عن مشابهيته بالمخلوقات. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، يقول الشيخ: ⁽¹⁾ فبعد أن أوجد الله الكون من العدم هيئاً له طريقة يسير بها بإحكام حتى لا يقع اصطدام، فالاستواء هنا معنى مجازي، ومعناه أن الله فرض سلطته على الكون كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مہراق ⁽²⁾.

ومما يتميز به تفسير الشيخ أنه كان يربط العقيدة بالحياة اليومية العملية حتى يُقَوِّمَ بها سلوك الإنسان ويهذب طباعه، ويستقيم على الجادة، فمثلاً عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً. وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، يقول: فالرسول ﷺ هو أول من يلتزم بهذا الوحي؛ لأنه لا يحميه من الله إلا أن يُبلِّغَ ما أمَرَ به، فهو يخشى من معصية الله، والآية تنص على أن معصية الله تقتضي الخلود الأبدي ⁽³⁾.

وكثيراً ما كان الشيخ يؤيد مذهبه العقدي بالآيات القرآنية كما يؤيد فهمه لنص الآيات بآيات أخرى، فمن النوع الأول الذي جاء فيه تفسير سورة مريم بحثه المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]، حيث جمع الآيات التي

(1). ينظر تفسير سورة الحديد من الآية 1 إلى الآية 6.

(2). البيت، قيل للأخطل، وقيل لأبي العلاء المعري.

(3). الدرس التفسيري لسورة الجن من الآية: 21، 28.

ذكر فيها الورود في القرآن ليستدل على أن الورود على شيء لا يعني الدخول فيه بالضرورة⁽¹⁾.

3. **البعد الهويّاتي:** خصّص الشيخ درسا كاملا يفسر فيه آية التعارف من سورة الحجرات، ويبيّن فيه أنّ التنوع الذي جعله الله في بني البشر هو وسيلة للتعارف والتعاون، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون هذا التنوع غايته التعارف والتكامل فيما بين هذه الشعوب المتفاوتة، ومعيّار التفاضل عند الله هو التقوى، ولا يمكن أن نقصي أحدا أو نهمله؛ لأن هذا التنوع لا يلغي الهوية، بل جعلها الله وسيلة للتفاهم والتعارف والتكامل⁽²⁾.

إذا فالمعنى الذي أشار إليه الشيخ أن هذه الآية تعزز الهوية الإنسانية، وتحفظ له كرامته وبقائه، وتحت على التبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب مع الحفاظ على الهوية دون أن تذوب.

4. **البعد الاجتماعي:** يتسم تفسير الشيخ بأنه جعل من القرآن منهج حياة اجتماعية، فكثيرا ما كان يبيّن في تفسيره أن هذا القرآن هو دستور ينظم العلاقات الاجتماعية ويضبطها بميزان العدالة والاحترام، وبالمساواة في الحقوق والواجبات، وبال دعوة إلى التعاون والتكافل الاجتماعي حيث يهتم الغني بالفقير، وينصر القوي الضعيف...، فالشيخ يرى أن أثر القرآن يظهر في السلوك الاجتماعي الأخلاقي الذي يحارب كل مظاهر الفساد، والظلم، والتفرقة⁽³⁾.

5. **البعد الإصلاحي:** لم يكن تفسير الشيخ صدقي هو لمجرد الوقوف على الأساليب البيانية والبلاغية ولو أنّ له فيها قدم راسخة؛ بل كان هدفه الأسى إصلاح الفرد والمجتمع في ضوء القيم القرآنية، فكثيرا ما يركز تفسيره على محاربة الانحرافات الأخلاقية، وترسيخ القيم الفاضلة، ولذلك يرى أن القرآن جاء ليصلح حياة الناس ويزكّهم ويحلّمهم بالفضائل، وليطهرهم ويخلّمهم من الرذائل ليكونوا بذلك خير أمة أخرجت للناس.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤]، يقول الشيخ: كل

(1). صدقي، تفسير سورة مريم، الدرس الثالث عشر.

(2). ينظر: الدرس السادس من تفسير سورة الحجرات الآية: 13.

(3). ينظر: الدرس الأول والثاني والثالث من تفسير سورة الحجرات.

الأخلاق الحميدة تراها مجسدة في النبي ﷺ، وقد كتب الله الخلود لهذه الرسالة فجعل مُبَلِّغها على أعلى درجات الأخلاق المثلى، فبه أخرج الله المجتمع الجاهلي من الظلمات إلى الهدى والنور، ثم حذر الشيخ ما فعلت بنو إسرائيل بأنبيائهم وكان ذلك لسوء خلقهم فقد افتروا على أنبياء الله كعيسى عليه السلام، فلما طغوا وظلموا نزع الله منهم إرث النبوة وجعلها في العرب في خاتم النبيين⁽¹⁾.

وكثيرا ما نجد أن الشيخ عند غوصه في القصص القرآني، أو عند ذكره أحداث السيرة النبوية كان يركز ويؤصل خلقا فاضلا استوحاه من أحداث هذه القصة أو السيرة النبوية⁽²⁾، كما نجده مناهضا للبدع والخرافات، ومصححا للكثير من الممارسات الدينية الخاطئة التي تُرتكب جهلا من بعض الناس، فكان يدعو ويقوم هذه السلوكيات بأسلوب وسطي معتدل بعيدا عن الغلو والتطرف، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، حذر الشيخ من الإرجاف والإشاعات والتسرع في اتهام الآخرين، وبين الحقوق الواجبة التي تربط الأشخاص ببعضهم البعض⁽³⁾.

6. البعد التربوي: يحتلّ الدرس التفسيري مكانته في نفوس المتلقين؛ إذ يعتبر من أنجع وسائل التربية والتعليمية، لأنّه يخاطب العقل والقلب، وينفخ الروح في الجسد فيكون التفسير حيّا وحيويا مؤثرا في النفوس وباعثا على النشاط والعمل. وتربية المستمع تربية مثالية من خلال ما يسمعه من تفسير المعاني القرآنية هو بعدّ حاضر في دروس الشيخ فكان يستخدمه كمنهج تربوي لتنشئة الأفراد تنشئة قرآنية، فعند تفسيره لموقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه وأسلوبه في سورة مريم أشار الشيخ إلى أهمية الدعوة بالتي هي أحسن رغم قساوة الوالد، وشدته مع ابنه الرسول⁽⁴⁾؛ كما نبّه إلى أنّ هدف الدعوة

(1). الدرس الأول من تفسير سورة القلم من الآية: 1 إلى الآية: 07.

(2). ينظر بداية تفسير سورة عبس.

(3). ينظر: تفسير سورة الحجرات من الآية: 6 - 8.

(4). صدقي، تفسير سورة مريم، الدرس السابع.

ينبغي أن يكون التصحيح والتربية والإرشاد والنصح، وينبغي أن يتنزّه الداعية عن طلب التفوق والاستعلاء على المدعويين⁽¹⁾.

الخاتمة:

يمكننا في خاتمة البحث أن نخلص إلى أهم النقاط الآتية:

- أثبت البحث أنّ الدرس التفسيري لا يزال يؤدي رسالته الحضارية، فلا يمكن إنكار جهود العلماء القائمين بهذا الدور الكبير.
- يضطلع تفسير الشيخ صدقي بدور حضاري متعدد الأبعاد ويشمل أبعادا عديدة منها: البعد التربوي، والاجتماعي، والإصلاحي، والهياتي...
- قدّم تفسير الشيخ صدقي نموذجا بارزا لمدرسة تفسيرية عريقة وهي مدرسة الإباضية، فجسّد من خلالها ربط النص القرآني بالواقع المحلي، وتحويل الفهم القرآني إلى فعل اجتماعي يسهم في حفظ الهوية وتعزيز التضامن.
- يرى الزائرون للمجتمع المزابي أثر هذه الدروس المسجدية واضحا لدى مختلف فئات المجتمع ذكرانا وإنثاء سواء في الهندام والمظهر، أو الحشمة والسترة، أو المحافظة على ثوابت الدين، وهذا بفضل الجهود التفسيرية التي قصد فيها أربابها ترسيخ الهوية المزابية، والتمسك بالعقيدة الإباضية.
- توصية: أوصي بتشكيل لجنة علمية أكاديمية تقوم بتوثيق المسموع وإخراجه في أبهى حلة ليعمّ خيره، ويسلم من الضياع والاندثار، وبعد طباعته أوصي بإدماجه ضمن المناهج التعليمية التربوية.

المصادر والمراجع:

.القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

.الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل

(1). صدقي، تفسير سورة مريم، الدرس الثامن.

إبراهيم، دار الكتب العربية، لبنان، 1957م.

.القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، 2000م.

.الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

.حسن عبد الفتاح أحمد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

.الزهراني أحمد بن عبد الله، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1413هـ.

.أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

.وينتن مصطفى، منهج التفسير الشفوي عند الشيخ محمد أيوب صدقي. تفسير سورة مريم نموذجا. بحث شارك به في الملتقى الدولي: الشيخ محمد أيوب صدقي والتفسير الشفوي: المسيرة والأثر، المنعقد يومي 07/06 أكتوبر 2023م، ص 20.

.قناة يسجن الالكترونية، دروس صوتية لتفسير القرآن الكريم للشيخ صدقي.

التفسير في غير درس التفسير لدى الشيخ الشهيد بالحاج بن عدون قشار قراءة وصفية

بالحاج بن عمر قشار

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

مقدمة:

المحمود رب العالمين والمصلّى عليه محمد النبي الأميّ الأمين، وسلام على آلِه وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وبعد

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وأرشده إلى طرق بيانه وبلاغه للناس، فتعلّم الناس منه تلك الطرق، وكانت تلك الطرق ونتائجها منها التوقيفية ومنها الاجتهادية، فمن تعلّم من الناس هاته الطرق ونتائجها وحفظها وحدودها صار عالما يشار إليه بالبنان، وكالطود الشامخ يخلو عليه البنيان. ومن بين العلماء الذين أوتوا من ذلك العلم الشيخ الشهيد بالحاج بن عدو قشار، حيث انطلق في بلاغ آيات الله للناس على منهاج النبوة وسلف الأئمة الراسخة الناسخة. وإشكالية هذا البحث في محصور كشف العملية التفسيرية عند الشيخ الشهيد خارج درسه التفسيري ومحافظته على المنهج التفسيري رغم انتقاله إلى مجال درسي آخر غير درس التفسير، فما هي تلك الإسهامات؟ وما هي طريقته فيها؟

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي

المبحث الأول: عن حياة الشيخ العلمية

يعالج الباحث في هذا المبحث حياة الشيخ العلمية ابتداء من منشئه ثم تعلّمه ثم تكوّنه عبر مراحل عمرية متفاوتة التحديد. ثم بعد ذلك تأتي مرحلة البلاغ وإرشاد الناس وتعليمهم، وهي مرحلة لم تخل من استزادته في التعلّم والتكوّن، حيث تطرق الباحث أيضا إلى ذكر بعض مؤلفات الشيخ.

المطلب الأول: النشأة والتعلّم والتكوّن

هو بالحاج بن عدون بن عمر بن بالحاج بن عدون قشار، من عشيرة أت بادّي، ولد في بنورة أواخر 1924م/1343هـ، حيث نشأ في أحضان عائلة فلاحية محافظة، سافر إلى العاصمة وعمر 11 سنة، وقد كان حينها قد بلغ في سورة النور وهو يستوعب القرآن الكريم في صدره⁽¹⁾. أخذ العلم عن الشيخ إبراهيم بن بنوح متيّاز⁽²⁾.

كان ضمن تلاميذ الشيخ إبراهيم بن بكير حفار في بنورة⁽³⁾.

المطلب الثاني: تعليم الناس وتكوينهم

من بين مؤلفات الشيخ المطبوعة: 'العقيدة الصحيحة للمسلم'⁽⁴⁾، 'طعام أهل الكتاب والتزويج بالأجنبيات'⁽⁵⁾، 'اللمعة المضئية في تاريخ الإباضية'⁽⁶⁾، 'النور والظلام من وسائل الإعلام'⁽⁷⁾، 'عوائد ميزاب سنن لا تقاليد'⁽⁸⁾، 'أصول الفقه'⁽⁹⁾⁽¹⁰⁾، كما أن تأليفه كان أغلبها من

(1) أحمد الشرقاوي ونهاد عمار وعفاف السيد عبدالمجيد، موسوعة عمان الميسرة، مركز الياة للنشر والإعلام، القاهرة - مصر، 2012، 1/156.

(2) باباعمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة-غرداية، 1/200.

(3) الحاج أحمد كروم، العلماء الوافدون إلى وادي ميزاب ودورهم في التغيير الاجتماعي، مناسبة: مهرجان الشيخ عبي سعيد الجري، غرداية، 01-03 نوفمبر 2006م، ص، يحي حاج امحمد، سيرة القطب اطفيش الجزائري بأقلام طلابه وتلامذته، ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني للعلامة امحمد بن اطفيش، ص 70.

(4) علي أكبر ضيائي، معجم مصادر الإباضية، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ط2، 2003، ص 386.

(5) علي أكبر ضيائي، مصدر سابق، ص 377.

(6) علي أكبر ضيائي، مصدر سابق، ص 377.

(7) علي أكبر ضيائي، مصدر سابق، ص 544.

(8) علي أكبر ضيائي، مصدر سابق، ص 473.

(9) علي أكبر ضيائي، مصدر سابق، ص 142.

(10) رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، 2/431.

التأليف المدرسي⁽¹⁾.

ونود أن نشير إلى محتويات مكتبة الشيخ من عناوين الكتب، وقد يرتفع العدد بتعداد أجزاء بعض عناوين الكتب، وفيما يلي عدد العناوين حسب المجالات: الأدب 156، التاريخ 130، الإسلاميات: 99، الفقه 88، العلميات 37، أصول الدين 24، الاجتماعيات 20، علوم القرآن 15، الحديث 15، اللغة 12، التفسير 11، القانون 10، الفلسفة 07، السياسة 05⁽²⁾. وهي مكتبة جمعها طوال حياته، كان مغرما بالمطالعة، في حله وترحاله، لا يترك مناسبة معرض إلا زاره، ومن بينها المعارض الدولية للكتاب والتي أدرك بداياتها في الجزائر، وكان سبب استشهاده بعد عودته من إحداها.

المبحث الثاني: العملية التفسيرية عند الشيخ الشهيد ومصاديقها التفسيرية وإسهامه فيها
تمهيد:

يحاول الباحث في هذا المبحث بيان العملية التفسيرية عند الشيخ الشهيد بالحاج قشار، وكل ما يصدق عليه دخوله ضمن عملية التفسير، وماذا كان إسهامه فيها من خلال تراثه، مركزا على التراث الذي لم يقصد التفسير فيه بالأصالة، مثل الفقه والعقيدة والسيرة النبوية. كما ذكر منهج الشيخ في العمل التفسيري ومصادره وطرقه، وأسلوبه ولغته، ونماذج من تفسيراته واختياراته.

المطلب الأول: النماذج التفسيرية

المعلوم عند علماء فن التفسير أن عملية تفسير القرآن تُعرف من خلال النظر في الآيات الواردة في النصوص العُلمائية؛ مما يسبق الآية ويلحقها، وهو ما يمكن أن نسميه بالتفسير

(1) الحاج أحمد كروم، جهود الميزابيين في التأليف قديما وحديثا، محاضرة بمسجد الأمة، غرداية، 10 محرم 1432هـ/25 ديسمبر 2010م، ص 16.

(2) ينظر: جمعية تسيير مكتبة الشيخ بالحاج قشار، الفهرس العام، إنتاج أبريل 2002، موجود بمقر المكتبة فقط.

غير المباشر⁽¹⁾ مثل ورود اللفظة في نص من نصوصه، ولو على سبيل الاستدلال، مهما كان مجال ذلك النص أو ما يسعى التفسير من غير كتب التفسير، وقد بحث في هذا الدكتور مساعد الطيار⁽²⁾. وسواء أكان ذلك المعنى خفياً أم جلياً. وعلى هذا المعنى نعتمد في استكشاف تراث الشيخ.

فالشيخ الشهيد نراه مثلاً في كتاب من سلسلة الفقه والدليل لما كان يذكر الحكمة من الصوم وتجلياتها يذكر قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة 182] وهذا بعد أن ذكر الآية كاملة في مستهل الموضوع، فهو يفسر التقوى بأنها مراقبة النفس وحملها على استحضار خشية الله في القلب عند كل عمل في السر والعلانية⁽³⁾. وفي كيفية قضاء الصوم يورد قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [سورة البقرة 183] ويذكر تفسيره بأن في الآية وجوب القضاء على من أفطر في رمضان بعذر أو بغيره، مع الاستثناء فيمن لا يمكنه القضاء. ولما أتى إلى ذكر الحكمة من مشروعية الحج وأن فوائد مادية تحصل لأهل الحرم استجابة لدعوة النبي إبراهيم عليه السلام كما يذكرها القرآن حيث قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [سورة إبراهيم عليه السلام 39] إلى قوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة إبراهيم

(1) أوردت الباحثة سلى داود إبراهيم بن داود هذا المعنى وهي تتحدث عن الآية وسط النصوص النبوية، واعتبرته من التفسير بالسنة غير المباشر. ينظر: سلى داود إبراهيم بن داود، أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 53، رمضان 1432، ص 192.

(2) منشور عبر الرابط:

https://archive.org/stream/20210212_20210212_0716/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA_%D9%81%D9%8A_%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86_%D9%88%D8%A3%D8%B5%D9%88%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1_%D8%AC%D9%A2_djvu.t

xt

(3) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية للسنة الثانية المتوسطة، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ط1، 1982، ص 10.

عليه السلام [39]⁽¹⁾، فكأنه أراد أن يبلغ للناس أن مفهوم الآية هو ما ذكر من الحكمة. وفي حديثه عن موانع الحج يورد قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجُّ﴾ [سورة البقرة 196] ثم يذكر موانع من بينها منع الرفث والجماع مادام الإحرام قائماً⁽²⁾، وهو بهذا يفسر الآية ويقدم مفهومها للناس بأن معنى قوله: 'فرض فيهن الحج' هو أحرم، وبالتالي لا رفث وهو الجماع. هذا قبل الوقوع في الفعل وفي موضع آخر يعتبر الواقع في الفعل قد فسد حجه⁽³⁾. وفي أركان الحج يذكر السعي ويذكر فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [سورة البقرة 157]⁽⁴⁾، وهنا يظهر أنه أورد النص القرآني في معرض حديثه عن الصفا والمروة، وأن معنى 'يطوف بهما' هو يسعى بينهما. وفي حديثه عن موضوع الوقوف بعرفات يورد الآية التي فيها يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [سورة البقرة 197] بين فيه ركنية منسك عرفة⁽⁵⁾، وإيراده لها ليفهم الناس أن الحديث عن الإفاضة أما الوقوف فالكلام عنه لدى الشارع الحكيم هو الأولى. وفي الحكم على إباحة اليمين يأتي النص القرآني المصدق وهو أول مصادر التشريع والحكم يورد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي﴾ [سورة يونس عليه السلام 53]، وذكر أن ذلك بدلالة الالتزام⁽⁶⁾. وفي حديثه عن الحنث في ووعيد الحانث أورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمْنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِيهِ الْآخِرَةُ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ﴾ [سورة آل عمران 76]⁽⁷⁾. وفي موضوع الذبائح وأحكامها أورد قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ

(1) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، المصدر السابق نفسه، ص 16.

(2) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 20-21.

(3) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 29.

(4) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 22.

(5) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 24.

(6) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 31.

(7) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 33.

الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُثْلِي عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّهِ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴿[سورة المائدة 2] وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمْنِيَّتُهُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ - وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [سورة المائدة 2]، ثم أورد ما في الآية الكريمة من معان ما يحل أكله من الحيوان وما يحرم⁽¹⁾، ثم ذكر المستثنى بعده بنص حديثين وهو من تفسير السنة غير المباشر. وفي إirاده لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ﴾ [سورة المائدة 6] ذكر أن المشهور في المراد بالطعام الذبائح ما لم يكن عندنا محرماً⁽²⁾. وأورد في قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُم صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَعَاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۚ﴾ [سورة المائدة 98] تطرق فيه إلى معنى لفظ الصيد وعرفه⁽³⁾. وفي تعليم كلب الصيد والجوارح وكيفيته أورد قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة 5] وشرح الكيفية⁽⁴⁾. وفي موضوع الجهاد ذكر قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [سورة الحج 76] ثم عرف الجهاد المذكور في الآية وفي حديث مذكور بعدها⁽⁵⁾. ولبیان أحد أقسام الجهاد يورد قول الله جل وعز: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۚ﴾ [الذين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ] [سورة الحج 37 - 38] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۚ وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء 74]، كما أشار إلى الحدث من

(1) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 39.

(2) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 40.

(3) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 42.

(4) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 42.

(5) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 43.

السيرة النبوية بعد الهجرة إلى المدينة⁽¹⁾. وأورد قوله جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبُرَ ١٥ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقَتَالٍ أَوْ مَتَحَرِّرًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوِيَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الأنفال 15 - 16] وأوضح أنه ذكر فيه أحد أقسام أنواع الجهاد⁽²⁾. وأورد قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة 194] بعد أن ذكر الحديث القائل: 'القتيل دون ماله فهو شهيد'⁽³⁾ ليبين أحد أقسام الجهاد وأنه لا يجوز للمعتدى عليه أن يسلم نفسه للظالم المعتدي، لأنه لذلك سيعتبر ملقيا بنفسه إلى التهلكة⁽⁴⁾. أورد قوله تعالى جده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة المائدة 59] حيث بين فيها كيف يحرم على المسلم الانضمام إلى صفوف البغاة والمشركين كما يحرم نصره الظالم المتسلط -ولو كان موحدًا- على أخيه، ويكره للإمام مباشرة القتال إلا عند الضرورة⁽⁵⁾، وبشروط مثل الاستعداد اللازم عدة وعتادا حسب عدة وعتاد العدو آخذا بأسباب النصر وأورد قوله تقدس اسمه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة 194] مصداقا لذلك⁽⁶⁾، كأنه يريد أن يشير أن الإمام إذا اضطر إلى مباشرة القتال فحكمه حكم المعتدى عليه لا ينبغي تسليم نفسه فيعتبر ملقيا بنفسه إلى التهلكة، بل أخطر، حيث هو قائد الأمة والأنظار إليه. وأورد قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٣٨ الَّذِينَ إِنْ مَكَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ غُفْبَةُ الْأُمُورِ﴾ [سورة الحج 39] في معرض حديثه على ما يشترط على

(1) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص ص 45-46. وأورد في كتابه صفوة الاختيار في سيرة المختار هذا الحدث. ينظر: قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، صفوة الاختيار في سيرة المختار، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ط1، 1987، ص 34.

(2) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 46.

(3) ابن ماجه، السنن، حديث رقم 2580.

(4) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 47.

(5) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 47.

(6) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 48.

الإمام وهو يضطر إلى مواجهة العدو مباشرة من مراعاة تطبيق الأخلاق في جيشه، وأن ذلك من التقوى المنوط نصر الله بها⁽¹⁾. أورد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّتْلُوا أَلْتِ مَ تَبْغِ ۚ حَتَّىٰ تَفِئَ ۚ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحجرات 9] للحديث عن أحكام البغاة فبين أن الشقاق قد ينجم في طائفة الموحدين فيثورون على الإمام بغيا وظلما فللإمام قتالهم بعد دعوتهم إلى ترك ضلال سبيله، وإلا قاتلهم حتى يذعنوا، وإذا تغلب عليهم فلا يجهز على جريحهم ولا يلحق فازهم ولا يأخذ شيئا من أموالهم، لأنهم موحدون فمالهم يؤخذ بحقه⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ [سورة الحجرات 14].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رفع القلم عن أمتي، عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ⁽³⁾.

في الآية الكريمة والحديث الشريف الإشارة إلى الإيمان المعتبر ومن يجب عليه، فالإيمان ما وقر القلب وصدق العمل.

(1) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 48.

(2) بالحاج بن عدون قشار، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 48-49. وقد ذكر مثل هذا لما كان يتحدث عن ثورات الإباضية ضد الظلم والطغيان وأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها" استثنى منه من أبيع دمه من البغاة في قوله تعالى: "فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله". ينظر: قشار بالحاج بن عدون، اللمعة المضئية في تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، السيب-سلطنة عمان، ط 2، 1990، ص 14.

(3) مجموع من حديثين: الجزء الأول من حديث: "رفع القلم عن أمتي في ثلاث النوم والنسيان وما استكرهوا عليه" ينظر: الخطيب الجاوي أحمد بن عبد اللطيف، حاشية النفحات على شرح الوراقات، ضبط نصه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 3، 2006، ص 188. أيضا: الفندلاوي يوسف بن دوناس، تهذيب السالك في نصرة مذهب مالك، تحقيق عثمان غزال، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2007، ص 318. وجزء من حديث: "عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ" رواه أبوداود والترمذي وقال حديث صحيح.

فإيراده الحديث بعد الآية يفهم منه أن من رفع عنه القلم من أمة النبي صلى الله عليه وسلم يمكنه أن يعبروا بقولهم عن انتمائهم إلى الإسلام سواء بنطقهم التوحيد أو نسبة أنفسهم إلى الإسلام بالوصف، وهو خلاف ما أقره القرآن من احتواء القلب له وتصديق الجوارح له، وهو في ذلك يوافق ما ذهب إليه سلفه الإباضية: بأن الإيمان قوله وعمله لا ينفصلان، وهو الماصدق الذي بنوا عليه حياتهم، فحديث البطاقة عندهم غير ثابت النسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

و'ما وقر في القلب وصدقه العمل' جزء من عبارة عن أثر موقوف على الحسن البصري⁽¹⁾.

ويمكن أن يستفاد من إيراده النصين معا تفسير أحدهما المتقدم القرآن بالآخر المتأخر الحديث. وهذا ما يسمى بـ: التفسير غير المباشر للقرآن بالسنة⁽²⁾.

مما وجدناه أنه يقوم به هو تفسير كلمات لبعض الناس يستشكلون عليها، مثل كلمتا 'المهيمن' و'الجبار' اللتين هما اسمان من أسماء الله تعالى⁽³⁾.

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة 129] ذكر أن فيه صفات زعامة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي صفات يمكن أن يحصل عليها كل من أراد زعامة أمة، فهو المثل الأعلى الذي نتخذه لنقتدي به، وهاته الصفات كالآتي:

أولاً: ثبوت نسب الزعيم إلى القوم الذي يتزعمهم، وفي هاته الصفة تفسير لقوله سبحانه: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [سورة التوبة 129].

ثانياً: شعوره بشعورهم وإحساسه بإحساسهم والسعي في ترقيةهم وتخليصهم من دواعي

(1) ينظر ابن قيم الجوزية، تهذيب سنن أبي داود، تحقيق نبيل بن نصار السندي، دار عطاءات العلم، الرياض - السعودية، ط1، 185/3، 2023.

(2) سلى داود إبراهيم بن داود، أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير، مصدر سابق نفسه، ص 192.

(3) رسالة جواب من الشيخ إلى السائل السيد دحمان بن بكير عشور، بتاريخ 25 جمادى الأولى 1404هـ/28 مارس 1984م.

الشقاء، وفي هاته الصفة تفسير لقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة التوبة 129].

ثالثا: تخصيصه المتبعين له بالرحمة والرضى والتشجيع، وفي هاته الصفة تفسير منه لقوله تعالى: ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة 129] وقد تهيأ لذلك بتربية الله له على الأخلاق الفاضلة⁽¹⁾.

يفسر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...﴾ [سورة آل عمران 191] أنه نوع من أنواع الذكر وهو النطق باللسان بذكر أسمائه أو صفاته للثناء عليه بها، وبالتسبيح أو التهليل، والحمد أو نحوهما، كما يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة 164] بأنه نوع من أنواع الذكر المتمثل في استحضر عظمة الله في الذهن بعد التأمل في مخلوقات الله لإظهار عظمتها وإدراك وجوده ووحدانيته. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ ذَنْبٌ وَالَّذِينَ لَا يَدْرَأُونَ شَيْئًا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة آل عمران 135] نوع آخر للذكر يستدعي تأمل الإنسان واستعراضه لما اقترف من ذنوب ليتوب⁽²⁾.

ومن التفسير الموضوعي لموضوع الذكر أو الدراسة المصطلحية لمصطلح الذكر، ينتج لنا ما مفاده أن الذكر هو إما تكرير ذكر اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو جملة كجملة الهيئلة والحمدلة والباقيات الصالحات أو بقراءة شيء من القرآن آية أو آيات⁽³⁾.

(1) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والأخلاق: الدروس المقررة لتلاميذ السنة الأولى، معهد عبي سعيد، غرداية - الجزائر، د. ت. ن، قسم 3، ص 01.

(2) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، ط1، 1994، ص 09.

(3) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، مصدر سابق، ص 10.

ويستنبط فوائد من آيات القرآن كاستنباطه لفائدة الذكر من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد 28]. ولم يتعرض لبيانها كونها من القرآن البين⁽¹⁾، إلا أنه يعود إليها مرة أخرى، وينقل أقوال بعض العلماء في تفسير الآية⁽²⁾. بينما في فائدة أخرى يسبق الآية بتفسيرها ثم يوردها، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف 201] حث للمسلمين على الذكر الكثير المستمر ليكون قلب المؤمن يقظا محترسا من نزغات الشيطان ووساوسه⁽³⁾.

المطلب الثاني: منهجية العملية التفسيرية

1 الاستدلال التفسيري: وهو أن يأتي إلى فكرة ثم يستدل لها من القرآن ويأتي هذا الاستدلال على شكل تفسير، ولا يختلف كثيرا عن التفسير، فقط أن التفسير يكون بإيراد الآية أولا ثم تفسيرها، بينما هذا النوع يتم إيراد التفسير ثم إيراد ما يصدق على هذا التفسير من الآيات. نجد في تفسير الشيخ بالحاج قشار مثل هذا، حيث يذكر معللا افتتاح أهل ميزاب دعواتهم الصباحية بالسلام على الملائكة والأنبياء والرسل والصالحين والأولياء يقول: "أما: 'السلام على الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء والصالحين' فلما هو معمول به في التشهد في الصلاة واقتداء بكتاب الله بالنسبة للأنبياء والرسل حيث أن الله سلم على كثير منهم في سورة الصافات وامثالا لقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة النمل 59]"⁽⁴⁾.

2 مصادره في التفسير:

ومن خلال إطلالتنا على مؤلفاته نجد أن المصادر التي اعتمد عليها أثناء عملية التفسير: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، الكشف للزمخشري، مجمع البيان للطبرسي،

(1) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، مصدر سابق، ص 10.

(2) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، مصدر سابق، ص 11.

(3) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، مصدر سابق، ص 11.

(4) قشار بالحاج بن عدون، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، مصدر سابق، ص 17.

تيسير التفسير للقطب اطفيش، روح البيان لإسماعيل حقي، في ظلال القرآن لسيد قطب، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، جواهر القرآن لطنطاوي جوهري، مفاتيح الغيب للفخر الرازي،

3 طرق التفسير: بالقرآن، بالسنة، بأقوال الصحابة، بأقوال التابعين، بالرأي

أ التفسير بالقرآن:

في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة البقرة 176] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة 176] ففي الآية ذكر للكتاب وهي الكتب السماوية والنبئين حيث يورد الآيات التي تتحدث عن هذا: حيث يقول: "فهذا هو الكتاب الذي جاء من عند الله، لأن الله أنزل كتباً على الأنبياء كما ذكر لنا فقال: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة الأعراف 19] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [سورة الأعراف 19] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [سورة المائدة 46] وقال: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة البقرة 86] ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ [سورة الحديد 26]، الإنجيل هو الكتاب الذي نزل على سيدنا عيسى، ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [سورة النساء 162] الزبور هو الكتاب الذي نزل على سيدنا داود، القرآن الكتاب هو الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة التوبة 129] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ ١٩٣ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾ [سورة الشعراء 193 - 194]، هناك آيات كثيرة في شأن القرآن⁽¹⁾.

ب التفسير بالسنة:

وفي الحديث عن بيان فضل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم حين يورد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة 129] ويُرفقه⁽²⁾ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: 'من حج ولم

(1) بالحاج بن عدون قشار، درس مسجدي بالمزابية، شريط سمعي، رمضان 1404هـ/جوان 1984م، تنزيل الباحث بالحاج بن عمر قشار 20 ماي 2025م.

(2) ينظر: قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 30.

يزرني فقد جفاني⁽¹⁾، وما يمكن أن نستفيد منه هذا منه تفسير غير مباشر للقرآن بالسنة⁽²⁾.
وأورد قوله عز وجل: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۖ﴾ [سورة التوبة 124] حيث بين ما يفهم من الآية من أحد أنواع الجهاد، وأورد بعده حديثا نبويا⁽³⁾؛ وهو من باب تفسير القرآن بالسنة غير المباشر.

ج التفسير بأقوال الصحابة والتابعين:

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِجَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران 185] يورد قصة للتابعي الإمام سعيد بن جبير مع الحجاج حيث يقصّ الشيخ قائلا: "كما روي عن سعيد بن جبير لما امتثل أمام الحجاج فقال له -يعني وقد سعى نفسه باسمه سعيد بن جبير-: شقي بن كسير فقال له: أمي أعلم باسمي منك، فأمي تعلم بماذا سمتني ولهذا أنت تنعتني، فقال له: إنك أنت الشقي فقال له: الشقي من زحج عن الجنة وأدخل النار"⁽⁴⁾، والقصة في معنى قريب منها مبثوث في كتب السير والتاريخ الإسلامي⁽⁵⁾.

4 من اختياراته التفسيرية:

من بين إسهاماته في العملية التفسيرية، اعتماده بعض الاختيارات التفسيرية، فمثلا في مسألة وجوب صلاة الجمعة مع وجود الإمام العادل ذهب إلى ما اختاره مما ذكره الطبرسي في

(1) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 311/2 حديث رقم 811، وقال: رواه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك في حديث ابن عمر: "من حج ولم يزرني فقد جفاني"، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس: "ما من أحد من أمي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر".

(2) سلمى داود إبراهيم بن داود، أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير، مصدر سابق نفسه، ص 192.

(3) قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية، مصدر سابق، ص 44.

(4) درس مسجدي، المصدر السابق نفسه.

(5) ينظر: أبونعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2014، 290/5، اختصر القصة ودمج بعضها ببعض، فمثلا قوله: 'الشقي من زحج عن الجنة...' لم يرد في القصة، وإنما الذي ورد لما قال له: 'الويل لك، فأجابه الإمام: الويل لمن زحج عن الجنة...'، ولا بأس بمخالفة الألفاظ المدموجة ما دام المعنى قريبا منه.

كتابه مجمع البيان، وما ذكره الطوسي في كتابه النهاية، وقريب من ذلك ما ذكره الكشاف.

5 أسلوبه:

ويظهر في أسلوبه الآتي:

أ. السلاسة والوضوح فهو يستخدم الألفاظ السهلة والعبارات القريبة والجمل القصيرة المفيدة⁽¹⁾. وهي لغة العامة، وقد اكتسبها من معايشة الناس وكثرة قراءته للجرائد.

ب. التقسيم في مقاطع معنونة.

خاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى:

- تعتبر نشأة الشيخ بمثابة نهضة لبلدته بنورة، حيث إنه كان عنوان النشاط، تكلف بعدة مهام، حتى لما اغتيل خلفه في مهامه تلك حوالي 10 أو تفوق.
- اهتم الشيخ بالتأليف، وكان هذا التأليف متنوعا ابتداء بالتفسير ثم السنة ثم السيرة ثم الاجتماعيات، وغيرها من الفنون الإسلامية. كما اهتم باقتناء الكتب التي تساعد على التأليف، خاصة الجانب التدريسي منه.
- وصلنا إلى آخر مبحث، حيث مَعَقِدُ الفرس من البحث، كيف أن الشيخ حضر بتفسيره للقرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وهو في معرض تناوله البحث والتدريس. وقام بما يقوم به بعض العلماء من استحضار التفسير في غير درس التفسير، وهو أمر مهم، وقد استعرضنا أقوال العلماء والباحثين في الموضوع.
- مثّلنا بما رأينا صلاحيته، وهو حضور بعض المصطلحات القرآنية في عرضه وما في ذلك من دلالة البيان والتفسير.

توصيات:

(1) عبدالله بن سليمان بن ماجد الكندي، جهود علماء الإباضية في التفسير من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر الهجري، رسالة ماجستير، إشراف زياد خليل الدغامين، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، 1425هـ/2004م، ص 156.

ومما نخرج به من توصيات في هذا البحث:

الاهتمام بتراث هؤلاء العلماء، وإخراجها للعلن إن كانت مغمورة، أو تحديثها ونشرها وتوزيعها، مثل أن تُجمَع على شكل موسوعات للأعمال الكاملة، وهذا الذي بصده الجمعية المسيّرة لمكتبة الشيخ، حيث تسعى لإعادة طبع تلك الكتب في إخراج جذاب للقارئ، وكذا إخراجا في موسوعة للأعمال الكاملة للشيخ، وستكون بإذن الله جاهزة بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاته.

وصلّى على سيدنا محمد وعلى آله الأبرار السلام ومن تبعهم إلى يوم الجزاء

المصادر والمراجع:

ابن قيم الجوزية، تهذيب سنن أبي داود، تحقيق نبيل بن نصار السندي، دار عطاءات العلم، الرياض -السعودية، ط1، 2023.

ابن ماجة، السنن،

أبوداود، السنن،

أبونعيم الأصهباني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2014.

أحمد الشرقاوي ونهاد عمار وعفاف السيد عبدالمجيد، موسوعة عمان الميسرة، مركز الراه لل نشر والإعلام، القاهرة – مصر، 2012.

باباعمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، نشر جمعية التراث، القرارة - غرداية، 2002.

بالحاج بن عدون قشار، درس مسجدي بالمزابية، شريط سمعي، رمضان 1404هـ/جوان 1984م، تنزيل الباحث بالحاج بن عمر قشار 20 ماي 2025م.

الترمذي، الجامع الصحيح،.

جمعية تسيير مكتبة الشيخ بالحاج قشار، الفهرس العام، إنتاج أفريل 2002، موجود

بمقر المكتبة فقط.

الحاج أحمد كروم، العلماء الوافدون إلى وادي ميزاب ودورهم في التغيير الاجتماعي، مناسبة: مهرجان الشيخ عمي سعيد الجربي، غرداية، 01-03 نوفمبر 2006م.

الحاج أحمد كروم، جهود الميزابيين في التأليف قديما وحديثا، محاضرة بمسجد الأمة، غرداية، 10 محرم 1432هـ/25 ديسمبر 2010م.

رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.

رسالة جواب من الشيخ إلى السائل السيد دحمان بن بكير عشور، بتاريخ 25 جمادى الأولى 1404هـ/28 مارس 1984م.

عبدالله بن سليمان بن ماجد الكندي، جهود علماء الإباضية في التفسير من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر الهجري، رسالة ماجستير، إشراف زياد خليل الدغامين، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت، الأردن، 1425هـ/2004م.

علي أكبر ضيائي، معجم مصادر الإباضية، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ط2، 2003.

قشار بالحاج بن عدون، الفقه والأخلاق: الدروس المقررة لتلاميذ السنة الأولى، معهد عمي سعيد، غرداية - الجزائر، د. ت. ن.

قشار بالحاج بن عدون، الفقه والدليل، الحلقة الثانية للسنة الثانية المتوسطة، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ط1، 1982.

-----، اللمعة المضيئة في تاريخ الإباضية، مكتبة الضامري، السيب-سلطنة عمان، ط2، 1990.

-----، صفوة الاختيار في سيرة المختار، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، ط1، 1987.

-----، عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، الطبعة 1، 1994.

يحيى حاج امحمد، سيرة القطب اطفيش الجزائري بأقلام طلابه وتلامذته، ضمن أعمال الملتقى الدولي الثاني للعلامة امحمد بن اطفيش.

مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 53، رمضان 1432.

الخطيب الجاوي أحمد بن عبداللطيف، حاشية النفحات على شرح الورقات، ضبط نصه وخرج آياته محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط3، 2006.

الفندلاوي يوسف بن دوناس، تهذيب السالك في نصرة مذهب مالك، تحقيق عثمان غزال، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2007.

إحياء الذاكرة:

دراسة استراتيجية للحفاظ على التراث المخطوط في الجزائر في ظل التحديات المعاصرة

Reviving Memory: A Strategic Study for the Preservation of Manuscript Heritage in Algeria Amid Contemporary Challenges

د. عبد الغني حجاب - د. أسامة خوجة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص: يستقصي هذا البحث واقع التراث المخطوط في الجزائر، ويحلل التحديات التي يواجهها في ظل العوامل الطبيعية والبشرية، مع استعراض شامل للجهود المبذولة للحفاظ عليه. يهدف البحث إلى تقديم رؤية استراتيجية متكاملة لضمان ديمومة هذا الإرث الحضاري. ينطلق البحث من فرضية أن التراث المخطوط الجزائري، رغم قيمته التاريخية والفنية، يتعرض لتحديات كبيرة نتيجة لتشتته الجغرافي وغياب التنسيق المؤسسي، مما يجعله عرضة للتلف والضياع. تبرز الدراسة الجهود الرسمية وغير الرسمية في الحفظ، وتناقش دور التكنولوجيا الحديثة، مثل الرقمنة والذكاء الاصطناعي، كحلول واعدة لمستقبل هذا التراث. يتبنى البحث المنهج الوصفي التحليلي لتقييم الوضع الراهن، والمنهج الاستقرائي لتتبع مسيرة الحفظ، مع التركيز على المنهج النقدي في تحليل جدلية الحفاظ على الأصل المادي في مقابل المحتوى الرقمي. يخلص البحث إلى أن الحفاظ على التراث المخطوط يتطلب جهدا وطنيا منسقا يدمج بين الترميم المادي للأصول وخطط الرقمنة الشاملة، مع التركيز على بناء الإطارات المتخصصة وزيادة الوعي المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: التراث، المخطوطات، الرقمنة، الحفظ، الجزائر.

Abstract: This research investigates the reality of the manuscript heritage in Algeria and analyzes the challenges it faces due to natural and human factors, while providing a comprehensive overview of the efforts undertaken for its preservation. The study aims to present an integrated strategic vision to ensure the sustainability of this

civilizational legacy. It proceeds from the hypothesis that Algerian manuscript heritage, despite its historical and artistic value, faces significant challenges due to its geographical dispersion and the lack of institutional coordination, making it vulnerable to damage and loss. The study highlights both official and unofficial preservation efforts and discusses the role of modern technologies, such as digitization and artificial intelligence, as promising solutions for the future of this heritage. The research adopts a descriptive-analytical method to assess the current situation and an inductive approach to trace the trajectory of preservation, with a focus on a critical methodology for analyzing the dialectic of preserving the physical original versus the digital content. The research concludes that preserving manuscript heritage requires a coordinated national effort that integrates the physical restoration of originals with comprehensive digitization plans, while focusing on building specialized capacities and increasing community awareness.

Keywords: Heritage, Manuscripts, Digitization, Preservation, Algeria.

مقدمة

يعد التراث المخطوط من أهم مقومات الهوية الثقافية للأمم، فهو يمثل الذاكرة الحية التي تربط الحاضر بالماضي، وينقل خلاصة الأفكار والمؤلفات التي أنتجتها الحضارات الإنسانية. وفي هذا السياق، تحتل الجزائر مكانة بارزة، فهي تزخر بكنوز من المخطوطات في مختلف العلوم والفنون، من طب وهندسة وفلك وتفسير وشعر، مما يدل على عمق إسهامها الحضاري عبر العصور. هذا التراث الغزير، الذي يعد صورة حية لواقع العلوم والآداب، هو حصيلة عبقرية أجيال من العلماء، ويشكل مؤشرا حضاريا على المستويات العلمية والثقافية التي بلغها المجتمع الجزائري.

ومع ذلك، فإن هذا الإرث الثمين يواجه اليوم تحديات جسيمة تهدد وجوده، مما يستدعي جهودا حثيثة لإنقاذه من الضياع. فالتلف المادي، والسرققة والتهميش، وغياب التنسيق المؤسسي، كلها عوامل تضافرت لتعيق عمليات الحصر والتوثيق والتحقيق. من هنا، تبرز أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تحليل واقع المخطوطات في الجزائر، والكشف عن

التحديات التي تواجهها، واستعراض الجهود المبذولة للحفاظ عليها، مع التركيز على الدور المتنامي للتكنولوجيا الحديثة، وتحديد الرقمنة والذكاء الاصطناعي، كحلول مستقبلية.

أهمية البحث وأهدافه

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يقدم دراسة شاملة لمشكلة الحفاظ على التراث المخطوط في الجزائر، ويسلط الضوء على الأبعاد المختلفة لهذه المشكلة، من تاريخية، ومادية، وتقنية. ويهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

1. الوقوف على القيمة الحضارية والمادية للمخطوطات الجزائرية، وبيان أهميتها في حقل العلوم.
2. تحليل التحديات التي تواجه التراث المخطوط، سواء كانت مادية التلف والضياع أو إدارية ومؤسسية.
3. توثيق الجهود المبذولة من مختلف الأطراف رسمية ومجتمعية وأكاديمية في مجال الحفظ والتوثيق والتحقيق.
4. استكشاف الآفاق المستقبلية لعملية الحفظ، مع التركيز على دور الرقمنة والذكاء الاصطناعي.
5. تقديم رؤية استراتيجية وتوصيات عملية للحفاظ على هذا الإرث الثمين وضمان وصوله للأجيال القادمة.

إشكالية البحث وتساؤلاته

على الرغم من القيمة المعنوية الهائلة للتراث المخطوط الجزائري، فإن واقع حاله يثير قلقا متزايدا لدى الباحثين والمهتمين. بناء على ما سبق، يمكن صياغة إشكالية البحث في التساؤلات الرئيسية الآتية:

- ما هي القيمة الحضارية للتراث المخطوط الجزائري؟ وما هي أبرز خصائصه؟
- ما هي أبرز التحديات التي تواجه هذا التراث في العصر الحالي؟ وما أسبابها؟

- ما هي الجهود المبذولة للحفاظ على هذا الإرث؟ وما هي حدود فاعليتها؟
- كيف يمكن توظيف التكنولوجيا الحديثة، كالرقمنة والذكاء الاصطناعي، كحلول فعالة لهذه التحديات؟

فرضيات البحث

1. التراث المخطوط الجزائري يتسم بقيمة حضارية وعلمية كبيرة، لكنه يواجه تحديات جسيمة، أبرزها التشتت الجغرافي وغياب التنسيق المؤسسي.
2. هناك جهود متفرقة ومحدودة من قبل المؤسسات والأفراد للحفاظ على هذا التراث، لكنها لا تزال غير كافية لمواجهة التحديات المتزايدة.
3. تعد الرقمنة والحلول التكنولوجية القائمة على الذكاء الاصطناعي ضرورة حتمية لإنقاذ ما تبقى من هذا التراث، وضمان وصوله للباحثين مستقبلا.

الدراسات السابقة

تناولت العديد من الأبحاث جوانب مختلفة من موضوع المخطوطات في الجزائر. فبعض الدراسات ركزت على أهمية التراث المكتوب في بناء الحضارات، بينما اهتم البعض الآخر بالحديث عن التراث المخطوط في مناطق جغرافية معينة، مثل منطقة معسكر، أو في خزائن خاصة كخزانة الشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة، أو في جنوب الجزائر. كما تناولت دراسات أخرى موضوع المنهجية المتبعة في تحقيق المخطوطات، وضرورة إخضاعها لضوابط صارمة لضمان الأمانة العلمية. أما الجانب التقني، فقد تناولته أبحاث تحدثت عن تحديات رقمنة المخطوطات في الجامعات الجزائرية، ودور المكتبة الوطنية في هذا المجال. وعلى الرغم من أهمية هذه الأبحاث في تسليط الضوء على جوانب متفرقة من المشكلة، فإنها لم تقدم رؤية استراتيجية شاملة تجمع بين تحليل الواقع، وتحديد التحديات، واستعراض الحلول المستقبلية بشكل متكامل. وهذا ما يسعى إليه هذا البحث.

منهجية البحث وهيكلته

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لوصف واقع التراث المخطوط الجزائري

وتقييم حالته الراهنة وتصنيف خصائصه. كما يتم توظيف المنهج الاستقرائي لتتبع الجهود المبذولة في مجال الحفظ والتحقيق. وأخيرا، يتم استخدام المنهج النقدي في دراسة جدلية الرقمنة والحفظ، وتقديم توصيات ببناءة. تم تنظيم هيكل البحث في خمسة محاور رئيسية، بدءا من الإطار المفاهيمي، مروراً بتحليل التحديات والجهود، وانتهاء بالآفاق المستقبلية ورسم خارطة طريق للحفاظ على هذا الإرث.

1. القيمة الحضارية والخصائص النوعية للتراث المخطوط الجزائري

تتجلى القيمة الجوهرية للتراث المخطوط في كونه المصدر الأساسي لفهم التطور العلمي والفكري لأمة ما. والمخطوطات الجزائرية بشكل خاص، تمثل مادة فريدة لدراسة الحضارة الجزائرية، وتتنوع خصائصها لتشمل أبعادا مختلفة:

1.1. القيمة الحضارية والمادية للمخطوطات

تعد المخطوطات الجزائرية كنوزا ثقافية وحضارية، فهي الذاكرة الحية التي قاومت عوامل الزمن وبقيت محفوظة. هذه الوثائق لا تقتصر قيمتها على كونها مصادر أولية للمعلومات عن العصور الإسلامية، بل هي حلقة وصل متينة بين الماضي والحاضر. وتتنوع المخطوطات التي تركها العلماء العرب في الجزائر قبل عصر الطباعة، وتزخر بها المتاحف والمكتبات في مجالات مختلفة مثل الطب، والهندسة، والتفسير، والشعر، وعلم الحديث، مما يؤكد على غنى هذا الإرث⁽¹⁾.

كما أن تحقيق هذه المخطوطات يساهم في إثراء المدخل التاريخي لتدريس العلوم، ويصحح تاريخ العلم من أي تحريف أو غش فكري قد يكون تعرض له. إنها ليست مجرد وثائق، بل هي "عصارة أفكار" و "مخزون ثقافي وفكري" يبرز مساهمات الأجيال المتعاقبة. وتشهد هذه المخطوطات على مستويات عالية من العلم والثقافة في مجالات متنوعة من اللغة والفلسفة

(1) برهان جابر حسين. 2023. وسائل المحافظة على المخطوطات ورقمنتها، مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية، مجلد

والدين والرياضيات⁽¹⁾.

1.2. الخصائص النوعية والكمية للتراث المخطوط

يتميز التراث المخطوط في الجزائر بخصائص نوعية وكمية تستحق الدراسة. فمن الناحية الكمية، ينتشر هذا التراث على مساحة جغرافية واسعة تتجاوز حدود الوطن، ويتواجد في مراكز متعددة، سواء كانت رسمية مثل المكتبة الوطنية، أو خاصة مثل الخزائن الشعبية. ويشير بعض الباحثين إلى أن منطقة الجنوب الجزائري، بما فيها ولايات كادزار وبسكرة وتمنراست، تحوز على أكبر عدد من المخطوطات، حيث لا يكاد يخلو أي قصر أو بيت من المخطوطات العلمية⁽²⁾. كما أن ولاية معسكر تتميز بوفرة مخطوطاتها وخزائنها، نظرا لمكانتها العلمية عبر التاريخ. ومن الناحية النوعية، تتضمن المخطوطات الجزائرية مواد مكتوبة باللغة العربية، واللاتينية، والفارسية، والتركية. كما تحتوي بعض المخطوطات العلمية على رسوم توضيحية، وأشكال هندسية، وجداول منظمة، مما يزيد من قيمتها الفنية والعلمية⁽³⁾. ومن الأمثلة البارزة على ذلك، مخطوط الإبريز والإكسير في علم التفسير للشيخ أبي رأس الناصري المعسكري، الذي تناولته الدراسات الحديثة بالتحليل.

2. التحديات المعاصرة التي تواجه التراث المخطوط الجزائري

على الرغم من القيمة العالية لهذا التراث، فإنه يواجه تحديات معقدة تضع مستقبله على المحك. ويمكن تصنيف هذه التحديات إلى أبعاد مادية، وإدارية، وتقنية.

2.1. التحديات المادية والبشرية

أحد أبرز التحديات هو التدهور المادي للمخطوطات، حيث تتعرض للتلف والضياع

(1) بشير ب. 2014. التراث الجزائري المخطوط دراسة في أهمية التحقيق وآليات التفعيل. الذاكرة، 22، 169-184.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/66237>

(2) المرجع نفسه.

(3) ملتقى وطني: التراث المخطوط في الغرب الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة تيارت، تم الوصول بتاريخ

2025/9/8،

www.full.univ-tiaret.dz/pdf/2025_برنامج_الملتقى_الوطني_التراث_المخطوط_في_الغرب_الجزائري.pdf

بسبب عوامل طبيعية مثل الحرارة، والرطوبة، والغبار. كما أن الكوارث الطبيعية كالحرائق والفيضانات، إضافة إلى الكوارث البشرية كالاستعمار الفرنسي الذي اتبع سياسة ممنهجة لتدمير التراث ونهبه، قد ساهمت بشكل كبير في إتلاف آلاف المخطوطات والوثائق⁽¹⁾.

وعلى الصعيد البشري، يواجه الحفاظ على هذا الإرث نقصا في الإطارات المتخصصة والموارد اللازمة للقيام بعمليات الترميم والتحقيق بشكل علمي. ففي حين أن بعض المهتمين، مثل أصحاب الخزائن الشعبية، يقومون بجهود فردية لحفظ المخطوطات، إلا أنهم يفتقرون للإمكانيات الضرورية والوسائل والتقنيات المتطورة⁽²⁾. بالإضافة إلى ذلك، يشكل تهريب وبيع المخطوطات بأبخس الأثمان تحديا خطيرا، حيث يعتقد بعض مالكيها أنها مجرد "عقار موروث" يجهلون قيمته الفكرية والحضارية.

2.2. التحديات الإدارية والمؤسسية

يعد التشرذم الإداري وعدم التنسيق بين المراكز المتخصصة للمخطوطات من أبرز الأسباب التي تعيق جهود الحفظ والتوثيق⁽³⁾. فغياب التعاون بين هذه المراكز يؤدي إلى عدم وجود خطة وطنية شاملة لحصر المخطوطات المنتشرة عبر التراب الوطني. ويزيد من تعقيد المشكلة عدم قيام السلطات المعنية بإحصاء شامل للمكتبات والأرشيفات التي دمرت جزئيا أو كليا، مما يجعل من الصعب تحديد حجم التراث المفقود. إن هذا القصور الإداري يمهّد الطريق لتعرض هذه الأصول الثمينة للتلف، ويجعل جهود الحفظ مجزأة وغير فعالة.

2.3. تحديات التحقيق العلمي وصعوبة الوصول

تعد عملية تحقيق المخطوطات علما قائما بذاته، وتتطلب من الباحث شروطا صارمة

(1) على آ.، & شوقي ب. 2016. من أجل استراتيجية وطنية لرصد مخطوطات الزوايا في مراكز حفظ رسمية للمستوى التاريخي: محفوظات زوايا الجنوب الجزائري نموذجا. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، 152، 7-21.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/232411>

(2) تني ا.، & بونقاب م. 2024. الخزائن الشعبية بمنطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث المخطوط. مجلة عصور الجديدة، 142، 435-413. <https://asjp.cerist.dz/en/article/256404>

(3) شلي ش. 2024. المخطوطات الجزائرية بين جدلية الرقمنة وحفظ التراث الثقافي. دفاتر المخبر، 191، 110-125.

<https://asjp.cerist.dz/en/article/247000>

المعرفة الكافية بالمكتبات، والإلمام بلغة المخطوط وموضوعه، والتحلي بالصبر والأمانة العلمية. وتواجه هذه العملية تحديات كبيرة، مثل قلة عدد النسخ المخطوطة للنص الواحد، مما يجعل عملية المقابلة بين النسخ صعبة، وبالتالي التأكد من صحة النص الأصلي. كما أن تشتت المخطوطات عبر البلاد وصعوبة الوصول إليها، إلى جانب قصور الفهارس والمراجع الكاملة، يمثل عائقا أمام الباحثين ويقلل من القيمة العلمية للمخطوطات⁽¹⁾.

3. الجهود المبذولة للحفاظ على التراث المخطوط

على الرغم من التحديات، هناك جهود حثيثة من قبل مختلف الأطراف للحفاظ على هذا التراث. وتتكامل هذه الجهود بين المؤسسات الرسمية والمجتمع الأكاديمي والمدني.

3.1. الدور الرسمي: المكتبة الوطنية والمراكز المتخصصة

تضطلع المؤسسات الرسمية بدور حيوي في جهود الحفاظ على المخطوطات. تعد المكتبة الوطنية الجزائرية من أبرز هذه المؤسسات، حيث تهدف إلى حماية المخطوطات النفيسة من عوامل التلف وإتاحتها للباحثين⁽²⁾. وتحتوي المكتبة الوطنية على عدد كبير من المخطوطات، يبلغ 5028 عنوانا. وتعمل المكتبة على إعداد فهارس لها، وتقديم خدمات الترميم الوقائي والعلاجي، كما تساهم في إحياء الذاكرة التاريخية والثقافية للأمة. كما تم الإشارة إلى وجود مراكز متخصصة للمخطوطات في الجزائر تزخر بثروة كبيرة من التراث المكتوب⁽³⁾.

3.2. الدور المجتمعي: الخزائن الشعبية والجهود الفردية

لا يقتصر الحفاظ على التراث المخطوط على المؤسسات الرسمية، بل يمتد ليشمل جهودا مجتمعية وفردية لها دور كبير في حماية هذا الإرث. وتعد "الخزائن الشعبية" في منطقة معسكر، التي يملكها أفراد ورثوها عن أجدادهم أو جمعوها بأنفسهم، نموذجا بارزا لهذه

(1) أعمال الملتقى الوطني: المخطوطات في الجزائر: الواقع والرؤية المستقبلية، 5-6/12/2012، جامعة قسنطينة، تم الوصول بتاريخ 2025/9/8، <https://asjp.cerist.dz/en/downSomaitepdf/98/15/2/232411>

(2) المكتبة الوطنية الجزائرية، عن المكتبة، تم الوصول بتاريخ 2025/9/8.

www.bibliolat.dz/عن-المكتبة/

(3) شليبي ش. مرجع سابق، 110-125.

الجهود. وقد ساهمت هذه الخزائن في الحفاظ على العديد من المخطوطات من الضياع، رغم ما تواجهه من قلة في الإمكانيات⁽¹⁾. وتظهر هذه الجهود الفردية وعيا عميقا بأهمية التراث، لكنها تظل محدودة الأثر ما لم يتم ربطها بالمؤسسات الرسمية وتوفير الدعم اللازم لها.

3.3. الدور الأكاديمي: التحقيق والمؤتمرات العلمية

تلعب الأوساط الأكاديمية دورا محوريا في خدمة التراث المخطوط. فعملية التحقيق العلمي للنصوص المخطوطة تعد "صناعة" تهدف إلى إبراز النص موثقا قدر الإمكان وأقرب ما يكون إلى الصورة الأصلية على يد مؤلفه. هذا الجهد الأكاديمي لا يقتصر على إخراج النصوص، بل يساهم أيضا في الكشف عن الإضافة العلمية الأصلية للمخطوط، ودراسة المنهج العلمي لمؤلفه⁽²⁾.

كما أن الجامعات ومراكز البحث في الجزائر تنظم العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي تعنى بالمخطوطات. وقد تناولت هذه الملتقيات مواضيع حيوية مثل "المخطوطات في الجزائر: الواقع والرؤية المستقبلية"، و"التراث المخطوط في الغرب الجزائري". وتهدف هذه الملتقيات إلى التعرف على واقع المخطوطات، وتبسيط الضوء على التحديات، واقتراح سبل لتوثيق هذا التراث والحفاظ عليه⁽³⁾. وتعتبر هذه الجهود مؤشرا على وجود وعي أكاديمي متزايد بأهمية التراث وضرورة إخراجها وتحقيقه.

الجهة المسؤولة	الدور والجهد المبذول

(1) كرومي ع. ا. 2025. السياق التداولي في تفسير "الجواهر الحسان" للثعالبي. دراسات، 141، 249-262.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/268836>

(2) ملتقى تحقيق المخطوط ونشر النصوص بعنوان: المخطوط الجزائري موضوعه وجغرافيته. نصيرة عزرودي، المخطوط العلمية الجزائرية: رصد وتمثيل، جامعة قسنطينة، ص 1-40. تم الوصول بتاريخ 2025/9/8
www.univ-emir-constantine.edu.dz/download/semin-oussoul/algerian-Makhtout/3arzoudi-nacira.pdf

(3) أعمال الملتقى الوطني: المخطوطات في الجزائر، مرجع سابق.

المكتبة الوطنية الجزائرية	حماية المخطوطات النفيسة، إعداد الفهارس، الترميم الوقائي والعلاجي، رقمنة المخطوطات.
الخزائن والأفراد	الحماية من التلف والضياع، جمع المخطوطات عن طريق الشراء أو الإهداء.
المؤسسات الأكاديمية	التحقيق العلمي للنصوص، تنظيم المؤتمرات والندوات، الدراسات الوصفية والإحصائية.
مركز البحث في العلوم الإسلامية	رقمنة المخطوطات في الخزائن العائلية كخزانة عائلة "بن فتاشة" بولاية مسعد ⁽¹⁾ .

4. الرقمنة والذكاء الاصطناعي: حلول لمستقبل المخطوطات

في ظل الثورة الرقمية، برزت التكنولوجيا كأداة لا غنى عنها للحفاظ على التراث المخطوط وحمایته من عوامل التلف والضياع.

4.1. الرقمنة كضرورة حتمية للحفاظ

إن بقاء المخطوطات في صيغتها الورقية يعرضها للزوال. ومن هنا، برزت دعوات متزايدة لرقمنة المخطوطات كحل عملي لإنقاذ محتواها الفكري من الضياع. فالرقمنة، التي تعني تحويل الصورة الورقية إلى صورة إلكترونية، لا تضمن فقط بقاء المحتوى العلمي، بل تسهل أيضا عملية الوصول إليه وإتاحته للباحثين في جميع أنحاء العالم، متجاوزة بذلك عائق التشتت الجغرافي الذي تعاني منه المخطوطات الجزائرية. وقد تجسدت هذه الدعوات في جهود أكاديمية وتوصيات لملتقيات علمية حول رقمنة المخطوطات في الجامعات والمراكز

(1) رقمنة المخطوطات الجزائرية، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط-الجزائر CRSIC،

2024/7/14. تم الوصول بتاريخ 2025/9/8، p=3492، <https://www.crsic.dz/?p=3492>

البحثية⁽¹⁾.

4.2. توظيف الذكاء الاصطناعي في الحفظ والترميم

تفتح التكنولوجيا آفاقا أبعد من مجرد الرقمنة، حيث يمكن للذكاء الاصطناعي أن يلعب دورا مهما في حماية هذا التراث وحفظه للأجيال القادمة. يمكن الاستفادة من هذه التقنيات لتحسين عملية الترميم الرقمي، مما يسمح بمعالجة الأضرار التي لحقت بالمخطوطات دون المساس بسلامة الأصل المادي. كما أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يساعد في التعرف على النصوص القديمة، وترميم النصوص المتآكلة، وتحسين جودة الصور الرقمية، مما يسهل عملية الدراسة والتحقيق. وقد أشار ملتقى علمي في غرب الجزائر إلى أهمية استكشاف دور الذكاء الاصطناعي في حفظ التراث، وتقديم حلول تكنولوجية مبتكرة في هذا المجال⁽²⁾.

4.3. الجدل بين حفظ الأصل المادي والمحتوى الرقمي

تطرح عملية الرقمنة جدلية فكرية حول العلاقة بين الأصل المادي للمخطوط والمحتوى الرقمي. فبينما يرى البعض أن الرقمنة هي الحل الوحيد لضمان ديمومة المحتوى في ظل تآكل الأصول، يؤكد آخرون أن القيمة الحضارية للمخطوط لا تقتصر على نصه فقط، بل تتضمن أيضا خصائصه المادية مثل نوع الورق والخط والرسومات، التي تمثل جزءا من قيمته التاريخية والفنية. إن هذه الجدلية ليست صراعا بين خيارين، بل هي دعوة للتكامل. فالحفاظ على الأصول المادية أمر حيوي نظرا لقيمتها الفريدة، بينما تعد الرقمنة أداة أساسية لضمان إتاحة المحتوى الفكري وحمايته من الضياع الأبدي⁽³⁾. وبالتالي، فإن الرؤية المستقبلية للحفظ يجب أن تجمع بين الاستثمار في الترميم المادي للأصول الأصلية والاستثمار في البنية التحتية الرقمية.

(1) صبايحي ب. 2025. تحديات رقمنة المخطوطات في الجامعة الجزائرية. العمدية في اللسانيات وتحليل الخطاب،

92، 373-365. <https://asjp.cerist.dz/en/article/269758>

(2) تحقيق المخطوطات Academic literature on the topic، Grafiati، تم الوصول بتاريخ 2025/9/8.

/www.grafiati.com/en/literature-selections/تحقيق-المخطوطات

(3) شليبي ش. مرجع سابق، 110-125.

5. رؤية استراتيجية للحفاظ على التراث المخطوط

انطلاقاً من تحليل واقع التراث المخطوط في الجزائر والتحديات التي يواجهها، يمكن اقتراح رؤية استراتيجية متكاملة تهدف إلى تجاوز الواقع الراهن وتضمن استمرارية هذا الإرث.

5.1. تعزيز التنسيق بين المؤسسات

للتغلب على تحدي التشرذم الإداري، يجب إنشاء هيئة وطنية عليا تعنى بالتراث المخطوط في الجزائر، تكون مهمتها تنسيق الجهود بين جميع الأطراف، من المكتبة الوطنية، والمراكز المتخصصة، والجامعات، وحتى الأفراد أصحاب "الخزائن الشعبية". هذا التنسيق سيمكن من توحيد الرؤى وتوزيع المهام بشكل منهجي، مما يضمن عدم تكرار الجهود ويحقق أقصى استفادة من الموارد المتاحة⁽¹⁾.

5.2. تطوير خطط الإحصاء والتوثيق المنهجي

يجب أن تكون الأولوية القصوى هي إطلاق برنامج وطني شامل لإجراء "إحصاء كامل" للمخطوطات في جميع أنحاء البلاد. هذا البرنامج لا يقتصر على المؤسسات الرسمية، بل يجب أن يمتد ليشمل الخزائن الخاصة والزوايا القرآنية. الهدف هو وضع قاعدة بيانات وطنية موحدة تحتوي على معلومات دقيقة ومفصلة عن كل مخطوط، مما يسهل عمليات التوثيق والتحقيق اللاحقة، ويعالج مشكلة تشتت المخطوطات.

5.3. الاستثمار في البنية التحتية والإطارات المتخصصة

لا يمكن مواكبة تحديات العصر دون الاستثمار في التكنولوجيا والإطارات البشرية. لذلك، يوصى بإنشاء مراكز رقمنة متخصصة مجهزة بأحدث التقنيات⁽²⁾. يجب أن تترافق هذه الخطوة مع برامج تدريب وتأهيل للكوادر المتخصصة في مجالات الترميم الرقمي،

(1) المرجع نفسه.

(2) أباالحبيب حمزة، إشكاليات رقمنة المخطوطات بالجزائر: زاوية الشيخ محمد باي بلعالم والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار نموذجين، أطروحة ماجستير، قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2015.

والفهرسة الآلية، وتطبيق الذكاء الاصطناعي في دراسة المخطوطات. هذا الاستثمار يضمن ليس فقط حماية الأصول، بل أيضا فتح آفاق جديدة للبحث العلمي.

5.4. إطلاق برامج وطنية ومبادرات بحثية

لضمان ديمومة هذا التراث، يجب دعم المبادرات الأكاديمية والمجتمعية⁽¹⁾. ينبغي إطلاق برامج وطنية تشجع على تحقيق المخطوطات ونشرها، وتقديم حوافز للباحثين والجامعات للقيام بذلك. كما يجب دعم الخزائن الشعبية وتزويدها بالدعم اللوجستي والتقني اللازم للحفاظ على مخطوطاتها، وتشجيعها على رقمنة محتوياتها بالتعاون مع المؤسسات الرسمية⁽²⁾. هذه المقترحات تهدف إلى بناء بيئة متكاملة تضمن استمرارية العناية بالتراث وتطوره.

خاتمة

كشف هذا البحث عن الأهمية الحضارية للتراث المخطوط في الجزائر، وظهر أنه يمثل ركيزة أساسية للهوية الوطنية، ومرجعا فريدا لدراسة تاريخ العلوم والآداب. ومع ذلك، فإن هذا الإرث يواجه تحديات جسيمة، بدءا من التلف المادي الذي يهدد بقاءه، وصولا إلى التشرذم الإداري الذي يعيق جهود الحفظ المنهجية، وانتهاء بتحديات التحقيق العلمي وصعوبة الوصول للباحثين.

إن الجهود المبذولة من مختلف الأطراف، سواء كانت رسمية كالمكتبة الوطنية أو مجتمعية كالخزائن الشعبية، هي جهود تقدر وتشكر، لكنها لا تزال مجزأة وغير كافية لمواجهة حجم المشكلة.

يؤكد هذا البحث على أن جدلية الحفظ بين الأصل المادي والمحتوى الرقمي ليست صراعا، بل هي تكامل ضروري. فالأصل المادي يمتلك قيمة فريدة لا يمكن استبدالها، بينما

(1) بناني ش. 2018. واقع تحقيق المخطوطات في الجزائر بين الحفاظ على الهوية والمعالجة الرقمية. دراسات معاصرة، 21، 10-17. <https://asjp.cerist.dz/en/article/31988>

(2) تي. ا. & بونقاب م. 2024. الخزائن الشعبية بمنطقة معسكر ودورها في الحفاظ على التراث المخطوط. مجلة عصور الجديدة، 142، 435-413. <https://asjp.cerist.dz/en/article/256404>

الرقمنة والحلول القائمة على الذكاء الاصطناعي توفران وسيلة آمنة وفعالة لضمان استمرارية المحتوى الفكري وإتاحته على نطاق واسع للأجيال القادمة. إن ضمان ديمومة هذا التراث يتطلب جهدا وطنيا منسقا يجمع بين الحفاظ على الماضي واستثمار تقنيات المستقبل، من خلال استراتيجية تركز على التعاون المؤسسي والرقمنة والاستثمار في الإطار البشري.

التوصيات

تقدم هذه الدراسة مجموعة من التوصيات التي تهدف إلى المساهمة في وضع رؤية استراتيجية متكاملة للحفاظ على التراث المخطوط الجزائري وضمان ديمومته. ويمكن تصنيف هذه التوصيات على النحو الآتي:

أولاً: على المستوى الاستراتيجي والمؤسسي:

1. إنشاء هيئة وطنية عليا للتراث المخطوط: توصي الدراسة بإنشاء هيئة تنسيقية عليا تابعة لوزارة الثقافة أو التعليم العالي، تتمتع بصلاحيات واسعة، مهمتها الأساسية توحيد وتنسيق جميع الجهود بين المكتبة الوطنية، الأرشيف الوطني، المراكز المتخصصة، الجامعات، والمجتمع المدني، لوضع وتنفيذ سياسة وطنية شاملة للحفاظ على التراث المخطوط.

2. وضع خارطة طريق وطنية: ضرورة إعداد استراتيجية وطنية واضحة المعالم والأهداف، تشمل خططا زمنية محددة ومؤشرات قياس للأداء، تركز على عمليات الجرد، الترميم، الرقمنة، والتوظيف العلمي للتراث.

3. تعزيز التعاون الدولي: فتح قنوات تعاون مع المنظمات الدولية المتخصصة في حفظ التراث مثل اليونسكو، الإيسيسكو، مكتبة الإسكندرية لتبادل الخبرات، والاستفادة من المنح الدولية، والتدريب على أفضل الممارسات العالمية في مجال الترميم والحفظ الرقمي.

ثانياً: على مستوى الجرد والتوثيق:

4. إطلاق برنامج وطني شامل للإحصاء والتوثيق: تنفيذ مشروع وطني طموح وممنهج لإجراء جرد شامل لجميع المخطوطات الموجودة على التراب الوطني، سواء في المؤسسات

الرسمية مكتبات، زوايا، متاحف أو في الخزائن الخاصة والأسرية. ويجب أن يشمل هذا الجرد توثيقا وصفيا مفصلا بيبلوغرافيا وماديا لكل مخطوط.

5. إنشاء قاعدة بيانات وطنية موحدة: تطوير منصة رقمية مركزية تفاعلية تجمع بيانات جميع المخطوطات التي تم جردها، وتكون متاحة للباحثين والمهتمين، مع ضمان آليات حماية صارمة للبيانات والحقوق الفكرية.

ثالثا: على مستوى الحفظ المادي والترميم:

6. تطوير مراكز الترميم وتجهيزها: دعم مراكز الترميم الموجودة في المكتبة الوطنية وغيرها وتأسيس مراكز إقليمية جديدة، وتزويدها بالمعدات والتقنيات الحديثة والمواد اللازمة للترميم الوقائي والعلاجي وفق المعايير الدولية.

7. بناء قدرات الإطار المتخصص: الاستثمار في تكوين وتدريب كوادر وطنية متخصصة في مجالي الترميم المادي والرقمي للمخطوطات، من خلال تنظيم دورات تكوينية مكثقة بالشراكة مع الخبرات الدولية، وإدراج تخصصات دقيقة في هذا المجال بالجامعات الجزائرية.

رابعا: على مستوى الرقمنة وتوظيف التكنولوجيا:

8. تعميم وتكثيف برامج الرقمنة: جعل الرقمنة أولوية وطنية، من خلال تخصيص ميزانيات خاصة لشراء أجهزة المسح الضوئي عالية الجودة وإنشاء استوديوهات تصوير متخصصة. وتشجيع الخزائن الخاصة على رقمنة مقتنياتها عبر توفير الدعم التقني والمادي لها.

9. توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي: الدخول في شراكات مع مراكز البحث في مجال Informatique علوم الحاسب والذكاء الاصطناعي لتطوير أدوات وبرامج ذكية تساعد في:

- استعادة النصوص الباهتة والمتآكلة رقميا.
- المساعدة في فهرسة النصوص آليا والتعرف على الخطوط.
- إنشاء مكتبات رقمية ذكية تسهل عملية البحث والربط بين المخطوطات.

خامسا: على مستوى البحث العلمي والتوعية:

10. دعم مشاريع التحقيق والنشر العلمي: زيادة الدعم المالي والمادي للباحثين والأساتذة الذين يتخصصون في تحقيق المخطوطات ونشرها، وتشجيع طلاب الدراسات العليا ماجستير، دكتوراه على اختيار موضوعات أطروحاتهم في مجال تحقيق التراث المخطوط الجزائري.

11. تعزيز الوعي المجتمعي: نشر ثقافة أهمية التراث المخطوط لدى الجمهور العام من خلال:

- تنظيم معارض لعرض المخطوطات الأصلية أو المصورة.
- إنتاج أفلام وثائقية وبرامج تلفزيونية تبرز جماليات وقيمة هذا التراث.
- التوعية بأخطار الاتجار غير المشروع في المخطوطات وأهمية الحفاظ عليها كإرث عائلي ووطني.

12. حماية التراث من خلال التشريعات: مراجعة وتشديد القوانين والتشريعات التي تجرم تهريب والاتجار غير المشروع في المخطوطات، وتقديم حوافز لأصحاب الخزائن الخاصة لتسجيل مخطوطاتهم والحفاظ عليها.

تؤكد هذه التوصيات على أن إنقاذ التراث المخطوط في الجزائر هو مسؤولية جماعية تتحملها الدولة بمؤسساتها، المجتمع الأكاديمي، والمجتمع المدني. النجاح في هذه المهمة يتطلب إرادة سياسية حقيقية، وتخطيطا استراتيجيا طويل الأمد، واستثمارا مستداما في البنية التحتية والموارد البشرية، لضمان انتقال هذا الإرث الحضاري الثمين بسلام إلى الأجيال القادمة.

"تجربة محمد أركون في تفسير القرآن الكريم -دراسة نقدية-"

أ.د. غنية بوحوش

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد الأمين، وعلى آله، وصحبه الغر الميامين، وعلى أتباعهم، بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فما من شك أن أعظم كتاب جدير بالقراءة، هو القرآن الكريم، وما من شك أن أرقى خطاب جدير ببذل الجهد في فهمه والوقوف على مراميّه، هو الخطاب القرآني.

وبالفعل لم يلق ولن يلقى كتاب العناية والاهتمام، كما لقي القرآن الكريم، يقول مصطفى صادق الرافعي

ت1356هـ: "لا يُعرف في تاريخ العالم كله -من لدن أئمة الناس- كتابٌ، بلغت عليه الشروح، والتفاسير، والأقوال والمصنفات المختلفة، ما بلغ من ذلك على القرآن الكريم"⁽¹⁾.

وتناولت بعض تلك الشروح، والتفاسير، القرآن الكريم كله، في حين تناول بعضها الآخر بعضها منه، ومن ذلك، سورة الفاتحة⁽²⁾.

(1)- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط8، سنة - 1425 هـ - 2005 م، ص 87.

(2) - سورة الفاتحة، وتسمى أيضا: أم الكتاب، أم القرآن، السبع المثاني، الحمد، الشافية، الوافية... عدد آياتها سبع آيات. قراءتها فرض من فرائض الصلاة. فضائلها كثيرة، فهي أعظم سورة في القرآن الكريم، إذ دلّت على مقاصده. وفيها مناجاة العبد لربه، وهي شفاء للقلوب، والأبدان، وحرز، وحصن من الشيطان. ينظر تفسير الفاتحة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت 795 هـ، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1427هـ، ص 19، وما بعدها.

اهتم العلماء -قديما، وحديثا- بتفسير سورة الفاتحة. ومنهم من أفرد لها بمؤلف. ومنهم من عكف على استخلاص فوائدها، وهديها، وبيانها للناس. ومن ذلك:

-إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، سليمان بن عبد القوي الحنبلي، ت716هـ، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة الثقافة الدينية، سنة 1419هـ/2000م.

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية ت752هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي بيروت ط2، سنة 1393 - 1973.

- تفسير الفاتحة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت 795 هـ، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله، دار المحدث للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1427هـ.

وكما اختلف المفسرون في القدر المفسّر من القرآن الكريم، فقد اختلفوا أيضا في مناهجهم، وغاياتهم التفسيرية.

ومهما تعدّد، وتنوع مناهج التحليل، والقراءة، والنظر، غير أن المتصدي لتفسير القرآن الكريم، عليه أن يعي طبيعته، وما ينبغي له، من الآليات الواجبة، تجنباً، للتعسف، والتخبط، والتقول، والضلال، والإضلال.

ذلك أنه لوحظ أن كثيرا من الخلق، انفتحت شهيتهم لتفسير القرآن الكريم، وهم لا يمتلكون عُدّة، ولا شبه عُدّة، ولا يُجيدون وسائل وآليات التحليل، ولا شبيهها. أغراهم بذلك مناهج جديدة ولدت في بيئات وثقافات مختلفة، اكتفوا بإسقاطها إسقاطا ببغائيا. فأساؤوا من حيث أرادوا الإحسان.

وحاول بعضهم تقديم ردّ عملي على حركة التفسير المتخبطة، والمتسوّرة، بعرض نموذج تفسيري معاصر،

دون تنكر للتراث.

وهذا بحث رام عرض ونقد تجربة في التفسير لأحد الجزائريين الذين أثاروا جدلا واسعا في العالم الإسلامي، وهو محمد أركون، وهي تجربة جديدة بالبيان لما عرفه صاحبها من سعة اطلاع على المنجز الاستشراقي ذي الصلة بالدرس القرآني، ورغبة في تقديم مشروع نهضوي من خلال قراءة جديدة للقرآن الكريم، قراءة تتجاوز التراث التفسيري، وتقدّم البديل

- الطيبة الرائحة في تفسير سورة الفاتحة، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن سعد الحلبي، ابن خطيب الناصرية، ت843هـ، دراسة وتعليق عمار سعيد تمالت.

- تفسير سورة فاتحة الكتاب ذكرى لأولى الألباب، محمد بن عبد الكريم التلمساني الجزائري ت909هـ، إخراج وتعليق محمد سالم بن عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 2020.

- الأنوار اللانحة من أسرار كلمات الفاتحة، ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عبد الدائم بن محمد الشاذلي الشافعي المعروف بابن بنت الميّلّق ت1395هـ، دار الكتب العلمية، سنة 2020.

- النظرات الماتعة في سورة الفاتحة، مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط2، 1425 هـ - 2005 م.

الأفضل فيما تراءى له محمد أركون، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، فتجربته مثقلة بالمجازفات والتناقضات، والأخطاء، وإن كان كانت لا تخلو من المحاسن، على ندرتها الشديدة.

وحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال رئيس هو:

ما هو منهج محمد أركون في تفسير القرآن الكريم؟

وانتظم البحث في مطلبين:

➤ الأول: التعريف بمحمد أركون وباتجاه الفكري المعرفي.

➤ الثاني: الأسس الفكرية والقواعد والأدوات المنهجية عند محمد أركون في التعامل مع

القرآن الكريم فهما وتفسيرا.

وتفصيلها في الآتي:

المطلب الأول: محمد أركون السيرة والمسار⁽¹⁾

أولا: مولده ونشأته الاجتماعية والعلمية

محمد أركون، من مواليد سنة 1928م بتزي وزو، إحدى مدن الشمال الجزائري.

نشأ في بيئة فقيرة جدا، وكان يعاني من نظرة الاستعلاء الفرنسية تجاهه، شكلت عنده عقدة الدونية ومن ثم ارتقى في أحضان المدرسة الفرنسية وارتدى لبوسها فكرا وسلوكا وتأليفا.

تلقى تعليمه الابتدائي بعين تيموشنت، مدينة بالغرب الجزائري، واصل دراسته الثانوية بوهرا لى لدى الآباء البيض. ثم درس الأدب العربي، والقانون، والفلسفة، والجغرافيا بجامعة الجزائر. وبتدخل من المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في جامعة السوربون في باريس. ثم اهتم بفكر المؤرخ والفيلسوف ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته.

(1) - أخذت ترجمته من الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تاريخ الاطلاع: 21 / 07 / 2025، في

الساعة 14:00. والاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث،

ثانياً: مناصبه

- ◀ عُيِّن محمد أركون أستاذاً للتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون، بعد حصوله على درجة دكتوراه في الفلسفة منها، وعمل بصفة باحث مرافق في برلين.
- ◀ شغل منصب عضو في مجلس إدارة معهد الدراسات الإسلامية في لندن، وأستاذاً زائراً في جامعات عديدة.
- ◀ شغل منصب المدير العلمي لمجلة Arabica.
- ◀ عضو مجلس إدارة في عدة هيئات عالمية.
- ◀ عضو في اللجنة القومية للأخلاق والرؤيا العالمية والصحة.
- ◀ عضو في الهيئة العليا للعائلة والسكان.
- ◀ عمل مستشاراً علمياً للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونجرس في واشنطن العاصمة.

◀ عضو اللجنة الدولية لتحكيم جائزة اليونيسكو لأصول تربية السلام.

ع

- ◀ عضو في لجنة تحكيم الجائزة العربية الفرنسية التي أنشأها السفراء العرب في فرنسا.
- ◀ عضو لجنة العلمنة في فرنسا.

ثالثاً: مؤلفاته

لمحمد أركون العديد من المؤلفات، منها:

1. الإسلام أوروبا الغرب.
2. الإسلام بين الأمس والغد.
3. الإسلام: أصالة وممارسة.
4. الإسلام: الأخلاق والسياسة.
5. تاريخية الفكر العربي الإسلامي أو «نقد العقل الإسلامي».
6. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب.
7. الفكر الإسلامي: قراءة علمية.
8. الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد.

9. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.
 10. قضايا في نقد العقل الديني. كيف نفهم الإسلام اليوم.
 11. من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.
 12. من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر.
 13. نزعة الأنسنة في الفكر العربي.
- رابعا: اتجاهه الفكري والمعرفي

سبق في بيان نشأة محمد أركون أنه تتلمذ على يد البيض، ونهل علومه ومعارفه من منابع غربية الرؤى، وعمّق دراسته ووسّعها في فضاء استشراقي صرف، وأخلص الولاء له فيما بعد، فقد أعاد في مؤلفاته نسخ الرؤية الغربية الاستشراقية، ووقف موقفها في محاضراته وتصريحاته ولقاءاته الأكاديمية والإعلامية وغيرها، واستمات في إثبات كونه تلميذا نجيبا للمدرسة الغربية الاستشراقية ووفائه لها... حتى غدا رائد الخط الحداثي في التعامل مع القرآن الكريم خاصة والإسلام عامة، وسنّ سنة الجرأة على الوحي والنبوة بدعوى التجديد في التفسير والتعامل مع النصوص الدينية، وبدعوى القراءة العلمية التنويرية المتحررة من التقديس!!!

خامسا: وفاته

توفي في 14 سبتمبر 2010م عن عمر ناهز 82 عاما، ودفن في المغرب.

المطلب الثاني: الأسس الفكرية والقواعد والأدوات المنهجية عند محمد أركون في التعامل مع القرآن الكريم فهما وتفسيرا

أولا: وصف الكتاب التفسير

طبيعة التكوين النفسي والاجتماعي أولا ثم طبيعة التكوين المعرفي ثانيا أوجد عند محمد أركون اتجاهها فكريا انعكس على تعامله مع القرآن الكريم خاصة والإسلام عامة، ومما يمكن عدّه أسسا أقام عليها محمد أركون تجربته في التعامل مع القرآن الكريم تفسير -مع التحفظ- ما يأتي ذكره:

أولا: عدم الإيمان بوحية القرآن

محمد أركون وإن حاول هو أو الإعلام أو صناعه ومن يخدمهم فكرا ومنهجاً الظهور بصورة المفكر الإسلامي الطامح للتجديد والتنوير، فهو في واقع الأمر لا يؤمن بالقرآن الكريم وحياً من عند الله تعالى، يؤكد ذلك ادعاؤه المتكرر بأن القرآن الكريم الذي بين أيدينا ليس هو نفسه الذي نزل من عند الله تعالى، وهو القائل: "فهناك أشياء تضيع أو تتحور أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية"⁽¹⁾، وكذلك قال: "بعض المواد أو الوثائق الأساسية أو الضرورية للتوصل إلى معرفة صحيحة بالقرآن قد اندثرت إلى غير رجعة، فإنه ينبغي علينا أن نعترف بأن أي إعادة قراءة لا يمكنها أن تتوصل إلى المعنى الحقيقي التاريخي الكامل للعبارة اللغوية القرآنية"⁽²⁾.

وتفرّع عن هذا المبدأ عند محمد أركون نزعة الأنسنة والتاريخية ورفع القداسة والتسوية بسائر الكتب السماوية السابقة التي حُرِفَت، ونزعة التشكيك.

فأما الأنسنة أنسنة القرآن ورفع صفة الربانية عنه فهو الذي يعبر عنها بتسميته للقرآن الكريم بغير اسمه فيسميه "الخطاب النبوي"⁽³⁾ و"المصحف"⁽⁴⁾، النص الرسمي المغلق⁽⁵⁾، المدونة الرسمية المغلقة.

ولا يصف محمد أركون القرآن الكريم بالوحي بل يصفه بـ "الحدث القرآني"⁽⁶⁾، و"الظاهرة القرآنية"⁽⁷⁾.

(1) - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ص 53.

(2) - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص 106.

(3) - ينظر نافذة على الإسلام، محمد أركون، ص

(4) - الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ص 77.

(5) - ينظر الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ص 200.

(6) - ينظر قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص 185.

(7) - حرّى بالذكر هنا أن المفكر الإسلامي مالك بن نبي، قد سبق إلى هذه الإطلاقة، وبهذا يفقد محمد أركون السبق المصطلحي، وهو يعترف بذلك، غير أنه يريد به غير ما أراد به مالك بن نبي، فهو يرى أن مالك بن نبي وظف المصطلح محافظاً على النظرة التبجيلية للقرآن الكريم، في حين يريد هو أن يفرغ القرآن الكريم من شحنته الإيمانية، قال محمد أركون: "كان مالك بن نبي قد استخدم قبلي مصطلح الظاهرة القرآنية ضمن منظور

وإمعانا في تجريد القرآن الكريم من خصوصيته وقداسته، يعرض محمد أركون عن مصطلح "آية"، إلى مصطلح "العبارات النصية للقرآن"⁽¹⁾، و"العبارات اللغوية القرآنية"⁽²⁾، ليستوي بعد ذلك الكلام الإلهي بالكلام البشري.

ولا يتردد محمد أركون في لمز وحيية القرآن الكريم وحفظه من التبديل، ومن ثمّ تسويته بسائر الكتب السماوية السابقة التي حُرِّقَتْ فقال: "وهكذا تشكلت النصوص الكبرى: التوراة والأنجيل والمصحف... وقد كرست هذه النصوص طبقا لمجريات مبلورة ومضبوطة من قبل السلطات العقائدية، ثم رسخت على هيئة مدونات نصية رسمية مغلقة، قلت رسمية لأنها متولدة عن مجموعة من القرارات المتخذة من قبل "السيادات" المأذونة والمُعترف بها من قبل الطائفة، وقلت مغلقة لأنه لم يعد مسموحا لأيّ كان أن بضيف إليها أي كلمة أو يحذف منها أي كلمة أو يعدل في المصحف أي قراءة معترف بأنها صحيحة"⁽³⁾.

وقال: "إن الرسائل المنقولة بواسطة أنبياء إسرائيل، وبواسطة يسوع المسيح، وبواسطة محمد، كانت في البداية عبارة عن عبارات شفوية، سمعت وحفظت عن ظهر قلب من قبل الحواريين الذين مارسوا دورهم فيما بعد كشهود ناقلين لما سمعوه ورأوه، وفي كل الأحوال وأيا تكن المكانة اللاهوتية للتلفظ الأولي للرسالة، فقد حصل مرور من الحالة الشفهية إلى حالة النص المكتوب كما وحصل تثبيت بواسطة الكتابة للرسالة التي تم جمعها ضمن ظروف تاريخية ينبغي أن تتعرض للنقد التاريخي والضبط التاريخي والتحقق التاريخي، وقد تعرضت بالفعل لذلك بشكل يرضي المؤرخ قليلا أو كثيرا، وهكذا تشكلت النصوص الكبرى التوراة والأنجيل والمصحف"⁽⁴⁾.

كما أنه لا يخطئ أبدا بإضافة صفة مادحة للقرآن الكريم -على كثرتها- وهو يزعم أنه

تبجيلي أو تقديسي [...] ولكن استخدامي لهذا المصطلح يتخذ معنى آخر مختلفا بالطبع "قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص 186.

(1) - ينظر الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ص 35.

(2) - القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص 106.

(3) - الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 77، وينظر أيضا نافذة على الإسلام، محمد أركون ص 57.

(4) - الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ص 77.

بهذا المسلك يهئ الأجواء لقراءة علمية محضبة تبتعد عن المؤثرات الإيمانية التي تؤدي إلى تقرير أمور سلفا. كما لا يخطئ أبدا في إضافة عبارة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم... فلا القرآن الكريم عنده بالوحي المنزل المنزه ولا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبي المرسل، وهو في أحسن حالاته "فاعل اجتماعي يدعى: محمد بن عبد الله"⁽¹⁾.

وأما التاريخية فقد بشّر بها وأعلنها صريحة في مؤتمر انعقد في باريس سنة 1974م: "إذا كانت قراءتي صحيحة، وإذا ما حظيت بالقبول فإن ذلك يطرح مشكلة حاسمة بالنسبة للفكر الإسلامي المعاصر كما لا يزال يمارس حتى اليوم، أقصد بذلك ما يلي: أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي ألا وهي: تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة، حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة، وبالتالي فلم يعد ممكنا إسقاط مفهوم العقل وتحديدات العقل على القرآن، لم يعد ممكنا إسقاط الوعي العقلاني المتأثر بالفلسفة الإغريقية عليه كما فعلت القراءات الإسلامية طيلة قرون وقرون، وهذا هو الهدف الأساسي⁽²⁾ من الدراسة التي أقدمها بين أيديكم اليوم"⁽³⁾.

واستمات في الإقناع بتاريخية القرآن الكريم والاحتجاج لها فقال: "ينبغي أن يستيقظ المسلمون، أن يفتحوا عيونهم، أن يقرؤوا القرآن بعيون جديدة، أن يتموضعوا في عصره وببئته لكي يفهموه على حقيقته، وعندئذ لا يعودون يسقطون عليه أفكار عصرهم وهمومه، أو نظرياته وأيديولوجياته، فالقرآن ليس كتابا في علم الفيزياء أو الكيمياء، ولا في علم الاجتماع والاقتصاد، وهو لا يفرض نظاما اقتصاديا محددا دون غيره، ولا نظاما سياسيا معيناً، هذه الأشياء متروكة للبشر لكي يحلوها طبقا لقوانين علم الاقتصاد والاجتماع والسياسة، القرآن هو أولا وقبل كل شيء خطاب ديني يتحدث ببلاغة عالية عن موضوعات أساسية تخص البشر أينما كانوا كالحياة والموت والآخرة والعمل الصالح، والعدل وحب الجار

(1) - قضايا في الفكر الإسلامي، محمد أركون، ص 186.

(2) - كذا في النص، والصواب: الأساس.

(3) - الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، ص 212.

...⁽¹⁾، ولم يتردد محمد أركون في وصف القرآن الكريم بأنه: "تعبير رمزي ذو بنية أسطورية تعبر عن وقائع أصيلة ترتبط بالوضع الثقافي للجماعة التي أبدعته"⁽²⁾.

وأما نزعة التشكيك فقد ادّعى محمد أركون من دون دليل إمكانية تغيير نصه الذي بين أيدينا في أي لحظة زمنية ممكنة، وفي ذلك يقول: "على الرغم من أن المدونة القرآنية أصبحت مغلقة نهائيا وبشكل لا مرجوع عنه من الناحية اللاهوتية، فإننا نستطيع أن نقبل تاريخيا بأنها تظل مفتوحة على التحسينات النصية التي قد يقدمها النقد الفيلولوجي أو اللغوي - التاريخي. ولكن هذه التحسينات تظل افتراضية جدا ومشكوكا فيها. وهي على أية حال لو حصلت فلن تعدل من مبادئ القراءة التي نبورها هنا. عندما افترضنا بأن القرآن هو مجموعة عبارات أو منطوقات لغوية، فإننا لفتنا الانتباه إلى أنه كان وما زال كلاما شفويا قبل أن يكون نصا مكتوبا. ولكن الكلام المتلفظ به من قبل النبي ليست له نفس المكانة اللغوية كذاك الذي يردده المؤمن في صيغة صوتية وكتابية بكل صرامة"⁽³⁾. وفي موضع آخر يقول: "ينبغي علينا أن نميز بين منطوقة أو عبارة أولى تخص الجمل التي تلفظ بها النبي حقيقة ضمن ظروف لا يمكن أن نعرفها أبدا، وبين منطوقة ثانية تخص النص المعطى لنا أو الذي وصل إلينا كتابة"⁽⁴⁾.

نلاحظ في كلام محمد أركون السابق بجلاء كيف أنه يمارس التشكيك في صحة القرآن الكريم من جهتين:

الأولى: احتمال تعرض نصّه للتغيير في أي لحظة زمنية. ونعت هذا التغيير بـ "التحسينات النصية"، وفيه من إساءة الأدب مع الله تعالى، وكتابه العزيز، ما لا يخفى.

الثانية: على الرغم من ثبوت القرآن الكريم نصا محفوظا، إلا أنه ما يزال يفترض - مجرد افتراض - أن القرآن الكريم هو مجموعة "عبارات أو منطوقات لغوية" - حسب تعبيره -،

(1) - قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص 285 _ 286.

(2) - Lectures du Coran ; Mohamed Arkoun ; P 10 -

(3) - المرجع نفسه، ص 115-116.

(4) - المرجع نفسه، ص 119.

ويواصل نزعته التشكيكية، بادّعاء اختلاف القرآن الذي تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم الذي يتلوّه ويكتبه المؤمنون من بعده.

ثانيا: الانتقاء والتبويض

على الرغم من أن محمد أركون بشر بقراءة علمية جديدة كلياً وواعدة جداً إلا أنه عجز عن الوفاء و

ثالثاً: توظيف مصطلحات غريبة عن المنظومة المصطلحية المتعارف عليها في الدراسات الإسلامية عامة والقرآنية خاصة

ولأن المصطلحات مفاتيح المعارف والعلوم، وحوامل الأفكار والثقافات، وخزائن التراث والحضارات فقد عمد محمد أركون إلى توظيف مصطلحات مختلفة عن تلكم التي عهدت في الدرس القرآني خصوصاً والإسلامي عموماً، وما من مبرر علمي لذلك، سوى أنه رام رفع القداسة عن القرآن الكريم، وتجريده من هالته وشحنه الإيمانية التي تحول دون القراءة العلمية النقدية - على حسب زعمه-. وفي الواقع لم تكن القراءة العلمية همّه ولا شغله، بل تجريد القرآن الكريم من قداسته وتسويته بسائر الكتب المحرفة، وهو القائل: "قلت المصحف ولم أقل القرآن، لأنه يدل على الشيء المادي الذي نمسكه بأيدينا يومياً، ولأنه يقابل التوراة والإنجيل، فهو كتاب مؤلف من صفحات سجل فيه الخطاب القرآني بالخط المعروف"⁽¹⁾.

ويفضح محمد أركون نفسه بنفسه بالتناقض الواضح في أقواله المختلفة، ويكشف نواياه غير الحسنة فقال في موضع: "ما الذي أقصده بالظاهرة؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماماً"⁽²⁾، وقال في موضع آخر: "فأنا إذ بلورت المصطلح على هذا النحو لم أكن أهدف إلى الدفاع عن البعد الديني لهذا الخطاب، أو نفي هذا البعد عنه، لم أكن أهدف إلى

(1) - الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ص 77.

(2) - قضايا في الفكر الإسلامي، محمد أركون، ص 186.

خلع التقديس عليه أو نزع التقديس عنه ، وإنما كنت أهدف إلى وصف الأمور كما هي ⁽¹⁾ ، فهو هنا يزعم أنه رجل علمي موضوعي ، يريد تصوير الظاهرة القرآنية - حسب - كما هي ، ولا يقصد نزع القداسة عن القرآن الكريم ، وفي موضع آخر قال : " استخدمت هنا مصطلح الظاهرة القرآنية ولم أستخدم مصطلح القرآن عن قصد ، لماذا ؟ لأن كلمة " قرآن " مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعال من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي ، أو إعادة تحديده أو فهمه بطريقة مستقبلية استكشافية ، فأنا أتحدث هنا عن الظاهرة القرآنية كما يتحدث علماء البيولوجيا عن الظاهرة البيولوجية أو الظاهرة التاريخية ، وأهدف من وراء ذلك إلى وضع كل التركيبات الإسلامية العقائدية وكل التحديدات اللاهوتية والتشريعية والأدبية والبلاغية والتفسيرية إلخ ، على مسافة نقدية كافية مني كباعث علمي ⁽²⁾ ، وحالة الضلال والتخبط عند محمد أركون هنا واضحة ، ورغبة التخبيط والتضليل هنا كذلك واضحة.

وقد سعى محمد أركون القرآن الكريم مصحفا وخطابا نبويا ، وسعى الآيات "العبارات النصية للقرآن" ⁽³⁾ ، و "العبارات اللغوية القرآنية" ⁽⁴⁾ ، سعى السور "النصوص المتوسطة" ⁽⁵⁾ ، وسعى القراءة القرآنية بـ "التنوية" ⁽⁶⁾ .

رابعا: التعامل مع القرآن -محاولة فهم وتفسير- بغير لغته

خامسا: التخبط في التعامل مع التراث

لمحمد أركون موقف متخبط من التراث الإسلامي ، فهو يدعو إلى القطيعة ، والتحرر من قيوده ، ولا يخفي إحساسه بالتعالي عليه ، كل ذلك بدعوى الاستجابة لمتطلبات المسلك

(1) - قضايا في الفكر الإسلامي ، محمد أركون ، ص 186 .

(2) - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون ، ص 199 - 200 .

(3) - ينظر الفكر الإسلامي قراءة علمية ، محمد أركون ، ص 35 .

(4) _ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ص 106 .

(5) - ينظر المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

(6) - ينظر المرجع نفسه ، ص 132 .

العلمي، وضرورة التفريق بين القرآن الكريم نصا تأسيسيا، والتفسير نصوصا ثانوية - حسب تعبيره-، غير أنه لا يتردد في الأخذ منه ما يُسند رؤاه، بل يأخذ منه مضطرا لفراغ الجعبة، فهاهو يقول مثلا -في مطلع محاولته تفسير سورة الفاتحة-: "هذا لا يعني بالطبع أننا سوف نخرط في الخط التبجيلي، وأن نكرر بصياغات لغوية مختلفة ما كان عدد من المفسرين المسلمين قد قالوه سابقا. وإنما يكمن مقصدنا الأكثر بعدا وعمقا في المساهمة بتشكيل فكر ديني متفتح"⁽¹⁾.

هذا قوله وأما فعله، فإننا نجده -وبعد أن وعدنا بقراءة جديدة، وتفسير عميق غير مسبوق-، لم يجد بداً من ترديد كلام الرازي⁽²⁾. كما أنه حاول أن يُسند النزعة الإنسانية بآبن مسكويه⁽³⁾.

سادسا: إطلاق دعاوى غير مؤسسة

لا يجد محمد أركون حرجا في الادّعاء من غير دليل، ولو أوقعه ذلك أحيانا في التناقض، ومن ذلك، مثلا:

✓ نجده من جهة يدعي استحالة الوقوف على ظروف نزول سورة الفاتحة⁽⁴⁾، ومن جهة أخرى يطلق دعوى ارتباط كل آية من القرآن الكريم بسبب، وهو القائل: "وهذه القصص العديدة تشكل الخلفية الأسطورية التي تفسر لنا سبب نزول كل آية من آيات القرآن"⁽⁵⁾، وهذا محاولة منه التأسيس لتاريخية القرآن الكريم.

✓ الادّعاء بأن سورة الفاتحة هي السورة السادسة والأربعين، وأن هذا الاسم منح لها

(1) - المرجع نفسه، ص 111.

(2) - ينظر المرجع نفسه، ص 127.

(3) - ينظر المرجع نفسه، ص 123.

(4) - ينظر المرجع نفسه ص 118-119.

(5) - المرجع نفسه، ص 30.

لاحقا. وكتاهما دعوتان من دون دليل، وتخالفان ما صحّ نقله⁽¹⁾.

✓ الادّعاء بأن اسم "الله"، لم يكن معروفا قبل إيراده في سورة الفاتحة.

سابعا: الإعراض عن بعض المسالك المنهجية العلمية من دون مبرر

يَذْكُرُ محمد أركون بعض المسالك المنهجية العلمية المساعدة على الوصول للحقيقة، لكنه لا يخل من الإعراض عن الأخذ بها، ومن دون تقديم مبرر مقنع. ومن ذلك إقراره بضرورة رد دلالات الكلمات القرآنية إلى أصلها المعجمي، ثم إلى دلالاتها القرآنية⁽²⁾، لكنه يعقب بقوله: "لا نستطيع للأسف أن نقوم هنا بهاتين المهمتين من البحث العلمي. أقول ذلك ونحن نعلم أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع أن نقيس حجم تدخل المتكلم في عملية القول، وانطلاقا من ذلك في ترسيخ مناخ جديد من المعاني"⁽³⁾.

التجربة في الميزان:

القرآن الكريم كتاب عزيز لا يكشف أسرار بل ظاهر علومه لمن لا يؤمن به، فكيف بمن يسعى للنيل منه؟؟ لذلك فإن التجربة الأركونية عرفت فشلا ذريعا يليق بها، فالمشروع الذي بشر بقراءة علمية جديدة كليا للقرآن، وفق مناهج التحليل اللسانية، عجز عن التنزيل والتطبيق على كامل القرآن، لقد عاش محمد أركون اثنتي وثمانين سنة، ستا وثلاثين منها؛ سنة بعد إعلانه عن مشروعه «الكبير»⁽⁴⁾ - كما يحلو له أن يصفه -، وهي مدة زمنية طويلة، وكافية لأن يستوفي القرآن الكريم كاملا قراءة وفق منهجه المقترح، إلا أنه اقتصر على سور من القرآن الكريم لا يبلغ عددها عدد أصابع اليد الواحدة، فقد طبق منهجه على سورة الفاتحة والتوبة والكهف والعلق، ويُفَتَرَضُ لمشروع وُصِفَ بـ "الكبير"، و بـ "القراءة العلمية"،

(1) - ينظر البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1 سنة 1376 هـ - 1957م، ج1، ص269. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1، ص94.

(2) - ينظر المرجع نفسه، ص131.

(3) - المرجع نفسه، ص131-132.

(4) - يرجى متابعة برنامج "إضاءات" - على موقع: youtube - الذي يعده توكي الدخيل، والذي استضاف فيه محمد أركون؛ في حلقتين، وفيه شرح محمد أركون مشروعه الكبير كما وصفه.

أن يوظف آلية التتبع الكامل، أما أن يقتصر العمل على أربع سور من أصل مئة وأربع عشرة سورة، فهو الدليل على القصور البين الواضح.

وفضلا على ذلك اقتيانه على التراث التفسيري الذي زعم تجاوزه، ووقوعه في تناقضات فكرية واضطرابات منهجية ومعرفية كثيرة، لا يستع المجال لذكرها جميعا، ومنها:

تحريف معاني نصوص القرآن الكريم ، ومن ذلك :

- ادعاؤه أن معنى قوله تعالى: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، كان يعنى زمن الرسول: "رب القبائل"⁽¹⁾ ، وهنا الرغبة في التحريف بينة ، وقصد التضليل جليّ ، لأنه أقرّ أنه أخذ هذا المعنى من ترجمة جاكين شابي⁽²⁾ ، وكان بإمكانه أن يرجع إلى ترجمات أكثر أمانة ووفاء بالمعنى الأصلي - وهي لا تعد كثرة - ، وهو قد أثر الأخذ عن جاكين دون غيرها ، ووصف كتابها بال: "قيم" ، لا لشيء إلا لكونها تسير وإياه في اتجاه واحد بخصوص النظرة إلى القرآن الكريم وكيفية التعامل معه ، وفي مدح عملها يقول: "أشعر بالسعادة فعلا لأن أشير إلى كتاب قيم مثل هذا الكتاب ، كتاب يمشي في الاتجاه الذي يرغبه الباحث المفكر ويسعى إليه ، إن كتابها يقدم المثال العملي المحسوس على إمكانية تحقيق طفرة نوعية، إبستمائية وإبستمولوجية ، في الكتابة التاريخية عن القرآن، إن المؤلفة ترسم حدودا لا يمكن اختراقها بين القانون المعياري لمهنة المؤرخ من جهة وبين مجال الفكر الإيماني والمعرفة الإيمانية من جهة أخرى"⁽³⁾.

خاتمة:

انتهى البحث إلى:

﴿ تأكيد كون القرآن الكريم متاحا ومفتوحا، للقراءة، والتدبر، ولذلك أنزل، قال الله

(1) - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون ص 138 .

(2) - ينظر الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون ص 186 ، وكانت جاكين شابي ، قد ألقت كتابا بالفرنسية ، عنوانه ب: "Le seigneur des tribus . L'Islam de mahomet" ، أي: "رب القبائل ، إسلام محمد" ، طبع بباريس سنة 1997 م .

(3) - الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، محمد أركون ص 49 - 50 .

تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص الآية 29]، لكن لا بد من امتلاك الأدوات اللازمة، لذلك.

﴿ القول بضرورة امتلاك أدوات، وآليات القراءة والتحليل، ليس حَجْرًا على العقل، وإنما تذكير بالتسلح بمستلزماتها - القراءة -، حمايةً له من التخبط، والتهيه، والضلال والإضلال، من دونها.﴾

﴿ لا بد لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، من امتلاك الأدوات اللازمة، وإلا فعليه الاقتصار على النصوص البشرية، وهي متوفرة، متاحة. والمسلمون ليسوا قُصْرًا لتركوا قرآنهم العظيم لغيرهم، يقرؤونه، ثم يفسرونه بما يوافق أهواءهم.﴾

﴿ من أساء أو عجز عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم، بسبب قصور في اللغة، أو بؤن في التخصص العلمي، أو اختلاف في الثقافة، والفكر، والمعتقد، أُنِيَ له تفسير القرآن الكريم المعجز؟، وإن أقدم على ذلك، ففعله، لا يعدو كونه حالة تسوّر علمي، ممنوعة.﴾

﴿ وجوب الحذر من بعض الإطلاقات والأوصاف التي تبدو في ظاهرها مادحة للقرآن الكريم، لكنها في حقيقتها ترمي إلى أنسنه وتجريده من وحيته، وإعجازه، ومن ذلك وصفه بـ: "النص الممتاز" أو "المتميز".﴾

﴿ كثير من دعاوى التجديد في التفسير، ليست إلا تكرارا للمنتج الاستشراقي، الذي يفتقر غالبا للنوايا العلمية الحسنة، إذ هو إلى جانب "التنصير"، الجناح الثاني للاستعمار الغربي الذي استهدف، ويستهدف مقدسات وثوابت أمة الإسلام، ولا يأل جهدا في ذلك.﴾

﴿ أية محاولة لفهم وتفسير القرآن الكريم، مع تجاهل وتجاوز التراث التفسيري، تجاهلا تاما، محكوم عليها بالفشل؛ إذ أنها تفترض أنها قادرة على كشف معاني، لم تنكشف لمن سبق. والحقيقة أن عجائب القرآن لا تنقطع. وحركة التجديد التفسيري ليس مطلوبا منها، إلغاء الفهوم والتفاسير السابقة بالضرورة، إذ من الممكن جدا الاحتفاظ بما ساغ من فهم وتفسير الأقدمين، وإضافة فهوم وتفسيرات جديدة أسهمت أدوات العصر في كشفها وبيانها.﴾

﴿ حاول محمد أركون التعامل مع القرآن الكريم بمنهج غربي مزيج بين لساني، وأنتربولوجي، وتاريخي...، وُضِعَتْ أسسه لنقد ما يسمونه الكتاب المقدس التوراة والإنجيل. ولم يستطع من خلاله المنهج الغربي المركب أن يثبت تحريف القرآن الكريم، واكتفى بإثارة

التشكيك المتهافت، ولم يستطع أيضا أن يستخرج كنوزه، فاضطر لترديد أقوال التراث الذي ادعى تجاوزه. وبذلك تكون تجربته قد جمعت بين متناقضين عجيبين: منهج غربي غريب عن الدرس القرآني، واستنجد غير معلن بالتراث الإسلامي.

إسهامات علماء الجزائر في تنزيل الآيات على الواقع مبارك الملي والمبشر الإبراهيمي أنموذجا

د. مريم بوعافية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن إسهامات علماء الجزائر في توظيف تفسير القرآن الكريم خدمة للواقع، وذلك من خلال نموذجين بارزين يعدان من أبرز رموز التفسير الإصلاح في الجزائر وهما الشيخ مبارك الملي والشيخ محمد المبشر الإبراهيمي.

وقد أظهرت الدراسة اتفاق الشيخين في وحدة المقصد القرآني الإصلاحي، المتمثل في الدعوة إلى تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع، وربط الإيمان بالعمل، وتفعيل القيم القرآنية في نهضة المجتمع؛ وفي مقابل ذلك كشفت عن تنوع المنهج وتباين مجالات التنزيل بينهما؛ فمبارك الملي اتجه إلى تأسيس الوعي الديني بمعالجة الانحرافات العقدية، بينما ركّز المبشر الإبراهيمي على إحياء الأمة وبعث روح المقاومة والتحرر في تجربة فريدة جسّدت فاعلية التنزيل القرآني في خدمة الواقع.

الكلمات المفتاحية: تنزيل الآيات- الملي - الإبراهيمي - التفسير الإصلاحي - الواقع

الجزائري .

Abstract:

This research aims to uncover the contributions of Algerian scholars in employing Qur'anic interpretation to serve the realities of their time, through two prominent figures who stand as leading representatives of modern reformist exegesis in Algeria: **Sheikh Mubarak al-Mili** and **Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi**.

The study reveals that both al-Mili and al-Ibrahimi shared a unified reformist Qur'anic objective — calling for the correction of creed, the

eradication of innovations, the linkage between faith and action, and the activation of Qur'anic values for the revival of society. In contrast, it also highlights the diversity of their methods and the variation in the domains of application: **al-Mili** focused on building religious awareness by addressing doctrinal deviations, while **al-Ibrahimi** concentrated on reviving the nation and inspiring resistance and liberation — a unique experience that embodied the dynamic role of Qur'anic application in serving societal reality.

Keywords: Algerian scholars – Application of Qur'anic verses to reality – al-Mili – al-Ibrahimi – Reformist exegesis.

مقدمة:

اشتهر عدد من بلاد المسلمين في العصر بأعلام أفذاذ رفعوا راية التفسير؛ ومن تلك البلاد التي لمعت جهودها في هذا الباب الجزائر المحروسة، فقد حمل لواءه علماء أجلاء سخرُوا حياتهم خدمة لكتاب الله تعالى، وبذلوا نفيس أوقاتهم بيانا لمعانيه بحسب حاجات الناس واختلافاتها، ووفق ما يقتضيه الواقع؛ حيث كان لعلماء الجزائر في عصر النهضة والإصلاح إسهام وافر في ربط الآيات بواقعهم، من خلال جهودهم الإصلاحية والفكرية التي استمدت روحها من القرآن الكريم، وجعلت منه منطلقا لبناء الوعي الديني والاجتماعي، وفي هذا الإطار يبرز كل من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي بوصفهما أنموذجين رائدين جسّدا فاعلية التنزيل القرآني في الفكر التفسيري الجزائري الحديث؛ فقد اتجه الإبراهيمي إلى إحياء الروح الإسلامية في الأمة واستنهاضها للتحرر من قيود الجهل والاستعمار، بينما ركّز الميلي على تأسيس وعي ديني علمي يصحّ العقيدة وينقّيها من شوائب الشرك والخرافة، في منهج يجمع مقاصد التنزيل ومتطلبات الواقع.

انطلاقا من ذلك، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "إسهامات علماء الجزائر في تنزيل الآيات على الواقع: مبارك الميلي ومحمد البشير الإبراهيمي أنموذجا" لتعطي لمحة عن مسألة تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، مع إبراز جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في كتابه الشرك ومظاهره ومبارك الميلي من خلال كتابه الآثار، في محاولة للكشف عن ملامح هذا الاتجاه الإصلاحية في التفسير الجزائري، من خلال تحليل تطبيقي يبرز كيفية توظيف

العالمين للنص القرآني في خدمة قضايا واقعهم، ويستجلي أوجه الاتفاق والاختلاف في رؤيتهما لمفهوم التنزيل ومجالاته.

وتتمحور إشكالية البحث حول مدى إسهام علماء الجزائر في تفعيل مفهوم تنزيل الآيات على الواقع، وكيف تجلّى هذا الإسهام في التجربة التفسيرية لكلٍّ من الميلي والإبراهيمي؟

ويهدف هذا البحث إلى المساهمة في التأصيل لقضية التنزيل على الواقع، وإظهار مدى الترابط الوثيق بين التفاسير الجزائرية المعاصرة وبين متطلبات زمانها ومكانها، مع إبراز جهود الشيخين في تنزيل الآيات على واقع الجزائر المعاصر والتمثيل لأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

المطلب الأول: مدخل تمهيدي.

يحسن الباحث قبل أن يطرق باب الدراسة التطبيقية في بحثه أن يقدم لها بمقدمات نظرية تكون بمثابة الأطر التي تحدد مجال البحث وتنزيل ما قد يظهر في عنوانه من لبس؛ ومن هذا المنطلق جاء هذا المدخل التمهيدي ليتناول في فرعه الأول مسألة تنزيل الآيات على الواقع من حيث تأصيلها وضوابطها، وفي الفرع الثاني قدمت لمحة موجزة عن حركة التفسير في الجزائر خلال القرن الرابع عشر الهجري، وهو العصر الذي برز فيه العالمان محلّ الدراسة، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي، في سياق النهضة الإصلاحية الحديثة.

الفرع الأول: مسألة تنزيل الآيات على الواقع.

اجتهد عدد من المفسرين في ربط آيات القرآن الكريم بواقعهم وعصرهم، رغبة منهم في توثيق الصلة بين أهل زمانهم ومستجدات عصرهم، وبين ما جاء به القرآن الكريم بعد أن اتسعت الهوة بينهما خاصة في العصر الحديث، حيث اشتدت الحاجة إلى ربط الناس بكتاب ربهم وبيان أن آيات القرآن الكريم صالحة لكل زمان ومكان.

أولاً: معنى تنزيل الآيات على الواقع.

تعد مسألة "تنزيل الآيات على الواقع" من بين القضايا التي اشتهرت في العصر الحديث تنظيراً وتطبيقاً، بينما اهتم بها السلف من العلماء والمفسرين لكن لم ينظروا لها؛ إذ التعريف بها جاء متأخراً ولم يتطرق إليه إلا عدد من المعاصرين، ومن تلك التعريفات ما يأتي:

أ. تعريف عبد العزيز الضامر قال: "هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية"⁽¹⁾.

وهذا التعريف من أهم التعريفات التي حاول فيها صاحبها تحديد معالم الموضوع وإبراز حدوده، وقد اعتمده جملة من الباحثين بعده⁽²⁾.

ب. تعريف هشام شوقي قال: "هو محاولة المفسر ربط معنى الآية القرآنية بما يقابلها من الأحداث الواقعة في المجتمع زمن تفسيره لكتاب الله، وذلك للسير وفق التوجيهات الربانية في القضية محل الدراسة"⁽³⁾.

وهذين التعريفين أهم ما قيل في بيان المراد من "تنزيل الآيات على الواقع".

ويمكن القول أن مسألة "تنزيل الآيات على الواقع" تطلق ويراد منها: "اجتهاد المفسر في الكشف عن الرابط بين الآية القرآنية وما يقابلها من الأحداث الواقعة في زمانه من خلال تفسيره للآية، بغية إيجاد العلاج القرآني لها".

فالمفسر يُعمل فكره ورأيه في إيجاد العلاقة بين آيات القرآن الكريم وواقعه المعاصر، وذلك من خلال تقريب معاني الآيات وربطها بواقع الناس، في محاولة للسير وفق منهج قرآني في علاج قضايا مجتمعه.

وإعماله للرأي إنما يكون وفق ضوابط لأن "كل رأي في الدين لا يستند إلى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلوه من الآيات، ويعلمه من الكتاب والسنة، أو من الأصول المستمدة منهما على وجه معقول، فهو رد على صاحبه"⁽⁴⁾.

ثانيا: أهمية تنزيل الآيات على الواقع في تفسير القرآن الكريم.

(1) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، ص 25.

(2) منهم يحيى بن محمد زمزمي في بحثه. ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، ص 25.

(3) تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره "مجالس التذكير"، ص 53.

(4) أسرار التنزيل، محمد الخضر، ص 239. وينظر ضوابط تنزيل الآيات على الواقع في رسالة: تنزيل الآيات على الواقع

عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، ص 89 وما بعدها.

تكتسب مسألة "تنزيل الآية على الواقع" أهمية بالغة سواء بالنسبة للمفسر، أو بالنسبة لحاجة الناس إليها لصالح أحوالهم في الدنيا والفوز بالرضوان في الآخرة.

1. أهمية تنزيل الآيات على الواقع بالنسبة للمفسر، وتكمن في النقاط الآتية⁽¹⁾:

- توثيق أبرز الأحداث التاريخية في عصره.

- معرفة موقفه من الحدث النازل في زمانه، وكيف تعامل معه.

- التعرف على شيء من سيرته الذاتية.

2. أهمية تنزيل الآيات على الواقع في حياة الناس وواقعهم، ويمكن تلخيصها فيما يلي⁽²⁾:

- زيادة توضيح معاني الآيات وتقريبها للأفهام والعقول، فانطباق معنى الآية على واقع يراه الناس عيانا يزيد في إدراكهم لها وفهم معناها ورسوخه في أذهانهم.

- ربط المسلم المعاصر بكتاب الله تعالى، وإزالة الفجوة بينه وبين القرآن، فإذا شاهد المسلم تنزيل الآيات عند المفسرين على واقعهم، استفاد منها وكانت خير حافز ومعين على تنزيل الآيات على واقعه.

الفرع الثاني: حركة التفسير في الجزائر خلال القرن الرابع عشر الهجري.

نبغ عدد من العلماء الجزائريين في علم التفسير منذ العصور الأولى، فحملوا لواء بيان معاني القرآن الكريم، وأسهموا في خدمة كتاب الله تعالى عبر القرون، من أمثال الإمام أبي العباس أحمد الباغائي ت 354هـ⁽³⁾، والإمام أبي جعفر أحمد بن ناصر الداودي ت 402هـ⁽⁴⁾، وغيرهما من الأعلام الذين مثلوا حلقات متصلة في مسار التفسير الجزائري؛ ومع توالي العصور تواصلت جهود المفسرين في الكشف عن مقاصد الوحي وبيان هداياته، إلى أن حلّ

(1) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، ص 79-82.

(2) تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، يحيى بن محمد زمزمي، ص 25.

(3) قال عنه ياقوت الحموي: "كان لا نظير له في علوم القرآن والفقه على مذهب مالك". معجم البلدان، ج 1، ص 325.

(4) قال عنه القاضي عياض: "كان فقيها فاضلا متفننا مؤلفا مجيدا له حظ من اللسان والحديث والنظر". ترتيب

المدارك وتقريب المسالك، ج 1، ص 497.

العصر الاستعماري الذي شكّل منعطفًا حاسمًا في مسيرة العلماء؛ إذ اجتمع عليهم واجبان: مقاومة المحتلّ والدفاع عن الهوية الدينية، مع الاستمرار في أداء رسالتهم التعليمية والإصلاحية.

في هذه المرحلة الدقيقة، حمل عدد من العلماء مشعل الإصلاح والتجديد، فجمعوا بين التفسير والتعليم والدعوة، وسعوا إلى ربط الشعب الجزائري بدينه ولغته ووطنه، وقد كان القرآن الكريم في صدارة أدواتهم الفكرية والمنهجية، إذ اتخذوه منطلقًا لبناء وعي الأمة ومصدرًا للهداية والإصلاح، يستضيئون بنوره لتصحيح العقيدة، ومحاربة الانحراف، وإحياء القيم الإسلامية في النفوس.

ومن بين هؤلاء يبرز الشيخ مبارك الميلي⁽¹⁾، الذي وُلد ونشأ في الجزائر، وخصّص جهده لتأسيس وعي دينيٍّ علميٍّ يصحّح المفاهيم العقدية ويطهّر العقيدة من شوائب الشرك، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي⁽²⁾ أحد كبار أعلام النهضة، الذي تميز بخطابه الإصلاحية الشامل الهادف إلى إحياء الأمة واستنهاضها من غفلتها.

وما سبق ذكره أعطانا ومضات عن الحالة السياسية في الفترة التي عاش فيها كلا الشيخين، والتي أثرت بدورها على الحالة الاجتماعية التي شهدت تدهورًا كبيرًا؛ حيث استفحل الفقر والجهل في المجتمع، وفي مقابل ذلك ظهرت فرق عقدية ضالة مناقضة لأصول الشريعة مثل: العلمانية والقاديانية والبهائية.

(1) هو: الشيخ مبارك الميلي 1874-1945 هو عالم جزائري ومصلح ديني وفقه مالكي، اشتهر بدوره في النهضة العلمية والدعوية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي. كان عالمًا في الفقه والتفسير وعلوم القرآن، وألف عدة مؤلفات تتعلق بالعقيدة والفقه والتربية الإسلامية. ركّز في دعوته على التعليم الديني الصحيح، تصحيح العقيدة، ومحاربة البدع والخرافات، مع محاولة تطبيق التعاليم الإسلامية على الواقع الاجتماعي والسياسي لرفع مستوى الوعي الديني لدى المجتمع الجزائري. توفي سنة 1945م..

(2) هو: الشيخ محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ولد سنة 1306هـ/ 1889م، أحد علماء الجزائر المبرزين ورواد النهضة العاملين، ولد بمدينة سطيف، ساهم في إنشاء جمعية العلماء المسلمين وترأسها بعد وفات الشيخ ابن باديس، كان ينشر مقالاته في جريدة البصائر، له مؤلفات مخطوطة منها شعب الإيمان، توفي سنة 1385هـ/ 1965م. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج6، ص54/ الآثار، ج5، ص164 وما بعدها.

هذا الواقع المتري لم يزد الميلي والإبراهيمي إلا إصرارا على الإصلاح، فجعلنا من القرآن الكريم منهجاً للتجديد والتغيير، واستثمرا التفسير وسيلة لتشخيص علل الأمة ووصف العلاج من خلال تنزيل الآيات على قضايا واقعهم، إيماننا منهما بأن الهدي القرآني صالح لكل زمان ومكان.

يقول مبارك الميلي: "ثم إنك تجد الإسلام خاتمة الأديان، ونبية خاتم النبيين، وكتابه خاتم الكتب، وهذه الأمة خاتمة الأمم، وهي من جنس تلك الأمم الماضية؛ تقسو قلوبها كما قست قلوبهم، وتفسد عقائدها كما فسدت عقائدهم، وتعصي كما عصوا، وتبتدع كما ابتدعوا؛ فهل من حكمة أحكم الحاكمين ورحمة رب العالمين أن يقصر ما عاب به من قبلنا عليهم، ويدعنا سدى من غير دليل يعرفنا فسادنا وقبيح أعمالنا إذا نزل بنا ما نزل بالأمم قبلنا؟! لقد أحاط ربك بكل شيء علما، ووضع لكل حال حكما، والقرآن الذي فضح من قبلنا هو الذي يفضحنا، والقرآن الذي هدى من تقدمنا هو الذي يهدينا"⁽¹⁾.

وقال البشير الإبراهيمي: "وقد كانت هذه الأمة معرضة عن القرآن مشغولة عنه بما لا يفيد، معتقدة فيه العقائد السخيفة مستغنية عن فهمه بحفظه مع تقصيرها في أداء لفظه، مستعيضة عن تلاوته بتلاوة الأوراد والأذكار، وعن دراسته بدراسة كتب جافة من وضع المخلوق لا تبعث في النفس نشاطاً ولا تنشر في القلوب حياة ولا تغرس في الأفئدة فضيلة، ولا تقتلع منها رذيلة، ولا تشرف على القلوب المظلمة بنور، ولكنها بدأت اليوم ترجع إلى القرآن وتستجلي أنوار الهداية وأسرار الكائنات من آياته، وتأخذ الحياة قوية من تعاليمه، وكأنها يرجوعها إلى القرآن تجدد نفسها وتستأنف في الحياة تاريخها، وعسى أن تنتهي من هذه الوجهة الجديدة إلى غايتها، فتنتهي إلى السعادة والخير"⁽²⁾.

ويقول منوها بالدور الريادي لجمعية العلماء المسلمين: "نجحت الجمعية أيضا في إلفات الأمة إلى القرآن وفي جمعها عليه وحملها على التدبر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره وزواجه ما يسوقها إلى الخير وينزعها عن الشر حتى يكون المؤمن

(1) رسالة الشرك ومظاهره، ص 86.

(2) آثار البشير للإبراهيمي، ج 1، ص 284.

مسوقا بالقرآن مدبرا به. وسنرى من تأثير القرآن في النفوس ما يحقق الأمنية التي تاق إليها حكماء الأمم وأعيانهم الوصول إليها، وهي الكمال الروحي من طريق سمو الأخلاق وهي الغاية التي وصل إليها سلفنا وما وصلوا إليها إلا بالقرآن.

وقد كانت هذه الأمة معرضة عن القرآن مشغولة عنه بما لا يفيد، معتقدة فيه العقائد السخيفة مستغنية عن فهمه بحفظه مع تقصيرها في أداء لفظه، مستعيضة عن تلاوته بتلاوة الأوراد والأذكار، وعن دراسته بدراسة كتب جافة من وضع المخلوق لا تبعث في النفس نشاطا ولا تنشر في القلوب حياة ولا تغرس في الأفئدة فضيلة، ولا تقتلع منها رذيلة، ولا تشرف على القلوب المظلمة بنور، ولكنها بدأت اليوم ترجع إلى القرآن وتستجلي أنوار الهداية وأسرار الكائنات من آياته، وتأخذ الحياة قوية من تعاليمه، وكأنها يرجوعها إلى القرآن تجدد نفسها وتستأنف في الحياة تاريخها، وعسى أن تنتهي من هذه الوجهة الجديدة إلى غايتها، فتنتهي إلى السعادة والخير⁽¹⁾.

المطلب الثالث: تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخين مبارك الميلي والبشير الإبراهيمي.

يعدّ تنزيل الآيات على الواقع سمة بارزة في التفسير الإصلاحي الجزائري، إذ لم يقتصر كل من الشيخ مبارك الميلي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي على بيان المعنى القرآني، بل سعيا إلى تفعيل دلالاته في معالجة قضايا الأمة الدينية والاجتماعية؛ وقد اجتمعا في جعل القرآن أساسا للإصلاح ومصدرا لتقويم الفكر والسلوك، غير أنّ اختلاف تكوينهما واتجاههما الدعوي أفرز تباينا في منهج التنزيل ومجالاته.

ومن ثمّ، يتناول هذا المطلب دراسة رؤيتهما من خلال قسمين متكاملين، وذلك في محاولة للكشف عن عمق المدرسة الإصلاحية الجزائرية، وتنوّع طرائقها في توظيف التفسير لخدمة الإصلاح الديني والاجتماعي.

أولا: التوافق في الرؤية الإصلاحية ووحدة المقصد القرآني عند الميلي والإبراهيمي.

(1) _ الآثار، ج 1، ص 284.

تجلّى التوافق في الرؤية الإصلاحية ووحدة المقصد القرآني عند الشيخين مبارك الميلي ومحمد البشير الإبراهيمي في جعل القرآن الكريم أساس الإصلاح ومنطلق بعث الوعي الديني والفكري في الأمة؛ فقد نظرا إلى التفسير بوصفه رسالة هداية وتوجيه، لا مجرد تحليل لغوي أو بياني، ودعوا إلى العودة إلى القرآن لفهم مقاصده، وإحياء القيم الإيمانية؛ وهكذا التقت جهودهما على قاعدة فكرية ومنهجية موحّدة، اشتركت في المقصد وإن اختلفت أساليب التعبير عنه.

وقد تجلّى ذلك في مناح عدة تمثل هنا بأهم واحدة وهي الدعوة إلى تصحيح العقيدة ومحاربة البدع:

آمن كلا الشيخين بأن انحراف الأمة يبدأ من انحراف العقيدة، فكان تنزيلهما للآيات على واقع الجزائري متمركزا حول محاربة الشعوذة والخرافة المنتشرة في الطرق الصوفية.

فلما تحدث الشيخ مبارك الميلي عن باب الدعاء ربط الآيات بواقعه وركز على قضية مهمة جدا وهي الشرك في الدعاء فقال معنونا ب: الشرك في الدعاء: "ولقد فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كتابهم له وتحذير نبهم منه، حتى صار الجهلة ومن قرب منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده، والاستشهاد لذلك بالحكايات عنهم واستيعابها ممل معجز؛ فلنقتصر على حكاية واحدة"⁽¹⁾.

ثم يسشهد بعدها كعادته بحكايات من الواقع، وهنا اقتصر على ذكر واحدة فقط لأن "استيعابه

ممل ومعجز" كما جاء على لسانه، فقال: الحكاية العاشورية: "في سنة سبع وأربعين قتل شيخنا محمد الميلي رحمه الله، فأُتيت من الأغواط، وجاء للتعزية الشيخ عاشور صاحب "منار الأشراف" وملقب نفسه: كليب الهامل، والهامل قرية بالحضنة قرب أبي سعادة، بها زاوية كانت تمدّه بالمال، فحضرت مجلسه، ولم أشعره بحضوري؛ إذ كان قد اجتمع عليه العنى والصمم، وذلك لئلا يحترز في حديثه أو نقع في حديث غير مناسب للمقام. سمعت في ذلك المجلس بأذني كليب الهامل يحكي مناقضا لدعوة الإصلاح التي اشتهرت يومئذ: أن شيخا

(1) _ الشرك وظاهره، 285-286.

من شيوخ الطرق الصوفية كان مع مردييه في سفينة، فهاج بهم البحر، وعلت أمواجه، فليجؤوا جميعاً إلى الله يسألون الفرج والسلامة، وكان الشيخ منفرداً في غرفة يدعو، فلم تنفرج الأزمة، وعادته أن لا يبطأ عليه بالإجابة، فوقع في روعه أنه أتى من قبل أتباعه، لا لنقص فيه يوجب هذا الإعراض عنه، فخرج على أتباعه مغضباً، يقول: ماذا صنعتُم في هذه الشدة؟ فقالوا: دعونا الله مخلصين له الدين بلسان المضطرين إشارة لقوله تعالى: [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ] النمل: ٦٢، فنكر عليهم اللجوء إلى الله مباشرة، ووبخهم عليه، وعرفهم أن ذلك هو الحائل دون استجابة دعائه، وأنذرهم عاقبة استمرارهم على التوجه إلى ربهم، وأنه الغرق، وعلمهم أن واجهم هو التوجه إليه وسؤاله، ثم هو وحده يتوجّه إلى الله، فتابوا من دعاء الموحدين، وامتثلوا تعليم الشيخ المخالف لتعليم رب العالمين، وعاد الشيخ إلى غرفته يدعو متوسطاً بين الله ومردييه، فانكشفت الغمة، وسلمت السفينة، وحمد الشيخ ثقته بنفسه وفقهه سر البطء عن استجابة دعائه وتفقيهه لأتباعه سر النجاة وصرفهم إلى الثقة به عن الثقة بالله.

هذا معنى ما سمعته من كليب الهامل، ولم أقيد الحكاية حين السماع حتى أؤديها بلفظها وأصورها بنصها، ولم يسعني وأنا في مقام التحذير من الشرك اجتنب إدراج ما ينافي غرض الحاكي في الحكاية حتى تتم ثم أعلق عليها؛ لئلا يعلق بذهن القارئ شيء من الشرك، ولو إلى حين، ولم أميز المدرج في الحكاية؛ لأنه لا يخفى على العارف بحال المعارضين لدعاة الإصلاح الديني. يستدل الشيخ عاشور وأشباهه بأمثال هذه الحكاية على لزوم التعلق بشيوخ الزوايا وتوسيطهم بين العباد وربهم ناسخين بها نصوص الشريعة الكثيرة المحكمة، وتلقفها منهم العامة بقلوبها، وتمسك بها في الاحتجاج لإيثار دعاء غير الله، وتعتقد أن ذلك أليق بحالها من أن تخاطب بنفسها أرحم الراحمين؛ سنة المشركين من قديم كما تقدم عن الكلدانيين⁽¹⁾.

ركّز الشيخ -رحمه الله- هنا على مواجهة مظاهر الشرك والشعوذة المنتشرة في بعض الطرق الصوفية

عند حديثه عن الدعاء، فبيّن خطر الشرك فيه، وساق حكاية واقعية تبرز عمق

(1) _ الشرك وظاهره، 285-286.

الانحراف العقدي لدى بعض المتصوفة الذين جعلوا الوسائط بينهم وبين الله، واستثمر هذا النموذج لبيان مخالفتها لصريح القرآن الذي يدعو إلى إخلاص الدعاء لله وحده؛ وهكذا تحوّل تفسيره إلى منبر إصلاحي توجيهي يعالج انحرافات العقيدة في الواقع الجزائري، منسجما في ذلك مع رؤية الإبراهيمي الذي جعل الإصلاح العقدي منطلق كل إصلاح ديني واجتماعي.

ومثلما كان الشيخ الميلي حريصا على تصحيح مفهوم الدعاء وتنقية العقيدة من شوائب الشرك، كان الإبراهيمي -رحمه الله- هو الآخر شديد التحذير من البدع التي غيّبت حقيقة التدبّر، فنبّه إلى خطورة الاكتفاء بتلاوة القرآن وحفظه دون تدبّر أو عمل بمقاصده. وانتقد ظاهرة قراءة القرآن على الأموات واتخاذها وسيلة للكسب أو التبرك، معتبرا ذلك انحرافا عن الغاية التي أنزل من أجلها. وقد عبّر عن ذلك بأسلوب بياني قوي حين قال: "ولكن ما هو هذا القرآن الذي نكرره في كل سطر؟ أهو هذه الأحزاب الستون أو الأجزاء الثلاثون التي نحفظها وننطق على حفظها سنوات الطفولة العذبة، وسنوات الشباب الزهر، ثم لا يكون حظنا منه عند هجوم الكبر إلا قراءته على الأموات بدرهمات، واتخاذها جنة من الجنة وغير ذلك من الهنات الهيئات؟ إن كان هو هذا فلم لم يفعل في الآخرين فعله في الأولين؟ ولم نرى حفاظه اليوم -على كثرتهم- أنقى الناس من هذه المعاني التي كان القرآن يفيضها على نفوس حفاظه بالأسى؟ ونجدهم دائما في أخريات الناس أخلاقا وأعمالا حتى لقد أصبحوا هدفا لسخرية الساخر، يتكسبون بالقرآن فلا يجديهم، ويقعون في المزالق فلا يهديهم، مع أنهم يقرأون فيه [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْ هِيَ أَقْوَمُ] فنعم: إن القرآن هو هذه الأحزاب الستون التي نقرأها اليوم بألفاظها وحروفها ونقوشها، منقولا بالتواتر القطعي، محفوظا بحفظ الله من كل ما أصاب الكتب السماوية من قبله من النسيان والتبديل وتحريف الكلم عن مواضعه. كبر بتواتره عن الاسناد والمسندين، وشهادة المعدلين والمجرحين، قد نيّف على ثلاثة عشر قرنا ولم يشك المسلمون في حرف منه فضلا عن كلمة، وفي الأرض عدد حصاها أعداء له يتمنون بقاصمة الظهر أن لو ينطفئ نوره، ويستسر ظهوره، ويرضخون في سبيل محوه من الأرض بما كسبت الأيدي واحتقبت الخزائن من الأموال، وبما أخرجت بطون النساء من الرجال، وبما أنتجت القرائح من مكر واحتيال وكيد ومحال. فلم ينالوا منه نيل إلا مضضا تنطوي عليه جوانحهم، ووغرا تنكسر عليه صدورهم، وشجى تنثني عليه لهواتهم، وحقدا تغلي مراجله في

نفوسهم، وقد أبقاهم الله وأبقى لهم منه المقيم المقعد وهم بهذا الحال وهو بهذا الحال إلى يومنا هذا، فلينم المسلمون ملء جفونهم، ولينعمووا بالا من هذه الناحية، وليعلموا أن القرآن أُتِيَ من قبلهم... ولكن سر القرآن ليس في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه، ولا في هذه التلاوة الشلاء التي نتلوها، وليس من المقاصد التي أنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات، ولا اتخاذه مكسبة، والاستشفاء به من الأمراض الجسمانية، إنما السر كل السر في تدبره وفهمه، وفي اتباعه والتخلق بأخلاقه، ومن آياته [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ]، ومن آياته [اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ] [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] ⁽¹⁾.

فهذا الخطاب الإصلاحي القرآني أراد الإبراهيمي أن يعيد الأمة إلى جوهر علاقتها بالقرآن، علاقة تقوم على التدبر والامتنال، لا على التبرك الشكلي أو الطقوس الموروثة، فكان بذلك مكملاً لرسالة الميلي في الدعوة إلى إحياء الإيمان الصحيح والعمل الصالح في واقع الأمة.

إنّ هذا التوافق بين الميلي والإبراهيمي في الرؤية الإصلاحية ووحدة المقصد القرآني يؤكد انتماءهما معاً إلى المدرسة القرآنية التجديدية في الجزائر، التي جعلت من القرآن محور الإصلاح ومصدر الإحياء الديني والفكري، فقد مثل القرآن عندهما أداة لبناء الإنسان المسلم ووسيلة لتصحيح مسار المجتمع، مما جعل تفسيرهما يتجاوز حدود الشرح إلى التوجيه والتقويم، ومن هذا المنطلق المشترك انبثقت مناهج متنوعة في التنزيل، تشهد على مرونة الفكر الإصلاحي وقدرته على التفاعل مع واقع الأمة.

ثانياً: تنوع المنهج وتباين مجالات التنزيل بين العالمين.

رغم وحدة الهدف الإصلاحي بين الميلي والإبراهيمي، إلا أنّ غاية كلّ منهما من تنزيل الآيات على الواقع اختلفت تبعاً لتوجهه الفكري ومجاله الدعوي.

فقد اتجه الشيخ مبارك الميلي إلى ترسيخ الوعي الديني الرشيد من داخل الإطار العقدي والتعليمي، وهو ما يتجلى بوضوح في معالجته لقضية السحر التي عُدّت من أخطر صور الانحراف العقدي في المجتمع الجزائري آنذاك، تناولها في كتابه الشرك ومظاهره معالجةً

(1) _ الآثار، ج 1، ص 160.

قرآنيةً عقليةً، جمع فيها بين الدليل الشرعي والتحليل الواقعي، منطلقاً من قوله تعالى: [وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ] البقرة: 102 وبين من خلالها أَنَّ السحر مظهر من مظاهر الكفر والشرك، وأنَّ ما يُزعم فيه من علم بالغيب ليس سوى خرافة تُضعف الإيمان وتُعطل سلطان العقل، مستدلاً على ذلك بآيات القرآن الكريم، ومعنونا لذلك بقوله: "السحر: حقيقته وحكمه" ثم قال: "وهذا بعض ما جاء في السحر: قال تعالى: [وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ... الآية] البقرة: ١٠٢

وقال حكاية عن موسى وخطابه للسحرة: [مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] يونس: ٨١. وقال جل شأنه: [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى] طه: ٦٩^(١).

بعد أن تحدث الشيخ عن أهم الجوانب التي ترتبط بالسحر من حكمه وأدلته وغيرها من المسائل النظرية، اجتهد في تنزيل معاني الآيات وهداياتها على كل من تأثر بالسحر أو عمل به من أهل زمانه مشنعا عليهم ومبيناً بطلان عملهم، فقال: "أبعدَ هذا التنبيه وذلك التحذير يتسابق أصحاب هذا الكتاب وأتباع ذلك الرسول إلى ضروب السحر، ويتنافسون في إتقانها، ويفخر فاخرهم بالمهارة فيها؟! تجد بعض المنتسبين إلى بيوت الصلاح أو دور الطرق الصوفية وما أكثرهم! يدجلون على بله العوام بمخاريق سحرية، يوهمونهم بها أنهم ذوو كرامات أولوا تصرف في الروحانيات، وترى بعض من تعلموا القراءة والكتابة يكبون على شمس المعارف للبوني، يأخذون منها أقوالاً وأعمالاً مبنية على علم الحروف المنظور فيه إلى طبائع الكواكب المزعوم أنها الحاكمة في هذا العالم، فيعتقدون اعتقاد الكلدان، ويلبسون لباس أهل القرآن، كل ذلك لينعتوا بالحكمة، ويشار إليهم بتطويع ملوك الجان"^(٢).

ثم خصص حديثه وركز على النساء قائلاً: "ولوع النساء بالسحر: أما النساء؛ فلا تسأل ... هذه تربط الزوج عن زوجه أو تحله، وتلك تبلى الرجل حتى تروج عليه زوجه كل شيء، وماهرة تنزل القمر في القصعة كأن القمر خبزة، ولا تجد في الأغلب من تتزوج إلا وهي متزودة

(1) _ الشرك ومظاهره، ج 1، ص 235-236.

(2) _ الشرك ومظاهره، ج 1، ص 238.

من العجائز بوصايا سحرية ورق وأدوية وفيهن- لا نكذب- نساء صوالح، ولو عنيت أمتنا بالعلم عنايتها بالسحر، لم تنحرف في حياتها عن سلم الرقي، ولكنها حادت عن سنة التقدم، وأحاطت بها خطاياها، فحاق بها سوء عملها، [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] (فصلت: ٤٦) ⁽¹⁾.

ثم استعرض الميلي انتشار الاعتقاد في الكهان والعرافين، وعده سببا من أسباب انحطاط التفكير الإسلامي، مؤكدا أن القرآن دعا إلى محاربة هذه الأوهام لأنها تُناقض التوحيد الذي هو أساس النهضة الدينية والعقلية.

وعليه فإن الشيخ الميلي -رحمه الله- ركّز على الإصلاح العقدي والعلمي، فوظف الآيات لتصحيح التصورات ومحاربة البدع بأسلوب تحليلي برهاني، بينما اتّجه الشيخ الإبراهيمي إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي، مستثمرا الآيات التي تبعث روح العزة والحرية، بأسلوب بياني مؤثر يخاطب الوجدان العام. وهكذا تكمل المنهجان في خدمة الهدف القرآني المشترك: نهضة الأمة بالهدى الإلهي.

يتّضح من خلال هذا التنوع المنهجي أنّ الميلي والإبراهيمي جسّدا بجهودهما وجهين متكاملين للمشروع الإصلاحي القرآني في الجزائر: أحدهما يعالج البنية العقدية والفكرية للأمة، والآخر يحرك وعيها الاجتماعي والسياسي، فكان اختلاف المنهج بينهما مصدرا ثراء لا تباين، إذ التقت جهود العالمين في غاية واحدة هي إحياء الأمة بروح القرآن، ليبقى عملهما شاهدا على قدرة التفسير على الجمع بين عمق الفكرة وفاعلية الواقع.

خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب تنزيل الآيات على الواقع عند عالمين جليلين خلصت الدراسة على جملة من النتائج ولعل من أهمها:

✓ أظهرت حركة التفسير في الجزائر خلال القرن الرابع عشر الهجري وعيا متناميا بضرورة ربط آيات القرآن الكريم بقضايا الأمة، خاصة في ظل ظروف الاستعمار والجمود

(1) _ الشرك ومظاهره، ص 238-239.

الفكري.

✓ شكّل كل من مبارك الميلي ومحمد البشير الإبراهيمي امتدادا أصيلا للاتجاه الإصلاحية، مع توظيف واع للقرآن في معالجة الواقع.

✓ انصرف الميلي إلى تأسيس الوعي العقدي ومحاربة مظاهر الانحراف والخرافة، مستندا إلى منهج قرآني عقلاني يعيد للعقيدة نقاءها وصفاءها.

✓ بينما ركّز الإبراهيمي على بعث الأمة وإحياء روح المقاومة والتحرر، مُفَعِّلًا القيم القرآنية في النهضة والإصلاح الشامل.

✓ تكشف تجربة المفسرين عن أن التفسير في الجزائر الحديثة لم يكن عملا علميا محضا، بل رسالة إصلاحية حضارية استمدت قوتها من القرآن الكريم ومن وعي العلماء بواقع أمتهم.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

○ آثار محمد البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، 1997م، دار الغرب الإسلامي.

○ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط15، 2002م، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان.

○ تاريخ الجزائر الثقافي، سعد أبو القاسم، ط1، 1998م، دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان.

○ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، ت: محمد بن تاويت الطنجي، ط3، 1403هـ/ 1983م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. نلت من شاملة

○ تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، يحيى بن محمد الزمزمي، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد الرابع، السنة الثانية.

- تنزيل الآيات على الواقع عند الإمام ابن باديس من خلال تفسيره "مجالس التذكير"، هشام شوقي،
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين -دراسة وتطبيق-، عبد العزيز الضامر، ط1، 1428هـ/2007م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
- رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد المليي، ت: أبو عبد الرحمن محمود، ط1، 1422هـ/2001م، دار الراية، الجزائر.

قضايا عقدية معاصرة في الدرس التفسيري للشيخ إبراهيم بيوض "الإلحاد والاستشراق والتنصير" أنموذجا

د. خضير باباوا عمر

جامعة عمارثليجي - الأغواط

ملخص البحث

- إن الإيمان في النفوس قد يبلى، وتضعف فاعليته في الواقع العملي، ويصاب المرء المسلم بالوهن بسبب ما يطرأ على المجتمعات المسلمة من تأثير بالثقافات الأجنبية الوافدة، ولاسيما إذا كانت مجتمعات مغلوقة على أمرها أو مستعمرة بقوى أجنبية غربية معادية، فتنتشر بذلك العلل والأوبئة الفكرية والتيارات المادية في الأوساط الاجتماعية مهددة عقيدتها وقيمها الأخلاقية وهويتها الإسلامية. ونجد في الأمة في كل عصر علماء أجلاء عدولا قيصهم الله لحمل أمانة الدين والتصدي لكل فكر منحرف دخيل، يكشفون عن المذاهب الفكرية المنحرفة أستارها وتهافتها وزيفها. ومن هؤلاء الأعلام في العصر الحديث الإمام المصلح إبراهيم بن عمر بيوض. 1981م الذي اتخذ من القرآن الكريم منطلقا لهضته الإصلاحية بالجنوب الجزائري فثنى ركبته في منبر المسجد يفسر آيات القرآن الكريم تفسيرا تحليليا ابتداء من سورة الفاتحة واختتامها بسورة الناس بلسان قومه يبين لهم ما أنزل إليهم من رب العالمين في فترة زمنية استغرقت منه ستة وأربعين عاما ابتداء من 1934 إلى 1980م، يُصلح بهدايات القرآن الطباع الفاسدة، والأوضاع المتردية، ويواجه الأفكار المادية والتيارات الهدامة التي انتشرت في فترة حُكم فيها الاستعمار الفرنسي قبضته على الشعب الجزائري، وساد في الأمة الجهل والغفلة والانحمار بالثقافة الغربية. فقد أولى الشيخ بيوض لقضايا العقيدة في دروسه التفسيرية اهتماما كبيرا باعتبارها أصل الدين، وبصلاحها يصلح سلوك الفرد والمجتمع، فلم يأل جهدا في بيان أصول الإيمان من خلال القرآن وشرح أركانه وترسيخ معانيه في النفوس، كما واجه بكل حجة وبرهان جملة من قضايا عقدية استجدت في عصره، أكتفي في هذه الدراسة بالوقوف على اثلاثة منها وهي: الإلحاد والتنصير والاستشراق.

- فما منهج الشيخ بيوض في معالجة في درسه التفسيري للقضايا العقدية المعاصرة

كالإلحاد والتنصير والاستشراق ؟ وسأحاول في هذا البحث الإجابة عن هذا الإشكال متبعاً مناهج ثلاثة المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي. وقد قسمت البحث إلى مبحثين تناولت في الأول الشيخ بيوض واهتمامه بالعقيدة في درس التفسير وتطرقت في المبحث الثاني الشيخ بيوض ومواجهته للظواهر الثلاث الإلحاد والتنصير والاستشراق في عصره من خلال درس التفسير ثم خاتمة ضمنها النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: العقيدة - الشيخ بيوض- التفسير - الإلحاد - التنصير -

الاستشراق

Research summary

Faith in people's hearts can fade, and its effectiveness in practice can weaken. Muslims can become weak because of the influence of foreign cultures on Muslim societies, especially if those societies are oppressed or colonized by hostile Western powers. This leads to the spread of intellectual diseases and materialistic trends in social circles, threatening their beliefs, moral values, and Islamic identity.

In every era, we find distinguished scholars whom God has appointed to carry the trust of religion and confront every deviant and foreign ideology, exposing the veils, futility, and falsehood of deviant intellectual doctrines. Among these luminaries in the modern era is the reformist Imam Ibrahim bin Omar Bayoud d. 1981 who took the Holy Qur'an as the starting point for his reformist movement in southern Algeria. He stood at the pulpit of the mosque and interpreted the verses of the Holy Qur'an analytically, beginning with Surah Al-Fatihah and concluding with Surah An-Nas, in the language of his people, explaining to them what had been revealed to them by the Lord of the Worlds over a period of forty-six years from 1934 to 1980. He reformed corrupt customs and deteriorating conditions with the guidance of the Qur'an, confronting materialistic ideas and destructive trends that spread during the period when French colonialism ruled over the Algerian people, and ignorance, negligence, and fascination with Western culture prevailed in the nation. Sheikh Bayoud paid great attention to issues of faith in his interpretive lessons, considering them to be the foundation of religion, and that their reform would reform the

behavior of individuals and society. He spared no effort in explaining the fundamentals of faith through the Qur'an, explaining its pillars and instilling its meanings in people's hearts. He also confronted with every argument and proof a number of doctrinal issues that arose in his time. In this study, I will limit myself to three of them: atheism, proselytization, and Orientalism. Sheikh Bayoud's approach

Keywords :

Doctrine – Sheikh Bayoud – Interpretation – Atheism – Proselytization – Orientalism

مقدمة

امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بعقيدة إسلامية واحدة ربانية في مصدرها، ثابتة في أركانها، واضحة في أصولها، قطعية في حجيتها، تبني في نفوس معتقديها الموفين بمقتضاها الاطمئنان واليقين وتدفعهم إلى حسن الأعمال لخيري الدنيا والدين، فسعدوا بهذه العقيدة الخالصة وعاشوا في ظلالها حياة آمنة طيبة فحققوا بفضل الله ثم التمسك بها العز والتمكين.

بيد أن الإيمان في النفوس قد يبلى، وتضعف فاعليته في الواقع العملي، ويصاب المرء المسلم بالوهن بسبب ما يطرأ على المجتمعات المسلمة من تأثير بالثقافات الأجنبية الوافدة، ولاسيما إذا كانت مجتمعات مغلوبة على أمرها أو مستعمرة بقوى أجنبية غريبة معادية، فيفتتن عامة الناس باتباعها وتقليدها قهرا أو طواعية بناء على أن المغلوب مولع باتباع الغالب على حد تعبير ابن خلدون، فتنتشر بذلك العلل والأوبئة الفكرية والتيارات المادية في الأوساط الاجتماعية مهددة عقيدتها وقيمها الأخلاقية وهويتها الإسلامية.

ونجد في الأمة في كل عصر علماء أجلاء عدولا قيصهم الله لحمل أمانة الدين والتصدي لكل فكر منحرف دخیل، يكشفون عن المذاهب الفكرية المنحرفة أستارها وتهافتها وزيفها. ومن هؤلاء الأعلام في العصر الحديث الإمام المصلح إبراهيم بن عمر بيوضت. 1981م الذي اتخذ من القرآن الكريم منطلقا لهضته الإصلاحية بالجنوب الجزائري فثنى ركبته في منبر المسجد العتيق ببلدته القرارة بغرداية يفسر آيات القرآن الكريمات وسوره النيرات تفسيرا

تحليليا ابتداء من سورة الفاتحة واختتاماً بسورة الناس بلسان قومه يبين لهم ما أنزل إليهم من رب العالمين في فترة زمنية استغرقت منه ستة وأربعين عاماً ابتداء من 1934 إلى 1980م، يُصلح مبادئ القرآن الطباع الفاسدة، والأوضاع المتردية، ويواجه الأفكار المادية والتيارات الهدامة التي انتشرت في فترة حكم فيها الاستعمار الفرنسي قبضته على الشعب الجزائري، وساد في الأمة الجهل والغفلة والانبهار بالثقافة الغربية.

أولى الشيخ بيوض لقضايا العقيدة في دروسه التفسيرية اهتماماً كبيراً باعتبارها أصل الدين، وبصلاحها يصلح سلوك الفرد والمجتمع، فلم يأل جهداً في بيان أصول الإيمان من خلال القرآن وشرح أركانه وترسيخ معانيه في النفوس، كما واجه بكل حجة وبرهان جملة من قضايا عقدية استجدت في عصره، أكتفى في هذه الدراسة بالوقوف على ثلاثة منها وهي: الإلحاد والتنصير والاستشراق.

فما منهج الشيخ بيوض في معالجة القضايا العقدية المعاصرة كالإلحاد والتنصير والاستشراق من خلال دروسه في التفسير؟

وسأحاول في هذا البحث الإجابة عن هذا الإشكال متبعاً مناهج ثلاثة المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي. وقد قسمت البحث إلى مبحثين تناولت في الأول الشيخ بيوض واهتمامه بالعقيدة في درس التفسير وتطرق في المبحث الثاني الشيخ بيوض ومواجهته للظواهر الثلاث الإلحاد والتنصير والاستشراق في عصره من خلال درس التفسير ثم خاتمة ضمنها النتائج المتوصل إليها. سائلاً الله تعالى التوفيق في القول والعمل.

المبحث الأول: الشيخ بيوض واهتمامه بالعقيدة الإسلامية في درس التفسير

المطلب الأول: الشيخ بيوض وتفسيره للقرآن الكريم

امتن الله على الأمة الإسلامية بكتاب منزل محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنه القرآن الكريم المعجزة الخالدة الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يملّ من كثرة الرد منه قارئه، وقد أجاد الرافعي في وصف ألفاظه ومعانيه فقال: "ألفاظاً إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمها جنتها وصرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب،

وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حُجَى القلوب، ومعانٍ بيننا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان...⁽¹⁾ ثم يخلص قائلا: "لا جرم أن القرآن سُرَّ السماء فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وكذلك تمادى العرب في طغيانهم يعمهون، وظلت آياته تلقف ما يَأْفُكُون، فوقع الحق، وبطل ما كانوا يعملون."⁽²⁾

ولا بد لهذا القرآن الكريم من إنسان مؤمن صادق يحمله ويلتزم بأحكامه وأخلاقه، وينزل بتشريعاته إلى واقع حياة الناس، كما كان الرسول ﷺ قرآنا يمشي بين أصحابه، وقدوة حسنة لمن أراد التأسي والاعتبار، فيها هو الشيخ بيوض يعد أحد أولئك الرجال القرآنيين الذين جاد بهم القدر فتعلم القرآن وعلمه، وتشربت نفسه معانيه فاستبصرت بنور الله، فقام يدعو للتي هي أقوم، يصلح النفوس، وينشئ مجتمعا مستمسكا بحصن القرآن، في بيئة حكمها استعمار كافر حاقد لمدة قرن ونيف من الزمن، يمكر بالذين آمنوا، ويسعى لمسح عقيدتهم وهويتهم الإسلامية واقتلاع لسانهم العربي قصد إبعادهم عن القرآن الكريم. فمن هو الشيخ بيوض؟ وما إسهاماته في علم التفسير؟

1- 1- حياة الشيخ بيوض وأثاره

هو إبراهيم بن عمر بيوض ولد في مدينة القنطرة في 11 ذي الحجة 1313هـ/ 21 أبريل 1899م وكان والده من أعيان الإصلاح في البلد، حفظ القرآن الكريم واستظهره في سن الثانية عشر من عمره، تلقى مبادئ الفقه واللغة العربية عن مشايخه الحاج إبراهيم البريكي، وأبو العلا عبد الله، ثم انتقل سنة 1913م إلى معهد شيخه الحاج عمر بن يحيى،

وقد ظفر بثقة شيخه الحاج عمر بن يحيى فلازمه متعلما بين يديه وخادما إياه يحضر جلسات أعيان البلد عنده فكان ذلك تكويننا له من الناحية الاجتماعية والسياسية ومعرفة

(1) - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، بورسعيد، الجزائر، د.ت، ص30.

(2) - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص31.

الواقع⁽¹⁾.

وكان إبراهيم بيوض ذا لسان ذلق فصيح وحافظة واعية مما رشحه ليخلف شيخه الحاج عمر في تدريس البلاغة والمنطق عند غيابه. وبعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918م أخذ إبراهيم بيوض غصبا للتجنيد في الخدمة العسكرية الإجبارية ثم فك قيده من بين أيدي المستعمر الفرنسي بمساع مفضية وشاقة.

وفور رجوعه وإطلاق سراحه بدأ مصارعة الاستعمار بكتابة رسائل احتجاج ضد سياسة التجنيد الإجباري العسكري فكان من المساهمين في مقاومة هذا التجنيد المتعسف⁽²⁾.

ولما توفي شيخه الحاج عمر بن يحيى سنة 1339هـ/ 1921م خلفه في رفع راية العلم والإصلاح في القرارة ثم التحق الشيخ بيوض سنة 1340هـ/ 1922م بحلقة العزابة بمسجد القرارة ثم عين سنة 1342هـ/ 1924م شيخا للوعظ والتدريس بالمسجد الكبير بالقرارة⁽³⁾.

وكانت للشيخ بيوض إنجازات بارزة وأعمال جليلة نذكر منها ما يأتي⁽⁴⁾:

■ إن أهم عمل قام به إبراهيم بيوض تأسيسه سنة 1343هـ/ 1925م لمعهد الحياة المسمى أول مرة بمعهد الشباب لتدريس العلوم الشرعية والعربية في ظروف اجتماعية عسيرة ومضايقات استعمارية عصبية فغدا المعهد قلعة علمية وقبلة لطلاب العلم من مختلف أرجاء قرى مزاب والقطر الجزائري ومن خارج الوطن⁽⁵⁾.

■ شارك إبراهيم بيوض سنة 1931م في وضع القانون الأساسي لجمعية العلماء

(1) - محمد علي دبوب: أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1396هـ/ 1976م، ج2/ 111 وما بعدها... لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ترجمة 33، ج2/ 20

(2) - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج2/ 20

(3) - محمد علي دبوب: أعلام الإصلاح في الجزائر، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، ج2/ 20-21،

(4) - محمد علي دبوب: أعلام الإصلاح في الجزائر، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، ج2/ 20-21، إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1430هـ/ 2009م، المقدمة، ج1/ 26-32

(5) - محمد علي دبوب: أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2/ 191. جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج2/ 20

- المسلمين الجزائريين وانتخب عضوا في مجلس إدارتها. وعين نائبا لأمين المال⁽¹⁾
- أسس الشيخ سنة 1937م جمعية الحياة بالقرارة حاملة مشعل النهضة العلمية والإصلاحية بالجنوب الجزائري
 - في سنة 1948م كان الشيخ بيوض عضوا بارزا في لجنة إغاثة فلسطين ومن بين الأربعة الذين أمضوا على برقيات ورسائل التأييد باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين في الجامعة العربية
 - كان مناهضا بكل ما أوتي من قوة لمشروع الدستور المزعوم الذي وضعت السلطات الفرنسية للجزائر سنة 1947م لفصل الصحراء عن الجزائر فطالب بإلحاقها فكان أكبر معارض لمؤامرة فصل الصحراء عن الشمال.
 - انتخب بالأغلبية يوم 20 أفريل سنة 1948م في المجلس الجزائري وأعيد انتخابه سنة 1951م فكان الصوت عن المؤسسات العربية الإسلامية في الجزائر لاسيما في منطقة الجنوب.
 - كان الشيخ بيوض محور النشاط الثوري من فاتح 01 نوفمبر 1954م إلى 19 مارس 1962م بقرى وادي مزاب عامة وبالقرارة خاصة يديره مباشرة بنفسه وبواسطة أبنائه الطلاب خريجي معهد الحياة. وكان على اتصال دائم بقيادة جبهة التحرير، فقد جمع الشيخ بكل اقتدار بين الكفاح الثوري المسلح وبين تربية الأجيال وإعداد الرجال وتكوين العلماء والدعاة لحمل راية العلم والإصلاح الاجتماعي وتحمل مختلف المسؤوليات في ربوع الوطن.
 - في 19 مارس 1962م بعد وقف القتال نتيجة اتفاقيات إيفيان عين عضوا في اللجنة التنفيذية المؤقتة تقديرا لكفاءته وأسندت إليه مهمة الشؤون الثقافية في أول حكومة جزائرية في سبتمبر 1962م.
 - في سنة 1963م أحيى نشاط مجلس عمي سعيد الهيئة العليا لمجالس عزابة وادي مزاب وورجلان فانتخب رئيسا لها إلى يوم وفاته 1981م
- من آثاره الفكرية:

- تفسير مسجل في حوالي 1500 ساعة وقد أتم تحريره الأستاذ عيسى الشيخ بلحاج

(1) - يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3، المطبعة العربية،

غرداية، الجزائر، 1435هـ/2014م، ص346. جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية، ج2/20

وطباعته من طرف جمعية التراث ابتداء من سورة الإسراء الآية 70 إلى سورة الناس تحت مسمى في رحاب القرآن في ، كما جمع الشيخ حمو فخار - تلميذ الشيخ بيوض - الشطر المفقود من تفسير الشيخ بيوض اشتمل على أجزاء من سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام وسور المفصل قام بتحقيقها الدكتور مصطفى باجو في جزأين تحت مسمى "في رحاب القرآن الشطر المفقود"

- عشرات المقالات في الجرائد والمجلات الوطنية التي تصدر في عهده كجرائد أبي اليقظان، وعبد الحميد بن باديس
- مئات الأشرطة لدروس قيمة في مناسبات دينية واجتماعية وسياسية وقد حول بعض من هذا التراث المسموع إلى كتب مطبوعة منها:

- المجتمع المسجدي من تحرير الدكتور محمد ناصر بوحجام
- حديث الشيخ الإمام تحرير الشيخ محمد سعيد كعباش
- البدعة مفهومها وأنواعها تحرير الباحث بولرواح إبراهيم
- فضل الصحابة والرضا عنهم تحرير الباحث بهون حميد أوجانه
- فتاوى الشيخ بيوض تحرير الشيخ بلحاج بكير باشعادل
- توفي رحمه الله في يوم الجمعة 21 جمادى الأولى 1401هـ/ 14 جانفي 1981م⁽¹⁾

2-2- هدف الشيخ بيوض من درس التفسير

اتخذ علماء الحركة الإصلاحية بالعالم الإسلامي أمثال محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وسيد قطب ورشيد رضا وإبراهيم بيوض القرآن الكريم منطلقا لدعوتهم ونهضتهم الاجتماعية، وربط الناس بكتاب الله العزيز والسير وفق تعاليمه وهداياته في مختلف شؤون حياتهم.

توجّه الشيخ بيوض إلى تفسير القرآن الكريم وهو يتمتع بخصائص نفسية ومواهب عقلية وقدرات علمية أهلته لخوض غمار التفسير بكل قوة واستعداد فأجاد وأفاد، وقد حدد الهدف من دروسه في التفسير فقال: " جعلت تفسير كتاب الله عمدي في الدعوة إلى الله تعالى،

(1) - جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية ، ج2/ 20-22.

وكنا حربًا على الاستعمار الذي يجند شبابنا جبرًا، ويمنعنا من التعليم الحر جبرًا، ويعمل كل وسيلة للتعطيل، وكنا نداوره تارة، ونداريه تارة أخرى، ووندافع تارة أخرى، ورأيت أن أنفع شيء هو كتاب الله تعالى فشرعت في التفسير"⁽¹⁾

وقد أبان الشيخ بيوض عن هدفه من التفسير بمثل ما ذكره الشيخ عبد الحميد بن باديس قبله يوم ختم تفسيره بالجامع الأخضر بقسنطينة سنة 1357هـ/1939م قائلا: "إننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه أنفسهم إلى القرآن في كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق إن شاء الله أن يُكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم"⁽²⁾

وكان الشيخ بيوض مجتهدا في درسه التفسيري، ومبدعا في عرضه وتقديمه من على منبر المسجد وسط جموع من الناس مختلفي المستويات، يلقيه عليهم بأسلوب شيق جذاب يأسر الألباب، ويلين القلوب، قاصدا من درسه التفسيري إصلاح المجتمع، وبناء القيم الأخلاقية وتهذيب النفوس، وتصحيح العقيدة، وتنوير العقول بالعلم النافع، ودفع الجزائريين للكدح والعمل لخير الدنيا والآخرة، وعمارة الأرض، والدفاع عن وطنهم حتى يتنصروا على أعدائهم المستعمرين وينالوا الحرية ويحققوا التمكين.

وقد افتتح الشيخ بيوض تفسير كتاب الله العزيز في الفاتح المحرم الحرام من سنة 1353هـ/15 أبريل 1934م ابتداء من سورة الفاتحة ثم سورة البقرة فعقد العزم على إتمامه فتحقق له ذلك بفضل من الله وحسن عونه في يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول 1400هـ/12 فيفري 1980م بتفسيره سورة الناس بعد صلاة العشاء بالمسجد العتيق بالقرارة، إنها رحلة مباركة في رحاب تفسير القرآن الكريم دامت أزيد من أربعين عاما ستة وأربعين عاما

وقد كانت لدروس التفسير للشيخ بيوض آثارٌ طيبة في واقع الناس، فارتبطوا بتعاليم

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، المقدمة، ج1/ 32-26

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، المقدمة، ج1/ 32-26. عمر بن سعيد دجال: ملامح التجديد عند الشيخ بيوض، ط1، منشورات ألفا، 1440هـ/2019م، ص40-41

القرآن، وانتشروا في الأرض يعمرونها خيرا وصلاحا استجابة لأمر الله تعالى ورسوله وأولي الأمر منهم، يقول الشيخ بيوض: "إنني أحمد الله تعالى على النتيجة التي شاهدتها من أثر القرآن في نفوس العامة، والأمة اليوم مستعدة لتلبية كل طلب خيري، وما دعي أحد إلى عمل إلا أجاب، أو دعي إلى مال إلا أنفق بسخاء، أو دعي إلى أن يضحي بوقته وجهده إلا لبي النداء، ومن لم يدع أو لم يحتج إليه يقول: لماذا نسيتموني؟ أليس لي حظ معكم؟"⁽¹⁾

سلك الشيخ بيوض في تفسيره المسلك الهدائي عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْ هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء 9] وقد استفاد من منهج من سبقه من المفسرين أمثال الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في تسيير التفسير والإمام محمد عبده ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار وسيد قطب في ظلال القرآن وزميله الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير يقول الشيخ بيوض: "إن مقصدي من هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده أن أخلق عقولا تتذوق بلاغة القرآن، ونفوسا فيها طهر القرآن، وتلامذة مصلحين يكونون جند القرآن"⁽²⁾

فيمكن القول بأن تفسير الشيخ بيوض للقرآن لم يخطه في ورقات، ولم يكن في مجلدات حبيس رفوف المكتبات ينتفع منه الخاصة من القراء وأهل العلم فحسب بل كان يلقي تفسيره من أول درس فيه إلى آخره في منبر المسجد مشافهة بصوته المسموع ونبراته المؤثرة ونظراته الموزعة على الحضور ولسانه الذلق باللغة العربية الفصحى وبالمزابية الأمازيغية لسان قومه المخاطبين، فتتلقاه على الفور القلوب وتعيه العقول ويحرك الوجدان ويدفع النفوس إلى السعي والعمل وعمارة الأرض وتحقيق الاستخلاف والتمكين للدين.

المطلب الثاني: الشيخ بيوض والتجديد في علم العقيدة

- فما معنى التجديد في علم العقيدة ؟

إن التجديد في اللغة مأخوذ من جدّد الشيء: صيره جديدا، والتجديد صيغة تفعيل من

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، المقدمة، ج 1/

(2) - محمد علي دبوب: نهضة الجزائر الحديثة، ج 3/ 74

الجديد، وتعني الحث على إحداث الجدة، الجدة نقيض البلى، ومنه الجديدان: الليل والنهار، لأنهما لا يبليان أبدا، فهما يتجددان⁽¹⁾

وأما التجديد في الاصطلاح الشرعي فهو ينطلق من معناه اللغوي ويضيف إليه مدلولاً خاصاً متعلقاً بالدين، عرفه العلقمي بأنه: "إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"⁽²⁾.

وعرفه المودودي بأنه: "تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان"⁽³⁾

وعرفه عمرو عبيد حسنة: "ليس المراد بالاجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد: هو الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدي المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه في كل عصر يعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي"⁽⁴⁾

والمجدد هو: "كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه"⁽⁵⁾

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن استخلاص تعريف للتجديد في الدين بأنه: إحياء ما اندرس منه وتنقيته مما علق به من محدثات وبدع، وتنزيله على واقع الحياة لمعالجة قضاياها وفق هدي الوحي من دون تطويع لنصوصه وتقويض لأركانه ووكلياته.

ويشمل التجديد في الدين التجديد في علومه سواء ما تعلق بالأصول أو بالفروع وهو ما ذهب إليه ابن الأثير⁽⁶⁾ في شرحه لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يبعث على

(1) - ابن منظور: لسان العرب، مادة جدد بيروت، لبنان، 2008، 1124

(2) - المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 14/1

(3) - أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ الدين وإحيائه، دار الشهاب بآتن، الجزائر، ص 52

(4) - عمرو عبيد حسنة: الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية. د.ت. ص 10

فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 14/1

(5) - أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ الدين وإحيائه، ص 52

(6) - ابن الأثير: معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول. بيروت: د.نا. ص 320

رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» مبينا أن الأولى أن يُحمل الحديث على العموم.

أعني بالتجديد في علم العقيدة إحياء هذا العلم وإعادة بنائه وتكييفه من حيث المنهج والمضمون والأسلوب ليستجيب لمتطلبات الحياة المعاصرة وتحدياتها ويؤدي أدواره ويحقق غاياته.

فإذا كان موضوع علم العقيدة الإسلامية هو دراسة أركان الإيمان وأصول العقيدة الإسلامية وإثباتها والدفاع عنها فإن التجديد فيه إنما يقع على مستوى علاقة الأمة بالعقيدة فكرا وفهما وتزيلا وعملا وتفاعلا وخطابا وليس في العقيدة نفسها لكونها سماوية المصدر، ثابتة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة لا تقبل التغيير والتجديد. وعليه فإن مستويات التجديد في علم العقيدة أو علم الكلام متعددة تشمل: تجدد المضامين والقضايا، وتجدد في المنهج، وتجدد في الأسلوب والخطاب. وليست تقتصر على جانب وإهمال آخر (1).

ونظرا لمكانة العقيدة الإسلامية وأولويتها في الإصلاح فقد بذل علماء الإصلاح في العصر الحديث جهودهم في إصلاح العقائد الفاسدة أو المشوهة المنتشرة في المجتمعات الإسلامية وترسيخ التصورات الإيمانية الصحيحة في نفوس الناس، ومواجهة الأفكار المادية والتيارات الغربية الوافدة، فجددوا للأمة أمر دينها، ومن هؤلاء المجددين الشيخ إبراهيم بيوض الذي سلك مسلك التجديد في عرض علم العقيدة ساعيا إلى رد فاعلية العقيدة الصحيحة وأبعادها الإيمانية والعملية في نفوس المؤمنين، ومن سمات التجديد في فكره العقدي نذكر سمتين بارزتين هما:

- السمة الأولى الشمولية : تأكيده على شمولية دين الإسلام لكل جوانب حياة الإنسان، خلافا للمسيحية التي تدعي أن الدين علاقة بين العبد وربّه فقط، ولا علاقة له بشؤون الحياة المختلفة، يقول الشيخ بيوض في تفسيره للآية 36 من سورة الأحزاب: " فلا يوجد في الإسلام إذن شيء لقيصر، وشيء لله، فالإسلام يدخل في كلّ جزئية من جزئيات

(1) - باباوا عمر خضير : علم الكلام الإسلامي رؤية تجديدية، مجلة إسهامات للبحوث والدراسات، كلية العلوم

الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، المجلد 3، العدد 01 2018، ص 252-267

حياتنا، في أنفسنا، في بيوتنا، في متاجرنا، في مصانعنا، في مزارعنا في كل جهة توجهنا إليها، في كل ميدان خضناه، فالرسول ﷺ يقول: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وحدّ حدودا فلا تعتدوها." وهذه الفرائض، وهذه المحرمات، وهذه الحدود دخلت في جميع الميادين" (1)

فالإيمان قول وعمل، فلا ينحصر على مستوى التصديق القلبي فحسب بل يشمل جميع الأعمال بمختلف مراتبها فيقرر الشيخ في تفسيره للآية 19 من سورة لقمان أن "الإسلام يعني بكل شأن من شؤون حياة الإنسان في العلاقة التي بينه وبين الله، والعلاقة التي بينه وبين الناس لأنه يريد من عبده المؤمن أن يكون كاملا كاملا تتحمله طبيعة البشر، صحيح العقيدة، صالح العمل، عف اللسان، معتدل السلوك، وهذا ما يليق بالمؤمن العارف بالله... بهذا كانت الشريعة الإسلامية أكمل الشرائع إذ لم تترك ميادنا من ميادين الحياة إلا وطرقته ولا طريقة يمكن أن يضطر إليها الإنسان إلا ونظمتها وبينت طرق السير فيها وهذا من عجيب أمر الله في كتابه ومن عجيب حكمته." (2)

وقد جسد الشيخ بيوض هذه الشمولية للدين في مشروعه الإصلاحي الذي شمل مختلف جوانب حياة المسلم المعاصر التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما استهدف مشروعه الهضوي جميع فئات المجتمع وطبقاته.

3- السمة الثانية التزامه بالواقعية

فنعني بالواقعية هو ما كان للفكر العقدي عند الشيخ بيوض في مضامينه ومناهجه وأساليبه من ارتباط بالواقع الإنساني والكوني ومدى معالجته للمشاكل المستجدة والنوازل الطارئة في حياة المسلمين فكريا وسلوكيا. يقول الدكتور حمو الشهباني عن واقعية الشيخ بيوض: "كانت الواقعية حاضرة في مواقفه ودروسه وظفها لإيصال فكرته ونجاح حركته ولتحقيق التغيير المنشود ذلك لأن فقه الواقع أسلوب أساسي في التغيير فكان الشيخ خبيرا

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الأحزاب، ج 12/327. رواه الحاكم: المستدرک على الصحيحين، رقم الحديث 7114، ج 4/129

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة لقمان، ج 11/404

بواقعه الذي هو ميدان إصلاحه⁽¹⁾

ومن نماذج ذلك معالجته في دروسه التفسيرية لصور الفساد في التصورات كالولاء للغرب، والتنصير والتبشير بالمسيحية والرد على شبهات الملحدين، والتعلق بالقبور، والتواكل، والركون إلى الكسل والاستسلام والاعتذار بالأقدار، وغيرها من مشكلات عقدية كانت لها أولوية في المعالجة والإصلاح بيد أن كثيرا من الدعاة انشغلوا عنها فألهمهم الاختلافات الفرعية الداخلية يقول أحد الباحثين: "وللأسف أن كثيرا من جهودنا نهدرها في أمور ليست ذات أهمية بل لعل الصواب فيها مع مخالفتنا ونترك الأمور البالغة الأهمية زعما منا أنها غير موجودة"⁽²⁾

المبحث الثاني

الشيخ بيوض ومواجهته للظواهر الثلاث الإلحاد والتنصير والاستشراق من خلال درس التفسير.

تمهيد

إن الخاصية الدفاعية هي من غايات علم الكلام الإسلامي كما يوضح ذلك الإيجي في تعريفه لهذا العلم بأنه: "علمٌ بأمور يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"⁽³⁾

وهذه الخاصية الدفاعية اقتضت أن يكون الفكر العقدي حريصا على متابعة كل ما يفرزه الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي مما فيه انحراف عن أصول الاعتقاد الصحيح فيدافع عنها سواء صدر هذا الانحراف من مصادر أجنبية خارجية، أو كان من داخل المجتمع

(1) - حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، دار الخلدونية، القبة القديمة، الجزائر، ط1، 1432هـ/2011م، ص156.

(2) - حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، ص158. نقلا عن حسن فرحان المالكي: قراءة في كتب العقائد المذهب الحنبلي نموذجا ص17.

(3) الإيجي: المواقف، ص7، الثميني: معالم الدين، ج1/ص17.

الإسلامي. وهذا ما جعله فكرا متصفا بالواقعية.

ومن القضايا العقدية المعاصرة التي واجهها الشيخ بيوض في درسه التفسيري الإلحاد والتنصير والاستشراق، وهذا ما سآبينه في هذا المبحث.

المطلب الأول: الشيخ بيوض ومواجهته لظاهرة الإلحاد

1- مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحا

الإلحاد في اللغة هو الميل عن القصد، ولحد إليه بلسانه مال، وقال الأزهري في قول القرآن ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل ١٠٣] وقال الفراء: قرأ يلحدون، من قرأ يلحدون أراد يميلون إليه، ويلحدون يعترضون، وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء. وقال ابن فارس: اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل: إذا مال عن طريقة الحق والإيمان.⁽¹⁾

الإلحاد اصطلاحا هو اتجاه فكري وتيار من التيارات المادية المعادية لعقيدة التوحيد ينفي الله ووجوده في الكون، كما يطلق مفهوم الإلحاد في الاصطلاح على الميل عن الحق. قال الراغب: "ألحد فلان مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهن عراه ولا يبطله"⁽²⁾

2- مواجهة الشيخ بيوض لظاهرة الإلحاد

انتشرت موجة الإلحاد في عهد الشيخ بيوض وتأثر بها بعض الشباب ولا سيما فئة الطلبة الجامعيين تقليدا لبعض أساتذتهم فيما ذهبوا إليه من آراء مادية وفلسفية فنقلوا عنهم شبههم الإلحادية من إنكار لوجود الله تعالى واستهزاء وسخرية بالدين الإسلامي وشريعته وتعاليمه السمحة.

ولم يأل الشيخ بيوض جهدا في التصدي لهذه العلل والأمراض العقدية الإلحادية

(1) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، ج 5/236.

(2) حسن عنقوري: الدين وخلفية الإلحاد ضمن دراسات نقدية للفكر الإلحادي 2، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2024م، ص 48. إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، دت، ج 6/24

الخطيرة الوافدة على البيئة المسلمة المحافظة، فحرص على توجيه الطلبة والشباب في كل مناسبة أو درس تفسيري ويحثهم على حصانة نفوسهم بالإيمان القوي وعقولهم بالعلم النافع محذرا إياهم من التأثير بهذه الشبهات " فحصنوا أنفسهم من الشبه التي تمر عليكم بدعوى البحث العلمي وهو في الواقع بحث عن أي سبب لتبرير الفجور والفسوق وهدم هذا الصرح الذي لا ينهدم ولو عملت فيه معاول الدنيا كلها " (1)

فقد بين الشيخ السبب المباشر في إلحاد بعض الشباب ويتمثل في تبرير فجورهم وفسوفهم بالإلحاد، فيكون إنكارهم لوجود الله تعالى وبالتالي تشريعاته هو إسقاط للتكاليف المفروضة عليهم.

ومن تمام الوقاية من موجة الإلحاد حذر الشيخ بيوض من مجالسة هؤلاء الطلبة المنحرفين عقديا بعدوى الإلحاد تحصينا لغيرهم من المؤمنين الموقنين ، وبين هذه المعاني الإيمانية في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٦٨] فلما كان المشركون يخوضون في آيات الله ما وجدوا لذلك سبيلا بين مكذب، وساخر، ومبطل فأمر الله تعالى نبيه بالإعراض عنهم متى وجدهم كذلك، حتى ينتقلوا إلى موضوع آخر.

ثم ينزل الشيخ بيوض معاني هذه الآية الكريمة في درسه التفسيري على تحريم مجالسة هؤلاء الشباب والطلبة المنحرفين قائلا: " ولنا في هذا عبرة ولشبابنا بالخصوص فإذا جلس أحدٌ إلى طلبة تلقوا تعليمهم عن أساتذة كفره ملاحدة ممن يدعي المسيحية أو من الشيوعيين الذين تظاهروا بإلحادهم - وما أكثر ما يقع من مثل هذا الخوض - فليتذكر هذه الآية، وحرام عليه أن يشاركهم في خوضهم إلا أن يكون مدافعا ليرد شبههم - إن كانت له قوة - أما أن يسترسل معهم ويسمع لأحاديثهم وكأنه يستحسنها أو لا يستطيع التصريح بالإنكار فحرام عليه الجلوس والآية في غاية الصراحة والوضوح" (2)

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الأحزاب، ج 12/ 642

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الحج، ج 4/ 529

ومن الإجراءات التي ركز عليها الشيخ بيوض في دروسه في مواجهة الإلحاد ما يأتي⁽¹⁾:

- اعتبر الشيخ بيوض أن الإلحاد المنتشر في عصره هو صورة من صور شرك الجحود التي تشكل خطرا على عقيدة الإنسان، فبذل الجهد في بيان تهافتها ودحض شبهاتها بالدليل الساطع حيث يؤكد في تفسيره للآية من سورة الزمر: "ولنعلم أن أخطر ما يخاف على الإنسان اليوم الشرك إما شرك الجحود وهو إنكار الألوهية والوحدانية كما يدعو إلى ذلك الملاحدة والشيوعيون، وإما شرك الإشراك الذي هو الشرك الخفي -وهو في الحقيقة ظاهر - وهو التقرب لغير الله، ورفع الدعوات إلى غير الله، كل ذلك شرك وهو أخطر ما يخاف على الإنسان" (2)

- بين للطلبة أن الفلسفة بحر عميق لا يصلح أن يخوض فيه من لم تصح عقيدته ويرسخ في علم أصول الدين ويكون عنده القدرة على الدفاع على شبهات الملحدين، وإذا اضطرب الطالب إلى تعلم الفلسفة أن يأخذها من فلاسفة مسلمين. وأرجع الشيخ سبب ضلال فلاسفة اليونانيين ومن تبعهم هو إخضاعهم الله سبحانه للبحث في كينونته وحقيقته كأنه شيء من الأشياء مع أن الله وصف ذاته سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى ١١]

- أعلن الشيخ بيوض وهو شيخ العزابة وإمام المسجد البراءة علانية في المسجد بالقرارة من بعض طلبته الذين ألحدوا للأسف الشديد وانهمروا ببريق الفلسفة المادية التي تشربوها من أساتذهم في الجامعة خارج الوطن كالعراق والسويد وبعض بلاد أوروبا بعد أن أصروا ولم يتوبوا، وفرحوا بما عندهم من العلم، وتحسر الشيخ بيوض أنهم كانوا تلامذة يحفظون القرآن الكريم ويرابطون في مجالس العلم بين يديه فانتهى بهم المطاف إلى منكرين للخالق والبعث وسائر المقدسات الدينية.

- بيان حقيقة العلم النافع الذي له أثر حسن في السلوك، وأن طلب العلوم يكون

(1) - إدريس الواهج وبقي لطرش آراء الشيخ بيوض في مسألة الإلحاد ملخص شريط سمعي لدرس في تاريخ 17 يناير 1973م، وو 19 يناير 1973م. ضمن كتاب مطارحات في قضايا الشك والإيمان، طيف للطباعة والفن، ط1، 1442هـ/2020م، ص 155-164.

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الزمر، ج 15/302

حسب الأولويات والأولوية لما يقربك إلى الله ويزيدك أخلاقاً. وحذر الطلبة من الانهيار بالعلم المادي وإثارته على شرع الله وما في كتابه العزيز وسنة رسوله ص يقول: " وإذا جيء لهم بكتب ونشريات ومجلات تذكر دساتير بعض الأمم الملحدة وقوانينها تنشر لذلـك نفوسهم وتستبشر ويقولون " هذا هو العلم ""(1)

- إذا كان عدم رسوخ العقيدة الصحيحة في نفوس الشباب هو أهم سبب في الإصابة بالإلحاد فقد انتقد الشيخ بيوض طريقة تلقين العقيدة دون فهم وتلقمها عن تقليد دون وعي واقتناع فإنه يسهل على التيارات الغربية والمادية التلاعب بها واجتثاثها لذا وجب علاج الأمر بالدعوة إلى " الإيمان وتقريره في القلوب من جديد وتحصين القلوب من أن يتطرق إليها شك يتحول بعد ذلك إلى إلحاد صريح"(2)

- دعا الشيخ إلى التفكير في الخلق لا في الخالق ولا في ذاته العلية لأن التفكير مدعاة للشك والإنكار ويجب تحصين الطلبة ولا سيما طلبة الفلسفة لئلا يصابوا بهذه العلل " فمن هذه الثغرة نخشى أن يخرج الدين ويدخل الضلال "(3)

- الاعتراف بمحدودية العقل البشري وإثبات عجزه عن إدراك القضايا الغيبية وما وراء الطبيعة، فولج العقل في عالم الغيبيات إقحام له خارج نطاقه، ولا ينتج عنه إلا حيرة وإنكار(4).

- ضرورة رجوع الطالب إلى العلماء الراسخين الذين لهم باع في الفلسفة في معرفة المسائل لا إلى ملحد يبت سموله وأفكاره في ثنايا تعليمه إياه.

- أوصى الطلبة بقراءة كتاب مصطفى محمود - الذي كان ملحدا- الموسوم بـ " رحلتي

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الزمر، ج 15/ 417

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة لقمان، ج 11/ 177. حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، ص 234

(3) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة كهف ج 2/ 424. حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، ص 234

(4) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الحج، ج 4/ 529. حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، ص 235

من الشك إلى الإيمان"

- تأكيد الشيخ على التعامل بحزم مع المرتدين المروجين للإلحادهم، وعلى المجتمع أن يتحمل مسؤوليته في البراءة منهم وما ينجّر عن ذلك من أحكام الزواج والطلاق.
- تحميل أولياء الأمور مسؤولية تربية الأولاد وتوجيههم نحو مرضاة الله،
- القيام بواجب الدعوة والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دون إكراه أو سيطرة أو إهلاك للنفس

- وجوب التحري عند إرسال البعثات العلمية عن مواطن طلب العلم التي يرسل إليها الطلبة ولا يخشى عليهم ، وقد اعترف الشيخ نفسه بالتقصير لما نصحه أحد الناصحين بأنك أرسلت الطلبة إلى معاهد التضليل، ويبقى التركيز على ترسيخ أصول الإيمان هو صمام الأمان. ومن ثمار هذه الدروس العقدية التي قدمها الشيخ بيوض في مواجهة الإلحاد والملحدين ودحض شبهاتهم عاد بعض الشباب الملحدين إلى الاستقامة وأعلنوا توبتهم بين يدي الشيخ بيوض ففرح الشيخ بهذه العودة الحميدة إلى الإسلام وجماعة المسلمين⁽¹⁾

المطلب الثاني

الشيخ بيوض ومواجهته لظاهرتي الاستشراق والتنصير

من أهم جهات الدعوة التي اهتم بها الشيخ بيوض مواجهته للقوى المعادية للإسلام وكشف أستارها وقد تصدى للأفكار والتيارات المناوئة التي كانت في عصره ومنها الاستشراق والتنصير للذان كانا شديدي الصلة والارتباط بالاستعمار، والميدان الذي يعمل فيه أعداء الإسلام للنيل منه هو فسيح يشمل العقائد والشرائع والمجتمع والأخلاق ونظام الحكم

أولا- تعريف الاستشراق "orientafism"

الاستشراق في اللغة مأخوذ من شرق ، شرقت الشمس تشرق شرقا وشرقا، طلعت، وأضاءت، واسم الموضع المشرق⁽²⁾، ومفهوم الشرق يعني المنطقة التي اعتنقت الإسلام،

(1) - حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وأثاره في الإصلاح، ص 235

(2) - ابن منظور : لسان العرب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008، مج 4/ ص 120

واصطبغت بالثقافة الإسلامية فهو تعبير ثقافي حضاري وليس مفهوما جغرافيا .

أما الاستشراق اصطلاحا: فهو " حركة فكرية واسعة النطاق قامت بين علماء الغرب بقصد دراسة الحضارة العربية الإسلامية في شتى جوانبها ومختلف مناحيها ،وتعدد مشاربها وأنواع عاداتها وتقاليدها ومجمل آدابها ولغاتها وفنونها وأديانها، وعلى الجملة دراسة علوم الشرق وما أنتجه العقل العربي الإسلامي دراسة معمقة غطت مجالات إبداعه الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي " (1) .

ويرى إدوار سعيد أن الاستشراق مبحث أكاديمي، والمستشرق كلّ من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء بحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع ، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة، أو الخاصة. والاستشراق إذن وصفٌ لهذا العمل. (2)

لكن إدوار سعيد يخرج من قيد هذا التعريف للاستشراق المتصل بالتقاليد الأكاديمية إلى معنى ثانٍ للاستشراق أعم وأشمل وهو أن " الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى " الشرق" وبين ما يسمى في معظم الأحيان " الغرب" . وقد مارس هذا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب عدد من الكتاب في كتاباتهم منهم : شعراء، و روائيون، وفلاسفة، وأصحاب نظريات سياسية، واقتصاديون، وإمبريالليون. أمثال : فكتور هوجو، ودانتي، وكارل ماركس وغيرهم .. (3)

ثم توصل إدوار سعيد في تحليله ومناقشته للفكر الاستشراقي إلى معنى ثالث للاستشراق وهو معنى يستند في تعريفه إلى عناصر تاريخية ومادية أكثر مما يستند إليه المعنيان الآخريان باعتبار الاستشراق مؤسسة جماعية للتعامل مع الشرق أي التحدث عنه،

(1) - محمد عبد الرحيم الزيني ، الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط1، 1430هـ/2010م، ص19.

(2) - إدوار سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص44.

(3) - إدوار سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص45.

واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريبه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار فالاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه.⁽¹⁾

فالاستشراق في نظر إدوار سعيد وسيلة وظفها المستشرقون لإظهار المشرق في صورة سلبية قاتمة، وإظهار الغرب في صورة إيجابية مشرقة قصد تبرير هيمنة الغرب على الشرق.⁽²⁾

ومفاد القول إن الاستشراق تيار فكري تناول باحثوه دراسة الشرق وحضاراته ولغاته وعقائده بصورة عامة، والتركيز على دراسة العلوم الإسلامية باعتبارها أساساً لهذه الحضارة، ودراسة جميع فروع العلم: من عقيدة وفقه وتفسير وحديث، وأدب، وطب وسائر العلوم العقلية والنقلية وهذه الدراسة الشاملة لحضارة الشرق لدوافع وأهداف متعددة سيأتي بيانها لاحقاً.

ثانيا- دوافع الاستشراق وأهدافه

أ- دوافع الاستشراق

إن الذي دفع الباحثون الغربيون لدراسة حضارة الشرق وعلومه جملة دوافع أهمها⁽³⁾:

1- الدافع الديني، هو أول دافع للاستشراق عند الغربيين فقد كان للربحان سبق في دراسة الشرق وحضارته إلى وقتنا الحاضر، وأمعنوا في الطعن في أصول الإسلام وتشريعاته

(1) - إدوار سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص45-46.

(2) - كمال كشاط، الإسلام والاستشراق من خلال " قضية ونقيضها " و " شهادات منصفة " ط2، د.ت.

(3) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص20-25. محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق والتنصير، ص74

وتشويهه محاسنه حتى لا ينتشر في أوساط الجماهير الخاضعة لسلطتهم الدينية ولا تعتنقه باعتباره الدين الجديد والوحيد المنافس للمسيحية، وبذلوا وسعهم في تسويق الصورة السلبية للمسلمين بأنهم قوم هُمج وسفاكو الدماء مستغلين الأجواء النفسية التي تركتها الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية والفتوحات العثمانية في أوروبا من خوف في نفوس الغربيين من انتشار الإسلام.

كما أن هؤلاء الباحثين الغربيين لم ينسوا التبشير بدينهم قبل كل شيء لكونهم هم رهبان ورجال دين فسعوا إلى التشكيك في كل ما يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة وعلم وتراث لزرع الوهن في نفوس المسلمين.

فكل باحث في مراحل تاريخ الاستشراق يتأكد ولا يدع مجالا للشك بأن الدافع الديني كان أبرز دافع من وراء نشأة حركة الاستشراق واستمرارها ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا ولم يستطع التخلص منه نهائيا.

2- الدافع الاستعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بانهزام ساحق للصليبيين أمام جيوش المسلمين وهي حروب ظاهرها دينية وفي حقيقتها استعمارية، لم يهنا للصليبيين لهم بال من العودة لاحتلال البلاد العربية والإسلامية، فاتهموا إلى دراسة الإنتاج الثقافي والحضاري في كل جوانبه ليتعرفوا على نقاط قوة فيه للتشكيك فيها وتقويضها واكتشاف مواطن الضعف لينفذوا من خلالها ويستغلونها مدخلا للطعن، وبعد الاستيلاء العسكري سعوا إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ونشر الوهن والتشكيك في القيم والعقائد وزعزعة الثقة بالنفوس لتكون مهيئة للارتقاء في أحضان النموذج الغربي والخضوع لمعايير الأخلاقية ونظامه الثقافي.

3- الدافع التجاري

ذكر جرجي زيدان في حديثه عن دوافع الاستشراق الدافع التجاري فقال " إن اهتمام الإفرنج في الدور الأول إنما كان الغرض منه نقل العلوم الطبيعية وغيرها والاستفادة منها في أول نهضتهم كما فعلنا نحن في أوائل القرن الماضي، أما اشتغالهم بدراس آداب اللغة العربية

نفسها فله أسباب دينية وتجارية"⁽¹⁾

كما ورد في الموسوعة الميسرة أن المؤسسات والشركات الكبرى والملوك يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها ، وقد ذلك جليا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين⁽²⁾.
ويؤكد مصطفى السباعي على سعي الغربيين بكل نشاط ورغبة في التعامل مع المسلمين لترويج بضائعهم واقتناء ما في البلاد العربية والإسلامية من ثروات واستغلال الموارد الطبيعية التي تزخر بها بأبخس الأثمان⁽³⁾.

4- الدافع السياسي

إن مقولة لويس التاسع ملك فرنسا - السابقة الذكر - بأنّ التغلب على المسلمين لا يكون بقوة الجيوش، وإنما بدراسة تراثهم ومناهجهم وإعلان الحرب الفكرية والصراع العقدي ونزع الثقة من نفوسهم وتراثهم هو المنهج الذي لا يزال المسلك المتبع لدى المستشرقين في تعاملهم من أجل السيطرة على الشرق وبلاد الإسلام، كما يسعون إلى تقسيم العالم الإسلامي وإزالة وحدته، كما وظفت بعض الحكومات الاستعمارية كألمانيا وهولندا وانجلترا وفرنسا بعض علماء الاستشراق لأغراضهم وتوظيفهم في السلك الدبلوماسي ومنحهم الرتب والمزايا والألقاب. ومن أهم هؤلاء العلماء سلفستر دساي 1838-1758م الذي يعد من كبار المستشرقين فقد عمل مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية وقدم لهم حلولاً لتذليل العقبات التي تقابلهم لبيسط سيطرتهم على مستعمراتهم في شمال إفريقيا⁽⁴⁾.

(1) - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 4/ ص 135

(2) - الموسوعة الميسرة، ص 37. محمد عبد الرحيم الزيني، مرجع سابق، ص 75

(3) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص 23.

(4) - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة مصر، ط 2، 1409هـ/1989م، ص 55. محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق والتنصير 68-69

يذكر مصطفى السباعي⁽¹⁾ أن الدافع السياسي تجلّى في العصر الحاضر بعد استقلال الدول العربية حيث يوجد في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول العربية ملحق ثقافي أو سكرتير يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة ليتعرف على أفكارهم ويبحث فيهم الاتجاهات السياسية التي تريدها دولته وكان لهذا السلوك أثره الخطير في بث التفرقة والدسائس بين الدول العربية.

5- الدافع العلمي

هناك فئة من المستشرقين أقبلت على دراسة تراث الحضارة الإسلامية بدافع الاستفادة العلمية ورغبة حب الاطلاع من تجارب الآخرين فكانت دراساتهم أقل خطأ في فهم الإسلام لأنهم لم يكن غرضهم التحريف والمكر، فكانت أقرب إلى المنهج العلمي⁽²⁾، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام واعتنق مبادئه كما فعل المستشرق الفرنسي إتيان ديينه الذي عاش في الجزائر بمدينة بوسعادة فاقتنع بمبادئ الإسلام وأعلن إسلامه.

ثانيا- أهداف الاستشراق:

ما الذي يدعو الباحث الغربي لببذل كل هذا الجهد والوقت والمال لدراسة تراث غريب عنه وعالم بعيد ومختلف عنه ؟ فلا بد أن تكون وراء مؤسسة الاستشراق أهداف معينة نلخصها فيما يأتي⁽³⁾:

1- أهداف دينية

إن الهدف الديني يصنف في مقدمة أهداف المستشرقين وذا أولوية مهمة، وقد بين

(1) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص23-24.

(2) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص24.

(3) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص24.

الدكتور زقزوق⁽¹⁾ أن الهدف الديني للاستشراق يسير في اتجاهات ثلاثة :

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من اليهودية والمسيحية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه.
- حماية النصارى من خطر الإسلام بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من الاستسلام لهذا الدين
- التبشير وتنصير المسلمين.

فقد سعى المستشرقون من خلال بحوثهم إلى محاولة الوصول إلى تحقيق ما يأتي:

أ. إنكارهم نبوة النبي ص والتشكيك في صحة رسالته ومصدرها الإلهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من قبل الله تعالى ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ص فمن المستشرقين من يُرجعها إلى صرع كان ينتاب النبي ص ومنهم من يراها تخيلات تملأ ذهن النبي ص أو مرض نفسي

ب. إنكارهم كون القرآن كتابا منزلا من عند الله

ج. إنكارهم الإسلام أن يكون دينا من عند الله بل هو ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية

د. التشكيك في صحة الحديث الشريف

هـ. التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي وبقدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي

2- أهداف علمية

إن الرغبة في البحث العلمي والاطلاع على التراث العربي الإسلامي والاستفادة من كنوزه كانت هدفا لبعض الباحثين الغربيين، فيذكر الدكتور زقزوق أن الأهداف العلمية كانت مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك رسالة الإسلام قريبة من الرسائل السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله

(1) - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص88.

وكتبه ورسله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح⁽¹⁾.

كما التزم بعض المستشرقين بتحليلات علمية موضوعية ومنصفة في مجملها عن الحضارة الإسلامية وتراثها ومنهم الباحثة الألمانية المستترقة زيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب"⁽²⁾ الذي بينت فيه أخلاقيات الإسلام وتشريعاته العادلة ودعوته إلى إرساء العلوم واستفادة الغرب من ذلك.

3- أهداف تجارية

يذكر الدكتور زقزوق هذا الهدف في قوله " كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعاتهم التي كانت في طريقها للازدهار"⁽³⁾ لكنه يستدرك فيقول إن هذه الطائفة من المستشرقين كانت قليلة⁽⁴⁾.

4- أهداف سياسية

ظهرت هذه الأهداف جلية لاسيما في القرنين 18 و 19 م مع اتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، وسعي هذه الدول الغربية أن تعلم موظفيها في البلاد العربية والإسلامية المستعمرة لغات تلك البلاد وآدابها وتراثها ودينها ولهجاتها وتقاليدها وعاداتها ليسهل سياستها والتحكم فيها⁽⁵⁾.

ثانيا- تعريف التنصير والتبشير:

التنصير هو عملية تحويل المسلمين إلى الديانة المسيحية .

(1) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص24.

(2) - زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فؤاد حسنين علي، كله.

(3) - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص89.

(4) - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص89.

(5) - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص90.

وأما كلمة التبشير فهي موجهة إلى الأقوام الوثنية التي لا دين سماوي لديها. وقد صحبت هذه العملية موجة الاستعمار التي اكتست العالم الأفرو آسيوي خلال القرن 19 م.

رابعاً - مواجهة الشيخ بيوض للاستشراق والتنصير:

واجه الشيخ هذين التيارين المعادين للإسلام وتحت ظل الاستعمار بترسيخ فكرة عدم الولاء للغربيين والانهار اللامحدود بإنجازاتهم التزاماً بمنهج القرآن في التبرؤ من أعداء الإسلام وعدم الولاء لهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة الممتحنة:1]

ويعالج الشيخ بيوض هذه فكرة الانهار والافتتان بالغرب ببيان معنى صفة العزة الإلهية في تفسيره قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات ١٨٠] فقد نزه الله ذاته العلية من صفات النقص وما ينسب إليه المشركون، والعزة هي القوة والغلبة والقهر، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون:٨] فمالك العزة هو الله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران ٢٦] وهذه إشارة إلى أن من طلب العزة فليطلبها من العزيز [الجبار]، رب العزة، مالك العزة، ولم يرد لفظ الرب في القرآن مضافاً إلى صفة من الصفات الذاتية إلا للعزة، ذلك لأن الناس يطلبون العزة من بعضهم كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء ١٣٩] يقول الشيخ بيوض: "وبخ الله تعالى المنافقين وضعفاء الإيمان من المؤمنين الذين يتزلفون إلى اليهود والنصارى وإلى المشركين وقد رأوهم ذا نفوذ وسلطان، ويقولون إنما نتزلف إليهم، ونوطد علاقتنا بهم لأننا نخشى بهم دائرة، وهذه حجة الأذلاء في كل زمان ومكان... فالعزة لله جميعاً، وإذا طلبت العزة فاطلبها من الله بطاعته ونصره، حقق له الجندية يحقق لك العزة، والمؤمنون كما وصفهم الله ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة ٥٤] لا يتذللون لأصحاب الدنيا لديناهم ولا لأصحاب

العزة الموهومة، ولذلك قال رب العزة ولم يقل: رب القدرة أو الرحمة".⁽¹⁾

• ومن الأساليب التي انتهجها الشيخ بيوض في مواجهة التنصير إيراده في درسه التفسيري لبعض القصص من الواقع المعيش لأناس غربيين مسيحيين نشأوا من سلالة مسيحية ثم أعلنوا إسلامهم بعد اقتناعهم بتعاليمه السمحة، قصد توعية المسلمين بأصالة الإسلام وقوة تشريعاته، ومن هؤلاء الذين أسلموا قصة طويلة لفتاة مستنيرة من بنات الجامعات وابنة أحد القساوسة الكبار بدولة نيجيريا، وكان والد الفتاة القس يلحق ابنته عقيدة المسيحية على المذهب الأرثوذكسي، ولم تقتنع الفتاة بها فتحوّلت إلى المذهب البروتستانتي فوجدت بعض الإصلاحات فيها، بيد أن عقيدة التثليث لم تستسغها، وخرجت من المذاهب المسيحية كلها إلى أن وجدت ضالتها في الإسلام فاطلعت على تعاليمه ونظرت في أصوله وتشريعاته بتعمق وتفكر فاعتنقته على علم لا عن تقليد.

ويذكر الشيخ بيوض عقب إيراده لهذه القصة الطويلة في درسه التفسيري لخاتمة سورة الصافات أن من أسباب تحول الناس في العالم وخاصة في إفريقيا يرجع إلى إحساس الناس بالظلم وبمهانة الكفرة المستعمرين الذين تمالؤوا مع المبشرين يمهّد بعضهم لبعض السبيل، إذ المبشرون يقومون بحملات تنصيرية تحت حماية دولهم وأموالهم، بالرغم من ادعائهم الفصل بين الدين والدولة... فبقدر ما يزداد ظلم المتحكمين من الشرقيين أو الغربيين على الدول المتخلفة وعلى الأجناس الملونة بقدر ما يزدادون دخولا في الإسلام..⁽²⁾

• ومن الأساليب التي وظفها الشيخ بيوض لمواجهة الاستشراق والتنصير هو الحوار مع المستشرقين والآباء المبشرين، وإقناعهم بالأصول الدينية ومن هؤلاء الباحث الفرنسي المستشرق المبشر الأب بيار كوبرلي من مدرسة الآباء البيض بغرداية الذي حرر رسالة في تاريخ 17 جانفي 1973م البيض بغرداية رسالة تهنئة بعيد الأضحى المبارك ثم اغتنم الفرصة وسأله في مسائل في علم الكلام الإباضي خاصة منها:

• مسألة الولاية والبراءة والولاية خاصة ما هي الجوانب التي تبدو لكم أساسية في

(1) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الصافات، ج14/ 603-604.

(2) - إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الصافات، ج14/ 611-615.

الولاية ؟ وهل كانت الولاية متركزة على ضرورة تماسك المجتمع الإباضي، أي لأسباب سوسيولوجية أم متركزة على أسبا دينية مثلا : الفطرة، الإيمان بالله، الانتماء إل المذهب؟ هل تطورت فكرة الولاية في الوقت الحديث؟

- صفات الله، هل كانت صفات الله زائدة على الذات الإلهية أم هي الذات نفسها؟
- مسألة العدل، اتفق علماء المذهب على أن الإنسان حر إلا أن بعض العلماء مثل الشيخ عامر من نفوسة يرى أن الإنسان جُبل ليفعل أعماله بينما يرى آخرون مثل عمرو التلاتي أن للإنسان الاختيار والكسب، فما هو الأرجح في رأيكم؟
- طالعت عند أحد المستشرقين أن اقتضاء الطهارة والكف من الذنوب والوعي بوجود الله وبما يقتضيه هذا الوعي قد بلغ أقصى الحد في المذهب الإباضي المؤمن الذي عمل الصالحات طيلة حياته إذا ارتكب كبيرة ولم يتب منها قبل موته يدخل النار، ولم ينفعه الخير الذي فعله في حياته، هل ذلك صحيح؟ وإذا صح ذلك فما المقتضيات التي يتضمنه هذا المبدأ؟

- وقد أجاب الشيخ بيوض بمنهج علمي رصين عن أسئلة الأب كوبرلي في شريط سمعي نقله في كتاب لا يزال مخطوطا الشيخ حمو بن عمر فخار يقع في سبع وخمسين صفحة⁽¹⁾.

خاتمة

في نهاية هذه الدراسة يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- اجتهد الشيخ بيوض في درسه التفسيري، وكان مبدعا في عرضه وتقديمه من على منبر المسجد وسط جموع من الناس مختلفي المستويات، قاصدا من درسه إصلاح المجتمع، وبناء القيم الأخلاقية وتهذيب النفوس، وتصحيح العقيدة، وتنوير العقول بالعلم النافع، ودفع الجزائريين للكدح والعمل لخير الدنيا والآخرة، وعمارة الأرض، والدفاع عن وطنهم حتى يتنصروا على أعدائهم المستعمرين وينالوا الحرية ويحققوا التمكين.

- بذل الشيخ بيوض وعلماء الإصلاح في العصر الحديث جهودا جبارة في إصلاح العقائد الفاسدة أو المشوهة المنتشرة في المجتمعات الإسلامية وترسيخ التصورات الإيمانية

(1) - إبراهيم بيوض: الأجوبة الشافية ردًا على أسئلة الأب كوبرلي، مخطوط، قام بنسخه الشيخ حمو فخار منقولا من شريط سمعي في تاريخ 12/12/1973 م.

الصحيحة في نفوس الناس، ومواجهة الأفكار المادية والتيارات الغربية الوافدة، فجددوا للأمة أمر دينها ورد فاعلية العقيدة الصحيحة وأبعادها الإيمانية والعملية في نفوس المؤمنين، ومن سمات التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ بيوض سمتين بارزتين هما الشمولية والواقعية.

• تمكن الشيخ بيوض من معالجة قضايا عقدية معاصرة في درسه التفسيري وهي الإلحاد والاستشراق والتنصير معتمدا على حجج علمية ودلائل من الواقع الاجتماعي والتاريخي وتأصيل قرآني قوي.

ومن التوصيات المستخرجة ما يأتي:

- جمع ودراسة للقضايا العقدية المعاصرة في الدرس التفسيري عند علماء النهضة الإصلاحية بالجزائر
 - دراسة منهج الشيخ ابراهيم بيوض أو دراسة التجربة البيوضية في توظيف الدرس التفسيري الشفوي من منطلقه العقدي في تحقيق مقاصد التمكين والإعمار والنهوض بالأمة
 - وضع إجراءات عملية للتصدي لظاهرة الإلحاد الجديد في العالم العربي والإسلامي
- الأسباب،
المظاهر،
الحلول.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الصافات، ج 14
- إبراهيم بيوض: الأجوبة الشافية ردًا على أسئلة الأب كوبرلي، مخطوط، قام بنسخه الشيخ حمو فخار منقولاً من شريط سمعي في تاريخ 12 / 12 / 1973 م.
- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، تفسير سورة الإسراء، تحرير عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، ط 2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1430 هـ / 2009 م
- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الأحزاب، ج 12
- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة لقمان، ج 11
- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الحج، ج 4
- إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، سورة الكهف، ج 2.

- إدريس الواهج ويحي لطرش آراء الشيخ بيوض في مسألة الإلحاد ملخص شريط سمعي لدرسين في تاريخ 17 يناير 1973م، وو 19 يناير 1973م. ضمن كتاب مطارحات في قضايا الشك والإيمان ، طيف للطباعة والفن، ط1، 1442هـ/2020م
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، بورسعيد، الجزائر، د.ت
- محمد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1396هـ/1976م،
- لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية ، من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب، عالم المعرفة، الجزائر، 2009
- يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، ط3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1435هـ/2014م،
- عمر بن سعيد دجال: ملامح التجديد عند الشيخ بيوض، ط1، منشورات ألفا، 1440هـ/2019م،
- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
- أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ الدين وإحيائه، دار الشهاب باتنة، الجزائر،
- عمرو عبيد حسنة: الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية. د.ت.
- ابن الأثير: معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول. بيروت: د.نا.
- باباوا عمر خضير : علم الكلام الإسلامي رؤية تجديدية، مجلة إسهامات للبحوث والدراسات، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، المجلد 3، العدد 01 2018،
- حمو الشهباني: الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح، دار الخلدونية، القبة القديمة، الجزائر، ط1،، 1432هـ/2011م
- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م،
- حسن عنقوري: الدين وخلفية الإلحاد ضمن دراسات نقدية للفكر الإلحادي 2، ركاز للنشر والتوزيع، الأردن، 2024م،

- إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت، ج6
- ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008، مج4
- محمد عبد الرحيم الزيني، الاستشراق والتنصير رؤية موضوعية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، ط1، 1430هـ/2010م،
- إدوار سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م،
- كمال كشاط، الإسلام والاستشراق من خلال " قضية ونقيضها " و"شهادات منصفة" ط2، د.ت.
- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة مصر، ط2، 1409هـ/1989م،

من الدّرس التّفسيّري إلى المشروع الحضاري: قراءة في فكر ابن باديس النهضوي

د. خليل الزاوي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام الجزائر: الإمام عبد الحميد بن باديس من خلال الوقوف على أبرز معالم الفكر النهضوي عنده في ضوء دروسه التفسيرية التي لم تكن مجرد دروس علمية لتفسير القرآن، بل كانت مشروعاً إصلاحياً شاملاً استثمر التفسير في ترسيخ الوعي الديني، وبناء الإنسان المسلم، وتشكيل الضمير الجمعي للأمة الجزائرية؛ فابن باديس - رحمه الله - كان صاحب مشروع حضاري، إذ اضطلع بدور هام في تلك الحقبة المظلمة من تاريخ الجزائر، وكان لأفكاره الإصلاحية النهضوية دور بارز في خلق وعي جماعي بضرورة التغيير والنهوض بالوطن على مختلف الأصعدة. وقد عالجت هذا الموضوع في جانبين: جانب نظري عرّفت فيه بمصطلحات البحث إضافة إلى ترجمة موجزة للإمام ابن باديس وتعريف مختصر بتفسيره، وجانب تطبيقي تطرقت فيه إلى أبعاد الفكر النهضوي في تفسير مجالس التذكير؛ حيث جاءت في ثلاثة محاور رئيسية: الفكر النهضوي ذو البعد الديني، الفكر النهضوي ذو البعد التربوي والعلمي، والفكر النهضوي ذو البعد الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الدّرس التّفسيّري - ابن باديس - مجالس التّذكير - الفكر-

النّهضة.

Abstract

This research aims to shed light on one of Algeria's most prominent figures: Imam Abdelhamid Ben Badis, by examining key features of his revivalist thought as reflected in his Qur'anic exegesis. His tafsir lessons were not merely academic commentaries on the Qur'an, but rather a comprehensive reform project through which he sought to

instill religious awareness, shape the Muslim individual, and form the collective conscience of the Algerian nation. Imam Ben Badis was a man of civilizational vision who played a pivotal role during a dark era in Algeria's history. His revivalist ideas significantly contributed to creating a collective awareness of the necessity for change and national advancement on multiple fronts. This study addresses the topic in two main parts: a theoretical section defining key terms and providing a brief biography of Imam Ben Badis along with an overview of his tafsir; and an applied section exploring the dimensions of his revivalist thought in Majalis al-Tadhkir, structured around three major themes: the religious dimension, the educational and scientific dimension, and the social dimension.

Keywords: Tafsir Lesson – Ibn Badis – Majalis al-Tadhkir – Thought Renaissance.

مقدمة:

الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على النبي العدنان، وعلى آله وصحبه الأئمة، أما بعد: فلطالما كانت نهضة الأمم متعلقة بأفكار ورؤى أعلامها ومفكرها، فهم صفوة المجتمع، وقدوة النشء، وبهم يُقَوَّم الخطأ ويُصْلَح الاعوجاج، وعلى أثرهم تسير الأجيال بخطى ثابتة نحو برّ الأمان، وتزيد حاجة الأمة لأعلامها حال مرورها بأيام مظلمة وليالٍ حالكة السّواد؛ من مصادرة لقرارها، واستعمار لأرضها، ونهب لثرواتها، وتعدّي على حرّمتها، وهو ما انطبق على الأمة الجزائرية في فترة من فترات تاريخها، فانبهر المفكرون بأقلامهم يشحذون الهمم ويستنهضون الأنفس، وكان على رأس هؤلاء إمام الجزائر وشيخها عبد الحميد ابن باديس، الحامل للواء التغيير، الزّارع لبذور النّهضة، المحارب للأفكار الخبيثة والمبادئ المنحرفة، المؤسس لنهضة شملت جميع نواحي الحياة. لذا سأحاول من خلال هذا المقال سبر أغوار النهضة الباديسية ومعرفة كنهها من خلال تفسيره: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" الذي جمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، فعالج من خلاله أمراض المجتمع، وزرع به العقيدة السليمة والمبادئ القويمة والأفكار المتينة.

واعتمدت في دراستي هذه على المنهج الاستقرائي من خلال استقرائي وتبعية لتفسير مجالس التذكير واستخراج المواضع محل الدراسة، والتحليلي الذي يبرز في دراسة هذه المواضع بما يتوافق وهدف البحث، وسأحاول في هذا المقال الإجابة عن التساؤلات التالية: ماذا نعني بالفكر النهضوي؟ كيف مزج الإمام ابن باديس في تفسيره بين النص القرآني والواقع؟ ماهي أبرز معالم الفكر النهضوي عند الإمام ابن باديس في ضوء تفسيره " مجالس التذكير "؟

المطلب الأول: مفهوم الفكر النهضوي

الفكر النهضوي مركب إضافي من مضاف " الفِكرُ " ومضاف إليه " النَّهْضُوي " لذا قبل ضبط مفهومه وجب التعريف بهما.

الفرع الأول: مفهوم الفكر

1- لغة: جاء في جهمرة اللغة : الفِكرُ، وَقَالُوا: الفِكرُ، وَهُوَ مَا وَقَعَ بِخَلَدِ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، الْوَاحِدَةُ فِكْرَةٌ وَفِكرٌ وَفِكرٌ. وأفكرُ يُفكرُ إفكاراً، وفكرُ تفكيراً⁽¹⁾، وجاء عند ابن منظور: الفِكرُ والفِكرُ: إعمال الخاطر في الشيء... والفِكرة: كالفِكر وقد فِكرَ في الشيء وأفكرَ فيه وتفَكَّرَ⁽²⁾، ويُجمع الفكر على أفكار⁽³⁾.

2- اصطلاحاً: عرّفه الجرجاني أنه: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول⁽⁴⁾، وقيل الفكر مقلوب عن الفرق، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها⁽⁵⁾، وهو نشاط ذهني، إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول⁽⁶⁾، إذن فالفكر نشاط عقلي يُرجى من خلاله الوصول إلى حقيقة الأمور وماهيتها.

(1) أبو بكر بن دريد الأزدي، ج2، ص786.

(2) لسان العرب، ج5، ص65.

(3) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص458.

(4) التعريفات، ص168.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ص263.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج3، ص1734.

الفرع الثاني: مفهوم النهضوي

لغة: مصطلح " النَّهْضَوِي " اسم منسوب إلى " النَّهْضَة " لدخول ياء النسبة عليه، والنهضة مصدر من الفعل الثلاثي نَهَضَ، وفي معناه اللغوي قال الجوهري: نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضًا وَنُهُوضًا، أي قام. وَأَنْهَضْتُهُ أَنَا فَانْتَهَضَ. واستَنْهَضْتُهُ لأمر كذا إذا أمرته بالهُوضِ له. وناهضتُهُ، أي قاومته⁽¹⁾، وجاء في معجم مقاييس اللغة النُّونُ وَالْهَاءُ وَالضَّادُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حَرَكَةٍ فِي غُلُوٍّ. وَنَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ قَامَ. وَمَا لَهُ نَاهِضَةٌ، أَي قَوْمٌ يَنْهَضُونَ فِي أَمْرِهِ وَيَقُومُونَ بِهِ. وَيَقُولُونَ: نَاهِضَةُ الرَّجُلِ: بَنُو أَبِيهِ الَّذِي يَغْضَبُونَ لَهُ. وَنَهَضَ النَّبْتُ: اسْتَوَى⁽²⁾.

اصطلاحاً: نَهْضَوِيّ: اسم منسوب إلى نَهْضَة: على غير قياس⁽³⁾، والنهضة في معناها الاصطلاحي: وثبة في سبيل التَّقَدُّمِ الاجتماعيِّ والفكريِّ وغيرهما⁽⁴⁾. ومنه فالنهضة هي تحوُّل من حالة إلى أخرى أفضل منها ومن وضع إلى وضع آخر أحسن منه، وهي شاملة لجميع نواحي الحياة، ونقول: نهضة علمية، نهضة اقتصادية، نهضة زراعية، نهضة علمية ...

الفرع الثالث: مفهوم المركَّب الإضافي " الفكر النهضوي "

من خلال التعاريف السابقة يتَّضح أن المراد بالمركب الإضافي " الفكر النهضوي " هو مجموع الأفكار التي تجول في خاطر الإنسان والقابلة للتنفيذ على أرض الواقع يهدف من خلالها إلى تحقيق وثبة وتقدُّم ملموس في ميدان محدّد أو عدة ميادين، ونقول: نهضة دينية، نهضة علمية، نهضة اجتماعية، نهضة اقتصادية ...

المطلب الثاني: ترجمة ابن باديس والتعريف بتفسيره

الفرع الأول: ترجمة ابن باديس

هو الإمام عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: من كبار رجال الإصلاح

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص1111.

(2) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ج5، ص364.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج3، ص2294.

(4) المرجع نفسه، ج3، ص2294.

والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدء قيامها سنة 1931⁽¹⁾، ولد بقسنطينة عام 1308هـ- 1889م، وكان الولد البكر في عائلته التي اشتهرت بالعلم وسعة نفوذها⁽²⁾.

أما عن طلبه العلم فقد كانت البداية في مسقط رأسه قسنطينة ثم هاجر بعد ذلك إلى تونس من بوابة جامع الزيتونة، وبعد أن أتمّ دراسته فيه عاد إلى الجزائر ليواصل عمله الدّعوي الإصلاحية⁽³⁾ فدرّس بالجامع الكبير، وحاك أعداؤه المكائد ضده، فرحل إلى المشرق وحج، ولقي في رحلته جماعة من العلماء⁽⁴⁾.

نشاط ابن باديس وحركته الدؤوب سببت إزعاجا كبيرا للاستعمار فخطّطت فرنسا لاحتواء نشاطه الإصلاحية التي رأت فيه خطرا محدقا بأهدافها الاستعمارية ومصدر تهديد لوجودها في الجزائر، وقد حاولت فرنسا مفاوضات في العديد من المرات من خلال إغرائه برئاسة الشؤون الدينية في الجزائر لكنه رفض ولقي في سبيل ذلك مضايقات كبيرة ومقاطعة من بعض زملائه الموظفين لدى الحكومة الفرنسية، لكن هذا لم يمنعه من مواصلة مسيرته الإصلاحية فأُسست جمعية العلماء المسلمين في عهده العديد من المدارس التعليمية⁽⁵⁾، لكن عدد هذه المدارس لم يكن كافيا فارتأى الإمام ابن باديس نشر أفكاره في مختلف ولايات الوطن من خلال إصداره مجموعة من الجرائد، في السنة 1926 أصدر جريدة "المنتقد" ولكنها لم تعمر طويلا، فقد عطلتها السلطات الاستعمارية بعد أن صدر منها 18 عددا، فأصدر بعدها مجلة "الشهاب" وقد صدر منها في حياته نحو 15 مجلدا تعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر ونهضتها الحديثة فيما بين الحربين الأولى 1914 والثانية 1939. وأصدر- فيما بعد- صحفا أخرى كـ "الشريعة" و"السنة المحمدية" و"الصراط" ولكنها أيضا لم تعمر طويلا⁽⁶⁾، من آثاره

(1) مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28.

(2) ينظر: آثار بن باديس، عمّار طالبي، ج1، ص72، ومُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28.

(3) ينظر: مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28.

(4) مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28.

(5) ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج3، ص289.

(6) مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويمض، ص28.

أيضا "مجالس التذكير" في التفسير، اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، و"العقائد الإسلامية" و"جواب سؤال عن سوء مقال" (1).

توفي - رحمه الله - بتاريخ 16 أبريل سنة 1940م لكن أفكاره لم تُمَت، فكان الأب الروحي لثورة نوفمبر المجيدة وتسلم المشعل من بعده تلاميذه الذين حملوا أمانة الوطن إلى غاية تحقيق النصر المبين للأمة بعد أن أدت ضريبة الدم والعرق في وطن المليون من الشهداء، فنجح ابن باديس أكبر نجاح في خلق جيل من الشباب المكافح، يفهم عروبه حق الفهم، ويرى العار أشنع العار في بقاء الاحتلال الفرنسي في أرض الجزائر (2).

الفرع الثاني: التعريف بتفسيره

بدأ الإمام ابن باديس إلقاء دروسه في التفسير سنة 1929 وكان درسه يمتد من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء إلى أن أتمّ تفسيره بعد خمس وعشرين سنة، فجاءت الوفود من كل الولايات إلى ولاية قسنطينة لحضور الدرس الختامي احتفاء واحتفالا بهذه المناسبة العظيمة (3)، وتفسير "مجالس التذكير" من حيث الحجم تفسير صغير لكن قيمته كبيرة؛ لأنه اختلف عن باقي التفاسير بكون صاحبه ربط فيه بين النص القرآني والواقع (4)، ويمكن أن نسمي ذلك توليد المعاني من القرآن لكي تناسب دعوته إلى النهضة والأخذ بأسباب الحياة. فتفسيره ليس لفظيا قائما على بيان اللغة والدين والأدبيات القرآنية، ولا على ما ورد في القرآن من آثار وأخبار ومواعظ، وإنما هو تفسير لهداية المسلمين المعاصرين إلى ما في القرآن من حث على العمل والنهوض والاستعداد للتقدم والحياة المثلى في الدنيا والآخرة (5)، فمنهجه كان قائما على التجديد في التفسير من خلال طرحه للقضايا المعاصرة ومعالجتها في ضوء القرآن الكريم بهدف إحداث نهضة شاملة في جميع نواحي الحياة، ومع أن الشيخ قد ختم تفسير

(1) المرجع نفسه، ص 28.

(2) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، ج 1، ص 88.

(3) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 7، ص 19، والتفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومنهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، ج 2، ص 598.

(4) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 7، ص 20.

(5) المرجع نفسه، ج 7، ص 20.

القرآن العظيم تدريسيًا، إلا أنه لم يُنشر له إلا القليل من التفسير، فقد كان يفسر في مجلة الشهاب عام 1925 على شكل افتتاحيات تحت عنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ثم أعيد نشر هذا التفسير مع إضافات من قبل محمد الصالح رمضان، وتوفيق محمد شاهين عام 1964، ثم طبع مرة أخرى سنة 1971 م بعد أن زيدت عليه شروحات وتعليقات تتعلق بحياته ونشأته وآراء بعض الباحثين فيه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الفكر النهضوي ذو البعد الديني

يعدّ البُعد الديني محورا أساسيا أقام عليه ابن باديس أفكاره النهضوية باعتباره القاعدة الصلبة والركيزة الأساسية التي ينطلق منها المجتمع في بعث نهضته وبناء حضارته، وكان من مظاهر هذه النهضة الدينية التسريع ببناء المساجد في مختلف ربوع الجزائر لزرع بذور الإصلاح الديني في نفوس الأجيال، حيث عقدت مجالس العلم والمعرفة من عقيدة ولغة وفقه وتفسير وتحفيظ للقرآن.

بعث هذه النهضة الدينية لم يرق للسلطات الفرنسية فحاربتها بشتى الوسائل المادية والمعنوية⁽²⁾، يقول ابن باديس: لقد كانت الجمعية مضطهدة من الحكومة ومعاكسة في أعمالها من أول نشأتها وكان ما تنقمة الحكومة عليها بعثها النهضة العلمية والدينية في الأمة الجزائرية بعد طول رقادها ويأس القانطين والمقنطين من يقظتها⁽³⁾.

ومن خلال استقرائي لتفسير مجالس التذكير لاحظت أن الإمام ابن باديس ركّز في نهضته الدينية على ثلاثة محاور رئيسية: إصلاح العقيدة، ونيزد التعصب، والأخذ بالأسباب، وتركيز الإمام ابن باديس على هذه المحاور الثلاثة فرضته طبيعة المرحلة التي مرّ بها الشعب الجزائري في تلك الحقبة المظلمة من تاريخه، فقد انتشرت الكثير من العقائد الفاسدة بين طائفة واسعة من أفراد المجتمع نتيجة سياسة التجهيل التي تبناها الاستعمار الفرنسي، كما سعى المستعمر بكل الطرق لبتّ الفرقة بين أوساط الشعب الجزائري من خلال تغذية الصراعات

(1) التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عباس، ج2، ص598.

(2) ينظر: آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج3، ص261-262.

(3) المرجع نفسه، ج3، ص345.

والنزاعات في شِقِّها الديني والفكري مما دفع بالإمام ابن باديس لمحاربتها من خلال نبذ الجدل والتعصب والحث على الوحدة والتآلف بين أفراد المجتمع، أما تركيزه على موضوع الأخذ بالأسباب فنابع من كون موازين القوى في تلك المرحلة كانت غير متكافئة بين آلة استعمارية مجهّزة بأحدث الوسائل و أسلحة تقليدية تملكها فئة قليلة من الناس تمكّن اليأس من بعضهم، لذا حارب الإمام ابن باديس من أجل زرع الإيمان العميق والتوكل التام في نفوس أفراد المجتمع وحثهم على الأخذ بالأسباب باعتباره بوابة كل نصر وأساس كل تمكين، وسأعرض أمثلة من تفسير مجالس التذكير على تركيز الإمام ابن باديس على هذه المحاور الثلاثة في سياق نهضته الدينية.

الفرع الأول: إصلاح العقيدة

العقيدة الصحيحة هي أساس الدين لا يقوم إلا بها، وقد كانت بداية الرسالة النبوية مرتكزة على الجانب الاعتقادي؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ولأنه لا يرجى صح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفا من لا شيء، وطمعا في غير شيء، وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه⁽¹⁾.

وقد اهتم الإمام ابن باديس بالغ الاهتمام بإصلاح هذا الجانب إيمانا منه بتأثيره العميق في مستقبل الأمة، وأن أي انحراف فيه سيمثّل عقبة كؤودا في طريق نهضة الأمة وبعث حضارتها، لكن إن رسخت العقيدة الصحيحة في نفوس أفراد الأمة أمكن بناء المجتمع الذي يلتزم في حياته شرع الله في علاقته بربه، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون والحياة⁽²⁾.

واهتمام ابن باديس بإصلاح العقيدة يظهر جليّا في العديد من المواضع في تفسيره؛ من بينها: في سياق تفسيره لقوله تعالى: {قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُكُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا} قال ابن باديس: ونأخذ من هذا: أن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج3، ص194.

(2) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، ص45.

وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق⁽¹⁾.

كما ركّز ابن باديس جهوده في محاربة الانحرافات العقائدية التي انتشرت بين طبقة واسعة من الشعب الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية، من أمثلة ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: 56]، يقول ابن باديس: انظر إلى حالتنا معشر المسلمين الجزائريين وغير الجزائريين، تجد السواد الأعظم من عامتنا غارقاً في هذا الضلال: فتراهم يدعون من يعتقدون فهم الصالح من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم من دفع الضر، وجلب النفع، وتيسير الرزق، وإعطاء النسل، وإنزال الغيث، وغير ذلك مما يسألون. ويذهبون إلى الأضرحة التي شيدت عليها القباب، أو ظلمت بها المساجد فيدعون من فيها، ويدقون قبورهم، وينذرون لهم... فأعمالهم هذه من دعائهم وتوجههم كلها عبادة لأولئك المدعويين، وإن لم يعتقدوها عبادة؛ إذ العبرة باعتبار الشرع، لا باعتبارهم. فيا حسرتنا على أنفسنا كيف لبسنا الدين لباساً مقلوباً، حتى أصبحنا في هذه الحالة السيئة من الضلال⁽²⁾.

إذن نستخلص ممّا سبق العناية الكبيرة التي أولاها الإمام ابن باديس لإصلاح العقيدة باعتبارها بوابة للنهضة الدينية، فلا يمكن النهوض بمجتمع تغلّغت العقائد الفاسدة في نفوس أفرادها، ولن يتأتّى النصر والتمكين بجند تمكّنت الأفكار المنحرفة من عقولهم وسيطرت على وجدانهم.

الفرع الثاني: نبذ التعصّب

الوحدة بين أفراد الأمة هي أساس تقدّمها ونهضتها، فكلما كانت الأمة متّحدة متراصّة في صفوفها منتظمة في جهودها ومراميها تهيأت لها أسباب الرّفعة والسّمو، وتصبح هذه الوحدة معرّضة للخطر حال ظهور الاختلاف والتنازع بين أفراد المجتمع الواحد، أمّا الخطر الأعظم هو تحوّل هذا الاختلاف إلى جدال ومنه إلى تعصّب كلٍّ لرأيه دون تنازّلٍ أو تفاوضٍ ممّا يمهد لنشوب نزاعات واحتدام صراعات تنخر جسد الأمة الواحدة وتندق مسماراً في نعش نهضتها

(1) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 150.

(2) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 119.

وازدهارها، وقد تفتن الإمام ابن باديس لهذا الخطر فحذر منه ومن عواقبه في العديد من المواضع في تفسيره؛ من بينها: في تفسيره لقوله تعالى: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} [الكهف: 56]. نقل الإمام ابن باديس حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: 58]⁽¹⁾، ثم عقب ابن باديس بقوله: المدافعة والمغالبة من فطرة الإنسان، ولهذا كان الإنسان أكثر شيء جدلاً. غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خلقه، وتقوم فطرته، فتجعل جداله بالحق عن الحق. فلنحذر من أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة، فنذهب في الجدل شر مذاهبه، وتصير الخصومة لنا خلقاً⁽²⁾.

وفي سياق تفسير قوله تعالى: "رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا" [الإسراء: 54]، قال ابن باديس: أقوى الأحوال مظنة لكلمة السوء هي حالة المناظرة والمجادلة. وأقرب ما تكون إلى ذلك إذا كان الجدل في أمر الدين والعقيدة، فما أكثر ما يضل بعض بعضاً أو يفسقه أو يكفره، فيكون ذلك سبباً لزيادة شقة الخلاف اتساعاً، وتمسك كل برأيه ونفوره من قول خصمه. دع ما يكون عن ذلك من البغض والشر⁽³⁾، فمثل هذا يشعل الشرارة الأولى في نار التفرقة والتشردم، ويفتح باباً يصعب إغلاقه أمام المستعمر المترصّد لأي ثغرة والباحث عن أي هفوة.

الفرع الثالث: الأخذ بالأسباب

من خلال تتبعي لتفسير مجالس التذكير لاحظت أن الإمام ابن باديس أولى أهمية بالغة لهذا الموضوع، بل وربط تأخر المسلمين بترك الأسباب وتقدمهم بالأخذ بها؛ من أمثلة ذلك في تفسيره قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [19] كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} [الإسراء: 19-20] قال

(1) سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، باب: ومن سورة الزخرف، ج 5، ص 378، الحديث رقم: 3253، وقال: حديث حسن صحيح.

(2) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 326.

(3) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 150.

ابن باديس: وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديما وحديثا: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علم المدنية الحقبة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم. وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دينها، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط. ولن يعود إليهم ما كان لهم إلا إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب⁽¹⁾. فالتمسك بالأسباب هو وقود كل نهضة وأساس كل حضارة، ولو تمسك المسلمون بدينهم واتخذوا الأسباب لقادوا الأمم⁽²⁾، وتركيز الإمام ابن باديس على موضوع الأخذ بالأسباب فرضته طبيعة الأوضاع التي مرت بها الأمة الجزائرية في تلك الحقبة، فالجيش الفرنسي كان من أقوى جيوش العالم لما يتمتع به من أسلحة متطورة، في مقابل ذلك أسلحة تقليدية انحصرت في يد فئة قليلة من الشعب محاصرة من شتى الاتجاهات لذا ركز ابن باديس على موضوع الأخذ بالأسباب لاستنهاض الهمم وزرع الثقة في نفوس أفراد الأمة وحثهم على اتخاذ الأسباب وعدم اليأس مهما كانت الصعوبات.

المطلب الرابع: الفكر النهضوي ذو البعد التربوي والعلمي

أولى ديننا الحنيف اهتماما بالغاً ببناء الشخصية الإسلامية، والتي من أبرز مقوماتها التربية السليمة و العلم النافع؛ إذ يعدّان ركيزتين أساسيتين في بناء الشخصية المسلمة لا يكتمل بنائها ولا يشتدّ عودها إلا بهما، كما أن المتتبع لتاريخ الأمم والشعوب يجد عناية شديدة ببناء الفرد المؤثر إيجابيا في محيطه ومجتمعه، فبناء الإنسان هو الخطوة الأولى والركيزة الأساسية التي تقوم عليها كل نهضة.

ونظرا لأهمية الجانب التربوي والجانب العلمي في صناعة تاريخ الأمة وتشديد صرح حضارتها فقد توقّف عندهما الإمام ابن باديس كثيرا في ثنايا تفسيره، يقول في تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36]: العلم الصحيح، والخلق المتين، هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال

(1) المرجع نفسه، ص 59.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 51، ص 59.

الإنسان⁽¹⁾، ويقول في سياق عرضه للقانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين: من ضمن القانون الأساسي للجمعية أن لها أن تؤسس فروعاً في البلدان، فهي مستعدة لكل بلدة ترغب أن تكون فرعاً منها لإجابة طلبها، كما أنها تدعو جميع المسلمين في كل بلدة إلى مثل تأسيسها لتربية أبناء المسلمين وبناتهم وتعليمهن وتعليمهم وأن ينهضوا لذلك نهضة حقيقية ويسعوا له سعي الجد المتواصل فإنهم لا بقاء لهم إلا بالإسلام ولا بقاء للإسلام إلا بالتربية والتعليم⁽²⁾، فالاعتناء بتربية النشء تربية صحيحة وتعليمهم علماً نافعا شرط أساسي من شروط النهضة.

الفرع الأول: البعد التربوي

قدّمت الحديث عن الجانب التربوي لأهميته البالغة؛ لأن التربية تسبق المرحلة العلمية وأي إهمال للجانب التربوي سيكون له انعكاسات سلبية على الجانب العلمي، فالتربية الصحيحة السليمة تعزّز القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة وتزرع روح المسؤولية في نفوس الأجيال الصاعدة، كما أنها شرط أساسي من شروط النهضة، أمّا عن مفهوم التربية فقد عرفها عبد الرحمان الكواكبي بقوله: التربية ملكةٌ تحصل بالتعليم والتمرين والقُدوة والاقْتباس، فأهمُّ أصولها وجود المرابين، وأهمُّ فروعها وجود الدين⁽³⁾، وهي ضالّة الأمم تسمو بترسيخها وتتأخّر بإهمالها، حيث إنها سلسلة مترابطة فيما بينها تتوارثها الأجيال أبا عن جد⁽⁴⁾، والتربية المطلوبة هي التربية المرتبة على إعداد العقل للتمييز، ثمّ على حسن التفهيم والإقناع، ثمّ على تقوية الهمة والعزيمة، ثمّ على التمرين والتعويد، ثمّ على حسن القدوة والمثال، ثمّ على المواظبة والإتقان، ثمّ على التوسّط والاعتدال⁽⁵⁾.

ونظراً للمرحلة الصعبة التي عاشها الشعب الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية من محاولة المستعمر الفرنسي استهداف المجتمع الجزائري في صميم قيمه التربوية وحرّبه

(1) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 99.

(2) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج 3، ص 270.

(3) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، ص 116.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 130.

(5) المرجع نفسه، ص 130.

الضروس على كل لبنة تبنى في سبيل نشر القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة بين أطراف المجتمع فقد تصدّى الإمام ابن باديس لهذه الحرب الفكرية من خلال ترسيخ الأخلاق الفاضلة والقيم التربوية في نفوس الأجيال، ويظهر هذا في العديد من المواضع في تفسيره مستعرضا فيها سنن القرآن الكريم في التربية، من بينها: في تفسيره لقوله تعالى: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا 68 يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا) [الفرقان: 68-69]، قال ابن باديس: إذا أمر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد في الدارين، وكذلك إذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فمهما... هذه هي سنة القرآن في التربية، وهي أنجح الطرق في جعل المأمور والمنهي، يتمثل للأمر والنهي من كل نفسه، ويعمل لتنفيذهما بعقله وإرادته. فالتربية التي تنبني على امتثال الأمر والنهي من غير المعصوم، والانقياد لهما انقياداً أعمى - مخالفة لتربية القرآن. والخير كله في اتباع القرآن، في جميع ما يُفِيده القرآن⁽¹⁾، وهذا ممّا يمكن الاستفادة منه في إعداد المناهج التربوية، فذكر الفائدة المرجوة من كلّ أمر والمضرة المترتبة عن كلّ نهى منهج قويم وفكر سديد نبّه إليه الإمام ابن باديس وهو كما أشار سنة من سنن القرآن الكريم في التربية.

كذلك من تعاليم القرآن الكريم في الجانب التربوي ما أشار إليه ابن باديس في سياق تفسيره لقوله تعالى: (وَأَبْذَرَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) [الإسراء: 26] قال ابن باديس: إن من حكمة التربية أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة النفوس الإنسانية على قبوله ببداية الفكرة أو بشعور العاطفة⁽²⁾، فالنفوس تميل لما تعرف وما يوافق فطرتها وتهاب ما تجهل ويتعارض مع طبيعتها. وفي تفسيره لقوله تعالى: قال ابن باديس: على الداعي إلى الله والمناظر في العلم، أن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإقناع الخصم بالحق وجلبه إليه؛ فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب، ولو كانت هنالك عيوب ومثالب⁽³⁾، فمن أبرز تعاليم القرآن في التربية أن الانتصار يكون للحق، وأن تكون المناقشة والمناظرة مبنية على

(1) مجالس التذكير، ابن باديس، ص222.

(2) مجالس التذكير، ابن باديس، ص79.

(3) المرجع نفسه، ص329.

نقد الأفكار دون الأشخاص.

كما لم يُغفل - رحمه الله - الحديث عن أدب التواضع، حيث يرى ابن باديس في تفسيره لقوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} {النمل: 22} أن علو مقام سيدنا سليمان ورفعة شأنه لم يمنعه من سماع ما جاء به الهدهد، بل لم يغضب منه عندما قال له: "أحطت بما لم تحط به"⁽¹⁾، إذ قد يكون في أصغر مخلوقات الله وأحقرها من يحيط علماً بما لم يحط مثل سليمان - عليه السلام - في علمه وحكمته، واتساع مدركاته. وكفى بمثل هذا زاجراً لكل ذي علم عن الإعجاب بعلمه، والاعزاز بسعة اطلاعه، والترفع عن الاستفادة ممن دونه⁽²⁾. فالتواضع أدب نبوي تربوي لا تتحقق الأهداف المرجوة من التعليم إلا بترسيخه في نفوس طلبة العلم وحثهم على التخلق به.

الفرع الثاني: البُعد العلمي

للعلم مكانة جلية في ديننا ويكفي لمعرفة ذلك أن أول آية نزلت من القرآن حثت على طلبه؛ فبه كرم الله الإنسان على غيره من المخلوقات، وعلى أساسه تُبنى الأمم والحضارات، ولطالما كان مرادفاً لنهضة المجتمعات؛ لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى البناء، وكل نهضة لا يكون ظهرها العلم، فما هي إلا ساعة وتضمحل⁽³⁾، يقول الإمام عبد الحميد بن باديس مؤكداً هذا الطرح: ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم: التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم⁽⁴⁾.

كما يجد المتتبع لتفسير مجالس التذكير عناية بالغة من الإمام ابن باديس بالعلم وحثه على طلبه، ففي تفسيره لقوله تعالى: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} {طه: 114}، قال ابن باديس: لا حياة إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فلن

(1) ينظر: مجالس التذكير، ابن باديس، 271.

(2) المرجع نفسه، ص 271.

(3) النهضة العربية في العصر الحديث، شكيب أرسلان، ص 24.

(4) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص 359.

يكون عالماً إلا من كان متعلماً، كما لن يصلح معلماً إلا من قد كان متعلماً⁽¹⁾، كما نوّه ابن باديس بمكانة اللغة العربية باعتبارها أداة من أدوات النهضة العلمية، يقول: إن الله كما اختار العرب للنهوض بالعالم كذلك اختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة وترجمان هذه النهضة، ولا عجب في هذا فاللسان الذي اتسع للوحي الإلهي لا يضيق أبداً بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت آفاقها وزخرت علومها⁽²⁾. كما أن العلم عند الإمام ابن باديس واجب وطني، فحرص أفراد المجتمع على طلبه يرفع مكانة وشأن وطنهم، وإهمالهم له ينعكس سلباً على الوطن والأمة⁽³⁾. وهذا ينطبق على شتى العلوم، فقد حث – رحمه الله – على التزوّد من العلوم المختلفة بهم، وأنه مهما بلغ علم الإنسان سيبقى جاهلاً للكثير من الأمور⁽⁴⁾.

المطلب الخامس: الفكر النهضوي ذو البعد الاجتماعي

المجتمع هو النواة الأساسية التي تتشكّل منها الأمة؛ وكلّما كان المجتمع واعياً ومدركاً لواجباته تجاه وطنه وأمتّه انعكس ذلك على حاضر الأمة ومستقبلها، يقول الإمام ابن باديس في تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ... [الآية] [النور: 62]: إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كان لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة⁽⁵⁾، وقد تعرّض الإمام ابن باديس في تفسيره لعوامل إصلاح المجتمع والحث على التآزر والتكافل الاجتماعي بين أفرادها.

الفرع الأول: عوامل إصلاح المجتمع

احتلّ الإصلاح الاجتماعي حيزاً هاماً من مسيرة الإمام عبد الحميد ابن باديس الإصلاحية،

(1) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 343.

(2) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص 64.

(3) ينظر: آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج 3، ص 467.

(4) ينظر: مجالس التذكير، ابن باديس، ص 344-345.

(5) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 335.

فقد ركّز جهوده في تشخيص أمراض المجتمع والبحث عن حلول ناجعة من شأنها أن تساهم في خلق مجتمع إيجابي مدرك للتحديات التي تواجه وطنه وأمتة وباحث لها عن حلول، ومن خلال استقرائي لتفسير مجالس التذكير يمكن تقسيم خطوات الإصلاح الاجتماعي عند الإمام عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره إلى أربع خطوات:

1- الخطوة الأساسية لإصلاح المجتمع تنطلق من الفرد، يقول الإمام ابن باديس في تفسيره لقوله تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء: 25]: صلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس: إما مباشرة وإما بواسطة⁽¹⁾، وبما أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأسر، والأسرة تتكون من مجموعة من الأفراد، فالركيزة الأساسية لإصلاح المجتمع هي إصلاح الفرد.

2- إرشاد الأقرب فالأقرب: يقول في سياق تفسيره لسورة يس: عندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله وأقرب الناس إليه، لا نلبث أن نرى الخير قد انتشر في الجميع: فمن الأسر تتركب الأمة؛ فعندما يعنى كل واحد بأسرته ترتقي الأمة كلها بارتقاء أسرها، كارتقاء أي كل بارتقاء أجزائه⁽²⁾، وهو ما كان في بداية الدعوة النبوية حيث جاء الأمر بإنذار الأقربين، باعتبار أن الرابط الأسري أقوى رابط بعد الرابط الديني.

3- ضرورة أن يكون الجزاء من جنس العمل: يقول في سياق تفسيره لقوله تعالى {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} 7 إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَفِي إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ 8 وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ 9 وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ 10 إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس: 11-17]: أرايت كيف أن الله- تعالى- لم يجاز الخلق على مقتضى علمه فيهم، وهو العلم الذي لا يتخلف، وإنما جعل جزاءهم على أعمالهم. فهذا تعليم لنا كيف تكون معاملتنا بعضنا لبعض؛ فلا نجازي على مجرد الظن، بل ولا على مجرد اليقين؛

(1) المرجع نفسه، ص 74.

(2) المرجع نفسه، ص 297.

وإنما تكون المجازاة بعد صدور الأعمال⁽¹⁾.

4- اضطلاع كل فرد بالمسؤولية الملقاة على عاتقه والقيام بها على أكمل وجه: يقول في عرضه لقصة الهدد: كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته، مما يقوم به من عمل حسب كفاءته واستطاعته، فعليه أن يحفظ مركزه ولا يدع الخطر يدخل، ولا الخلل يقع من جهته... فأخلال أي أحد بمركزه- ولو كان أصغر المراكز- مؤد إلى الضرر العام. وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن وهما أساس القوة⁽²⁾، فالتحلي بروح المسؤولية وقيام كل مسؤول بما استحفظ عليه يرسخ الوعي في نفوس أفراد المجتمع وينهض بالأمة في مختلف المجالات.

الفرع الثاني: التكافل الاجتماعي

الإنسان مفطور على العيش بين أهله وجماعته، يتقاسمون الأفراح والأفراح ويتعاونون فيما بينهم؛ لأن الإسلام دين الجماعة، وكثير من فرائضه وتكاليفه جماعية واجتماعية، لا تتأتى ولا تقام إلا في وطن وأمة وجماعة واجتماع⁽³⁾، وتكون الوحدة واجبة حال حصول تهديد للوطن الذي يجمعهم والحصن الذي يحميهم، وقد اعتنى الإمام ابن باديس بالغ الاعتناء بترسيخ أسس التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، وهي ضرورة حتمية في ظل المرحلة الحرجة التي عاشتها الأمة الجزائرية، وتظهر عناية ابن باديس بهذا الجانب في العديد من المواضع في تفسيره؛ من بينها: في تفسيره لقوله تعالى: {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرُوا تَبْدِيرًا} [الإسراء: 26]، يقول: الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم. وما من أحد إلا وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه. ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه... وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله⁽⁴⁾.

(1) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 301.

(2) المرجع نفسه، ص 269.

(3) احترام المقدسات وخيرية الأمة عوامل تفوق الإسلام، محمد عمارة، ص 44.

(4) مجالس التذكير، ابن باديس، ص 79.

وفي تفسيره لقوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل: 18]، ضرب الإمام ابن باديس المثل بالنملة فلم تكن أنانية بطلب النجاة لنفسها بل تحلت بروح المسؤولية وحذرت باقي النمل رغم الخطر المحدق بها، فهي تدرك بفطرتها أن لا حياة لها دونهم، فهي جزء لا يتجزأ من بني جنسها. وهذا درس بليغ يستنبط منه أن مصير الفرد متعلق بمصير جماعته ينجو بنجاتهم ويمهلك بهلاكهم⁽¹⁾.

كما كان للمرأة دور بارز في أفكار الإمام ابن باديس النهضوية، فلن يتماسك المجتمع ولن تنهض الأمة إلا بتكاتف جميع الجهود، وهذا لا يتأتى إلا بتفعيل دور المرأة القائم على تربية النشء وترسيخ القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة في نفوس الأجيال، يقول ابن باديس مبرزاً اهتمامه بهذا الجانب: فلن ينهض المسلمون نهضة حقيقية إسلامية إلا إذا شاركهم المسلمات في نهضتهم في نطاق عملهن الذي حدده الإسلام وعلى ما فرضه عليهن من صون واحتشام⁽²⁾.

ولم تلبث أن أثمرت جهود الإمام ابن باديس نهضة شملت جميع نواحي الحياة، ولا مست مختلف احتياجات المجتمع المعنوية منها والمادية، يقول مالك بن نبي واصفاً هذا الوضع: لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة، وبدأ الشعب الجزائري المخدر يتحرك، وبألها من يقظة جميلة مباركة، يقظة شعب ما زالت مقلته مشحونتين بالنوم، فتحولت المناجاة إلى خطب ومحادثات ومناقشات وجدل، وهكذا استيقظ المعنى الجماعي؛ وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب⁽³⁾.

خاتمة:

أستخلص مما سبق ذكره أن تفسير "مجالس التذكير" للإمام عبد الحميد بن باديس رغم صغر حجمه وعدم وصوله إلينا كاملاً لكنه يعدّ من أجلّ التفاسير لارتباطه الوثيق بواقع الأمة، حيث مزج فيه صاحبه بين النص القرآني والواقع المعاش؛ فعالج فيه أمراض المجتمع

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 262.

(2) آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص 117.

(3) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 24.

وانحرافاتة، وحثّ فيه على أهمية النهوض بالأمة في شتى المجالات، وقد توصلت من خلال هذا المقال إلى جملة من النتائج:

- تميز تفسير الإمام ابن باديس عن غيره من التفاسير بجمعه بين المنقول والمعقول وتنزيلهما على الواقع.
- لم يكن تفسير الإمام ابن باديس مجرد شرح للآيات، بل ساحة وعي وتكوين نفسي وتربوي واجتماعي للإنسان الجزائري في تلك المرحلة الصعبة من تاريخ الأمة.
- تركيز ابن باديس على إصلاح الجانب الديني باعتباره القاعدة الصلبة التي انطلق منها مشروعه النهضوي.
- الأهمية البالغة التي يكتسبها الجانب التربوي والجانب العلمي ودورهما البارز في نهضة الأمم.
- وحدة أفراد الأمة واضطلاعهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم شرط أساسي للتغلب على كلّ العوائق بمختلف انعكاساتها وتحقيق النهوض في مختلف المجالات.

قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ آثار ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، ت: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ، 1968م.
- ² احترام المقدسات وخيرية الأمة عوامل تفوق الإسلام، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1426هـ، 2005م.
- ³ الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- ⁴ تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، مكتبة وهبة، ط5، 1422هـ، 2001م.
- ⁵ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- ⁶ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
- ⁷ التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م.
- ⁸ التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، فضل حسن عبّاس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ، 2016م.

⁹ التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، 1410هـ، 1990م.

¹⁰ جُمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

¹¹ سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ، 1975م.

¹² شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، 1406هـ، 1986م.

¹³ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 1987م.

¹⁴ طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، المطبعة العصرية، حلب.

¹⁵ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426هـ، 2005م.

¹⁶ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

¹⁷ مجالس التذكير، ابن باديس، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ، 1995م.

¹⁸ مُعْجَمُ أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ، 1980م.

¹⁹ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م.

²⁰ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.

²¹ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.

²² النهضة العربية في العصر الحديث، شكيب أرسلان، الدار التقدمية، لبنان، ط1،

2008م.

مقاصد القرآن في الدرس التفسيري الإصلاحي للإمامين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي

د. محمد عيشوبة

جامعة عمارثليجي - الأغواط

الملخص:

يتحدث هذا الموضوع عن التفسير عند علماء جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخين ابن باديس والإبراهيمي، ودور الدرس التفسيري من حيث الدروس القولية أو العملية وقوفا عليها من خلال الآثار العلمية التي تركها الشيخان، في إصلاح التفسير بإصلاح أثره عملا وواقعا على المجتمع، إصلاحا للأفراد والمجتمع، وهذا بدوره تجديد لروح التفسير من خلال التركيز على تحقيق مقاصد القرآن الكريم، تأصيلا لها وتنزيلا.

ونهدف إلى تثوير فكرة التجديد وحضورها عند الشيخين من خلال إبراز مقاصد القرآن الكريم في الدرس التفسير، وثمرته على جهودهما الإصلاحية، وهذا تجديد للتفسير من جهة لأن المفسر ابن واقعه، وإبراز لنظرتهم التجديدية للتفسير المقاصدي تحت راية الإصلاح من منظور المدرسة الإصلاحية، فهما حاملا لوائها ومقعدا لفكرة سدادها مما وقفت عليه.

ولذا حاولت أن أعرض نظرتهم لعلم التفسير من خلال ما وقفت عليه من نقد لهما للمدارس السابقة، وكيف انتقلا بعلم التفسير من الجانب العلمي إلى الجانب العملي الذي هو غاية الكتاب نفسه، وامتنالا لأيته الداعية إلى التدبر والتذكر، فكان الجمع بين معانيه في الأنفس فهما لها ومعانيه من حيث الأثر تطبيقا وسلوكا لبلوغ كمال الترقى في سلم الحضارة، حضارة الأخلاق والصالح الفردي والجماعي.

الكلمات المفتاحية: التفسير. مقاصد القرآن. الإصلاح، عبد الحميد بن باديس. البشير

الإبراهيمي، التجديد

summary:

This topic talks about interpretation according to the scholars of the Association of Muslim Scholars, led by Sheikhs Ibn Badis and Al-

Ibrahimi, and the role of the interpretation lesson in terms of verbal or practical lessons, based on the scientific effects left by the two Sheikhs, in reforming interpretation by reforming its effect in practice and reality on society, reforming individuals and society. This, in turn, renews the spirit of interpretation by focusing on achieving the objectives of the Holy Quran, establishing them and applying them.

We aim to revolutionize the idea of renewal and its presence in the two sheikhs by highlighting the objectives of the Holy Quran in the interpretation lesson, and the fruits of their reform efforts. This is a renewal of interpretation, on the one hand, because the interpreter is a product of his own reality, and on the other, it highlights their perspective. To highlight their innovative perspective on the purposeful interpretation of the Qur'an under the banner of reform from the perspective of the reformist school, they are its standard-bearers and advocates of its soundness, based on what I have learned.

Therefore, I have attempted to present their perspective on the science of interpretation through their critique of previous schools, and how they moved the science of interpretation from the scientific aspect to the practical aspect, which is the goal of the Qur'an itself. In compliance with its verse calling for contemplation and remembrance, they combined its meanings in the soul, understanding them, and its meanings in terms of their impact, application, and behavior, to achieve the ultimate advancement on the ladder of civilization—a civilization of morals and individual and collective righteousness.

Keywords:

Interpretation - The Objectives of the Qur'an - Reform, Abdel Hamid Ben Badis - Al-Bashir Al-Ibrahimi, Renew

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ذكرا وذكرا وهدى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبين أي الكتاب والموضح طرق وقواعد الفهم بلا ارتياب، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب. أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله لتحقيق مقاصد، وتلك الغايات والمقاصد لا تتحقق إلا بالبيان النبوي، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

44 ﴿﴾ [النحل: 44] ، فكان البيان القولي والفعلية دالا على تحقيق تلك المقاصد ومفهما لوسائل تحقيقها، فتكامل أصل التشريع وهو كتاب الله ومقصد الشريعة وهو حفظ صلاح الأفراد والجماعات.

ولا يرقى الإنسان المكلف بفهم مقاصد التنزيل إلا بتحقيق قواعد التدبر الأمثل التي قعد لها النبي صلى الله عليه وسلم وطبقها الصحابة رضي الله عنهم، ليحققوا مقصد التدبر الذي هو أصل وغاية من إنزال هذا الكتاب قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]

فاجتمع في هذه الآية غاية التنزيل وعلته، فهذا الكتاب المبارك وصفا غايته التدبر وعلته التذكر لمن حقق الشرط، وهو قواعد الفهم فيه وهم أولوا الألباب، ولذا ما فتى العلماء يقصدون بيان ألفاظه ومعانيه قولاً وعملاً، فهما وتطبيقاً ليحققوا هذه الثمرة، ويبلغوا هاته المقاصد التي جاء القرآن ليحققها في واقع المكلف ليسعد في الدارين بالامتثال في الحال والاعتبار للمآل.

إن علم التفسير وهو علم فهم الكتاب، وعلم قواعد التدبر، لم يكن حكراً على فترة معينة، ولا ينبغي له، فتلازم التنزيل وعلم التفسير مرتبط بواقع المكلف فهما وتطبيقاً، فيما كان الأصل فيه التغير والتبديل، أما أصوله وقواعده وشروطه وإن كانت قابلة للنظر فهي غير قابلة للإلغاء المعتبر. فما اعتبر أصلاً في التفسير وقاعدة لا يجوز تجاوزها بحجة تغير الحال، فهي تمثل أصلاً للتفسير.

ولذا المفسر يجب أن يفرق بين ما يكون مقصداً في التفسير وما يكون وسيلة، وإن كان الكتاب صبغاً بصيغة الإعجاز فلا يعني عدم البحث والاجتهاد، فغاية الإعجاز للكافر هي غير ذلك للمؤمن.

وهكذا عالج النبي صلى الله عليه وسلم عليه أحوال أمته مما تعيشه من ظروف ووقائع مختلفة، ألفاظاً ومعاني، أحكاماً وحكماً. فالتفسير لم ينقطع التجديد في روحه، والتجديد الذي نقصد هو استثمار أصوله وقواعده من العلماء الربانيين في تنزيل آيات الكتاب أحسن تنزيل على واقع الإنسان، مما يربط قلبه على هذا الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه في إمداد الحلول

وصلة القلوب يقينا في صدق المرسل والمرسل به والرسول.

والناظر في حركة التفسير منذ العهد الأول إلى يومنا هذا يلحظ تغيرا في المناهج والطرق التي يفسر بها كتاب الله لتحقيق مقاصده، والغاية الجامعة فهم كتاب الله وتحقيق التدبر فيه على اختلاف معارج النظر من طرف العلماء.

ولست متعرضا في هذه المداخلة لبيان أحوال علم التفسير وما اعتراه من تقلب في أصوله وقواعده من حيث الفهم والتطبيق، وإنما كان المقام يقتضي أن نتحدث عن منهج تفسيري حمل رايته وحقق غايته علماء الجزائر وهما قطبا ورأسا الهرم في جمعية العلماء المسلمين، الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي.

ونسعى في هذه المداخلة أن نجيب على إشكال يتعلق بقضية جوهرية في التفسير من جهة التنزيل على الواقع لا التأصيل لأصوله وقواعده، وإن كانت الجهتان لا تنفكان.

كيف استثمر الشيخان مقاصد القرآن الكريم للتجديد في علم التفسير؟ ثم كيف استفادا منها في تنزيلها على واقع المجتمع الجزائري والأمة من خلال منهج النظرة الإصلاحية لهما؟

✚ أولا: التجديد في التفسير عند مدرسة الإصلاح

ونقصد من وراء هذا العنصر البحثي أن نضبط علم التفسير من جهتين اثنتين، من جهة المصطلح الذي هو التجديد، ثم أثر المصطلح من حيث المفهوم على العلم المقصود من حيث الأثر العملي الذي ينبني عليه فهم المفسر له، فتغير الزمان وحال الإنسان لا يعني تجاوز أصول التفسير وقواعده، وإن دعا إليه الداعون، ولذا لا بد من الضبط قبل الخوض فيه في بحثنا هذا، ولا بد من التأصيل له، لأن التصور وسلامته يبنى عليه سلامة التصديق، كما أن بيان الغرض في البحث والتأليف للمصطلحات من طرف الباحث مهم في محاكمة ما تبقى من مسائل بحثية لما أورده من منطلقات أساسية في بحثه.

فالتجديد من حيث الشمول مطلب ضروري في كل وقت، لأن الضرورة تقدر بقدرها، فمتى كانت الأسباب داعية لذلك، كان من الواجب على المفسر الذي هو فقيه واقعه أن يستلهم العبر، وينزل فهم المعاني على الواقع بقدر.

إذن، فالتجديد في علم التفسير ضرورة متى ما دعت الأسباب، وهو بقدر الحاجة، وبحسب الفهم عند المفسر، لأن التفسير من حيث الفهم للمعاني هو بقدر الطاقة البشرية. ولذا كان التجديد الذي نعينه من جهة التنزيل للقرآن من حيث الفهم على واقع الإنسان، أفراداً وجماعات، فالتجديد قد يكون في فهم معاني الآيات والإتيان بالجديد مما يفتح الله به على المفسر وتحمله الآية من حيث توسيع المعاني، وهذا مضبوط بشروط التفسير، وهو أمر معلوم، فلا نطيل في تفصيله.

وقد يكون بفهم طريقة تنزيل الآية وهذا تجديد في التفسير، فهو كحال الفقه من علوم الشريعة، فالفقيه هو الذي يعرف الربط بين الدليل والواقعة المستجدة. فهذا له نصيب من جهة علم التفسير، فما كل معنى فهم حقه من جهة التنزيل بغرض صحيح أو بدونه، وهذا كحال بعض الآيات التي حملها أهل الأهواء والنفوس المريضة على غير محلها، والتفسير وكتبه مليئة بهذا، أو عن طريق الخطأ ممن امتلكوا الدليل وخطأوا في المدلول أو الدلالة وهؤلاء لهم عذرهم، والعذر لا يقتضي الإقرار بالضرورة.

فيكون نصيب التجديد من علم التفسير العود لفهم النبي صلى وسلم عليه أو سلف الأمة في التأصيل لفهم الآيات حق الفهم، فكان التجديد في المصطلح تجديد الفهم من حيث المفهوم الأصلي لا الإتيان بالجديد.

وعليه نحن نقصد بالتجديد عند مدرسة الإصلاح أنها فهمت القرآن الكريم ومعانيه تنزيلاً لمقاصده على واقع الأمة، سواء من حيث حركة الوعي والتفكير أو من جهة العمل، وهذا ضمن دائرة منهج جديد دعت إليه مدرسة محمد عبده وأتباعه أو ما يعرف بحركة الإصلاح أو مدرسة الإصلاح، فكان الإصلاح إصلاح نظام الفهم السليم لآيات الكتاب الحكيم وتنزيلها على واقع المكلف. كما ورد في كتاب الفكر السامي للحجوي: "قال في المعيار عن الشيخ أبي مدين: إن للقرآن نزولاً وتنزيلاً، أما النزول فقد تمّ بموته عليه السلام، وأما التنزيل على الوقائع واستنباط الأحكام، فلم يزل إلى آخر الدهر"⁽¹⁾

(1) الحجوي. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى - 1416هـ -

✚ ثانيا / التجديد في مقصد التدبر

هذا المقصد كما أشرنا إليه سابقا هو مقصد أساسي من نزول القرآن الكريم، فالتنزيل والتفسير متلازمان، وهذا ما نقصده بالتدبر، وإن كان هو درجات، تظهر ثمرته بحسب العلم المكتسب للعالم أو بحسب ما يفتح الله عليه، وإذا نظرنا إلى الغاية من التدبر الذي هو أعلى من التفسير من حيث النظر والغاية، وجدنا العلة التذكر وأخذ العبرة الوقوف على الأسرار بدليل آخر آية التدبر، فبين أن أثر التدبر هو النظر في عاقبة الشيء، أي ثمرته، فتدخل فيه سنن الله الكونية والفطرية التي نص عليها الكتاب نفسه، ومنها مقاصده التي نسميها مقاصد القرآن، وهنا أريد أن أشير إلى علاقة الترابط بين مقصد التدبر ومقاصد القرآن أو الفرقان وسأخصص مبحثا له فيما يلي .

الوقوف على ثمرات التدبر مما يحيي النفوس ويحقق المقاصد ويحرك داعي النظر كان فيه التجديد عند البشير الإبراهيمي وابن باديس، فقد نهى الأمة على هذا المقصد لتحيا به كما أحيا الله به العرب وقد كانوا أهل وبر ، فكيف سما بهم إلى العلياء.

قال الشيخ البشير الإبراهيمي: "إن الغاية في هذا الوجود سيادة في الحق وسيادة بالحق وأن لا سبيل إليهما إلا بالعلم والعمل وأن عمران الأرض متوقف على عمران العقول والنفوس. وبني بذلك تلك الحضارة التي لا ينكرها إلا مكابر يماري في الشمس وضحاها"⁽¹⁾.

ويبرز في موضع آخر قيمة هذا المقصد وأثر حسن الفهم فيه بقوله: "تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل، فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل."⁽²⁾

إذن، فتثوير العقل والنفوس في فهم القرآن الكريم هو تجديد لروح التدبر الأمثل لكتاب الله بطريق العلم والعمل، فالقرآن يفسره الزمان والزمان أساس لفهم إعجاز القرآن، فهو مرحلي الفهم، فكان للشيخين دعوة للتدبر والتفهم في آيات الكتاب بما يصلح الأنفس أفرادا

(1) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي . جمعه . نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، 1997. ج 1. ص 324

(2) المصدر نفسه. ج 1. ص: 327

وجماعات، وهذا هو عين الامتثال لآية التدبر، كما ذكر ابن باديس في مجالسه التذكيرية "فعلينا أن نحضر قلوبنا عند سماعها، ونستعمل عقولنا في فهمها، ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها، فإذا صدقت النية وأخلص التوجه فتح على العبد من وجوه العلم والعمل - بإذن الله - بما لم يكن له في بال." (1)

فمن ظن أن التدبر يكون المراد منه إعمال الفكر والعقل في الآيات فقد كان فهمه قاصرا من حيث النظر، وإنما يكون التدبر بربط ما يستنبطه العالم من الهدايات في البدايات والنهايات في الحال والمآل وتنزيلها على الواقع بما يصلح النفوس وهذا من طرف المفسر، فهذا هو أكمل التدبر على الإطلاق من منظورنا وهو عين ما نقصده عند مدرسة الإصلاح وعند الشيوخ الجليلين. وإلا كانت ثمرة التدبر المقصودة مبتورة، كشجرة لم تنتج. فهكذا نكون قصرنا القرآن وعطلناه عن دوره في إحياء النفوس وهداياتها، فلم يحقق مقصده الأعظم من تنزيله في قوله تعالى: "لا ريب فيه هدى للمتقين".

✚ ثالثا/ مقاصد القرآن ومقصد التدبر:

المقصود بمقاصد القرآن هي محاوره الكبرى التي جاء القرآن ليقررها ويحققها، فكل آيات الكتاب وسوره لا تخرج عنها، ولذا المفسر ينبغي له أن يجعلها محط النظر ومناط الفكر والعبر، فهي ضابطة للتفسير والمفسر، وقد اختلف فيها أهل التفسير والنظر في آيات الكتاب من جهة التدبر، وهذا راجع لسعة علم المفسر ودقة نظره في معاني الآيات المقصودة، وإن كان الخلاف هو من قبيل التنوع، وهذا أولى ما يحمل عليه كتاب الله.

ولذا تظهر قيمة مقصد التدبر المطلوب في الآية وعلاقته باستنباط المفسر لمقاصد القرآن وعمله على توجيه المعاني لخدمتها من خلال عمله التفسيري، وهذا ما سنبرزه عند ابن باديس والبشير الإبراهيمي.

وسنذكر بعضا من المقاصد التي نص عليها العلماء دون تفصيل ولا تطويل، إذ المقام مقام الاختصار لإفادة الغرض المقصود، وإنما البيان يكون بقدر الحال كما ينص أهل

(1) ابن باديس . مجالس التذكير . المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين . الناشر: دار الكتب

العلمية بيروت- لبنان . الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م . ص 235

البلاغة.

وإذا رجعنا إلى كتب التفسير وجدنا مقاصد القرآن منصوفا عليها من خلال سور الكتاب ، إذ لها ارتباط بأسماء السور وفضلها ومعانيها وموضوعاتها ومقاصدها، وكل قصد موضوعا نص عليه ، ففي حاشية شهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي قال في تفسير سورة الكافرون: " وقيل: مقاصد القرآن أربعة توحيده تعالى ونفي عبادة غيره والأحكام، وأحوال المعاد وهي مشتملة على الثاني، ورد بأنها مشتملة على الأول أيضاً فكان ينبغي أن تكون نصفاً، وقيل مقاصده صفاته تعالى والنبوات والأحكام والمواعظ وهي مشتملة على أساس الأول وهو التوحيد"⁽¹⁾.

وهو الأمر نفسه في تفسير المنار إذ قال رشيد رضا: " فَهَذِهِ الْحِكْمَةُ تُشْبِهُ حِكْمَةَ تَفْرِيقِ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ عَقَائِدَ وَقَوَاعِدَ وَأَحْكَامٍ عَمَلِيَّةٍ، وَحُكْمٍ أَدْبِيَّةٍ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ، وَبِشَارَاتٍ وَنُذُرٍ، وَأَمْثَالٍ وَقَصَصٍ، وَالْعُمْدَةُ فِي كُلِّ ذَلِكَ التَّوْقِيفُ وَالِاتِّبَاعُ"⁽²⁾.

وقد أشار ابن عاشور إلى ثمانية حصرها في مقدمة تفسيره لا نطيل بذكرها لأننا نحتاج إلى تنزيلها فهما وتطبيقا ومن شاء فليرجع لتفسيره⁽³⁾

ومن أوائل من أشار إلى هاته المقاصد الإمام الغزالي في كتابه " جواهر القرآن:

الثرى، فلذلك انحصرت سُورُ الْقُرْآنِ وَأَيَاتُهُ فِي سِتَّةِ أَنْوَاعٍ:ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمَّة.

وثلاثة: هي الرّوادف والتّوابع المُغْنِيَةُ الْمُتِمَّة، ثم فصل فيها"⁽⁴⁾.

(1) شهاب الدين الخفاجي . حاشية الشَّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، الْمُسَمَّاةُ: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ.: دار صادر – بيروت. دط. دت. ج. 8. ص 405

(2) محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دط. 1990. ج. 11. ص

(3) ابن عاشور. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر – تونس. 1984. ج. 1. ص 39

(4) أبو حامد الغزالي. جواهر القرآن. المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني. دار إحياء العلوم، بيروت.

والمقام لا يسع للتفصيل وإنما وجبت الإشارة ليعرف المتلقي والسامع معنى المصطلح ليستقيم ميزان الفهم لديه فقط، ولذا مقاصد القران بين المتقدمين والمتأخرين مناط الاختلاف فيها تنوعا راجع لروح التجديد في التفسير، وهذا ما أردت الوصول إليه لأننا نبحت عند رواد مدرسة الإصلاح في الجزائر.

رابعاً/ تنزيل مقاصد القران ودورها في التجديد في التفسير

ونقصد بتنزيلها أي إظهار ثمرتها في واقع المكلف إصلاحاً، وربطاً له بما يحقق صلاحه في الدارين وإسعاده، وهو أمر يرجع لنباهة المفسر، كما بينت سابقاً أن القران فيه مرحلتان، مرحلة التنزيل ومرحلة التفسير فالتنزيل اكتمل بوفاته صلى الله عليه وسلم، أما التفسير فلم تنزل معانيه تجدد في التأثير على النفوس، وربطاً للقلب بكتاب الله المعجز الذي هو حبل الله المتين والدرع الواقي للمستمسكين.

ولذا بالرجوع إلى أثر الشيخين الجليلين من كتاب الآثار للبشير الإبراهيمي ومجالس التذكير لابن باديس وقفت على نظرتهم لهاته المقاصد، من حيث التأصيل لها فهما وتنزيلها على الواقع سلوكاً في إصلاح المجتمع بإصلاح الأفراد، وفي العروج بالأمة إلى كمال الفهم في الكتاب الذي يضمن سيادتها وقيادتها في البناء الحضاري للإنسان.

وباعتبار المفسر يقصد المعاني، فمن الواجب عليه أن يقصد المقاصد القرآنية في التحقيق، كما يذكر ابن عاشور أنها من أغراض المفسر: "أَلَيْسَ قَدْ وَجَبَ عَلَى الْآخِذِ فِي هَذَا الْقَرْيَ أَنْ يَعْلَمَ الْمَقَاصِدَ الْأَصْلِيَّةَ الَّتِي جَاءَ الْقُرْآنُ لِتَبْيَانِهَا"⁽¹⁾. وفي موضع آخر: "فَعَرَضُ الْمُفَسِّرِ بَيَانُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَوْ مَا يَقْصِدُهُ مِنْ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِأَتَمِّ بَيَانٍ يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى وَلَا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ مِنْ كُلِّ مَا يُوضِّحُ الْمُرَادَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ، أَوْ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ أَكْمَلُ فَهْمٍ، أَوْ يَخْدِمُ الْمُقْصِدَ تَفْصِيلاً وَتَفْريغاً"⁽²⁾.

وقد اعتبر الشيخان المقاصد القرآنية في التحقيق لها، وقصدها في التفسير القولي والعملية، ففي مجالس التذكير أشار إليها ابن باديس بقوله: "والجواب: أن عدم فهم معنى من

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج. 1. ص 39

(2) المصدر نفسه. ج. 1. ص 41

بضع عشرة كلمة افتتحت بها بعض السور، لا يخل ببيان القرآن، لما أنزل لبيانه من عقائد وآداب وأحكام وغيرها من مقاصد القرآن⁽¹⁾.

خامسا / أثر فهم المقاصد القرآنية على تطبيق وفهم معاني التفسير عند الشيخ ابن باديس والإبراهيمي وتنزيلها على الواقع

1. تحقيق مقصد الصلاح الفردي والجماعي:

وهذا من المقاصد العالية التي جاء القرآن الكريم ليقررها ويحققها، فغرضه من التشريع صلاح الأنفس أفرادا وجماعات لينتظم أمر الأمة ولتقوم على أساسها حضارة الأخلاق، والمفسر إذا أهمل هذا المقصد من خلال إيصال المعاني التي تحرك الضمير والجوارح لتحقيق هذا المقصد، لم يؤثر تفسيره على واقع الإنسان، وهو بحسب الزمان، ولذا رام الشيخان هذا القصد وأن هذه هي غاية القرآن قبل وبعد كل أمر ونهي وامتنال

وهذا المقصد أشمل من حيث المضمون والمفهوم، فينبني عليه الصلاح العقدي والأخلاقي والتشريعي الذي نقصد به جانب العبادات والمعاملات فيما تعلق بالحل والحرمة، وهذه مقاصد قرآنية جاء القرآن ليحققها.

فيذكر ابن باديس في قوله تعالى: "رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا 25" {الإسراء: 25}.

"وصلاح القلب- بمعنى النفس- بالعقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، وإنما يكونان بصحة العلم، وصحة الإرادة ... فصلاح النفس هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس: إما مباشرة وإما بواسطة⁽²⁾. وقال الشيخ البشير مبرزاً مقصد القرآن وأثره في الإصلاح: "ما دام هذا القرآن موجوداً بين المسلمين، يقرؤونه ويجلّونه ويضعونه في مكانه من التقديس، فإن الأمل في إصلاح المسلمين لا ينقطع، لأن أوائلهم ما صلحوا إلّا به، فلا يصلح آخرهم إلّا به، وما هي إلّا هبة من هباته ونفحة من نفحاته تهب على نفوس هذا القطيع المبدّد وإذا قلوبهم مجتمعة، ونوافرهم متألّفة، وأمّهم

(1) ابن باديس. مجالس التذكير. 283.

(2) المصدر نفسه. ص 7473.

جميع، وإذا بالمعجزة القرآنية التي جمعت العرب بعد ما كانوا عليه من تشتت وتدابير، تعود ثانية فتنتقل هذه الأمم من حال إلى حال⁽¹⁾.

1.1 إصلاح مقصد الاعتقاد والحفاظ عليه:

وهذا أهم المقاصد القرآنية التي يسعى المفسر لخدمتها وربط المعاني التفسيرية بها، لأن القرآن جاء لإصلاح العقائد، فأبطل الفاسد منها، ودعا لصالحها، والمقاصد القرآنية الأخرى متفرعة عنه أو خادمة له، ولذا إصلاح رأس الاعتقاد كان محط نظر الشيخين، ففي تفسير ابن باديس نص على هذا المقصد الأساسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال: "وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ فمن دعا مع الله غيره، وأشرك به سواه، فقد أبطل حق الله وأعدم عبادته.

وفي الدعاء يذكر ابن باديس حق أفراد الله بالدعاء مع عدم الإشراك معه تحذيراً مما انتشر وقتئذ بقوله: "لما كان الدعاء عبادة، والعبادة لا تكون إلاً للإله، كان الداعي لشيء من المخلوقات متخذاً إياه إلهاً، لما نزل بدعائه إياه منزلة الإله، سواء دعا وحده دون الله، أو دعا مع الله. والعياذ بالله تحذير وإرشاد:

ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس "يا ربي والشيخ"، "يا ربي وناس ربي"، "يا ربي والناس الملاح". وهذا من دعاء غير الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده، وأنف الشرك راغم⁽²⁾. وقال البشير في خطابه عن مقاصد الجمعية: "فالواجب إذن أن نبداً بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس، فإذا ماتت البدع والخرافات وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصحيحة وتلقته النفوس بالقبول"⁽³⁾.

وهذا المقصد القرآني المهم والأهم عملت عليه الجمعية ولذلك حاول ابن باديس

(1) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي "ج. 4. ص 79

(2) ابن باديس. مجالس التذكير. ص 222.

(3) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي "ج. 1. ص 86

والإبراهيمي أن يركزا عليه في الإصلاح، حيث هو الذي جمع الجزائريين وقت الاستعمار، وإذا لم تجمعهم العقيدة فمن يجمعهم، وحينما نقصد العقيدة لا بمفهوم العوام من طلبة العلم، وإنما نقصد الإيمان والإسلام، لا الاعتبارات الضيقة التي تزيد الأمة تفرقا، نعم، من حق العالم إذا رأى ما يخالف مقصد العقيدة وأثرها أن يصلحه في المجتمع عند طائفة معينة، ولا يعني بالضرورة أنه ينتمي لطائفة، فالعلوم من الدين بالضرورة ليس مذهبا لأحد، ولا أريد الخوض فيما لا ينبغي عليه عمل من مسائل عند العوام فيما أرى لقصر النظر لديهم، وإنما المقصود هو إحياء روح التفسير والتجديد لها من حيث اعتبار مقاصد القرآن في التفسير العملي لها.

والسعي للإصلاح الاجتماعي لا يكون إلا بإصلاح رأس الهرم فيه وهو الاعتقاد، فما سعى إليه الشيخان لا يعتبر شذوذا في الإصلاح، وكيف يقال هذا عن إمامين مصلحين، فلا يجب أن يتخذ وسيلة عند من لم يفهما مقصودهما فالإبراهيمي لما قال عن من اتخذ القباب مقصدا له في ما علق بالعقيدة قال: "وغلوا في تعظيمها حتى أصبحت معبودة تُشَدُّ إليها الرحال، وتقرَّبُ لها القرايين والنذور، وتسأل عندها الحاجات التي لا تسألُ إلا من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتآلى بها على الله"⁽¹⁾. فهو أعلم بتلك الطائفة وتصرفاتها ولا يمكن أن يعمم هذا الحكم على البقية، هو إمام في الإصلاح وهو أعلم بواقعه، وما أشار إليه إن وقع لا يمكن ظان يخالفه مسلم سواء سدا للذريعة أمام العوام، أو حفاظا على العقيدة الحققة. وتلك مراتب ودرجات في التغيير لها أهلها.

2/ مقصد الأخلاق والتربية

وهذا المقصد ذو فتن متعددة، يصعب حصر مقاصده، لأن الأخلاق تمثل ثلثا من الدين، وعليه سأحصر ذلك على ما تيسر لي قصدا بالأثر مما يتعلق بالإصلاح، الفردي والجماعي، فتهديب النفس والارتقاء بها في معارج الكمال في التفكير، والسلوك، قولاً وفعلاً، هو ضمن المقاصد القرآنية، ونربطه بعلم التزكية في ثمرته العليا.

وقد أدرجه ابن باديس ضمن علم العمران الذي يصطلح عليه بعلم الاجتماع، وابن باديس من المنظرين لهذا العلم وقد أشار إليه صاحبه الإبراهيمي ومن تأمل وقف على ما

(1) المصدر نفسه. ج. 1. ص 397

قاله: " وإحاطة وباع مديد في علم الاجتماع البشري وعوارضه. وإمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ومستجدات العمران يمد ذلك كله قوة خطابية قليلة النظير"⁽¹⁾.

ومن التفسير العملي للإبراهيمي في بيان هذا المقصد فهما قال: " وقد أجمع حكماء الأمم على هذه الحقيقة التي قررها الإسلام بدلائله وأصوله وهي أن الأمم لا تقوم ولا تحفظ وجودها إلا برسوخ الأخلاق الفاضلة في نفوس أفرادها"⁽²⁾. وفي موضع آخر قال عن الإصلاح الاجتماعي الذي أساسه الأخلاق الذي سعت الجمعية لتحقيقه: " وإذا رجعنا إلى الأخلاق، أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهراً في جمهرة من الأخلاق الفاضلة غرستها في نفوس الأمة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام، وخلق الصبر عليه ومطاولته وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير وخلق الاعتماد على النفس، وخلق الصراحة في القول والجراة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم."⁽³⁾.

وفي تفسير سورة الإسراء لابن باديس يستنبط أصول الأخلاق والتربية للنفس من آياتها ففي قوله تعالى: "إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا"، قال: "وما دام الإنسان مجاهداً في تزكية نفسه بهذين الأصلين فإنه بالغ أملاً ورجاءً- بإذن الله- درجة الكمال"⁽⁴⁾، وقال في موضع آخر من السورة في قوله تعالى: "﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورٌ﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿37﴾" ﴿

قال: "ولهذه المعاني التي تتصل بتفسير هذه الآية الكريمة- وهي أصول في علم الأخلاق- عَنْوْنَا عليها بآية الأخلاق"⁽⁵⁾

وهذا المقصد ركز عليه كثيرا في الإصلاح الاجتماعي ابن باديس فبين أصول هذا العلم استنباطا من الآيات وسعى لتوعية أفراد المجتمع به، مبرزاً أثره، وتكامل مقصد العقائد

(1) محمد لبشير الإبراهيمي. آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي . ج.1. ص 327

(2) محمد البشير الإبراهيمي. آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي . ج.1. ص 134

(3) المصدر نفسه. ج.1. ص 286

ابن باديس. مجالس التذكير. ص 78

المصدر نفسه. ص 109(5)

ومقصد الاخلاق متأثرا بالأول بقوله: " أن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر"⁽¹⁾. كما كان يشير إلى مقصد التزكية للنفس الذي هو ثمرة عليا للعبادة أو لمقامي الإسلام والإحسان ، فكان يعنون ب " دقيقة روحية" يبرز فيها زكاء النفس وارتياضها في المقامات القدسية بالذكر والتدبر والبعد عن عالم المادة.

ولا يسع المقام هذه الورقات البحثية للإفاضة في ثمرات التزكية وبيان أصول التربية، وإنما الغاية هي تثويق فكرة مقاصد القرآن تنزيلا كما ذكرت في البداية.

3/ مقصد الاعتبار من السنن الكونية

وهذا المقصد من أهم المقاصد القرآنية التي تضمنها كتاب الله، وهو ضمن القصص، والأمثال، وما ساقه الله حكاية وإخبارا عن الأمم وما كان سببا في سقوطها وانتكاس فطرتها، أو نهوضها، فكل الأمرين مقصود، ولذا وجب التنبيه إلى سنن الله في الكون قصد الاعتبار من الماضي والاستبصار للمستقبل، أفرادا وجماعات.

ولذا حاول الإمامان التنبيه على هذه السنن وكانت غاية مقصودة لنهوض الأمة من سباتها، وفهمها للإسلام حق الفهم.

جاء في الآثار للإبراهيمي: " وأنه لا تنافي بين الإسلام والمدنية الصحيحة بل هو روحها وخلاصتها إذا أقيم على وجهه الصحيح، وأن نواميس الكون هي سنن الله فيه، وأن الأخذ بأسباب الحياة هو تحقيق لحكمة الله في تلك السنن، وأن تجديد الأمة الجزائرية إنما هو في غير ما هي به مسلمة وفي غير ما هي به عربية"⁽²⁾.

وفي موضع آخر من تفسير سورة إبراهيم في درسه التفسيري قال: " هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ، فإن الإشارة في تلك الآية يحسن أن يكون مرجعها خاصا، وهو قصة أُحُد 154 التي توسطتها هي، لقد وقع في قصة أحد من الحوادث ما استوجب تنبيه المسلمين أنَّها من سنن الله التي لا تتحول ولا تتبدل إكرامًا للنبي ولا لأتباعه، والتي بني عليها هذا الدين، وقد جاء قبل تلك الإشارة قوله تعالى 157: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي

(1) المصدر نفسه ص 150

(2) محمد لبشير الإبراهيمي. آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي . ج 1. ص 84

الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ⁽¹⁾

وفي موضع آخر: "وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ" والعبرة البليغة لقومنا العرب في زماننا هذا من وقعة بدر هي نصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة فلا يقول المتوسمون في آيات الله وسننه... وإنما هو جار على السنن المعتادة. وما أُتِيَ من يعتقد خلاف هذا إلا من الغفلة عن سنن الله، أو من التقصير في استقراءها"⁽²⁾.

وقد أشار الشيخ الإبراهيمي إلى مواطن كثيرة من تفسيره لسنن الله الكونية التي أمر بالأخذ بالأسباب، وأمر بالنظر في السير، والقصص والأمثال وأخذ العبر، في الصلاح الفردي والجماعي لينتظم أمر الأمة فتكون مرهوبة الجانب.

أما ابن باديس فكانت الإشارات السننية حاضرة في تفسيره، في مواطن كثيرة نقتصر على ما يوصل للغرض المقصود، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾

قال: "يذكر الله - تعالى - لنا في شأن هذا النبي الكريم ما أعطاه من علم، وما مكنه منه من عظيم الأشياء. ترغيباً لنا في طلب العلم، والسعي في تحصيل كل ما بنا حاجة إليه من أمور الدنيا... وبعثنا لهممنا على التحلي بأسباب العظمة من العلم والقوة"⁽³⁾.

وهذا إشارة إلى سنن الأخذ بالأسباب التي تورث السيادة للفرد والأمة، وهو أحد أسباب تملك أي القيام بالحضارة التي تمكن للأمة في الأرض، وأن لا تنافي بين الأسباب الدينية ولا الأسباب الدنيوية.

وفي قوله تعالى من نفس السورة: ﴿وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: "وبقيت الآية على الدهر مذكرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا تغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه، وأولئك هم الوازعون"⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه. ج. 1. ص. 403

(2) المصدر السابق. ج. 5. ص. 84

(3) ابن باديس. مجالس التذكير. ص. 259

(4) المصدر نفسه. ص. 260

ونسعي هذه السنة الكونية في التخطيط بمفهوم العصر، وبين أثره وثمرته، فالخروج عن العشوائية والعبثية، إلى النظام والتخطيط كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم للوصول إلى أهداف الدعوة الإسلامية التي مكنت له في الأرض ومكنت لأصحابه من خلال الفتوحات التي فتحوها في بقاع الأرض. وهذه سنة لا تتخلف فكل من انتظم تحت نظام معين وأخذ بأسباب ذلك النظام ظهرت ثمرته في الدين والدنيا مؤمنهم وكافرهم.

✚ الخاتمة:

بعد معالجة مسائل في علم التفسير من حيث جهة التنزيل له على واقع الناس من منظور مدرسة الإصلاح في التفسير عند علماء جمعية علماء المسلمين عند مبرزها وهما الشيخان ابن باديس والإبراهيمي، فتوصلت إلى بعض الإشارات مما وقفت عليه مما خفاه من تراث علمي محفوظ؟

أولاً: حضور التفسير المقاصدي في الدرس التفسيري علما وعملا، في الأذهان أو تفعيلاً على واقع الناس وقتئذ.

ثانياً: ربط مقاصد القرآن المختلفة بالتفسير مما يؤكد نباهة الشيخين على ما يجب على المفسر والمتدبر للقران الكريم، إماما بالشروط والأصول في التفسير.

ثالثاً: تعتبر المادة العلمية من حيث تثوير فكرة الإصلاح عن طريق التركيز على مقاصد القرآن تجديدا في التفسير عند الشيخين.

رابعاً: التجديد في مقاصد القرآن كان من جهتين اثنتين، من جهة إبراز مقاصد قرآنية جديدة، أو من حيث المنهج في التأصيل لها من خلال الآيات والصور أو من حيث فهمها تنزيلاً وتطبيقاً في الإصلاح.

خامساً: تعتبر مرحلة التفسير في عهد الجمعية مرحلة تأثر بفكر مدرسة الإصلاح التي تنطلق من القرآن إصلاحاً وتغييراً، ومن الواقع تجديدا لهذا العلم، للوقوف على أصول الهداية والإصلاح الذي هي ضمن مقاصد الكتاب مستمدة من الكتاب نفسه ومن البيان النبوي لها في الرقي والحضارة.

✚ المصادر والمراجع:

القران الكريم

1. أبو حامد الغزالي. جواهر القرآن. المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني. دار إحياء العلوم، بيروت. الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م
2. شهاب الدين الخفاجي. حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايَةُ الْقَاضِي وَكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي. : دار صادر - بيروت. د ط م ت. ج 8. ص 405
3. محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. د ط. 1990. ج 11. ص 117
4. ابن باديس. مجالس التذكير. المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م
5. مُحَمَّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي. جمعه. نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، 1997.
6. ابن عاشور. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر - تونس. 1984
7. الحجوي. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان. الطبعة: الأولى - 1416 هـ - 1995 م

دور الدرس التفسيري في تقويم الدعوة إلى الله من خلال تفسير ابن باديس

The Role of Qur'ānic Exegesis in Shaping the Methodology of Da'wah to Allah: Insights from the Tafsīr of Ibn Bādīs

ط. د. مونية تسة

جامعة الجزائر 1

الملخص:

يتوجه هذا البحث إلى إبراز دور الدرس التفسيري في بيان المنهج القويم في الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الدعاة إليه والتي تعدّ أهم لبنات إصلاح الأمة فالدعاة إلى الله تعالى هم ورثة الأنبياء في تبصير الناس والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان ومرشد الأمور وتحصين الأمة مما يلزم بها؛ وذلك من خلال المدونة التفسيرية للعلامة المفسر رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر عبد الحميد ابن باديس رحمه الله الذي استنبط من الآيات القرآنية منهجا دعويا شرعيا بين فيه معالم فقه الدعوة إلى الله تعالى التي جاء بها القرآن والسنة النبوية وبيان لما يخالف هديهما. الكلمات المفتاحية: الدرس التفسيري، ابن باديس، الدعوة إلى الله، مجالس التذكير.

Abstract:

This research seeks to demonstrate the pivotal role of Qur'ānic exegesis in establishing a sound framework for da'wah to Allah—the call to faith—and in providing guidance for those who undertake it. Da'wah constitutes one of the principal foundations for the reform and renewal of the Muslim ummah, for the callers to Allah are the true heirs of the Prophets: they illuminate the path of truth, lead people to safety and rectitude, and protect the community from spiritual and moral decline.

The study examines the exegetical corpus of the eminent Algerian scholar and reformist leader 'Abd al-Ḥamīd Ibn Bādīs may Allah have mercy on him. From the Qur'ānic text, Ibn Bādīs extracted a coherent, Shar'ī methodology of da'wah, articulating its essential pillars,

explaining the function of each, and detailing the modes of invitation set forth by the Qur'ān and the Sunnah of the Prophet. He likewise exposed deviations from these divinely guided principles.

Keywords: exegetical lesson, Ibn Bādīs, da'wah to Allah, circles of remembrance.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم رسلاً يُبصِّرونهم بالحق ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فبلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، ثم جعل لهم خلفاً هم مصابيح الدجى؛ يرثون عنهم العلم ويدعون إلى الخير قال تعالى: "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (1)، بل وجعل الدعوة إليه قرينة لخيرية الأمة؛ قال سبحانه: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (2)؛ فلا تزال الأمة بخير ما دامت الدعوة إلى الله تعالى قائمة؛ فيها يبصر الناس الحق ويهتدون إلى الخير وتعم الأخلاق الحسنة؛ ولكن قد تؤدي الوسيلة إلى نقيض القصد؛ إن فسدت؛ لذلك فبيان المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى مما لا يتم واجب الدعوة إلى الله إلا به فهو واجب؛ لذلك نجد للعلماء اهتماماً واسعاً في تقعيد الدعوة إلى الله تعالى وفق أسس ومناهج وضوابط مستنبطة من الوحي؛ ومن أولئك الأئمة؛ العلامة الجزائري: عبد الحميد بن باديس رحمه الله؛ رائد النهضة الإصلاحية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي الذي سخر قلمه في استنباط المنهج القويم للدعوة إلى الله من خلال دروسه التفسيرية المجموعة في مصنفه: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"؛ ذلك أن إصلاح الدعوة أولى لبنات إصلاح المجتمع، وفي هذا البحث

(1) [آل عمران: 104]

(2) [آل عمران: 110]

بيان لهذا المنهج وأثره في الإصلاح.

إشكالية البحث: ما دور الدرس التفسيري في تأسيس معالم فقه الدعوة إلى الله تعالى من خلال تفسير ابن باديس؟

أهداف البحث:

- التعريف بالإمام ابن باديس رحمه الله مفسرا ورائدا للنهضة الإصلاحية في الجزائر، وتفسيره: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير".
- التعريف بالدعوة إلى الله تعالى وبصورها وأركانها وحكمها من خلال تفسير ابن باديس رحمه الله.
- بيان أثر تفسير ابن باديس في تقويم الدعوة إلى الله من خلال بيان أسس الدعوة إلى الله وضوابطها.
- أهمية البحث:

- إبراز أثر الدرس التفسيري في استنباط المنهج القويم للدعوة إلى الله من الوحي.
- بيان مكانة تفسير ابن باديس باعتباره مدونة تفسيرية إصلاحية؛ ظهر فيها دور الدرس التفسيري في الإصلاح؛ ومن ذلك تقويم الدعوة إلى الله تعالى ببيان المنهج الدعوي الصحيح الذي دلّت عليه نصوص الوحي.
- إفادة الدعاة والباحثين بالأساليب والأسس الدعوية التي دلت عليها النصوص الشرعية وأكدها الخبرة الباديسية في النهضة الإصلاحية، وما يضادها من المحذورات التي تؤدي إلى نقیض المقصود بل وتلحق بالضرر على الدعوة.
- الكشف عن الصفات التربوية والآداب الأخلاقية التي تلزم الداعية إلى الله تعالى على ضوء التفسير الباديسي لآيات الدعوة من القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

أ. الأسباب الموضوعية:

- مكانة الإمام ابن باديس العلمية والدعوية، وما مثله من رمز للإصلاح والتجديد في الجزائر والعالم الإسلامي؛ مما يجعل النظر في تفسيره منطلقا لفهم المنهج القويم للدعوة إلى

- الله تعالى الذي استنبطه من آيات الدعوة وعمل به في تجربته الإصلاحية.
- الربط بين التفسير والدعوة إلى الله تعالى؛ ببيان أن القرآن هو أساس بناء مشروع دعوي إصلاحي ناجح كما جسده ابن باديس رحمه الله.
 - تضمن تفسيره لإرشادات منهجية للدعاة إلى الله تعالى تعود بتقويم إصلاحي لأساليب الدعوة إلى الله تعالى وأوصاف الداعية إليه.
 - الحاجة الماسة إلى استلهاهم منهج دعوي على ضوء الوحي يجمع بين الثبات على الأصول والتأثير على المدعو.
 - ب. الأسباب الذاتية:
 - الاهتمام بشخصية الإمام ابن باديس رحمه الله وبتراثه، والرغبة في الاستفادة من درسه التفسيري في استنباط منهج دعوي قويم وبث نفسه الدعوي والاحتذاء بمنهجه الإصلاحي.
 - الاهتمام المسبق بمجال الدعوة الله تعالى، والسعي لإيجاد منهج دعوي قويم يرتكز على نصوص الوحي.
 - الرغبة في تفنيد بعض المغالطات الدعوية التي أضرت بالدعوة والجهود الإصلاحية والتي تخالف نصوص الوحي مما بينه الإمام ابن باديس في تفسيره.
 - الاستفادة من القدوات الإصلاحية الجزائرية، ونفض الغبار عن تراثهم.
- الدراسات السابقة:

إن الرسوخ العلمي الذي شُهد للإمام ابن باديس رحمه الله سواء من الجانب العلمي أو الإصلاحي جعل الأقسام تنهال في الاعتراف من معين إرثه والاستفادة من تجربته الإصلاحية خاصة التي كان لها الأثر البالغ في إخراج الجزائر من الظلمات إلى النور وبث الهوية الإسلامية والجزائرية فيها، وبثذ مخلفات الاستعمار المشين؛ لكنني لم أجد دراسة مستقلة تحمل مسمى هذا البحث حيث تركز على بيان دور تفسيره في تقويم الدعوة إلى الله تعالى من خلال استنباط المنهج الدعوي الصحيح القائم على الأركان والضوابط والأساليب وبيان المحاذير التي من شأنها تصحيح مسار الداعية إلى الله تعالى في دعوته.

إلا مقالان يقتربان من الموضوع:

- أمّا الأول فهم أعم من الموضوع ولا يختص بالجانب الإصلاحي للدعوة إلى الله تعالى؛ وهو الموسوم بـ "الاتجاه الإصلاحي في تفسير ابن باديس مجالس الذكر" لـ حياة بومليحة، من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة - الجزائر.
- وأمّا الثاني فهو أخصّ؛ فقد تناول تحليل فقرة في تفسير الإمام ابن باديس توجه فيها إلى خطباء المساجد؛ وهو الموسوم بـ "توجيهات الإمام ابن باديس للدعاة في خلال تفسيره "مجالس الذكر" - خطباء المساجد أنموذجا-"، لـ شوقي هشام، وهو مقال على مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 15، العدد 2، 2022، 468 - 484.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي؛ من خلال استقراء مظانّ الحديث عن الدعوة إلى الله في تفسير ابن باديس رحمه الله وتحليل كلامه بما استنبط منه جزئيات الموضوع، كذا الوصفي في بيان أوصاف الداعي إلى الله تعالى ومنهج الدعوة وأساليبها.

خطة البحث:

المبحث الأول: التعريف بالدعوة إلى الله، وبابن باديس وتفسيره

المطلب الأول: التعريف بالدعوة إلى الله تعالى

المطلب الثاني: التعريف بابن باديس وتفسيره

المبحث الثاني: أركان الدعوة إلى الله تعالى، وحكمها

المطلب الأول: أركان الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الثاني: حكم الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الثالث: أسس الدعوة إلى الله تعالى وأثرها

المطلب الأول: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الثالث: الجدل بالتي هي أحسن

المبحث الأول: التعريف بالدعوة إلى الله، وبابن باديس وتفسيره

المطلب الأول: التعريف بالدعوة إلى الله تعالى

الفرع الأول: الدعوة لغة

الدَّال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك⁽¹⁾، ويُقال: دعوتُ فلاناً وبقلاً ناديته وصحّت به⁽²⁾.

فالدَّعوة تأتي بمعنى الطَّلب والاستمالة ومنها اشتق الدَّعوة إلى الله عزوجل ففيها استمالة قلب المدعو إلى ما يدعو إليه الدَّاعية.

الفرع الثاني: الدعوة اصطلاحاً

الدعوة هي: "إبلاغ الناس دعوة الإسلام، في كل زمان ومكان، بالأساليب والوسائل، التي تتناسب مع أحوال المدعوين"⁽³⁾.

فالدعوة إلى الله شعيرة أقامها الله تعالى لإبلاغ الناس دينهم وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقع على صور شتى؛ ذكر ابن باديس رحمه الله لها صوراً في تفسيره؛ منها⁽⁴⁾:

1. عقد دروس العلم؛ من الفقه في دين الله عزوجل الذي تُعرف به أحكام الله تعالى، أو ما يُعرف به عظمة الله تعالى وقُدْرته كالطب وغيرها.

2. بيان حُجج الإسلام، ودفع الشُّبه عنه، ونشر محاسنه بين الأجانب عنه ليدخلوا فيه وبين مزعزي العقيدة من أبنائه ليثبتوا عليه.

3. مجالس الوعظ والتذكير لتعريف المسلمين بدينهم وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس 2/ 279.

(2) أساس البلاغة، الزمخشري، 1/ 189.

(3) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ص: 21.

(4) يُنظر: تفسير ابن باديس 1/ 125-126.

وأعمالهم.

4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5. ظهور المسلمين أفراداً وجماعات بما في دينهم من الأخلاق الحميدة التي يحصل بها التعريف والترغيب في الإسلام، واجتناب ما يضادّها مما يحصل به نقيض ذلك.

6. بعث البعثات إلى الأمم غير المسلمة ونشر الكتب بألسنتها وبعث المرشدين إلى عوام الأمم المسلمة لهدايتهم وتفقيهم.

المطلب الثاني: التعريف بابن باديس وتفسيره

الفرع الأول: التعريف بابن باديس

وُلد الإمام عبد الحميد بن مصطفى بن المكي بن باديس يوم 4 ديسمبر 1889م 11 ربيع الثاني 1307هـ بمدينة قسنطينة في أسرة عُرِفَت بالعلم والوجاهة، فحفظ القرآن صغيراً وتلقّى علومه الأولى على شيوخ بلده، ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة بتونس فأكمل دراسته ونال شهادة التطويع سنة 1912م، ثم من الله تعالى عليه بأداء فريضة الحج سنة 1913م وهناك التقى بعلماء الحجاز فأخذ عنهم وتأثر بالحركة الإصلاحية هناك ليعود إلى موطنه مثقلاً بعلم وهمة للإصلاح؛ فبدأ منذ 1914م دروس التفسير والوعظ في الجامع الأخضر بقسنطينة، جامعاً بين البيان القرآني والتوجيه الإصلاحي، ومُصَدِّراً صحفًا ومجلات أشهرها «الشهاب»، وفي 5 مايو 1931م أسّس مع ثلة من العلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وانتُخب رئيساً لها، وجعل شعارها «الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا»، فقاد مشروعاً تربوياً شاملاً لتعليم العربية ومحاربة البدع والاستعمار. امتاز تفسيره بربط النص القرآني بواقع الأمة، فغداً منبراً للدعوة إلى الله وتحرير العقول، كما جمع تلامذته مقالاته ودروسه في سلسلة «آثار ابن باديس» إعداد عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط1، 1968م التي حفظت معظم إنتاجه العلمي. تُوفي رحمه الله في قسنطينة يوم 16 أبريل 1940م عن 51 عاماً، بعد أن خَلَّف

مدرسة إصلاحية عميقة الأثر في تثبيت الهوية الإسلامية الجزائرية⁽¹⁾.

الفرع الثاني: التعريف بتفسير ابن باديس

هو أحد المدونات التفسيرية في التراث الجزائري للعلامة المصلح ابن باديس؛ حيث ختم تفسير القرآن الكريم في ربوع الوطن الجزائري تفسيراً استهدائياً بثّ فيه من أنوار الوحي النهضة الإصلاحية؛ وعنه يقول الإمام البشير الإبراهيمي رحمه الله: "ولقد كان من حسن حظ الجزائر أن باعث النهضة العلمية فيها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد وضع أساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من أول يوم، فسلك في درس كلام الله أسلوباً سلفي النزعة والمادة، عصري الأسلوب والمرمى مستمداً من آيات القرآن وأسرارها أكثر ممّا هو مستمد من التفاسير وأسفارها. وقد قرأنا له في بعض افتتاحيات مجلة "الشهاب" أنه يعتمد في هذه الدروس على تفاسير مخصوصة في مواضيع مخصوصة، كالطبري في المأثور والكشاف للزمخشري في أسرار الإعجاز"⁽²⁾.

إلا أنّه وافته المنية قبل أن يحرّر تفسيره فقد شغله تأليف الرجال عن تأليف الكتب كما قال؛ ولكن من نعمة الله تعالى أن قيّض من قيّد من أماليه تفسيراً هو الذي بين أيدينا باسم: "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"؛ قال البشير الإبراهيمي: "لم يكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئاً منها، وضاع على الأمة كنز علم لا يُقوّم بمال، ولا يعوض بحال، ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة ابن باديس في التفسير، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يذيع فضله وعلمه، فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة الشهاب ويسمّيها مجالس التذكير وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له. كما أنها نموذج من أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي، هذه المجالس

(1) من أبرز المراجع التي وثّقت سيرته: أحمد توفيق المدني، حياة عبد الحميد بن باديس، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994م؛ محمد الصالح رمضان، ابن باديس: حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1984م؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م؛ و«آثار ابن باديس»، إعداد عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط1، 1968م.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1/ 343.

العامرة هي التي تصدى الأخ الوفي السيد أحمد بوشمال عضد الإمام المفسر وصفيه وكتابه والمؤتمن على أسرارهِ، لتجريدها من مجلّة الشهاب ونشرها كتاباً مستقلاً، قياماً بحق الوفاء للإمام الفقيد وإحياء لذكراه بأشرف أثر من آثاره، وها هو ذا بين أيدي القراء يستروحون منه نفحات منعشة من روح ذلك الرجل العظيم، ويقرأونه فلا يريدون عرقاً بقدره فحسبهم ما بنى وشاد، وعلم وأفاد، وما ربي للأمة من رجال كالجبال، وما بث فيها من فضائل وآداب، وما أبقى لها من تراث علمي خالد، لا يرثه الأخ عن الأخ، ولا الولد عن الوالد⁽¹⁾.

المبحث الثاني: أركان الدعوة إلى الله تعالى، وحكمها

المطلب الأول: أركان الدعوة إلى الله تعالى

ذكر المصنف رحمه الله أنّ أركان الدعوة إلى الله تعالى أربعة أركان:

الداعي: وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

فهو الأسوة الذي دعا إلى الله بأقواله وأفعاله وجاهد في الله حق الجهاد، ورسم منهجاً دعويّاً لمن يسلك هديه من بعده ويرثه في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله تعالى؛ قال رحمه الله: "فالنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- من يوم بعثه الله إلى آخر لحظة من حياته، كان يدعو الناس كلهم إلى الله، بأقواله وأفعاله وتقاريراته وجميع مواقفه في سائر مشاهدته⁽²⁾.

وتميزت دعوته صلى الله عليه وسلم بـ⁽³⁾:

1. الوضوح: كانت دعوته هذه بوجوهها كلها واضحة جلية لا خفاء بها.
2. العمل بمقتضى دعوته: فكان يدعو إلى دين الله، ويبين هو ذلك الدين ويمثله: يدعو إلى عبادة الله وتوحيده وطاعته، ويشاهد الناس تلك العبادة والتوحيد والطاعة، فكان- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- كله دعوة إلى الله.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 2/ 253.

(2) تفسير ابن باديس، ص 313.

(3) يُنظر: تفسير ابن باديس، ص 314.

3. الإخلاص لله في دعوته؛ فلم يدعُ إلى نفسه؛ فقد مات ودرعه مرهونة في دَيْن، وما دعا إلى قومه.

4. عموم دعوته للناس كلهم: حيث كان يدعو الناس كلهم، إذ هو رسول الله إلى الناس كلهم، فكتب الكتب وأرسل الرسل، فبلغت دعوته إلى الأمم وملوك الأمم، فكان يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين، يدعو أولئك إلى الدخول في دين الله ويدعو هؤلاء إلى القيام بدين الله.

5. الثبات؛ فلم ينقطع يوماً عن الإنذار والتبشير والوعظ والتذكير.

6. دعوته قائمة على الحجة والبرهان؛ فكان يدعو إلى الله على بينة وحجة يحصل بها الإدراك التام للعقل، حتى يصير الأمر المدرك واضحاً لديه كوضوح الأمر المشاهد بالبصر، فهو على بينة يقين من كل ما يقول ويفعل، وفي كل ما يدعو من وجوه الدعوة إلى الله في حياته كلها، وفي جميع أحواله.

وكانت دعوته المبنية على الحجة والبرهان، مشتملة على الحق والبرهان، فكان يستشهد بالعقل، ويعتضد بالعلم، ويستنصر بالوجدان، ويحتج بأيام الله في الأمم الخالية، وما استفاد من أخبارها، وبقي من آثارها من أنباء الأولين، وما يمر الناس عليه {مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ} [الصافات: 136].

والمدعو: وهم جميع الناس.

والمدعو إليه: وهو سبيل الرب جلّ جلاله، والدعوة إلى سبيله الموصل إليه دعوة إليه؛ فالمدعو إليه في الحقيقة هو الله تعالى؛ شرع الله لعباده- بما أنزل من كتابه، وما كان من بيان رسوله- ما فيه استنارة عقولهم، وزكاء نفوسهم، واستقامة أعمالهم. وسماه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحياة، ليفضي بهم إلى الغاية المقصودة، وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخرى، وأضافه إلى نفسه، ليعلموا أنه هو وضعه، وأنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه⁽¹⁾.

المطلب الثاني: حكم الدعوة إلى الله تعالى

(1) يُنظر: تفسير ابن باديس، ص 318.

بين المصنّف أنّ الدعوة إلى الله تعالى هي سبيل النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله الأسوة الحسنة للعالمين؛ ممّا دلّ على وجوب أن تكون سبيل أتباعه؛ ثم استدلّ بقوله تعالى: "أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ"⁽¹⁾ على التأكيد على أنّ متابعتهم له صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا باتباع سبيله في الدعوة إلى الله تعالى. وهذا الوجوب يقع على أعيانهم وجماعاتهم؛ قال رحمه الله: "فالمسلمون أفراد وجماعات عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله تعالى"⁽²⁾. والقصد من ذلك أنّ الدعوة إلى الله تعالى لفظ عام يستغرق صوراً شتى فمنها ما يقع عليه الوجوب الكفائي كالتعليم، ومنها ما هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يتنوع كذلك بحسب الاستطاعة؛ فيجب باليد، فإن لم يستطع فباللسان، فإن لم يستطع فبالقلب، وهو أضعف الإيمان، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"⁽³⁾.

وردت عدة أدلة على وجوب الدعوة إلى الله؛ منها:

1- قال تعالى: "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"⁽⁴⁾؛ وفي قوله: ﴿وَلَتَكُنْ﴾ أمر ظاهره الوجوب.

2 - قال تعالى: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" وفي الآية: أطلق مسمى الإيمان على من قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن لم يقم به لا يستحق أن يكون من المؤمنين.

3 - قال تعالى: "لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَدَا لِسَانَ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ

(1) [يوسف: 108]

(2) تفسير ابن باديس، ص 319.

(3) أخرجه مسلم 49، من حديث أبي سعيد الخدري.

(4) [آل عمران: 104]

مَرِيْمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨١﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ⁽¹⁾؛ وهذه الآية شددت على المقصّرين بشأن الدّعوة إلى الله، وعلّلت استحقاقهم اللّعة بتركهم النّهي عن المنكر.

4 - قال تعالى: "فَلَمَّا تَسَوَّأَ مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَیْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ⁽²⁾؛ وهذه الآية بينت أن الناجين ما تحققت لهم النجاة إلا بالنّهي عن السوء، وهو ما يؤكد أمر الوجوب.

المبحث الثاني: أسس الدّعوة إلى الله تعالى

قال تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ⁽³⁾؛ في الآية بيان لأسس الدّعوة إلى الله تعالى وكيف يدافع عنها؛ وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

المطلب الأول: الحكمة في الدّعوة إلى الله تعالى

الفرع الأول: معنى الحكمة في الدّعوة إلى الله تعالى

فإنّ الحكمة أوّل ما ينبغي أن تُبنى عليه الدّعوة إلى الله تعالى؛ وهي: "العلم الصّحيح الثّابت المثمر للعمل المتقن، المبني على ذلك العلم"⁽³⁾.

فتشمل: العقائد السليمة والحقائق العلمية العلمية الرّاسخة في النّفس رسوخاً تظهر آثاره والأعمال المستقيمة والكلمات الطيبة التي أثمرتها تلك العقائد.

انتهج المصنّف في تفسيره للفظ الحكمة؛ طريقة تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث استنبط

(1) [المائدة: 78].

(2) [النحل: 125].

(3) تفسير ابن باديس، ص 320.

هذا المعنى من قوله تعالى: "ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ" (1)، بعد أن ذكر جملة من الأوامر المشتملة على العقائد الحقّة، والحقائق العلميّة، والأعمال المستقيمة، والكلمات الطيّبة والأخلاق الكريمة؛ حيث سعى الله تعالى كلّ ذلك حكمة (2)؛ قال رحمه الله: "هي الجامع الواضح للعقائد بأدلتها، والحقائق وبراهينها، والأخلاق الكريمة، بمحاسنها ومقابح أضدادها، والأعمال الصالحة" (3).

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتّصف بالحكمة؛ وذلك بتحصيل العلم النافع الذي يُحصّل به صحّة الاعتقاد والفقه للدّين المثمر للعمل الصالح بالاستقامة على أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، والتحلي بالأخلاق الحسنة.

فهي جماع ثلاثة أمور:

أولاً: العلم

فتحلي الداعية إلى الله تعالى بالعلم من أوّل أساسيات الدعوة إلى الله تعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (4)؛ وَمِنْ هُنَا بَوَّبَ الإمام البخاري رحمه الله - في: "صحيحه" باباً تحت عنوان: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قَبْدًا بِالْعِلْمِ.

فعلى الدّاعية إلى الله تعالى أن يكون بصيرا بدينه وبما يدعو إليه؛ متلقيا العلم من مصادره الأصيلة مميّزا بين الصحيح والدّخيل؛ وما أفسد الواقع الدّعوي وجنى على الأمّة بالمهالك إلا تصدر الجهلة؛ فعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا

(1) [الإسراء: 39].

(2) تفسير ابن باديس، ص 320.

(3) تفسير ابن باديس، ص 321.

(4) [محمد: 19].

وأضلوا"⁽¹⁾.

قال رحمه الله موجها الدعوة إلى الله تعالى: "فعلينا أن نلزمها جهدنا حيثما دعونا، ونقتدي بأساليب القرآن والسنة في دعوتنا، فيما يحصل الفهم واليقين، والفقه في الدين والرغبة في العمل والدوام عليه. وها نحن قد بلغ الحال بنا إلى ما بلغ إليه من الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل به، والفتور في العمل، فحق على أهل الدعوة إلى الله- وخصوصاً المعلمين- أن يقاوموا ما بيننا من جهل وجمود وإعراض وفتور، بالتزام البيان للحقائق العلمية بأدلتها، والعقائد ببراھينها، والأخلاق بمحاسنها، والأعمال بمصالحها"⁽²⁾.

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة

الفرع الأول: تعريف الموعظة

ثنى الله سبحانه وتعالى في بيان كيفية الدعوة بالموعظة الحسنة؛ والوعظ والموعظة هو "الكلام المملين للقلب، بما فيه من ترغيب وترهيب فيحمل السامع- إذا اتعظ وقبل الوعظ، وأثر فيه- على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. وقد يطلق على نفس الأمر والنهي"⁽³⁾.

الفرع الثاني: صور الموعظة

الموعظة تقع على ما يحصل به انتفاع المدعو من الترغيب والترهيب الذي يكون سببا في حصول الهداية؛ وقد عدّ لها المصنّف صوراً منها⁽⁴⁾:

1. ذكر أيام الله في الأمم الخالية
2. ذكر أهوال اليوم الآخر وما يتقدمه، وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم،

(1) صحيح البخاري مع الفتح، ١٩٤/١، كتاب العلم، باب كيف يُقبض العلم، رقم ١٠٠، وصحيح مسلم ٢٠٥٨/٤، كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان / رقم ٢٦٧١.

(2) تفسير ابن باديس، ص 321.

(3) تفسير ابن باديس، ص 322.

(4) تفسير ابن باديس، ص 322.

ومصيرهم إلى الجنة أو النار، وما في الجنة من نعيم، وما في النار عن عذاب أليم، وبوعد الله ووعيده

3. تذكير الإنسان بأحوال نفسه، ليعامل غيره بما يحب أن يعامل به، وهو من أدق فنون الوعظ وأبلغها، مثل قوله تعالى وقد نهى أن يقال لمن ألقى السلام لست مؤمناً- {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} [النساء: 94]، وقوله تعالى- وقد أمر بالعتو والصفح- {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22].

الفرع الثاني: حسن الموعظة

قيد الله سبحانه وتعالى لفظة الموعظة بالحسنة؛ وهي التي يحصل المقصود منها: من ترقيق للقلوب، للحمل على الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخرة؛ وهي الموعظة التي جمعت بين حسن اللفظ وحسن المعنى؛ قال رحمه الله: "حُسْنُ لَفْظِهَا؛ بوضوح دلالاته على معناها، وحسن معناها بعظيم وقعته في النفوس، فعذبت في الأسماع، واستقرت في القلوب، وبلغت مبلغها من دواخل النفس البشرية، فأثارت الرغبة والرغبة، وبعثت الرجاء والخوف، بلا تقنيط من رحمة الله، ولا تأمين من مكروه، وانبعثت عن إيمان ويقين، ونادت بحماس وتأثر، فتلقتهما النفس من النفس، وتلقفها القلب من القلب، إلا نفساً أحاطت بها الظلمة، وقلباً عوى عليه الران عافى الله قلوب المؤمنين"⁽¹⁾.

وبيان الموعظة الحسنة ما كان على وفق هدي مواظ القرآن والسنة؛ فعلى الدعاة إلى الله أن يلزموه لأنه هو الذي تبلغ به الموعظة غايتها، وتثمر بإذن الله ثمرتها، ويجتنبوا كل ما خالفه مما يعدم ثمرة الموعظة كتعقيد ألفاظها؛ أو يقلبها إلى ضد المقصود منها، كذكر الأحاديث المنكرات أو الموضوعات والآثار الواهية؛ أو كما هو حال بعض الخطباء في الجمععات يعدلون عن المأثور إلى خطب مسجعة طويلة معقدة تلقى بترنم وتلحين وغير ذلك قال رحمه الله: " هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية، سد بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الإسلام، وعطلوا بها الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام .. ورحم الله أبا الحسن- كرم الله وجهه- فقد قال: "الفقيه كل الفقيه كل الفقيه، من لم يقنط الناس

(1) تفسير ابن باديس، ص 323.

من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكروه، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه.. وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواظب النبوية إلى ما أحدثه المحدثون⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الجدل بالتي هي أحسن

وهذا الأسلوب الذي ينبغي أن يسلكه الدّاعية إلى الله تعالى مع من عارضه؛ فإنّ سنة الله القدريّة جارية في أنّ الدعوة طريق الأنبياء يلقي فيه الدعاة مالم يقيه الأنبياء من المعارضين لدعوته، والمستطيلين عليه بالأذى؛ فيضطر إلى رد باطلهم وإبطال شغبهم، ودحض شبههم، وهذا هو جدالهم ومدافعهم بالطريقة التي أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بالجدال بها في قوله: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]؛ وحسنها يكون من جهاتٍ أربع وهي⁽²⁾:

1. من جهة لفظها؛ فعلى الداعية أن يحرص على الكلمة الطيبة ويجتنب كلماتهم الباطلة والقبیحة، وطرائقهم المتناقضة والمتنوية.
 2. من جهة معناها؛ حيث يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة البرينة.
 3. من جهة مظهرها؛ حيث يسلك في مدافعهم طريق الرفق والرجاحة والوقار، دون فحش ولا طيش ولا فظاظة.
 4. من جهة تأثيرها؛ وإفضائها للمقصود من إفحام المبطل وجلبه، وردّ شرّه عن الناس، وإطلاعهم على نقصه، وسوء قصده.
- لكن قد يصير الجدل بغير هذه الضوابط مذموماً لا يأتي إلا بشرّ وينقلب عن المقصد منه؛ قال رحمه الله: "فلنحذر من أن يطغى علينا خلق المدافعة والمغالبة، فنذهب في الجدل شرّ مذاهبه، وتصير الخصومة لنا خلقاً، ومن صارت الخصومة له خلقاً أصبح يندفع معها في كل شيء، ولأدنى شيء، ولا يبالي بحق ولا باطل، وإنما يريد الغلب بأي وجه كان"، وهذا هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" ومن ضبط نفسه وراقب ربه، لا يجادل إذا جادل إلاّ عن الحق وبالتي هي أحسن⁽³⁾.

(1) تفسير ابن باديس، ص 324.

(2) تفسير ابن باديس، ص 325.

(3) تفسير ابن باديس، ص 326.

ثم ذكر رحمه الله بعض الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها في الجدل والتي هي أحسن؛ قال رحمه الله: "على الداعي إلى الله والمناظر في العلم، أن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإقناع الخصم بالحق وجليه إليه؛ فيقتصر من كل حديثه على ما يحصل له ذلك، ويتجنب ذكر العيوب والمثالب، ولو كانت هنالك عيوب ومثالب؛ إقتداء بهذا الأدب القرآني النبوي في التجاوز مما في القوم عن كثير، وفي ذكر العيوب والمثالب خروج عن القصد وبعد عن الأدب، وتَعَلَّى على الخصم وإبعاد له، وتنفير عن الاستماع والقبول، وهما المقصود من الدعوة والمناظرة"⁽¹⁾.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نخلص إلى جمل من النتائج منها:

1. أن للدرس التفسيري دورا بالغا في إحياء النهضة الإصلاحية في الأمة؛ فالإمام ابن باديس اتخذ من دروس التفسير معولا له على الإصلاح، وتأسيس معالم لفقه الدعوة إلى الله تعالى.
 2. أولى لبنات إصلاح الأمة تقويم الدعوة إلى الله تعالى التي تعد أساس الإصلاح.
 3. بين الإمام ابن باديس رحمه الله في تفسيره منهجا دعويا من نصوص الوحي يقوم على إقامة أركان الدعوة؛ فعلى الداعية أن يكون على علم وبينة، وأن يدعو إلى سبيل الله تعالى الذي يعلمه من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يوافقه ويقتدي به في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى.
 4. تقوم الدعوة إلى الله على أساس الحكمة والموعظة الحسنة وجدال المعارض والتي هي أحسن؛ وكل أسلوب أولى له الإمام باديس بيانا على ضوء الوحي وضمّنه إرشادات وتنبيهات للدعاة إلى الله تعالى.
- والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع:

- القرآن الكريم

(1) تفسير ابن باديس، ص 329.

- ابن باديس: حياته وآثاره، محمد الصالح رمضان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1984م.
- آثار ابن باديس، إعداد عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط1، 1968م.
- آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، مُحَمَّد بن بشير بن عمر الإِبْرَاهِيمِي، جمعه نجله الدكتور أحمد طالب الإِبْرَاهِيمِي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ط 1399هـ/ 1979م، دار الفكر.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.
- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- حياة عبد الحميد بن باديس، أحمد توفيق المدني، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994م.
- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ط1، 1409هـ/ 1989م، مكتبة لينه، دمنهور، مصر.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

الآثار التربوية والاجتماعية للدرس التفسيري عند علماء الجزائر عفيف الدين التلمساني نموذجاً

أ.د. صلاح الدين و انس

جامعة غرداية

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف الأبعاد التربوية والاجتماعية للدرس التفسيري، من خلال نموذج العالم الصوفي الجزائري عفيف الدين التلمساني 610هـ - 690هـ، أحد أبرز أعلام المدرسة الروحية والفكرية في الغرب الإسلامي. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء الآثار التي يُحدثها الدرس التفسيري في بناء الفرد والمجتمع، سواء من حيث تعزيز القيم الأخلاقية والتربوية أو من حيث التأثير في العلاقات الاجتماعية والهوية الثقافية. وقد أظهرت الدراسة أن الدرس التفسيري عند التلمساني لا يقتصر على التفسير اللغوي أو الظاهري للنصوص، بل يشمل بعداً روحانياً وتربوياً عميقاً، يُسهم في تهذيب النفس، وتنمية التفكير التأملي، وترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة كالصبر، الزهد، الإخلاص، والمحبة. كما بينت الدراسة كيف ساهمت هذه الدروس في خلق بيئة اجتماعية قائمة على التضامن، والحوار، والانتماء، خاصة في سياقات التحديات الثقافية التي عرفت المنطقة المغاربية آنذاك.

ويُبرز البحث أهمية إعادة إحياء هذا النموذج التفسيري المتوازن والمعتدل في المناهج التعليمية والدينية المعاصرة، بما يُعزّز الهوية، ويُسهم في تنشئة أجيال قادرة على التفاعل الإيجابي مع تراثها، دون الانغلاق أو التطرف.

الكلمات المفتاحية: الدرس التفسيري، عفيف الدين التلمساني، التربية الصوفية، القيم الأخلاقية، الهوية الثقافية، علماء الجزائر، الأثر الاجتماعي، التفسير التربوي.

This study aims to explore the educational and social dimensions of interpretive lessons *al-dars al-tafsīrī*, using the example of the Algerian Sufi scholar ‘*Afīf al-Dīn al-Tilimsānī* 1213–1291 CE / 610–690 AH, one of the prominent figures of the spiritual and intellectual school in

the Maghreb. The research adopts a descriptive-analytical approach to examine the impacts of interpretive teaching on both individual development and societal cohesion—focusing on the reinforcement of ethical values, religious understanding, and cultural identity.

The study reveals that al-Tilimsānī's approach to interpretation extends beyond linguistic or literal exegesis. His method incorporates a deep spiritual and educational dimension, fostering self-discipline, contemplative thinking, and the internalization of core Islamic virtues such as patience, humility, sincerity, and love. It also shows how these interpretive sessions helped build a cohesive social environment based on solidarity, dialogue, and belonging—particularly in the face of cultural challenges facing the Maghreb region at the time.

The research highlights the importance of reviving such a balanced and moderate interpretive model in contemporary educational and religious curricula, as a means to strengthen identity and nurture generations capable of engaging with their heritage without falling into extremism or alienation.

Keywords: Interpretive lesson, 'Afīf al-Dīn al-Tilimsānī, Sufi pedagogy, ethical values, cultural identity, Algerian scholars, social impact, educational exegesis.

مقدمة:

يحتل الدرس التفسيري مكانة محورية لدى علماء الجزائر، إذ لم يقتصر اهتمامهم على بيان معاني القرآن بل تعدى ذلك إلى ترسيخ القيم التربوية والاجتماعية المستنبطة من النصوص القرآنية. التفسير التربوي عندهم لم يكن مجرد شرح، بل كان موجهاً لإصلاح الفرد والمجتمع، وذلك عبر إبراز الهداية العملية للآيات، وتعميق الإيمان، وحث الناس على الأخلاق الحميدة، وبث روح التعاون والعدالة.

يُعدّ الدرس التفسيري من أساليب التعليم الديني والفكري التي تظطلع بدور محوري في بناء الشخصية، وصقل القيم الأخلاقية والاجتماعية، وتنمية الوعي الديني

والثقافي. وهو يتجاوز مجرد شرح النصوص إلى استنباط المعاني، وتطبيقها في الواقع. في السياق الجزائري، توجد تجارب علمية وآثار ملموسة للدرس التفسيري، لا سيما عند العلماء الصوفيين، منهم العلامة عفيف الدين التلمساني 610-690 هـ / 1213-1291 م، الذي ركز على البعد العرفاني والروحي، مما أسهم في تهذيب النفوس وتطهيرها، وحاول ربط التفسير بقضايا المجتمع، ففضح مظاهر الشرك والانحراف عن القيم، فلا يعتبر مدرس للتفسير بالمعنى الأصولي في التربية الحديثة فحسب، بل كمفسّر ومرب ومبدع استطاع نقل الأفكار الروحية، مما يجعل تجربته مفيدة لدراسة الأثر التربوي والاجتماعي للدرس التفسيري.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في:

- تنمية الفهم القرآني.
- تعزيز القيم الأخلاقية.
- ترشيد الفكر.
- تنمية الوعي الاجتماعي.
- تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تحديد الآثار التربوية للدرس التفسيري في الشخصية الفردية لدى المتعلمين والمتأملين، استناداً إلى نموذج التلمساني.
 2. استكشاف الأبعاد الاجتماعية للدرس التفسيري؛ كيف يُسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية، القيم الثقافية، والهوية.
 3. عرض توصيات تربوية تستفيد منها المؤسسات التعليمية والدينية في الجزائر وغيرها.
- وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، وقد ألجأ إلى المقارنة في بعض الأحيان.

أولاً: تاريخ التفسير في بلاد المغرب الإسلامي

لقي التفسير عناية فائقة في المغرب الإسلامي كما لقيها في المشرق ذلك أن أول تفسير موسّع وصل إلينا هو تفسير يحيى بن سلام المتوفى سنة 200 هـ، والذي يعد سابقاً لتفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 311 هـ.

وهذا التفسير يدل على أن علاقة المغرب الإسلامي بعلم التفسير كانت سابقة ليحيى بن سلام فقد دُرِس تفسير القرآن الكريم في المغرب، وصنف فيه قبل ابن سلام بدليل نقله عن شيوخ في هذا التفسير حتى عده العلامة الطاهر بن عاشور الحلقة الوحيدة التي تربط بين ابن جريج وتفسير الإمام ابن جرير الطبري⁽¹⁾.

وبعد تفسير ابن سلام يجيء تفسير آخر سبق تفسير الطبري ، وهو كتاب أحكام القرآن لمحمد بن سحنون توفي سنة 255 هـ، وقد ذكره القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك⁽²⁾، ثم اشتهر علم التفسير بالمغرب الإسلامي خلال القرون التالية ففي القرن الخامس يبرز تفسير المهدوي المسمى التفصيل الجامع لعلوم التنزيل وصفه حاجي خليفة بأنه : تفسير كبير بالقول فسر الآيات أولاً ثم ذكر القراءات ثم الإعراب⁽³⁾ إلا أن هذا التفسير الكبير لم يصل إلينا كاملاً ، وإنما وصل إلينا مختصره المسمى التحصيل⁽⁴⁾.

وفي القرن السادس يذكر العلماء تفسيرين ينتميان إلى المغرب الإسلامي، هما تفسير القرآن لأبي بكر محمد بن إبراهيم الغساني، سكن مراكش وتوفي بها سنة 536 هـ⁽⁵⁾، وكذلك نفس الصباح في غريب القرآن لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي، وهو أحد من درس بجامعة القرويين بفاس ت 582 ، ذكره مخلوف في شجرة النور الزكية⁽⁶⁾.

1.1 نماذج المفسرين في المغرب الأوسط والجزائر

لقد ساهم مجموعة من علماء تونس والمغرب والأندلس في صقل الدرس التفسيري وبرز علماء مبرزين في هذا الفن بالإضافة إلى مجموعات من علماء الأندلس الذين هاجروا

(1) التفسير ورجاله ص 26.

(2) ترتيب المدارك 205/4.

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 205/4.

(4) وهو ما يزال مخطوطاً بالخزانة الوطنية المغربية بالرباط تحت رقم 89 ف، وحتى هذا الكتاب وصل إلينا نصفه تقريباً إذ يبتدئ من سورة الكهف إلى آخر القرآن . انظر المدرسة القرآنية في المغرب ص 199 .

(5) ذكره الداودي 46/2 ومعجم المفسرين 266/2.

(6) شجرة النور الزكية 156/1.

للمغرب واستقروا في تلمسان وبجاية من أمثال ابن مريم وغيره، مما جعل أثرهم وآثارهم يمتد إلى العصر الحديث فنبغ عدد من علماء التفسير كان لهم الفضل في انتشار التفسير في المغرب الأوسط والجزائر الحديثة نذكر منهم:

1. *الإمام الداودي 1271هـ* - عالم مالكي، قضى وقتاً في تلمسان، وله شرح على صحيح البخاري، معروف بإسهاماته في التفسير والفقه والحديث.

2. *الشيخ طاهر بن صالح الجزائري ت1920م* - جمع خلاصة العلماء السابقين في الحديث والتفسير، وله كتب مطبوعة.

3. *أحمد بن العباس النقاوسي* - عالم بالتفسير، الفقه والحديث، عاش في تلمسان واستقر في تونس، اشتغل بالتدريس، وصفه العلماء بالأديب والفقهاء.

الإمام الحاج محمد المكي الناصري المغرب الأوسط

2. الشيخ عبد الحميد ابن باديس

3. الشيخ عبد الرحمن العطار

4. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

2.1. الدرس التفسيري عند علماء الجزائر رسماته مراحلها واتجاهاته

- اتسم الدرس التفسيري في المغرب الإسلامي بجمعه بين الرواية والدراية؛ فكان العالم يربط بين علوم التلاوة والرسم والقراءات ويفسر القرآن بما ينفع الناس علمياً وحياتياً.

- تميز بالتكامل العلمي؛ استخدم العلماء القرآن كمصدر تأسيسي لفهم العلوم والفكر والاجتماع، كما يلاحظ في أعمال القاضي عياض وغيره.

- مرّ الدرس التفسيري بمرحلة النقل والمشافهة أولاً ثم ظهر التأليف، مع اعتماد كبير على التفاسير المشرقية والأندلسية وتخصيص تعليقات وحواشٍ ومختصرات عليها.

- من أشهر الاتجاهات: الاتجاه اللغوي مثال: ابن أبي الربيع السبتي، الصوفي الإشاري ابن عجيبة التطواني، والاتجاه الإصلاحي السلفي الحجوي، المكي الناصري.

ثالثا: ترجمة العلامة عفيف الدين التلمساني 610 – 690 هـ / 1213 – 1291 م،

عفيف الدين التلمساني⁽¹⁾ 610 – 690 هـ / 1213 – 1291 م هو عالم وشاعر صوفي مشهور من تلمسان⁽²⁾، تعود أصوله إلى قبيلة كومة الأمازيغية، كان من أعلام التصوف الذين تأثروا بمحيي الدين ابن عربي، خاصة عبر شيخه صدر الدين القونوي، ارتبط اسمه بفلسفة الأخلاق والتصوف العميق، اشتهر بعلم الحديث والفقه والتفسير. كان له دور بارز في نقل العلوم الإسلامية وتدريسها، وله مؤلفات كثيرة في الشريعة واللغة. تميز بتقواه وعمق فهمه للنصوص وتأثيره في علماء المغرب الأوسط.

ولد في تلمسان وتنقل في بلاد الروم آسيا الصغرى، ثم استقر في دمشق، كما زار مصر حيث أقام في خانقاه سعيد السعداء.

كان من أتباع طريق التصوف⁽³⁾، واعتنق مذهب وحدة الوجود، مما عرض لموجة اتهامات بالزندقة والميل إلى عقائد غير تقليدية، لكنه كان معروفا بحسن الخلق وكرم الأخلاق. كان مقربا من صدر الدين القونوي، ورافقه في رحلاته، وهو من أبرز شيوخه الروحيين، وتلقى العلم على مشايخ من مختلف الأمصار الإسلامية.

كانت له رحلات وأسفار كثيرة بين تلمسان، بلاد الروم، مصر، والشام دمشق تحديداً⁽⁴⁾.

تنوعت مؤلفاته⁽⁵⁾ بين التصوف والفقه والتفسير والحديث⁽⁶⁾، في التصوف: منها

(1) - ينظر المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص551

(2) - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص201.

(3) - علي صافي حسين، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، دار المعارف، مصر 1964، ص124

(4) - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج3، ص658

(5) - عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1983، ص235.

(6) - ديوان الشباب الظريف، تحقيق، هادي شكر، دار مكتبة الحياة، مقدمة المحقق، ص14

شرح الأسماء الحسنى وشرح مقامات النفري، وله ديوان شعري صوفي⁽¹⁾، وله مؤلفات تتعلق بتفسير بعض الآيات والأحاديث على منهج التصوف، وله كتب في الفقه واللغة والتصوف تناقش وحدة الوجود وأفكار ابن عربي.

رابعاً: الدرس التفسيري عند عفيف الدين التلمساني

نقصد بالدرس التفسيري هو دراسة وتأويل النصوص الدينية القرآن، الحديث، الشعر الصوفي والنصوص الروحية⁽²⁾، مع التركيز على المعاني الباطنية، الأخلاقية، والروحية، والتطبيق العملي في سلوك الفرد والمجتمع، وفيما يلي بعض الآثار التربوية والاجتماعية التي يمكن استنتاجها أو التي أُشير إليها في الدراسات المرتبطة بمنهج عفيف الدين التلمساني في التفسير.

4.1. الآثار التربوية

أ. تنمية الأخلاق والفضائل: تجربة التلمساني تظهر تعاليمًا أخلاقية قوية، فكان حسن الأخلاق، كريم النفس، مع اهتمام بالعرفان والزهد والتقوى⁽³⁾، فانعكس هذا السمات الزهدي على درسه التفسيري الذي بناه على تربية النفس، وزرع القيم: كالصدق، الكرم، العدل وغيرها.

ب. الوعي الروحي والديني: من خلال شروحه وتجليات⁽⁴⁾ه، يُمكن للدرس التفسيري أن يعمّق الإيمان، ويحثّ على التأمل في النفس والوجود، في وحدانية الوجود، في المحبة الإلهية، الخ.

ج. الاستمرارية الثقافية والهوية: يسهم درس عفيف الدين التلمساني في حفظ التراث الصوفي، الشعر، اللغة العربية، الثقافة الإسلامية، مما يُسهم في ترسيخ الهوية

(1) - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في من ذهب، ج5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص413.

(2) - ينظر، العفيف التلمساني شاعر الوحدة المطلقة، عمر موسى باشا، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1982، ص313.

(3) - الأدب الصوفي في مصر، ص131.

(4) - العفيف التلمساني، ص257.

الثقافية والدينية، خاصة في المجتمعات التي تواجه تحديات العولمة والتغير.

د. الاكتساب المعرفي واللغوي: التلمساني شاعر وأديب، ويُسجّل له إتقان اللغة العربية، والشعر، والمنهج الصوفي، ما يدل على أن التفسير لا ينفصل عن اللغة، الأدب، الثقافة. المعرفة بالبلاغة، الرموز، اللغة القرآنية تُنمي الذائقة اللغوية والعلمية.

هـ. تنمية التفكير النقدي والتأملي: لا يكتفي بالسيرة السطحية للنص بل يُدعى إلى استنباط المعاني، الربط بين ظاهر النص وباطنه، وربما الاستدلال به على الواقع الاجتماعي؛ مما يعزز مهارات التأمل، النقد الذاتي، التقييم لدى المتلقي.

4.2. الآثار الاجتماعية:

أ. تقوية الروابط الاجتماعية والمجتمعية: الدرس التفسيري يمكن أن يكون منبراً يجمع الناس؛ المسجد، الزاوية، المدرسة؛ حيث يُناقش النص مع الجماعة، فينشأ جو من الحوار، التضامن، الاحترام المتبادل.

ب. الإسهام في الوحدة الثقافية والهوية المشتركة: من خلال تمجيد التراث الإسلامي والعروبة، كما فعل التلمساني في شعره الذي تغنى بالعرب والعروبة، وقد كان صوته الذي يحفز الاعتزاز بالهوية.

ج. التوجيه الاجتماعي والقيمي: التفسير يُقدم نماذج للسلوك القويم، يبحث على الصدق، العدل، الزهد، التواضع؛ جميعها قيم تعزز الاستقرار والتوازن في المجتمع.

د. التأثير في المساحة العامة والثقافية: إنتاج الأدب الصوفي، الشعر، الشروح؛ التي تنتشر عبر المخطوطات، المحاضرات، القراءات، وقد أثرت في فضاء الأدب الصوفي والنقد الأدبي الإسلامي؛ مما يجعل للدروس التفسيرية أثراً فنياً وثقافياً لا يقتصر على المحيط الديني البحت.

هـ. مواجهة التحديات الثقافية والاجتماعية: مثل التجاهل، التفكك، ضعف الانتماء الثقافي، أو التداخل الثقافي؛ الدرس التفسيري يرشد نحو التوازن بين الأصالة

والمعاصرة، ويمكّن الأفراد من التعرف على هويتهم في مجتمع متنوع.

خاتمة: يمكن القول إن الدرس التفسيري، كما يظهر من نموذج عفيف الدين التلمساني، له آثار تربوية عميقة في بناء الفرد — من حيث القيم، الأخلاق، اللغة، والوعي — وأثار اجتماعية مهمة تتمثل في تعزيز الهوية، الروابط الاجتماعية، الثقافة العامة، ومواجهة تحديات الانتماء. إن الاستفادة المعاصرة من هذه التجربة تتطلب إدراكًا دقيقًا للسياق، وتقييد التفسير بالمنهج العلمي، والتوفيق بين الأصالة والتجديد، ويمكن أن نعدد جوانب الفائدة من تفسير التلمساني في نقاط:

رغم أن تجربة التلمساني تخص عصرًا صوفيًا، إلا أن المبادئ التوجيهية التي يحملها الدرس التفسيري تتقاطع مع احتياجات التربية المعاصرة: الإخلاص، القيم، اللغة، الهوية. هناك فروق في السياق الزمني، الاجتماعي، التعليمي؛ فلا يمكن نقل التجربة حرفيًا، لكن يمكن الاستفادة من جوهرها.

يجب الانتباه إلى أن التفسير لا يكون مصدرًا للتطرف؛ بل لا بد أن يكون منهجًا معتدلًا، مدرّكًا للحرية الفكرية والاختلاف.

توصيات:

دمج المنهج التفسيري في المقررات التعليمية الدينية والمدرسية، خاصة في الدراسات الإسلامية، الثقافة الإسلامية، الشعر والأدب، على أن يُراعى التوازن بين التأويل الظاهر والباطن.

تدريب المعلمين والدعاة على مهارات الدرس التفسيري؛ اللغة، الثقافة الصوفية، التأمل، القدرة على الربط بين النص والواقع.

تشجيع البحث العلمي في التراث التفسيري الجزائري والسماعي، ونشره وتيسيره أمام الطلبة والباحثين.

إقامة حلقات تفسيرية وعقد الندوات الثقافية التي تستخدم نماذج من التلمساني وغيره لتوعية الشباب، وتمكينهم من فهم أعمق للنص والدين.

تطوير مناهج تربوية تراعي الخصوصية الثقافية والدينية للجزائر، تجمع بين الأصالة والتجديد، تستفيد من التراث وتجيب على أسئلة الواقع المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

- ترتيب المدارك ج 4.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج 4.
- المقرئ، نفح الطيب، ج 2.
- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري.
- علي صافي حسين، الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، دار المعارف، مصر 1964.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3.
- عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت- لبنان، 1983.
- ديوان الشاب الظريف، تحقيق، هادي شكر، دار مكتبة الحياة، مقدمة المحقق.
- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في من ذهب، ج 5، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- العفيف التلمساني شاعر الوحدة المطلقة، عمر موسى باشا، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1982.

الشيخ محمد سعيد كعباش الجزائري وتفسيره: "نفحات الرحمن في رياض القرآن" دراسة وصفية

د. حسام الدين مخلوف

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

الملخص

اعتنى العلماء الجزائريون بعلم التفسير اعتناء بالغاً عبر العصور، وكان لكل واحد منهم منهجية خاصة في العملية التفسيرية للنص القرآني، مما يستدعي قراءة هذه النماذج التفسيرية الحديثة وتقييمها، ومن هنا جاءت هذه الدراسة -الوصفية- لتعرف بشخصية علمية متخصصة في العلوم الإسلامية -وبالأخص في علم التفسير-، ولتبرز بعض معالم منهجه اللغوي في هذا العلم، وذلك من خلال تسليط الضوء على أحد أكبر التفاسير الجزائرية المعاصرة، وهو للشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش بعنوان: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، فجاء البحث في ثلاثة مباحث، تضمن المبحث الأول ترجمة الشيخ كعباش، في حين تطرق المبحث الثاني إلى التعريف بتفسيره، وجاء في المبحث الثالث ذكر معالم منهجه اللغوي، واختتم البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التفسير، القراءات، اللغة، الجزائر، كعباش.

Abstract

Algerian scholars have devoted great attention to Qur'anic exegesis, with each scholar adopting a distinct methodology in interpreting the Qur'anic text. This necessitates a careful reading and evaluation of these modern exegetical models. From this perspective, the present descriptive study seeks to introduce a scholarly figure specialized in Islamic sciences—particularly in Qur'anic exegesis—and to highlight certain features of his linguistic approach in this field. The study focuses on one of the most significant contemporary Algerian

commentaries on the Qur'an, authored by Shaykh Muḥammad b. Ibrāhīm Sa'īd Ka'bāsh under the title *Nafahāt al-Raḥmān fī Riyāḍ al-Qur'ān*. The research is structured into three sections: the first provides a biographical sketch of Shaykh Ka'bāsh, and the second presents an overview of his tafsīr, while the third discusses the main aspects of his linguistic methodology. The study concludes with a synthesis of key findings and a set of pertinent recommendations.

Keywords: Qur'anic exegesis, Qur'anic readings, linguistics, Algeria, Ka'bāsh.

مقدمة:

يُعَدّ الشيخ كعباش أحد أعلام الجزائر في علم التفسير، وهو من المعاصرين الذين جمعوا بين العناية بالقرآن الكريم وخدمته تفسيرًا وتعليمًا، وبين الاهتمام بالدرس اللغوي وتوظيفه في توجيه المعنى وتبيين المراد؛ لأنّ اللغة العربية من أهمّ الأدوات الأساسية عند المفسّر لفهم الخطاب القرآني. ولهذا فقد أسهم الشيخ كعباش في إثراء المكتبة القرآنية العربية بمؤلفه الموسوم بـ "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، وهو تفسير يتّسم بمميزات عديدة، من أهمّها: وضوح المنهج وترتيب المادة واعتدال الطرح وسهولة العرض ودقة التعبير وعمق التفكير، إضافة إلى محافظته على أصول التفسير وقواعده كالجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي، وذلك بالإفادة من مختلف النصوص والآثار، وتراث علوم اللغة ومباحثها المختلفة، دون إغفال العلوم الأخرى وأبعادها كالبُعد التربوي والاجتماعي والمقاصدي للنصّ القرآني. ومن هنا تكمن أهمية هذا التفسير في كونه يمثل نموذجًا حيًا للجهود التفسيرية الحديثة، التي تسعى إلى الجمع بين أصالة الموروث ولغة العصر وأسلوبه، ويُظهر لنا مدى قدرة العالم الجزائري على المشاركة الفاعلة في حقل الدراسات القرآنية من خلال مقاربة بينية تستوعب التفسير واللغة. غير أنّ هذا التفسير لم ينل بعدُ -حسب اطلاعنا- ما يستحقّه من الدراسة العلمية والأكاديمية من حيث التعريف به وبمنهجه ومصادره وخصائصه اللغوية، ومن هنا نطرح الإشكالية العامة الآتية: ما المنهج الذي اعتمده الشيخ محمد سعيد كعباش في تفسيره "نفحات الرحمن في رياض القرآن"؟ وما أبرز سماته ومميزاته العلمية واللغوية؟ وتلها الأسئلة الفرعية التالية: من هو الشيخ محمد سعيد كعباش؟ وما

الدوافع التي حملته على تأليف تفسيره؟ وما المصادر والمراجع التي اعتمدها في تفسيره؟ وما الخصائص اللغوية التي تميز بها تفسيره؟ وهذا ما ستحاول الدراسة الإجابة عليه، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: ترجمة الشيخ كعباش

1_ اسمه ومولده:

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بـ"كعباش"، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية، وُلد سنة 1929م في حَضْن أبوين كريمين هما: سعيد إبراهيم بن أحمد، وبهون شَيْخة بنت الحاج محمد، تركه والده فقيراً يتيماً لا يزيد عمره عن سنتين، وليس معه إلا أختان، تُوقيت إحداهما فأصبح وحيد أمه وقرّة عين لها، فاعتنت بتربيته على حبّ الله ورسوله وعلى حفظ كتاب الله في سنّ مبكرة، وقد وهبه الله ذاكرة قوية وذكاء حاداً⁽¹⁾.

2_ نشأته وتعليمه:

درس في كُتّاب قريته ثم ارتحل إلى معهد الحياة⁽²⁾ عند الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيّوض، ومكث فيه خمس سنوات من سنة 1945م إلى 1950م، ثم إن هذا لم يروِ ظمأه من العلم الذي نهله من معين أعلام القرارة، شأنه شأن كلّ شاب طموح إلى نيل المراتب العلى؛ فسافر إلى تونس الخضراء وقضى في رحابها أربع سنوات، حيث التحق بالجامع الزيتوني أين

(1) صرخات على مسرح المجتمع، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، ص 443.

(2) معهد الحياة مشروع علمي وتربوي إسلامي عربي، بدأ في فترة الاستعمار الذي سعى لمحو كلّ معالم الشخصية الإسلامية والعربية لمنطقة وادي ميزاب، فكانت بمثابة نهضة إصلاحية في مختلف جوانبها الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية؛ غرس بذورها الشيخ محمد بن يوسف اطفيش رحمه الله، وسقاها من بعده تلاميذه، وأثمرت وبدا صلاحها في خريجي معهد الحياة على يد رائد النهضة في الجنوب الأستاذ الإمام بيّوض الحاج إبراهيم بن عمر، المعاصر للإمام عبد الحميد بن باديس والمواكب لحركته ضمن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد أسّس المعهد بصفة سرية يوم 18 شوال 1341هـ، فكان هدفه الأسى إصلاح المجتمع بتخريج رجال وطنيين صالحين فمهم الإمام والمرشد والعالم المفتي والباحث المحقق والشاعر والمربي المصلح... وكان شعاره: "الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد". انظر: جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي والتربوي الشيخ إبراهيم بيّوض نموذجاً، كمال عويبي، ص 611.

درس العلوم العربية والشرعية، ثم التحق بالمعهد الخلدوني أين درس العلوم التطبيقية، وذلك إلى غاية سنة 1954م⁽¹⁾.

وقد كان الشيخ في الثورة التحريرية عضواً في المجلس البلدي الثوري سنة 1961م⁽²⁾، ثم انتسب في أوائل السبعينيات إلى جامعة الجزائر أين حصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي سنة 1972م، كما قد عمل أستاذاً في التعليم الرسمي منذ الاستقلال، فالتحق بداية بالتعليم المتوسط فالثانوي، ثم عُيِّن مديراً لإحدى الإكماليات ببني يزجن إكمالية الشيخ عبد العزيز الثميني ثم بالعطف، واستمر في وظيفته الرسمية إلى تقاعده سنة 1990م، كما عُيِّن مرشداً وإماماً خطيباً للجمعة سنة 1970م.

وإن نشاط الشيخ التربوي والدعوي -مع تمكّنه من ناصية اللغة العربية- كان حافزاً قوياً له للشروع في تفسير القرآن الكريم منذ سنة 1971م، حيث بدأ بصورة عفوية من أم الكتاب، وقصار السور، ثم سورة الأنعام -وهذا قبل تتبعه الترتيب المتبع لسور المصحف-⁽³⁾.

وقد واصل الشيخ كعباش مشواره في التفسير إلى أن حَقَّق الله رجاءه ووفقه لختتم تفسير كتابه في الأسبوع الأخير من شهر جمادى الثانية سنة 1436 للهجرة.

3_ شيوخه ومؤلفاته:

للشيخ كعباش عدّة مشايخ أجلاء، منهم الذين تتلمذ عليهم في تونس كأمثال: الشيخ محمد ابن عاشور، والشيخ محمد الغزواني في التفسير، والشيخ البشير النيفر في أحكام القرآن، والشيخ القاني في مقاصد الشريعة، والشيخ أحمد بن ميلاد في أصول الفقه، وغيرهم من علماء الجزائر مثل: الشيخ بسيس قاسم بن الحاج سعيد، والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والشيخ سعيد بن الحاج شريفي يخلف عدون، والشيخ أدواد إبراهيم بن عمر، والشيخ محمد علي دبوز، وغيرهم كثير...

(1) مقاصد تدبير المال في وجوه البر عند الشيخ كعباش في تفسيره نفحات الرحمن في رياض القرآن، بن لولو حاج إسماعيل، ص 47 بتصرف.

(2) القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، رقية دريدي، ص 140.

(3) انظر: ترجمة المفسر محمد سعيد كعباش الجزائري محمدي مصطفى بن عمر.

وقد تكوّنت لدى الشيخ ملكة لغوية وأدبية متميّزة ظهرت من خلال نشاطه في المجالات الأدبية كإسهاماته في مجلة "الشباب" الخاصة بالمعهد، ومن خلال مختلف الجمعيات الأدبية أيضاً⁽¹⁾.

وللشيخ مذكرات قيّمة تفوق 6000 صفحة دوّن فيها أحداثا وشواهد على عصره ومواقف في مشوار حياته.

ومن أهم مؤلفاته:

- "صوت المنبر" خطب منبرية.
- "حديث الشيخ الإمام".
- من أخلاق القرآن.
- إضافة إلى كتابه القيم في التفسير: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، وهو موضوع الدراسة.

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره:

1_ وصف الكتاب:

يُعدّ كتاب: "نفحات الرحمن في رياض القرآن" من أكبر التفاسير الجزائرية المعاصرة، وهو تفسير كامل مطبوع، يضمّ أربعة عشر مجلداً من الحجم المتوسط 400 صفحة - 531 صفحة، ويعتبر إضافة علمية قيّمة للمكتبة الجزائرية. وقد صدر هذا التفسير سنة 1426هـ الموافق لسنة 2005م، عن جمعية النهضة بـ "غرداية"، في أربعة أجزاء⁽²⁾.

وللشيخ كعباش في تفسيره منهجية خاصّة كما وضّحها في مقدّمة الجزء الأول من تفسيره، وهي تشمل على ما يلي:

- شرح بعض الألفاظ أو الجمل، والشرح اللغوي لمبنى النص.

(1) رحلة العمر، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، ص 46-48.

(2) مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمن، سلسيل نصيرة، ص 30.

- التطرق لأوجه الإعراب والبلاغة.
- بيان أوجه القراءات - وهذا ما سنحاول أن نبينه بالتفصيل في الجانب التطبيقي من هذا البحث.
- البيان والتفسير لمضمون النص بدءًا ببيان وجه التناسب بينه وبين ما سبقه.
- التعرّض إلى سبب النزول باختصار.
- وضع عنوانًا لكل نص يفسّر.

2_ سبب تأليفه للكتاب:

لعلّ السبب وراء تأليف الشيخ كعباش لكتابه: "نفحات الرحمن في رياض القرآن" أن يكون مستخلصًا من منهجه العلمي واهتماماته الدينية، ولرغبته في توفير تفسير شامل ومفصّل للقرآن الكريم، يعتمد على القراءات المتواترة وروايات الصحابة والتابعين بلغة العصر وأسلوبه، مما يساعد المسلمين -اليوم- على فهم النص القرآني بشكل أعمق وأكثر دقة⁽¹⁾.

وقد أدرك الشيخ كعباش حاجة المجتمع الإسلامي في الجزائر إلى تفسير معاصر يحقق مثل هذه الغايات، فأراد أن يلبي النداء من خلال كتابه: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، فيقدّم بذلك تفسيرًا حديثًا يساهم في تربية الناشئة، وخدمة المجتمع، وتطوير الدراسات القرآنية، وإثراء المكتبة الجزائرية، خاصة وأنّ الكتاب يشمل جوانب تعليمية وتربوية كثيرة تهدف إلى تعليم الناشئة وتزكيّتهم، من خلال شرح معاني القرآن الكريم وهداياته، بالإضافة إلى تطوير الدراسات القرآنية وتقديمها بشكل يمكن أن يكون مرجعًا لطلبة العلم والعلماء، وربط القرآن الكريم بالحياة العملية الواقعية، فقد سعى الشيخ كعباش إلى ربط تعاليم القرآن الكريم بالحياة العملية والقضايا المعاصرة، مما يجعل الكتاب ذا صلة حقيقية بواقع

(1) رضوان حريز، تفسير الشيخ محمد سعيد كعباش وخصائصه، ص 13.

المسلمين اليوم⁽¹⁾.

بالإضافة إلى إثراء المكتبة الإباضية بتفسير شامل ومعاصر يتناول مختلف جوانب القرآن الكريم. خاصة وأنَّ هدف الشيخ كعباش الأساس يكمن في تقديم تفسير يجمع بين الأصالة والمعاصرة، حيث تناول معظم القضايا الفقهية والعقدية والأخلاقية بأسلوب معاصر، يخاطب بذلك العقول الحالية، ويضيء لها الطريق بالهدايات القرآنية، بل ويواكب التحديات الراهنة فيقدم الحلول الشرعية المستمدة من القرآن الكريم بطريقة تتماشى مع متطلبات العصر ومستلزماته، لذا نجد أنه لم يقتصر جهده على تفسير الآيات القرآنية تفسيراً نظرياً محضاً فحسب، بل سعى إلى تقديم رؤى شاملة تغطي مختلف جوانب الحياة من الأمور الدينية إلى الأمور الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

3_ مصادره في التفسير:

اعتمد الشيخ كعباش في تفسيره على مصادر تفسيرية متعدّدة، من أهمّها: "تفسير المنار" لرشيد رضا، و"التفسير الكبير" للرازي، و"الكشاف" للزمخشري، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، لكن عند التمعّن نجد أنه اعتمد أكثر في تحرير تفسيره على ثلاثة تفاسير حديثة، وهي: "تيسير التفسير" للشيخ أطفيش، و"التحرير والتنوير" للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، و"التفسير المنير" للدكتور وهبة الزحيلي.

وسأذكر أبرز الأعلام الذين اعتمد عليهم في تفسيره كنماذج عن مصادره التفسيرية والفقهية، وذلك على النحو الآتي:

- القطب أطفيش:

برز في تفسير الشيخ كعباش الاعتماد الكبير على الإمام أطفيش. ومثال ذلك ما نجده في تفصيله لمسألة الزكاة ومصارفها وأنها تُعطى أيضاً للعاملين عليها⁽²⁾، ومن كان بمعناهم كالقاضي والوالي والمفتي؛ لأنهم اشتغلوا بأمر الناس قياساً على العامل فيعطون بقدر عنائهم وشغلهم ومنفعتهم للإسلام، وإن كانوا أغنياء؛ لأنهم مكفوفون بأمر المسلمين عن السعي

(1) رضوان حريز، المرجع السابق، ص 17.

(2) انظر، تفسيره لأية مصارف الزكاة في سورة التوبة: 60.

لأنفسهم. والاقتباس هنا ليس حرفياً من قول أطفيش بل أعاد كعباش صياغته وأضاف العديد من التفاصيل التي ليس التفسير محلاً لها.

- محمد الطاهر بن عاشور:

يعتمد الشيخ كعباش كثيراً على الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره للآيات القرآنية، كما ينقل عنه أيضاً في تحريراته الفقهية، فنجد مثلاً في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 194] ينقل عن ابن عاشور بالنص فيقول: "... يقول ابن عاشور: "النسيء هو تأخير تجعل به العرب شهراً حراماً ثم يصيرونه حلالاً ويؤجلون شهراً آخر حراماً بدلاً منه"، وأيضاً في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 100]، ينقل عنه فيقول: يقول الإمام ابن عاشور: "مناسبة هذا التحديد في المحرمات أنّ بعض المسلمين كانوا في أرض غربة وقد يؤكل فيها لحم الخنزير وما دُبِح بغير ذكر الله، وكان بعضهم ببلد يؤكل فيه الدم وما دُبِح بغير ذكر الله" (1).

- يوسف القرضاوي:

يستشهد الشيخ كعباش بالشيخ يوسف القرضاوي في عدة مواضع، وقد لا يذكره بالاسم صراحة، ومن ذلك قوله: "لكن جماعة الفقهاء يرون إعطاء هؤلاء من موارد الدولة الأخرى من الفيء والخراج وظلومها، لا من الزكاة إلا من توسّع في مصرف سبيل الله، وأنه يشمل كل قرية أو مصلحة" (2).

- محمود شلتوت:

فمثلاً في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: 108]، وبعد أن برّر موقف عمر -رضي الله عنه- في تعطيل هذا الأمر عندما قويت شوكة الإسلام، أورد قولاً لشلّتوت بأن: "وليس من رأي أنّ حاجة المسلمين اليوم في دفع الشر عنهم ماسة إلى تقوية ضعفهم والاستعانة بكل ما ينفع في رد العدوان والبغي"

- الشيخ بيوض:

(1) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص 186

(2) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ص 52.

يستدلّ الشيخ كعباش بأقوال الشيخ بيوض كثيراً، ومثال ذلك استشهاده بقوله في مسألة جواز كشف الوجه واليدين للمرأة، فيقول: "إن كانا خاليين من الزينة هو المتبع في وادي ميزاب، وهو رأي كثير من الصحابة. وقد ورد نص للإمام بيوض مفاده: "ولكننا نرى ذلك عند الضرورة، إذ الأفضل للمرأة أن تتستر وفق السنة المتبعة".

4_ منهج الشيخ في عرض الآيات والأحكام:

ما يُلاحظ على منهج الشيخ محمد سعيد كعباش في عرضه للأحكام الفقهية داخل تفسيره أنّه منبثق عن منهجه العام الذي يتّسم بجملةٍ من الخصائص التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

- حسن عرضه للآيات: فكما ورد في منهجه في التفسير، فإنّ الشيخ يقسّم السور إلى مقاطع حسب مواضعها، معنوياً كلّ مقطع على حدة، ثم يأتي بنصّ الآيات المرتبطة بالمقطع مجملّة، قبل أن يعيد ذكر الآيات منفصلة حسب ما يستدعيه التفسير.
- الاختصار: التزم الشيخ بمنهج الاختصار على التفسير دون استطراد فيما لا علاقة له بالآية، فإن كان في الآية ما يستدعي مزيداً من التفصيل، فإنه يدعو القارئ إلى الرجوع إلى الكتب المتخصصة للاستزادة والتفصيل.
- جودة التنظيم والترتيب: فالشيخ يضع ترسيمات خاصة تحسّن العرض، وتسهّل الاستفادة، وتبسّط مادة الأحكام، ومثال ذلك حديثه عن مصارف أموال الزكاة، فقد قسّم الأصناف الثمانية تحت ركنين رئيسيين: الأول؛ أشخاص لا يملكون ما يكفي لسدّ ضرورياتهم ولا يقدرّون على تحصيلها، وهم الفقراء والمساكين. والثاني؛ مصالح عامة ضرورية لإقامة الدولة، وتشمل الأصناف الستة الأخرى المتبقية⁽¹⁾.

- فقه التراجم والتبويب: فعنونة المقاطع عند الشيخ تشير إلى الحكم: فمثلاً، عند حديثه عن آيات الحجاب، يعنون المقطع بـ: "أمر النساء بإرخاء جلابيهن، وتحديد المخالفات"، وفي موضع آخر: "إلغاء عادة الظهار، وبيان كفارته". ونجد أنّ الشيخ لا يتعصب لأيّ رأي فقهي، إلا ما يراه الأصلح للواقع المعاصر، فيقول مثلاً: "الواقع لدينا اليوم كبير في

(1) انظر، تفسيره لأية مصارف الزكاة في سورة التوبة: 60.

العالم الإسلامي، إذ لا تبقى المطلقة في بيت الزوجية ولو ليوم واحد، ولو لم يتم التوافق بينهما، فيكون رأي الشافعية هو الأنسب لهذه الحالة⁽¹⁾.

■ مراعاة الواقع: ويتجلى ذلك في تقليله من الخلاف الذي لا فائدة كبيرة مرجوة من الخوض فيه: فمثلاً، بعد ذكره للوجوه المختلفة في التفريق بين الفقراء والمساكين، يربط الحكم بالواقع المعاصر، كما يشير إلى رأي شلتوت في استبعاد صنف العاملين عليها من دائرة الاستحقاق، مما يعيد للزكاة نظامها وجبايتها.

5_ مميزات تفسيره اللغوية:

من أهم هذه المميزات اللغوية ما يلي:⁽²⁾

- "التقسيم الموضوعي": فهو يفتح السور بعنوان "بين يدي السورة"، ليتناول فيه افتتاحية واسم السورة، مكية أو مدنية، ثم يبين موضوعها العام وموضوعاتها الفرعية، ومناسبات كل ذلك.

- "التحقيق اللغوي": فهو يشرح المفردات القرآنية الواردة في الآية بدقة، وخاصة الغريبة منها.

- "توجيه القراءات": فالشيخ يبدأ بذكر "وجوه القراءة" ثم يوجهها؛ بل نجد أنه إذا كانت الآيات القرآنية تحوي قراءات مختلفة فإنه يفرد ذلك بعنوان مستقل: "حول مبنى النص ووجوه القراءة"⁽³⁾.

وسأحاول أن أبين هذه الميزة بالتفصيل في المبحث التطبيقي القادم.

المبحث الثالث: معالم منهجه اللغوي

1_ منهجه العام في عرض القراءات وتوجيهها:

يمكن أن نجمل منهج الشيخ في عرض القراءات القرآنية وتوجيهها في النقاط الآتية:

(1) نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد سعيد كعباش، ج 13، ص 13-14.

(2) مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمن، سلسبيل نصيرة، ص 31.

(3) المرجع نفسه، ص 32.

- يبدأ الشيخ في عزو القراءات القرآنية بقراءة الجمهور أولاً، وذلك لأهمية هذه القراءة في الفهم والاستنباط، حيث يعتمد غالبية المفسرين على قراءة الجمهور في تفسير النص، ويعتبر الشيخ أن هذه القراءة تمثل الرأي الأكثر قبولاً واستقراراً في التفسير، مما يجعلها نقطة انطلاق قوية في بحثه ودراسته.

- ثم يقوم الشيخ بمراجعة مختلف الآراء والنصوص التي تدعم قراءة الجمهور، مع التركيز على السياق العام للنصوص والأدلة التي اعتمد عليها المفسرون في هذه القراءة.

- لا يتوقف الشيخ عند استعراض قراءة الجمهور فحسب، بل يواصل بحثه من خلال مقارنة هذه القراءة بالقراءات المتواترة الأخرى، والتي قد تكون أقل انتشاراً ولكنها تحمل قيمة تفسيرية مهمة، وهذا التوسع في المنهج يتيح للشيخ تقديم رؤية أكثر شمولية وعمقاً، حيث يعرض مختلف الأوجه التفسيرية للنص بمختلف قراءاته، مما يساهم في إثراء الفهم والاستيعاب التام لدى القارئ.

- كثيراً ما يقتصر الشيخ كعباش على القراءات المتواترة فقط، حيث كانت أكثر عناية الشيخ بالقراءات المتواترة لا الشاذة، بل لا يفوت موضعاً يختلف فيه أصحاب القراءات المتواترة إلا وذكره تحت عنوان: أوجه القراءة، فنجده يستوعب الروايات المختلفة في كل قراءة؛ ومن الأمثلة على ذلك: تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتْعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236].⁽¹⁾

قال الشيخ: "مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ قرأ الجمهور بفتح المثناة الفوقية مضارع مسّ المجرد، وقرأ حمزة والكسائي وخلف تَمَاسُوهُنَّ بضم المثناة الفوقية وألف بعد الميم مضارع ماسّ؛ لأنّ كلا الزوجين يمسّ الآخر. وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ قرأه الجمهور بسكون الدال، وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر قَدَرُهُ بفتح الدال"⁽²⁾.

2_ نماذج عن توجيهه اللغوي للقراءات القرآنية:

(1) منهج الشيخ كعباش في عرض القراءات القرآنية، طاهر إبراهيمي، ص 419.

(2) المرجع نفسه، ص 419.

سنعرض فيما يلي بعض النماذج التطبيقية التي توضح توظيف الشيخ لمختلف المستويات اللغوية في توجيهه للقراءات القرآنية وذلك على النحو الآتي:

أ_ توجيهه النحوي للقراءات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240].

يبني الشيخ كعباش تفسيره للاختلاف الحاصل بين القراء في كلمة "وصية" على المستوى النحوي فيقول: "قرأها نافع وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف برفع "وصية" على الابتداء، وقرأها أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم "وصية" بالنصب على أنه مفعول مطلق، "متاعا" منصوب على حذف فعله، فهو منصوب على حذف الخافض، والتقدير: وصية لأزواجهم بمتاع، "وغير إخراج" هو صفة لمتاع أو منصوب على الحال من الموصين، أي: مخرجين لهم، و"إلى الحول" أي: يعطوهم ما يتمتعن به من النفقة والكسوة إلى تمام مدة الحول من موتهم⁽¹⁾.

فَمَنْ نَصَبَ أَرَادَ فليُوصُوا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ، وَمَنْ رَفَعَ فَلَمَغْنَى فَعَلِمَهُمْ وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ.

ب_ توجيهه الصرفي للقراءات:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: 249]

الغرفة بفتح الغين في قراءة نافع وابن كثير ابن عامر أبي جعفر أي المرة من الغرف، هو أخذ الماء باليد، وقرأه حمزة وعاصم والكسائي يعقوب خلف بضم الغين "الغرفة"، هو المقدار المغرف من الماء⁽²⁾.

فمن فتح أراد المصدر للمرة الواحدة، ولهذا نصبه على المصدرية ومفعول "اغترف" محذوف، وتقديره: من اغترف ماءً غُرْفَةً أي اغترف مرة واحدة بيده⁽³⁾.

(1) نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد سعيد كعباش، ج2، ص96.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص114.

(3) منهج الشيخ كعباش في عرض القراءات القرآنية، طاهر إبراهيمي، ص422.

جـ- توجيهه البلاغي للقراءات:

قال تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ آٰمَنُوٓاْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]

يذكر الشيخ أنَّ الخداع هو صرف الغير عما يقصده بحيلة، وهو فعل مذموم إلا لحيلة الحرب، والمقصود هنا إظهار الإسلام وإضممار الكفر، ثم يبين أوجه القراءات ويفصل الأقوال في شرح كل وجه، فيذكر أنه قد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وخلف {يُخَادِعُونَ} بألف بعد الخاء وقرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر {يَخْدَعُونَ} بفتح التحتية وسكون الخاء⁽¹⁾.

ثم يوجّه هذه القراءات بلاغيًا وبيانًا فيقول: "فأما التأويل في يخادعون فعلى وجوه:

أحدها: أنَّ مفعول خادع لا يلزم أن يكون مقصودا للخداع بالكسر، إذ قد يقصد خداع أحد فيصادف غيره، كما يخادع أحد وكيل أحد في مال، فيقال له أنت تخادع فلانا وفلانا، تعني الوكيل وموكله، فهم قصدوا خداع المؤمنين؛ لأنهم يكذبون أن يكون الإسلام من عند الله، فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لأجل الدين، كان خداعهم راجعا لشارع ذلك الدين. وأما تأويل معنى خداع الله تعالى والمؤمنين إياهم فهو إغضاء المؤمنين عن بواذرهم وفلتات ألسنتهم وكبوات أفعالهم وهفواتهم، الدال جميعها على نفاقهم حتى لم يزالوا يعاملونهم معاملة المؤمنين..."⁽²⁾.

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، كما رجع إليه خداعهم للمؤمنين، وهذا تأويل في المخادعة من جانبها، كل بما يلائمه.

والثاني: ما ذكره صاحب الكشف أنَّ "يخادعون" استعارة تمثيلية تشبيهاً للهيئة الحاصلة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله، ومن معاملة الله إياهم في الإملاء لهم والإبقاء عليهم، ومعاملة المؤمنين إياهم في إجراء أحكام المسلمين عليهم، بهيئة فعل المتخادعين.

(1) نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد سعيد كعباش، ج 1، ص 35.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 276.

والثالث: أن يكون خادع بمعنى: خدع، أي: غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين، بل قصد المبالغة.

قال ابن عطية عن الخليل: يقال خادع من واحد؛ لأنَّ في المخادعة مهلة كما يقال عالجت المريض لمكان المهلة، قال ابن عطية كأنه يرد فاعل إلى اثنين ولا بد من حيث إن فيه مهلة ومدافعة ومماطلة، فكأنه يقاوم في المعنى الذي يجيء فيه فاعل.

وهذا يرجع إلى جعل صيغة المفاعلة مستعارة لمعنى المبالغة بتشبيه الفعل القوي بالفعل الحاصل من فاعلين على وجه التبعية، ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عامر ومن معه: "يخدعون الله".

وهذا إنما يدفع الإشكال عن إسناد صدور الخداع من الله تعالى والمؤمنين مع تنزيه الله سبحانه والمؤمنين عنه، ولا يدفع إشكال صدور الخداع من المنافقين لله.

وأما التأويل في فاعل يخادعون المقدر وهو المفعول أيضا فبأن يجعل المراد أنهم يخادعون رسول الله فالإسناد إلى الله تعالى إما على طريقة المجاز العقلي لأجل الملازمة بين الرسول ومرسله، وإما مجاز بالحذف للمضاف، فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة، ويبقى أن يكون رسول الله مخدوعا منهم ومخادعا لهم، وأما تجويز مخادعة الرسول والمؤمنين للمنافقين؛ لأنها جزاء لهم على خداعهم فذلك غير لائق⁽¹⁾.

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يمكننا أن نقول أنَّ الشيخ كعباش من المفسرين الجزائريين المقتدرين على خوض غمار التفسير وقد تجلَّى ذلك من خلال منهجه المتميز في دراسة النص القرآني عمومًا، وبالأخصَّ في توجيه مختلف القراءات توجهًا لغويًا دقيقًا، اعتمد فيه على مختلف المستويات اللغوية مما أثرى المعاني القرآنية لكلِّ قراءة وأبرز إعجاز القرآن الكريم وتكامله بكلِّ قراءاته.

النتائج:

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 277.

وإنّ من أهمّ النتائج المتوصّلة إليها ما يلي:

1. أنّ الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش قامّة علمية كبيرة في الجزائر. قام بدور بارز في خدمة اللغة العربيّة والقرآن الكريم من خلال تفسيره: "نفحات الرحمن في رياض القرآن".
2. أنّ الشيخ كعباش قدّم نموذجاً حيّاً للتفسير الجزائري المعاصرة التي وظّفت مختلف العلوم والمعارف لخدمة القرآن الكريم.
3. تميّز تفسير الشيخ باهتمامه بالدرس اللغوي المعتدل، وقد ظهر ذلك في حسن تعامله مع موضوع القراءات القرآنية وتوجيهها توجيهاً لغوياً دقيقاً، دون الوقوع في أخطاء منهجية وعلمية كالانحياز إلى قراءة معينة، أو ترجيح قراءة على أخرى، فضلاً عن التعرّض لأيّ قراءة بالتضعيف أو التنقيص.
4. اعتماد الشيخ على منهجية الاختصار في العرض والمبنى، والاقتصار على ما يخدم التفسير والمعنى، ولذلك تميّز أسلوبه بالتنظيم، وعرضه بالسهولة، وتوجيهه بالدقة، وتحليله بالعمق، وتفسيره بحسن البيان.

التوصيات:

وإنّ من أبرز التوصيات المقترحة للباحثين ما يلي:

- 1- الدعوة إلى الاهتمام بتفسير الشيخ كعباش في أطروحات الدراسات العليا والمقالات العلمية، والتعمق في دراسة تفسير الشيخ من مختلف الجوانب العلمية.
- 2- إجراء أبحاث مكثفة ومتخصصة حول منهج الشيخ كعباش في تفسيره ومدى استفادته من المناهج القديمة والحديثة، كنموذج للتوفيق بين التراث القديم والتفسير الحديث.
- 4- إقامة مؤتمرات علمية وندوات تعريفية بأعلام الجزائر وإسهاماتهم كأمثال الشيخ كعباش، مع دعم ونشر وطباعة مثل هذه التفسيرات الجزائرية القيمة ككتاب: "نفحات الرحمن في رياض القرآن".

قائمة المصادر والمراجع:

- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ن.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، 1984م.
- ترجمة المفسر محمد سعيد كعباش الجزائري محمدي مصطفى بن عمر، 09-09-2017م، تمّ الاطلاع عليه بتاريخ: 2025-07-02، <https://shamela-dz.net/?p=638>
- تفسير الشيخ محمد سعيد كعباش وخصائصه، رضوان حريز، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 1 يوسف بن خدة، الجزائر، 2016م.
- جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي والتربوي الشيخ إبراهيم بيوض نموذجاً، كمال عويسي، مجلة روافد، المجلد 6، عدد خاص، 2022م.
- رحلة العمر، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، مكتبة التوفيق العطف، غرداية، 2015م.
- صرخات على مسرح المجتمع، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، المطبعة العربية، غرداية، 1436هـ.
- فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، رقية دربردي، إشراف: حدة سابق، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، 2019-2020م.
- مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمن، سلسبيل نصيرة، مجلة المعيار، م 26، ع 4، 2022م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم

الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م.

مقاصد تدبير المال في وجوه البر عند الشيخ كعباش في تفسيره نفحات الرحمن في رياض القرآن، بن لولو حاج إسماعيل، مجلة الشهاب بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي، المجلد 10، العدد 1، 2024م.

منهج الشيخ كعباش في عرض القراءات القرآنية، طاهر إبراهيمي، مقتطفات من أعمال الملتقى الوطني للشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية الجزائر، 1438هـ/2017م.

نفحات الرحمن في رياض القرآن، محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، المطبعة العربية، جمعية النهضة، العطف، غرداية- الجزائر 1424 هـ/ 2003م.

فوائد تربوية واجتماعية مهمة منتقاة من تصدير محمد البشير الإبراهيمي لمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير – لابن باديس

Important educational and social benefits selected from Muhammad
al-Basheer al-Ibrahimi's introduction to - the Remembrance Councils from
the Words of the Wise and Knowledgeable One – by Ibn Badis

د. خاتي كمال

جامعة الجزائر 1

ملخص

هذا البحث يتضمن آراء للإمام البشير الإبراهيمي فيما يتعلق بالمنهجية الصحيحة لفهم القرآن، و ذلك من خلال تصديره لمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام ابن باديس، في حفل أقيم بمناسبة ختمه لتفسير القرآن، وفيه فوائد تربوية واجتماعية نبّه إليها الإبراهيمي فيما يتعلق بتدبر القرآن، وما ينبغي على المفسر أن يستحضره في تفسيره لأيّ القرآن، كي يقع وقع القرآن في نفوس السامعين إن كان يُلقى دروسا شفوية، ولدى القارئ إن كان يؤلف كتابا في التفسير. ثم نوّه بفضل السلف على الخلف في فهمهم لمعاني القرآن والوقوف على أحكامه والغوص في أسرارهِ. وذكر العلة في ذلك.

كما نجد في هذا التصدير إشادة لتفسير ابن باديس وخصائصه التي امتاز بها، وأنه استحق بذلك أن يكون رائد التفسير بالجزائر بلا منازع في هذا العصر.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير، التدبر، الاتباع، ابن باديس، الإبراهيمي.

Abstract:

This study presents the views of Imam al-Bashir al-Ibrahimi regarding the proper methodology for understanding the Quran, as expressed in his introduction to the - Majalis al-Tadhkir min Kalam al-Hakim al-Khabir - by imam Ibn Badis, delivered at the ceremony marking the completion of his Quranic exegesis. Within it, al-Ibrahimi

highlights a number of pedagogical and social benefits related to reflection upon the Quran, as well as the qualities that every exegete must bring to bear when interpreting the Divine Book so that the Quran may impart its true impact upon the hearts of listeners when taught orally, and upon readers when conveyed through a written tafsir. He also drew attention to the precedence of the salaf over the khalaf in their comprehension of the meanings of the Quran, their grasp of its rulings, and their penetration into its subtleties—while clarifying the underlying reasons for that distinction. Moreover, this preface contains a commendation of Ibn Badis's tafsir and the distinctive features that characterize it, through which he earned the right to be regarded, without rival, as the pioneer of Quranic exegesis in Algeria in his era.

Keywords: Quran, Tafsir, Reflection, Following, Ibn Badis, al-Ibrahimi .

مقدمة

الحمد لله أنزل الكتاب هدى وشفاء ورحمة للعالمين. والصلاة والسلام على نبيّه محمد المصطفى الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فقد توالى على تفسير القرآن بالجزائر مفسرون أجلاء عبر قرون مختلفة، لا سيما ما تعلّق منها بالتفسير الشفوي عن طريق دروس تلقى بالمساجد أو أماكن خاصة يحضرها طلبة العلم. و يُذكر من هؤلاء: أبو عبد الله الشريف التلمساني ت: 771هـ، الفقيه الأصولي الذي كان مُلمّاً بالقراءات، والإعراب، ومعاني الألفاظ . وكذلك المفسر اللغوي عبد الرحمن الثعالبي ت: 851هـ، ومحمد بن يوسف التلمساني الحسني ت: 895هـ، وأيضا ابن خليفة الجزائري ت: 1094هـ، ثم رائد النهضة بالجزائر: الإمام ابن باديس ت: 1940م². وقد سعى الاحتلال الفرنسي بكل ما أوتي من قوة و وسائل مادية ومعنوية لبقائه في الجزائر وتحقيق مشاريعه الاستيطانية وفرض مناهجه العلمانية التغريبية، لكنه وجد لدى الشعب الجزائري ما يعيقه عن ذلك، من ذلك وجود علماء و مصلحين، تشبّعوا بعقائد دينهم، وتسلّحوا بالعلم الذي يكشف حقيقتهم ويُفصح عن نواياهم السيئة ضد هذا البلد الطيب ، وشعبه المسلم الأبّي.

فقد انبرى هؤلاء العلماء لهذه المهمة، وعلموا أنّ نشر العلم والوعي لدى النفوس، هو أكبر جهاد لحر هذا العدو والحفاظ على هوية الأمة ومقوماتها. وكان على رأس هؤلاء العلماء والمصلحين الإمام عبد الحميد بن باديس، الذي كانت له جهود عظيمة في إنشاء المدارس، ونشر مقالاته ومقالات غيره من العلماء والمصلحين من خلال بعض الجرائد والمجلات، كالشهاب والمنقذ. ونظرا لمضايقات الاستعمار والمراقبة الشديدة التي فرضها على هذه المجلات والصحف، إلا أنّ ابن باديس اهتدى إلى طريقة مثلى لإنجاز هذه المهمة، فرأى أنّ تفسير القرآن هو السبيل القويم لإيصال رسالته للناس بعيدا عن هذه المضايقات، فعكف على ذلك مدة ربع قرن لا يكلّ ولا يملّ.

الإبراهيمي عن هذه الفكرة، فنبّه إلى أنّ تفسيره هو امتداد لتفسير محمد عبده وشيخه جمال الدين، إذ وصف دروس التفسير عندهم بقوله: " وكانت تلك الدروس آية في أن القرآن لا يُفسّر إلا بلسانين: لسان العرب، ولسان الزمان"³.

فلسان الزمان هو الواقع الذي يعيشه المفسر من أحوال الناس حوله و المستجدات، فلم يغفل ابن باديس عن الإشارة إلى ذلك كله في تفسيره، حيث وصفه الإبراهيمي من خلال هذا التفسير بأنّ له " باع مديد في علم الاجتماع البشري وعوارضه، وإمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ومستجدات العمران"4.

وإنّ الإمام البشير الإبراهيمي إذ يُصدّر لتفسير ابن باديس بكلمة افتتاحية في حفل أقيم بمناسبة ختمه لهذا التفسير المبارك، أتى على مسائل تتعلق بعلم التفسير، نجد فيها فوائد تربوية واجتماعية تساهم في علاج الحالة المزمية التي كان يئنّ لها المجتمع الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى فقد قعد لقواعد مهمة تتصل بعلم التفسير من حيث تحديد الغاية منه، وبيان العلة التي تحقق ذلك، وتتضمن أمرين ينبغي على المفسر استحضارهما في تفسيره لكل آية، ولا يجوز الغفلة عنهما.

هذا البحث نستعرض أفكار الإبراهيمي وجهوده في بيان أثر دروس التفسير في تربية النفوس، والنهوض بها من سبات الغفلة إلى وظيفة العمران والاستخلاف في الأرض، ما دامت هذه الدروس منضبطة بضوابط التفسير الصحيح الموافق لفهم سلف الأمة.

أسباب اختيار البحث :

هناك أسباب معينة جعلتني أختار هذا الموضوع، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

- 1 - أهمية هذا الموضوع لاتصاله بتفسير القرآن، الذي هو أجل العلوم، إذ به تعرف معاني آيته، وأحكامه المتنوعة، وبذلك تُنال بركة هذا القرآن و يُنتفع بتلاوته .
- 2 - التعريف بشخصية الإمام البشير الإبراهيمي، وإبراز شيء من قدراته العلمية، وأفكاره في بيان المنهجية المثلّ في دروس التفسير.

- 3- الإشارة إلى الفوائد التربوية والاجتماعية، من خلال أفكار الإبراهيمي، وكذا ما كان من جوانب الإصلاح والنهضة العلمية بالمجتمع الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي من خلال تفسير الإمام ابن باديس.

أهمية

البحث:

لهذا البحث أهمية بالغة، إذ فيه تنبيه إلى دور المفسر في تشويق الناس إلى القرآن والإقبال عليه تدبراً وعملاً بأحكامه وأوامره، وبيان السبيل الأمثل الذي ينبغي اتخاذه لتحقيق ذلك. و

فيه تنبيه إلى أنّ المفسر ينبغي أن يكون ابنَ عصره، لا يغفل عن مستجدات العلوم التي قد تكشف له بعض أسرار الآيات التي غُيِّبَتْ عَمَّنْ كان قبله بغياب هذه العلوم عنهم. و أيضا تظهر أهمية البحث في إبراز أثر الدرس الشفوي للتفسير في إصلاح المجتمعات وتربيتها، والنهوض بالأمة الإسلامية إلى ما كانت عليه من الحضارة والرقى، وتفسير ابن باديس هو نموذج عن هذه النهضة بالجزائر.

كما أنّ هذا البحث يظهر جانبا من لحمة الشعب الجزائري والتفافهم حول علمائهم، بالرغم من محاولات الاستعمار الفرنسي من طمس هويته، وتجهيل الشعب، باضطهاد العلماء، والتضييق عليهم، ومنعهم الاحتكاك بال جماهير.

طرح إشكالية البحث:

من

1

خلال ما سبق يمكن طرح الأسئلة الآتية:

- في حدود الكلمة الافتتاحية للإمام البشير الإبراهيمي لمجالس التذكير ما هي دواعي دروس التفسير لابن باديس ؟ وما أثر هذه الدروس في نفوس الجزائريين؟
- 2 - إنّ المكانة العلمية للإمام الإبراهيمي تجعلنا نترقب فوائد علمية من خلال هذا التصدير. فما هي هذه الفوائد لا سيما ما يتعلق بالتربية وعلم الاجتماع؟

المنهج المتّبع لإنجاز البحث:

اتبعت في ذلك المنهج التحليلي الوصفي، الذي يقوم على وصف آراء الإمام محمد البشير الإبراهيمي وأفكاره فيما يتعلق بالدرس الشفوي للتفسير، من جهة بيان أهدافه وأبعاده التي ينبغي أن يحرص عليها المفسر، وذلك من خلال كلمة صدر بها تفسير ابن باديس، الموسوم بـ " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير".

خطة البحث:

تضمّن

هذا البحث مقدمة، وسبعة محاور، وخاتمة :
مقدمة : ذكرتُ فيها أسباب اختيار البحث، وأهميته، ثم طرح إشكالية البحث، ثم المنهج المتّبع لإنجاز البحث.

المحور الأول: نبذة عن التعريف بالبشير الإبراهيمي

المحور الثاني: التعريف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

المحور الثالث: وظائف أهل القرآن مع القرآن التدبر والاتباع

المحور الرابع: ذمُّ القرآن اتباع الهوى بأن أمر بالتدبر أولاً قبل أمره بالاتباع

المحور الخامس: أفكار الإبراهيمي في تشويق الناس إلى الإقبال على القرآن والتأثر به

المحور السادس: بؤادر الرجوع إلى تدبر القرآن واتباعه

المحور السابع: ابن باديس نموذجاً على النهضة الحديثة بالجزائر

المحور الأول: نبذة عن التعريف بالبشير الإبراهيمي

1- اسمه ولقبه ونسبه ومولده:

هو محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. ولد ونشأ بدائرة سطيف بالشرق الجزائري، في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم ابن يحيى بن مساهل، في 14 يونيو سنة 1889 م، في بيت علم ودين. وهو يرجع في نسبه إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي أنشأ دولة الأدارسة بالمغرب، والذي تنحدر إليه أسر آل البيت بالمغرب العربي، كبني حمود وغيرهم⁵.

2- نشأته العلمية و جهوده في الإصلاح و التربية:

أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، الذي لاحظ فيه علامات النبوغ والتفوق، فاعتنى به فحفظه مع القرآن متوناً علمية لا يستطيعها الكبار في وقته، فكان نعم المربي. يقول الإمام الإبراهيمي مخبراً عن ذلك: "...فما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مفرداته وغريبه، وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك، ومعظم الكافية له، وألفية ابن معطي الجزائري⁶، وألفيتي العراقي في السير و الأثر، وأحفظ جمع الحوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ورقم الحل في نظم الدول لابن الخطيب ...". وذكر متوناً أخرى ورسائل بلغاء الأندلس، مثل: ابن شهيد، وابن بُزْد، وابن أبي الخصال، وغيرها، وكذلك دواوين بعض فحول المشاركة كديوان

الحماسة، وكثيرا من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان الهمداني، وكذا كتاب الفصيح لثعلب، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكّيت، وغيرها من الكتب والأشعار 7 وهذه القدرة الهائلة في الحفظ والاستيعاب، وفي هذا السنّ المبكر لا شكّ أنها موهبة ربّانية لا تتأتّى لأيّ كان، وهو ما أكّده الإبراهيمي رحمه الله نفسه وهو يحكي عن البرنامج المكتّف الذي سطره له عمّه في هذا السنّ: "...ولم يكن شيء من ذلك يرهقني لأنّ الله وهبني حافظه خارقة للعادة، وقريحة نيّرة، و ذهناً صَيُودًا للمعاني، ولو كانت بعيدة" 8.

وبعدما جاوز العشرين سنة من عمره- لحق الإبراهيمي بوالده بالمدينة المنورة هروبا من اضطهاد الاستعمار الفرنسي، وقد مرّ أثناء هجرته هذه بالقاهرة، وحضر دروس بعض علماء الأزهر، كالشيخ محمد بخيت في صحيح البخاري، والشيخ يوسف الدجوي في البلاغة، والشيخ سعيد الموجي الذي قرأ عليه الإبراهيمي بعض الموطأ من حفظه وهو يشرحه بحضرة جمهور من الطلبة بجامع الفاكهاني. كما زار شاعر العربية في وقته أحمد شوقي وأسمعه قصائد من شعره فانهز به، والتقى أيضا بشاعر النيل حافظ إبراهيم، وأسمعه شيئا من شعره كذلك. وبعدها ركب البحر من بور سعيد إلى حيفا، ومنها ركب القطار إلى المدينة 9، فوصل إليها في أواخر 1911م. وهناك سمع من شيوخ عدة في شتى العلوم والفنون، كعلوم التفسير والحديث، والفقه، وأنساب العرب، والتراجم، والمنطق، وذاكر بعضهم في أمهات كتب اللغة والأدب. ثم أصبح يلقي الدروس في الحرم النبوي، وفي فراغه يتجول في المكتبات باحثا عن المخطوطات 10.

وفي موسم الحج عام 1913 التقى خلال إقامته بالمدينة بالإمام عبد الحميد ابن باديس وتحادثا فيها عن أوضاع الجزائر المؤلمة وسبل معالجتها، ومهد ذلك لفكرة تأسيس جمعية المسلمين الجزائريين 11.

همّ الأمة الإسلامية، ورأى أنّ العلم هو السبيل إلى النهوض بها من بين الأمم، فحاول تكوين عقول واعية مؤثرة في مجتمعاتها، فانتقل سنة 1917 إلى دمشق لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية، وكان يلقي بالإضافة دروسا في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، فتخرج على يديه جموع من المثقفين ساهموا في النهضة العربية الحديثة 12. وفي حوالي 1921 عاد الإبراهيمي إلى الجزائر فشارك صديقه الشيخ عبد الحميد بن باديس في نشر الوعي،

وتعليم الناس أمور دينهم، معتبرا اللغة العربية مفتاح ذلك وأساسه المتين، وقد كان يلقي في اليوم الواحد عشرة دروس، في الحديث والتفسير والتاريخ الإسلامي، والوعظ، من بعد

صلاة الصبح إلى بعد العشاء. كما أنشأ في عام واحد 73 مدرسة، وتهافت الجزائريون على بناء المدارس فزادت على 40013. وتخرج على يديه رجال، منهم من استشهد في الثورة، ومنهم من أصبحوا قياديين وإطارات سامية بالدولة غداة الاستقلال. ولم تكن فرنسا غافلة عن نشاط الإبراهيمي وصديقه المجاهد ابن باديس، وإنما كان هذا منها تغاضيا مؤقتا لاستمالة الجزائريين إليها لما تورطت في الحرب العالمية الأولى، فلم تكن لتفتح جبهة صراع أخرى معهم، يقول الأستاذ إبراهيم السكران: "فاستغل العلماء المصلحون اللحظة وبتوا التعليم العربي والإرشاد الديني وتجذير وعي النهضة والممانعة في فئة الشباب خصوصا على أوسع نطاق، بحيث عجز الاستعمار لاحقا عن استئصاله والعودة لحالة الجهل العام السابقة"14.

كما كانت للإبراهيمي أياد بيضاء في الدبلوماسية، فقد سافر للمرة الثانية إلى المشرق سنة 1952 للتعريف بالقضية الجزائرية، واستقر بمصر، وزار في ذلك السعودية، والعراق، وسوريا، والأردن، والكويت، وباكستان15.

وفي 15 نوفمبر 1954، أي بعد اندلاع الثورة الجزائرية، وجّه الإبراهيمي نداءً إلى الشعب الجزائري يدعوه إلى الالتفاف حول الثورة المسلحة، والتضحية بالنفس والنفيس، وطالب الدول الإسلامية بدعمها بالمال والسلاح و الدبلوماسية16، وقد خاض رحمه الله جهادا طويلا في الدعوة للعودة إلى جادة الإسلام، والتشبع باللغة العربية، و نبذ المشروع التغريبي، والبدع والخرافات و الأمية، ودعا المثقفين إلى الامتزاج بالأمة، والاختلاط بطبقاتها، فإن الثقة بالمثقفين هو سر الرقي والنجاح.

3 - مؤلفاته: له مؤلفاته قيمة منها: عيون البصائر، يضمّ مقالاته في جريدة البصائر بالجزائر وهو

رئيس تحريرها، وله كتب مخطوطة، منها "شعب الإيمان" في الأخلاق والفضائل، وكتب "حكمة مشرعية الزكاة في الإسلام"، و " نظام العربية في موازين كلماتها"، و"التسمية بالمصدر"، و "أسرار الضمائر العربية"، و "كاهنة الأوراس" قصة روائية. لكن أعظم ما دوّنه

ل شعر ملحمة من الرجز السلس في تاريخ الإسلام و المجتمع الجزائري، و وصف الاستعمار ومكائده و حليه، وتصوير أولياء الشيطان، وخطر الابتداع في الدين. قال الزركلي: "أسمعي بعضه ... قال يعني الإبراهيمي: إنها 36 ألف بيت"17.

4 - وفاته: توفي رحمه الله بالجزائر في 20 مايو 1965م، بعدما زاد عليه المرض، وشيَّعه عشرات الألوف من مثقفين ووزراء وإطارات الدولة الجزائرية وسائر طبقات الشعب، وساد الحزن الشديد والبكاء لفراقه18.

5 - ثناء العلماء عليه: اجتمعت في الإبراهيمي صفات حميدة من الحلم والرفق والشفقة والجود والكرم والإيثار، وغيرها من مكارم الأخلاق إضافة إلى علمه الغزير، شهد له بذلك كل من عرفه أو قصده، أو تتلمذ لديه19. وهذه شهادتان لعالمين من علماء الجزائر:

- الأولى: للفقهاء العربي التبسي رحمه الله، إذ يقول: "إنَّ الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وأنَّ العظمة أصل في طبعه"21.

- والثانية: للأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله الذي كان له كرسي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد شهد له هذا الأخير ببلوغه مرتبة الاجتهاد في علوم الدين، وسعة الاطلاع حتى يُخيَّل لمن عرفه أنَّ معلومات الدنيا قد جمعت عنده، نظرا لتبحره في شتى العلوم والفنون، مع فصاحة في اللسان وروعة في البيان، ودراية كاملة بجميع ما في الوطن الجزائري من أصول سكانه، وقبائله، وأنسابه، ولهجاته، وعادات كل ناحية منه وأخلاقها، وتقاليدها، وأساطيرها الشعبية، وأمثالها، وثرواتها الطبيعية22.

المحور الثاني: التعريف بمجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

هذا الكتاب هو جزء ممَّا وصل إلينا من دروس تفسير القرآن للإمام ابن باديس والتي كان يُلقِيها في المسجد الأخضر بقسنطينة من سنة 1913م إلى عام وفاته 1940م، وهو ما كان يكتبه بعض تلامذته، و يُنشر في بعض الأعداد من مجلة الشهاب من هذه الدروس، بهذا العنوان: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.

وقد عكف ابن باديس على تفسيره هذا حتى أتمَّه في ربع قرن من الزمن، وأقيم لذلك حفل في

يوم مشهود حضره الجزائريون من مختلف أرجاء الوطن، وكان ممن حضره صديقه ورفيقه في درب البشير الإبراهيمي. يقول الإبراهيمي واصفا هذا الحفل المهيج، فرحا بهذا الإنجاز، ومتأسفا في آن واحد على ضياع معظم هذا التفسير: "وإذا كان من دواعي الغبطة ختم تفسير القرآن على هذه الطريقة في القطر الجزائري، فإن من دواعي الأسف أنه لم يندب من مُستمعي هذه الدروس من يُقَيِّدها بالكتابة، ولو وُجد من يفعل ذلك لربحت هذه الأمة ذخرا لا يُقَوِّمُ بمال ولا ضُطِّلَعُ هذا الجيل بعمل يُباهي به جميع الأجيال، ولتَمَحُضَ لنا ربُّ قرن عن تفسير يكون حجة هذا القرن على القرون الآتية. ومن قرأ تلك النماذج القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجالس التذكير عَلمَ أيَّ علمٍ ضاع وأيَّ كنز غطى عليه الإهمال"23.

المحور الثالث: وظائف أهل القرآن مع القرآن التدبر والاتباع

يقرر الإمام البشير الإبراهيمي حقوق القرآن على حامله انطلاقا من الآيتين الكريمتين: {وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون} الأنعام:155 و قول الله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّروا أولوا الألباب} ص:29، قال رحمه الله مبينا ذلك: "و اجعلْ جملي فاتبعوه، و ليدبّروا آياته بين أقواس علَّ هذه الأقواس المحنية تُصيب من قارئه شاكلة انتباه فتزججه إلى معرفة أنّ هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، و علَّ هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها و وظيفتها التي يجب أن تقوم بها نحوه، وهي التدبر لمعانيه واتباعه"24.

فهتان وظيفتان جوهريتان يجب على كل قارئ للقرآن أن يستحضرهما حين يتلوهُ أو يحتجّ به: التدبر، و الاتباع. وقد أفاض العلماء والمفسرون في بيان معنى التدبر،

وكلامهم يدور على إعمال الفكر والنظر

بالتأمل و الفهم في نصوص القرآن للوصول إلى معانيه ومقاصده من خلال الأوامر و النواهي، وكذا حضور القلب عند التلاوة وحصول الخشوع، قال الزمخشري: "تدبر الآيات: التفكير فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة"25. وفي قوله تعالى {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} النساء:82 يقول الإمام الخازن: "أصل التدبر: النظر في عواقب الأمور، والتفكير في أدبارها، ثم استعمل في كل تفكير وتأمل، ويقال "تدبرت الشيء" أي: نظرت في عاقبته، ومعنى

تدبر القرآن تأمل معانيه، والتفكر في حكمه، وتَبَصَّر ما فيه من الآيات"26. وقال في تفسيره لقوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته}ص:29: "أي ليتدبروا ويتفكروا في أسرارهِ العجيبة ومعانيهِ اللطيفة، وقيل: تدبر آياته اتباعه في أوامره ونواهيهِ"27 وقال الإمام السيوطي: "وَتُسَنُّ القراءة بالتدبر والتفهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب، قال تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته}. وقال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن}. وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذابٍ أشفق وتعوذ، أو تنزيهٍ نزه وعظَّم، أو دعاءٍ تَضَرَّع وطلب"28. ولئن وُفِّق هؤلاء العلماء والمفسرون في حمل التدبر على المعاني السابقة إلا أنهم أغفلوا أمراً مهماً نبّه إليه الإبراهيمي، وهي العلاقة بين التدبر والاتباع. وذلك أنّ التدبر يسبق الاتباع، فإنّ هذا الأخير ثمرة الأول، يقول رحمه الله موضحاً هذه العلاقة: "أمّا الاتباع فهو ثمرة التدبر، وهو الذي لا تتحقق الغايات التي يرمي إليها القرآن إلا به، وقد تكرر ذكره في القرآن في معارض شتى تدلّ مُستعرضها على أنه سرّ التدبّر والتألّه، وأنه المُحقّق للكمال، وأنه العاصم من الضلال والهلاك، فليتدبر التالي هذه الأمثلة من الآيات القرآنية: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم}الأعراف:2، {وأنّ هذا صراطي مستقيماً}الأنعام:153، {فاتبعوني يحببكم الله}أل عمران:31، {واتبع سبيل من أناب إليّ} لقمان:15، {اتبعوا المرسلين}يس:20، {اتبعوا من لا يسألكم}يس:21، {فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى}طه:123، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها}الجاثية:18، {واتبعت ملة آبائي}يوسف:38"29. وبهذا كله يظهر أنّ الإمام الإبراهيمي ما اهتدى إلى هذا الأمر وظائف أهل القرآن إلّا بإلهام من الله عز وجل أولاً، ثم ما أوتي من قوة الاستنباط والاستقراء لآي القرآن، وذلك يتطلب علوماً تجعله متحرراً من ربة التقليد ومجرد حكاية أقوال المفسرين، وقد ظهر هذا جلياً حينما يؤكّد أنّ العالم القرآني هو الذي يحسن انتقاء الآيات للدلالة على المعاني. يقول رحمه الله وهو يؤكد القضية السابقة: "إنّ حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع، هي التي يعرفها ما يعرفها من الإهمال والضياع والتفريط والغفلة. فهي التي يجب التنبيه لها والتذكير بها دائماً، والدلالة على مواقعها من آيات الكتاب العزيز، وهي التي يجب على العالم القرآني أن يختار للتذكير بها أصرح الآيات في معناها، وأظهر الجمل في الدلالة عليها، وأقرب ألفاظ لأذهان الناس"30.

المحور الرابع : ذمُّ القرآن اتباع الهوى بأن أمر بالتدبر أولاً قبل أمره بالاتباع

في استنباط لطيف للإمام الإبراهيمي رحمه الله، يقرر أنّ اتباع الهوى في كل الأمور دون التفريق بين الحق و الباطل ينافي الاستقلال الفكري، واستدل على ذلك بلفتة من القرآن الكريم، وذلك أنه أمر بالتدبر قبل الاتباع، فالذي يتبع هواه لا يتدبر عواقب هذا الاتباع، فإنّ شهواته هي التي تُسيّره فلا يفرّق بين الحق والباطل و لا بين الخير و الشر، فهما عنده سواء ما داموا يوافقان هواه. يقول رحمه الله: " فتجد القرآن يدفع عنك هذه الهُجّة 31 العارضة، فيأمرك بالتدبر و استعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بالاتباع، حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق و خير و رحمة، ثم إذا أمرك بالاتباع فإنما ذاك فيما يتعالى على فكرك إدراكه، أو يصعب عليك تمييزه، أو يخاف فيه غلبة الأهواء عليك. وبعد الأمر ينهى عن اتباع الهوى المُضللّ عن سبيل الحق، و عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وعن اتباع خطوات الشيطان، وعن اتباع أولياء من دون الله، وعن اتباع السبل المتفرقة، توكيدا للمعنى الإيجابي، و إيضاحا للحق الذي يجب أن يُتبع" 32.

ولما قد يُظنّ أنّ الاتباع الذي أمر القرآن تاليه هو من قبيل التقليد المجرد عن الفكر، استطرد الإبراهيمي فنّبّه إلى أنّ هذا الاتباع هو عينُ الحكمة التي لا تظهر إلّا لذوي البصيرة لمآلات الأمور، بخلاف المعرضين عن الحق، الذين تُحرّكهم الأهواء والشهوات، فإنها حجبهم عن إدراك ذلك. يقول رحمه الله: " إلا أنّ المتدبرين للقرآن لا يخرجون من هذا الاستعراض البديع إلّا مؤمنين موقنين بأن الاتباع الذي يدعو إليه القرآن هو عينُ الاستقلال التام للفكر والإرادة و العقل والوجدان، لأنه يحميها من شرور الأهواء، و يؤويها إلى جى الحق وحده، والاحتماء بالحق الذي قامت به السموات والأرض، واستقرّ عليه تدبير الكون ونظامه – استقلالٌ ما وراءه استقلالٌ. {ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون} المؤمنون: 71" 33.

المحور الخامس: أفكار الإبراهيمي في تشويق الناس إلى الإقبال على القرآن والتأثر به

- ذكر الإبراهيمي أنّه لا يوجد من وصف القرآن وشوّق الناس إلى الإقبال عليه، كما وُجد ذلك في القرآن نفسه، فكل من حاول وصفه، وبيان علومه وأسراره بما يقتضي إعجازه، فقد

جاءت محاولاته ناقصة يعتريها ما يعتري البشر من الغفلة وقلة العلم. ولقد أجاد رحمه في بيان ذلك بأسلوب بديع، وألفاظ فصيحة مناسبة للمقام - مقام الحديث عن التحدي وإعجاز القرآن، يقول رحمه الله: " ولقد وصفه جماعة من الباحثين في إعجازه وأسراره، والمتكلمين على قصصه وأخباره، والمنقّبين على مثّلاته وعبره، والغائصين على نكت التناسب بين آيه وسوره. فجاؤوا بما يناسب قصورهم الإنساني لا بما يشبه كماله الإلهي. ووصفه قبلهم أعداؤه اللدّ - من مُضغّة الشّيح والقيصوم³⁴ أوصفاً مُنصفَةً، فما بلغ هؤلاء ببلاغتهم، ولا أولئك بإيمانهم وعلومهم غايةً ما يريدون. ووصفه الوليد بن المغيرة فقال: إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفله لمغدق، وأنّ أعلاه لمثمر. فعبر بهذا الوصف عن وجدانه النفسي، وعن أثر القرآن في ذلك الوجدان. ولا اتصال الشعور بالوجدان جاء هذا الوصف شعرياً كما ترى. وكأنّه إنصافٌ مُنتزَعٌ من نفس جائرة، وإقرارٌ مقتلع من سريرة حائرة"³⁵.

ثم فسّر رحمه الله دقة وصف القرآن وأساليبه الكاملة في التشويق إليه فقال: " إنّنا نعدُّ من إعجاز القرآن في البلاغة ما هو شائع في جميع آياته من الدقة المتناهية في تحديد المعاني وتصوير الحقائق، وتنزيل الألفاظ في مراتبها، وتلوين الأساليب، والتزاج بين الصفتين أو الصفات حتى كأنهما صفة واحدة، كالقوي الأمين، والغني الحميد، والحفيظ العليم، والعليم الحكيم"³⁶.

ونتيجة لهذا دعا إبراهيمي إلى التعويل على الآيات القرآنية في حثّ الناس إلى الإقبال على القرآن فقال: " فليقتصرُ الواصفون وليدَعُوا القرآن يصف نفسه بتلك الدقة العجيبة وذلك التصوير الرائع، وليسلك الدعاة سبيلهم إلى نفوس الناس بهذه الأوصاف الرائعة من هذه الآيات الجامعة، فإنّ ذلك أدعى إلى التأثير والتأثر، وأبلغ في باب التشويق من كل تبويب في الكلام وتحبير وتزويق"³⁷. وشفع ذلك بأمثلة من القرآن تدل على هذا التشويق العجيب، والوصف البديع للقرآن، فقال: " أين يقع ما وصفه به البشر من قوله تعالى: {يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} يونس: 57، وما في هذه الآية من جمع أصول الإصلاح التي جاء بها القرآن مرتبة في الذكر ترتبها في الوجود. وأين يقع كل ذلك من قوله تعالى: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور} المائدة: 15؟ اللهم لا"³⁸.

- ونظرا لتلك المكانة السامية التي تبوأها الإبراهيمي من البيان ومعرفة لكلام العرب، ثم ما عاش عليه في رحاب القرآن يتلوه ويتدبره ويستنبط من علومه وأحكامه، فحق له أن يصور لنا حال العرب قبل الإسلام ويدل على مكارمهم و مثالهم في ضوء هذه المعارف التي اكتسبها، ثم ذكر أثر القرآن في تهذيب هذه المكارم والأخلاق، وإزالة تلك المثالب، وأنه سبب تقدم المسلمين وقيام حضارتهم، و تمكين دينهم في الأرض، وعلوهم على سائر الأمم - ما فهموا معانيه وعملوا بما فيه، وحكموه في أنفسهم، وأنه العاصم لهم من الفتن والتفرق وتسلط الأعداء عليهم³⁹.

ومن كلامه البديع في وصف ذلك قوله: " إن الآفة الكبرى التي قضت على الحضارات وجعلت عالمها سافلا، هي التفرق بين بُنائها والمستحفظين عليها، وكان للمسلمين- من بين الأمم القديمة والحديثة - مُعْتَصِمٌ باذخٌ، لو اعتصموا به لَوَقَّاهم من التفرق، فوق حضارتهم من الانهيار. وهو القرآن ودينه الإسلام - نعمة خُصُّوا بها دون الأمم -. كانت تعصف بهم من عواطف التفرق، وتثور فيهم من طبائع الملك وغرائز المنافسة فيه ما أقله كافٍ في تدمير الممالك وتغيير الحضارات، فيرجعون إلى القرآن ويعتصمون بالإسلام فيجدون فيهما الوَزَرَ الوافي، إلى أن داخلتهم الأعراق المدسوسة، ومازجتهم الجراثيم الغريبة، وابتلوا بلقاح سوء مما أفسد من قبلهم. وكان من تأثير ذلك أنهم انتقلوا من التفرق في الدين نفسه، وفي القرآن نفسه. ثم زهدوا في الدين فلم تبق إلا الصور العملية بلا روح. وزهدوا في القرآن إلا الألفاظ المتلوَّة بلا نذير، حتى كان عاقبة أمرها خسرا، وذاقت السوء بما صدَّت عن سبيل الله"⁴⁰.

ولا شك أنَّ في كلام الإمام الإبراهيمي هذا فوائد تربوية واجتماعية في إصلاح النفوس وشفائها من الأمراض كحب الذات والاستعلاء على الغير، ودنوَّ الهمة عن طلب المعالي وتحقيق الغاية من الوجود في هذه الدنيا. فإنَّ روح الإسلام كما يصورها الإبراهيمي تكمن في هذه الحقيقة: "إن الغاية في هذا الوجود سيادة في الحق، وسيادة بالحق، وأن لا سبيل لهما إلا بالعلم والعمل، وأنَّ عمران الأرض متوقف على عمران العقول والنفوس"⁴¹.

وقد توفّر لدى العرب من المروءة ومكارم الأخلاق ما جعلها مهياة لتلقي القرآن وفهمه، وإنما كان هناك جانب من الإفراط والغلو في هذا الشأن، قد جاء القرآن لتهذيبه وعلاجه. نجد ذلك صريحا على لسان بعض المستشرقين -وهو جُولد زَهر-42 الذي نقَّب عن أحوال العرب

في الجاهلية وفي الإسلام. يقول الأستاذ أحمد أمين: "وقد عقد الأستاذ "جولدزهر" فصلا في نقط النزاع بين الإسلام والفضائل عند العرب في الجاهلية عَنُونَهُ بـ "الدين والمروءة" وهو يتلخص في "أن الإسلام رسم للحياة مثلاً أعلى غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية؛ وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان، فالشجاعة الشخصية، والشهامة التي لا حدَّ لها، والكرم إلى حدِّ الإسراف، والإخلاص التام للقبيلة، و القسوة في الانتقام، والأخذ بالثأر ممن اعتدي عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل، هذه هي أصول الفضائل عند العرب الوثنيين في الجاهلية؛ أما في الإسلام فالخضوع لله والانقياد لأمره، والصبر، وإخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين، والقناعة، وعدم التفاخر والتكاثُر، وتجنُّب الكبر والعظمة هي المثل الأعلى للإنسان في الحياة"⁴³.

ومن أفكاره رحمه الله في التشويق إلى القرآن والإقبال عليه؛ تنبيهه إلى دور القرآن في إخضاع أمم مختلفة الأهواء و المنازع و الفهوم إلى أحكامه و أوامره، وهذا ما عجزت عن تحقيقه كل الطرائق التربوية والقوانين الوضعية إلى يومنا هذا⁴⁴.

ينوّه الإبراهيمي لفضل السلف وأنهم أكمل إيماناً من الخلف، وأنّ هذه حقيقة يتفق عليها كل المسلمين، لكنه - وفي لفظة لطيفة - يقول: "ولكنهم [أي المسلمون] لا يبحثون عن علة كمال الإيمان في السلف، حتى لأنهم يعتقدون أنّ ذلك بوضع إلهي وتخصيص ربّاني لا يد للكسب فيه، وهذا خطأ فاحش وجهل فاضح"⁴⁵. ثم يوضح هذا السرّ - أو العلة - في كمال إيمان السلف، وأنه يرجع إلى فهمهم الصحيح للقرآن، وهذا الفهم يتوقف على أمرين قد تحققا لديهم، وهما: الذوق العربي الصحيح، والسنة النبوية الصحيحة. وبهذا تتبعا الآيات الجامعة لشعب الإيمان وخصاله. وباستقراء هذه الآيات وجدوا أنّ الإيمان لا يُذكر إلا مقرونا بالعمل الصالح.

يقول الإبراهيمي: "ففهموا من القرآن ما هو الإيمان، وما هي الأعمال الصالحة، فآمنوا وعملوا الصالحات، فكان إيمانهم أكمل إيمان بالعمل والكسب لا بشيء آخر من الخوارق والاختصاصات. وعلى هذا النحو فهموا العبادة، وتوحيد الله وكمالاته المطلقة، والرسول ووظائفهم، والملائكة الخ. أما الخلف فقد عدلوا عن هذا كله منذ صاروا يفهمون الإيمان من القواعد التعليمية، وفقدوا الذوق والاسترشاد"⁴⁶.

وقد عقد الأستاذ محمد الصالح الصّديق في كتابه "البيان في علوم القرآن" فصلا سمّاه أمة القرآن بالعمل لا بالقول، يقرّر هذه المسألة، حيث قال فيه: "... وواجهها إذا كانت أمة القرآن وأمة محمد بحق، أن تقود بالقرآن وبالرسالة المحمدية قافلة البشر كما قادها المسلمون من قبل. ولن تكون هذه الأمة أمة القرآن، وأمة محمد بحق، حتى تعود إلى القرآن: تحفظه، وتطبق أوامره ونواهيه، ونُظُمه، وتعاليمه في جميع مجالات الحياة"⁴⁷.

المحور السادس: بوادر الرجوع إلى تدبر القرآن واتباعه

أشاد الإبراهيمي بظهور علماء و مفسرين ومصلحين في العصر الحديث، أرادوا أن يبعثوا مجددا فهم السلف للقرآن، وأنه يرتكز أساسا على ثنائية التدبر والاتباع، سواء كان ذلك في تأليفهم، أو ما كان منهم في دروس التفسير الشفوية التي كانوا يلقونها للعامة والخاصة. فمن الأمثلة على الأول ذكر تفسير الأستاذ محمود الألوسي، وتفسير الأمير صديق حسن خان، والشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار. أمّا عن دروس التفسير فقد ذكر منهم محمد عبده، وشيخه جمال الدين الأفغاني، وذكر أنّ لهذه الدروس صدى كبيرا في إيقاظ همم الناس وتشويقهم إلى القرآن. ومن ذلك قوله: "... ثم جاء إمام النهضة بلا منازع، وفارس الحلبة بلا مدافع الأستاذ الإمام محمد عبده، فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه التي حام حولها من سبقه ولم يقع عليها، وكانت تلك الدروس آية على أن القرآن لا يُفسّر إلا بلسانين: لسان العرب، ولسان الزمان، وبه وبشيخه جمال الدين استحكمت هذه النهضة و استمرّ ميرها"⁴⁸.

ولا شك أنّ هذه اللفتة دليل على أنّ الخير في هذه الأمة كائن إلى يوم القيامة، فلا سبيل إلى القنوط، كيفما آلت الأمور، ومهما عصفت بهذه الأمة من الأزمات والفتن المتوالية.

المحور السابع: ابن باديس نموذجاً على النهضة الحديثة بالجزائر

يقول الإمام الإبراهيمي عقب الكلام السابق: "ثم جاء أخونا وصديقنا الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قائد تلك النهضة بالجزائر بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة، وهو ممن لا يقصّر عمن ذكرناهم في استكمال وسائل من ملكة بيانية راسخة، وسعة اطلاع على السنة وتفقه فيها و غوص على أسرارها، وإحاطة و باع مديد في علم الاجتماع البشري و

عوارضه، و إلمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع و مستجدات العمران، يمدّ ذلك كله قوة خطابية قليلة النظير، وقلم كاتب لا تفل له شبة⁴⁹.
فهذه شهادة أمير البيان بالجزائر، عالم بالتفسير، كافية في بيان مكانة الإمام ابن باديس، وجهوده في الإصلاح ونشر العلم، والإقبال على القرآن بقوة، والاقتباس من أنواره وخبراته المباركة، وكذا فهمه فهما صحيحا، يثمر العمل الصالح لنفع الأفراد والمجتمع⁵⁰.

الخاتمة نتائج وتوصيات

من خلال ما سبق من البحث يمكن الوصول إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1. التأكيد على أنّ الجزائر أنجبت مفسرين للقرآن عبر أزمنة مختلفة، ساهموا في تربية النفوس وإصلاحها، وكذا الحفاظ على اللحمة الوطنية متخذين دروس التفسير الشفوي مطية لذلك.

2. لقد اتضح من خلال عرض بعض أفكار البشير الإبراهيمي فيما يتعلق بتفسير القرآن أنّ الفهم الصحيح للقرآن هو الذي يورث الاتباع أو العمل بأحكامه وأوامره، وبه يكون التعبّد لله وحده وتزكو الأنفس و أنه العاصم من الضلال والهلاك و تسلط الأمم.

3. وأيضا فإنّ هذا الفهم الصحيح للقرآن هو الباعث إلى الأعمال الصالحة التي يكون بها صلاح الأفراد وقوام المجتمعات.

4. من الأساليب النافعة لتدبر القرآن والانتفاع بأحكامه و أوامره أن يختار المفسر للتذكير بذلك أصرح الآيات في معناها، وأظهر الجمل في الدلالة عليه، و أقرب الألفاظ لأذهان الناس.

5. أشار الإبراهيمي في كلمته التصديرية إلى أنّ اتباع الهوى و الشهوات من الأمراض النفسية التي عادة ما تؤدي إلى تعطيل الفكر ، و حجب صاحبه عن إدراك الحقائق و النظر في مآلات الأمور، وهو أيضا سبيل إلى الغواية و الضلال.

6. ومن الفوائد الاجتماعية تنويه الإبراهيمي بأثر القرآن في تهذيب الأخلاق⁵¹، ونبذ الفرقة والشقاق.

7. ينبغي للمفسر أن يكون ذا دراية بمستجدات العلوم التي توصل معاني القرآن إلى أذهان الناس في كل زمان و مكان، فقد تنكشف له بها أسرار بعض الآيات التي لم تكن معروفة من قبل.

8. إحياء دروس التفسير الشفوي مُجدّدا ضرورة ملحّة، لما في ذلك من إصلاح المجتمعات، وإيقاظ الهمم، والمحافظة على مقومات الأمة، وكذا تشويق الناس إلى الإقبال على القرآن والرجوع إلى تعاليم الإسلام السمحة، وتفسير ابن باديس أحسن مثال على ذلك في الجزائر.

9. تبين من خلال رأي الإبراهيمي في تفسير ابن باديس أنه رائد النهضة العلمية في الجزائر لما جمع فيه من العلوم والمسائل التي تتصل بإصلاح المجتمعات، و تنادي إلى الرقي الحضاري والسيادة بين الأمم.

وفي الختام أذكر بأنّ هذا جهد مقل، حاولت فيه تتبع بعض ما جاء في تصدير الإبراهيمي لمجالس التذكير من فوائد اجتماعية و تربوية من خلال ما سطره من قواعد منهجية في علم التفسير، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1 ينظر هذا التصدير في: آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: د/ أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ج1، ص: 320-327.

2 ينظر: المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن شفويا، منير زباني، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر1، الجزائر، ج23، العدد1، جوان 2022م، ص: 116-118.

3، 4 سيأتي توثيق كلام الإبراهيمي هذا في المحور السادس.

5 يقول الأستاذ إبراهيم بن عمر السكران معلقا: "وعامة المتخصصين يُرَشَّحون واحدة من هذه المنظومات، وخصوصا أمّ الباب وهي ألفية ابن مالك، أما حفظ عدة ألفيات في فنّ واحد، أي ثلاث ألفيات في فن النحو فقط، فهذا أشبه بالنادر والاستثنائي في المعاصرين،

وخصوصا لفتى في سن التاسعة أو دون الرابعة عشر من عمره". اهـ المَجَرِيَّات، إبراهيم بن عمر السكران، ط2، دار الحضارة، الرياض، السعودية، 1436هـ/2015م، ص: 88.

6 الأعلام للزركلي، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، ج6، ص: 54. المَجَرِيَّات، ص: 84، 83.

7

آثار الإبراهيمي 5/ 273-274.

8 المرجع نفسه 5/ 274.

9 وهو المعروف آنذاك بـ "خط حديد الحجاز، أنشئ في عهد السلطان عبد الحميد عام 1908 يربط دمشق بالمدينة النبوية، ينظر: المَجَرِيَّات، ص: 95.

10 ينظر: آثار الإبراهيمي 5/ 275-276.

11 المرجع نفسه 5/ 278.

12 المرجع نفسه 5/ 277.

13 المرجع نفسه 5/ 283، 285.

14 المَجَرِيَّات، ص: 109.

15 آثار الإبراهيمي 5/ 291.

16 ينظر نص هذا الخطاب كاملا في المرجع السابق 5/ 33-36. و ممّا جاء صريحا في الدعوة إلى جهاد فرنسا قوله: "أيها الإخوة الأحرار: هلمّوا إلى الكفاح المسلح. إنّنا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين لا شيء إلّا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، و خجلنا من الله أن يرانا ويراهم مقصّرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما اسعرضنا الواجبات وجدنا أوجيهاً وألزمها في أعناقنا، إنّما هو الكفاح المسلح فهو الذي يُسقط علينا الواجب، ويدفع عتّا و عن ديننا العار، فسيروا على بركة الله، وبِعونه وتوفيقه، إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الوحيد إلى إحدى الحُسنيين، إما موتٌ وراءه الجنة، وإما حياة وراءها العزّة والكرامة". المرجع نفسه:

36/5

- 17 ينظر: الأعلام للزركلي 54/6، آثار الإبراهيمي 289-288/5.
- 18 البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، عادل نويهض، دار الأبحاث، الدار البيضاء، الجزائر، [د.تا]، ص: 89، 90.
- 19 ينظر: آثار الإبراهيمي 16/1-17.
- 20 المرجع نفسه 16/1.
- 21 المرجع نفسه 17/1.
- 22 ينظر - ويتصرف واختصار - كلام الأستاذ أحمد توفيق المدني في: آثار الإبراهيمي 1/17.
- 23 آثار الإبراهيمي 344-343/1.
- 24 المرجع نفسه 321/1.
- 25 الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري محمد بن عمر، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ - 1998م ج 5، ص: 263.
- 26 لباب التأويل في معاني التنزيل، الإمام الخازن: 725هـ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م، ج 1/402.
- 27 المصدر نفسه 40/1.
- 28 الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي: 911هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ج 1، ص: 678. وفي تفسيره لقول الله عز وجل: {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا صمًا وعميانا} الفرقان: 73 - أجاد الإمام ابن باديس في بيان أهمية التدبر في فهم القرآن والانتفاع به، و ما جاء في ذم من غفل عن ذلك. فقال رحمه الله: "قد صوّرت الآية حالة المؤمن بالقرآن الذي ينكبّ عليه ويتلقاه بالقبول، ثم لا يفهمه و لا يتدبره بحالة الأصمّ الأعمى في عدم انتفاعه بما انكبّ عليه، تقبيحا لعدم التفهم و التدبر من المؤمن للآيات، وتحذيرا منه وتنبيها على أن الانتفاع بالقرآن الذي تتفتح به البصائر، وتتسع به المدارك، وتهذب به الأخلاق، وتزكّي به النفوس، وتتقوم به الأعمال،

وتستقيم به الأحوال، إنما يكون بتفهّمه وتدبّره دون مجرد الانكباب عليه بلا تفهّم ولا تدبّر ... فعلينا أن نُحضر قلوبنا عند سماعها، ونستعمل عقولنا في فهمها، ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها. فإذا صدقت النية، وأخلص التوجه، فُتِحَ على العبد من وجوه العلم والعمل - بإذن الله- بما لم يكن له في بال. وأنّ الله وصف هذا الكتاب بأنه مبارك لزيادة

خيراته وتيسيره للذاكرين - ترغيبا لنا في فهمه وتدبره واستنزال الخيرات واستزادة البركات منه". اهـ ينظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1402هـ/1982م، ص:315.

29 آثار الإبراهيمي/322.

30 المرجع نفسه/321.

31 يقصد به اتباع الهوى المذموم، وأصل الهُجْنَةُ الشيءُ المعيب، يقول ابن منظور: "الهُجْنَةُ من الكلام: ما يَعْيُكُ. و الهجين: العربيُّ ابْنُ الأُمَّةِ لأنه مَعْيِبٌ". ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مصر، [د.ت.]، ص: 4625.

32 آثار الإبراهيمي/322.

33 المرجع نفسه/322.

34 الشَّيْح: نبات معروف، والقيصوم: ما طال من العشب. ينظر: لسان العرب، ص: 3657. وهذا كناية عن حقارة هؤلاء الأعداء وقصر مدة بقائهم.

35 آثار الإبراهيمي/323.

36، 37، 38 المرجع نفسه/324.

39 ينظر كلامه في بيان ذلك: المرجع نفسه/324-325.

40 المرجع نفسه/324-325.

41 المرجع نفسه/324.

42 مستشرق مجري، يهودي، ولد سنة 1850م، وتوفي في 1921، رحل إلى سورية وتعرف

بالشيخ طاهر الجزائري، وصحبه لمدة، وانتقل إلى فلسطين ثم مصر، وعين أستاذا ببودابست بالمجر. له مصنفات في الإسلام والفقه والأدب العربي، باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ينظر: الأعلام للزركلي/1:84

43 فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ط10 ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1965 م . ص: 76-77 .

44 آثار الإبراهيمي/1:325 .

45 المرجع نفسه/1:326 .

46 وقد مثل لهذه القواعد الجافة بما لا يزال يدرّس في وقتنا الحالي، فقال: "وكيف يفلح من يعدل في تفهم الإيمان عن الآيات المتقدمة إلى قولهم: إنّ الإيمان هو التصديق، وإن النطق شرطاً أو شَطْرٌ فيه، وإن النسبة بين الإيمان والإسلام كذا. إلى آخر القائمة؟ وكيف يكون مؤمناً حقاً من يبني إيمانه على هذا الجرف الهاري؟". المرجع نفسه 1/326.

47 البيان في علوم القرآن، محمد الصالح الصّديق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994، ص: 332.

الآثار/1:327

49 المرجع نفسه/1:327. و الشّباة: يطلق على طرف السيف و حدّه، ويطلق على إبرة العقرب، وكأنّ المراد هنا النقطة من الكلمة. ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ت: 817هـ، ط8، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1426هـ/2005هـ، فصل الشين، مادة: شبا، ص: 1298. لسان العرب، ص: 2191.

50 وليا الباحث في بيان ميزة تفسير الإمام ابن باديس ، وهي ربطه التفسير بالعمل الصالح مقالٌ في مجلة الواحات. فلينظر: شحذ الهمم والحث على العمل سمة بارزة في تفسير ابن باديس، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد13، العدد01، جوان 2020، ص: 217-244.

51 يرى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنّ الأخلاق تسبق التعليم، وأنّ النهوض بالأفراد

لا يكون إلا بالأخلاق، ينظر المقال: شخصية الشيخ البشير الإبراهيمي وأثرها على الفكر التربوي، إعداد: يحيى زكية، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية والإنسانية، جامعة عين تيموشنت، الجزائر، المجلد 6 عدد خاص 2022، ص: 470، 471.

تفسير القرآن وأثره في الإرشاد عند المفسرين الجزائريين

د. امحمد ربة

جامعة غليزان

الملخص:

من المهمات الشرعية والضروريات الدينية المتعلقة بالمجتمع الإسلامي قضية الإصلاح والإرشاد بين أوساطه، ولهذا سعى الأنبياء والمرسلون ومن جاء بعدهم من المصلحين والمرشدين، للبحث على هذه القضية والسير على هذا السبيل.

ولما كان كتاب الله تعالى الهادي لكل خير والأمر بكل رشد وناه عن كل منكر وشر، اعتنى به العلماء ونهل من معينه الصالحاء قصد إرشاد المجتمع في أمور دينه: إيمانيا وعمليا وسلوكيا.

وبين أيدينا بحث موجز يسير؛ حمل في طياته الإشارة إلى موضوع في غاية الأهمية في حقل الدراسات الإسلامية والقرآنية، يتمثل في بيان فضل التفسير وعلاقته الوطية في تحقيق الإرشاد لدى المجتمعات الإسلامية الجزائرية، وإظهار الدور البارز والمؤثر للمدرسة التفسيرية بالجزائر، مثل: الثعالبي، عبد الحميد الجزائري، وأبو بكر الجزائري، حيث صارت تفاسير هؤلاء العلماء منارا يهتدي بها كل جزائري وغيره في ظلمات الجهل، وتذكيرا للغافل في كل حين، وعدة للمصلحين في كل زمان.

كلمات مفتاحية: القرآن، التفسير، التربية، المجتمع.

Abstract: Among the legitimate duties and religious necessities related to Islamic society is the issue of reform and guidance among its circles. For this reason, the prophets and messengers, as well as the reformers and guides who

.came after them, sought to encourage this cause and follow this path

Since the Book of God Almighty guides to all good, commands all righteousness, and forbids all evil and vice, scholars have paid attention to it, and righteous people have drawn from its source, intending to guide society in matters .of religion: faith, practice, and behavior

We have before us a brief and easy discussion; It carries within it a reference to a very important topic in the field of Islamic and Quranic studies, which is represented in explaining the merit of interpretation and its close relationship in achieving guidance among Algerian Islamic societies, and showing the prominent and influential role of the interpretive school in Algeria, such as: Al-Tha'alibi, Abdul Hamid Al-Jaza'iri, and Abu Bakr Al-Jaza'iri, as the interpretations of these scholars have become a beacon for every Algerian and others to be guided by in the darkness of ignorance, and a reminder for the heedless at all times, and a tool .for reformers in all ages

Keywords: Quran, interpretation, education, society

مقدمة:

لعبت المدرسة الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي بعلمومها - الآلة والغاية -، دورا بارزا في تحقيق الدعوة والإصلاح من منطلق القرآن الكريم، وعلى ضوء إرشاداته الطيبة وهداياته الكريمة، عملا بقوله تعالى كما في كتابه العزيز في سورة الجن: يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [الجن: 02]، فكتاب الله العزيز هو الهادي إلى الصلاح والمرشد إلى النجاة، وكيف لا يكون كذلك؟ وصدق هي أنباؤه وعدل هي أحكامه ورحمة هي تشريعاته...

لقد حاز علماء الجزائر على الريادة في خدمة القرآن وعلومه الكثيرة، حيث عرفوا منذ زمن بعيد بالعناية الفائقة والاهتمام الكبير في تسهيل العلوم القرآنية، ودراستها والتأليف فيها وتعليمها للغير وغير ذلك.

ولا شك أن الأمة الجزائرية والإسلامية قاطبة يعتريها من حين إلى حين فترات الوهن والركود العلمي والاجتماعي في شتى المجالات الدينية والدنيوية، لذا كان لزاما رجوعها إلى هدايات الكتاب العزيز وتحقيق فهمه على الوجه الصحيح.

إن تفسير القرآن والوقوف على دلائله ومعرفة اعجازه البياني وادرك مقاصده، حاجة شرعية يقوم على أساسها صلاح الفرد والمجتمع وارشادهما إلى مصالح الدين والدنيا، وعندما ظهرت الأدواء وانتشر الجهل بمعاني الكتاب العزيز إلى حد كبير، دعى ذلك علماء الجزائر المفسرين إلى إعادة المجتمع لكتاب الله تعالى فهما وبصيرة وعملا والتزاما.

وعلى ضوء موضوع أثر التفسير في تحقيق الارشاد لدى الأمة الجزائرية، ارتأت المشاركة بورقة بحثية تثير بعض القضايا المتعلقة بارتباط التفسير بالمجتمع؛ من حيث الهداية له والإصلاح والإرشاد.

وينطلق البحث من إشكالية معرفية صياغتها كآلتي: أين نجد أثر التفسير في تحقيق الارشاد؟ وما مدى تعامل التفاسير الجزائرية مع هذه القضية لدى المجتمع؟

وقد اعتمدت الدراسة في تحليل الموضوع على المنهج التحليلي الوصفي، حيث يتم عن طريقهما تحليل وبيان وشرح أجزاء مصطلح التفسير والإرشاد لغويا واصطلاحيا، وإظهار العلاقة القائمة بين التفسير من جهة والإرشاد الديني الاجتماعي جهة ثانية؛ وياضاح التأثير والتأثير بينهما.

أولا: شرح المصطلحات: مفهوم التفسير والإرشاد لغة واصطلاحا.

نتطرق بإيجاز إلى بيان وشرح لهذين المصطلحين المتعلقين بموضوعنا.

1/ التفسير لغة واصطلاحا.

التفسير لغة:

أصل مادة مصدر التفسير من: ف س ر، وهي تدل على الوضوح والبيان⁽¹⁾ والكشف

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،

دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م، 781/2.

والإظهار للشيء، يقول بعض اللغويين: فسر الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته⁽¹⁾.
ولهذا ففسر أوتفسير القرآن، أي: أبان معانيه وأوضح مراده.

التفسير اصطلاحاً:

كثرت تعاريفات العلماء والمفسرين في بيان حقيقة مصطلح التفسير، وحين كان المعنى اللغوي ظاهراً كان التعريف الاصطلاحي كذلك.

التفسير هو: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه⁽²⁾.

فالتفسير في المعنى الإجمالي هو بيان معاني كلام الله تعالى وشرح ألفاظه وإيضاحها للقارئ، وفق مناهج معروفة تدعى مناهج المفسرين.

2/ الإرشاد لغة واصطلاحاً.

نتطرق لمصطلح الإرشاد من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

الإرشاد لغة:

الرشد ضد الغي⁽³⁾، كما قال تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [البقرة:256].

من معاني الرشد أيضاً: الاستقامة على طريق الحق... ويستعمل استعمال الهداية⁽⁴⁾.

يقول ابن فارس: الراء والشين والذال أصل واحد يدل على استقامة الطريق. فالمرشد:

(1) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1399هـ - 1979م، 4/504.

(2) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957م، 1/13.

(3) تراجع: مقاييس اللغة، ابن فارس، 2/398.

(4) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت، ص 476.

مقاصد الطرق⁽¹⁾.

الارشاد اصطلاحاً:

من النظر في التعريف اللغوي لمعنى الإرشاد يتبين أن المقصود به اصطلاحاً:

الارشاد: الدلالة والهداية لكل ما فيه منفعة أو مصلحة دينية أو دنيوية.

نتيجة: اذن الرشد أو الإرشاد هو القول أو الفعل الصحيح ليس فيه عوج أو نقد.

ثانياً: فضائل التفسير.

فضائل علم التفسير كثيرة جداً لا تحصى، وقد بين أهل التفسير هاته المحاسن والحسنات العديدة لهذا الحقل القرآني الكبير، ويكفي التفسير مزية وفضيلة أنه يوصل القارئ لفهم مراد الله تعالى من كلامه المنزل على هذه الأمة المرحومة.

ولا شك أن القراءة المجردة للقرآن مع الجهل بمعانيه لهي من القواطع عن الانتفاع وحسن الاستماع، لهذا جاءت النصوص المتواترة في الحث على تعقل أوامر القرآن ونواهيه؛ ووعدده ووعيده؛ وحلاله وحرامه؛ وثوابه وزواجه...

ذكر القرطبي نصوصاً تبين أهمية وفضل تفسير القرآن وأهله حيث قال: وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل. وقال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعني بها. وقال الشَّيْبَانِيُّ: رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام؛ فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها⁽²⁾.

فالمراد من نزول الوحي هو تفهم المعنى الذي دل عليه والعمل به بعد ذلك، قال الله تعالى: وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا 33 [الفرقان: 33]، أي: بيانا وتفصيلاً

(1) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ، 2006م، 46/1. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ، 40/1.

(1).

إذن فالفقه في كلام الله تعالى من أشرف المقاصد وأجلّ القربات والطاعات، التي ينبغي الحرص عليها وسوك سبيلها.

ثالثا: التفسير القرآني والإرشاد الاجتماعي.

إن التفقه في معاني القرآن الكريم وتحصيل تفسيره ولو بشكل عام فيه خير كثير ونفع كبير للأمة، حيث نجد أن أساس التربية للمجتمع والركيزة التي يقوم عليها بناء أصغر مكون فيه وهو الفرد، لا يكون إلا بالقرآن الكريم وفهم معانيه وارتشاف هداياته، لهذا فإن الناظر في القرآن الكريم وما دونه العلماء من كتب التفسير الذين ما تركوا منه شيئا إلا وبينوه أحسن بيان وأكمل إيضاح، يجد في هذه المصنفات التفسيرية الكفاية والعلاجات الشافية والاجابات الكافية والحلول لكافة المشكلات والمعضلات المجتمعية.

ولا يخفى على أحد من القراء أن الكلام على التفسير هو حديث عن القرآن الكريم ذاته؛ بيانا وايضاها واستنباطا من كل ما يحيط بالآية من معنى.

وبين أيدينا بعض الجوانب عقديا وتعبديا وسلوكيا التي عالجتها كتب التفسير الجزائرية قديما وحديثا في المجتمع الإسلامي بصورة عامة والجزائري بصفة خاصة، وذلك كما يأتي بيانه:

1/ التفسير القرآني والارشاد العلمي الإيماني:

المقصود بالتربية التفسيرية العقدية أو الإيمانية، أي: العلم مع الاعتقاد لكل ما تضمنته الآيات التي بيّنت أركان الإيمان وأصول الدين، ووضعت المعالم والأسس والكليات العامة للدين الإسلامي، والناظر في كتب التفسير يجد أن المفسرين قد اعتنوا بهذا الجانب وأولوه أهمية بالغة، ولهذا فإن كتب التفسير هي المصدر الأصيل والركن المتين في فهم العقيدة

(1) تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ، 3/444.

الصحيحة، والطريق السليم الموصل إلى رضوان الله تعالى وجنته، ذلك لأن العقيدة هي بمثابة جذور الشجرة والأعمال هي الغصون، ولا صلاح للأغصان وأصلها غير متين صحيح.

إن الآفات العقدية والتلوث الفكري في أوساط المجتمع الإسلامي كثيرة جدا لا تحصى، بل لا يمرّ بالمسلمين زمان إلا وظهرت فيه مشكلات عقائدية أضرت من سابقتها بكثير، ومن هذه المشاكل العقدية التي عصفت بمجتمعاتنا شرقا وغربا: الشرك، الإلحاد، الغلو، التساهل، البدع والخرافات، وغيرها من الأمور المخالفة للعقيدة - كليا أو جزئيا - المقررة قرآنا وسنة وما درج عليها علماء الأمة.

لقد أوتي المجتمع الإسلامي من جهة الجهل بتفسير آيات العقيدة والإيمان بشكل كبير، إذ لو أدرك هذا المجتمع هذه العقيدة من كتاب الله تعالى على الوجه الصحيح لزالَت الشبهات من النفوس ولسلمت الأذهان من التّرهات...

إن ما قرّره المفسرون في تفاسيرهم من بيان معاني كلام الله تعالى، فيه الرد الكافي على كل الشبهات العقدية بأنواعها: الشركية والإلحادية وكل الشكوك الواردة على المؤمن، ولو نظرنا في المجتمع حاليا لرأينا موجة الإلحاد وغيرها من السموم الفكرية ضاربة في أعماق المجتمع خاصة فئة الشباب والمثقفين، بينما دواء هذا الداء في القرآن الكريم؛ وبيانه وإيضاحه في كتب المفسرين.

إن الجهل وسوء الفهم لآيات العقيدة وأصول الدين ناتج عن الإعراض والزهد في النهل من كتب المفسرين سيما المتقدمين من القرون السابقة الأولى، فالوقاية الفكرية للمجتمع مربوطة ومرهونة بمدى الرجوع إلى التراث التفسيري لعلمائنا وكبارئنا.

إن معظم القراء والجمهور الأكبر من المسلمين لا يدركون معنى كثير من آيات القرآن الكريم على حقيقتها ودلالاتها وأبعادها الإيمانية والقلبية إن لم نقل جلّ الآيات أو كلها، فكتب التفسير شارحة لمعنى الإسلام والإيمان شرحا وبيانا ليس بعده مقال.

إن كلام المفسرين في باب الاعتقاد عليه المعول وإليه المرجع في كتب التوحيد والعقيدة، أي أن تفسير كلام الرحمن لا يستغنى عنه مسلم من المسلمين عالما كان أو جاهلا.

لهذا قد حذر علماء الجزائر كمبارك الميلي⁽¹⁾ من الزهد في علم التفسير؛ ويّين أن فهم التوحيد والبعد عن الشرك ومظاهره يكون بالرجوع إلى الكتاب والسنة وتعقل معانيهما.

لقد تصدّى أهل التفسير الجزائريين⁽²⁾ قديما وحديثا كالثعالبي وابن باديس وأبو بكر جابر وغيرهم كثير، لكل ما يضاد العقيدة الإسلامية الصحيحة أو يناقضها أو يضعفها بوجه من الوجوه، حيث تمثّلت عناية هؤلاء العلماء في تحصين الأمة الإسلامية من النواقض العقدية والنواقض الإيمانية، عن طريق الربط بين تفسير القرآن وبين توظيفه في أداء وتحقيق الارشاد العقائدي لدى المجتمعات الإسلامية.

ولا شك أن المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات الإسلامية معرضة للمذاهب الباطلة والنحل الفاسدة التي تظهر من حين إلى حين وتشتد بين فترة وفترة، وقد أشار إلى ضرورة تصفية العقائد من المفاصد رواد الجمعية ورموز الدعوة في بلاد الجزائر؛ وأنصار السنة والتوحيد عندنا في فترة الاحتلال الفرنسي.

لقد اتفقت كلمة علماء الجزائر من مفسرين وغير المفسرين؛ حول ضرورة تصحيح اعتقاد المؤمن وارشاده إلى الحق المبين في مسائل الإيمان وأصول الدين وركائزه، وتمحورت دعوتهم حول تقرير مذهب أهل السنة والجماعة أهل الوسطية والاعتدال، لذا قد ركّز عبد الحميد على اصلاح العقائد وفق منهج القرآن وأساسه واعتنى بتفسير الكتاب العزيز كثيرا، يقول في كتابه المجالس في فصل: "القرآن أفضل الأذكار من طريق النظر": فإن أفضل ما فيه - وهو قلبه - يكون قائما بأفضل أعماله، وهو التفكير والتدبر، في أفضل المعاني، وهي معاني القرآن⁽³⁾.

ويزيد ويحث على التأمل والتدبر في المعاني القرآنية لا مجرد التلاوة المجردة عن التعقل

(1) يراجع: رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الميلي، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1422هـ، 2001م، ص 63 - 64.

(2) ما نشير إليه هنا عبارة عن لمحات وإشارات حول العلاقة بين التفسير والإرشاد العقدي، وإلا فهذه التفاسير مليئة بالمعاني القرآنية التي ترشد نحو العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح.

(3) تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشد، الجزائر، ط1، 1430هـ، 2009م، ص 76.

قائلاً: كما يكون التالي أيضاً متبصراً في عقائده، خبيراً بأدلتها، وردّ الشبه عنها⁽¹⁾.

وقد أوضح ابن باديس في تفسيره مقصود التلاوة، وهي أن القرآن شفاء لأدواء النفوس عقيدة ومعاملة وعبادة، فليكن للمرء الاستشفاء به من ذلك كله⁽²⁾.

لقد ركّز علماء التفسير في الجزائر على بيان العقيدة الصحيحة والدعوة إلى تجريد التوحيد لله رب العالمين وتنقيته من شوائب الخرافات الجهالات من خلال تفسير القرآن وبيان معانيه، لهذا نجد الثعالبي المفسر داعياً وحاثاً إلى اتباع النهج الصحيح، يقول في تفسيره معلقاً على قوله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ 23** [القيامة: 22 - 23]: وقوله تعالى: **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** حمل جميع أهل السُنَّةِ هذه الآية على أنّها متضمنة رؤية المؤمنين لله عز وجل⁽³⁾.

فهنا بين الثعالبي أن اثبات رؤية الله تعالى طريق أهل السنة قاطبة، بينما يوجد من يقرأ هذه الآية وقد جهل معناها مرتين؛ مرة حول ثبوت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الآخرة، ومرة من أن هذا طريق أهل السنة والجماعة.

وكذلك الشأن عند المفسرين المعاصرين من أهل الجزائر، يقول أبو بكر الجزائري في تفسيره المانع مشيراً إلى ضرورة علم التفسير في تقرير الإيمان والبعد عن الشبهات: فهذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وضعته مراعيّاً فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء وشفاؤهم

(1) تفسير ابن باديس، ص 76.

(2) يراجع: المرجع نفسه، ص 80.

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1415هـ، 523/5.

من الأدواء....⁽¹⁾، إلى أن قال: نُبِّين فيه - أي تفسيره - العقيدة السلفية المنجية..⁽²⁾

إذن فالتفسير هو أعظم كتاب في إرشاد المؤمن نحو الطريق الصحيح في: عقيدته وتوحيده وإيمانه.

2/ التفسير القرآني والإرشاد العملي للعبادات والمعاملات:

تفسير القرآن هو دستور العبادات والمعاملات للمسلمين، وبقدر العلم بمعاني القرآن العزيز يكون جانب العمل والتربية موافقا للشرع تابعا للأوامر بعيدا عن النواهي، وسنسلط الضوء بإيجاز على هذين الجانبين؛ بيانا للترابط الشديد بين التفسير والإرشاد العملي والتربوي لدى المجتمع.

قرّر الثعالبي في تفسيره المانع أن صلاح الأعمال ضرورة شرعية ومطلب حتمي لمن أراد نجاته يوم القيامة، ولا شك أن القرآن العزيز هو الكتاب الذي طوى بين جنباته طريق صلاح الجوارح كلها على طريق الاستقامة، غير أن الجاهل بمعاني القرآن يفوته من الصلاح والاقبال عل الطاعات الشيء الكثير.

وقد أشار إلى قضية مهمة يغفل عنها جماهير المسلمين، رغم أنها مربط الفرس وبيت القصيد من نزول القرآن الكريم؛ وهي العمل والتطبيق لأوامر القرآن ونواهيه لا مجرد التلاوة للألفاظ وتعطيل العمل به، يقول الثعالبي: إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً [المزمل: 5] ، أي: علم

معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى الميسر، وتركوا الثقيل⁽³⁾. غير أن كثير من الناس اتخذوا قراءته وتلاوته عملاً...

ومن الفوائد التفسيرية التي يغفل عنها جماهير المسلمين إلا من رحم الله، عدم ادراك

(1) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م، 4/1.

(2) المرجع نفسه، 5/1.

(3) الجواهر، الثعالبي، 134/1.

المعنى الحقيقي لأداء الصلاة على الوجه المشروع، لتحصل معه وبه الثمرة والمقصود؛ كما في قوله تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت: 45].

حيث جاء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ [البقرة: 43]، وأقيموا الصلاة، أي: التعبير بكلمة: الإقامة للصلاة لا أداؤها أو فعلها، حيث ذكر الثعالبي أن معنى إقامة الصلاة: اظهار هيبتها وإدامة شروطها⁽¹⁾، مثل: استقبال الكعبة واحضار النية والركوع والسجود، كما جاء ذلك موضحا من التكبير إلى التسليم في السنة النبوية.

فالتفريق بين الإقامة ومجرد الأداء بالحركات لا بد منه للمصلي لينتفع بعبادته قلبيا وجسديا، وهذا لا شك راجع إلى معرفة معاني التنزيل.

أما جانب التربية الخلقية وتهذيب السلوك وتقويمها فهو من الدين وحسن التعبد لله رب العالمين، وله كل التعلق بفهم المعاني القرآنية على الوجه الصحيح أو عدم ذلك إيجابا وسلبا، وإلا كيف نفسر ضياع فئات كثير من المجتمعات الإسلامية وشرودها عن حسن الخلق؛ الذي يعتبر ميزان الإيمان ومعياري التقوى ودليل النجاة.

لقد شمل تفسير الثعالبي التنويه على محاسن الأعمال وفضائل الآداب وجميل التعامل مع الناس، لهذا ذكر خلقا عظيما وهو المعاملة بالتي هي أحسن حتى مع المسيء، قال الله تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [فصلت: 35]. يقول الثعالبي: هي أحسن آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع ما يعرض لك مع الناس في مخالطتهم بالفعل أو بالسيرة التي هي أحسن⁽²⁾.

فلو عمل المجتمع الإسلامي بهذه الخصلة الكريمة لزالَت الضغائن والأحقاد وعصمهم الله تعالى من الشيطان ومكائده وتحريشه، لأن الدفع بالتي أحسن تشمل كل فضيلة وترد كل رذيلة.

(1) المصدر نفسه: 228/1.

(2) الجواهر، الثعالبي، 139/5.

هذا، وقد جاء تفسير أبي بكر الجزائري مليئا بالحث على العبادة وحسن المعاملة⁽¹⁾، وكلاهما عبادتان جليلتان، فالأولى مع الله تعالى، والثانية مع العباد.

إن تطهير الأخلاق من الفساد والسلوكات من الانحرافات مطلوب شرعا ومستحسن فطرة وعقلا، وهذا لا يتحقق ولا يكون إلا على ضوء القرآن الكريم فهما لمعانيه وعملا بمقتضاه، يقول أبو بكر جابر مشيرا إلى حاجة المسلمين إلى فهم معاني كلام الله تعالى لتحقيق الانضباط الخلقي مع الناس والاقبال على الله تعالى بالعبادة والطاعة، حيث صرح أن تفسيره كان لهذا الغرض والقصد: نبين فيه العقيدة السلفية المنجية - أي التفسير - والأحكام الفقهية الضرورية. مع تربية التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم. مع التجميل بالأخلاق القرآنية والتحلي بالأداب الربانية⁽²⁾.

دعا الجابري إلى تحقيق العبودية لله تعالى والاجتهاد في طاعته والتقرب إليه، وهذا المعنى لا يدركه إلا من آتاه الله فهما في كتابه العزيز، يبين في تفسير معنى قوله تعالى في سورة العصر: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** [العصر: 3]: والمراد من الإيمان الإيمان بالله ورسوله وما جاء به رسوله من الهدى ودين الحق والمراد من العمل الصالح الفرائض والسنن والنوافل⁽³⁾. فلو أن كل إنسان اتصف بهذين الصفتين فاهما لمعناها كما ذكرهما صاحب التفسير؛ لكان من الناجين السعداء لا من الهالكين الأشقياء.

كما جاء في تفسير أبي بكر الجزائري الإشادة بحسن الخلق والمعاملة الطيبة مع الناس، لأن القرآن الكريم علاج للنفوس من الرذائل القولية والفعلية الظاهرة والباطنة، ولهذا أشار إلى هداية من الهدايات القرآنية في قوله تعالى: **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** 72 [الفرقان: 72]، حيث قال: فضيلة الإعراض عن اللغو فعلا كان أو قولاً⁽⁴⁾.

فالإعراض عن الجاهلين والسفهاء من أحسن التصرفات والمعاملات مع هذه الفئة من

(1) يراجع تفسيره في الآيات المتعلقة بالموضوع في مواضع كثيرة.

(2) أيسر التفاسير، الجابري، 5/1.

(3) المرجع نفسه، 613/5.

(4) أيسر التفاسير، الجابري، 634/3.

المجتمع، لأن التعاطي والتواصل لا يؤدي إلا إلى شر وسوء عاقبة.

لقد أرشد عبد الحميد في تفسيره إلى ضرورة وحاجة الأمة في الرجوع إلى كتاب الله تعالى من أجل تقويم السلوك واستقامة الأعمال، والتطهير من البدع والخرافات وصنوف الانحرافات، وهذا لا يتحقق ولا يكون إلا عن طريق القرآن الكريم فهما لمعانيه وعملا بمقتضاه، يقول صاحب المجالس في تفسيره: وذلك كله - أي التلاوة - مما يكون له خير داع إلى الاستقامة - ولو بعض الشيء - في سلوكه العملي⁽¹⁾.

فهذه دعوة صريحة إلى التفهم والتعقل للتلاوة القرآنية قصد الانتفاع منها عمليا.

ومن الأمور المهمة التي يحتاجها المجتمع قضية التذكير بالقرآن، حيث ركز عبد الحميد على هذه المسألة وأولاهها اهتماما بالغا، وأن يكون هذا التذكير على وفق القرآن وهديه وحكمه⁽²⁾.

بل عقد هذا المفسر الكبير بين يدي تفسيره⁽³⁾، جزءا تطرق فيه عن التذكير: حقيقة، ومشروعيته، والقائمون به، وحاجة الخلق إليه.

فما أحوجنا في هذه الأزمنة المعاصرة إلى احياء سنة التذكير القرآني التي دعا إليها المفسر، وهذا يتأكد كثيرا حين ظهرت فينا وبيننا كثير من الانحرافات وشاعت الاضطرابات الخلقية والإيمانية والسلوكية، حادت بمجتمعنا عن سبيل القرآن ونهجه، وصدق الله العظيم إذ يقول: فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ [ق: 45]. وقوله: فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى [الأعلى: 9].

ولعل هذا الذي أقام عليه عبد الحميد الجزائري كتابه التفسير حين جعل التذكير عنوانه: مجالس التذكير.

إذن فالتفسير هو أعظم قائد في ارشاد المؤمن نحو الطريق الصحيح في: معاملاته وسلوكاته وجميع تصرفاته.

(1) تفسير ابن باديس، ابن باديس، ص 32.

(2) يراجع: المرجع نفسه، ص 23-26.

(3) يراجع: المرجع نفسه، ص 23 وما بعدها.

خاتمة:

في نهاية البحث نصل إلى نتائجه التي توصلنا إليها؛ ذاكرًا لها على شكل نقاط كالآتي:

- عناية المفسرين الجزائريين في اصلاح المجتمع على ضوء القرآن ومعانيه.
 - تنوع هدايات التفسير وشموله مناحي الدين والدنيا.
 - ثراء التراث الجزائري في التفسير والقضايا المجتمعية.
 - ضرورة الرجوع الأمة الإسلامية إلى التفسير علما وعملا ومنهجًا وسلوكًا.
 - تفسير القرآن وأثره الظاهر في الإرشاد لدى المجتمع.
 - أكديّة تحقيق الارشاد الاجتماعي على ضوء القرآن وارشاداته وهداياته.
 - الآثار التربوية والاجتماعية الحسنة للدرس التفسيري.
 - أثر التفسير القرآني في اصلاح المجتمع عقيدة وعبادة وسلوكًا.
- توصيات ومقترحات:

- تنظيم الملتقيات والمؤتمرات ذات الصلة بالتفسير وعلوم القرآن.
 - إقامة المحاضرات والقاء الدروس في التفسير القرآني.
 - دعوة الباحثين للتأليف في الإصلاح القرآني للمجتمع المعاصر.
- قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957 م.
- تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار

الرشد، الجزائر، ط1، 1430هـ، 2009م.

- تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1420 هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ، 2006م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1415هـ.
- رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد المليي، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ، 2001م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987م.
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، دت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1399هـ - 1979م.

الآثار الإصلاحية لدرس التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله.

ط د. حكيم عشي، أ.د. عبد العالي بوعلام

جامعة غرداية

الملخص

هذا البحث بيان لبعض جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن وعلم التفسير، خصصته للشيخ العلامة المصلح عبد الحميد بن محمد المصطفى بن الشيخ المكي بن باديس الصنهاجي 1307هـ-1359هـ رحمه الله.

وهذه الدراسة هي محاولة لإبراز مظاهر هذه الجهود وأسلوبه في التدريس، منهجه التفسيري لأهمية القرآن الكريم في تحرير المسلم ونهضته وإصلاح الأمة. وقد سلط البحث الضوء على عالم مصلح عاش في فترة الاستعمار الفرنسي، دفاعا عن وطنه ودينه.

ومعروف أن الأمة الجزائرية تلقت ضربات عميقة موجعة في عقيدتها، ودينها وأصالتها ولغتها من قبل المحتل الفرنسي الصليبي الغاشم، الذي كاد أن يهلك الحرث والنسل، حيث أدرك العلماء المصلحون خطورة الانحراف الذي وقع في تدريس تفسير القرآن، فعم الجهل وتفشى الجمود في وسط الناس، هذا العالم الذي حاول إلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة، وأهدافه وحكمه وأحكامه الجليلة السامية، كرس كل لحظة في حياته من أجل تحرير أمته ووطنه.

لقد وضحت أهم ميزاته وأوصافه، ومعالم اتجاهه الإصلاحي في دروسه لتفسير كتاب الله وهو أحد أبرز علماء المصلحين ألا وهو الشيخ العالم المصلح الإمام عبد الحميد بن باديس.

كلمات دالة: عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس، دراسة وصفية تحليلية.

This research presents an account of some of the efforts of Algerian scholars in serving the Quran and the science of Tafsir, with a particular focus on sheikh Abdelhamid ben Muhammad al-Mustafa ben Sheikh

al-Makki ben Badis al-Sanhaji , the eminent scholar and reformer.

This study is an attempt to highlight the manifestations of these efforts in the fields of authorship and teaching , particularly in the methodology of Tafsir , given the central role of the Holy Quran in the liberation of the Muslim individual , the revival of society , and the reform of the Algerian nation.

The research sheds light on a reformist scholar who lived during the period of French colonization , standing in defense of his homeland and his religion.

It is well known that the Algerian nation endured profound and painful blows to its creed , religion , authenticity , and language at the hands of the oppressive French colonial power , which nearly obliterated its heritage and destroyed its posterity. Reformist scholars recognized the gravity of the deviation that had occurred in the teaching of Quranic exegesis , as ignorance spread and stagnation prevailed among the people . This particular scholar sought to clothe Tafsir in a literary and social form that revealed the magnificence of the Quran , uncovered its subtle purposes , profound objectives , and exalted rulings and wisdom . He devoted every moment of his life to the service of his nation and his homeland.

I have clarified his most important qualities characteristics , and the distinctive features of his Tafsir lessons , highlighting one of the foremost reformist scholars during the period of French colonization.

Key words : Abdelhamid Ben Badis , Tafsir Ibn Badis , a Descriptive and Analytical study .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

إن أساس الإسلام هو العقيدة السمحاء، ولا شك أن مصدر ذلك هو القرآن، فهو الدافع للمسلم في حياته، ولما كانت المعرفة الإنسانية بناء تراكميا، يبني اللاحق فيها على

موروث السابق ويواصل، فإننا بحاجة أكيدة إلى التعرف على موروثنا الحضاري في مجال تفسير القرآن وعلومه، وطرق تدريسه في الجزائر وجهود علماءها.

والجزائر لم تسلم من ويلات المستعمر الذي عاث في الأرض فسادا، وألحق بشعبها وبِعلمائها وبطلبها العذاب الشديد، ودمر المساجد التي كانت منبرا للخطباء والوعاظ ومدرسة لطلبة العلم، ونكل بهم أيما تنكيل، كل ذلك بهدف محو هوية الشعب الجزائري وسلخه من أصالته.

فقام رجال أفذاذ للتصدي لذلك العدوان بأساليب عديدة، من بينهم عبد الحميد بن باديس مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وعبد الحميد بن باديس واحد من العلماء الذين بذلوا جهدا عظيما في عرض الإسلام، وعقيدته بأصالة وعمق في شتى الميادين والمجالات.

فحاول ابن باديس أن ينهض بالأمة الجزائرية في دينها ولغتها وتاريخها من خلال ما يلقيه من دروس في التفسير والوعظ، ومن خلال المواضيع التي ينشرها في المجالات التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد مكنته خصائصه الفكرية والعلمية والنفسية من القيام بأعمال جليلة، فكان متمكنا في علوم التفسير والحديث والفقه، ملما بمشكلات مجتمعه، عالما بما يصلح وضعه.

فالشيخ ابن باديس ممن دافعوا عن كتاب الله بدروسه التفسيرية، التي قضى فيها أربعاً وعشرين سنة حتى ختم تفسير القرآن.

فقد جمعت التفاسير التي دونها الشيخ ونشرها في مجلة الشهاب في كتاب عنوانه: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وهو العنوان الذي اختاره ابن باديس لتفسيره.

- الدراسات السابقة

من أهم الدراسات التي تناولت شخصية الإمام عبد الحميد بن باديس، والتي لها علاقة بموضوع البحث الدراسات التالية:

1 - عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913 -

1940م ، دار الشهاب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م.

2- محمد فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى، 1987م.

3 -محمد بهي الدين سالم : ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م.

4 . قاسم محمود: الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحزب التحرير الجزائري، دار المعارف، مصر، طبعة: 2، دون تاريخ.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر الخامة جمعت للإمام عبد الحميد بن باديس، نذكر أهمها:

- تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لعبد الحميد بن باديس.

- عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره، لعمار طالبي.

إشكالية البحث:

وقد ارتأيت أن يكون عنوان هذه الدراسة : الآثار الإصلاحية لدرس التفسير عند عبد الحميد بن باديس.

لدراسة منهج ابن باديس في دروسه ، و اتجاهه الإصلاحي ، وانطلاقا من الإشكالية الآتية : ما هي معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير ابن باديس ؟، والتي تفرعت عنها إشكاليات أخرى ثانوية منها: من هو ابن باديس ؟ ما هو منهجه في التفسير؟

نستفيد من هذه الدراسة ،طريقة الإصلاح عند الإمام و أسلوبه في إسقاط الآيات القرآنية على الواقع كدافع للسامع ،و هو منهج المصلحين، وواجب على علماء هذه الأمة.

أهمية البحث وهدفه : تظهر أهمية البحث من خلال السعي لتحقيق الغايات التالية منها:

تسليط الضوء على الفكر الإصلاحى لدى الإمام عبد الحميد بن باديس ، من خلال دروس التفسير ، والذي تطرق فيه إلى العديد من المسائل التربوية والاجتماعية المهمة ، ونحن بحاجة إلى الأخذ بروح القرآن والعمل بمعانيه ومضامينه للنهوض بضمير الأمة ، ولمعرفة المنهج الذي استعمله واتبعه في دراسته لعلم التفسير ، وإخراج كل ذلك الموروث إلى النور ، والتعريف والتشهير به بين أوساط طلبة العلم داخل الجزائر وخارجها باعتباره موروثا جزائريا.

و تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

- دراسة نماذج من تفسير ابن باديس دراسة وصفية تحليلية.

- إبراز فكره الإصلاحى من خلال تفسيره.

- الوقوف على منهج عبد الحميد بن باديس في تفسيره لبعض الآيات وكيفية الاستدلال بها.

منهج البحث: اعتمدت في تحقيق تلك الأهداف والإجابة عن تلك التساؤلات، في هذا البحث على المنهج التاريخي ويظهر في المطلب الأول ، عند ترجمة ابن باديس والحديث عن حياته ، والمنهج الوصفي ويظهر في المطلب الثاني ، عند دراسة منهج اتجاه ابن باديس في تفسيره.

خطة البحث: وفيها مقدمة ومطلبين وخاتمة .

تكلمت في المقدمة بعد التمهيد والتطرق إلى الموضوع ، والدراسات السابقة وإشكالية البحث ، وأهميته وأهدافه ، ومنهج البحث ، وخطته.

المطلب الأول: حياة الإمام عبد الحميد بن باديس

المطلب الثاني: : دروس التفسير للإمام عبد الحميد بن باديس

وخاتمة البحث ، ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج مع ذكر بعض التوصيات.

المطلب الأول: حياة الإمام عبد الحميد بن باديس

الفرع الأول: التعريف بالإمام عبد الحميد بن باديس

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن الشيخ المكي بن باديس الصنهاجي، ووالدته هي السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول ، ولد بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1307 هـ ، الموافق 04 ديسمبر 1889 م ، ينحدر من أسرة معروفة بالعلم و الجاه و الثراء ، تبوأ والده مناصب عديدة أثناء الاحتلال الفرنسي.⁽¹⁾

الفرع الأول: نشأته

نشأ عبد الحميد بن باديس في عائلة متدينة عارفة لحدود الله متبعة للعادات القديمة التي كانت لدى الشعب الجزائري، كراعية الأبناء رعاية تامة في الصغر، بحيث لا يغفل الآباء عن تربيته، فكان والداه يسهران على أن يلتزم الصلبة الصالحة في الكتابات وحلق العلم، مما أدى إلى ترسيخ مجموعة من المبادئ الحميدة التي منها حب الوطن، فحفظ الإمام عبد الحميد بن باديس القرآن الكريم و أتقنه على يد الشيخ محمد المداسي، أشهر المقرئين في ذلك الوقت ، أم المصلين بالجامع الكبير ببطحاء سيدي الشيخ ، و عمره لا يتجاوز ثلاثة عشر سنة ،⁽²⁾ تتلمذ على يد الشيخ العالم الورع حمدان الونيسي، الذي رباه على العلم و الفضل والأدب فأخذ منه علوم الشريعة و اللغة العربية ، و مكارم الأخلاق.

انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس فتتلمذ على أشهر علمائهم في ذلك الوقت ، وتخرج منه بشهادة التطوع العالمية عام 1911 م ، ثم عاد إلى الجزائر فبدأ في إلقاء الدروس في الجامع الكبير من كتاب الشفاء للقاضي عياض ، لم تدم دروسه طويلا حيث منعه السلطة الفرنسية من ذلك ، بعدها غادر الجزائر متجها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، و في المدينة المنورة التقى بشيخه حمدان الونيسي كما التقى بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، بعد عودته من الحجاز باشر التعليم في الجامع الأخضر حيث ختم تفسير القرآن تدريسا في ربع قرن.⁽³⁾

(1) عبد العزيز فيلاي ، عبد الحميد بن باديس ، دار الهدى الجزائر د، ت ص: 39.

(2) عبد العزيز فيلاي ، عبد الحميد بن باديس ، المرجع نفسه ص: 43.

(3) عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، دار الرشيد ، الجزائر ، سنة 2009 ، ج 1 ص: 39.

الفرع الثاني : أساتذة وتلاميذ الإمام عبد الحميد بن باديس

أخذ الإمام عبد الحميد بن باديس العلم من عند ثلة من المشايخ منذ أن كان صغيرا ، منه شيخه محمد المداسي و حمدان الونيسي و كذلك شيوخه في الزيتونة ⁽¹⁾ ، الذين كانوا يدرسون بالجامع الكبير بالزيتونة و منهم الشيخ صالح الحلقي و ابن الطيب بو شناق ، و محمد الخوجة ، و محمد الطاهر بن عاشور و غيرهم ، بالإضافة لعلماء و مشايخ تلقى عليهم العلم في حلقات العلم و الندوات الفكرية ، و الذين أجازوه في مختلف العلوم و منهم البشير صفر ، و الشيخ حسين أحمد أبادي الهندي و غيرهم .

خلف ابن باديس تلاميذ ساروا على نهجه الإصلاحية و التربوي منهم المبارك الميلي و الشيخ الفضيل الورتلاني و موسى الأحمدي و الهادي السنوسي و محمد الصالح بن عتيق وسعيد البياني ، و باعيز بن عمر و عبد اللطيف سلطاني و محمد الصالح رمضان و أحمد حماني و غيرهم،⁽²⁾ لقد اعتمد ابن باديس في دعوته الإصلاحية ، وفكره وعقائده، وأخلاقه، على هدايات القرآن الكريم ومقاصده، وكان يرى أن القرآن الكريم فيه العقائد الحقة والتشريعات النافعة والأخلاق الفاضلة، وأن غاية التفسير والتذكير الواحدة والواضحة هي هداية البشر إلى الصراط المستقيم وتعريفهم به.

الفرع الثالث: وفاته

أصيب بن باديس بمرض خطير نتج عنه ضعف الكلى و انعدام تجمع البول ، و هذا المرض ألزمه الفراش ثلاثة أيام ، ثم فاضت روحه الطيبة يوم الثلاثاء 08 ربيع الأول 1359هـ ، الموافق ل16 افريل 1940م بقسنطينة.⁽³⁾

الفرع الرابع : أثار الإمام عبد الحميد بن باديس

لقد نذر الإمام عبد الحميد بن باديس نفسه و علمه لأمتة ، فقد اختار أن يكون مربيا و

(1) عبد العزيز فيلاي ، عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص : 82.

(2) -مولود عويمر ، عبد الحميد بن باديس مبادئ و أفكار ، جسور لنشر و التوزيع ، الجزائر ، السنة 2012 ، ج، 1، ص: 17.

(3) -محمد الهادي الحسني ، أشعة الشروق ، دار الأمة للطباعة و النشر ، الجزائر ، السنة 2005 ، ج، 1، ص: 161.

مصلحا ، لهذا اشتغل بتأليف الرجال عن تأليف الكتب و نظرا للظروف الاستعمارية وما يتطلبه العمل الإصلاحي و التربوي من جهاد و عمل ، حيث عرف عليه أنه لا ينام إلا أربع ساعات ، فقد انقطع لتدريس الناس ربع قرن من الزمن وهو يبذل الجهد ، فأتى تفسير القرآن الكريم وشرح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلقاء الدروس و المحاضرات ، وكانت غايته لم شمل علماء الأمة و تكثيف جهودهم لتحقيق الإصلاح المنشود ، مواجهها بها الإدارة الاستعمارية ، مؤكدا أن الجزائر ترفض هذا الوجود الغاصب لأرضها و الذي منذ دخوله لهذه البلاد سعى في مسخ الشخصية الجزائرية بكل أبعادها فكان ينشر كل أنواع البدع و الضلالات الدينية التي يستعملها لبلوغ مرامه ، إذ حمل الإمام عبد الحميد بن باديس عبء إنهاض أمة ، و إحياء سنة ، و إماتة بدعة ، ومحاربة جهل مطبق ، فكان جهاده في نشر العلم و دفع التحرر عند عامة الناس.⁽¹⁾

لذلك كل ما وصل من تراثه الفكري هي محاضرات وخطب و مقالات صحفية ، أو ما قام به بعض أصدقائه و تلاميذه من تدوين الملخصات ثم نشرها ، فقد بلغ تراثه ستة أجزاء أصدرتها وزارة الشؤون الدينية ، أو ما تم نشره من طرف تلاميذه لدروس ألقاها عليهم بالجامع الأخضر ويتمثل ذلك فيما يلي:⁽²⁾

- أولا مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : وهو تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس ويشمل ما كتبه من دروس و نشرها في مجلة الشهاب ، وقد جمعت هذه الدروس جمعية العلماء المسلمين سنة 1948م ، كما أعاد تحقيقها ونشرها من طرف الأستاذان محمد صلاح رمضان و تفيق محمد شنين ، بعنوان تفسير بن باديس ثم أعادت نشرها من طرف وزارة الشؤون الدينية بالعنوان الأصلي ، كجزء أول من أثار الإمام عبد الحميد بن باديس .
- ثانيا مجالس التذكير من حديث البشير النذير : يشمل مقالات تتعلق بأحاديث الموطأ التي كان يشرحها في دروسه بالجامع الأخضر ، و قد نشرتها وزارة الشؤون الدينية.

(1) محمد صالح رمضان ، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية ، و الأحاديث النبوية مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر ط2 ، 1966 ، ص3

8- مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده ، دار قرطبة ، الطبعة الأولى 1426هـ، ص:51،52.

- ثالثا العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية : وهي عبارة عن دروس في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن والسنة النبوية ، على الطريقة السلفية كان يملها الإمام عبد الحميد بن باديس على تلاميذه ، وقد حققها محمد الصالح رمضان ونشرها .
 - رابعا رجال السلف ونسأؤه : وهي مقالات ترجم فيها بن باديس لبعض الصحابة رضوان الله عليهم وقد نشرها في مجلة الشهاب ، وحققها الأستاذ محمد الصالح رمضان وقامت وزارة الشؤون الدينية بنشرها .
 - خامسا تراجم الأعلام : هي مقالات تتضمن أعلام الأمة من السلف والخلف، نشرها في مجلة الشهاب.
 - سادسا مبادئ الأصول : هو كتاب مختصر في أصول الفقه درسه الإمام عبد الحميد بن باديس على تلاميذه في الجامع الأخضر سنة 1936م ، وقد حققه ونشره الأستاذ الدكتور عمار طالبي .
 - سابعا أصول فقه من آيات وأحاديث الأحكام : وهو مجموع يشتمل على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتضمن أحكاما فقهية ، وهو مما درسه الإمام عبد الحميد بن باديس ، ونشره تلميذه محمد الحسن فضلاء .
 - ثامنا التربية بالقرآن و السنة: وهو كتاب يشتمل على 78 عنوان في مختلف المقاصد، وإصلاح العقائد، وتربية النفس وتهذيب المجتمع ، وتطهيره من الخرافات والأوهام .
 - تاسعا مئات المقالات التي كان ينشرها الإمام عبد الحميد بن باديس في مجلات وصحف الجمعية، وقد جمعها ونشرها الدكتور محمد طالبي.
 - عاشرا حقق الإمام عبد الحميد بن باديس كتاب العواصم من القواصم للإمام أبي بكر بن عربي ، نشره الدكتور عمار طالبي سنة 1388هـ .
- المطلب الثاني: دروس التفسير للإمام عبد الحميد بن باديس**
- أيقن الإمام ابن باديس أهمية كتاب الله في نهضة وإصلاح الأمة الجزائرية ، فاشتغل بعد عودته من الحجاز بتفسيره ، وقد اتبع طريقتين وهي تدريسه شفاهة و تدوينه كتابة.

الفرع الأول: التفسير الشفهي

كان يلقيه الإمام ابن باديس على رواد مسجد الأخضر بقسنطينة ، حيث كان يهدف إلى تعليمهم و ترشيدهم و إصلاحهم و دفعهم إلى النهوض من سباتهم⁽¹⁾ ، وهذا من سنة 1916م إلى غاية 1938 م ، حيث يقول الإمام البشير الإبراهيمي :... عرفت الأمة الجزائرية قيمة ما أتم الله على يد الأستاذ فاحتفت بهذا الختم⁽²⁾

ويتحدث أحد تلاميذ ابن باديس عن دروس التفسير فيقول :هو درس عام ، يحضره إلى جانب الطلبة جمهور كبير ، و يقع يوميا بعد صلاة العشاء في الجامع الأخضر ، ماعدا يوم العطلة ، تدوم حصة الدرس ساعة واحدة في الغالب.⁽³⁾

و رغم الظروف و التضيق على الشعب الجزائري قد كان الناس يحضرونه و يستمعون إلى كل ما يشغلهم من أمور حياتهم و دينهم.

و أما عن أسلوب الشيخ وطريقته في درس التفسير ، فقد كان يستمله بالصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة ، ثم يبدأ في تلاوة الآيات التي يراد تفسيرها من حفظه ، بعد ذلك يشرع في التفسير بلغة عربية فصيحة ، و بأسلوب غاية في الوضوح ، يركز على استخلاص المقاصد و العبر ، وقد يسقط معاني الآيات على واقع المجتمع في هذا العصر و يقارن بين الأمم في الماضي و الحاضر.⁽⁴⁾

وكان يسود دروس الإمام بن باديس جو من الهيبة و الخشوع تعظيما لكتاب الله عز وجل ، و احترام لمكانة الإمام وتوقيره .⁽⁵⁾

(1)- عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، المرجع السابق ، ص:12.

(2) -أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي بيروت ، السنة 2008 ، ج1 ص:327.

(3)- علي مرحوم ، لمحات عن حياة الشيخ بن باديس ، مجلة الأصالة ، العدد 24 ، ص:97.

(4)- علي مرحوم ، لمسات من حياة عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص: 97.

(5) علي مرحوم ، لمسات من حياة عبد الحميد بن باديس ، مرجع نفسه ، ص: 97.

الفرع الثاني: التفسير عن طريق التدوين

اهتم الإمام ابن باديس بالعمل التربوي التعليمي، الذي يعتبر أساس العمل الإصلاحي، ومدخلا لكل تغير اجتماعي، فكرس لها جزء من حياته متطوعا، عمل على محاربة الخرافة، والشعوذة بتوعية الناس بكل فئاتهم بغض النظر عن سنهم وجنسهم ومكانتهم، ومن بين وسائله المقالات، يتطرق بها إلى مختلف الجوانب الإصلاحية التي يكتب فيها، ومنها مقالات كتبها الإمام عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب تحت عنوان مجالس التذكير⁽¹⁾، وذلك من سنة 1929م إلى غاية 1939م وهي مجموع من الآيات القرآنية التي فسرهما، حيث بلغ عدد الآيات المفسرة 108 آية من مجموع 6236 آية، ورغم ذلك فقد أبدع الإمام في أسلوبه اللغوي والإصلاحي و التربوي لتفسير هذه الآيات.⁽²⁾

الفرع الثالث : منهجه في التفسير

للإمام عبد الحميد بن باديس تفسير قد نجده في مجلد واحد أو مجلدين ، و يحوي تفسير آيات من سورة المائدة ، يوسف ، النحل ، الإسراء ، مريم ، طه ، الحج ، الأنبياء ، المؤمنون ، النور ، الفرقان ، النمل ، الأحزاب ، يس ، الذاريات ، المعوذتين ، إضافة إلى تفسير موضوعي عن العرب في القرآن .

لاشك أن حركة الإصلاح في المغرب الإسلامي بزعامة الإمام عبد الحميد بن باديس ، منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، و الذي جعل من درس تفسير القرآن الكريم أساس دعوته لانطلاق سنة التغير و التعمير ، لقد تمكن الإمام عبد الحميد لما له من مؤهلات علمية ، و أخلاقية و تربوية في إبداع تفسير واقعي إصلاحي ، هذا ما يؤكده الإمام محمد البشير الإبراهيمي حيث يقول : له ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة سادسة خص بها ، يرفده بعد الذكاء المشرق و القريحة الوقادة ، و البصيرة النافذة ، بيان ناصع ، و اطلاع واسع ، و ذرع فسيح في العلوم النفسية و الكونية ، و باع جديد في علم الاجتماع ، و رأي سديد في عوارضه و

(1) عمار طالبي ، ابن باديس حياته و آثاره ، الشركة الجزائرية الجزائر ، 1997 ، ج 3 ، ص: 12.

(2) احمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص: 254.

أمراضه ، يمد كله شجاعة في القول لم يرزقها إلا الأفذاذ المحددون في البشر.⁽¹⁾

لقد انطلق الإمام عبد الحميد بن باديس من فكرة أن القرآن هو المحرك ، و المغير لتخريج أجيال مؤمنة متخلقة بأخلاق القرآن ، وذلك لما رأى تأثيره على الصحابة رضي عنهم وتغييرهم ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، هذا إذا حسن فهمه و تدبره ، وعلى هؤلاء تعلق هذه الأمة أمالها .⁽²⁾

ركز الإمام ابن باديس على الآيات التي تخدم أهدافه الإصلاحية ، وقد اعتمد في تفسيره على عدة تفاسير من أهمها:

- تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتفسير النقلي وبيان معنى الآيات القرآنية وبترجيحاته للأقوال.

- تفسير الزمخشري الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني وتطبيقاته للبلاغة على آيات الكتاب.

- تفسير أبي حبان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية ، وذكر اختلاف القراء.

- وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية .

كما اعتمد في تفسير الآيات على القرآن والسنة النبوية ، وعلى ربط الآيات بعضها ببعض على وجه المناسبة ، وتفسير الألفاظ بترجيح معانيها وأسباب النزول ، والوجوه البلاغية في القرآن ، كما لا يخلو تفسيره من تفسير الأحكام الفقهية والمسائل الأصولية.⁽³⁾

فغاية الإمام عبد الحميد كانت محاولة بعث المجتمع الإسلامي ، الذي عرف مرحلة الخنوع و الخضوع الحضاري ، منذ وقت بعيد ، عن طريق بناء المسلم بناء قرآنيا إيجابيا فعالا ، يخرج من حالة الكسل الفكري و الجسدي و التيه النفسي ، بالرجوع إلى القرآن الكريم و

(1)- عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع السابق، ص: 27.

(2) عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه ، ص: 476.

عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه ، ص: 317. (3)

العمل به و تعلمه وترسيخ العقيدة و الأحكام و الآداب الإسلامية وهذا كله يدخل في صلاح الفرد والمجتمع بصلاح النفس، والعناية الشرعية متوجهة إلى إصلاح النفوس.⁽¹⁾

لقد تأثر الإمام عبد الحميد بن باديس بشيخه الطاهر بن عاشور، والذي تأثر بمنهج الإمام محمد عبده في دعوته إلى تغيير طرق تدريس التفسير و الشريعة الإسلامية، و الذي كان سائدا في الكتابات القرآنية و المعاهد والتي كانت تعتمد على المناقشات اللغوية، و الجدالات الكلامية، فلا ينتفع الدارس للقرآن به، يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: ودعانا القرآن إلى تدبره و تفهمه و التفكير في آياته و لا يتم ذلك إلى بتفسيره، وتبينه، فأعرضنا عن ذلك و هجرنا تفسيره و تبينه، فترى الطالب يفني حصة كبيرة من عمره، في حلول الآلية، دون أن يكون طالع ختمه واحدة في أصغر تفسير كتفسير الجلالين، مثلا، بل و يصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك...، كأن التفسير إنما يقرأ لأجل تضيق القواعد الآلية لأجل فهم الشرائع و الأحكام الإلهية فهذا هجر آخر للقرآن مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن....⁽²⁾

فدرس التفسير ليس من أجل تطبيق القواعد الآلية من نحو و صرف و بلاغة، إنما هو من أجل فهم الشرائع و الأحكام، و إدراك مقاصد التشريع و أسرار التكليف، و تقديم إجابات حول مشاكل التي تواجه الإنسان.

يقول الدكتور محمد فتحي عثمان: كان الإمام ابن باديس رحمه الله رائعا متفردا مسددا في تفسير القرآن الكريم، كان يعرض بثاقب فكره وواسع أفقه، و أسلوبه السهل الممتنع، هداية القرآن و رسالته الشاملة للفرد و الجماعة و الدولة و الإنسانية كافة، و كان يعالج مشكلات العصر على اختلاف جوانبها حين يفسر آيات قران، فهو يتكلم في لب قضايا السياسة و المجتمع و هو لا يغادر آيات الكتاب الكريم دون اعتساف أو حذقة.⁽³⁾

(1) عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه، ص: 251.

(2) عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع السابق، ص: 251.

(3) محمد فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الاصلاحية في الجزائر المعاصرة، دار القلم الكويت 1987، ط 1، ص: 7.

الفرع الرابع: نماذج من تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس

اهتم الإمام بالجانب التربوي و الذي يركز على الهداية القرآنية للفرد و التي تتمثل في بناء العقلية العلمية الناقدة و الابتعاد عن الخرافة و اللامبالاة و الخضوع، وسنذكر مثالين على ذلك :

- أولا : في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾⁽¹⁾، لقد تعرض الإمام بن باديس إلى موضوع ذو أهمية كبيرة في واقع الناس ، وهو علاقة إرادة الإنسان بالدينا ، وسعيه في تحصيلها بمشيئة الله و قدرته ، وقد علق بقوله : إن مشيئة الله تعالى ، لا تحابي أحدا من الأفراد و الأمم ، بحسب الجنس و المعتقد ، من تمسك بها وتقديرها ، وسننه في نظام هذه الحياة والكون ، ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين⁽²⁾.

وقال أيضا : فلا يفتن المسلمون بعد علم هذا يروونه من حالهم، من لا يدين دينهم ، فإنه لم يكن تأخرهم لإيمانهم ، بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو ضعف إيمانهم، ولم يتقدم غيرهم لعدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة ، وقد علموا أنهم مضت عليهم أحقاب وهم من أهل القسم الأول⁽³⁾ بإيمانهم و أعمالهم ، وما صاروا أهل القسم الثالث إلا لما ضعف إيمانهم و ساءت أعمالهم وكثر إهمالهم ، فلا لوم إذا إلا عليهم في كل ما يصيبهم وربك يقضي بالحق وهو الفتاح العليم⁽⁴⁾.

فلقد وضع الإمام عبد الحميد يده على موضع الداء الحقيقي الذي يعاني منه المجتمع الإسلامي ، فالتعامل مع مشكلة التخلف ، محاولا دفع المسلم إلا ما يجب أن يكون عليه من

(1) - سورة الإسراء الآية 18.

(2) - عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع السابق، ص: 82.

23- قسم الإمام ابن باديس العباد إلى أربعة أقسام مؤمن اخذ بالأسباب ، ودهري تارك للأسباب، ومؤمن تارك للأسباب، ودهري اخذ بالأسباب.

(4) - عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه، ص: 82.

أجل إصلاح حاله وحال أمته، وما ينتظر منه ربه في هذه الحياة الدنيا .

ثانيا قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُُعَذِّبُوهَا عَذَابًا

شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾⁽¹⁾

تعرض الإمام في هذه الآية إلا سنن الله في خلقه و التي تحكم حياة الأمم في هذه الدنيا ، فالأمم كالأفراد تمر بمرحلة الطفولة و الرجولة ثم الشيخوخة و الهرم ، حيث أسقط ذلك على واقع الأمة ، على أن مرحلة الشباب هي مرحلة استجماع القوة و النشاط للاستعداد للكفاح و التقدم ، وتمثلت المرحلة الثانية في التقدم وسعة النفوذ و بلوغها بتقديم الأسباب ، وتمثل المرحلة الثالثة في التمهقر و الضعف و السقوط و الفناء ، وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام .⁽²⁾

ويضرب الإمام عبد الحميد بن باديس مثلا بقصة بنو إسرائيل حيث لما دخلوا معترك الحياة ، و استخلفوا بعد أن قووا واشتدوا، وتكونت فيهم أخلاق الشجاعة و النجدة و الحمية ، استطاعوا أن يحققوا المرحلة الأولى .

كما يؤكد الإمام على المرحلة الثالثة من حياة الأمم وهو طور الهلاك و الموت ، و الذي ربطه الله تعالى في قصة بني إسرائيل بعد علوهم في الأرض والفساد الكبير فكانت نهايتهم .

و الذي لاحظته الإمام بن باديس أنما كثر ذكر المرحلة الأخيرة في حياة الأمم ، لأنها المرحل التي ينتشر فيها الفساد ويعم الظلم و الطغيان ، وفيه يحل بالأمة ما تستحقه من عذاب أو هلاك ، وقد ذكر الله تعالى ذلك كثيرا في القرآن للتحذير منه وتخويف الأمة من سوء عاقبتها و الحث على الابتعاد عن تلك المخالفات التي تستوجب غضب الله تعالى و الهلاك .⁽³⁾

لقد أكد الإمام عبد الحميد من خلال تناول تفسيره للقرآن تمكنه وعلمه وبصيرته ، بما

(1) - سورة الإسراء الآية :59.

(2) - عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع السابق، ص:162.

(3) - عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه، ص:165.

يستوجب إصلاحه في نفوس المسلمين للنهوض بحال هذه الأمة وتحرير وطنها .

الخاتمة :

بعد دراسة حياة الإمام عبد الحميد بن باديس، والوقوف على سيرته ومؤلفاته ومنهجه العلمي، يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

1 - إن القارئ لثراث الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - يجد نصوصا من المقالات، يصرح فيها تصريحاً واضحاً، لا لبس فيه بأن المنهج الذي يرتضيه في تدريس العقائد هو منهج القرآن نفسه.

2 - إن تفسير ابن باديس من حيث الحجم لا يمثل عملاً ضخماً موسعاً، ولكنه من حيث القيمة يظهر عظيماً، ويرجع ذلك إلى اهتمام ابن باديس بالربط بين معاني القرآن والحياة المعاصرة.

3 - يرى ابن باديس أن لله تعالى في سور القرآن، وعالم الأكوان، آيات بينات دالة على وجوده، وقدرته، وإرادته، وعلمه، وحكمته، ونعم سابغات موجبات لحمده، وشكره، وعبادته.

4 - مرت الجزائر بنكبة شديدة كغيرها من البلدان العربية، وكان المتسبب فيها ذلك المستعمر الغاشم، الذي أهلك الحرث والنسل، مما أدى إلى ظهور حركات تحررية معادية له، نذكر منها: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان لها يد في استقلال البلاد، عانى فيها رجالها القهر، من أجل إصلاح حال المجتمع.

أما التوصيات:

- الاهتمام بالدراسة لأسلوب الإمام ومنهجه في التفسير، خاصة أخذه بسنن التغيير والتي بنا عليها فهمه من خلال كلام الله تعالى لتغيير حال الأمة .
- الاهتمام بمقاصد الشريعة عند الإمام بن باديس، فقد كانت سمة بارزة في مقالاته.
- نوصي طلبة العلم والباحثين أن يولوا تفسير الإمام ابن باديس عناية فائقة، فإنه لا

يزال بحاجة إلى دراسات أوسع خاصة ما تعلق بالجوانب التي خاض فيها هذا المصلح في تفسيره، ولا تزال مجهولة، يقول الإمام الغزالي رحمه الله من الوفاء لابن باديس، أن تكتب عنه أطروحات جامعية تكشف، عن أسرار تفسيره.

المراجع:

1. احمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي بيروت، السنة 2008، ج1.
2. عبد الحميد بن باديس مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، سنة 2009، ج1.
3. عبد العزيز فيلاي، عبد الحميد بن باديس، دار الهدى الجزائر، د.ت.
4. محمد صالح رمضان، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية، و الأحاديث النبوية مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر ط2، 1966.
5. محمد فتحي عثمان، عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الاصلاحية في الجزائر المعاصرة، دار القلم الكويت، السنة 1987، ط1.
6. مسعود فلوسي، الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده، دار قرطبة، الطبعة الأولى 1426هـ.
7. محمد الهادي الحسني، أشعة الشروق، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، السنة 2005، ج1.
8. مولود عويمر، عبد الحميد بن باديس مبادئ و أفكار، جسور لنشر و التوزيع، الجزائر، السنة 2012، ج1.
9. علي مرحوم، لمحات عن حياة الشيخ بن باديس، مجلة الأصالة، العدد 24.
10. عمار طالبي، ابن باديس حياته و أثاره، الشركة الجزائرية الجزائر، 1997، ج3.

الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير الشيخ مبارك الميلي – رحمه الله

ط. د. بن عمار إسماعيلين. - ط. د. جمعي بومدين

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان-

الملخص:

يتناول هذا البحث الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي بوصفه أداة إصلاحية وتربوية في المجتمع الجزائري إبّان الاستعمار، وقد بين أن الشيخ الميلي جعل من التفسير القرآني منطلقاً لبناء العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع والانحرافات، وترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية. كما أظهر البحث خصائص منهجه في التفسير، الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، واعتمد على التفسير بالأثر مع توظيف المقاصد التربوية والإصلاحية للنص القرآني، وانتهى إلى أن دروس الشيخ الميلي لم تكن تفسيراً لغوياً فحسب، بل مشروعاً إصلاحياً متكاملًا يستهدف الإنسان والمجتمع، مما يجعل فكره جديرًا بالدراسة والتطبيق في الواقع التربوي المعاصر.

الكلمات المفتاحية :

الشيخ مبارك الميلي - الدرس التفسيري - التربية القرآنية - الإصلاح الديني - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - القيم التربوية.

Abstract:

This research examines Sheikh Mubarak al-Mili's Qur'anic lessons as a reformist and educational tool in Algerian society during the colonial era. It shows that al-Mili used Qur'anic interpretation to establish sound belief, combat innovations and deviations, and promote moral and social values. The study highlights his interpretive approach, which combined authenticity with modern relevance, relying on transmitted interpretations while integrating the educational and reformist purposes of the Qur'an. The research concludes that al-Mili's exegetical work was not merely linguistic but a comprehensive reform project aimed at shaping individuals and society, making his thought

valuable for contemporary educational renewal.

Keywords:

Sheikh Mubarak al-Mili; Qur'anic interpretation; Qur'anic education; religious reform; Association of Algerian Muslim Scholars; educational values.

1. مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

يُعَدُّ الشيخ مبارك الميلي 1896م-1945م أحدَ أعلام النهضة الإصلاحية في الجزائر الحديثة، وعَلَمًا بارزًا في ميادين الدعوة والتربية والتفسير وخدمة اللغة العربية، وقد شكَّلت شخصيته العلمية والدعوية محورًا أساسيًا في جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث جمع بين أصالة التكوين العلمي بجامع الزيتونة، وخبرة الميدان الإصلاحي والتربوي في مختلف مناطق الجزائر.

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يتناول الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي وآثاره التربوية والاجتماعية؛ وهو ميدان لم يحظَ بعد بالدراسة الأكاديمية الكافية، رغم ما فيه من ثراء علمي وتربوي، وما يمثله من نموذج عملي لتوظيف التفسير في بناء الفرد والمجتمع، كما أن تتبَّع جهود الشيخ في هذا المجال يتيح الوقوف على أحد نماذج الإصلاح القرآني في مواجهة الاستعمار ومحاربة الانحراف العقدي والاجتماعي.

وقد تم اختيار موضوع هذا البحث لعدَّة أسباب؛ أبرزها: الحاجة إلى إبراز المنهج التفسيري لأحد رموز الإصلاح في الجزائر، وإظهار دوره في ترسيخ العقيدة السليمة وغرس القيم الأخلاقية وتربية الناشئة، وتعزيز الوحدة الوطنية وخدمة اللغة العربية.

تنطلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس: ما خصائص الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي، وما أبرز آثاره التربوية والاجتماعية؟ ويتفرع عنها جملة من التساؤلات الفرعية؛ منها: ما مصادر الشيخ في التفسير؟ كيف وظَّف القرآن في معالجة قضايا العقيدة

والأخلاق والوحدة الوطنية؟

ويهدف البحث إلى تحقيق جملة من الغايات؛ أهمها:

- تحليل خصائص الدرس التفسيري عند الشيخ الميلي وبيان أسسه المنهجية.
- الكشف عن الآثار التربوية والاجتماعية لتفسيره في بناء الفرد والمجتمع الجزائري.
- إبراز دوره في خدمة اللغة العربية وتوظيفها في الخطاب القرآني الإصلاحي.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي المقارن؛ باستقراء نصوص الشيخ في دروسه التفسيرية ومقالاته، وتحليلها وفق الأصول العلمية للتفسير.

ويتكون البحث -إضافة إلى هذا الفصل التمهيدي- من مباحث رئيسة تتناول: نبذة عن حياة الشيخ الميلي ونشأته العلمية، خصائص دروسه التفسيرية، ثم دراسة الآثار التربوية والاجتماعية لهذه الدروس مع إبراز دوره في خدمة اللغة العربية.

وبذلك يسعى هذا البحث إلى تقديم رؤية متكاملة لجهود الشيخ مبارك الميلي في الدرس التفسيري بوصفها تجربة إصلاحية قرآنية متميزة في الجزائر الحديثة.

2. نبذة عن حياة الشيخ مبارك الميلي⁽¹⁾

2.1. اسمه ونسبه:

هو مبارك بن محمد الهلالي الميلي، و"الهلالي" نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهو جدّ القبائل العربية التي نزحت إلى شمال إفريقية أواسط القرن الخامس الهجري، و"الميلي" نسبة إلى ميلة إحدى مدن الشرق الجزائري، تبعد عن قسنطينة 50 كيلومترا تقريبا.

2.2. مولده:

ولد في 1896/05/23 م -حسب بطاقة تعريفه- في "دوّار أولاد مبارك" من قرى "الميلية"

(1) / أبو عبد الرحمن محمود آثار الشيخ مبارك الميلي 1/ 20-28 بتصرف.

تقع شمال ميله بنحو 50 ميلا عصريا.

2.3. نشأته العلميّة وأعماله:

نشأ يتيما، فقد توفي والده وسنّه لم تتجاوز أربع سنوات، فكفله جدّه، ثمّ عمّاه، ونزح إلى "ميلة" فحفظ القرآن في جامع "سيدي عزوز"، فأخذ مبادئ العلوم الشرعيّة والعربيّة على الشيخ الزاهد محمّد الميلي ابن معنصر، ثمّ التحق بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس بـ"الجامع الأخضر" بقسنطينة، فكان من أنجب تلاميذه، وسافر إلى "جامع الزيتونة" بتونس، فتتلمذ على خيرة علمائه، كالشيخ محمّد النخلي، والشيخ محمّد الصادق النّيفر، والشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور، وغيرهم، وتخرّج منه بشهادة التطويع عام 1924م.

شرع في التعليم بمسجد "سيدي بومعزة" فور رجوعه من تونس، وفي سنة 1925م أسست جريدة "المنتقد"، ثمّ "الشهاب"، فكان يشارك في تحرير المقالات القيّمة فيهما، ثم انتقل إلى مدينة "الأغواط" في سنة 1926م بدعوة من أهلها، فأسس فيها "مدرسة الشبيبة" التي خرّجت أنجب التلاميذ وأمع الطلاب.

ولمّا أُسست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في سنة 1931م، انتخب الشيخ مبارك الميلي عضوا في مجلس إدارتها وأميناً ماليّتها.

وبعدما قضى في "الأغواط" سبع سنوات في إدارة المكتب العربي بها، رجع إلى "ميلة" فأنشأ فيها مسجدا جامعاً تولّى الخطابة والتدريس فيه، ومدرسة "الحياة" التي أشرف على سير التعليم فيها، و"نادي الإصلاح" الذي يحاضر فيه.

أسندت إليه رئاسة تحرير جريدة "البصائر" لسان حال "جمعية العلماء" بعد أن تخلّى عنها الشيخ الطيّب العقبي ابتداء من العدد 84 إلى أن احتجبت "البصائر" عن الصدور سنة 1939م.

وفي سنة 1940م بعد وفاة الشيخ ابن باديس -رحمه الله- رئيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، خلفه الشيخ الميلي في الإشراف على الدّراسة العلميّة للطلبة حتى نهاية السنة الدراسية، غير أنّ صحته لم تكن تساعد على الاستمرار في مثل هذه المسؤولية.

2.4. شيوخه:

من أشهرهم بميلة: الشيخ محمد الميلي ت: 1347هـ، وبقسنطينة: الشيخ عبد الحميد بن باديس ت: 1359هـ، وبتونس: الشيخ محمد النخلي ت: 1953م، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت: 1393هـ، والشيخ محمد الصادق التيفر ت: 1938م، والشيخ بلحسن النجار ت: 1953م، وغيرهم من علماء الزيتونة.

2.5. تلاميذه:

وهم كثيرون بقسنطينة والأغواط وميلة، ومن أبرزهم خريجو مدرسة "الأغواط" كالشيخ أحمد الشطّة ت: 1958م، والشيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي ت: 1987م، والأستاذ أحمد قصيبة ت: 1994م.

2.6. وفاته وتصانيفه:

في ختام مسيرته العلمية والدعوية، ابتلي الشيخ مبارك الميلي رحمه الله بعد خروجه من الأغواط سنة 1933م بمرض عضال هو داء السكري، الذي أنهك قواه ورافقه إلى آخر حياته. سعى إلى علاجه داخل الجزائر وخارجها، فسافر إلى فرنسا طلباً للشفاء، غير أنّ الداء ظلّ ملازماً له. واشتدّ عليه المرض عند سماعه خبر وفاة شيخه الإمام عبد الحميد بن باديس سنة 1940م، حيث عبّر عن تأثره البالغ بقوله: "شعرتُ وكأنّ الدورة الدموية قد أخذت تسير في عكس اتجاهها المعهود، وعلمتُ حينها أنّ داء السكري قد عاد إليّ، وأنّه لن يفارقني حتى يقضي الله أجله"، وقد تحقّق ما توقّعه، فانتقل إلى رحمة الله يوم 25 صفر 1364هـ الموافق 9 فيفري 1945م، وشيّعت جنازته في موكبٍ مهيب حضره العلماء والأصدقاء والمحّبّون، يتقدّمهم العلامة محمد البشير الإبراهيمي، ودُفن في مقبرة الميلة، ورثاه العلماء بكلمات صادقة تخلّد مكانته ودوره في النهضة الإصلاحية الجزائرية.

وقد خلف الشيخ سفيرين نافعين:

1- "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في جزئين، وهو كتاب حافل، أثنى عليه غير واحد من العلماء.

2- "رسالة الشرك ومظاهره" وهو كتاب نفيس في بابه، فريد في موضوعه.

3- كما ترك الشيخ مجموعة من المقالات القيّمة في بعض الجرائد والمجالات السّائرة في وقته؛ "كالمنتقد" و"الشهاب" و"البرق" و"الإصلاح" و"السّنة" و"الشرعة" و"البصائر" و"المنهل".

3. خصائص الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي.

امتاز الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله - بجملة من الخصائص المنهجية والعلمية التي تعكس شخصيته الإصلاحية، وتبرز تفاعله مع الواقع الديني والاجتماعي في زمنه. فقد كان تفسيره للقرآن الكريم جزءاً من مشروعه التربوي والدعوي، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الفهم العميق للنص القرآني ومراعاة حاجات الناس ومناسباتهم. ومن أبرز خصائص دروسه التفسيرية ما يلي:

3.1. دروس شفاهية

كان الشيخ مبارك الميلي يُلقى دروسه في التفسير شفاهةً أمام طلبته أو عموم الحاضرين، مما أكسبها حيويةً وتلقائيةً واضحة. وقد تميزت هذه الدروس بطابعها الارتجالي، وبساطة أسلوبها، وقربها من مستوى السامعين، الأمر الذي جعلها أكثر تأثيراً في النفوس وأوسع انتشاراً. ويُفهم ذلك من أوصاف الذين نقلوا إلينا صورة تلك الدروس، كما يُستفاد أيضاً من عدم وجود مدوّنة تفسيرية خاصة أو مقالٍ مستقل فسّر فيه الشيخ آيةً أو سورةً، باستثناء ما ورد في كتابه "رسالة الشرك ومظاهره"، حيث تناول فيه بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالتوحيد تأملاً وتدبراً واستنباطاً.

3.2. دروس وُثِّقت وأُخرى لم تُوثَّق

لم تصلنا كل دروسه التفسيرية مدوّنة، بل إن بعضها بقي في حدود النقل الشفهي أو الإشارات العامة مثل قوله "فسر الشيخ كذا". أما الدروس التي وُثِّقت فقد شكلت مادة مهمة للتعرف على منهجه وأسلوبه، لكنها لا تمثل كامل جهده التفسيري.

3.3. عدم التقيد بترتيب المصحف

لم يلتزم الشيخ مبارك الميلي بالترتيب المصحفي في دروسه التفسيرية، بل كان يختار السور أو الآيات وفق مقتضى الحال؛ فقد يفسر آيات استجابةً لطلب أحد المشايخ أو بعض الجماعات التي نزل بها، أو مراعاةً لأحوال الناس، أو بمناسبة دينية أو اجتماعية معينة. وقد أكسب هذا المنهج دروسه طابعاً عملياً متصلاً بحياة الناس وقضاياهم الواقعية، وقد تم رصد إحدى وعشرين 21 درساً تفسيرياً من دروسه⁽¹⁾، إضافة إلى ما تناوله في كتابه الشرك ومظاهره، وفي بعض مقالاته التي جاءت تبعاً لاستقلالاً.

3.4. الاعتماد على التفسير بالأثر

ومن أبرز سمات الدرس التفسيري عند الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله - عنايته بالتفسير بالأثر، إذ كان يعتمد في كثير من المواضع على النقل عن أئمة المفسرين الذين سلكوا هذا المنهج، كابن كثير وابن أبي حاتم وغيرهما، مما يدل على التزامه بالمنهج الأثري في بيان معاني القرآن الكريم، وقد ظهر ذلك جلياً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]، حيث قال رحمه الله ناقلًا عن ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما: "الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا، لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار؛ لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، هذا كله به شرك".⁽²⁾

فهذا النقل عن ابن أبي حاتم - أحد أئمة التفسير بالمأثور - يكشف بوضوح عن منهج الميلي الأثري، وحرصه على ربط معاني الآيات بأقوال الصحابة والتابعين، مما يجعل تفسيره امتداداً لمنهج السلف في فهم القرآن الكريم.

كما تتجلى خاصية الاعتماد على التفسير بالأثر في منهجه - رحمه الله - من خلال رجوعه إلى النصوص الشرعية من القرآن والسنة لتقرير المعاني، واستمداد التوجيه التربوي

(1) / مراد خنيش، دروس الشيخ مبارك الميلي في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية، مجلة الشهاب المجلد 08

العدد 012022م ص 99-126

(2) / مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 94-95.

والإيماني منها. وما نحن نراه يؤكد هذه السمة في تفسيره لمعنى الولي، فبعد أن أورد الآيات الدالة على طريق الولاية وبين معانيها، إذ يقول:

"والأولياء الذين شرفهم الله بإضافتهم إليه في سورة يونس ... هم من جمع إلى صحة العقيدة القيام بالفرائض، والوقوف عند الحدود، والتزود بالنوافل، وهذا معنى وصفهم في نفس الآية بالإيمان والتقوى، ووصفهم في غيرها بالإيمان مع الإسلام، أو مع الاستقامة، أو مع العمل الصالح، أو ما في معنى ذلك. قال تعالى في البقرة، وفي النحل، وفي الزمر، وفي فصلت، وفي الزخرف: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: 25]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128]، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ 18﴾ [الزمر: 17 - 18]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]، ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ 68﴾ [النحل: 68]، ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: 68 - 69]. وفصل هذا المعنى أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وحكم لأهله بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ 10﴾ [المؤمنون: 10 - 11]. ووردت في هؤلاء الأولياء أحاديث، أشرفها - كما قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم⁽¹⁾ - حديث البخاري⁽²⁾: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»⁽³⁾

يتضح من هذا النص أن الشيخ الميلي لا يكتفي ببيان المعنى اللغوي أو السياقي للآية، بل يستكمل التفسير

(1) / قال ابن رجب: «وقد قيل: إنَّه أشرف حديث روي في ذكر الأولياء»، "جامع العلوم والحكم" 2/ 334 ت: الأرناؤوط

(2) / رواه البخاري 6502.

(3) / مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 175.

بالأثر من القرآن والسنة معاً، فيربط بين نصوص الكتاب وأحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو ما

يعكس عمق التزامه بالمنهج الأثري في التفسير.

3.5. الاهتمام بالجانب البلاغي.

كان الشيخ يولي عناية خاصة بإبراز النواحي البلاغية والفنية في الآيات، فيشرح أساليبها البيانية وصورها البديعة، ويوضح ما فيها من محسنات لفظية ومعنوية، مما يعمق الفهم ويزيد الذوق القرآني لدى السامعين.

جاء في وصف تفسيره للفتحة: "وبالجملة فإنه يكفي أن أقول إنه صوّر لهم القرآن إجمالاً بما فيه في هذه السورة الكريمة، كلّ ذلك بأسلوب عذب وعبرة سهلة تبلغ إلى أذهان الناس بغاية السرعة"⁽¹⁾، وجاء في وصف تفسيره لأية البر: "فترك النّاي معجيين به وبأسلوبه المؤثر"⁽²⁾، وفي تفسير قوله تعالى: [وإذا سألك عبادي عني فإني قريب]: "فأعطى الموضوع حقّه من البيان الواضح بأسلوب فهمه كلّ الحاضرين"⁽³⁾، وفي تفسير قوله تعالى: وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين قال الواصف: "لعمري لقد أبدع في التعبير وأحسن في البيان وأتى في ذلك الدرس بما أدهش العقول وترك السنة سائر الطبقات تثني عليه الثناء الجزيل"⁽⁴⁾، وفي تفسير قوله تعالى: "قل إني هدايتي ربي إلى صراط مستقيم"، قال الواصف: "لقد أبهرننا بغزير معلوماته وطول باعه في فنّ التفسير، جمل تخرج من فهمه تنساقط كاللآلئ، ولفظ عذب فيه السحر الحلال، ومعان يفهمها الجاهل"⁽⁵⁾

4. الآثار التربوية

(1) / البصائر 238-237/1 عدد 29، السنة الأولى ص 5-6.

(2) / جريدة النجاح، عدد 1361، السنة 14، ص 2.

(3) / جريدة النجاح، عدد 1388، السنة 14، ص 2.

(4) / جريدة النجاح، عدد 1337، السنة 3، ص 2.

(5) / جريدة النجاح، عدد 1358، السنة 13، ص 2.

4.1. ترسيخ العقيدة السليمة.

يقول الأستاذ علي مرحوم - أحد تلاميذ الجمعية -: "وما إن وصل الوقت المعين حتى هرع الناس كبيرا وصغيرا على اختلاف طبقاتهم من تجار وقيّاد ومحترفين وعاطلين، مصلحين وطرقيين إلى المكان المعدّ للدرس، ثم طلع عليهم الأستاذ فحياهم وجلس على كرسي فوّه زربية، فشرع في تفسير قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 1 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 2 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ 3 مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ 4 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 5 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ 6 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ 7﴾، فاستخرج لهم خيرا كثيرا ما عرفوه من قبل من هذه السورة المباركة وعرفهم بما فيها من الترغيب والترهيب، ومعاني التوحيد، وطلب الهداية، وتقسيم الناس إلى عارف بالحق متّبع له، وعارف به مخالف له، وجاهل به، وهذه الأقسام الثلاثة هم المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالون"⁽¹⁾.

ولا شك أنّ في ذلك أبلغ الدلائل على عناية الشيخ بهذا الأصل الجليل، المتمثّل في ترسيخ العقيدة الصحيحة من خلال هذه السورة المباركة التي اشتملت على أعظم أصول العقيدة؛ من توحيد الله بأسمائه وصفاته، وتوحيد العبادة، والإيمان باليوم الآخر، وطلب الهداية والثبات على الصراط المستقيم، والتحذير من سبل الانحراف. فهي - بحق - السورة التي تُصلح القلوب وتُرسّخ العقيدة السليمة في النفوس. ويظهر من ذلك حكمة الشيخ في نشر العقيدة وتعليمها من خلال ما يحفظه الناس جميعًا من القرآن الكريم.

يقول كاتب شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لولاية برج بوعريج: "ثم خلفه⁽²⁾ العلامة الشيخ مبارك الميلي فألقى درسًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186] وَيَبَيِّنُ أَنَّ الدَّعَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ"⁽³⁾.

وهذا الدرس ألقاه أيضا الشيخ في جامع بلدة القرام - إحدى كبرى دوائر ولاية الميلة

(1) / البصائر 1/237-238 عدد 29، السنة الأولى ص 5-6.

(2) / أي الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله -

(3) / جريدة النجاح، عدد 1357، السنة 13، ص 2.

(اليوم)⁽¹⁾.

يقول الشيخ أبو بكر بن أبي القاسم الأغواطي - وهو أحد تلاميذ المدرسة الأغواطية - بعد حديثه عن ابن باديس ونشاطه في الأغواط: " إنه بعد صلاة العشاء طُلب منه أن يُلقى درسًا فاعتذر لتعبه، وقَدَّم صديقه الأستاذ الميلي للقيام بذلك. ففسَّر الميلي قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48] إلى آخر الآيات الثلاث من سورة الأنعام، وكان محور حديثه يدور حول حقيقة التوحيد"⁽²⁾

وقد ألقى هذا الدرس مرة أخرى بالزاوية في مدينة عزّابة⁽³⁾.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 161 قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ 163﴾ [الأنعام] يقول مكاتب التجاح الذي قام بتوصيف نشاط وفد جمعية العلماء بجيجل: " ثم تلاه الأستاذ الميلي وألقى درسًا في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ 161 قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ 163﴾ [الأنعام] لقد بيّن مضمون هذه الآيات البيّنات وما كان عليه المشركون في زمانه صلى الله عليه وسلم من العقائد الفاسدة والوسائط التي لا تُجد لهم مع الله شيئًا، ثم حذّر الأمة الإسلامية من الضالين المضلين في زماننا هذا الذي فشأ فيه

(1) / جريدة النجاح، عدد 1388، السنة 14، ص 2.

16/ ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 48 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ 49 قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ 50﴾

(3) / جريدة النجاح، عدد 1337، السنة 3، ص 2.

الجهل والتفرق من جهة والعصبية الجاهلية العمياء التي يتحاشى عنها الإسلام⁽¹⁾

ويقول الأستاذ محمد العابد الجيلالي في وصف مجلس من مجالس تفسير الشيخ لهذه الآيات في المسجد الجامع ببلدة العلمة: "وقد غاص واستخرج الأئى وذهب في تحليل هذه الآيات إلى أبعد غاية، تحليلًا تاريخيًا علميًا لم يترك معه أصلا من أصول الشرك إلا أقلعه ولا أثر من آثاره إلا نقضه بقوة الحجة وسطوع البرهان"⁽²⁾

4. 2. غرس القيم الأخلاقية والتربوية.

وذلك من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ 17 إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَدِينِ 18﴾ [التوبة]

يقول الأستاذ محمد العابد الجيلالي: "بيّن الأستاذ الميلي كيف كانت شهادتهم على أنفسهم، وأنها لم تكن بالقول فقط، بل كانت بأعمالهم المخالفة لشروط الإيمان. وحذّر السامعين من عاقبة الغرور الناشئ عن الاكتفاء بالقول المجرد من غير تطبيق على العمل. ثم أوضح مفاد الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، من الوجهة التطبيقية، فتحدّث عن قانون الدولة القاضي بفصل الكنيسة عن الإدارة، وأن هذا القانون يحدّد للكنيسة دائرة نفوذها ويعطيها حقّ التصرف المطلق فيما هو من مشمولاتها بعد أن فصل عنها الإدارة السياسية. ويبيّن أن الآية الكريمة تعيّن الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يعمر مساجد الله، وأن للمسلمين الحقّ في مطالبة الحكومة بتطبيق هذا القانون على المساجد، بل الواجب عليهم الحرص على ذلك.

واستنبط الأستاذ الميلي من عطف ﴿إيتاء الزكاة﴾ على ﴿إقامة الصلاة﴾ سرّاً دقيقاً من

(1) / جريدة النجاح، عدد 1322، السنة 13، ص 2.

(2) / جريدة النجاح، عدد 1347، السنة 13، ص 2.

أسرار البلاغة القرآنية

تعجز عن إدراكه الفهوم القاصرة، وهو أن الوصف الذي يُعطى لصاحبه الحق في عمارة مساجد الله لا يكون كاملاً حتى يشمل المنقبتين معاً؛ وحتى يكون صاحبه، زيادةً على إقامته للصلاة، ممن يُرجى منهم إعطاء الزكاة حرصاً على تنزيه هذا المنصب السامي من أن تمتد إلى كرامته اليد السفلى، أو أن تتخذ النفوس الوضيعة شُرَكَاءَ للمتعيّش، كما هو مشاهد.

ثم نفى الأستاذ الميلي أن يكون معنى الآية الشك في عاقبة الله تعالى، وقرّر أن هذا المعنى إنما هو بالنسبة إلى البشر الذين لا يتم إيمانهم إلا باستشعار الخوف من العاقبة دائماً وعلى كل حال، حتى يسلموا من آفات الغرور. وأكّد أن المسلمين لم يقعوا في هذا الانحطاط الشامل إلا بعدما خربت وجداناتهم من هذا الشعور الحافز للعمل والاجتهاد، والمانع من الإهمال والاتكال⁽¹⁾.

ومن جهوده التفسيرية في غرس القيم الأخلاقية والتربوية ما جاء في تفسيره لوصايا لقمان حيث قال: "عَرَفَهُمْ أَوَّلًا كيف يجب على الأب أن يعظ ابنه وَيُرْشِدَهُ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثُمَّ شَرَحَ لَهُمْ مَعْنَى الشِّرْكِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْهُ وَذَكَرَ مَضَارَّهُ وَأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وما هي الحكمة في الإتيان به والنهي عنه أول الوصية وبعد هذا الطور دخل طوراً آخر وهو ماذا يلزم الابن أن يعمل مع أبيه وأنه مكلف بالإحسان إليهما وعدم عصيانهما ما استطاع في كل ما يأمرانه به اللهم إلا إذا أمراه بما فيه معصية لله فهنا يقدم طاعة الله على طاعتهما ولا يلتفت إليهما بحال لقوله تعالى وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ولقوله عليه الصلاة والسلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قرر لهم لزوم اتباع شيخ عارف بربه متق له لقوله تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15] وَبَيَّنَ لَهُمْ مَنْ هُوَ الْمُنِيبُ"⁽²⁾.

يتضح من خلال تفسير الشيخ مبارك الميلي للآيات القرآنية أنه كان يربط بين الهداية العقدية والتهديب الخلقي، فلا يقتصر على بيان المعاني اللفظية أو الأحكام الفقهية، بل

(1) / جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، عدد 9، ص 8.

(2) / البصائر 150/1، عدد 18، السنة الأولى، ص 6.

يتجاوزها إلى استنباط المقاصد التربوية الهادفة إلى تهذيب السلوك وإصلاح المجتمع، ويظهر ذلك جلياً في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ 8 إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9]، إذ بين من خلالهما أن الإسلام يجمع بين الدعوة إلى التوحيد الخالص، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والسماحة في معاملة أتباع الديانات الأخرى، فقال -رحمه الله- "دعا الناس عامة إلى الاعتقاد بإله واحد، وحض مجيبه على التسامح مع أهل بقية الأديان ومعاملتهم بالجميل والإحسان"⁽¹⁾

4. 3. تربية الناشئة والشباب.

لقد برزت في سيرة الشيخ المبلي ومسيرته الدعوية والتربوية ملامح واضحة لتربية الناشئة والشباب على طلب العلم وحبّه؛ وقد تنوّعت جهوده في هذا المجال بين التأليف، والوعظ والإرشاد، والتدريس، ولم تخلُ دروسه في التفسير من هذا التوجّه، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: "﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾" [التوبة 122] حيث قال عن هذا الدرس الذي ألقاه في سوق الشقفة ببلدية الطاهير ولاية جيجل: "وكان مما اقتضاه القول في شرح تلك الكلمات الحثّ على طلب العلم وإيراد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾" [التوبة 122] وبينا لهم الطريق العملي لتكوين طائفة علميّة بينهم"⁽²⁾.

ويقول رحمه الله: "وأبناء الجزائر الوافدون على جامع الزيتونة -أدام الله عمارته ورقية-

(1) / تاريخ الجزائر في القديم والحديث 17/2.

(2) / البصائر 74/3، عدد 98، السنة الثالثة، ص 6.

هم طائفة من ذلك الشباب المتعلّم، وقد حدّد الكتاب العزيز خطّة هذه الطائفة في آية التوبة: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة 122] وشعورهم بمنزلتهم يقضي عليهم بالجدّ في التحصيل وحسن السلوك واستعدادهم لمهمتهم يوجب عليهم أن يتقاربوا ويتفاهموا ويتحدّوا حتى إذا رجعوا إلى قومهم لينذروهم لم يشوشوا بعضهم على بعض ولا على الأمة بالخلافات والنزاعات والخصومات⁽¹⁾

وقد بيّن للحاضرين معنى المبايعة ومبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء المؤمنات وأن مبايعة النساء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكون لأحد فتلقى الحضور هذه النصائح بارتياح عظيم مما يدل على أن العقول قابلة لتلقى النور الإلهي

كما كان رحمه الله حريصا على تربية الشباب على لزوم الكتاب والسنة ونبذ التعصب لآراء الرجال، يقول تحت قوله تعالى: "فإن تنازعتم في شيء فردّوه على الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فقال: "والردّ إليهما هو عرض قضية النزاع على الكتاب والسنة لا الإعراض عنهما والسعي وراء آراء الرجال"⁽²⁾

4.4. التربية الجهادية ومقاومة الاستعمار.

وقد كان يرى رحمه الله أن التربية الجهادية لا بدّ أن تكون بنوعها؛ جهاد بالبيان وجهاد بالسنان، يقول رحمه الله في النوع الأول تحت قوله تعالى: "وجاهدكم به جهادا كبيرا": "فمجاهدة الضالين عن سواء الصراط بالكتاب والسنة من أقوى أمارات الإيمان وأفضل القربات"⁽³⁾

وقد كان يحث على الإنفاق في سبيل بناء المدارس والتعليم من خلال تلك التقارير المالية التي كان

(1) / الآثار 2/ 508

(2) / الآثار: 1/ 310

(3) / الآثار 1/ 128

يقدمها لمكتب جمعية العلماء مفسراً في غالب تلك التقارير قوله تعالى: "وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا

بأيديكم إلى التهلكة" وقوله تعالى: "وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين"⁽¹⁾

5. الآثار الاجتماعية

5.1. تعزيز الوحدة الوطنية.

من الأفكار التي روجها الاستعمار الفرنسي فكرة تقسيم الجزائر إلى طوائف عرقية وقبائل جهوية، التي أراد من خلالها كسر الوحدة والوطنية والألفة القلبية للشعب الجزائري، وقد تفتن الشيخ مبارك الميلي لهذه الفكرة ورد عليها في الكثير من محاضراته داخل الجمعية وخارجها وفي خطبه ورسائله وكشف الشر المخفي وراءها، فكان الشيخ مبارك الميلي كثيراً ما يدعوا محاضراته ومقالاته للوحدة الوطنية خصوصاً والمغربية عموماً، وذلك ضمن حديثه عن مفهوم آية قرآنية أو ذكر فوائدها، أو يستدل لدعوته للوحدة الوطنية بآيات عامة، لمعرفته بمكانة كلام الله في قلوب الجزائريين، وكان مما قاله رحمه الله تعالى في كلمة له تحت عنوان "نحو الوحدة المغربية": "ونحن ممن يؤمن بالوحدة المغربية ويحترم الحقائق التي يملها الدين والجنس والإقليم والتاريخ في شأن تلك الوحدة - نسر لهذه الظاهرة الطيبة ظاهرة التعارف الواصل للأمم والتعاون الباعث على التفائل"⁽²⁾ وبعد كلمته هذه أشار إلى قوله تعالى: ﴿لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:61].

وفي محاضرة للشيخ بالنادي الإسلامي بميلة- والتي كان يلقيها أسبوعياً بالنادي- كانت محاضرته الأولى عبارة عن جملة من الوصايا، أولها: تقوى الله تعالى، وثانيها: الإتحاد في الخير، استشهد لها بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103]. وقررها أيضاً ببيان حاجة الإنسان إليها وذكر فوائدها.

(1) / الآثار 387 / 1

(2) - "البصائر" العدد: 168، بدوم إمضان، نقلا عن آثار الشيخ مبارك الميلي، جمعها وترتها أبو عبد الرحمن محمود، دار الرشيد، ط: 1-2012م [940/2].

وختم الكلام في هذه الوصية بأن الدعوة إلى الإتحاد من الخير الذي نسعى لتعميمه. وإذا لم يجب بعض الناس هذه الدعوة فليس الذنب ذنب الداعي بل الذنب ذنب المعرض عن الإجابة، وليس توفيق المرء إلى الخير لأحد إلا لله وحده⁽¹⁾.

2.5. الإصلاح الاجتماعي ومحاربة البدع

من أهم ميادين الدعوة الإصلاحية في المجتمع ومحاربة البدع ميدان التفسير وتنزيل الآيات على الوقائع

والمستجدات، فهو علم باب الإجتهد فيه مفتوح لمن بلغ درجته، وهو أول ما يرجع إليه في النوازل ويستدل به على الأحكام، وتراث الشيخ مبارك الميلي عامر بدعوته الإصلاحية المرتبطة بكتاب الله تعالى وتفسيره.

تزامن نشاط الشيخ الدعوي الإصلاحية مع الحقبة الاستدمارية الفرنسية بالجزائر، والتي كانت أول وأهم أهدافها إفساد العقيدة الإسلامية الصحيحة للجزائريين المبنية على الكتاب والسنة، فكانت فرنسا وراء ظهور بعض الشراكيات والبدع والخرفات داخل المجتمع الجزائري، والتي وقف أمامها الشيخ مبارك مجاهدا بقلمه ولسانه مبينا بطلانها وضلال أتباعها، حيث ألف كتابا نفيسا للرد عليها تحت عنوان "رسالة في الشرك ومظاهره" جمع في رسالته هذه بين الإصلاح الاجتماعي والرد على الشراكيات والبدع، إضافة إلى المحاضرات والدروس التي كان يلقيها، والتي أثمرت نتائجها وأثارها.

ففي مقال للشيخ بعنوان "الإصلاح" عرف الإصلاح على أنه: "دعوة إلى نبذ الفاسد من العقائد والعوائد، وإرشاد إلى ما هو صالح منها ليؤخذ به. ثم قال: "وغايته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية والأخروية". وهذا يكشف عن بعد الرؤية الإصلاحية للشيخ. وذكر أيضا في مقاله أن الإصلاح الاجتماعي ذو مواضيع متعددة بتعدد مناحي الحياة الاجتماعية.... إلى أن قال: لكن الحياة الفردية يعالجها الفرد، والحياة الاجتماعية تعالجها الجماعات، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(1) - آثار الشيخ مبارك الميلي [347/1].

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [آل عمران:104] ثم أعقب الآية بفائدة بليغة مفادها أن علاج الفرد على يد الطبيب، وعلاج المجتمع على أيدي مرشدين⁽¹⁾.

وقال رحمه الله في موضع آخر: "إذا بلغ المرء أشده وأصبح عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعية: فإن كان عاميا فعليه أن يتطلب أهل العلم لتربيته، للآية: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، وإن كان عالما فعليه الإرشاد وبذل النصيحة للآيات والأحاديث الكثيرة في هذا المعنى⁽²⁾. كلام الشيخ هذا يوحي أنه كان غواصا بارعا في توظيف معاني القرآن الكريم في باب الإصلاح وتنزيل هذه المعاني على أحوال المجتمع الجزائري.

كما كان للشيخ وقفات كثيرة حذر فيها من البدع المنتشرة في زمانه والتي لا يزال بعضها موجود عند فئة قليلة من الناس، ومن ذلك ما ذكره في كتابه الرسالة من احتراف بعض المفلسين للرقبة وما أحدثوه في ذلك من أحداث، وقبول ذلك عند ضعف العقول، مشيرا لعلاج هذا الفساد إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]⁽³⁾.

5.3. نشر الوعي ومواجهة الاستعمار الثقافي

كان الشيخ مبارك الميلي مثالا للعلم الرباني الذين يقول كلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، يساهم في نشر العلم والوعي بكل الطرق المتاحة، دروس ومحاضرات عبر النوادي والجمعيات ومقالات منشوره في الجرائد والمجلات يواجه به الاستعمار الثقافي الذي كانت تقوده فرنسا، والذي يعتبر دخيلا فاسدا على المجتمع الجزائري.

وحت الشيخ مبارك الميلي الشباب الجزائري المتعلم أن يحمل راية نشر الوعي والعلم النافع في الكثير من المواضيع في محاضراته ودروسه ومقالاته، لمواجهه هذا الدخيل الثقافي

(1) - ينظر ثار الشيخ مبارك الميلي [245/1].

(2) - آثار الشيخ مبارك الميلي [325/1].

(3) - رسالة الشرك ومظاهره مبارك الميلي تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ط:1-

2001م[251].

الغربي الفاسد، وحملهم هذه المسؤولية، ومما قاله الشيخ مخاطبا الشباب الوافدين على جامع الزيتونة: "شباب كل أمة هم رمز قوتها الحسية، وتلاميذها هم معقد الأمل في قوتها الروحية، وشبابنا المتعلمون هم الجامعون لهاتين القوتين والحاملون لهاتين الأمانتين، فليشعر بمنزلتهم وليسعدوا لمهمتهم .

وأبناء الجزائر الوافدون على جامع الزيتونة-أدام الله عمرانه ورقية- هم طائفة من ذلك الشباب المتعلم، وقد حدد الكتاب العزيز خطة هذه الطائفة في آية التوبة ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:122] قال الشيخ: " وشعورهم بمنزلتهم يقتضي عليهم بالجد في التحصيل وحسن السلوك، واستعدادهم لمهمتهم يوجب عليهم أن يتقاربوا ويتفاهموا ويتحدوا حتى إذا رجعوا إلى قومهم لينذروهم لم يشوشوا بعضهم على بعض ولا على الأمة بالخلافات والتزاعات والخصومات" (1).

ومن المواقف الجريئة للشيخ مبارك الميلي -رحمه الله- مطالبته بفصل فرنسا عن مسائل الدين بالجزائر، قائلا: "فلنعلن استنكارنا لنفوذ الاستعمار إلى مسائل ديننا، ولنبغض كل عالم يتخذ ديننا قربانا لمرضات الاستعمار عنه، ولنستجب لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:24] (2).

ومن الحيل التي استعملها الاستعمار الفرنسي للمساس بثقافة للشعب الجزائري نشر الأخبار والتقارير الكاذبة عبر الصحف والمجلات، وقد تفتن الشيخ مبارك لهذه الحيلة وحذر منها وكشف الشر المخفي وراءها، وبدأ كلمته مقام عنوان " تكذيب إشاعة مغرصة" بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات:6]

قال الشيخ في تنزيل الآية على الواقع: " فالواجب أن لا يغفل المسلمون عن هذا الأصل

(1) - آثار الشيخ مبارك الميلي [508/2].

(2) - آثار الشيخ مبارك الميلي [596/2].

المقرر بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة واتفاق الأدباء، عندما يجدون خبرا بإحدى الصحف التي استحلّت الكذب ولم تبالي بأية كبيرة، ولا سيما إذا كان في ذلك إساءة إلى جمعيه العلماء. وإن في الإعراض عن ذلك الرهط قطعا لأمالهم في التضليل وإراحة النفس من ظلمه الشك⁽¹⁾.

5.5. خدمة اللغة العربية من خلال التفسير.

من خصال الشيخ مبارك الميلي رحمه الله تعالى التي عرف بها خدمته للغة العربية وحثه ونصحه بتعلمها وإتقان قواعدها والتحذير من استبدالها بلغه المستعمر الفرنسي. يقول الشيخ مبارك الميلي دفاعا عن اللغة العربية: "ومن حاول اصلاح أمة إسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي، وصار هادما لعرشها بنيه تشييده. ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه، ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:17]⁽²⁾.

وحذر الشيخ رحمه الله تعالى من خطر التفريط في اللغة العربية، حيث قال: "إن أكبر بليه نزلت بنا من تفريطنا في لغة ديننا، جهلنا بالعلوم الكونية والقواعد العمرانية، وجمودنا عن استخدام الطبيعة التي حضنا القرآن عليه بقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:29]⁽³⁾.

وكان رحمه الله ينصح بفهم اللغة العربية بتعمق وعدم الاكتفاء بمعرفه بديهيات اللغة، حيث قال في كتابه رسالة الشرك ومظاهره: "يا اخواننا! افهموا لغة العرب والدين"⁽⁴⁾. ربط الشيخ رحمه الله تعالى بين فهم اللغة العربية وفهم الدين، ومعلوم عند أهل الأصول أن من شروط الاجتهاد معرفة اللغة العربية، والمشتغل بميدان التفسير- والذي يعتبر أوسع

(1) - آثار الشيخ مبارك الميلي [737/2].

(2) - آثار الشيخ مبارك الميلي [49/1].

(3) - آثار الشيخ مبارك الميلي [115/1].

(4) - رسالة الشرك ومظاهره [389].

أبواب الاجتهاد- لا يحصل له الفهم الكامل للآيات القرآنية إلا بتمام فهمه لمعاني الألفاظ القرآنية في اللغة العربية.

6. خاتمة.

فبعد هذه الدراسة التي تناولت جهود الشيخ مبارك الميلي -رحمه الله- في الدرس التفسيري، وما ترتب عنها من آثار تربوية واجتماعية، تبين أن هذا المصلح الجليل قد جعل من التفسير القرآني منبراً لتربية الأمة وإصلاحها، وميداناً لتجديد الفكر الديني في الجزائر، فجمع بين عمق الفهم للنصوص الشرعية وحيوية الخطاب الميداني المتصل بقضايا المجتمع. وقد أظهرت نتائج البحث جملة من الحقائق المهمة، من أبرزها:

6.1. النتائج

1- الدرس التفسيري عند الشيخ الميلي كان امتداداً للمنهج الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، القائم على العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في بناء العقيدة والسلوك والمجتمع.

2- منهجه في التفسير اتسم بالجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ إذ اعتمد التفسير بالأثر أساساً له، دون أن يغفل مقاصد الإصلاح والتجديد، مما جعل دروسه القرآنية تتجاوز الجانب المعرفي إلى التأثير التربوي والاجتماعي المباشر.

3- اعتمد الشيخ في دروسه التفسيرية على الأسلوب الشفهي الميداني، مما جعلها قريبة من عامة الناس، سهلة في عبارتها، مؤثرة في مضمونها، وهو ما يدل على قدرته البلاغية وتربيته الوجدانية للسامعين.

4- أبرز آثار دروسه التفسيرية التربوية تمثلت في ترسيخ العقيدة السليمة، وغرس القيم الأخلاقية، وتربية الناشئة والشباب على طلب العلم والجد في التحصيل، وربط الدين بالعمل الصالح وبخدمة المجتمع.

5- الآثار الاجتماعية لتفسيره تجلّت في الدعوة إلى الوحدة الوطنية، ومقاومة البدع والانحرافات العقدية، والتصدي للاستعمار الثقافي والفكري، وتأكيد على ضرورة الوعي

الجمعي المبني على نور الوحي.

6- عنايته باللغة العربية كانت بارزة في تفسيره، إذ عدّها وعاء الدين ووسيلة الفهم الصحيح للقرآن، وحذّر من التفريط فيها أو استبدالها بلغة المستعمر، مما يبرز وعيه اللغوي والإصلاحي العميق.

7- أظهر البحث أن الشيخ الميلي كان مفسراً مربياً ومصلحاً اجتماعياً، لا يقتصر على بيان المعاني، بل يوظف التفسير لتقويم الفكر والسلوك، وإصلاح الفرد والمجتمع في إطار مقاصد الشريعة.

6.2. التوصيات

1- الاهتمام بجمع وتوثيق دروس الشيخ الميلي التفسيرية الموزعة في الصحف والمجلات والمخطوطات، لما فيها من فكر إصلاحي تربوي جدير بالدراسة والتحقيق.

2- إعادة قراءة التراث الإصلاحي الجزائري في ضوء الدراسات القرآنية، لإبراز تفاعل المصلحين مع النص القرآني في مواجهة الانحرافات العقدية والاجتماعية.

3- توظيف منهج الشيخ الميلي في التفسير التربوي المعاصر، من خلال إدخاله في مناهج التعليم والدعوة، كنموذج يجمع بين أصالة التفسير ومقاصد التربية.

4- تشجيع البحوث الأكاديمية المتخصصة في دراسة جهود المصلحين الجزائريين في خدمة القرآن الكريم، وخاصة الأبعاد التربوية والاجتماعية لتفاسيرهم.

5- العناية بتدريس اللغة العربية بوصفها أداة للفهم القرآني والإصلاح المجتمعي، تأسيساً بما دعا إليه الشيخ الميلي في مقالاته ودروسه.

6- نشر فكر الشيخ الإصلاحي في الوسط الشبابي عبر المناهج التعليمية والمنابر الإعلامية؛ لأنه يمثل نموذجاً راشداً في الجمع بين العلم والعمل والدين والوطنية.

7. قائمة المراجع والمصادر.

1.7. الكتب والمصنفات

1. أبو عبد الرحمن محمود؛ آثار الشيخ مبارك الميلي؛ دار الرشيد؛ ط 1؛ 2012م.
2. الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون تاريخ للطبع.
3. الميلي، مبارك بن محمد؛ رسالة الشرك ومظاهره؛ تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود؛ دار الراجية للنشر والتوزيع؛ ط 1؛ 2001م.
- 2.7. الدوريات والمجلات
3. خنيش، مراد؛ دروس الشيخ مبارك الميلي في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية؛ مجلة الشهاب؛ المجلد 8؛ العدد 1؛ 2022م.
4. الميلي، مبارك بن محمد، البصائر؛ لسان حال الجمعية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
5. ابن باديس، عبد الحميد، جريدة الصراط السوي؛ تصدرها الجمعية، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
6. ابن الهاشمي، عبد الحفيظ، جريدة النجاح؛ جريدة يومية، تصدر في قسنطينة.

فهرس المحتويات:

1.....	التفسير الشفوي المعاصر في مزاب
21.....	التفسير الشفوي عند علماء توات؛ أعلامه مجالسه
37.....	التراث التفسيري لعلماء الإباضية في الجزائر دراسة وصفية
54.....	جهود علماء الجزائر في الإصلاح الاجتماعي من خلال دروس التفسير الشفوي
54.....	-الشيخان بكير أرشوم وابنه محمد أرشوم نموذجا-
84.....	معالم التفسير الشفوي في الجزائر الشيخ عبد القادر عثمانى رحمته الله أنموذجا
133.....	البناء التفكيرى لمقاصدية الدرس التفسيري وأثره في منظومة الإصلاح الاجتماعي
152.....	تجديد التفسير عند مدرسة المنار
152.....	وأثره على مناهج المفسرين الجزائريين
	مناهج التفسير في الجزائر بين المدرسة الإصلاحية والدراسات الأكاديمية المعاصرة:
176.....	
176.....	دراسة وصفية تحليلية
193.....	موقف علماء التفسير الجزائريين من الروايات الإسرائيلية
214.....	أثر مدارس التفسير في مناهج التفسير عند علماء الجزائر: دراسة وصفية مقارنة..
233.....	المفسر الجزائري بين الرفوف المنسية وذائقة الشباب الديني:
	قراءة في المشروع التفسيري للشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي في ظل هيمنة
233.....	الطبري وابن كثير
253.....	إسهامات هود بن محكم الهواري في التفسير اللغوي للقرآن الكريم
273.....	أبو العباس الباغائي الخنشلي وتفسيره "أحكام القرآن" 345هـ/401هـ
	البناء المنهجي للتفسير البلاغي عند الإمام النقاوسي ت:765هـ دراسة تحليلية في
	آليات بناء المعرفة وتوظيف المصطلح في رسالة الروض الأزهر في تفسير سورة
283.....	الكوثر
311.....	التفسير اللغوي عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي
311.....	وأثره في بيان دلالات الألفاظ القرآنية
327.....	المسائل التفسيرية في المعيار المعرب للونشريسي
327.....	" دراسة تحليلية في المنهج والمصادر"
356.....	توظيف الشيخ عبد الرحمن الثعالبي لبعض مباحث التصوف في التفسير
375.....	أنموذجات جزائرية في التفسير البياني واللساني
375.....	-شواهد من المناهج -

منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في التفسير من خلال كتابه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن".....	396
دراسة وصفية-.....	396
جهود الشيخ التّواتي بن التّواتي الأغواطيّ في التّفسير: دراسة وصفية لكتاب "الدّر الثّمين في تفسير الكتاب المين".....	418
لمحات من تراث الشيخ أبي مهدي عيسى المليكي التّفسيري.....	435
المعالم المنهجية في توجيه القراءات القرآنية عند الإمام الثعالبي.....	459
في تفسيره الجواهر الحسان.....	459
الشيخ صالح لعلي ومنهجه في التفسير.....	478
الشيخ يحيى الشاوي المفسّر الجزائري ومنهجه في التفسير.....	494
دراسة وصفية تحليلية في منهجه ومؤلفاته-.....	494
توجيه القراءات في تفسير الجواهر الحسان للعلامة عبد الرحمان الثعالبي.....	520
توجيه القراءات القرآنية عند الثعالبي من خلال تفسير الجواهر الحسان. عرض نماذج دراسة.....	537
البنية المنهجية في تفسير: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام عبد الحميد بن باديس.....	558
منهج الشيخ ابن باديس في التفسير.....	573
معالم التفسير الفقهي عند الشيخ إبراهيم بيوض من خلال كتابه "في رحاب القرآن".....	587
سورة النور نموذجاً-.....	587
العلامة أبو بكر عابد الجزائري ومنهجه في تفسير النص القرآني من خلال تفسيره.....	610
أيسر التفاسير من كلام العلي الكبير.....	610
مناهج التفسير عند علماء التفسير بالجزائر: دراسة وصفية.....	640
منهج الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" وأثره في بيان القيمة العلمية للكتاب.....	661
منهج ابن باديس التفسيري في مجالس التذكير: مقارنة تحليلية.....	686
مناهج التفسير عند علماء الجزائر: عبد الحميد بن باديس نموذجاً رائداً.....	714
التفسير عند الشيخ محمد باي بلعالم الأدراري الجزائري - المفتاح النوراني نموذجاً.....	738
المنهج اللغوي في تفسير ابن باديس. دراسة نماذج تطبيقية من مجالس التذكير.....	760
قراءة ونظرة في كتاب: "الذهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز".....	777
للشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي.....	777

منهج التفسير عند الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري من خلال تفسيره.....	793
" من توجيهات القرآن العظيم"	793
منهج محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري في تفسيره من توجيهات القرآن الكريم	838
.....	867
الشيخ أبو بكر الجزائري مفسراً	910
الشيخ التواتي بن التواتي الأغواطي وإسهاماته في خدمة تفسير القرآن الكريم	910
- كتاب "الدر الثمين في تفسير القرآن المبين" أنموذجاً-.....	935
الاتجاه التربوي في تفسير القرآن للإمام الثعالبي: دراسة تحليلية استقرائية.....	935
لمنهج "الجواهر الحسان"	949
الشيخ أبو بكر جابر الجزائري وإسهامه في تفسير القرآن	949
من خلال كتابه "نداءات الرحمن لأهل الإيمان.	984
الدلالة السياقية في تفسير نفحات الرحمن في رياض القرآن سورة البقرة أنموذجاً.	1003
ملاح تفسير عمر بن محمد المحجوب البهلول الزواوي الجزائري من خلال تفسيره	1017
المخطوط	1017
عناية علماء الجزائر بعلوم القرآن الكريم من خلال مقدمات كتب التفسير.....	1030
الدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري من خلال كتابه "توجيهات القرآن الكريم"	1030
أنموذجاً	1055
ملاح المنهج التفسيري عند الشيخ الطاهر آيت علجت	1055
دراسة تحليلية من خلال نماذج مختارة	1079
الإسرائيليات في تفسير ابن عطية وعبد الرحمن الثعالبي	1079
-دراسة مقارنة-	1120
معالم التفسير الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد كعباش من خلال تفسيره:...	1139
"نفحات الرحمان في رياض القرآن "	1156
الآثار التربوية والاجتماعية عند الشيخ الأخضر الدهمة في تفسيره قطوف دانية من	1156
سور قرآنية	
الأبعاد الحضارية للدرس التفسيري عند علماء الجنوب الجزائري . تفسير الشيخ	
صدقي أنموذجاً	
التفسير في غير درس التفسير لدى الشيخ الشهيد بالحاج بن عدون قشار قراءة	
وصفية	
إحياء الذاكرة:	
دراسة استراتيجية للحفاظ على التراث المخطوط في الجزائر في ظل التحديات	
المعاصرة.....	

1188.....	إسهامات علماء الجزائر في تنزيل الآيات على الواقع
1188.....	مبارك الميلي والبشير الإبراهيمي أنموذجا
1204.....	قضايا عقدية معاصرة في الدرس التفسيري للشيخ إبراهيم بيوض
1204.....	"الإلحاد والاستشراق والتنصير" أنموذجا
	من الدرس التفسيري إلى المشروع الحضاري: قراءة في فكر ابن باديس النهضوي
1236.....	
	مقاصد القرآن في الدرس التفسيري الإصلاحى للإمامين عبد الحميد بن باديس والبشير
1257.....	الإبراهيمي
1274.....	دور الدرس التفسيري في تقويم الدعوة إلى الله من خلال تفسير ابن باديس
	الآثار التربوية والاجتماعية للدرس التفسيري عند علماء الجزائر عفيف الدين
1292.....	التمسائي نموذجا
	الشيخ محمد سعيد كعباش الجزائري وتفسيره: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"
1302.....	
1302.....	دراسة وصفية
	فوائد تربوية واجتماعية مهمة منتقاة من تصدير محمد البشير الإبراهيمي لمجالس
1319.....	التذكير من كلام الحكيم الخبير - لابن باديس
1356..	الآثار الإصلاحية لدرس التفسير عند الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله
1373.....	الآثار التربوية والاجتماعية في تفسير الشيخ مبارك الميلي - رحمه الله -
1396.....	فهرس المحتويات: